تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين عربى اعاد الله علينا من بركاته آمين

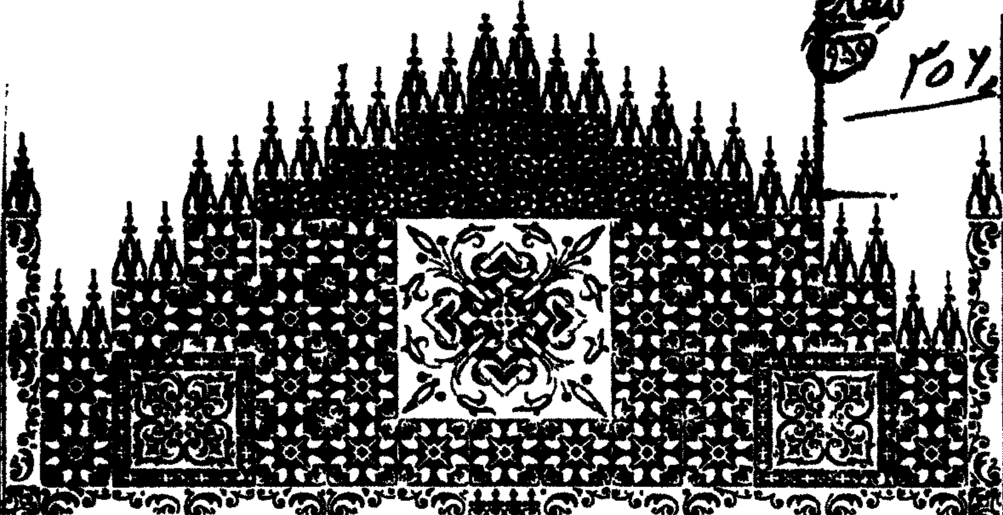
طبعه حسن حلمى الكتبى ومحمد حسن جمالى الحلبى برخصة نظارة المعارف التى لابد منها فى سنة سبعة عشر وثلاثمائة والف

الجزء الاول

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام
العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين
على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف
بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين عربى
اعادالله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمى الكتبي ومحمد حسن جمالى الحلبي برخصة
نظارة المعارف التى لابدّ منها فى سنة سبعة عشر
وثلاثمائة والف



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الاشياء فقدرها تقديرا * وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا * ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا * وشرفه بما عرفه به من العلم ونور قلبه تنويرا * وهداه الى معرفته فيا لها نعمة وفضلا كبيرا * وأطلق لسانه مأذونا بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا * وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا * وأنزل عليه كتابا مبينا * وأودعه حكمة وحكما ترغيبا وتحذيرا * وألهم حفاظه تلاوته وتحبيرا * وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا * وضرب فيه الامثال ليزيل جهالة وتحييرا * وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا وفر فضله توفيرا فى الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفى الصحف مسطورا * يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وجعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (احمده) على تواتر انعامه حمدا كثيرا * واتوكل عليه مفوضا أمرى اليه ومستجيرا * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئنا مستنيرا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (وبعد) فان الله جل ذكره * ونفذ أمره * أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذيرا للخالقين أكمل به بنيان النبوة * وختم به ديوان الرسالة * وأتم به مكارم الاخلاق * ونشر فضله فى الآفاق * وأنزل عليه نورا اهتدى به من الضلالة * وأنقذ به من الجهالة * وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه * وبالخسران لمن اعرض عنه



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفاته * وطوالع صفاته مطالع نور ذاته * صنى مشارع مسامع قلوب اصفيائه لصفق السماع * وروق موارد مشاعر فهوم أوليائه * لتيقن الاطلاق ولطف اسرارهم باشراق شعشعة المحبة فى أرجائها * وشوق أرواحهم الى شهود جمال وجهه بغنائها * ثم ألقى اليهم الكلام فاستروحوا

بعدما اعجزه الخلائق عن معارضته * حين تحداهم على ان ياتوا بسورة من مثله فى مقابلته * ثم سهل على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته * ويسر على الالسن قراءته * امر فيه وزجر * وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر * وضرب فيه الامثال ليتدبر * وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر * ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته * ولا بتلاوته دون تدبر آياته فى قراءته * ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه فى خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبغها فرعا وفصلا * واكرمها نتاجا * وانورها سراجا * فلا شرف الا وهو السبيل اليه * ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا فى سائر علومه المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم * ورحم كافتهم * ولما كان كتاب معالم التنزيل * الذى صنفه الشيخ الجليل * والحبر النبيل * الامام العالم الكامل * محيي السنة * قدوة الامة * وامام الائمة مفتى الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات فى علم التفسير * واعلاها وانبلها واسناها * جامعا للصحيح من الاقاويل * عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل * محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية * موشى بالقصص الغريبة * واخبار الماضين العجيبة * مرصعا باحسن الاشارات * مخرجا باوضح العبارات * مفرغا فى قالب الجمال بافصح مقال * فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه * وجعل الجنة متقلبه ومآبه ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعانى التفسير ولباب التأويل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكته واصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة فى سائر علومه المؤلفة ولم اجعل لنفسى تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب * وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد * فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابى عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى فعلامته قبل ذكر اسم الصحابى الراوى للحديث (خ) وما كان من صحيح ابى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن ابى داود والترمذى والنسائى فانى اذكر اسمه بغير العلامة وما لم اجده فى هذه الكتب ووجدت البغوى قد اخرجه بسنده انفرد به قلت روى البغوى بسنده وما رواه البغوى باسناد الثعلبى وما كان فيه من احاديث زائدة والفاظ متغيرة فاعتمده فانى اجتهدت فى تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدى وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزرى ثم انى عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فائدة فى هذا الكتاب واسهل على الطلاب

اليه بكرة وعشيا * وقربهم بذلك منه حتى خلصوا اليه نجيا * فزكى بظاهره نفوسهم فاذا هو ماء ثجاج * وروى بباطنه قلوبهم فاذا هو بحر مواج * فلما أرادوا الغوص ليستخرجوا درر أسراره * طغى الماء عليهم فغرقوا فى تياره * لكن أودية الفهوم سالت من فيضه بقدرها * وجداول العقول فاضت من رشحه بنهرها * فابرزت الاوادى على السواحل جواهر ثاقبة ودررا وأنبتت الجداول على الشواطئ زواهر ناضرة وثمرا * فاخذت القلوب عند مفيض مدها

وسمته بابلغ ماقدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب * وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه ان لايخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شئ كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن نظم وتأليف أو اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لايخلو هذا الكتاب من هذه الخصال التي ذكرت * (وسميته لباب التأويل * في معاني التنزيل) * والله تعالى اسأل التوفيق لاتمام ماقصدت واليه ارغب في تيسير ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه أنيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

* (الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه) * (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد ألا أيها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن خطاه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين وعن الحرث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت ياأمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انها ستكون فتنة فقلت ماالمخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لاتزيغ به الاهواء ولاتلتبس به الالسنة ولاتشبع منه العلماء ولايخلق عن كثرة الرد ولاتنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك ياأعور أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحرث مقال (قوله هو الفصل) أي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أي هو جد كله ليس فيه شئ من الهزل والجبار في صفة الآدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله أي أهلكه (قوله هو حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لاتزيغ به الاهواء أي لاتميل عن الحق * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شئ

واقفة على حدها تملأ الجوز والاردان عاجزة عن عدها * وطفقت الغوص في اجتناء الثمار والانوار شاكرة بوحدها قاضية بها الاوطار * وأما الاسرار فاذا قرع سمعها قوارع الآيات * تطلعت فالمحت منها على طلائع الصفات * فتحيرت في حسنها اذ رأتها وطاشت * ودهشت عند تجليها وتلاشت * حتى اذا بلغ الروح منها التراقي * طلع من وراء حجاب طلعة وجهه الباقي * وحكم الشهود عليها بنفي الوجود والزمها الاقرار * فسبحان من لا اله الا هو الواحد

من القرآن كالبيت الخرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يامر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقالهم وقوله يتتعتع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجر ان يعني يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه انه له أجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبي موسى الاشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه * عن ابن عباس قال قال رجل يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذي * عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن * عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا أخرجه أبو داود * عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به معنى أذن في اللغة استمع ولا تحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه في ذلك وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن أي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الاول أولى ويدل

القهار * سبحان من يتجلى في كلامه * بحلل صفات جلاله وجماله * على عباده في صورة بهاء ذاته وكماله * والصلاة على الشجرة المباركة التي أنطقها بهذا الكلام * وجعلها مورده ومصدره منها ولها واليها وعليها السلام * وعلى آله الذين هم خزنة علمه وكتابه العزيز وأصحابه الذين أصبح الدين بهم في حرز حريز (وبعد) فاني طالما تعهدت تلاوة القرآن * وتدبرت معانيه بقوة الايمان وكنت مع المواظبة على الاوراد حرج الصدر قلق الفؤاد * لا ينشرح بهاقلبي ولا يصرفني عنها

عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

* (الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده) * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مباءة اى منزلا من النار * عن جندب ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما أن يكون عن علم أولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوا سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي (قوله بئسما لاحدكم) أي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل أن الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي أنساه اياه وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن وقوله أشد تفصيا أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل في عقلها أي

ربي حتى استأنست بها فألفتها * وذقت حلاوة كأسها وشربتها فاذا أنا بها نشيط النفس * فلج الصدر * متسع البال * منبسط القلب * فسيح السر طيب * الوقت والحال * مسرور الروح بذلك الفتوح * كأنه دائما في غبوق وصبوح * تنكشف لي تحت كل آية من المعاني * ما يكل بوصفه لساني لا القدرة تفي بضبطها واحصائها * ولا القوة تصبر عن نشرها وافشائها * فتذكرت خبر من أتى ما ازدهاني * بما وراء المقاصد والاماني * قول النبي الامي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق * ما نزل من القرآن

تخلصا من العقال وهو الحبل الذى تربط به * عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه الالقى الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبوداود الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذى به جذام * عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب امتى فلم أرفيها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أوآية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء أراد بالقرآن المصحف فلايجوز حمله الى أرض العدو وهى بلاد الكفار للنهى الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلابأس من ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجئ أقوام يقرؤن القرآن يسئلون به أخرجه الترمذى * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماآمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بالقوى * عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذى قال حديث حسن غريب

(الفصل الثالث فى جمع القرآن وترتيب نزوله وفى كونه نزل على سبعة أحرف) * (خ)

عن زيد بن ثابت قال بعث الى أبوبكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبوبكر ان عمر جاءنى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى كل المواطن فيذهب من القرآن كثير وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر قال زيد فقال لى ابوبكر انك رجل شاب عاقل لانتهمك قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوبكر هو والله خير فلم يزل أبوبكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وفى رواية فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ورأيت فى ذلك الذى رأيا قال فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أومع أبى خزيمة الانصارى فلم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر براءة فألحقتها فى سورتها قال فكانت الصحف عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعنى الخزف (خ) عن أنس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان ياأمير المؤمنين أدرك هذه الامة

آية الا ولها ظهر وبطن * ولكل حرف حد ولكل حد مطلع * وفهمت منه ان الظهر هو التفسير والبطن هو التأويل * والحد ماينتاهى اليه المفهوم من معنى الكلام * والمطلع مايصعد اليه منه فيطلع على شهود الملك العلام * وقد نقل عن الامام الحق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال لقد تجلى الله لعباده فى كلامه ولكن لاتبصرون وروى عنه عليه السلام انه خر مغشيا عليه وهو فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال مازلت أردد الآية

قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها اليه فأمر زيد بن ثابت وعبدالله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش * شرح غريب ألفاظ الحديثين ومايتعلق بهما (قوله بعث الى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة) أي لاوان قتلهم وأراد به الوقعة التي كانت في اليمامة في زمن أبي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة ولها عمائر وهي في عداد أرض نجد (قوله استحر القتل) أي كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير (قوله فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع) جمع رقعة وهي مايكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدته لخفة (قوله يغازي أهل الشأم) أي مع أهل الشام (في فتح ارمينية) بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير سميت بارمين بن لمطي بن لومن بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها سميت باسمه (وأذربيجان) بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبي خزيمة الانصاري) وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الآية فاعلم أن المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا ومابعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبدالبر وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا ومابعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول

حتى سمعتها من المتكلم بها (فرأيت) ان أعلق بعض مايسنح لي في الاوقات * من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات دون مايتعلق بالظواهر والحدود فانه قد عين لها حد محدود وقيل من فسر برأيه فقد كفر * وأما التأويل فلا يبقى ولا يذر فانه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته في مراتب سلوكه وتفاوت درجاته * وكلما ترقى عن مقامه انفتح له باب فهم جديد * واطلع به على لطيف معنى عتيد (فشرعت) في تسويد

(الواحد)

الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث فقد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأبها * وتتبعه الرجال كان للاستظهار لالاستحداث علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت فى الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبوزيد وزيد يعنى ابن ثابت قلت لانس من ابوزيد قال أحد عمومتى أخرجاه فى الصحيحين اسم أبى زيد سعد بن عبيد وأخرج الترمذى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استحر القتل بقراء القرآن * فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه فى مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع فى مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين فحفظ الله كتابه فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عزوجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه أونقصوا منه شيأ والذى حملهم على جمعه ماجاء مبينا فى الحديث وهو انه كان مفرقا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظه ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبى بكر فدعوه الى جمعه * فرأى فى ذلك رأيهم فأمر بجمعه فى موضع واحد باتفاق من جميعهم * فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أوأخروا شيأ أووضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ماينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا * فثبت ان سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لافى ترتيبه فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على النحو الذى هو فى مصاحفنا الآن * وقد صح فى حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان وانه عرضه فى العام الذى توفى فيه مرتين * ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهى العرضة التى نسخ فيها مانسخ وبقى فيها مابقى ولهذا أقام أبوبكر زيد بن ثابت فى كتابة المصحف وألزمه بها لانه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الذى توفى فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه فى الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده فى حفظه على ماقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا فى شهر رمضان ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما

هذه الاوراق * بما عسى يسمح به الخاطر على سبيل الاتفاق * غير حائم بقعة التفسير * ولاخائض فى لجة من المطلعات مالا يسعه التقرير * مراعيا لنظم الكتاب وترتيبه غير معيد لما تكرر منه أوتشابه فى أساليبه * وكل مالايقبل التأويل عندى أولايحتاج اليه فما أوردته أصلا * ولا أزعم انى بلغت الحد فيما أوردته كلا *

عند الحاجة وحدوث مايحدث على ماشاءالله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه فى التلاوة والمصحف * فأما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول مانزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذى خلق ثم نون والقلم ثم يا أيها المزمل ثم المدثر ثم تبت يدا أبى لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر ثم أرأيت الذى ثم قل يا أيها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله أحد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة البروج ثم والتين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم سورة بنى اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم المؤمن ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم قد أفلح المؤمنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سأل سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت * واختلفوا فى آخر مانزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين * فهذا ترتيب مانزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات وأما مانزل بالمدينة ٣ فاحد وثلاثون سورة فأول مانزل بها سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم اذا جاءك المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب مانزل من القرآن بالمدينة * واختلفوا فى شورى فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى

* (فصل فى كون القرآن نزل على سبعة أحرف وماقيل فى ذلك) * (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ماقرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرأ ياعمر فقرأت بقراءتى التى اقرأنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه (قوله فكدت أساوره فى الصلاة) أى أواثبه وأقاتله وهو فى الصلاة والتربص التثبت (قوله فلببته بردائه) هو بتشديد الباء

فان وجوه الفهم لاتنحصر فيما فهمت * وعلم الله لايتقيد بما علمت * ومع ذلك فاوقف الفهم منى على ماذكر فيه * بل ربما لاح لى فيما كتب من الوجوه ما انتهت فى محاوبه * ومايمكن تأويله من الاحكام الظاهر منها ارادة ظاهرها لما أولته الاقليلا * ليعلم به ان للفهم اليه سبيلا *

قوله فاحد وثلثون فيه ان المعدود ثلثون لاغير ثم سيذكر ان شورى نزلت بالمدينة على قول وعليه فهى واحد وثلثون (مصححه)

الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه فى عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة * وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ماتجوزه العربية * واما امر النبى صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده مايقتضى تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته فى القراءة والنبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها مالايعلمه عمر ولانه اذاقرأ وهو ملبب لايتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ماتيسر منه) قال العلماء سبب انزاله على سبعة احرف التخفيف والتسهيل * واختلفوا فى المراد بسبعة أحرف. فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر. وقال الاكثرون هو حصر العدد فى سبعة احرف. ثم قيل هى فى سبع من المعانى كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهى. وقيل هى فى صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات فى هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بمايوافق لغته ويسهل على لسانه. وقال ابوعبيدة هى سبع لغات من لغات العرب تميمها ومعدها وهى افصح لغات العرب واعلاها. وقيل هى لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن. وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهى متفرقة فى القرآن العزيز غير مجتمعة فى كلمة واحدة. وقيل بل هى مجتمعة فى بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب بئيس. وقيل هى سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت من النبى صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة فى المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها مالم يثبت متواتراً. وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولامتباينة * فاما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية امثال بآية احكام * وقول من قال ان المراد خواتيم الآى فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطأ للاجماع على انه لايجوز تغيير نظم القرآن والله اعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأنى جبريل على حرف فراجعته فزادنى فلم ازل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف * معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عزوجل الزيادة فى الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عزوجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلماقضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن النبى صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذكنت فى الجاهلية فلمارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقاوكأنما انظر الى الله عزوجل فرقا فقال لى ياابى ارسل الى ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتى فرد الى الثانية ان اقرأه على حرفين

ويستدل بذلك على نظائرها * ان جاوز مجاوز عن ظواهرها اذلم يكن فى تأويلها بد من تعسف * وعنوان المروة ترك التكلف * وعسى أن يجده لغيرى وجوه أحسن منها طوع القياد * فان ذلك سهل لمن تيسر له من افراد العباد

فرددت اليه ان هوّن على امتى فرد الى الثالثة ان اقرأه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى واخرت الثالثة ليوم يرغب الى الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله فسقط فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى الجاهلية) معناه وسوس لى الشيطان تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه فى الجاهلية لانه كان فى الجاهلية غافلاً ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب (وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان فى قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لايؤاخذ بها (قوله ضرب فى صدرى ففضت عرقا) قال القاضى عياض ضربه صلى الله عليه وسلم فى صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنما انظر الى الله تعالى فرقا) الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه مازال عنه ذلك الخاطر (قوله ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا واما باقى الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم * روى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع وقيل فى معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل فى معناه الظهر ماحدّث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو فى الظاهر خبر وفى الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما نزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب الطعام من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر فى القرآن العزيز من التأويل والمعانى مالا يفتحه على غيره وفوق كل ذى علم عليم والله اعلم

* (فصل فى معنى التفسير والتأويل) فاما التفسير فاصله فى اللغة من الفسر وهو كشف ماغطى وهو بيان المعانى المعقولة فكل مايعرف به الشئ ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذى ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها * واما التأويل فاشتقاقه من الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته فآل اى صرفته فانصرف وهو رد الشئ الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعانى والوجوه المستنبطة الموافقة لفظ الآية * والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم * (القول فى الاستعاذة) * ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجئ اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ * والشيطان اصله من شطن اى تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا * والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية * الرجيم فعيل بمعنى فاعل اى يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اى مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الاعلى * (واما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسئلة الاولى) اتفق

* ولله تعالى فى كلّ كلمة كلمات يعدها العدون نفادها * فكيف السبيل الى حصرها وتعدادها * لكنها انموذج لاهل الذوق والوجدان * يحتذون على حذوها عند تلاوة القرآن * فينكشف لهم مااستعدوا له من مكنونات علمه * ويتجلى عليهم ما استطاعوا له من خطيات غيبه * والله الهادى لاهل المجاهدة * الى سبيل المكاشفة والمشاهدة * ولاهل الشوق * الى مشارب الذوق * انه ولى التحقيق * وبيده التوفيق

الجمهور على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا او سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ أيضاه وحكى عن عطاء وجوبها سواء كان فى الصلاة أو غيرها * وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل فى عمره مرة واحدة كفى فى اسقاط الوجوب * دليل الوجوب بظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبى صلى الله عليه وسلم واظب على التعوّذ فيكون واجبا * ودليل الجمهور ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابى الاستعاذة فى جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز (وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا أردت القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا أردتم القيام الى الصلاة (وأجيب عن مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات فى الصلاة فكان التعوّذ مثلها

(المسئلة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان فى الصلاة أو خارجها وحكى عن النخعى انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن سيرين * حجة الجمهور ماروى عن أبى سعيد الخدرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبّر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث أشهر حديث فى الباب وقد تكلم فى بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابى داود والنسائى عن أبى سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمرو ولا أدرى أىّ صلاة هى قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلاً ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة . اخرجه ابو داود . وقيل الموتة الجنون لان من جنّ فقدمات عقله . وقيل همزه هو الذى يوسوسه فى الصلاة ونفخه هو الذى يأتيه من الشبه فى الصلاة ليقطع عليه صلاته * واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله * واجيب عنه بما تقدم * وقال مالك لا يتعوّذ فى المكتوبة ويتعوّذ فى قيام رمضان بعد القراءة * لنا ما تقدم من الادلة

(المسئلة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم * وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابى سعيد * وقال الثورى والاوزاعى الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم * وبالجملة فالاستعاذة تطهّر القلب من كل شئ يشغله عن الله تعالى * ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارى عز وجل وانه هو الغنىّ القادر على دفع جميع المضرّات والآفات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدوّ مبين * ففى الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوى الفاجر . وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم

* (تفسير سورة الفاتحة) *

سورة الفاتحة

وهى سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا * واختلف العلماء فى نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين

مرة بمكة ومرة بالمدينة . وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها * ولها عدة اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فاول ذلك) فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة (الثانى) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث) ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شئ اصله وقيل هى امام لما يتلوها من السور (الرابع) السبع المثانى سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة ويقرأ بها فى كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم. وقيل لانها انزلت مرتين (الخامس) الوافية سميت بذلك لانها لاتنقسم فى القراءة فى الصلاة كما ينقسم غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانها تكفى عن غيرها فى الصلاة ولايكفى عنها غيرها

* (فصل فى ذكر فضلها) * (خ) عن ابى سعيد بن المعلى قال كنت اصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يارسول الله انى كنت اصلى فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لى لاعلمك سورة هى اعظم السور فى القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدى فلما اراد ان يخرج قلت له يارسول الله الم تقل لاعلمك سورة هى اعظم السور فى القرآن قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته ورواه مالك فى الموطأ عنه . وقال فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم نادى ابى بن كعب وهو يصلى وذكر نحوه . وفيه حتى تعلم سورة ماانزل فى التوراة ولافى الانجيل ولافى الزبور مثلها ورواه الترمذى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابى وهو يصلى وذكر نحو رواية الموطأ . وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماانزل الله فى التوراة ولافى الانجيل مثل ام القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل. اخرجه الترمذى والنسائى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثانى اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الااليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الااليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا أعطيته (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المعجمة اى صوتا كصوت فتح الباب (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهى خداج هى خداج هى خداج غير تمام . قال فقلت ياابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعى وقال اقرأ بها فى نفسك يافارسى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى وربما قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ماسأل (قوله فهى خداج)

اى ناقصة (قوله فغمز ذراعى) اى كبس ساعدى بيده (قوله قسمت الصلاة) اراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها (قوله نصفين) حقيقة هذه القسمة التى جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد . وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل (قوله حمدنى عبدى ومجدنى) اى اثنى علىّ لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله وربما قال فوّض الىّ عبدى) وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوّض امره الى فلان اذا ردّه اليه وعوّل فيه عليه وفى الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعى وجماعة . وستأتى هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء فى بسم الله حرف خافض يخفض مابعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ باسم الله او باسم الله ابدأ او اقرأ * وانما طولت الباء فى بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة . وقيل لما اسقطوا الالف ردّوا طولها على الباء ليدلّ طولها على الالف المحذوفة واثبتت الالف فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله . وقيل انما طوّلوا الباء لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم . وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى . وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طوّلوا الباء من بسم الله واظهروا السين ودوّروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل * (والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يايحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك * وهذا القول ليس بقوىّ والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ماتعرف به ذات الشئ . وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به . فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى . وايضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحداً والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة . وأيضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعى الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعوّ هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعوّ وبين اللفظ المدعوّ به * واجيب عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم * واجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضى اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشئ الى نفسه محال * وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه * وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهره (واختلفوا فى اشتقاق الاسم . فقال البصريون من السموّ وهو العلوّ فاسم الشئ ماعلاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على معناه وصار علما له . وقال الكوفيون من السمة وهى العلامة فكأنه علامة لمسماه * وحجة البصريين لوكان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه أوسام وأجمعوا على ان تصغيره سمىّ وجمعه أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاصّ لله تعالى تفرّد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق

بسم الله الرحمن الرحيم
اسم الشئ مايعرف به فأسماء الله تعالى هى الصور النوعية التى تدل بخصائصها وهوّياتها على صفات الله وذاته وبوجودها على وجهه وبتعينها على وحدته اذهى ظواهره التى بها يعرف والله اسم للذات الآلهية من حيث هى هى على الاطلاق لاباعتبار اتصافها بالصفات ولاباعتبار لااتصافها

ولايشركه فيه احد • وهو الصحيح المختار • دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعنى لايقال لغيره الله • وقيل هو مشتق من أله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة • دليله ويذرك والاهتك اى وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره • وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولهون اليه اى يفزعون اليه فى حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم فى بلايا تنوبنى • فالفيتكم فيها كراما محتد

• وقيل اصله أله يقال ألهت الى فلان اى سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره • وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمى بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتصير او بالارادة . ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء . يدل عليه وان من شئ الا يسبح بحمده • ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيأ بقى الباقى يدل عليه فان حذفت الالف بقى لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقى اله وان حذفتهما بقى له وان حذفت الالف واللامين معا بقى هو والواو عوض من الضمة • وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقى الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر . قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد . وقيل ذكر احدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه . وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق فى الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافى للمؤمنين فى الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة • ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله . وقيل هى ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق . فهو على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل . وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب . وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق • (فصل فى حكم البسملة) • وفيه مسئلتان (الاولى) فى كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة . اختلف العلماء فى ذلك . فذهب الشافعى وجماعة من العلماء الى انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابى هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واحمد فى احدى الروايتين عنه واسحق ونقل البيهقى هذا القول عن على بن ابى طالب والزهرى والثورى ومحمد بن كعب . وذهب الاوزاعى ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة . زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هى بعض آية فى سورة النمل . وانما كتبت للفصل والتبرك . قال مالك ولا يستفتح بها فى الصلاة المفروضة • وللشافعى قول انها ليست من اوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة • فأما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث انس المشهور المخرج فى الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين • قالوا ولان اول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذى خلق ولم يذكر البسملة فى اولها فدل على انها ليست منها • قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص اربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا • واما حجة من ذهب الى اثباتها فى اوائل السور

و (الرحمن) هو المفيض لوجود والكمال على الكل بحسب ماتقتضى الحكمة وتحتمل القوابل على وجه البداية و(الرحيم) هو المفيض للكمال المعنوى المخصوص بالنوع الانسانى بحسب النهاية ولهذا قيل يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة فمعناه بالصورة الانسانية الكاملة الجامعة الرحمة العامة والخاصة التى هى مظهر الذات الالهى والحق الاعظمى مع جميع الصفات أبدأ واقرأه وهى الاسم الاعظم • والى هذا المعنى أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اوتيت جوامع الكلم وبعثت لاتمم مكارم الاخلاق اذ الكلمات حقائق الموجودات وأعيانها كاسمى عيسى عليه السلام كلمة من الله • ومكارم الاخلاق كمالاتها وخواصها التى هى مصادر افعالها جميعها محصورة فى الكون الجامع الانسانى

من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم . اخرجه ابن خزيمة وغيره . وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لايعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابوداود والحاكم ابوعبدالله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين . وروى الدار قطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدر قطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفا . وروى الدار قطني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم . واخرج مسلم في افراده عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفا اغفوة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يارسول الله قال انزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث * قال البيهقي احسن مااحتج به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقدعلمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة . وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لايدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت في المصحف لم لم تقرأ . وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن . وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم . فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه . وايضا فأجمع الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من ان يزيدوا فيه اوينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في اوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

* (المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار) * اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية . وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبوهريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبوقلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم

وههنا لطيفة وهي ان الانبياء عليهم السلام وضعوا حروف التهجي بازاء مراتب الموجودات وقد وجدت في كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وامير المؤمنين علي عليه السلام وبعض الصحابة مايشير الى ذلك ولهذا قيل ظهرت الموجودات من باء بسم الله اذهي الحرف الذي يلي الالف الموضوعة بازاء ذات الله فهي اشارة الى العقل الاول الذي هو اول ماخلق الله المخاطب بقوله تعالى ماخلقت خلقا أحب الي ولا أكرم علي منك . بك اعطى . وبك آخذ . وبك اثيب . وبك اعاقب الحديث * والحروف الملفوظة لهذه الكلمة ثمانية عشر والمكتوبة تسعة عشر واذا انفصلت الكلمات انفصلت الحروف الى اثنين وعشرين فالثمانية عشر اشارة الى العوالم المعبر عنها بثمانية عشر الف عالم اذ الالف هو العدد التام المشتمل على باقي مراتب الاعداد فهو ام المراتب الذي لاعدد فوقه فعبر بها عن امهات العوالم التي هي عالم الجبروت وعالم الملكوت والعرش والكرسي

ومكحول وعمربن عبدالعزيز وعمروبن دينار ومسلم بن خالد. واليه ذهب الشافعي. وهو احد قولى ابن وهب صاحب مالك. ويحكى ايضا عن ابن المبارك وابى ثور * وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابوبكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعى وقتادة والاعمش والثورى . واليه ذهب مالك وابوحنيفة واحمد وغيرهم * اما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابوهريرة وابن عباس وانس وعلى بن ابى طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة * فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد فى صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهي رواية عبدالله بن مغفل والاخرى عن انس وهى فى الصحيح وهى معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها. وروى نعيم بن عبدالله المجمر قال صليت وراء ابى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم انى لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم * اخرجه النسائى وابن خزيمة فى صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم * وروى الدار قطني بسنده عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث * قال الدار قطني اسناده كلهم ثقات * وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم * اخرجه الدارقطني وقال ليس فى روايته مجروح * واخرجه الحاكم ابوعبدالله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفى رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم * اخرجه الدار قطني وقال صحيح ليس فى اسناده مجروح * واخرجه الترمذى وقال ليس اسناده بذاك * قال الشيخ ابوشامة اى لا يماثل اسناده ما فى الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما فى الصحيح * وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدار قطني وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن ابى السرى العسقلانى قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما ألوى ان اقتدى بصلاة انس بن مالك وقال انس بن مالك ما ألوى ان اقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الدار قطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبدالله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات * قلت وفى الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق * قوله عزوجل (الحمد لله) لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اى قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه * والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لايكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه واما الحمد فمأمور به ** والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه . والشكر لايكون الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا. وقيل الحمد باللسان

والسموات السبع والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة التى ينفصل كل واحد منها الى جزئياته والتسعة عشر اشارة الى جامع العالم الانسانى فانه وان كان داخلا فى عالم الحيوان الا انه باعتبار شرفه وجامعيته للكل وحصره للوجود عالم آخر له شأن وجنس برأسه له برهان كجبريل من بين الملائكة فى قوله تعالى وملائكته وجبريل والالفات الثلاثة المحتجبة التى هى تتمة الاثنين والعشرين عند الانفصال اشارة الى العالم الآلهى الحق باعتبار الذات والصفات والافعال فهى ثلاثة عوالم عند التحقيق والثلاثة المكتوبة اشارة الى ظهور تلك العوالم على المظهر الاعظمى الانسانى واحتجاب العالم الالهى حين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الف الباء من اين ذهبت قال سرقها الشيطان وامر بتطويل باء بسم الله تعويضا عن الفها اشارة الى احتجاب الوهية الآلهية فى صورة الرحمة الانتشارية وظهورها فى الصورة الانسانية بحيث لايعرفها الا اهلها ولهذا

قولاً والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم • واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشئ اى مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشئ مضافا (والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه • وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب • وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل • واختلف في مبلغ عددهم • فقيل لله الف عالم ستمائة عالم في البحر واربعمائة في البر • وقيل ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر ومثلهم في البحر • وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء • الفسطاط الخيمة (واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمى بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى • (الرحمن الرحيم) • فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم (فان قلت قد سمى مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه • وانت غيث الورى لا زلت رحمانا • قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا (فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية (قلت لعل ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه • قوله تعالى • (مالك يوم الدين) • يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذى يكون فيه الجزاء • والمالك هو المتصرف بالامر والنهى • وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى • وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون ملكا لشئ الا وهو يملكه وقد يكون مالكا لشئ ولا يملكه • وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا • وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين • قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضى يوم الحساب • وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان • وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين • وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اى قهرته فذل (فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها (قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة • قوله تعالى • (اياك نعبد) • رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من اول السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء اولى (وقيل فيه ضمير اى قولوا اياك نعبد (والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك (والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل • وسمى العبد عبداً لذلته وانقياده (وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة

نكرت في الوضع وقد ورد في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته فالذات محجوبة بالصفات والصفات بالافعال والافعال بالاكوان والآثار فمن تجلت عليه الافعال بارتفاع حجب الاكوان توكل ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الافعال رضى وسلم ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فنى في الوحدة فصار موحدا مطلقا فاعلا ما فعل وقارئا ما قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فتوحيد الافعال مقدم على توحيد الصفات وهو على توحيد الذات والى الثلاثة اشار صلوات الله عليه في سجوده بقوله اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الحمد بالفعل ولسان الحال هو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الاشياء اذ هي اثنية فائحة ونفح رائحة لموليها بما يستحقه فالموجودات كلها بخصوصياتها وخواصها

غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له (واياك نستعين) * اى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا (فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة عن العبادة وما الحكمة فيه (قلت ذكروا فيه وجوها (احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير (الثانى ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ماهو من تفاصيلها ثانيا (الثالث كأن العبد يقول شرعت فى العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعنى من اتمامها مانع (الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة * (اهدنا الصراط المستقيم) * اى ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهو مذهب اهل السنة (والصراط الطريق قال جرير

امير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

اى على طريقة حسنة (قال ابن عباس هو دين الاسلام (وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا (وقيل السنة والجماعة (وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة * (صراط الذين انعمت عليهم) * هذا بدل من الاول اى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا (وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته * (غير المغضوب عليهم) * يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم (والغضب فى الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين * (ولا الضالين) * اى وغير الضالين عن الهدى. واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وهلك. وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود. والضالين هم النصارى * عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال (اخرجه الترمذى (وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل (وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم

* (فصل فى آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان) * * (الاولى) * السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة ان يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف * وفيه لغتان المد والقصر قال فى المد * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال فى القصر * امين فزاد الله ما بيننا بعدا *

(ومعنى)

وتوجيهها الى غاياتها واخراج كمالاتها من حيز القوة الى الفعل مسبحة حامدة كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فتسبيحها اياه تنزيهه عن الشريك وصفات النقص والعجز باستنادها اليه وحده ودلالتها على وحدانيته وقدرته وتحميدها اظهارها كمالاتها المترتبة ومظهريتها لتلك الصفات الجلالية والجمالية وخص بذاته بحسب مبدئيته للكل وحافظيته ومدبريته له التى هى معنى الربوبية للعالمين اى لكل ماهو علم الله يعلم به كالخاتم لما يختم به والقالب لما يقلب فيه وجمع جمع السلامة لاشتماله على معنى العلم او التغليب وبازاء الافاضة الخير العام والخاص أى النعمة الظاهرة كالصحة والرزق والباطنة كالمعرفة والعلم وباعتبار منتهائيته التى هى معنى مالكية الاشياء فى يوم الدين اذ لا يجرى فى الحقيقة الا المعبود الذى ينتهى اليه الملك وقت الجزاء باثابة النعمة الباقية عن الفانية عند التجرد عنها بالزهد وتجليات الافعال عند انسلاخ العبد عن افعاله وتعويض صفاته عند المحو

ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب (وقال ابن عباس معناه كذلك يكون (وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى (وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآثام (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امّن الامام فامّنوا فان من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه) قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفى رواية للبخارى ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم فى وقت التأمين فأمّن مع تامينهم وقيل وافقهم فى الصفة والخشوع والاخلاص . والقول الاول هو الصحيح (واختلفوا فى هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ماتقدم من ذنبه) يعنى تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

*(المسئلة الثانية فى حكم الفاتحة) * اختلف العلماء فى وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعى واحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها متعينة فى الصلاة ولاتجزئ الابها . واحتجوا بماروى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب . اخرجاه فى الصحيحين . وبحديث ابى هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم فى فضل سورة الفاتحة (وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لاتتعين على المصلى بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة او ثلاث آيات قصار . واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه * وبقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاعرابى المسئ صلاته ثم اقرأ بماتيسر معك من القرآن . اخرجاه فى الصحيحين (دليل الجمهور ماتقدم من الاحاديث (فان قيل المراد من الحديث لاصلاة كاملة (قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث (ومما يدل عليه حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب . اخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح * وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخرج فينادى لاصلاة الا بفاتحة الكتاب فازاد . اخرجه ابو داود (واجيب عن حديث الاعرابى بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة اوعلى مازاد على الفاتحة اوعلى العاجز عن قراءة الفاتحة والله اعلم

* (تفسير سورة البقرة) *

قال ابن عباس هى اول مانزل بالمدينة قيل سوى آية وهى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة فى حجة الوداع * وهى مائتان وست . وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة * وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف

* (فصل فى فضلها) * (م) عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيابتان او كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغنى ان البطلة السحرة (قوله اقرؤا الزهراوين) سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر

عن صفاته وابقائه بذاته وهبته الوجود الحقانى عند فنائه فله تعالى مطلق الحمد وماهيته ازلا وابدا على حسب استحقه له اياه بذاته باعتبار البداية والنهاية ومابينهما فى مقام الجمع على السنة التفاصيل فهو الحامد والمحمود تفصيلا وجمعا والعابد والمعبود مبدا ومنتهى * ولما تجلى فى كلامه لعباده بصفاته شاهدوه بعظمته وبهائه وكمال قدرته وجلاله فخاطبوه قولا وفعلا بتخصيص العبادة به وطلب المعونة منه اذ مارأوا معبودا غيره ولاحول ولاقوة لاحد الابه فلوحضروا لكانت حركاتهم وسكناتهم كلها عبادة له وبه فكانوا على صلاتهم دائمين داعين بلسان المحبة لمشاهدتهم جماله من كل وجه على كل وجه (اهدنا الصراط المستقيم) اى ثبتنا على الهداية ومكنا بالاستقامة فى طريق الوحدة التى هى طريق المنعم عليهم بالنعمة الخاصة الرحيمية التى هى المعرفة والمحبة والهداية الحقانية الذاتية من النبيين والشهداء والصديقين والاولياء الذين شاهدوه

(قوله كانهما غمامتان اوغيايتان) قال اهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء اظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهمــا يأتي كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صــافة وهي التي تصف اجنحتها عند الطيران (تحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة (والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبينا يقال ابطل اذا جاء بالباطل * وفي الحديث دليـل على جواز قول ســورة البقرة وســورة آل عمران وكذا باقي السور وانه لا كراهة في ذلك * وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر فيهــا البقرة وكذا باقي السور * والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذى تقرؤ فيه سورة البقرة * وعنه قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي ۰ اخرجه الترمذي وقال حديث غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل *(الم)* قيل ان حروف الهجاء في اوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعــالى * وفائدة ذكرها طلب الايمان بها ۰ قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتــاب سر وسر الله في القرآن اوائل السور ۰ وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صــفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي (واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعقلون (واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل معناه * والحكمة فيه هو كمال الانقيــاد والطاعة * فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بهــا ولا يلزم البحث عنهــا (وقال آخرون من اهل العلم هي معرفة المعاني * ثم اختلفوا فيها (فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتــاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد (وقيـل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه * ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها قفي فقالت قاف * لا تحسبي انا نسينا الايجاف

قولها قاف اى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها (والايجــاف الاسراع في السير * قال ابن عباس الم انا الله اعلم * وقيل هي اسماء الله مقطعة لو علم النــاس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعهــا الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعــا * وقيل اسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي اقسام فقيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا * وانما اقتصر على بعضــها وان كان المراد كلهــا فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالهــا فكأنه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ * وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله وفي آية بعشر ســور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان يجب ان تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر * وقيل انهم لما اعرضــوا عن سماع القرآن واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين

اولا وآخرا وظاهرا وباطنا فنــا بوافي شهودهم طلعة وجهه البــاقي عن وجود الظل الفاني (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم) الذين وقفوا مع الظواهر واحتجبوا بالنعمة الرحمانية والنعيم الجسماني والذوق الحسي عن الحقائق الروحانية والنعيم القلبي والذوق العقلي كاليهــود اذ كانت دعوتهم الى الظواهر والجنان والحور والقصور فغضب عليهم لان الغضب يستلزم الطرد والبعـد والوقوف مع الظواهر التي هي الحجب الظلمانية غاية البعد (ولا الضــالين) الذين وقفوا مع البواطن التي هي الحجب النورانية واحتجبوا بالنعمــة الرحيميــة عن الرحمانية وغفلوا عن ظاهرية الحق وضـلوا عن سواء السبيل فحرموا شهود جمال المحبوب في الكل كالنصارى اذ كانت دعوتهم الى البواطن وانوار عالم القدوس ودعوة المحمديين الموحدين الى الكل والجمع بين محبة جمال الذات وحسن الصفات كما ورد سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة اتقوا الله وآمنوا

اسمعوا الى مايجئ به محمد فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم * وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا ان لاسبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه * واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة فى اوائل السور اربعة عشر حرفا فى تسع وعشرين سورة وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسيأتى الكلام على باقيها فى مواضعها ان شاء تعالى * وقوله تعالى *(ذلك الكتاب)* اى هذا الكتاب هو القرآن * وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذى وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لايمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك به * وقيل ان الله وعد بنى اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب اى هذا الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى ان انزله على النبى الذى هو من ولد اسمعيل (والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسماء القرآن *(لاريب فيه)* اى لاشك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق * وقيل هو خبر بمعنى النهى اى لاترتابوا فيه (فان قلت قد ارتاب فيه قوم فما معنى لاريب فيه (قلت معناه انه فى نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك *(هدى للمتقين)* الهدى عبارة عن الدلالة (وقيل دلالة بلطف (وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين (وقيل هو هاد لاريب فى هدايته *(والمتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى (والتقوى جعل النفس فى وقاية مما يخاف (وقيل التقوى فى عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش (وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين مايقصده (وفى الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقى يجعل امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار (وقيل المتقى هو من لايرى نفسه خيرا من احد (وقيل التقوى ترك ماحرم الله واداء ما افترض (وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة (وقيل التقوى ان لايراك مولاك حيث نهاك (وقيل التقوى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه * وفى الحديث جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (وقيل المتقى هو الذى يترك مالابأس به حذرا مما به بأس *(وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله تعالى هدى للمتقين لكفاهم (فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون (قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ماهو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم *(الذين يؤمنون بالغيب)* اى يصدقون بالغيب (واصل الايمان فى اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق * فاذا فسر الايمان بهذا فانه لايزيد ولاينقص لان التصديق لايتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى (والايمان فى لسان الشرع عبارة

برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به اعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ فاجابوا الدعوات الثلاث كما جاء فى حقهم يرجون رحمته ويخافون عذابه يقولون ربنا أتمم لنا نورنا قالوا ربنا الله ثم استقاموا فأثيبوا بالجمع على ما أخبر الله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن لهم أجرهم ونورهم أينما تولوا فثم وجه الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم ذلك الكتاب) اشار بهذه الحروف الثلاثة الى كل الوجود من حيث هو كل لان (ا) اشارة الى ذات الذى هو أول الوجود على مامر و (ل) الى العقل الفعال المسمى جبريل وهو أوسط الوجود الذى يستفيض من المبدا ويفيض الى المنتهى و (م) الى محمد الذى هو آخر الوجود تتم به دائرته وتتصل بأولها ولهذا ختم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وعن بعض السلف ان (ل) ركبت من الفين أى وضعت بازاء الذات مع صفة العلم اللذين هما عالمان من العوالم الثلاثة الالهية التى أشرنا

عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان * واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم * وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف . والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . فنفى عنه اسم الايمان اوكال الايمان(واكثر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا (وقال المحققون من متكلمي اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها . وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل وامانحيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذلا يشك عاقل ان نفس تصديق ابي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة(وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه(والدليل على ان الاعمال من الايمان ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخر جاه في الصحيحين(البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشيء (واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه(والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح(وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان (وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله(والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا ان لم يكن معه تصديق (وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يارسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يارسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يارسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يارسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل ولكن سأحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من اشراطها وخمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذ واليردوه فلم يروا شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام * وبقي اشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله

بها فهو اسم من أسماء الله مالي اذ كل اسم هو عبارة عن الذات مع صفة ما واما (م) فهي اشارة الى الذات مع جميع الصفات والافعال التي احتجبت بها في الصورة المحمدية التي هي اسم الله الاعظم بحيث لا يعرفها الا من يعرفها ألا تدرى ان (م) التي هي صورة الذات كيف احتجب فيها فان الميم فيها الياء وفي الياء ألف والسر في وضع حروف التهجي هو ان لا حرف الا وفيه ألف ويقرب من هذا قول من قال معناه القسم بالله العليم الحكيم اذ جبريل مظهر العلم فهو اسمه العليم ومحمد مظهر الحكمة فهو اسمه الحكيم ومن هذا ظهر معنى قول من قال تحت كل اسم من أسمائه تعالى أسماء بغير نهاية والعلم لا يتم ولا يكمل الا اذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذي هو عالم الاسباب والمسببات فصير حكمة ومن ثم لا يحصل الاسلام بمجرد قول لا اله الا الله الى اذا قرن بمحمد رسول الله فمعنى الآية الم ذلك الكتاب الموعود أي صورة الكل الموحى اليها بكتاب الجفر والجامعة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزاً اى ظاهراً . وقوله ان تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر . هو بكسر الخاء . وقيل فى الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت . والبعث هو بعده عند قيام الساعة . وفى تقييده بالآخر وجه آخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث آخر (قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص فى العمل وهو شرط فى صحة الايمان والاسلام لان من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا (وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك (واشراط الساعة علاماتها التى تظهر قبلها (قوله اذا ولدت الامة ربها يعنى سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها (ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم وهى الصغار من اولاد الضان (والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون فى البناء ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم * (قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون * قال ابن عباس الغيب هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان * وقيل الغيب هنا هو الله تعالى * وقيل القرآن * وقيل بالآخرة * وقيل بالوحى * وقيل بالقدر * وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذى لا اله غيره ما آمن احد قط افضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لاريب فيه الى قوله وأولئك هم المفلحون * (ويقيمون الصلاة) * اى يداومون عليها فى مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل فى فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه * والمراد به الصلوات الخمس * والصلاة فى اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أى ادع لهم . وأصله من صليت العود اذا لينته فكأن المصلى يلين ويخشع * وفى الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية * (ومما رزقناهم) * أى أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب * (ينفقون) * أى يخرجون ويتصدقون فى طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق فى الجهاد اذا وجب عليه والانفاق فى المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها * وأدخل من التى هى للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهى عنهما فى الانفاق * (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) * أى يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله * (وبالآخرة) * يعنى وبالدار الآخرة * سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها * (هم يوقنون) * من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة * (أولئك) * اى الذين هذه صفتهم * (على هدى من ربهم) * أى على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة * (وأولئك هم المفلحون) * اى الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب اى الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه

المشتملة على كل شئ الموعود بأنه يكون مع المهدى فى آخر الزمان لا يقرأه كما هو بالحقيقة الا هو والجفر لوح القضاء الذى هو عقل الكل والجامعة لوح القدر الذى هو نفس الكل فمعنى كتاب الجفر والجامعة المحتويان على كل ما كان ويكون كقولك سورة البقرة وسورة النمل (لاريب فيه) عند التحقيق بأنه الحق وعلى تقدير القول معناه بالحق الذى هو الكل من حيث هو كل لانه مبين لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الانبياء وفى كتبهم بأنه سيأتى كما قال عيسى عليه السلام نحن نأتيكم بالتنزيل وأما التأويل فسيأتى به المهدى فى آخر الزمان وحذف جواب القسم لدلالة ذلك الكتاب عليه كما حذف فى غير موضع من القرآن مثل والشمس والنازعات وغير ذلك اى انا منزلون لذلك الكتاب الموعود فى التوراة والانجيل بان يكون مع محمد وحذف لدلالة قوله ذلك الكتاب عليه اى ذلك الكتاب المعلوم فى العلم السابق الموعود فى التوراة والانجيل حق بحيث لا مجال للريب فيه (هدى للمتقين) اى هدى

ويكون الفلاح بمعنى البقاء * قال الشاعر * لو كان حي مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح * يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى * وأصل الفلاح الشق كما قيل * ان الحديد بالحديد يفلح * أي يقطع * فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين * فاما التي في الكفار فقوله تعالى * (ان الذين كفروا) * أي جحدوا وأنكروا * واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته * قال الشاعر * في ليلة كفر النجوم غمامها * أي سترها (والكفر على أربعة أضرب . كفر انكار وهو ان لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله . اعلمت لكم من آله غيري . وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقرّ بلسانه ككفر ابليس . وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقرّ بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعر له

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أوحذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

. وكفر نفاق وهو أن يقرّ بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه * فجميع هذه الانواع كفر * وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيأ مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له * نزلت في مشركي العرب * وقيل في اليهود * (سواء عليهم) * أي متساو لديهم * (أأنذرتهم) * أي خوّفتهم وحذّرتهم * والانذار اعلام مع تخويف * فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا * (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) * أي لا يصدّقون (وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون * ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى * (ختم الله على قلوبهم) * أي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه * وأصل الختم التغطية * وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب * قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الازلي فيهم * وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم * (وعلى سمعهم) * أي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه كأنها مستوثق منها بالختم أيضا * وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع * قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع * (وعلى أبصارهم غشاوة) * هذا ابتداء كلام (والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج (أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده * (ولهم عذاب عظيم) * يعني في الآخرة (وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى (وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويعييه ويشق عليه . وقيل هو الايجاع الشديد . وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش (والعظيم ضد الحقير * قوله عز وجل * (ومن الناس من يقول آمنا بالله) * نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب ابن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وأصحابه وأسرّوا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود * وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالايمان ويقرّ به

في نفسه الذين يتقون الرذائل والحجب المانعة لقبول الحق فيه (واعلم ان الناس بحسب العاقبة سبعة اصناف لانهم اما سعداء واما اشقياء قال الله تعالى فمنهم شقيّ وسعيد والاشقياء اصحاب الشمال والسعداء اما اصحاب اليمين واما السابقون المقرّبون قال الله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة الآية واصحاب الشمال اما المطرودون الذين حق عليهم القول وهم اهل الظلمة والحجاب الكلي المختوم على قلوبهم ازلا كما قال تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجنّ والانس الى آخر الآية وفي الحديث الرباني هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالي واما المنافقون الذين كانوا مستعدّين في الاصل قابلين للتنوّر بحسب الفطرة والنشأة ولكن احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب المعاصي ومباشرة الاعمال البهيمية والسبعية ومزاولة المكايد الشيطانية حتى رسخت الهيآت الفاسقة والملكات المظلمة في نفوسهم وارتكمت على افئدتهم فبقوا شاكين حيارى تائهين قد حبطت اعمالهم وانتكست

ويذكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها (والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي (قال الشاعر) وسميت انسانا لانك ناسي * وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله *(وباليوم الآخر)* أي وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة *سمي بذلك لانه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له * ولا آخر (قال الله تعالى ردا على المنافقين *(وماهم بمؤمنين)* نفى عنهم الايمان بالكلية *(يخادعون الله والذين آمنوا)* أي يخالفون الله (والخديعة الحيلة والمكر . وأصله في اللغة الاخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف مايغيب عنهم من عذاب الآخرة (فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجيء في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة (قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن ان يكون منه خداع (فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله (قلت ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشأنه (وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم * ولتجري عليهم أحكام الاسلام في الظاهر وهم على خلافه في الباطن *(وما يخدعون الا أنفسهم)* أي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين أنفسهم (وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى (والنفس ذات الشيء وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن *(ومايشعرون)* أي لايعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم *(في قلوبهم مرض)* أي شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان (وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن *(فزادهم الله مرضا)* يعني ان الآيات كانت تنزل تترى أي آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفرا ونفاقا *(ولهم عذاب اليم)* أي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم *(بما كانوا يكذبون)* أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر . وقرئ بالتخفيف أي بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين *(واذا قيل لهم)* يعني المنافقين . وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون *(لاتفسدوا في الارض)* أي بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن *(قالوا انما نحن مصلحون)* يعني يقولونه كذبا *(الا)* كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب *(انهم هم المفسدون)* يعني في الارض بالكفر وهو أشد الفساد *(ولكن لايشعرون)* وذلك لانهم يظنون ان ماهم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد . وقيل لايشعرون ما أعد الله لهم من العذاب *(واذا قيل لهم)* يعني المنافقين وقيل اليهود *(آمنوا كما آمن الناس)* يعني المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب (والمعنى أخلصوا في ايمانكم كما أخلص هؤلاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان *(قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء)* أي الجهال (فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء (قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله *(الا انهم هم السفهاء)* يعني الجهال

رؤسهم فهم اشد عذابا واسوأ حالا من الفريق الاول لمنافاة مسكة استعدادهم لحالهم والفريقان هم اهل الدنيا واصحاب اليمين اما اهل الفضل والثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات للجنة راجين لها راضين بها فوجدوا ماعملوا حاضرا على تفاوت درجاتهم ولكل درجات مما عملوا ومنهم اهل الرحمة الباقون على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المتبوؤن درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم لا على حسب كمالاتهم من ميراث علمهم واما اهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وهم قسمان المعفو عنهم رأسا لقوة اعتقادهم وعدم رسوخ سيآتهم لقلة مزاولتهم اياها او لمكان توبتهم منها فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات والمعذبون حينا بحسب ما رسخ فيهم من المعاصي حتى خلصوا عن درن ما كسبوا فنجوا وهم أهل العدل والعقاب والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ماكسبوا لكن الرحمة تتداركهم و تلافيهم اهل الآخرة والسابقون اما محبون

(وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم (وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء •(ولكن لا يعلمون)• يعني انهم كذلك • قوله تعالى •(واذا لقوا الذين آمنوا)• يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار •(قالوا آمنا)• كايمانكم •(واذا خلوا)• أى رجعوا • وقيل هو من الخلوة •(الى)• قيل بمعنى الباء أى ب •(شياطينهم)• وقيل بمعنى مع أى مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم (قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة فى بنى أسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبد الله بن السواد بالشام (ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له (وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين فى تمردهم •(قالوا انا معكم)• أى على دينكم •(انما نحن مستهزؤن)• أى بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم (قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبىّ وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبىّ لاصحابه انظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد أبى بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدىّ بن كعب الفاروق القوىّ فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علىّ فقال مرحبا بابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علىّ اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شرّ خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن انى لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرّقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه خيرا •(الله يستهزئ بهم)• أى يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه فى مقابلته (قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سدّ عنهم وردّوا الى النار •(ويمدّهم)• أى يتركهم ويمهلهم (والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتى المدّ فى الشرّ والامداد فى الخير •(فى طغيانهم)• أى فى ضلالهم • وأصل الطغيان مجاوزة الحد •(يعمهون)• أى يترددون فى الضلالة متحيرين •(اولئك)• يعنى المنافقين •(الذين اشتروا الضلالة بالهدى)• أى استبدلوا الكفر بالايمان (وانما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر (فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى (قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه فى أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها (والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء •(فما ربحت تجارتهم)• اى ماربحوا فى تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال • واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون •(وما كانوا مهتدين)• اى مصيبين فى تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى • وقيل وما كانوا مهتدين فى ضلالتهم • قوله عزوجل •(مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً)• المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبينّ احدهما الآخر ويصوّره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال فى كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة (ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة فى الكشف والبيان لانه يؤثر فى القلوب مالا يؤثره وصف الشئ فى نفسه

واما محبوبون فالمحبون هم الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وانابوا اليه حق انابته فهداهم سبله والمحبوبون هم اهل العناية الازلية الذين اجتباهم وهداهم الى صراط مستقيم والصنفان هما اهل الله (فالقرآن ليس هدى للفريق الاول من الاشقياء لامتناع قبولهم للهداية لعدم استعدادهم ولا للثانى لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية بفساد اعتقادهم فهم اهل الخلود فى النار الاماشاء الله فبقى هدى للخمسة الاخيرة الذين يشملهم المتقون والمحبوب يحتاج الى هداية الكتاب بعد الجذب والوصول لسلوكه فى الله لقوله تعالى لحبيبه كذلك لنثبت به فؤادك وقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل مانثبت به فؤادك والمحب يحتاج اليه قبل الوصول والجذب وبعده لسلوكه الى الله وفى الله فعلى هذا المتقون فى هذا الموضع هم المستعدّون الذين بقوا على فطرتهم الاصلية واجتنبوا رين الشرك والشك لصفاء قلوبهم وزكاء نفوسهم

(ولان)

ولان المثل تشبيه الشئ الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح * وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا لينتفع بها *(فلما اضاءت)* يعني النار *(ماحوله)* يعني حول المستوقد *(ذهب الله بنورهم)* (فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا (قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا (وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد (وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد نارا *(وتركهم في ظلمات لايبصرون)* قال ابن عباس نزلت في المنافقين * يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ماحوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف * وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل ذهاب نورهم في القبر او على الصراط (فان قلت ماوجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة (قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء في الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لايزداد الا حيرة وكذلك الكفر لايزداد صاحبه في الآخرة الا حيرة (وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم * احداها ان المستضئ بالنار مستضئ بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكأنهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالمستعار * الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم * الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء * فشبه حالهم بذلك *ثم وصفهم الله تعالى فقال *(صم)* اى عن سماع الحق لانهم لايقبلونه واذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه *(بكم)* اى خرس عن النطق بالحق فهم لايقولونه *(عمي)* اى لابصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لابصيرة له كمن لابصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

*صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء كلهم اذن*

(فهم لايرجعون) اى عن ضلالتهم ونفاقهم * قوله تعالى *(اوكصيب)* اى كاصحاب صيب وهو المطر وكل مانزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب *(من السماء)* اى من السحاب لان كل ماعلاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء (وقيل من السماء بعينها * وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لاينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من ابخرة الارض فابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض كما زعم الحكماء *(فيه)* اى الصيب *(ظلمات)* جمع ظلمة *(ورعد)* هو الصوت الذي يسمع من السحاب *(وبرق)* يعني النار التي تخرج منه (قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب (وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها

وبقاء نورهم الفطري فلم ينقضوا عهد الله وهذه التقوى مقدمة على الايمان ولها مراتب اخرى متأخرة عنه كما سيأتي ان شاء الله (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة) اى بما غاب عنهم الايمان التقليدي او التحقيقي العلمي فان الايمان قسمان تقليدي وتحقيقي والتحقيقي قسمان استدلالي وكشفي وكلاهما اما واقف على حد العلم والغيب واما غير واقف والاول هو الايقان المسمى علم اليقين والثاني اما عيني وهو المشاهدة المسمى عين اليقين واما حقي وهو الشهود الذاتي المسمى حق اليقين والقسمان الاخيران لايدخلان تحت الايمان بالغيب والايمان بالغيب يستلزم الاعمال القلبية التي هي التزكية وهي تطهير القلب عن الميل الى السعادات البدنية الخارجية الشاغلة عن احراز السعادة الباقية فان السعادات ثلاث قلبية وبدنية وماحول البدن فالقلبية هي المعارف والحكم والكمالات العلمية والعملية الخلقية والبدنية هي الصحة والقوة واللذات الجسمانية

فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهى البرق والصواعق (وقيل الرعد تسبيح الملك(وقيل اسمه
(يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت كل
من يسمعها او يغشى عليه (وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء *عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لاتقتلنا
بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب
(حذر الموت) اى مخافة الهلاك *(والله محيط بالكافرين)* اى عالم بحالهم (وقيل يجمعهم
ويعذبهم *(يكاد البرق)* اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل *(يخطف ابصارهم)* اى يختلسها
(والخطف استلاب الشئ بسرعة *(كلما)* اى متى ماجاء *(اضاء لهم)* يعنى البرق *(مشوا فيه)*
اى فى اضاءته ونوره *(واذا اظلم عليهم قاموا)* اى وقفوا متحيرين (وهذا مثل آخر ضربه
الله تعالى للمنافقين * ووجه التمثيل ان الله عزوجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة
فى ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك
الظلمات ان السارى لايمكنه المشى فيها ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم الى آذانهم
من هوله وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدته * فهذا مثل ضربه الله تعالى
للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه * فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة
الارض * والظلمات مافى القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق * والرعد ماخوفوا به
من الوعيد * وذكر النار والبرق مافيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة (فالكافرون
والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به
عندهم كفر والكفر موت (وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام . فالمطر هو الاسلام
. والظلمات مافيه من البلاء والمحن . والرعد مافيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الآخرة
. والبرق مافيه من الوعد . يجعلون أصابعهم فى آذانهم يعنى المنافقين اذا رأوا فى الاسلام بلاء
وشدة هربوا حذرا من الهلاك . والله محيط بالكافرين يعنى لاينفعهم الهرب لان الله من ورائهم
يجمعهم ويعذبهم . يكاد البرق يعنى دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ماسبق لهم من الشقاوة
. كلما اضاء لهم يعنى المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان . مشوا فيه يعنى على المسالمة
باظهار كلمة الايمان (وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم
عليهم قاموا يعنى اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا *(ولو شاء الله لذهب بسمعهم)* أى بصوت الرعد
* (وأبصارهم)* بوميض البرق (وقيل لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب أسماعهم
وأبصارهم الباطنة *(ان الله على كل شئ قدير)* أى هو الفاعل لمايشاء لامنازع له فيه * قوله
عزوجل *(ياأيها الناس)* قال ابن عباس ياأيها الناس خطاب لاهل مكة وياأيها الذين آمنوا خطاب
لاهل المدينة وهنا خطاب عام لسائر المكلفين *(اعبدوا ربكم)* قال ابن عباس وحدوا ربكم (وكل
ماورد فى القرآن من العبادة فمعناه التوحيد (وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولايستحقها
الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى *(الذى خلقكم)* اى ابتدع خلقكم على غير مثال
سبق *(والذين من قبلكم)* اى وخلق الذين من قبلكم *(لعلكم)* لعل وعسى حرفا ترج
وهما اى كل منهما من الله واجب *(تتقون)* اى لكى تنجوا من العذاب (وقيل معناه تكونوا

والشهوات الطبيعية
وماحول البدن هى
الاموال والاسباب كما قال
امير المؤمنين عليه السلام
الاوان من النعم سعة المال
وافضل من سعة المال صحة
الجسد تقوى القلب
ويجب الاحتراز عن

قوله اى متى ماجاء هكذا
فى جميع النسخ التى بايدينا
ولم تظهر لنا فائدة جاء فلعلها
زائدة وكذا قوله فيما بعده
من صفته ان يخطف
ابصارهم ويعميها ليس
بظاهر من التعبير بيكاد
فى الآية مصححه

الاولين لاحراز الاخيرة
المطلوبة بالزهد والعبادة
فاقامة الصلاة ترك
الراحات البدنية واتعاب
الآلات الجسدية وهى
ام العبادات التى اذا
وجدت لم يتأخر عنها
البواقى ان الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر اذ هى
تعامل على البدن والنفس
ومشقة فادحة عليهما
وانفاق المال هو الاعراض
عن السعادة الخارجية
المحبوبة الى النفس المسمى
الزهد فان الانفاق ربما
كان اشد عليها من بذل
الروح للزوم الشح اياها
لم يكتف بالقدر الواجب

على رجاء التقوى بان تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل مايشاء ويحكم مايريد *(الذى جعل لكم الارض فراشا)* اى خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لايمكن القرار عليها · والحزن ماغلظ من الارض *(والسماء بناء)* أى سقفا مرفوعا (قيل اذا تأمل الانسان المتفكر فى العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل مايحتاج اليه *فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه * فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها *(وانزل من السماء)* يعنى السحاب *(ماء)* يعنى المطر *(فاخرج به)* اى بسبب الماء *(من الثمرات)* يعنى من الوان الثمرات واصناف النبات *(رزقا لكم)* اى وعلفا لدوابكم *(فلا تجعلوا لله أندادا)* يعنى امثالا تعبدونهم كعبادته (والند المثل *(وانتم تعلمون)* يعنى انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لايصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لامثل له ولا ضد له قوله تعالى *(وان كنتم فى ريب)* أى ان كنتم فى شك لان الله تعالى علم انهم شاكون *(مما نزلنا على عبدنا)* اى محمد صلى الله عليه وسلم * لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لاضد له ولاند أتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومايدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وانه من عند الله تعالى لامن عند نفسه كما تدعون فيه (وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى *(فاتوا)* أمر تعجيز *(بسورة)* والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر (وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه · سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن *(من مثله)* اى مثل القرآن (وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن احد (ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى التحدى وانما وقع الكلام فى المنزل ألا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فاتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يدل على كون القرآن معجزا مااشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة يأتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولايخل بالمقصود الاول وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القرآن والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمغدق وان اعلاه لمثمر *(وادعوا شهداءكم من دون الله)* أى استعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله (والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها فى دفع مانزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون فى دعواكم انها آلهة (وقيل معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم *(ان كنتم صادقين)* ان محمدا صلى الله عليه وسلم

فقال (ومما رزقناهم ينفقون) ليعتاد القلب ترك الفضول المالية بالجود والسخاء وبذل المال فى وجوه المروات والهبات والصدقات الغير الواجبة فيوق شح نفسه وخصص الانفاق بالبعض بايراد من التبعيضية لئلا يقع فى رذيلة التبذير ببذل القدر الضرورى فيحرم فضيلة الجود الذى هو من باب التخلق باخلاق الله (والذين يؤمنون بما انزل اليك وماانزل من قبلك) اى الايمان المحقق الشامل للاقسام الثلاثة المستلزم للاعمال القلبية التى هى التحلية وهى تفرس القلب بالحكم والمعارف المنزلة فى الكتب الآلهية والعلوم المتعلقة باحوال المعاد وامور الآخرة وحقائق علم القدس ولهذا قال (وبالآخرة هم يوقنون) واهل الآخرة الذين ماجاوزوا حد التزكية ولم يصلوا الى التحلية التى هى ميراثها لقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم واهل الله الموقنون الجامعون لها كانهم على هدى من ربهم اماالية واماالى داره دار

بقوله من تلقاء نفسه *(فان لم تفعلوا)* اى فيما مضى *(ولن تفعلوا)* فيما بقى (وهذه الآية دالة على عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شئ منه وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع فى الاتيان بمثل القرآن او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به فحيث لم يأتوا بشئ ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبى الذرارى وأخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد (وهو قوله تعالى *(فاتقوا النار)* أى فآمنوا واتقوا بالايمان النار *(التى وقودها)* أى حطبها *(الناس والحجارة)* قال ابن عباس يعنى حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا ، وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها ، وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم فى نار جهنم *(اعدت)* اى هيئت *(للكافرين)* قوله عز وجل *(وبشر الذين آمنوا)* اى اخبر المؤمنين وهذا امر للنبى صلى الله عليه وسلم (والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور فى بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو فى السرور والخير اغلب *(وعملوا الصالحات)* اى الفعلات الصالحات وهى الطاعات (قيل العمل الصالح ماكان فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص (وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اى اخلصوا الاعمال يعنى عن الرياء *(ان لهم جنات)* جمع جنة وهى البستان الذى فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق (وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم *(تجرى من تحتها)* اى من تحت اشجارها ومساكنها *(الانهار)* اى تجرى المياه فى الانهار لان الانهار لا تجرى (وقيل معناه تجرى بأمرهم وفى الحديث ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود اى فى غير شق والخد الشق *(كلما رزقوا)* اى اطعموا *(منها)* اى من الجنة *(من ثمرة رزقا)* اى طعاما *(قالوا هذا الذى رزقنا من قبل)* اى فى الدنيا وقيل ان ثمار الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى *(واتوا به)* اى بالرزق *(متشابها)* قال ابن عباس مختلفا فى الطعوم (وقيل يشبه بعضه بعضا فى الجودة لارداءة فيها (وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفى رواية ورشحهم المسك * قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس اى يجرى على السنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شئ كما ان النفس لا يشغل عن شئ * قوله طعامهم جشاء يعنى ان فضول طعامهم يخرج فى الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق * وقوله تعالى *(ولهم فيها)* اى فى الجنات *(ازواج)* اى من الحور العين *(مطهرة)* يعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار (وقيل هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا

السلامة والفضل والثواب واللطف وهم اهل الفلاح لاغير امامن العقاب واما من الحساب ولهذا قال (أولئك) اى الموصوفون بهذه الصفات المذكورة من التزكية والتحلية (على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لاجلها فعلى هذا الذين يؤمنون مبتدا والذين يؤمنون الثانى معطوف عليه وأولئك خبره ولو جعل صفة للمتقين لكان المراد بهم الكاملين فى التقوى بعد الهداية وكان مجازا من باب تسمية الشئ بما يؤول اليه (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) هم الفريق الاول من الاشقياء الذين هم اهل القهر الآلهى لا ينجع فيهم الانذار ولا سبيل الى خلاصهم من النار أولئك حقت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار سدت عليهم الطرق واغلقت عليهم الابواب اذ القلب

(وقيل طهرن من مساوى الاخلاق(قيل فى الجنة جماع ماشئت ولاولد (وهم فيها خالدون) اى لايخرجون منها ولايموتون والخلد البقاء الدائم الذى لاانقطاع له (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوّل زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشدّ كوكب درّىّ فى السماء اضاءة لايبصقون ولايمتخطون ولايتغوّطون ولايبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة ابيهم آدم ستون ذراعا فى السماء (وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لااختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحّون الله بكرة وعشيّا (ق) عن ابى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا * عن ابى هريرة قال قلت يارسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة مابناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولايبأس ويخلد ولايموت ولاتبلى ثيابهم ولايفنى شبابهم (اخرجه الترمذى بزيادة وقال ليس اسناده بذلك القوىّ * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس(اخرجه الترمذى (م) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهبّ ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقدازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا * عن علىّ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلانبيد ونحن الناعمات فلانبأس ونحن الراضيات فلانسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له (اخرجه الترمذى وقال حديث غريب* قوله تعالى(ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة (وقيل قال المشركون انا لانعبد آلهة يذكر هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى ان الله لايستحيى * الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف مايعاب به ويذم عليه* وقيل هو انقباض النفس عن القبائح (هذا اصله فى وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذى يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك القبيح فاذا ورد وصف الحياء فى حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذى هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا اى لايترك المثل لقول الكفار واليهود (ما * قيل ما صلة فيكون ان يضرب مثلا

هو المشعر الالهىّ الذى هو محل الالهام فحجبوا عنه بختمه والسمع والبصر هما المشعران الانسانيان اى الظاهران اللذان هما بابا الفهم والاعتبار فحرموا عن جدواهما لامتناع نفوذ المعنى فيهما الى القلب فلا سبيل لهم فى الباطن الى العلم الذوقى الكشفى ولا فى الظاهر الى العلم النقلى والكسبى فحبسوا فى سجون الظلمات فالاعظم عذابهم (ومن الناس من يقول آمنا) هم الفريق الثانى من الاشقياء سلب منهم الايمان مع ادعائهم له بقولهم آمنا (بالله)لان محل الايمان هو القلب لااللسان قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ومعنى قولهم آمنا بالله (وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون الا انفسهم ومايشعرون) ادّعاء على التوحيد والمعاد اللذين هما اصل الدين واساسه اى لسنا من المشركين المحجوبين عن الحق ولامن اهل الكتاب المحجوبين عن الدين

بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة (والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوّف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصه (فما فوقها) يعني الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منهما في الجثة *وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة وأطيش من ذبابة والحّ من ذبابة (فاما الذين آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فيعلمون انه) يعني ضرب المثل (الحق) يعني الصدق (من ربهم) الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب (واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) اي بهذا المثل (يضلّ به كثيرا) اي من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدي به كثيرا) يعني المؤمنين يصدّقونه ويعلمون انه حق (وما يضلّ به الا الفاسقين) يعني الكافرين (وقيل المنافقين (وقيل اليهود* والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله* ثم وصفهم فقال تعالى (الذين ينقضون) اي يخالفون ويتركون* واصل النقض الفسخ وفكّ المركّب (عهد الله) اي امر الله واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) اي من بعد عقده وتوكيده (وفي معنى هذا العهد اقوال* احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى* الثاني المراد به الذي اخذه على احبار اليهود في التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته* الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا امره الله تعالى واحكمه بما انزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيده (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود (وقيل اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها (ويفسدون في الارض) يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اولئك هم الخاسرون) اي المغبونون (واصل الخسار النقص* ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته* ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم امواتا) يعني نطفا في اصلاب آبائكم (فاحياكم) يعني في الارحام والدنيا (ثم يميتكم) اي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعني بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) اي تردّون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم *قوله عز وجل (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار (والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا (اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى الى السماء) اي قصد واقبل على خلقها (وقيل عمد (وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد (قال الازهري معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم (وذلك ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم عمد الى

والمعاد لانّ اعتقاد اهل الكتاب في باب المعاد ليس مطابقا للحق واعلم انّ الكفر هو الاحتجاب والحجاب امّا عن الحق كما للمشركين واما عن الدين كما لاهل الكتاب والمحجوب عن الحق محجوب عن الدين الذي هو طريق الوصول اليه ضرورة وامّا المحجوب عن الدين فقد لا يحجب عن الحق فهؤلاء ادّعوا رفع الحجابين معا فكذبوا بسلب الايمان عن ذواتهم اي ليسوا بمؤمنين ما داموا اياهم * المخادعة استعمال الخدع من الجانبين وهو اظهار الخير واستبطان الشرّ ومخادعة الله مخادعة رسوله لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولانه حبيبه وقد ورد في الحديث لا يزال العبد يتقرّب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ولسانه الذي به يتكلم ويده الذي بها يبطش ورجله الذي بها يمشي فخداعهم لله وللمؤمنين اظهار الايمان والمحبة واستبطان الكفر والعداوة

خلق السماء (فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها (قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك (فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا يقتضى ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو (قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما انعم به عليه الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله اعلم (فسوّيهن سبع سموات) خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتى ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فى سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو بكل شئ عليم) يعنى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات * قوله تعالى (واذ قال ربك) اى واذكر يا محمد اذ قال ربك وكل ما ورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله (وقيل اذ زائدة * والاول اوجه (للملائكة) جمع ملك واصله مألك من المألكة والالوكة وهى لفظ البغوى وهى الرسالة واراد بالملائكة الذين كانوا فى الارض هو ذلك ان الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوهم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ما اعطانى الله هذا الملك الا لانى اكرم الملائكة عليه * فقال له ولجنده (انى جاعل فى الارض خليفة) اى انى خالق خليفة يعنى بدلا منكم ورافعكم الىّ فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة * والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم (وقيل لانه يخلفه غيره (والصحيح انه انما سمى خليفة لانه خليفة الله فى ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) اى بالمعاصى (ويسفك الدماء) اى بغير حق كما فعل الجن (فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول (قلت يحتمل ان يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم او قاسوا الشاهد على الغائب (وقيل انهم لما راوا ان آدم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك (وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصانى فلما قال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا هو ذلك (فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض (قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين * واستدل على ذلك بوجوه . منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها . ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفى عليهم ولهذا أجابهم بقوله انى أعلم ما لا تعلمون (وقيل ان العبد المخلص فى حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة فى اعظام الله عز وجل (ونحن نسبح بحمدك) أى نقول سبحان الله وبحمده وهى صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبى ذرّ أن رسول الله

وخداع الله والمؤمنين اياهم مسالمتهم واجراء أحكام الاسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الاموال وغير ذلك وادّخار العذاب الاليم والمآل الوخيم وسوء المغبة لهم وخزيهم فى الدنيا لافتضاحهم باخباره تعالى وبالوحى عن حالهم لكن الفرق بين الخداعين انّ خداعهم لا ينجع الا فى انفسهم باهلاكها وتحسيرها وايرائها الوبال والنكال بازدياد الظلمة والكفر والنفاق واجتماع اسباب الهلكة والبعد والشقاء عليها وخداع الله يؤثر فيهم ابلغ تأثير ويوبقهم أشدّ ايباق كقوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وهم من غاية تعمقهم فى جهلهم لا يحسون بذلك الامر الظاهر (فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق تنكير المرض وايراد الجملة الظرفية اشارة الى عروض المرض واستقراره ورسوخه فيها كما اشرنا اليه فى التقسيم والاقال قلوبهم مرضى أو موتى (فزادهم الله مرضا) ولهم عذاب اليم واذا قيل لهم لا تفسدون فى الارض قالوا انما نحن

صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل قال ما اصطفى الله للملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده (قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ماجاء فى القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلى لك (وقيل أصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك (ونقدّس لك) اصل التقديس التطهير أى نطهّرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزّك وجلالك من العلوّ والعظمة. واللام صلة (وقيل معناه نطهر أنفسنا لطاعتك وعبادتك (قال انى أعلم مالا تعلمون) قيل انه جواب لقول الملائكة أتجعل فيها قال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة مالا تعلمون (وقيل اعلم ان فيهم من يعبدنى ويطيعنى وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصينى منكم وهو ابليس (وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

(فصل فى ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام) قيل ان الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تقدر أن تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات * عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى مالا ترون واسمع مالا تسمعون أطّت السماء وحق لها ان تئطّ مافيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا (أخرجه الترمذى بزيادة وقال حديث حسن غريب * واما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق آدم اوحى الى الارض انى خالق منك خليفة منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى ادخلته النار قالت الارض أتخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذى ارسلك الىّ ان لا تاخذ منى شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يارب استعاذت بك منى فكرهت ان اقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فائتنى بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ماقالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ماقالت له فقال لعزرائيل انطلق فائتنى بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذى ارسلك ان لا تاخذ منى شيا فقال وانا اعوذ بعزته ان اعصى له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت له الارض وبما ورد عليها فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لاخلقنّ مما جئت به خلقا ولأسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها ماشاء الله ثم اخرجها فجعلها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ماخلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس فى نفسه لئن فضل علىّ لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل فى جسد آدم فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها

مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الاانهم هم السفهاء ولكن لايعلمون) اى اخرحقدا وحسدا وغلا باعلاء كلمة الدين ونصرة الرسول والمؤمنين والرذائل كلها امراض القلوب لانها أسباب ضعفها وآفتها فى افعالها الخاصة وهلاكها فى العاقبة وفرق بين العذابين بالالم للمنافقين والعظم للكافرين لان عذاب المطرودين فى الازل اعظم فلا يجدون شدّة ألمه لعدم صفاء ادراك قلوبهم كحال العضو الميت أو المفلوج والخدر بالنسبة الى مايجرى عليه من القطع والكيّ وغير ذلك من الآلام واما المنافقون فلثبوت استعدادهم فى الاصل وبقاء ادراكهم يجدون شدّة الالم فلاجرم كان عذابهم مؤلما مسببا عن المرض العارض المزمن الذى هو الكذب ولواحقه * واذا نهوا عن الافساد فى الارض اى فى الجهة السفلية التى هى النفوس وما يتعلق بها من المصالح بتكدير النفوس وتهييج

وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهي اول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء (وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم (وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في رأسه وهي الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها واثنين في اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه (وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رئته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه *فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس ان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف انه لا يتمالك * عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب (أخرجه الترمذي وابو داود* قوله عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) سمي آدم لانه خلق من أديم الارض (وقيل لانه كان آدم اللون * وكنيته أبو محمد* وقيل ابو البشر (ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه اسماء الاشياء كلها وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان فنحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم * وفيه دليل لمذهب اهل السنة ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا (قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة (وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها (وقيل علم آدم اسماء الملائكة (وقيل اسماء ذريته (وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعني تلك الاشخاص (وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) يعني تعجيزا لهم (انبؤني) أي اخبروني (باسماء هؤلاء) يعني تلك الاشخاص (ان كنتم صادقين) اي اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منه واعلم (قالوا) يعني الملائكة (سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) اي انك اجل من ان نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا (انك أنت العليم) أي بخلقك وهو من اسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) اي في امرك وله معنيان. احدهما انه القاضي العدل . والثاني المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد

الفتن والحروب والعداوة والبغضاء بين الناس أنكروا وبالغوا في اثبات الاصلاح لانفسهم اذ يرون الصلاح في تحصيل المعاش وتيسير أسبابه وتنظيم أمور الدنيا لانفسهم خاصة لتوغلهم في محبة الدنيا وانهماكهم في اللذات البدنية واحتجابهم بالمنافع الجزئية والملاذ الحسية عن المصالح العامة الكلية واللذات العقلية وبذلك يتيسر مرادهم ويتسهل مطلوبهم وهم لا يحسون بافسادهم المدرك بالحس * واذا دعوا الى الايمان الحقيقي كايمان فقراء المسلمين والصعاليك المجردين سفهوهم لمكان تركهم لحطام الدنيا واعراضهم عن متاعها ولذاتها وطيباتها لزهدهم الحقيقي اذ قصارى همهم وقصوى مقاصد عقولهم الاسيرة في قيد الهوى المشوبة بالوهم المؤدية لهم الى الردى هي تلك اللذات يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولا يعلمون ان غاية السفه هو اختيار الفاني الاخس

(قال) يعني الله تعالى (ياآدم انبئهم بأسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها (فلما انبأهم بأسمائهم قال) يعني الله تعالى (الم اقل لكم) يعني ياملائكتي (اني اعلم غيب السموات والارض) يعني ما كان وماسيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم اني اعلم مالاتعلمون (واعلم ماتبدون) يعني قول الملائكة اتجعل فيها (وماكنتم تكتمون) يعني قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا اكرم عليه منا (وقال ابن عباس اعلم ماتبدون من الطاعة وماكنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية* قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا سكان الارض (والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس (فسجدوا) يعني الملائكة (وفي هذا السجود قولان* اصحهما انه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لاسجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام ابطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لامره (والقول الثاني ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى (وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الانبياء على الملائكة (الاابليس) سمي به لانه ابلس من رحمة الله أي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحرث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته (قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم (وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما ان آدم أصل الانس* والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (ابى) أي امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) أي تكبر وتعظم من السجود لآدم (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى فانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله وفي رواية ياويلتاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار * قوله عز وجل (وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة) اي اتخذها مأوى ومنزلا* وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض* ولما اسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حواء وضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما ما عطف رجل على امرأة قط (وسميت حواء لانها خلقت من حي (فلما استيقظ آدم من نومه ورآها جالسة كاحسن ماخلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولما ذا خلقت قالت لتسكن الي وأسكن اليك (واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها. فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انه لوكانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها (وأجاب صاحب هذا القول من قوله تعالى اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا (والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزاء والثواب (وقيل كلا القولين

على الباقي الاشرف وفرق بين الفاصلتين بالشعور والعلم لان تأثير خداعهم في أنفسهم وافسادهم في الارض أمر بين كالمحسوس وأتما ترجيح نعيم الآخرة على نعيم الدنيا المستلزم للفرق بين السفه والحكمة فأمر استدلالي عقلي صرف (واذ القوا الذين آمنوا) حكاية لنفاقهم اللازم لحصول استعدادين فيهم الفطري النوري الضعيف المغلوب القريب من الانطفاء الذي ناسبوا به المؤمنين والكسبي الظلماني القوي الغالب الذي تألفوا به الكفار اذ لولم يكن فيهم أدنى نور لم يقدروا على مخالطة المؤمنين ومصاحبتهم أصلا كغيرهم من الكفار للتنافي الضروري بين النور والظلمة من جميع الوجوه* والشيطان فيعال من الشطون الذي هو البعد وشياطينهم المتعمقون في البعد وهم المطرودون ورؤساؤهم البالغون في النفاق واستهزاؤهم بالمؤمنين دل على ضعف جهة النور وقوة جهة الظلمة فيهم اذ المستخف بالشئ

يمكن فلاوجه للقطع (وكلا منها رغدا) أي واسعا كثيرا (حيث شئتما) أي كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلامنع الاما نهي عنه وهو قوله تعالى (ولاتقربا هذه الشجرة) يعني بالاكل (قيل انما وقع هذا النهي عن جنس الشجرة (وقيل عن شجرة مخصوصة (قال ابن عباس هي السنبلة (وقيل الكرمة (وقيل هي شجرة التين (وقيل عن شجرة العلم (وقيل الكافور (وقيل ليس في ظاهر الكلام مايدل على التعيين اذ لاحاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة ومالايكون مقصودا لايجب بيانه (فتكونا من الظالمين) يعني ان أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما (فمن جوّز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية (وأصل الظلم وضع الشئ في غير موضعه (ومن لم يجوّز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ماكان الاولى أن لايفعله (وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوّة (فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم او بظلم أنفسهم (قلت لايجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم* قوله عز وجل (فأزلهما الشيطان) أي استزلّ آدم وحوّاء ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى في سورة طه (عنها) اي الجنة (فاخرجهما مما كانا فيه) يعني من النعيم (وذلك أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحوّاء فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لايعلمون (وقيل انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان آدم لما دخل الجنة ورأى مافيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد (وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحوّاء وهما لايعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا مايبكيك قال أبكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ماأنتما فيه من النعمة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله اني لكما لمن الناصحين فاغترّا وماظنا أن احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوّاء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها (قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ماظننت أن أحداً يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لاتنال العيش فيها الانكدا فاهبط من الجنة وعلّم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم دوسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد (وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى ياآدم ماحملك على ماصنعت قال يارب زينته لي حوّاء قال فاني اعقبتها ان لاتحمل الا كرها ولاتضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حوّاء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك (والرنة الصوت* فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل (وقلنا اهبطوا) اي انزلوا الى الارض يعني آدم وحوّاء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حوّاء بجدة والابليس بالابلة

هو الذي يجد ذلك الشئ في نفسه خفيفا قليل الوزن والقدر فهم يستخفون النورانيين لخفة النور عندهم اذ بالنور يعرف قدر النور ورجحان الظلمة فيهم اووا الى الكفار والفوهم (الله يستهزئ بهم) اي يستخفهم لانّ الجهة التي هم بها ناسبوا الحضرة الآلهية فيهم خفيفة ضعيفة فبقدر مافنيت فيهم الجهة الآلهية ثبتوا عند انفسهم كما انّ المؤمنين بقدر مافنيت فيهم انيتهم النفسانية وجدوا عند الله شتان بين المرتبتين (ويمدّهم) في ظلماتهم البهيمية والسبعية التي هي الصفات الشيطانية والنفسانية بتهيئة موادّها واسبابها التي هي مشتهياتهم ومستلذاتهم واموالهم ومعايشهم من الدنيا التي اختاروها بهواهم في حالة كونهم متحيرين (في طغيانهم يعمهون) والعمه عمى القلب وطغيانهم التعدّي عن حدّهم الذي كان ينبغي ان يكونوا عليه وذلك الحدّ هو الصدر اي وجه القلب الذي يلي النفس كان الفؤاد وجهه الذي يلي الروح فانه متوسط بينهما ذو وجهين

من أعمال البصرة والحية باصبهان (بعضكم لبعض عدوّ) يعنى العدواة التى بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا والعدواة التى بين ذرية آدم والحية (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ماسالمنا هن منذحار بناهن (أخرجه أبوداود (وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس منى وفى رواية اقتلوا الكبار كلها الاالجان الابيض الذى كأنه قضيب فضة (م) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد أسلموا فاذا رأيتم منهم شيأ فآذنوه ثلاثة أيام فان بدالكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان (وفى رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيأ فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم فى الارض مستقر) أى موضع قرار (ومتاع) أى بلغة ومستمتع (الى حين) الى وقت انقضاء آجالكم * قوله عز وجل (فتلقى آدم) أى فتلقن والتلقى هو قبول عن فطنة وفهم (وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) أى كانت سبب توبته (وقيل ان تلك الكلمات هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية (وقيل هى لا آله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسى فتب علىّ انك انت التوّاب الرحيم لا آله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم لا آله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسى فارحمنى انك انت أرحم الراحمين (وقيل قال آدم يارب أرأيت ما أتيت أشئ ابتدعته من تلقاء نفسى أم شئ قدرته علىّ قبل أن تخلقنى قال بل شئ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدّرته علىّ فاغفر لى وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلّمه أركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سرّى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى فاوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك (وقيل ان آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى (وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء (قال ابن عباس بكى آدم وحوّاء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما (وقيل لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث اخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) اى فتجاوز عنه وغفر له (واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكأن المذنب رجع من ذلك الذنب الذى كان عليه (ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل (أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم فى المستقبل أن لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حلت التوبة وسيأتى بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا فى سورة التحريم ان شاء الله تعالى (انه هو التوّاب) اى الرّجاع على عباده بقبول التوبة (والتوّاب فى وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ فى قبول توبة عباده (الرحيم) اى بخلقه (وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم

(قلنا)

اليهما والوقوف على ذلك الحدّ هو التعبد با وامر الله تعالى ونواهيه مع التوجه اليه طلبا للتنوّر ليتنوّر ذلك الوجه فتتنوّر به النفس كما انّ الوقوف على الحدّ الآخر هو تلقى المعارف والعلوم والحقائق والحكم والشرائع الآلهية لينتقش بها الصدر فتتزين به النفس فالطغيان هو الانهماك فى الصفات النفسانية البهيمية والسبعية والشيطانية واستيلاؤها على القلب ليسودّ ويعمى فتتكدر الروح (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى اختاروا الظلمة والاحتجاب عن طريق الحق الذى هو الدين اومن الحق فانّ الضلالة تقسم بازاء الهداية بالنور الاستعدادىّ الاصلىّ (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) اذكان رأس مالهم من عالم النور والبقاء ليكتسبوا بما يجانسه من النور الفيضى الكمالىّ بالعلوم والاعمال والحكم والمعارف والاخلاق والملكات الفاضلة فيصيرون اغنياء فى الحقيقة مستحقين للقرب والكرامة والتعظيم والوجاهة عند الله فاربحوا

(قلنا اهبطوا منها جميعا) يعنى هؤلاء الاربعة (وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثانى من السماء الدنيا الى الارض (وفيه ضعف لانه قال فى الهبوط الاول ولكم فى الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض (والاصح انه للتأكيد (فاما يأتينكم منى هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كأنه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهدايتى التى تؤديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذى لا ينقطع (وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعنى يا ذرية آدم اما يأتينكم منى رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم) يعنى فيما يستقبلهم (ولا هم يحزنون) اى على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الآخرة (والذين كفروا) اى جحدوا (وكذبوا بآياتنا) يعنى بالقرآن (اولئك اصحاب النار) اى يوم القيامة (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها * قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبدالله وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب (اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى اشكروا نعمتى وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان * ووحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير * ثم ان النعم ثلاثة . نعمة تفرد بها الله تعالى وهى ايجاد الانسان ورزقه . ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها فى الحقيقة هو الله تعالى . ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهى ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق فى الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببنى اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتى لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله تعالى انقذهم من فرعون وفلق البحر لهم واغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى فى التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة (فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها (قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد انعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها (وقيل ان هذه النعمة هى ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به (واوفوا بعهدى) اى امتثلوا امرى (اوف بعهدكم) اى بالقبول والثواب * واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمى الموثق الذى تلزم مراعاته عهدا * وقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص بعض التكليف دون بعض * وقيل اراد به ما ذكر فى سورة المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم * وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة يعنى شريعة التوراة * وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله * وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته فى كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث فى آخر الزمان . وذلك ان العهد الى بنى اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام انى باعث من بنى اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق النور الذى يأتى به

بكسبها * وضاعت الهدية الاصلية التى كانت بضاعتهم ورأس مالهم بازالة استعدادهم وتكدر قلوبهم بالرين الموجب للحجاب والحرمان الابدى فخسروا بالخسران السرمدى اعاذنا الله من ذلك (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله) اى صفتهم فى النفاق كصفة المستوقد للاضاءة الذى اذا اضاءت ما حوله من الاشياء القريبة منه خمدت ناره وبقى متحيرا لان نور استعدادهم بمنزلة النار الموقدة واضاءته ما حولهم هى اهتداؤهم الى مصالح معاشهم القريبة منهم دون مصالح المعاد البعيدة بالنسبة اليهم وصحبة المؤمنين وموافقتهم فى الظاهر وخمودها سريعا انطفاء نورهم الاستعدادى وسرعة زوال ما تمتعوا به من دنياهم ووشك انقضائه (ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات) الاستعدادى بامدادهم فى الطغيان * وخلاهم محجوبين عن التوفيق فى ظلمات صفات النفس (لا يبصرون) بصحة القلب وجه المخرج ولا

غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (واياى فارهبون) اى فخافون فى نقضكم العهد (وآمنوا بما انزلت) يعني بالقرآن (مصدقا لما معكم) يعني ان القرآن موافق لما فى التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما فى التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولا تكونوا اول كافر به) الخطاب لليهود نزلت فى كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به (فان قلت كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم (قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس (وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولا تشتروا) اى ولا تستبدلوا (بآياتى) اى ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا من الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشئ اليسير الحقير الذى لا قيمة له والذى كانوا ياخذونه من الدنيا كالشئ اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم فى كل سنة شيا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروانعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة واصروا على الكفر (واياى فاتقون) اى فخافون فى امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة . والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب . والتقوى جعل النفس فى وقاية مما تخاف * قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) اى ولا تكتبوا فى التوراة ماليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم (وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذى انزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة بالباطل الذى تكتبونه بايديكم من تغيير صفته (وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى الحق بالباطل اى بصفة الدجال * وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذى ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا (وتكتموا الحق وانتم تعلمون) يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل * وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا فى الصورة لكنه عام فى المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه (واقيموا الصلاة) يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها (وآتوا الزكاة) اى ادوا الزكاة المفروضة عليكم فى اموالكم (واركعوا مع الراكعين) اى صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة

ما يقعهم من المعارف كن تنطفئ ناره وهو فى تيه بين اشغال واسباب (صم بكم عمى) بالحقيقة لاحتجاب قلوبهم عن نور العقل الذى به تسمع الحق وتنطق به وتراه وفى الظاهر لعدم فوائدها لانسداد الطرق من تلك المشاعر الى القلب لمكان الحجاب فلم يصل اليها نور القلب ليحتظوا بفوائدها ولم ترد مدركاتها على القلب ليفهموا ويعتبروا (فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) الى الله لوجود السدين المضروبين على قلوبهم المذكورين فى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وفائدة التشبيه تصوير المعقول بصورة المحسوس ليتمثل فى نفوس العامة * ثم شبههم ثانيا بقوم اصابهم مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فالمطر هو نزول الوحى الآلهى ووصول امداد الرحمة اليهم ببركة صحبة المؤمنين وبتيار امدادهم بما يشيد قلوبهم ادنى لين وحصول العلم الظاهرة لهم بموافقتهم فى الظاهر * والظلمات هى الصفات النفسانية

ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بعد قوله واقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثانى خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود * وفيه حث على اقامة الصلاة فى الجماعة كأنه قال صلوا مع المصلين فى الجماعة * قوله عزوجل (اتأمرون الناس بالبر) الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم (والبراسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات (نزلت هذه الآية فى علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق (وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركى العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم فى اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه (وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وانواع البر ولايفعلونه فوبخهم الله بذلك (وتنسون انفسكم) اى وتعدلون عما فيه نفع * والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم (والمعنى اتتركون انفسكم ولاتتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم (وانتم تتلون الكتاب) يعنى تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم (افلاتعقلون) يعنى انه حق فتتبعونه * والعقل قوة تهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول على ابن ابى طالب

وان العقل عقلان * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع
اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

* واصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال يمنعه من الشرود وكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة * ومعنى الآية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه فى المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه اتى بفعل متناقض لايقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون (وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تغير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يافلان مالك الم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه (قوله فتندلق اى تخرج (اقتاب بطنه اى امعاء بطنه واحدها قتب (وروى البغوى بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء خطباء من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلايعقلون قيل مثل الذى يعلم الناس الخير ولايعمل به كالسراج يضئ للناس ويحرق نفسه . وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

والشكوك الخيالية والوهمية والوساوس الشيطانية مما تحيرهم وتوحشهم * والرعد هو التهديد الآلهى والوعيد القهرى الوارد فى القرآن والآيات والآثار المسموعة والمشاهدة مما تخوفهم فيفيد أدنى انكسار لقلوبهم الطاغية وانهزام لنفوسهم الآبية * والبرق هو اللوامع النورية والتنبهات الروحية عند سماع الوعد وتذكير الآلاء والنعماء مما يلمعهم ويرجيهم فيفيدهم أدنى شوق وميل الى الاجابة ومعنى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) يتشاغلون عن الفهم بالملاهى والملاعب عن سماع آيات الوعيد ولكى لايتجمع فيهم فيقطعهم عن اللذات الطبيعية بهم الآخرة اذ الانقطاع عن اللذات الحسية هو موتهم والله قادر عليهم قاطع اياهم عن تلك اللذات المألوفة بالموت الطبيعى قدرة المحيط بالشئ الذى لايفوته منه فلا فائدة لحذرهم (يكاد البرق) أى اللامع النورى (يخطف

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

* قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لايقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به (وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبنى اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين (فعلى هذا القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر اى بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال (وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله (وقيل على مايشغلكم من انواع البلاء (وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصى (وقيل بالصبر على اداء الفرائض (وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة اى اجمعوا بين الصبر والصلاة (وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى مايجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ماسواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اى اذا اهمه امر لجأ الى الصلاة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نعى له أخوه قثم وهو فى سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعنى الصلاة وقيل الاستعانة (لكبيرة) اى ثقيلة (الا على الخاشعين) يعنى المؤمنين . وقيل الخائفين . وقيل المطيعين المتواضعين لله (واصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة . وقيل الخشوع الضراعة واكثر ماتستعمل فى الجوارح (وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولايخاف على تركها عقابا فهى ثقيلة عليه واما الخاشع الذى يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهى سهلة عليه (الذين يظنون) اى يستيقنون وقيل يعلمون (انهم ملاقو ربهم) يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى فى الآخرة (وانهم اليه راجعون) يعنى بعد الموت فيجزيهم باعمالهم * قوله عز وجل (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وانى فضلتكم على العالمين) يعنى على عالمى زمانكم وهذا التفضيل وان كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (واتقوا يوما) اى واخشوا عذاب يوم (لاتجزى) اى لا تقضى (نفس عن نفس شيأ) يعنى حقا لزمها وقيل معناه لاتنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا تردّ عنها شيأ مما اصابها بل يفرّ المرء من اخيه وامه وابيه (ولاتقبل منها شفاعة) اى فى ذلك اليوم والمعنى لاتقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة *وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فردّ الله عليهم ذلك بقوله ولاتقبل منها شفاعة . وقيل

ابصارهم) اى عقولهم المحجوبة بالنماس عن نور الهداية والكشف اذ العقل بصر القلب (كلما اضاء لهم مشوا فيه) اى ترقوا وقربوا من قبول الحق والهدى (واذا أظلم عليهم قاموا) أى ثبتوا على حيرتهم فى ظلمتهم (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) لطمس أفهامهم وعقولهم ومحو نور استعدادهم كما للفريق الاول فلم يتأثروا بسماع الوحى أصلا (ان الله على كل شئ قدير) الشئ الموجود الخارجى الواجب والممكن والموجود الذهنى الممكن والممتنع اذ اللاشئ هو المعدوم الصرف الذى ليس فى الذهن ولا فى الخارج لكن تعلق القدرة به خصصه بالممكن وأخرج عنه الواجب والممتنع بدليل العقل هذا آخر الكلام فى الاصناف السبعة على سبيل الاجمال * وفصل بين فريق الاشقياء واوجز ذكر الفريق الاول وأعرض عنهم اذ الكلام فيهم لا يجدى * وبالغ فى ذكر الفريق الثانى وذمهم وتعبيرهم

ان طاعة المطيع لاتقتضي عن العاصي ما كان واجبا عليه . وقيل معناه ان النفس الكافرة لوجاءت بشفيع لايقبل منها (ولايؤخذ منها عدل) اى فدية وهو مماثلة الشئ بالشئ (ولاهم ينصرون) اى لايمنعون من العذاب * قوله عزوجل (واذ نجيناكم) اى واذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم (من آل فرعون) اى من اتباعه واهل دينه (وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد ابن مصعب ابن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) اى يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) اى اشد العذاب واسوأه (وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال اصنافا صنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن فى عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا اصنافا فى اعمال فرعون فذو والقوة يسلخون السوارى من الجبال حتى تقرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدى ضريبته غلت يداه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه (وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب مابعده وهو قوله عزوجل (يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) اى يتركونهن احياء وذلك ان فرعون رأى فى منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل فى طلب موسى اثنى عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببنى اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون فى السنة التى لايذبح فيها وولد موسى فى السنة التى يذبح فيها (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) اى اختبار وامتحان . والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة * قوله عزوجل (واذ فرقنا بكم البحر) اى فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمى بحرا لاتساعه

* (ذكر سياق القصة) *

وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى عليه الصلاة والسلام ان يسرى ببنى اسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه ان يسرجوا فى بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلى القبط لتبقى لهم اوليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان فى القبط من بنى اسرائيل الى بنى اسرائيل وكل ولد زنا كان فى بنى اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال

وتقبيح صورة حالهم وتهديدهم وابعادهم وتهجين سيرهم وعاداتهم لامكان قبولهم للهداية وزوال مرضهم العارض واشتعال نور قرائحهم بمدد التوفيق الآلهى عسى التقريع يكسر اعواد شكائمهم والتوبيخ يقلع أصول رذائلهم فتتزكى بواطنهم وتتنور قلوبهم بنور الارادة فيسلكوا طريق الحق ولعل موادعة المؤمنين وملاطفتهم اياهم ومجالستهم معهم تستميل طباعهم فتهيج فيهم محبة ما وشوقا تلين به قلوبهم الى ذكر الله وتنقاد به الى نفوسهم لامر الله فيتوبوا ويصلحوا كما قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقالكم) ثم لما فرغ

لاخرج فى طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى فى بنى اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا لايعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا مابين رجل وامرأة فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بنى اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لايخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرنى به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولى فكان يمر الرجل وهو ينادى فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارأيتك ان دللتك على قبره اتعطينى كل ماسألتك فأبى عليها وقال حتى اسأل ربى فأمره ان يعطيها سؤالها فقالت انى عجوز لا استطيع المشى فاحملنى معك واخرجنى من مصر هذا فى الدنيا واما فى الآخرة فأسألك ان لاتنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه فى النيل فى جوف الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو فى صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببنى اسرائيل هو فى ساقتهم وهرون فى مقدمتهم ثم خرج فرعون فى طلبهم فى الف الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات (وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون فى الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون فى سبعة آلاف الف وكان بين يديه مائة الف الف ناشب ومائة الف الف حراب ومائة الف الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء فى غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون فى جنوده فبقوا متحيرين وقالوا ياموسى اين ماوعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يااباخالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لايرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكى فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (فانجيناكم) يعنى من فرعون (واغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتى حتى ادرك عبيدى الذين ابقوا منى ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا (وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن فى خيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى اثرها ولم يملك فرعون من امره شيأ واقتحمت الخيول خلفه فى البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول

من ذكر السعداء والاشقياء دعاهم الى التوحيد وأول مراتب التوحيد توحيد الافعال فلهذا علق العبودية بالربوبية ليستأنسوا برؤية النعمة فيعبدوه كما قال فخلقت الخلق وتحببت اليهم بالنعم فيشكروه بازائها اذ العبادة شكر فلا تكون الا فى مقابلة النعمة * وخصص ربوبيته بهم ليخصوا عبادتهم به وقصد رفع الحجاب الاول من الحجب الثلاثة التى هى حجب الافعال والصفات والذات ببيان تجلى الافعال لان الخلق فى الثلاثة كلهم محجوبون عن الحق بالكون مطلقا فنسب انشاءهم وانشاء ماتوقف عليه وجودهم من المبادى والاسباب والشرائط كمن قبلهم من الآباء والامهات وجعل الارض فراشا لهم لتكون مقرهم ومسكنهم وجعل السماء بناء انتظامهم وأنزل الماء من السماء وأخرج النبات به من الارض ليكون رزقا لهم الى نفسه لعلهم يرون نسبة الفعل الى غيره فيتنزهون عن الشرك فى الافعال عند مشاهدة جميعها من الله ولهذا ذكر نتيجة هذه المقدمات بالفاء فقال (فلا تجعلوا لله

(الحقوا)

الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم فى البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج فأمر الله البحران يأخذهم فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين وكان بين طرفى البحر اربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمر اى من بنى اسرائيل فذلك قوله (وانتم تنظرون) يعنى الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرالله تعالى * قوله عزوجل (واذواعدنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجئ الميقات (موسى) اسم عبرى معرب فموسى بالعبرية الماء والشجر سمى موشى لانه اخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمى موسى (اربعين ليلة) اى انقضاء اربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء

* (ذكر القصة فى ذلك) *

قال العلماء لما انجى الله بنى اسرائيل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها وعدالله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ميقات ربى لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ماتأتون وماتذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هرون فلما جاء الموعد اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لايصيب شيأ الاحيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامرى وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل ماجرا وقيل كرمان وقيل من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر فى الحال فقال فى نفسه ان لهذا لشأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه والقى فى روعه انه اذا القى فى شئ حيي فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة فى الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقى اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنواسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقى ذلك الحلى فى ايديهم فلما فصل موسى قال لهم السامرى ان الحلى الذى استعرتموه من القبط غنيمة لاتحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هرون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى اخذها السامرى وصاغها عجلا فى ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التى اخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشى فقال لهم السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى اى فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنواسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا فى الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم فى تلك العشرة فلما مضت

أندادا وانتم تعلمون) ماذكرنا من المقدمات كأنه قال هو الذى فعل هذه الافعال فلا تحق العبادة الاله ولا تنبغى ان تجعل لغيره فلا تجعلوا له ندا بنسبة الفعل اليه فيستحق ان يعبد عندكم فتعبدوه مع علمكم بهذا فعبادتهم انما هى للصانع وربهم هو المتجلى فى صورة الصنع اذ كل عابد لايعبد الاما يعرفه ولا يعرف الله الابقدر ماوجد من الالوهية فى نفسه وهم ماوجدوا الا الفاعل المختار فعبدوه وغاية هذه العبادة الوصول الى الجنة التى هى كمال عالم الافعال فالله مهد لهم اراضى نفوسهم وبنى عليها سموات ارواحهم وانزل من تلك السموات ماء علم توحيد الافعال فاخرج به من تلك الارض نبات الاستسلام والاعمال والطاعات والاخلاق الحسنة ليرزق قلوبهم منها ثمرات الايقان والاحوال والمقامات كالصبر والشكر والتوكل *ولما اثبت الوحيد استدل على اثبات النبوة ليصح بها الاسلام فانه لايصح الابشهادتين لان مجرد التوحيد هو الاحتجاب

التلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قدمات ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الاهرون مع اثنى عشر الف رجل وهذا اصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل) يعنى الها (من بعده) اى من بعد موسى (وانتم ظالمون) اى وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة فى غير موضعها (ثم عفونا عنكم) اى محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) اى من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) ان لكى تشكر واعفوى عنكم وحسن صنيعى اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافات النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهى انعمت على النعم السوابغ وامرتنى بالشكر وانما شكرى اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه ياموسى تعلمت العلم الذى لافوقه علم حسبى من عبدى ان يعلم ان ما به من نعمة فهى منى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لايراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك الاحسان والافضال * قوله عزوجل (واذ آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق وبين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو واصلية (لعلكم تهتدون) يعنى بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعنى الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) يعنى الها تعبدونه فكانهم قالوا مانصنع قال (فتوبوا الى بارئكم) اى ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا انفسكم) يعنى ليقتل البرئ منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على ان لايعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لاتتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لاتتم الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لايقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضى ان يقتل التائب من الردة اما عاما فى حق الكل او خاصا فى حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعنى القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لابد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته اومد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت القوم الخناجر السيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلا يمكنهم المضى لامر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لايبصر بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتلى

بالجمع عن التفصيل وهو وهو محض الجبر المؤدى الى الزندقة والاباحة ومجرد اسناد الفعل والقول الى الرسول احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذى هو صرف القدر المؤدى الى المجوسية والثنوية والاسلام طريق بينهما بالجمع بين قولنا لااله الاالله وبين قولنا محمد رسول الله واعتقاد مظهريته لافعاله تعالى فان افعال الخلق بالنسبة الى افعال الحق كالجسد بالنسبة الى الروح فكما ان مصدر الفعل هو الروح ولايتم الابالجسد فكذلك مبدأ الفعل هو الحق ولايظهر الابالخلق ولابد من الرسالة لان الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لايمكنهم تلقى المعارف من ربهم فيجب وجود واسطة يجانس بروحه الشاهدة الحق الحضرة الالهية وبنفسه المخالطة للخلق الرتبة البشرية ليتلقى قلبه من روحه الكلمات الربانية ويلقى الى نفسه القدسية ويقبل منه الخلق رابطة الجنسية فقال وان كنتم فى ريب مما

دعا موسى وهرون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يارب هلكت بنواسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فتكشفت عن الوف من القتلى قال على بن ابى طالب رضى الله عنه كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه * فذلك قوله عزوجل (فتاب عليكم) اى ففعلتم ما امرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التواب) اى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه * قوله عز وجل (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك) اى لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) اى عيانا وذلك ان الله عزوجل امر موسى ان يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى فى الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه واسمعهم الله تعالى انى انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فاخذتكم الصاعقة) قيل هى الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هى سبب الموت واختلفوا فى ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل ارسل جنودا من الملائكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين (وانتم تنظرون) اى ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول الهى ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) اى احييناكم (من بعد موتكم) اى لتستوفوا بقية آجالكم وارزاقكم ولو انهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالكم لم يبعثوا الى يوم القيامة (لعلكم تشكرون) * قوله عز وجل (وظللنا عليكم الغمام) يعنى فى التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم فى التيه شئ يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضئ لهم بالليل اذا لم يكن قمر (وانزلنا عليكم المن والسلوى) اى فى التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شئ كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمأة شئ انبته الله من غير سعى احد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لانه يقطر ماؤها بحتا فى العين

(وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله) اى فى تنزيلنا على محمد فتشكوا فى حقية نبوته فروزوا قواكم البشرية واحرزوا اعقولكم المحتنكة بالقياس المحجوبة عن نور الهداية وافكاركم الدرية بتركيب الكلام ونظم المعانى وانتم ومن حضركم من ابناء جنسكم هل تقدرون على الاتيان بسورة اى طائفة من الكلام مثله (ان كنتم صادقين) فى نسبته الى محمد (فان لم تفعلوا) فاذعنوا واسلموا وآمنوا واتركوا العناد المفضى بكم الى النار لحذف الملزوم الذى هو الايمان او الاسلام واقام لازمه الذى هو اتقاء النار مقامه ليكون ادل على ان الانكار موجب لدخول النار وحصول العذاب لهم وقوله (ولن تفعلوا فاتقوا النار التى) اعتراض على طريق الاخبار بالغيب للعلم بامتناع عقول المحجوبين عن مثله والمراد بالنار احتراقهم بنورة نفوسهم وشرر طباعهم المصروفة عن الروح القدسى الروحانى

وقيل ان تقطيره فى العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع فى العين وكان هذا المن ينزل على اشجارهم فى كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا ياموسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى هو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل يأخذ مايكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ مايكفيه اليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شئ (كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات) اى حلالات (مارزقناكم) اى ولاتدّخروا لغد فخالفوا وادّخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوّاء لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير (وماظلمونا) اى ومابخسوا حقنا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى بأخذهم اكثر مما حدّ لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلامؤنة ولاتعب فى الدنيا ولاحساب فى العقبى ❊ قوله عزوجل (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هى اريحاء قرية الجبارين . وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لانه هو الذى فتح اريحاء بعد موت موسى لان موسى مات فى التيه . وقيل هى بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فمن قال ان القرية اريحاء قال ادخلوا من اىّ باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هى بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) اى حطّ عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحطّ الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) اى نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعنى ثوابا (فبدّل) اى فغير (الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) اى قالوا قولا غير ماقيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطانا سمقاثا اى حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا فى الفعل كما خالفوا فى القول وبدلوه (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعرة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعنى عذابا من السماء قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا (بما كانوا يفسقون) اى يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى ❊ قوله عزوجل (واذا ستسقى موسى لقومه) اى طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى ان يستسقى لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق . وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى (الحجر) قال

(وهب)

والنسيم الذوقى الرحانى المحرومة عن لذة برد اليقين وسلامة دار القرار المقطوعة بالمألوفات الحسية والذات البدنية الممنوعة بما ضربت به والفته مع بقاء حنينها اليه وولهها ورسوخ هيئات التعلق بالامور السفلية ومحبة الاجساد الارضية فيها التى هى سبب استيقاد نيرانها ولهذا قال (وقود ها الناس والحجارة) اى الامور الجاسية السفلية الصامتة التى تعلقوا بها بالمحبة فرسخت صورها فى انفسهم وسجنت نفوسهم بميلهم اليها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء يحشر مع من حب حتى لو احب احدكم حجرا حشر معه وكيف لاوقد ركزت صورته فى نفسه بالمحبة بحيث صار صورة قلبه صورته واعلم انّ حرارة النار تابعة لصورتها النوعية التى هى روحانيتها وملكوتها والمساوت سائر الاجسام فى خواصها وتلك الروحانية شرر من نار قهر الله المعنوية بعد تنزلها فى مراتب كثيرة كتنزلها فى مرتبة النفس بثورة الغضب

وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا ٠ وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام ٠ قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه فى مخلاة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه ٠ وقيل كان للحجر اربعة وجوه كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين ٠ وقيل كان من الرخام ٠ وقيل كان من الكذان وهى الحجارة اللينة ٠ وقيل هو الحجر الذى وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فأتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه فى مخلاة فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم فى جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعنى على عدد اسباط بنى اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت ٠ قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد ٠ وقيل انبجست اى عرقت وانفجرت اى سالت (قد علم كل اناس مشربهم) اى موضع شربهم لايدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) اى قلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعنى المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) العيث اشد الفساد * فى هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع الكثير ٠ ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين اصابعه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم اعظم من انفجاره من الحجر * قوله عز وجل (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة (فان قلت هما طعامان فلم قالوا على طعام واحد (قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها فى كل يوم لايبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) اى فاسأل لنا ربك (يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم (وعدسها وبصلها) انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة اولانهم ملوا من البقاء فى التيه فسألوا هذه الاطعمة التى لاتوجد الا فى البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة (قال) يعنى موسى (اتستبدلون الذى هو ادنى) اى الذى هو اخس واردأ وهو الذى طلبوه (بالذى هو خير) يعنى بالذى هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعنى ان ابيتم الا ذلك فأتوا مصرا من الامصار ٠ وقيل بل هو مصر البلد الذى كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول (فان لكم ما سألتم) يعنى من نبات الارض (وضربت عليهم الذلة) اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان ٠ وقيل الذلة الجزية وزى اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد (والمسكنة) اى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود (وباؤا) اى رجعوا ولا يقال باء الا بشر (بغضب من الله) وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه (ذلك) اى الغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله)

اذ ربما تؤثر ثورة الغضب فى احراق الاخلاق ما لا تؤثر النار فى الحطب ومن هذا يعلم ان كل مسخن لا يجب ان يكون حارا واذا كانت النار الجسمانية اثر النار الروحانية فلا جرم ان ايلامها اشد وادوم من ايلام هذه النار كيف وكل قوة جسمانية متناهية دون القوى الروحانية ولهذا المعنى يقال ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم انزلت الى الدنيا ليمكن الانتفاع بها (اعدت للكافرين) المحجوبين عن الدين لانقطاعهم دون مرادهم (وبشر الذين آمنوا) بالصانع (وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار) وعملوا ما يصلحهم للجنة بمقتضى علمهم بتوحيد الافعال ان لهم مراداتهم ومشتهياتهم فوق ما تصور واؤمنوا التنكير الجنات والجنات الجارية من تحتها الانهار ابهى والطيب ما يكون من مقام والذ واحلى ما يكون من مرام لاهل الدنيا فهى لنفوسهم من جنس جنات الدنيا واصفى منها بحسب المعاد الجسمانى فانه حق كما تعلم

اى بصـفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التى فى التوراة و يكفرون بالانجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) النبى معناه المخبر من انبأ ينبئ ٠ وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير الحق) اى بغير جرم (فان قلت قتل الانبياء لايكون الا بغير حق فما فائدة ذكره) (قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ماامر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان حكمه ينقسم الى حق وجور ٠ يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا فى اول النهار وقامت الى سوق بقلها فى آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعياء وغيرهم من الانبياء (ذلك بما عصوا) اى ذلك القتل والكفر بما عصوا امرى (وكانوا يعتدون) اى يتجاوزون امرى ويرتكبون محارمى * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا) يعنى اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اى ملنا اليك ٠ وقيل هادوا اى تابوا عن عبادة العجل ٠ وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام (والنصارى) سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله ٠ وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح نزلها (والصابئين) اصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب ٠ قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب ٠ وقال ابن عباس لاتحل ذبائحهم ولا مناكحتهم * وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لاتحل ذبائحهم ولا مناكحتهم * وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط رؤسهم * وقيل هم قوم يقرون بالله و يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيأ * والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هى التى تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الوظائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال فى اول الآية ان الذين آمنوا وقال فى آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم اولا ثم التخصيص آخرا (قلت اختلف العلماء فى حكم الآية فلهم فيه طريقان ٠ احدهما انه اراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا فى زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابى ذر الغفارى وسلمان الفارسى فمنهم من ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم ٠ وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية ٠ وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعنى الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعنى فى زمن استقامة امرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان فى اول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك ٠ وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال هؤلاء المبطلون كل من آمن منهم الايمان الحقيقى صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله ان الذين آمنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حين الماضى وثبتوا على ذلك فى المستقبل

(كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) فى الدنيا فانها مالوفهم (وأتوا) بالرزق (متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون) ولقلوبهم هى مقاماتهم كالتوكل مثلا وروضات عالم القدوس التى تنشأ من كل مرتبة منها انهار علوم تنبع السالكين تنقع غلة المتعطشين المشتاقين والثمرات هى الحكم والمعارف وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل اشارة الى ان تلك العلوم والحكم كانت ثابتة للقلب حالة التجرد فاحتجبت منها بالتوغل فى الامور الطبيعية عند التعلق فنسيتها ثم تذكرت حين تجردت عن ملابسها لقوله عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن والازواج لنفوسهم الحور العين المطهرة عن الطمث والفواحش ولقلوبهم النفوس القدسية المطهرة عن دنس الطبائع وكدر العناصر ولا جنة لارواحهم لاحتجابهم عن المشاهدة (ان الله لا يستحيي) لايمتنع امتناع المستحيي (ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها)

وهوالمراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) اى فى ايمانه (فلهم اجرهم عندربهم) اى جزاء اعمالهم (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) اى فى الآخرة * قوله عزوجل (واذ اخذنا ميثاقكم) اى عهدكم يامعشر اليهود (ورفعنافوقكم الطور) يعنى الجبل العظيم * قال ابن عباس امرالله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم . وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا بأحكامها فأبوا ان يقبلوها لما فيها من الآصار يعنى الاثقال والتكاليف الشاقة امرالله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قد قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا مافى التوراة والاارسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) اى قلنالهم خذوا (ما آتيناكم) اى ما اعطيناكم (بقوّة) اى بجد واجتهاد (واذكروا مافيه) اى ادرسوا مافيه (لعلكم تتقون) اى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى والارضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود لايسجدون الاعلى انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليتم) اى اعرضتم (من بعد ذلك) اى من بعد ماقبلتم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) اى بالامهال (لكنتم من الخاسرين) اى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى * قوله عزوجل (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) اى جاوزوا الحد (فى السبت) يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع

(ذكر الاشارة الى القصة)

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك حتى لايرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها فى غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذاكان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولايقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها . وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا مانرى السبت الاقد احل لنا فاخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لانسا كنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذاهم جميع قردة لهم اذناب وهم يتعاوون * وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عزوجل (فقلنالهم كونوا

اذالكافر عنده احقر من بعوضة والدنيا من جناحها كما نطق به الحديث (فاماالذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) لمناسبة الممثل به للممثل له (واماالذين كفروا فيقولون ماذا ارادالله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ومايضل به الاالفاسقين) الذين خرجوا من مقام القلب الى مقام النفس ومن طاعة الرحمن الى طاعة الشيطان وهم الفريق الثانى من الاشقياء الفريق الاول فانهم ضالون فى نفس الامر على اى حال كان لابه ولابسبب آخر واضلالهم به مسبب عن فسقهم فى الحقيقة اذ ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعلية وهى زيادة عنادهم ونكارهم وحقدهم وغلبة صفات نفوسهم على قلوبهم بور ودالقرآن فيزيدهم بعداوظلمة على ظلمة (الذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ماامرالله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون) هوالذى اشار اليه فى قوله واذاخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

قردة خاسئين) امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها) يعني عقوبتهم بالمسخ (نكالا) اى عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم ٠ وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التى كانت عامرة فى الحال وما خلفها اى ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) اى المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم * قوله عز وجل (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهى الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة

* (ذكر الاشارة الى القصة فى ذلك) *

قال علماء السير والاخبار انه كان فى زمن بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعى عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسأل موسى ربه فى ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) اى نحن نسألك امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين فى الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه (قال) يعنى موسى (اعوذ بالله) اى امتنع بالله (ان اكون من الجاهلين) اى المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اى بقرة كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان فى ذلك حكمة الله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح فى بنى اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب ويأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بنى ان اباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بآله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبنى فانه اهون عليك فقال الفتى ان امى لم تأمرنى بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتنى ما كنت تقدر على ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان يقلع من اصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا

ذرّيتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وقد ورد فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده واخرج ذريته منه كهيئة الذرّ الحديث فيد الله هو العقل الاقدس والروح الاوّل الذى هو روح العالم المسمى يمين الرحمن وآدم هو النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم ومسحه ظهره تأثير العقل فيها وتنويره اياها بنوره بالاتصال الروحانىّ واخراج ذرّيته منه ايجاد النفوس الشخصية الجزئية التى كانت فيها بالقوة واخراجها الى الفعل وعهد الله اليهم بقوله الست بربكم ايداع علم التوحيد فى ذواتهم وميثاق ذلك العهد ركز ادلة التوحيد فى عقولهم والزام ذلك العلم اياهم وجعله من اللوازم الذاتية لهم بحيث اذا تجرّدوا عن الصفات النفسانية والغواشى الجسمانية تبين لهم ذلك وانكشف عليهم الظهر شئ وابانه وهو اشهادهم على انفسهم لكون ذلك العلم ضروريا حينئذ واجابتهم لذلك بقولهم بلى قبولهم الذاتى له ونقض ذلك

ليرى خلقه قدرته وليعتبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا امى فقال له الملك لك ستة دنانير ولاتستأمر امك فقال له الفتى لو اعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الابرضا امى ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولاتبعها الابرضاى فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال له استأمرت امك فقال الفتى نعم انها امرتنى ان لاانقصها عن ستة على رضاها فقال الملك انى اعطيتك اثنى عشر ديناراً اولا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجربك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل فلاتبعها الابملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى ماسنها (قال) يعنى موسى (انه يقول) يعنى الله عزوجل (انها بقرة لافارض ولابكر) اى لا كبيرة ولاصغيرة والفارض المسنة التى لم تلد والبكر الفتية التى لم تلد (عوان) اى نصف (بين ذلك) اى بين السنين (فافعلوا ماتؤمرون) اى من ذبح البقرة ولاتكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك (تسر الناظرين) اى يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى سائمة او عاملة (ان البقر تشابه علينا) اى التبس واشتبه امرها علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) اى الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر (قال انه يقول انها بقرة لاذلول) اى ليست مذللة بالعمل (تثير الارض) اى تقلبها للزراعة (ولاتسقى الحرث) اى ليست بسانية والسانية هى التى تستسقى الماء من البئر لسقى الارض (مسلمة) اى بريئة من العيوب (لاشية فيها) اى لالون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) اى بالبيان التام الذى لااشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) اى وماقاربوا ان يفعلوا ماامروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا * قوله عزوجل (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) قال ابن عباس اى اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا (والله مخرج ماكنتم تكتمون) أى مظهر ماكتمتم من امر القتيل لامحالة ولايتركه مكتوما (فقلنا اضربوه) يعنى القتيل (ببعضها) اى ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها الايمن والاقرب انهم كانوا مخيرين فى ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باى جزء منها اجزأ وحصل المقصود وانه ليس فى القرآن مايدل على ذلك البعض ماهو وذلك يقتضى التخيير وفى الآية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان يعنى ابن عمه ثم سقط

العهد انهما كهم فى اللذات البدنية والنواشى الطبيعية وتعبدهم لهواهم وشهواتهم بحيث احتجبوا بها عن وحدة الله وتعبده وقطعهم ماامر الله بوصله اعراضهم عن اتصال روح القدس والمبادى العالية والارواح السماوية التى هى الملاء الاعلى وسكان الحضرة الآلهية من اهل الجبروت والملكوت الذين يجانسونهم بذواتهم وصفاتهم وهم اهل قرابتهم الحقيقية بتوجههم الى العالم السفلى ومحبتهم للجواهر الفاسقة المظلمة وعشقهم وشغفهم بالامور الخسيسة الفانية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب معالى الامور واشرافها ويبغض سفاسفها اذ كلما كان مطلوب النفس اخس كانت عن العالم الشريف ابعد * ضروب الناس عشاق ضروبا * فاعذرهم اشقهم حبيبا وقدمر تفسير الافساد فى الارض والخسران الذى هو تضييع الجوهر النورى الباقى لاجل الظلمانى الفانى (كيف تكفرون بالله) اى على أى حال تحجبون عنه (و) الحال

ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ماورث قاتل بعد صاحب البقره (كذلك) اى كما احيا الله عاميل صاحب البقرة (يحيي الموتى) يعنى يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) اى تمنعون انفسكم عن المعاصى (فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب (قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بنى اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فى نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر ومايتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل (فان قلت مافائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشئ (قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر والحيلة فاذا احيي القتيل عند ماضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك (فان قلت هلا امروا بذبح غير البقرة (قلت الكلام فى غير البقرة لو امروا به كالكلام فى البقرة *ثم فى ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ماكانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة فى تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذى اخذه صاحبها من ثمنها

* (فصل فى حكم هذه المسئلة فى شريعة الاسلام اذا وقعت) * وذلك انه اذا وجد قتيل فى موضع ولايعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعى به واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعى بان اجتمع جماعة فى بيت اوصحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم اووجد قتيل فى محلة اوقرية وكلهم اعداء القتيل لايخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولى على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعى عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولاقود عليه فى قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود به قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما فى سائر الدعاوى والثانى انه يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند ابى حنيفة لاحكم للوث ولايبدأ بيمين المدعى بل اذا وجد قتيل فى محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ماقتلوه ولايعرفون له قاتلا فان حلفوا والا اخذ الدية من سكانها * والدليل على ان البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ماروى عن سهل بن ابى حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهى يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط فى دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون

(قاتلكم)

انكم (كنتم امواتا) نطفا فى اصلاب آبائكم (فاحياكم) اى لم لاتستدلون بالخلق على الخالق (ثم يميتكم) بالموت الطبيعى (ثم يحييكم) بالبعث اذ الاول معلوم بالمشاهدة والثانى بالاستدلال عليه بالانشاء الاول (ثم اليه ترجعون) للمجازاة اوثم يميتكم عن انفسكم بالموت الارادى الذى هو الفناء فى الوحدة ثم يحييكم بالحياة الحقيقية التى هى البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب الحقانى ثم اليه ترجعون للمشاهدة ان كانت الوحدة وحدة الصفات اوالشهود ان كانت وحدة الذات (هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا) اى الجهة السفلية التى هى العالم العنصرى جميعا لكونها مبادى خلقكم ومواد وجودكم وبقائكم (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) اى قصد قصدا مستويا الى الجهة العلوية وثم للتفاوت بين الجهتين والايجادين الابداعى والتكوينى لاللتراخى بين الزمانين ليلزم تقدم خلق الارض

قاتلكم او قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين * ووجه الدليل من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم * قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) اى يبست وجفت * وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه * وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك) اى من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هي اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة (فهي) يعني القلوب في الغلظ والشدة (كالحجارة) اى كالشئ الصلب الذي لا تخلخل فيه (او) قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اى و (اشد قسوة) فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب * قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط * ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار (وان منها لما يهبط من خشية الله) اى ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع * فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى * قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب اهل السنة ان الله تعالى اودع في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث وانى لاعرفه الآن عن على قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حنينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي لا يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر * قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة * قوله عز وجل (افتطمعون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب

على السماء * فعدلهن سبع سموات بحسب ما تراه العامة اذ الثامن والتاسع هو الكرسي والعرش الظاهران والحقيقة ان الجهة السفلية هي العالم الجسماني كالبدن واعضائه لدنو رتبته بالنسبة الى العالم الروحاني الذي هو الجهة العلوية المعبر عنها بالسماء وثم للتفاوت بين الخلق والامر وسواهن سبع سموات اشارة الى مراتب عالم الروحانيات فالاول هو عالم الملكوت الارضية والقوى النفسانية والجن والثاني عالم النفس والثالث عالم القلب والرابع عالم العقل والخامس عالم السر والسادس عالم الروح والسابع عالم الخفاء الذي هو السر الروحي غير السر القلبي والى هذا اشار امير المؤمنين عليه السلام بقوله سلوني عن طرق السماء فاني اعلم بها من طرق الارض وطرقها الاحوال والمقامات كالزهد والتوكل والرضا وامثالها * واعلم ان العقل باصطلاح الحكمة هو الروح باصطلاح اهل التصوف والذي سميناه ههنا بالعقل على اصطلاح

للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون (ان يؤمنوا لكم) اى يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب فى خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم فى افتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعنى التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم يحرفونه) اى يغيرون كلام الله ويبدلونه * فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعدما سمعوا كلام الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم * ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة (من بعد ما عقلوه) اى علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) اى فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون * قوله عز وجل (واذ لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية فى اليهود الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقى اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقى اليهود على ذلك و (قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعنى قص الله عليكم فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) اى ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق فى كتابكم لم لا تتبعونه * وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) اى فى الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا هذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله (افلا تعقلون) اى ان ذلك لا يليق بما انتم عليه (اولا يعلمون) يعنى اليهود (ان الله يعلم ما يسرون) اى ما يخفون (وما يعلنون) اى ما يبدون وما يظهرون * قوله عز وجل (ومنهم) اى من اليهود (اميون) اى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع امى وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب الا امانى) جمع امنية وهى التلاوة ومنه قول الشاعر

المتصوفة هو القوة العاقلة التى للنفس الناطقة عند الحكماء ولهذا قالت المتصوفة العقل هو موضع صقيل من القلب متنور بنور الروح والقلب هو النفس الناطقة فاحفظه لئلا يتشوش الفهم باختلاف الاصطلاح (واذ قال ربك للملائكة) اذ اشارة الى السرمد الذى هو من الازل الى الابد والقول هو القاء معنى تعلق مشيئة الله تعالى بايجاد آدم فى الذوات القدسية الجبروتية التى هى الملائكة المقربون والارواح المجردة والملكوتية التى هى النفوس السماوية اذ كل ما يحدث فى عالم الكون له صورة قبل التكوين فى عالم الروح الذى هو عالم القضاء السابق ثم فى عالم القلب الذى هو قلب العالم المسمى باللوح المحفوظ ثم فى عالم النفس اى نفس العالم الذى هو لوح المحو والاثبات المعبر عنه بالسماء الدنيا فى التنزيل كما قال تعالى وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فذلك قوله تعالى للملائكة (انى جاعل فى الارض خليفة) واشير بحالك

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

اى تلا كتاب الله* وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه غير عارفين بمعانى كتاب الله تعالى وقيل الامانى الاحاديث الكاذبة المختلقة وهى الاشياء التى كتبها علماؤهم من عند انفسهم واضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمنى وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لايعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء لاتحصل لهم (وان هم الا يظنون) اى ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة واصلها فى اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذى وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بايديهم) تأكيد للكتابة لانه يحتمل ان يأمر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته فى التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العينين سبط الشعر فكانوا اذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ماكتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعنى هذه الصفة التى كتبوها فاذا نظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به (ليشتروا به) اى بما كتبوا (ثمنا قليلا) اى المآكل والرشا التى كانوا يأخذونها من سفلتهم قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) قوله عزوجل (وقالوا) اى اليهود (لن تمسنا) اى لن تصيبنا (النار الا اياما معدودة) اى قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب * قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التى عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم فى امر فاقسم ليعذبنهم اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم (قل) اى يامحمد لليهود (اتخذتم عند الله عهدا) اى موثقا ان لايعذبكم الا هذه المدة (فلن يخلف الله عهده) اى وعده (ام تقولون على الله مالا تعلمون بلى) اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار ابدا (من كسب سيئة) السيئة اسم يتناول جميع المعاصى كبيرة كانت اوصغيرة والسيئة هنا الشرك فى قول ابن عباس (واحاطت به خطيئته) اى احدقت به من جميع جوانبه* قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه صاحبه * وقيل احاطت به اى اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخلود فى النار هو للكفار والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا * قلت اجاب بعضهم

فى نفسك فان كل مايظهر على جوارحك التى هى عالم كونك وشهادتك من القول والفعل له وجود فى روحك التى هى ماوراء غيب غيبك ثم فى غيب غيبك ثم فى نفسك التى هى غيبك الادنى وسماؤك الدنيا ثم يظهر على جوارحك والجعل اعم من الابداع والتكوين فلم يقل خالق لان الانسان مركب من العالمين خليفة يتخلق باخلاق ويتصف باوصاف وينفذ امرى ويسوس خلقى ويدبر امرهم ويضبط نظامهم ويدعوهم الى طاعتى وانكار الملائكة بقولهم (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وتعريضهم باولويتهم لذلك بقولهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) هو احتجابهم عن ظهور معنى الالهية والاوصاف الربانية فيه التى هى من خواص الهيئة الاجتماعية والتركيب الجامع للعالمين الحاصر لما فى الكونين وعلمهم بصدور الافعال البهيمية التى هى الافساد فى الارض والسبعية المعبر عنها بسفك الدماء اللتين هما من خواص قوة الشهوة والغضب الضرورى

بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله آمن لايفيد الا انه فعل فعلا واحدا من افعال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات * وقيل ان قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا اولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) * قوله عزوجل (واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل) يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد (لاتعبدون الا الله) اى امر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لاغيره (وبالوالدين احسانا) اى برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لايخالف امر الله تعالى ويوصل اليهما مايحتاجان اليه ولايؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا (وذي القربى) اى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لايقدر هو ان ينتفع بنفسه ولايقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولاتكتموها قاله ابن عباس والوجه الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم * وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر * وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولما امرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم انهم ماوفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتم) اى اعرضتم عن العهد (الا قليلا منكم) يعني من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد (وانتم معرضون) اى كاعراض آبائكم * قوله عزوجل (واذ اخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم (لاتسفكون) اى لاتريقون (دماءكم) اى لايسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لاتسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم (ولاتخرجون انفسكم من دياركم) اى لايخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لاتفعلوا شيأ فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم اقررتم) اى بهذا العهد انه حق

وجودهما في تعلق الروح بالبدن وبنزاهة ذواتهم وتقدس نفوسهم عن ذلك اذ كل طبقة من الملائكة المقدسة تطلع على ماتحتها ومافي انفسها ولاتطلع على مافوقها فهي تعلم انه لابد في تعلق الروح العلوي النوراني بالبدن السفلي الظلماني من واسطة تناسب الروح من وجه وتناسب الجسم من وجه هي النفس وهي مأوى كل شر ومنبع كل فساد ولاتعلم ان الجمعة الانسانية جالبة للنور الالهي الذي هو سر (قال اني اعلم مالاتعلمون) والفرق بين التسبيح والتقديس ان التسبيح هو التنزيه عن الشريك والعجز والنقص والتقديس هو التنزيه عن التعلق بالمحل وقبول الانفعال وشوائب الامكان والتعدد في ذاته وصفاته وكون شيء من كمالاته بالقوة فالتقديس اخص اذ كل مقدس مسبح وليس كل مسبح مقدسا فالملائكة المقربون الذين هم الارواح المجردة بتجردهم وعدم احتياجهم وقهرهم ماتحتهم بافاضة النور عليهم وتأثيرهم في غيرهم وكون جميع كمالاتهم بالفعل مقدسون

(وانتم)

(وانتم تشهدون) يعنى انتم يامعشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم انتم هؤلاء) يعنى ياهؤلاء اليهود (تقتلون انفسكم) اى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) اى تعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم اسارى) جمع اسير (تفدوهم) اى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد وامة من بنى اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحيي ان تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان (وهو محرم عليكم اخراجهم) وان يأتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء * قال الله عز وجل (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) معناه ان وجدتموهم فى يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لا على الفداء لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يعنى يامعشر اليهود (الا خزى فى الحياة الدنيا) اى عذاب وهوان فكان خزى بنى قريظة القتل والسبى وخزى بنى النضير الاجلاء والنفى من منازلهم الى اريحاء واذرعات من ارض الشام (ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب) يعنى عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (اولئك الذين اشتروا) اى استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة) لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) اى فلا يهون عليهم (ولا هم ينصرون) اى ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل (ولقد آتينا) اى اعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة جملة واحدة (وقفينا) اى واتبعنا من التقفية وهو ان يقفوا اثر الآخر (من بعده بالرسل) يعنى رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم فى اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارمياء وخزقيل والياس ويونس وزكرياء ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) اى الدلالات الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هى الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال (وايدناه) اى وقويناه (بروح القدس) قيل اراد بالروح الذى

وغيرهم من الملائكة السماوية والارضية مسجون ببساطة ذواتهم وخواص افعالهم وكمالاتهم (وعلم آدم الاسماء كلها) اى القى فى قلبه خواص الاشياء التى تعرف بها هى ومنافعها ومضارها (ثم عرضهم) اى عرض مسمياتها (على الملائكة) بشهودهم البنية الانسانية ومرافقتهم لآدم لا التنزيل ومعنى قوله (فقال انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) ارادته لانتعاشهم ببعض معلومات الانسان باقتضاء التركيب الانسانى وتأدى محسوساته ومعلوماته المتنوعة منها والحادثة فيه بخاصة التركيب والهيئة الاجتماعية الى ذواتهم بعد ما لم تكن اذ علومهم تابعة لعله وهو معنى انباءهم وتعلق ارادته بذلك امر آدم بالانباء اذ جميع القوى الانسانية والملائكة التى بحضرته تنتعش بما لا تنتعش هى فى غير ذلك المحل وهو معنى انباء آدم اياهم ومعنى قوله (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) شهادة وجوداتهم بالدلالة

نفخ فيه والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا كما تقول عبدالله وامة الله وبيت الله ه وناقة الله ه وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى ه وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا ه وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط ه وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبدالله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه اى قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبياء فعلت فأتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (افكلما جاءكم) يعنى يا معشر اليهود (رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم) اى تعاظمتم من الايمان به (ففريقا كذبتم) يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعنى مثل زكرياء ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع اغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه ه قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل اوعية من الوحى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) اى طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) اى لم يؤمن منهم الا القليل لان من آمن من المشركين كان اكثر منهم قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى التوراة وهذا التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة (وكانوا) يعنى اليهود (من قبل) اى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) اى يستنصرون به (على الذين كفروا) يعنى مشركى العرب وذلك انهم كانوا اذا احزنهم امر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) اى الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بنى اسرائيل (كفروا به) اى جحدوه وانكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم) اى بئس شئ اشتروا به انفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم (ان يكفروا بما انزل الله) يعنى القرآن (بغيا) اى حسدا (ان ينزل الله من فضله) يعنى الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤا) اى فرجعوا (بغضب على غضب) اى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ه وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ه وقيل الاول بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) يعنى الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) اى يهانون فيه (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) يعنى بالقرآن وقيل بكل ما انزل الله

والسنة الحال على قصورهم عن الكمالات الانسانية وتخالفهم عن شأوها وبتنزيه الله عن فعل ما فيه مفسدة بالاجمال وعلمهم بامتناع ترقيهم الى مراتبهم بكسب العلوم ادكالاتهم مقارنة لوجوداتهم وبان علمه تعالى فوق علمهم فهو العليم المطلق والحكيم الذى لا يفعل الا ما ينبغى ولهذا (قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم) ولم يقل علمهم لان العلم المكتسب الموجود للترقى هو من خاصية الجمعية الانسانية فلا يقبل كل منها الا ما فى طباعه من جنس مدركاته لا غير وكان البصر مثلا من كثرة مبصراته لا يزيد عما ورتبة ولا يقبل الا ما هو من جنس المبصرات فقط وانكثرت عنده فكذلك حال كل قوة باطنة ومعنى (قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض) تقريره فى طباع الملائكة انه تعالى يعلم ما لا يعلمون من غيب السموات والارض الذى هو سر المعرفة والمحبة المودع فى الانسان الذى استأثر الله بعلمه (واعلم ما تبدون) من علمكم بمفاسد

(قالوا نؤمن بما انزل علينا) يعني التوراة وما انزل على انبيائهم (ويكفرون بما وراءه) اى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الانجيل والقرآن (وهو الحق) يعني القرآن (مصدقا لما معهم) يعني التوراة (قل) يامحمد (فلم تقتلون انبياء الله من قبل) انما اضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها برئ منها ومن رضيها كان من اهلها (ان كنتم مؤمنين) اى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء * قوله عزوجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) اى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) اى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات (وانتم ظالمون) انما كرره تبكيتا لهم وتأكيدا للحجة عليهم (واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) اى استجيبوا واطيعوا اى فيما امرتم به (قالوا سمعنا) يعني قولك (وعصينا) يعني امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) اى تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذرى في النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقى في قلبه شئ من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) اى بان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل يامحمد لليهود (ان كانت لكم الدار الآخرة) يعني الجنة (خالصة) لكم (من دون الناس فتمنوا الموت) اى فاطلبوه واسألوه لان من علم ان الجنة مأواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمني (ان كنتم صادقين) اى في قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لشرق كل انسان بريقه ومابقى على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى (ولن يتمنوه ابدا) اى لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون (بما قدمت ايديهم) يعني من الاعمال السيئة وانما اضاف العمل الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان اعم وكانوا اولى به (ولتجدنهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يامحمد يعني اليهود (احرص الناس على حياة) اى حياة متطاولة والحرص اشد الطلب (ومن الذين اشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا * فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر * قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس (يود احدهم) وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اى يتمنى احدهم (لو يعمر الف سنة) اى تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود

الانسان (وما كنتم تكتمون) من ترجحكم ذواتكم عليه لنزاهتها وتقدسها (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجودهم لآدم انقيادهم وتذللهم له ومطاوعتهم وتسخرهم له (فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر) وابليس هو القوة الوهمية لانها ليست من الملائكة الارضية الصرفة المحجوبة عن ادراك المعانى بادراك الصور فيذعن بالقهر مطاوعة لامر الله ولا من السماوية العقلية فتدرك شرف آدم وتوافق عقله فيذعن بالمحبة طالبا رضا الله وكان جنيا اى من جملة الملكوت السفلية والقوى الارضية نشأ وتربى بين ظهور الملائكة السماوية لادراكه المعانى الجزئية وترقيه الى الافق العقلى ولهذا كان في الحيوانات العجم بمنزلة العقل في الانسان واباؤه عدم انقياده للعقل وامتناعه لقبول حكمه واستكباره تفوقه على الخلقة الطينية والملائكة السماوية والارضية بعدم وقوفه على حده من ادراك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وتعديه عن طوره بخوضه في

لانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزارسال اى عش الف سنة اوالف نير وزاوالف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمزحزحه) اى بمباعده (من العذاب) اى النار (ان يعمر) اى لو عمر طول عمره لاينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) اى لايخفى عليه خافية من احوالهم * قوله عز وجل (قل من كان عدوّا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبدالله بن صوريا حبر من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اى ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذلك عدوّنا ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اى حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الآية * وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوّة فينا فجعلها فى غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما مافى اصحاب محمد احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا اسألكم لانى شاك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره فى كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجئ بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبرونى عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوّ الهما كان عدوّ الله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتنى بعد ذلك فى دينى اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله (فانه نزله) يعنى جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ (باذن الله) اى بامره (مصدقا) اى موافقا (لما بين يديه) اى لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) اى فى القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التى يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوابها (من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) لما بين فى الآية الاولى ان من كان عدوّ الجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يكون عدوّ الله لان الله تعالى هو الذى نزله على محمد بين فى هذه الآية ان كل من كان عدوّا لاحد هؤلاء فانه عدوّ لجميعهم وبين ان الله عدوّه بقوله (فان الله عدوّ للكافرين) فاما عداوتهم لله فانها لاتضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذى لاضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه واهل طاعته

المعانى العقلية والاحكام الكلية (وكان من الكافرين) المحجوبين فى الازل عن الانوار العقلية والزوجية فضلا عن نور الوحدة (وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) زوجته هى النفس وسميت حوّاء لملازمتها الجسم الظلمانىّ اذ الحيوة هى اللون الذى يغلب عليه السواد كما انّ القلب سمى آدم لتعلقه بالجسم دون الملازمة بالانطباع اذ الادمة هى السمرة اى اللون الذى يضرب الى السواد ولولا تعلقه لما سمى ادم والجنة المأمور بملازمتهما اياها هى سماء عالم الروح التى هى روضة القدس اى الزما سماء الروح (وكلا منها رغدا حيث شئتما) اى توسعا وتفسحا فى تلقى معانيها ومعارفها وحكمها التى هى الاقوات القلبية والفواكه الروحية توسعا بالغا على اىّ مرتبة وحال ومقام شئتما اذ هى دائمة غير منقطعة ولا محجورة (ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) الواضعين النور فى محل الظلمة الذى ليس موضعه والناقصين من نور استعداد

فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياء الله واهل طاعته * وقوله وملائكته ورسله يعنى ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم * وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين فى الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما * وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحى الذى هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذى هو سبب غذاء الابدان * وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبدالله وعبدالله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب ابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ماجئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (ومايكفر بها) اى وما يجحد بهذه الآيات (الا الفاسقون) اى الخارجون عن طاعتنا وما امروا به (اوكلما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود فى محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ماعهد الينا فى محمد عهد فانزل الله هذه الآية * اوكلما استفهام انكار. عاهدوا عهدا هو قولهم انه قد اظل زمان نبى مبعوث وانه فى كتابنا. وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) اى طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعنى اليهود (بل اكثرهم لايؤمنون) يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عندالله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعنى مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام * وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) * قيل اراد بالكتاب القرآن * وقيل التوراة * وهو الاقرب لان النبذ لايكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن * اما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولايعملون بها * وقيل انهم ادرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كأنهم لايعلمون) يعنى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة * وانما حملهم على ذلك عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اولئك النفر قليلا * قوله عزوجل (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) يعنى اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ماتتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفترى وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر * وقيل على ملك سليمان اى على عهده وزمانه * وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف هذا ماعلم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك * وقيل ان بنى اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر فى زمانه فمنعهم سليمان من ذلك واخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه * فاما صلحاء بنى اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذالله ان يكون هذا العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه

كما وحظكما من عالم النور فان الظلم فى العرف هو وضع الشئ فى غير موضعه وفى اللغة نقص الحق والحظ الواجب (فازلهما الشيطان عنها) اى حملهما على الزلة من مقامهما الى مهوى الطبيعة عن الجنة بتسويل اللذات الجسمانية ودوامها عليهما (فاخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والروح الدائم وقيل بينما هما يتفرجان فى الجنة اذ راعهما طاوس تجلى لهما على سور الجنة فدنت حواء منه وتبعها آدم فوسوس لهما الشيطان من وراء الجدار وقيل توسل بحية تسوّر الجنة فاخذ بذنبها وصعد الجنة والاوّل اشارة الى توسله من قبل الشهوة خارج الجنة والثانى الى توسله بالغضب وتسوّره جدار الجنة اشارة الى انّ الغضب اقرب الى الافق الروحانىّ والحيز القلبىّ من الشهوة (وقلنا اهبطوا) اى الزمناهم الهبوط الى الجهة السفلية التى هى العالم الجسمانىّ (بعضكم لبعض عدوّ) حال من الهبوط مقيدله اذالهبوط الى الدنيا التى هى الجهة السفلية يستلزم كون

براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) يعني بالسحر ولم يعمل به * وفيه تنزيه سليمان من السحر * وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر * وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك * وقيل ان بعض احبار اليهود قال الاتعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الاساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني ان سليمان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافراه ثم بين الله تعالى ان الذي برأه منه لاحق بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا * ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعني ماكتب لهم الشياطين من كتب السحر • وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء سببه ولا يفعل الا في خفية • وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ماسحرك عن كذا اي ماصرفك عنه فكان الساحر لما اري الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة * واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل * ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان * وروي عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به * وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء * وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت • ويدل على ذلك ان للكلام تأثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان مايكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان * واما حكمه فانه من الكبائر التي نهي عنها • ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات * والسحر على قسمين • احدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر ويعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي * والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي عن مالك ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت اخرجه في الموطأ * قوله عز وجل (وما انزل على الملكين) اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما وعلماه وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران

مطالبها جزئية في ضيق المادة محصورة لاتحتمل الشركة وكلاحظي بها احد حرم منها غيره فمعه فيقع بينهما العداوة والبغضاء بخلاف المطالب الكلية وجمع الخطاب لان خطابهما خطاب النوع اذ الاصل يتناول الفرع (ولكم في الارض) اي في هذه الجهة (مستقر) استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) اي حين تجردهما بالموت الارادي او انقطاع حظوظهما بالموت الطبيعي وقيام احد القيامتين الكبرى اوالصغرى (فتلقى آدم من ربه كلمات) اي استقبل من جهة ربه انوارا واطوارا اي مراتب من الملكوت والجبروت وارواحا مجردة اذ كل مجرد كلمة لانه من عالم الامر كما سمي عيسى كلمة او تلقن منه معارف وعلوما وحقائق (فتاب عليه) تقبل رجوعه اليه بالتجرد عن الملابس الطبيعية والانخراط في سلك الانوار الملكوتية والاتصاف بالكمالات القدسية والتحلي بالعلوم الحقيقية واصل تاب عليه الق

كانا بابل * وقيل علجان * ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام (فان قلت كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر (قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرّف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر ان يكون الله تعالى علّمه الملكين الذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتمحص المؤمن بتركه التعليم منهما ويخزى الكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكان في تعليمهما ماطلعا من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كان عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما (وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني (بابل) قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمروذ * وقيل انها بابل نهاوند والاول اصح واشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانيان * وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركبت فيهم لركبتم مثل ماركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فامر عليهما شهر حتى افتتنا . وقيل بل افتتنا في اول يوم * وذلك انه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس . وقيل كانت ملكة فلما رأياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة . وقيل انهما سجدا للصنم (وقيل جاءتهما امرأة

الرجوع عليه وجعله راجعا ولعمري انها هو التوبة المقبولة لا الرجوع الناشئ من قبله (انه هو التوّاب) الكثير القبول التوبة عباده (الرحيم) الذي سبقت رحمته غضبه فيرحم عبده في عين غضبه كما جعل غضبه على آدم سبب كماله ورجوعه اليه وبعده ليقرب منه (قلنا اهبطوا منها جميعا) كرّر ذلك الامر بالهبوط ليفيد انه هو الذي اراد ذلك ولولا ارادته لما قدر ابليس على اغوائهم ولهذا اسند الاهباط الى نفسه مجرّدا عن التعليق بالسبب بعد اسناد اخراجهما الى الشيطان فهو قريب مما قال لنبيه وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى فتفطن منه سرّ قضائه وقدره وبين وجه حكمة الاهباط بتعقيبه بقوله (فامّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) واراده بالفاء اذ لولا الهبوط لما امكنهم من متابعة الهدى ولما تميز السعيد والشقيّ ولا حصل استحقاق الثواب والعقاب ولبطل دار الجزاء من الجنة والنار بل ما وجدت والهدى هو الشرع فمن تبعه

من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للآخر هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم قال هل لك ان تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ماعند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ماعند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيالى على زوجى فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ماعند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ماعند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لى صنما اعبده ان انتما صليتما معى عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول فردّ عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهاباه وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه قالت لهما لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان به الى السماء فقالا اسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركى حتى تعلمانى اياه فقال احدهما للآخر علمها فقال انى اخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا * فذهب بعضهم الى انها هى الزهرة بعينها وانكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التى اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس والتى فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا (قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب همّا بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ماحل بهما فقصدا ادريس النبى عليه السلام واخبراه بأمرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأينا يصعد لك من العبادة مثل مايصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان. قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة. وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد. وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودّة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الاقدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من انت قال رجل من الناس فقالا من اى امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا اوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبى الساعة وقددنا انقضاء عذابنا

* (فصل فى القول بعصمة الملائكة) * اجمع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلاء واتفق ائمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء فى العصمة فى باب البلاغ عن الله عز وجل وفى كل شئ ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء فى التبليغ اليهم كالانبياء مع اممهم * ثم اختلفوا فى غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصى واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية. وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين. واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن على ومانقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت باللفظ متقاربة عن على بن ابى طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدى والربيع ومجاهد * واجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان مانقله

امن سوء العاقبة فلم يخف مما ياتى من العقاب والفناء وتسلى عن الشهوات واللذات فلم يحزن على مافاته من حطام الدنيا ونعيمها لاكتحال بصيرته بنور المتابعة واهتدائه الى مالايقاس بلذات الدنيا من الاذواق الروحانية والفتوحات السرية والمشاهدات القلبية والعلوم العقلية والمواجيد النفسية (والذين كفروا) اى جحبوا عن الدين لكونه فى مقابلة اتباع الهدى وارادفه بقوله (وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار) اى نار الحرمان (هم فيها خالدون يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون) بنو اسرائيل هم اهل اللطف الالهى وارباب نعمة الهداية والنبوّة دعاهم بالالطاف وتذكير النعمة السابقة والعهد السالف المأخوذ منهم فى التوراة بتوحيد الافعال بعد العهد الازلى كما هو عادة الاحباب عند الجفاء

المفسرون واهل الاخبار فى ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والانبياء وقد ذكر الله عز وجل فى هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان اولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعنى بالسحر الذى افتعله عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم * وذكروا ايضا فى الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها * الاول ان فى القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتمونى قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم * الوجه الثانى انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لايخير من اشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما * الوجه الثالث ان المرأة الفاجرة فكيف يعقل انها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث اقسم بها فى قوله فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس * فبان بهذه الوجوه ركاكة هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه * والاولى تنزيه الملائكة عن كل مالا يليق بمنصبهم * وقوله تعالى (وما يعلمان من احد حتى يقولا) يعنى وما يعلمان احدا حتى ينصحاه اولا ويقولا (انما نحن فتنة) اى ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) اى لاتتعلم السحر فتعمل به فتكفر * قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع فى السماء فذلك الايمان والمعرفة ينزل شئ اسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منهما) يعنى من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) اى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لا ان السحر له تأثير فى نفسه بدليل قوله (وما هم) يعنى السحرة (بضارين به) اى بالسحر (من احد) اى احدا (الا باذن الله) اى بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعنى السحر لانهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعنى اليهود (لمن اشتراه) اى اختار السحر (ماله فى الآخرة من خلاق) يعنى ماله نصيب فى الجنة (ولبئس ما شروا به انفسهم) اى باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فان قلت كيف اثبت الله لهم العلم اولا فى قوله ولقد علموا على التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم آخرا فى قوله لو كانوا يعلمون (قلت قد علموا ان من اشترى السحر ماله فى الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكانهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو انهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعنى اليهودية والسحر وما يؤثمهم (لمثوبة من عند الله) اى لكان ثواب الله اياهم (خير) لهم يعنى هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعنى ذلك * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا) سبب نزول

* المرء بيننا رحم ووصل *
* وكان بنا المودة والاخاء *

وهذه الدعوة مخصوصة بتوحيد الصفات الذى هو رفع الحجاب الثانى فهى اخص الدعوة الاولى العامة لتذكير النعمة الدينية والعهد والتجلى بصفة المنعم والولى والتهديد على عدم اجابتهما بالرهبة التى هى اخص من الخوف فان الخوف انما يكون من العقاب والرهبة من السخط والقهر والاعراض والاحتجاب والخشية اخص منها لكونها مخصوصة باحتجاب الذات قال الله تعالى يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وكذا الهيبة لانها قرنت بعظمة الذات (وآمنوا بما انزلت) من القرآن على حبيبى من توحيد الصفات (مصدقا لما معكم) فى التوراة من توحيد الافعال (ولا تكونوا اول كافر به) اى اول محجوب عنه لاحتجابكم باعتقادكم (ولا تشتروا) اى لاتستبدلوا (بآياتى) الدالة على تجليات ذاتى وصفاتى كسورة الاخلاص وآية الكرسى وامثالهما (ثمنا قليلا فاياى

هذه الآية إن المسلمين كانوا يقولون راعنا يارسول الله من المراعاة اى ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبّا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لاسمعت * وقيل من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعنى احمق فلاسمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسبّ محمدا سرّا فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يامحمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا اى لكى لايجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) اى انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وفهمنا (واسمعوا) اى ماتؤمرون به واطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعانى ادقها وان سالوه يسالوه بتبجيل وتعظيم ولين ولايخاطبوه بمايسر اليهود (وللكافرين) يعنى اليهود (عذاب اليم) اى مؤلم (مايودّ) اى مايحبّ (الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى اليهود (ولاالمشركين) يعنى عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غير الله (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) يعنى ماانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحى والنبوة وانما كرهت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ماهذا الذى تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لوكان خيرا فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يختص برحمته من يشاء) يعنى انه تعالى يختص بنبوّته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من احبّ من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعنى ان كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق احد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه * قوله عز وجل (ماننسخ من آية اوننسها) الآية * وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا مايقول الامن تلقاء نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بماينزّل قالوا انما انت مفتر فانزل ماننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة فى النسخ وانه من عنده لامن عند محمد صلى الله عليه وسلم * واصل النسخ فى اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لايقتضى ازالة الصورة الاولى بل يقتضى اثبات مثله فى كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة شئ بشئ يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه * (فصل فى حكم النسخ) * هو فى اصطلاح

فاتقون) اى جنتكم النفسية لتأثركم بالالذاذ الحسية وثواب الاعمال بتوحيد الافعال وان اتقيتم عن الشرك فاتقوا سطوة قهرى وجلالى وحجابى بابتغاء رضاى فلا تثبتوا صفة لغيرى (ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) اى ولاتخلطوا صفاته تعالى الثابتة كعلمه وقدرته وارادته بالباطل الذى هو صفات نفوسكم بظهورها بصفاتها وعدم تمييزكم بين دواعيها وخواطرها ودواعى الحق وخواطره ولاتكتموها بحجاب صفات النفس وسترها اياها عند ظهورها (وانتم تعلمون) من علم توحيد الافعال انّ مصدر الفعل هو الصفة فكما لم تسندوا الفعل الى غيره لاتثبتوا صفة لغيره (واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة) طلبا لمرضاتى لارجاء لثوابى ومصداقه قوله (واركعوا مع الراكعين) اذ الركوع هو الخضوع والاذعان لما يفعل به فهو علامة الرضا الذى هو ميراث تجلى الصفات وغايته اى ارضوا بقضائى عند مطالعة صفاتى والتوجه عند القيام بالفعل

العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه قد جاء في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك انى جعلت كل دابة مأ كولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بنى اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما * الوجه الثانى المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا * الوجه الثالث وهو الصحيح الذى عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتى بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها لان الآية اذا اطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا * (مسئلة) * قال الشافعى رضى الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها * وذلك يفيد انه تعالى هو الآتى والمأتى به هو من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذى هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله * واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث * اجاب الشافعى رضى الله تعالى عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف فى اصول الفقه * ثم النسخ فى القرآن على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن ابى امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها * اخرجه البغوى بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما * الوجه الثانى ما رفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم وروى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم والبخارى بنحوه * الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين نسخت

علامة طلب الثواب والاجر لاستقلال النفس بصورتها والسجود الذى هو غاية الخضوع علامة الفناء فى الوحدة عند تجلى الذات (اتأمرون الناس بالبر) الذى هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب وزكاء النفس الزائد منها التنور (وتنسون انفسكم) افلا تفعلون ما ترتقون به من مقام تجلى الافعال الى تجلى الصفات (وانتم تتلون الكتاب) كتاب فطرتكم الذى يأمركم باتباع محمد فى دينه السالك بكم سبيل التوحيد (افلا تعقلون) تعيير بالغ وتوبيخ لحيتهم (واستعينوا) واطلبوا العون والمدد ممن له القدرة اذ لا قدرة لكم على افعالكم (بالصبر) على ما تكرهون مما نفعل بكم وتكلفكم ونبتليكم به لكى تصلوا الى مقام الرضا (والصلوة) التى هى حضور القلب لتلقى تجليات الصفات (وانها) وان المراقبة اى الحضور القلبى (لكبيرة) لشاقة ثقيلة (الا على الخاشعين) المنكسرة اللينة قلوبهم لقبول انوار التجليات اللطيفة واستيلاء سطوات التجليات القهرية

بآية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية اربعة اشهر وعشرا وآية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير في القرآن واما معنى الآية فقوله ماننسخ من آية اي نرفعها او نرفع حكمها اوننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناها نثبتها على قلبك * وقال ابن عباس نتركها لاننسخها * وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ لاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلاننزلها اونرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء ماننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننساها اى نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلاننزلها (نأت بخير منها) اى بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (او مثلها) اى في المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان عليهم خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل في الثواب كالذى كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام ايام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر اما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر في ذلك لان على المصلى التوجه الى حيث امره الله (ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير) اى على النسخ والتبديل والمعنى ألم تعلم يا محمد انى قادر على تعويضك مما نسخت من احكامى وغيرته من فرائضى التي كنت افترضتها عليك ما شاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وانفع لك ولهم عاجلا وآجلا (ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) يعني انه تعالى هو المتصرف في السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من امر ونهي ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجحد والنبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (ومالكم) يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) اى مما سوى الله (من ولى) اى قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور (ولانصير) اى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الآية وليس لكم ايها المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولانصير يؤيدكم ويقويكم على اعدائكم * قوله عزوجل (ام تريدون ان تسألوا رسولكم) نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اتريدون وقيل بل تريدون ان تسألوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا

الذين يتيقنون انهم بحضرة ربهم اى حضرة الصفات لدلالة الرب عليها في حال لقائه (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) بفناء صفاتهم ومحوها في صفاته * كرر الخطاب ليفيد ان الذى هداهم اولا ولطف بهم وفضلهم على عالمى زمانهم المحبوبين بالهداية الى رفع الحجاب الاول هو الذى يهديهم ثانيا فكما لم يردبهم شرا في الهداية الاولى فكذلك في الثانية لا يريد بهم الاخيرا (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزى) اى حال تجلى صفة القهر حين لاتغنى (نفس عن نفس شيأ) من الاغناء لعدم القدرة لاحد (ولايقبل منها شفاعة) لعدم الشفاعة والمدد اذ كلهم مسلوبوا الصفات والافعال كقوله * ولا يرى الضب بها ينجحر * (ولا يؤخذ منها عدل) اى فدية لعدم الملك لاحد (ولا هم ينصرون) لامتناع القوة والنصرة غيره تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون) ظاهره

ارنا الله جهرة فى الآية منعهم ونهيهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) اى يستبدل (الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) اى اخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين اعلمهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا من اليهود شيأ ينصحونهم به فى الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل * قوله عز وجل (ودكثير من اهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ماهزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال انى عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ماعشت قالت اليهود اماهذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ودّ اى تمنى كثير من اهل الكتاب يعنى اليهود (لو يردونكم) اى يامعشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا) اى ترجعون الى ماكنتم عليه من الكفر (حسدا) اى يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمنى زوال النعمة عن مستحقها وربما يكون مع ذلك سعى فى ازالتها والحسد مذموم لماروى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اوقال العشب اخرجه ابوداود فاذا انعم الله على عبده نعمة فتمنى آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد * وقوله (من عند انفسهم) اى من تلقاء انفسهم لم يأمرهم الله بذلك (من بعد ماتبين لهم الحق) يعنى فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم دينه حق لايشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا (فاعفوا واصفحوا) اى فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بالقتال (حتى يأتى الله بامره) بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو امر الله له بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما امر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بمافيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى (وماتقدموا لانفسكم من خير) اى من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عندالله) يعنى ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة مثل احد (ان الله بما تعملون بصير) اى لايخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب فى الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصى * قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الامن كان هودا) يعنى يهوديا وقيل هو جمع هائد (اونصارى) وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الامن كان يهوديا ولادين الادين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولادين الادين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى

وتفسيره على مايفهم من تذكير العهد لتهييج المحبة وباطنه وتأويله واذنجيناكم من آل فرعون النفس الامارة المحجوبة بانانيتها المستعلية على ملك الوجود ومصر مدينة البدن التى استعبدت هى وقواها التى هى الوهم والخيال والتخيلة والغضب والشهوة والقوى الروحانية التى هى ابناء صفوة الله يعقوب الروح والقوى الطبيعية البدنية من الحواس الظاهرة والقوى النباتية (يسومونكم سوء العذاب) يكلفونكم المتاعب الصعبة والكد والاعمال الشاقة فى جمع المال وادخاره بالحرص والامل وترتيب الاقوات والملابس وغيرها مما يكدح فيه الحراص ابناء الدنيا ويستعبدونكم فى التفكر فيها والاهتمام بها وضبطها وتحصيل لذاتهم التى هى عذاب لمنعها اياكم من لذاتكم (يذبحون ابناءكم) التى هى تلك القوى الروحانية من العاقلة النظرية والعاقلة العملية اللتين هما عينا القلب النظرية اليمنى والعملية اليسرى والفهم الذى هو سمع القلب والسر الذى هو قلب القلب والفكر والذكر

اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله (تلك امانيهم) اى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق (قل) يعنى يا محمد (هاتوا برهانكم) اى حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تدعون * ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) اى ليس الامر كما تزعمون ولكن (من اسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذى يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص فى دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع اعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعنى بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اى فى عمله لله (فله اجره عند ربه) اى ثواب عمله (ولا خوف عليهم) اى فى الآخرة (ولاهم يحزنون) اى على مافاتهم من الدنيا * قوله عزوجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران لما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ماأنتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (وهم يتلون الكتاب) يعنى وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس فى كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذى تدين بصحته النصارى يحقق ما فى التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بنى اسرائيل من الفرائض وان التوراة التى تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعنى مشركى العرب قالوا فى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه انهم ليسوا على شئ (مثل قولهم) يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى انبيائهم ليسوا على شئ (فالله يحكم) اى يقضى (بينهم يوم القيامة) يعنى بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى من امر الدين * قوله عزوجل (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه) نزلت فى خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومى غزا بنى اسرائيل فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن اظلم اى ومن اكفر وابغى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اى يعبد ويصلى له فيها (وسعى فى خرابها) وقيل بختنصر المجوسى من اهل بابل هو الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل

(ويستحيون نساءكم) القوى الطبيعية المذكورة بمنع الطائفة الاولى عن افعالها الخاصة بالقهر والاستيلاء وحجبها عن حياة نور الروح ومددها واقدار الطائفة الثانية عن افعالها وتمكينها (وفى ذلكم) الانجاء نعمة عظيمة (بلاء من ربكم) هى نعمة مطالعة صفات جلاله وجماله او فى ذلكم التعذيب نقمة عظيمة من ربكم هى نقمة الاحتجاب والحرمان والبعد اذ البلاء الذى هو الامتحان يحصل بهما قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات (واذ فرقنا بكم) بوجودكم (البحر) اى البحر الاسود الزعاق الذى هو المادة الجسمانية لانفلاقها بوجودكم انفلاق الارض من النبات (فانجيناكم) بالتجرد منها (واغرقنا آل فرعون) اى القوى النفسانية فيها بملازمتها اياها وهلاكها بفسادها (وانتم تنظرون) تشاهدون ذلك وعلى هذا يمكن ان يؤول بنو اسرائيل فى اول الخطاب بتلك القوى الروحانية والنعمة التى انعم بها عليهم هى التهدى الى قبول الانوار الفائضة عليها من عالم الروح

ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم * قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومى اونصرانى الا خائفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم فى الدنيا خزى) يعنى الصغار والذل والقتل والسبى (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) يعنى النار * وقيل ان الآية نزلت فى مشركى مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام * وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سعوا فى خرابه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبى صلى الله عليه وسلم ان ينادى بالموسم لما انزلت سورة براءة الا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت فى الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم * فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام * قلت يجوز ان يجئ الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين * فان قلت اى القولين ارجح * قلت رجح الطبرى القول الاول * وقال ان النصارى هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس بدليل ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات من الصلاة فيه * وايضا فان الآية التى قبل هذه والتى بعدها فى ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثانى بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربى فى احكام القرآن قولا ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال * قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية * قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وقال ابن عمر نزلت فى المسافر يصلى التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومى وكان ابن عمر يفعله وفى رواية المسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت فى تحويل القبلة الى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله

وتاق المعارف والحكم وايفاؤهم بالعهد وابرازهم ماركز فيها بحسب الاستعداد الاول من الادلة التوحيدية والمعانى الكلية الكامنة فيها بالتصفية ومزاولة ما يختص بها من الافعال وايفاؤه بعهدهم افاضة النور الكمالى عليها عند قيامها بحق النور الاستعدادى بالتصفية واستعمال ما عندها من المعانى وان كنتم رهبتم شيئا فارهبوا احتجاب انوارى بزوال استعدادكم وآمنوا اى واقبلوا ما افيض عليكم من الاشراقات النورية والسوانح الغيبية مصدقا لما فى استعدادكم من النور الفطرى ولا تكونوا فى اول رتبة المحتجبين عن قبولها بالتوجه الى الجهة السفلية ولا تستبدلوا بها لذات النفس ومقاصدها ولا تخلطوا حق المعارف الروحية والانوار القدسية بباطل المطالب الحسية والصفات النفسية وتكتموا تلك الانوار والمعارف بظهور هذه عليكم واقيموا وادعوا التوجه الى حضرة الروح وامتثال امره وآتوا زكاة معلوماتكم التى هى اموالكم بتعلمها وتزكيها لتحرزوا بها ثواب

هذه الآية * وقيل انها نزلت فى تخيير النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحى ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان لله كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها فأينما تولوا فثم وجه الله اى فهنالك قبلة الله التى وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة * وقيل فثم رضا الله اى يريدون بالتوجه اليه رضاه (ان الله واسع) من السعة وهو الغنى اى يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) اى بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شئ * (مسئلة تتعلق بحكم الآية) * وهى ان المسافر اذا كان فى مفازة اوبلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد فى طلبها بنوع من الدلائل ويصلى الى الجهة التى ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق فى البحر اذا بقى على اللوح فانه يصلى على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جزع بحيث لا يمكنه الاستقبال

* قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت فى يهود المدينة حيث قالوا عزيز ابن الله وفى نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) اى تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياى فزعم انى لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة اوولدا (بل له ما فى السموات والارض) يعنى عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما * وقيل ان الولد لابد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير * وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال (كل له قانتون) يعنى ان اهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة مقرون له بالوحدانية * وقيل قانتون اى مذللون مسخرون لما خلقوا له * واختلف العلماء فى حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا فى تخصيصه طريقين * احدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة * الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الكفار * وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضى الشمول والاحاطة ثم سلكوا فى الكفار طريقين * احدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه * والثانى ان هذه الطاعة تكون فى يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية اجاب عن لفظة كل بأنها لا تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شئ اى شئ ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضى ذلك * قوله عز وجل (بديع السموات والارض) اى خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذى يبدع الاشياء اى يحدثها مما لم يكن (واذا قضى امرا)

النتائج واللوازم وانفقوها على فقرائكم الذين بحضرتكم من القوى البدنية الطبيعية ليعيشوا بها ويكتسبوا بها الاخلاق الفاضلة والملكات الجميلة وعلوها بابناء جنسكم ليكملوا بها واركعوا واخضعوا لقبول الاوامر العقلية والانوار الروحية والاعمال القلبية اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم اتنسون ما تحتكم من القوى بالعبادات الجميلة والآداب الحسنة والترقى الى مقامكم والتأدب بآدابكم وتنسون انفسكم فى التأدب بين يدى الله بآداب الروحانيين والتمرن فى المراقبة والتنور بانوار الروح فى مقام المشاهدة والترقى الى مقامه عند الفناء فى الوحدة وانتم تتلون كتاب المعقولات النازلة من رب الروح بواسطة ملك العقل الى نبى القلب افلا تعقلون بالعقل المجرد عن شوب الهوى والوهم واستعينوا بالصبر على ما يظهر عليكم ورد من سلطنة انوار سلطان الروح واحكامه وقهر تجليات الملكوت والحضور مع الحق وان هذه الاستعانة لشاقة الا على الخاشعين

اى قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه واتقنه واصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ وتمامه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون) اى اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده * فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ماهو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التى لم تكن كانها كائنة لعلمه بها لجاز ان يقول لها كونى ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود * وقيل اللام فى قوله له لام اجل فيكون المعنى اذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب * قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون) قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل هم مشركو العرب (لولا) اى هلا (يكلمنا الله) اى عيانا بانك رسوله (اوتأتينا آية) اى دلالة وعلامة على صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) اى كفار الامم الخالية (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ماليس لهم مسئلته فاخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ماقال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعنى ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم واضالهم * وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال (قد بينا الآيات) اى الدلالات على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعنى ان آيات القرآن وماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين * قوله عز وجل (انا ارسلناك بالحق) اى بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام * وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل ارسلناك بالحق (بشيرا) اى مبشرا لاوليائى واهل طاعتى بالثواب العظيم (ونذيرا) اى منذرا ومخوّفا لاعدائى واهل معصيتى بالعذاب الاليم (ولا تسأل) قرئ بفتح التاء على النهى * قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى مافعل ابواى فنزلت هذه الآية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ماارسلت به ولا تسأل عن اصحاب الجحيم * وقرئ ولا تسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر * وقيل على النفى والمعنى انا أرسلناك بالحق لتبليغ ماارسلت به فانما عليك البلاغ (عن اصحاب الجحيم) اى عن اهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار * قوله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم تبعوه فانزل الله هذه الآية * والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا فى امر القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى الا باليهودية ولا النصارى يعنى الا بالنصرانية وهذا شئ لا يتصوّر اذ لا يجتمع فى رجل واحد شيآن فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقتهم (قل) اى يامحمد (ان هدى الله) يعنى دين الله الذى هو الاسلام (هو الهدى)

المرتاضين المذعنين لانقياد امر القلب والروح المتيقنين بانهم بحضرته وفى لقائه وانهم يرجعون اليه فى قبول انواره وتفضيلهم على العالمين هو شرفهم على جميع مافى الانسان من القوى (واذ واعدنا موسى) بعد فراغه عن مقاومة آل فرعون واهلاكهم (اربعين ليلة) يخلص لنا فيها الترفع بها الغشاوات الطبيعية التى حجبت قلبه عن معدن النور فى الاربعين التى خلق فيها بدنه عند تكوّنه جنينا واحتجابه بالنشأة عن الفطرة كما ورد فى الحديث خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا وعن وجه قلبه وتظهر حكمة التوراة من قلبه على لسانه (ثم اتخذتم العجل من بعده) عجل النفس الحيوانية الناقصة الهامن بعد ابتزاله وغيبته عنكم (وانتم ظالمون) واضعون العبادة فى غير موضعها (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك) الفعل الشنيع والظلم القبيح بتوبتكم عند رجوع موسى اليكم لكى تشكر وا النعمة عفوى بتصوّر تلك النعمة عن المنعم فتستعدّوا لقبول تجلى صفة الام وعلى التأويل الثانى

اى يصح ان يسمى هدى (ولئن اتبعت) يامحمد (اهواءهم) يعنى اهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل اهواءهم اقوالهم التى هى اهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) اى البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هى قبلة ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة (مالك من الله من ولى) يعنى يلى امرك ويقوم بك (ولا نصير) اى ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل فى قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى اياكم اخاطب ولكم اؤدب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهواء الكافرين و لئن اتبعتم اهواءهم بعد الذى جاءكم من العلم والبينات مالكم من الله من ولى ولا نصير ٭ قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت فى اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابى طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب ٭ وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ٭ وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) اى يقرؤنه كما انزل لايغيرونه ولايحرفونه ولايبدلون مافيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون فى معانيه وحقائقه واسراره (اولئك) يعنى الذين يتلونه حق تلاوته (يؤمنون به) اى يصدقون به ٭ فان قلنا ان الآية فى اهل الكتاب فيكون المعنى المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان فى التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت فى المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) اى يجحد مافيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الخاسرون) اى خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان ٭ قوله عز وجل (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى ايادى لديكم وصنعى بكم واستنقاذى اياكم من ايدى عدوكم فى نعم كثيرة انعمت بها عليكم (وانى فضلتكم على العالمين) اى واذكروا تفضيلى اياكم على عالمى زمانكم ٭ وفى هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها فى اول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ) وفى هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يامعشر بنى اسرائيل المبدلين كتابى المحرفين له خافوا عذاب يوم لاتجزى فيه نفس عن نفس شيأ (ولا يقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة) اى لايقبل منها فدية ولايشفع لها شافع وهذا من العام الذى يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الآية ولاتنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه ٭ وقيل انه رد على اليهود فى قولهم ان آباءنا يشفعون لنا (ولاهم ينصرون) اى ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل (واذابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) ابراهيم اسم اعجمى ومعناه أب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز ٭ وقيل بابل وقيل بكوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله الى ارض بابل وهى

واعدنا موسى القلب عند تعلقه بالبدن واحتجابه عن قومه القوى الروحانية الاربعين التى خلقت فيها بنية بدنه ثم تعبدتم عجل النفس الحيوانية الطفل من بعد غيبته واحتجابه فى حال الصبا لعلكم تشكرون) التعبد بالبلوغ الحقيقى وظهور نور القلب بتجردكم لكى تشكروا نعمة توفيقى اياكم لذلك التجرد وتهيئتى لاسباب كمالكم بسلوك سبيل صفاتى (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم) القلب كتاب المعقولات والحكم والمعارف والتميز الفارق بين الحق والباطل لكى تهتدوا بنور هداه وعلى الوجه الاول غنى عن التأويل (ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) نقصتم حقوقها وحظوظها من الثواب والتجليات المذكورة (فتوبوا الى [بار]ئكم) الى خالقكم برفع [الحج]اب الاول لدلالة ذكر [الب]ارئ عليه (فاقتلوا [انف]سكم ذلكم خير لكم [عن]د بارئكم فتاب عليكم

ارض نمرود. الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب فى الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده. ومن ساكنى حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفى ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركى العرب فى وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمى التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على مايجهل من امره * والثانى ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على مايجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات * واختلفوا فى تلك الكلمات التى ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام * قال ابن عباس هى ثلاثون سهماهن شرائع الاسلام لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابرهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذى وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فامابعده فقد اتى الانبياء بجميع ما امر به من الدين خصوصا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهى عشرة مذكورة فى سورة براءة فى قوله التائبون العابدون الآية وعشرة فى سورة الاحزاب فى قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة فى سورة المؤمنين فى قوله قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الآيات وهى مذكورة ايضا فى سورة سأل سائل * وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشياء هن الفطرة خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس فى الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس * وفى رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء * قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة * وقيل الملة * وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة فى الحديث وانها من الفطرة * قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهى لنا سنة * واتفقت العلماء على انها من الملة واما معانيها فقد قيل اما قص الشارب واعفاء اللحية فمخالفة الاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أويوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها

انه هو التواب الرحيم) بسيف الرياضة ومنعها عن حظوظها وافعالها الخاصة بها على سبيل الاستقلال وقمع هواها التى هى روحها التى تحيا هى بها وعلى الثانى الهم القلب قواه انكم نقصتم حقوقكم بتعبد النفس فارجعوا الى بارئكم بنور هداه فامنعوا انفسكم بالرياضة عما ضريتم فاقتلوها عن حياتها العارضة لها بغلبة الهوى لتحيوا بحياتكم الاصلية فتقبل توبتكم (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) لاجل هدايتك الايمان الحقيقى حتى تصل الى مقام المشاهدة والعيان (فاخذتكم الصاعقة) صاعقة الموت الذى هو الفناء فى التجلى الذاتى وانتم تنظرون) تراقبون اوتشاهدون (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) بالحياة الحقيقية والبقاء بعد الفناء لكى تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك فى الله (وظللنا عليكم الغمام) غمام تجلى الصفات لكونها حجب شمس الذات المحرقة بالكلية (وانزلنا عليكم المن

واما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجتمع من الوسخ في الشعر واما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول * واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة واول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن احد قبله (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى انه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع * عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف واول الناس قص شاربه واول الناس رأى الشيب قال رب ماهذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يارب زدني وقارا اخرجه مالك في الموطأ * وقيل في الكلمات انها مناسك الحج * وقيل ابتلاه الله بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها * قيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اى اداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيئا * واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة اوبعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية انى جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب * وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لايعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة * وقوله تعالى (قال انى جاعلك للناس اماما) اى يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به (قال ومن ذريتى) اى قال ابراهيم واجعل من ذريتى واولادى ائمة يقتدى بهم (قال) الله (لاينال) اى لايصيب (عهدى) اى نبوتى وقيل الامامة (الظالمين) يعني من ذريتك والمعنى لاينال ماعهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك * قوله عزوجل (واذجعلنا البيت) يعني البيت الحرام وهوالكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) اى مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وآمنا) اى موضعا ذا آمن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لايتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لايعضد شوكه ولاينفر صيده ولايلتقط لقطته الا من عرفها ولايختلى خلاه فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لايحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولايحل لاحد بعده قوله يعضد شوكه اى لايقطع شوك الحرم واراد به مالايؤذى منه

والسلوى) من الاحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الحلاوة واسهال رذائل اخلاق النفس كالتوكل والرضا وسلوى الحكم والمعارف والعلوم الحقيقية التي تحشرها عليكم رياح الرحمة والنفحات الآلهية في تيه الصفات عند سلوككم فيها (كلوا من طيبات مارزقناكم) اى تناولوا وتلقوا هذه الطيبات (وماظلمونا) ماانقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم بصفات نفوسهم (ولكن كانوا انفسهم) ناقصين حقوق انفسهم بحرمانها وخسرانها هذا على التأويلين والخطاب وان كان عاما لكنه مخصوص بالسبعين المختارين (واذقلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا) اى روضة الروح المقدسة التي هي مقام المشاهدة (وادخلوا الباب) الذي هو الرضا كما ورد في الحديث الرضا بالقضاء باب الله الاعظم (سجدا) منحنين خاضعين لما يرد عليكم من التجليات الوصفية والفعلية والحلية وقوله (وقولوا حطة) اى اطلبوا ان يحط الله عنكم ذنوب صفاتكم

اماما يؤذى منه كالعوسج فلابأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده اى لايتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها اى ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة فى جميع الارض لاتحل الالمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة فى اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا مقصورا الرطب من النبات الذى يرعى * وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد * وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم * وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمى وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذى يصلى عنده الائمة وذلك الحجر هو الذى قام ابراهيم عند بناء البيت وقيل كان اثر اصابع رجلى ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدى وقيل انما امروا بالصلاة عنده لم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على مارواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال اول مااتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت ياابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لايلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لايضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لايرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد مافى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت يامن قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ماتغرف * قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لولم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لاتخافى الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لايضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا

واخلاقكم وافعالكم (نغفر لكم خطاياكم) تلوينا تكم وذنوب احوالكم (وسنزيد المحسنين) اى المشاهدين لقوله عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ثواب احسانهم الذى هو كشف الذات اواحسانهم بالسلوك فى الله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) اى طابوا الاتصاف بصفات النفس ابتغاء حظوظها سوى طلب الاتصاف بصفات الله ابتغاء الحظوظ الروحية كماروى عنهم حنطا سمقاثا اى نطلب غذاء النفس (فانزلنا على الذين ظلموا) على الظالمين (رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) عذابا وضنكا وضيقا وظلمة فى حبس النفس واسرا فى وثاق التمنى واحتجابا فى قيد الهوى وحرمانا وذلا بمحبة المادة السفلية وتغيرها وزوالها من جهة قهر سماء الروح ومنع اللطف والروح عنهم بسبب فسقهم اى خروجهم عن طاعة النفس وتركنا التأويل الثانى لقربه منه جدا (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك

في اسفل مكة فراوا الطائر اعائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذاهم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيأ فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة فقال هل أوصاك بشئ قالت نعم أمرني ان أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسال عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عزوجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعالهم فيه قال فهما لايخلو عليهما أحد بغير مكة الالم يوافقاه وفي رواية فجاء فقال أين اسمعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته الاتنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد قال نعم اتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويامرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلاله تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرني بامر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني أن ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ماحولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وقيل ان امرأة اسمعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقي أثر قدميه عليه * عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس

الحجر) طلب نزول امطار العلوم والحكم والمعاني من سماء الروح فأمرناه بضرب عصا النفس التي يتوكأ عليها في تعلقه بالبدن وثباته على ارضه بالفكر على حجر الدماغ الذي هو منشا العقل (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) من مياه العلوم على عدد المشاعر الانسانية التي هي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والعاقلة النظرية والعملية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من فقد حسافقد فقد علما (قد علم كل اناس مشربهم) اى اهل كل علم مشربهم من ذلك العلم كأهل الصناعات والعلماء العاملين من مشرب العقل العملي والحكماء والعارفين من النظري والصباغين من علم الالوان المبصرة واهل صناعة الموسيقى من علم الاصوات وغير ذلك وعلى التأويل الثاني امرناموسى القلب بضرب عصا النفس على حجر الدماغ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا هي المشاعر المذكورة التي تختص كل واحدة منها بقوة من القوى الاثنتي عشرة المذكورة التي هي اسباط يعقوب

نورهما لاضاء مابين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا فى قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التى هى الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذ وامن مقام ابرهيم مصلى قبله أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لايعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذى يصلى فيه (وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل) اى امرناهما والزمناهما واوجبنا عليهما * قيل انما سمى اسمعيل لان ابرهيم كان يدعوالله ان يرزقه ولدا ويقول فى دعائه اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به (ان طهرا بيتى) يعنى الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اى ابنيا على الطهارة والتوحيد * وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور (للطائفين) يعنى الدائرين حوله (والعاكفين) يعنى المقيمين به والمجاورين له (والركع السجود) جمع راكع وساجدوهم المصلون * وقيل الطائفين يعنى الغرباء الوار دين الى مكة والعاكفين يعنى اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل والصلاة لاهل مكة بمكة افضل * قوله عزوجل (واذقال ابرهيم رب اجعل هذا) اشارة الى مكة وقيل الى الحرم (بلدا آمنا) اى ذا امن يأمن فيه اهله وانما دعا ابراهيم له بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولاثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شى من النواحى فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار الاقصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة * فان قلت قدغزامكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام اوحرمت بدعوته على قولين * احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام انى اسكنت من ذريتى بوادغيرذى زرع عندبيتك المحرم فهذا يقتضى أن مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم * القول الثانى انها انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة وهذا يقتضى ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من أنبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بوأها الله تعالى ابراهيم واسكن بها اهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عزوجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم (وارزق اهله من الثمرات)

الروح قدعلم كل منهما مشربه (كلوا واشربوا من رزق الله) اى انتفعوا بما رزقكم الله من العلم والعمل والاحوال والمقامات (ولاتعثوا فى الارض مفسدين) ولاتبالغوا فى الفساد بالجهل (واذقلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) اى الغذاء الروحانى من العلم والمعرفة والحكمة (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير) اى اسأل لنا ربك يوسع علينا ويرخص لنا فيما تنبته ارض نفوسنا من الشهوات الخبيثة واللذات الخسيسة والتفكهات الباردة وكل مافيه حظ النفس وعذابها (اهبطوا مصرا) اى مدينة البدن (فان لكم فيها ما سألتم وضربت عليهم الذلة) اللازمة لاتباع الشهوات والحرص فى المقتنيات (والمسكنة) اى دوام الاحتياج ودوام سكنى الجهة السفلية (وباؤا) واستحقوا (بغضب) البعد والطرد (من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما

انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بهـا زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعـالى له وجعل مكة حرما آمنـا يجبي اليه ثمرات كل شيء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني ارزق المؤمنين من اهـله خاصـة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السـلام لمـا سال ربه عزوجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظـالمين صار ذلك تاديباله في المسئلة فلاجرم خص ههنـا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيـا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فامتعه) اي سارزق الكافر أيضا (قليلا) اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم اضطره الى عذاب النار) أي الجئه واكرهـه وادفعـه الى عـذاب النـار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتنـاع مما اضطر اليه (وبئس المصير) اي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب * قوله تعـالى (واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل) وكانت قصـة بناء البيت على ماذكره العلماء واصحاب السـير ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال ياآدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي وانزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من مس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له بر حجك ياآدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشـديدة السريعة الهبوب وقيل هي الملتوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها ياابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فذلك قوله تعـالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهي اس البيت وقيل جدرة من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعد من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابوقبيس

(ياابراهيم)

عصوا وكانوا يعتدون) باحتجابهم عن ايات الله وتجلياته والباقي ظاهر وعلى الوجه الثاني وبقتلهم انبياء القلوب بغير امر ثابت لهم عليهم يتوجه به ذلك بل بصرف باطلهم ذلك بعصيانهم اوامر القلوب والعقول واعتدائهم عن ظهورهم (ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) الايمان التقليدي والظاهريين والباطنيين والذين تعبدوا ملائكة العقول لاحتجابهم بالمعقولات وكواكب القوى النفسانية لاحتجابهم بالوهميات والخياليات (من امن منهم)الايمان الحقيقي (بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم) والمعاد وايقنوا علم التوحيد والقيامة وعملوا ما يصلحهم للقاء الله ونيل السعادة في المعاد فلهم الثواب الباقي الروحاني عند ربهم من عقوبة افعالهم (ولا هم يحزنون) بفوات تجليات الصفات والجملة اعتراض بين خطاب بني اسرائيل (واذ اخذنا ميثاقكم) اي عهدكم السابق او اللاحق المأخوذ منهم في التوراة او بدلائل العقل بتوحيد الافعال والصفات (ورفعنا

يا ابراهيم انك عندى وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى أمد ابراهيم واسمعيل بسبعة املاك يعينونهما فى بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا (ربنا تقبل منا) وفى الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اى ماعملناك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنالك (انك انت السميع) اى لدعائنا (العليم) يعنى بنياتنا * قوله عز وجل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد اوالاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان * احدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لايبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعنى فى المستقبل وذلك لاينافى حصوله فى الحال * الوجه الثانى يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة فى الايمان فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لاينافى حصوله فى الحال (ومن ذريتنا) اى من اولادنا (امة) اى جماعة (مسلمة) اى خاضعة منقادة (لك) وانما ادخل من التى هى للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لاينال عهدى الظالمين ان فى ذريتهما الظالم فلذا خص بعض الذرية بالدعاء * فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء * قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم الاترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم (وارنا) اى علمنا وبصرنا (مناسكنا) اى شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فاراهما المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) اى تجاوز عنا (انك انت التواب) أى المتجاوز عن عباده (الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء ووجهه ان التوبة لاتطلب من الله الابعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بان العبد وان اجتهد فى طاعة ربه عز وجل فانه لاينفك عن تقصير فى بعض الاوقات اما على سبيل السهو اوترك الاولى والافضل وكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما اعلم ابراهيم ان فى ذريته من هو ظالم فلا جرم سال ربه التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما فى ذلك الدعاء لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى * قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعنى وابعث فى امة المسلمة اوالذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره * واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته

فوقكم الطور) طور الدماغ للتمكن من فهم المعانى وقبولها وقلنا (خذوا) اى اقبلوا (ماآتيناكم بقوة) من التوراة اوكتاب العقل الفرقانى بجد (واذكروا مافيه لعلكم تتقون) وهو مافيه من الحكم والمعارف والعلوم والشرائع لكى تتقوا الشرك والجهل والفسق (ثم توليتم) اعرضتم (من بعد ذلك) باقبا لكم الى الجهة السفلية (فلولا فضل الله عليكم) بهدايته العقل (ورحمته) بنور البصيرة والشرع (لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) اعلم ان الناس لو اهملوا وتركوا وخلى بينهم وبين طباعهم لتوغلوا وانهمكوا فى اللذات الجسمانية والنواشى الظلمانية لضراوتهم بها واعتياد هم من الطفولية والصباحتى زالت استعداداتهم وانحطوا عن رتبة الانسانية فمسخوا كما قال تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وان حفظوا وروعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والآداب والمواعظ الوعدية والوعيدية ترقوا وتنوروا كما قال الشاعر

بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم باول امرى انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله لمنجدل فى طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح واراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله فى سورة الصف ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد (يتلو عليهم) اى يقرأ عليهم (آياتك) يعنى ماتوحيه اليه وهو القرآن الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذى كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه (ويعلمهم الكتاب) يعنى معانى الكتاب وحقائقه لان المقصود الاعظم تعليم مافى القرآن من دلائل التوحيد والنبوّة والاحكام الشرعية فلماذكر الله تعالى اوّلا أمر التلاوة وهى حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه واسراره (والحكمة) اى ويعلمهم الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل ولايسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هى التى ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة فى القول والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلف المفسرون فى المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيأ آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هى العلم باحكام الله تعالى التى لايدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل وقيل هى معرفة الاحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن والمعنى ويعلمهم ما فى القرآن من الاحكام والحكمة وهى مافيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلة وعظتك أودعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهى حكمة (ويزكيهم) اى ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية اى يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذى لايوجد مثله وقيل هو الذى يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذى لاتناله الايدى * وقيل العزيز القوى والعزة القوة من قولهم ارض عزاز اى صلبة قوية (الحكيم) اى العالم الذى لايخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء وايجادها على غاية الاحكام * قوله عزوجل (ومن يرغب عن ملة ابرهيم الامن سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبدالله بن سلام دعا ابنى اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجران يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب

هى النفس ان تهمل تلازم خساسة * وان تبتعث نحو الفضائل تبهج * فلهذا وضعت العبادات وفرض عليهم تكرارها فى الاوقات المعينة لنزول عنهم بها درن الطباع المتراكم فى اوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة فى ازمنة اتخاذ اللذات وارتكاب الشهوات فتتنور بواطنهم بنور الحضور وتنتعش قلوبهم بالتوجه الى الحق عن السقوط فى هاوية النفس والشرور وتستريح بروح الروح وحب الوحدة عن وحشة الهوى وتعلق الكثرة كما قال عليه السلام الصلاة كفارة مابينها من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر الا ترى كيف امرهم عند الحدث الاكبر ومباشرة الشهوة بتطهير الغسل وعند الاصغر بالوضوء وعند الاشتغال بالاشغال الدنيوية فى ساعات اليوم والليل بالصلوات الخمس المزيلة لكدورات الحواس الخمس الحاصلة فى النفس بسببها كل ما يناسبه فلذلك وضعوا بازاء وحشة تفرقة الاسبوع وظلمة انفرادهم بدؤب الاشغال والمكاسب والملابس البدنية والملاذ النفسانية اجتماع يوم واحد على العبادة

عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركى العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى رغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشئ اذا اراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفنى قال يارب وكيف اعرف نفسى وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء ﴿ ولقد اصطفيناه ﴾ اى اخترناه ﴿ فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾ يعنى الفائزين * وقيل مع الانبياء فى الجنة ﴿ اذ قال له ربه اسلم ﴾ اى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام والتوحيد * قال ابن عباس رضى الله عنهما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم ﴿ قال اسلمت لرب العالمين ﴾ اى قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اى فوضت امرى لرب العالمين قال ابن عباس رضى الله عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القى فى النار * قوله عز وجل ﴿ ووصى بها ابراهيم بنيه ﴾ يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل هى الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة ومدين ومدان ويقشان وزمران وشيق وشوخ وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة * فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم * قلت لان لفظ الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفى ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا اهم الى قبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا ائمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم ﴿ ويعقوب ﴾ اى ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمى يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين فى بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه قال ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد وآشر

والتوجه لتزول وحشة التفرقة بانس الاجتماع وتحصل بينهم المحبة والانس وتزول ظلمة الاشتغال بالامور الدنيوية والاعراض عن الحق بنور العبادة والتوجه ويحصل لهم التنور فوضوع لليهود اوّل ايام الاسابيع لكونهم اهل المبدا والظاهر وللنصارى بعده لانهم اهل المعاد والروحانى والباطن المتأخرين عن المبدا والظاهر بالنسبة الينا وللمسلمين آخرها الذى هو يوم الجمعة لكونهم فى آخر الزمان اهل النبوّة الخاتمة واهل الوحدة الجامعة للكلّ وان جعل السبت آخر الايام على ما نقل انه السابع بالنسبة الى الحق تعالى لانّ عالم الحس الذى اليه دعوة اليهود هو آخر العوالم وعالم العقل الذى اليه دعوة النصارى اوّلها والجمعة هى يوم الجمع والختم فمن لم يراع هذه الاوضاع والمراقبات اصلا زال نور استعداده فمسخ كما مسخت اصحاب السبت نهوا عن الصيد اى احراز الحظوظ النفسانية واقتنائها فى يوم السبت فاحتالوا فيه فاتخذوا حياضا على ساحل البحر

ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين) اى اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) اى مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم فى اى وقت يأتى الموت على الانسان * وقيل فى معنى وانتم مسلمون اى محسنون الظن بالله عزوجل يدل عليه ماروى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه فى الصحيحين * قوله عزوجل (ام كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ماكنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) اى حين احتضر وقرب من الموت نزلت فى اليهود وذلك لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى ام كنتم يامعشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت اى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائى ورسلى الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فانى ما ابتعثت خليل ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ماقال يعقوب لبنيه فقال تعالى (اذ قال) يعنى يعقوب (لبنيه) يعنى لاولاده الاثنى عشر (ماتعبدون) اى اى شئ تعبدون (من بعدى) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرنى حتى اسال ولدى واوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلى ماتعبدون من بعدى (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحق وادخله فى جملة الآباء وان كان عمالهم لان العرب تسمى العم أبا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال فى عمه العباس ردوا على ابى (الها واحدا ونحن له مسلمون) اى مخلصون العبودية (تلك) اشارة الى الامة المذكورة يعنى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم (امة قد خلت) اى مضت لسبيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا عليهم ماليس فيهم (لها ما كسبت) يعنى من العمل (ولكم) يعنى يامعشر اليهود والنصارى (ما كسبتم) اى من العمل (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى كل فريق يسئل عن عمله لا عن غيره * قوله عزوجل (وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت فى رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابى ياسر بن اخطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين فى الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عزوجل (قل) يعنى يامحمد (بل ملة ابراهيم) يعنى اذا كان لابد من الاتباع فتتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله (حنيفا) اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون فى القدم * قال ابن عباس الحنيف المائل من الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر * ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين *

لبسوا فيها الجثمان ويصطادوها يوم الاحد اى ادخروا فى سائر ايام الاسبوع من ماء بحر الهيولى الجرمية والجرمانيات المادية فى حياض بيوتهم بجمعوا بها انواع المطاعم والمشارب والملاذ والملاهى فاجتمع لهم من كل الحظوظ النفسانية فى يوم السبت ما اكتفوا به سائر ايام الاسبوع ليفرغوا فيها الى الاشتغال بالمكاسب والصناعات والمهن كما هو عادة اليهود اليوم وشطار المسلمين فى الجماعات فان اكثر فسقهم فيها فذلك اعتيادهم فى السبت وهو يدل على ان جميع اوقات حضورهم مصروفة فى هموم الدنيا وطلب حظوظ النفس والهوى كما ترى اليوم واحدا من المسلمين قالبه فى المسجد فى الصلاة وقلبه فى السوق فى المعاملة حتى قال احدهم جريدة حسابى هى الصلاة اى اذا فرغت من اشغال الدنيا الى الصلاة اخذ قلبى فى تصفح تجاراتى ومالى على الناس ومالهم للناس على وذلك موجب للانحطاط عن العالم العلوى الانسانى الى الافق السفلى الحيوانى

والعرب تسمى كل من حج او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابرهيم * وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعنى ان الحنيفية هى دين الاسلام وهو دين ابرهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعنى ابرهيم * وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعى اتباع ملة ابرهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعنى قولوا ايها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا آمنا بالله اى صدقنا بالله (وما انزل الينا) يعنى القرآن (وما انزل الى ابراهيم) يعنى وآمنا بما انزل الى ابرهيم وهو عشر صحائف (واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء * وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد * ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب من بنى اسمعيل وكان فى الاسباط انبياء (وما اوتى موسى) يعنى التوراة (وعيسى) يعنى الانجيل (وما اوتى النبيون من ربهم) والمعنى آمنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التى اوتى جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من انبيائه كانوا على هدى وحق (لانفرق بين احد منهم) اى لانؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما برئت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم واقرت ببعض الانبياء وكما برئت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى (ونحن له مسلمون) اى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن ابى هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا الآية * قوله عز وجل (فان آمنوا) يعنى اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) اى بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ وقيل فان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم (فقد اهتدوا) والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما انزل اليهم * وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) اى اعرضوا (فانما هم فى شقاق) اى فى خلاف ومنازعة وقيل فى عداوة ومحاربة وقيل فى ضلال واصله من الشق كأنه صار فى شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيكهم الله) اى يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه * قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله * وقيل سنة الله وقيل

وهو معنى قوله (فقلنا لهم كونوا قردة) اى مشابهين الناس فى الصورة وليسوا منهم (خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) بعيدين طريدين والمسخ بالحقيقة حق غير منكر فى الدنيا والآخرة وردت به الآيات والاحاديث كقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام الممسوخ ثلاثة عشر ثم عدهم وبين اعمالهم ومعاصيهم وموجبات مسخهم والحاصل ان من غلب عليه وصف من اوصاف الحيوانات ورسخ فيه بحيث ازال استعداده وتمكن فى طباعه وصار صورة ذاتية له كالماء الذى منبعه معدن الكبريت مثلا صار طباعه طباع ذلك الحيوان ونفسه نفسه فاتصلت روحه عند المفارقة ببدن يناسب صفته فصارت صفته صورته والله اعلم بذلك (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) هى النفس

اراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم * قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه فى ماء لهم اصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى (ومن احسن من الله صبغة) اى دينا هو وقيل تطهيرا لانه يطهر من ارساخ الكفر (ونحن له عابدون) اى مطيعون (قل) يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم (اتحاجوننا فى الله) اى اتخاصموننا وتجادلوننا فى دين الله الذى امرنا ان ندين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله تعالى المؤمنين ان يقولوا لهم اتحاجوننا فى الله (وهو ربنا وربكم) اى ونحن وانتم فى الله سواء فانه ربنا وربكم (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم) يعنى ان لكل احد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) اى مخلصوا الطاعة والعبادة له * وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك فى دينه ولا يرائى بعمله قال الفضيل ابن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة باية السيف * قوله عز وجل (ام تقولون) يعنى اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا اونصارى) يعنى اتزعمون ان ابرهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه (قل) يا محمد (ءانتم اعلم) يعنى بدينهم (ام الله) اى الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن اظلم ممن كتم) يعنى اخفى (شهادة عنده من الله) وهى علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق بنعته وصفته وجدوا ذلك فى كتبهم وكتموه وجحدوه * والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى من كتمانكم الحق فيما الزمكم به فى كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه فى الاخرة (تلك امة قد خلت) يعنى ابراهيم وبنيه (لها ما كسبت) اى جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) اى جزاء ما كسبتم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى ان كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم اى لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله * وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره لتذكيره به وتاكيده * وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم * قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) اى الجهال من الناس والسفه خفة فى النفس لنقصان العقل فى الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك فى باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح فى امر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك فى امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين * فقيل نزلت هذه الآية فى اليهود وذلك انهم طعنوا فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل

(نزلت)

الحيوانية وذبحها قمع هواها الذى هو حياتها ومنعها عن افعالها الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة (قالوا اتتخذنا هزوا) مهزوا بنا وتستخفنا لنطيعك وتسخر لك كما جاء فى حق فرعون فاستخف قومه فأطاعوه (قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) الاستخفاف والاستهزاء وطلب الترؤس هو فعل الجهال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) اى سل لنا ربك ماهى (قال انه انه يقول انها بقرة لا فارض) اى غير مسنة لزوال استعدادها ورسوخ اعتقادها وضراوتها بعاداتها كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد (ولا بكر) اى فتية لقصور استعدادها عما يراد منها وعسر احتمالها للرياضة لغلبة الهوى الطبيعية وقوتها فيها (عوان) نصفة (بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون) ما ذكر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء) لان لون الجسم اسود لعدم النورية فيه اصلا ولون النفس النباتية اخضر لظهور النورية فيها وغلبة السواد عليها لعدم ادراكها ولون القلب ابيض لتجرده عن

نزلت فى مشركى مكة * وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم * وقيل نزلت فى المنافقين * وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام * وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذلافائدة فى التخصيص ولان الاعداء يبالغون فى الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا اومجالا جالوا (ماولهم) يعنى اى شئ صرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة هى الجهة التى يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلى يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يامحمد (لله المشرق والمغرب) يعنى ان له قطرى المشرق والمغرب ومابينهما ملكا فلايستحق شئ ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شئ واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدى من يشاء) يعنى من عباده (الى صراط مستقيم) يعنى الى جهة الكعبة وهى قبلة ابرهيم عليه السلام * قوله عزوجل (وكذلك جعلناكم امة وسطا) الكاف فى قوله وكذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه * احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله فى حق ابراهيم ولقد اصطفيناه فى الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا * الثانى انه معطوف على قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا * الثالث قيل كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعنى عدولا خيارا وخير الاموراوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم * اذا نزلت احدى الليالى بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان فى امر الدين لا كغلو النصارى فى عيسى ولا كتقصير اليهود فى الدين وهو تحريفهم وتبديلهم * وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ماترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية * وروى ابوسعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الا وان هذه الامة توفى سبعين امة هى آخرها وخيرها واكرمها على الله تعالى * وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعنى يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس اجمعين (ويكون الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعنى عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن ابى سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اى رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون ماجاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته فيجاء

الجسم وقوة ادراكه وكمال نوريته فلزم ان يكون لون النفس الحيوانية فى الحيوانات العجم احمر لتركب نورية ادراكها وسواد تعلقها بالجسم اذ الحمرة لون بين البياض والسواد ومركب منهما لكن السواد فيه اكثر فى الانسان اصفر لقلة نورية ادراكها بمجاورة القلب اذا لصفرة حمرة علاها البياض (فاقع لونها) لصفاء استعدادها وتشعشع شعاع نور الباطن عليها (تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) لقوة نور استعدادها وتشعشعها والناظرون هم الكاملون المطلعون على الاستعدادات لوجوب محبتهم للمستعدين المستبصرين ودوقهم لحضورهم (ان البقر تشابه علينا) لكثرة البقر الموصوف بهذه الصفة اى كثرة اصناف المستعدين وما كل مستعد طالبا كما قيل ما كل طبع طالبا ولا كل قابل طالبا ولا كل طالب صابرا ولا كل صابر واحدا (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى ذبح هذه البقرة وقولهم ان شاء الله دليل على استعدادهم لعلمهم بان الامور متعلقة

بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذى وسطا عدولا * قوله عزوجل (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) اى وما جعلنا صرفك عن القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس وانما حذف ذكرا لصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وماجعلنا القبلة التى كنت عليها منسوخة * وقيل معناه وما جعلنا القبلة التى كنت عليها وهى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قلت مامعنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها * قلت اراد به العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فانه لايتعلق بماهو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب * وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية اى لنرى ونميز من يتبع الرسول فى القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لتعلم رسلى وحزبى واوليائى من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة مافعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره * وقيل انه قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلما لانه تعالى سبق فى علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول اى يطيعه فى امر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) اى يرجع الى ماكان عليه من الكفر فيرتد وفى الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتدقوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) اى وقد كانت (لكبيرة) يعنى تولية القبلة ثقيلة شاقة * وقيل هى التولية من بيت المقدس الى الكعبة * وقيل الكبيرة هى القبلة التى وجه اليه قبل التحويل وهى بيت المقدس وانث الكبيرة لتانيث القبلة * وقيل لتانيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعنى الصادقين فى اتباع الرسول (وماكان الله ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم الى بيت المقدس * وذلك ان حيى بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقدمات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فاشهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قدمات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وماكان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعنى لايضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة * وقيل الرافة الرحمة * وقيل فى الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة فى رحمة خاصة وهى دفع المكروه وازالة الضرواما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لايضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل * قوله عزوجل (قدنرى تقلب وجهك

بمشيئة الله ميسرة بتوفيقه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولم يستثنوا لما ظفروا بها ابدالدهر قال انه يقول انها بقرة (لاذلول) غير مذللة منقادة لامر الشرع (تثير الارض) ارض الاستعداد بالاعمال الصالحة والعبادات (ولا تسقى الحرث) حرث المعارف والحكم التى فيها بالقوة باستسقاء ماء العلوم الكسبية والافكار الثاقبة لعدم احتياج مثل هذه البقرة الى الذبح (مسلمة) سلمها اهلها لترعى غير مسوسة برسوم وعادات وشرائع وآداب (لاشية فيها) اى لم يرسخ فيها اعتقاد ومذهب لعدم صلاحيتها للذبح (قالوا الآن جئت بالحق) الثابت فى بيان المستعد المشتاق الطالب للكمال (فذبحوها وماكادوا يفعلون) لكثرة سؤالاتهم ومبالغاتهم وتعمقهم فى البحث والتفتيش عن حالها وفضول كلامهم فى بيانها التى تدل على عدم انقيادا نفس بالمسرعة واباتها للرياضة وغلبة الفضول عليها وتعذر مطلوبهم وتأخرهم عنه بسبب ذلك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لواعترضوا ادنى

في السماء) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود * وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر اوسبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عزوجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء اي الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة (فلنولينك) اي فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) اي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) اي تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اي نحوه وتلقاءه واراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده اوقال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر اوسبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد قباء وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا * وقيل كان لستة عشر شهرا * وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينا الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة * وقوله تعالى (وحيث ما كنتم) اي من بر او بحر شرق او مغرب (فولوا وجوهكم شطره) اي نحو البيت

بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم اي لولم يكن منهم كثرة فضول البحث والسؤال لما عز عليهم مطلوبهم لقوة قبولهم وارادتهم فكان سلس القياد سهل الانقياد ونهى صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال وقال انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال قال الله تعالى لاتسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وقيل في قصتها ان شيخا من بني اسرائيل نتجت له عجلة على هذه الصفة وكان له ابن طفل فجاء بها الى عجوزة وقال انها لهذا الطفل سلميها في مرعاها عساها تنفعه اذا بلغ فلما وقعت هذه الواقعة وسعى بنو اسرائيل في طلب البقرة اربعين سنة سمعت العجوز بها فأخبرت ابنها بما فعل ابوه وقد ترعرع فجاء الى المرعى فوجدها فأتى بها فساوموه في شرائها ومنعته العجوز عن بيعها حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا فالشيخ هو الروح والعجوز الطبيعة الجسمانية وابنه الطفل هو العقل الذي هو نتيجة الروح والعجوز الطبيعة الجسمانية وابنه الطفل هو العقل الذي هو نتيجة الروح والشاب

وتلقاءه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء في اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي بينهما فقوسها مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى (وان الذين اوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (ليعلمون انه الحق من ربهم) يعني امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعني وما انا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فانا اجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء * قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم على طاعتكم افضل الثواب واجزيكم احسن الجزاء * قوله عز وجل (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (بكل آية) اي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بانهم قالوا ائتنا بآية (ما تبعوا قبلتك) يعني الكعبة (وما انت بتابع قبلتهم) يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وانت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة (ولئن اتبعت اهواءهم) يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) اوفي امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها * قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم ابدا وقيل هو خطاب له خاصة ويكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه * قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه (يعرفونه) اي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم (كما يعرفون ابناءهم) اي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم ابناؤهم من ابناء غيرهم * روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت * وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفتك

المقتول هو القلب سلم شيخ الروح بحمل النفس الى عجوز الطبع ليرعى في مرعى اللذات الطبيعية حتى يكبر عيسى طفل العقل ان ينتفع بها وقت البلوغ في انتزاع المعقولات من محسوساتها واستعمال الفكر الذي هو من قواها في اكتساب العلوم العقلية وهو الذي جاء بها من المرعى وسعي بني اسرائيل اربعين سنة اشارة الى السير الى الله بالاعمال والآداب والتخلق بالاخلاق الى اوان البلوغ الحقيقي وتجرد القلب كما قال الله تعالى بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ومساومتهم اياها في شرائها اشارة الى طلب القوى الروحانية المنورة بنور الهداية الشرعية والارادة وانتزاعها من العقل المشوب بالوهم واستعباد العقل اياها بالمعقولات القياسية وتسخيرها بالفكريات وحجبها عن نور الهداية الشرعية بالقياسات العقلية وعدم تحاميها بالشرعيات وهذا هو الموجب لتشددهم في السؤال وتأخرهم وتباطئهم في الامتثال ومنع العجوز اياها هو ممانعة الطبع في الانقياد للشرع وموافقة العقل اياه في ذلك رعاية العقل جانب

اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون ابناءهم لا يشكون فى ذلك (وان فريقا منهم) اى من علماء اهل الكتاب (ليكتمون الحق) يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل امر القبلة (وهم يعلمون) يعنى ان كتمان الحق معصية * وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه (الحق) اى الذى يكتمونه هو الحق (من ربك فلا تكونن من الممترين) اى من الشاكين فى ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى ان بعضهم عاندوا اكتم الحق فلا تشك فى ذلك * كان قلت النبى صلى الله عليه وسلم لم يعتر ولم يشك فما معنى هذا النهى * قلت هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا انتم ايها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا * قوله عز وجل (ولكل وجهة) اى ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه * وقيل الوجهة الهيئة والحالة فى التوجه الى القبلة * وقيل فى قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المؤمنين اى ولكل اهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها * وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص (هو موليها) اى مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها اى مختارها * وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها اى مصروف اليها (فاستبقوا الخيرات) اى ادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعى فى ان الصلاة فى اول الوقت افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب (اينما تكونوا) يعنى انتم واهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يعنى يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله على كل شئ قدير) اى على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة * قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) اى من اى موضع خرجت فى سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه (وانه) يعنى التوجه اليه (للحق من ربك) اى الحق الذى لا شك فيه فحافظ عليه (وما الله بغافل عما تعملون) اى ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فان قلت هل فى هذا التكرار فائدة * قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهى ان هذه الواقعة اول الوقائع التى ظهر النسخ فيها فى شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء فى قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود فانهم يحاجونك بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم

الطمع فى مصالح المعاش و ترفهه اياه وترخيصه والتوسيع عليه اكثر من الشرع و بيعها بعد مسكها ذهبا اشارة الى محاها بعد الذبح والسلخ بالعلوم النافعة الشرعية والعقلية الخلقية والاحكام الفرعية الدينية واشتمال صورتها عليها التى توافق العقل والطبع وتنفعها باستعمالهما اياها فى تحصيل مصالح المعاش والمباغى الطبيعية والمطالب العقلية العملية باذن الشرع من الوجه الحلال و التصرف المباح وانواع الرخص فى جميع التمتعات بعد حصول الكمال وتمام السلوك (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) اشارة الى بيان سبب الامر بذبح البقرة و هو انه كان شيخ موسر من بنى اسرائيل وله ابن شاب فقتله ابناء اخيه او بنو عمه طمعا فى ميراث ابيه وطرحوه بين اسباط بنى اسرائيل على الطريق فتدافعوا فى قتله فورد الامر بذبح البقرة وضربه ببعضها ليحيا فيخبر بالقاتل فالشاب هو القلب الذى هو ابن الروح الموسر باموال المعارف والحكم وقتله منعه حياته الحقيقية وازالة العشق الحقيقى الذى

وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

اى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل فى معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا فى التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبى الذى نجده فى كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) اى الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق (فلا تخشوهم) اى فلا تخافوهم فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فانى وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشونى) اى احذروا عقابى ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم (ولاتم نعمتى عليكم) اى ولكى اتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (ولعلكم تهتدون) اى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب * قوله عز وجل (كما ارسلنا فيكم) كاف التشبيه تحتاج الى شىء ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتى عليكم كما ارسلنا فيكم * وقيل ان ابراهيم * قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل فى ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين ونعمتى عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى امر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفى ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب (رسولا منكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعنى القرآن وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر (ويزكيكم) اى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (ويعلمكم الكتاب) يعنى احكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعنى السنة والفقه فى الدين (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) يعنى يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكرونى) قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر فى عظمة الله تعالى وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل (اذكركم) اى بالثواب والرضا عنكم * قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى اذكركم بمعونتى وقيل اذكرونى [illegible]

مو حياته عنه باستيلاء شوق لشهوة والغضب اللذين هما ابناء النفس الحيوانية او بالهيج قواها عليه اذ الروح والنفس اخوان باعتبار فيضانهما وولادتهما من اب هو العقل الفعال المسمى روح القدس على قياس ما ورد فى الحديث اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طين آدم فان النفس النباتية الكاملة التى اذا كانت عمة النفس الانسانية عمها قتلاه طمعا فى استعمال المعانى العقلية والحكم التى هى ميراث ابيه فى تحصيل مطالبهما وكمالاتهما ولذاتهما بانواع الحيل والمكر وصناعة الفكر وطرحاه على طرق القوى الروحانية والطبيعية بين محالها وتدافعهم فى قتله هو احالة كل قوة منها الفساد والاثم الى الاخرى والصلاح والبراءة الى نفسها وتنازعها وتجاذبها فى [illegible] لذاتها واحتجاب كل [illegible] عما يلائم الاخرى ورؤيتها الصلاح [illegible] والفساد فى ضده (والله مخرج ما كنتم تكتمون) فى [illegible] القلب وحياته لاستيلاء عليه (فقلنا اضربوه ببعضها) بذبحها [illegible] لسانها على ما ورد فى

[illegible] الملائكة بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان ٭ [illegible] اذكرونى بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكرونى بالقلوب اذكركم بغفر ان الذنوب [illegible] اذكرونى بالسماء (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان اتانى يمشى اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدى بى [illegible] بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا او بالكفاية اذ طلب الكفاية ٭ وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه اذا ذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة ٭ وقوله فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها معان منها ذات الشئ ولله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرنى خاليا ذكرته بالثواب والمجازاة بما لا يطلع عليه احد قوله وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه الملا اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء ٭ واجيب عنه بان الذكر فيما يكون فى جماعة لا نبى فيهم قوله وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلابد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشى والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتانى يمشى فى طاعتى اتيته هرولة اى صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذى كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى (واشكروا لى) يعنى بالطاعة (ولا تكفرون) اى بالمعصية فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره ٭ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره فى ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق فى العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له ٭ وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس [illegible] (ان الله مع الصابرين) اى بالعون والنصر (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات) [illegible] فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين [illegible] المطلب وعمير بن ابى وقاص بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى

القصد ليحيا فيضربكم بالقاتل وضرب الذنب اشارة الى اماتة النفس وتنقية اضعف قواها وآخرها وجهتها التى تلى النفس النباتية ورابطتها بها كالحس اللمسى مثلا وسائر الحواس الظاهرة فانها ذنبها وضرب اللسان اشارة الى تعديل اخلاقها وقواها وتنقية فكرها الذى هو لسانها وهما طريقان طريق الرياضة واماتة الغضب والشهوة كما هو طريق التصوف وهو بالنفوس القوية الجانية المستولية الطاغية اولى وطريق التحصيل وتعديل الاخلاق كما هو سبيل العلماء والحكماء وهو بالنفوس الضعيفة والصافية المنقادة اللينة اولى فضربوه فقام واوداجه تشخب دما واخبر بقاتليه اى صار حيا قائما بالحياة الحقيقية وعليه اثر القتل لتعلقه بالبدن وتلوثه بمطالبه بحسب الضرورة وعرف حال القوى البدنية فى منعها اياه عن ادراكه وحجبها له عن نوره (كذلك يحيى الله الموتى) اى مثل ذلك الاحياء العظيم يحيى

اخو سعد بن ابی وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بنی غبشان وعاقل بن البكير من بنی سعد بن ليث ابن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان ابن بيضاء من بنی الحرث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر ويزيد بن الحرث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهی امهما كان الناس يقولون لمن قتل فی سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلب المرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية واخبران من قتل فی سبيل الله فانه حی بقوله تعالى (بل احياء) وانما احياهم الله عز وجل فی الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم فی قبورهم فی البرزخ وكذا العصاة يعذبون قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احياء وما وجه النهی فی قوله ولا تقولوا لمن يقتل فی سبيل الله اموات قلت معناه لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احياء تصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهداء فی حواصل طير خضر تسرح فی الجنة فهم احياء من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب آخر وهو انهم احياء عند الله تعالى فی عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك قوله تعالى (ولكن لا تشعرون) ای لا ترونهم احياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك باخباری اياكم به فان قلت اليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة فی قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب آخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل فی سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احياء بانهم فی نعيم دائم ❁ قوله عز وجل (ولنبلونكم) ای ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصی لا ليعلم شيأ لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها (بشیء) انما قال بشیء ولم يقل باشياء لئلا يوهم ان اشياء تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقی فلما قال بشیء كان التقدير بشیء من الجوع وقيل معناه بشیء قليل من هذه الاشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعنی خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم فی القلب (والجوع) يعنی القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الاموال) يعنی بالهلاك والخسران (والانفس) ای ونقص من الانفس بالموت او القتل (والثمرات) يعنی الجوائح فی الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة فی الاشجار وحكی عن الشافعی رضی الله عنه فی تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعنی اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعنی بالامراض والثمرات يعنی موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابی موسى الاشعری رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكته اقبضتم ولد عبدی قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال فماذا قال قالوا حمدك

الله موتى الجهل بالحياة الحقيقية العملية (ويريكم اياته لعلكم تعقلون) دلائله وآيات صفاته لكی تعقلون (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) ای بعد تطاول الامد وتراخی مدة الفترة وتتابع التلوينات وتوالی النزعات قست قلوبكم بكثرة مباشرة الامور واللذات البدنية وملابسة الصفات النفسانية (فهی كالحجارة) من عدم تأثرها بالنقش العلمی (او) شیء (اشد قسوة) منها كالحديد مثلا ثم بين ان الحجارة الين منها بان حالها منحصر فی الوجوه الثلاثة المذكورة فافاد ان القلوب اربعة قلب تنور بالنور الالهی منطمسا فيه واستغرق فی البحر العلمی منغمسا فيه فانفجرت منه انهار العلم فمن شرب منها يحيا ابدا كقلوب اهل الله السابقين وهو المشار اليه بقوله تعالى (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) وقلب ارتوى من العلم فحفظ ووعى ما انتفع به الناس كقلوب العلماء الراسخين وهو المشار اليه بقوله (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) وقلب

واسترجع قال ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذى وقال حديث حسن فان قلت
ما الحكمة فى تقديم تعريف هذا الابتلاء فى قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى
بشئ وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين
مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته
والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب
فيكون معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا فى المال وسعة
الرزق من الغنائم فلما اخبر الله انه مبتلى عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب
ومنها ان الانسان فى حال الابتلاء اشد اخلاصا لله منه فى حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع
والابتهال الى الله تعالى ليجيبه مما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعنى عند
نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحانى بما امتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم
بقوله تعالى (الذين اذا اصابتهم مصيبة) اى نائبة وابتلاء (قالوا انا لله) اى عبيدا وملكا (وانا اليه
راجعون) يعنى فى الآخرة (م) عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها
الا اجره الله فى مصيبته واخلف له خيرا منها قيل ما اعطى احد ما اعطيت هذه الامة يعنى الاسترجاع
عند المصيبة ولو اعطيها احد لاعطى يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا على
يوسف وقيل فى قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به
من المصائب (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس اى مغفرة
من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى اى اغفر لهم وارحمهم وانما جمع
الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله
انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة
من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق
المعنى وقيل كررهما للتأكيد اى عليهم رحمة بعد رحمة (واولئك هم المهتدون) يعنى الى الاسترجاع
وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان
ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

﴿فصل﴾ فى ذكر احاديث وردت فى ثواب اهل البلاء واجر الصابرين (خ) عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعنى يبتليه بالمصائب حتى يأجره
على ذلك (ق) عن ابى سعيد وابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب
التعب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن
ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال
المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا يهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام
ويعرف فى العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة الثابتة فى الارض عن انس

خشع وانقاد واستسلم واطاع
كقلوب العباد والزهاد من
المسلمين وهو المشار اليه بقوله
(وان منها لما يهبط من خشية
الله) وادنى احوال حاله
هو الهبوط من خشية الله
اى الانقياد لما امر الله من
الميل الى المركز بالسلاسة
وبقى قلب لم يتأثر قط بالعلم ولم
يتلين بالخوف آبيا للهدى
متكبرا ممتلئا بالهوى متمردا
فلا يوجد من الجواهر
ما يشبهه له ولجيها ما امر
الله به فكيف بالحديد الذى
يلين لما يراد منه قال النبى
عليه السلام مثل ما بعثنى الله
به من الهدى والعلم كمثل
الغيث الكثير اصاب ارضا
فكانت طائفة منها طيبة قبلت
الماء وانبتت الكلاء والعشب
الكثير وكانت منها طائفة
اجاذات امسكت الماء فنفع
الله بها الناس فشربوا وسقوا
وزرعوا واصاب منها
طائفة اخرى انما هى قيعان
لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء
فذلك مثل من فقه فى الدين
فعلم وعلم ومثل من لم يرفع
بذلك رأسا ولم يقبل هدى
الله الذى ارسلت به فبين
عليه السلام القلوب الثلاثة
الاخيرة والاول من
الاربعة هو القلب المحمدى
(وما الله بغافل عما تعملون)

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبد شرا امسك عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن * قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذان اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما للقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما (فمن حج البيت) اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك (او اعتمر) اي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة (فلا جناح عليه) اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم (ان يطوف بهما) اي يدور بهما ويسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الآية واذن في السعي بينهما واخبر انه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى انزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن احمد في ذلك فروي عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه

تهديد للقاسية قلوبهم اي الله مطلع فيهم من نوره ويتركهم في ظلماتهم والآيات التي تتلوها ظاهره وتأويل الاولى (افتطمعون ان يؤمنوا لكم) ان يوحدوا بتوحيد الصفات لاجل هدايتكم (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) يقبلون صفات الله ثم يحرفونها بنسبتها الى انفسهم (ثم يحرفونه من بعدما عقلوه) اي علموا توحيد الصفات وما وجدوه بالعيان (وهم يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا) ان تلك الصفات لله لكن نفوسهم ينتحلونها بالاشراك حالة ذهول العمل عن استيلائها على القلب لعدم كون توحيدهم ملكة ولا بل علما فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم اي ويل لمن بقيت منه بقايا صفات النفس وهو لا يشعر بها او يشعر فيحتال او لا يحتفل بها فيفعل ويقول بنفسه وصفاتها ويدعي انه من عند الله ليكتسب به حظا من حظوظ النفس بل عين ذلك القول والفعل ونسبته الى الله حظ تام لها وذنب لا ذنب اقوى منه ويمكن ان تؤول الآيات الثلاث الاول على الوجه الثاني المبني على التطبيق فيقال افتطمعون

جد وروى عنه انه لاشئ فى تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغى ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه انه لااثم عليه فى فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لايدل على ان السعى بين الصفا والمروة واجب او ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لادلالة فيه خصوصية احدهما فاذالابد من دليل خارج يدل على ان السعى واجب اوغير واجب فحجة الشافعى ومن وافقه فى ان السعى بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ماروى الشافعى بسنده عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتنى بنت ابى تجزاة واسمها حبيبة احدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل ابى حسين ننظر الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعى حتى لاقول انى لارى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وصححه الدارقطنى (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ارأيت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فلا ارى على احد شيأ ان لايطوف بهما فقالت عائشة كلا لوكان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لايطوف بهما انما نزلت هذه الآية فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر فى حديثه الطويل فى صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به فبدا بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعى لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى مناسككم والامر للوجوب ومن القياس ان السعى اشواط شرعت فى بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به فى احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة ومن لايرى وجوب السعى بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لايقال فى الواجبات ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله (ومن تطوع خيرا) فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لااثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلايكون فيه دلالة على نفى الوجوب وعن الثانى وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا لايقتضى ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيأ آخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات فى الدين يعنى فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لايرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم (فان الله شاكر) اى مجاز على الطاعة (عليم) اى بنيته وحقيقة الشاكر فى اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لايوصف بذلك لانه لايلحقه المنافع والمضار فالشاكر فى صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازى على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج

اينها القوى الروحانية ان تؤمن هذه القوى النفسانية لاجل هدايتكم منقادة وقد كان فريق منهم كالوهم والخيال يسمعون كلام الله اى يتلقفون المعانى الواردة من عند الله على القلب ثم يحرفونه بالمحاكاة وكثرة الانتقالات وجعلها جزئية واعطائها احكام الجزئيات كما فى المنامات والواقعات من بعد ما عقلوه اى ادركوه على حاله وهم يعلمون تحريفها وانتقالاتها الى اللوازم والاشباه والاضداد واذا لقوكم بالتوجه نحوكم وتلقن مدركاتكم عند حضوركم ومشايعتها اياكم وعروجها اذعنوا وصدقوا (واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون) فى اوقات الغفلات منع بعضهم بعضا عن القاء ما فتح الله عليهم من مدركاتهم المحسوسة والمخيلة والموهومة ليركبوا منها الحجج ويحاجوهم بها فى الحضرة الروحانية عند ربهم (اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون) عنكم من مدركاتهم (وما يعلنون) فيطلعكم عليها وينصركم عليهم (ومنهم اميون) اى القوى

الطبيعية الغير المدركة والحواس الظاهرة (لايعلمون الكتاب) كتاب المعانى المعقولة (الااماني وانهم الايظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) لذاتهم وشهواتهم وما يتقنون خاتمة عاقبتها ومضرتها في طريق الكمال يظنون نفعها وخيرتها (وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عندالله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله مالاتعلمون) اعتقدوا ان زمان العقاب يساوي زمان مباشرة الذنب ولم يعلموا ان الذنب اذا كان معتقدا فاسدا ثابتا في النفس وهيئة راسخة فيها وصار ملكة كصورة ذاتية لها كان سببا لتخليد العذاب وهو معنى قوله (بلى من كسب سيئة احاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) اى استولت عليه واستوعبت كالسواد المستوعب للثواب

التلطف للعباد مظاهرة في الاحسان اليهم ❁ قوله عزوجل (ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى) نزلت في علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من احكام التي كانت في التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيأ من امر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيأ من امر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن ابي هريرة قال لولا آيتان انزلهما الله في كتابه ماحدثت شيأ ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى وقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية اوفرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا (من بعد مابيناه للناس في الكتاب) يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (اولئك) يعني الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) اى يبعدهم من رحمته واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ماتلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين تابوا) اى ندموا على مافعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام (واصلحوا) يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعني ماكتموا من العلم (فاولئك اتوب عليهم) اى اتجاوز عنهم واقبل توبتهم (وانا التواب) اى المتجاوز عن عبادى الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني الى (الرحيم) يعني بهم بعد اقبالهم علي ❁ قوله عزوجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس اجمعون فان قلت الكافر لايلعن نفسه ولايلعنه اهل دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) اى مقيمين في اللعنة وقيل في النار وانما اضمرت لعظم شأنهم (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) اى لايمهلون ولايؤجلون وقيل لاينظرون ليعتذروا وقيل لاينظر اليهم نظر رحمة

❁فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم❁ قال العلماء لايجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لايعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة احد منهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روى

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه في الصحيح * قوله عز وجل (والهكم اله واحد) سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شيء وقيل واحد في الوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد يعني لا شريك له في الوهيته ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعني انه المولى لجميع النعم واصولها وفروعها فلا شيء سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان صادقا فأنزل الله تعالى (ان في خلق السموات والارض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في آياته والنظر في عجائب مصنوعاته واتقان افعاله ففي ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع في افعالهما التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية انواع * اولها قوله ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية في السماء هي سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات * النوع الثاني قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) اي تعاقبهما في المجيء والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد * النوع الثالث قوله تعالى (والفلك التي تجري في البحر) اي السفن واحده وجمعه سواء وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى * النوع الرابع قوله تعالى (بما ينفع الناس) يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح والآية في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلب من ركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشيء معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب

ولو لم يكن كذلك لما كانت الطاعة ايضا سبب خلود الثواب (واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله و بالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون) عاهدناهم بالتوحيد ومقتضى التوحيد ملاحظة الحضرة الربوبية ومشاهدة تجلياتها في مظاهرها والقيام بحقها على حسب ظهور اوصافها * واول من يظهر عليه صفات الربوبية وآثارها في الظاهر وعالم الشهادة هما الابوان لمكان النسبة والتربية والعطوفية التي هي آثار الموجد الرب الرحيم ثم اله فالاحسان اليهما يجب ان يلي عبادة الله بحسب ظهوره في مظهريهما ثم ذوي القربى لظهور المواصلة والمرحمة الالهية فيهم بالنسبة اليه ثم اليتامى لاختصاص ولايته وحفظه تعالى بهم فوق من عداهم اذ هو ولي من لا ولي له ثم المساكين لتوليته رعايتهم ورزقهم بنفسه بلا واسطة غيره ثم سائر الناس للرحمة العامة بينهم التي هي ظل الرحمانية

السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه * النوع الخامس قوله تعالى (وما انزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قيل اراد بالسماء السحاب سمي سماء لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فاحيا به) اي بالماء (الارض بعد موتها) اي يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيأ ولم يصبها المطر فهي كالميتة والآية في انزال المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان * النوع السادس قوله تعالى (وبث) اي فرق (فيها) اي في الارض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى اصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان * النوع السابع قوله تعالى (وتصريف الرياح) يعني في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكباء وهي الريح التي تأتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصريفها في احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او ضده وقيل البشارة في رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم التي اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والآية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيات العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الارض * النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والارض) اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كأنه يسحب والآية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله وقوله (لآيات) اي فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) اي ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد * قوله عز وجل (ومن الناس) يعني المشركين (من يتخذ من دون الله اندادا) يعني اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام انداد بعضها البعض وليست اندادا لله تعالى وتعالى الله ان يكون له ند او له مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى (يحبونهم) اي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اي جعلته معرضا بان تحبه والمحبة لارادة (كحب الله) اي كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة الله تعالى

فالاحسان المأمور به في الآية على درجاته وتفاضله في مراتبه هو تخصيص العبادة بالله مع مشاهدة صفاته في مظاهرها ورعاية حقوق تجلياتها واحكامها (واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) بهواكم الى مقار النفس وصفاتها وميلكم الى هواها وطباعها وتارككم حياتكم الحقيقية وخواص افعالكم لاجل تحصيل مآربها ولذاتها (ولا تخرجون انفسكم) اي ذواتكم اذ يعبر بالنفس عن الذات (من دياركم) اي مقاركم الروحانية والروضات القدسية (ثم اقررتم) بقولكم لذلك (وانتم تشهدون) عليه باستعداداتكم الاولية وعقولكم الفطرية (ثم انتم هؤلاء) الساقطون عن الفطرة المحجوبون عن نور الاستعداد الاصلي (تقتلون انفسكم) بغوايتكم ومتابعتكم الهوى (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اوطانهم القديمة الاصلية باغوائهم واضلالهم وتحريضهم على ارتكاب المعاصي واتباع الهوى (تظاهرون عليهم) تعاونون عليهم (بالاثم) بارتكاب

لكن جعلوا الاصنام شركاء له فى الحب (والذين آمنوا اشد حبا لله) اى اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم راوا آخر احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثانى وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم فى الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى فى السراء ولا فى الضراء ولا فى الشدة ولا فى الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسيأتى بسط الكلام فى معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى اشركوا فى شدة العذاب لرايت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم فى النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم (اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا) معناه لو راى الذين كانوا يشركون فى الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة له جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود (وان الله شديد العذاب) قوله عز وجل (اذ تبرأ) اى تنزه وتباعد (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب) اى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول (وتقطعت بهم الاسباب) يعنى الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التى كانت بينهم يعملونها فى الدنيا وقيل العهود والحلف التى كانت بينهم يتوادون عليها واصل السبب فى اللغة الحبل الذى يصعد به النخل وسمى كل ما يتوصل به الى شئ من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذى يصعد به (وقال الذين اتبعوا) يعنى الاتباع (لو ان لنا كرة) اى رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) اى من المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) اى كما اراهم العذاب يريهم الله (اعمالهم حسرات عليهم) لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذى حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيآت التى عملوها وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم فى الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) * قوله عز وجل (يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا) نزلت فى ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذى احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذى هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان

الفواحش والمعاصى ليروكم فيتبعوكم فيها (والعدوان) والاستطالة على الناس ليتعدى اليهم ظلمكم والزامكم اياهم رذائل القوتين البهيمية والسبعية وتحريضكم لهم عليها وتزيينكم لهم اياها كما هو عادة ملاحدة المسلمين من اهل الاباحة المدعين للتوحيد (وان يأتوكم اسارى) فى قيد تبعات ارتكبوها وشين افعالهم القبيحة اخذتكم الندامة وعيرتهم عقولهم وعقول ابناء جنسهم بما لحقهم من العار والشنار (تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم) بكلمات الحكمية والموعظة الصحيحة الدالة على ان اللذات المستعلية هى المنافية والروحية وعاقبة اتباع الهوى والنفس والشيطان وخيمة ومشاركة البهائم والهوام فى افعالها مذمومة رديئة فيتيقظوا بها ويتخلصوا من قيد الهوى سويعة كما نشاهد من حال علوج مدعى التوحيد والمعرفة والحكمة واتباعهم فى زماننا هذا (افتؤمنون ببعض الكتاب) اى كتاب العقل والشرع قولا واقرارا فتقرون به وتصدقونه وهو

قيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى (انه لكم عدو مبين) اى ظاهر العداوة وقد اظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته ماهي فقال تعالى (انما يأمركم بالسوء) يعني بالاثم والسوء مايسوء صاحبه ويحزنه (والفحشاء) يعني بها المعاصي وماقبح من قول او فعل قال ابن عباس السوء مالاحد فيه والفحشاء مايجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) يعني من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالمعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما اقدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان ❊ قوله عز وجل (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا اوهم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم (قالوا بل نتبع ما الفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (اولو كان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لايعقلون شيأ) يعني لايعلمون شيأ من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر دنيا (ولايهتدون) اى الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) النعيق صوت الراعي بالغنم ولايقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لاتسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولاتفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لاينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لاتفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لاتفقه ولاتعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لاينتفع من نعيقه بشيء غير انه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمي) لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لايسمع يقال لمن يسمع ولايعقل كانه اصم بكم اى

ان اتباع الهوى والنفس مذموم موجب للوبال والهلاك والخسران (وتكفرون ببعض) فعلا وعلما فلاتنتهون عما نهاكم عنه وهو اباحتهم واستحلالهم للمحرمات والمنهيات (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزي) افتضاح وذلة (في الحيوة الدنيا ويوم القيامة) اى حال المفارقة التي هي القيامة الصغرى (يردون الى اشد العذاب) الذي هو تعذيبهم بالهيئات المظلمة الراسخة في نفوسهم واحتراقهم بنيرانها او مسخهم عن صورهم بالكلية وتضاعف البلية (وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) عن اعمالكم احصاها وضبطها في انفسكم وكتبها عليكم كما قال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم

عن النطق بالحق عمى اى عن طريق الهدى (فهم لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) قيل ان الامر فى قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من الطعام فاباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا لله) يعنى على نعمه (ان كنتم اياه تعبدون) اى اشكروا لله الذى رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها قوله عز وجل (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) لما امرنا الله تعالى فى الآية التى تقدمت باكل الطيبات التى هى الحلالات بين فى هذه الآية انواعا من المحرمات اما الميتة فكل مافارقه روحه من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجارى وكانت العرب تجعل الدم فى المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل (وما اهل به لغير الله) يعنى وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعنى الى اكل الميتة واحوج اليها (غير باغ) اصل البغى الفساد (ولا عاد) اصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد (فلا اثم عليه) اى فاكل فلا اثم عليه اى فلا حرج فى اكلها (ان الله غفور) اى لما اكله فى حال الضرورة (رحيم) يعنى حيث رخص لعباده فى ذلك

﴿ فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل ﴾ (الاولى فى حكم الميتة) اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم قال الترمذى فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روى عن ابن ابى اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اوستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه اخرجاه فى الصحيحين واختلف فى السمك الميت الطافى على الماء فقال مالك والشافعى لا بأس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حى انه مكروه وروى عن على بن ابى طالب انه قال ماطفا من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى عن ابى بكر الصديق وابى ايوب اباحته واختلف فى الجراد فقال الشافعى وابو حنيفة لا بأس باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته ميتا وروى مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا ذكى ذكاة مثله بان يقطع رأسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل ﴿ المسئلة الثانية فى حكم الدم ﴾ اتفق العلماء على ان الدم

الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما

حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد واما الدمان فالطحال والكبد اخرجه ابن ماجه واحمد بن حنبل قال احمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف ابو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي روى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الوقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم ﴿المسئلة الثالثة في الخنزير﴾ اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره ﴿المسئلة الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله﴾ من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون ﴿المسئلة الخامسة في حكم المضطر﴾ المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيأ البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا تخلو ان كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان احدهما انه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك ﴿المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد﴾ قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اي معتد يعني العاصي بسفره بان يخرج لقطع الطريق او ابق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره ان يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ اي غير طالب

هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) ظاهر ومعلوم مما مر والظاهر ان جبرائيل هو العقل الفعال وميكائيل هو روح الفلك السادس وعقله المفيض للنفس النباتية الكلية الموكلة بارزاق العباد واسرافيل هو روح الفلك الرابع وعقله المفيض للنفس الحيوانية الكلية الموكلة بالحيوانات وعزرائيل هو روح الفلك السابع الموكل بالارواح الانسانية كلها يقبضها بنفسه او بالوسايط التي هي اعوانه ويسلمها الى الله تعالى (واتبعوا) اي اتبع اليهود والقوى الروحانية (ما تتلو الشياطين) شياطين

الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اى غير متعد ماحد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها * قوله عزوجل (ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب) نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن محالها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معانى ما انزل الله من الكتاب (ويشترون به) اى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) اى عوضا يسيرا وهى المآكل التى كانوا يأخذونها من سفلتهم (اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) يعنى مايؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضى بهم ذلك الى النار فكانهم اكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) اى كلام رحمة مايسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل اراد به الغضب يقال فلان لايكلم فلانا اذا غضب عليه (ولا يزكيهم) اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب اليم) اى وجيع يصل المه الى قلوبهم (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان فى اظهاره الهدى والمغفرة وفى كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما اصبرهم على النار) اى ما الذى صبرهم واى شئ جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على مايوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار (ذلك بان الله نزل الكتاب) يعنى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله انزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) يعنى اختلفوا فى معانيه وتأويله فحرفوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفى شقاق) اى خلاف ومنازعة (بعيد) يعنى عن الحق * قوله عزوجل (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلى قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر فى ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه فى هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان فى ابتداء الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس

الانس الذين هم المتمردة العصاة الاشرار الاقويا وشياطين الجن وهم الاوهام والخيالات والمتخيلات المحجوبة عن نور الروح العاصية لامر العقل المتمردة عن طاعة القلب (على) عهد (ملك سليمان) النبى او سليمان الروح من كتب السحر وعلومه يزعمون انه علم سليمان وبه استولى على الملك وسخر ماسخر من الجن والانس والطير وعلم الحيل والشعبذة والموهومات والمتخيلات والسفسطة (وما كفر سليمان) باسناد التأثير الى غير الله اذ السحر كفر واحتجاب عن مؤثرية الله باسناد التأثير الى غيره (ولكن الشياطين كفروا) احتجبوا ولم يعلموا ان لا مؤثر الا الله (يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين) اى العقل النظرى والعلمى المائلين الى النفس المنكوسين من بئر الطبيعة لتوجههما اليها بانجذاب النفس اياهما اليها (ببابل هاروت وماروت) الصدر المعذبين بضيق المكان بين ابخرة المواد وادخنة نيران الشهوات من العلوم والاعمال من باب الحيل والنيرنجات والطلسمات على التأويلين (وما يعلمان من احد حتى

البر ان تولوا وجوهكم اى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك (ولكن البر)
يعنى ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب
والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر فقال تعالى (من آمن بالله) اى ولكن البر من آمن
بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوى من الله (واليوم الآخر) وانما ذكر الايمان باليوم
الآخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) اى ومن البر الايمان
بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قيل اراد به القرآن وقيل
جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعنى اجمع وانما خص الايمان بهذه
الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها (وآتى
المال على حبه) يعنى من اعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على
هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يارسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل
الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا
بلغت الحلقوم يعنى الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له
وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير فى حبه راجع الى الله تعالى اى وآتى
المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوى القربى) يعنى اهل قرابة المعطى وانما قدمهم
لانهم احق بالاعطاء * عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على
المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائى (ق) ان ميمونة
رضى الله عنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور
عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله انى اعتقت وليدتى قال او قد فعلت قالت نعم قال اما انك لو
اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم هو الذى لا اب له مع
الصغر وقيل يقطع على الصغير والبالغ اى وآتى الفقراء من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين
سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له (وابن السبيل) يعنى المسافر المنقطع
عن اهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل
اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين)
يعنى الطالبين المستطعمين عن على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل
حق ولو جاء على فرس اخرجه ابو داود عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس اخرجه مالك فى الموطا عن ام بجيد قالت قلت يارسول الله
ان المسكين ليقوم على بابى فلم اجد شيئا اعطيه اياه قال ان لم تجدى الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده
اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد
الحرمان وانما اراد به ردوه بشئ تعطونه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا
مبالغة فى قلة ما يعطى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء
الاسارى (واقام الصلاة) يعنى المفروضة فى اوقاتها (وآتى الزكوة) يعنى الواجبة (والموفون

يقولا انما نحن فتنة) امتحان
وبلاء من الله لقوة النورية
وهيئة الملكوتية فيهما فينبهان
على حالهما بالنور العقلى (فلا
تكفر) باستعمال هذا العرفان
المفاسد والمناهى واسناد
التأثير اليه (فيتعلمون منهما
ما يفرقون به بين المرء
وزوجه) القلب والنفس
وبين الروح والنفس وتكدير
القلب (وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله) اى اذا
اراد الله ان يضره عند ذلك
الفعل فيفعل ما يريد ويكون
زيادة ابتلاء الساحر وامهالا له
فى كفره واحتجابه لرؤيته
ذلك من تأثير سحره
(ويتعلمون ما يضرهم)
زيادة الاحتجاب وشدة الميل
والهوى (ولا ينفعهم) فى
رفع الحجاب برؤيتهم ذلك
ابتلاء من الله واستغناء ذاتهم
بالله ليقيهم من شره (ولقد
علموا لمن اشتراه ماله فى
الآخرة من خلاق ولبئس
ماشروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون) اى نصيب لاقباله
على النفس والهوى بالكلية
واستعمال ذلك فى اكتساب
حطام الدنيا وتمتعاتها (ولو
انهم آمنوا) برؤية الافعال
من الله (واتقوا) الشرك
بنسبة التأثير الى غيره (لمثوبة)
دائمة ثابتة (من عند الله) من

بعهدهم) يعنى ما اخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد واداء الامانات (اذا عاهدوا) يعنى اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا حلفوا بروا فى ايمانهم واذا قالوا صدقوا فى اقوالهم واذا ائتمنوا ادوا (والصابرين فى البأساء) اى فى الشدة والفقر والفاقة (والضراء) يعنى المرض والزمانة (وحين البأس) يعنى القتال والحرب فى سبيل الله وسمى الحرب باساً لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس اى اشتد الحرب ونتقى به اى نجعله وقاية لنا من العدو (اولئك الذين صدقوا) اى اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم (واولئك هم المتقون) ۞ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) نزلت فى حيين من احياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وامره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط لا العفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم اى فرض عليكم القصاص فى القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة فى القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا اوخنقه او شدخ راسه بحجر فات فيقتل القاتل بمثل الذى قتل به وهو قول مالك والشافعى واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابى حنيفة والرواية الثانية عن احمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) ومعناه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين او الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعى واحمد ويدل عليه ماروى البخارى فى صحيحه عن ابى جحيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبى صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن قال لا والذى فلق الحبة وبرا النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن ومافى هذه الصحيفة قلت ومافى هذه الصحيفة قال العقل وفك الاسير وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد اخرج مسلم عن على نحو هذا من غير رواية ابى جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء

الانوار او لرحية والمواهب الفتوحية والاحوال القلبية والمعارف الالهية (خير لو كانوا يعلمون يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية) بابطال حكمها وابقاء لفظها (او ننسها) ونذهب بها من قلبك بازالة لفظها ومعناها او لفظها دون معناها كآية الرجيم (نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شئ قدير) اى بما هو اصلح فى بابه منها فى نفعها او يساويها فى الخير والصلاح واعلم ان الاحكام المثبتة فى اللوح المحفوظ اما مخصوصة واما عامة والمخصوصة اما ان تختص بحسب الاشخاص واما ان تختص بحسب الازمنة فاذا نزلت بقلب الرسول فالتى تختص بالاشخاص تبقى ببقاء الاشخاص والتى تختص بالازمنة تنسخ وتزال بانقراض تلك الازمنة قصيرة كانت كمنسوخات القرآن اوطويلة كاحكام

القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتقام الحدود فى المساجد ولايقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذى وذهب اصحاب الراى الى ان المسلم يقتل بالذمى والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعى ومن وافقه ويقولون هى مفسرة لما ابهم فى قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بنى اسرائيل فى التوراة وهذه الاية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراى الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ماروى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه اهل صنعاء لقتلتهم به قال البخارى وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك فى الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة اوسبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالا عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم مايراد به وقوله لو تمالا اى تعاونوا واجتمعوا عليه ❁ وقوله تعالى (فمن عفى له من اخيه شئ) اى ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص فى قتل العمد ورضى بالدية او العفو عنها اوقبول الدية فى قتل العمد من اخيه اى من دم اخيه واراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه ولى الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفى قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيا من الدم قد بطل (فاتباع بالمعروف) اى فليتبع الولى القاتل بالمعروف فلاياخذ اكثر من حقه ولايعنفه (واداء اليه باحسان) اى على القاتل اداء الدية الى ولى الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيماله وعليه وقيل فى تقدير الآية واذا عفا ولى الدم عن شئ يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ماوجب عليه من الدية الى ولى الدم باحسان من غير مطل ولامدافعة وفى الآية دليل على ان القاتل لايصير كافرا وان الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ماوجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثانى انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولى الدم بقوله فمن عفى له من اخيه شئ واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لايليق الا عن المؤمن لا عن الكافر ❁ وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعنى الذى ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى فى حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما فى التوراة وكان فى شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجانى بعد العفو اوقبول الدية (فله عذاب اليم) وهو ان يقتل قصاصا ولاتقبل منه دية ولايعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة ❁ قوله عز وجل (ولكم فى القصاص حياة) اى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه

الشرائع المتقدمة ولاينافى ذلك ثبوتها فى اللوح اذ كانت فيه كذلك والعامة تبقى مابقى الدهر كتكلم الانسان واستواء قامته مثلا (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالكم من دون الله من ولى ولانصير) اى له ملك سموات عالم الارواح وارض الاجساد وهو المتصرف فيهما بيد قدرته بل كله ظاهره وباطنه فلم يبق شئ غيره ينصركم ويليكم (ام تريدون ان تسالوا رسولكم) من قبل اللذات الدنيئة الحسية والشهوات الخسيسة النفسية (كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان) الظلمة بالنور (فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شئ قدير واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير) الطريق المستقيم (وقالوا لن يدخل الجنة الامن كان هودا او نصارى) اى قالت اليهود لن يدخل الجنة

اذاقتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب الحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذى هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل فى معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه فى الدنيا لم يقتص منه فى الآخرة وفى ذلك حياته واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة (يا اولى الالباب) اى يا ذوى العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعنى لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص ❊قوله عز وجل (كتب) اى فرض وواجب (عليكم اذا حضر احدكم الموت) اى قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه فى ذلك الوقت يعجز عن الايصاء (ان ترك خيرا) يعنى مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهرى فتجب الوصية فى الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا فى مقدار الكثير الذى تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال وروى ان رجلا قال لعائشة انى اريد ان اوصى فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شئ يسير فاتركه لعيالك (الوصية) اى الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هى القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (للوالدين والاقربين) كانت الوصية فى ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث وبما روى عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه النسائى وللترمذى نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق من يرث وبقى وجوبها فى حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب فى حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذى لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض احكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الكافة وهى مستحبة فى حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد ان يوصى به ان يبيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتى مكتوبة عندى اخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ

المعهودة عندهم جنة الظاهر وعالم الملك التى هى جنة الافعال وجنة النفس الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة المعهودة عندهم اى جنة الباطن وعالم الملكوت التى هى جنة الصفات وجنة القلب الا من كان نصرانيا ولهذا قال عيسى عليه السلام فى دعوتهم الى جنتهم لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين وكانت دعوته الى السماء اى السماء الروحانية (تلك امانيهم) اى غاية مطالبهم التى وقفوا على حدها واحتجبوا بها عما فوقها (قل هاتوا برهانكم) اى دليلكم الدال على نفى دخول غيركم جنتكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم بل الدليل دل على نقيض مدعاكم فان من (بلى اسلم وجهه) اى ذاته الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها (لله) بالتوحيد الذاتى عند المحو الكلى والفناء فى ذات الله (وهو محسن) اى مستقيم فى احواله بالبقاء بعد الفناء مشاهد ربه فى اعماله راجع من الشهود الذاتى الى مقام الاحسان الصفاتى الذى هو المشاهدة بالوجود الحقانى لمكان الاستقامة والعبادة

الحق يشمل معناه على الوجوب والندب والحث فحمل هنا على الحث فى الوصية لانه لايدرى متى يأتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) اى بالعدل الذى لاوكس فيه ولاشطط فلايزيد على الثلث ولايوصى للغنى ويدع الفقير (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتدبى فقلت يارسول الله انى قدبلغ بى من الوجع ماترى وانا ذو مال ولايرثنى الا ابنة لى افاتصدق بثلثى مالى قال لاقلت فالشطر يارسول الله قال لاقلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير او قال والثلث كبير انك ان تذر ذريتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كانه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال فى الوصية لوان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال على بن ابى طالب لان اوصى بالخمس احب الى من اوصى بالربع ولان اوصى بالربع احب الى من ان اوصى بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس اوبالخمس اوالربع (حقا) اى ثابتا ثبوت ندب لاثبوت فرض ووجوب (على المتقين) اى على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) اى غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اماق الكتابة اوفى قسمة الحقوق اوالشهود بان يكتموا الشهادة اويغيروها وانما ذكر الكناية فى بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اى وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت اوما اوصى به (بعدما سمعه) اى من الموصى وتحققه (فانما اثمه على الذين يبدلونه) اى انه اثم ذلك التبديل لايعود الا على المبدل والموصى والموصى له بريئان منه (ان الله سميع) يعنى لما اوصى به الموصى (عليم) يعنى بتبديل المبدل (فمن خاف) اى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعنى جورا فى الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل (اواثما) اى ظلما (فأصلح بينهم) وقيل الجنف الخطأ فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصى فرآه يميل فى وصية اما بتقصير اواسراف اووضع الوصية فى غير موضعها فلاحرج عليه ان يأمره بالعدل فى وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه اراد به اذا اخطا الميت فى وصيته اوخاف متعمدا فلاحرج على وليه اووصيه اوولى امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلا اثم عليه) اى فلاحرج عليه فى الصلح (ان الله غفور رحيم) اى لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمراة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابوهريرة من بعد وصية يوصى بها اودين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابوداود والترمذى قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية ان لا تمضى اوينقص بعضها اويوصى لغير اهلها اويحيف فى الوصية ونحو ذلك ※ قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا كتب) اى فرض (عليكم الصيام) والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب

لابالوجود النفسانى (فله اجره عند ربه) اى ماذكرتم من الجنة واصنى والاختصاصها بمقام العندية اى المشاهدة التى احتجبتم عنها (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) اى وزيادة على مالكم من الجنة وهو عدم خوفهم من احتجاب الذات وبقاء النفس اللازم لوجود بقيتهم وعدم حزنهم على ما فاتهم بسبب الوقوف بحجاب جنة الافعال والصفات والتلذذ بها والاستراحة فيها والاستدامة اليها من شهود جمال الذات فانهم وان تركوها بالشوق الى تجلى الذات فانها حاصلة لهم وادنى مقامهم تحت جنة الذات (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) لاحتجابهم بدينهم عن دينهم وكذا قالت النصارى لاحتجابهم بالباطن عن الظاهر كما احتجب اليهود بالظاهر عن الباطن على ماهو حال اهل المذاهب اليوم فى الاسلام (وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم) وفيه ما يرشدهم الى رفع الحجاب ورؤية حق كل دين ومذهب وليس اهل ذلك الدين

والجماع فى وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية (كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة اى فى الزمن الاول ما اخلى الله امة لم يفرض عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم فى اسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه ان يزيد فى صومهم اسبوعا فبرأ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة ايام اتموه خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم فى صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم (اياما معدودات) اى مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انها اكثر من ذلك لكنها غير محصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت فى السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا او على سفر) اى فافطر (ف) عليه (عدة من ايام اخر) يعنى غير ايام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) اى يطيقونه الصوم واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا فى ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التى بعدها فنسختها وفى رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هى خاصة فى حق الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ولكن

والمذهب حقهم باطل لتقيدهم بمعتقدهم فما الفرق بينهم وبين الذين لا علم لهم ولا كتاب كالمشركين فانهم يقولون مثل قولهم بل هم اعذر اذ ليس عليهم الا حجة العقل وهم بحجة العقل والشرع (فالله يحكم بينهم) بالحق فى اختلافاتهم (يوم) قيام (القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) الكبرى وظهور الوحدة عند خروج المهدى عليه السلام وفى الحديث ما معناه ان الله يتجلى لعباده فى صورة معتقداتهم فيعرفونه ثم يتحول عن صورته الى صورة اخرى فينكرونه وحينئذ يكونون كلهم ضالين محجوبين الا ما شاء الله وهو الموحد الذى لم يتقيد بصورة معتقده (ومن اظلم) اى انقص حقا واخس حظا (ممن منع مساجد الله) اى مواضع سجود الله التى هى القلوب التى يعرف فيها فيسجد بالفناء الذاتى (ان يذكر فيها اسمه) الخاص الذى هو الاسم الاعظم اذ لا يتجلى بهذا الاسم الا فى القلب وهو التجلى بالذات مع جميع الصفات او اسمه المخصوص بكل واحد منها اى الكمال اللائق باستعداده المقتضى له (وسعى فى خرابها) بتكديرها

يشق عليه رخص له ان يفطر ويفتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا فى المريض الذى يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر الذى يبذله الانسان يقى به نفسه من تقصير وقع منه فى عبادة ونحوها ويجب على من افطر فى رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خير له) يعنى زاد على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فاطعم صاعا وعليه مد فهو خير له (وان تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى (ان كنتم تعلمون) يعنى ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما فى الصوم من المعانى المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين فى افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا فطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثانى الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعى وذهب اهل الراى الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذى لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء * قوله عز وجل (شهر رمضان) يعنى وقت صيامكم شهر رمضان سمى الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا ظهر شهر وسمى الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمى الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهى الحجارة الحارة فى الشمس وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذى انزل فيه القرآن) لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن الشافعى انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمى قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله

بالتعصبات الباردة وغلبة واستيلاء التمنيات عليها ومنع اهلها المسعدين عنها بالهرج والمرج وتهييج الفتن اللازمة لتجاذب قوى النفس ودواعى الشيطان والوهم (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) ويصلوا اليها أى منكسرين لظهور تجلى الحق فيها (لهم فى الدنيا خزى) اى افتضاح وذلة بظهور بطلان دينهم ومعتقدهم وفضحه بدين الحق وانقهارهم وتحسرهم ومغلوبيتهم (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو الاحتجاب عن الحق بدينهم (ولله المشرق) اى عالم النور والظهور الذى هو جهة النصارى وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه (والمغرب) اى عالم الظلمة والاختفاء الذى هو جهة اليهود وقبلتهم بالحقيقة هو ظاهره (فاينما تولوا) اى اى جهة توجهوا من الظاهر والباطن (فثم وجه الله) اى ذات الله المتجلية بجميع صفاته او ولله الاشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلى لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم والغروب فيها بتستره واحتجابه بصورها وذواتها واختفائه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء فاى

فلااقسم بمواقع النجوم وروى ابوداود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انزلت صحف ابراهيم فى ثلاث ليال مضين من رمضان وفى رواية فى اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى فى ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى فى ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود فى ثمان عشر ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فى الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وابى سليمان الدمشقى وقيل فى معنى الآية شهر رمضان الذى نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية فى الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض روى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل (هدى للناس) يعنى من الضلال (وبينات من الهدى والفرقان) فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال مامعنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لايكون كذلك فكانه قال هو هدى فى نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى فى نفسه فكانه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هى الدلالات الواضحات التى تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل * قوله عز وجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) اى فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهى رؤية الهلال ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخرجاه فى الصحيحين ولاخلاف انه يصوم رمضان من راى الهلال ومن اخبر به واختلف العلماء فى وجه الخبر عنه فمنهم من قال يجزئ فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة فى سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجرى آخره مجرى الشهادة فلايقبل فى آخره اقل من اثنين قاله الشافعى وهذا للاحتياط فى امر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) انما كرره لان الله تعالى ذكر فى الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

﴿فصل فى حكم الآية﴾ وفيه مسائل ﴿الاولى﴾ اختلفوا فى المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اى مرض كان وهو مايطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثانى وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذى لو صام لوقع فى مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى الى ضرر فى النفس او زيادة علة غير محتمله كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض مايؤثر فى تقويته قال الشافعى اذا اجهده الصوم افطر والا فهو كالصحيح ﴿المسئلة الثانية﴾ الفطر فى السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لايجوز الصوم فى السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام

جنة تتوجهوا حينئذ فثم وجهه لم يكن شئ الا اياه وحده (ان الله واسع) جميع الوجود شامل لجميع الجهات والوجودات (عليم) بكل العلوم والمعلومات (وقالوا اتخذ الله ولدا) اى اوجد موجودا مستقلا بذاته مخصوصا دونه (سبحانه) تنزهه عن ان يكون غيره شئ فضلا عما يجانسه (بل له ما فى السموات والارض) اى له عالم الارواح والاجساد وهى باطنه وظاهره كما تقول له الذات والوجه والصفات وامثال ذلك (كل له قانتون) موجودون بوجوده فاعلون بفعله معدومون بذواتهم وهو غاية الطاعة والقيام بحقه اذ هو الوجود المطلق فلا يوجد بدونه شئ والوجودات المعينة صفاته واسماؤه لامتيازها بتعيناتها التى هى امور امكانية عدمية ليست عينه بالاعتبار العقلى الذى يقسمها الى الوجود والماهية التى هى بدون الوجود ليست شيئا فى الخارج لكن فى العقل والعقليات باطنه فهى فى الحقيقة ليست غيره فلا يكون غيره موجودا حتى يكون ولدا اى معلولا او

فى السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم فى السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ماروى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ماهذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام فى السفر اخرجه البخارى ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر فى السفر ماروى عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم اخرجاه فى الصحيحين ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلف العلماء فى قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهرى اى سفر كان ولو كان فرسخا وقال الاوزاعى السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعى واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشأ السفر فى اثنائه جازله ان يفطر حالة السفر ويجوزله ان يصوم فى بعض السفر وان يفطر فى بعضه ان احب يدل عليه ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة ﴿ المسئلة الخامسة ﴾ اختلفوا فى الافضل فذهب الشافعى الى ان الصوم افضل من الفطر فى السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر افضل من الصوم فى السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴿ المسئلة السادسة ﴾ يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصى بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخى فى القضاء ويدل عليه ايضا ماروى عن عائشة قالت كان يكون على الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضى الا فى شعبان ذلك من الشغل بالنبى صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين (يريد الله بكم اليسر) اى التسهيل فى هذه العبادة وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض (ولا يريد بكم العسر) اى فدنفى عنكم الحرج فى امر الدين قيل ماخير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى (ولتكملوا العدة) اى عدد الايام التى افطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل اراد عدد ايام الشهر (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفى رواية فاكملوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله) فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعى واحب اظهار التكبير فى العيدين وبه قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر فى عيد الفطر ويكبر فى عيد الاضحى حجة الشافعى ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ماهداكم الى آخر هذه العبادة القول الثانى فى معنى قوله ولتكبروا الله اى ولتعظموا الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة (على ماهداكم) اى ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم (ولعلكم تشكرون) الله على نعمه

(فصل)

مخلوقا او ما شئت فسمه (بديع السموات والارض) اى مبدع سمواته وارضه غير مسبوقة بمادة ومدة بل هى ظلال ذاته ومنشأ عالميته منورة باسمه النورانى موجودة بوجوده الخارجى ولو لم يكن جهات الامكان واعتبارات العقل بحسب اليقينيات لما اعتبرت وجوداتها اصلا اذ هى بلا هو غير شئ فلاتكون معه موجودة بالمقارنة بل بالتحقيق بوجوده ولاتكون غيره بالمفارقة بل بالاعتبار العقلى فهى باعتبار تعيناتها خلق وباعتبار حقيقتها حق (واذا قضى امرا) اى حكم به (فانما يقول له كن فيكون) اى فلا يكون الا تعلق ارادته به فيوجد بلا تخلل زمان ولا توسط شئ بل معا وذلك التعلق هو قوله والا لم يكن ثم قول ولا صوت (وقال الذين لا يعلمون) علم التوحيد من المشركين (لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) فى الجهل بعلم التوحيد وبكلام الله وآياته اذ العلم بهما فرع علم التوحيد (قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) دلائل

﴿فصل فى فضل شهر رمضان وفضل صيامه﴾ ق عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اى
شدت بالاغلال (ق) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اى طلبا
لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة
وهو ان يصوم على التصديق به والرغبة فى ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة (ق) عن ابى هريرة
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى للصائم فرحتان فرحة
عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك زاد فى رواية
والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه احد او قاتله فليقل
انى صائم قوله كل عمل ابن آدم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد
وانما خص الصوم بقوله تعالى وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزى عليها لان الصوم
لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع
عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما اتولى جزاءه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله
وللصائم فرحتان فرحة عند فطره اى بالطعام لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل
فرحة بما وفقه له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى
من جزيل ثوابه وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام
ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا يمتنع من المواظبة
على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم ابلغ عند الله فى القبول من ريح المسك عند
احدكم قوله الصيام جنة اى حصن من المعاصى لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصى قوله
فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب
الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة
بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال اين الصائمون فيقومون لا يدخل منه
احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلا يدخل منه احد وفى رواية ان فى الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان
لا يدخله الا الصائمون عن ابى امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى
بامر ينفعنى الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفى رواية اى العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه
لا عدل له اخرجه النسائى * قوله عز وجل (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) قال ابن عباس
قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وان غلظ
كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوه فى اى ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا اين ربنا
فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله
اما السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السؤال عن صفاته تعالى
فهو ان يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا واما السؤال عن افعاله تعالى فهو ان يكون السائل

التوحيد وكيفية المكالمة
(لقوم يوقنون) لاهل الايقان
(انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا) ولا تسئل عن
اصحاب الجحيم) اى ولا تؤاخذ
باحتجابهم وما عليك ان
تنقذهم من ظلمات حجبهم انما
عليك ان تدعوهم بالبشارة
والانذار (ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم قل ان هدى الله
هو الهدى (اى طريق
الوحدة المخصوصة بالحق
هو الطريق لا غير كما قال
على عليه السلام اليمين والشمال
مضلة والطريق الوسطى
هى الجادة (ولئن اتبعت
اهواءهم بعد الذى جاءك
من العلم) اى من علم التوحيد
والمعرفة (مالك من الله
من ولى ولا نصير) لامتناع
وجود غيره (الذين
آتيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته اولئك يؤمنون
به ومن يكفر به فأولئك
هم الخاسرون يا بنى
اسرائيل اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم انى فضلتكم على
العالمين واتقوا يوما لا تجزى
نفس عن نفس شيأ ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون)
واذ ابتلى ابرهيم ربه
بكلمات) اى بمراتب
الروحانيات كالقلب والسر

سأل هل يجيب ربنا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فانى قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى على شئ وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من سأله (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرا وقال توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم اى ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاءكم ❁ وقوله تعالى (اجيب دعوة الداع اذا دعان) اى اسمع دعاء عبدى الداعى اذا دعانى وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا انت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا اله الا انت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه لا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا وهو يعلم ان له ربا باخلاص وتضرع اجاب الله دعوته فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله اجيب دعوة الداع وقوله تعالى ادعونى استجب لكم قلت ذكر العلماء فيه اجوبة احدها ان هذه الآية مطلقة وقد وردت آية اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الآخرة وثالثها ان معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون معناه اجيب دعوة الداعى اذا وافق القضاء او اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه اذا لم يسال اثما او محالا ورابعها ان معناها عام اى اسمع وهو معنى الاجابة المذكورة فى الاية واما اعطاء الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخامسها ان للدعاء آدابا وشرائط وهى اسباب الاجابة فمن استكملها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخطاها كان من اهل الاعتداء فى الدعاء فلا يستحق الجواب والله اعلم ❁ وقوله تعالى (فليستجيبوا لى) يعنى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى لحوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء (وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) اى لكى يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

❁ فصل فى فضل الدعاء وآدابه) (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبانه حق على ما يليق به ونكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثانى مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول على ما يليق فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وامره وملائكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفى الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم

والروح والخفاء والوحدة والاحوال والمقامات التى يعبر بها على تلك المراتب كالتسليم والتوكل والرضا وعلومها (فأتمهن) بالسلوك الى الله وفى الله حتى الفناء (قال انى جاعلك للناس اماما) بالبقاء بعد الفناء والرجوع الخلق من الحق تؤمهم وتهديهم سلوك سبيلى ويقتدون بك فيهتدون (قال ومن ذريتى) اى واجعل بعض ذريتى ايضا اماما (قال) قد يكون منهم ظالمون و (لا ينال عهدى الظالمين) اياهم اى لا يكونون خلفائى ولا اعهد الى الظالمين بالامامة (واذ جعلنا البيت) بيت القلب (مثابة) اى مرجعا ومبوأ (للناس وامنا) ومحل امن اوسبب امن وسلامة لهم يأمنون بالوصول اليه والسكون فيه شر غوائل صفات النفس وفتك فتاك القوى الطبعية وافسادها وتخييل شياطين الوهم والخيال واغوائهم ومكائدهم (واتخذوا من مقام ابرهيم) الذى هو مقام الروح ومقام الخلة (مصلى) موطنا للصلاة الحقيقة التى هى المشاهدة والمواصلة الالهية والخلة الشوقية (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى

حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها او صرف
عنه من الشر مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله اكثر اخرجه
الترمذي قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء
اكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذي وله عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء
مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت
له ابواب الرحمة وما سئل الله شيأ احب اليه من ان يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل
وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر
وله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل بقوله قد دعوت فلم
يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله
ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قوله
يستحسر اي يستنكف عن السؤال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني
ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخاري ارزقني ان شئت ليعزم مسئلته فانه
يفعل ما يشاء لا مكره له قوله ليعزم المسئلة اي لا تكن في دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد في
المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء اخرجه الترمذي
وقال حديث صحيح * قوله عز وجل (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) سبب نزول
هذه الآية انه كان في ابتداء الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى
ان يصلي العشاء الاخيرة او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر
ابن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه الخطيئة اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت
العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت
بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي ابيح لكم ليلة
اراد بالليلة ليالي الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه
وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكره من المباشرة والملامسة
وغير ذلك انما هو الجماع (هن لباس لكم) اي سكن لكم (وانتم لباس لهن) اي سكن لهن قيل
لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين الى الآخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما

امرنا هنا بتطهير بيت
القلب من قاذورات
احاديث النفس ونجاسات
وساوس الشيطان وارجاس
دواعي الهوى وادناس
صفات القوى (للطائفين)
اي للسالكين المشتاقين الذين
يدورون حول القلب في
سيرهم (والعاكفين)
الواصلين الى مقام القلب
بالتوكل الذي هو توحيد
الافعال المقيمين فيه بلا
تلوينات النفس وازعاجها
منه (والركع السجود) اي
الخاضعين الذين بلغوا الى
مقام تجلي الصفات وكمال
مرتبة الرضا والسجود
الفانين في الوحدة (واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا)
الصدر الذي هو حرم
القلب (بلدا آمنا) من استيلاء
صفات النفس واغتيال
العدو اللعين وتخطف جن
القوى الدنية اهله
(وارزق اهله من الثمرات)
من ثمرات معارف الروح
او حكمه وانواره (من آمن
منهم بالله واليوم الآخر)
من وحد الله منهم وعلم
المعاد (قال ومن كفر) اي
ومن احتجب ايضا من الذين
سكنوا الصدر ولا
يجاوزون حده بالترقي الى
مقام العين لاحتجابهم بالعلم

عند النوم واجتماعهما فى ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يوارى فيكون كل واحد منهما ساترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء فى الحديث من تزوج فقد احرز ثلثى دينه (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون فى ليالى الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شئ فلا يؤدى فيه الامانة ويقال للعاصى خائن لانه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) اى فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم (وعفا عنكم) اى محا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر (فالآن باشروهن) اى جامعوهن فهو حلال لكم فى ليالى الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) اى ما قضى لكم فى اللوح المحفوظ يعنى الولد وقيل وابتغوا الرخصة التى كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع فى اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) نزلت فى صرمة بن قيس بن صرمة الانصارى ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل فى ارض له وهو صائم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمى الطعام فارادت المراة ان تطعمه شيأ سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد اعيا من التعب فايقظته فكره ان يعصى الله ورسوله وابى ان يأكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما افاق اتى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا ابا قيس مالك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقوله طليحا اى مهزولا مجهودا (خ) عن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى وان قيس بن صرمة الانصارى كان صائما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امراته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا فى ليالى الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطين لان كل واحد منهما يبدو فى الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما اضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا

السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر اضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم فى رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعده (من الفجر) فعلموا انه انما يعنى الليل والنهار (ق) عن عدى بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتى وجعلت انظر فى الليل فلا يتبين لى فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل

(وبياض)

الذى وعاؤه الصدر (فأمتعه) تمتيعا (قليلا) من المعانى العقلية والمعلومات الكلية النازلة اليهم من عالم الروح على قدر ما تعيشوا به (ثم اضطره الى عذاب النار) نار الحرمان والحجاب (وبئس المصير) مصيرهم لتعذبهم بنقصانهم وتألمهم بحرمانهم (واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت) قيل ان الكعبة انزلت من السماء فى زمان آدم ولها بابان الى المشرق والمغرب فحج آدم عليه السلام من ارض الهند واستقبلة الملائكة اربعين فرسخا فطاف بالبيت ودخله ثم رفعت فى زمان طوفان نوح عليه السلام ثم انزلت مرة اخرى فى زمان ابراهيم صلوات الله عليه فزارها ورفع قواعدها وجعل بابها بابا واحدا وقيل ثم تمخض ابوقبيس فانشق عن الحجر الاسود وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة نزل بها جبرائيل فخبئت فيه فى زمان الطوفان الى زمن ابراهيم عليه السلام فوضعه ابراهيم مكانه ثم اسود بملامسة النساء الحيض فنزولها فى زمان ادم اشارة الى ظهور القلب فى زمانه بوجوده عليه وسكونه

ويباض النهار (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم قال وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادى حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذى يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر فى الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل قلت ان القدر الذى يبدو من البياض وهو اول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو فى الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا فى الافق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعنى معترضا وفى رواية الترمذى لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير فى الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثانى وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل يعنى منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم وهل يلزم الصائم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيأ فيه وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثانى لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء اكل او لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية فى ان صوم النفل يجب اتمامه وقالوا لان قوله تعالى (ثم اتموا الصيام الى الليل) امر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام اجاب اصحاب الشافعى عنه بأن هذا انما ورد فى بيان احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شئ قلنا لا قال فانى اذا صائم ثم اتانا يوما آخر فقلت يا رسول الله اهدى لنا حيس قال ارينيه فلقد اصبحت صائما فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق او فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف * قوله عز وجل (ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد) الاعتكاف هو الاقبال على الشئ والملازمة له على سبيل التعظيم وهو فى الشرع عبارة عن الاقامة فى المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون فى المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له فى الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى فى هذه الآية ان الجماع يحرم على المعتكف فى النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

(فصل فى حكم الاعتكاف) الاعتكاف سنة ولا يجوز فى غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بنى لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فقال على انه لا يجوز الا فى المسجد الحرام لقوله وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز فى هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهرى لا يصح الا فى الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا فى مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعى ومالك واحمد

ذا بابين شرقى وغربى اشارة الى ظهور علم المبدأ والمعاد ومعرفة عالم النور وعالم الظلمة فى زمانه دون علم التوحيد وقصده زيارتها من ارض الهند اشارة الى توجهه بالتكوين والاعتدال من عالم الطبيعة الجسمانية المظلمة الى مقام القلب واستقبال الملائكة اشارة الى تعلق القوى الحيوانية والنباتية بالبدن وظهور آثارها فيه قبل آثار القلب فى الاربعين التى تكونت فيها بنيته وتخمرت طينته او توجهه بالسير والسلوك من عالم النفس الظلمانى الى مقام القلب واستقبال الملائكة تلقى القوى النفسانية والبدنية اياه بقبول الاذعان والاخلاق الجميلة والملكات الفاضلة والتمرن فيها والتنقل فى المقامات قبل وصوله الى مقام القلب وطوافه بالبيت اشارة الى وصوله الى مقام القلب وسلوكه فيه مع التلوين ودخوله اشارة الى تمكنه واستقامته فيه ورفعه فى زمان الطوفان الى السماء اشارة الى احتجاب الناس بغلبة الهوى وطوفان الجهل فى زمان نوح عليه

يجوز في سائر المساجد لعموم قوله وانتم عاكفون في المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان ﴿فروع﴾ الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح الا به وجه الشافعي ماروى عن عمر قال يارسول الله انى نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم في الليل ﴿الفرع الثاني﴾ لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف عند مالك وابي حنيفة يوم بشرط ان يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس ﴿الفرع الثالث﴾ الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به واما مادون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند اكثر العلماء وهو اظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابي حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روى عن عائشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها راسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان اخرجاه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة حوائج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى (تلك حدود الله) يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله واصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط احدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) اي فلا تأتوها ولا تغشوها فان قلت في الآية اشكالان اما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ماتقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجمع فلا تقربوها الاشكال الثاني هو انه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية اخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال في آية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف في حيز الحق فنهى ان يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهى ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك

السلام عن مقام القلب وبقاؤه في السماء الرابعة اي البيت المعمور الذي هو قلب العالم ونزوله مرة اخرى في زمان ابراهيم عليه السلام اشارة الى اهتداء الناس في زمانه الى مقام القلب بهدايته ورفع ابراهيم قواعده وجعله ذا باب واحد اشارة الى تلقي القلب بسلوكه عليه السلام من مقامه الى مقام الروح الذي هو السر وارتفاع مراتبه ووصوله الى مقام التوحيد اذ هو اول من ظهر عليه التوحيد الذاتي كما قال عليه السلام وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين والحجر الاسود اشارة الى الروح وتمخض ابي قبيس وانشقاقه عنه اشارة الى ظهوره بالرياضة وتحرك آلات البدن باستعمالها بالتفكر والتجسد في طلب ظهوره ولهذا قيل خبئت فيه يعني احتجبت بالبدن واسوداده بملامسة النساء الحيض اشارة الى اختفائه وتكدره بغلبة القوى النفسانية على القلب واستيلائها عليه وتسويدها الوجه النور الى الذي

فيه وقيل المراد بحدود الله هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد وهذا من التحريم فهى حدود لا تقرب (كذلك) اى كما بين لكم ما امركم به ونهاكم عنه كذلك (يبين الله آياته) اى معالم دينه واحكام شريعته (للناس) مثل هذا البيان الشافى الوافى (لعلهم يتقون) اى لكى يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب * قوله عز وجل (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) نزلت فى امرئ القيس بن عابس الكندى ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمى الك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل اى من غير الوجه الذى اباحه الله له واصل الباطل الشئ الذاهب

﴿فصل﴾ اما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه الاول ان يأكله بطريق التعدى والنهب والغصب الثانى ان يأكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغنى وثمن الخمر والملاهى ونحو ذلك الثالث ان يأكله بطريق الرشوة فى الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك فى الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع فى التعارف فلان يأكل اموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها الى الحكام) اى وتلقوا امور تلك الاموال التى فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضى يقول انى لاقضى لك وانى لاظنك ظالما ولكنى لا يسعنى الا ان اقضى بما يحضرنى من البينة وان قضائى لا يحل لك حراما (ق) عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه يأتينى الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفى رواية الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فأقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها او يذرها قولها سمع جلبة خصم يعنى اصوات خصم قوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان اى اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة (لتأكلوا فريقا) اى طائفة وقطعة (من اموال الناس بالاثم) يعنى بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وانتم تعلمون) يعنى انكم على الباطل * قوله عز وجل (يسألونك) اى يا محمد (عن الاهلة) نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فانزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم عن وجه الفائدة من وجه الحكمة فى تبيين حال الهلال فى الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول واحال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر (قل هى مواقيت للناس) جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم واجارتهم وعدة النساء واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة (والحج) اى وللحج وانما افرد الحج

يلى الروح منه وكذا اسمعيل ايضا كان من الموحدين لعطفه عليه فى رفع قواعد البيت (واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم) اى لا تكلنا الى انفسنا فنسلم بانفسنا بل بك وبجعلك (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) هو محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال عليه السلام انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى وقد رأت فى المنام ان نورا اخرج منها فاضاءت لها قصور الشأم (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) اى ملة التوحيد (الا من سفه نفسه) الا من احتجب عن نور العقل بالكلية وبقى فى مقام ظلمة نفسه اى نفسا على التمييز او فى نفسه على انتزاع الخافض (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) اى من كان من المحبوبين المرادين بالسابقة الازلية

بالذكر وان داخلا فى جملة العبادات لفائدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور على الاشهر التى عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لايجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسئ (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) ق عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفى رواية كانوا اذا احرموا فى الجاهلية اتوا البيوت من ظهورها فانزل الله هذه الآية وقيل كان الناس فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد منه وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشديدهم فى دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا ابطال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لايبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احمسى فقال الرجل ان كنت احمسيا فانا احمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيأ وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بنى سلمة على اثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لانى رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى احمسى فقال الانصارى وانا احمسى يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها) يعنى فى حال الاحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

قوله عز وجل (وقاتلوا فى سبيل الله) اى فى طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان فى ابتداء الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن انس هذه اول آية نزلت فى القتال ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا فى سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال فامامن لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى (ولاتعتدوا) وقال ابن عباس

(ولاتعتدوا)

فاخترناه حالة الفناء فى التوحيد (وانه فى الآخرة) ى حالة البقاء بعد الفناء من اهل الاستقامة (لمن الصالحين) لتدبير النظام وتكميل النوع (اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) اى وحد واسلم ذاتك الى الله يعنى جعله فى الازل من اهل الصف الاول مسلما موحدا مذعنا لرب العالمين فاتيا فيه (ووصى بها) اى بكلمة التوحيد (ابراهيم بنيه ويعقوب) بنيه تأسيا (يابنى ان الله اصطفى لكم الدين) اى دينه الذى [illegible]ين به الموحد لا دين له [illegible]يره ولا ذات فدينه [illegible]ن الله وذاته ذات الله (فلا تموتن الا وانتم [illegible]ملون ام كنتم شهداء [illegible] حضر يعقوب الموت [illegible] قال لبنيه ما تعبدون [illegible] بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون) الاعلى هذا الدين اى لا تموتن بالموت الطبيعى موت الجهل بل كونوا ميتين بانفسكم احياء بالله ابدا فيدرككم موت البدن على هذه الحالة (تلك [illegible]مة قدخلت لها ما

ولاتقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولامن القى اليكم السلام (م) عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش اوسرية اوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولاتغلوا ولاتغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليدا قوله ولاتغلوا الغلول الخيانة وهو مايخفيه احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولاتعتدوا اى ولاتنقضوا العهد وقيل فى معنى الآية لاتعتدوا اى لاتبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة باية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضاء خافوا ان لاتفى قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم فانزل الله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فى الشهر الحرام وفى الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح فى ذلك وقال ولاتعتدوا بابتداء القتال (ان الله لايحب المعتدين) * قوله عزوجل (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى حيث وجدتموهم وادركتموهم فى الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد فى الآية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفى هذه الآية امرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا اولم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (واخرجوهم من حيث اخرجوكم) اى واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم (والفتنة اشد من القتل) يعنى ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم فى الحرم والاحرام وانما سمى الشرك بالله فتنة لانه فساد فى الارض يؤدى الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود فى النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اختلف العلماء فى هذه الآية فذهب مجاهد فى جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لايحل ان يقاتل فى المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) اى فقاتلوهم وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لاتحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال فى الحرم إلا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم فى الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعنى لما سلف (رحيم) يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم) اى وقاتلوا المشركين (حتى لاتكون فتنة) اى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولايقبل من الوثنى الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابى والفرق بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمنى اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة فى شركهم

كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) اى لاتكونوا مقلدين ولا تكتفوا بالتقليد الصرف فى الدين اذلا اعتماد على النقل فليس لاحد الا ماكسب من العلم والعمل والاعتقاد والسيرة لايجازى احد بمعتقد غيره ولابعمله فكونوا على بصائركم واطلبوا اليقين واعملوا عليه (وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا) كل محجوب بدينه يزعم ان الحق دينه لاغير (قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فان الهدى المطلق هو التوحيد الذى يشمل كل دين ويرفع كل حجاب كما ذكر بعده فى قوله (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم (لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون بنفى دين البعض وابطال ملته واثبات الآخر وحقيته بل نقول باجتماعهم على الحق واتفاقهم على التوحيد وقبل جميع اديانهم بالتوحيد الشامل لكلها (فان آمنوا بمثل

وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام او القتل (ويكون الدين لله) اى الطاعة و العبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ (فان انتهوا) يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) اى فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة باية السيف وعلى القول الآخر الاية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت فى عمرة القضاء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت (والحرمات) جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) اى بالقتال (فاعتدوا عليه) اى فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) * قوله عز وجل (وانفقوا فى سبيل الله) يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالجهاد و الاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذى والنسائى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن الانفس وقيل الباء على اصلها وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس انفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقول احدكم لا اجد شيأ السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله تعالى بالانفاق على انفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه فى التهلكة وهو ان يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الآية فى ترك الجهاد (ت) عن ابى عمران واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى

ما آمنتم به) من التوحيد الجامع من كل دين ومذهب (فقد اهتدوا) الاهتداء المطلق اى كل الاهتداء (وان تولوا فانما هم فى شقاق) فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فى طرف من الدين وشق من الهداية يشاقونكم فيه (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) اى آمنا بالله وصبغنا الله صبغة فان كل ذى اعتقاد ومذهب باطنه مصبوغ بصبغ اعتقاده ودينه ومذهبه فالمتعبدون بالملل المتفرقة مصبوغون بصبغ نبيهم والمتمذهبون بصبغ امامهم وقائدهم والحكماء بصبغ عقلهم واهل الاهواء والبدع المتفرقة بصبغ

الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى فقال ايها الناس انكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا فى اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقال حديث غريب صحيح مات ابو ايوب فى آخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن فى اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لى توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصى فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل فى معنى الآية انفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا انفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة قال انفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت فى النفقة (واحسنوا) اى بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل احسنوا فى الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهوا عن الاسراف والاقتار فى الانفاق وقيل معناه واحسنوا فى اداء فرائض الله تعالى (ان الله يحب المحسنين) اى يثيبهم على احسانهم * قوله عز وجل (واتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو ان تتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وتنتهى عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا للتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام

﴿فصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا﴾ م عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افى كل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم وفى وجوب العمرة قولان للشافعى اصحهما انها واجبة وهو قول على وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل والقول الثانى انها سنة وروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبى واليه ذهب مالك وابو حنيفة حجة من اوجب العمرة ما روى فى حديث الصبى بن سعيد انه قال لعمر بن الخطاب انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على وانى اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنسائى بالطول من هذا وجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رآه فى وجوبهما عليه لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انها كفرينتها فى كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة

اهوائهم ونفوسهم والموحدون بصبغة الله خاصة التى لا صبغ احسن منها ولا صبغ بعدها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطا ضل فذلك النور هو صبغته (سيقول السفهاء من الناس) سماهم سفهاء خفاف العقول لعدم وفاء عقولهم بادراك حقيقة دين الاسلام وقضائها على ما عرفت بحق مذهبها ووقوفها به ولذلك كانت محاجتهم فى الله مع اتفاقهم فى التوحيد واختصاص المسلمين بالاخلاص اذ لو ادركوا الحق لادركوا اخلاصهم فلم تبق محاجتهم معهم ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالآيات وادركت فى كل دين ومذهب حقه وفرقت بين ذلك الدين الحق الذى هو كالروح لذلك وبين باطل اهله الذى اختلط به ولبسه خاصة دين الاسلام فانه كله حق بل هو حق الحقوق ولذلك جعلوا امة وسطا اى عدولا بين الامم فضلاء شهداء عليهم (ما ولاهم عن قبلتهم

وعمرتو اجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائى والترمذى وزاد ومامن مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح ووجه الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بأنها سنة ماروى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هى قال لا وان تعتمروا خير لكم اخرجه الترمذى واجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ماتفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج فى تلك السنة وصورة التمتع انه يحرم بالعمرة فى اشهر الحج ويأتى بأعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة فى تلك السنة وانما سمى تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا فى اشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة فى اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا فى الافضل فذهب مالك والشافعى الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته ان يعتمر فى غير اشهر الحج اخرجه مالك فى الموطا وذهب الثورى وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ماروى عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا اخرجاه فى الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه الى ان التمتع افضل يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان فأول من نهى عنهما معاوية اخرجه الترمذى (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لايحل من شئ حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شئ ثم خب ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحل من شئ حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شئ حرم منه وفعل مثل مافعل رسول الله صلى الله

التى كانوا عليها) لانهم كانوا مقيدين بالجهة فلم يقبلوا الا مقيدا ولم يعرفوا التوحيد الوافى بالجهات كلها (قل لله المشرق والمغرب) على ماص من التأويلين (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) اى طريق الوحدة التى تتساوى الجهات بالنسبة اليها لكون الحق المتوجه اليه لا فى جهة وكون الجهات كلها فيه وبه وله كما قال اينما تولوا فثم وجه الله * ومعنى شهادتهم على الناس وشهادة الرسول عليهم اطلاعهم بنور التوحيد على حقوق الاديان ومعرفتهم بحق اهل كل دين وحق كل ذى دين من دينه وبالمطلهم الذى ليس حقهم الذى هو مخترعات نفوسهم وتمنياتها واكاذيب اخبارهم وملفقاتهم ووقوفهم على حذفهم وابطالهم لما عداه من الاديان واحتجابهم وتقيدهم بظاهره دون التحقق اليه بالمنه واصله والاعرفوا حقية دين الاسلام لان طريق الحق واحد فلايستضفون بحق سائر الاديان وخاصة دين الاسلام الذى هو الحق الاعظم الاظهر والرسول

عليه وسلم من اهدى فساق الهدى من الناس * اختلفت الروايات فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهى ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم فى حجته صلى الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث المختلفة فى صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعى فى كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا فى ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز فى لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما يجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره واريد به انه امر ببنائها وكما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعى الافراد واحتج فى ترجيحه بانه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية فى حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وانما سمعه يلبى بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير فى اصح القولين واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعى والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة * قوله تعالى (فان احصرتم) اصل الحصر فى اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة فى الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال للذى يمنعه الخوف او المرض احصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة فى قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس فى دار او سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن احصرك وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر فى الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال فى المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا فى المنع الباطن واما قوله فان احصرتم فمحمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة فى معناها اختلف الفقهاء فى حكمها فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابى حنيفة ويدل عليه ما روى عن عكرمة قال

مطلع على رتبة كل متدين بدينه فى دينه وحقيقته التى هو عليها من دينه وحجابه الذى هو به محجوب عن كمال دينه فهو يعرف ذنوبهم وحدود ايمانهم واعمالهم وحسناتهم وسيآتهم واخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق وامته يعرفون ذلك من سائر الامم بنوره (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم) بالعلم التفصيلى التابع لوقوع المعلوم لا العلم السابق فى عين جميع اول الوجود فانه معلوم له بذلك العلم قبل وجوده لان العلم كله له لا علم لاحد غيره فعلو منا التى نعلم بها الاشياء تظهر على مظاهرنا من علمه وذلك علمه التفصيلى اى علمه فى تفاصيل الموجودات فهو يعلم بذلك العلم التفصيلى الظاهر فى مظاهرنا الاشياء بعد وجودها كما يعلمها بالعلم الاول الذى هو فى عين الجمع قبل وجودها (من يتبع الرسول) فى توحيده (ممن ينقلب على عقبيه) لاحتجابه بالتقييد بالدين (وان كانت

حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال مالك والليث والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الآية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الآية وهو قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روى عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد الحج افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي واحمد واسحق اذا اشترط في الحج فعرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدي) ومعنى الآية فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) اي مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله يعني حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه البخاري * قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى وهو القمل او الصداع (ففدية) فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فديه نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال ايؤذيك هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري باي ذلك بدا وفي رواية قال في نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت ارى ان الوجع بلغ منك ما ارى

(اوما)

لكبيرة) اي انه كانت التحويلة لكبيرة لشاقة ثقيلة (الا على الذين هدى الله) هداهم الله الى التوحيد ونجاهم عن الاحتجاب بالتقييد (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اي صلاتكم الى بيت المقدس لكونها لله واذا كانت له فحيثما توجهتم قبلها ولعمري انها انما شقت على طائفتين المحجوبين بالحق عن الخلق والمحجوبين بالخلق عن الحق فان الاولى عرفت ان التحويلة الاولى التي كانت من الكعبة الى بيت المقدس هي صورة العروج من مقام القلب والسر اي المكاشفة والمكالمة الى مقام الروح والخفاء اي المشاهدة والمعاينة فحسبوا التحويلة الثانية التي كانت صورة الرجوع الى مقام القلب حالة الاستقامة والتمكين للدعوة والنبوة ومشاهدة الجمع في عين التفصيل والتفصيل في عين الجمع بحيث لا احتجاب عن الخلق بالحق ولا عن الحق بالخلق هو النزول بعد العروج والبعد بعد القرب فظنوه ضياع السعي الى المقام الاشرف وحصول الهجر بعد الوصول والسقوط عن الرتبة فشق

اوما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فى خاصة وهى لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام) اى صوم ثلاثة ايام (او صدقة) يعنى اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (او نسك) واحدتها نسيكة اى ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدى او طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدى المحصر فانه يذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء * قوله تعالى (فاذا امنتم) يعنى من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل وقيل معناه فاذا امنتم وقد احللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا فى تلك السنة ثم اعتمرتم فى السنة القابلة فى اشهر الحج ثم احللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الآفاق فى اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه بالحج (فما استيسر من الهدى) يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما احرم بالحج اجزاه عند الشافعى كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند ابى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثانى ان يحرم بالعمرة فى اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان ياكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام ثلاثة ايام فى الحج) اى فعليه صيام ثلاثة ايام فى وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب ان يصوم فى ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك واحمد وهو احد قولى الشافعى وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول الآخر للشافعى (وسبعة اذا رجعتم) يعنى وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعى فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه ان يصوم السبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه قال ابو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى فى الثواب والاجر وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم الله ان العشرة بكمالها هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة فى علم الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام

عليهم ذلك واما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة نسكهم وعلمهم وما عرفوا حكمة التحويلة فظنوا صحة العبادة الثانية دون الاولى فشق عليهم ضياعها وبطلانها الذى توهموه فهدينا الى خلاف ما توهموه بما فهم من الآية (ان الله بالناس لرؤف) يرؤف بهم بشرح الصدر ورفع الحجاب حال البقاء بعد الفناء للاولى وبقبول ما عملت الثانية بصدقهم وان لم يعلموا ما يفعلون (رحيم) يرحمهم بالوجود الحقانى للاولى وثواب الاعمال والهداية الى الحقيقة للثانية وتوفيقهم للترقى من حالهم ومقامهم الى مقام اليقين (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) فى جهة سماء الروح فى مقام الجمع عند الاستغراق فى الوحدة والاحتجاب بالحق عن الخلق يؤدى وزر النبوة ومقام الدعوة لعدم التفاتك الى الكثرة ويعسر عليك الرجوع الى الحق فى اول حال البقاء بعد الفناء قبل التمكن لقوة توجهك الى الحق (فلنولينك قبلة ترضيها) فلنجعلن وجهك يلى قبلة القلب بانشراح الصدر كما قال الم نشرح لك صدرك

ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لايعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه امر اى اكملوها ولاتنقصوها (ذلك) اى هذا الحكم الذى تقدم (لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام) قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق لمن كان من اهل هذه المواضع فادونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه فى قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدى او بدله على المتمتع وهو الآفاقى فاما المكى اذا تمتع او قرن فلا هدى عليه ولا بدله لانه لايجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لايوجب خللا فى حجه فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما اخرجه البخارى تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الامن قلد الهدى فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فانه لايحل من شئ حتى يبلغ الهدى محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقدتم حجنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والشاة تجزئ لجمعوا بين النسكين فى عام بين الحج والعمرة فان الله انزله فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس من غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام وفى الحديث زيادة قال الحميدى قال ابو مسعود الدمشقى هذا حديث غريب ولم اجده الاعند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه فى صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يروعنه فى صحيحه وعندى ان البخارى انما اخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله) اى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه فى الحج وفى غيره (واعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف امره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه * قوله عزوجل (الحج اشهر معلومات) يعنى اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبى وهو قول الشافعى والثورى وابى ثور وحجة الشافعى ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثانى من يوم النحر والعبادة لاتفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لايجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعى وقتادة ومكحول والضحاك والسدى وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهى احدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج

ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك فانها قبلة ترضاها لوجود الجمع هناك فى صورة التفصيل وعدم احتجاب الوحدة بالكثرة فترضى تلك القبلة بدعوة الخلق الى الحق مع بقاء شهود الوحدة (فول وجهك شطر المسجد الحرام) جانب الصدر المشروح المحرم من وصول صفات النفس ودواعى الهوى والشيطان (وحيث ما كنتم) ايها المؤمنون والمحققون سواء كنتم فى جهة مشرق الروح ومغرب النفس (فولوا وجوهكم شطره) جانبه ليتيسر عليكم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الاولى اى الجهة الشرقية وتترقوا عن حالكم ومقامكم والتوقى عن احتجابكم بدواعى الهوى والشيطان فى الثانية (وان الذين اوتوا الكتاب) اى التوراة والانجيل وكتاب العقل الفرقانى اى العقل المستفاد (ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) لاهتدائهم بما فى الكتاب من توحيد الافعال والصفات والدالة على التوحيد المحمدى

الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال و ذوالقعدة وذوالحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهرى وهى الرواية الاخرى عن مالك وجه هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج ذات قوله هى مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهى قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها فان قلت انما قال الحج اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعى اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابى حنيفة وعشرة ايام فاوجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ماوراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما رآه فى ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاث شوال وذوالقعدة وذوالحجة بكماله (فمن فرض فيهن الحج) يعنى فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض مابه يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا فى ذلك الفعل فقال الشافعى ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية فى انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع فى الاحرام بمجرد النية حتى تنضم اليه التلبية اوسوق الهدى ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلابد من انضمام شئ الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية فى الصلاة وفى الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا فى اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعى واحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد فى غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثورى وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج فى جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هى مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى (فلا رفث) قال ابن عباس الرفث الجماع وفى رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وان يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به فى غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا ✽ ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت اترفث وانت محرم فقال ان الرفث ماقيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطى الجماع وان يكون نهيا عن الحديث فى ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب (ولا فسوق) اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هى المعاصى كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهرى والربيع والقرظى وقال ابن عمر هو مانهى عنه المحرم فى حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظافر واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل

الذاتى اليه اونور العقل المنور بالنور الشرعى لا المحجوب بالقياس الفكرى (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية) دالة على صحة نبوتك وحقيقة قبلتك ولو من كتابهم اوما كانت عقلية قطعية (ما تبعوا قبلتك) لاحتجابهم بدينهم ومعقولهم وتقيدهم به (وما انت بتابع قبلتهم) لعلوك عن رتبة دينهم وترقيك عن مقامهم (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لاحتجاب كل بدينه وتضاد وجههم الناشئ من التضاد المركوز فى طباعهم (ولئن اتبعت اهواءهم) المتفرقة (من بعدما جاءك من العلم) علم التوحيد الجامع اياك (انك اذا لمن الظالمين) الناقصين حقك وحق مقامك (الذين آتيناهم الكتاب) ابناء فهم ودراية (يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) اى كالمحسوس المشاهد القريب الدائم الاحساس لقربهم منه بالحقيقة وتوسمهم اياه بالدلائل الواضحة (ولكل وجهة هو موليها) اى ولكل احد منكم غاية وكمال

هو السباب والتنابز بالالقاب (ق) عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه (ولا جدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فأنزل الله ولا جدال في الحج فاخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء. وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج وافظع منه في غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهي انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت في اناس من اهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لابد له من سفر في الدنيا ولابد فيه من زاد الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولابد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزود
ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصدا

(واتقون) اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا اولي الالباب) يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور * قوله عز وجل (ليس عليكم جناح) اي حرج (ان تبتغوا فضلا من ربكم) يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من

بحسب استعداده الاول الله موجه وجهه اليها او هو نفسه موجه نفسه اليها ويتوجه نحوها بمقتضى هويته واستعداده باذن الله (فاستبقوا الخيرات) الامور المقربة اياكم من كمالكم وغاياتكم التي خلقتم لاجلها وندبتم اليها (اينما تكونوا) من مقام وحال دونها او تخالفها لكونها في مقابلها (يأت بكم الله جميعا) الى تلك الغاية قريبا او بعيدا بحسب اقتضاء القربات واستباقها (ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت) من طرق حواسك وميلك الى حظوظك والاهتمام بمصالحك ومصالح المؤمنين (فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) اي فكن حاضرا للحق في قلبك مواجها صدرك تشاهده مشاهد فيه مراعيا جانبه تكون في الاشياء بالله لا بالنفس (وحيثما كنتم) ايها المؤمنون (فولوا وجوهكم) جانب الصدر تشاهدون مشاهدكم فيه مراعين له غير معرضين

ربكم فى مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفى رواية ان تبتغوا فى مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقى هى بأسفل مكة على بريد منها وذوالمجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون فى هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من آخر ذى القعدة وثمانية ايام من اول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة فى يوم التروية وقال الداودى مجنة عند عرفة وعن ابى امامة التيمى قال كنت رجلا اكرى فى هذا الوجه وكان الناس يقولون لى انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا اباعبدالرحمن انى رجل اكرى فى هذا الوجه وان اناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ماسألتنى عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابوداود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا فى اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة افضل واكمل ❊ وقوله تعالى (فاذا افضتم) اى دفعتم والافاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما اهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات فى يوم عرفة فتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى ان ابراهيم لما اذن فى الناس بالحج واجابوه بالتلبيه وابى من ابى امره الله تعالى ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان انه لايطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجاز فسمى ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمى ذلك الموضع المزدلفة وفى رواية عن ابن عباس ان ابراهيم رأى ليلة التروية فى منامه انه يؤمر بذبح ولده فلما اصبح تروى يومه اجمع اى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى ام من الشيطان فسمى يوم التروية ثم رأى ذلك فى ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى عرفة من العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء اى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلايكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولايتم الحج الا به ومن فاته الوقوف فى وقته فقد فاته

عنه فى حال (لئلا يكون للناس عليكم حجة) ساطعة بوقوعهم فى اعيبكم واعتباركم اياهم عند غيبتكم عن الحق وترفعهم عليكم اوغلبة بالقول اوالفعل فى مقاصدكم ومطالبكم لكونكم بالحق فيها حينئذ بل يخضعون وينقادون لكم فان حزب الله هم الغالبون (الا الذين ظلموا منهم) اى الكفار المردودين الذين احتجبوا عن الحق مطلقا فانهم يرتفعون عليكم ولا يخضعون ولا ينقادون لعدم اشتغالهم عن الحق مطلقا وسمى شبهتهم التى يسوقونها مساق الحجة واعتراضهم على المسلمين قولا وفعلا وترفعهم عليهم فى انفسهم حجة مجازا وقرى الاللتنبيه واستؤنف الذين ظلموا (فلاتخشوهم) لانهم لايغلبونكم ولا يضرونكم (واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) كونوا على هيبة من تجلى عظمتى لئلايقعوا فى قلوبكم واعينكم ولا يميلوا صدوركم فتميلوا الى موافقتهم اجلالا لهم وتعظيما لكونكم فى الهيبة وبالنفس كما قال امير المؤمنين عليه السلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق

الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثانى من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة لمن وقف بعرفات فى هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل اونهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر وقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يارسول الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره فى منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا * وقوله تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمى مشعرا من الشعار وهى العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه مالم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو مابين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة الى وادى محسر وليس المأزمان ولا وادى محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتى المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذى عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان رديف النبى صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوى بغير سند ولم اجده فى الاصول قال طاوس كانوا فى الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى مابعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة ماقبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل فى الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير اى ندفع للنحر يقال اغار اذا اسرع ودفع فى عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لايفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبى صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس * وقوله تعالى (واذكروه كما هداكم) اى اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) اى لاتعرفون كيف

فى عينك * ولا تمامى نعمة الكمال عليكم ولا رادنى اهتداء كم امرتكم بدوام الحضور والمراقبة (كما ارسلنا) اى كما ذكرتم بارسال رسول (فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) من جنسكم ليمكنكم التلقى والتعلم وقبول الهداية منه لجنسية النفس ورابطة البشرية (فاذكرونى) بالاجابة والطاعة والارادة (اذكركم) بالمزيد والتوالى للسلوك وافاضة نور اليقين (واشكروالى) على نعمة الارسال والهداية بسلوك صراطى على قدم المحبة ازدكم عرفانى ومحبتى (ولا تكفرون) بالفترة والاحتجاب بنعمة الدين عن المنعم فانه كفران بل كفر (ياايها الذين آمنوا) الايمان العيانى (استعينوا بالصبر) معى عند سطوات تجليات عظمتى وكبريائى (والصلوة) اى الشهود الحقيقى بى (ان الله مع الصابرين) المطيقين لتجليات انواره (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله) اى يجعل فانيا مقتولة نفسه فى سلوك

تذكرونه وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اى من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذى انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين ❊ قوله عزوجل (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) اى لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفى المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهو الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولانخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأتى عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع احمس واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم فى دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى الحمس والقول الثانى انه خطاب لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسى بالياء وقال هو آدم عهد اليه فنسى ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وماسواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمى والنحر واراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها فى قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدله على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذى عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذى هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لايقتضى ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكأنه قال فاذا افضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز (قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتأخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم فى قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اى وافيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير السريع وهو اشد من المشى والفجوة الفرجة وهى المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها (خ) عن ابن عباس انه دفع مع النبى صلى الله

سبيل التوحيد ميتا عن هواه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا هم (اموات) اى عجزة مساكين (بل) هم (احياء) عند ربهم بالحياة الحقيقية وحياة الله الدائمة السرمدية شهداء الله بالحضور الذاتى قادرون به (ولكن لا تشعرون) لعمى بصيرتكم وحرمانكم عن النور الذى تبصر به القلوب اعيان عالم القدس وحقائق الارواح (ولنبلونكم بشئ من الخوف) اى خوف الموجب لانكسار النفس وانهزامها (والجوع) الموجب لنهك البدن وضعف قواه ورفع حجاب الهوى وسد طريق الشيطان الى القلب (ونقص من الاموال) التى هى مواد الشهوات المقوية للنفس الزائدة فى طغيانها (والانفس) المستولية على القلب بصفاتها والمتغذية بذاتها ليزيد بنقصها القلب ويقوى او انفس الاقرباء والاصدقاء الذين تأوون اليهم وتستظهرون بهم لتنقطعوا الى وتبتلوا (والثمرات) اى الملاذ والمتمتعات النفسانية لتلتذوا بالمكاشفات والمعارف القلبية

عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد وقوله تعالى (واستغفروا الله) اى من مخالفتكم فى الموقف ولجميع ذنوبكم (ان الله غفور رحيم) يعنى ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة فى الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه * قوله عز وجل (فاذا قضيتم مناسككم) اى فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم اى ذبائحكم وذلك بعد رمى جمرة العقبة والاستقرار بمنى (فاذكروا الله) يعنى بالتحميد والتمجيد و التهليل والتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) قال اهل التفسير كانت العرب فى الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان ابى كبير الجفنة رحب الفناء يقرى الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار فى ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكرونى فانا الذى فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبى اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء (او اشد ذكرا) اى بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اى واشد ذكرا اى واكثر ذكر الآباء لانه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتى على الرجل اليوم ولا يذكر فيه اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصى اشد من غضبك لوالديك اذا شتما (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا) يعنى ان المشركين كانوا يسألون الله فى حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابى كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطنى مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطى رضى وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من التعثر والخميصة ثوب من خز او صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه ايضا لان من انتكس على راسه او فى امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذا دخلت فى جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث (وماله فى الآخرة من خلاق) اى وماله فى الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعنى المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا فى الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثانى هم المؤمنون الذين جمعوا فى الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بالآم الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله

والمشاهدات الروحية عند صفاء بواطنكم بالانقطاع منها وخلوص بصائر قلوبكم بنار الرياضة والبلاء والعزلة من غش صفات نفوسكم (وبشر الصابرين) يعنى الصابرين عن مألوفاتهم بلذة محبتى وقوة ارادتى (الذين اذا اصابتهم مصيبة) من تصرفاتى فيهم دائما شاهدوا آثار قدرتى بل انوار تجليات صفتى و (قالوا انا لله) اى سلموا وايقنوا انهم ملكى اتصرف فيه (وانا اليه راجعون) اى تفانوا فى وشاهدوا تهلكهم فى بى (اولئك عليهم صلوات من ربهم) بالوجود الموهوب لهم بعد الفناء الموصوف بصفاتى المنور بانوارى (ورحمة) ونور وهداية يهدون بها الخلق الى (واولئك هم المهتدون) بهداى كما ورد فى الدعاء واجعلنا هادين ومهديين غير ضالين ولا مضلين (ان الصفا والمروة) اى ان صفاء وجود القلب ومروة وجود النفس (من شعائر الله) من اعلام دينه و[illegible] القلبية كاليقين والرضا والاخلاص والتوكل والمسالية

من شرها وآلامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لشوش عليه حياته فى الدنيا وتعطل من الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا فى الدعاء من امر الدين فلذلك قال تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة قيل ان الحسنة فى الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقيل الحسنة فى الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفى الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن واهلا ومالا فقد اوتى فى الدنيا حسنة فى الآخرة حسنة يعنى فى الدنيا عافية وفى الآخرة عافية (م) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رجلا من المسلمين قد خف فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ او تسأله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبنى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن انس بن مالك قال كان اكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود (اولئك) اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وماله فى الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين (لهم) جميعا اى لكل فريق من هؤلاء (نصيب) اى حظ (مما كسبوا) يعنى من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكروا فى معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية فى قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد وروية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق فى اقل من لمحة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلائق فى قدر حلب شاة او ناقة وقيل فى معنى كونه تعالى سريع الحساب اى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون فى الوقت الواحد كل واحد منهم اشياء مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه شئ من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل فى معنى الآية ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة * قوله عز وجل (واذكروا الله) يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى ادبار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح ان

كالصلاة والصيام وسائر العبادات البدنية (فمن حج البيت) اى بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الالهية بالفناء الذاتى الكلى (او اعتمر) زار الحضرة بتوحيد الصفات والفناء فى انوار تجليات الجمال والجلال (فلا جناح عليه) حينئذ فى (ان يطوف بهما) اى يرجع الى مقامهما ويتردد بينهما لا بوجودهما التكوينى فانه جناح وذنب بل بالوجود الموهوب بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفى الحرج فان فى هذا الوجود سعة بخلاف الاول (ومن تطوع خيرا) اى ومن تبرع خيرا من باب التعاليم وشفقة الخلق والنصيحة ومحبة اهل الخير والصلاح بوجود القلب ومن باب الاخلاق وطرق البر والتقوى ومعاونة الضعفاء والمساكين وتحصيل الرفق لهم ولعياله بوجود النفس بعد كمال السلوك والبقاء بعد الفناء (فان الله شاكر) يشكر عمله بثواب المزيد (عليم) بانه من باب التصرف فى الاشياء بالله لا من باب التكوين والابتلاء والفترة (ان الذين يكتمون ما انزلنا

النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (فى ايام معدودات) يعنى ايام التشريق وهى ايام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقلتهن وهى ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعى وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن ابى طالب وروى عن ابن عمرا يضا وهو مذهب ابى حنيفة (م) عن نبيشة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر فى هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا وفى رواية انه كان يكبر فى قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج منى اخرجه البخارى بغير اسناد واجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير فى عيد الاضحى وفى هذه الايام فى ادبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل تبتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعى فى اصح اقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر ايام التشريق وهو القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا القول فى ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى انه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى ثلاث وعشرين صلاة وهو قول على بن ابى طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير فى ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة عشر صلاة اولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعى ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة قال الشافعى ومازاد من ذكر الله فحسن وروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق ❊ وقوله تعالى (فمن تعجل فى يومين) اى فمن تعجل النفر الاول وهو فى الثانى من ايام التشريق (فلا اثم عليه) اى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالى ايام التشريق ليرمى كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمى عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى فى اليوم الثانى واراد ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه يعنى فلا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعنى ومن تأخر الى النفر الثانى وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه فى تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثانى من ايام التشريق

من البينات والهدى) اى يكتمون ماافضنا عليهم من بينات انوار المعارف وعلوم تجليات الافعال والصفات وهدى الاحوال والمقامات او الهداية الى التوحيد الذاتى بطريق علم اليقين فان العيان لا يكتم بالتلوينات النفسية او القلبية الحاجبة للمكاشفات القلبية والمسامرات السرية والمشاهدات الروحية (من بعد مابيناه للناس فى الكتاب) فى كتاب عقولهم المنورة بنور المتابعة المدركة لآثار انوار القلوب والارواح ببركة الصحبة (اولئك يلعنهم الله) يردهم ويطردهم (ويلعنهم اللاعنون) من الملا الاعلى بعد لانهم وترك امدادهم من عالم الايد والنور ومن المستعدين المشتاقين الذين كانوا قد استأنسوا بنور قلوبهم واستفاضوا منهم النور بقوة صدقهم واستراحوا الى صحبتهم وملازمتهم يتبركون بهم وبأنفاسهم عند استشراق لمعان احوالهم بالهجران والانقطاع عن صحبتهم والبعد والاعراض عنهم لفقدانهم ذلك واستشعارهم بتكدر صفاتهم (الا الذين

وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها الرمى اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى واكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر مالم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمى بعد ورخص لرعاة الابل واهل سقاة الحاج ترك المبيت بمنى ليالى منى فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذى اتى بافعال الحج كاملة تامة فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن فى التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه فى الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر الجواب الثانى ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب فى فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى قال فتعجلوا او تأخروا فلا اثم فى التعجيل ولا فى التأخير (لمن اتقى) اى ذلك التخيير ونفى الاثم للحاج المتقى وقيل لمن اتقى ان يصيب فى حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور فى الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقى من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهى عنه فيما بقى من عمره وهو قوله (واتقوا الله) اى فى المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى * قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه ابى وانما سمى الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بنى زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال انى ساخنس بكم فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول انى لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك وتستحسنه ويعظم فى قلبك فى الحياة الدنيا يعنى ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا (ويشهد الله على ما فى قلبه) يعنى قوله والله انى بك مؤمن ولك محب (وهو الد الخصام) اى شديد الجدال فى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعنى الشديد فى الخصومة (واذا تولى) اى ادبر واعرض عنك بعد الانة القول وحلاوة المنطق (سعى فى الارض) اى سار ومشى فى الارض (ليفسد فيها) يعنى بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين (ويهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى

تابوا) اى رجعوا عن ذنوب احوالهم وعلموا ان ذلك كان ابتلاء من الله (واصلحوا) احوالهم بالانابة والرياضة (وبينوا) اى كشفوا واظهروا بصدق المعاملة مع الله والاخلاص ما احتجب عنهم (فأولئك اتقبل توبتهم والقى التوبة عليهم (وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا) حجبوا عن الدين اوالحق (وماتوا وهم كفار) اى بقوا على احتجابهم حتى زال استعدادهم وانطفا نور فطرتهم بدين الحجاب وانقطعوا عن الاسباب التى يمكن بها رفع حجاب الموت (اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اى استحقوا البعد والحرمان والطراد الكلى من الحق ومن عالم الملكوت ومن الفطرة الانسانية المعبر عنه بالطمس (خالدين فيها) لليبوس استعدادهم وانطفاء نور فطرتهم (لا يخفف عنهم العذاب) لرسوخ هيئاتهم المعذبة فى جواهر نفوسهم (ولاهم ينظرون) للزوم تلك الهيئات المظلمة اياهم (والهكم اله واحد لا اله الا هو) ومعبودكم الذى خصصتموه بالعبادة ايها

الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى اى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشئوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الآية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان تنزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) اى خف الله فى سرك وعلانيتك (اخذته العزة بالاثم) اى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه واصل العزة المنعة والتكبر (فحسبه جهنم) اى كافيه له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هو اسم اعجمى وقيل بل هو عربى سميت النار بذلك لبعد قعرها (ولبئس المهاد) اى الفراش والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى * قوله عز وجل (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى سرية الرجيع وكانت بعد احد (خ) عن ابى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا اثرهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجؤا الى فدفد وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا اول الغدر فابى ان يصحبهم فجرروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه فلما رايته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق فى الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعونى اصلى ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ان تروا ان ما بى جزع من الموت

الموحدون معبود واحد بالذات واحد مطلق لا شئ فى الوجود غيره ولا موجود سواه فيعبد فكيف يمكنكم الشرك به وغيره العدم المحض فلا شرك الا للجهل به (الرحمن) الشامل الرحمة لكل موجود (الرحيم) الذى يخص رحمة هدايته بالمؤمنين الموحدين وهى اول اية نزلت فى التوحيد بحسب الرتبة اى اقدم توحيد من جهة الحق لا من جهتنا فان اول التوحيد من طرفنا توحيد الافعال وهذا هو توحيد الذات ولما بعد هذا التوحيد عن مبالغ افهام الناس تنزل الى مقام توحيد الافعال (ان فى خلق السموات والارض) اى ان فى ايجاد سموات الارواح والقلوب والعقول وارض النفوس (واختلاف الليل والنهار) النور والظلمة بينهما (والفلك التى تجرى فى البحر) وفلك البدن التى تجرى فى بحر الجسم المطلق (بما ينفع الناس) فى كسب كمالاتهم (وما انزل الله من السماء من ماء) اى الروح من ماء العلم (فاحيا به الارض بعد موتها) ارض النفس بعد موتها بالجهل (وبث فيها

لزدت فكان اول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقال

فلست ابالى حين اقتل مسلما * على اى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشا * يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعث قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شئ زاد فى رواية واخبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا خبرهم الفدفد الموضع الذى فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه اى مارسوه واراد به انهم يخدعونه ليتبعهم فأبى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو العضو من اعضاء الانسان والممزع المفرق والظلة الشئ الذى يظل من فوق الانسان والدبر جماعة النحل والزنابير و قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب ابن عدى الانصارى ومرثد بن ابى مرثد الغنوى وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابى افلح الانصارى وذكر نحو حديث البخارى وزاد عليه فقالوا نصلب خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لى احد حولى يبلغ سلامى رسولك فأبلغه سلامى فقام اليه ابو سروعة عقبة بن الحرث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديى خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم يعنى سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بأبيه امية بن خلف فبعثه مولى له يسمى بنسطاس الى التنعيم ليقتله فى الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب محمدا عندنا الآن مكانك يضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس فى اهلى فقال ابو سفيان ما رأيت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ينثنى ولم يتغير منه شئ بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهى تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمى بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام وامى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود اسدان ضاريان يدفعان عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة تتباهى بهذين من اصحابك ونزل فى الزبير والمقداد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته

من كل دابة) القوى الحيوانية الحية بحياة القلب وتصريف الرياح) عصوف زيادة الافضال الحقانية وسحاب تجلى الصفات الربانية (والسحاب المسخر بين السماء والارض) المسخر المهيا بين سماء الروح وارض النفس (والسحاب المسخر بين السماء والارض) (لايات لدلائل لقوم يعقلون) بالعقل المنور بنور الشرع المجرد عن شوب الوهم (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) او من يعبد من دون الله اشياء اما اناسى من جنسهم كالازواج والاولاد والآباء والاجداد والاخوان والاحباب والرؤساء والملوك وغيرهم واماغير اناسى كالحيوانات والجمادات وسائر اموالهم بالاقبال عليهم والتوجه نحوهم ومراعاتهم وحفظهم والاهتمام بهم وبحالهم والتفكر فى بابهم يحبونهم كحبهم الله اى كما يجب ان تحب الله فتكون تلك الاشياء عندهم مساوية فى المحبة مع الله فتكون اندادا او شركاء الله بالنسبة اليهم اوتكون هى محبوباتهم ومعبوداتهم لا غير فهى آلهتهم كان الله اله الخلق

وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب ابن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال والله لاتصلوا الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي مابقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن اتدرون فيما نزلت هذه الآية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيأبى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس رضي الله عنهما ارى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال وانا اشري نفسي لله فقاتله وكان علي كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن اي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان مايبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب رضا الله (والله رؤف بالعباد) اي من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته ان نفس العباد واموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا ايضا يارسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فانزل الله هذه الآية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى ياايها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة اي في الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم امتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو ان موسى حيا ماوسعه الا اتباعي قوله امتهوكون اي متحيرون انتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية اي

فهم جعلوا لانفسهم آلهة اندادا لاله سائر الخلق اله العالمين (والذين آمنوا اشد حبا لله) من غيره لانهم لايحبون الا الله لايختلط حبهم له بحب غيره ولا يتغير ويحبون الاشياء بمحبة الله ولله وبقدر مايجدون فيها من الجهة الالهية كما قال بعضهم الحق حبيبنا واذا اختلفا فالحق احب الينا اي اذا لم تبق جهة الالهية فيهم بمخالفتهم اياه لم تبق محبتنا لهم او اشد حبا من محبتهم لآلهتهم لانهم يحبون الاشياء بانفسهم لانفسهم فلاجرم تتغير محبتهم بتغير اعراض النفوس انفسهم عند خوف الهلاك ومضرة النفس عليهم والمؤمنون يحبون الله بأرواحهم وقلوبهم بل بالله لله لاتتغير محبتهم لكونها لالغرض ويبذلون ارواحهم وانفسهم لوجهه ورضاه ويتركون جميع مراداتهم لمراده ويحبون افعاله وان كانت بخلاف هواهم كما قال احدهم

* اريد وصاله ويريد هجري *
* فاترك مااريد لما يريد *

(ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب) اي اشركوا بمجهة الانذار في وقت

لاتحتاج الى شئ وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى ياايها الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا فى السلم اى الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اى باجمعكم ولاتتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا فى احكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان فى هذه الآية للاسلام ثمانية اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال وقد خاب من لاسهم له (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) يعنى آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التى يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره (انه لكم عدو مبين) يعنى الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك واما معنى الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصى والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان فى مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بانه مبين مع انالانراه قلت ان الله تعالى بين عداوته ماهى فكأنه بين وان لم يشاهد (فان زللتم) اى ملتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم (من بعد ماجاءتكم البينات) اى الدلالات الواضحات (فاعلموا ان الله عزيز) اى فى نقمته ممن خالفه غالب لايعجزه شئ (حكيم) يعنى انه لاينتقم الابحق والحكيم ذو الاصابة فى الامور كلها وفى الآية وعيد وتهديد لمن فى قلبه شك ونفاق اوعنده شبهة فى الدين * قوله عزوجل (هل ينظرون) اى ينتظرون التاركون الدخول فى السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الا ان يأتيهم الله فى ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعنى السحاب الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض (والملائكة) اى وتأتيهم الملائكة وروى الطبرى فى تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتى الله عزوجل فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء فى آيات الصفات واحاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لماجاء فى آيات الصفات واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كماجاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبى هذا من الذى لايفسر وقال سفيان بن عيينة كل ماوصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه يقولون فى هذه الآية وامثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولاتشبيه ولاتأويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم فى المعنى

رؤيتهم عذاب الاحتجاب بآلهتهم (ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب) اى القدرة كلها لله ليس لآلهتهم شئ منها وشدة عذاب الله بقرنهم بآلهتهم فى نار الحرمان بالسلاسل النارية المستفاد من محبتهم اياها لكان مايدخل تحت الوصف ولهذا المعنى حذف جواب لو (اذتبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) بدل من اذيرون العذاب اى وقت رؤيتهم العذاب هو وقت تبرئ المتبوعين من التابعين مع لزوم كل منهما الآخر بمقتضى المحبة التى كانت بينهم اتعذب كل منهما بالآخر وتقيده واحتجابه به عن كمالاته ولذاته وانقطاع الاسباب والوصل الموجبة للفوائد والتمتعات التى كانت بينهم فى الدنيا من القرابة والرحم والالفة والعهد وسائر الموصلات الدنيوية الجالبة للنفع واللذة فانها تقطع كلها بانقطاع لوازمها وموجباتها دون المواصلات الخيرية والمحبات الالهية المبنية على المناسبة الروحية والتعارف الازلى فانها تبقى ببقاء الروح ابدا وتزيد فى الآخرة بعد رفع الحجب

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولاذاته شئ عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها * واخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثانى وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من اصحاب النظر على انه تعالى منزه عن المجئ والذهاب ويدل على ذلك ان كل مايصح عليه المجئ والذهاب لاينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان ومالاينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك فى حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلابد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل فى معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات فيكون مجئ الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم امر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسره فى آية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى امر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل فى هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما اوعد من الحساب والعقاب فحذف مايأتى به تهويلا عليهم اذلوذكر مايأتى به كان اسهل عليهم فى باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ * وقيل يحتمل ان تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذى يأتى من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ماينظرون الا ان يأتيهم قهر الله وعذابه فى ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب فى الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم وافظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة واهوالها (وقضى الامر) اى وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) اى الى الله تصير امور العباد فى الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور جميع العباد ترجع اليه فى الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره فى الدنيا اضافوا افعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله مااضافوه الى غيره فى الدنيا * قوله عزوجل (سل بنى اسرائيل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم امره ان يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة فى الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التى انعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بينة) اى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته) يعنى يغير الآيات التى جاءته من الله لانها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة والميل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهد الله الذى عهد اليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعنى لمن بدل نعمة الله * قوله عزوجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا)

البدنية لاقتضائها محبة الله المفيدة فى الآخرة كما قال تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والواو فى (وراو العذاب) وتقطعت بهم الاسباب) واو الحال اى تبرؤاعنهم فى حال رؤيتهم العذاب وتقطع الوصل بينهم يعنى حال ظهور شر المقارنة وتبعتها ونفاد خيرها وفائدتها كحال سفاح الكلاب مثلا (وقال الذين اتبعوا لوان لنا كرة) اى ليت لنا كرة (فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار) اى ينقلب محباتهم ومايبتنى عليهم من الاعمال حسرات عليهم وكذا يكون حال القوى الروحانية المصادقة للقوى النفسانية التابعة لها المحضرة اياها فى تحصيل لذاتها (ياايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) اى تناولوا من اللذات المتمتعات التى فى الجهة السفلية من عالم النفس البدن على وجه يحل ويطيب اى على قانون العدالة باذن الشرع واستصواب العقل بقدر

نزلت في مشركي العرب ابي جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبدالله بن ابي واصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك انه لا يمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار الابتلاء والامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم امر الآخرة وقيل اوهموهم ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم مزين لهم وهذا المزين لابد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آمنوا) يعني ان الكفار يستهزؤن بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين زعم محمد انه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعني الفقراء من المؤمنين (فوقهم) اي فوق الكفار (يوم القيامة) لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في اسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيته وقيل هو القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه او عنده (ق) عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعطي كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق لمن يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطي كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه

الاحتياج والضرورة ولا تخطوا حد الاعتدال الذي به تطيب وتنفع الى حدود الاسراف فانها خطوات الشيطان ولهذا قال تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فانه عدو لكم بين العداوة يريدان يهلككم ويبغضكم الى ربكم بارتكاب الاسرافات المذمومة فانه لا يحب المسرفين واعلم ان العداوة في عالم النفس هي ظل الالفة في عالم القلب واعتدال ظلها في عالم البدن والالفة ظل المحبة في عالم الروح وهي ظل الوحدة الحقيقية فالاعتدال هو الظل الرابع للوحدة والشيطان يفر من ظل الحق ولا يطيقه فيحطو ابدا في مجال تلك الظلال الى جوانب الاسرافات وحيث يعجز فالى جوانب التفريطات كما في المحبة والالفة ولهذا قال امير المؤمنين علي عليه السلام لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا فان الجاهل مسخرة الشيطان (انما يأمركم بالسوء) الاضرار والاذى الذي هو افراط القوة الغضبية (والفحشاء) اي القبائح التي هي افراط

مايعطى الله المتقين فى الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على مامن به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لانفاد له ولاانقطاع وقيل انه تعالى يعطى اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب * قوله عزوجل (كان الناس امة واحدة) اى على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحى وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغى والحسد وقيل ان آدم وحده كان امة واحدة يعنى اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب فى ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها مايدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم فى القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعنى بالثواب لمن آمن واطاع (ومنذرين) يعنى مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجرى مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجرى مجرى ازالة المرض ولاشك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم (وانزل معهم الكتاب) اى الكتب او يكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) اى بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خمسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعنى الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذى انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبى بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبى مجاز والله هو الحاكم فى الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) اى فى الحق الذى اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) اى فى الحق (الا الذين اوتوه) اى اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف فى امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا (من بعد ماجاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) اى انهم لم يبق لهم عذر فى العدول عنه وترك ماجاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين

القوة الشهوانية (وان تقولوا على الله مالاتعلمون) الذى هو افراط القوة النطيقة لشوب العقل بالوهم الذى هو الشيطان المسخر له (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) من مراعاة حد الاعتدال والعدالة فى كل شئ على الوجه المأمور به فى الشرع (قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا) من الاسرافات المذمومة فى الجاهلية تقليدا لهم (أ) نتبعونهم (ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا) من الدين والعلم (ولايهتدون) الى الصواب فى العمل لجهلهم (ومثل الذين كفروا) اى مثل داعى الكفار المردودين (كمثل الذى ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون) الناعق بالبهائم فانها لاتسمع الاصوتا ولاتفهم مامعناه فكذا حالهم (ياايها الذين آمنو كلوا من طيبات ما رزقناكم) ان كنتم موحدين تخصون العبادة بالله فلا تتناولوا الامن طيبات مارزقناكم اى ماينبغى فى العدالة ان يستعمل من المرزوقات (واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون) باستعمالها فيما يجب ان تستعمل

آمنوا لما اختلفوا فيه) اى الى مااختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذى اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيدانهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائى يعنى يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعدغد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا فى شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله فى ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق للذى اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعنى بعلمه وامره وارادته (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) * قوله عزوجل (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) نزلت فى غزوة الاحزاب وهى غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم مااصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت فى غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة فى اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدى المشركين وآثروا رضا الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر قوم النفاق فانزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الآية احسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل مااصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) اى شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) اى اصابهم الفقر او الشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعنى المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) اى وحركوا بأنواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لايستقر بل لايزال يضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا اتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية

لوجه الذى ينبغى ان تستعمل على بالقدر الذى ينبغى فان التوحيد يقتضى مراعاة الاعتدال والعدالة فى كل شئ اقتضاء الذات ظلها ولازمها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انى والجن والانس فى نبأعظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى (انما حرم عليكم الميتة) لجمود الدم فيها وبعدها عن الاعتدال بانحراف المزاج (والدم) لاختلاطه بالفضلات النجسة البعيدة عن قبول الحياة والعدالة والنورية وعدم صلاحيته لذلك بعدلقصور النضج (ولحم الخنزير) لغلبة السبعة والشره ومباشرة القاذورات والدياثة على طبعه فيولد فى آكله مثل ذلك (وما اهل به لغير الله) اى رفع الصوت بذبحه لغير الله يعنى ماقصد بذبحه واكله الشرك لمنافاته التوحيد سفيرا عن الشرك ويفهم منه مايقوى اكله به على الكلام ورفع الصوت لغير الله اى كل ما يؤكل لاعلى التوحيد فهو محرم على آكله (فمن اضطر) اى من الجماعة (غير باغ) على مضطر آخر باستئثاره (ولا عاد) سد الرمق (فلا

القصوى فى الشدة فلما بلغ بهم الحال فى الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اجابة لهم فى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان يأتيهم نصر الله فكونوا يامعشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تنتصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه مايصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون * قوله عزوجل (يسألونك ماذا ينفقون) نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يارسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ماانفقتم من خير) اى مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شئ من المال قل اوكثر (فللوالدين) وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود (والاقربين) وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لايقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة اولى من غيرهم (واليتامى) وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لايقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم (والمساكين) وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى (وماتفعلوا من خير فان الله به عليم) وماتفعلوا من خير مع هؤلاء اوغيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الآية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق فى الوجوه المذكورة فى الآية فيقدم الاول فالاول ﴿ بقى فى الآية سؤال ﴾ وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ماينفق فأجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ماانفقتم من خير بيان ماينفقونه هو المال ثم ضم الى جواب السؤال مايكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لاتعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تعد صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

* قوله عزوجل (كتب عليكم القتال) اى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله

اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ماانزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار) اى ملء بطونهم الا ما هو وقودنا رالحرمان وسبب اشتعال نيران الطبعية الحاجبة عن نور الحق المعذبة بهيآت السوء المظلمة الموقعة صاحبها فى جحيم الهيولى الجسمانية (ولايكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد) عبارة عن شدة غضبه عليهم وبعدهم عنه (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) مشرق عالم الارواح ومغرب عالم الاجساد فانه تقيد واحتجاب (ولكن البر) بر الموحدين الذين آمنوا بالله والمعاد فى مقام الجمع اذ التوحيد فى مقام الجمع يلزمه البقاء الابدى الذى هو المعاد الحقيقى وشاهدوا الجمع فى تفاصيل الكثرة ولم يحتجبوا بالجمع عن التفصيل

عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابوداود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا اولم يجاهدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة ❊ وقوله تعالى (وهو كره لكم) اى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع على القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لانهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذى تكرهون من القتال هو خير لكم) من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم (وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهى لاتدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشئ شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل (وعسى ان تحبوا شيأ) يعنى القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعنى ما في الجهاد من الغنيمة والاجر والخير (وانتم لاتعلمون) يعنى ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال ❊ قوله عزوجل (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبدالله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولاتنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك به ولاتستكرهن احدا منهم على السير معك فسار عبدالله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر

الذى هو باطن عالم الملائكة وظاهر عالم النبيين (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال) الذى جمع بين الظاهر بالاحكام والمعارف وافاد علم الاستقامة ثم استقاموا بعد تمام التوحيد جمعا وتفصيلا بالاعمال المذكورة فان الاستقامة عبارة عن وقوف جميع القوى على حدودها بالامر الالهى لتنورها بنور الروح عند تحقق صاحبها بالله في مقام البقاء بعد الفناء وذلك مقام العدالة وتكون هى في ظل الحق منخرطة في سلك الوحدة بكليتها (على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة) اى في حال الاحتياج اليه والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولاتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا قال الله تعالى يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعلى حب الله لئلا يشغل قلبه عنه ولانه تعالى يرضى بانفاقه اوعلى حب الايتاء يعنى بطيب النفس فان

على بركة الله تعالى بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير القريش لعلك تأتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبدالله ببقية اصحابه حتى نزل فى بطن نخلة بين مكة والطائف فبيناهم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفى العير عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ونوفل بن عبدالله المخزوميان فلما رأوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبدالله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا امنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما رأوه امنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك فى آخر يوم من جادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليتمنعن منكم فاجمعوا امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبدالله السهمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم بن كيسان وعثمان وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء واخذ الحرائب يعنى المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يامعشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبدالله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان يأخذ شيأ من ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم مالم تؤمروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يارسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ثم امسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندرى افى رجب اصبناه ام فى جادى واكثر الناس فى ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس فى الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم الباقى على اصحاب السرية وبعث اهل مكة فى فداء اسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعقبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبدالله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية واما تفسير الآية فقوله تعالى يسئلونك يعنى يامحمد عن الشهر الحرام يعنى رجبا وسمى بذلك لتحريم القتال فيه وفى السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطؤا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال فى الحرام وفى الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثانى ان

الكريم هو الفرح وطيب النفس بالاعطاء ومن قوله واتى المال الى قوله (واتى الزكوة) من باب العفة التى هى كمال القوة الشهوانية ووقوفها على حدها فيما يتعلق بها وقوله (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) من باب العدالة المستلزمة للحكمة التى هى كمال القوة النطقية فانها مالم تعلم تبعة الغدر والخيانة وفائدة الفضيلة المقابلة لهما لم تف بالعهد وقوله (والصابرين فى الباساء) اى الشدة والفقر (والضراء) اى المرض والزمانة (وحين الباس) اى الحرب من باب الشجاعة التى هى كمال القوة الغضبية (اولئك) الموصوفون بهذه الفضائل كلها الثابتون فى مقام الاستقامة (الذين صدقوا) الله فى موطن التجريد بافعالهم التى هى البركاة (واولئك هم المتقون) من محبة غير الله حتى النفس المجردون عن غواشى النشأة والطبيعة ويمكن ان يؤول المال بالعلم الذى هو مال القلب لانه يتقوى به ويستغنى اى اعطى العلم مع كونه محبوبا ذوى قربى القوى الروحانية لقربها منه ويتامى القوى

السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) اى قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) اى عظيم مستكبر واختلف العلماء فى حكم الآية على قولين احدهما انها محكمة وانه لايجوز الغزو فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله مايحل للناس ان يغزو فى الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه ومانسخت والقول الثانى الذى عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده (وكفر به) اى بالله (والمسجد الحرام) اى وصدكم عن المسجد الحرام (واخراج اهله منه) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله اهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (اكبر عند الله) اى اعظم وزرا عند الله من القتال فى الشهر الحرام (والفتنة) اى الشرك الذى انتم عليه (اكبر من القتل) يعنى قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمنى مكة ان عيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت (ولا يزالون) يعنى مشركى مكة (يقاتلونكم) يعنى يا معشر المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعنى الى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق على وهو واثق انه لايظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب (فاولئك حبطت اعمالهم) اى بطلت اعمالهم (فى الدنيا والآخرة) وهو ان المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولايستحق الميراث من اقاربه المؤمنين ولاينصر ان استنصر ولايمدح ولايثنى عليه ويكون ماله فيئا للمسلمين هذا فى الدنيا ولايستحق الثواب على اعماله وتحبط اجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من احكام الردة وفيه دليل للشافعى ان الردة لاتحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم (واولئك اصحاب النار) يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار (هم فيها خالدون) اى لايخرجون منها ابدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) نزلت فى عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل تؤجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا اى فارقوا مساكنهم وعشائرهم واموالهم وفارقوا مساكنة المشركين فى امصارهم ومجاورتهم فى ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعنى المشركين فى سبيل الله اى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (اولئك يرجون رحمت الله) اى يطمعون فى نيل رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع فى اصل الثواب وانما دخل الظن فى كميته

النفسانية لانقطاعها عن نور الروح الذى هو الاب الحقيقى ومساكين القوى الطبيعية لكونها دائمة السكون لثواب البدن وعلمها علم الاخلاق والسياسات الفاضلة ثم اذا ارتوى من العلم علم المعارف والاخلاق والآداب والمعايش جملة وتفصيلا وفرغ من نفسه افاض على ابناء السبيل اى السالكين والسائلين اى طلبة العلم وفى فك رقاب عبدة الدنيا والشهوات من اسرهم بالوعظ والخطابة واقام صلاة الحضور اى اداءها بالمشاهدة وآتى ما زكى نفسه عن النظر الى الغير والتفاتات الخواطر بالنفى ومحو الصفات والموفون بعهد الازل بملازمة التوحيد وافناء الذات والآنية والصابرين فى بأساء الافتقار الى الله دائما وضراء كسر النفس وقمع الهوى وحين بأس محاربة الشيطان اولئك الذين صدقوا الله فى الوفاء بعهده وعزيمة السلوك وعقده واولئك هم المتقون عن الشرك المتنزهون عن البقية (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر

ووقته قال قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) اى لذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش واصحابه مالم يعلموا به ❁ قوله عزوجل (يسئلونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله افتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله تعالى هذه الآية واصل الخمر فى اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اى تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول فى تحريم الخمر ان الله عزوجل انزل فى الخمر اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها فى اول الاسلام وهى لهم حلال ثم نزل بالمدينة فى جواب سؤال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلى بهم فقرا قل ياايها الكافرون اعبد ماتعبدون بحذف حرف لا الى آخر السورة فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون فحرم الله السكر فى اوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلى الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعنى وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن ابى وقاص وكان قدشوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا وروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقى رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصارى يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة ❊ فلم يرجى مسلما فى المعاشر

فاحياؤنا من خير احياء من مضى ❊ واموا تنا من خير اهل المقابر

فقال حمزة اولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصارى فهرب الانصارى وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصارى مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بفعل حمزة فعزم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الآية التى فى المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلاجرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وماحرم عليهم شئ اشد من الخمر (ق) عن انس قال ماكان

بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم فى القصاص) فالقصاص قانون من قوانين العدالة فرض لازالة عدوان القوة السبعية وهو ظل من ظلال عدله تعالى فانه اذا تصرف فى عبده بافنائه فيه عوضه عن حر روحه روحا هو خيرا منه وعن عبد قلبه قلبا موهوبا وعن انثى نفسه نفسا موهوبة كاملة فاقاصة الله اياكم بما ذكر (حياة) عظيمة اى حياة لايوصف كنهها (يااولى الالباب) اى العقول الخالصة عن قشر الاوهام وغواشى العينيات والاجرام فكذا فى هذا القصاص (لعلكم تتقون) كى تتقوا تركه وتحافظوا عليه كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية والدين والاقربين بالمعروف) فالوصية والمحافظة عليها قانون آخر فرض لازالة نقصان القوة الملكية اى النفس النطقية وقصورها عما يقتضى الحكمة من التصرف فى الاموال والمسامحة على القوتين

لنا خر غير فضيحكم وانى لقائم اسقى اباطلحة واباايوب وفلانا وفلانا اذجاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال ياانس فاسألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة

﴿ فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها ﴾ اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يارسول الله قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يارسول الله قال صديد اهل النار اخرجه ابوداود * عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شيء من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النسائي * عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث فانها والله لايجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة عن انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها اخرجه الترمذي

﴿ فصل في احكام تتعلق بالخمر ﴾ وفيه مسائل ﴿ الاولى في ماهيتها ﴾ قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر المتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روى عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ماذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا اخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روى عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب اخرجه النسائي واستدل ايضا على ان السكر حرام لما روى عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبدالرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه اخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على ان الخمر من عدة اشياء بما روى عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد

الاخرين بنور الحق وحكم الشرع ومنها عن عدوانها ايضا بتبديل الوصية الذي هو نوع من الجرعة والخيانة وتحريضها على التحقيق والتدقيق في باب الحكمة التي هي كالها بالاصلاح بين الموصى لهم على مقتضى الحكمة اذا توقع وعلم من الموصي اضرارا بالسهو او العمد (حقا على المتقين فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) * الصيام قانون آخر مما فرض لازالة عدوان القوة البهيمية وتسلطها * (واعلم) * ان قصاص اهل الحقيقة ماذكر ووصيتهم هي بالمحافظة على عهد الازل بترك ماسوى الحق كما قال تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب ووصاياهم هو الامساك عن كل قول وفعل وحركة وسكون ليس بالحق للحق (كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى

ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ماخامر العقل ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينافيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه * عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا اخرجه ابوداود وزاد فى رواية والذرة وانى انهاكم عن كل مسكر وللترمذى نحوه وزاد وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل مااسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير فى النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم للخمر بالفارسية اى لم يكن فى زمانه اوسبق قوله فيها وفى غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان مااسكر فهو حرام * عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابوداود والمفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعى على مااسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مااسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذى وابو داود * عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام ومااسكر منه الفرق فمل ء الكف منه حرام اخرجه ابو داود والنسائى وفى رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادى واجيب عن حديث عمر فى الطلاء بأنه معارض بما روى عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وانا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسال عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك فى الموطا واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه فى الباذق وقوله والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هرون وهو الصواب واما حديث ابى الاحوص ففيه وهمان احدهما فى سنده حيث قال عن ابى بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابى بريدة عن ابيه والوهم الثانى فى متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولاتشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم فى صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة فى ظروف الادم فاشربوا فى كل وعاء غير ان لاتشربوا مسكرا وقال النسائى فى حديث ابى الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لايعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم فى قول النسائى ﴿ المسئلة الثانية فى الحكم بنجاسة الخمر ﴾ الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه

(والرجس)

الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان) اى احتراق النفس بنور الحق (الذى انزل فيه) فى ذلك الوقت (القران هدى الناس)اى العلم الجامع الاجمالى المسمى بالعقل القرآنى الموصل الى مقام الجمع * هداية للناس الى الوحدة باعتبار الجمع (وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر) ودلائل متصلة من الجمع والفرق اى العلم التفصيل المسمى بالعقل الفرقانى * فمن حضر منكم فى ذلك الوقت اى بلغ مقام شهود الذات (فليصمه) اى فليمسك عن قول وفعل وحركة ليس بالحق فيه (ومن كان مريضا) اى مبتلى بامراض قلبه من الحجب النفسانية المانعة من ذلك الشهود (اوعلى سفر فعدة من ايام آخر) اى فى سلوك بعد ولم يصل الى الشهود الذاتى فعليه مراتب اخر يقطعها حتى يصل الى ذلك المقام (يريد الله بكم اليسر) بالوصول الى مقام التوحيد والامتداد بقدرة الله (ولا يريد بكم العسر) اى تكلف الافعال

والرجس في اللغة النجس والشيء المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تأكيدا لمزجرعنها ﴿ المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها ﴾ اجتمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ماروى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه في الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اى فليقطعها قطعا قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء * عن ابي طلحة قال يانبي الله انى اشتريت خمر الايتام في حجرى فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذى وقال وقد روى عن انس ان اباطلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

﴿ فصل ﴾ واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الآية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزؤنها ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها انصباء فللفذ سهما وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من اقداح لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لى في الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح　　انما سهمى وغد * ومنيح وسفيح

ثم يجمعون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه الحيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر مايخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التى لا انصباء لها لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيأ وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعنى البخيل الذى لايخرج شيأ بين الاصحاب لبخله واما حكم الآية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر يعنى الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فحرام

بالنفس الضعيفة العاجزة (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم) ولتتموا تلك المراتب والاحوال والمقامات الموصلة * ولتعظموا الله وتعرفوا عظمته وكبرياءه على هدايته اياكم الى مقام الجمع (ولعلكم تشكرون) بالاستقامة امركم بذلك (واذا سئلك عبادى عنى) السالكون الطالبون المتوجهون الى عن معرفتى (فانى قريب) ظاهر (اجيب دعوة الداع اذا دعان) من يدعونى بلسان الحال والاستعداد باعطائه ما اقتضى حاله واستعداده (فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) بتصفية الاستعداد بالزهد والعبادة فانى ادعوهم الى نفسى واعلمهم كيفية السلوك الى وليشاهدونى عند التصفية فانى اتجلى عليهم في مرائى قلوبهم * لكى يرشدوا بالاستقامة اى لكى يستقيموا ويصلحوا (احل لكم) اى ابيح لكم (ليلة الصيام) اى في وقت الغفلة الذى يتخلل ذلك الامساك المذكور في زمان حضوركم (الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن) التنزل الى مقارفة نفوسكم

اللعب به سواء كان بخطر ام لا ويدل على تحريمه ما روى عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير خرجه مسلم وعن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد او نردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابوداود وعن على بن ابى طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا فى الشطرنج فذهب ابى حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن اوبغير رهن ومذهب الشافعى انه مباح بشروط ذكرها الشافعى فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان وروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر مايوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيهما) يعنى فى الخمر والميسر (اثم كبير) اى وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففى ذلك آثام كبيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل مالا يحل فعله واما الاثم الكبير فى الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل ومايجرى بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعنى انهم كانوا يربحون فى بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب قيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر فى المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (واثمهما اكبر من نفعهما) يعنى اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر ٭ قوله تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى (قل العفو) يعنى الفضل والعفو مافضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط فى الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو فى صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى يبين لكم الامور التى سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه (لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة) يعنى فتأخذون مايصلحكم فى الدنيا وتنفقون الباقى فينفعكم فى الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفى اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها ٭ قوله عز وجل (ويسئلونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسئلونك عن اليتامى (قل اصلاح لهم خير) اى اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اى

حظوظها اذ لا مصابرة لكم عنها لكونها تلابسكم وكونكم تلابسونها بالتعلق الضرورى (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) باستراق الحظوظ فى ازمنة تلك السلوك والرياضة والحضور (فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن) اى فى وقت الاستقامة والتمكين حال البقاء بعد الفناء (باشروهن) فى اوقات الغفلات (وابتغوا ما كتب الله لكم) من التقوى والتمكن بتلك الحظوظ على توفير حقوق الاستقامة والقيام بما امر الله به من العبودية والدعوة اليه (وكلوا واشربوا) اى كونوا مع رفقها (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) حتى تظهر عليكم بوادى الحضور ولوامعه وتغلب آثاره وانواره على سواد الغفلة وظلمتها ثم كونوا على الامساك المذكور بالحضور مع الحق حتى

اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) يعنى فى الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اى شاركوهم فى اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم اوتكافؤهم على ماتصيبون من اموالهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد من المصلح) يعنى المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذى يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذى يقصد الاصلاح (ولو شاء الله لاعنتكم) اى لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم فى كل شئ مايشق عليكم (ان الله عزيز حكيم) اى غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لايكلف عباده الا ماتتسع فيه طاقتهم * قوله عزوجل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت فى ابى مرثد بن ابى مرثد الغنوى واسم ابى مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية فأتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ياعناق ان الاسلام حال بينى وبين ذلك فقالت له هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره فقالت ابى تتبرم واستعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من امره وامر عناق ومالقى بسببها وقال يارسول الله ايحل لى ان اتزوجها فانزل الله تعالى هذه الآية واصل النكاح فى اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا ايها المؤمنون المشركات حتى يؤمن اى يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام احكام المسلمين واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اى اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهن من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس فى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزلت فى مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شئ ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعنى مشركات العرب اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا فى مسئلة وهى ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وماامروا الا ليعبدوا الها واحدا لااله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة فى شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد فهو

يأتى زمان الغفلة لولا ذلك لما امكنه القيام بمصالح معاشه ومهماته * ولا تقاربوهن فى حال كونكم معتكفين مقيمين حاضرين فى مساجد قلوبكم والا تشوش وقتكم بظهورها (ولا تأكلوا اموالكم) معارفكم ومعلوماتكم (بينكم بالباطل) باطل شهوات النفس ولذاتها تحصيل مآربها واكتساب مقاصدها الحسية والخيالية باستعمالها (وتدلوا بها الى الحكام) وترسلوا الى حكام النفوس الامارة بالسوء (لتأكلوا فريقا من اموال الناس) القوى الروحانية (بالاثم) اى بالظلم لصرفكم اياها فى ملاذ القوى النفسانية (وانتم تعلمون) ان ذلك اثم ووضع للشئ فى غير موضعه (يسئلونك عن الاهلة) اى عن الطوالع القلبية عند اشراق نور الروح عليها (قل هى مواقيت للناس والحج) اى اوقات وجوب المعاملة فى سبيل الله وعزيمة السلوك وطواف بيت القلب والوقوف فى مقام المعرفة (وليس البر بأن تأتوا البيوت) بيوت قلوبكم

بشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ماأتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لايتناول الاعبدة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم من ادلة فعله قول من قال ان اسم الشرك لايتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير) يعني انفع واصلح وافضل (من مشركة) يعني حرة (ولو اعجبتكم) يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال ياخنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبدالله بن رواحة كانت عنده امة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وماهي ياعبدالله قال هي تشهد ان لااله الاالله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه امة مؤمنة قال عبدالله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا اتنكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الآية (ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لاولياء المرأة اى لاتزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات ان ينكحن مشركا من اى اصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لايجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعني حرا (ولو اعجبكم) بحسنه وماله وجماله (اولئك يدعون الى النار) يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) يعني انه تعالى بين هذه الاحكام واباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما امركم به وانتهوا عمانهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) اى بتيسير الله وارادته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) اى يوضحه اوامره وحججه في اوامره ونواهيه واحكامه (لعلهم يتذكرون) اى فيتعظون ❊ قوله عزوجل (ويسئلونك عن المحيض) (م) عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا مايريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيأ الاخالفنا فيه فجاء اسيد ابن حضير وعباد بن بشر فقالا يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما فخرجا استقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب واصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه (قل هو اذى) اى هو شئ قذر والاذى في اللغة مايكره من كل شئ (فاعتزلوا النساء في المحيض) اى فاجتنبوا مجامعتهن (ولاتقربوهن) يعني بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض (حتى يطهرن) يعني من

(من ظهورها) من طرق حواسكم ومعلوماتكم المأخوذة من المشاعر البدنية فان ظهر القلب هو الجهة التي تلي البدن (ولكن البر) بر (من اتقى) شواغل الحواس وهواجس الخيال ووساوس النفس (واتوا البيوت من ابوابها) الباطنة التي تلي الروح والحق فان باب القلب هو الطريق الذي انفتح منه الى الحق (واتقوا الله) في الاشتغال بما يشغلكم عنه (لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) من الشيطان وقوى النفس الامارة (ولاتعتدوا) في قتالها أن تمنعوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع في التفريط والقصور والفتور (ان الله لايحب المعتدين) لكونهم خارجين عن ظل المحبة والوحدة الذي هو العدالة (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم ازيلوا حياتهم وامنعوهم عن افعالها بقمع هواها الذي هو روحها حيث كانوا (واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل)

الحيض والمعنى ولاتقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) اى اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث امركم الله) قال ابن عباس طؤهن فى الفرج ولاتعتدوا الى غيره فانه هوالذى امر الله به ولاتأتوهن فى غير المأتى وقيل فأتوهن من الوجه الذى امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لايكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

﴿ فصل فى حكم هذه الآية وفيه مسائل ﴾ (المسئلة الاولى) اجمع المسلمون على تحريم الجماع فى زمن الحيض ومستحله كافر عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اتى حائضا او امرأة فى دبرها اوكاهنا فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه الترمذى وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفى وجوب الكفارة قولان احدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابى حنيفة والشافعى فى الجديد والقول الثانى انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعى وبه قال احمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرجل يقع على امرأته وهى حائض قال يتصدق بنصف دينار وفى رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذى وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم ﴿ المسئلة الثانية ﴾ اجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ماروى عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تأتزر بازار فى فور حيضها ثم باشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفى رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرنى فأتزر فيباشرنى وانا حائض اخرجاه فى الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شئ اوله وابتداؤه وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولينى الخمرة من المسجد قلت انى حائض قال ان حيضتك ليست فى يدك الخمرة حصير صغير منسوج من سعف النخل او غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعنى ناداها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد وعائشة فى حجرتها فطلب منها الخمرة وهى حائض ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو امنت الحائض من التلويث فى عبور المسجد جاز فى احد الوجهين قياسا على الجنب والثانى لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضى الصوم ولاتقضى الصلاة قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكنى اسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولانؤمر بقضاء الصلاة اخرجاه فى الصحيحين ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ لا يرتفع شئ مما منعه الحيض بانقطاع الدم مالم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الاالصوم فانه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت فى النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام

من مكة الصدر عند استيلائها عليها كما اخرجوكم عنها باستنزالكم الى بقعة النفس واخراجكم عن مقر القلب * وفتنتهم التى هى عبادة هواها واصنام اذاتها اشد من قمع هواها واماتتها الكلية او محنتكم وابتلاؤكم بها عند استيلائها اشد عليكم من القتل الذى هو طمس غرائزكم بالكلية لزيادة الالم هناك (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) الذى هو مقام القلب اى عند الحضور القلبى اذا وفقوكم فى توجهكم فانها اعوانكم على السلوك حينئذ (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم) وبازعوكم فى مطالبهم ويجروكم عن جناب القلب ودين الحق الى مقام النفس ودينهم الذى هو عبادة العجل (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) من تارهم ودواعيهم وتعبدهم (ويكون الدين لله) بتوجه جميعها الى جناب القدس ومشايعتها للسرف التوجه الى الحق ليس

عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لايجوز للزوج غشيانها مالم تغتسل من الحيض او تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطأ الحائض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثانى الغسل فقال ولاتقربوهن حتى يطهرن يعنى من الحيض فاذا تطهرن يعنى اغتسلن فأتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطء لايحل قبل الغسل * وقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) يعنى من الذنوب والتواب الذى كلما اذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذى لايعود الى الذنب (ويحب المتطهرين) يعنى من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب * قوله عزوجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وفى رواية للترمذى كانت اليهود تقول من اتى المرأة فى قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلى الليلة قال فلم يرد عليه شيأ فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلى هو كناية عن الاتيان فى غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز ان يريد به انه اتاها فى المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحى من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحى من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن اهل الكتاب ان لايأتوا النساء الا على حرف وذلك اشق ماتكون المرأة فكان هذا الحى من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبنى حتى سرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستقليات يعنى بذلك موضع الولد اخرجه ابوداود والوثن الصنم وقيل الصورة لاجثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها واصل الشرح البسط وقوله سرى امرهما اى ارتفع وعظم وتفاخم واصله من سرى البرق اذا لج فى اللمعان عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم فى صمام واحد وروى سمام بالسين اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبزر والولد كالنبات الخارج (فاتوا حرثكم انى شئتم) يعنى كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان فى القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان فى الفرج وفى الآية دليل على تحريم اتيان النساء فى ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لاالدبر ويؤيد ذلك ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة فى دبرها اخرجه ابوداود وقال سعيد بن المسيب هذا فى العزل يعنى ان شئتم فاعزلوا

الشيطان والهوى فيه نصيب (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) عليهم الا العادين المجاوزين عن حدودهم (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرامات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) اى وقت منعها اياكم عن مقصدكم ودينكم هو بعينه وقت منعكم اياها عن حقوقها حتى ترضى بالوقوف على حدودها وشهرها الحرام هو وقت قيامها بحقوقها وشهركم الحرام هو وقت الحضور والمراقبة (وانفقوا فى سبيل الله) مامعكم من العلوم بالعمل بها ولاتدخروها لوقت آخر عسى لاتدركونه فلاشئ اضر من التسويف (ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة) تهلكة التفريط وتأخير العمل بالعلم وانفاقه فى مصالح النفس فانه وجب للحرمان (واحسنوا) اى وكونوا فى عملكم مشاهدين (ان الله يحب المحسنين) المشاهدين فى اعمالهم ربهم مخلصين له فيها (واتموا الحج والعمرة لله)

(وان)

وان شئتم لاتعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو وروى عنه انه قال تستأمر الحرة فى العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفى وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت فى رجل اتى امرأته فى دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبدالله بن الحسن انه لقى سالم بن عبدالله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدثه نافع عن عبدالله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء فى ادبارهن فقال كذب العبد واخطأ انما قال عبدالله يؤتون فى فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء فى ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج فى حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره * وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) يعنى الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان يأتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعنى قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد ابر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعنى من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله) اى احذروا ان تأتوا شيأ مما نهاكم الله عنه (واعلموا انكم ملاقوه) اى صائرون اليه فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم (وبشر المؤمنين) يعنى بالكرامة من الله تعالى * قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) نزلت فى عبدالله ابن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شئ فحلف عبدالله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لى الا ان تبر يمينى فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض فى حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضة للشئ وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشئ فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه فى ترك البر والاصلاح (ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) اى لحلفكم (عليم) يعنى بنياتكم * قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر واللغو فى اليمين هو الذى لا عقد معه كقول القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعى ويعضده ماروى

حج توحيد الذات وعمرة توحيد الصفات باتمام جميع المقامات والاحوال بالسلوك الى الله وفى الله (فان احصرتم) بمنع كفار النفس الامارة اياكم عنهما (فما استيسر من الهدى) فجاهدوا فى الله بسوق هدى النفس وذبحها بفناء كعبة القلب اوعرصة ما تمنى منها القلب من المقام وما استيسر اشارة الى ان النفوس مختلفة فى استعداداتها وصفاتها فبعضها موصوف بصفات حيوان ضعيف وبعضها بصفات حيوان قوى ولكل ما تيسر وبعضها بصفات حيوان ذلول سهل الانقياد وبعضها بصفات حيوان صعب عسر الانقياد وربما كان لبعضها صفة لم يتيسر قمعها وان يتيسر قمع سائر صفاتها ومثل هذا الحاج محصر ابدا (ولا تحلقوا رؤسكم) ولا تزيلوا آثار الطبيعة وتختاروا طيب القلب وفراغ الخاطر من الهموم والتعلقات كلها والعادات والعبادات وتقتصروا على صفاء الوقت كما هو مذهب القلندرية (حتى يبلغ الهدى)

عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله اخرجه البخارى موقوفا ورفعه ابوداود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل فى يمينه كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل فى معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شئ يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابوحنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك فى الموطأ احسن ما سمعت فى ذلك اللغو حلف الانسان على الشئ يتيقن انه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذى يحلف على الشئ وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضى به احدا ويعتذر لمخلوق اويقطع به مالا فهذا اعظم من ان تكون فيه كفارة و انما الكفارة على من حلف ان لايفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لايفعله مثل ان يحلف لايبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك اويحلف ليضربن غلامه ثم لايضربه وفائدة الخلاف الذى بين الشافعى وابى حنيفة فى لغو اليمين ان الشافعى لايوجب الكفارة فى قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن و ابوحنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعى هو قول عائشة والشعبى وعكرمة ومذهب ابى حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة و مكحول وقيل فى معنى اللغو انه اليمين فى الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لايؤاخذكم اى لايعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لايؤاخذكم اى لايلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعنى لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

﴿ فصل فى بيان حكم الآية ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ لاتنعقد اليمين الا بالله وبأسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذى نفسى بيده والذى اعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة ﴿ المسئلة الثانية ﴾ لايجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبى وابى ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لاتنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير فى ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه فى الصحيحين ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اذا حلف على امر فى المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن اوعلى انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله مافعلت وقد فعل اولقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهى من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعى سواء كان عالما اوجاهلا وذهب ابوحنيفة الى انه لاكفارة عليه فان كان عالما فهى كبيرة وان كان جاهلا فهى من لغو اليمين (والله غفور) يعنى لعباده فيما لغوا من ايمانهم التى اخبر انه لايؤاخذهم عليها ولوشاء اخذهم والزمهم الكفارة فى العاجل والعقوبة عليها فى الآجل (حليم) يعنى فى ترك معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمى فى معنى الحليم انه الذى لايحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع

هدى النفس (محله) اى مكانه وهو مذبحه اومنحره الذى يقتضى ان تكون افعالها التى كانت محرمة عند حياتها بهواها تصير حلا عند قتلها لكونها بالقلب فتأمنوا من بقاياها والاتشوش وتحكم وتكدر صفاؤكم بظهورها ونشاطها بالدعوى عند بسط القلب كما هو حال اكثر القلندرية اليوم (فمن كان منكم مريضا) اى ضعيف الاستعداد مملوء القلب بعوارض لازمة فى جبلتها او مكتسبة من العادات (او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك) او ممنوعا مبتلى بهموم وتعلقات ورذائل وهيآت ولم يتيسر له السلوك والمجاهدة على ما ينبغى واراد ان يقتصر على طيب القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة ولاينتكس وينحط عن درجته وان لم يترق فعليه فدية من امساك عن بعض لذاته وشواغله النفسانية * اوفعل برا اورياضة ومجاهدة تقمع بعض القوى المزاحمة ليحفظ وقته وليراع صفاءه زهد ما اوعبادة اومخالفة نفس (فاذا امنتم) من العدو

ويبقيه وهومنهمك كمايبقى البرالمتقى وقديبقيه الآفات والبلايا وهو غافل لايذكر فضلا عن ان يدعوه كما يبقيها الناسك الذى يدعوه ويسأله وقال ابو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لايستفزه غضب ولايستخفه جهل جاهل ولاعصيان عاص ولايستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأنى الذى لايعجل بالعقوبة * قوله عزوجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون اى يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الألايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء فى عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لاجامعك اولا أباضعك اولا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيا فابت ان تعطيه حلف لايقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لاايما ولاذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار اهل الجاهلية فكان الرجل لايريد امرأته ولايحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لايقربها ابدا فيتركها لاايما ولاذات بعل وكانوا عليه فى ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذى به يعلم ماعند الرجل فى المرأة اربعة اشهر وانزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) اى انتظار (اربعة اشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) اى رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) للزوج اذا تاب من اضراره بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين * فروع * تتعلق بحكم الآية

﴿ الفرع الاول ﴾ اذا حلف انه لايقرب زوجته ابدا اومدة هى اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفئ وهو الرجوع اوالطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه اوبالقول مع العجز عنه فان لم يفئ ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابى الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى واحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثورى وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية ﴿ الفرع الثانى ﴾ لوحلف ان لايطأها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطئها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين ﴿ الفرع الثالث ﴾ لوحلف ان لايطأها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفئ اوالطلاق وقد مضت المدة وعند ابى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة ﴿ الفرع الرابع ﴾ مدة الايلاء اربعة اشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند ابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما فى الطلاق ﴿ الفرع الخامس ﴾ اذا وطئ خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاؤا

المحصر (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) بذوق تجلى الصفات متوسلا به الى حج تجلى الذات (فما استيسر من الهدى) بحسب حاله (فمن لم يجد) لضعف نفسه وجودها وانقهارها (فصيام ثلاثة ايام) فعليه الامساك عن افعال القوى التى هى الاصول القوية فى وقت التجلى والاستغراق فى الجمع والفناء فى الوحدة فانها لابد من ان تحجب وتجر الى حضيض النفس والصدر وهى العقل والوهم والمتخيلة (وسبعة اذا رجعتم) الى مقام التفصيل والكثرة وهى الحواس الخمس الظاهرة والغضب والشهوة ليكون عند الاستقامة فى الاشياء بالله (تلك عشرة كاملة) مذ اكة اى تلك الامساكات المذكورة عن افعال هذه القوى والمشاعر جميع التفاصيل الكاملة الموجبة لافاعيل قوى وجوده الموهوب بالحق عند حصول الكمال كما قال كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخر الحديث (ذلك) الحكم (لمن لم يكن اهله حاضرى

فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك فى اسقاط العقوبة عنه لا فى الكفارة * قوله (وان عزموا الطلاق) اى حققوه بالايقاع (فان الله سميع) يعنى لاقوالهم (عليم) يعنى بنياتهم وفيه دليل على انها لاتطلق مالم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيها العزم * قوله عزوجل (والمطلقات) اى المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هى التى اوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بانفسهن) اى ينتظرن فلايتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابوعبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس واختلفوا فى اصله فقيل اصله الجمع من قرا اى جمع لان فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع فى البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اى لوقته الذى كان فيه لان الحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة فى الاقراء اختلف الفقهاء على قولين احدهما ان الاقراء هى الحيض روى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابى موسى وعبادة بن الصامت وابى الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وابوحنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء هى الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثانى انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهرى وابان بن عثمان ومالك والشافعى وحجة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة ايام اقرائك يعنى ايام حيضك لان المرأة لاتدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلق قبل ان يمس فذلك العدة التى امر الله ان يطلق لها فأخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

فنى كل عام انت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت فى الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضى الله عنها اذا دخلت المطلقة فى الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعى والنساء بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النساء وان طلقها فى حال الحيض فاذا شرعت فى الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب ابى حنيفة لاتنقضى عدتها مالم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق فى حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع فى حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص فى قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر فى صورة الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات فاخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن

المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب) من المحبوبين الكاملين الحاضرى مقام القلب فى الوحدة فانه لاهدى له ولا مجاهدة ولا رياضة فى وصوله وسلوكه الى الله بل هو للمحبين (الحج اشهر معلومات) اى وقت الحج ازمنة معلومة وهو من وقت بلوغ الحلم الى الاربعين كما قال فى وصف البقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك (فمن فرض فيهن الحج) على نفسه بالعزيمة والتزم (فلا رفث) اى فاحشة ظهور القوة الشهوانية (ولا فسوق) اى لاسباب يعنى خروج القوة الغضبية عن طاعة القلب (ولا جدال) اى تعدى القوة النطقية بالشيطنة (فى الحج) اى فى قصد بيت القلب (وما تفعلوا من خير) من فضيلة من افعال هذه القوى الثلاث بأمر الشرع والعقل دون رذائلها (يعلمه الله) ويثبكم عليه (وتزودوا) من فضائلها التى يلزمها الاجتناب عن رذائلها فان خيرا لزاد التقوى) منها(واتقون) فى اعمالكم ونياتكم(ياأولى الالباب)

الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم فى الدعاء رحمك الله اخرج فى صورة الخبر ثقة بالاجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

﴿ فصل فى احكام العدة ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء فى ذلك الحرة والامة ﴿ المسئلة الثانية ﴾ عدة المتوفى عنها سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة ايام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسواء فى ذلك الحائض والامة والآيسة ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ عدة المطلقة المدخول بها وهى ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهى ثلاثة اقراء الضرب الثانى الآيسات من الحيض اما الكبرا وتكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ عدة الاماء نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفى الاقراء قرآن لانه لا ينتصف قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين ❊ وقوله تعالى (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن) قال ابن عباس يعنى الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله فى رحمها من الحيض او الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وايجاب اداء الامانة فى الاخبار عما فى الرحم من الحيض او الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك ادحق ان كنت مؤمنا يعنى ان اداء الحقوق من افعال المؤمنين وتقول للذى يظلم ان كنت مؤمنا فلا تظلمنى والمعنى ينبغى ان يمنعك ايمانك من الظلم وفى سبب وعيد النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثانى انه لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت فى زوجها تقول انى حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وامرهن باداء الامانة (وبعولتهن احق بردهن فى ذلك) يعنى ازواجهن سمى الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن اولى برجعتهن وردهن اليهم فى ذلك اى فى حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (ان ارادوا اصلاحا) يعنى ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (ولهن) يعنى وللنساء على الازواج (مثل الذى عليهن) يعنى للازواج (بالمعروف) وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعى حق الآخر فيما له عليه فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس فى معنى الآية انى احب ان اتزين لامرأتى كما احب ان تتزين لى لان الله تعالى قال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (م) عن جابر انه ذكر خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانات الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله فى النساء فيه الحث

فان قضية اللب اى العقل الخالص من شوب الوهم وقشر المادة اتقائى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) اى لاحرج عليكم عند الرجوع الى الكثرة فى ان تطلبوا رفقا لانفسكم وتمتعوها بحظوظها على مقتضى الشرع باذن الحق فان حظها حينئذ يقويها على موافقة القلب فى مقاصده ولانها غير طاغية لتنورها بنور الحق (فاذا افضتم) اى دفعتم انفسكم من مقام المعرفة التامة الذى هو نهاية مناسك الحج وامها كما قال النبى عليه السلام الحج عرفة (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) اى شاهدوا جمال الله عند السر الروحى المسمى بالخفى فان الذكر فى هذا المقام هو المشاهدة والمشعر هو محل الشعور بالجمال المحرم من ان يصل اليه الغير (واذكروه كما هداكم) الى ذكره فى المراتب فانه تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان وهو ذكر النفس ثم الى الذكر بالقلب وهو ذكر الافعال الذى تصدر نعماء الله وآلاؤه منه ثم ذكر

على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانات الله ويروى بامانة وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ماطاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه معناه ولا يأذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة ان نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع * وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) اى منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحيـة الامامة والقضاء وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقهـا واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك بيدها (والله عزيز) اى غالب لا يمتنع عليـه شئ (حكيم) اى في جميع افعاله واحكامه روى البغوى بسنده عن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو امرت احد ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها * قوله عز وجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الى ولا تحلين ابدا فانزل الله تعـالى الطلاق مرتان فامسـاك بمعروف او تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق اولم يطلق اخرجه الترمذى وله عن عائشـة قالت كان النـاس والرجل يطلق امرأته ماشـاء الله ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعهـا وهي في العدة وان طلقهـا مائة او اكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا اطلقك فتبيني مني ولا آويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عائشة فاستانف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطليق الشرعي يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحـدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الا ان اباحنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد الطلاق الذى يكون للرجل فيه الرجعة على زوجتـه

السر وهو معاينة الافعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات ثم ذكر الروح وهو مشـاهدة انوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات ثم ذكر الخفى وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتي بارتفاع البقية (وان كنتم من قبله) اى من قبل الوصول الى عرفات المعرفة والوقوف بها (لمن الضالين) عن هذه الاذكار (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) الى ظواهر العبادات والطاعات وسائر وظائف الشرعيات والمعاملات من حيث اى من مقام افاضة سائر الناس فيها وكونوا كاحدهم قيل لجنيد رحمة الله عليه ما النهاية قال الرجوع الى البداية (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) من ظهور النفس وتبرمها بالحال وطغيانها قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وقال اللهم ثبتني على دينك فقيل له في ذلك فقال اومايؤمنني ان مثل القلب كمثل ريشة في فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت ولما تورمت قدماه

والعدد الذى تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذى لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها وطلقها الثالثة (فامساك بمعروف) يعنى بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف فى الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (او تسريح باحسان) يعنى انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضى عدتها من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها ﴿فروع﴾ تتعلق بالاحكام الطلاق ﴿ الفرع الاول ﴾ صريح اللفظ الذى يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند ابى حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط ﴿ الفرع الثانى ﴾ الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت فى العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها ﴿ الفرع الثالث ﴾ العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج فى عدد الطلاق وبه قال الشافعى ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن) يعنى اعطيتموهن (شيئا) يعنى من مهر اوغيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله) نزلت فى جميلة بنت عبد الله بن ابى ويقال حبيبة بنت سهل الانصارى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فاتت اباها تشكوا اليه زوجها وقالت انه يسبنى ويضربنى فقال ارجعى الى زوجك فانى اكره للمرأة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها ارجعى الى زوجك فلما رأت اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته آثارا بها من ضربه وقالت يارسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذى بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض احب الى منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يارسول الله ولكنى خشيت ان يهلكنى فاخرجنى منه وقالت يارسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكنى ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت اعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها على واخلى سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى اكره الكفر فى الاسلام قال ابو عبد الله يعنى تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما اعتب عليه يعنى ما اجد عليه والعتبى الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اى يعلما الزوجان من انفسهما ان لا يقيما حدود

فقالت له عائشة رضى الله عنها اما غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وقال امير المؤمنين عليه السلام اعوذ بالله من الضلال بعد الهدى (فاذا قضيتم مناسككم) وفرغتم من الحج (فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا) اى فلا تكونوا كاهل العادة مشغولين بذكر الانساب والمفاخرات وسائر احوال الدنيا فان ذلك يكدر وقتكم ويقسى قلوبكم بل كونوا مشتغلين بأنواع الذكر والمذاكرة مع الاخوان مثل ما كنتم تذكرون احوال الانساب وسائر احوال الدنيا قبل السلوك اوكما يذكر الناس هذه الاحوال بالعادة او ابلغ واقوى واكثر ذكرا منها ليرق صفاؤكم ويهتدى بكم الناس (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا) اى لا يطلب الا متاع الدنيا ولا يشتغل الا بذكرها ولا يعبد الله الا لاجلها (وماله فى الآخرة من خلاق) فان توجهه الى الاخس يمنعه عن قبول الاشرف لعدم نهوض همته اليه واكتساب الظلمة

الله والمعنى تخاف المرأة ان تعصى الله فى امور زوجها ويخاف الزوج انه اذالم تطعه ان يعتدى عليها فنهى الله الرجل ان يأخذ من امرأته شيأ مما اعطاها الا ان يكون النشور من قبلها وذلك ان تقول لا ابر لك قسما ولا اطيع لك امرا ولا اطألك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما يعنى يعلم القاضى والوالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه فان ظننتم (ان لايقيما حدود الله) يعنى ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلاجناح عليهما فيما افتدت به) اى لاجناح على المرأة فى النشور اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها او اعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المرأة طائعة راضية

﴿فصل فى حكم الخلع وفيه مسائل﴾ ﴿الاولى﴾ قال الزهرى والنخعى وداود لايباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لايقيما حدود الله فان وقع الخلع فى غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الآية صريحة فى انه لايجوز للزوج ان يأخذ من المرأة شيأ عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا ان لايقيما حدود الله فكانت هذه صريحة فى انه لايجوز الاخذ فى غير حالة الغضب والخوف من ان لايقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان تحصل لها شئ فاذا بدلت كان ذلك فى الخلع الذى تصير بسببه مالكة امر نفسها اولى واجيب عن الاستثناء المذكور فى هذه الآية انه محمول على الاستثناء المنقطع ﴿المسئلة الثانية﴾ الخلع جائز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلماء وقال بعضهم لايجوز ان يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول على وبه قال الزهرى والشعبى والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذون ما اعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لايتقيد بمقدار معين كما ان للمرأة لاترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لايرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لاسيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ﴿المسئلة الثالثة﴾ اختلف العلماء فى الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال الشافعى فى القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعى فى الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود والحسن والشعبى والنخعى وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهرى وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثورى وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة

المنافية للنور (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) اى يطلب خير كل من الدارين ويحترز عن الاحتجاب بالظلمة والتعذب بنيران الطبيعة والحرمان عن انوار الرحمة (اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) من حظوظ الآخرة وانوار دار القرار واللذات الباقية بالاعمال الصالحة بعد المحاسبة وحط بعض الحسنات بالسيئات والتعذيب بحسبها او العفو (واذكروا الله فى ايام معدودات) مراتب معدودة بعد الفراغ من الحج وهو مرتبة الروح والقلب والنفس لان الواصل اذا رجع رجع الى هذه المراتب وعليه فى المراتب الثلاث ان يكون بالله فذلك ذكره (فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه) اى فمن تعجل الى حظوظه فى مرتبة الروح والقلب فلا اثم عليه اذ الروح والقلب وحظوظهما لايحجبان ولا يضران ومعنى التعجل هو ان الحركة اذا كانت بالله كانت اسرع ولايكون معها لبث ولا وقوف ربما يظهر القلب او الروح

فى البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر مهرا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث ۞ قوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى هذه اوامر الله ونواهيه وهو ماتقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله مامنع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) اى فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله) اى يجاوزها فاولئك هم الظالمون ۞ قوله عز وجل (فان طلقها) يعنى الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) اى لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجا غيره) يعنى حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت فى تميمة وقيل عائشة بنت عبدالرحمن بن عتيك القرظى وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاق فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته قولها فبت طلاق اى قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اى طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل انه حملاه على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبدالرحمن بن الزبير بفتح الزاى وكسر الباء مشددة وروى انها لبثت ماشاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى قد مسنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابابكر فقالت ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجى الاول فان زوجى الآخر قد مسنى وطلقنى فقال لها ابوبكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ماقال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابوبكر اتت عمر وقالت له مثل ماقالت لابى بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك ۞ قوله تعالى (فان طلقها) يعنى الزوج الثانى بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعنى على المرأة والزوج الاول (ان يتراجعا) يعنى بنكاح جديد (ان ظنا) اى علما وايقنا وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ماهو كائن الا الله تعالى (ان يقيما حدود الله) يعنى يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل ۞ فرع ۞ اولا مذهب جمهور العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرائط وهى ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء فى اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثانى اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد به قال مالك واحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذى وقال

ويصير حجابا نوريا كما يكون لاصحاب التلوين (ومن تأخر) الى الثالث الذى هو مرتبة النفس (فلا اثم عليه لمن اتقى) اى ذلك الحكم لمن اتقى ان يكون مع حظوظ النفس بالنفس فان النفس الزم لحظها من صاحبيها وحظها اغلظ وابعد من النور من حظوظهما وسريعا ماتظهر للزوم الطيش والحركة اياها بخلاف صاحبيها وحظها ايضا كثيرا ما يحجب واذا حجب كان حجابه غليظا ظلمانيا فالاحتراز هناك والاحتياط واجب واولى من الباقيين لانهما ان ظهر ارق حجابهما وسهل زواله اوذلك التخيير لمن اتقى فى المراتب الثلاث (واتقوا الله) فى المواطن الثلاثة من ظهور الانانية والآنية حتى تكونوا فى الحظوظ به لا بالنفس ولا بالقلب ولا بالروح (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى انكم محشورون معه تحشرون من اسم الى اسم حاضرون بحضرته فانتم على خطر عظيم بخلاف سائر الناس كما ورد فى الحديث المخلصون على خطر عظيم

حديث حسن صحيح وروى انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثة فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعني يعلمون ما امرهم به وما نهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها (فبلغن اجلهن) اى قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها لم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز (فامسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف) وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء (او سرحوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) اى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضاروهن لتفتدي المرأة منه بمالها (لتعتدوا) اى لتظلموهن بمجاوزتكم في امورهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) اى ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا تتخذها هزوا وفيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذي * وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني بالايمان الذي انعم به الله عليكم فهذا كله وسائر نعمه التي انعم بها عليكم (وما انزل عليكم) اى واذكروا نعمته فيما انزله عليكم (من الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) اى الكتاب الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعني خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه (واعلموا ان الله بكل شيء عليم) يعني ان الله تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شيء من ذلك * قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) نزلت في معقل بن يسار المزني عضل اخته جميلة وكانت تحت ابي القداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس

(وآثرتك)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بشر المذنبين باني غفور وانذر الصديقين باني غفور (ومن الناس من يعجبك) اى يدعى المحبة وهو الد الخصام لكونه في مقام النفس زنديقا ولهذا قال تعالى (قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام) اذ ليس له قول في الآخرة بالقلب (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) لاباحته وتزندقه كما ترى عليه اكثر مدعي المحبة والتوحيد (والله لا يحب الفساد) اى هو مفسد ويدعي محبة الله وكيف تتأتى له والمحب لا يفعل الا ما يحب محبوبه والله لا يحب ما يفعله فلا يكون صادقا في دعواه كما قال الشاعر

تعصي الاله وانت تظهر حبه * هذا قبيح بالفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

(واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم) اى حملته الحمية النفسانية حمية الجاهلية على الاثم لجاجا واشر الظهور

وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الى اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها لك ابدا ففي هذا نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الآية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يرتجعها فأتى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذي * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا

ولكنه النائي اذا كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا

يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المرأة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى * وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك) اي ذلك الذي ذكر من النهي (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم ازكى لكم واطهر) يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند الله ر (والله يعلم) يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير (وانتم لا تعلمون) يعني ذلك * قوله عز وجل (والوالدات) يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات او متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن اولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن في حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى هذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر فان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى له من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن اراد ان يتم الرضاعة) فلما علق الاتمام بارادتنا علما ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة

نفسه حينئذ وزعمه انه اعلم بما يفعل من ناصحه (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) اي غايته عمق حضيض رتبته التي هو فيها وظلمتها فان جهنم معناه مهوى بعيد العمق مثله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) ببذل نفسه في سلوك سبيل الله طلبا ضاه (كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) اي في الاستسلام وتسليم الوجوه الله ادمعاداة القوى بعضها بعضا وعلى موافقتها في التسليم لامر الله دليل تتبع الشيطان وهو يريد ان تستحقوا اقهر الله بارتكاب الاسرافات المذمومة لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم وقصوره عن نور فطرتكم لكونه ناري الخلقة لا يطلب منكم الا ان تكونوا ناريين مثله لا نورانيين فهو عدو في الحقيقة في صورة الحب (فان زللتم) عن مقام التسليم لامر الله (من بعد ما جاءتكم البينات) دلائل تجليات الافعال والصفات (فاعلموا ان الله عزيز) غالب يقهركم

فقدرالله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عندالتنازع قال ابن عباس فى رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر ارضعه ثلاثاوعشرين شهرا وان وضعه لتسعة اشهرا رضعته احدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال فى رواية الوالبى عنه هوحدلكل مولود اى فى وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا بالاتفاق من الابوين فانهما اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اى هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيادون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل ومايعيش به (وعلى المولودله) يعنى الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم

وانماامهات الناس اوعية * مستودعات وللآباء الابناء

وقيل ان هذاتنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالدلكونه مولوداعلى فراشه فكأنه قال اذاولدت المراةالولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقهن) اى طعامهن (وكسوتهن) اى لباسهن (بالمعروف) اى على قدرالميسرة (لاتكلف نفس الاوسعها) يعنى طاقتها والمعنى ان ابا الولدلا يكلف فى الانفاق عليه وعلى امه الاقدرماتتسع به مقدرته ولايبلغ اسراف القدرة (لاتضار والدة بولدها) يعنى لاينزع الولدمن امه بعدان رضيت بارضاعه ولايدفع الى غيرها وقيل معناه لاتكره الام على ارضاع الولداذاقبل الصبى لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولودله بولده) يعنى لاتلق المراة الولدالى ابيه وقدالفها بضاره بذلك وقيل معناه لايلزم الاب ان يعطى ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولدمن غير امه فعلى هذا يرجع الضرارالى الوالدين فيكون المعنى لايضار كل واحدمنها صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لايضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولاينفق عليه الاب اوينزعه من امه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لاتضار والدة ولدها ولااب ولدا (وعلى الوارث مثل ذلك) يعنى وعلى وارث ابى الولداذامات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه فى القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبى الذى لومات الصبى ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابى الصبى فى حال حياته واختلف فى اى وارث هو فقيل هم عصبة الصبى كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبرون على نفقة الصبى كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبى نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبى فى ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولايجبر على نفقة الصبى غير الابوين وبه قال مالك والشافعى وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فان ارادا) يعنى الوالدين (فصالا) يعنى فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) اى على اتفاق من الوالدين فى ذلك (وتشاور) اى يشاورون اهل العلم فى ذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل الحولين لايضر بالولد والمشاورة استخراج

(الرأى)

(حكيم) لايقهر الا على مقتضى الحكمة والحكمة تقتضى قهر المخالف المنازع ليعتبر المطيع الموافق ويزيد فى الطاعة (هل ينظرون) اى هل ينتظرون (الا ان يأتيهم) بتجلى (الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر) صفات الهوية من جملة تجليات الصفات وصور ملائكة القوى السماوية وقضى فى اللوح امر اهلاكهم (والى الله ترجع الامور سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيقابل كل امرئ بجزائه او تزهق اليه بالفناء (كان الناس امة واحدة) اى على الفطرة ودين الحق كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهو فى عهد الفطرة الاولى على الحقيقة اوفى زمن الطفولة اوفى عهد آدم عليه السلام كان الناس امة واحدة) ثم اختلفوا فى

الرأي بما فيه مصلحة (فلاجناح عليهما) اى فلاحرج ولا اثم على الوالدين فى الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد (وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم) اى لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن او غير ذلك او اردن التزويج (فلاجناح عليكم اذا سلمتم) يعنى الى المراضع (ما آتيتم) يعنى لهن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن (بالمعروف) اى بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) يعنى لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها * قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعنى يموتون (منكم) واصل التوفى اخذ الشئ وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفى فلان يعنى قبض واخذ (ويذرون) اى ويتركون (ازواجا) والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق الزوج على الرجل والمرأة (يتربصن) اى ينتظرن (بانفسهن اربعة اشهر وعشرا) يعنى قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا ابهمت فى العدد من الليالى والايام غلبوا الليالى حتى ان احدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالى على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن وليس احداد فشبهها بالليالى على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة فى ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض فى بطن امه لنصف مدة الحمل يعنى يتحرك وقيل ان الروح ينفخ فى الولد فى هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ماروى عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد ثم ينفخ فيه الروح اخرجاه فى الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع فى مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه فى هذه الايام الزائدة

﴿ فصل فى حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر او عدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على هذا ماروى عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال مالى اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وامرنى بالتزويج ان بدا لى اخرجاه فى الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان

النشء بحسب اختلاف طبائعهم وغلبة صفات نفوسهم وتفرق اهوائهم فان تضاد اصول بينهم ومراكز ابدانهم باختلاف البقاع والاهوية اقتضى ذلك وكذا ما فى طباعهم من جذب النفع الخاص ودفع الضرر الخاص لاحتجاب كل بمادة بدنه واقتضاء الحكمة الالهية ذلك لمصلحة النشو والنماء يقتضى التعادى والتخالف (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) ليدعوهم من الخلاف الى الوفاق ومن الكثرة الى الوحدة ومن العداوة الى المحبة فتفرقوا وتحزبوا عليهم وتميزوا فاما السفليون الذين رسخت فى طباعهم محبة الباطل وغلب على قلوبهم الرين وطبع عليها وعميت وزال استعدادهم بغلبة هواهم فازدادوا خلافا وعنادا فكانهم ما

كانت فى دمها غيرانه لايقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام فى كل من توفى عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ﴿ المسئلة الثانية ﴾ يجب على من توفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وابوحنيفة وقال الشافعى تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن ام سلمة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى ابو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ماهذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلاتجعليه الابالليل وتنزعيه بالنهار ولاتمتشطى بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت باى شئ امتشط يارسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك اخرجه ابوداود والنسائى نحوه قوله فانه يشب الوجه اى يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها قوله تغلفين به رأسك اى تلطخين به رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذا لطخته بشئ فأكثرت منه ولايجوز لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ماصبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت ابى سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق اوغيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الاعلى زوج اربعة اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قال والله مالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الاعلى زوج اربعة اشهر وعشرا (م) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الاعلى زوجها اربعة اشهر وعشرا (ق) عن ام عطية قالت كنانهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الاعلى زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولانلبس ثوبا مصبوغا الاثوب عصب وقد رخص لنا عندالطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضتها فى نبذة من كست اظفار قولها الاثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذى صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشئ اليسير والكست لغة فى القسط وهو شئ معروف يتبخر به عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولاتختضب ولاتكتحل ولاتطيب اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هى المصبوغة بالمشق وهى المغرة عن نافع ان صفية بنت عبدالله اشتكت عينها وهى حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك فى الموطأ ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ اختلفوا فى هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم مالم تعلم بوفاة زوجها لاتعتد بانقضاء الايام فى العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لايحصل الابالقصد الى التربص ولايحصل ذلك الامع العلم قال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة

اختلفوا الاعند بعضهم واتيانهم بالكتاب الذى هو سبب ظهور الحق والوفاق حسدا بينهم ناشئا من عند انفسهم وغلبة هواهم واحتجابهم واما العلويون الذين بقوا على الصفاء الاصلى والاستعداد الاول فهداهم الله الى الحق الذى اختلفوا فيه بزوال خلافهم وسلكوا الصراط المستقيم (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) جنة تجلى الجمال (ولما يأتكم) حال (الذين) مضوا (من قبلكم مستهم البأساء والضراء) بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار وضراء المجاهدة والرياضة وكسر النفس بالعبادة (وزلزلوا) بدواعى الشوق والمحبة عن مقار نفوسهم ليظهروا ما فى استعدادهم بالقوة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) اى حتى تضجروا من طول مدة الحجاب وكثرة الجهاد من الفراق وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال وذوق الوصال وطلبوا نصر الله بالتجلى على قمع صفات النفوس مع قوة مصابرتهم وحسن تحملهم لما يفعل المحبوب ويريد بهم من

اوا كثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التى لا علم لها يكفى فى انقضاء عدتها هذه المدة ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ اجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة فى التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم * وقوله تعالى (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف) يعنى من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج اصحاب ابى حنيفة على جواز النكاح بغير ولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولى لما كان مخاطبا واجيب عن قوله فيما فعلن فى انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لانها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهو الذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله * قوله عز وجل (ولا جناح) اى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) اى لوحتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر و باطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له اول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضى التزويج وانى فيك الراغب وعسى الله ان ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابن عباس فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو ان يقول انى اريد التزويج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان تيسر لى امرأة صالحة اخرجه البخارى وروى ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك اتخطبنى فى العدة وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهى فى عدة زوجها ابى سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (او اكننتم) يعنى اضمرتم (فى انفسكم) يعنى من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا حرج عليكم فى التعريض لمرأة فى عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها (علم الله انكم ستذكرونهن) يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتمنى لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق اسقط عنه الحرج (ولكن

ابتلائهم بالهجران واذاقهم طعم الفرقة لاشتداد قوة المحبة فكيف بغيرهم فاجيبوا اذ بلغ جهدهم ونفدت طاقتهم وقيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اى رفع الحجاب وظهرت آثار الجمال (يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم) قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم امر من طعم العلقم واشد من ضيم الضيم (وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم) لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذة العاجلة عما فى ضمنه من الخير الكثير واللذة العظيمة الروحانية الذى تستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء بالقياس الى ذلك الخير الباقى واللذة السرمدية وكذا عكسه (والله يعلم) ما فى الامور من الخير والشر (وانتم لا تعلمون) ذلك لاحتجابكم بالعاجل عن الآجل وبالظاهر عن الباطن (يسئلونك عن

لاتواعدوهن سرا) اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعينى فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لاتفوتينى نفسك فانى ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لاتتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها فى العدة وقال الشافعى السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبى لاتصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

الازعمت بسباسة القوم اننى * كبرت وان لايحسن السر امثالى

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيى كريم فكنى به عن لفظ الجماع بالصريح ومعنى الآية لاتواعدوهن مواعدة سرية اولا تواعدوهن بالشئ الموصوف بالسر وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى اذن فى اول الآية فى التعريض بالخطبة ومنع فى آخرها عن التصريح بالخطبة (الا ان تقولوا قولا معروفا) يعنى هو ماذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولى المراة انه راغب فى نكاحها (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله) اى لاتحققوا العزم على عقدة النكاح فى العدة حتى تنقضى وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه) اى فخافوه (واعلموا ان الله غفور حليم) لايعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه * قوله عز وجل (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن اوتفرضوا لهن فريضة) اى ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعنى ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت فى رجل من الانصار تزوج امرأة من بنى حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فاوجه نفى الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وماجاء فى الحديث ان ابغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك وقيل معناه لاحرج عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى اى وقت شئتم حائضا كانت المراة اوطاهرا لانه لاسنة فى طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) اى اعطوهن من مالكم مايتمتعن به والمتعة والمتاع مايتبلغ به من الزاد (على الموسع) اى الغنى الذى يكون فى سعة من غناه (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (وعلى المقتر) اى الفقير الذى هو فى ضيق من فقره (قدره) اى قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعنى متعوهن تمتيعا بالمعروف يعنى من غير ظلم ولاحيف (حقا) اى ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعنى الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان اوقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن ﴿فصل فى بيان حكم الآية﴾ وفيه فروع ﴿الفرع الاول﴾ اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعى وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولامتعة لها عليه (الفرع الثانى) المطلقة المدخول بها فيها قولان قال فى القديم لامتعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد وقال فى الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر

الشهر الحرام قتال فيه) يسألونك عن جهاد النفس واعوانها والشيطان وجنوده فى وقت التوجه والسلوك الى الحق وجهة الباطن الحرام فيه حركة السر (قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولايزالون يقاتلونكم) الجهاد فى ذلك الوقت امر عظيم شاق وجوهكم عن سبيل الله ومقام السر ومحل الحضور احتجاب عن الحق واخراج اهل القلب الذين هم القوى الروحانية عن مقارهم اعظم واكبر عند الله وفتنة الشرك والكفر وبلاؤهما عليكم اشد من قتلكم اياهم بسيف الرياضة ولاتزال تلك القوى النفسانية والاهواء الشيطانية يقاتلونكم بذكم عن دينكم ومقصدكم ودعوتكم الى دين الهوى والشيطان (حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه) باتباعهم (فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم)

لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر ﴿الفرع الثالث في قدر المتعة﴾ قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار واقلها دون ذلك وقاية اومقنعة اوشئ من الورق وهومذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروى ان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وحممها يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن على زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت * متاع قليل من حبيب مفارق * وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال احمد في احدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزى فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر مخالف حال المعسر في ذلك ﴿الفرع الرابع﴾ ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر مثلها صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض ولها عليها مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة * قوله عز وجل ﴿ وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ﴾ يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله تعالى ﴿ وقد فرضتم لهن فريضة ﴾ اى سميتم لهن مهرا ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ اى فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة في المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن اويكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا او نفلا والآية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم اسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترا ان زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس اذا دخلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر ﴿فرع﴾ لومات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت * وقوله تعالى ﴿ الا ان يعفون ﴾ يعني النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج ﴿او يعفو الذى بيده عقدة النكاح﴾ فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية الا ان تعفو المرأة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المرأة بكرا صغيرة اوغير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا اوجدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني ان الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الآية او يعفو الذى بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المرأة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف

التي عملوها في الاستسلام والانقياد (في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار) نار الحجاب والتعذيب (هم فيها خالدون ان الذين آمنوا) يقينا (وهاجروا) اوطان النفس ومألوفات الهوى (وجاهدوا في سبيل الله) وجنود الشيطان والنفس الامارة (اولئك يرجون رحمة الله) تجليات الصفات وانوار المشاهدة (والله غفور رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر) خمر الهوى وحب الدنيا وميسر احتيال النفس في جذب الحظ(قل فيهما اثم كبير) الحجاب والبعد (ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولوشاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو

اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله

الساقط عنه فحسن للمرأة ان تعفو ولا تطالب بشئ من الصداق وللرجل ان يعفو فيه فى لها المهر كاملا وروى ان جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر حق المرأة فليس لوليها ان يهب من مالها شيأ فكذلك المهر لانه مال لها (وان تعفوا اقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هى الاصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعنى ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا او تترك المرأة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق (ان الله بما تعملون) يعنى من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) اى لا يخفى عليه شئ من ذلك * قوله عزوجل (حافظوا) اى داوموا وواظبوا (على الصلوات) يعنى الخمس المكتوبات امر الله عزوجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها فى اوقاتها المختصة بها (والصلاة الوسطى) تانيث الاوسط ووسط كل شئ خيره واعدله وقيل الوسطى يعنى الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات محلا

﴿ فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى ﴾ قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى على مذاهب * الاول ان الصلاة الوسطى هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد وربيع بن انس وبه قال مالك والشافعى ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان على بن ابى طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك فى الموطاء واخرجه الترمذى عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتى جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا النهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا الليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تأتى فى وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم فى الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقيبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر فى قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعنى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثانى انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابى سعيد الخدرى ورواية عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن ابى حنيفة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ثابت وعائشة قال الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك فى الموطأ عن زيد والترمذى عنهما تعليقا واخرجه ابو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتى وسط النهار وفى شدة الحر ولانها تأتى بين البردين يعنى صلاة الفجر وصلاة العصر * المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول على وابن مسعود وابى ايوب وابى هريرة

(وابن)

وابن عمر وابن عباس وابى سعيد الخدرى وعائشة وهو قول ابى عبيدة السلمانى والحسن البصرى وابراهيم النخعى وقتادة والضحاك والكلبى ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذى هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردى من اصحابنا هذا مذهب الشافعى لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة فى العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روى عن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفى رواية يوم الخندق ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفى رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد فى اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء اخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذى وله عن ابن مسعود مثله قال فى كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن ابى يونس مولى عائشة قال امرتنى عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذنى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فأملت على حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تأتى وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تأتى بين صلاتى نهار وهما الفجر والظهر وصلاتى ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روى عن أبى المليح قال كنا مع بريدة فى غزوة فقال فى يوم ذى غيم بكروا بصلاة العصر فان النبى صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخارى قوله بكروا بصلاة العصر أى قدموها فى اول وقتها (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر اهله نقص وسلب اهله وماله فبقى فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب ووجه هذا المذهب ان صلاة المغرب تأتى بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما فى الصبح واقل من اربع ولا تقصر فى السفر وهى وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء جبريل كان بها واذا كانت الظهر اولى الصلاة كانت المغرب هى الوسطى * المذهب الخامس انها صلاة العشاء ولم ينقل عن احد من السلف فيها شئ وانما ذكرها بعض المتأخرين ووجه هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين * المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هى احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله تعالى امر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس فى الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن ان يقال فى كل واحدة من الصلوات الخمس انها هى الوسطى اخفاها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام

واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم واذا

ولهذا السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر فى شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم فى جميع اسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارأيت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى اعلم * وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) اى طائعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل فى اركانها وسننها قيل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله فى صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به فى الصلاة ويدل على ذلك ماروى عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم فى الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه فى الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه فى الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام فى الصلاة ويدل عليه ماروى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء فى الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلى يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشئ او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا الا ناسيا * قوله عز وجل (فان خفتم فرجالا) اى رجالة (او ركبانا) يعنى على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبل القبلة وغير مستقبليها وهذا فى حال المقاتلة والمسايفة فى وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان احدهما ان يكون فى حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم فى غير حال القتال وهو المذكور فى سورة النساء فى قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى فى موضعه فاذا التحم القتال ولم يكن تركه لاحد فمذهب الشافعى انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يؤمئون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلى الماشى بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبى صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به فى ذلك واحتج الشافعى لمذهبه بهذه الآية واجيب عن تأخير النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لا فى القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو او قصده سبع هائج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله

(ان)

طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم فى انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن

ان يصلى صلاة شدة الخوف بالايماء فى حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا اوركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الحضر اربعا وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصرى وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحق بن راهويه قالوا يصلى فى حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعى ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن فى عدد الركعات فان كان الخوف فى الحضر وجب عليه ان يصلى اربع ركعات وان كان فى السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة فى حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى يأتى بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة فى صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فى صلاة الخوف وهذا التأويل لابد منه للجمع بين الاحاديث * وقوله تعالى (فاذا امنتم) يعنى من خوفكم (فاذكروا الله) اى فصلوا الله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها (كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيأ ولم نصل الى معرفة شئ فله الحمد على ذلك * قوله عزوجل (والذين يتوفون منكم) يعنى يامعشر الرجال (ويذرون ازواجا) يعنى زوجات (وصية لازواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (متاعا الى الحول) اى متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وماتحتاج اليه (غير اخراج) اى غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية فى رجل من اهل الطائف يقال له حكيم بن الحرث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامرأته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فاعطى النبى صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيأ وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم فى ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبتين فى مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت فى بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل ان يوصى بذلك فدلت هذه الآية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثانى ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة فى التلاوة متأخرة فى التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء * وقوله تعالى (فان خرجن فلا جناح عليكم) يعنى يامعشر اولياء الميت (فيما فعلن فى انفسهن من معروف) يعنى التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لاجناح عليكم فى قطع النفقة

لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم مافى انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا اوركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين

منهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لاجناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة اشهر وعشرا (والله عزيز) اى غالب قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعني فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام * قوله عز وجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في تلك الآية بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى (حقا على المتقين) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة * وقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المؤمنون وكما عرفتكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات كذلك ابين لكم سائر احكامي في آياتي التي انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) اى لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم اه * قوله عز وجل (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزم منا رأيا لو صنعنا كما صنعوا بقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادي وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر انه خرج الى الشأم فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي تأتيها بها وباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فما اتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى الم تر اى الم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من رؤية القلب قال اهل المعاني هو تعجب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول الم تر الى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله الم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه * قوله تعالى (وهم الوف) قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون

الله لكم آياته لعلكم تعقلون) في باب المعاش وتحصيل اللذة النفسانية والفرح بالذهول عن الهيآت الرديئة المشوشة والهموم المكدرة (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف) اى اوطانهم المألوفة ومقار نفوسهم المعهودة ومقاماتهم ومراتبهم من الدنيا وما ركنوا اليها بدواعي الهوى وهم قوم كثير (حذر الموت) الجهل والانقطاع عن الحياة الحقيقية والوقوع في المهاوي الطبيعية (فقال لهم الله موتوا) اى امرهم بالموت الارادي اواماتهم عن ذواتهم بالتجلي الذاتي حتى فنوا في الوحدة (ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) بالحياة الحقيقية العلمية او به بالوجود الموهوب الحقاني والبقاء بعد الفناء ولا يبعد ان يريد به ما اراد من قصة عزير اى خرجوا هاربين من الموت الطبيعي فأماتهم الله ثم احياهم بتعلق ارواحهم بابدان من جنس ابدانهم ليحصلوا بها كمالهم (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم الوف مؤتلفون جمع الف والاول اصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل ابن بوذى وهو ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعدما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذوالكفل سمى به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان اريك آية قال نعم يارب فاحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه احياهم الله تعالى بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج فى طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لاقوم لى فاوحى الله اليه انى قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لااله الاانت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لايلبسون ثوبا الاعاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك الريح فى ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فان قلت كيف اميت هؤلاء مرتين فى الدنيا وقد قال الله تعالى لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبى ومعجزات الانبياء خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون قوله الا الموتة الاولى عاما مخصوصا بمعجزات الانبياء اى الا الموتة الاولى التى ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفى هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكرى البعث ايضا اذ قد اخبر الله تعالى وهو الصادق فى خبره انه اماتهم ثم احياهم فى الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة * وقوله تعالى (حذر الموت) اى مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم احياهم) يعنى بعد موتهم (ان الله لذو فضل على الناس) يعنى ان الله تعالى تفضل على اولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق فى الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة (ولكن اكثر الناس لايشكرون) يعنى ان اكثر من انعم الله عليه لايشكره اما الكافر فانه لم يشكره اصلا واما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره * قوله عزوجل (وقاتلوا فى سبيل الله) قيل هو خطاب للذين احيوا احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه

من ذا الذى يقرض الله) النفس والشيطان على الاول والثانى وعلى الثالث لاتخافوا من الموت فى مقاتلة الاعداء فان الهرب منه لاينفع كما لم ينفع اولئك والله يحييكم كما احياهم (قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) هو بذل النفس بالجهاد او بذل المال بالايثار (والله يقبض ويبسط واليه ترجعون) اى هو مع معاملتكم فى القبض والبسط فانكم باوصافكم تستنزلون اوصافه ان بخلوا بما فى ايديكم يضيق عليكم ويقتر وان تجودوا يوسع عليكم بحسب جودكم كما ورد فى الحديث تنزل المعونة على قدر المؤنة (الم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذقالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الاقليلا منهم

لاتهربوا من الموت كهرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض المؤمنين على الجهاد (واعلموا ان الله سميع) يعنى لما يقوله المتعلل من القتال (عليم) بما يضمره * قوله عزوجل (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل مايعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ماوعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيئ قال امية بن ابى الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا ٭ او سيئا او مدينا كالذى دانا

واصل القرض فى اللغة القطع سمى به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذى يقدم لنفسه الى الله مايرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى فى استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل فى الآية اختصار تقديره من ذا الذى يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اى يؤذون عباد الله وكما جاء فى الحديث الصحيح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوما لقيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى الحديث واختلفوا فى المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق فى سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لايكون الا تبرعا ولما روى الطبرى بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبى صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ناولنى يدك فناوله يده قال فانى قد اقرضت ربى حائطى حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشى حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه فى عيالها فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجى من الحائط فانى قد اقرضته لربى زاد غيره فقال النبى صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابى الدحداح وقيل فى معنى يقرض الله اى ينفق فى طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعنى محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال فى وجوه البر وقيل هو ان لايمن بالقرض ولا يؤذى وقيل هو الخالص لله تعالى ولايكون فيه رياء ولاسمعة (فيضاعفه له) يعنى ثواب ما انفق (اضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدى هذا التضعيف لايعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم فى باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لايمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لاتقدر على الانفاق فى الطاعة وعمل الخير ويبسط بعد القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق فى البر كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التى

والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) كان رجلا فقيرا لانسب له ولا مال فاقبلوه للملك لان استحقاق الملك والرياسة عند العامة انما هو بالسعادة الخارجية التى هى المال والنسب فنبههم نبيهم على ان الاستحقاق انما يكون بالسعادتين الاخريين الروحانية التى هى العلم والبدنية التى هى زيادة القوى وشدة البنية والبسطة بقوله (قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم) والله اعلم بمن يستحق الملك فيؤتيه (والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع) كثير العطاء يؤتى المال كما يؤتى الملك (عليم) بمن له الاستحقاق ومايحتاج اليه من المال الذى يعتضد به فيعطيه ثم بين ان استحقاق الملك له علامة اخرى وهى اذعان الخلق له ووقوع هيبته ووقاره فى القلوب وسكون قلوبهم اليه ومحبتهم له وقبولهم امره على الطاعة والانقياد

يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجزيكم باعمالكم * قوله عزوجل (الم تر الى الملأ من بني اسرائيل) الملأ اشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط (من بعد موسى) اى من بعد موت موسى او من بعد زمنه (اذ قالوا) يعني اولئك الملأ (لنبي لهم) اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون ابن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل هو ابن هلقاني قيل انه من ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل

﴿ ذكر الاشارة الى القصة ﴾

كان سبب مسئلة اولئك الملأ لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا مانسوا من التوراة ويأمرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم وبقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام سلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رأيتك تدعوني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام قال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه

وهو الذي كان يسميه الاعاجم من قدماء الفرس خوره ومايختص بالملوك كيان خوره ثم من بعدهم سموه فر فقالوا كان فر الملك افريدون وذهب عن كيكاؤس فر الملك فطلبوا من له الفر فوجدوا للملك المبارك كيخسرو وسماه التابوت اى مايرجع اليه من الامور لان التابوت فعلوت من التوب اى يأتيكم من جهته مايرجع في ثبوت ملكه من الاذعان والطاعة والانقياد والمحبة له بالقاء الله له ذلك في قلوبكم كما قال النبي عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر اوما يرجع اليه من الحالة النفسانية والهيئة الشاهدة له على صحة ملكه (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) اى ماتسكن قلوبكم اليه (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) في اولادهم من المعنى المسمى فر وهو نور ملكوتي تستضيء به النفس باتصالها بالملكوت السماوية واستفاضتها ذلك من عالم القدرة مستلزم لحصول

قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) اي فرض (عليكم القتال) يعني مع ذلك الملك (ان لا تقاتلوا) يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه (قالوا ومالنا ان لا نقاتل في سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لا تقول مالك ان لا تفعل كذا ولكن يقول مالك لا تفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله مالكم لا تؤمنون وقيل معناه ومالنا في ان لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه ومالنا لا نقاتل في سبيل الله (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنائهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا * قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) في الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) اي اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله (الا قليلا منهم) يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي في قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف امر ربه ولم يف بما قال * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فأتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان الطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الادم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن امر الحمير ليرشدنا اوليدعولنا فدخلا عليه فبيناهما عنده يذكر ان له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اوما علمت ان سبطي من ادنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال فباي آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا ايها الناس ان الله ملك طالوت فأتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شان طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن

علم السياسة وتدبير الملك والحكمة المزينة لها (تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) اي ينزل اليكم بتوسط الملائكة السماوية ويمكن انه كانه صندوقا فيه طلسم من باب نصرة الجيش وغيره من الطلسمات التي تذكرانها للملك على ما يرى من انه كان فيه صورة لها رأس كرأس الآدمي والهر وذنب كذنبه كالذي كان في عهد فريدون المسمى درفش كاويان (فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر) هو منهل الطبيعة الجسمانية (فمن شرب منه فليس مني) اي من كرع فيه مفرطا في الري منه لان اهل الطبيعة وعبدة الشهوات اذل واعجز خلق الله لا قوة لهم بقتال جالوت النفس الامارة ولا بجالوت عدو الدين اذ لا حمية لهم ولا تشدد (ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) اي الا من اقتنع منه بقدر الضرورة والاحتياج من غير حرص وانهماك فيه (فشربوا منه) اي كرعوا فيه وانهمكوا (الا قليلا

يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا انى يكون له الملك علينا) اى من اين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن احق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعنى انه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعنى اشمويل النبى (ان الله اصطفاه عليكم) اى اختاره عليكم وخصه بالملك وفى هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بنى اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لايكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) اى فضيلة وسعة (فى العلم) وذلك انه كان من اعلم بنى اسرائيل وقيل انه اوحى اليه حين اوتى الملك وقيل هو العلم فى الحرب (والجسم) يعنى بالطول وذلك لانه كان اطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من اجمل بنى اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب واقوة على الاعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتى ملكه من يشاء) يعنى ان الله تعالى لااعتراض عليه لاحد فى فعل فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعنى ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شئ ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم فى طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذى يعطى عن غنى (عليم) يعنى انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه فى تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان * قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) وذلك انهم سألوا اشمويل النبى فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت * وكانت قصة التابوت على ماذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة اذرع فى عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان فى بنى اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ثم كان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بنى اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فى التابوت ماذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكينة من ربكم) واختلفوا فى تلك السكينة ماهى فقال على بن ابى طالب هى ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هى شئ يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هى

منهم) اذا لمتنزهون عن الاقذار الطبيعية المقدسون عن ملابسها المتجردون عن غواشيها قليلون بالنسبة الى من عداهم قال الله تعالى وقليل ماهم وقليل من عبادى الشكور وهم الذين آمنوا معه من اهل اليقين الذين كانوا يعملون بنور يقينهم ان الغلبة ليست بالكثرة بل بالنصرة الالهية فصبروا على ماعاينوا بقوة يقينهم فظفروا وقل من جد فى امر يطالبه * واستصحب الصبر الافاز بالظفر (فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو

فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد ياأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون الله لااله الاهو) فى الوجود فكل ماعبد دونه لم تقع العبادة الاله علم اولم يعلم اذلا معبود ولا موجود سواه (الحى) الذى حياته عين ذاته وكل ماهو حى لم يحى الا بحياته (القيوم) الذى يقوم بنفسه ويقوم كل مايقوم به فلولا قيامه ماقام شئ فى الوجود (لا تأخذه) غفوة ونعاس كما يعترى الاحياء من غير قصدهم فان ذلك لايكون الا لمن حياته عارضة

روح من الله تعالى تكلم اذا اختلفوا فى شئ فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن ابى رباح هى مايعرفون من الآيات التى يسكنون اليها وقال قتادة والكلبى هى فعيلة من السكون اى طمانينة من ربكم ففى اى مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شئ كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ماقيل فيه لان كل شئ يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر * وقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) يعنى موسى وهرون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا فى تلك البقية التى ترك آل موسى وآل هرون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون وشئ من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هرون وعمامته وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل فكان التابوت عند بنى اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم وبينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب فى ذلك انه كان لعيلى وهو الشيخ الذى ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلى حبر بنى اسرائيل وصاحب قربانهم فى زمنه فاحدث ابناه فى القربان شيأ لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان الذى ينوطونه به كلابين فلما اخرجا كانا للكاهن الذى كان ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين فى بيت المقدس فيتشبثان بهن فاوحى الى اشمويل ان انطلق الى عيلى وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا فى قربانى وقدسى شيأ وان يعصيانى فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيؤا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل فى التابوت قال اخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج امر بنى اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعنى اشمويل ان آية ملكه يعنى علامة ملكه التى تدل على صحته ان يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ماذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بنى اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه فى بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع فى اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بنى اسرائيل لايقوم له شئ فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فأرا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما فى جوفه فاخرجوه الى الصحراء ودفنوه فى مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بنى اسرائيل كانت عندهم وهى من بنات الانبياء لاتزالون ترون ماتكرهون

مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها فى ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اربعة املاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بنى اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت فى ارض فيها حصاد لبنى اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بنى اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) اى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة فى السماء فلما ولى طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت فى التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته فى دار طالوت فاصبح فى داره فاقروا بملكه (ان فى ذلك لآية لكم) يعنى قال لهم نبيهم اشمويل ان فى مجئ التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعنى علامة ودلالة على صدق فيما اخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعنى مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا الطاعته وخرجوا معه وذلك قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) اى خرج واصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا فى النصر فسارعوا الى الخروج فى الجهاد وكان مسيرهم فى حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجرى لنا نهرا (قال) طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) اى مختبركم به لتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه فليس منى) اى فليس من اهل دينى وطاعتى (ومن لم يطعمه) اى لم يذقه يعنى الماء (فانه منى) يعنى من اهل طاعتى (الا من اغترف غرفة بيده) قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم التى تحصل فى الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه) يعنى من النهر (الا قليلا منهم) قيل هم اربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ماروى عن البراء بن عازب قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة اخرجه البخارى قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر القى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما امره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزه هو) يعنى جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه) يعنى اولئك القليل (قالوا) يعنى الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله تعالى وكانوا اهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصى فلما راوا

فتغلبه الطبيعة بالحالة الداتية طالبا للهدو والراحة والا بدال عن تحليل اليقظة فأما من حياته عين ذاته فلا يمكن له ذلك وبين كون حياته غير عارضة بقوله (ولا نوم) فان النوم ينافى كون الحياة ذاتية لانه اشبه شئ بالموت ولهذا قيل النوم اخو الموت ومن لا نوم له لذاته لمنافاته كون الحياة غير ذاته فلا سنة له اذ السنة من مقدماته وآثاره كما تقول ليس له ضحك ولا تبسم وقوله لا تأخذه سنة ولا نوم بيان لقيوميته (له ما فى السموات وما فى الارض) نواصيهم بيده يفعل بهم ما يشاء (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) اذ كلهم له وبه يتكلم من يتكلم به وبكلامه فكيف يتكلم بغير اذنه وارادته (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) ما قبلهم وما بعدهم فكيف بهم وبحالهم اى علمه شامل

العدو قال المنافقون (لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين قسم حين راوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لاطاقة لنا لاقوة لنا اليوم بجالوت وجنودة (قال الذين يظنون) اى يستيقنون ويعلمون (انهم ملاقوا الله) اى ملاقوا ثواب الله ورضوانه فى الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لاواحد له من لفظه كالرهط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) اى بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة * قوله عزوجل (ولما برزوا) يعنى طالوت وجنوده المؤمنين (لجالوت وجنوده) يعنى الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعنى المؤمنين اصحاب طالوت (ربنا افرغ) اى اصبب (علينا صبرا وثبت اقدامنا) اى قو قلوبنا لتثبت اقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين (فهزموهم باذن الله) يعنى ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذا الله يعنى بقضائه وارادته واصل الهزم فى اللغة الكسر اى كسروهم وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله على ماذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود فى ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمى بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمى بقذافتى شيأ الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بنى فان الله قد جعل رزقك فى قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجنى فقال له ابوه ابشر يا بنى فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما آخر فقال له يا ابتاه انى لامشى بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح معى فقال يا بنى ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بنى اسرائيل ان ابرز الى وابرز اليك او ابرز الى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته ملكى فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو الله فى ذلك فدعا الله فاتى بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بنى اسرائيل وجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان فى ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض على بنيك فاخرج له اثنى عشر رجلا امثال السوارى فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيأ فقال يا ايشا هل بقى لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يارب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبى ان ربى قد كذبك فقال ايشا صدق

للازمنة والاشخاص والاحوال كلها فيعلم المستحق للشفاعة وغير المستحق لها (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) اى بما اقتضت مشيئته ان يعلمهم فعلم كل ذى علم شئ من علمه ظهر على ذلك المظهر كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا (وسع كرسيه السموات والارض) اى علمه اذا الكرسى مكان العلم الذى هو القلب كما قال ابو يزيد البسطامى رحمة الله عليه لو وقع العالم وما فيه الف الف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف ما احس به لغاية سعته ولهذا قال الحسن كرسيه عرشه مأخوذ من قوله عليه السلام قلب المؤمن عرش الله والكرسى فى اللغة عرش صغير لا يفضل عن مقعد القاعد شبه القلب به تصويرا وتخييلا لعظمته وسعته واما العرش المجيد الاكبر فهو الروح الاول وصورتهما

ربى يا نبى الله ان لى ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق امعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التى يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لاشك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنش وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتى واجرى خاتمك فى ملكى قال نعم فقال له هل آنست من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجيء الاسد او النمر او الذئب فيأخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرجها من قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فر داود عليه السلام فى طريقه بحجر فناداه يا داود احملنى فانى حجر هرون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال يا داود احملنى فانى حجر موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال له يا داود احملنى فانى حجرك الذى تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة فى مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فاعطى طالوت داود فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شأنك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرنى ربى لم يغن هذا السلاح عنى شيأ وان نصرنى فلا حاجة لى به فدعنى اقاتل كما اريد قال نعم فأخذ داود مخلاته وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة جديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب فى قلبه فقال له جالوت وانت تبرز لى قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتنى بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وانت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحق واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها فى مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى اصاب انف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخرجا لوت صريعا قتيلا فاخذه داود بجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لى ما وعدتنى فقال له اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت على صداقا وليس لى شيء فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جريء وفى حيالنا اعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى بغلفهم زوجتك ابنتى فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته فى خيط حتى نظم مائتى غلفة فجاء بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتى فزوجه ابنته واجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت ابى قال وهل

ومثالهما فى الشاهد الفلك الاعظم والثامن المحيط بالسموات السبع وما فيهن (ولا يؤده) اى ولا يثقله (حفظهما) لانهما غير موجودين بدونه ليثقله حملهما بل العالم المعنوى كله باطنه والصورى ظاهره فلا وجود لهما الا به وليسا غيره (وهو العلى) الشان الذى لا يعلوه شيء وهو يعلو كل شيء ويقهره بالفناء (العظيم) الذى لا يتصور كنه عظمته وكل عظمة تتصور لشيء فهى رشحة من عظمته وكل عظيم فبنصيب من عظمته وحصة منها عظمته والعظمة مطلقا له دون غيره بل كلها له ليس لغيره فيها نصيب وهى اعظم آية فى القرآن لعظم مدلولها (لا اكراه فى الدين) لان الدين فى الحقيقة هو الهدى المستفاد من النور القلبى الفطرة الانسانية المستلزم للايمان اليقينى كما قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا

اجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثنى بذلك من لايكذب ولاعليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ائتينى بزق خمر فاتته به فوضعه فى مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ماطلبت لحقيق ان لايدعنى حتى يدرك ثاره منى فاشتد حجابه وحراسته واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله عنه الحجاب ففتح الابواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير منى ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكف عنى ولوشاء لوضع هذا السهم فى حلقى وما انا بالذى آمنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذى يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيأ من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشى فى البرية فقال اليوم اقتله وركض فى اثره فاشتد داود فى عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل ههنا لخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت فى شان داود فجعل طالوت لاينهاه احد عن قتل داود الاقتله فقتل خلقا كثيرا من العباد والعلماء حتى اتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع فى قلب طالوت التوبة والندم على مافعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكى وينادى انشد الله عبدا يعلم لى توبة لااخبرنى بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من القبور ياطالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجه الخباز الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم لى توبة او تعلم فى الارض عالما اساله عن توبتى فقال له الخباز ايها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق به اليها لاسألها عن توبتى قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز ايها الملك انها اذا راتك فزعت ولكن ائت خلفى فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه الست تعلمين حق عليك قالت بلى قال فان لى اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشى عليها فلما افاقت قالت والله ماعلم له توبة ولكن دلونى على قبر نبى فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت ياصاحب القبر فخرج ينفض التراب على رأسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال مالكم اقامت القيامة قالت لاولكن هذا طالوت قد جاء يسألك هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت مافعلت بعدى قال لم ادع من الشر شيأ الا فعلته وجئت اطلب التوبة فقال اشمويل ياطالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ماعلم لك من توبة

فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم والاسلام الذى هو ظاهر الدين مبنى عليه وهو امر لامدخل للاكراه فيه والدليل على ان باطن الدين وحقيقته الايمان كما ان ظاهره وصورته الاسلام مابعده (قد تبين) اى تميز (الرشد من الغى) بالدلائل الواضحة لمن له بصيرة وعقل كما قيل قد اضاء الصبح لذى عينين (فمن يكفر بالطاغوت) اى ماسوى الله وينفى وجوده وتأثيره (ويؤمن بالله) ايمانا شهوديا حقيقيا (فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها) اى تمسك بالوحدة الذاتية التى وثوقها واحكامها بنفسها فلا شئ اوثق منها اذ كل وثيق بها وثوق بل كل وجود بها موجود وبنفسه معدوم فاذا اعتبر وجوده فله انفصام فى نفسه لان الممكن وثاقته ... حوده بالواجب فاذا

الا ان تخلى من ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لا يتابعه بنوه على مايريد وكان قد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تنقذونني منها فقالوا بلى ننقذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذى سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال قد قتلت عدوك فقال داود ما انت باق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة فاتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (واتاه الله الملك والحكمة) يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) اى وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة منصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برا وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه او انكره حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذى عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه ما اعرف لك عندى وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازتى فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التى يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة منى ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة * قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعنى ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة بعضا وهم اهل الكفر والمعاصى قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار على الكفار والفجار

قطع النظر عنه فقد انقطع وجود ذلك الممكن ولم يكن في نفسه شيأ ولا يمكن انفصامه عن وجود عين ذاته اذ ليس فيه تجزؤ واثنينية وفي الانفصام لطيفة وهو انه انكسار بلا انفصال ولما لم ينفصل شئ من الممكنات من ذاته تعالى ولم يخرج منه لانه اما فصله واما صفته فلا انفصال قطعا بل اذا اعتبره العقل بانفراده كان منفصما اى منقطع الوجود متعلقا وجوده بوجوده تعالى (والله سميع) يسمع قول ذوى دين (عليم) بنياتهم وايمانهم (الله ولى الذين آمنوا) متولى امورهم ومحبتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) من ظلمات صفات النفس وشبه الخيال والوهم الى نور اليقين والهدى وفضاء عالم الروح (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) ما يعبدون من دون الله (يخرجونهم من النور الى الظلمات) من نور

(لفسدت الارض) يعني لهلكت من فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي (نتلوها عليك بالحق) اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم (وانك لمن المرسلين) يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى * قوله عز وجل (تلك الرسل) يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (منهم) اي من الرسل (من كلم الله) اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبياء آية او معجزة الا واوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم عن غيره من الانبياء بآيات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذي حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلائق كافة وختم بي النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيأ فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من اشعر الناس قال زهير والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه * وقوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) يعني الحجج

الاستعداد والهداية الفطرية الى ظلمات صفات النفس والشكوك والشبهات (والئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها) اي ارايت مثل الذي مر على قرية باد اهلها وسقطت سقوفها وخرت جدرانها عليها فتعجب من احيائها لكونه طالبا سالكا يصل الى مقام اليقين بعد ولم يستعد لقبول نور تجلي اسم المحيي والمشهور انه كان عزيرا (فأماته الله) اي فابقاه على موت الجهل كما قال امتنا اثنتين على قول وقال

والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى (وايدناه بروح القدس) اى وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى عنان السماء السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتى موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر فى باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق فى الفضل لانه اعظم الانبياء آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (ولو شاء الله) اى ولو اراد الله واصل المشيئة الارادة (ما اقتتل الذين من بعدهم) يعنى بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) يعنى اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) اى ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) اى ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل (ولو شاء الله ما اقتتلوا) اى ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعنى انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه فى ملكه وفعله سأل رجل على بن ابى طالب رضى الله عنه عن القدر فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) قيل اراد به الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق فى وجوه الخير (من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه) اى لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان يأتى يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدى به من العذاب (ولا خلة) اى ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضى نفى الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو الحى القيوم)

﴿فصل فى فضل هذه الآية الكريمة﴾ عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى اخرجه الترمذى قوله ان لكل شئ سناما سنام كل شئ اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل فى قومه والشريف والكريم واصله من ساد يسود وقوله هى سيدة آى القرآن اى افضله (م) عن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدرى اى آية من كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى صفة المهاجرين فسأله انسان اى آية فى القرآن اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحى القيوم اخرجه

وكنتم امواتا فاحياكم (مأة عام) يمكن ان يكون العام فى عهدهم كان مبنيا على دور القمر فيكون ثمانية اعوام واربعة اشهر وان يكون مبنيا على فصول السنة فيكون خمسة وعشرين سنة وان تكون اعمارهم فى ذلك الزمان كانت طويلة (ثم بعثه) بالحياة الحقيقية وطلب منه الوقوف على مدة اللبث فما ظنه الا يوما او بعض يوم استصغار المدة اللابث فى موت الجهل المقضية بالنسبة الى الحياة الابدية ولعدم شعوره بمرور المدة كالنائم الغافل عن الزمان ومروره ثم لما تفكر نبهه الله تعالى على طول مدة الجهل وموت الغفلة بانه مأة عام او اماته بالموت الارادى فى احدى المدد المذكورة فتكون المدة زمان رياضته وسلوكه ومجاهدته فى سبيل الله او اماته حتف انفه بالموت الطبيعى فتعلق روحه

ابوداود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسي بكونها اعظم آية في القرآن لما جمعت من اصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم ابوالحسن الاشعري وابوبكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عزوجل نقص وتاول هؤلاء ماورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل على بعض الآيات اوالسور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم اجر القارئ اوجزيل ثوابه وقول ان هذه الآية اوهذه السورة اعظم اوافضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ بوه ذلك حتى يمسي ومن قراها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عزوجل الله لا اله الا هو نفى الالهية عن كل ماسواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لاكريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي بمعنى الباقي على الابد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجود اوبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شئ هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجميع مايحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشئ (لاتأخذه سنة ولانوم) السنة مايتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لاتأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه نوم لان النوم والسهر والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عزوجل لاينام ولاينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه * شرح ماتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لاينام ولاينبغي له ان ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لاينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان

بدن آخر من جنسه لاكتساب الكمال امابعد زمان واما في الحال حتى مر عليه احدى المدد الثلاث المذكورة وهو لايطلع على حاله فيها ولم يشعر بمدته ومصاده وكان ميتا ثم بالحياة الحقيقية فاطلع بنور العلم على حاله وعرف مبداه ومصاده وقوله (قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) كقوله تعالى ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الاساعة من النهار وقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية اوضحاها وقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كل ذلك لغفلتهم عن مرور الزمان وكذا مفارق اخا او مصاحبا اوشيأ آخر اذا ادرك الوصال بعد طول مدة الفراق كان تلك المدة احينئذ لم تكن اذلا يحس

و رفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل اراد بالقسط الرزق الذى هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء و يرفعه اى يوسعه على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعنى ان الحفظة من الملائكة يصعدون باعمال العباد فى الليل بعد انقضائه فى اول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضائه فى اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء فى آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب اصله فى اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشئ المانع من الرؤية وسمى ذلك الشئ المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من الادراك فى العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من فى قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا او نارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس فى قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فاوحى الله تعالى الى الملائكة وامرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما فى يديه فى كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابى هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى على المنبر قال وقع فى نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء انه صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى اعلم * قوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفى ملكه فان قلت لم قال له ما فى السموات ولم يقل من فى السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) اى بأمره وهذا استفهام انكارى والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم و شفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) يعنى ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من خير او شر وما خلفهم مما هو فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من احوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشئ من علمه) يقال احاط بالشئ اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه فى قلبه فقد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الا بما شاء) يعنى ان يطلعهم

بها بعد مضيها وان قاساها قبل الوصال (وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) قيل طعامه التين والعنب وشرابه الخمر واللبن فالتين اشارة الى مدركات الكلية لكونه لبا كله وكون الجزئيات فيها بالقوة كالحبات التى فى التين والعنب اشارة الى الجزئيات لبقاء اللواحق المادية معها فى الادراك كالقشر والعجم واللبن اشارة الى العلم النافع كالشرائع والخمر اشارة الى العشق والارادة وعلوم المعارف والحقائق لم يتسنه اى لم يتغير عما كان فى الازل بحسب الفطرة مودعا فيك فان العلوم مخزونة فى كل نفس بحسب استعدادها كما قال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فان حجبت بالمواد وخفيت مدة ما لتقلب فى البرازخ وظلماتها لم تبطل ولم تتغير عن حالها حتى اذا رفع الحجاب بصفاء القلب ظهرت كما كانت ولهذا قال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن (وانظر الى حمارك) اى بدنك بحاله على الوجه الاول والثانى وكيف نخرت عظامه وبليت على

عليه وهم الانبياء والرسل ليكون مايطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول (وسع كرسيه السموات والارض) يقال فلان وسع الشئ سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض اوراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمى به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدى ان السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدى العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز (ولا يؤده) اى لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه (حفظهما) اى حفظ السموات والارض (وهو العلى) اى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شئ فيما يجب ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلى بالاطلاق المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعا على كل وجه وقيل معناه انه لا يعلو ان يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعنى انه ذو العظمة والكبرياء الذى لا شئ اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذى قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذى هو من نعوت الاجسام * قوله عز وجل (لا اكراه في الدين) سبب نزول هذه الآية فيما روى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهي التى لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فنزلت الآية لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي

الوجه الثالث (ولنجعلك آية للناس) اى ولنجعلك دليلا للناس على البعث بعثناك (وانظر الى العظام كيف ننشزها) اى نرفعها (ثم نكسوها لحما) على كلا الوجهين ظاهر فانه اذا بعث وعلم حاله وتجرده عن البدن علم تركيب بدنه برفع العظام وجمعها وكسوتها لحما (فلما تبين له) ذلك البعث والنشور (قال اعلم ان الله على كل شئ قدير واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى) اى بلغني الى مقام العيان من مقام العلم الايقاني ولهذا قرر ايمانه بهمزة الاستفهام التقريرية (فقال اولم تؤمن) اى اولم تعلم ذلك يقينا واجاب ابراهيم عليه السلام بقوله (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) اى ليسكن وتحصل طمانينته بالمعاينة فان عين اليقين انما يوجب الطمانينة لا علمه (قال فخذ اربعة من الطير) اى القوى الاربعة التى تمنعك عن مقام العيان وشهود الحياة الحقيقية وقيل كانت طاوسا وديكا وغرابا وحمامة وفي رواية بطة بدل الطاوس هو العجب

صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه فى الدين فخل سبيلهما وقيل نزلت فى اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل فى اهل الكتاب لا اكراه فى الدين يعنى اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك فى ابتداء الاسلام قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهرى سألت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه فى الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا فى الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوه فاستأذن الله فى قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه فى الدين اى دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه (قد تبين الرشد من الغى) يعنى ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعنى الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ماعبد من دون الله تعالى وقيل كل مايطغى الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) اى ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شئ كان يعبده وفيه اشارة الى انه لابد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم فى الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذى يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) اى لا انقطاع لها حتى تؤدى الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذى هو دين الاسلام كالمتمسك بالشئ الوثيق الذى لا يمكن كسره ولا انقطاعه (والله سميع) يعنى انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين (عليم) بما فى قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم * قوله عز وجل (الله ولى الذين آمنوا) اى ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولى امورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولى هداياتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) اى من الكفر الى الايمان وكل مافى القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمى الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وهى الاسلام نور الوضوح طريقه وبيان ادلته (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) يعنى كعب بن الاشرف وحيى بن اخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) اى من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا فى نور قط قلت هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون فى كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم فى حق جميع الكفار سمى منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتنى من مالك اذا اوصى به لغيره فى حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط فى ملتهم (اولئك

والديك الشهوة والغراب الحرص والحمامة حب الدنيا لتألفها وكرها وبرجها والظاهر انها بطة فتكون اشارة الى الشره الغالب عليها (فصرهن اليك) اى املهن واضممهن اليك بضبطها ومنعها عن الخروج الى طلب لذاتها والنزوع الى مألوفاتها وقيل امر بان يذبحها وينتف ريشها ويخلط لحومها ودماءها بالدق ويحفظ رؤسها عنده اى يمنعها عن افعالها ويزيل هيئاتها عن النفس ويقمع دواعيها وطبائعها وعاداتها بالرياضة ويبقى اصولها فيه (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) اى من الجبال التى بحضرتك وهى العناصر الاربعة التى هى اركان بدنه اى اقمعها وامتها حتى لا يبقى الا اصولها المركوزة فى وجودك وموادها المعدة فى طبائع العناصر التى فيك كانت الجبال سبعة فعلى هذا يشير بها الى الاعضاء السبعة التى هى اجزاء البدن (ثم ادعهن) اى انها اذا انت حييت بحياتها كانت غير طبعية مستولية

اصحاب النارهم فيها خالدون) يعنى الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم * قوله عزوجل (الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه) يعنى هل انتهى اليك يا محمد خبر الذى خاصم ابراهيم وجادله لان الم تركلة يوتف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا فى صنعه والذى حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض وادعى الربوبية (ان اتاه الله الملك) اى لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنات فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا فى وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعونا اليه قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت وقيل كان هذا بعد القائه فى النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتا رساله من ربك فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فرعلى كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود مارآه احد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان عهد اهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان آمن بى واتركك فى ملكك قال وهل رب غيرى فجاء الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شئ من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكثت فى رأسه اربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب اربعمائة سنة مدة ملكه حتى اماته الله عزوجل (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت (قال) يعنى قال نمرود (انا احيى واميت) قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لاعجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحى من امات ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض اللفظ بمثله ونسى اختلاف الفعلين (قال ابرهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر) يعنى تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيأ وعرف انه لايطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذى كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم

عليك وحشية ممتنعة عن قبول امرك فاذا قتلتها كنت حيا بالحياة الحقيقية الموهوبة بعد الفناء والمحو فتصير هى حية بحياتك لابحياتها حياة النفس مطيعة لك منقادة لامرك فاذا دعوتها (ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز) غالب على قهر النفوس (حكيم) لايقهرها الابحكمة ويمكن حمله على حشر الوحوش والطيور وعلى هذا فيكون جعل اجزائها على الجبال تغذية الجسم بها ودعاؤه واتيانه اليه ساعية توجهها الى الانسان بعد النشور (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ذكر سبحانه ثلاث انفاقات وفاضل بينها فى الجزاء اولها الانفاق فى سبيل الله وهو انفاق فى طلب الملك عن تجلى الافعال يطلبه صاحبه ليثيبه الله تعالى فأثابه سبعمائة اضعاف ما اعطى ثم زاد فى الاضعاف الله مالا يتناهى بحسب المشيئة لان يده تعالى ابسط واطول من يده بمالا يتناهى (والله واسع) كثير العطاء

سل انت ربك حتى يأتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف انه لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه من تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لايهدى القوم الظالمين) يعنى لايرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود ❁ قوله عز وجل (او كالذى مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التى قبلها والمعنى الم تر الى الذى حاج ابراهيم او كالذى مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذى حاج ابراهيم وهل رأيت كالذى مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذى حاج ابراهيم او الى الذى مر على قرية واختلفوا فى ذلك المار فروى عن مجاهد انه كان كافرا شك فى البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لايخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لايستعمل فى حق الكافر وانما يستعمل فى حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارمياء بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكرى البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لاتعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون ارمياء وفى هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو امى لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا فى تلك القرية فقيل هى بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هى القرية التى اهلك الله اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هى دير سابر آباد وقيل سلماباد وقيل هى دير هرقل وقيل قرية العنب هى على فرسخين من بيت المقدس وقوله هى دير سابر آباد موضع كان بفارس وسلماباد محلة او قرية من نواحى جرجان وقيل ايضا من نواحى همدان ودير هرقل بكسر اوله وراء ساكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى ثم احياهم لحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها هى التى عدها احيا الله حمار عزير (وهى خاوية على عروشها) اى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعنى ذلك المار (انى يحيى هذه الله بعد موتها) فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك فى قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجارى العرف والعادة لاعلى سبيل الانكار لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى ومعنى انى يحيى هذه الله من اين يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية فى نفسه وفى احياء تلك القرية وكان سبب القصة فى ذلك ماروى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارمياء الى ناشية بن اموص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فاوحى الله تعالى الى ارمياء ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارمياء يارب انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انى الهمك فقام ارمياء فيهم ولم يدر مايقول فالهمه الله تعالى فى الوقت خطبة

لايقدر باعطينا عطاؤه (عليهم الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله) بنيات المعطين واعتقاداتهم انه من فضل الله تعالى فيثيبهم على حسب ذلك وثانيها الانفاق عن مقام مشاهدة الصفات على ماسيأتى وهو الانفاق لطالب رضاء الله كما ان الاولى هو الانفاق لطالب عطاء الله وثالثها الانفاق بالله وهو عن مقام شهود الذات (ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) نبه على ان الانفاق يبطله المن والاذى لان الانفاق انما يكون محمودا لثلاثة اوجه كونه موافقا للامر بالنسبة الى الله تعالى وكونه مزيلا لرذيلة البخل بالنسبة الى نفس المنفق وكونه نافعا مريحا بالنسبة الى المستحق فاذا من صاحبه فقد خالف امر الله لانه منهى وظهرت نفسه بالاستطالة والاعتداد بالنعمة والعجب والاحتجاب بفعلها ورؤية النعمة منها لامن الله وكلها رذائل اردأ من البخل لازمة له

بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عزوجل انى احلف
بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من
صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اليه انى مهلك بنى اسرائيل بيافث
ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ
الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاءه ناداه ياارمياء اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم
يارب اهلكنى قبل ان ارى فى بنى اسرائيل مالا اسربه فقال الله عزوجل وعزتى وجلالى
لااهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبل ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه
وقال لاوالذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك
وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم
انهم مكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر نقل الوحى
وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر
البابلى فخرج فى ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا واتى الخبر الى ملك بنى
اسرائيل قال لارمياء اين مازعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لايخلف الميعاد وانا به
واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارمياء ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل
فقال له ارمياء من انت قال انا رجل من بنى اسرائيل اتيتك استفتيك فى اهل رحمى وصلت
ارحامهم ولم آت اليهم الاحسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الاسخطا لى فافتنى فيهم فقال ارمياء احسن
فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه فى صورة ذلك الرجل
فقعد بين يديه فقال له ارمياء من انت قال انا الرجل الذى اتيتك استفتيك فى شأن اهلى فقال له ارمياء
اماطهرت اخلاقهم بعدلك فيهم فقال يانبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما اعلم كرامة ياتيها احد من
الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارمياء ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى
يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس
ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارمياء يانبى الله اين ماوعدك الله فقال انى بربى واثق ثم اقبل
ذلك الملك الى ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى
وعده فقعد بين يديه فقال له ارمياء من انت قال انا الذى جئتك فى شأن اهلى مرتين فقال ارمياء
اما آن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يانبى الله ان كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت
اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له ارمياء على اى عمل رايتهم قال على عمل عظيم
يسخط الله تعالى فغضبت الله عزوجل فاتيتك لاخبرك وانا اسألك بالله الذى بعثك بالحق ان تدعو الله
عليهم ليهلكوا فقال ارمياء ثم ياما لك السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق
وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لاترضاه فاهلكهم فاخرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله
عزوجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه
فلما راى ذلك ارمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال ياما لك السموات والارض اين ميعادك
الذى وعدتنى به فنودى انهم لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارمياء انها فتياه
وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر

ولو لم يكن له الا رؤية نفسه بالفضيلة لكفاه مبطلا واما الوجه الثالث الذى هو بالنسبة الى المستحق فيبطله الاذى المنافى للراحة والنفع والمن ايضا مبطل له لاقتضائه الترفع واظهار الاصطناع واثبات حق عليه ثم قال (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى) اذا القول الجميل وان كان بالرد يفرح قلبه ويروح روحه والصدقة انما تنفع جسده ولاتفرح القلب الا بالتبعية وتصور النفع فاذا قارن مايمنع الجسد ما يؤذى الروح تكدر النفع وتنغص ولم يقع فى مقابلة الترح الحاصل من القول الجميل ولولم يكن مع التنغيص ايضا لان الروحانيات اشرف واحسن واوقع فى النفوس (والله غنى) عن الصدقة المقرونة بالاذى فيعطى المستحق من خزائن غيبه (حليم) لايعاجل بالعقوبة (يا ايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل

وجنوده بيت المقدس ووطئ الشأم وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقى فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وكان فى اولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشأم فكانت هذه الوقعة الاولى التى انزلها الله ببنى اسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل اقبل ارمياء على حمار له ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايليا وهى ارض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما حرب بيت المقدس قدم بسبايا بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق ولما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لاشكا فى البعث ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان ارمياء ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وامات الله حماره وبقى عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونه واهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودى ان الله يامرك ان تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان الله يامرك ان تحيى فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارمياء فهو يدور فى الفلوات فذلك قوله تعالى (فاماته الله مائة عام) اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم فى جميع بروجها (ثم بعثه) اى ثم احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها (قال كم لبثت) يعنى قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذى مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعنى ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى اماته ضحى فى اول النهار واحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (او بعض يوم قال) يعنى قال الله له وقيل قال الملك له (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعنى التين الذى كان معه قبل موته (وشرابك) يعنى العصير كانه قد عصر من ساعته يعنى العصير (لم يتسنه) يعنى لم تغيره السنون التى اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته لم يتغير ولم ينتن (وانظر الى حمارك) اى وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب

صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله) هذا هو القسم الثانى من الانفاق فضله على الاول بتشبيه بالجنة فان الجنة مع ايتاء اكلها تبقى بحالها بخلاف الحبة فأشار بها انه ملك لهم كأنه صفة ذاتية ولهذا قال (وتثبيتا من انفسهم) اى توطينا لها على الجود الذى هو صفة ربانية وقوله (بربوة) اشارة الى ارتفاع رتبة هذا الانفاق وارتقائه عن درجة الاول (اصابها وابل) اى حظ كثير من صفة الرحمة الرحمانية ومدد وافر من فيض جوده لانها ملكة الاتصال بالله تعالى بمناسبة الوصف واستعداد قبوله والاتصاف به (فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل) اى حظ كثير فحظ قليل (والله بما تعملون بصير) باعمالكم يرى انها من اى القبيل (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب

الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر (ولنجعلك آية للناس) قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعنى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب اسود الراس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعنى احياه وقرئ بالزاى ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشئ رفعه وازعاجه يقال نشزته فنشز اى رفعته فارتفع واختلفوا فى معنى الآية فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى احيا عزيرا او ارمياء على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشى حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة فى عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشرها وذلك ان الله اول ما احيا منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده ميتا وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعدما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى الى محلته فانكره الناس وانكرهو الناس وانكر منازله فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون وكانت امة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رأيت احدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال انى عزير ان الله تعالى اماتنى مائة سنة ثم احيانى فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد على بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم فى انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم فدعا عزير ربه فرد على بصرى واطلق رجلى وزعم ان الله تعالى قد اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فرآها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين

تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) تمثيل لحال من عمل صالحا انفاقا كان او غيره متقربا به الى الله مبتغيا رضاه كما فى هذا القسم من الانفاق ثم ظهرت نفسه فيه وتحركت فكانت حركاتها المخالفة بحركة الروح ودواعيها المتفاوتة المضادة لداعية القلب اعصارا فافترص الشيطان حركتها واتخذها مجالا له بالوسوسة فنفث فيها رؤية عملها اورياء فكان ذلك النفث نارا احرقت عملها احوج ما يكون اليه كما قال امير المؤمنين على عليه السلام اللهم اغفرلى ما تقربت به اليك ثم خالفه قلبى (ياايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض) امر بالقسم الثالث من الانفاق من طيبات ما كسبتم اذ المختار بالله يختار الاشرف من كل شئ للمناسبة كما قال امير المؤمنين على عليه

الخلائق بكى عزير على التوراة فأتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير وقد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتي القصة في سورة التوبة ان شاء الله تعالى * وقوله تعالى (فلما تبين له) يعني فلما اتضح له عيانا ما كان يستنكره من احياء القرية ورآه عيانا في نفسه (قال اعلم) قرئ مجزوما موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن الذي قال انى يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك عيانا قال اعلم (ان الله على كل شيء قدير) يعني الاماتة والاحياء * قوله عز وجل (واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى) اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فأكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب اني قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف الدواب فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى (قال اولم تؤمن) يعني اولم تصدق (قال بلى) يا رب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) اي ليسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها ويسألونه في دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس وكان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابرهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من انت قال انا ملك الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سألتك (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك

السلام ان الله جميل يحب الجمال ومن كان في انفاقه بالنفس لا يقدر على انفاق الاشرف لضن النفس ومحبتها اياه واستئثارها به عن تخصيصه بالله فما كان بالنفس ليس ببر اصلا لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) تخصونه بالانفاق كعادة المنفقين بالنفس والطبيعة (ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه) لحبكم الاطيب من المال لانفسكم لاختصاص محبتكم بالذات اياها ولهذا لا تؤثرون الله بالمال عليها فتنفقوا الطيب له (واعلموا ان الله غني) فاتصفوا بغناه مستفيضوا به عن المال ومحبته (حميد) لا يفعل الا الفعل المحمود فاقتدوا به (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) اي الخصلة القبيحة التي هي البخل فتعوذوا منه بالله فانه (والله يعدكم مغفرة منه) اي ستر الصفات نفوسكم بنوره (وفضلا) وموهبة من مواهب صفاته لكم وتجلياتها كالغنى المطلق فلا يبقى فيكم

من ابرهيم اذقال رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطالقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت فى السجن مالبث يوسف لاجبت الداعى ﴿القول على معنى الحديث وما يتعلق به﴾ اختلف العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم على اقوال كثيرة فأحسنها واصحها مانقل المزنى وغيره من العلماء ان الشك مستحيل فى حق ابرهيم فان الشك فى احياء الموتى لوكان متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق به من ابرهيم ولقد علمتم انى لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابى ليس فى قوله نحن احق بالشك من ابرهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابرهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا فى قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت فى السجن مالبث يوسف لاجبت الداعى وفيه الاعلام بان المسئلة من ابرهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم ومعناه ان هذا الذى تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابرهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم واما تفسير الآية فقوله تعالى واذ قال ابرهيم اى واذكر يا محمد اذ قال ابرهيم وقيل انه معطوف على قوله الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه والتقدير الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه الم تر اذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى قال يعنى قال الله لابرهيم اولم تؤمن الالف فى اولم تؤمن الف اثبات وايجاب كقول جرير * الستم خير من ركب المطايا * اى الستم كذلك والمعنى اولست قد آمنت وصدقت انى احيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعنى سألتك ذلك ارادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لارى من آياتك واعلم انك قد اجبتنى (قال فخذ اربعة من الطير) قيل اخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران فى السماء والارتفاع فى الهواء وكانت همة ابرهيم عليه السلام كذلك وهو العلو فى الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة ففى الطاوس اشارة الى مافى الانسان من حب الزينة والجاه وفى النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفى الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفى الغراب اشارة الى شدة الحرص ففى هذه الطيور مشابهة لما فى الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق اعلى الدرجات فى الجنة وفاز بنيل السعادات (فصرهن) قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن (اليك) ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحومها ودماءها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزأ واختلفوا فى عدد الاجزاء

خوف الفقر (والله واسع) يسع ذواتكم وصفاتكم وعشاؤكم لايضيق وعاء جوده بالعطاء ولا ينفد عطاياه (عليم) بمواقع تجلياته واستعدادها واستحقاقها (يؤتى الحكمة من يشاء) لاخلاصه فى الانفاق وكونه فيه بالله فيعطيه حكمة الانفاق لينفقوا من الحكمة الالهية لكونه متصفا بصفاته (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا) لانها اخص صفات الله (ومايذكر) ان الحكمة اشرف الاشياء واخص الصفات (الااولوا الالباب) الذين نورالله عقولهم بنور الهداية فصفاها عن شوائب الوهم وقشور الرسوم والعادات وهو النفس فجزاء الانفاق الاول هو الاضعاف فجزا الثانى هو الجنة الصفاتية المثمرة للاضعاف وجزاء الثالث هو الحكمة اللازمة للوجود والموهوب فانظركم بينها من التفاوت (وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه) من اى القبول هو فيجازيكم بحسبه (وما للظالمين) اى المنفقين رياء الناس الواضعين الانفاق فى غير موضعه او الناقصين

والجبال فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما امران يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الآخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابرهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء بغير رؤس ثم اقبلن سعيا الى رؤسهن كلما جاء طائر قال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيا) وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور او ان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعيا وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة (واعلم ان الله عزيز) يعني انه تعالى غالب على جميع الاشياء لا يعجزه شئ (حكيم) يعني في جميع اموره ٭ قوله عز وجل (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله (كمثل حبة) اى كمثل زارع حبة (انبتت) يعني اخرجت تلك الحبة (سبع سنابل) جمع سنبلة (في كل سنبلة مائة حبة) فان قلت فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الآخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله (والله واسع) اى غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة على الجواد والافضال (عليم) يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقدار الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه ٭ قوله عز وجل (الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجاء باربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فامسكت لنفسي ولعيالي اربعة آلاف واربعة آلاف

حقوقهم برؤية انفاقهم اوضم المن والاذى اليه او بالانفاق من الخبيث (من انصار) يحفظونهم من بأس الله (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيآتكم والله بما تعملون خبير) لبعدها عن الرؤياء وكونها اقرب الى الاخلاص (ليس عليك هداهم) الى الانفاقات الثلاثة المذكورة المبرأة عن المن والاذى والرياء ورؤية الانفاق وكونه من الخبيث اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين انما عليك تبليغ الهداية (ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم) فلم تمنون به على الناس وتؤذونهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) فالكم تستطيلون به على الناس وكيف تراؤن فيه (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون) ليس لغيركم فيه نصيب فلا تنفقوا الاعلى انفسكم في الحقيقة لا على غيركم فلا ينقص به شئ منكم فلكم تقصدون الخبيث بالانفاق منه فلانها مصروفة

اخرجتها لربي عزوجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم (ثم لايتبعون ما انفقوا منا ولا اذى) اى لايتبع نفقته التي انفقها بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطائه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسأل وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحني الله منك وامثال ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول ايضا ومنه قول الشاعر

فمني علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ماهو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبدالرحمن بن زيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيأ ورأيت ان سلامك يثقل عليه فلاتسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن

زاد معروفك عندي عظما * انه عندك مستور حقير

تتناساه كان لم تأته * وهو في العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

اتيت قليلا ثم اسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

واما الاذى فهو مايصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فنقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم فجميع ماهم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما * وقوله تعالى (لهم اجرهم) يعني ثوابهم (عند ربهم) يعني في الآخرة (ولا خوف عليهم) يعني يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعني على ماخلفوا من الدنيا (قول معروف) اى كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعده بها وقيل دعاء صالح تدعوله بظهر الغيب (ومغفرة) اى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده (خير من صدقة) يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي تدفعها الى الفقير (يتبعها اذى) وهو ان يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقوله او يؤذيه بفعل (والله غني) اى مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الغنى الذي لايحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى (حليم) يعني انه تعالى حليم لايعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته * قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم) يعني اجور صدقاتكم (بالمن والاذى) يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والاذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كالذي) اى كابطال الذي (ينفق ماله رئاء الناس) اى مراآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء

الى الاقسام الثلاثة المذكورة من الانفاق للتحذير عن آفاتها بتصوير غاياتها (للفقراء) اى اقصدوا بصدقاتكم الفقراء (الذين احصروا) احصرهم الجهاد (في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض) للتجارة والكسب لاشتغالهم بالله واستغراقهم في الاحوال وصرف اوقاتهم في العبادات (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) عن السؤال والاستغناء عن الناس (تعرفهم بسيماهم) من صفرة وجوههم ونور جباههم وهيئة سحناتهم انهم عرفاء فقراء اهل الله لا يعرفهم الا الله ومن هو منهم (لايسئلون الناس الحافا) اى الحاحا والمراد نفي مسئلة الناس بالكلية كقوله * على لاحب لايهتدى بمناره * والمراد نفي المنار والاهتداء جميعا او نفي الالحاف واثبات التعطف في المسئلة (وما تنفقوا من خير) على اى من انفقتم غنيا كان او فقيرا (فان الله به عليم) اى بان ذلك الانفاق له او لغيره فيجازي بحسبه (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم

من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به (فمثله) اى مثل هذا المرائى بصدقته وسائر اعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفى (عليه تراب) اى على ذلك الصفوان تراب (فاصابه وابل) يعنى المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) يعنى ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لاشئ عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائى والمؤمن المنان بصدقته يؤذى الناس يرى الناس ان لهؤلاء اعمالا فى الظاهر كما يرى التراب على الصفوان فاذا جاء المطر اذهبه وازاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب (لايقدرون على شئ مما كسبوا) اى لايقدرون على ثواب شئ مما عملوا فى الدنيا (والله لايهدى القوم الكافرين) يعنى الذين سبق فى علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوى بسنده عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه * قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله) اى طلب رضا الله (وتثبيتا من انفسهم) يعنى على الانفاق فى طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم فى سائر وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك اورياء امسك (كمثل جنة) اى بستان قال الفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هى المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هى الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها (اصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ماروضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض (فآتت اكلها ضعفين) اى فاعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت فى سنة من الريع ما يحمله غيرها فى سنتين وقيل اضعف فحملت فى السنة مرتين (فان لم يصبها وابل فطل) اى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل فذلك حال هذه الجنة فى تضاعف ثمرها فانها لاتنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فى انفاقه وسائر اعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة

ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) عم الانفاق اولا وثانيا بحسب الاوقات والاحوال ليعلم انه لايتفاوت بها بل بالقصد والنية (الذين يأكلون الربوا لايقومون الاكما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) اكل الربا اسوا حالا من جميع مرتكبى الكبائر فان كل مكتسب له توكل ما فى كسبه قليلا كان اوكثيرا كالتاجر والزراع والمحترف اذ لم يعينوا ارزاقهم بعقولهم ولم تتعين لهم قبل الاكتساب فهم على غير معلوم فى الحقيقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى الله ان يرزق المؤمن الا من حيث لايعلم واما آكل الربا فقد عين على آخذه مكسبه ورزقه سواء ربح الآخذ اوخسر فهو محجوب عن ربه بنفسه وعن رزقه بتعيينه لاتوكل له اصلا فوكله الله تعالى الى نفسه وعقله واخرجه من حفظه وكلاءته فاختطفه الجن وخبلته فيقوم يوم القيامة ولا رابطة بينه وبين الله كسائر الناس المرتبطين به بالتوكل فيكون كالمصروع الذى مسه الشيطان فتخبطه

تربع وتزكو فى كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص فى صدقته وانفاقه الذى لايمن ولا يؤذى سواء قلت نفقته او كثرت (والله بما تعلمون بصير) يعنى انه تعالى لاتخفى عليه نفقة المخلص فى صدقته الذى لايمن بها ولايؤذى والذى يمن بصدقته ويؤذى * قوله عزوجل (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود يعنى ايحب احدكم ان تكون له جنة اى بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه واحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه (تجرى من تحتها الانهار) يعنى ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (واصابه الكبر) يعنى صاحب هذه الجنة كثرت جنبات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون فى غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضى على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه الثانى انه عطف على المعنى فكأنه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعنى له اولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فاصابها) يعنى اصاب تلك الجنة (اعصار فيه نار فاحترقت) الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائى يقول مثل عمل المنافق والمرائى بعمله فى حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج مايكون اليها فحصل فى قلبه من الغم والحسرة مالا يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لايجد مايعود به على اولاده وهم لايجدون مايعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لاحيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيامة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيرطابها الله تعالى وهو فى غاية الحاجة اليها حين لامستعتب له ولاتوبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم اولانعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ ياامير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن اخى ولاتحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى احرق اعماله كلها (كذلك يبين الله لكم الآيات) يعنى كما بين الله تعالى لكم امر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك (لعلكم تتفكرون) اى فتتعظوا وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعنى فى زوال الدنيا واقبال الآخرة * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم) اى من خيار ماكسبتم وجيده وقيل من حلالات ماكسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحق بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذى المتخوض الذى يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان فى الماء يمينا وشمالا (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على

لايهتدى الى مقصد (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) اى ذلك بسبب احتجاجهم بقياسهم واول من قاس ابليس فيكونون من اصحابه مطرودين مثله (يمحق الله الربوا ويربى الصدقات) وان كان زيادة فى الظاهر (ويربى الصدقات) وان كان نقصانا فى الشاهد لان الزيادة والنقصان انما يكونان باعتبار العاقبة والنفع فى الدارين والمال الحاصل من الربا لابركة له لانه حصل من مخالفة الحق فتكون عاقبته وخيمة وصاحبه يرتكب سائر المعاصى اذكل طعام يولد فى آكله دواعى وافعالا من جنسه فان كان حراما يدعوه الى افعال محرمة وان كان مكروها فالى افعال مكروهة وان كان مباحا فالى مباحة وان كان من طعام الفضل فالى

الناس زمان لايبالى المرء مااخذمنه من حلال ام من حرام (خ) عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذى والنسائى واختلفوا فى المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة فى مال التجارة وقال داود الظاهرى لاتجب الزكاة بحكم التجارة فى العروض الا ان ينوى به التجارة فى حال تملكه ودليل الجمهور ماروى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذى يعد للبيع اخرجه ابوداود وعن ابى عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقى ادمة احملها فقال عمر الاتؤدى زكاتك ياحماس فقلت مالى غير هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول عن عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا او مائتى درهم اخرج منه ربع العشر ﴿ المسئلة الثانية ﴾ فى قوله تعالى (ومما اخرجنا لكم من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل ماخرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة فى النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة الزكاة فى كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضروات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ماروى عن معاذ انه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهى البقول فقال ليس فيها شئ اخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند اهل العلم انه ليس فى الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجدالدين ابو البركات عبد السلام بن عبدالله بن تيمية الحرانى فى احكامه عن عطاء بن السائب قال اراد عبدالله بن المغيرة ان يأخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم فى سننه وهو اقوى المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك تجب الزكاة فى الزيتون وتجب فى الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفى الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ يجب اخراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح او سانية ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون

مندوبات وكان فى افضاله متبرعا متفضلا وان كان بقدر الواجب من الحقوق فافضاله تكون واجبة ضرورية وان كان من الفضول والحظوظ فافضاله تكون كذلك فعليه اثم الربا وآثار افضاله المحرمة المتولدة من اكله على ماورد فى الحديث الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الاول فتزداد عقوباته و آثامه ابدا ويتلف الله ماله فى الدنيا فلاينتفع به اعقابه واولاده فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو المحق الكلى واما المتصدق فلكون ماله مزكى تبارك الله فى ثمره مع حفظ الاصل وآكله لايكون الامطيعا فى افضاله ويبقى ماله فى اعقابه و اولاده منتفعا به وذلك هو الزيادة فى الحقيقة و اولم تكن زيادته الاما صرف فى طاعة الله لكفى به زيادة واى زيادة افضل مما تبقى عندالله ولولم يكن نقصان الربا الاحصوله من مخالفة الله وارتكاب نهيه لكفى به نقصانا واى نقصان افحش مما يكون سبب حجاب

صاحبه وعذابه ونقصان
حظه عند الله (والله لا يحب
كل كفار أثيم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واقاموا
الصلاة وآتوا الزكوة لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا
ان كنتم مؤمنين فان لم
تفعلوا فاذنوا بحرب من
الله ورسوله وان تبتم فلكم
رؤس اموالكم لا تظلمون و
لا تظلمون وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا
خير لكم ان كنتم تعلمون
واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله ثم توفى كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون
يا أيها الذين آمنوا اذا
تداينتم بدين الى اجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم
كاتب بالعدل ولا يأب كاتب
ان يكتب كما علمه الله
فليكتب وليملل الذي عليه
الحق وليتق الله ربه ولا
يبخس منه شيأ فان كان
الذي عليه الحق سفيها
اوضعيفا اولا يستطيع ان
يمل هو فليملل وليه بالعدل
واستشهدوا شهيدين من
رجالكم فان لم يكونا رجلين

او كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر اخرجه البخاري ولابي داود والنسائي قال فيما سقت السماء والانهار والعيون او كان بعلا العشر وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر قال ابو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه وقال وكيع هو الذي ينبت من ماء السماء قوله او كان عثريا اراد به القوي من الزرع وهو البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضح هو الاستقاء وكذلك السانية وهي الدابة التي يسقى عليها سواء كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر في كل قليل او كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روى عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون خمسة اواق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة وفي رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر او حب صدقة اخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) اي ولا تقصدوا الخبيث يعني الرديء من اموالكم (منه تنفقون) اي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر والتمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه قال لو ان احدكم اهدى اليه مثل ما اعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتي احدنا بصالح ما عنده اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الرديء منه تنفقون يعني تتصدقون (ولستم بآخذيه) يعني ذلك الشيء الخبيث الرديء (الا ان تغمضوا فيه) الاغماض في اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو اهدى ذلك ما اخذتموه الا استحياء من صاحبه وغيظا فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الرديء لان اهل السهمان شركاؤه فيما عنده وان كان كله رديئا فلا بأس باعطاء الرديء (واعلموا ان الله غني) يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها (حميد) اي محمود في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي اجركم على ما تعطونه من الخير * قوله عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر) اي يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر قال في الخير وعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان

يخوفكم بالفقر ويقول الرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لان البخيل على صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم (وفضلا) يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة التي تقع في القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله تعالى (والله واسع) اي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقون (عليم) يعني بما تنفقونه لا يخفى عليه خافية (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض (ق) عن اسماء بنت ابي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي عليك قوله ولا توعي اي لا تجمعي فيشح الله عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليه ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي ولا تحصي * قوله عز وجل (يؤتي الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لانه تضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر * ابني حنيفة احكموا سفهاءكم * اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام او ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعني ومن يؤته الله الحكمة (فقد اوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم معناه فقد اوتي اي خير كثير (وما يذكر

فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) اي آكل الربا كفار اثيم بفعله والله لا يحب من كان كذلك (لله ما في السموات) اي في العالم الروحاني كله بواطنه وصفاته واسرار غيوبه ودقائق جوده (وما في الارض) اي في العالم الجسماني كله ظواهره

الا اولوا الالباب) اى وما يتعظ بما وعظ الله الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله امره ونهيه * قوله عز وجل (وما انفقتم من نفقة) يعنى فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها (او نذرتم من نذر) يعنى به ما اوجبتموه على انفسكم فى طاعة الله فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه شيأ ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير فى الامر المهم والنذر فى الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله على صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله لا افعل كذا ثم يفعله او يقول لله على نذر من غير تسمية شئ فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصى الله فلا يعصه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فى معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فاطاقه فليف به اخرجه ابو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم اخرجه النسائى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتى بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرج قال بعض العلماء يحتمل ان يكون سبب النهى عن النذر كون الناذر يصير ملتزما مالا فيأتى به تكلفا من غير نشاط او يكون سببه كونه يأتى به على سبيل المعاوضة عن الامر الذى طلبه فينقص اجره وشأن العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهى لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله فى بعض روايات الحديث انه لا يأتى بخير معناه انه لا يرد شيأ من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لا يأتى بهذه القربة تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتى بها فى مقابلة شئ يريده كقوله ان شفى الله مريضى فلله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم * وقوله تعالى (فان الله يعلمه) اى يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما فى قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما (وما للظالمين) يعنى الواضعين الصدقة فى غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من انصار) اى من اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم * قوله عز وجل (ان تبدوا الصدقات) اى تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع (فنعماهى) اى فنعمت الخصلة هى وقيل فنعم الشئ هى وقيل معناه فنعم شيأ ابداء الصدقات (وان تخفوها) اى تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) اى وتعطوها

واسماؤه وافعاله تشهد العالمين وهو على كل شئ شهيد (وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) يشهده باسمائه وظواهره فيعلمه ويحاسبكم به وان تخفوه يشهده بصفاته وبواطنه فيعلمه ويحاسبكم به (فيغفر لمن يشاء) لتوحيده وقوة يقينه وعروض سيآته وعدم رسوخها فى ذاته فان مشيئته مبنية على حكمته ويعذب من يشاء) لفساد اعتقاده ووجود شكه اورسوخ سيآته فى نفسه (والله على كل شئ قدير) فيقدر على المغفرة والتعذيب جميعا (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) صدقه بقبوله والتخلق به كما قالت عائشة كان خلقه القرآن والتزق بمعانيه والتحقق (والمؤمنون كل آمن بالله) وحده جميعا (وملائكته وكتبه ورسله) اى وحده تفصيلا عند الاستقامة مشاهد الوحدته فى صورة تلك الكثرة معطيا لكل تجل من تجلياته فى مظهر من مظاهره حكمه (لا نفرق بين احد من رسله) اى يقولون لا نفرق بينهم

الفقراء فى السر (فهو خير لكم) يعنى اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا فى المراد بالصدقة المذكورة فى الآية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع افضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الرياء واقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفى صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى الفقير الآخذ وهى انه اذا اعطى فى السر زال عنه الذل والانكسار واذا اعطى فى العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر افضل ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الاظله امام عادل وشاب نشا فى طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه اخرجاه فى الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ممن قد امن على نفسه من مداخلة الرياء فى عمله او يكون ممن يقتدى به فى افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة فى الجماعة افضل وصلاة التطوع فى البيت افضل ولكن فى اظهار الزكاة نفى التهمة عن المزكى وقيل ان الآية واردة فى زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لايظنون باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم فى زماننا فاظهار الزكاة افضل حتى لايساء الظن به وقيل ان الآية عامة فى جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفاء افضل فى كل صدقة من زكاة وغيرها ✻ وقوله تعالى (ونكفر عنكم من سيئاتكم) قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيآتكم قال ابن عباس جميع سيآتكم وقيل ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولايتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من سيآتكم واصل التكفير فى اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعنى من اظهار الصدقة واخفائها ✻ قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات واصهار فى اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كى تحملهم الحاجة الى الدخول فى الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا فى الاسلام فحينئذ تصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك (ولكن الله يهدى من يشاء) يعنى ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية اعطوهم وتصدقوا عليهم (وماتنفقوا من خير) اى من مال (فلانفسكم) اى ماتعطوا وتنفعوا به نفسكم (وماتنفقون الا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهى اى ولاتنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم ان مرادهم بنفقتهم ماعنده وقيل معناه لستم فى صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله

برد بعض وقبول بعض ولانشك فى كونهم على الحق وبالحق لشهود التوحيد ومشاهدة الحق فيهم بالحق (وقالوا سمعنا واطعنا) اى اجبنا ربنا فى كتبه ورسله ونزول ملائكته واستقمنا فى سيرنا (غفرانك ربنا) اى اغفر لنا وجوداتنا وصفاتنا وامحها بوجودك ووجود صفاتك (واليك المصير) بالفناء فيك (لايكلف الله نفسا الا وسعها) لايحملها الا ما يسعها ولايضيق به طوقها واستعدادها من التجليات فان حظ كل احد من الكشوف والتجليات مايليق به وعاء استعداده الموهوب له فى الازل من الفيض الاقدس ولا يضيق عليه (لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت) من الخيرات والعلوم والكمالات والكشوف على اى وجه سواء كانت بقصدها اولابقصدها فانها من عالم النور فالخيرات كلها ذاتية لها ترجع فائدتها اليها دون الشرور من الجهالات والرذائل والمعاصى والنقائص فانها امور ظلمانية غريبة عن

وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسدخلة مضطر قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء على انه لا تجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة ويجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف فقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) اى يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدى اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية (وانتم لا تظلمون) اى لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم *قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلأنفسكم فكأنه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى *وقوله (الذين احصروا في سبيل الله) يعني هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) اى يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشئ والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة (تعرفهم بسيماهم) السيماء والسيمياء والسمة العلامة التي يعرف بها الشئ واختلفوا في معناها فقيل هي الخضوع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر (لا يسألون الناس الحافا) يعني الحاحا قيل اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك انهم لا يسألون البتة ولانه قال تعالى تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

جوهرها فلا تصرها ولا تلحق تبعتها بها الا اذا كانت منجذبة اليها متوجهة بالقصد والاعتمال لتكسبها ولهذا ورد في الحديث ان صاحب اليمين يكتب كل حسنة تصدر عن صاحبها في الحال وصاحب الشمال لا يكتب حتى تمضي عليه ست ساعات فان استغفر فيها او تاب او ندم لم يكتب وان اصر كتب والمراد بالنفس هنا الذات والا لكان الامر بالعكس فيكون حينئذ معناه لا يكلفها الا ما يسعها ويتيسر لها من الاعمال دون مدى الجهد والطاقة وذكر الكسب في موضع الخير لكونها غير معتدية به معتملة له والاكتساب في موضع الشر لكونها منجذبة اليه معتملة له بالقصد لكونها مأوى الشر (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) عهدك (او اخطأنا) في العمل لسوء الموافقة ان على فراقك محتجبين عنك فانا غرباء بعداء طال العهد بنا مسافرين عنك محصين في الظلمات بأنواع البلاء ولا اقدار ولا مقدار لنا في حضرتك حتى تؤاخذنا بذنوبنا (ربنا ولا تحمل علينا

لان يأخذ احدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسأل الناس اعطوه ام منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته فى وجهه خموش او خدوش او كدوح وقيل يارسول الله ما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال زاد هشام فى حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفى رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله اوقية او عدلها فقد سأل الحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائى (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل او ليستكثر وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) يعنى ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازى عليها ففيه حث على الصدقة الانفاق والطاعة * قوله عز وجل (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس فى رواية عنه نزلت هذه الآية فى على بن ابى طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفى رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث على بن ابى طالب فى الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعنى بنفقة الليل نفقة على وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفى الآية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية فى الذين يربطون الخيل للجهاد فى سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفى السر والعلانية (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات وقيل ان الآية عامة فى الذين ينفقون اموالهم فى جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات والفاقات (فلهم اجرهم عند ربهم) اى جزاء اعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى الآخرة * قوله عز وجل (الذين يأكلون الربوا) اى يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يؤكل انما يصرف فى المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف فى الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء واصل الربا فى اللغة الزيادة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة فى المال (لا يقومون) يعنى من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) اى يصرعه واصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتى تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعنى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك

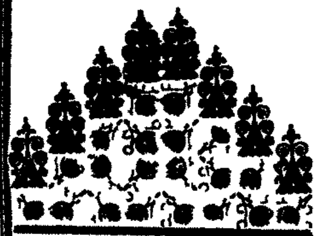
اصرا) فى ذاتنا وصفاتنا وافعالنا فتأصرنا وتحبسها فى مكاننا محبورين عنك مانه لاثقل اثقل منها (كما حملته على الذين من قبلنا) من المحجبين بظواهر الاعمال وبواطن الصفات (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من ثقل الهجران والحرمان عن وصالك ومشاهدة جمالك بعصمة جلالك (واعف عنا) سيآت افعالنا وصفاتنا فانها كلها سيآت حجبتنا عنك وحرمتنا بردعفو وادة رضوانك (واغفر لنا) ذنوب وجوداتنا فانها اكبر الكبائر كما قيل

اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة
وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

(وارحمنا) بالوجود الموهوب بعد الفناء (انت مولانا) ناصرنا ومتولى امورنا (فانصرنا) فان من حق الولى ان ينصر من يتولاه او سيدنا ومن حق السيد ان ينصر عبده (على القوم الكافرين) من قوى نفوسنا الامارة وصفاتها وجنود شياطين اوهامنا وخيالاتنا المحجوبين عنك الحاجبين ايانا بكفرها وظلمتها

علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوى بسند الثعلبي عن ابى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء قال فانطلق بى جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لايسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لاتقم الساعة ابدا قال يوم القيامة يقول ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اى العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين اى موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط فى الشهوة بالطعام من الجوع * قوله عز وجل (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا) اى ذلك الذى نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الاجل حتى ازيدك فى المال فتفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة فى اول البيع بالربح اوعند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (واحل الله البيع وحرم الربوا) يعنى واحل الله لكم الارباح فى التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذى هو زيادة فى المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خالق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه فى شئ مما احل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر فى المالية عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيأ بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال فى مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيأ يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

﴿فصل فى حكم الربا﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الاولى﴾ ذكروا فى سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضى اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثانى انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لانعلم وجه الحكمة فى ذلك ﴿المسئلة الثانية﴾ اعلم ان



﴿سورة آل عمران﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم الله لا اله الا هو الحى القيوم) من تأويله (نزل عليك الكتاب بالحق) اى رقاك رتبة ودرجة فدرجة بتنزيل الكتاب عليك منجما الى العلم التوحيدى الذى هو الحق باعتبار الجمع المسمى بالعقل القرانى (مصدقا لما بين يديه) من التوحيد الازلى السابق المعلوم فى العهد الاول المخزون فى غيب الاستعداد (وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) هكذا ثم (وانزل الفرقان) اى التوحيد التفصيلى الذى هو الحق باعتبار الفرق المسمى بالعقل الفرقانى وهو منشأ استقامة وبدا الدعوة (ان الذين كفروا بآيات الله) اى احتجبوا عن هذين التوحيدين بالمظاهر والاكوان التى هى آيات التوحيد فى الحقيقة (لهم عذاب شديد)

الربا فى اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة فى مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الاهاء وهاء والبر بالبر ربا الاهاء وهاء والشعير بالشعير ربا الاهاء وهاء والتمر بالتمر ربا الاهاء وهاء وفى رواية الورق بالورق ربا الاهاء وهاء والذهب بالذهب ربا الاهاء وهاء (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد اربى وفى رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الا ما اختلفت الوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا فى هذه الستة اشياء وهو النقدان واربعة اصناف من المطعومات وهى البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت فى هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا فى تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى فى جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا فى جميع الاموال وذهب الأكثرون الى ان الربا ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف وفى اشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا فى ذلك الوصف فذهب الشافعى ومالك الى انه ثبت فى الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب الراى الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا فى جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة اشياء المطعومة فذهب اصحاب الراى الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا فى جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان اوغير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعى فى القديم وقال فى الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا فى جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الا مثلا بمثل فانى كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال انى اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعى ما كان ثمنا او مطعوما ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب او المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة فى الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط فى بيعه بجنسه المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فان باع بما لا يوافقه فى وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه

فى البعد والحرمان (والله عزيز) اى قاهر (ذو انتقام) لا يقدر وصفه ولا يبلغ كنهه ولا يقدر على مثله منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض وفى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذى انزل عليك الكتاب) فى العالمين فيعلم مواقع الانتقام (منه آيات محكمات) سمت من ان يتطرق اليها الاحتمال والاشتباه لا تحتمل معنى واحدا (هن ام) اى اصل (الكتاب واخر متشابهات) تحتمل معنيين فصاعدا ويشتبه فيها الحق والباطل وذلك ان الحق تعالى له وجه هو الوجه المطلق الباقى بعد فناء الخلق لا يحتمل التكثر والتعدد وله وجوه متكثرة اضافية متعددة بحسب مرائى المظاهر وهى ما يظهر بحسب استعداد كل مظهر فيه من ذلك الوجه الواحد يلتبس فيها الحق بالباطل فورد التنزيل كذلك لتصرف المتشابهات الى وجوه الاستعدادات فيتعلق كل بما يناسبه ويظهر الابتلاء

كالوباعه تغير مال الربا فان باعه بما يوافقه فى الوصف لا فى الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير اوكان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط فى بيعه التقابض فى المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الايدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض فى المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الاسواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض فى المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله اعلم ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ فى القرض وهو من اقرض شيأ وشرط عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ماروى عن مالك قال بلغنى رجلا اتى ابن عمر فقال انى اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبدالله بن عمر فذلك الربا اخرجه مالك فى الموطا قال فان لم يشترط فضلا فى وقت القرض فرد المستقرض افضل مما اخذ جاز ويدل على ذلك ماروى عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمى فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسى بذلك طيبة اخرجه مالك فى الموطا * وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) اى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تأنيثه غير حقيقى فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد (فانتهى) اى عن اكل الربا (فله ماسلف) اى مامضى من ذنبه قبل النهى مغفور له (وامره الى الله) يعنى بعد النهى ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شئ وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم اكل الربا ثم ياكله فامره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعنى الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له (فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) * قوله عزوجل (يمحق الله الربوا) اى ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة (ويربى الصدقات) اى يزيدها ويثمرها ويبارك فيها فى الدنيا ويضاعف اجرها فى الآخرة (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب اخذها الرحمن بيمينه وان كانت ثمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربى احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخارى من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفى رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعنى كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا (اثيم) يعنى متماديا فى الاثم وفيه نهى عنه وان من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين * قوله عزوجل (ان الذين آمنوا) يعنى صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعنى التى امرهم الله بها (واقاموا الصلاة) يعنى المفروضة باركانها وحدودها فى اوقاتها (وآتوا الزكاة) يعنى المفروضة عليهم فى اموالهم (لهم اجرهم عند ربهم) اى لهم ثواب اعمالهم فى الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اى يوم القيامة

(قوله)

والامتحان فأما العلماء الراسخون المحققون الذين يعرفون الوجه الباقى فى اية صورة واى شكل كان فيعرفون الوجه الحق من الوجوه التى تحتملها المتشابهات فيردونها الى المحكمات متمثلين بمثل قول الشاعر وما الوجه الا واحد غير انه اذا انت اعددت المزايا تعددا * واما المحجوبون (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) عن الحق (فيتبعون ماتشابه منه) لاحتجابهم بالكثرة عن الوحدة كما ان المحققين يتبعون المحكم ويتبعونه المتشابه فيختارون من الوجوه المحتملة مايناسب دينهم ومذهبهم (ابتغاء الفتنة) اى لطلب الضلال والاضلال الذى هم بسبيله (وابتغاء تأويله) بما يناسب حالهم وطريقتهم اذا اعوج سكين فعوج قرابه فهم كما لا يعرفون الوجه الباقى فى الوجوه لزم ان لا يعرفوا المعنى الحق من المعانى فيزداد حجابهم وينظلوا ليستحقوا به العذاب (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) العالمون يعلمون بعلمه اى اعماله الله جميعا وتفصيلا

❁ قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا) قيل نزلت فى العباس ابن عبدالمطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا فى التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لى مايكفى عيالى فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل الله هذه الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقيل نزلت فى العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا الى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة فى الربا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ربيعة بن الحرث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هزيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبدالمطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت فى اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبدياليل وحبيب وربيعة بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفى كانوا يداينون بنى المغيرة بن عبدالله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفى وطلبوا رباهم من بنى المغيرة فقال بنو المغيرة والله مانعطى الربا فى الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم بقضية الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا اتقوا الله اى خافوا الله فيما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا اى واتركوا مابقى من الربا والمعنى واتركوا طلب مابقى لكم مافضل على رؤس اموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا (فان لم تفعلوا) اى لم تتركوا مابقى من الربا بعد تحريمه (فأذنوا) قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعانى حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا فى معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة فى الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لاينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع اى تاب والا ضرب عنقه (وان تبتم) اى ان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعنى لاتظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رأس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفى ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لايدان لنا يعنى لاقوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عزوجل (وان كان ذو

(يقولون آمنا به) يصدقون علم الله به فهم يعلمون بالنور الايمانى (كل من عند ربنا) لان الكل عندهم معنى واحد غير مختلف (ومايذكر الا اولو الالباب) بذلك العلم الوحد المنفصل فى التفاصيل المتشابهة المتكثرة الا الذين صفت عقولهم بنور الهداية وجردت عن قشر الهوى والعادة (ربنا لاتزغ قلوبنا) عن التوجه الى جنابك والسعى فى طلب لقائك والوقوف ببابك بالافتتان بحب الدنيا وغلبة الهوى والميل الى النفس وصفاتها والوقوف مع حظوظها ولذاتها (بعد اذ هديتنا) بنورك الى صراطك المستقيم والدين القويم وبسبحات وجهك الى جنابك الكريم (وهب لنا من لدنك رحمة) رحيمية تمحو صفاتنا بصفاتك وظلماتنا بأنوارك (انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ان الله لايخلف الميعاد) اى يجمعهم ليوم الجمع الذى هو الوصول الى مقام الوحدة الجامعة للخلائق اجمعين الاولين

عسرة) يعنى وان كان الذى عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد مايؤديه فى دينه (فنظرة) اى فامهال وتأخير (الى ميسرة) اى الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذى يؤديه فى دينه واختلفوا فى حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا ام هو عام فى كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدى ان الآية فى الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول فى كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك فى الربا وان الله تعالى قال فى كتابه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثانى وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام فى كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما فى جميع المعسرين (وان تصدقوا خير لكم) يعنى وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعنى ان التصدق خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى

﴿ فصل فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه ﴾ (م) عن ابى قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال انى معسر قال الله قال الله قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه (م) عن ابى اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فان رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظلم زاد فى رواية واذا اتبع احدكم على ملئ فليتبع (ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابى حدرد دينا كان له فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يارسول الله فاشار بيده ان دع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يارسول الله قال قم فاقضه (ق) عن ابى هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتنى وفاك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفى رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه

والآخرين فلا يبقى لهم شك فى مشهدهم ذلك (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) بل هى سبب حجابهم وبعدهم من الله وتعذيبهم بعذابه لشدة تعلقهم بهم ومحبتهم اياهم (واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية) يامعشر السالكين دالة على كمالكم وبلوغكم الى التوحيد (فى فئتين التقتا فئة) القوى الروحانية الذين هم اهل الله وجنوده (تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين) هى جنود النفس واعوان الشياطين محجوبة عن الحق ترى الفئة الاولى مع قلة عددهم مثليهم عند التقائهما فى معركة البدن لتأيد الفئة الاولى بنور الله وتوفيقه وخذلان الفئة الثانية وذلهم وعجزهم وضعفهم وانقطاعهم عن عالم الايد والقدرة فغلبت

فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل من سنه (م) عن ابي قتادة الانصارى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يارسول الله ارأيت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارأيت ان قتلت في سبيل الله اتكفر عني خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا نزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يارسول الله ماهذا التشديد الذى نزل فقال والذى نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين مادخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه النسائي * قوله عزوجل (واتقوا) اى وخافوا (يوما ترجعون فيه الى الله) قرئ بفتح التاء اى تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اى تردون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعني من خير اوشر (وهم لا يظلمون) اى في ذلك اليوم وفي هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اى تعاملتم بالدين اوداين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لولم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا (الى اجل مسمى) يعني الى مدة معلومة الاول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم (ق) عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمر العام والعامين فقال لهم من اسلف في تمر ففي كيل معلوم اووزن معلوم الى اجل معلوم * وقوله تعالى (فاكتبوه) اى اكتبوا الدين الذى تداينتم به بيعا كان ذلك اوسلما اوقرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبرى وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤدى الذى اؤتمن امانته وهو قول

الاولى السانية وقهروهم بتأييد الله ونصره وصرفوا اموالهم التي هي مدركاتهم ومعلوماتهم في سبيل معرفة الله وتوحيده (والله يؤيد بنصره من يشاء) من اهل عنايته المستعدين للقائه (ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار) اى اعتبارا اوامرا يعتبر به في الوصول الى الحقيقة للمستبصرين الذين انفتحت اعين بصائرهم واكتحلت بنور الايقان العلي من اهل الطريقة يعتبرون به احوالهم في النهاية (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا) لان الانسان مركب من العالم العلوى والسفلي ومن نشأته وولادته تحجبت فطرته وخمدت نار غريزته وانطفأ نور بصيرته بالغشاوات الطبيعية والغواشي البدنية والماء الاجاج من اللذات الحسية والرياح العواصف من الشهوات الحيوانية فبقي مهجورا من الحق في اوطان الغربة وديار الظلمة يساربه مبلوا بأنواع النصب والتعب فاذا هو بشمشة نور من التميز

الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) اى ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) اى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذى عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة امر الله تعالى بها (ولا يأب) اى ولا يمتنع (كاتب ان يكتب) واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهى عن الامتناع من الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضى حاجة اخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) اى كما شرعه الله وامر به (فليكتب) وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء (وليملل الذى عليه الحق) يعنى ان المطلوب الذى عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعنى المملى (ولا يبخس) اى ولا ينقص (منه) اى من الحق الذى وجب (شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها) اى جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه (او ضعيفا) يعنى شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون (او لا يستطيع ان يمل هو) يعنى لخرس او عى او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل ماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد من ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وليه) يعنى ولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولى صاحب الدين يعنى ان عجز الذى عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه (بالعدل) اى بالصدق (واستشهدوا شهيدين) يعنى واشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد (من رجالكم) يعنى من اهل ملتكم يعنى من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد ووجه هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادة معتبرة ووجه جمهور العلماء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا فهذا نص يقتضى ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) اى فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل

(وامرأتان)

ولمعان برق من عالم العقل وداع ينادينه من الهوى والشيطان فتبعه فصادف منزلا نزها وروضة انيقة فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فاستوطنه وشكر سعيه ورضيه مسكنا وقال عند الصباح يحمد القوم السرى * والداعى قد هيج له القرى فذلك حب الشهوات اى المشتهيات المذكورة وتزيينها له وهو تمتع له بحسب ما فيه من العالم السفلى وكمال حياته يجب به من تمتع الحياة الاخرى وكمالها بحسب ما فيه من العالم العلوى ولم يتنبه على انها ابهى والذ واصفى مع ذلك وابقى وهو معنى قوله (والله عنده حسن المآب) فان ادركه التوفيق الالهى والتنبيه السرى وقارنه الانباء النبوى كما قال (قل اؤنبئكم بخير من ذلكم) انبعث من باطنه شوق وعشق لحركة العلوى الى مركزه واشتعلت ناره التي قد خدت وتتابع عليه لوامع الانوار الالهية وطوالع الاشراقات القدسية فاستنار نور بصيرته الذى قد انطفا ورقت الحجب التي منعت فطرته عن طلب المقر والمأوى وتنغص عيشه الذى هو فيه فتكدر ماهو

وامرأتان) اى فليشهد رجل وامرأتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثورى واصحاب الرأى الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعى الى ان مايطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود * وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعنى من كان مرضيا عندكم في دينه وامانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهى الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروأة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذى يكذب على الله اولى بان ترد شهادته وجوز بعض اهل الرأى شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو ان لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهى ما تتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهى حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر في نفسه شيأ مما يستحى امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزارى القانع التابع اخرجه الترمذى قوله لا تجوز شهادة خائن اراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيأ من او امر الله او ارتكب شيأ مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستدام وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم * وقوله تعالى (ان تضل احداهما) اى تنسى احدى المرأتين (فتذكر احداهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكى عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اى تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) يعنى اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا الامر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو امر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة

عليه واستعظم ما كان قد استصفاه من الحياة الدنيا وسكنت في نفسه سورة الهوى بغلبة الجزء الروحانى على الجسمانى وذاق طعم ماء فرات الحياة الحقيقية فلم يصبر على الملح الاجاج وباشر قلبه خطرات اليقين بجرعات شربها من الماء المعين فعلم انه كان اكمن في سرب من الارض فاستطلع ضوء الكواكب ليلا وظلمه نهارا فخرج فاذا هو ببرية فيها ماء زعاق وانواع من الحشائش كالحمحم والجرجير ونحوها فظنها رياحين وثمارا لحبس عما وجد عن ضياء الشمس والوان الطيب والفواكه فعزم على رحيل الاوبة وغشيته وحشة الغربة فاتقى ما استطاب واستحلى ثم سار وخلى حتى اذا اضاء نور صبح عين اليقين وحان وقت طلوع شمس الوحدة رأى جنة تحير فيها بصره ودهش في وصفها عقله وكان ما كان مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا افاق وقد طلعت الشمس وجد فيها الافا واحبابا وعرف انه كان له مثوى ومآبا ورجع اليه الانس ونزل محلة القدس

الشهادة واداثها ومعنى الآية ولا يأب الشهداء اذا مادعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وقيل الآية في الامرين جميعا يعني في التحمل والاداء والاقامة فاذا كان فارغا وقيل الشاهد بالخيار مالم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء (ولا تسأموا) اى ولا تملوا ولا تضجروا (ان تكتبوه) الضمير راجع الى الحق اوالدين (صغيرا) كان (او كبيرا) يعني قليلا كان الحق اوالدين او كثيرا (الى اجله) يعني الى محل الحق والدين (ذلكم) يعني ذلك الكتاب (اقسط عندالله) يعني اعدل عندالله لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه (واقوم للشهادة) يعني ان الكتابة تذكر الشهود (وادنى الاترتابوا) يعني واحرى واقرب الى ان لاتشكوا في الشهادة (الا ان تكون تجارة حاضرة) اى الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد (تديرونها بينكم) اى فيما بينكم ليس فيها اجل (فليس عليكم جناح) اى لاضرر عليكم (ان لاتكتبوها) يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة مايجرى بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلاحاجة الى الكتابة والاشهاد (واشهدوا اذا تبايعتم) يعني فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته وقيل هو امر ندب استحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته * وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهي عن المضارة واصله يضارر بكسر الراء الاولى معناه لايضار الكاتب فيأبى ان يكتب والشاهد فيأبى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ماامل عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذلك الشاهد قيل اصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما (وان تفعلوا) يعني مانهيتم عنه من الضرار (فانه فسوق بكم) اى معصية وخروج عن الامر (واتقوا الله) اى خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويعلمكم الله) يعني مايكون ارشادا لكم في امر الدنيا كما يعلمكم مايكون ارشادا لكم في امر الدين (والله بكل شئ عليم) يعني ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لايخفى عليه شئ من ذلك * قوله عزوجل (وان كنتم على سفر) اى في سفر (ولم تجدوا كاتبا) يعني ولم تجدوا آلات الكتابة (فرهن) جمع رهن وقرئ فرهان (مقبوضة) يعني فارتهنوا ممن تدينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن الدوام يقال رهن الشئ اذا دام وثبت والرهن ماوضع عند الانسان مماينوب مناب مااخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابي الشحم اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال ولمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق

بدار القرار في جوار الملك الغفار واشرقت عليه سبحات وجهه الكريم وحل بقلبه روح الرضا العميم وذلك معنى قوله (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) فالجنات جنات الافعال والازواج اصناف روحانيات عالم القدس والرضوان جنات الصفات (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) بانوار افعالك وصفاتك (فاغفر لنا ذنوبنا) اى ذنوب وجوداتنا بذاتك (وقنا عذاب النار) اى نار الهجران ووجود البقية (الصابرين) على غصص المجاهدة والرياضة (والصادقين) في المحبة والارادة (والقانتين) في السلوك اليه وفيه (والمنفقين) ماعداه من اموالهم وافعالهم وصفاتهم ونفوسهم وذواتهم (والمستغفرين بالاسحار) عن ذنوب تلويناتهم وبقياتهم في اسحار ايام التجليات النورية عند طلوع طوالع الانوار وظهور تباشير صبح يوم القيامة الكبرى بالافق

العلماء على جواز الرهن فى الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا فى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية واجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعنى ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه مادام شئ من الحق باقيا * قوله تعالى (فان امن بعضكم بعضا) يعنى فان كان الذى عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيأ لحسن ظنه به (فليؤد الذى اؤتمن امانته) يعنى فليؤد المديون الذى عليه الحق الذى كان امينا فى ظن الدائن الذى هو صاحب الحق امانته يعنى حقه سمى الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث امن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن الذى ائتمنه وان يؤدى اليه حقه الذى ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيأ ثم زاد ذلك تاكيدا بقوله (وليتق الله ربه) اى المديون فى اداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعنى اذا دعيتم الى اقامتها واداءها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ فى الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعنى الشهادة (فانه آثم قلبه) اى فاجر قلبه والاثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعى والصوارف انما تحدث فى القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب قيل ما اوعد الله على شئ كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعنى من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها * قوله عز وجل (لله ما فى السموات وما فى الارض) ملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم (وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التى ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثانى ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا فى وجه تخصيصها فقال بعضهم هى متصلة بالآية التى قبلها وانما نزلت فى كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا ما فى انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اى تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام ان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا اى تظهروا ما فى انفسكم يعنى من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلماء الى ان الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هى منسوخة بالآية التى بعدها ويدل عليه ما روى عن ابى هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا

الاعلى فأجابهم وقت طلوع شمس الذات من مغرب وجودهم فلم يبق مغربا بقوله (شهد الله انه لا اله الا هو) طلع الوجه الباقى فشهد بذاته فى مقام الجمع على وحدانيته اذ لم يبق شاهد ولا مشهود غيره ثم رجع الى مقام التفصيل فشهد بنفسه مع غيره على وحدانيته فى ذلك المشهد فقال (والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط) اى مقيما للعدل فى تفاصيل مظاهره وصور كثرتها الذى هو ظل الوحدة فى غير الجمع باعطاء كل ذى حق بحسب استعداده واستحقاقه حقه من جوده وكماله وتجليه فيه على قدر سعة وعائه (لا اله الا هو) فى المشهدين (العزيز) القاهر الذى يقهر كل شئ باعتبار الجمع فلا يصل اليه احد (الحكيم) الذى يدبر بحكمة كل شئ فيعطيه ما يليق به باعتبار التفصيل (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) هو هذا التوحيد

الذى قرره بنفسه فان دينه دين اسلام الوجوه كما قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم اسلمت وجهى لله اى نفسى وجلتى واخلصت عن ابنيتى فنيت فيه وامر الله تعالى حبيبه عليه الصلاة والسلام فيما بعد بقوله (فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن * وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله) اى المحجوبين عن الدين (ويقتلون النبيين بغير حق) لكونهم محجوبين بدينهم لايقبلون الاماهم عليه من التقيد والتقليد والانبياء دعوهم الى التوحيد ومنعوهم عن التقيد فقتلوهم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم) من اتباعهم اذالعدل ظل التوحيد فمن لم يكمل له لايمكنه العدل وهم قدجهلوا بتقيدهم بدينهم فقدجهلوا بظلمهم عن العدل فخالفوهم وقتلوهم (اولئك الذين حبطت اعمالهم

على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنامن الاعمال مانطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقدانزلت عليك هذه الآية ولانطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله تعالى فى اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عزوجل فانزل الله تعالى لايكلف الله نفسا الاوسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتى ماحدثت به انفسها مالم يعملوا به او يتكلموا به وفى رواية ماوسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لايرد الاعلى الامر والنهى ولايرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلايرد عليه النسخ ثم اختلفوا فى تأويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الايعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر مايشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون فى معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ماابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على مااخفوه اخف مما لم يعملوا به وهو مايحدث لهم فى الدنيا من النوائب والمصائب والامور التى يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن امية انها سألت عائشة عن قول الله عزوجل وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوأ يجز به فقالت ماسألنى عنها احد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها فى يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم فى معنى الآية وان تبدوا مافى انفسكم يعنى مما عزمتم عليه او تخفوه اى ولاتبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لايكلف الله نفسا الا وسعها ولايؤاخذ به قال عبدالله بن المبارك قلت لسفيان ايؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل مافى الضمائر والسرائر مما ظهر او خفى ومعنى الآية وان تبدوا مافى انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اى يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه ايضا ماروى عن صفوان بن محرز المازنى قال بينا ابن عمر يطوف اذعرض له رجل فقال ياابا عبدالرحمن اخبرنى

ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها اليوم ثم تطوى صحيفة حسابه واما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه فى الصحيحين * وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل شئ كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا * قوله عزوجل (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا مافى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله فى هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد واقاصيص الانبياء وماذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة مافيه من الشرائع والاحكام منزل من عندالله عزوجل (والمؤمنون) اى وصدق المؤمنون بذلك ايضا (كل) اى كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضرورياته فاما الايمان بالله فهو ان يؤمن بان الله واحد احد لاشريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حى عالم قادر على كل شئ واما الايمان بالملائكة فهو ان يؤمن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان يؤمن بان الكتب المنزلة من عندالله هى وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عندالله بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وامناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لانفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شئ آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لانفرق بين احد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار

فى الدنيا والآخرة وماله من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون) التى عملوها على دين نبيهم لانهم كانوا بتقليد نبيهم ناجين بالمتابعة وانبياؤهم كانوا شفعاءهم بتوسطهم بينهم وبين الله فى وصول الفيض اليهم فاذا انكروا النبيين واتباعهم العادلين فقد خالفوا نبيهم لان الانبياء كلهم على ملة واحدة فى الحقيقة هى ملة التوحيد لانفرق بين احد منهم فى كونهم على الحق لمن خالف واحدا فقد خالف الكل وكذا من خالف اهل العدل من اتباع النبيين فقد ظلم ومن ظلم فقد خرج بظلمه عن المتابعة وايضا فنكر الاتباع منكر المتبوعين ومنكر الظل منكر الذات

تقديره وقالوا يعني المؤمنين لانفرق بين احد من رسله (وقالوا سمعنا واطعنا) يعني سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما امر نابه واطعناه فيما الزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمناله فيما امرنابه ونهانا عنه (غفرانك ربنا) اى نسألك غفرانك ربنا اويكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (واليك المصير) يعني قالوا اليك يار بنا مرجعنا ومعادنا فاغفرلنا ذنوبنا روى البغوى بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل قداثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير * قوله عزوجل (لايكلف الله نفسا الاوسعها) قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لايكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لمايسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا مافى انفسكم اوتخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يارسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لاتستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مالم تطيقوه وقال ابن عباس فى رواية عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم مالا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وماجعل عليكم فى الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لايكلف الله نفسا الاوسعها قال الايسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع مادون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لايكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لاتطيق (لها ما كسبت) يعني للنفس ماعملت من الخير فلها اجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) يعني من الشر عليها وزره وعقابه وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى لايؤاخذ احدا بذنب غيره * قوله عزوجل (ربنا لاتؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لاتؤاخذنا اى لاتعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسئ قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكأنه اعدل عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به (ان نسينا او اخطأنا) فيه وجهان احدهما انه من النسيان الذى هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فامعنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين * اما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ماامر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ماامر بفعله على وجه السهو وارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل

حارج عن نورها واذا خالفوا نبيهم لم يبق بينهم وبينه من الوصلة والمناسبة ما تمكن به الاستفاضة من نوره فحجبوا عن نوره وكانت العالم منورة بنوره لاجل المتابعة لانور ذاتى لها اذلم تكن صادرة عن يقين فاذا زال نورها العارضى باحتجابهم عن نبيهم فقد اظلمت وصارت كسائر السيأت من صفات النفس الامارة وفيه ماسمعت غيره مرة من قتل كفار قوى النفس الامارة انبياء القلوب والآمرين بالقسط من القوى الروحانية (قل اللهم مالك الملك) تملك ملك عالم الاجسام مطلقا تتصرف فيه لا مالك ولا متصرف ولامؤثر فيه غيرك (تؤتى الملك من تشاء) تجعله متصرفا فى بعضه (وتنزع الملك ممن تشاء) بجعل التصرف فى بغيره ولا غيرثمة مل تقلبه من يد الى يد فأنت المتصرف فيه على كل حال بحسب اختلاف المظاهر (وتعز من تشاء) بالقاء نور من انوار عزتك عليه فان العزة لله جميعا (وتذل من تشاء) بسلب لباس عزتك عنه

فنسى ولم نجدله عزما قال هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفوله عن ذلك واما الضرب الثانى فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لايعذر بنسيان وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثانى من الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم مالاينبغى فلايكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لمايقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطأ فى قوله او اخطأنا فعلى وجهين ايضا * احدهما ان يأتى العبد مانهى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه * الوجه الثانى ان يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا تستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة من اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والآصار التى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لاتوبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) يعنى لاتكلفنا من الاعمال مالانطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف مالا يطاق على وجهين * احدهما ماليس فى قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى لايكلف الله به عبده بحال * الوجه الثانى من تكليف مالا يطاق هو ما فى قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان فى ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذى سأل المؤمنون ربهم لايحملهم مالاطاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف مالايطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل فى قوله ولا تحملنا مالاطاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) اى تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا (واغفر لنا) اى استر علينا ذنوبنا ولاتفضحنا (وارحمنا) اى تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لاننال العمل بطاعتك ولانترك معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كان العبد يقول اطلب

فيبقى ذليلا (بيدك الخير انك على كل شئ قدير) كله وانت القادر مطلقا تعطى على حسب مشيئتك تتجلى تارة على بعض المظاهر بصفة العزو الكبرياء فتكسوه لباس العز والبهاء وتارة بصفة القهر والاذلال فتكسوه لباس الهوان والصغار وتارة بصفة المعز فتكون مذلا وتارة بصفة الذل فتكون معزا وتارة بصفة الغنى فتعطى المال وتارة بصفة المغنى فتفقره اى تجعله مستغنيا عن المال فقيرا لايحتاج الى شئ (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) تدخل ظلمة النفس فى نور القلب فيظلم وتدخل نور القلب فى ظلمة النفس فتستنير بخلطهما معا مع بعد المناسبة بينهما (وتخرج الحى) اى حى القلب (من الميت وتخرج الميت من الحى) اى من ميت النفس وميت النفس من حى القلب بل تخرج حى العلم والمعرفة من ميت الجهل وتخرج ميت الجهل من حى العلم تحجبه عن النور كبلعام بن باعورا (وترزق من تشاء) من النعمة الظاهرة والباطنة جميعا او من

منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب (انت مولانا) اي ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولي امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال لااؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لااحمل عليكم ولاتحملنا مالاطاقة لنا به قال لااحملكم واعف عنا واغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبدالله بن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهي مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لايشرك بالله من امته شيأ المقحمات المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار واصل الاقتحام الولوج (ق) عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل مايحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولايقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة آل عمران ﴾

مدنية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وار بعمائة وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (الم الله لااله الاهو الحي القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤل امرهم وهم العاقب واسمه عبدالمسيح وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لايصدرون الاعن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم بحالهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بامر طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لمابلغهم عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلي العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية يقول من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مارأينا وفدا مثلهم وقدحانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله

احداهما (بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) اذ لامناسبة بينهم في الحقيقة والولاية لاتكون الا بالجنسية والمناسبة فحينئذ لا يمكن ان تكون المحبة بينهم ذاتية بل مجعولة مصنوعة بالتصنع والرياء والنفاق وهي خصال مبعدة عن الحق اذ كلها حجب ظلمانية ولو لم يكن فيهم ظلمة تناسبت حال الكفرة ماقدروا على مخالطتهم ومصاحبتهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) اي من ولاية الله في شيء معتد به اذ ليس فيهم نورية صافية يناسبون بها الحضرة الالهية (الا ان تتقوا منهم تقاة) اي الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب ان تتقوا لوهم ظاهرا ليس في قلوبكم شيء من محبتهم وذلك ايضا لايكون الا لضعف اليقين اذ لو باشر قلوبهم اليقين لماخافوا الا الله تعالى وشاهدوا معنى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله فاخافوا غيره ولم يرجوا غيره ولذلك عقبه بقوله (ويحذركم الله نفسه)

صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى الشرق فلما فرغوا
كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب
واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال
النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال
الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال
الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى
كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون الها كما زعمتم فسكتوا
فأنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يامحمد الست تزعم
ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم ابوا الا الجحود فأنزل الله ردا عليهم
الم الله لا اله الا هو يعنى ان كانت منازعتكم يامعشر النصارى فى معرفة الاله فهو الله الذى
لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان احدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد
ليس معه اله ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم اما الحى
فى صفة الله تعالى فهو الدائم الباقى الذى لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القائم بذاته والقائم
بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعنى القرآن
(بالحق) اى بالصدق والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعنى لما قبله من الكتب فى التوحيد والنبوات
والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل
لكل شئ تقدم على الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وانزل التوراة والانجيل من قبل)
اى من قبل القرآن فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل
منجما مفصلا فى اوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة (هدى للناس)
يعنى ان انزال التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القرآن
فى اول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف
القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما
هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا
السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن
المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرائع
والاحكام (وانزل الفرقان) يعنى الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القرآن وانما اعاد
ذكره تعظيما لشأنه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى
انزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى فى امر عيسى عليه
السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق

اى يدعوكم الى التوحيد
العيانى كيلا يكون حذركم
من غيره بل من نفسه (والى
الله المصير) فلا تحذروا الا
اياه فانه المطلع على اسراركم
وعلانياتكم القادر على
مجازاتكم ان توالوا اعداءه
او تخافوهم سرا اوجهرا
(قل ان تخفوا ما فى صدوركم
او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى
السموات وما فى الارض
والله على كل شئ قدير يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا) كل ما يعمله الانسان
او يقوله يحصل منه اثر
فى نفسه وتنتقش نفسه به
واذا تكرر صار النقش
ملكة راسخة وكذا ينتقش
فى صحائف النفوس السماوية
لكنه مشغول عن هيئات
نفسه ونقوشها بالشواغل
الحسية والادراكات
الوهمية والخيالية لا يفرغ
اليها فاذا فارقت نفسه
جسدها ولم يبق ما يشغلها
عن هيئاتها ونقوشها
وجدت ما عملت من خيرا
وشر محضرا فان كان
شرا تمنى بعدما بينها وبين
ذلك اليوم اوذلك العمل
لتعذيبها به فتصير تلك

والباطل وقال السدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره وانزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعنى الكتب المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لايمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) اى غالب لايغلب (ذو انتقام) يعنى ممن كفر به والانتقام المبالغة فى العقوبة * قوله عز وجل (ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) اى لايخفى عليه شئ من امر العالم وهو المطلع على احوالهم فقوله ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذى يصوركم فى الارحام) التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف والارحام جمع رحم (كيف يشاء) يعنى الصور المختلفة المتفاوتة فى الخلقة ذكرا او انثى ابيض اواسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذى يصوركم فى ظلمات الارحام صورا مختلفة فى الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبدالله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقى اوسعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى لااله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضى خلقها قال يارب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب له ذلك فى بطن امه وقيل ان الآية واردة فى الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول اكلت فى دارك كذا وصنعت كذا وانه احيا الموتى وابرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ماقدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذى لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وانه المصور فى الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوره فى الرحم فنبه بكونه مصورا فى الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه مالايخفى على الله عز وجل (لااله الا هو العزيز الحكيم) وهذا ايضا فى الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله فى الرحم * قوله عز وجل (هو الذى انزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (منه آيات محكمات) يعنى مبينات مفصلات احكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن ام الكتاب) يعنى هن اصل الكتاب الذى يعول عليه فى الاحكام ويعمل به فى الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الآيات فى اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شئ واحد وقيل ان كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه آية يعنى ان كل واحد منهما آية (واخر) جمع اخرى (متشابهات) يعنى ان لفظه يشبه

الهيئات والنفوس صورتها ان كانت راسخة والا وجدت جزاءها بحسبها وتكرر (ويحذركم الله نفسه) تأكيد لئلا يملوا مايستحقون به عقابه (والله رؤف بالعباد) فلهذا يحذرهم عن السيآت تحذير الوالد المشفق ولده عما يوبقه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) لما كان عليه الصلاة حبيبه فكل من يدعى المحبة لزمه اتباعه لان محبوب المحبوب محبوب فتجب محبة النبى ومحبته انما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولا وعملا وخلقا وحالا وسيرة وعقيدة ولاتمشى دعوى المحبة الا بهذا فانه قطب المحبة ومظهره وطريقته طلسم المحبة فمن لم يكن له من طريقته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب واذا تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن النبى وسره وقلبه ونفسه وهو مظهر المحبة فلزم بهذه المناسبة ان يكون لهذا المتابع قسط من محبة الله تعالى بقدر نصيبه من المتابعة فيلقى الله تعالى محبته عليه ويسرى

يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله فى موضع آخر كله محكما فقال فى اول هود الر كتاب احكمت آياته وجعله فى موضع آخر كله متشابها فقال تعالى فى الزمر الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله كله محكما اراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها اراد ان بعضه يشبه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا وحيث جعله محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التى فى آخر سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم ونظيرها فى بنى اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمة هى الناسخ والمتشابهات هى الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدى وقيل ان المحكمات مافيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات ماسوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات مااطلع الله عباده على معناه والمتشابه مااستأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه مايحتمل اوجها وروى ذلك عن الشافعى وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هى الحروف المقطعة فى اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له حيى بلغنا انك انزل عليك الم فانشدك الله انزلت عليك قال نعم قال ان كان حقا فانى اعلم مدة ملك امتك هى احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه اكثر هى احد وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه اكثر هى مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هى مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا فلا ندرى ابكثيره نأخذ ام بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الآية قوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه وقيل ان المحكم مالم تتكرر الفاظه والمتشابه ماتكررت الفاظه وقيل ان المحكم مااستقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه مااحتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهى والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال فان قلت انما نزل القرآن البيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان القرآن انزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز الذى لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثانى المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعانى وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع فى كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأى الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا انزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثانى ان الله تعالى انزل المتشابه لفائدة عظيمة وهى ان يشتغل اهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل القرآن كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض

من باطن روح النبى نور تلك المحبة عليه فيكون محبوبا لله محبا له ولو لم يتابعه لخالف باطنه باطن النبى فبعد عن وصف المحبوبية وزالت المحبة عن قلبه اسرع مايكون اذ لو لم يحبه الله تعالى لم يكن محبا له (ويغفر لكم ذنوبكم) كما غفر لحبيبه حيث قال ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وذنبه المتقدم ذاته والمتأخر صفاته فكذا ذنوب المتابعين كما قال تعالى لا يزال العبد يتقرب الى الى آخر الحديث (والله غفور) يمحو ذنوب صفاتكم وذواتكم (رحيم) يهب لكم وجودا وصفات حقانية خيرا منها ثم نزل عن هذا المقام لانه اعز من الكبريت الاحمر ودعاهم الى ماهو اعم من مقام المحبة وهو مقام الارادة فقال (قل اطيعوا الله والرسول) اى ان لم تكونوا محبين ولم تستطيعوا متابعة حبيبى فلا اقل من ان تكونوا مريدين مطيعين لما امرتم به فان المريد يلزمه متابعة الامر وامتثال المأمور به (فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) اى ان اعرضوا عن ذلك ايضا فهم

تقع الحاجة الى الفكرة والحلة الى استخراج المعانى وقد قيل فى عيب الغنى انه يورث البلادة وفى فضيلة الفقر انه يورث الفطنة وقيل انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون فى علومهم معانى غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان متعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعانى الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز ان يكون ما انزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه فى كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله اعلم بمراده ❊ وقوله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) اى ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا فى المعنى بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة فى اوائل السور وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم تكونوا الحرورية والسبئية فلا ادرى من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم ❊ وقوله تعالى (ابتغاء الفتنه) اى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) اى تفسيره واصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله وابتغاء تأويله اى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعنى تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة واشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس فى رواية عنه وابى بن كعب وعائشة واكثر التابعين فعلى هذا القول ثم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتداء فقال عز من قائل (والراسخون فى العلم) اى الثابتون فى العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم فى العلم هو الايمان وقال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعنى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمناه وما لم نعلم ونحن معتقدون فى المتشابه بالايمان به ونكل معرفته

كفار منكرون محجوبون والله لا يحب من كان كافرا فبترك الطاعة يلزم الكفر وبترك المتابعة لا يلزم لان تارك المتابعة يمكن ان يكون مطيعا بمتابعة الامر ومعنى اطيعوا الله والرسول اطيعوا رسول الله لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل وآل عمران على العالمين) الاصطفاء اعم من المحبة والخلة فيشمل الانبياء كلهم لانهم خيرة الله وصفوته وتتفاضل فيه مراتبهم كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فاخص المراتب هو المحبة واشار اليه بقوله ورفع بعضهم درجات فلذلك كان افضلهم حبيب الله محمدا صلى الله عليه وسلم ثم الخلة التى هى صفة ابراهيم عليه السلام واعمها الاصطفاء اى صفة آدم عليه السلام (ذرية بعضها من بعض) فى الدين والحقيقة اذ الولاية قسمان صورية ومعنوية وكل نبى تبع نبيا آخر فى التوحيد والمعرفة وما يتعلق بالباطن من اصول الدين فهو ولده كاولاد المشايخ فى زماننا هذا وكما قبل الآباء

الى الله تعالى وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس انه قال تفسير القرآن على اربعة اوجه فمنه تفسير لايسع احدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لايعلمه الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو عطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول انا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه لينتفع به عباده ولايجوز ان يكون فى القرآن شئ لايعرفه احد من الامة وفى المراد بالراسخين فى العلم هنا قولان احدهما انهم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل انس بن مالك عن الراسخين فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة اشياء التقوى فيما بينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس (وما يذكر الا اولوا الالباب) اى وما يتعظ بما فى القرآن الا ذووا العقول وهذا ثناء من الله عزوجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا * قوله عز وجل (ربنا لاتزغ قلوبنا) اى ويقول الراسخون فى العلم ربنا لاتزغ قلوبنا اى لاتملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ (بعد اذ هديتنا) اى وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) اى اعطنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (انك انت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب فى صفة الله تعالى انه تعالى يعطى كل احد على قدر استحقاقه (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولاتكييف ولالمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثانى انه يتأول بحسب مايليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى كفى يريد انه تحت قدرته وفى تصرفه لانه حال فى كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لايمتنع عليه منها شئ ولا يفوته ما اراد منها كما لايمتنع على الانسان مابين اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من انفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب مااعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية او الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهى مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب فى الحركات والسكنات والله اعلم * قوله عزوجل (ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه) اى ليوم

ثلاثة اب ولدك واب رباك واب علمك فكما ان وجود البدن فى الولادة الصورية يتولد فى رحم امه من نطفة ابيه فكذلك وجود القلب فى الولادة الحقيقية يظهر فى رحم استعداد النفس من نفحة الشيخ والمعلم والى هذه الولادة اشار عيسى عليه عليه السلام بقوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين واعلم ان الولادة المعنوية اكثرها يتبع الصورية فى التناسل ولذلك كان الانبياء فى الظاهر ايضا نسلا ثم ثمر شجرة واحدة فان عمران بن يصهر ابا موسى وهرون كان من اسباط لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعمران بن ماثان ابا مريم ام عيسى كان من اسباط يهوذا بن يعقوب وكون محمد عليه الصلاة والسلام من اسباط اسمعيل بن ابراهيم مشهور وكذا كون ابراهيم من نوح عليه السلام وسببه ان الروح فى الصفاء والكدورة يناسب المزاج فى الاعتدال وعدمه وقت التكون فلكل روح مزاج يناسبه ويخصه اذ الفيض يصل بحسب المناسبة وتفاوت الارواح

القضاء وقيل اللام بمعنى في اى في يوم لاريب فيه اى لاشك فيه انه كائن وهو يوم القيامة (ان الله لايخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لاتخلف الميعاد فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد* قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (لن تغني) اى لن تنفع ولن تدفع (عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) اى من عذاب الله شيأ وقيل من بمعنى عند اى عند الله شيأ (واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) يعني لما جاءتهم بها الرسل (فاخذهم الله بذنوبهم) اى فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل في معنى الآية ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم* قوله عز وجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (الى جهنم) قيل اراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان اباسفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لاترد له راية وارادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لاتعجلوا حتى ننظر وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من القدر مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل فقد عرفتم انى نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لايغرنك انك لقيت قوما اغمارا لاعلم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون اى ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة الى جهنم (وبئس المهاد) اى الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم في النار * قوله عز وجل (قد كان لكم آية في فئتين التقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن

في الازل بحسب صنوفها ومراتبها في القرب والبعد فتتفاوت الامزجة بحسبها في الابد لتتصل بها والابدان المتناسلة بعضها من بعض متشابهة في الامزجة على الاكثر اللهم الا لامور عارضة اتفاقية فكذلك الارواح المتصلة بها متقاربة في الرتبة متناسبة في الصفة وهذا مما يقوى ان المهدي عليه السلام من نسل محمد صلى الله عليه وسلم (والله سميع) حين قالت امرأة عمران رب اني نذرت لقومها (عليم اذقالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني) بنيتها كما شهدت بقولها (انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكرايا المحراب) واعلم ان النيات وهيئات النفس مؤثرة في نفس الولد كما ان

مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفا على الذى قبله فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة قلت كل ماليس بمؤنث حقيقى يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية اى عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم ستغلبون فى فئتين اى فرقتين واصلها فى الحرب لان بعضهم يفئ الى بعض اى يرجع التقتا يعنى يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) اى فى طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن ابى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانيه سيوف * وقوله تعالى (واخرى كافرة) اى وفرقة اخرى كافرة) اى وفرقة اخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (يرونهم مثليهم) قرى بالتاء يعنى ترون اهل مكة ضعفى المسلمين يامعشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا فى وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان احدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو ان يكون الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثانى هو الاصح قلل الله المشركين فى اعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين او المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا فى استقلال احداهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا فى حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين عند بداية القتال على ماهم عليه ثم قلل الله المشركين فى اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفى رواية اخرى عنه قال لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعنى رأى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين فى اعين المشركين فى اول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثر الله المسلمين فى اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى ان المشركين لما

الاغذية مؤثرة فى بدنه فمن كان غذاؤه حلالا طيبا وهيئات نفسه نورية ونياته صادقة حقانية جاء ولده مؤمنا صديقا اوولیا اونبيا ومن كان غذاؤه حراما وهيئات نفسه ظلمانية خبيثة ونياته فاسدة رديئة جاء ولده فاسقا او كافرا خبيثا اذ النطفة التى يتكون الولد منها متولدة من ذلك الغذاء مرباة بتلك النفس فتناسبها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد سرابيه فكان صدق مريم ونبوة عيسى بركة صدق ابيها (وجد عند رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) يجوز ان يراد به الرزق الروحانى من المعارف والحقائق والعلوم والحكم الفائضة عليها من عند الله اذ الاختصاص بالعندية يدل على كونها من الارزاق اللدنية (هنالك دعا زكريا ربه) كان زكريا شيخا هما وكان مقدما للناس اماما طلب من ربه ولدا حقيقيا يقوم مقامه فى تربية الناس وهدايتهم كما اشار اليه

اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ماكنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وماذلك الا اظهارا للقدرة التامة وقوله تعالى (رأى العين) اى فى رأى العين (والله يؤيد) اى يقوى (بنصره من يشاء ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من النصرة وقيل رؤية الجيش مثليهم (لعبرة) اى لآية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم واصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هى التى يعبر منها من منزلة الجهل الى منزلة العلم (لاولى الابصار) لذوى العقول والبصائر * قوله عزوجل (زين للناس) قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق لجميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاى على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد فى هذه الاشياء بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشياء فى معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن ابى على الجبائى من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ماذهب اليه اهل السنة لان الله تعالى خالق كل شئ ولا شريك له فى ملكه * وقوله تعالى (حب الشهوات) يعنى المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشئ المشتهى (من النساء) انما بدأ بذكر النساء لان الالتذاذ بهن اكثر والاستئناس بهن اتم ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى الافتتان (والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى فى قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهى بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا فى القنطار هل هو محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا فى حده فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه انه اثناعشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدى هو اربعة آلاف مثقال والقول الثانى ان القنطار ليس بمحدود وقال ربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروى عن ابى عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لايحد وهو اختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار مابين السماء والارض من مال وقال ابو نصرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا او فضة وقال القنطار من المال مافيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة اى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة

فى سورة كهيعص فوهب له يحيى من صلبه بالقدرة بعدما امر باعتكاف ثلاثة ايام ولك التأويل بالتطبيق على احوالك وتفاصيل وجودك كما علمت وهو ان الطبيعة الجسمانية اى القوة البدنية امرأة عمران الروح نذرت مافى قوتها من النفس المطمئنة لله تعالى بانقيادها لامر ومطاوعتها له فوضعت انثى النفس فكفلها الله زكريا الفكر بعدما تقبلها لكونها زكية قدسية فكلما دخل عليها زكريا الفكر محراب الدماغ وجد عندها رزقا من المعانى الحدسية التى انكشفت عليها بصفائها من غير امتياز الفكر اياها فهنالك دعا زكريا الفكر تركيب تلك المعانى واستوهب من الله ولدا طيبا مقدسا عن لوث الطبيعة فسمع الله دعاءه اى اجاب فادته ملائكة القوى الروحانية وهو قائم بامره فى تركيب المعلومات يناجى ربه باستنزال الانوار ويتقرب اليه بالتوجه الى عالم القدس فى محراب الدماغ قال رب هب لى من لدنك

والقنطرة المضاعفة فيحتمل ان تكون ستة او تسعة وقيل القنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدا بهما من بين سائر اصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اى تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها (والانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها (والحرث) يعني الزرع (ذلك) يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف (متاع الحياة الدنيا) اى الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) اى المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى * قوله عز وجل (قل أؤنبئكم) اى اخبركم (بخير من ذلكم) يعني الذي ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا ليحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله) (ق) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى قد رضى عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات * قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) اى صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) اى استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) * قوله عز وجل (الصابرين) يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما اصابهم (والصادقين) يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم

ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى) العقل بالفعل (مصدقا بكلمة من الله) بعيسى القلب مؤمنا به وهو كلمة من الله لتقدسه عن الاجرام والتولد عن المواد (وسيدا) لجميع اصناف القوى (وحصورا) مانعا نفسه عن مباشرة الطبيعة الجسمانية وملابسة طبائع القوى البدنية (ونبيا) بالاخبار عن المعارف والحقائق الكلية وتعليم الاخلاق الجميلة والتدابير السديدة بأمر الحق (من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) من جملة المفارقات والمجردات التي تصلح بافعالها ان تكون من مقربي حضرة الله تعالى بعد ان بلغ الفكر كبر منتهى طوره ولم يكن منتهيا الى ادراك الحقائق القدسية والمعارف الكلية وكانت

الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق فى النية العزم على الفعل حتى يفعله (والقانتين) يعنى المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعنى اموالهم فى طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة فى جميع القربات (والمستغفرين بالاسحار) يعنى المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم فى ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيى الليل ثم يقول يانافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلى الصبح (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وفى لفظ مسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذى يدعونى الحديث وله فى رواية اخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلماء فيه وفى امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفى الكيفية عنه والمذهب الثانى هو مذهب من يتأول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابى انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على مايشاهده من النزول الذى هو تدل من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لاتستولى عليه صفات الاجسام فان هذه المعانى غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل مايشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقيل فى قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يابنى لاتكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة * قوله عز وجل (شهد الله انه لا اله الا هو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبى صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قال وانت احمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شئ فان انت اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال اسألانى قالا فاخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت فى نصارى نجران فيما ادعوا فى عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعنى بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك بان الدلائل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد

امرأته التى هى طبيعة الروح النفسانية لانها محل تصرف الفكر عامرا بالنور المجرد * وعلامة ذلك اى علامة حصول النور المجرد وظهوره من النفس الزكية امساكه عن مكالمة القوى البدنية فى تحصيل مطالبهم ومآربهم ومخالطتهم فى فضول لذاتهم وشهواتهم ثلاثة ايام كل يوم عقد تام من الاطوار عمره عشر سنين الا ان يرمز اليهم باشارة خفية ويأمرهم بتسبيحهم المخصوص بكل واحد منهم من غير ان يدنو منهم فى مقاصدهم وان يشتغل فى الايام الثلاثة التى مداها ثلاثون سنة من ابتداء سن التميز الذى هو العشر الاول بذكر ربه فى محراب الدماغ والتسبيح المخصوص به دائما وكذا قالت ملائكة القوى الروحانية لمريم النفس الزكية الطاهرة (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك) التنزه عن الشهوات (وطهرك) عن رذائل الاخلاق والصفات المذمومة (واصطفاك على نساء العالمين) نفوس

بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو (والملائكة) اى شهد الملائكة بمعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما (واولوا العلم) اى وشهد اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا فى اولى العلم فقيل هم الانبياء عليهم السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمنى اهل الكتاب مثل عبد الله ابن سلام واصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) اى بالعدل نصب على الحال والقطع او المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بامر فلان يعنى انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان اى انه مجازله فالله مدبر امر خلقه وقائم بارزاقهم ومجازلهم باعمالهم (لا اله الا هو) انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثانى رسم تعليم اى قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات (العزيز) اى الغالب الذى لا يقهر (الحكيم) يعنى فى جميع افعاله (ان الدين عند الله الاسلام) يعنى ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين فى اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة وروى البغوى بسند الثعلبى عن غالب القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع فيها شيأ فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له انى سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك فيها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة * قوله عز وجل (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعنى بأن نعته وصفته فى كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل واودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة

الشهوانية الملونة بالافعال الذميمة والملكات الرديئة (يا مريم اقنتى لربك) اطيعى لربك بوظائف الطاعات والعبادات (واسجدى) فى مقام الانكسار والذل والافتقار والعجز والاستغفار (واركعى مع الراكعين) فى مقام الخضوع والخشوع مع الخاضعين (ذلك من انباء الغيب) اى احوال غيب وجودك (نوحيه اليك) بالقاء الروح (وما كنت لديهم) لدى القوى الروحانية والنفسانية اى فى رتبتهم ومقامهم (اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم) اى يتسابقون فى سهامهم ويتبادرون فى حظوظهم ايهم يدبر مريم النفس ويكفلها بحسب رأيه ومقتضى طبعه يترأس عليها ويأمرها بما يراه من مصلحة امره (وما كنت لديهم) فى مقام الصدور الذى هو محل نزاع القوى الروحانية والنفسانية ومحل نزاعهم الذى هو الصدر (اذ يختصمون) يتنازعون ويتجاذبون فى طلب الرياسة عند ظهوره قبل الرياضة وفى حالها اذ غلبت ملائكة القوى

والاختلاف بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب وهم من ابناء الملوك السبعين حتى اهرقوا الدماء
ووقع الشر والاختلاف وذلك بعدما جاءهم العلم يعنى بيان مافى التوارة من الاحكام (بغيا بينهم)
اى طلبا بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت فى نصارى نجران ومعناه
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعنى الانجيل واختلافهم كان فى امر عيسى عليه الصلاة والسلام
وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى بان الله تعالى واحد احد وان عيسى عبده
ورسوله بغيا بينهم يعنى المعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد
وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
* قوله عز وجل (فان حاجوك) اى خاصموك يا محمد فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى
قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه
فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتبع امر الله الذى هم مقرون
به بقوله (فقل اسلمت وجهى لله) اى انقدت له بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص
الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشئ فقد خضع له
سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اى اخلصت عملى لله وقصدت بعبادتى الله (ومن
اتبعن) يعنى ومن اسلم كما اسلمت انا (وقل للذين اوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى
(والاميين) يعنى مشركى العرب (ءاسلمتم) لفظه استفهام ومعناه امر اى اسلموا (فان
اسلموا فقد اهتدوا) يعنى الى الفوز والنجاة فى الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية على اهل الكتاب قالوا اقد اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا
معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقال معاذ الله ان يكون عيسى
عبدا فذلك قوله تعالى (وان تولوا) اى اعرضوا (فانما عليك البلاغ) يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك
هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية
النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى
انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله
بصير بالعباد) يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن * قوله عز وجل (ان الذين يكفرون
بآيات الله) يعنى يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس) كان انبياء بنى اسرائيل يأتيهم الوحى ولم يكن يأتيهم
كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن
آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين
يامرون بالقسط يعنى بالعدل من الناس روى البغوى بسند الثعلبى عن ابى عبيدة بن الجراح قال
قلت يارسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى
عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا
عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم ونهوهم بالمعروف عن المنكر فقتلوهم جميعا من

لروحانية بتوفيق الحق بعد
الرياضة وقالت لمريم النفس
(اذ قالت الملائكة يامريم
ان الله يبشرك بكلمة) القلب
موهوبا (منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم) لانه يمسحك
بالنور (وجيها فى الدنيا)
لادراكه الجزئيات وتدبير
مصالح المعاش اجود
واصدق واصوب مايكون
فيطيعه ويذعن له ويحتشمه
ويعظمه انس القوى الظاهرة
وجن القوى الباطنة
(و) فى (الآخرة من
المقربين) لادراكه المعانى
الكلية والمعارف القدسية
وقيامه بتدبير المعاد والهداية
الى الحق فتطيعه ملكوت
سماء الروح وتكرمه ومن
جملة مقربى حضرة الحق
قابلا لتجلياته ومكاشفاته
(ويكلم الناس فى المهد)
فى مهد البدن (وكهلا)
بالغا الى قرب طور شيخ
الروح غالبا عليه بياض
نوره (ومن الصالحين)
لمقام المعرفة (قالت رب
انى يكون لى ولد)
تعجب النفس من حملها
وولادتها من غير ان يمسها
بشرى من غير تربية شيخ
وتعليم معلم بشرى وهو
معنى بكارتها (قال كذلك

آخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله فى كتابه وانزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب اليم) انما دخلت الفاء فى قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه فى معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفى هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (اولئك الذين حبطت) اى بطلت (اعمالهم فى الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو ان لا يقبل فى الدنيا ولا يجازى عليه فى الآخرة (ومالهم من ناصرين) يعنى يمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) انزلت فى اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعنى القرآن وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اى دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه ايضا ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهم الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم بالتوراة فقالوا رجل اعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما فى بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعنى علمهم الذى علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعنى القرآن او التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) اى ليقضى بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فريق منهم) يعنى الرؤساء والعلماء (وهم معرضون) يعنى عن الحق وقيل الذى تولواهم العلماء والذين اعرضوا هم الاتباع (ذلك بانهم) يعنى ذلك التولى والاعراض انما حصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات) تقدم تفسيره فى سورة البقرة (وغرهم) اى واطمعهم (فى دينهم ما كانوا يفترون) اى يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل (فكيف

الله يخلق ما يشاء) اى يصطفى من يشاء بالجذب والكشف ويهب له مقام القلب من غير تربية وتعليم كما هو حال المحبوبين وبعض المحبين (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) بالتعليم الربانى كتاب العلوم المعقولة وحكم الشرائع ومعارف الكتب الالهية من التوراة والانجيل اى معارف الظاهر والباطن (ورسولا الى بنى اسرائيل) الى المستعدين الروحانيين من اسباط يعقوب الروح (انى قد جئتكم بآية من من ربكم) تدل على انى آتيكم من عنده (انى اخلق لكم من الطين) بالتربية والتزكية والحكمة العملية من طين نفوس المستعدين الناقصين (كهيئة الطير) الطائر الى جناب القدس من شدة الشوق (فأنفخ فيه) من نفث العلم الالهى ونفس الحياة الحقيقية بتأثير الصحبة والتربية (فيكون طيرا باذن الله) اى نفسا حية طائرة بجناح الشوق والهمة الى جناب الحق (وابرئ الاكمه)

اذاجمعناهم) اى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم (ليوم) اى فى يوم (لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت) اى لاشك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما اعد لهم فى ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لاحيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لايكون ولايحصل لهم قيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (وهم لايظلمون) اى لاينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولايزاد على سيآتهم * قوله عزوجل (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عزوجل ان يجعل ملك فارس والروم فى امته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعدامته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعزوا منع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لانطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم فى آخره وقيل ان الميم فيه معنى آخر وهو يا الله امنا بخير اى اقصدنا مالك الملك اى مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لايدعى الملك احد غيره وفى بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلاتشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك اى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة (وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك نزع النبوة من بنى اسرائيل وايتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لانبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته احد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى من ابى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا واصحابه دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعنى اباجهل واضرابه حين قتلوا والقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى انكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه

المحجوب عن نور الحق الذى لم تنفتح عين بصيرته قط ولم تبصر شمس وجه الحق ولانوره ولم يعرف اهله بكحل نور الهداية (والابرص) المعيوب نفسه بمرض الرذائل والعقائد الفاسدة ومحبة الدنيا ولوث الشهوات بطيب النفوس (واحيى الموتى) موتى الجهل بحياة العلم (باذن الله وانبئكم بما تأكلون) تتناولون من مباشرة الشهوات واللذات (وماتدخرون فى بيوتكم) اى فى بيوت غيوبكم من الدواعى والنيات (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين من ومصدقا لمابين يدى من التوراة) اى من توراة علم الظاهر (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) من انوار الباطن (وجئتكم بآية) بدليل (من ربكم) هو التوحيد الذى لم يختلف فيه نبى قط (فاتقوا الله) مخالفتى فانى على الحق (واطيعون) فى دعوتكم الى التوحيد (ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم) القلب من

اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لاينافى ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ماسواه الا انه خص الخير بالذكر لان المنتفع به والمرغوب فيه (انك على كل شئ قدير) يعنى من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء * قوله تعالى (تولج الليل فى النهار) الآية لماذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة فى حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال اخراج الحى من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفى ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوى الافهام والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل فى النهار يعنى تدخل الليل فى النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا فى النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتولج النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه تعالى يأتى بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتى بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة فى النهار وبالعكس وهو معنى الولوج (وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى) وهو انه تعالى يخرج الانسان الحى من النطفة وهى ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حى من البيضة وهى ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حى الفؤاد والكافر ميته (وترزق من تشاء بغير حساب) يعنى من غير تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسعه عليه * قوله عز وجل (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابى الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لايفتنونكم عن دينكم فأبى اولئك النفر الا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يارسول الله ان معى خمسمائة من اليهود وقد رايت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء يعنى انصارا واعوانا من دون المؤمنين يعنى من غير المؤمنين والمعنى لايجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل من اصول الايمان (ومن يفعل ذلك) يعنى موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم (فليس من الله فى شئ) اى فليس من دين الله فى شئ وقيل معناه فليس من ولاية الله فى شئ وهذا امر معقول من ان ولاية المولى معاداة اعدائه وموالاة الله وموالاة

القوى النفسانية (الكفر) الاحتجاب والانكار والمخالفة (قال من انصارى الى الله) اى اقتضى من القوة الروحانية نصرته عليهم فى التوجه الى الله (قال الحواريون) اى صفوته وخالصته من الروحانيات المذكورة (نحن انصار الله آمنا بالله) بالاستدلال وبالتنور بنور الروح (واشهد بأنا مسلمون) مذعنون منقادون (ربنا آمنا بما انزلت) من علم التوحيد وفيض النور (واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) الحاضرين لك المراقبين لامرك او من الشاهدين على وحدانيتك (ومكروا) اى الاوهام والخيالات فى اغتيال القلب واهلاكه بانواع التسويلات (ومكر الله) بتغليب الحجج العقلية والبراهين القاطعة عن تخيلاتها وتشكيكاتها ورفع عيسى القلب الى سماء الروح والقى شبهه على النفس ليقع اغتيالهم (والله خير الماكرين) اذ غلبت مكره قال لعيسى (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك) اى قابضك الى من بينهم (ورافعك الى)

الكفار ضدان لا يجتمعان (الا ان تتقوا منهم تقاة) اى الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المؤمن فى قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت لسعيد بن جبير فى ايام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الاسلام تقية انما التقية فى الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (ويحذركم الله نفسه) اى ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا النهى او تخالفوا المأمور به او توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى الله المصير) يعنى ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه فى الآخرة * قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما فى صدوركم) يعنى ما فى قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب (او تبدوه) يعنى تبدوا مودة الكفار وتولاو فعلا وقيل معناه ان تخفوا ما فى قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اى تظهروه بالحرب والمقاتلة له (يعلمه الله) اى يحفظه عليكم ويجازيكم به (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شئ فى السموات ولا فى الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم (والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يعنى تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شئ (وما عملت من سوء) اى تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء (تود) اى تتمنى (لو ان بينها وبينه) اى وبين ما عملت من السوء (امدا بعيدا) اى مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه امد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما كرره لتأكيد الوعيد (والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث امهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه * قوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) نزلت فى اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول فى عيسى حبا لله وتعظيما له فأنزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعونى يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل

اى الى سماء الروح فى جوارى (ومطهرك من) رجز جوار (الذين كفروا) من القوى الخبيثة ومكرهم وخبث صحبتهم (وجاعل الذين اتبعوك) من الروحانيين (فوق الذين كفروا) من النفسانيات الى يوم القيامة الكبرى والوصول الى مقام الوحدة (ثم) يومئذ (الى مرجعكم فأحكم بينكم) بالحق (فيما كنتم فيه تختلفون) قبل الوحدة من التجاذب والتنازع الواقع من القوى فأقر كلا فى مقره هناك واعطيه ما يليق به من عدى فيرتفع التخالف والتنازع (فاما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا) بالحرمان عن مقام القلب والاحتجاب بهيئات اعمالهم (فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا) من الروحانيات (وعملوا الصالحات) من انواع التزكية والتحلية والتصفية فى اطاعة القلب على النفس ومتابعته فى التوجه الى الحق (فيوفيهم اجورهم) من الانوار القدسية والاشراقات الروحية عليهم (والله لا يحب الظالمين) الذين ينقصون

الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله العبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) يعنى ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن ابى بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل (قل اطيعوا الله والرسول) يعنى ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لاتتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا قال الشافعى رضى الله عنه كل امر اونهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به فى كتابه اونهى عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فان طاعتكم محمدا صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعونى وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لايحب الكافرين) اى لايرضى فعلهم ولايغفر لهم (خ) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الامن ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى * قوله عز وجل (ان الله اصطفى آدم ونوحا) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يامعشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهى الخالص من كل شئ آدم هو ابو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابى سليمان الدمشقى ان اسم نوح السكن وانما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل ابرهيم) قيل اراد بآل ابراهيم نفسه وقيل آل ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم اصلا لشعبتين فجعل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل فى هذا الاصطفاء وجعل اسحق اصلا لبنى اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل اراد بآل ابراهيم من كان على دينه (وآل عمران) واختلفوا فى عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون آل عمران موسى وهرون اونفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل بن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم (على العالمين) اى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) اى اصطفى ذرية واصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله تعالى استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمى الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية ادم وهو ممن ذرء الله تعالى اى خلقه .

الاجور (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) من الحقوق واما التأويل بغير التطبيق فهو انهم مكروا ببعث من يقتال عيسى عليه السلام فشبه لهم صورة جسدانية هى مظهر عيسى روح الله عليه السلام بصورة حقيقة عيسى فظنوها عيسى فقتلوها وصلبوها والله رفع عيسى عليه السلام الى السماء الرابعة لكون روحه عليه السلام فائضا من روحانية الشمس ولم يعلموا لجهالتهم ان روح الله لا يمكن قتله ولما تيقن حاله قبل الرفع قال لاصحابه انى ذاهب الى ابى وابيكم السماوى اى اتطهر من عالم الرجس واتصل بروح القدس الواهب الصور المفيض للارواح والكمالات المربى للناس بالنفث فى الروح فامدكم من فيضه وكان اذ ذاك لاتقبل دعوته ولايتبع مثله فامر الحواريين بالتفرق بعده فى البلاد والدعوة الى الحق فقالوا كيف ذاك اذا لم تكن معنا والآن انت بين اظهرنا ولاتجاب دعوتنا قال علامة امدادى اياكم قبول الخلق دعوتكم بعدى فلما رفع لم يدع

(بعضها من بعض) اى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض فى التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعنى ان الله تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا * قوله عز وجل (اذ قالت امرأت عمران) هى حنة بنت فاقوذا ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابى موسى لان بينهما الفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل فى ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) اى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك والنذر مايوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا اى عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشئ من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل فى الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبياء بنى اسرائيل ومن علمائهم الا ومن اولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما فى بطنها وكانت القصة فى ذلك على ما ذكره اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهى ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا اخت ايشاع عند عمران وهى ام مريم وكان قد امسك عنه حنة الولد حتى ايست وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ماصنعت ارأيت ان كان ما فى بطنك انثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم شديد من اجل ذلك فمات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل منى) يعنى فتقبل نذرى والتقبل اخذ الشئ على الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص فى دعائه وعبادته (انك انت السميع) يعنى لتضرعى ودعائى (العليم) يعنى بنيتى وما فى ضميرى * قوله عز وجل (فلما وضعتها) اى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتها انثى) تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فيها بطنها قبل ان تضعه (والله اعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشئ الذى وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب انى وضعتها انثى خافت ان تكون اخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت (وليس الذكر كالانثى) يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل فى معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهبة الله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة الله تعالى وكانت مريم

اصحابه احدا الا ابهجهم وظهر لهم القبول فى الخلق وعلت كلمتهم وانتشر دينهم فى اقطار الارض ولما لم يصل الى السماء السابعة التى عرج بمحمد صلى الله عليه وسلم اليها المعبر عنها بسدرة المنتهى اعنى مقام النهاية فى الكمال ولم ينل درجة المحبة لم يكن له بد من النزول مرة اخرى فى صورة جسمانية يتبع الملة المحمدية لنيل درجتها والله اعلم بحقائق الامور (ان مثل عيسى عند الله) اى ان صفته عند الله فى انشائه بالقدرة من غير اب (كمثل آدم خلقه من تراب) فى انشائه من غير ابوين واعلم ان عجائب القدرة لا تنقضى ولا قياس ثمة على ان تكون الانسان من غير الابوين نظيرا من عالم الحكمة فان كثيرا من الحيوانات الناقصة القريبة الخلقة تتولد خلقا فى ساعة ثم تتناسل وتتوالد فكذا الانسان يمكن حدوثه بالتولد فى دور من الادوار ثم بالتوالد وكذا التكون من غير اب فان منى الرجل احر كثيرا من منى المرأة وفيه القوة العاقدة

من اجل النساء وافضلهن فى وقتها (وانى سميتها مريم) يعنى العابدة والخادمة وهو بلغتهم وارادت بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا (وانى اعيذها بك وذريتها) اى امنعها واجيرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعنى اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هى انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن بنى آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخارى عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن فى الحجاب * قوله عز وجل (فتقبلها ربها بقبول حسن) يعنى ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل فى العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشئ قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو ليس فى المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشئ ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول ليجمع بين الامرين يعنى التقبل الذى بمعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا (وانبتها نباتا حسنا) معناه وانبتها فنبتت هى نباتا حسنا قال ابن عباس فى قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اى سلك بها طريق السعداء وانبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى اليوم ما ينبت المولود فى عام (وكفلها زكريا) قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلى الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم فى الماء على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو اولى بها من غيره وكان كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التى كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت اقلامهم ثم رسبت فى النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جرى الماء الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن اذن بن مسلم صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) يعنى الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا) يعنى فاكهة فى غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف

اقوى كما فى الانفحة بالنسبة الى الجبن والمنعقدة فى منى المرأة اقوى كما فى اللبن فاذا اجتمعا تم العقد وانعقد ويتكون الجنين فيمكن وجود مزاج اناثى قوى يناسب المزاج الذكورى كما يشاهد فى كثير من النسوان فيكون المتولد فى كليتها اليمنى بمثابة منى الذكر لفرط حرارته بمجاورة الكبد لمن مزاج كبدها صحيح قوى الحرارة والمتولد فى كليتها اليسرى بمثابة منى الانثى فاذا احتملت المرأة لاستيلاء صورة ذكورية على خيالها فى النوم واليقظة بسبب اتصال روحها بروح القدس وبملك آخر ومحاكاة الخيال ذلك كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا سبق المنيان من الجانبين الى الرحم فتكون فى المنصب من الجانب الايمن قوة العقد وفى المنصب من الجانب الايسر قوة الانعقاد فيتكون الجنين ويتعلق به الروح وقوله (ثم قال له كن فيكون) اشارة الى نفخ الروح وكونه من عالم الامر ليس مسبوقا بمادة ومدة كخلق الجسد فيتناسب آدم وعيسى بما ذكر فى اشتراكهما فى خرق العادة وبكون جسديهما

وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال) يعنى زكريا (يامريم انى لك هذا) اى من اين لك هذه الفاكهة (قال)
يعنى مريم مجيبة لزكريا (هو من عندالله) يعنى من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان
يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يامريم انى لك هذا فتقول هو من عندالله تكلمت وهى صغيرة
فى المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير فى المهد وقال محمد بن اسحق اصابت بنى اسرائيل
ازمة وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بنى اسرائيل فقال
يابنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا
والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ماترى فدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها
بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم
فى وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يايوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق
لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها فى المحراب انماه الله وزاده فيدخل
زكريا عليها فيقول يامريم انى لك هذا فتقول هو من عندالله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)
وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتداء كلام من الله عزوجل ومعناه ان الله تعالى يرزق
من يشاء بغير تقدير لكثرته او من غير سبب وفى هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور
خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على ان يأتى
مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر ان يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه مع
الكبر وطمع فى الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس
من الولد فذلك قوله عزوجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعنى انه عليه السلام دخل محرابه واغلق
الابواب وسأل ربه الولد (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) يعنى انه قال يارب اعطنى من عندك
ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا
الواحد وانما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) اى سامعه ومجيبه * قوله عزوجل
(فنادته الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس
الملائكة وقيل ان بعث الا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلى فى
المحراب) اى فى المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح
لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم فى الدخول فبينما هو قائم يصلى فى محرابه عند المذبح والناس
ينتظرون ان يأذن فى الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل
عليه السلام يازكريا (ان الله يبشرك بيحيى) اى بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمى يحيى لان الله تعالى
احيا به عقر امه وقيل لان الله تعالى احيا قلبه بالان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط
(مصدقا بكلمة من الله) يعنى عيسى بن مريم وانما سمى عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له
كن فكان من غير اب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمى كلمة لان
عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله
تعالى فسمى كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمى كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام
وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء الذين قبله فى كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة
اب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعنى الوعد الذى وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى اول من

مخلوقين من تراب
العناصر مسبوقين بمادة
ومدة وكون روحه مبدعا
من عالم الامر ليس مسبوقا
بمادة ومدة (الحق من ربك
فلا تكن من الممترين فمن
حاجك فيه) اى فى عيسى
(من بعد ما جاءك من العلم
فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم ثم نبتهل فنجعل
لعنت الله على الكاذبين ان
هذا لهو القصص الحق) ان
لمباهلة الانبياء تأثيرا عظيما
سببه اتصال نفوسهم بروح
القدس وتأييد الله اياهم به
وهو المؤثر باذن الله فى العالم
العنصرى فيكون انفعال
العالم العنصرى منه كانفعال
بدننا من روحنا بالهيئات
الواردة عليه كالغضب
والحزن والفكر فى احوال
المعشوق وغير ذلك من
تحرك الاعضاء عند حدوث
الارادات والعزائم وانفعال
النفوس البشرية منه
كانفعال حواسنا وسائر قوانا
من هيئات ارواحنا فاذا
اتصل نفس قدسى به او
ببعض ارواح اجرام
السماوية والنفوس الملكوتية
كان تأثيرها فى العالم عند
التوجه الاتصال تأثير

بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم فى الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذى يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا فى العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذى لايغضبه شئ وقيل السيد هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير وقيل هو البخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يابنى سلمة قالوا جدبن قيس على انا نبخله قال واى داء ادواء من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذى لاياتى النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات واصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذى لامال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعنى الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص فى معرض المدح لايجوز وايضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى احد منهم نقص او آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعنى انه من اولاد الانبياء الصالحين * قوله عز وجل (قال) يعنى زكريا (رب) اى يارب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب ههنا بمعنى السيد والمربى اى ياسيدى وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لمابشروه بالولد تعجب ورجع فى ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (انى يكون لى غلام) يعنى من اين يكون وكيف يكون لى غلام (وقد بلغنى الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالنى الكبر وادركنى الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به اكان شاكا فى وعد الله او فى قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام فى وعد الله وفى قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اى جهة يكون لى الولد ايكون بازالة العقر عن زوجتى ورد شبابى على او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل مايشاء وقال عكرمة والسدى لماسمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يازكريا ان الصوت الذى سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحى اليك فى سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لايجوز ان يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحى السماوى واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبى كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس فى رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته

ما يتصل به فتنفعل اجرام العناصر والنفوس الناقصة الانسانية منه بما اراد الم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام بالخوف واحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية (ومامن اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يااهل الكتاب تعالوا الى كلمة) اى ليس عيسى من الالهية فى شئ فلا يستحق العبادة بمجرد تجرد ذاته فان عالم الملكوت والجبروت كله كذلك (سواء بيننا وبينكم) اى لم يختلف فى كلمة التوحيد نبى ولا كتاب قط (الا نعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يااهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون هاانتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لاتعلمون ماكان ابرهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان

من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لويضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يااهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يااهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل مااوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتى عاقر) اى عقيم لاتلد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) يعنى انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل مايشاء لايعجزه شئ * قوله عزوجل (قال) يعنى زكريا (رب اجعل لى آية) اى علامة اعلم بها وقت حمل امرأتى فازيد فى العبادة والشكر لك (قال آيتك) اى علامتك على الذى طلبت معرفته (ان لاتكلم الناس) اى لاتقدر على تكليم الناس (ثلاثة ايام) اى مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال فى آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى ايام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك من صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص فى هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولايشغل لسانه بشئ آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام (الارمزا) يعنى الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه (واذكر ربك كثيرا) وذلك لما منعه الله من الكلام المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لاتمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه (وسبح) اى وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشى والابكار) فاما العشى فهو مابين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاتا الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار هو مابين طلوع الفجر الى الضحى * قوله عزوجل (واذ قالت الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام (يامريم ان الله اصطفاك) اى اختارك (وطهرك) يعنى من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لاتحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) اى واختارك (على نساء العالمين) اى عالمى زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثانى قلت ذكر العلماء فى معناهما وجوها يحصل منها الفرق فقيل فى معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثانى ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن على بن ابى طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض قيل اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير نسائها ومعناه انهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيى الدين النووى والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض فى عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه (ق) عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل من الرجال كثير ولم يكمل

من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد وثريد مالا لحم فيه افضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسيه امرأة فرعون اخرجه الترمذى * قوله عزوجل (يامريم اقنتى لربك) اى قالت الملائكة لها شفاها اطيعى ربك وقيل معناه اطيلى القيام فى الصلاة لربك قال الاوزاعى لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دماً وقيحاً وحكى عن مجاهد نحوه (واسجدى واركعى مع الراكعين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضى الترتيب انما هى للجمع كانه قيل لها افعلى الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقال ابن الانبارى امرها امرا عاما وحضها على فعل الخير فكأنه قال استعملى السجود فى حال والركوع فى حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعى مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال افضل واتم وقيل معناه افعلى كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة فى جماعة اى صلى مع المصلين فى جماعة * قوله عزوجل (ذلك من انباء الغيب) يقول الله عزوجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب (نوحيه اليك) اى نلقيه اليك يامحمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحى منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعنى يامحمد (لديهم) هنالك عندهم (اذ يلقون اقلامهم) يعنى التى كانوا يكتبون بها فى الماء لاجل الاقتراع (ايهم يكفل مريم) يعنى يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم فى كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعنى فى كفالتها وتربيتها * قوله عزوجل (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يامحمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعنى جبريل عليه السلام يامريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل القى الى فلان كلمة سرنى بها واخبرنى خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكه لمريم يامريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة فى قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن الكلمة التى هى كن كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاء الله يعنى ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هى عيسى عليه السلام انما سمى كلمة لانه وجد عن الكلمة التى هى كن فان قلت ان كل مخلوق انما وجد بواسطة الكلمة التى هى كن فلم خص عيسى

بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) الاستثناء لا يكون الا بعد مرتبة الولاية والفناء فى التوحيد ما ينبغى لبشر محا الله بشريته بافنائه عن نفسه واثابه وجودا نورانيا حقانيا قابلا للكتاب والحكمة الالهية ثم يدعوا الخلق الى نفسه اذ الداعى الى نفسه يكون محجوبا بالنفس كفرعون واضرابه من الذين علوا التوحيد وما وجدوه حالا وذوقا ولم يصلوا الى العيان ونفوسهم باقية

عليه السلام بهذا الاسم وسمه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير فى قوله اسمه عائد الى الكلمة وهى مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير فى قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذى يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمى عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى او ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمى عيسى مسيحا لانه مامسح ذا عاهة الا برأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لايكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح فى الارض ولا يقيم بمكان فكأنه يمسح الارض اى يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمى مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا اخمص له وسمى الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمى عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمى الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد ❊ وقوله تعالى (وجيها) اى شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (فى الدنيا والآخرة) اما وجاهته فى الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى واما وجاهته فى الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعنى عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس فى المهد) يعنى ويكلم الناس صغيرا وهو فى المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذى تكلم به هو ماذكره الله عنه فى سورة مريم وهو قوله انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وتكلم ببراءة امه مما رماها به اهل القرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح وهو فى بطنى وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا فى الوقت الذى يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق (وكهلا) يعنى ويكلم الناس فى حال الكهولة والكهل فى اللغة هو الذى اجتمعت قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذى جاوز الثلاثين وقيل هو الذى وخطه الشيب وهو السن الذى يستحكم فيه العقل وتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو فى المهد ببراءة امه وهى معجزة عظيمة ويكلم الناس فى حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه

ماذاقت طعم الصلاة فاحتجبوا بها فدعوا الخلق الى نفوسهم وهم ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حى (ولكن) يقول (كونوا ربانيين) منسوبين الى الرب لاستيلاء الربوبية عليهم وطمس البشرية بسبب كونهم عالمين عاملين معلمين تالين لكتب الله اى كونوا عابدين مرتاضين بالعلم والعمل والمواظبة على الطاعات حتى تصيروا ربانيين بغلبة النور على الظلمة (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم) بتعبد معين والتقيد بصورة فانه حجاب وكفر ولا يأمر النبى بالاحتجاب بعد اسلامكم الوجود لله (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين

اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعنى ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفى هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى فى احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأى والتجربة (ومن الصالحين) يعنى انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعدما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل فى جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات واشرف المقامات ❊ قوله عز وجل (قالت) يعنى مريم (رب) يعنى ياسيدى تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقول الله عز وجل (انى يكون لى ولد) اى من اين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) اى ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا فى قدرة الله تعالى اذ لم يكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب (قال كذلك الله يخلق مايشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق مايشاء ويصنع مايريد وهو قوله (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى كما يريد (ويعلمه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة واحكام الشرائع (والتوراة) يعنى التى انزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى انزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ماهو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى اسرائيل) اى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان اول انبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (انى قد جئتكم بآية من ربكم) يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبنى اسرائيل قالوا ماهذه الآية قال (انى اخلق) اى اصور واقدر (لكم من الطين كهيئة الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته واصلحته (فانفخ فيه) اى فى الطين المهيأ المصور (فيكون طيرا) قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طائرا او ما اخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذى يطير فى الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدى وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى انى اعمل هذا التصوير فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام

ان بين النبيين تعارفا ازليا بسبب كونهم اهل الصف الاول عرفاء بالله وكل عارف يعرف مقام سائر العرفاء ومتعهدهم من الله بعهد التوحيد عام لبنى آدم كما ذكر وعهد النبيين خاص بهم وبمن يعرفهم بحق المتابعة فقد اخذ الله من النبيين عهدين احدهما ماذكر فى قوله واذ اخذ ربك من بنى آدم الى آخره وثانيهما ماذكر فى قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وهو عهد التعارف بينهم واقامة الدين وعدم التفرق به بتصديق بعضهم بعضا ودعوة الخلق الى التوحيد وتخصيص العبادة بالله تعالى وطاعة النبى وتعريف بعضهم بعضا الى اممهم وخصوصه بسبب ان معرفة الله تعالى فى صورة التفاصيل وحجب الصفات وتكثر المظاهر ادق واخفى من معرفته فى عين الجمع وهم من رزق حق المتابعة عارفون بذلك وباحكام تجليات الصفات التى هى

(وابرئ الاكمه والابرص) اى واشفى الاكمه والابرص واصحابهما واختلفوا فى الاكمه فقال ابن عباس هو الذى ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذى به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس فى علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى فى اليوم الواحد نحو خمسين الفا فمن اطاق ان يمشى اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته (واحيى الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد احيا اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقى وولد له الاسام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قدمات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلق بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مربه وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ابوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها واما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال مت فقال له بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل (وانبئكم) يعنى واخبركم (بما تأكلون) اى بما لم اعاينه (وما تدخرون فى بيوتكم) اى وما ترفعونه فتخبؤنه فى بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما يأكله اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان فى الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبى فيبكى على اهله حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقال لا تقعدوا مع ذلك الساحر وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما فى البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذاهم خنازير ففشا ذلك فى بنى اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا فى نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفى هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهى اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد فى اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة

الشرائع خاصة دون من عداهم (فمن تولى بعد ذلك) اى بعد ما علم عهد الله مع النبيين وتبليغ الانبياء اليهم ما عهد الله اليهم (فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن دين الله ولا دين غيره معتد به فى الحقيقة الا تو هما (افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض) وكل من فى السموات والارض يدين بدينه (طوعا) كما عدا الانسان والشيطان (وكرها) كالانسان والشيطان اذ الكفر لا يسع موجودا سواهما فكلهم ممتثلون لما امرهم الله طائعون والانسان لاحتجابه بارادته ونسيانه عهد الله وقبوله لدعوة الشيطان لمناسبته اياه بالظلمة النفسانية لا يؤمن ولا ينقاد الا كرها اللهم الا من عصمه الله واجتباه والشيطان لاحتجابه بعجبه وانيته فى قوله انا خير منه واباثه واستكباره كفر وهو مع ذلك يعلم عصيانه ويؤمن كرها ويتحقق ان كفره بارادته تعالى وذلك عين الايمان كما قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر

الكواكب وامتزجاتها او بواسطة حساب الرمل او نحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برائه من الجن وقد يخطئ ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات (لآية لكم) اي لعبرة ودلالة على صدق اني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا (لما بين يدي من التوراة) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى الين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشياء من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة رفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية من ربكم) اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعني يا معشر بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه (واطيعون) يعني فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما ادعوكم اليه هو قوله (ان الله ربي وربكم فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخباري له عن عيسى عليه السلام انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم) يعني التوحيد ❊ قوله عز وجل (فلما احس عيسى منهم الكفر) اي وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشئ بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله ❊ ذكر سبب القصة ❊ قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم شان زوجك اراه كئيبا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل

قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين وقال اذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وفي موضع اخر وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل فهذه لآيات دالة على ايمانه ولكن حين لا ينفعه (واليه ترجعون) في العاقبة فلا يبقى دين غير دين الله بل الكل عند الرجوع يدين بدينه

كل يدين بدين الحق لو فطنوا وليس دين لغير الحق مشروع

(قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير

على كل رجل منا يوما بطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت لها قولى له لايهتم لذلك فانا آمر ابنى ان يدعوله فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فى ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لاتبالى فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابى خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هى من ارض اخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندى غلاما لايسأل الله شيأ الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى بجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريدان يستخلفه فى ملكه وقد مات قبل ذلك بأيام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له فى احياء ابنى فطلب عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لاتفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لاابالى اليس اراه فقال عيسى ان انا احييته تتركنى انا وأمى نذهب حيث شئنا قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريدان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكلنا ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به فى التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فاخذوا فى اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعنى عيسى عليه السلام (من انصارى الى الله) اى مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى فى اى فى ذات الله وسبيله وقيل الى فى موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لى (قال الحواريون نحن انصار الله) وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بنى اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح فى الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثنى عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ماتصنعون قالوا نصيد السمك قال افلاتمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته فى الماء فدعا الله عيسى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به فانطلقوا معه واختلف فى الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشئ بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اى يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى السفر ولا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومى وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحوارى والثياب كلها فى الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت

الاسلام دينا) المراد من الاسلام ههنا التوحيد الذى هو دين الله فى قوله اسلمت وجهى لله وهو المذكور فى الآية التى قبلها وما وصف شموله لجميع الاديان ويلزمه الانقياد التام الطوعى المذكور فى فاصلة الآية بقوله ونحن له مسلمون (فلن يقبل منه) لعدم وصول دينه الى الحق تعالى لمكان الحجاب (وهو فى الآخرة من الخاسرين) الذين خسروا باشترائهم انفسهم وماجبوا به بالحق (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات) انكر هدايته تعالى لقوم قد هداهم اولا بالنور الاستعدادى الى الايمان ثم بالنور الايمانى الى ان عاينوا حقية الرسول وايقنوا بحيث لم يبق لهم شك وانضم اليه الاستدلال العقلى بالبينات ثم ظهرت نفوسهم بعد هذه الشواهد كلها بالعناد واللجاج وحجبت انوار قلوبهم وعقولهم وارواحهم الشاهدة ثلاثتها الحق للحق لشؤم ظلمهم وقوة استيلاء نفوسهم الامارة عليهم الذى هو غاية الظلم فقال (والله لايهدى القوم

منها قال واين هى قال فى الحب قال كلها قال ثم قال لقد افسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التى يريد الحوارى فجعل الحوار يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا اصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحوارى الناصر والحوارى الرجل الذى يستعان به (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعنى انصار دين الله ورسوله واعوانه (آمنا بالله) اى صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ (واشهد) يعنى انت ياعيسى (بأنا مسلمون) قيل معناه واشهد باننا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمنا بما انزلت) يعنى قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آمنا بما انزلت يعنى بكتابك الذى انزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعنى عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعنى الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضى ان يكون للشاهدين الذين سال الحواريون ان يكونوا معهم من يدفضل عليهم فلهذا قال ابن عباس فى قوله فاكتبنا مع الشاهدين اى مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعنى النبيين لان كل نبى شاهد على امته ﴿ قوله عز وجل (ومكروا) يعنى كفار بنى اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعى بالفساد فى الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا فى قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبيث والخديعة والحيلة (ومكر الله) اى جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه فى مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله فى هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذى دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما راى ذلك يهودا راس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة فى سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهودا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى فى بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت

الظالمين) لغلظ حجابهم وتعمقهم فى البعد عن الحق وقبول النور وهم قسمان قسم رسخت هيئة استيلاء النفوس الامارة على قلوبهم فيهم وتمكنت وتاهوا فى الغى والاستشراء وتمادوا فى البعد والعناد حتى صار ذلك ملكة لا تزول وقسم لم يرسخ ذلك فيهم بعد ولم تصر على قلوبهم رينا ويبقى من وراء حجاب النفس مسكة من نور استعدادهم عسى ان تداركهم رحمة من الله وتوفيق فيندموا ويستحيوا بحكم غريز العقول فاشار الى القسم الاول بقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم الى آخره والى الثانى بقوله (اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون) بالمواظبة على الاعمال والرياضات ما افسدوا (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض

الارض وارسل الله عزوجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعوني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذى فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه فرفع الله عيسى عليه السلام واخذ الذى دل عليه فقال انا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذى القى عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى كان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عزوجل قد رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله عزوجل فاهبطه الله عزوجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعني وهو افضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدى ان اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقى عليه شبه عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوريشلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله عزوجل (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى) اختلفوا في معنى التوفى هنا على طريقين فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا في معناها وجوها الاول معناه انى قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه ها ان لا يصل اعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثانى ان المراد بالتوفى النوم ومنه قوله عزوجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية انى متوفيك ورافعك الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفى حقيقة الموت قال ابن عباس معناه انى مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم احياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الى لا تفيد الترتيب والآية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطى معناه انى متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام لما

ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين) اذ لا تقبل هناك الا الامور النورانية الباقية لان الآخرة هى عالم النور والبقاء فلا وقع ولا خطر للامور الظلمانية فيها الفانية وهل كان سبب كفرهم واحتجابهم الا محبة هذه الفواسق الفانية فكيف تكون سبب نجاتهم وقربهم وقبولهم وندبتهم وهى بعينها سبب هلاكهم وبعدهم وخسرانهم وحرمانهم (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) كل فعل يقرب صاحبه من الله فهو بر ولا يمكن التقرب اليه الا بالتبرى عما سواه فمن احب شيأ فقد حجب عن الله تعالى به واشرك شركا خفيا لتعلق محبته بغير الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وآثر نفسه به على الله فقد بعد من الله بثلاثة اوجه وهى محبة غير الحق والشرك وايثار النفس على الحق فان آثر الله به على نفسه وتصدق به واخرجه من يده فقد زال البعد وحصل القرب والابق محجوبا وان

رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة فى زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى التوفى اخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعنى روحه وبقى فى الارض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله انى متوفيك ورافعك الى فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثانى ان فى الآية تقديما وتأخيرا تقديره انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى الى الارض فى القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل فى الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد فى رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفى رواية كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفى رواية فامكم منكم قال ابن ابى ذؤيب تدرى ما امكم منكم قلت فاخبرنى قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفى افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هما كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبينه يعنى عيسى نبى وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل فى زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن فى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام قوله عز وجل (ومطهرك من الذين كفروا) يعنى مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعنى وجاعل الذين اتبعوك فى التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة (ثم الى مرجعكم) يعنى يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين فى الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى من الحق فى امر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فاما الذين كفروا) يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغى من سائر اليهود والنصارى (فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى والذلة واخذ الجزية منهم

انشق من غيره اضعافه فانال برا لعله تعالى بما ينفق وباحتجاجه بغيره (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل) اى العقلاء بحكم الاصل اذ العقل يحكم بان الاشياء خلقت لمنافع العباد مطلقا فايكون من جملة المطعومات خلقت لتناولها (الا ما حرم اسرائيل) الروح (على نفسه) بالنظر العقلى عند التجربة والقياس ومعرفة مضارها ومنافعها على التفصيل بعد الحكم الاجمالى بحلها فان العقل يحكم بحرمة مايضر او يهلك (من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) اى من قبل نزول الحكم الشرعى بالتوراة وسائر الكتب الالهية وذلك ان الناس اختلفوا بعدما كانوا امة واحدة على دين الحق كما ذكر فبعث الله النبيين لهدايتهم واصلاح احوال معاشهم ومعادهم وردهم الى الحق والاتفاق فاقتضت الحكمة الالهية بحسب احوالهم المختلفة وطباع قلوبهم المحرفة ونفوسهم المربضة حرمته من المألوفات والاشياء الصارفة عن الحق الحاجبة

(والآخرة) اى واعذبهم فى الآخرة بالنار (ومالهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من عذابنا (واما الذين آمنوا) يعنى بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبدالله ورسوله وكلته (وعملوا الصالحات) يعنى عملوا بما افرضت عليهم وشرعت لهم (فيوفيهم اجورهم) يعنى جزاء اعمالهم لا ينقص منه شئ (والله لا يحب الظالمين) اى لا يحب من ظلم غيره حقاله اووضع شيأ فى غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثنى عليهم بجميل ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذين ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص (نتلوه عليك) اى نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه اليه (من الآيات) يعنى من القرآن وقيل الآيات يعنى العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا من يقرا ويكتب او نبى يوحى اليه وانت امى لا تقرا ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحى السماوى الذى انزل عليك (والذكر الحكيم) اى المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذى منه تنزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش * قوله عزوجل (ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية اجمع اهل التفسير ان هذه الآية نزلت فى محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبدالله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجل انه عبدالله فقالوا له فهل رايت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبدالله ورسوله وكلته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رايت انسانا تخلق من غير اب فانزل الله تعالى ان مثل عيسى عندالله اى فى الخلق والانشاء فى كونه خلقه من غير اب كمثل آدم فى كونه خلقه من تراب من غير اب وام ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير اب كصفة آدم فى كونه خلقه من تراب لا من اب وام فمن اقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو ابلغ فى القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى ابن مريم من غير اب بل الشأن فى خلق آدم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم فى كونه خلقه من تراب اى قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) اى انشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا فى الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضى ان يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر بانه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا آخر فقال انى اخبركم ايضا انى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير فى قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال فى الآية فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير اب ووجد آدم من غير اب ولا ام قلت هو مثله فى احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة

بينهم وبين الله والهيبة للهوى والشهوات وسائر المفاسد والفتن المانعة اياهم عن كمالهم واهتدائهم حرم عليهم (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس) قيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض تحته فالبيت اشارة الى القلب الحقيقى وظهوره على وجه الماء تعلقه بالنطفة عند سماء الروح الحيوانى وارض البدن وخلقه قبل الارض اشارة الى قدمه وحدوث البدن وتعيينه بألفى عام اشارة الى تقدمه على البدن بطورين طور النفس وطور القلب تقدما بالرتبة اذا الف رتبة تامة كما سبقت الاشارة اليه وكونه زبدة بيضاء اشارة الى صفاء جوهره ودحو الارض تحته اشارة الى تكون البدن من تأثير وكون

مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب فى العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وحكى ان بعض العلماء اسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل اربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما * وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فأريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة (الحق من ربك) الذى اخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) اى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا ايها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة * قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) اى فمن جادلك فى عيسى وقيل فى الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعنى بان عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) اى هلموا والمراد منه المجئ واصله من العلو بالراى والعزم كما تقول تعالى نتفكر هذه المسئلة (ندع ابناءنا وابناءكم) اى يدع كل منا ومنكم ابناءه (ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) قيل اراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اى لعنة الله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعنى منا ومنكم فى امر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى امرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما رآهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال انى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك فى كل سنة الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب زاد فى رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى

اشكاله وتخطيطاته وصور اعضائه تابعة لهيآته فهذا تأويل الحكاية واعلم ان محل تعلق الروح بالبدن واتصال القلب الحقيقى به اولا هو القلب الصورى وهو اول ما يتكون من الاعضاء واول عضو يتحرك وآخر عضو يسكن فيكون اول بيت وضع للناس (للذى ببكة) الصدور صورة او اول متعبد ومسجد وضع للناس للقلب الحقيقى الذى ببكة الصدور المعنوى وذلك الصدور اشرف مقام من النفس وموضع ازدحامات القوى المتوجهة اليه (مباركا) ذا بركة الهية من الفيض المتصل منه بجميع الوجود والقوة والحياة فان جميع القوى التى فى الاعضاء تسرى منه اولا اليها (وهدى للعالمين) سبب هداية ونور يهتدى به الى الله (فيه آيات بينات) من العلوم والمعارف والحكم والحقائق (مقام ابراهيم) اى العقل الذى هو موضع قدم ابراهيم الروح يعنى محل انصال نوره من القلب (ومن دخله) من السالكين والمتحيرين فى بيداء الجهالات (كان آمنا) من اغوال السعالى المتخيلة وعفاريت احاديث

كلهم حتى هلكوا فان قلت ماكان دعاؤه الى المباهلة الا لتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فامعنى ضم الابناء والنساء المباهلة قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته ومايدل عليها كتبهم * قوله تعالى (ان هذا) يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله (لهو القصص الحق) واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني (ومامن اله الا الله) انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لاشريك له في الالهية (وان الله لهو العزيز) اي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعني فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله عليم بالمفسدين) اي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم * قوله عز وجل (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة احتجوا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ماتريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ماتريد الا ان نقول فيك ماقالت اليهود في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة اوقصيدة لها اول وآخر وشرح كلمة سواء اي عدل لاتختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (الانعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما أمروهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة اشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو ان نقول عزير ابن الله ولانقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولانطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ماشرع ولايسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولانطيع احدا في معصية الله (فان تولوا) يعني فان اعرضوا

النفس واختطاف شياطين الوهم وجن الخيالات واغتيال سباع القوى النفسانية وصفاتها (ولله على الناس حج) هذا (البيت) والطواف به (من استطاع اليه سبيلا) من السالكين المستعدين الصادقين في الارادة القادرين على زاد التقوى وراحلة قوة العزم دون من عداهم من الضعاف في الاستعداد القاعدين من الضعف والمرض وسائر الموانع الخلقية اوالعارضة النفسانية اوالبدنية (ومن كفر) اي حجب استعداده مع القدرة واعرض عنه بهوى النفس (فان الله غني) عنه و(عن العالمين) كلهم اي لايلتفت اليه لبعده وكونه غير قابل لرحمته في ذل الحجاب وهو ان الحرمان مخذولا مردودا (قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم

عما امرتهم به (فقولوا) انتم لهؤلاء (اشهدوا بانامسلمون) اى مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان اباسفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادفيها اباسفيان وكفار قريش فاتوه وهو بايليا فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية الكلبى الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراءه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى امابعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسين وياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانامسلمون لفظ الحديث احد روايات البخارى وقد اخرجه بالطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسين وفى رواية الاريسين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم اتباع عبدالله بن اريس رجل كان فى الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى اتباع عبدالله بن اروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون انبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك ❁ قوله عزوجل (ياهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم) قال ابن عباس اجتمع عندالنبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ماكان ابراهيم الايهوديا وقالت النصارى ماكان ابراهيم الانصرانيا فانزل الله فيهم ياهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم (ومانزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عندرسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عزوجل ابراهيم مما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعدنزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمأة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف وستمأة واثنتان وثلاثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابرهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعمائة وعشرون سنة واورد على هذا التأويل ان الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ماادعيتم فى ابراهيم انه كان حنيفا مسلما واجيب عنه بان الله عزوجل اخبر فى القرآن بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس فى التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا اونصرانيا فصح وثبت ماادعاه المسلمون وبطل ماادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (افلا تعقلون) يعنى بطلان قولكم يامعشر اليهود والنصارى حتى لاتجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها انتم هؤلاء) ها التنبيه وهو موضع النداء يعنى ياهؤلاء والمراد بهم اهل الكتابين يعنى يامعشر اليهود والنصارى (حاججتم) اى جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم) يعنى فيما وجدتم فى كتبكم وانزل عليكم بيانه فى امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعنى انه

آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) بالانقطاع عماسواه والتمسك بالتوحيد الحقيقى (فقد هدى الى صراط مستقيم) اذ الصراط المستقيم هو طريق الحق تعالى كما قال ان ربى على صراط مستقيم فمن انقطع اليه بالفناء فى الوحدة كان صراطه صراط الله (ياايها الذين آمنو اتقوا الله حق تقاته) فى بقايا وجودكم فان حق اتقائه هو ان يتقى كما يجب ويحق وهو الفناء فيه اى احتاوه وقاية لكم فى الحذر عن بقايا ذواتكم وصفاتكم فان فى الله خلفا عن كل مافات (ولاتموتن الا وانتم مسلمون) الاعلى حال اسلام الوجوه له اى ليكن موتكم هو الفناء فى التوحيد (واعتصموا بحبل الله جميعا) اى بعهده فى قوله الست بربكم مجتمعين على التوحيد (ولا تفرقوا) باختلاف الاهواء فان التفرق عن الحق انما يكون باختلاف المبادئ واتباع الهوى وتجاذب القوى والموحد عنها بمعزل اذ تنور قلبه بنور الحق واستنارت

ليس فى كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا اونصرنيا (والله يعلم) يعنى ما كان ابراهيم عليه من الدين (وانتم لاتعلمون) يعنى ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون فى ابراهيم ثم برأه الله عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم برئ من دينهم فقال تعالى (ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا) يعنى لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعنى مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذى يوحدو يختتن ويضحى ويستقبل الكعبة فى صلاته وهو احسن الاديان واسهلها واحبها الى الله عزوجل (وماكان من المشركين) يعنى الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له * قوله عز وجل (ان اولى الناس بابراهيم) يعنى اخصهم به واقربهم منه (للذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا فى زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعنى هذه الامة الاسلامية (والله ولى المؤمنين) يعنى بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان وليى ابى وخليل ربى ابراهم ثم قرا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين اخرجه الترمذى وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن ابى طالب واناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند النجاشى من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوى رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابى معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لايدخل عليهم احد ولايخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قال وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لايسجدون لك ولايحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قالا فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشى مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه فقال الاتسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الاترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشى مامنعكم ان تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من اتانى من الآفاق قالوا نسجد الله الذى خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد

نفسه من فيض القلب فتسالمت القوى وتصادقت (واذكروا نعمت الله عليكم) بالهداية الى التوحيد المفيد للمحبة فى القلوب (اذ كنتم اعداء) لاحتجابكم بالحجب النفسانية والغواشى الطبيعية بعداء عن النور والمقاصد الكلية التى تقبل الشركة وتزال بالاتفاق فى مهوى الظلمة (فألف بين قلوبكم) بالتحاب فى الله لتنور بنوره (فأصبحتم بنعمته اخوانا) فى الدين اصدقاء فى الله (وكنتم على شفا حفرة من النار) هى مهوى الطبيعة الفاسقة ومحل الحرمان والتعذيب (فأنقذكم منها) بالتواصل الحقيقى بينكم الى سدرة مقام الروح وروح جنة الذات (كذلك يبين الله لكم آياته) بتجليات الصفات اللطيفة والاشراقات النورية (لعلكم تهتدون) الى جماله وتجلى ذاته (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اى ليكن من جملتكم جماعة عالمون عاملون عارفون اولو استقامة

الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله تعالى قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانما احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا قد ابقنا من اربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا واياهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي ياجعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله مازاد المسيح على ماتقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم اوآذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم فقال عمرو ياالنجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وانزل الله عزوجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * قوله تعالى (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود

في الدين كشيوخ الطريقة يدعون الى الخير فان من لم يعرف الله لم يعرف الخير اذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذي يمكن للانسان بحسب النوع من معرفة الحق تعالى والوصول اليه والا فما يتوصل به الى المطلق او الكمال المخصوص بكل احد على حسب اقتضاء استعداده الخاص فالخير المدعو اليه اما الحق تعالى واما طريق الوصول * والمعروف كل امر واجب اومندوب في الدين يتقرب به الى الله تعالى والمنكر كل محرم او مكروه يبعد عن الله تعالى ويجعل فاعله عاصيا او مقصرا مذموما فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة ولا مقام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان غير الموحد ربما يدعو الى طاعة غير الله وغير المستقيم في الدين وان كان موحدا ربما امر بما هو معروف عنده منكر في نفس الامر وربما نهي عما هو منكر عنده معروف في نفس الامر لكن بلغ مقام الجمع واحتجب بالحق عن الخلق فكثيرا ما يستحل محرما كبعض

لو يضلونكم يعني من دينكم و يردونكم الى الكفر (وما يضلون الا انفسهم) لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين (وما يشعرون) يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم واشياعهم (يااهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفرون بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وانتم تشهدون) يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق (يااهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريم التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس (وتكتمون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وانتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب * قوله عز وجل (وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الآية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شيء لانه اول ما يواجه منه وانشدوا في معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

* وقوله (لعلهم يرجعون) يعني عنه اي انا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم

المسكرات والتصرف في اموال الناس ويحرم حلالا بل مندوبا كتواضع الخلق ومكافاة الاحسان وامثال ذلك (واولئك هم المفلحون) الاخصاء بالفلاح الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله في ارضه (ولا تكونوا) ناشئين بمقتضى طباعكم غير متابعين لامام ولا متفقين على كلمة واحدة باتباع مقدم يجمعكم على طريقة واحدة (كالذين تفرقوا) واتبعوا الاهواء والبدع (واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) الحجج العقلية والشرعية الموجبة لاتحاد الوجهة واتفاق الكلمة للناس فان للناس طبائع وغرائز مختلفة واهواء متفرقة وعادات وسير امتفاوتة مستفادة من امزجتهم واهويتهم ويترتب على ذلك فهوم متباينة واخلاق متعادية فان لم يكن لهم مقتدى وامام يحذ عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته وتتفق [illegible]تهم وعاداتهم واهواؤهم [illegible]بته وطاعته كانوا [illegible]ملين متفرقين فرائس [illegible]يطان كشريدة الغنم [illegible]ون للذئب ولهذا قال

يحصل لها اثر فى قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك فى قلوب بعض من كان فى ايمانه ضعف ۞ قوله تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولاتؤمنوا اى ولا تصدقوا الالمن تبع دينكم اى وافق ملتكم التى انتم عليها وهى اليهودية واللام فى لمن صلة كقوله ردف لكم اى ردفكم (قل ان الهدى هدى الله) اى الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولاتؤمنوا الالمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى احد مثل مااوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولاتؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال فى اثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذى انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذى هدى اليه وامر به وقيل معناه قل لهم يامحمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم فى دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الالمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يامحمد ان الهدى هدى الله (ان يؤتى احد مثل مااوتيتم) وتكون ان بمعنى الجحد اى مايؤتى احد مثل مااوتيتم ياامة محمد من الدين والهدى (او يحاجوكم عند ربكم) بمعنى الا ان يحاجوكم اى اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اى عند فعل ربكم وقيل او فى قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما اعطى الله احدا مثل مااعطيتم ياامة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير ان يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فى الكلام اختصار تقديره ان يؤتى احد مثل مااوتيتم يامعشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولاتؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يامحمد ان الهدى هدى الله الآن انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع احدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يامعشر المؤمنين عند ربكم قل يامحمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى احد مثل مااوتيتم يامعشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قدتم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولاتؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول الله عز وجل لاتصدقوا يامعشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولاتصدقوا ان يؤتى احد مثل مااوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى (قل ان الفضل) يعنى قل لهم يامحمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اى انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء)

امير المؤمنين عليه السلام لابد للناس من امام بر اوفاجر ولم يرسل نبى الله صلى الله عليه وسلم رجلين فصاعدا الشان الا وامر احدهما على الآخر وامر الآخر بطاعته ومتابعته ليتحد الامر وينتظم والا وقع الهرج والمرج واضطراب امر الدين والدنيا واختل نظام المعاش والمعاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر لم يرح بحبوحة الجنة وقال الله مع الجماعة الا ترى ان الجمعية الانسانية اذا لم تنضبط برياسة القلب وطاعة العقل كيف اختل نظامها وآلت الى الفساد والتفرق الموجب لخسار الدنيا والآخرة ولما نزل قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو اليه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ابيضاض الوجه عبارة عن نور وجه

يعنى الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود فى قولهم ان يؤتى احد مثل مااوتيتم فقال الله تعالى رداعليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء واصل الفضل فى اللغة الزيادة واكثرمايستعمل فى زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره فى خصال الخير (والله واسع) اى ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) اى بمن يتفضل عليه وهو للفضل اهل (يختص برحمته) يعنى بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذى هوالاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعنى من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لاتحصل الا بالاختصاص والتفضل لابالاستحقاق لانه تعالى جعلهما من باب الاختصاص وللفاعل ان يفعل مايشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم)* قوله عزوجل (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك) الآية نزلت فى اليهود اخبرالله عزوجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت مثل عبدالله بن سلام واصحابه ومنهم من لايؤديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس فى هذه الآية اودع رجل من قريش عبدالله بن سلام الفا ومائتى اوقية من ذهب فاداها اليه فذلك قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم فى الدين واخذ ماله باى طريق كان (الا مادمت عليه قائما) قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل اراد انه اودعته شيأ ثم استرجعته منه فى الحال وانت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وان اخرت استرجاع مااودعته انكره ولم يرده عليك (ذلك) اى سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعنى اليهود (ليس علينا فى الاميين سبيل) يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج فى اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا فى اخذها منهم باى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين فى الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعنى اليهود (وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) اى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل واللفظة بلى لمجرد نفى ماقبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من اوفى اى ولكن (من اوفى بعهده) اى بعهدالله الذى عهداليه فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذى انزل عليه وباداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء

القلب بنور الحق المتوجه اليه والاعراض عن الجهة السفلية النفسانية المظلمة وذلك لا يكون الا بالتوحيد والاستقامة فيه بتنور النفس ايضا بنور القلب فتكون الجملة متنورة بنور الله واسوداده ظلمة وجه القلب بالاقبال على النفس الطالبة حظوظها والاعراض عن الجهة النورية الحقية لمصادقة النفس ومتابعة الهوى فى تحصيل لذاتها وذلك انما يكون باتباع السبل المتفرقة الشيطانية (فأما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (اكفرتم بعد ايمانكم) اى احتجبتم عن نور الحق بصفات النفس الظلمانية وسكنتم فى ظلمتها بعد هدايتكم وتنوركم بنور الاستعداد وصفاء الفطرة وهداية العقل (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) عذاب الحرمان باحتجابكم عن الحق (واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) التى هى روح الوصال ونور القدس وشهود الجمال (هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله مافى السموات ومافى الارض والى الله

فى قوله بعهده راجعة الى الموفى (واتقى) يعنى الكفر و الخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفى رواية اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر * قوله عز وجل (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية فى احبار اليهود ورؤسائهم ابى رافع وكنانة بن ابى الحقيق وكعب بن الاشرف وحيى بن اخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التى كانوا يأخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت فى ادعاء اليهود الذين قالوا انه ليس علينا فى الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت فى الاشعث ابن قيس وخصم له (ق) عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان قال عبدالله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وفى رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندى فقال ما يحدثكم ابو عبدالرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فى نزلت كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية واخرجه الترمذى وابو داود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه (خ) عن عبدالله بن ابى اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد اعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما امر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذى يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعنى الامانة وايمانهم يعنى الكاذبة ثمنا قليلا يعنى شيأ يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشترى يأخذ شيأ ويعطى شيأ فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (لا خلاق لهم فى الآخرة) اى لا نصيب لهم فى الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعنى كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) اى لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) اى ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثنى عليهم بجميل (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس) لكونكم موحدين قائمين بالعدل الذى هو ظله (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) اذ لا يقدر على ذلك الا الموحد العادل لعلمه بالمعروف والمنكر كما مر فى تأويل قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا قال امير المؤمنين عليه السلام نحن النمرقة الوسطى بنا يلحق التأويل والينا يرجع الغالى فيأمرون المقصر بالمعروف الذى يوصله الى مقام التوحيد وينهون الغالى المحجوب بالجمع عن التفصيل وبالوحدة عن الكثرة (وتؤمنون بالله) اى تثبتون فى مقام التوحيد الذى هو الوسط وكذا فى كل تفريط وافراط واعتدال فى باب الاخلاق (ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون) لكانوا مثلكم (لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) لكونهم منقطعين عن اصل القوى والقدر كائنين فى الاشياء بالنفس التى هى محل العجز والشر وانتم معتصمون

ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يداك (م) عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يارسول الله قال المسبل المنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمنان الذى لا يعطى شيأ الا منه والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار فقالوا يارسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك * قوله عز وجل (وان منهم) يعنى من اليهود (لفريقا) يعنى طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (يلوون) اى يعطفون ويميلون واصله الى الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها (السنتهم بالكتاب) يعنى بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف تلوى لسانه من سنن الصواب بما يأتى به من عند نفسه قال الواحدي ويحتمل ان يكون المعنى ملوون بألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون السنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها فى حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية فلما فعلوا ذلك فى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا (لتحسبوه من الكتاب) يعنى لتظنوا ان الذى حرفوه وبدلوه من الكتاب الذى انزله الله على انبيائه (وماهو من الكتاب) يعنى ذلك الذى يزعمون انه من الكتاب ماهو منه (ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله) يعنى الذى يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل والحقوا فى كتاب الله ماليس فيه قوله عز وجل (ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ماكان لبشر يعنى عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعنى الانجيل وقال ابن عباس فى قوله تعالى ماكان لبشر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعنى القرآن وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يامحمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله وما بذلك امرنى الله وما بذلك بعثنى فانزل الله هذه الآية ما كان لبشر اى ماينبغى لبشر وهو جميع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الوحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعنى الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعنى المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لى من دون الله وكيف يدعو الناس

بالله معتضدون به كائنون فى الاشياء بالحق الذى هو منبع القهر فقدرتهم لا تبلغ الاحد الطعن باللسان والخبث والايذاء الذى هو حد قدرة النفس ونهايتها وقدرتكم تفوق كل قدرة بالقهر والاستئصال لاتصافكم بصفات الله تعالى فلا جرم ينهزمون منكم عند المقاتلة ولا ينصرون (ضربت عليهم الذلة) لان العزة لله جميعا فلا نصيب فيها لاحد الا لمن تخلق بصفاته بمحو صفات البشرية كالرسول والمؤمنين الذين هم مظاهر عزته كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن خالفهم فهو مضاد لصفة العزة مباين للاعزاء فتلزمه الذلة وتشمله على اى حال تكون الا برابطة مابينه وبين اهل العزة كقوله (الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذمة وعهد وذلك يكون امرا

الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعنى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب فى جواز الاضمار اذا كان فى الكلام ما يدل عليه واختلفوا فى معنى الربانى فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم وكباره وقيل الربانى العالم الذى يعمل بعلمه وقيل الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى وقيل الربانى الذى جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضى الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات ربانى هذه الامة قال سيبويه الربانى المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم ربان وهو الذى يرب العلم ويرب الناس اى يعلمهم وينصحهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الربانى منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الربانى مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لى ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هى عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية اوعبرانية فهى تدل على الذى علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير * وقوله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع عمله وخاب سعيه * قوله عزوجل (ولا يأمركم) قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اى ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) يعنى كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح والعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عزوجل من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) انما قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا ولا يفعله * قوله عزوجل (واذ اخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر فى اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبرى معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعنى حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل الميثاق فى اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على انفسهم من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا فى معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه مأخوذ من الانبياء والثانى انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا فى المعنى بهذه الآية

عارضيا لا اصل له مرتبطا برابطة مجعولة فلا تقابل صفتهم الذاتية اللازمة لهم التى هى الذلة الناشئة من اصل نفوسهم * واستحقوا غضبا شديدا من عند الله لبعدهم واعراضهم عن الحق ولزمتهم المسكنة لانقطاعهم عن الله الى نفوسهم فوكلهم الى انفسهم (ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين) اى بالله ثم وصفهم باحوال اهل الاستقامة اى منهم اهل التوحيد والاستقامة (وما تفعلوا من خير فلن يكفروه) اى كل ما يصدر منكم مما يقربكم عند الله يتصل به جزاؤه منه لن تحرموا شيأ منه قال الله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى مشيا اتيته هرولة الحديث وقال انا جليس من ذكرنى وانيس من شكرنى ومطيع من اطاعنى اى كالمطيع بتصفية الاستعداد والتوجه نحوه

فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب مابعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين * وقوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من اخذ الميثاق كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذا استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه * وقوله (ثم جاءكم رسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام قوله (لتؤمنن به) لام القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال البغوي قال الله عزوجل للانبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري الآية وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق ماقرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل في عقولهم لهذا هو المراد من الميثاق (قال أأقررتم) يعني قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من النبيين قال معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصر له وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه

الماكم بافاضة الفيض على حسبه والاقبال اليكم (والله عليم بالمتقين) بالذين اتقوا ما يحجبهم عنه فيتجلى لهم بقدر زوال الحجاب (مثل ماينفقون في هذه الحيوة الدنيا) الفانية ولذاتها السريعة الزوال طلبا للشهوات اورياء اوسمعة في المفاخر وطلب محمدة الناس لايطلبون به وجه الله ومامهلكه وتفنيه بالكلية من ريح هوى النفس التي فيها بردنياتكم الفاسدة واغراضكم الباطلة كالرياء ونحوه (كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالشرك والكفر (فأهلكته) عقوبة من الله لظلمهم (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم (ولكن انفسهم يظلمون) لانه مسبب عن ظلمهم كما قيل مهلا يداك وكتا وفوك نفخ (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم) بطانة الرجل صفيه وخليصه الذي يبطنه ويطلع عليه اسراره ولا يمكن وجود مثل هذا الصديق الااذا اتحدا في المقصد واتفقا في الدين والصفة متحابين في الله

وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالتوافق اثبات هذا الميثاق وتأكيده على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد (واخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى والاصر العهد الثقيل وقيل سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر اى يشد ويعقد (قالوا اقررنا) اى قال النبيون اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا) يعنى قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعنى انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان (وانا معكم من الشاهدين) يعنى قال الله يامعشر الانبياء وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم او قال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم (فمن تولى) اى اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فاولئك هم الفاسقون) اى الخارجون عن الايمان والطاعة * قوله عز وجل (افغير دين الله يبغون) وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعنى افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر اى فغير دين الله تطلبون يامعشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون (وله اسلم) اى خضع وانقاد (من فى السموات والارض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبى وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا فى يوم اخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها عند الموت فى وقت اليأس فلم ينفعه ذلك فى القيامة وقيل انه لاسبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله فى مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما امره او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها فى جميع ما يقضى عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (واليه ترجعون) قرئ بالتاء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه فى الدنيا * قوله عز وجل (قل آمنا بالله) لما ذكر الله عز وجل فى الآية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق الرسول الذى يأتى مصدقا لما معهم بين فى هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير فى قوله قل وجمع فى قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه اصحابه فحسن الجمع فى قوله آمنا ومعنى الآية قل يامحمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله لنا غيره ولارب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل (وما انزل علينا) يعنى وقل يامحمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره

لا نغرض كما قيل فى الاصدقاء نفس واحدة فى ابدان متفرقة فاذا كان من غير اهل الايمان فبأن تكون كاشحا احرى ثم بين نفاقه واستبطانه العداوة بقوله (لا يألونكم خبالا) الى آخره اذ المحبة الحقيقية الخالصة لا تكون الا بين الموحدين لكونها ظل الوحدة فلا تكون بين المحجوبين لكونهم فى عالم التضاد والظلمة فاين الصفاء والوفاق فى عالمهم بل ربما تألفهم الجنسية العامة الانسانية لاشتراكهم فى النوع والمنافع واللاذ واحتياجهم الى التعاون فيها فاذا لم تحصل اغراضهم من النفع واللذة تهارشوا وتباغضوا وبطلت الالفة التى كانت بينهم لكونها مسببة عن امر قد تغير اذ النفس منشأ التغير والمنافع الدنيوية لا تبقى بحالها واللذات النفسانية سريعة الانقضاء فلا تدوم المحبة عليها بخلاف المحبة الاولى فانها مستندة الى امر لا تغير فيه اصلا هذا اذا كانت فيما بينهم فكيف اذا كانت بينهم وبين من يخالفهم فى الاصل

حرف وبدل (وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا فى نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (والنبيون) اى وما اوتى النبيون (من ربهم لانفرق بين احد منهم) وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامرالله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن بجميع الانبياء فان قلت لم عدى انزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها فى البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر (ونحن له مسلمون) اى موحدون مخلصون انفسنا له لانجعل له شريكا فى عبادتنا * قوله عزوجل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) يعنى ان الدين المقبول عندالله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ماياًمرالله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) يعنى الذين وقعوا فى الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبرى عن عكرمة فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا * قوله عزوجل (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم) نزلت فى اثنى عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحرث بن سويد الانصارى وطعمة بن ابيرق وجوج بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت فى اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان نبى مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدى الله كيف يرشدالله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اى تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه (وشهدوا ان الرسول حق) يعنى وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعنى الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التى بمثلها ثبتت النبوة (والله لايهدى القوم الظالمين) اى لايوفقهم الى الحق والصواب لما سبق فى علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لايهديهم فى الآخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال فى اول الآية كيف يهدى الله قوما كفروا قال فى آخرها والله لايهدى القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص باولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عم ذلك الحكم فى آخر الآية فقال والله لايهدى القوم الظالمين يعنى جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلى وانما سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة فى غير موضعها (اولئك جزاؤهم) يعنى الذين كفروا بعد ايمانهم (ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها) اى فى عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) اى لايؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (الا الذين

(تابوا)

والوصف وانى يتجانس النور والظلمة ومن اين يتوافق العلو والسفل فبينهما عداوة حقيقية وتخالف ذاتى لاتخفى آثاره كما بين الله تعالى بقوله (ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من افواههم) لامتناع اختفاء الوصف الذاتى قال النبى عليه الصلاة والسلام مااضمر احدشيأ الا واظهره الله فى فلتات لسانه وصفحات وجهه (وماتخفى صدورهم اكبر) لانه نار وهذا شرار ذاك الاصل وهذا فرعه (قد بينا لكم الآيات) دلائل المحبة والعداوة واسبابهما (ان كنتم تعقلون) اى تفهمون من فحوى الكلام (هاانتم اولاء تحبونهم ولايحبونكم) بمقتضى التوحيد اذ الموحد يحب الناس كلهم بالحق للحق ويراهم متصلين بنفسه اتصال الاحياء والاقرباء بل اتصال الاجزاء فينظر اليهم بنظر الرحمة الالهية والرأفة الربانية ويعطف عليهم ترحما اذ يراهم اهل الرحمة شغلوا بالباطل وابتلوا بالقدر ولايحبونكم

تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية فبعثها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه (واصلحوا) اى وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفى حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات (فان الله غفور رحيم) اى غفور لقبائحهم فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب * قوله عز وجل (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت فى اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا فى حال كفرهم وقيل نزلت فى جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعنى باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت فى احد عشر رجلا من اصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحرث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل فى الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم فى الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون فى معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدى لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن فان الذى يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال ان اليهود او الكفار او المرتد الذين فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر فى ضمائرهم وقال ابو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها فى حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم فى حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبرى معنى لن تقبل توبتهم اى مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى لما وعد ان يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم على ان المعنى الذى لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذى تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذى لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى (واولئك هم الضالون) يعنى هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا

بمقتضى الحجاب والبقاء فى ظلمة النفس وتضاد الطبع (وتؤمنون بالكتاب) اى بجنس الكتاب (كله) لشمول علمكم التوحيدى ولا يؤمنون للتقيدى بدينهم والاحتجاب بما هم عليه (واذا لقوكم قالوا آمنا) لنفاقهم المستجلب لاغراضهم العاجلة (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) لحقدهم الذاتى وبغضهم الكامن والباقى ظاهر قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا) على ما يبتليكم الله به من الشدائد والمحن والمصائب وتثبتوا على مقتضى التوحيد والطاعة (وتتقوا) الاستعانة بهم فى اموركم والالتجاء الى ولايتهم (لا يضركم كيدهم شيأ) لان المتوكل على الله الصابر على بلائه المستعين به غيره ظافر فى بغيته غالب على خصمه محفوظ بحسن كلاءة ربه والمستعين بغيره مخذول موكول الى نفسه محروم عن نصرة

بهم الذين ضلوا على سبيل الحق واخطؤا منهاجه * قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من اصحاب الحرث بن سويد حيا فى الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالآية عامة فى جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا) اى قدر ما يملاء الارض من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك وكذلك لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد فى التغليظ لانه تصريح بنفى القبول من جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيأ فى الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو ان الكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله فى تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شئ من ذلك وفيه معناه لو ان الكافر انفق فى الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (اولئك) اشارة الى من مات على الكفر (لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين) يعنى مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما فى الارض من شئ أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيأ فابيت الا الشرك لفظ مسلم * قوله عز وجل (لن تنالوا البر) قال ابن عباس يعنى الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع فى فعل الخير يقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل فى الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا فى زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدى الى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعنى من جيد اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اى الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا فى هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى

(تخرجوا)

ربه كما قال الشاعر
من استعان بغير الله فى طلب
فان ناصره عجز وخذلان
(ان الله بما يعملون) من المكايد (محيط) فيبطلها ويهلكها وقد قيل اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك فالصبر والتقوى من اجل الفضائل ان لزمتموهما تظفروا على عدوكم (واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) الصبر على مضض الجهاد وبذل النفس فى طاعة الله وتحمل المكروه طلبا لرضا الله يكون الا عن التقوى تأييد الحق وسوره بنور اليقين وثباته بنزول

تخرجوا جواز كاة اموالكم فعلى هذاالقول قيل انالآية منسوخة بآيةالزكاةوفيه بعدلانه
ترغيب فى اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شيء انفقه المسلم
من ماله مما يبتغى به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل فى قوله لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون (ق) عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا وكان
احب امواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
قام ابوطلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله تعالى يقول فى كتابه لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالى الى بيرحا وانها صدقة لله عزوجل ارجو برها
وذخرها عندالله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ
ذلك مال رابح اوقال ذلك مال رايح ارى ان تجعلها فى الاقربين فقال ابوطلحة افعل يارسول الله
فقسمها ابو طلحة فى اقاربه وبنى عمه قوله بخ بخ هى كلمة تقال عندالمدح والرضا وتكريرها للمبالغة
وهى مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح اى ذو ربح وفى
الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحا اسم موضع بالمدينة
وهو حائط كان لابى طلحة وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى ان
يبتاع له جارية من سبى جلولاء يوم فتحت فلما جاءت اعجبته فقال عمر ان الله عزوجل يقول لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبدالله بن عمر ان عبدالله بن عمر
رضى الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله
فذكرت مااعطانى الله تعالى فما كان شيء احب الى من فلانة فقلت هى حرة لوجه الله تعالى
قال ولولا انى لااعود فى شيء جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يارسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة
ابن زيد بن حارثة فقال يارسول الله انما اردت ان اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد قبلت صدقتك وفى رواية كأن زيدا وجد فى نفسه لما رأى ذلك منه النبى صلى الله عليه
وسلم قال اما ان الله قد قبلها وروى ان اباذر نزل به ضيف فقال للراعى ائتنى بخير ابلى فجاء
بناقة مهزولة فقال للراعى خنتنى فقال الراعى وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم
اليه فقال ان يوم حاجتى اليه ليوم اوضع فى حفرتى وقوله تعالى (وما تنفقوا من شيء)
يعنى من اى شيء كان من طيب تحبونه او من خبيث تكرهونه (فان الله به عليم) اى يعلمه
ويجازيكم به ❁ قوله عزوجل (كل الطعام كان حلالبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
من قبل ان تنزل التوراة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم
انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لايأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكل ذلك
كله فلست على ملته فقال النبى صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كل ماتحرمه
اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عزوجل كل الطعام كان
حلالا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة

السكينة والطمأنينة عليه
والتقوى فى مخالفة امر
الحق والميل الى النفع
والغنيمة وخوف تلف
النفس لاتكون الا عند
انكسار النفس تحت قهر
سلطان القلب والروح
اذ الثبات والوقار صفة
الروح والطيش والاضطراب
صفة النفس فاذا استولى
سلطان الروح على القلب
واخذ بملكته عصمه من
استيلاء صفات النفس
وجنودها عليه فيعشقه
القلب ويسكن اليه لنورانيته
المحبوبة لذاتها ويتقوى
به على النفس وقواها
فيهزمها ويكسرها ويدفع
غلبتها وظلمتها عن نفسه
ويجعلها ذلولا مطيعة
مطمئنة اليه فيزول عنها
الاضطراب وتتنور بنوره
وعند ذلك تنزل الرحمة
ويناسب القلب ملكوت
السماء فى نورانيتها وقهرها
لما تحتها ومحبتها وشوقها
لمافوقها وبذلك التناسب
يصل بها ويستنزل قواها
واوصافها فى افعاله خصوصا
عنداهتياجه وانقلاعه عن
الجهة السفلية وانقطاعه
بقوة اليقين والتوكل الى
الجهة العلوية ويستمد من

قوى قهرها على من يغضب عليه فذلك نزول الملائكة واذا اجزع وهلع وتغير وخاف اومال الى الدنيا غلبة النفس وقهرته واستولت عليه وحجبته بظلمة صفاتها عن النور فلم تبق تلك المناسبة فانقطع المدد ولم تنزل الملائكة (وما جعله الله الا بشرى لكم) اى ماجعل الامداد بالملائكة الا لتستبشروا به فتزداد قوة قلوبكم وشجاعتكم ونجدتكم ونشاطكم فى التوجه الى الحق والتجريد للسلوك (ولتطمئن قلوبكم) فتحقق الفيض بقدر التصفية والخلف بقدر الترك (وما النصر الا من عند الله) لا من الملائكة ولا من غيرهم فلا تحتجبوا بالكثرة عن الوحدة ولا بالخلق عن الحق فانها مظاهر لاحقيقة لها ولا تأثير (العزيز) القوى الذلل بقهره (الحكيم) الذى ستر قهره ونصرته بصور الملائكة بحكمته (ليقطع طرفا من الذين كفروا) بقتل بعضهم تقوية للمؤمنين (او يكبتهم) يخزيهم ويذلهم بالهزيمة اعزازا للمؤمنين (فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم) بالاسلام تكثيرا

يعنى ليس الامر على ماتدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذى حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ماليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز ولاهذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف ما فى التوراة فلما اخبر ان ذلك ليس فى التوراة علم ان الذى اخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى وقوله كل الطعام يعنى كل انواع الطعام اوسائر المطعومات كان حلا اى حلالا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرئيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا فى الذى حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ياابا القاسم اخبرنا اى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هى العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النساء وكان اصل وجعه فيما روى عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح احدهم وفى رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يايعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع احدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما انى لوشئت ان اصرعك فعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسى ماقال له الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلاسبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس فى آخرين اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك فى صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقى منه شدة فكان لاينام الليل من الوجع ويبيت وله زقاء اى صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله ان لايأكل عرقا ولاطعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون

العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطباء ان يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدالله تعالى وسال ربه ان يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل ثم استثنى ماحرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء ان يكون ذلك حراما على بنى اسرائيل اماقوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام حلالا لبنى اسرائيل على نفسه امابعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم اشياء كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا فى حال هذا الطعام المحرم على بنى اسرائيل بعد نزول التوراة فقال الذى حرم الله عليهم فى التوراة ما كانوا احرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافانى الله تعالى لا ياكله ولدى ولم يكن ذلك محرما عليهم فى التوراة وقال الكلبى لم يحرمه الله فى التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا اوصب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شئ من ذلك حراما عليهم ولاحرمه الله فى التوراة وانما حرموا على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه لله عزوجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فأتوا بالتوراة) يعنى قل لهم يامحمد فأتوا بالتوراة (فاتلوها) اى فاقروها ومافيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما ادعيتم فلم يأتوابها وخافوا الفضيحة فقال تعالى (فمن افترى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فرى الاديم اذاقطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له الوجود (من بعد ذلك) اى من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله (فاولئك هم الظالمون) اى هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما نطق عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التى كانوا يرتكبونها (قل صدق الله) يعنى قل صدق الله يامحمد فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله فى قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بنى اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله فى ان سائر الاطعمة كانت محللة على بنى اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يامعشر اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى اتبعوا مايدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهى الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذى عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وماكان من المشركين) اى لم يدع مع الله الها آخر ولاعبد سواه ❁ قوله عز وجل (ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون

لسواد المؤمنين (او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) بسبب ظلمهم واصرارهم على الكفر تفريحا للمؤمنين واوقع بين المعطوف والمعطوف عليه فى اثناء الكلام قوله ليس لك من الامر شئ اعتراضا لئلا يغفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرى لنفسه تأثيرا فى بعض هذه الامور فيحجب عن التوحيد ولا يزول ونتغير شهوده فى الاقسام كلها اى ليس لك من امرهم شئ كيفما كان انت الا بشر مأمور بالانذار ان عليك الاالبلاغ انما امرهم الى الله (ياايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . تقوا النار التى اعدت للكافرين واطيعوا الله الرسول لعلكم ترحمون) اى توكلوا على الله فى طلب الرزق فلاتكسبوه بالربا فانه عليكم كما يجب عليكم التوكل ليه فى طلب الفتح وجهاد العدو لئلا تجبنوا بكلاءة لله وحفظه واعلموا ان جزاء المرابى هو جزاء الكافر

بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم اكذبهم الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى فى الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر فى هذه الآية فضيلة البيت ليتفرع عليها ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ماسواه وقيل هو اسم للشئ الذى يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه شئ آخر اولم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع للناس اى وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج وللطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعنى يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة فى قوله وطهر بيتى واضافه للناس اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واضافته الى الناس فلأنه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذى ببكة قيل هى مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم للبلد وفى اشتقاق بكة وجهان احدهما انه من البك الذى هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اى يزدحمون فى الطواف وهو قول محمد بن على الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثانى سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الاقصمه الله تعالى وهذا قول عبدالله بن الزبير واما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا مص كل مافيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اى تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها اولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء فى كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول فى الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيأ من الارضين وفى رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيأ من الارض بالفى عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدى وقيل هو اول بيت بنى على الارض وروى عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين فى الارض ان يبنوا بيتا فى الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من فى الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك ياآدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وقال ابن عباس هو اول بيت بناه آدم فى الارض قبل ان آدم لما اهبط الارض استوحش وشكا الوحشة فامره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقى ذلك البناء الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقى موضع البيت اكمة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنائه القول الثانى ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا

فاحذروه لكونه محجوبا عن افعاله تعالى كما ان الكافر محجوب عن صفاته وذاته والمحجوب غير قابل للرحمة وان اتسعت فارفعوا الحجاب بالطاعة وترك المخالفة كى تدرككم رحمة الله (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) ستر افعالكم التى هى حجابكم عن مشاهدة افعال الحق بافعاله تعالى فانما حرمتم عن التوكل وجنة عالم الملك التى هى تجلى الافعال برؤية افعالكم اى الى مايوجب ستر افعالكم بافعاله وجنة الافعال من الطاعات بعد كما ورد اعوذ بعفوك من عقابك ولان المراد بالجنة ههنا جنة الافعال وصف عرضها بمساواة عرض السموات والارض اذ توحيد الافعال هو توحيد عالم الملك وانما قدر طولها لان الافعال باعتبار السلسلة العرضية وهى توقف كل فعل على فعل آخر تنحصر فى عالم الملك الذى يتقدره الناس واما باعتبار الطول فلا تنحصر فيه ولا يقدرها اذ تتعلل مظاهر الوصف والوصف مظهر الذات فلا نهاية له ولا حدة فالمحجوبون عن الذات والصفات

ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى ان رجلا قام الى على بن ابى طالب فقال الا تخبرنى عن البيت اهو اول بيت وضع فى الارض قال لاقد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن ابى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما ادركت الصلاة فصل زاد البخارى فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعنى ذا بركة واصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهى فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وهدى للعالمين) يعنى انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التى لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته ❊ قوله تعالى (فيه آيات بينات) اى فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا فى تفسير تلك الآيات فقيل هى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهى مايدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا تطير فوق الكعبة فى الهواء بل ينحرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا تؤذى بعضها فى الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وماقصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التى فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التى فيه كلها من الآيات ومنها ان الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والبانى هو ابرهيم الخليل والمساعد فى بنيانه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت ❊ قوله تعالى (مقام ابرهيم) يعنى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر قدمى ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدى (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة فى جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى من ان يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل فى معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان اوحدا فالتجا الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص او الحد فى الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق

رون الاعرض هذه الجنة واما البارزون لله الواحد القهار فعرض جنتهم عين طولها ولاحد لطولها فلا يقدر قدرها طولا ولا عرضا (اعدت للمتقين) الذين يتقون حجب افعالهم وشرك نسبة الافعال الى غير الحق (الذين ينفقون فى السراء والضراء) لانعدام الاحوال المضادة عن الانفاق لصحة توكلهم على الله برؤية جميع الافعال منه (والكاظمين الغيظ) لذلك ايضا اذ يرون الجناية سليم فعل الله فلا يعترضون ولو لم يغيظوا لكانوا فى مقام الرضا وجنة الصفات (والعافين عن الناس) لما ذكرنا ولتعوذهم بعفوه تعالى عن عقابه (والله يحب المحسنين) الذين يشاهدون تجليات افعاله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة) كبيرة من الكبائر وبرؤية افعالهم صادرة عن قدرتهم (اوظلموا انفسهم) نقصوا حقوقها بارتكاب الصغائر وظهور انفسهم فيها (ذكروا الله) فى صدور افعالهم برؤيتها واقعة بقدرة الله وتبرأوا منها اليه لرؤيتهم ابتلاء

عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعى اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه فى الحرم واجمعوا على انه لو قتل فى الحرم اوسرق اوزنى فانه يستوفى منه الحد فى الحرم عقوبة له وقيل فى معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك * قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) اى ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبى صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعنى وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

﴿ فصل ﴾ فى فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بنى آدم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر والله ليبعثه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاء تا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذى وهذا يروى عن ابن عمرو موقوفا (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان النبى عليه السلام قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل فى كل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزى المكى قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفى لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه اخرجه الترمذى وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من

اياهم بها (فاستغفروا لذنوبهم) طلبوا ستر افعالهم التى هى ذنوبهم بأفعاله بالتبرى عن الحول والقوة اليه (ومن يغفر الذنوب) اى وجودات الافعال (الا الله) اى علموا ان لا فاعل الا هو (ولم يصروا على ما فعلوا) فى غفلتهم وحالة ظهور انفسهم بل تابوا ورجعوا اليه فى افعالهم (وهم يعلمون) ان لا فعل الا الله (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين) بمقتضى توحيد الافعال (قد خلت من قبلكم سنن) بطشات ووقائع بما سلمه الله فى افعاله بالذين كذبوا بالانبياء فى توحيد الافعال (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فى آثارها فتعلموا كيف كان عاقبتهم (هذا) الذى ذكر (بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) من علم توحيد الافعال وتفصيل المتقين الذين هم اهل التمكين فى ذلك والتائبين الذين هم اهل التلوين والمصرين

مسلم يلبي الا لبى ماعن يمينه وشماله من حجر او شجر اومدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا
وقال الترمذى هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذى هذا حديث غريب
﴿ فصل ﴾ فى احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان الاسلام
والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر
ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل او
حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط
الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض
حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والآخر ان يكون مستطيعا
بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم
من حديث ابن عمر فى الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس
بمتصل وانما المرفوع مارواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبى صلى الله
عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر
واختلف العلماء فى قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا نعلم خبرا
ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان نستثنى من ظاهر الآية
بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل باى وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال
وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه
بأكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة
ولا يقدر على المشى وآخر يقدر على المشى على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة
كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال
الشافعى الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج
فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثانى لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على
من يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا
ممن لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد
مايكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان
عليه ووجد رفقة يخرجون فى وقت جرت العادة بخروج اهل البلد فى ذلك الوقت فان خرجوا
قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم
ويشترط ان يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر اورصدى يطلب
الخفارة لا يلزمه ويشترط ان تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ماجرت العادة بوجوده
من الماء والزاد فان تفرق اهلها لجدب او غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة
وهو قادر على المشى اولم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان
الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك

المحجوبين عنه المكذبين
به وزيادة هدى وكشف
عيان وتثبت واتعاظ للذين
اتقوا رؤية اعمالهم او
هدى لهم الى توحيد
الصفات والذات (ولاتهنوا)
فى الجهاد عند استيلاء
الكفار (ولاتحزنوا)
على ما فاتكم من الفتح
وماجرح واستشهد من
اخوانكم (وانتم الاعلون)
فى الرتبة لقربكم من الله
وعلو درجتكم بكونكم
اهل الله (ان كنتم مؤمنين)
موحدين لان الموحد يرى
مايجرى عليه من البلاء
من الله فأقل درجاته
الصبر ان لم يكن رضا
يتقوى به فلا يحزن ولا يهن
(ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله وتلك
الأيام نداولها بين الناس
وليعلم الله الذين آمنوا)
الوقائع وكل مايحدث من
الامور العظيمة يسمى يوما
واياما كما قال تعالى وذكرهم
بأيام الله وقدمر تفسير
ليعلم الله من ظهور العلم
التفصيلى التابع لوقوع
المعلوم (ويتخذ منكم
شهداء) الذين يشهدون
الحق فيذهلون عن انفسهم
اى نداول الوقائع بين

واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستأجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة ماروى عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر قالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين * قوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين * قوله عز وجل (قل يا اهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهيد على ما تعملون) اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (تبغونها عوجا) يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفاء (وانتم شهداء) قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب في التوراة وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله

(والتصديق)

الناس لامور شتى وحكم كثيرة غير مذكورة من خروج ما في استعدادهم الى الفعل من الصبر والجلد وقوة اليقين وقلة المبالاة بالنفس واستيلاء القلب عليها وقمعها وغير ذلك ولهذين العلتين المذكورتين ولتخليص المؤمنين من الذنوب والغواشي التي تبعدهم من الله بالعقوبة والبلية اذا كانت عليهم ومحق الكافرين وقهرهم وتدميرهم اذا كانت لهم وقد اعترض بين العلل قول (والله لا يحب الظالمين) ليعلم ان من ليس على صفة الايمان والشهادة وتمحيص الذنوب وقوة الثبات لكمال اليقين بل حضر القتال لطلب الغنيمة او لغرض آخر فهو ظالم والله لا يحبه (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) كل موقن اذا لم يكن يقينه ملكة بل كان خطرات فهو في بعض احواله يتمنى امورا ويدعى

والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قبطى احد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رايت يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهى القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وقوله (ومن يعتصم بالله) اي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) اي الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة * قوله عز وجل

احوالا بحسب نفسه دائما وكذلك حال غير اليقين وعند اقبال القلب هو صادق مادام موصوفا بحاله اما في غير تلك الحالة وعند الادبار فلا يبقى من ذلك اثر وكذا كل من لم يشاهد حالا ولم يمارسه ربما ادعاه لتصوره في نفسه وعدم تضرره به حال التصور اما في حال وقوعه وابتلائه فلا يطيق تحمل شدائده كما حكي عن سمنون المحب رحمه الله لما قال في ابياته * فكيفما شئت فاختبرني * فابتلي بالاسر فلم يطق فكان يتردد في الطريق ويرضخ الى الصبيان ما يلعبون به كالجوز ويقول ادعوا على عمكم الكذاب وفي هذا المعنى قال الشاعر

واذا ما خلا الجبان بارض
طلب الطعن وحده والنزالا

فلا يلتفت بحال الا اذا صار مقاما ولا يعتبر مقاما الا اذا امتحن في مواطنه فاذا خلص من الامتحان فقد صح وهذا احد فوائد مداولة الايام بينهم ليتمرنوا بالموت ويتقوى يقينهم ويتوفر صبرهم ويتحقق

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وآبائكم وابنائكم من انس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتي العبد كل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في تلك الحال مرفوع عنه كذلك قوله وان يشكر افلا يكفر فواجب على العبد حضور ما انعم الله به عليه بالبال واما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على اسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لابد منه فتى جاءكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله اموركم تحسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * قوله عز وجل (واعتصموا

مقامهم بالمشاهدة كما قال (فقد رأيتموه) من قتل اخوانكم بين ايديكم (وانتم تنظرون) تشاهدون ذلك وفيه توبيخ لهم على ان يقينهم كان حالا لا مقاما ففشلوا في المواطن (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) اي انه رسول بشر سيموت او يقتل كما الانبياء قبله فمن كان على يقين من دينه فبصيرة من ربه لا يرتد بموت الرسول وقتله ولا يفتر عما كان عليه لانه يجاهد لربه لا للرسول كأصحاب الانبياء السالفين وكما قال انس عم انس بن مالك يوم احد حين ارجف بقتل رسول الله عليه السلام وشاع الخبر وانهزم المسلمون وبلغ اليه تقاول بعضهم ليت فلانا يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقول المنافقين لو كان نبيا ما قتل يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء

بحبل الله جميعا) اى تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذى يتوصل به الى البغية وسمى الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذى به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا فى معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل اليه وفى افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا وانى تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوى بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى امر به وان ماتكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبون فى الفرقة وقيل بحبل الله يعنى بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا) يعنى كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعنى كما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لاتحدثوا مايكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التى انتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لايكون الا واحدا وماعداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوى بسنده عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) قال محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت آخى بنى عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له الى حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعى افضل من هذا قرآن انزله الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحيس انس بن رافع ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فسمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال انا رسول الله قد بعثنى الله الى العباد ادعوهم الى ان لايشركوا بالله شيأ وانزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اى

ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) انما اضر نفسه بنفاقه وضعف يقينه (وسيجزى الله الشاكرين) لنعمة الاسلام كأنس ابن النضر واضرابه من الموقنين (وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) ان كان موقنا شاهد هذا المعنى وكان من اشجع الناس كما حكى حاتم بن الاصم عن نفسه انه شهد مع الشقيق البلخى رحمهما الله بعض غزوات خراسان قال فلقينى شقيق وقد حمى الحرب فقال كيف تجد قلبك ياحاتم قلت كما كان ليلة الزفاف بين الحالين فوضع سلاحه وقال اما انا فهكذا ووضع رأسه على ترسه ونام بين المعركة حتى سمعت غطيطه وهذا غاية فى سكون القلب الى الله ووثوقه به لقوة اليقين (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا

قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابوالحيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عزوجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلانى وقطبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبدالله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالى اليهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عزوجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد اظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عزوجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا معه وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشافيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلانى وذكوان بن عبدالقيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبه وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهو العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على ان لايشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولايعصينك فى معروف الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فاخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عزوجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد ابن معاذ واسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبدالاشهل وهما بعد مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما

على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله موليكم وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) جعل القاء الرعب فى قلوب الكفار مسببا عن شركهم لان الشجاعة وسائر الفضائل اعتدالات فى قوى النفس من وقوع ظل الوحدة عليها عند تنورها بنور القلب المنور بنور الوحدة فلا تكون تامة حقيقة الا للموحد الموقن فى توحيده واما المشرك فلانه محجوب عن منبع القوة والقدرة بما اشرك بالله من الموجود المشوب بالعدم لامكانه الخفى الوجود الضعيف الذى لم يكن له بحسب نفسه قوة ولا وجود ولاذات فى الحقيقة ولم ينزل الله بوجوده حجة لوجوده اصلا لتحقق عدمه بحسب ذاته فليس له الا العجز والجبن وجميع

جالسان فى الحائط فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ماجاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما فى انفسكما حاجة قال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ماتكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال مااحسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله مارايت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذى ذكره من بنى حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله مااراك اغنيت شيئا فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليه متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا مابينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى تغشانا فى دارنا بمانكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ماتكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادى قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يابنى عبد الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما امسى داربنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ماكان من دار امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك انه كان فيهم ابوقيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدرواحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فوعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهو بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام ابوجابر اخبرناه وكنا

الرذائل اذ لا يكون اقوى من معبوده وان اتفقت له دولة اوصولة اوشوكة فشئ لا اصل له ولا ثبات ولا بقاء كنار العرفج مثلا كانت دولة المشركين (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه) اى وعدكم النصران تصبروا وتتقوا فما دمتم على حالكم من قوة الصبر على الجهاد

نكلم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا اباجابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعونا الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معناه العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعون منه انفسكم ونساءكم وابناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناهما كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم والهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل ترون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول

وتيقن النصر والثبات على اليقين واتفاق الكلمة بالتوجه الى الحق والاتقاء عن مخالفة الرسول وميل النفوس الى زخرف الدنيا والاعراض عن الحق مجاهدين لله لا للدنيا كان الله معكم بالنصر وانجاز الوعد وكنتم تقطعونهم باذنه وتتهزمونهم (حتى اذا فشلتم) اي جبنتم بدخول

الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ماحى من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ماكان من هذا شئ وماعلمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كانى اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوه ياابا جابر ماتستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الى قال والله لتنتعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال فقلت لا اردهما قال والله ياابا صالح لئن صدق الفأل لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقدشدوا العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قدجعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابوسلمة بن عبد الاسد المخزومى ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عزوجل اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا يعنى يامعشر الانصار نعمة الله عليكم يعنى بالاسلام اذ كنتم اعداء يعنى قبل الاسلام فألف بين قلوبكم يعنى بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا يعنى فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا فى الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم) يامعشر الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعنى على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع فى النار الا ان تموتوا على كفركم (فانقذكم منها) اى فخلصكم بالايمان من الوقوع فى النار (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام فى قوله ولتكن لام الامر اى لتكن منكم امة دعاة الى الخير وقيل ان كلمة من فى قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عزوجل اوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الامة فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر امابيده او بلسانه او بقلبه (م) عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا امة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان فى الامة من لايقدر على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لعجز اوضعف فخص ادسنا انط من فى قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وقيل ان الامر

الضعف فى يقينكم وفساد اعتقادكم فى حق نفسه بتجويز غلوله فى الغنيمة (وتنازعتم) فى امر الحرب بعد الاتفاق وما صبرتم عن حظ الدنيا وعصيتم الرسول بترك ما امركم به من ملازمة المركز وملتم الى زخرف الدنيا (فى الامر وعصيتم من بعدما اراكم ماتحبون)

بالمعروف والنهى عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذى فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا والخير المذكور فى الآية هو كل شئ يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن امة اى جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن فى الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب فى فعل ما ينبغى وهو الامر بالمعروف والثانى الترغيب فى ترك مالا ينبغى وهو النهى عن المنكر فذكر الحسن اولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة فى البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ماعرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى (واولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره ۞ قوله عز وجل (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعنى ولاتكونوا يامعشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعنى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فى قول اكثر المفسرين واختلفوا فى دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا فى دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع فى هذه الآية هم اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام ان يتفرقوا او يختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب وقال ابن عباس امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبدالله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت اديم السماء وخير قتيل تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدى وقال ان بارضى منهم كثيرا وفى رواية ثم قرا بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذى عن ابى غالب قال راى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال ابو امامة كلاب اهل النار شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابى امامة انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الامرة اومرتين او ثلاث مرات او اربع مرات حتى عد سبعا ماحدثتكموه وقال فيه هذا حسن ۞ وقوله تعالى (من بعد ماجاءهم البينات) يعنى الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل فى التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (واولئك لهم عذاب عظيم) يعنى لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم فى الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربقة الاسلام عقد الاسلام واصله ان الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها البهم الواحد من العرا ربقة وروى البغوى بسنده عن

من الفتح والغنيمة وحان زمان شكركم لله وشدة اقبالكم عليه فذهلتم عنه فكان اشرفكم يريد الآخرة والباقون يريدون الدنيا ولم يبق فيكم من يريد الله منعكم نصره (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم) بما فعلتم

عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد ۞ قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعنى اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفى بياض الوجوه وسوادها قولان احدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعنى من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعنى من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعنى من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان المؤمن اذا ورد القيامة على ماقدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ماقدم من قبيح عمل وسيآت حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكودته واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب يعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثانى بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل فى الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة فى بياض الوجود وسوادها ان اهل الموقف اذا راوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من اهل السعادة واذا راوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من اهل الشقاوة (فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء فى ذلك فروى عن ابى ابن كعب انه قال اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر فى الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن ابى بكر الصديق رضى الله عنه وهم اهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فاقول اى رب اصحابى فيقال انك لاتدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى رب اصحابى اصحابى فيقال لى لاتدرى مااحدثوا بعدك زاد فى رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابى اوقال من امتى فيحلون عن الحوض فاقول يارب اصحابى فيقول انه لاعلم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على على بن

فكان الابتلاء لطفا بكم وفضلا (والله ذوا فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخراكم) فى الاحوال كلها اما بالنصرة واما بالابتلاء فان الابتلاء فضل ولطف خفى اعلموا ان احوال العباد جالبة لظهور اوصاف الحق عليهم فما

ابى طالب وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب انه كان فى الجيش الذين كانوا مع على لما ساروا الى الخوارج فقال على ايها الناس انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتى يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لاتجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفى رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الخوارج شيأ قال سمعته يقول واهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم فى الاعتقاد (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحرث الاعور سمعت على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله فمايؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من اهله فمايعود اليهم حتى يعمل عملا استوجب به النار ثم قرا يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة * وقوله تعالى (واما الذين ابيضت وجوههم) يعنى المؤمنين المطيعين لله عزوجل (ففى رحمة الله) يعنى ففى جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لايدخل الجنة الا برحمة الله تعالى (هم فيها خالدون) قيل انما كرر كلمة فى لان فى كل واحدة منهن معنى غير الاخرى المعنى انهم فى رحمة الله وانهم فى الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعنى القرآن وقيل هذه الآيات التى تقدمت (نتلوها عليك بالحق) اى بالمعنى الحق لان المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) يعنى لايعاقب احدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة فى قوله فاما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اخبرانهم وانما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب افعالهم المنكرة وانه لايظلم احدا من خلقه (ولله مافى السموات ومافى الارض) لما ذكر الله انه لايريد ظلما للعالمين لانه لاحاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا اوعزا اوسلطانا اويتم نقصانا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عزوجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال اخبر ان له مافى السموات ومافى الارض وان جميع مافيهما ملكه واهلهما عبيده واذا كان كذلك يستحيل فى حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا من خلقه لانهم عبيده وفى قبضته ثم قال (والى الله ترجع الامور) يعنى واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصى فيجازى الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم * قوله عزوجل (كنتم خير امة) سبب نزول هذه الآية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم

اعدوا له نفوسهم موهوب لهم من عند الله كما مر فى قوله مطيع من العاصى كما يكونون مع الله يكون الله معهم ولئلا ينساموا الى الاحوال دون المسالكات وليتزنوا بالصبر على الشدائد والثبات فى المواطن ويتمكنوا فى اليقين ويجعلوه ملكاتهم ومقاما ويتحققوا ان الله لايغير

(ودينا)

ودیننا خیر من دینکم الذی تدعوننا الیه فانزل الله هذه الآیة واختلف فی لفظة کان فقیل هی بمعنی الحدوث والوقوع والمعنی حدثتم ووجدتم وخلقتم خیر امة وقیل کان هنا ناقصه وهی عبارة عن وجود الشیء فی زمان ماض ولاتدل علی انقطاع طاریء بدلیل قوله وکان الله غفورا رحیما فعلی هذا التقدیر یکون المعنی کنتم فی علم الله خیر امة وقیل کنتم مذکورین فی الامم الماضیة بانکم خیر امة وقیل کنتم فی اللوح المحفوظ موصوفین بانکم خیر امة وقیل معناه کنتم منذ انتم خیر امة وقیل قوله خیر امة تابع لقوله فاما الذین ابیضت وجوههم والتقدیر انه یقال لهم عند دخول الجنة کنتم فی دنیاکم خیر امة فلهذا استحققتم ماانتم فیه من بیاض الوجوه والنعیم المقیم وقیل کنتم بمعنی انتم وقیل یحتمل ان یکون کان بمعنی صار فمعنی قوله کنتم ای صرتم خیر امة فاما المخاطبون بهذا من هم ففیه خلاف قال ابن عباس فی قوله کنتم خیر امة هم الذین هاجروا مع رسول الله صلی الله علیه وسلم وروی ابن جریر عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالی لقال انتم فکنا کلنا ولکن فی خاصة من اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم کانوا خیر امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنکر وقال الضحاک هم اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم یعنی به کانوا هم الرواة الدعاة الذین امر الله عز وجل المسلمین باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصین ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال خیر الناس قرنی ثم الذین یلونهم ثم الذین یلونهم قال عمران فلا ادری اذکر بعد قرنه قرنین او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما یشهدون ولایستشهدون ویخونون ولایؤتمنون وینذرون ولایوفون ویظهر فیهم السمن زاد فی روایة ویحلفون ولایستحلفون (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال خیر الناس قرنی ثم الذین یلونهم ثم الذین یلونهم ثم یجیء قوم تسبق شهادة احدهم یمینه ویمینه شهادته قوله خیر الناس قرنی یعنی اصحابی والقرن اهل کل زمان مأخوذ من الاقتران وکأنه الزمان الذی یقترن فیه اهل ذلک الزمان فی اعمارهم واحوالهم وقیل القرن اربعون سنة وقیل ثمانون وقیل مائة سنة (ق) عن ابی سعید الخدری قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لاتسبوا اصحابی فلوان احدا انفق مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولانصیفه النصیف النصف وقال ابن عباس فی روایة عطاء فی قوله کنتم خیر امة هم امة محمد صلی الله علیه وسلم قال الزجاج قوله کنتم خیر امة الخطاب فیه مع اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم ولکنه عام فی کل الامة ونظیره قوله کتب علیکم الصیام کتب علیکم القصاص فان کل ذلک خطاب مع الحاضرین بحسب اللفظ ولکنه عام فی حق الکل کذا ههنا عن بهز بن حکیم عن ابیه عن جده انه سمع النبی صلی الله علیه وسلم یقول فی قوله تعالی کنتم خیر امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعین امة انتم خیرها واکرمها علی الله تعالی اخرجه الترمذی وقال حدیث حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة علی الشیء وامة محمد صلی الله علیه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالایمان بالله عز وجل وبمحمد صلی الله علیه وسلم (خ) عن ابی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم کل امتی یدخلون الجنة الامن ابی قالوا ومن یأبی قال من اطاعنی دخل الجنة ومن عصانی فقد ابی عن ابن عمران رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان الله لایجمع

ما بقوم حتی یغیروا مابأنفسهم ولایمیلوا الی الدنیا وزخرفها ولایذهلوا عن الحق ولایبیعوه بالدنیا والآخرة ولیکون عقوبة عاجلة للبعض فیتمحصوا عن ذنوبهم وینالوا درجة الشهادة برفع الحجب خصوصا حجاب محبة النفس فیلقوا الله طاهرین ولهذا قال ولقد عفا عنکم اذ الابتلاء

امتى اوقال امة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار اخرجه الترمذى عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امتى امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتى كمثل المطر لايدرى آخره خيرام اوله اخرجه الترمذى وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع الجد ثلاثا انهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابى بكر مناكير عن سالم بن عبدالله زادغيره فى الحديث وهم شركاء الناس فى سائر الابواب عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امتى من يشفع فى الفئام من الناس ومنهم من يشفع فى القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذى (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتى سبعون الفا اوسبعمائة الف متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى ان يدخل من امتى الجنة سبعون الفا لاحساب عليهم ولاعذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربى اخرجه الترمذى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتى ✽ وقوله تعالى (اخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير امة اخرجت (خ) عن ابى هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى اعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لااله الاالله وتنهونهم عن الشرك (وتؤمنون بالله) اى وتصدقون بالله وتخلصونه له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الايمان بالله فى الذكر مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله امر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر فى هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط فى هذا الحكم لانه مالم يوجد الايمان لم يصر شئ من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا

كان سبب العفو (فأثابكم غما بغم) اى صرفكم عنهم لجازاكم غما بسبب غم لحق رسول الله من جهتكم بعصيانكم اياه وفشلكم وتنازعكم او غما بعد غم اى غما مضاعفا لتتمرنوا بالصبر على الشدائد والثبات فيها وتتعودوا رؤية الغلبة والظفر والغنيمة وجميع الاشياء من الله لامن انفسكم فلا (لكيلا تحزنوا على ما

السبب حسن تقدم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان * وقوله تعالى (ولو آمن اهل الكتاب) يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به (لكان خيرا لهم) يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو انهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعني من اهل الكتاب (المؤمنون) يعني عبدالله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى (واكثرهم الفاسقون) اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون * قوله عز وجل (لن يضروكم الا اذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام واصحابه فآذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لن يضركم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم او تهديد او القاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) يعني منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد (اينما ثقفوا) اي حيثما وجدوا وصودفوا (الا بحبل من الله) يعني الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة (وحبل من الناس) يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهده لاعز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمى العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعني كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله تعالى اخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب اي بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم الله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل * قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما اسلم عبدالله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فانزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان

فاتكم) من الحظوظ والمنافع (ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون) من الخير والمضار (ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة) خلى عنكم الغم بالامن والقاء النعاس على الطائفة الصادقين دون المنافقين الذين (قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل

احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لايستوى اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثانى ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولايوقف عليه * وقوله (من اهل الكتاب امة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغنى عن ذكر الآخر قال ابو ذؤيب

دعانى اليها القلب انى امرؤلها * مطيع فلا ادرى ارشد طلابها

اراد ان غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لاحاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلاحاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم فى فعلهم فقال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اى مهدية قائمة على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عزوجل وحدوده وقيل قائمة فى الصلاة (يتلون آيات الله) اى يقرؤن كتاب الله عزوجل (آناء الليل) يعنى ساعاته (وهم يسجدون) يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لاتكون فى السجود وقيل هى صلاة التهجد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لايصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخشوع سجودا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عزوجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ماكانت فى اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير مايصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصى واليهود لايحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون فى الخيرات) اى يبادرون اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب فى امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون فى الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى (واولئك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) اى من جملة الصالحين الذين صلحت

لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك يقولون لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا قل لوكنتم فى بيوتكم) لانفس الرسول ولا الذين وافقوا علامة للعفو (لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) لقوله مااصاب من مصيبة فى الارض ولافى انفسكم الا

احوالهم عنداللّه عزوجل ورضى عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يراد بالصالحون المسلمون والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين ❁ قوله عزوجل (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبداللّه بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذى دخلتم فيه فاخبر اللّه تعالى انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل الخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو اهل الكتاب ايضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير ايها المؤمنون فلن تكفروه اى فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به (واللّه عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى ❁ قوله عزوجل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من اللّه شيأ) قال ابن عباس يريد بنى قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال فى معاداة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال اللّه عزوجل لن تغنى عنهم اموالهم وقيل نزلت فى مشركى قريش فان اباجهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابوسفيان مالا كثيرا فى يومى بدر واحد على المشركين وقيل ان الآية عامة فى جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى اى تدفع عنهم اموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب اللّه ولا اولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم اللّه تعالى ان الكافر لا ينفعه شئ من ذلك فى الآخرة ولا يخلص له من عذاب اللّه وهو قوله (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله عزوجل (مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) قيل اراد نفقة ابى سفيان واصحابه ببدر واحد فى معاداة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم فى الدنيا وقيل اراد نفقة المرائى الذى لا يريد بما ينفق وجه اللّه تعالى وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق فى الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائى الذى لا يريد بما انفق وجه اللّه تعالى فانه لا ينتفع بنفقته فى الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد والوجه الثانى ان الصر هو السموم الحارة التى تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانبارى من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهى مهلكة او حر فهى مهلكة ايضا (اصابت) يعنى الريح التى فيها صر (حرث قوم) اى زرع قوم (ظلموا انفسهم) يعنى بالكفر والمعاصى

فى كتاب من قبل ان نبراها (وليبتلى اللّه مافى صدوركم) اى وليمتحن مافى استعدادكم من الصدق والاخلاص واليقين والصبر والتوكل والتجرد وجميع الاخلاق والمقامات ويخرجها من القوة الى الفعل (وليمحص مافى قلوبكم واللّه عليم بذات الصدور) اى وليخلص ما برز منها من مكمن الصدر

ومنع حق الله فيه (فاهلكته) يعنى فاهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار فى ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض تشبيه ماانفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذى هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ماهو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ماحصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر فى اهلاك ماينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثانى مثل ماينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ماينفقون بشئ يذهب بالكلية ولا يبقى منه شئ وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعنى بان لم يقبل نفقاتهم (ولكن انفسهم يظلمون) يعنى انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عزوجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك ووجه هذا القول ان الله ذكر فى سياق هذه الآية قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لاصفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لاتتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعارى ودثارى والشعار الذى يلى الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذى يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على مالا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لاتتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين اى لاتتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى لاتتخذوا اولياء ولا اصفياء من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهى عن مباطنتهم فقال تعالى (لايألونكم خبالا) يعنى لايقصرون ولايتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذى يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ماعنتم) اى يودون عنتكم وهو مايشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من افواههم) اى ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على اسرار المؤمنين (وماتخفى صدورهم) يعنى من العداوة والغيظ (اكبر) اى اعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعنى الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون)

الى محزن القلب من عثرات وساوس الشيطان ودناءة الاحوال وخواطر النفس فعل ذلك فان البلاء سوط من سياط الله يسوق به عباده اليه بتصفيتهم عن صفات نفوسهم واظهار مافيهم من الكمالات وانقطاعهم عنده من الخلق ومن النفس الى الحق ولهذا كان متوكلا بالانبياء ثم الاولياء وقال

مابين لكم فتتعظون به * قوله تعالى (هاانتم) ها للتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور (اولاء) اسم للمشار اليهم فى قوله (تحبونهم) والمعنى انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التى بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولايحبونكم) يعنى اليهود لما بينكم وبنهم من المخالفة فى الدين وقيل تحبونهم يعنى تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولايحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لاتعلمون مافى قلوبهم ولايحبونكم لان الكفر ثابت فى قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم ولايحبونكم اى لايفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعنى وهم لايؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقوله كثر الدرهم فى ايدى الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لايؤمنون بشئ من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعنى ان الذين وصفهم فى هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) اى خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) الانامل جمع انملة وهى طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله ومالهم فى ذلك من الذل والخزى والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى به الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه وهى لكونها حالة فى القلب منتسبة اليه كنى عنها بذوات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل مايحصل فى قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو يسرونه فى قلوبهم * قوله عز وجل (ان تمسسكم) اى تصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم يسمى كل مايصل الى شئ ماساله على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اى اصابه (حسنة) المراد بالحسنة ههنا منافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم وخصب فى معايشكم (تسؤهم) اى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) اى مساءة من اخفاق سرية لكم اواصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم اوغدر ونكبة ومكروه يصيبكم (يفرحوا بها) اى بما اصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعنى على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله ومانالكم فيها من شدة (وتتقوا) اى تخافوا ربكم وقيل وتتقوا مانهاكم عنه وتتوكلوا عليه (لايضركم) اى لاينقصكم (كيدهم) اى عداوتهم ومكرهم (شيأ) اى لانكم فى عناية الله وحفظه (ان الله بما يعملون) قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط) اى عالم بجميع ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم بانا الفضله ماأوذى نبى مثل ماأوذيت كانه قال ماصفى نبى مثل ماصفيت ولقد احسن من قال
لله در النائبات فانها * صدا اللئام وصيقل الاحرار *
اذ لايظهر على كل منهم الا ما فى مكمن استعداده كما قيل عند الامتحان يكرم الرجل اويهان (ان الذين تولوا منكم

حافظ لايعزب عنه شئ منه * قوله عز وجل (واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين انهذا كان فى يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرى وقتادة والسدى والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبرى الاول اصح لقوله تعالى اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبى والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبدالله بن ابى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبدالله بن ابى واكثر الانصار يارسول الله اقم بالمدينة ولاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يارسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى وقال بعض اصحابه يارسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا انا جبناعنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرا فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاولتها هزيمة ورأيت انى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم فى الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ماصنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يارسول الله اصنع ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ماصلى باصحابه الجمعة وكان قدمات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله فى جانب الوادى وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر عبدالله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لايأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا فى هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلاتطلبوا المدبرين ولاتخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راى عبدالله بن ابى ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا انتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ماقاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبدالله بن ابى ابن سلول بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقى مع رسول الله صلى الله

يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان) اى طلب منهم الزلة ودعاهم اليها وهى الزلة التولى (ببعض ما كسبوا) من الذنوب فان الشيطان انما يقدر على وسوسة الناس وانفاذ امره اذا كان له مجال بسبب ادنى ظلمة فى القلب حادثة من ذنب وحركة من النفس كما قيل الذنب بعد الذنب

عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا فى ان تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من اصحابه منهم ابوبكر وعلى والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من اهلك اى واذكر اذ غدوت من اهلك يعنى من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضى الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله تبوئ المؤمنين اى تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اى مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكرا للقتال (والله سميع) يعنى لاقوالكم (عليم) يعنى بنياتكم وما فى ضمائركم ❊ قوله عزوجل (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) اى تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل فى تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن ابى بثلث الناس ورجع فى ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابى فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا (والله وليهما) اى ناصرهما وحافظهما ومتولى امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشئ والآية تدل على ان الطائفتين قد عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس هنا اولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما (ق) عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرنى انها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزال الله فيهم آية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التى هموها ما اخرجتهم من ولاية الله تعالى ❊ وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر الله عباده المؤمنين ان لا يتوكلوا الا عليه وان لا يفوضوا امرهم الا اليه ❊ قوله عزوجل (ولقد نصركم الله ببدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر (وانتم اذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين

الاول (ولقد عفا الله عنهم) بالاعتذار والندم (ان الله غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اى يجعل ذلك القول والاعتقاد ضيقا

كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الافرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش فى حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعنى فى الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعنى بتقواكم ما انتم به عليكم من نصرته ❁ قوله عز وجل (اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر او يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف كما ذكرهما (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا ومددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف رد للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة آلاف وكانوا قد امدوا بالف من الملائكة وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ براس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضى ان الله نصرهم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثانى ان هذا الوعد بانزال الملائكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب ينبل له كلما فنى النبل اتاه به فنثره وقال ارم اباسحق ارم اباسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه فى سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وايضا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا اوما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة فى مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين آلاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما فى يوم بدر واجيب عن احتجاج

وضنكا وغما فى قلوبهم لرؤيتهم القتل والموت مسببا عن فعل ولو كانوا موقنين موحدين لرأوا انه من الله فكانوا منشرحى الصدور (والله يحيى) من يشاء فى السفر والجهاد وغيره (ويميت) من يشاء فى الحضر وغيره (والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم لمغفرة

الاول لهذا القول بان الله تعالى امدهم يوم بدر بالف كما ذكر فى سورة الانفال ثم لما سمع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بان يمدوا
بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثانى وهو ان الكفار كانوا يوم
بدر الفا فانزل الله الفا وفى يوم احد كانوا ثلاثة آلاف فانزل الله ثلاثة آلاف بان هذا تقريب
حسن والله ان يزيد ماشاء فى اى وقت شاء ولهذا قال عكرمة فى قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ويتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا لم
يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حتى حاصروا
قريظة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه
اخرج اليهم قال فالى اين قال ههنا واشار الى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم اليهم
(خ) عن انس رضى الله عنه قال كانى انظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل
عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة وقال عبد الله بن ابى اوفى
كنا محاصرين قريظة والنضير ماشاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال او ضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا
قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير
الطبرى واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا
لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ولا دلالة فى الآية على انهم امدوا بهم
ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله امدهم وقد يجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك
الا بنص تقوم به الحجة فى ذلك وقد ثبت بنص القرآن انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما
فى سورة الانفال واما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا ابين منها انهم امدوا وذلك انهم لو
امدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن ابى وقاص المتقدم فى
يوم احد وانه رأى ملكين عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبى
صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولا ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد واما التفسير فقوله
تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله
ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم احد يقول نظم الآية ان الله ذكر قصة
احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو قادر ان ينصركم فى سائر
المواطن ثم رجع الى قصة احد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو
سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة
القوة والاعانة يقال فيه امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد فى الشر
والامداد فى الخير بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم
ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق لو عد الله اى بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما

من الله ورحمة) اى لنعيمكم
الاخروى من رحمة الافعال
ورحمة الصفات خير لكم
من الدنيوى لكونكم
عاملين للآخرة و (خير
مما يجمعون ولئن متم
اوقتلتم لالى الله تحشرون)
لكان توحيدكم لحالكم
بما بعد الموت احسن من
حالكم قبله (فبما رحمة من
الله) اى فبما تصافك برحمة

بعدا ان يعنى يكفكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا اى على لقاء عدوكم وتتقوا يعنى معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعنى المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربى يريد ان يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الآية على تقدير ان يجئ للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير الف وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن جُبير بن مطعم عن على بن ابى طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ارا اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ارا اشد منها الا التى قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ارا اشد منها الا التى كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل فى الفين من الملائكه وكانوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى الفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل فى الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف فى سورة الانفال وذكرهنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة (مسومين) قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفونى اننى انا ذلكم * شاكى سلاح فى الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلموا خيلهم واختلفوا فى تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال على وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبى كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعنى بالصوف المصبوغ فى نواصى خيلهم واذنابها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوى بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال * قوله تعالى (وماجعله الله) يعنى هذا الوعد والمدد (الابشرى لكم) يعنى بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به (ولتطمئن) اى ولتسكن (قلوبكم به) اى فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله) يعنى لاتحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض

رحيمية اى رحمة تامة كاملة وافرة هى صفة من جملة صفات الله تابعة لوجودك الموهوب الالهى لا الوجود البشر (لنت لهم ولو كنت فظا) موصوفا بصفات النفس التى منها الفظاظة والغلظ (غليظ القلب لانفضوا من حولك) لان الرحمة الالهية الموجبة لمحبتهم اياك تجمعهم (فاعف

عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) يعنى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اى ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم (او يكبتهم) اصل الكبت فى اللغة صرع الشئ على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك او اللعن والخزى (فينقلبوا خائبين) اى بالخيبة لم ينالوا شيأ من الذى املوه من الظفر بكم * قوله عزوجل (ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت فى اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك فى صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شئ الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن ابى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف زاد فى رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى انزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية سماهم فى رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا فى سببها فقيل ان عتبة بن ابى وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ وقيل اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة اراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية فى النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من امر مصالح عبادى شئ الا ما اوحى اليك فان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك

عنهم) فيما يتعلق بك من جناياتهم لرؤيتك اياه من الله بنظر التوحيد وعلو مقامك من التأذى بفعل البشر والغيظ من افعالهم وتشفى الغيظ بالانتقام منهم (واستغفر لهم) فيما يتعلق بحق الله لمكان غفلتهم وندامتهم واعتذارهم (وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله

مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلق شئ الاماوافق امرى انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله اويتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا اويكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر امرى فى ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم اوسيولد من بعضهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وماسبق فى علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم ويخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله اويعذبهم فيحتمل ان يكون المراد بعذابهم فى الدنيا وهو القتل والاسر وفى الآخرة وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله مافى السموات ومافى الارض) هذا تأكيد لماقبله من قوله ليس لك من الامر شئ والمعنى انما يكون لمن له مافى السموات ومافى الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لاحد معه امر (يغفر لمن يشاء) بفضله ورحمته (ويعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بمايشاء لامارع له فى حكمه ولامعارض له فى فعله (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لاعلى سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لوادخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولوادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) اراد به ماكانوا يفعلونه فى الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون مايؤدى قال له صاحب الدين زدنى فى المال حتى اريدك فى الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عزوجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله) يعنى فى اكل الربا فلاتأكلوه (لعلكم تفلحون) اى لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان اكل الربا من الكبائر ولهذا عقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التى اعدت للكافرين) يعنى واتقوا ايها المؤمنون ان تستحلوا شيأ مما حرم الله فان من استحل شيأ مماحرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ماحرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم ان هذه الآية اخوف آية فى القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدى فى هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين (واطيعوا الله) يعنى فيما امركم به اونهاكم عنه من اكل الربا وغيره (والرسول) اى واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق فى هذه الآية معاتبة للذين

(عضوا)

ان الله يحب المتوكلين) فى امر الحرب وغيره مراعاة لهم واحتراما ولكن اذا عزمت ففوض الامر الى الله بالتوكل عليه ورؤية جميع الاعمال والفتح والنصر والعلم بالاصلح والارشد منه لامنك ولا تشاوره ثم حقق معنى التوكل والتوحيد فى الافعال بقوله (ان ينصركم

غصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد (لعلكم ترحمون) اى لكى ترحموا ولاتعذبوا انه المعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة * قوله عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) يعنى وبادروا وسابقوا الى مايوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لايحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ماقبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن ابى طالب الى اداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروى عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) اى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعار بانه لابد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) اى عرض الجنة (السموات والارض) كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون اكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت باوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب والليل فى ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده اصحابه فقالوا ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر بن الخطاب ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا انك لمثلها فى التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى ان قلت قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وماتوعدون واراد بالذى وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها فى السموات واذا كانت الجنة فى السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها فى السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة افى السماء هى ام فى الارض فقال اى ارض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هى قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه

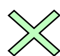
الله ملا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وماكان لنبى ان يغل) لبعد مقام النبوة وعصمة الانبياء عن جميع الرذائل وامتناع صدور ذلك منهم مع كونهم منسلخين عن صفات البشرية معصومين عن تأثير دواعى النفس

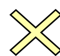
وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين ان باب الجنة فى السماء وعرضها كعرض السموات والارض (اعدت للمتقين) اى هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن * قوله عز وجل (الذين ينفقون فى السراء والضراء) يعنى فى العسر واليسر لا يتركون الانفاق فى كلتا الحالتين فى الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا فى حال فرح وسرور ولا فى حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم فى عرس او حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فاول ماذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال فى ذلك الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه فى مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى احب الى الله تعالى من عابد بخيل اخرجه الترمذى (ق) عن ابى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا اسبغت اووفت على جلده حتى تخفى ثيابه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيأ الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب اى فل هلم فقال ابو بكر يارسول الله ذاك الذى لاتوى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجوان تكون منهم قوله اى فل يعنى يافلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعنى ذاك الذى لاهلاك عليه وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلئ غيظا فيرده فى جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم فى اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن انس الجهنى عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى اى الحور شاء اخرجه الترمذى وابو داود (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء (والعافين عن الناس) يعنى اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه فتكون الآية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك السوء ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون ظلمهم واساء اليهم وهو قريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون اشارة الى المذكورين فى الآية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرعنه وقيل الاحسان ان تحسن

والشيطان فيهم قائمين بالله متصفين بصفاته (ومن يغلل يأت بما غل) لكن باء بسخط من الله اى يظهر على صورة غلوله بما غل بعينه (افمن اتبع رضوان الله) اى النبى فى مقام الرضوان التى هى جنة الصفات لاتصافه بصفات الله والغال فى مقام السخط لاحتجابه بصفات نفسه

لمن اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذى يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك فى كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة فى هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب * قوله عزوجل (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضى الله عنه قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت فى نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفى رواية ابى صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين احدهما انصارى والآخر ثقفى فخرج الثقفى فى غزوة واستخلف اخاه الانصارى على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المرأة ان تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا كثر الله فى الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصارى يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفى حتى وجده فاتى به الى ابى بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصارى هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازى مالا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عزوجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعنى فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ماعظم قبحه من الافعال والاقوال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله تعالى (اوظلموا انفسهم) ظلم النفس هو مادون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هى الصغيرة وقيل الفاحشة مايكون فعله كاملا فى القبح وظلم النفس هو اى ذنب كان (ذكروا الله) يعنى ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب * وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعنى لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لايعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لاذنب له وانه لامفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لايطلب المغفرة الا منه وانه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لايجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على مافعلوا) يعنى ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا قيل الاصرار وهو ترك الاستغفار * عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين

(ومأواه جهنم وبئس المصير) اسفل حضيض النفس المظلمة فهل يتشابها (هم درجات) اى كل م اهل الرضا واهل السخ ذوو درجات متفاوتة اذهم مختلفون اختلاف الدرجات (قل هو م عند انفسكم) لاينا فى قول قل كل من عند الله لا السبب الفاعل فى الحي





المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) اى اذا كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم الجراحة وبالضم الم الجراحة والآية خطاب المسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون قرح يوم احد (فقد مس القوم) يعني الكفار (قرح مثله) يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدى اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اى تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين واديل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين (خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزمهم الله قال فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اى قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله ياعدو الله ان الذى عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يارسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان * ان لنا العزى ولا عزى لكم * فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يارسول الله ما نقول قال قولوا * الله مولانا ولا مولى لكم * قال البغوى وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون

وبذل النفس طلبا لرضاء الله او بالجهاد الاكبر وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة (امواتا بل احياء عند ربهم) بالحياة الحقيقية مجردين عن دنس الطبائع مقربين في حضرة القدس (يرزقون) من الارزاق المعنوية اى المعارف والحقائق واستشراق الانوار ويرزقون في الجنة الصورية

فكانت يوم احد للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اى ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لانه لا يحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعني وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن اراد ان يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار فى المعركة واختلفوا فى معنى الشهيد فقيل الشهيد الحى لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمى شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين) يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصى وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليمحص الله الذين آمنوا) اى وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص فى اللغة التنقية والازالة (ويمحق الكافرين) اى يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محقهم واستئصالهم * قوله عز وجل (ام حسبتم) اى بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا ايها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) وتنالوا كرامتى وثوابى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازى ظاهر الآية يدل على وقوع النفى على العلم والمراد وقوعه على نفى المعلوم والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدى النفى فى الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز فى انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى اوجب عليكم فجرى النفى على العلم للايجاز على سبيل التوسع فى الكلام اذا المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبرى يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم على ما امرته به (ويعلم الصابرين) يعني فى الحرب وعلى ما نالهم فى ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفى هذه الآية معاتبة لمن انهزم يوم احد والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين

كما ورق سائر الاحياء فان للجنان مراتب بعضها معنوية وبعضها صورية ولكل من المعنوية والصورية درجات على حسب الاعمال فالمعنوية جنة الذات وجنة الصفات وتفاضل درجاتها على حسب تفاضل درجات اهل الجبروت والملكوت والصورية جنة الافعال وتفاوت درجاتها على حسب

قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على الجراح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم * قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) قال ابن عباس لما اخبرالله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فأراهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من يشاء الله منهم فانزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فأراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون الموت اى تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه اى من قبل ان تلقوا يوم احد (فقد رايتموه) يعنى رايتم ما كنتم تمنون والهاء فى رايتموه عائدة على الموت اى رايتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم (وانتم تنظرون) قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رايتموه وانتم بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس فى عينك علة اى رايته رؤية حقيقية وقيل معناه وانتم تنظرون ماتمنيتم فلم انهزمتم * قوله عز وجل (وما محمد الارسول قدخلت من قبله الرسل) قال اهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لايأتونا من خلفنا فان كانت لنا اوعلينا لاتبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ماثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالدبن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة ابن ابى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فأخذه ابودجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فى مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى ورسوله الافى هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا اصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله وحمل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه فى وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبدالله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله

تفاوت درجات عالم الملك من السموات العلى وجنات الدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر تدور فى انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فالطير الخضر اشارة الى الاجرام السماوية

ابن قيئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال انى قد قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابى وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابى وامى وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى بن خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يارسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول النبى صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله وطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لى انا اقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبى فى سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبى الله قالوا وفشا فى الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابى فيأخذ لنا امانا من ابى سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر عم انس بن مالك ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهر ان تحت المغفر فناديت باعلى صوتى يامعشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبى صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهرانى قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذى كثرت خصاله المحمودة

والقناديل هى الكواكب اى تعلقت بالسيرات من الاجرام السماوية لنزاهتها وانهار الجنة منابع العلوم ومشاربها وثمارها الاحوال والمعارف والانهار والثمار الصورية على حسب جنتهم المعنوية او الصورية فان كل ما وجد فى الدنيا من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس وسائر الملاذ والمشتهيات

والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل فى نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا واحمد وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى واجمد * اغر عليه بالنبوة خاتم
من الله مشهور يلوح ويشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن ابى موسى الاشعرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة قوله المقفى هو آخر الانبياء الذى لانبى بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين (افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) يعنى انقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ماكان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لايوجب ضعفا فى دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعنى فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر (فلن يضر الله شيأ) يعنى بارتداده لان الله تعالى لايضره كفر الكافرين لانه تعالى غنى عن العالمين وانما يضر المرتد الكافر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) يعنى الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جرير عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى قوله وسيجزى الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم ابابكر واصحابه وكان على يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احبار الله وكان اشكرهم واحبهم الى الله تعالى * قوله عز وجل (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) اى بامر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله تعالى وامره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لاينفع وان الحذر لايدفع المقدور وان احدا لايموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة فى الخوف والجبن وفى الآية ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ (كتابا مؤجلا) يعنى موقتا له اجل معلوم لايتقدم ولايتأخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لايقدر احد على تغييره او تقديمه او تأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) يعنى من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها مايكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها مانشاء على ما قدرناه له نزلت فى الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) يعنى من يرد

موجود فى الآخرة وفى طبقات السماء الدواصفى مما فى الدنيا (فرحين بما آتاهم الله من فضله) من الكرامة والنعمة والقرب عند الله (ويستبشرون ـ) بحال اخوانهم (الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) ولم يسالوا درجاتهم بعد من خلفهم لاستعدادهم من قريب بقتلهم ولحوقهم بهم (الاخوف

(بعمله)

بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من اراد بعمله الدار الآخرة فجزاؤه ايضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله * وقوله تعالى (وسنجزي الشاكرين) يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى والدار الآخرة * قوله عز وجل (وكأين من نبي) اي وكم من نبي (قتل معه) وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله اوجه احدها ان يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيين لا النبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال * وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل الف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع (فما وهنوا) اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله (لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعني وما استذلوا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان

عليهم ولاهم يحزنون) بدل اشتمال من الذين اي يستبشرون بانهم آمنوا لا خوف عليهم ولاهم يحزنون (يستبشرون بنعمة من الله) اي انعم بنعمة عظيمة لا يعلم كنهها هي جنة الصفات بحصول مقام الرضوان المذكورة بعد اتهم (وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) وزيادة عليها هي جنة الذات والامن الكلي من بقية الوجود وذلك كال كونهم شهداء الله ومع ذلك فان الله لا يضيع اجر ايمانهم الذي هو جنة الافعال وثواب

والمقصود من الآية حكاية ماجرى لسائر الانبياء واتباعهم لتقتدى هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد (والله يحب الصابرين) يعنى فى الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد فى طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله تعالى يحبه ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه * ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعنى قول الربيين (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (واسرافنا فى امرنا) يعنى ما اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط فى الشئ ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت اقدامنا) لكى لا تزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه ان يقتدى بهم فى هذه الطريقة الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل مافعلوا وقلتم مثل ماقالوا (فآتاهم الله ثواب الدنيا) يعنى النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعنى الجنة ومافيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع مايشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعنى الذين يفعلون مثل مافعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهى انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على اعقابكم) يعنى يرجعوكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم فى الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعنى مغبونين فى الدنيا والآخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) اى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين * قوله عز وجل (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان اباسفيان ومن معه ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ماصنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله فى قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب فى قلوب الكفار مخصوصا بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك

(بفضله)

الاعمال (الذين استجابوا لله) بالفناء فى الوحدة الذاتية (والرسول) بالمقام بحق الاستقامة (من بعد ما اصابهم القرح) اى كسر النفس (للذين احسنوا منهم) اى ثبتوا فى مقام المشاهدة (الذين قال لهم الناس) قبل الوصول الى المشاهدة (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) اى اعتبروا الوجودكم واشتدوا بكم فاعتدوا بهم (فزادهم) ذلك القول (ايمانا) اى يقينا وتوحيدا بنفى الغير وعدم المبالاة به وتوصلوا بنفى ماسوا الله تعالى اثباته بقولهم

بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله (بما اشركوا بالله) يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (مالم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو مايستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار اى مسكنهم (وبئس مثوى الظالمين) اى المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلة بئس تستعمل في جميع المقام والمعنى وبئس مقام الظالمين ظلموا انفسهم باكتساب مااوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها * قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من احد الى المدينة وقد اصابهم مااصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصبنا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (اذ تحسونهم) يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل (باذنه) يعني بعلم الله وامره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبدالله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اى قوم مانصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لاتجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبدالله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبدالله بن جبير فقتلوا عبدالله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ماكانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا ومايشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز (من بعد ما اراكم ماتحبون) من النصر والظفر والغنيمة يامعشر المسلمين (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع اميرهم عبدالله بن جبير حتى قتلوا قال عبدالله بن مسعود ماشعرت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد نزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعني يامعشر المسلمين يعني عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعني ولقد عفا الله عنكم ايها المخالفون امر رسول الله

(حسبنا الله) فشاهدوه ثم رجعوا الى تفاصيل الصفات بالاستقامة فقالوا (ونعم الوكيل) وهي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار فصارت بردا وسلاما عليه (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) اى رجعوا بالوجود الحقاني في جنة الصفات والذات كما من آنفا (لم يمسسهم سوء) البقية ورؤية الغير (و) هم

صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك ❋ قوله عز وجل (اذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لابد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لاتعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرا الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه للمفسرين في معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب (ولا تلوون على احد) اى لاتعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب (والرسول يدعوكم في اخراكم) اى في آخركم ومن ورائكم يقول الى عباد الله انا رسول الله من كر اى رجع فله الجنة (فأثابكم غما بغم) يعني فجزاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لايستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فأصل الثواب كل مايعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

احاف زيادا ان يكون عطاؤه * اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والباء في قوله غما بغم بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو مافاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ماسمعوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجزاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف ابوسفيان عليهم وذلك ان اباسفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك ❋ قوله تعالى (لكيلا) في لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم) لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فأثابكم غما انساكم الحزن على مافاتكم ولا ما اصابكم وقد روى

(اتبعوا رضوان الله) الذي هو جنة الصفات في حال سلوكهم حين لم يعلموا ما اخفي لهم من قرة اعين وهي جنة الذات المشار اليها بقوله (والله ذو فضل عظيم) فان الفضل هو المزيد على الرضوان (انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه) المحجوبين بأنفسهم مثله من الناس او يخوفكم اولياءه (فلا تخافوهم) ولا تعتدوا

انهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لاصلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على مافاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون) اي هو عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها * قوله عز وجل (ثم انزل عليكم) يامعشر المسلمين (من بعد الغم) الذي اصابكم (امنة نعاسا) يعني امنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس اخف من النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه لان الخائف لايكاد ينام فامنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لاينام (خ) عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكر نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت اراهم ومامنهم يومئذ احد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين (وطائفة قد اهمتهم انفسهم) يعني المنافقين اراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فاوقع النعاس على المؤمنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب امن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعني يظنون ان الله لاينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير ظن الحق الذي يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) اي كظن اهل الجاهلية (يقولون) يعني المنافقين (هل لنا) اي مالنا (من الامر من شيء) وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين في هذه الواقعة واشار عليه ان لايخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر شيء وهو استفهام على سبيل الانكار اي مالنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني مالنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين (قل) يامحمد لهؤلاء المنافقين (ان الامر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده ينصر من كيف احب (يخفون في انفسهم ما لايبدون لك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال

بوجودهم (وخافون ان كنتم مؤمنين) موحدين اي لاتخافوا غيري لعدم عينه واثره (ولايحزنك الذين يسارعون في الكفر) لخبثهم الاصلي وظلمتهم الذاتية خوف ان يضروك (انهم لن يضروا الله شيئا) املاء الكفار وطول حياتهم سبب لشدة عذابهم وغاية هوانهم وصغارهم لازديادهم بطول عمرهم حجابا على حجاب وبعدا على بعد وكلما ازدادوا بعدا

الحق ماقتلناههنا وعن ابن عباس فى قوله تعالى اهل مكة ولم تقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون كنا على الحق يظنون بالله غير الحق يعنى التكذيب بالقدر وهو قولهم لوكان لنا من الامر شئ ماقتلناههنا قيل ان الذى قال هل لنا من الامر من شئ هو عبدالله بن ابى ابن سلول المنافق والذى قال لو كان لنا من الامر شئ هو معتب ابن قشير (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء المنافقين (لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) اى قضى عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعنى الى مصارعهم التى يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لاينفع مع القدر والتدبير لايقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لابد وان يقتلوا والمعنى لوجلستم فى بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيه (وليبتلى الله مافى صدوركم) اى وليختبر مافى صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ماعلمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم وقيل معناه ليبتلى اولياء الله مافى صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيما لشأن اوليائه المؤمنين (وليمحص مافى قلوبكم) قال قتادة اى يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه فى القاء الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر مافى قلوبكم يعنى من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعنى بالاشياء الموجودة فى الصدور وهى الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات * قوله عزوجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) اى انهزموا وهربوا منكم يامعشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبى صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبيدالله وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابى وقاص رضى الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) اى طلب زلتهم كما يقال استعجله اى طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهى الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة فى قلوبهم لانه امرهم بها (ببعض ما كسبوا) يعنى بمعصية النبى صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة فى الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا القاء الله الا على حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعنى ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم وقيل ان عثمان عوتب فى هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعنى لمن تاب واناب (حليم) لايعجل بالعقوبة وما يستأصلهم بالقتل * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعنى فى النفاق والكفر وقيل لاخوانهم فى النسب وكانوا مسلمين (اذا ضربوا فى الارض) يعنى اذا سافروا فى الارض لتجارة وغيرها (اوكانوا

عن الحق الذى هو منبع العزة ازدادوا هوانا (يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه) من ظاهر الاسلام وتصديق اللسان (حتى يميز الخبيث من الطيب) من صفات النفس وشكوك الوهم

غزا) جمع غازاى غزاة فى الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا فى الارض فماتوا اوكانوا غزا فقتلوا (لو كانوا عندنا) يعنى مقيمين (ماماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعنى قولهم وظنهم (حسرة فى قلوبهم) يعنى غما وتأسفا (والله يحيى ويميت) هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيى والمميت هوالله تعالى فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس فى البنت فى البيت وهل يحمى احد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى مطلع على ماتعملون من خيراو شرفيجازيكم به فاتقوه ولاتكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا فان الله تعالى هوالمحيى المميت فمن قدرله البقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدرله الموت لم يبق وان اقام ببيته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لاتخرج فتقتل فلان يموت فى الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت فى بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم فى سبيل الله اومتم لمغفرة من الله ورحمة) يعنى فى العاقبة (خير مما يجمعون) يعنى من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ماتخافونه من القتل فى سبيل الله او الهلاك بالموت فان مالكم من المغفرة والرحمة بالموت والقتل فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا (ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون) يعنى لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبدالله خوفا من ناره امنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبدالله تعالى شوقا الى جنته اناله مايرجو واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من اسماء الجنة ومن عبدالله شوقا الى وجهه الكريم لايريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذى يتجلى له الحق سبحانه وتعالى فى دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون ☼ قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم اى سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم احد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى فى قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعنى جافيا (غليظ القلب) يعنى قاسى القلب سيء الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) اى لنفروا عنك وتفرقوا حتى لايبقى منهم احد عندك (فاعف عنهم) اى تجاوز عن زلاتهم وما اتوا يوم احد (واستغفرلهم) اى واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفرلهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم فى الامر) اى استخرج آراءهم واعلم ماعندهم واختلف العلماء فى المعنى الذى من اجله امر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهدوذلك فى امر الحرب ونحوه

وحظوظ الشيطان ودواعى الهوى من طيبات صفات القلب كالاخلاص واليقين والمكاشفة ومشاهدات الروح ومناغيات السر ومسامراته وتخلص المعرفة والمحبة لله بالابتلاء ووقوع الفتن والمصائب بينكم (وما كان الله ليطلعكم على) غيب وجودكم من الحقائق والاحوال الكامنة فيكم بلا واسطة الرسول لبعد مابينكم وبينه وعدم المناسبة وانتفاء استعداد التلقى منه

من امور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم نشاوروا في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان مابه الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رايا وروى البغوى بسنده عن عائشة انها قالت مارأيت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل مانزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر ان نشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان نشاورهم في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه في شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر وهو من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء مااستنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الا يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة

وشاور اذا اوردت كل مهذب * لبيب اخي حزم لترشد في الامر * ولاتك ممن يستبد برأيه
فتعجز اولاتستريح من الفكر * الم تر ان الله قال لعبده * وشاورهم في الامر حتما بلانكر *

* قوله تعالى (فاذا عزمت) يعني على المشاورة (فتوكل على الله) اى فاستعن بالله في امورك كلها وثق به ولا تعتمد الاعليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شيء الا على الله تعالى في جميع اموره وان المشاورة لاتنافي التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعني المتوكلين عليه في جميع امورهم * قوله عزوجل (ان ينصركم الله) يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعني من الناس لان الله تعالى هو المتولي نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) اى من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لاعلى غيره لان الامر كله لله ولاراد لقضائه ولادافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد في كل الامور على الله تعالى لاعلى غيره وقيل التوكل ان لاتعصي الله من اجل رزقك ولاتطلب لنفسك ناصرا غيره ولالعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يارسول الله قال هم الذين لايكتوون ولايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام آخر فقال يانبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا

(ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) فيطلعه على اسراره وحقائقه بالكشف لبديكم الى ماغاب عنكم من كنوز وجودكم واسراره الجنسية النفسانية التي بينه وبينكم الموجبة لامكان اهتدائكم به (فآمنوا بالله ورسله) بالتصديق القلبي والارادة والتمسك بالشريعة ليمكنكم التلقي والقبول منهم (وان تؤمنوا) بعد ذلك الايمان

وتروح بطانا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عز وجل (وما كان لنبى ان يغل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبى ان يغل فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فأنزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وما كان لنبى ان يغل وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس فى قوله تعالى وما كان لنبى ان يغل يقول ما كان لنبى ان يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجوز فى القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبى استنوا به وقال مقاتل والكلبى نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبى صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له وان لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا فى الغنائم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت فى طائفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسألونه من المغنم فانزل الله تعالى ما كان لنبى ان يغل يعنى فيعطى قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظى ومحمد بن اسحق بن يسار هذا فى شأن الوحى يقول وما كان لنبى ان يكتم شيأ من الوحى رغبة او رهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشئ فى خفية يقال غل فلان يغل قرئ بفتح الياء وضم الغين اى وما كان لنبى اى يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلا تليق به الخيانة لانها فى نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخن امته فى شئ لا من الغنائم ولا من الوحى وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبى صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبى ليغل على نفى الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لنبى الغلول اراد ما غل نبى قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبى الغلول واذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة انهم نسبوا النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلول فى بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبى ان يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه وما كان لنبى ان يخان اى تخونه امته والثانى ان يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبى ان يخون اى ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعنى بالشئ الذى بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشئ فى النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ فى النار فيكلف ان ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ماشاء الله وقيل معناه انه يأتى باثم ماغله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب او شرا فهو مجزى به يوم القيامة

بالتحقيق والسلوك الى اليقين والمتابعة فى الطريقة (وتتقوا) الحب النفسانية وموانع السلوك (فلكم اجر عظيم) من كشف الحقيقة ما آتاهم الله من فضله من المال والعلم والقدرة والنفس ولا ينفقونه فى سبيل الله على المستحقين والمستعدين والانبياء والصديقين فى الذب عنهم

وهو فى جزاء عمله (وهم لايظلمون) يعنى بل يعدل بينهم يوم القيامة فى الجزاء فيجازى كل على عمله

﴿ فصل فى ذكر احاديث وردت فى الغلول ووعيد الغال ﴾ وقد تقدم ان اصل الغلول هو اخذ الشئ فى خفية وانه الخيانة الا انه قد صار فى العرف مخصوصا بالخيانة فى الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن ابى هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيا قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لاالفين احدكم يجئ يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله اغثنى فاقول لااملك لك شيأ قد ابلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن ابى هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادى يعنى وادى القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بنى الضبيب فلما نزلنا الوادى قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئاله شملته الشهادة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال اصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار اوشراكان من نار وفى رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد بنى الضبيب وفيه اذ جاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذى يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذى لايدرى من رماه (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهنى ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لايساوى درهمين اخرجه ابوداود والنسائى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه ابو داود والترمذى عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابابكر وعمر احرقوا متاع الغال وضربوه زاد فى رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود * قوله تعالى (افمن اتبع رضوان الله) يعنى فترك الغلول فلم يغل (كمن باء) اى رجع (بسخط من الله) يعنى بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المفضى للعقوبة وهو من الله انزل العقوبة بمن سخط عليه وقيل فى معنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه

او الفناء فى الله (ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) اى بجعل غل اعناقهم وسبب تقيدهم وحرمانهم عن روح الله ورحته وموجب هوانهم وحجابهم عن نور جماله لمحبتهم له وتعلقهم به (ولله ميراث السموات والارض) من

يوم احد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعني الغال او المتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواهم جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه * قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعني احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لايكون الا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى وقد تبرؤا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بني آدم وقيل من انفسهم يعني انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى مايخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابوطالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنوهاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابني هذا محمد بن عبدالله لايوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلوا عليهم آياته) يعني يقرأ عليهم كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحي السماوي (ويزكيهم) اي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على

النفوس وصفاتها كالقوى والقدر والعلوم والاموال وكل ما ينطبق عليه اسم الوجود فمالهم يبخلون بماله عنه (والله بما تعملون خبير قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت

لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عيا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهدا هم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ❋ قوله تعالى (اولما اصابتكم مصيبة) يعني ما اصابهم يوم احد (قد اصبتم مثليها) يعني ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة (قلتم انى هذا) اى من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار (قل هو من عند انفسكم) يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختار وهم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن ابي طالب قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يارسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر لم يسنده البغوي واسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعني بأخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم (ان الله على كل شيء قدير) يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة ❋ قوله عز وجل (وما اصابكم) يعني من القتل والجراح والهزيمة (يوم التقى الجمعان) يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك باحد يوم احد (فباذن الله) يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا الا ان ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) اى ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز احدهما من الآخر والمنافق هو الذي اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا في الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين احدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من ايهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا) المقول له عبد الله بن ابي ابن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد في الف رجل حتى اذا كان بالشوط بين احد والمدينة انخزل عبد الله بن ابي ابن سلول بثلث الناس وقال ماندري علام نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم

ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم) (ان كنتم صادقين) روى ان انبياء بني اسرائيل كانت معجزتهم ان يأتوا بقربان

جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الانصارى اخو بنى سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعنى المنافقين عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اى لاجل دين الله وطاعته اوادفعوا يعنى عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قالوا) يعنى المنافقين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) اى لو نعلم ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ماتبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم (هم للكفر) يعنى المنافقين الى الكفر (يومئذ اقرب منهم للايمان) اى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا مااظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) يعنى يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو فى قلوبهم انما فى قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لاصفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطاة القلب للسان على شئ واحد وهو التوحيد (والله اعلم بما يكتمون) يعنى من النفاق (الذين قالوا لاخوانهم) نزلت فى عبدالله بن ابى المنافق واصحابه وفى المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا باحد فيكون اخوانهم فى النسب لافى الدين والقول الثانى ان المراد باخوانهم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا فى اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا باحد لواطاعونا ماقتلوا لانهم بعد ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبدالله بن ابى واصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق (وقعدوا) يعنى عن الجهاد (لواطاعونا) يعنى هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواطاعونا يعنى فى القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوالانصراف عنه (ماقتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعنى قل لهم يا محمد (فادرؤا) اى فادفعوا (عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعنى ان الحذر لاينفع من القدر وفى الآية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول اجله (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) قيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت فى شهداء احد ويدل على ذلك ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقه فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء فى الجنة لئلا يزهدوا فى الجنة ولاينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية آخرجه ابوداود (م) عن مسروق قال سألنا عبدالله عن هذه الآية ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعه فقال هل تشتهون شيأ قالوا اى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما

فيدعوا الله فتأتى نار من السماء تأكله وتأويله ان يأتوا بنفوسهم يتقربون بها الى الله وبه عون الله بالزهد والعبادة تأتى نارا لعشق من سماء الروح تأكله وتفنيه فى الوحدة فبعد ذلك صحت نبوتهم وظهرت فتبعه عوام بنى اسرائيل فاعتقدوا ظاهره

رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا واجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا * ذكر مايتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبدالله كذا جاء عبدالله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبدالله بن عمرو قد ذكره ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبدالله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لاتفنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر اي يجعل الله ارواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لاسيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ماجاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث مايرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال مالي اراك منكسرا قلت يارسول الله استشهد ابي يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال ماكلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال ياعبدي تمن علي اعطيك قال رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق من انهم لايرجعون فنزلت ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهي بئر بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحق عن اشياخه من اهل العلم قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لااقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بماله فيه وما اعدالله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يامحمد ان الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد يدعونهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة ابن اسماء بن الصلت ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي

وان كان ممكنا من عالم القدرة فاقترحوا على كل نبي تلك الآية كانوهموا من اقراض الله الذي هو بذل المال في سبيل الله بالانفاق لاستيفاء

ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم وانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا لانخفر ابا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم تعلمها بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن امية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصارى لكنى لا ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذ عمرو بن امية الضمرى اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابى براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان ممن اصيب عامر بن فهيرة مولى ابى بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابى براء ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزرى في كتاب جامع الاصول له في قسم الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله اخا لام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالى اتقدمكم فان امنونى حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم منى قريبا فتقدم فامنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اومؤا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام واراه آخر معه فاخبر جبريل

الثواب وبذل الافعال والصفات بالمحو في السلوك لاستبدال صفات الحق وافعاله وتحصيل مقام الابدال فقر الحق وغناهم اوكابروا الانبياء في الموضعين بعدما فهموا (ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر

عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وارضاهم قال فكنا نقرا ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال انس فقرانا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ولمسلم قال جاء ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اولياء الشهداء واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فانزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اي ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لا يظنن ظان ان الذين قتلوا في سبيل الله اموات يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله (بل احياء) اي بل هم احياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل حيا فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون احياء في الآخرة او يكون المراد انهم احياء في الحال وعلى تقدير انهم احياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون احياء في الاخرة قال معنى الآية بل هم احياء في الذكر وانهم يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم احياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى اثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل احياء يعني في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح او للجسم والروح معا فمن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الارض كغيره وروي انه لما اراد معاوية ان يجري الماء على قبور الشهداء امر ان ينادي من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه * وقوله تعالى (عند ربهم)

والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن

(يعني)

يعنى فى محل كرامته وفضله (يرزقون) يعنى من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعنى بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال فى دار النعيم (ويستبشرون) اى يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذى يحصل للانسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعنى من اخوانهم الذين تركوهم احياء فى الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء سألوا الله عزوجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا فى الجهاد فاخبرهم الله عزوجل انى قد انزلت على نبيى محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (ان لا خوف عليهم) يعنى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر انهم ايضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الثانى لانفسهم خاصة (وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) يعنى كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع اجر المؤمنين

﴿فصل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله﴾ (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة اوارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر اوغنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا ان يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت انى اغزو فى سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة فى سبيل الله اوروحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر اخرجه ابوداود والترمذى عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل فى سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات اوقتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا فى سبيل الله اونكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون زعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج فى سبيل الله فان عليه طابع الشهداء اخرجه ابوداود والنسائى واخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين (ق) عن ابى سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتق الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس

الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون

فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة فيحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شئ الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذى والنسائى نحوه عن ابى الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد فى سبعين من اهل بيته اخرجه ابو دود * قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح الذى اصابهم يوم احد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابى كان خلفنى على اخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولك ان نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذى اوثرك على نفسى بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج سول الله صلى الله عيه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة ابن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان فى سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال (ق) عن عائشة فى قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختى كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد وانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب فى اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك فى اصحابك ولو ددنا ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى ابو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج فى اصحابه يطلبكم فى جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا

بما اتوا) اى يعجبوا بما فعلوا من طاعة وايثار وكل حسنة من الحسنات ويحبون برؤيته (ويحبون ان يحمدوا) اى يحمدهم الناس فهم محبوبون بعرض الحمد والثناء من الناس او ان يكونوا محمودين فى نفس الامر عند الله (بما لم

وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شئ لم ار مثله قط قال ابو سفيان ويلك ماتقول قال والله ماارالك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله اني انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني مارأيت على ان قلت ابياتا قال وماقلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردى باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكمو * اذ تغطمطت البطحاء بالخيل
اني نذير لاهل السيل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وحش يقابله * وليس يوصف ماانذرت بالقيل

قالوا فثنى ذلك ابو سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عنا محمدا رسالة واحمل لكم آبالكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قال ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان اباسفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يامحمد موعد مابيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابوسفيان في اهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يانعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدالي ان لااخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولااخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا في جمع كثير لاطاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل اضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم ياابا يزيد اتضمن لي هذه القلائص وانطلق الى محمد فاثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال نعيم اين تريدون قالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأى رأيتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لايفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر اباسفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق

يفعلوا) بل فعله الله على ايديهم اذلا فعل الا لله والله خلقكم وما تعملون (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فائزين من عذاب الحرمان (ولهم عذاب اليم) لمكان استعداد هم واحتجابهم بافعالهم وكان من حقهم ان ينسبوا الفضيلة والفعل الجميل الى الله ويتبرؤا من حولهم وقوتهم اليه ولا يحتجبوا برؤية الفعل

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى اجابوا الله واطاعوه فى جميع أوامره واطاعوا الرسول ايضا (من بعد مااصابهم القرح) يعنى من بعد ما نالهم من الم الجراح (للذين احسنوا منهم واتقوا) يعنى احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصية والتخلف عنه (اجر عظيم) يعنى لهم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التى قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفى المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعى فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا أو قال قولا ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثانى ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد ابى سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم فى دياركم فقتلوا الا كثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق احد منكم (ان الناس) يعنى اباسفيان واصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعنى الجموع الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فاخشوهم) اى فخافوهم واحذروهم فانه لاطاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعنى فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة فى دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة فى الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) اى كافينا الله هو الذى يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شبع ورى * اى يكفيك الشبع والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكول اليه فى الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافى والمعنى يكفينا الله ونعم الكافى هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل فى ماله هو الذى كفله وقام به والوكيل فى صفة الله تعالى هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل باموره كلها (خ) عن ابن عباس قال فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم * قوله تعالى (فانقلبوا) اى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) اى بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) اى تجارة وربح وهو ما اصابوا فى سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم يمسسهم سوء) اى لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا * قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه) يعنى انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان القى ذلك فى افواههم ليرهبوا المؤمنين

(ويخوفونهم)

من انفسهم ولايتوقوا به المدح والثناء (ولله ملك السموات والارض) ليس لاحد فيها شئ حتى يعطى غيره فيعجب بعطائه (والله على كل شئ قدير) لايقدر غيره على فعل ما حتى يعجب برؤيته فيفرح به فرح اعجاب (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله)

ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يامعشر المؤمنين باوليائه وقيل
معناه يعظم اولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال
المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون امره واولياء
الله هم المؤمنون الذين لايخافون الشيطان اذا خوفهم ولايطيعونه اذا امرهم (فلاتخافوهم)
يعني فلاتخافوا اولياء الشيطان ولاتقعدوا من قتالهم ولاتجبنوا عنهم (وخافون) اي فجاهدوا
في سبيلي مع رسولي فاني وليكم وناصركم (ان كنتم مؤمنين) اي مصدقين بوعدي اني متكفل
لكم بالنصر والظفر * قوله تعالى (ولايحزنك الذين يسارعون في الكفر) قيل هم كفار
قريش هم وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولايحزنك
يامحمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لايحصل لهم وقيل مسارعتهم
في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في نصرة
الكفر فلايحزنك فعلهم فانك منصور عليهم (انهم لن يضروا الله شيأ) يعني بمسارعتهم في الكفر
انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيأ (يريد الله الايجعل) بمسارعتهم
(لهم حظا في الآخرة) يعني لايجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا
في الكفر وفي الآية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة
(ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعني المنافقين آمنوا
ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان واخذوا الكفر كما يفعل
المشتري من اعطاء شيء واخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيأ) يعني باستبدالهم الكفر بالايمان
وانما ضروا انفسهم بذلك (ولهم عذاب اليم) يعني في الآخرة * قوله عز وجل (ولاتحسبن
الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء والياء فمن قرا بالتاء فمعناه ولاتحسبن يامحمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم
ومن قرا بالياء قال معناه ولاتحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت
في يهود بني قريظة والنضير (انما نملي لهم) الاملاء الامهال والتأخير واصله من الملاوة وهي
المدة من الزمان والمعنى ولايظنن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء في الاجل
(خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) يعني انما نمهلهم ونؤخر في آجالهم
ليزدادوا اثما (ولهم عذاب مهين) يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن ابي
بكرة عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال من طال عمره وحسن
عمله قيل فاي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده عن الاسود
قال قال عبد الله مامن نفس برة ولافاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولاتحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وماعند الله خير للابرار وقال ابن
الانباري قال جماعة من اهل العلم انزل الله عز وجل هذه الآية في قوم يعاندون الحق سبق في
علمه انهم لايؤمنون فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج من الله
لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لايؤمنون
ابدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى
انه يطيل اعمار قوم ويملي لهم ليزدادوا كفرا واثما وغيا * قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين

في جميع الاحوال وعلى
جميع الهيئات (قياما) في
مقام الروح بالمشاهدة
(وقعودا) في محل القلب
بالمكاشفة (وعلى جنوبهم)
اي تقلباتهم في مكان النفس
بالمجاهدة (ويتفكرون)
بالبابهم اي عقولهم الخالصة
عن شوب الوهم (في خلق
السموات والارض) عالم
الارواح والاجساد
يقولون عند الشهود (ربنا

على ماانتم عليه حتى يميزالخبيث من الطيب) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يامحمد تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لايؤمن بك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه ومايعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمدالله تعالى واثنى عليه ثم قال مابال اقوام طعنوا في علمي لاتسألوني عن شئ فيما بينكم وبين الساعة الا نباتكم به فقام عبدالله بن حذافة السهمي فقال من ابي يارسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يارسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفاالله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا ان يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فاظهر الله نفاقهم يوم احد وانزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ماكان الله ليذر المؤمنين على ماانتم عليه يامعشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميزالخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ماكان الله ليذركم يامعشر المؤمنين على ماانتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميزالخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن الخالص فميزالله المؤمنين من المنافق يوم احد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم احد بالقاء الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا اظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميزالمؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ماكان الله ليذرالمؤمنين في اصلاب الرجال المشركين وارحام النساء المشركات والمعنى ماكان الله ليدع اولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميزا لخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يامحمد اخبرنا عمن يؤمن بك ومن لايؤمن والمعنى وماكان الله ليبين لكم ايها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر ومنافق لانه لايعلم الغيب احد غيره وان سنة الله جارية انه لايطلع على غيبه آحاد الناس فلاسبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميزالمؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الآية وماكان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعني انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

ما خلقت هذا) الخلق (باطلا) اى شيأغيرك فان غير الحق هو الباطل بل جعلته اسمائك ومظاهر صفاتك(سبحانك) ننزهك ان يوجد غيرك اى يقارن شئ فردا نيتك اوينفي وحدانيتك (فقنا عذاب النار) نار الاحتجاب بالاكوان عن افعالك وبالافعال عن صفاتك وبالصفات عن ذاتك وقاية

وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا اقر بجميع الرسول كان مقرا باحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتتقوا) يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي واطلعته على ماشاء من غيبي واعلمته بالمنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه (فلكم اجر عظيم) يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة * قوله عز وجل (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرالهم) يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرالهم (بل هو) يعني البخل (شرلهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبدالله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابوداود وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبدالله بن مسعود وابو هريرة وابن عباس في رواية ابي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون ان يؤدوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلماء ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون مابخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لافي التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره * وقوله (سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) اى سيلزمون وبال مابخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكوة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل مامنعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية اخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السود اوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان تكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزميته بانهما شدقاه وقيل انهما مضغتان في اصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن ابي ذر وقال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يارسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ماكانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفذت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ

مطلقة تامة كافية (ربنا انك من تدخل النار) بالحرمان (فقد اخزيته) بوجود البقية التي كلها ذل وعار وشار (وما للظالمين) الذين اشركوا برؤية الغير مطلقا اوالبقية (من انصار ربنا اننا سمعنا) باسماع قلوبنا (منا ديا) من اسرارنا التي هي شاطئ وادي الروح الايمن (ينادي للايمان) الى الايمان

مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في اعناقهم الطواق من النار وقيل يكلفون يوم القيامة ان يأتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقد قال ابن عباس في قوله سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ماروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم * قوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون وتبقى املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله مافيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فمالهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله (والله بما تعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات هي ابلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين * قوله عزوجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابوبكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عندالله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص ياابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا ومايستقرض الا الفقير من الغني فان كان ماتقول حقا فان الله اذا فقير ونحن اغنياء فغضب ابوبكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك ياعدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يامحمد انظر ماصنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ماحملك على ماصنعت فقال يارسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولايخلو ان يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول اوقالوها استهزاء وايما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لاتصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله (سنكتب ماقالوا) يعني قولهم ان الله

العياني (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى شاهدوا ربكم فشاهدنا (ربنا فاغفرلنا ذنوبنا) ذنوب صفاتنا بصفاتك (وكفرعنا سيئاتنا) سيئات افعالنا رؤية افعالك (وتوفنا مع الابرار) عن ذواتنا في صحبة الابرار من الابدال الذين توفاهم بذاتك عن ذواتهم لاالابرار الباقين على حالهم في مقام محو الصفات غير المتوفين

فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى ستحفظ عليهم ماقالوا وقيل ستثبت ذلك القول في صحائف اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سنكتب ماقال هؤلاء اليهود ونكتب مافعله اسلافهم فنجازي كلا الفريقين بما هو اهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الآية سنكتب على هؤلاء ماقالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة في ضم قتلهم الانبياء الى ماوصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ماارتكبوه من العظائم انهم اصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لايبعد منه الاجتراء مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح (ونقول) يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) اى ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) اى ذلك العذاب المحرق جزاء فعالكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت ايديكم) انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لااليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن ❊ قوله عز وجل (الذين قالوا ان الله عهد الينا) قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن صيفي ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب من اليهود اتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لانؤمن لرسول يزعم انه جاء من عندالله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله تعالى الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه (ان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاى معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل مايتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لاتحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا اوغنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لادخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول

بالكلية (ربنا وآتنا ماوعدتنا على) اتباع (رسلك) او محمولا على رسلك من البقاء بعد الفناء والاستقامة بالوجود الموهوب بعد التوحيد (ولاتخزنا يوم القيامة) الكبرى ووقت بروز الخلق لله الواحد القهار بالاحتجاب بالوحدة عن الكثرة وبالجمع عن التفصيل (انك لاتخلف

واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب والطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عزوجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عزوجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يامحمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم يعني يامعشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلتم) يعني ماطلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يامحمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعني هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق (والكتاب المنير) اي الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل * قوله عزوجل (كل نفس ذائقة الموت) يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يارسول الله انما نزلت في بني آدم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عزوجل مما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها مااخذ منها فما احد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لاتذوق الموت فاحكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لاتقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى (وانما توفون اجوركم) يعني توفون جزاء اعمالكم (يوم القيامة) ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز) يعني فمن نجا وابعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور لانها تغر بذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدائم والمتاع كل مااستمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفأس والقدر والقصعة ونحوها والغرور مايغر الانسان مما لايدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فامامن اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ماهو خير منها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة

الميعاد) فتبقى مقاما وراء نالم نصل اليه (فاستجاب لهم ربهم اني لااضيع عمل عامل منكم من ذكر) القلب من الاعمال القلبية كالاخلاص واليقين والكشف (او انثى) النفس من الاعمال القالبية كالطاعات والمجاهدات والرياضات (بعضكم من بعض) يجمعكم اصل واحد

اعين زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور * قوله عز وجل (لتبلون) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اى لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردى، وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر (في اموالكم) يعني بالابتلاء في الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق (وانفسكم) يعني بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في ابي بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء ابو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص واعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن ان ندعه حتى ننظر الى اى شيء يصير امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني اترهنني نساءكم قال انت اجمل العرب انرهنك نساءنا فقال له ترهنون اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان يأتيه بالحرث وابي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم فقالت امرأته اني لاسمع صوتا كأنه صوت دم قال انما هو محمد رضيعي ابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف امد يدي الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتأذن لي ان اعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازي فاختلف عليه اسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا واوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد اصيب الحرث بن اوس بجرح في رأسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطأ علينا صاحبنا الحرث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا واصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من

وحقيقة واحدهي الروح الانسانية اى بعضكم منشأ من بعض فلا اثيب بعضكم واحرم بعضا (فالذين هاجروا) عن اوطان مألوفات النفس (واخرجوا من ديارهم) ديار صفاتها اوهاجروا من احوالهم التي التذوا بها واخرجوا من مقاماتهم التي يسكنون اليها (واوذوا في سبيلي)

رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله عز وجل فى شأن كعب بن الاشرف اليهودى لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعنى مشركى العرب اذى كثيرا يعنى بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء وما اشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجو به النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير (وان تصبروا وتتقوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعنى وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى (فان ذلك من عزم الامور) اى من صواب التدبير الذى لاشك ان الرشد فيه ولا ينبغى لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اى الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اى الزمتم الاخذ به * قوله تعالى (واذ اخذ الله) اى واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما اوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (لتبيننه للناس) يعنى لتبينن ما فى الكتاب ولتظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله اوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما فى هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا تكتمونه) يعنى ولا تخفون ذلك على الناس (فنبذوه) يعنى الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) اى فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به ثمنا قليلا) يعنى المآكل والرشا التى كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشترون) ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القرآن وهو اشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال ايضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذى ولابى داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهرى بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت اريد ان تحدثنى فقال اما علمت انى قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثنى واما ان احدثك قال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثنى اربعين حديثا * قوله عز وجل (لا تحسبن الذين يفرحون) قرئ بالتاء على الخطاب اى لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعنى ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية فى المنافقين (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا الآية وقيل نزلت فى اليهود (ق) عن

اى ابتلوا فى سبيل سلوك افعالى بالبلايا والمحن والشدائد والفتن ليغرقوا بالصبر ويفوزوا بالتوكل فى سبيل سلوك صفاتى بسطوات تجليات الجلال والعظمة والكبرياء ليصلوا الى الرضا (وقاتلوا) البقية بالجهاد فى (وقتلوا) وافنوا فى بالكلية (لأكفرن عنهم سيآتهم) كلها من الصغائر

حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون قال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه (بما اتوا) يعني يفرحون بما فعلوا (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) اى ويحبون ان يحمدهم الناس على شئ لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اى يقول الناس لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اتوا من تبديلهم التوراة واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا الاصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) اى فلا تظنهم بنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب اليم) يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك ❊ قوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض) يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شئ كيف يكون فقيرا (والله على كل شئ قدير) يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بامهالهم ❊ قوله عز وجل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) قال ابن عباس ان اهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشأته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون ارزاقكم في النهار وتسكنون في الليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولى الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية يعني الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس انه بات عند ميمونة ام المؤمنين وهي خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ

والكبائر اى سيآت بقاياهم (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار) الجنات الثلاثة المذكورة (ثوابا) اى عوضا لما اخذت منهم من الوجودات الثلاثة (والله عنده حسن الثواب) اى لا يكون عند غيره الثواب المطلق الذي لا يبقى منه شئ ولهذا قال والله لانه الاسم الجامع لجميع الصفات

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرا العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضا منها فاحسن وضوأه ثم قام يصلى قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي واخذ باذنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفى رواية فقمت عن يساره فجعلنى عن يمينه وفى رواية قال بت فى بيت خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر الى السماء فقال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب وذكره * قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال على بن ابى طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا فى الصلاة يعنى الذين يصلون قياما فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة فى حال من الاحوال بل يصلون فى كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بى بواسير فسألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب اخرجه الترمذى وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعى رضى الله تعالى عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب ان يصلى على جنب ويومئ براسه ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلى مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعى ظاهر الآية وهو قوله تعالى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر فى غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهى القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل فى كل احيانه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود الترة النقص وقيل هى هنا التبعة * وقوله تعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) اصل الفكر اعمال الخاطر فى الشئ وتردد القلب فى ذلك الشئ وهو قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة فى القلب ولهذا قيل تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله اذ الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون فى خلق السموات والارض وما ابدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلموا ان لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظيم آثاره وافعاله تدل على عظيم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل فى المعانى وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) اى ويقولون ربنا وقيل معناه يتفكرون فى خلق السموات والارض قائلين ربنا (ما خلقت هذا باطلا) يعنى عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن ان تخلق شيأ عبثا لغير حكمة (فقنا عذاب النار) يعنى انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار

فلم يحسن ان يقول والرحمن فى هذا الموضع او اسم آخر غير اسم الذات (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) اى تجبوا عن التوحيد الذى هو دين الحق فى المقامات والاحوال (متاع قليل) اى هو يعنى الاحتجاب بالمقامات والتقلب فيها تمتع قليل (ثم مأواهم جهنم) الحرمان (وبئس المهاد لكن الذين

تعليم عباده كيفية الدعاء لمن اراد ان يدعو فليقدم الثناء على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) اى اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلغت فى ابذائه والخزى ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مؤمنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمؤمن لا يخزى قلت قد ذكر العلماء فى الجواب وجوها احدها ماروى عن انس فى تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من يخلد وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هى خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار لا على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد فى النار فهو داخل فى قوله تعالى فقد اخزيته الوجه الثانى فى الجواب ان المدخل فى النار مخزى فى حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها او تعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ماروى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبدالله فى عمرة فانتهيت اليه انا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبرى لان من ادخل النار فقد اخزى بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك الخزى هو هتك المخزى وفضيحته وقال ابن الانبارى حمل الآية على العموم اولى من نقلها الى الخصوص اذ لا دليل عليه الوجه الثالث فى الجواب ماقاله اهل المعانى وهو ان الخزى يحتمل معانى منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزى خزاية اذا استحيى واذا عمل يستحيى منه ويخجل فيكون خزى المؤمن الذى يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزى الكافر الهلاك بالخلود فى النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله فى طرف النفى والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع فى الجواب وهو الذى اختاره الفخر الرازى وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه لا يقتضى نفى الاخزاء مطلقا وانما يقتضى ان لا يحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبى وهذا النفى لا يناقضه اثبات الاخزاء فى الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات فى وقت آخر والله اعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعنى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها (من انصار) يعنى ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب * قوله عز وجل (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان) قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظى المنادى هو القرآن قال اذ ليس كل احد لقى النبى صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعى اليها واللام فى للايمان بمعنى الى يعنى ينادى الى الايمان (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) اى كبائر ذنوبنا (وكفر عنا سيآتنا) اى صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد لان الالحاح فى الدعاء والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ماتقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا فى المستقبل وقيل يريد بالغفران

اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) من المؤمنين اى تجردوا عن الوجود ذات الثلاثة لهم الجنات الثلاث (نزلا) معدا (من عند الله وما عند الله خير للابرار * وان من اهل الكتاب) اى المحجوبين عن التوحيد والمذكورين بصفة التقلب فى الاحوال والمقامات (لمن يؤمن بالله) اى يتحقق

ما نزول بالتوبة من الذنوب و بالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الابرار) يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامه وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) يعني على السنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سألوا الله انجاز ما وعده والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجا الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم تلك الكرامة فسألوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة) يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذ وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ولا يحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة (انك لا تخلف الميعاد) ❊ قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم) يعني اجاب دعاءهم واعطاهم ما سألوه (اني) اي وقال لهم اني (لا اضيع عمل عامل منكم) يعني لا احبط عملكم ايها المؤمنون بل اثيبكم عليه (من ذكر او انثى) يعني لا اضيع عمل عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمه قالت قلت يا رسول الله ما اسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشيء فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وغيره ❊ وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنساء في الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي) يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار (لاكفرن عنهم سيآتهم) يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم (ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) يعني ذلك الذي اعطاهم من تكفير سيآتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم (والله عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول

بالتوحيد الذاتي (وما انزل اليكم) من علم التوحيد والاستقامة (وما انزل اليهم) من علم المبدا والمعاد (خاشعين لله) قابلين لتجلي الذات (لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا) التي هي تجليات صفاته وثمن لبقية الموصوف بالقلة (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) من الجنان المذكورة (ان الله سريع الحساب)

الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا واوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى واوذوا فى سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم فى هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم * قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) نزلت فى المشركين وذلك انهم كانوا فى رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فانزل الله تعالى هذه الآية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا فى البلاد يعنى ضربهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب (متاع قليل) اى ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة (ثم مأواهم) يعنى مصيرهم فى الآخرة (جهنم وبئس المهاد) اى وبئس الفراش هى * قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب مانهاهم عنه من معاصيه (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) اى جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعنى من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعنى من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذى لا ينقطع (خير للابرار) يعنى ذلك الفضل والنعمة التى اعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخارى المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالى * قوله عز وجل (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم) قال ابن عباس نزلت فى النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت فى عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا بالنبى صلى

يحاسبهم ويجازيهم فيعاقب على بقايا من بقى منهم شئ او يثيب بنفى البقايا على حسب درجاتهم فى المواطن الثلاثة (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) لله (وصابروا) مع الله (ورابطوا) بالله اى اصبروا فى مقام النفس بالمجاهدة وصابروا فى مقام القلب مع سطوات تجليات صفات الجلال بالمكاشفة ورابطوا

الله عليه وسلم وقيل نزلت في جمع مؤمني اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من اهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعني ويؤمن بما انزل اليكم ايها المؤمنون يعني القرآن وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما يفعل غيرهم من رؤساء اليهود (اولئك) اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب (لهم اجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب* قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على اداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والاعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني داوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجرى عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط اخرجه مسلم (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة اعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

في مقام الروح ذواتكم بالمشاهدة حتى لا يغلبكم فترة او غفلة او غيبة بالتلوينات (واتقوا الله لعلكم تفلحون) في مقام الصبر عن المخالفة والرياء وفي المصابرة عن الاعتراض والامتلاء وفي المرابطة عن البقية والجفاء لكي تفلحوا الفلاح الحقيق السرمدي الذي لا فلاح وراءه ان شاء الله

* (تفسير سورة النساء وهي مدنية) *

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم (اتقوا ربكم) اى احذروا امر ربكم ان تخالفوه فيما امركم به اونهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى من اصل واحد وهو آدم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم * ابوخليفة ولدته اخرى * وانت خليفة ذاك الكمال * فانما قال ولدته اخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعنى حوّاء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق حوّاء من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من انت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن الىّ فمال اليها والفها لانها خلقت منه واختلفوا فى اى وقت خلقت حوّاء فقال كعب الاحبار ووهب ابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت فى الجنة بعد دخوله اياها (وبث منهما) يعنى نشر واظهر من آدم وحوّاء (رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذى تساءلون به) انما كرر ذكر التقوى للتأكيد وانه اهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك اسألك بالله واحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفى الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهى عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة فى ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسأ فى اثره فليصل رحمه قوله ينسأ فى اثره اى يؤخر له فى اجله (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان فى روايته يعنى قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعنى حافظا والرقيب فى صفة الله تعالى هو الذى لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شئ من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى * قوله عز وجل (وآتوا اليتامى اموالهم) نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان فى حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى له فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا

(سورة النساء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) احذروه فى اتصال صفته عند صدور الخيرات منكم واتخذوا الصفة وقاية لكم فى صدور ما صدر منكم من الخير وقولوا صدر عن القادر المطلق (الذى خلقكم من نفس واحدة) هى النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم وهو آدم الحقيقىّ (وجعل منها زوجها) اى النفس الحيوانية الناشئة منها وقيل انها خلقت من ضلعه الايسر من الجهة التى تلى عالم الكون فانها اضعف من الجهة التى تلى الحق ولولا زوجها لما اهبط الى الدنيا كما اشتهر انّ ابليس سوّل لها اولا فتوسل باغوائها الى اغواء آدم ولاشك فى انّ التعلق البدنىّ لا يتهيأ الا بواسطتها (وبث منهما رجالا كثيرا) اى اصحاب قلوب ينزعون الى ابيهم (ونساء) اصحاب نفوس وطبائع نزعون الى امهم (واتقوا الله) فى ذاته من اثبات وجودكم واجعلوه وقاية لكم عند ظهور البقية منكم فى الفناء فى التوحيد حتى لا تحجبوا برؤية الفناء (الذى تساءلون به) لا بكم (والارحام)

الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يو[ق] شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل [الله] تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الو[زر] قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على ابيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوص[ياء] واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفراد[ها] واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه ا[سم] اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة اولقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلو[غ] وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشـ[ـد] وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار مايحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد باليتامى البالغون لانه لايجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولاتتبدلوا) اى ولاتستبدلوا (الخبيث بالطيب) يعني الخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان اولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردئ فربما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لايعلمه بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لايورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو اكل اموالهم فنهوا عن ذلك (ولاتأكلو[ا] اموالهم الى اموالكم) يعني مع اموالكم وقيل معناه ولاتضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود (انه كان حوبا كبيرا) يعني ان اكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الاثم * قوله عز وجل (وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى) يعني وان خفتم يا اولياء اليتامى ان لاتعدلوا فيهن اذا نكحتموهن (فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء الى قوله او م[ا] ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان تقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لاتعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم

أي احذروا الارحام الحقيقية اى اقربة المبادى العالية من المفارقات وارواح الانبياء والاولياء في قطعها بعدم المحبة واجعلوها وقاية لكم في حصول سعاداتكم وكمالاتكم فان قطع الرحم بفقد المحبة توجه من الاتصال والوحدة الى الانفصال والكثرة وهو المقت الحقيقي والبعد الكلي عن جناب الحق تعالى ولهذا قال عليه الصلاة والسلام صلة الرحم تزيد في العمر اى توجب دوام البقاء واعلم ان الرحم من الظاهر صورة الاتصال الحقيقي في الباطن وحكم الظاهر في التوحيد كحكم الباطن فمن لا يقدر على مراعاة الظاهر فهو احرى بأن لا يقدر على مراعاة الباطن (ان الله كان عليكم رقيبا) يرقبكم لئلا تحتجبوا عنه بظهور صفة من صفاتكم او بقية من بقاياكم فتعذبوا (وآتوا اليتامى) يتامى قواكم الروحانية المنقطعين عن تربية الروح القدسي الذي هو ابوهم (اموالهم) اى معلوماتهم وكمالاتهم وربوهم بها (ولاتتبدلوا الخبيث) من المحسوسات والخياليات والوساوس ودواعي الوهم وسائر قوى النفس التي هي

يسيء صحبتها ويتربص بها الى ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه الآية وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء او اكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته الذي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون من اموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ماشاؤا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى. وآتوا اليتامى اموالهم انزل هذه الآية وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يقول فكما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص الله تعالى في نكاح اربع فقال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) يعني ما حل لكم من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم في هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل والوصف والواو بمعنى او في هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لانه يضم عددا واجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها احد من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع غير جائزة وانها حرام ما روي عن الحرث بن قيس او قيس بن الحرث قال اسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود * عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا اخرجه الترمذي قال العلماء فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امرأتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب لمن ولي وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الآية واجاب الشافعي بان هذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيأ فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى (فان خفتم) يعني فان خشيتم وقيل فان علمتم (الا تعدلوا) يعني بين الازواج الاربع (فواحدة) يعني فانكحوا واحدة (او ما ملكت ايمانكم) يعني وما ملكتم من السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن (ذلك ادنى) اي اقرب (الا تعولوا) معناه اقرب من ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى ان لا تعولوا اي لا تميلوا

اموالها (بالطيب) من اموالهم (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) اي لا تخلطوها بها فيشتبه الحق بالباطل وتستعملوها في تحصيل لذاتكم الحسية وكمالاتكم الوهمية فتنتفعوا بها في مطالبكم الخسيسة الدنيوية وتجعلوها غذاء نفوسكم (انه كان حوبا كبيرا) جبة وحرمانا (وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيأ مريئا ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء

ولاتجوروا وهوقول اكثرالمفسرين لاناصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لاتجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لاتضلوا وقال الشافعى رحمه الله تعالى معناه ان لاتكثر عيالكم وقد انكر على الشافعى من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعى لانه انفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعى وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم فى قوله الاتعولوا اى لاتكثر عيالكم وروى الازهرى عن الكسائى قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهرى وهذا يقوّى قول الشافعى لان الكسائى لايحكى عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعى نفسه حجة لانه عربى فصيح والذى اعترض عليه وخطاه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغى للحضرى ان يعجل الى انكار ما لايحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهرى وبسط الامام فخرالدين الرازى فى هذا الموضع من تفسيره ورد على ابى بكر الرازى ثم قال الطعن لايصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوى عن ابى حاتم قال كان الشافعى اعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هى لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف الاتعيلوا بضم التاء وهو حجة للشافعى (وآتوا النساء صدقاتهن) قال الكلبى وجماعة هذا خطاب للاولياء قال ابو صالح كان الرجل اذا زوّج ايمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولى المرأة كان اذا زوّجها فان كانت معهم فى العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمى كان اولياء النساء يعطى هذا اخته على ان يعطيه الآخر اخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر فى العقد (ق) عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار فى العقد والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله تعالى بان يآتوا نساءهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال (نحلة) يعنى فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعنى عن طيب نفس واصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهى اخص من الهبة وسمى الصداق نحلة من حيث انه لايجب فى مقابلة غير التمتع دون عوض مالى (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى (فان طبن) يعنى النساء المتزوّجات (لكم) يعنى للازواج (عن شئ منه) يعنى من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعنى ما وهبنه لكم (هنيئا مريئا) يعنى طيبا سائغا وقيل الهنئ الطيب المساغ الذى لاينغصه شئ والمرئ المحمود العاقبة وفى الآية دليل على اباحة هبة المرأة صداقها وانها تملكه ولا حق للولى فيه * قوله تعالى (ولاتؤتوا السفهاء اموالكم) اختلفوا فى هؤلاء السفهاء من هم فقيل لهم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم

نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قلّ منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا انّ الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كنّ نساء فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهنّ ولد فان كان لهنّ ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهنّ الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهنّ

سواكن ازواجا اوبنات اوامهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لاتعط ولدك السفيه مالك الذى هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لاتعمد الى مالك الذى خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما بين ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذى تنفق عليهم فى رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبى اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لاينبغى له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لاتؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها واصل السفه الخفة واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل فى الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذى يكون مبذرا فى ماله ومفسدا فى دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور فى هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولاتؤتوا السفهاء يعنى الجهال بموضع الحق اموالكم (التى جعل الله لكم قياما) يعنى قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن انت قيم اهلك انفق عليهم ولاتؤت مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمى به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) اى اطعموهم (واكسوهم) يعنى لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه امر ان يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد جعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعنى قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر فى القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء اى ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولى لليتيم السفيه مالك عندى وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق من العلم والعمل * قوله عز وجل (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت فى ثابت بن رفاعة وفى عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعنى اختبروهم فى عقولهم واديانهم وحقوق اموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) اى مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) اى ابصرتم وعرفتم (منهم رشدا) يعنى عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

* (فصل) * فى احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * الابتلاء يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء فى الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر فى تصرفه وان كان ممن لايتصرف فى الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه فى احوال داره وتختبر المرأة فى امر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم

الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم

وحسن تصرفه فى الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد * (المسئلة الثانية) * قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولى صحيحة وقال الشافعى هى غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضى ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله فى جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاولياء بالاذن لهم فى البيع والشراء قبل البلوغ اجاب الشافعى بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم فى التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم اموالهم) وانما تدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله فى معرفة المصالح والمفاسد * (المسئلة الثالثة) * فى بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء اما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ماروى عن ابن عمر عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردنى ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازنى اخرجاه فى الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمانى عشرة سنة والثانى الاحتلام وهو انزال المنى الدافق سواء انزل باحتلام او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي او الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ فى اولاد المشركين لما روى عن عطية القرظى قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ فى اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما فى اولاد المشركين والثانى لا يكون ذلك بلوغا فى حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين بالرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل فى ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذى هو امارة البلوغ بلوغا فى حقهم واما الذى يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل * (المسئلة الرابعة) * فى بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا فى دينه وماله فالصلاح فى الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصى التى تسقط بها العدالة والصلاح فى المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية او لا يحسن التصرف فيغبن فى البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه فى ماله وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان لماله مفسدا لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعى فى استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون

عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله

رشيداوبعدبلوغه خمسا وعشرين سنة وهومفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لايجوز دفع المال اليه كاقبل بلوغ هذا السن • (المسئلة الخامسة) • اذابلغ الصبي اوالجارية واونس الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج اولم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لايدفع اليها المال مالم تتزوج فاذاتزوجت دفع اليها مالها ولاينفذ تصرفها الاباذن الزوج مالم تكبر وتجرب • (المسئلة السادسة) • اذابلغ الصبي رشيدا زال عنه الحجر فلوعاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذابلغ وهو بهذه الصفة والثاني لايحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند ابي حنيفة لاحجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ماروى عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبدالله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال على لآتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى على عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير اناشريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه * وقوله تعالى (ولاتأكلوها اسرافا) الخطاب للاولياء يعني يامعشر الاولياء لاتاكلوا اموال اليتامى بغير حق (وبدارا ان يكبروا) يعني لاتبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم * ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) اى فليمتنع من اكل مال اليتيم ولايرزؤه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فلياكل بالمعروف) روى ابوداود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى فقير وليس لى شئ ولى يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولامبذر ولامتأثل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروى عن عمر وابن عباس وابن جبير وابى العالية وعبيدة السلماني وابى وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض اى يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب انى انزلت نفسى من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لاضمان عليه ولاقضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لايأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف اصابعه ولايسرف ولايكتسى منه ولايلبس الكتان ولاالحلل لكن يأكل مايسد به الجوع ويلبس مايستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولاقضاء عليه فأما الذهب والفضة فلايأخذ منه شيأ فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل من ماله شيأ وروى ان رجلا قال لابن عباس ان لى يتيما وان له ابلا افأشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغى ضالة ابله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم وروده افاشرب غير مضر بنسل ولاناهك في الحلب

عليكم واحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ماملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ياايها الذين امنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما

وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولاقضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى (فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم) هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولى بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد من ان يدعى عدم القبض وتظهر بذلك امانة الوصى وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعنى محاسبا ومجازيا وشاهدا به * قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) نزلت هذه الآية فى اوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امرأته ويقال لها ام كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ من ماله وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كحة امرأة اوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امرأته وليس عندى ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا بناته منه شيأ وهن فى حجرى ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو امر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعنى الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اى حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعنى من الميراث (وللنساء نصيب) يعنى وللاناث من اولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر) يعنى من المال المخلف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعنى معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كحة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقى المال * قوله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين (اولو القربى) يعنى القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارزقوهم منه) اى فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابى موسى الاشعرى والحسن وابى العالية والشعبى وعطاء بن ابى رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعى والزهرى ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب او ندب على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيأ من المال بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولى ان يعتذر اليهم ويقول انى لا املك هذا المال وهو

فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) من اثبات الغير فى الوجود الذى هو الشرك ذاتا وصفة وفعلا فان اكبر الكبائر اثبات وجود غير وجوده تعالى كما قيل * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * ثم اثبات الانانية فى الذات باثبات زيادة الصفات عليها كما قال امير المؤمنين عليه السلام وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه (نكفر عنكم سيآتكم) بظهور النفس والقلب بصفة من صفاتها احيانا فانها بعد ظهور نور التوحيد لا تثبت (وندخلكم مدخلا كريما) اى حضرة عين الجمع لا كرم الا فيها (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من الكمالات المرتبة بحسب الاستعدادات الاولية فان كل استعداد يقتضى بهويته فى الازل كمالا وسعادة تناسبه وحصول ذلك الكمال الخاص لغيره محال ولذلك ذكر بلفظ التمنى الذى هو طلب ما يمتنع حصوله للطالب لامتناع سببه (للرجال) اى الافراد الواصلين (نصيب مما اكتسبوا) بنور استعدادهم الاصلى (وللنساء) اى

لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر
اليهم فيقول الولى اوالوصى انى لااملك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لى منه شئ لاعطيتكم
وان يكبروا فسيعرفوا حقكم هذا هوالقول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب فى مال
الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى
محمد بن سيرين ان عبيدة السلمانى قسم اموال ايتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية
وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وقال الحسن والنخعى هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان
فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون
التابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع الذى يستحى من قسمته والقول الثانى ان هذا الامر ندب
واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذى عليه العمل اليوم واحتجوا
لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان
ذلك غير واجب وقيل فى معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث
من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الموصى ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم
مع ذلك قولا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولا معروفا) هو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى
* قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعنى اولادا صغارا (خافوا
عليهم) يعنى الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له
انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لايغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلا
يزالون به حتى يأتى على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد
على الثلث فى وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم فى الضعف والجوع من
غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام
كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا القائل هو
الموصى لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم
وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال
اتق الله وامسك اموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل ان
تكون خطابا لمن حضر اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا
ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل
الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان يوصى بالثلث
اوباقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة انهم اوصوا بالقليل لاجل ذلك
وكانوا يقولون الخمس فى الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد فى الصحيح
الثلث والثلث كثير لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعنى يسألونهم
بأكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان
يضيع مال اليتيم الضعيف الذى هو ذرية غيره اذا كان فى حجره والمقصود من الآية من كان
فى حجره يتيم فليحسن اليه وليه اووصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل بأولاده من بعده (فليتقوا الله)
يعنى فى الامر الذى تقدم ذكره (وليقولوا قولا سديدا) يعنى عدلا وصوابا فالقول السديد

الناقصين القاصرين عن
الوصول (نصيب مما
اكتسبن) بقدر استعدادهن
(واسألوا الله من فضله)
اى اطلبوا منه افاضة كمال
يقتضيه استعدادكم بالتزكية
والتصفية حتى لا يحول بينكم
وبينه فتحتجبوا وتعذبوا
بنيران الحرمان منه (ان الله
كان بكل شئ) مما يخفى عليكم
كامنا فى استعدادكم بالقوة
(عليما) فيجيبكم بما يليق بكم
كما قال وآتاكم من كل
ما سألتموه اى بلسان الاستعداد
الذى ما دعاه احد به الا اجاب
كما قال ادعونى استجب لكم
(ولكل جعلنا موالى مما ترك
الوالدان والاقربون والذين
عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم
ان الله كان على كل شئ شهيدا
الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض
وبما انفقوا من اموالهم
فالصالحات قانتات حافظات
للغيب بما حفظ الله واللاتى
تخافون نشوزهن فعظوهن
واهجروهن فى المضاجع
واضربوهن فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا
ان الله كان عليا كبيرا وان
خفتم شقاق بينهما فابعثوا
حكما من اهله وحكما من
اهلها ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما ان الله كان
عليما خبيرا واعبدوا الله)

من الجالسين عند المريض هو ان يأمره ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصياء واولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولاده ولا يؤذوهم بقول ولا فعل ❊ قوله عز وجل (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) قال مقاتل وابن حيان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق (انما يأكلون في بطونهم نارا) يعني سيأكلون يوم القيامة فسمي الذين يأكلون نارا بما يؤول اليه امرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني (وسيصلون سعيرا) يعني بأكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وارد على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب ❊ قوله تعالى (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية اخرى فلم يرد علي شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كجة امرأة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك بنتين وامرأة واخا (ق) عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك اخرجه

خصوصه بالتوجه اليه والفناء فيه الذي هو غاية التذلل (ولا تشركوا به شيأ) باثبات وجوده (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بالروح والنفس اللذين تولد القلب منهما وهو حقيقتكم لستم الا اياه ووفوا حقوقهما وراعوهما حق المراعاة بالاستفاضة من الاول والتوجه اليه بالتسليم والتعظيم وتزكية الثانية وحفظها من ادناس محبة الدنيا والتذلل بالحرص والشره وامثالهما ومن شر الشيطان وعداوته اياها واعينوها بالرأفة والحمية بتوفير حقوقها عليها ومنع الحظوظ عنها (وبذي القربى) الذي يناسبكم في الحقيقة بحسب القرب في الاستعداد الاصلي والمشاكلة الروحانية (واليتامى) المستعدين المنقطعين عن نور الروح القدسي الذي هو الاب الحقيقي بالاحتجاب عنه (والمساكين) العاملين الذين لا مال لهم اي لا حظ من العلوم والمعارف والحقائق فسكنوا ولم يقدروا على المسير وهم السعداء الصالحون الذين ما لهم الى جنة الافعال (والجار ذي القربى) الذي هو في

الترمذى وقال السدى كان اهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الامن اطاق القتال فات عبدالرحمن اخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة واخذوا ماله فشكت امرأته الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة وقبل الشروع فى تفسير هذه الاية نقدم فصولا تتضمن احكام الفرائض واصول قواعدها

* (فصل فى الحث على تعليم الفرائض) * اعلم ان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهى ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها فى الحقيقة اشتغل الصدر الاوّل من الصحابة تحصيلها وتكلموا فى فروعها واصولها ويكفى فى فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها فى كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فانى مقبوض اخرجه الترمذى وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فانى امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجد ان احدا يخبرهما عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى وهو اول شئ ينزع من امتى اخرجه ابن ماجه والدار قطنى

* (فصل فى بيان احكام الفرائض) * اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام اولاب اولام وابن الاخ للاب والام اوللاب وان سفل والعم للاب والام اوللاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقى بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن اصحاب الفرائض

* (فصل) * واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصابته يرثون المعتق والاسباب التى تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه فى الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودى

مقام من مقامات السلوك قريب من مقامك (والجار الجنب) الذى هو فى مقامه بعيد من مقامك (والصاحب بالجنب) والرفيق الذى هو فى عين مقامكم ورافقكم فى سيركم (وابن السبيل) اى السالك فى طريق الحق الداخل فى الغربة عن مأوى النفس الذى لم يصل الى مقام من مقامات اهل الله (وما ملكت ايمانكم) من اهل ارادتكم ومحبتكم الذين هم عبيدكم كلا بما يناسبه ويليق به من انواع الاحسان وان شئت اولت ذى القربى بما يتصل به من الملكوت العالية من المجردات واليتامى بالقوى الروحانية كما مرّ والمساكين بالقوى النفسانية من الحواس الظاهرة وغيرها والجار ذى القربى بالعقل والجار الجنب بالوهم والصاحب بالجنب بالشوق او الارادة وابن السبيل بالفكر والممالك بالملكات المكتسبة التى هى مصادر الافعال الجميلة (ان الله لا يحب من كان مختالا) يسعى فى السلوك بنفسه لا بالله معجبا باعماله (فخورا) مبتهجا باحواله ومقاماته وكمالاته محتجبا برؤيتها ورؤية اتصافه بها

من النصراني ولا النصراني من المجوسي والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق لما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتوارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وبه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابوداود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لايكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولاملك له فلا يرث ولايورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطأ لما روى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لايرث اخرجه الترمذي وقال هذا حديث لايصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لايرث سواء كان القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمي الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته * (فصل) * والسهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام وفرض الاخت الواحدة للاب اذا لم يكن ولد لاب وام والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين احداهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم واناثهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فمابقي فهو لأولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع اه

(فصل)

روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهن ابن ذكرهم كذكرهم واناثهم كاناثهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولايرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للابنة النصف ولابن الابن مابقي لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فمابقي فهو لأولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب

(الذين يبخلون) اولا بامساك كمالاتهم وعلومهم في مكامن قرائحهم ومطامير ضرائرهم لايظهرونها بالعمل بها في وقتها ثم بالامتناع عن توفير حقوق ذوي الحقوق عليهم لايبذلون صفاتهم وذواتهم بالفناء في الله لمحبتهم لها ولاينفقون اموال علومهم واخلاقهم وكمالاتهم على ماذكرنا من المستحقين (ويأمرون الناس بالبخل) يحملونهم على مثل حالهم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من التوحيد والمعارف والاخلاق والحقائق في كتم الاستعداد وظلمة القوة كأنها معدومة (واعتدنا للكافرين) المحجوبين عن الحق (عذابا مهينا) في ذل وجوههم وشين صفاتهم (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) اي يبرزون كمالاتهم من كتم العدم ويخرجونها الى الفعل محجوبين برؤيتها لانفسهم يراؤن الناس بانها لهم (ولايؤمنون بالله) الايمان الحقيقي فيعلمون ان الكمال المطلق ليس الا له ومن اين لغيره وجود حتى يكون له فيتخلصون عن حجاب رؤية الكمال لانفسهم وينجون من اثم

نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بأربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد واولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام اوللاب يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء كان لاب وام اولاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلومات عن ابن وبنت اوعن اخ واخت لاب وام اولاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لومات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن اواسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام اوللاب تكون مع البنت عصبة حتى لومات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولومات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ماروى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل ابوموسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وأتى ابن مسعود فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت وما انا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين ومابقي فللاخت فاخبر ابوموسى بقول ابن مسعود فقال لاتسألوني مادام هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدا الله تعالى بذكر ميراث الاولاد تعلق قلب الانسان بولده اشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث ضعفا سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفروض كالابوين اخذوا فروضهم ومابقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعني المتروكات من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعني

العجب (ولا باليوم الآخر) اي الفناء في الله والبروز للواحد القهار فيتبرؤون من ذنب الشرك وذلك لمقارنة شيطان الوهم اياهم (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) لانه يضله عن الهدى ويحجبه عن الحق (وماذا عليهم لوآمنوا بالله) اي لو صدقوا الله بالتوحيد والفناء فيه ومحو كمالاتهم التي رزقهم الله باضافتها الى الله (واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) يجازيهم بالبقاء بعد الفناء وكونهم مع تلك الصفات والكمالات بالله لا بانفسهم (ان الله لا يظلم) اي لا ينقص من تلك الكمالات بالفناء فيه (مثقال ذرة) بل يضاعفها بالتأييد الحقاني (وان تك حسنة يضاعفها) ولا تكون حسنة الا اذا كانت له (ويؤت من لدنه اجرا عظيما) هو ما اخفي له من قرة اعين اي الشهود الذاتي الذي لا حجبة معه عن تفاصيل الصفات (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) الشهيد والشاهد ما يحضر كل احد مما بلغه من الدرجة في العرفان وهو الغالب عليه فهو يكشف

بنتين فصاعدا (فلهن ثلثا ما ترك) واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روى عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين وعنده ان فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثانى ان فى الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعنى فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتى سعد بن الربيع وهذا نص واضح فى المسئلة وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعنى البنت واحدة (فلها النصف) يعنى فرضا لها (ولابويه) يعنى ابوى الميت كناية عن غير مذكور وهما والدا(لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعنى ان للاب والام مع وجود الولد او ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقى من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقى بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعنى للميت (وورثه ابواه فلامه الثلث) يعنى ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث سواهما فان الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقى المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقى بعد نصيب الزوج او الزوجة (فان كان له) يعنى للميت (اخوة) يعنى ذكورا أو اناثا (فلامه السدس) يعنى لام الميت سدس التركة اذا كان معها بواجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد او الاخت الواحدة لاتحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا فى الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلى وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لاتحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان فى لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يابنى

عن حاله وعمله وسعيه ومبلغ جهده مقاما كان او صفة من صفات الحق او ذاتا فلكل امة شهيد بحسب مادعاهم اليه نبيهم وعرّفه لهم وما دعاهم الا الى ما وصل اليه من مقامه فى المعرفة ولا يبعث نبىّ الا بحسب استعداد امته فهم يعرفون الله بنور استعدادهم فى صورة كمال نبيهم ولهذا ورد فى الحديث انّ الله يتجلى لعباده فى صورة معتقدهم فيعرفه كلّ واحد من الملل والمذاهب ثم يتحوّل عن تلك الصورة فيبرز فى صورة اخرى فلا يعرفه الا الموحدون الداخلون فى حضرة الاحدية من كلّ باب وكانّ لكلّ امة شهيدا فكذلك لكلّ اهل مذهب شهيد ولكلّ واحد شهيد يكشف عن حال مشهوده واما المحمديون فشهيدهم الله المحبوب الموصول بجميع الصفات لمكان كمال نبيهم وكونه حبيبا اوتى جوامع الكلم متمما لمكارم الاخلاق فلاجرم يعرفونه عند التحول فى جميع الصور اذ اتبعوا نبيهم حق المتابعة وكانوا اوحديين محبوبين كنبيهم (يومئذ يود الذين كفروا) بالاحتجاب عن الحق

ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قدكان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني وجه هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند العرب اول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلباكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين لما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيأ البتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيأ معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام (من بعد وصية يوصي بها اودين) يعني ان هذه الانصباء والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الآخر قال علي رضي الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة * قوله تعالى (آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عزوجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله من الآباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقربذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له ولكن الله هو الذي دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعني ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان عليما حكيما) يعني كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج

(وعصوا الرسول) بالاحتجاب عن الذين (لو تسوى بهم الارض) ارض الاستعداد فتنطمس نفوسهم اوتصير ساذجة لا نقش فيها من العقائد الفاسدة والرذائل الموبقة (ولا يكتمون الله حديثا) اي لا يقدرون على كتم حديث من تلك النقوش حتى لا يتعذبون بعقابه (يا أيها الذين آمنوا) بالايمان العلمي قال المؤمن بالايمان العيني لا يكون في صلاته غافلا (لا تقربوا الصلوة) اي لا تقربوا مقام الحضور والمناجاة مع الله في حال كونكم (وانتم سكارى) من نوم الغفلة اومن خمور الهوى ومحبة الدنيا (حتى تعلموا ما تقولون) في مناجاتكم ولا تشتغل قلوبكم بأشغال الدنيا ووساوسها فتذهلوا عنه ولا في حال كونكم بعداء عن الحق بشدة الميل الى النفس ومباشرة لذاتها وشهواتها وحظوظها والركون اليها (ولا جنبا الا عابري سبيل) اي مارين عليها سالكي طريق من طرق تمتعاتها بقدر الضرورة والمصلحة كعبور طريق الاغتذاء بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة والاكتساء لدفع الحر والبرد

من سيبويه انه قال ان القوم لماشاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ماشاهدتم الثالث قال الخليل الخبر من الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لايجوز عليها الزوال والتقلب ✿ قوله عز وجل (ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مماتركن من بعد وصية يوصين بها اودين) هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى فى ميراث الزوجات من الازواج (ولهن) يعنى الزوجات (الربع مماتركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مماتركتم من بعد وصية توصون بها اودين) لما جعل الله فى الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله فى الموجب السببي للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحد من النساء لها الربع او الثمن وكذلك لوكن اربع زوجات فانهن يشتركن فى الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولافرق بين الولد وولد الابن وولد البنت فى ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة اومن غيرها ✿ قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة اوامرأة) تقدير الآية وان كان رجل اوامرأة يورث كلالة واختلفوا فى الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لاولد له ولاوالد روى الشعبي قال سئل ابوبكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان اراه ماخلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال انى لاستحى من الله ان ارد شيئا قاله ابوبكر وهذا قول على وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة فى اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشئ الواحد الذى يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لاولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبدالله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه قتل يوم احد وآية الكلالة نزلت فى آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شان جابر بيانا لمراد الآية التى نزلت فى آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا فى ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول على بن ابى طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحى من الورثة وهو قول ابى بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اى يرثني ورثة ليسوا بولد ولاوالد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذى لاولد له ولاوالد والحى والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال ابوالخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال الاتعجبون من هذا يسألنى عن الكلالة وما

وصل الموت والمباشرة لحفظ النسل لامنجذبين اليها بالكلية بمجرد الهوى فتنطبع فيكم فلا يمكن زوالها او يتعذر (حتى تغتسلوا) اى تتطهروا من تلك الهيئة الحاصلة من الانجذاب الى الجهة السفلية بماء التوبة والاستغفار وعيون التنصل والاعتذار (وان كنتم مرضى) القلوب فاقدى سلامتها بامراض العقائد الفاسدة والرذائل المهلكة (اوعلى سفر) فى تيه الجهل والحيرة لطلب لذة النفس ومادة الرجس بالحرص (اوجاء احد منكم من الغائط) من الاشتغال بلوث المال وكسب الحطام ملوثا بهيئة محبته وميله راسخة فيه تلك الهيئة (اولامستم النساء) لازمتم النفوس وباشرتموها فى لذاتها وشهواتها (فلم تجد وا ماء) علما يهديكم الى التفصى منها ويهذبكم بالتطهر عنها (فتيمموا صعيدا طيبا) فتوجهوا صعيد استعدادكم الطيب والصدور وارجعوا الى اصل الاستعداد الفطرى (فامسحوا) من نوره (بوجوهكم وايديكم) اى ذواتكم للوجود وصفاتكم بالنزول وعن هيئات التعلق بها والتصرف فيها فان ذلك التراب يمحو آثارها صافية

وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء ما اعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخمر (ق) عن معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيأ اهم عندي من الكلالة ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ماراجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال ياعمر الا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء واني ان اعش اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله الا يكفيك آية الصيف اراد ان الله عزوجل انزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ماليس في آية الشتاء فلذلك احاله عليها * قوله تعالى (وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس) اراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما اضافوا احدهما الى الآخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا (فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سواء قال ابوبكر الصديق في خطبته الا ان الآية التي انزل الله في اول سورة النساء من شأن الفرائض انزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التي ختم الله بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها الله في اولى الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله * وقوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها او دين) تقدم تفسيره وبقي شيء من الاحكام يذكرها وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى الآية ماروى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماحق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبدالله بن عمر يقول مامرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين ففي ظاهر الآية والحديث مايدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة مايدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ماروى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله

كما كانت (ان الله كان عفوا) يعفو عن تلك الهيئات المظلمة ورسوخ تلك الملكات الحاجبة بتركها والاعراض عنها فيزيلها بالكلية فيصفو استعدادكم وتسعدوا بلقائه (غفورا) يستر صفاتكم وذواتكم بصفاته وذاته (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) اي بعضا هو اعترافهم بالحق مع احتجابهم عن الدين (يشترون الضلالة) يستبدلون الاحتجاب عن الدين هو طريق الحق بنور هداية استعدادهم ويريدون بكم ذلك ابضاوهم اعداؤكم علم الله عداوتهم اياكم اذا (ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) يلي امركم بالتوفيق لطريق التوحيد ونصيرا ينصركم على اعدائكم بالقمع من الذين هادوا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب) كتاب الاستعداد (آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) ايمانا حقيقيا عيانيا

اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابوداود ❊ وقوله تعالى (غير مضار) يعنى غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث فى الوصية وهو ان يوصى بأكثر من الثلث وقيل هو ان يوصى بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبى ويترك ورثته عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها اودين الى قوله وذلك الفوز العظيم اخرجه ابوداود والترمذى وقال قتادة كره الله تعالى الضرار فى الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار فى الوصية من الكبائر لان مخالفة امر الله عزوجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار فى الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت فى قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفى الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصى بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابى وقاص انك ان تدر ورثتك اغنياء خير من ان تدرهم عالة يتكففون الناس وان كان فى المال كثرة اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده فى القلة والكثرة ❊ وقوله تعالى (وصية من الله) اى فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم) يعنى انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور فى وصيته وبمن لا يجور (حليم) يعنى انه تعالى ذو حلم واناة فى ترك العقوبة عمن جار فى وصيته وقال ابو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتأنى الذى لا يعجل بالعقوبة ❊ قوله عزوجل (تلك حدود الله) يعنى الاحكام التى تقدم ذكرها فى هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى شأن المواريث ورضى بما قسم الله له وحكم عليه (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) يعنى فى شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله (ويتعد حدوده) يعنى ويتجاوز ما امر الله تعالى به (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) فان قلت كيف قطع للعاصى بالخلود فى النار فى هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون فى النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس فى معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبى يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار فى الخلود فى النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا فى النار بكفره فلا دليل فى الآية للمعتزلة والله اعلم ❊ قوله تعالى (واللاتى) هو جمع التى وهى كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة (يأتين الفاحشة) يعنى يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة فى اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم قبحه فى النفوس ويقبح ذكره فى الالسنة حتى يبلغ الغاية فى جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة هنا هى الزنا وانما سمى الزنا فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم)

باخراج ما فى كتاب استعداد كم الى الفعل من توحيد الذات (من قبل ان نطمس وجوها من قبل ان نطمس وجوها بازالة استعدادها ومحوه (فنردها على ادبارها) التى هى اسفل سافلى عالم الجسم الذى هو خلف كل عالم (او نلعنهم كما لعنا) نعذبهم بالمسخ كما مسخنا (اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا) اى مقضيا الى الابد لا يغيره احد ولا ينقضه (ان الله لا يغفر ان يشرك به) اشارة الى ان الشقاوة العلمية الاعتقادية مخلدة لا تتدارك ابدا دون العملية اى لا يستر بوجوده ولا يفنى بذاته من يثبت غيره فى الوجود وكيف وانه يناويه بوجوده (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم) اى يزيلون صفات نفوسهم بنفوسهم وذلك غير ممكن كما لا يمكن لاحد ان يجلى نفسه اذ هى لوازم النفس باقية لازمة لها ولهذا قال تعالى من يوق شح نفسه اذ الرذائل معجونة فيها باقية ببقائها وقال عليه الصلاة والسلام شر

قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) يعنى من المسلمين وهذا خطاب للازواج اى اطلبوا اربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اى اسمعوا شهادة اربع عليهن ويشترط فى هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا يستركم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعنى الشهود بالزنا (فامسكوهن فى البيوت) اى فاحبسوهن فى البيوت والحكمة فى حبسهن ان المرأة انما تقع فى الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست فى البيت لم تقدر على الزنا (حتى يتوفاهن الموت) يعنى تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن (او يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان فى اول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست فى البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فبقى كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب جلد مائة والرجم

* (فصل) * اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا فى ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى ان الآية منسوخة بآية الحد التى فى سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال ابو سليمان الخطابى لم يحصل النسخ فى هذه الآية ولا فى الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن فى البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلماء على جلد البكر الزانى مائة ورجم المحصن وهو الذى اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة فى نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا فى جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال على بن ابى طالب رضى الله عنه والحسن واسحق بن راهويه وداود واهل الظاهر وروى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزانى الرجم وحده لان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما واما تغريب البكر الزانى ونفيه سنة فذهب الشافعى وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال ابو حنيفة وحماد لا يقضى بالنفى الا ان رآه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعى لا نفى على النساء وروى مثله عن على قال لان المرأة عورة وفى نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعى وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزانى عبدا فعليه جلد خمسين وفى تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزانى مجنونا او غير بالغ فلا جلد عليه * قوله عز وجل (واللذان) هو تثنية الذى (يأتيانها) يعنى يأتيان الفاحشة (منكم) يعنى من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية

الناس من قامت عليه القيامة وهو حى اى يقف على علم التوحيد ونفسه لم تمت بالفناء حتى تحيى بالله فانه حينئذ زنديق قائل بالاباحة فى الاشياء (بل الله يزكى من يشاء) بمحو صفاته وازالتها بصفاته تعالى (ولا يظلمون فتيلا) اى لا ينقصون شيأ حقيرا من صفاتهم وحقوقها فان الله لا يأخذ شيأ منها مع ضعفها وسرعة انقضائها حتى يعطى بدله من صفاته مع قوتها ودوامها (انظر كيف يفترون على الله الكذب) بادعاء تزكية نفوسهم من صفاتهم او ما تزكت او باتصال صفات الله الى انفسهم لوجود نفوسهم (وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) لاثباتهم وجود الغير وذلك اضلالهم عن الدين الذى هو طريق التوحيد (ويقولون للذين كفروا) لاجل الدين جحدوا عن الحق (هؤلاء اهدى من الذين آمنوا) من الموحدين (سبيلا) لموافقتهم فى الشرك دون المؤمنين فانهم يخالفونهم فى الطريق والمقصد اذ المعترفون بالتوحيد لما ضلوا السبيل لم يصلوا الى المقصد الذى اعترفوا به فلزمهم شرك خفى قريب من حال

الاولى وقيل المراد بمن ذكر فى الاولى النساء وهذه الرجال لان الله تعالى حكم فى الآية الاولى بالحبس فى البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست فى البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه فى البيت لانه يحتاج الى الخروج فى اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزانى الاذية بالقول والفعل (فآذوهما) يعنى عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال له اما خفت الله اما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفى رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال (فان تابا) يعنى من الفاحشة (واصلحا) يعنى العمل فيما يأتى (فاعرضوا عنهما) اى اتركوهما ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) يعنى انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان فى ابتداء الاسلام كان حد الزانى الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن وسواء فى هذا الحكم المسلم واليهودى لانه ثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودى لان المشرك ليس بمحصن واجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج * قوله تعالى (انما التوبة على الله) يعنى التوبة التى يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من اى من الله وقال اهل المعانى ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين فى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيأ انجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله اوجب على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعنى الذنوب والمعاصى سميت سوء لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها (بجهالة) قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شئ عصى الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمى جاهلا وسمى فعله جهالة وانما سمى من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمى جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتى الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعنى يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يبعد فى زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب فى صحته قبل مرض موته وقيل موته وقيل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع فى كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمران النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذى الغرغرة ان يجعل المشروب فى فم المريض فيردده فى الحلق ولا يصل اليه لا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوى بسنده عن ابى سعيد الخدرى ان

المحجوبين عن الحق الذين اشركوا اشركا جليا فناسبوهم وصوبوهم وزعموا انهم اهدى الموحدين على ما رأى عليه بعض الظاهريين من الاسلاميين (اولئك الذين لعنهم الله) بمسخ الاستعداد ومن طرده الله فلا يمكن لاحد نصرته بالهداية والتقريب والانجاء (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا) اى حجبوا عن تجليات صفاتنا وافعالنا اذ مطلع الآية كونه متجليا بالعلم والحكمة والملك فى آل ابرهيم (سوف نصليهم نارا) نار شوق الكمال لاقتضاء غرائزهم وطباعهم بحسب استعدادهم ذلك مع رسوخ الحجاب ولزومه او نار قهر من تجليات صفات قهره تناسب احوالهم او نار شره نفوسهم وحدة شوقها وطلبها لما ضريت بها من كمالات صفاتها وشهواتها مع حرمانها عنها (كلما نضجت

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا ابرح اغوى عبادك مادامت ارواحهم فى اجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى لا ازال اغفر لهم مااستغفرونى وقيل فى معنى الآية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فاولئك يتوب الله عليهم) يعنى يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيما) قال ابن عباس علم مافى قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما اتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها واناب عن قريب * قوله عزوجل (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) قال ابن عباس يريد الشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثورى هم المسلمون الاترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر احدهم الموت) يعنى وقع النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال انى تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا اهملوا امرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم فى قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لاتوبة لهم عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس الامر على ماذ عموا فقد روى عن ابن عباس فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيآت يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى فى المؤمنين يعنى قوله انما التوبة على الله والوسطى فى المنافقين يعنى قوله وليست التوبة والاخرى فى الكافرين يعنى قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة فى المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير ان تكون الآية نازلة فى عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت الآية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وارجأ اهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة فى حق المؤمنين * وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لاتوبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم فى الآخرة لرفع التكليف فى الآخرة ومعاينة ماوعدوا به من العقاب (اولئك اعتدنا لهم) اى هيأنا لهم (عذابا اليما) * قوله عزوجل (ياايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) نزلت فى اهل المدينة وذلك انهم كانوا فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امراة جاء ابنه من غيرها اوقريبه من ذوى عصبته فالقى ثوبه على تلك المراة وعلى خبائها فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها

جلودهم) رفعت حجبهم الجسمانية بانسلاخهم عنها (بدلناهم جلودا) حجبا غيرها جديدة (ليذوقوا العذاب) نيران الحرمان (ان الله كان عزيزا) قويا يقهرهم ويذلهم بذل صفات نفوسهم ويحرقهم بنيران توقانها الى كمالاتهم مع حرمانهم ابدا (حكيما) يجازيهم بما يناسبهم من العذاب الذى اختاروه لانفسهم بدواعيهم الغضبية والشهوية وغيرها وميولهم الى الملاذ الجسمانية فلذلك بدلوا حجبا ظلمانية بعد حجب (الذين آمنوا) بتوحيد الصفات (وعملوا الصالحات) مايصلحهم لقبول تجلياتها (سندخلهم جنات) الاتصاف بها ومقاماتها (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة) اى انهار علوم تجلياتها من علوم القلب والازواج ههنا الارواح المقدسة التى هى مظاهر الصفات الآلهية المطهرة بالهيئات البدنية (وندخلهم ظلا ظليلا) اى ظل الصفات الآلهية الدائم روحها بمحو الصفات البشرية (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا

وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضـارها بذلك لتفتدى منه بماورثت من الميت لوتموت هى فيرثهافان ذهبت المراة اهلها قبـل ان يلق عليها ولى زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفى ابوقيس بن الاسلت الانصـارى وترك امرأته كبيشـة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابى قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدى منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان اباقيس توفى وورث نكاحى ابنه فلاهو ينفق على ولاهو يدخل بى ولا يخلى سبيلى فقال اقعدى فى بيتك حتى يأتى امر الله فيك فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النسـاء كرها يعـنى ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها يعنى وهن كارهات (ولاتعضلوهن) اى ولاتمنعوهن من الازواج واصل العضل المنع (لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن) يعنى لتضجر فتفتدى ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا فى الرجل تكون له امراة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدى منه وترد اليه ماساق اليهـا من المهر فنهى الله عن ذلك وقيـل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعـالى (الاان يأتين بفاحشة مبينة) يعنى فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا فى الفاحشة المبينة فقيل هى النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج وقيل الفاحشة هى الزنا يعنى ان المراة اذا نشزت اوزنت حل للزوج ان يسألها الخلع وقيل كانت المراة اذا اصابت فاحشة اخذ منها وجها ماساق اليها واخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذى قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعـاشرة بالمعروف هـو الاجمـال فى القول والمبيت والنفقـة وقيل هو ان تصـنع لهـا كما تحب ان تصنع لك (فان كرهتموهن) يعـنى فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عبـاس ربمـا رزق منهـا ولدا فجعل الله فى ولدهـا خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل فى الآية ندب الى امساك المراة مع الكراهية لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليهـا واحسـن هو صحبتها استحق الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى وقيل فى معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن فربما جعل الله فى تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه * قوله عزوجل (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال واراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله فى الآية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهى اما النشوز اوالزنا بين فى هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولازنا ونهى عن بخس الرجل المرأة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتيتم احداهن قنطارا) يعنى وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفى الآية دليل على جواز المغالاة فى المهور روى ان عمر قال على المنبر الالاتغالوا فى مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت ياابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس افقه منك ياعمر وفى رواية امرأة اصابت واميراخطأ ورجع عن كراهة

حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به) اى حق كل ذى حق اليـه بتوفيه حق الاستعداد اولا ثم بتوفيـه حقوق القوى كلها من كمالاتها التى تقتضيها ثم بتوفيه حق الله تعالى من اداء الصـفات اليه ثم اداء الوجود فتكونوا فانـين فى التوحيـد فاذا رجعتم الى البقاء بعد الفناء وحكمتم بين النـاس كنتم قائمـين فى الاشياء بالله قوامـين بالقسط متصفين بعدل الله بحيث لايمكن صدور الجور منكم واقل الـدرجات فى العدل هو الحوفى الصفات اذ القائم بالنفس لايقـدر على العدل ابدا (ان الله كان سميعا) باقوالكم فيمـا بين النـاس من المحاكمات هل هى صـائبة بالحق ام فاسدة بالنفس (بصيرا) باعمالكم هل تصـدر من صفات نفوسـكم او من صفـات الحق (ياايها الذين آمنوا) بتوحيد الصفات (اطيعوا الله) بتوحيـد الذات والفنـاء فى الجمع (واطيعوا الرسول) بمراعاة حقوق التفصيل فى عين الجمع وملاحظـة ترتيب الصفات بعد الفناء فى الذات (واولى الامر منكم) من

المغالاة وقد تغالى الناس فى صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها (فلا تأخذوا منه شيأ) يعنى من القنطار الذى آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج اومن قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المرأة فلا يحل له ان يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك (اتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا) يعنى ظلما وقيل باطلا (واثما مبينا) يعنى اتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه فى الشرع والعقل ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيأ بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب فى ذلك فقال تعالى (وقد افضى بعضكم الى بعض) اصل الافضاء فى اللغة الوصول يقال افضى اليه اى وصل اليه ثم للمفسرين فى معنى الافضاء فى هذه الآية قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعى لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثانى فى معنى الافضاء هو ان يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبى الافضاء ان يكون معها فى لحاف واحد جامعها اولم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب ابى حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (واخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف اوتسريح باحسان وقيل هى كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهى الكلمة التى تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى (ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون ازواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روى انه لما توفى ابوقيس وكان من صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت انى اتخذتك ولدا وانت من صالحى قومك ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء (الا ماقد سلف) يعنى الا مامضى فى الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما سماه فاحشة لان زوجة الاب فى منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصى (ومقتا) يعنى انه يورث المقت من الله وهو اشد البغض وغاية الخزى والخسارة (وساء سبيلا) اى وبئس ذلك طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل من امرأة ابيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط ابن ابى عمرو بن امية روى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال مر بى خالى ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة ابيه آتيه برأسه * قوله عز وجل (حرمت عليكم امهاتكم) بين الله عز وجل فى هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب اونسب (خ) عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم امهاتكم الآية لجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات

استحق الولاية والرياسة كما مر فى حكاية طالوت (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا المتر) اى تعجب (من الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك) من علم التوحيد (وما انزل من قبلك) من علم المبدا والمعاد (يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) وهو ينافى ماادعوه اذلو كان ايمانهم صحيحا لماابتغوا غيرا حتى يكون له حكم فانهم بحكم الايمان الحقيقى مأمورون بالكفر بغيره ومن لم ينسلخ عن صفاته وافعاله ولم تنطمس ذاته فى الله تعالى فهو غيره ومن توجه الى الغير فقد اطاع الشيطان ولا يريد الشيطان بهم الا الضلال البعيد الذى هو الانحراف عن الحق بالشرك اذ الزيغ عن الدين هو الضلال المبين (وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون

امات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امرأة رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (واخواتكم) جمع اخت وهي عبارة عن كل امرأة شاركتك في اصلك فتدخل فيه الاخوات من الابوين الام والاخوات من الاب والاخوات من الام (وعماتكم) جمع عمة وهي كل امرأة شاركت اباك في اصله وهن جميع اخوات الاب واخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام (وخالاتكم) جمع خالة وهي كل امرأة شاركت الام في اصلها فيدخل فيه جميع اخوات الام واخوات امهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب (وبنات الاخ وبنات الاخت) وهي عبارة عن كل امرأة لاخيك اولاختك عليها ولادة ورجع نسبها الى الاخ اوالاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده اصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة لاتحل بوجه من الوجوه * الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع مايحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لاتحل لي يحرم من الرضاعة مايحرم من النسب وانها ابنة اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولايترتب عليه جميع احكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولاتجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحرم من الرضاع الاما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال لارضاعة الاما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطا باطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبدالله بن مسعود لارضاع الاماشد العظم وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان

(يوجد)

بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) الفرق بين الرسول والنبي هوان الرسالة باعتبار تبليغ الاحكام باليها الرسول بلغ والنبوة باعتبار الاخبار عن المعارف والحقائق التي تتعلق بتفاصيل الصفات والافعال فان النبوة تظاهرا الولاية التي هي الاستغراق في عين الجمع والفناء في الذات فعلمها علم توحيد الذات ومحو الافعال والصفات فكل رسول نبي وكل نبي ولي وليس كل ولي نبيا ولا كل نبي مرسلا وان كانت رتبة الولاية اشرف من النبوة والنبوة من الرسالة كما قيل مقام النبوة في برزخ * دوين الولي وفوق الرسول فلا يرسل الرسول الا ليطاعة لاحكمه حكم الله باعتبار التبليغ فيجب ان يطاع الا بلانه فان من حجب عنه بقصور الاستعداد كالكافر الاصلي الشقي الحقيقي اوبالرين ومحو الاستعداد كالمنافق ليس بأذون له في الطاعة في الحقيقة (ولو انهم اذظلموا

يوجد خمس رضعات متفرقات* روى ذلك عن عائشة* وبه قال عبدالله بن الزبير* واليه ذهب الشافعى* ويدل على ذلك ماروى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم (م) عن ام الفضل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفى رواية ان رجلا من بنى عامر بن صعصعة قال يانبى الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن (قولها فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن) يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لايتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقى حكمه* وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحمد فى احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعى* واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا* واجاب الشافعى ومن وافقه فى هذه المسئلة بأن السنة مبينة للقرآن مفسرة له وقوله تعالى (وامهات نسائكم) يعنى اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه امها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما فى النسب والرضاع ايضا (ومذهب اكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها اولم يدخل بها (وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول على وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس* والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور (ويدل على ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امرأة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذى وقوله تعالى (وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهى بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيتها فى حجر الرجل* وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لانفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها اوماتت قبل دخوله بها جازله ان يتزوج بنتها ولايجوزله ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى (وحلائل ابنائكم) يعنى ازواج ابنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه. وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه فى ازار واحد. وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء* وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من اصلابكم) انما قال من اصلابكم احترازا من التبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لاتحرم على الرجل الذى تبناه لانه كان فى صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد ابن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فأنزل الله تعالى* وماجعل

انفسهم) بمنعها عن حقوقها التى هى كمالاتها الثابتة فيها بالقوة وتكدير الاستعداد بالتوجه الى طلب اللذات الحسية والاغراض الفانية (جاؤك) بالارادة التى هى مقتضى استعدادهم (فاستغفروا الله) طلبوا من الله ستر صفات نفوسهم التى هى مصادر تلك الافعال الحاجبة لما فى استعدادهم بنور صفاته (واستغفر لهم الرسول) بامدادهم بنور صفاته التى هى صفات الله عزوجل لرابطة الجنسية التى بينهم وبين نفسه ومكان الارادة والصحبة التى تستلزم قربهم منه وامتزاجهم به (لوجدوا الله توابا) مطهرا مصفيا لاستعدادهم بنوره اذقبول التوبة هو القاء نور الصفات عليهم وتنوير بواطنهم بهيئة نورية تعصمهم من الخطا فى الافعال لبعد النور عن الظلمة (رحيما) يفيض عليهم رحمة الكمال اللائق بهم من الايقان العلى اوالعينى اوالحقى (فلا وربك لايؤمنون) الايمان الحقيقى التوحيدى (حتى يحكموك) لكون حكمك حكم الله وانما حجبت الذات بالصفات

ادعياءكم ابناءكم* وقال تعالى* لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم * وقوله تعالى (وان تجمعوا بين الاختين) يعنى لايجوز للرجل ان يجمع بين الاختين فى نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب اورضاع (والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه (احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لايصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جازله نكاح اختها (الوجه الثانى من صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلايجوز له ان يجمع بينهما فى الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع اوهبة اوعتق اوكتابة (الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هو ان يتزوج احداهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين* فذهب بعض العلماء الى انه لايجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضى تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه * وذهب بعضهم الى جوازه * والقول الاول اصح واولى لماروى قبيصة ابن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما آية وحرمتهما آية فأما انا فلااحب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال اما انا فلو كان لى من الامر شئ لم اجد احدا فعل ذلك الاجعلته نكالا قال ابن شهاب اراه على بن ابى طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك فى الموطأ * وقوله تعالى (الاماقدسلف) يعنى لكن ماقد مضى فانه معفوعنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحيما) وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان انكحة الكفار صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايتهما شئت ويدل على ذلك ماروى عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يارسول الله انى اسلمت وتحتى اختان قال طلق ايتهما شئت اخرجه ابوداود * (فروع)* تتعلق بحكم الآية الاول لايجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولابين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لايجمع بين المرأة وعمتها ولابين المرأة وخالتها اخرجاه فى الصحيحين* قال بعض العلماء فى حد مايحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة اولبن لوكان ذلك بينك وبين المرأة لم يجزلك نكاحها لم يجزلك الجمع بينهما* الفرع الثانى المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت فى الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ماتقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المرأة وحليلة الابن وزجة الاب وقد تقدم ذكرها فى قوله تعالى ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين *الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلوزنى بامرأة لم تحرم عليه امها ولابنتها لواراد ان يتزوج بهن وكذلك لاتحرم المزنى بها على آباء الزانى ولاابنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح اوبنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد* وهذا قول على وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى* واليه ذهب مالك والشافعى وفقهاء الحجاز* وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة* روى ذلك عن عمر ان بن حصين وابى هريرة * وبه قال جابر بن زيد والحسن واهل العراق (ولولمس امرأة اجنبية بشهوة

والصفات بالافعال فاذا تشاجروا وقفوا مع صفاتهم محجوبين عن صفات الحق اومع افعالهم محجوبين عن افعال الحق فلم يؤمنوا حقيقة فاذا حكموك انسلخوا عن افعالهم واذالم يجدوا فى انفسهم حرجا من قضائك انسلخوا عن اراداتهم فصاروا الى مقام الرضا وعن علمهم وقدرتهم فصاروا الى مقام التسليم فلم يبق لهم حجاب من صفاتهم واتصفوا بصفات الحق فانكشف لهم فى صورة الصفات فعلموا انك هو قائم به لابنفسك عادل بالحقيقة بعدله فتحقق ايمانهم بالله (فيماشجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولوانا كتبنا) اى فرضنا (عليهم ان اقتلوا انفسكم) بقمع الهوى الذى هو حيواتها وافناء صفاتها (اواخرجوا من دياركم) مقاماتكم التى هى الصبر والتوكل والرضا وامثالها لكونها حاجبة عن التوحيد كما قال الحسين بن منصور قدس الله روحه لابرهيم بن ادهم رحمه الله لماسأله عن حاله واجابه بقوله ادور فى الصحارى واطوف فى البرارى حيث

اوقبلها بشهوة هل يحصل ذلك كالدخول فى اثبات تحريم المصاهرة. وكذلك لولمس امرأة بشهوة هل يحصل ذلك كالوطء فى تحريم الربيبة) فيه قولان اصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثانى لاتثبت به كما لاتثبت بالنظر بشهوة * قوله تعالى (والمحصنات) يعنى وحرمت المحصنات (من النساء) واصل الاحصان فى اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان فى قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هى السابعة من النساء التى حرمن بالسبب (قال ابو سعيد الخدرى نزلت هذه الآية فى نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (الا ماملكت ايمانكم) يعنى السبايا التى سبين ولهن ازواج فى دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبى يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها (قال ابو سعيد الخدرى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله تعالى هذه الآية (وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشترى وطؤها (وقال عطاء اراد بقوله الا ماملكت ايمانكم ان تكون امته فى نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه (وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان مافوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ماملكت ايمانكم فانه لاعدد عليكم فى الجوارى ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعنى حرمت عليكم امهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا (وقيل معناه الزموا كتاب الله (وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ماحرم عليكم من ذلك وتحليل ماحلل كتابا (واحل لكم ماوراء ذلكم) يعنى واحل الله لكم ماسوى ذلكم الذى ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضى حل ماسوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف اخر سوى ماذكر * فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها * ومن ذلك المطلقة ثلاثا لاتحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره * ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضى عدتها * ومن ذلك ان من كان فى نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بأمة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة * ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة * ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد * فهذه اصناف من المحرمات سوى ماذكر فى الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ماوراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (ان تبتغوا بأموالكم) فيه اضمار تقديره واحل لكم ان تبتغوا اى تطلبوا باموالكم اى تنكحوا بصداق اوتشتروا بثمن * وفى الآية دليل على ان الصداق لايتقدر بشئ فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم (محصنين) يعنى متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعنى غير زانين والسفاح الفجور واصله من السفح وهو الصب وانما سمى الزنا سفاحا لان الزانى لاغرض له الاصب النطفة فقط وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد ارادما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان

لاماء ولاشجر ولاروض ولامطر هل يصح حالى فى التوكل ام لافقال اذا افنيت عمرك فى عمران بطنك فاين الفناء فى التوحيد (مافعلوه الاقليل منهم) وهم المحبون المستعد دون للقائه الاكثرون قدرا الاقلون عددا كما قال تعالى وقليل ماهم (ولو انهم فعلوا مايوعظون به لكان خيرالهم) بحسب كمالهم الحاصل لهم عند رفع حجب صفات النفس بالاتصاف بصفات الحق اوبالوصول الى عين الجمع (واشد تثبيتا) بالاستقامة فى الدين عند البقاء بعد الفناء (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) من تجليات الصفات عند قتل النفس (ولهديناهم صراطا مستقيما) عند الخروج عن الديار اى منازل النفس والمقامات وهو طريق الوحدة والاستقامة فى التوحيد (ومن يطع الله) بسلوك طرق التوحيد والجمع (والرسول) بمراعاة التفصيل (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) بالهداية (من النبيين والصديقين) الذين صدقوا بنسبة الافعال والصفات الى الله بالانخلاع عن صفاتهم والاتصاف بصفاته

ولوظهروابصفات نفوسهم لكانوا كاذبين (والشهداء) اى اهل الحضور (والصالحين) اى اهل الاستقامة فى الدين (وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) اى التوفيق لتحصيل الكمال الذى ناسبوا به النبيين ومن معهم فراقفوا هم (وكفى بالله عليما) يعلم ما فى استعدادهم من الكمال فيظهره عليهم (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) اى ما تحذرون من القاء الشيطان ووساوسه واهلاكه اياكم بالاغواء ومن ظهور صفات نفوسكم واستيلائها عليكم فانها اعدى عدوكم (فانفروا ثبات) اسلكوا فى سبيل الله جماعات كل فرقة على طريقة شيخ كامل عالم (او انفروا جميعا) فى طريق التوحيد والاسلام على متابعة النبى (وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذلم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن

اصل الاستمتاع فى اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (فآتوهن أجورهن) يعنى مهور هن وانما سمى المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمى بدل منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا فى ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سبرة بن معبد الجهنى انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس انى كنت اذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم اى ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهنى (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعى ان السنة لاتنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة فى المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس فى المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص فى المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هى ام نكاح فقال لاسفاح ولانكاح قلت فما هى قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار فى فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله انا ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروى انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبدالله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمدالله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعى لا اعلم فى الاسلام شيأ احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشأم والعراق من اصحاب الاثر والرأى وانه لارخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزى فى تفسيره وقد تكلف قوم من مفسرى القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبى صلى الله عليه سلم اجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله واما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرائط التى جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اى عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبرى اولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه

(منهن)

منهن بهااستمتعوهن فآتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فآتوهن اجورهن يعني مهورهن (فريضة) يعني لازمة وواجبة (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه * فمن حمل ماقبله على نكاح المتعة قال اراد انهما اذاعقدا عقدا الى اجل على مال فاذاتم الاجل فان شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقدتقدم ان ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم * ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض * وقال الزجاج معناه لاجناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لايجب عليه (ان الله عليما) يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها من سائر اموركم (حكيما) يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولايدخل حكمه خلل ولازلل * (فصل في قدر الصداق ومايستحب منه) * اعلم انه لاتقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ والمستحب ان لايغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الالاتغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ماعلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه ولاانكح شيأ من بناته على اكثر من اثنى عشر اوقية اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه (م) عن ابي سلمة قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية ونشا قالت اتدري ماالنش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسمائة درهم (واختلف العلماء في اقل الصداق. فذهب جماعة الى انه لاتقدير لاقله بل كل ماجاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحق. وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم (والدليل على ان الصداق لايتقدر ماروى عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيأ جلست فقام رجل من اصحابه فقال يارسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شيء فقال لاوالله يارسول الله فقال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيأ فذهب ثم رجع فقال لاوالله ماوجدت شيأ فقال رسول صلى الله عليه وسلم انظر ولوخاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لاوالله يارسول الله ولاخاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعي له فلما جاء قال ماذامعك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذاعددها قال تقرؤهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد

يقاتل في سبيل الله فيقتل اويغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعلنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله اواشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) اثبت انهم قدريون يضيفون الخيرات الى الله والشرور الى الناس يتشبهون بالمجوس في اثبات مؤثرين مستقلين

ملكتكها بمامعك من القرآن وفى رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفى رواية فقد انكحنا كها بمامعك من القرآن اخرجاه فى الصحيحين وهذا لفظ الحيدى* ففى هـذا الحديث دليل على انه لاتقدير لاقل الصداق لانه قال هل تجد شيأ فهذا يدل على جواز اىّ شئ كان من المال ثم قال ولو خاتمـا من حديد ولاقيمـة له الاالقليل التافه* وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعى ومنعه اصحاب الرأى* عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى فى صداق امرأة ملء كفيه سويقا او تمرا فقـد استحل أخرجه ابوداود عن عبد الله بن عامر عن ابيـه ان امرأة من بنى فزاره تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نم فاجازه اخرجه الترمذى وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر *قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعنى فضلا وسعة وانما سمى الغنى طولا لانه ينال به من المراد مالاينـال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفـقة (ان ينكح المحصنات) يعنى الحرائر (المؤمنات فما ملكت ايمانكم) يعنى جارية اخيك المؤمن فان الانسان لايجوز له ان يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة (والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى* وفى الآية دليل على انه لايجوز للحر نكاح الامة الابشرطين احدهما ان لايجد مهر حرة لانه جرت العـادة فى الاماء بتخفيف مهور هن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثانى هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهـذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعى واحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابى حنيفة الا ان يكون فى نكاحه حرة* والسبب فى منع الحر من نكاح الامة الاعنـد خوف العنت ان الولد يتبـع الام فى الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص فى حق الحر وفى حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربمـا احتاج الزوج اليها فلايجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمتـه ولان مهرها ملك السيد فلاتقدر على هبته من زوجها ولاان تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الاعلى سبيل الرخصة والاضطرار* ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان فى نكاحه حرة وعند ابى حنيفة لايجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول فى الحر* وفى الآية دليـل على انه لايجوز للمسلم حرا كان اوعبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخـلاف الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليـه ذهب مالك والشافعى وقال ابوحنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين * وقوله تعالى (والله اعلم بايمانكم) قال الزجاج اى اعملوا على الظاهر فى الايمان فانكم متعبدون بمـا ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معنـاه لاتتعرضوا للبـاطن فى الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعنى انكم كلكم من نفس واحدة

فى الوجود واضـافتهم الشرور الى الرسول لاالى انفسهم كانت لانه باعثهم ومحرّضـهم على مايلقون بسببه الشرّ عندهم فأمر الرسول بدعوتهم الى توحيد الافعـال ونفى التأثير عن الاغيـار والاقرار بكونه فاعل الخير والشرّ بقوله (قل كلّ من عند الله فمال هؤلاء القـوم لايكادون يفقهون حديثا) لاحتجابهم بصفات النفوس وارتجاج آذان قلوبهم الـتى هى اوعية السماع والوعى ثم بين انّ الله فضـلا وعدلا فالخيرات والكمالات كلها من فضلـه والشرور من عـدله اى يقدرها علينـا ويفعلهـا بنـا لاستعداد واستحقاق فينـا يقتضى ذلك وذلك الاستحقاق انما يحـدث من ظهور النفس بصفاتها وارتكابها المعاصى والذنوب الموجبة للعقاب لابفعـل آخر كما نسـبوا مااصـابهم من الشرّ الى الرسول لانّ الاستحقـاق مرتب على الاسـتعداد ولايعرض مايقتضـيه استعداد احد لغيره كما قال تعالى ولاتزر وازرة وزر اخرى فكذبهم وخطأهم فى قدريتهم باثبات انّ السبب

فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة * وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فأعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة من التزويج بالاماء فانكم متساوون في النسب الى آدم * وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فتى وقع لاحدكم الضرورة جازله ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المؤمنين بعضهم اكفاء بعض (فانكحوهن باذن اهلهن) يعنى اخطبوا الاماء الى ساداتهن * واتفق العلماء ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة (وآتوهن اجور هن) يعنى مهور هن (بالمعروف) يعنى من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه وآتوهن مهور امثالهن * واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن (محصنات) يعنى عفائف (غير مسافحات) يعنى غير زانيات (ولا متخذات اخدان) جمع خدن وهو الصاحب الذى يكون معك في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعنى حبها الذى يزنى بها في السر (قال الحسن المسافحة هى التى كل من دعاها تبعته وذات الاخدان هى التى تختص بواحد ولا تزنى مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما (فاذا احصن) قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسلمن وقرأ حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوّجن (فان اتين بفاحشة) يعنى بزنا (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعنى فعلى الاماء اللاتى زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد ويجلد العبد للزنا اذا زنى خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوّج وغير المتزوّج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه * هذا قول اكثر العلماء وروى عن ابن عباس * وقال طاوس انه لاحدّ على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال فاذا احصن والذى لم يتزوج ليس بمحصن * واجيب عنه بان معنى الاحصان عندنا الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ماروى عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين (قوله ولا يثرب عليها اى لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيى الدين النواوى وهذا البيع المأمور به في الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب * وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشترى لانه عيب والاخبار بالعيب واجب (فان قيل كيف يكره شيأ ويرتضيه لاخيه المسلم (فالجواب لعلها تستعف عند المشترى بان يعفها بنفسه او يصونها بهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشى العنت منكم) يعنى الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان

الفاعل للخير والشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما السبب القابلى فهو وان كان ايضا منه في الحقيقة الا ان قابلية الخير هو من الاستعداد الاصلى الذى هو من الفيض الاقدس الذى لا مدخل لفعلنا واختيارنا فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بصفات والافعال الحاجبة للقلب المكدرة لجوهره حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والمصائب والبلايا والنوائب لامن قبل الرسول او غيره (ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردّوه الى الرسول والى

تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا * وانما سمى الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهى شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وان تصبروا) يعنى عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) يعنى كيلا يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون اليه * قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام فى قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) اى ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) اى شرائع من قبلكم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم (وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) يعنى ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التى كنتم عليها الى طاعته (وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه فلاجرم انه تعالى قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعنى بمصالح عباده فى امر دينهم ودنياهم (حكيم) يعنى فيما دبر من امورهم (والله يريد ان يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى * وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم * وقيل معناه ان وقع منكم تقصير فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى * وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال * وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية * وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم (ان تميلوا) يعنى عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) يعنى باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله ان يخفف عنكم) يعنى ليسهل عليكم احكام الشرائع فهو عام فى كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة * وقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) يعنى فى قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف فى اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين * قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) يعنى بالحرام الذى لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه فى المعاصى واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه

اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشدّ بأسا واشدّ تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كلّ شئ مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها اوردّوها انّ الله كان على كلّ شئ حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم فى المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اوجاؤكم حصرت صدورهم

وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة * وقوله تعالى (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا ههنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار مالم يتفرقا لما روى عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الآخر فان خير احدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم) اى لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع الالا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهى للانسان عن قتل نفسه (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله يتردى التردى هو الوقوع من موضع عال الى اسفل * قوله يتوجأ يقال جأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها اى يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فارقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة * وقيل في معنى قتل الانسان نفسه ان لا يفعل شيأ يستحق به القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه * وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل * وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها (ان الله كان بكم رحيما) يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شئ تستوجبون به مشقة او محنة * وقيل انه تعالى امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعني ماسبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات (وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في آية واحدة (وقيل انه يعود الى كل مانهى الله عنه من اول السورة الى هنا (عدوانا وظلما) يعني يتجاوز الحد فيضع الشئ في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نصليه نارا) اى ندخله في الآخرة نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) اى هينا لانه تعالى قادر على مايريد * قوله عزوجل (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) اجتناب الشئ المباعدة عنه وتركه جانباه والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته * وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكبائر * فمن ذلك ماروى عن ابي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة

ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله

الزور اوقول الزور وكان متكئا فجلس فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه فى الصحيحين (ق) عن انس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور اوقال شهادة الزور (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفى رواية ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذى يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل اوامه فيسب اباه اوامه وفى رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبدالله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر اسبع هى قال هى الى السبعمائة اقرب وفى رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيأ منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام اوجاحدا فريضة اومكذبا بقدر * وقال على بن ابى طالب كل ذنب ختمه الله بنار اوغضب اولعنة اوعذاب فهو كبيرة * وقال سفيان الثورى الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى منادمن بطنان العرش يوم القيامة ياامة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى * وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيآت ذنوب اهل السنة * وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيآت الخطأ والنسيان ومااستكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة * وقال السدى الكبائر مانهى الله عنه من الذنوب والسيآت مقدماتها وتوابعها التى يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج اويكذبه لفظ مسلم * وقيل الكبائر الشرك وما يؤدى اليه وما دونه فهو من السيآت فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه هى كل ذنب عظم

عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة) التوفى هو استيفاء الروح من البدن بقبضها عنه وهو على ثلاثة اوجه توفى الملائكة وتوفى ملك الموت وتوفى الله اما توفى الملائكة فهو لاصحاب النفوس وهم اما سعداء اهل الخير والصفات الجيدة والاخلاق الحسنة من الصالحين المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فمعادهم الى جنة الافعال واما اشقياء اهل الشر والصفات الرديئة والاخلاق السيئة فلايقبض ارواحهم الا القوى الملكوتية التى هى للعالم بمثابة قواهم التى هم فى مقامها محتجبون بصفات النفس ولذات القوى الخيالية والوهمية والسبعية

قبعد وعظمت عقوبته اما فى الدنيا بالحدود واما فى الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيئاتكم) يعنى نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة مالم يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولاتكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد فى الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد فى رواية ما لم تغش الكبائر وزاد فى رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر اخرجه مسلم ❊ وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعنى حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر واتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه ❊ قوله عز وجل (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) اصل التمنى ارادة الشئ وتشهى حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لايكون ❊ وقيل التمنى تقدير الشئ فى النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية واكثر التمنى تصور ما لا حقيقة له ❊ وقيل التمنى عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ❊ عن مجاهد عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلمات وكانت ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة اخرجه الترمذى وقال هذا حديث مرسل ❊ وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية ❊ وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء فى الحسنات فى الآخرة فيكون لنا اجرنا على ضعف اجر النساء كما فضلنا عليهن فى الميراث وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا فى الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية ❊ والتمنى على قسمين ❊ احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد فى نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم ❊ القسم الثانى ان يتمنى مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه ايضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة فى حقه فى الدين او الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدرى لعل هلاكك فى ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن امنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم اعطنى ما يكون صلاحا لى فى دينى ودنياى ومعادى ❊ وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) قال ابن عباس يعنى مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين ❊ وقيل هذا الاكتساب فى الاجر يعنى ان الرجال والنساء فى الاجر فى الآخرة سواء لان الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها يستوى فى ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال فى الدنيا على النساء ❊ وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعنى من طاعة الازواج وحفظ الفروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعنى من رزقه ❊ وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل

والبهيمة من الكافرين الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم فمادهم الى النار واما توفى ملك الموت فهو لارباب القلوب الذين برزوا عن حجاب النفس الى مقام القلب ورجعوا الى الفطرة فتنوروا بنورها فتقبض ارواحهم النفس الناطقة الكلية التى هى قلب العالم باتصالهم بها هذا اذا قبض ارواحهم ملك الموت بنفسه اما اذا قبض بأعوانه وقواهم فهم الفريق الاول وقد يقبض بنفسه ويذرهم فى ملكوت العذاب حتى يحاسبوا ويعاقبوا بحسب رذائلهم ويتخلصوا وذلك لكمال العلمى كما خلص من الجهل والشرك وتحلى بالعلم والتوحيد ولكن تراكمت على قلبه الهيئات المظلمة والملكات الرديئة بسبب الاعمال السيئة والاخلاق الذميمة والعلم بالتوحيد والجهل بالمعاد كالموحد المنكر للجزاء فينهمك فى المعاصى كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم واما توفى الله تعالى فهو للموحدين الذين عرجوا عن مقام القلب الى محل الشهود فلم يبق بينهم وبين ربهم حجاب فهو يتولى قبض ارواحهم بنفسه ويحشرهم الى نفسه يوم

لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيأ فى الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله مايكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته * وقيل لما تمنى النساء ان يكن رجالا وان يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وامرهن ان يسألوه من فضله فانه اعلم بمصالح عباده (ان الله كان بكل شئ عليما) يعنى انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل فى الطلب فان الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذى قدر له * قوله تعالى (ولكل) يعنى من الرجال والنساء (جعلنا موالى) يعنى ورثة من بنى عم واخوة وسائر العصبات (مما ترك) يعنى يرثون مما ترك (الوالدان والاقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الموروثون * وقيل معناه ولكل جعلنا موالى اى ورثة مما ترك وتكون ما بمعنى من يعنى من تركهم الميت ثم فسر الموالى فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه واقربوه * والقول الاول اصح لانه مروى عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت ايمانكم) وقرئ عقدت بغير الف مع التخفيف * والمعاقدة المحالفة والمعاهدة * والايمان جمع يمين يحتمل ان يراد بها القسم او اليد او هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل فى الجاهلية ويعاقده فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وارثك وتطلب بى واطلب بك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس فى مال الآخر وكان الحكم ثابتا فى الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم نصيبهم) يعنى اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله * وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفى رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث احدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبنى بهذه الآية ثم نسخ ذلك * وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعنى من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك * فعلى هذا لا تكون منسوخة * وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرأ على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة فى حجر ابى بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرؤا والذين عقدت ايمانكم انما نزلت فى ابى بكر وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امره الله ان يؤتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة فى الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ماروى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وايما حلف كان فى الجاهلية

نحشر المتقين الى الرحمن وفدا كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها (ظالمى انفسهم) بمنعها عن حقوقها التى اقتضتها استعداداتهم من الكمالات المودعة فيها (فيم كنتم) حيث قصرتم فى السعى لما قدرتم وفرطتم فى جنب الله وقصرتم عن بلوغ كمالكم الذى هيئ لكم وندبتم اليه (قالوا كنا مستضعفين فى الارض) فى ارض الاستعداد الذى جبلنا عليه باستيلاء قوى النفس الأمارة وغلبة سلطان الهوى بشيطان الوهم اسرونا فى قيودهم وجبرونا على دينهم واكرهونا على كفرهم (قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الم تكن سعة استعدادكم بحيث تهاجروا فيها من مبدا فطرتكم خطوات يسيرة بحيث اذا ارتقت عنكم بعض الحجب انطلقتم عن اسر القوى وتخلصتم عن قيود الهوى وتقويتم بامداد اعوانكم القوى الروحانية ونصرتم بأنوار القلب فخرجتم عن القرية الظالم اهلها التى هى مدينة النفس الى بلد القلب الطيبة فتداركتم رحمة ربكم الغفور (فأولئك مأواهم جهنم) نفوسهم الشديدة التوقان مع حصول الحرمان

لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم * وقوله تعالى (ان الله كان على كل شي شهيدا) قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء * وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين * قوله عز وجل (الرجال قوّامون على النساء) نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء اى متسلطون على تأديب النساء والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها في طاعة الله * والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بامر المرأة ويجتهد في حفظها * ولما اثبت القيام للرجال على النساء بين السبب في ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء * ثم قال تعالى (وبما انفقوا من اموالهم) يعني وبما اعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا احداً ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذي (فالصالحات) يعني المحسنات العاملات بالخير (قانتات) اى مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن في غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره * وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله اى النساء خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية * وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع اعوج وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء * وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب * وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان (واللاتي تخافون) اى تعلمون وقيل تظنون (نشوزهن) اى شرورهن واصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها الزوج ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه * وقيل دلالات النشوز

(وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال) اى اقوياء الاستعداد الذين قويت قواهم الشهوية والغضبية مع قوة استعدادهم فلم يقدروا على قمعها في سلوك طريق الحق ولم يذهبوا لقواهم الوهمية والخيالية فيبطلوا استعداداتهم بالعقائد الفاسدة فبقوا في اسر قواهم البدنية مع تنور استعدادهم بنور العلم وعجزهم عن السلوك برفع القيود (والنساء) اى القاصري الاستعداد عن درك الكمال العلمي وسلوك طريق التحقيق الضعفاء القوى والاحلام الذين قال في حقهم اكثر اهل الجنة البله (والولدان) اى الناقصين القاصرين عن بلوغ درجة الكمال لغيره تلحقهم من قبل صفات النفس (لا يستطيعون حيلة) لعدم قدرتهم وعجزهم عن كسر صفات النفس وقمع الهوى بالرياضة (ولا يهتدون سبيلا) لعدم علمهم بكيفية السلوك وحرمانهم عن نور الهداية الشرعية (فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم) بمحو تلك الهيئات المظلمة لعدم رسوخها وسلامة عقائدهم (وكان الله عفوّا) العفو عن الذنوب ما دامت الفطرة لم تتغير (غفورا) يستر بنور

قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه اولم تجبه اذا دعاها اولم تبادر الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها (فعظوهن) يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتق الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن في المضاجع) يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها * وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش آخر (واضربوهن) يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن * قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه * وقال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه * قوله عوان جمع عانية اي اسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير * والضرب المبرح الشديد الشاق * وقوله (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) اي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم * عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت يارسول الله ماحق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود * قوله ولا تقبح اي لا تقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها اوقال يضاجعها من آخر اليوم * عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زبرت النساء على ازواجهن فرخص في ضربهن فطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود * اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة * قوله زبرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه * والطاف بالشيء الاحاطة به * ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتأديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط * وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا * وبالجملة فالتخفيف بابلغ شيء اولى في هذا الباب * واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب * قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز

صفاته صفات نفوسهم (ومن يهاجر في سبيل الله) اي مقار النفس المألوفة في سبيل طريق الحق بالعزيمة (يجد في الارض مراغما كثيرا) في ارض استعداده مهاجر ومساكن ومنازل كثيرة فيها رغم أنوف قوى نفسه الوهمية والخيالية والبهيمية والسبعية واذلالها (وسعة) وانشراحا في الصدر عند الخلاص من ضيق صفات النفس وأسر الهوى (ومن يخرج) من المقام الذي هو فيه سواء كان مقر استعداده الذي جبل عليه أو منزلا من منازل النفس أو مقاما من مقامات القلب (مهاجرا الى الله) بالتوجه الى توحيد الذات (ورسوله) بالتوجه الى طلب الاستقامة في توحيد الصفات (ثم يدركه الموت) الانقطاع قبل الوصول (فقد وقع أجره على الله) بحسب ماتوجه اليه فان المتوجه الى السلوك له أجر المنزل الذي وصل اليه أي المرتبة من الكمال الذي حصل له ان كان واجر المقام الذي وقع نظر عليه وقصده فان ذلك الكمال وان لم يحصل بحسب السلوك والقدم لكنه اشتاق اليه بحسب القصد والنظر فهي

(اما)

اماعند تحقق النشوز فلابأس بالجمع بين الكل * وقيل انه ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها ويضربها * عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايسئل الرجل فيم ضرب امرأته اخرجه ابوداود (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت ان تجئ فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسي بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملئكة حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع * عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة فلتأته وان كانت على التنور اخرجه الترمذى * اوله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتؤذى امرأة زوجها في الدنيا الاقالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة * وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلاتبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء *وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولاتجنوا عليهن الذنوب *وقيل معناه لاتكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلى في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذى يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين *العلى بالاطلاق الذى يستحق جميع صفات المدح * والكبير هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذى يصغر كل احد لكبريائه وعظمته تعالى * والمعنى ان الله متعال من ان يكلف عباده مالايطيقونه * وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر على ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال * وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فأنتم احق بالعفو عمن جنى عليكم * قوله تعالى (وان خفتم) يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن اى ظننتم (شقاق بينهما) يعني بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المخالفين في شق غير شق صاحبه اويكون اصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين مايشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لاتؤدى الحق ولا الفدية وخرجا الى مالايحل قولا وفعلا * وقوله تعالى (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها) اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين * فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امر الآحاد الامة سواء وجد الامام اولم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا فهذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به * وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل

ان يؤيده التوفيق بعد ارتفاع الحجب بالوصول اليه (وكان الله غفورا) يغفر له مايمنعه من قصده من الموانع (رحيما) يرحمه بان يهب له الكمال الذى توجه اليه ووقع نظره عليه *(واذا ضربتم في الارض) واذا سافرتم في ارض الاستعداد بالطريق العلى لطلب اليقين (فليس عليكم جناح ان تقصروا) من الصلاة اى تنقصوا من الاعمال البدنية واداء حقوق العبودية من الشكر والحضور لقوله عليه الصلاة والسلام من أوتى حظه من اليقين فلايبالى بما انتقص من صلاته وصومه (ان خفتم ان يفتنكم)اى يغويكم ويضلكم (الذين كفروا) اى حجبوا من قوى الوهم والتخيل وشياطين الانس الضالين المضلين لما علم من قوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد(ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى

بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها (ان يريدا اصلاحا) يعنى الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعنى بالصلاح والالفة روى الشافعى بسنده عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ماعليكما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل اما الفرقة فلا قال على كذبت والله حتى تقر بمثل ماافرت به قال الشافعى والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته فى الاقامة على النكاح اوفى المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ماهو الصواب من اتفاق اوطلاق اوخلع * والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما فى ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل اويفتدى حكم المرأة بشئ من مالها * فللشافعى فى ذلك قولان * احدهما انه لايجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الاباذنه ولا لحكم المرأة ان يختلع بشئ من مالها الاباذنها وهو مذهب ابى حنيفة واحد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ماافرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها ومعنى قول على للزوج كذبت اى لست بمنصف فى دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها * والقول الثانى انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح فى ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما فى كتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة فلا يعنى ليست الفرقة فى كتاب الله فقال له على كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة فى كتاب الله بل هى فى كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حالهما فى الوصلة * وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعنى ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق * قوله عزوجل (واعبدوا الله) يعنى وحدوه واطيعوا وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتى به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح (ولاتشركوا به شيأ) يعنى واخلصوا له فى العبادة ولاتجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره اوارادبعمله غيرالله فقد اشرك به ولايكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير اواسمه يعفور فقال يامعاذ هل تدرى ماحق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولايشركوا به شيأ

لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولاجناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم انّ الله اعدّ للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة انّ الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) لتحكم بين الناس اى علم تفاصيل الصفات واحكام تجلياتها بالحق ملتبسا بالعدل والصدق اوقائما بالحق لابنفسك لتكون حاكما بين الخلق (بما اراك الله) من عدله (ولاتكن للخائنين) الذين لايؤدّون امانة الله التى اودعها عندهم فى الازل بما ركز فى استعدادهم من الكمال كمال معرفته وخانوا انفسهم وغيرهم بنهب حقوقهم وصرفها فى غير

وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيأ فقلت يارسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا * قوله هل تدرى ماحق الله على عباده معناه مايستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ * وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيأ ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك على واجب اى متأكد قيامى به * وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذى ترفع لهم به الدرجات فى الجنة * وقوله تعالى (وبالوالدين احسانا) تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعنى براً بهما وعطفا عليهما وانما قرن برّ الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد * واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى فى تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ابوك وفى رواية قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك * قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم برأباك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يارسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر اواحدهما ثم لم يدخل الجنة * قوله تعالى (وبذى القربى) اى واحسنوا الى ذى القرابة وهو ذو رحمه من قبل ابيه وامه (ق) عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأله فى اثره فليصل رحمه * قوله ينسأله فى اثره يعنى يؤخر له فى اجله وعمره * وقوله تعالى (واليتامى والمساكين) اى واحسنوا الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيأ (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر وكالصائم لا يفطر * وقوله تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) اى واحسنوا الى الجار ذى القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قلت يارسول الله ان لى جارين فالى ايهما اهدى قال الى اقربهما بابا منك (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يااباذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفى رواية قال اوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه * ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه * البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله

وجهها (خصيما) يدفع عنهم العذاب وتسليط الله الخلق عليهم بالايذاء ويحتج عنهم على غيرهم او على الله بالاعتراض بأنه لم خذلهم وقهرهم فانهم الظالمون لا حجة لهم بل الحجة عليهم (واستغفر الله) لنفسك بترك الاعتراض والاحتجاج عنهم لنغفر لك لو يشك الذى

صلى الله عليه وسلم يانساء المؤمنات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدى اليها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشئ الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخرة فلايؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا اوليصمت * وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر * وقيل هى المرأة تكون معك الى جنبك * وقيل هو الذى يصحبك رجاء نفعك * عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عندالله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عندالله تعالى خيرهم لجاره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وقوله تعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر المجتاز بك الذى قدانقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه (ق) عن ابى شريح خويلد بن عمر والعدوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وماجائزته يارسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا اوليصمت زاد فى رواية ولايحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولاشئ عنده يقريه به * قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية اى يقرى الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه مايجوز به من منهل الى منهل * وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه مايكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر * وقوله ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه اى يوقعه فى الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك * وقوله تعالى (وماملكت ايمانكم) يعنى المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لايكلفهم ما لايطيقون ولايؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة مايحتاجون اليه بقدر الكفاية * عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة سيئ الملكة اخرجه الترمذى * عن رافع بن مكيث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم اخرجه ابوداود * وله عن على بن ابى طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال رأيت اباذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فاتى الرجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولاتكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه * وقوله تعالى (ان الله لايحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم فى نفسه الذى لايقوم بحقوق الناس (فخورا) الفخور هو الذى يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه * وقيل هو الذى يفتخر على عبادالله بما اعطاه الله من نعمه ولايشكره عليها * وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولايلوى بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر ان رسول الله

ظهر عليك بوجود قلبك وبصفاته (ان الله كان غفورا رحيما ولاتجادل) لهم تأويله من هذا (عن الذين يختانون انفسهم ان الله لايحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس) بكتمان رذائلهم وصفات نفوسهم التى هى معايبهم عنهم (ولايستخفون من الله

صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال فى مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء فى الفدادين من اهل الوبر والسكينة فى اهل الغنم * الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منهما المتكبرون على الناس بهما * قوله عزوجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت فى اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها * وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم * وقال ابن عباس نزلت فى كردم بن زيد وحيى بن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع بن ابى نافع ويحيى بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله عزوجل هذه الآية * وقيل يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل فى كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات * وفى الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعنى اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم * وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر وبخلوا بالمال (واعتدنا للكافرين) يعنى الجاحدين نعمة الله عليهم (عذابا مهينا) يعنى فى الآخرة عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * قوله عزوجل (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) يعنى للفخار والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله تعالى (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معى فيه غيرى تركته وشركه * نزلت هذه الآية فى اليهود * وقيل فى المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق * وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال انه كائن (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعنى من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان * والمعنى من يكن عمله بما سوّل له الشيطان فبئس العمل عمله * وقيل هذا فى الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم فى النار يقرن مع كل كافر شيطان فى سلسلة من النار * ثم وبخهم الله تعالى وغيرهم على ترك الايمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعنى واىّ شئ عليهم واىّ وبال وتبعة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) اى اىّ وبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وابتغاء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعنى لا يخفى عليه شئ من اعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله عزوجل (ان الله لا يظلم مثقال ذرّة)

وهو معهم) بازالتها وقلعها وهو شاهدهم يعلم بواطنهم (اذ يبيتون) اى يقدّرون فى عالم ظلمة النفس والطبيعة (ما لا يرضى من القول) من الوهميات والتخيلات الفاسدة التى يلفقونها فى تحصيل اغراضهم من حطام الدنيا ولذاتها (وكان الله بما يعملون محيطا)

نظم الكلام وماذا عليهم لوآمنوا وانفقوا قال ان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرّة يعني وزن ذرّة وقال ابن عباس الذرّة رأس نملة حمراء وقيل الذرّة كل جزء من اجزاء الهباء الذي يكون في الكوّة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم احدا شيأ من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شئ يعرفه الناس (وان تك حسنة يضاعفها) يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرّة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيآتي بمثقال ذرّة احب اليّ من الدنيا ومافيها (م) عن انس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرّة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مدالبصر ثم يقول اتنكر من هذا شيأ اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ اخرجه الترمذي (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده مامن احد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيام لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما انتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا في اخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر مايكون الى الشمس اصيفر واخيضر ومايكون منها الى الظل

يجازيهم بحسب صفاتهم واعمالهم (هاانتم هؤلاء) ظاهر تمامه (جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ) بظهور صفة من صفات نفسه (او يظلم نفسه ثم يستغفر الله) بنقص شئ من كمالاته التي هي مقتضى استعداده

يكون ابيض فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فارأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا مالم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا فيقولون ربنا اى شئ افضل من هذا فيقول رضاى فلا اسخط عليكم بعده ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديثه وقال بعضهم هذه الآية واردة فى الخصوم ويدل عليه ماروى عن عبدالله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى منادمن عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده اوزوجته او اخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك فى كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول اى رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا فى اعماله الصالحات فأعطوهم منها وان بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة ياربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذى حق حقه وبقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدى وادخلوه بفضل رحمتى الجنة ومصداق ذلك فى كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اى الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة آلهنا فنيت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى سيآته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوى بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبرى عن ابن مسعود فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اى يجعلها اضعافا كثيرة (ويؤت من لدنه) يعنى من عنده (اجرا عظيما) يعنى الجنة والمعنى ويعط من عنده اجرا عظيما يعنى عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره * قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد) يعنى فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى بنبى كل امة يشهد عليها ولها (وجئنابك) يامحمد (على هؤلاء شهيدا) يعنى تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يارسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا مادمت فيهم اوقال ماكنت فيهم شك احدرواته * وقوله تعالى (يومئذ) يعنى يوم القيامة (يود) اى يتمنى (الذين كفروا) يعنى جحدوا وحدانية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعنى فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل (لو تسوى بهم الارض) يعنى لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا ان لن يبعثوا لانهم انما كانوا فى الارض وهى مستوية عليهم وقال الكلبى يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونى ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال ابن عباس

بتقصير فيه وارتكاب عمل ينافيه ثم يطلب من الله ستر تلك الصفة والهيئة الساترة لكماله بالتوجه اليه والتنصل عن الذنب (يجد الله غفورا) يستر ذلك السوء والهيئة المظلمة بنور صفته (رحيما) يهب مايقتضيه استعداده (ومن يكسب خطيئة) بظهور

في رواية عطاء ودّوا لو تسوّى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال اني اجد في القرآن اشياء تختلف عليّ قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامّهم عليّ في المغرب فقرأ قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الآية فعلى هذا ففي المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم ان هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه في الصحيحين * وقوله تعالى (ولا جنبا) يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى

نفسه (او اثما) يمحو ما في استعداده وكسب هيئة منافية لكماله (ثم يرم به بريئا) بان قال حملني على ذلك فلان ومنعني عن طلب الحق فلان وهذا جريمة فلان كما هو عادة المتعللين بالاعذار (فقد احتمل بهتانا) بنسبة فعله الى الغير اذ لو لم يكن في نفسه ميل

المصدر الذى هو الاجناب واصل الجنابة البعد سمى الذى اصابته الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الاعابرى سبيل) العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر * واختلف العلماء فى معنى قوله الاعابرى سبيل على قولين * احدهما ان المراد بالعبور هو العبور فى المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولاماء عندهم ولا ممر لهم الا فى المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لاتقربوا المسجد وأنتم جنب الامجتازين فيه اما للخروج منه اوللدخول فيه مثل ان يكون قدنام فى المسجد فاجنب فيجب الخروج منه اويكون الماء فى المسجد فيدخل اليه اويكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراسانى والنخعى والزهرى واليه ذهب الشافعى واحمد * القول الثانى ان المراد من قوله الاعابرى سبيل المسافرون والمعنى لاتقربوا الصلاة وأنتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون فى سفر ولاماء معه فيتيمم ويصلى الى ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول علىّ وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابرى السبيل المسافرين منع الجنب من العبور فى المسجد وهو مذهب ابى حنيفة وصحح ابن جرير الطبرى والواحدى القول الاول * ويدل على صحته وجهان * احدهما ان المسافر الجنب لاتصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لايحتاج الى اضمار شئ * الوجه الثانى ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلايجعل هذا على حكم معاد فى الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعنى الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هى الاغتسال

* (فصل فى أحكام تتعلق بالآية) * اختلف العلماء فى العبور فى المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعى ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب الرأى وقال قوم يتيمم للعبور فى المسجد * واختلف العلماء فى المكث فى المسجد أيضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم وقالوا لايجوز للجنب المكث فى المسجد بحال لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شارعة فى المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيأ رجاء ان تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لااحل المسجد لحائض ولا جنب اخرجه ابوداود * وجوّز احمد المكث فى المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزنى من اصحاب الشافعى وأجاب احمد عن حديث عائشة بانه فى رواته مجهول وقال عبد الحق لايثبت من قبل اسناده * واستدل احمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون فى المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن منصور فى مسنده * واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روى عن ام سلمة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لايحل لجنب ولا حائض

لما يغنيا ذكاله ومناسبة لمن وافقه واطاعه لماقبل ذلك منه فما كان الامن قبل نفسه كما قال لهم الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم اذلو لم يكن فى نفوسهم ظلمة تكسبها

اخرجه ابن ماجه* ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة * ويدل على ذلك ايضا ماروى عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شيء ليس الجنابة اخرجه ابوداود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال مالم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيأ اخرجه الدار قطني* ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق اوبايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل * ويدل على ذلك ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لاغسل عليه قالت ام سلمة والمرأة ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه ابوداود والترمذي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل * وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض واراد به المرض الذي يضر معه امساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه جراحة او به قروح يخاف من استعمال الماء التلف اوزيادة الوجع فانه يتيم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح تيمم للجريح في الوجه واليدين لما روى عن جابر قال خرجنا في سفر نا فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا مانجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الاسألوا اذالم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر اوقال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده أخرجه ابوداود والدارقطني* ولم يجوز اصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتيمم قالوا اذا كان اكثر اعضائه اوبدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم* والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم * قوله تعالى (اوعلى سفر) يعني اوكنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلي ولا اعادة عليه لما روى عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياباذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوذر فسكت فقال ثكلتك أمك ياباذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولوالى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابوداود* العس قدح من فخار يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال *اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي* وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه* وقال ابوحنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء * وقوله تعالى (اوجاء احدمنكم من الغائط) الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به

وظهور صفاتهم لم يكن فيهم محل لوسوسته وقابلية لدعوته (والمامبينا) ظاهرا متضاعفا لتركبه من هيئة الخطيئة والامتناع من الاعتراف ونسبة التقصير الى انفسهم لتنكسر فتضعف من الاستيلاء على القلب وحجبه عن الكمال (ولولا فضل الله عليك) اى توفيقه

من الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشئ باسم مكانه * وقوله تعالى (اولامستم النساء) قرئ هنا وفي سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير الف واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين * احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حيى كريم يكنى عن الجماع بالملامسة * والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الاجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراءة من قرأ اولامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لاتدل على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال ابو عبيدة في معناها هي ان يقول اذا لمست ثوبي اولمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى اولامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

* (فصل في احكام تتعلق بالآية) * وفيه مسائل *(المسئلة الاولى) اذا افضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته اوجسها بيده فعليه الوضوء اخرجه مالك في الموطأ قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا * ويدل عليه ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة من هي الا انت فضحكت اخرجه ابوداود * واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذي انه لايصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لاشئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة * وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار * وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري * واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين * واجاب من اوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حائل * (المسئلة الثانية) * اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثاني انه ينتقض الوضوء به * ومأخذ القولين عند اصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الآية في قوله اولامستم النساء او النظر الى المعنى في

النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض * وفى الملموس قولان والملموس هو الذى لا فعل منه فى المباشرة رجلا كان اوامرأة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة * فأحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثانى انه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدى على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة اوسنها اوظفرها فلا وضوء عليه * (المسئلة الثالثة فى الحدث) * وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط او اثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك فلا تصح صلاته مالم يتوضأ او يتيمم عند عدم الماء لما روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ فقال رجل من اهل حضرموت ما الحدث ياابا هريرة قال فساء اوضراط اخرجاه فى الصحيحين * اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقئ ونحوها * فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعى لما روى عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه اخرجه الدارقطنى * وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى واحمد واسحق واتفق هؤلاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ماروى عن معدان بن ابى طلحة عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان فى مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذى وقال هو اصح شئ فى هذا الباب * (المسئلة الرابعة) * من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون اواغماء اونوم لما روى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السنة فمن نام فليتوضأ اخرجه ابوداود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ماروى عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن اخرجه ابوداود * وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابى هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحق والمزنى * وذهب قوم الى انه لو نام قائما اوقاعدا اوساجدا وهو فى الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى لما روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث * (المسئلة الخامسة) * من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه اوغيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابى وقاص وابى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعى والشافعى واحمد واسحق

غير ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا لمس ببطن الكف * والرجل والمرأة في ذلك سواء * ويدل على ذلك ماروى عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولابي داود والنسائي نحوه * وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ اخرجه ابن ماجه وصححه احمد وابو زرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل * وذهب قوم الى ان مس الذكر لايوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وابي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الرأي * واحتجوا بما روى عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوي فقال يانبي الله ماترى في مس الرجل ذكره بعدما توضأ قال هل هو الا مضغة اوقال بضعة منه اخرجه ابوداود وللترمذي والنسائي نحوه بمعناه * واجاب من اوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة وهو يبني المسجد وابوهريرة من آخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوى عند اهل الحديث * وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ماروى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء اخرجه مسلم * وكان سبب بدء التيمم ماروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى ابي بكر الصديق فقالوا الاترى الى ماصنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابوبكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني ابوبكر وقال ماشاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الامكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو احد النقباء ماهي بأول بركتكم ياآل ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين * قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد * وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة * وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه * قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ماقبله والمعنى اوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعني فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولابغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر بالماء فاذا اعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم

وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى * وقال ابو حنيفة لايجب عليه الطلب للصلاة الثانية * حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلابد في كل مرة من سبق الطلب * واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه اوعطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء * وقوله تعالى فتيموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيمت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة * واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوى من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبال أكان في الموضع تراب اولا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد قال لا يقع اسم الصعيد الاعلى تراب ذي غبار فأما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب اومدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد * قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وابو عبيد في انه التراب * وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب * واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مماله غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب * من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا مالا ينبت ليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتأتى ذلك في الصخر الذي لاتراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما اشبهه * وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ماهو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لاغبار عليها صح تيممه عندهم * واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اى اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا * واجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض * قالوا ولما روى عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا * واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ماتقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل * وجوّز بعضهم التيمم بكل ماهو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ماتصاعد على الارض * واجيب عنه بما تقدم من الادلة * وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضوء * واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد

فذهب اكثر اهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين* وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولايجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين* ويدل على ذلك ماروى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقى ولم يضعفه وروى الشافعى عن ابراهيم بن محمد عن ابى الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علىّ حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علىّ *هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبدالرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج فى الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابى جهيم بن الحرث فقال ابوجهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبى صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابى داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر فى حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل فى سكة من سكك المدينة فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدخرج من غائط اوبول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى فى السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعنى ان ارد عليك اوّلا الا انى لم اكن على طهر وفى رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا اجود مافى هذا الباب فان البيهقى اشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعنى مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لايصح مالم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبى صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولوكان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهرى الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ماروى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والآباط ثم بطون ايديهم اخرجه ابوداود* وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علىّ وابن عباس وبه قال الشعبى وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعى ومالك واحمد واسحق وداود الظاهرى* واحتجوا بماروى عن عمار بن ياسر قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة فاجنبت فلم اجد الماء فتمرغت فى الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفى رواية ان تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه اخرجاه فى الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع فى حد السرقة وقال ابواسحق الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح فى التيمم هو الكف قال ان حد

اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذى في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذى في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق * واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

*(فصل) * واركان التيمم خمسة * الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار * الثانى قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان * الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين * الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوى استباحة الفرض والنفل * الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب * ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتى فرض بتيمم واحد وهو قول علىّ وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلى به ماشاء من الفرائض مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهرى والثورى واصحاب الرأى واتفقوا على انه يجوز ان يصلى بتيمم واحد ماشاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل اوجدار اونحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند ابى حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدوّ اوسبع يمنعه من الذهاب اليه اوكان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلى ولا اعادة عليه والله اعلم * وقوله تعالى (ان الله كان عفوّا) يعنى يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا) ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادة وييسرها عليهم لان من كانت عادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها كان اولى بان يرخص للعاجزين امر العبادة * قوله عز وجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما وعاباه فانزل الله تعالى الم تر يعنى الم ينته علمك يامحمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعنى اعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوّة موسى من التوراة وانكروا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى بمن التى هى للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يعنى يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضمار يعنى يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعنى اليهود (ان تضلوا السبيل) يعنى عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكى يجتنبوا

الاسلام (والله اعلم باعدائكم) يعني انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه مافي قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يامعشر المؤمنين فلا تنصحوهم فانهم اعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعني متوليا امركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره احد (وكفى بالله نصيرا) يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق عاقبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم) اى يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بامر قالوا في الظاهر سمعنا وقالو في الباطن عصينا وقيل انهم يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في انفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ماتدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترتضيه (وراعنا) اى ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اى اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لايخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بالسنتهم وطعنا في الدين) اصله لويا لانه من لويت الشئ اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم ومافي قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا) يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا (واسمع) يعني بدل قولهم لاسمعت (وانظرنا) يعني بدل قولهم راعنا اى انظر الينا (لكان خيرالهم) يعني عندالله (واقوم) يعني اعدل واصوب (ولكن لعنهم الله) يعني طردهم وابعدهم من رحمته (بكفرهم) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني فلا يؤمن من اليهود الانفر قليل مثل عبدالله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم * قوله تعالى (يا أيها الذين اوتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبدالله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يامعشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جئتكم به لحق قالوا مانعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله هذه الآية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس ههنا وجهين * احدهما ان يحمل على حقيقته * والثانى ان يحمل على مجازه * امامن حمله على الحقيقة فقال هو

محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين (فنردّها على ادبارها) يعني نجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء وقيل ندبرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة * واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها * وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز * وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشأم من حيث جاؤا وهو اجلاء بني النضير * فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم لم يفعل بهم ذلك * قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروى ان عبدالله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يارسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يارب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لايؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط * وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة * وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس اوباللعنة وهو قوله تعالى (اونلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) اى نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم * وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة * والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله تعالى ياأيها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها فنردها ونلعن اصحاب الوجوه فجعل الكناية في قوله اونلعنهم عن ذكر اصحاب الوجوه اذا كان في الكلام دلالة عليهم * وقوله تعالى (وكان امر الله مفعولا) يعني لابد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لايمتنع عليه شئ يريد ان يفعله * وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والامر هنا في موضع المأمور سمى امرا لانه عن امره كان * قوله عز وجل (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبرى معناه ياأيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * فعلى هذا يكون في الآية دلالة على ان اليهودى يسمى مشركا في عرف الشرع * وقيل ان الآية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ماصنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لايدعون مع الله آلها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله آلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم

فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لانعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لانكون من اهل المشيئة فنزلت قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عنى فلحق بالشام فكان به الى ان مات * وقيل لما نزلت قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يارسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لايغفر لمشرك مات على شركه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء يعنى ويغفر مادون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والآثام * فى الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم ادخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لمادون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد فى النار لقوله ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وفى الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لايجوز فى الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة * وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل مايشاء لامكره له ولاحجر عليه * ويدل على ذلك ايضا ماروى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب ياامير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيأ الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو فى النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيأ من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيأ فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس انى لارجو له كما انه لاينفع مع الشرك عمل كذلك لايضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر * عن على بن ابى طالب قال مافى القرآن احب الى من هذه الآية ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الموجبتان قال من مات لايشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعنى يجعل معه شريكا غيره (فقد افترى) اى اختلق (اثما عظيما) يعنى ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه * قوله عز وجل (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) نزلت فى رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ومانحن الا كهيئتهم ماعملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وماعملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهى صفة فى الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى فلا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكى من يشاء ويدخل فى هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح او وصفها بزكاء العمل او بزيادة الطاعة والتقوى او بزيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الاشياء لايعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكياء لانهم برؤا انفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكى من يشاء) فيجعله زاكيا (ولا يظلمون فتيلا) يعنى ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم * وقيل معناه ان الذين زكاهم الله

وامداده لسلوك طريقه بمايخرج كمالك الى الفعل ويبرز مافيك كامنا من العلم (ورحمته) هبته لذلك الكمال المطلق الذى اودعه فيك فى الازل وهى الرحمة التى ليس وراءها رحمة (لهمت طائفة منهم ان يضلوك ومايضلون الا انفسهم) لكون الضلال

لاينقصون من ثواب طاعتهم شيأ* والفتيل المفتول وسمى مايكون فى شق النواة فتيلا لكونه على هيئته* وقيل الفتيل هو ماتفتله بين اصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل فى الشئ الحقير الذى لاقيمة له (انظر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم انظر يامحمد الى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعنى قولهم انهم لاذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم (وكفى به) اى بذلك الكذب (اثمامبينا) * قوله عزوجل (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت فى كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على النبى صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابى سفيان فأحسن مثواه ونزل باقى اليهود على قريش فى دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فأينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال ابوسفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر يعنى يامحمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعنى كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى سجودهم للصنمين* واختلف العلماء فيهما. فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى. وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش . وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها ويكلم الناس فيغترون بذلك. وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر* عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابوداود* وقال الطرق الزجر والعيافة الخط* وقيل العيافة هى زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا اخذ ذات اليمين مضى فى حاجته واذا اخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك . والطرق هو ضرب الحجارة والحصا على طريق الكهانة فنهوا عنه . والطيرة هو ان يتطير بالشئ فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير* وقيل الجبت كل ماحرم الله تعالى والطاغوت كل مايطغى الانسان . وقيل الجبت هو حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود (ويقولون) يعنى كعب بن الاشرف واصحابه (للذين كفروا)يعنى لكفار قريش(هؤلاء) يعنى انتم ياهؤلاء (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعنى طريقا(اولئك الذين لعنهم الله) يعنى كعب بن الاشرف واصحابه (ومن يلعن الله) يعنى يطرده من رحمته (فلن تجد له نصيرا)يعنى ينصره * قوله تعالى (ام لهم نصيب من الملك) هذا استفهام انكار يعنى ليس لهم من الملك شئ البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك

ناشئا من اصل استعدادهم لكونهم مجبولين على الشقاوة ازلا فكيف يرجع ذلك الضلال المجبول فيهم الى غيرهم (ومايضرونك من شئ وانزل الله عليك الكتاب) اى العلم التفصيلى التام بعد الوجود الموهوب (والحكمة) وعلم احكام التفاصيل وتجليات

(والنبوة)

والنبوة فكيف نتبع العرب فأكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم (فاذا لايؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلايؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل فى هذه الآية ووصفهم بالجهل فى الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد فى الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهى حاصلة فيهم * والنقير هو النقطة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل فى الشئ الحقير التافه الذى لاقيمة له * قوله عز وجل (ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) اصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعى فى زوالها وصف الله اليهود بشر خدلة وهى الحسد * والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة مالايجتمع مثله فى جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعنى انه يقوم مقام امة * وقيل المراد بالناس النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب * وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعنى انه قد حصل فى اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة المعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لاتحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم فى حق داود وسليمان بكثرة النساء فان كان لداود مائة ولسليمان الف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الاتسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا فى حقهم ولا نقصا فى نبوتهم فلا يكون مستبعدا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا فى نبوته (فمنهم) يعنى من اليهود (من آمن به) اى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله بن سلام واصحابه (ومنهم من صد عنه) اى اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعنى وكفى فى عذاب من لم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم سعيرا * قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عز وجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما انزلت على رسولى محمد من آياتى الدالة على توحيدى وصدق رسولى محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اى ندخلهم نارا نشويهم فيها (كلما نضجت جلودهم) يعنى احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعنى غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروى ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ اعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل فى كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوى بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين الف مرة (ق) عن ابى هريرة يرفعه ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع

الصفات مع العمل به (وعلمك مالم تكن تعلم) لانه علم الله لايعلمه الاهو فلما كشف لك عن ذاته بفنائك فيه ثم ابقاك بالوجود الحقانى فصار قلبك وجهك بحجاب ذلك القلب علمك علمه اذ الصفة تابعة للذات (وكان فضل الله عليك) فى اظهار هذا الكمال عليك بالتوفيق

(م) عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ
جلده مسيرة ثلاثة ايام * فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن فى الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد
الاوّل فى كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمى خاتما غيره
فالثانى هو الاوّل غير ان الصناعة بدلت الصفة * وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهى النفس
التى عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر فى كل ساعة من الجلود مالا يحصى
لتحترق ويصل الالم اليه * وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما
نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت
وفى فنائها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد
احد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل * وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج
من لحمه جلدا * وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تألم لتكون زيادة فى عذابهم كلما
احترق جلد بدلهم جلدا غيره * وقوله تعالى (ليذوقوا العذاب) اى انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا
الم العذاب وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذى نالوه اخبارا
بان احساسهم به فى كل حال كاحساس الذائق فى تجديد وجدان الذوق من غير نقصان فى الاحساس
(ان الله كان عزيزا) يعنى فى انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شئ ولا يمتنع عليه احد (حكيما)
يعنى فى تدبيره وقضائه لا يفعل الا ما هو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم)
يعنى سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) يعنى باقين فيها (ابدا)
يعنى ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعنى فى الجنات (ازواج مطهرة) يعنى مطهرات
من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) يعنى كنينا ذلك الظل لا تنسخه
الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة * فان قلت اذا لم يكن فى الجنة شمس يؤذى
حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل * قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب
فى غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا * قوله عز وجل (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) قال البغوى
نزلت فى عثمان ابن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم
مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح
فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى
علىّ بن ابى طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى
فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل
الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يردّ المفتاح الى عثمان ويعتذر
اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال علىّ لقد انزل الله عز وجل فى شأنك
قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح
معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة فى اولادهم الى يوم القيامة * قلت وفيما ذكره
البغوى رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه
المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة

للعمل الذى اوصلك الى
ما لو صلك (عليها لا خير
فى كثير من نجواهم) فانها
فضول والفضول يجب
تركها على السالك كما قال
عليه الصلاة والسلام من
حسن اسلام المرء تركه
لا يعنيه (الا من امر) اى
الا نجوى من امر (بصدقة)
اى بفضيلة العطاء التى هى

في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه * ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك * فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يأمركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة * وقيل الخطاب في قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم * وقيل ان الآية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان * وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام * القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شئ حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر انواع العبادات * القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه من سائر اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك * القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعواري الى اربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك ايضا عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانة التي امر الله عز وجل بادائها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن انس قال فلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له * وقوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) يعني وان الله يأمركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له * واصل

من باب الشفقة (او معروف) قولي كتعليم علم وحكمة من باب فضيلة الحكمة اوفعلي كاغاثة ملهوف واعانة مظلوم من باب الشجاعة (او اصلاح بين الناس) من باب العدالة (ومن يفعل ذلك) اي يجمع بين الكمالات المذكورة (ابتغاء مرضاة

العدل هو المساواة فى الاشياء فكل ماخرج عن الظلم والاعتداء سمى عدلا قال بعض العلماء ينبغى للقاضى ان يسوى بين الخصمين فى خمسة اشياء فى الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيمالهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لايمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عندالله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتايديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وماولوا عن ابى سعيدالخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذى * قوله تعالى (ان الله نعما يعظكم به) اى نعم الشئ الذى يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) يعنى انه تعالى سميع لماتقولون وبصير بما تفعلون فاذاحكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو بصير فعلكم * قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) (ق) عن ابن عباس قال لما نزل قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم الآية قال نزلت فى عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى اذبعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فاقر بوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قداسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار انى قدامنته وقداسلم فقال خالد اتجير على وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم * واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عزوجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق * واختلف العلماء فى اولى الامر الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولى الامر منكم يعنى واطيعوا اولى الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة الامراء والولاة وهى رواية عن ابن عباس ايضا قال على بن ابى طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب اوكره الاان يؤمر بمعصية الله فان امر بمعصية فلاسمع ولاطاعة (خ) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبدحبشى كأن رأسه زبيبة ماأقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس ايضا * ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولى الامر ابابكر وعمر لماروى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاادرى مابقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر اخرجه الترمذى وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين فى كتابه

الله) لالطلب المحمدة اوالرياء والسمعة فتصير به الفضيلة رذيلة (فسوف نؤتيه اجراعظيما) من جنات الصفات (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لايغفران يشرك به ويغفر

وروى البغوى بسنده من الحسن عن انس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل اصحابى فى امتى كالملح فى الطعام لايصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح * قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق * وقوله تعالى (فان تنازعتم فى شئ) يعنى اختلفتم فى شئ من امر دينكم * والتنازع اختلاف الآراء واصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) اى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته * والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله اخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد * وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول لما لا يعلم * الله ورسوله اعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى افعلوا ذلك الذى امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال * قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لايكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير (واحسن تأويلا) يعنى واحد عاقبة وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويلا منكم له واعظم اجرا * قوله عز وجل (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به) قال ابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فأبى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال اليهودى اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمى اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به اواخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة

مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا) اى نفوسا اذ كل من يشرك بالله فهو عابد لنفسه بطاعة هواها وعابد لشيطان الوهم بقبول اغوائه وطاعته اوكل مايعبد من دون الله لانه ممكن وكل ممكن فهو متأثر

فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل آيتي القصاص وانزل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك * الزعم والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق * وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية يدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي (وقد امروا ان يكفروا به) يعني بالطاغوت ايمان بالله عز وجل (ويريد الشيطان ان يضلهم) يعني عن طريق الهدى والحق (ضلالا بعيدا واذا قيل لهم) يعني للمنافقين (تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) يعني هلموا الى حكم الله الذي انزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واي اعراض وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا * قوله عز وجل (فكيف اذا اصابتهم مصيبة) يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها (بما قدمت ايديهم) يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة (ثم جاؤك) يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك (يحلفون بالله ان اردنا) اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة (وتوفيقا) يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء اولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق (اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) يعني من النفاق (فاعرض عنهم) يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم (وعظهم) يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في انفسهم قولا بليغا) يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول

عن الغير قابل لتأثيره محتاج اليه وهي صفة الاناث (وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) اي غير المخلصين الذين خصوا دينهم بالتوحيد (ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم) بالعادات الفاسدة والاهواء

(بليغ)

بلغ فى نفوسهم كل مبلغ * وقيل معناه فاعرض عنهم فى الملا وقل لهم فى انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اى اغلظ لهم فى القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها فى السر انجع * وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء فى حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم فى احسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار * وقيل احسن الكلام ماقلت الفاظه وكثرت معانيه * وقيل خير الكلام ماشوّق اوّله الى سماع آخره * وقيل لايستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل * المراد بالقول البليغ فى الآية ان يكون حسن الالفاظ حسن المعانى مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه فى القلوب واثر فى النفوس * قوله تعالى (ومارسلنا من رسول) قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى ومارسلنا رسولا (الا ليطاع باذن الله) يعنى بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن فى ذلك وامر به وقيل * معناه بعلم الله وقضائه اى طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يامحمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من ارسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) يعنى الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم اليه (جاؤك) يعنى جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة (فاستغفروا الله) يعنى من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا فى الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك وانهم لاتتحاكم الى غيرك (واستغفر لهم الرسول) يعنى من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره والصديقوا ذا جاؤك فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك صدق نه تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة الرسول الله (لوجدوا الله توابا رحيما) يعنى لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم * قوله عز وجل (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية فى الزبير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير فى شراج الحرة التى يسقون بها النخل فقال الانصارى سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يازبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى ثم قال يارسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب هذه الآية نزلت فى ذلك فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير رأيا اى اراد سعة له وللانصارى فلما احفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب

المردية والافعال الشنيعة المخالفة للعقل والشرع فليبتكنّ آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا اولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا والذين آمنوا) الايمان الحقيق التوحيد لانهم فى مقابلة المشركين (وعملوا الصالحات) مايصلح لهم فى الوصول الى الجمع اويصلح للناس اجمعين بالاستقامة فى الله وبالله بعد الفناء وحصول البقاء (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها

هذه الآية نزلت الا في ذلك * قوله في شراج الحرة * الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء * والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السوده * وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تغير * وقوله فلما احفظ اي اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعني اصل الجدار * وقوله فاستوعى له اي استوفى حقه في صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق * فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها * قال البغوي وروى انهما لما خرجا مرّا على المقداد فقال لمن كان القضاء فال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا اذنبا مرة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت * وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى الطاغوت * وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها * فلا وربك * معناه وربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم * وقيل ان لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه * وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه في بعض واختلط (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت) يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا) يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك في شيء من امرك * وقيل معناه يسلموا ما تحكم به لحكمك * قوله عز وجل (ولو انا كتبنا عليهم) اي فرضنا واوجبنا عليهم * الضمير في عليهم يعود على هؤلاء المنافقين عقوبة بسوء فعلهم وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم) يعني كما كتبنا على بني اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعله الا قليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله * وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي * ومن قال ان الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعني رياء وسمعة والمعنى ان ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو ان كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم * وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول

ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا) الجنات الثلاثة المذكورة (ليس) حصول الموعود (بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب) اي ما بقيتم مع نفوسكم وصفاتها وافعالها فارادتكم مجرد تمن والتمني طلب ما يمتنع وجوده في العادة (ومن يعمل من

صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعني في الدنيا والآخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (واشد تثبيتا) يعني تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما (ولهديناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدي الى الجنة *قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغير لونك فقال يارسول الله مابي مرض ولاوجع غير اني اذا لم ارك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم اني اذا ذكرت الآخرة اخاف لااراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني اخاف ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لااراك ابدا فنزلت هذه الآية *وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يارسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله تعالى هذه الآية *ومن يطع الله يعني في اداء الفرائض واجتناب النواهي* والرسول اي ويطع الرسول في السنن التي سنها* فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة (من النبيين) يعني ان المطيعين مع النبيين في الجنة لاتفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لانهم يكونون في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم *وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لايخالطه فيه شك* والمراد بالصديقين في هذه الآية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي سمي بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد (والصالحين) جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير *وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة* وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن اولئك) يعني المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما احسن اولئك (رفيقا) يعني في الجنة* والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته* وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع *وقيل معناه وحسن كل واحد من اولئك رفيقا (ق) عن انس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت لها قال لاشئ الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشئ اشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم

الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا) اى طريقا (ممن اسلم وجهه) اى وجوده (لله) واخلص ذاته من شوب الانية والاثنينية بالفناء المحض (وهو محسن) مشاهد للجمع في عين التفصيل

وابابكر وعمر وارجوان اكون معهم بحبى اياهم وان لم اعمل باعمالهم * وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ماتقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعنى الذى اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله عليما) يعنى بجزاء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته *وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته *ويدل عليه ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة لفظ البخارى ولمسلم نحوه * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من انفسكم * وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا اسلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم * ولقائل ان يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر * فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانفروا ثبات) اى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (او انفروا جميعا) يعنى او اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم (وان منكم لمن ليبطئن) نزلت فى المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان فى الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا فى حقيقة الايمان *والمعنى وان منكم لمن ليتأخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبدالله بن ابى بن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فان اصابتكم مصيبة) اى قتل وهزيمة (قال) يعنى هذا المنافق (قد انعم الله على) يعنى بالقعود (اذ لم اكن معهم) يعنى مع المؤمنين (شهيدا) يعنى حاضر الوقعة فيصيبنى مااصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) اى فتح وغنيمة (ليقولن) يعنى هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كأنه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر (ياليتنى كنت معهم) فى تلك الغزوة التى غنم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) اى فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة * قوله عز وجل (فليقاتل فى سبيل الله) هذا خطاب للمنافق اى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل الله * وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين اى فليقاتل المؤمنون فى سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة *وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) اى فيستشهد (او يغلب) يعنى يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعنى فى كلا الحالتين الشهادة او الظفر نؤتيه فيهما (اجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه الاجهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانال من اجر وغنيمة لفظ مسلم * قوله عز وجل (ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد فى سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من ايدى الكفار *وفيه دليل على ان الجهاد واجب *والمعنى لاعذر لكم فى ترك الجهاد

مراع لحقوق تجليات الصفات واحكامها سالك طريق الاحسان بالاستقامة فى الاعمال (واتبع ملة ابراهيم) فى التوحيد (حنيفا) مائلا من كل شرك فى ذاته وصفاته وافعاله وعن كل دين باطل اى طريق يؤدى الى اثبات فعل لغيره او صفة او ذات اذ دينه دين الحق اعنى سيره

وقدبلغ حال المستضعفين مابلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد ان قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا * وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين فى ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين * فعلى هذا يكون معنى الآية ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين * وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس فى قوله ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت انا وامى من المستضعفين وفى رواية ابن ابى مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت انا وامى ممن عذر الله انا من الولدان وامى من النساء * فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال * والولدان جمع وليد وهو الصبى الصغير (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم اهلها) يعنى الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم اهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعنى وليا يلى امرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوى * قوله عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) يعنى فى طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) يعنى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) اى فقاتلوا ايها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعى فى الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيده ما كاد المؤمنين به من تحويفه اولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه * وادخال كان فى قوله ضعيفا لتأكيد ضعف كيد الشيطان * قوله عز وجل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة) قال الكلبى نزلت فى عبد الرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص وجماعة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يارسول الله ائذن لنا فى قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فانى لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعنى قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة * وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) اى فرض عليهم جهاد المشركين امروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعنى اذا جماعة من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعنى يخافون مشركى مكة (كخشية الله او اشد خشية) او بمعنى الواو يعنى واشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا

حينئذ سير الى الله لاسير فى الله بسلوك طريق الصفات ولا الى الله بقطع صفات النفس ومناهل صفات القلب فلادين احسن من دينه (واتخذ الله ابراهيم خليلا) بخاله اى بداخله فى خلال ذاته وصفاته بحيث لايذر منها بقية اويسد خلله ويقوم

القتال) يعني لم فرضت علينا الجهاد (لولا اخرتنا الى اجل قريب) يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا * والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لايليق بالمؤمنين * وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) اى قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعني ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) يعني وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تظلمون فتيلا) اى ولا تنقصون من اجوركم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماالدنيا فى الآخرة الامثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه واشار يعني بالسبابة فى اليم فلينظر بم ترجع * قوله عزوجل (اينما تكونوا يدرككم الموت) نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية * وقيل نزلت فى الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لاخلاص لهم من الموت واذا كان لابدلهم من الموت كان القتل فى سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة * ثم بين تعالى انه لابدلهم من الموت وانه لاينجى منه شئ بقوله (ولو كنتم فى بروج مشيدة) البروج فى كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة * وقيل هى المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله) نزلت فى المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونم عنده قدم النبى صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اى خصب فى الثمار ورخص فى السعر يقولوا هذه من عندالله يعني من قبل الله (وان تصبهم سيئة) اى جدب فى الثمار وغلاء فى السعر (يقولوا هذه من عندك) يعني من شؤم محمد واصحابه * وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذى حملتنا عليه يا محمد * فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) اى قل لهم يا محمد (كل من عندالله) يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء منه (فما لهؤلاء القوم) اى فما شأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ماقالوا (لايكادون يفقهون حديثا) يعني لايفقهون معاني القرآن وان الاشياء كلها من الله عزوجل خيرها وشرها * قوله تعالى (ما اصابك من حسنة) يعني من خير ونعمة (فمن الله) يعني من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك (وما اصابك من سيئة) يعني من شدة ومكروه ومشقة واذى (فمن نفسك) يعني فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به * وفى المخاطب بهذا الكلام قولان * احدهما انه عام وتقديره ما اصابك أيها الانسان * والثاني انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبى صلى الله عليه وسلم برئ لان الله عزوجل قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت * ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عزوجل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء

بدل مايغني منه عند تكميله وفقره اليه فالخليل وان كان اعلى مرتبة من الصفي لكنه ادون من الحبيب لان الخليل محب يوشك ان يتوهم فيه بقية غيرية والحبيب محبوب لايتصور فيه ذلك ولهذا القى فى نار العشق دونه (ولله مافى السموات ومافى الارض وكان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لاتؤتونهن ماكتب

خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك اى عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة * وقال الكلبي ما اصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب * وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك * ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية اصابني وانما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيآته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة وما اصبت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابني خير اومكروه واصبت حسنة اوسيئة * وقيل في معنى الآية ما اصابك من حسنة اى النصر والظفر يوم بدر فمن الله اى من فضل الله وما اصابك من سيئة اى من قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعني فبذنوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك * فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فأضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الآية * قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك * وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى * وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله * وقال ابن الانباري في معنى الآية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى * قوله تعالى (وارسلناك للناس رسولا) يعني وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتي وما ارسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك * وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس * وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله * قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد اطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما امر به ونهى فقد اطاع الله يعني ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها * وقال الحسين جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي

لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما

ان كل فريضة فرضها الله فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا اداء شيء من العبادات واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله (ومن تولى) اى اعرض عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا) يعنى حافظا تحفظ اعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله * قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال * قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت فى المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اى امرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) اى خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت * والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذى اعطوك بالنهار من الطاعة * وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم * فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل * وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت فى قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر * وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا فى الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) اى يثبت ويحفظ عليهم (ما يبيتون) يعنى ما يزورون ويغيرون ويقدرون * وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق (فأعرض عنهم) اى لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم فى ضلالتهم فانا منتقم منهم * وقيل لا تغتر باسلامهم (وتوكل على الله) اى فوض امرك الى الله فى شأنهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعنى ناصرا لك عليهم * قوله عز وجل (افلا يتدبرون القرآن) اصل التدبر النظر فى عواقب الامور والتفكر فى ادبارها ثم استعمل فى كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشيء اى نظرت فى عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر فى حكمه وتبصر ما فيه من الآيات * قال ابن عباس افلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان احدا من الخلق لا يقدر عليه * قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * والحجة فى ذلك من ثلاثة اوجه * احدها فصاحته التى عجز الخلائق عن الاتيان بمثلها فى اسلوبه * الثانى اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم وما يأتى فى المستقبل من امور الغيب التى لا يعلمها الا الله تعالى * الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض * وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة * والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة

والبلاغة ثبت انه من عندالله والمعنى أفلايتفكرون فى القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق مايخبربه عن الغيوب انه كلام الله عزوجل وان مايكون من عند غير الله لايخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على مالايقدر عليه غيره عالم بمالايعلمه سواه * قوله تعالى (واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف اذاعوا به) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا اوغلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى هذه الآية واذاجاءهم يعنى المنافقين امر من الامن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنيمة اوالخوف يعنى القتل والهزيمة اذاعوا به اى افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر

اذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار اوقدت بثقوب

(ولو ردوه) يعنى الامر الذى تحدثوا به (الى الرسول) يعنى انهم لم يحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحدث به ويظهره (والى اولى الامر منهم) يعنى ذوى العقول والرأى والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى * وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى اولى الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومايتبغى لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ماينبغى ان يكتم من الامور وماينبغى ان يذاع منها * والنبط الماء الذى يخرج من البئر اول ماتحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لمايخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعانى والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسألة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه * وفى الآية دليل على جواز القياس وان من العلم مايدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه مايدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما * ومعنى الآية ولوان هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغى ان يشاع اويكتم * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعنى ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعنى لبقيتم على الكفر والضلالة (الا قليلا) اختلف العلماء فى هذا الاستثناء والى ماذا يرجع * فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ماعلموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبرى * وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا * فعلى هذين القولين فى الآية تقديم وتأخير * وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى مايليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشئ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وانزال

القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادى ❊ قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه ❊ وفي الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولقد اقتدى به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) اي لعل الله (ان يكف بأس الذين كفروا) يعني لعل الله ان يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان اباسفيان بدا له عن القتال فلم يخرج الى الموعد (والله اشد بأسا) اي اعظم صولة (واشد تنكيلا) يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره ❊ قوله عز وجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان نفسه شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل به ❊ وقيل هي الاصلاح بين الناس ❊ وقيل معنى الآية من يصر شفعا لوتر اصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس ❊ وقيل اراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين ❊ وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) اي ضعف وقيل نصيب (منها) اي من وزرها (وكان الله على كل شيء مقيتا) قال ابن عباس يعني مقتدرا او مجازيا واقات على الشيء قدر عليه قال الشاعر

وذي ضغن كففت الشر عنه ❊ وكنت على اساءته مقيتا

يعني قادرا على الاساءة اليه ❊ وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا وليقضي الله على لسان رسوله ما شاء ❊ وفي رواية كان اذا جاء طالب حاجة اقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا اوذكره ❊ قوله عز وجل (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تفعلة من حيا واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا او في الآخرة ❊ والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الآية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه

بأحسن ما يسلم عليكم به * وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه اتم واحسن واكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (او ردوها) يعني لو ردوا عليه كما سلم عليكم (ان الله كان على كل شيء حسيبا) يعني محاسبا ومجازيا والمعنى إنه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او بأحسن منه مجاز

*(فصل في فضل السلام والحث عليه) * (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف *قوله اي الاسلام خير معناه اي خصال الاسلام خير (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا اولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم* عن عبدالله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح *عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجه

(فصل في احكام تتعلق بالسلام) وفيه مسائل * (المسئلة الاولى في كيفية السلام)* (ق) عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله *قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم *عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي حديث حسن *وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه *وروى ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيأ فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة *ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه *ويشترط ان يكون الرد على الفور فان اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد *(المسئلة الثانية في حكم السلام)* الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل* قال القاضي حسين من اصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا *وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام *ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس او مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب او يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او يتأكد استحبابه* اما الرد على المسلم فقد اجمع العلماء

على وجوبه * ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها اوردوها والامر للوجوب لان فى ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة * فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة كان رد السلام فى حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم اثموا * عن على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزى عن الجلوس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود

(المسئلة الثالثة فى آداب السلام) السنة ان يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير وفى رواية للبخارى قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روى عن ابى امامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام اخرجه ابو داود والترمذى ولفظه قال قيل يارسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذى حديث حسن * ويستحب ان يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روى عن أنس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه فى الصحيحين * وفى رواية لابى داود ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم * واما السلام على النساء فان كن جماعة جالسات فى مسجد او موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روى عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود وفى رواية الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذى حديث حسن * واذا مر على امرأة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هى عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لايخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هى عليه * وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال فى السلام فيسلم بعضهن على بعض *(المسئلة الرابعة فى الاحوال التى يكره السلام فيها)* فمن ذلك لذى يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لايسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمران رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط او البول * ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا * ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الصلاة والاذان والتلاوة * ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مامورون بالانصات للخطبة * ويكره ان يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء

(المسئلة الخامسة فى حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى) اختلف العلماء فيه فذهب اكثرهم الى انه لايجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم فى طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم * واذا سلم يهودى او نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن انس ان يهوديا

اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فردّ عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ماقال قالوا الله ورسوله اعلم سلم يانبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردّوه على فردّوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك اى عليك ماقلت اخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ماروى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا اباالقاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت الم تسمع ماقالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه مسلم * واذا مرّ المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لماروى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذى * قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم الله فى الموت وفى القبور (الى يوم القيامة) يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية فى منكرى البعث (لاريب فيه) يعنى لاشك فى ذلك اليوم انه كائن (ومن اصدق من الله حديثا) يعنى لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لاشك فيها ولاريب * قوله عز وجل (فمالكم فى المنافقين فئتين) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت فى الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يارسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لانقتلهم فنزلت فمالكم فى المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفى الرجال كما ينفى الكير خبث الحديد * وقيل نزلت فى قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون * وقيل نزلت فى ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذى فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا فى تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ مامعهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لاينهى احد الفريقين فنزلت هذه الآية * وقيل نزلت فى قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين * وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق لما تكلم فى حديث الافك ومعنى الآية فمالكم يامعشر المؤمنين فى المنافقين فئتين اى صرتم فى امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا

ان يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبرؤ منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله (والله اركسهم) يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار (بما كسبوا) اي بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق (اتريدون ان تهدوا من اضل الله) هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى اتبتغون ايها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى (ومن يضلل الله) يعني عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى * قوله تعالى (ودوا) يعني تمنى اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعني تكفرون انتم يامعشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) في الكفر (فلا تتخذوا منهم اولياء) يعني من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعني يسلموا او يهاجروا (في سبيل الله) معكم وهي هجرة اخرى * والهجرة على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المؤمنين في اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين مانهى الله عنه بقوله (فان تولوا) يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر (فخذوهم) الخطاب للمؤمنين اي خذوهم ايها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعني اين وجدتموهم في الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) يعني في هذه الحالة (ولا نصيرا) يعني ينصركم على اعدائكم لانهم اعداؤه ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم او ينتمون اليهم او يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجؤن الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ما لهلال * وفي رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم (او جاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم (ان يقاتلوكم) يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم (او يقاتلوا قومهم) يعني من آمن منهم * وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن

الثم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا اوجأ الى معاهد او ترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك لما القى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط ههنا تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعني فان اعتزلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (والقوا اليكم السلم) يعني الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهي قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة * قوله عز وجل (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بالقرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة (يريدون ان يأمنوكم) يعني يريدون باظهار الايمان ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا قومهم) يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعني كلما دعوا الى الشرك (اركسوا فيها) رجعوا الى الشرك وقادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم يعتزلوكم) يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم) اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم (فخذوهم) يعني اسرى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يعني حيث ادركتموهم (واولئكم) يعني اهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هي ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة * قوله تعالى (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ) الآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وابي جهل ابني هشام وهما اخوا عياش بن ابي ربيعة لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتياني به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث ابن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالوا انزل فان امك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه

لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك
خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن زيد من بعد وهاجر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقى الحرث
فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اىّ شئ صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من امرى وامر الحرث ما قد علمت وانى لم اشعر باسلامه حتى قتلته
فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما
كان له سبب جواز قتله * وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل
المؤمن من كل وجه * وقوله تعالى الا خطأ استثناف منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة
* وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد
والخطأ فعل الشئ من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعنى فعليه
اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة الى اهله) اى وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل
الذين يرثونه (الا ان يصدقوا) يعنى الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه
(فان كان) يعنى المقتول (من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اراد انه اذا
كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه
وعليه الكفارة * وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار
واهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث
بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن
بين قومه وبين المسلمين عهد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد (فدية مسلمة
الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعنى انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية
والكفارة (فمن لم يجد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) اى فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا
عن الرقبة (توبة من الله) يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا (وكان الله عليما) يعنى بمن قتل
خطأ (حكيما) يعنى فيما حكم به عليه من الدية والكفارة * (فصل فى احكام تتعلق بالآية) * وفيه
مسائل * (المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل) * قال الشافعى القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه
عمد وخطاء * اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود
التكافؤ او دية حالة مغلظة فى مال القاتل * واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل
مثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية
مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين * واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيا آخر
فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين * ومن صور
قتل الخطأ ايضا ان يقصد رمى مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بأن كان
عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطأ فى الفعل والثانية خطأ فى القصد * (المسئلة
الثانية فى حكم الديات) * فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم
او الدنانير فى قول وفى قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثنا عشر الف درهم * ويدل على ذلك ما روى
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة

(دينار)

دينار او ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتى بقرة وعلى اهل الشاء الفى شاة وعلى اهل الحلل مائتى حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود * فذهب قوم الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى وبه قال مالك والشافعى * وذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثورى واصحاب الرأى ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعى * وذهب قوم الى ان دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثورى واصحاب الرأى وقال قوم دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد * والاصل فى ذلك ماروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النسائى * فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بأن الاصل فى ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمى فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية فى قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة فى بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى لما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا اخذوا الدية وهو ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وماصولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة * وفى رواية اخرى الا ان كل قتيل خطأ العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها اربعون فى بطونها اولادها اخرجه النسائى * وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهرى وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب الرأى * واما دية الخطأ فمخففة وهى اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا فى تقسيمها * فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهرى وربيعة وبه قال مالك والشافعى * وابدل قوم ابناء اللبون ببنات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الرأى * والدية فى قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجانى منها شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة * ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين فى كتب الفقه * ودية اعضاء المرأة على النصف من دية اعضاء الرجل والله اعلم * (المسئلة الثالثة فى حكم

وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله مافى السموات ومافى الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض وكان الله غنيا حميدا * ولله مافى السموات ومافى الارض

الكفارة) * الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امرأة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين * وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه * فنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي واظهر قولي الشافعي لانه افطر مختارا * ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه * فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا ففيه قولان * احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطا والله اعلم * قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله مانعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك لتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بني النجار ارباب فارع
وادركت ثاري واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام اول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعني بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (وغضب الله عليه) يعني لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعني وطرده عن رحمته (واعد له عذابا عظيما) اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم * وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء * وفي رواية اخرى

وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا) بالوقوف مع هوى النفس فماله يطلب اخس الاشياء ويقف في ادنى المراتب (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) الدارين جميعا ان اراده بالفناء فيه لانه

قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لايدعون مع الله آلها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون ومايغنى عنا الاسلام وقدعدلنا بالله وقدقتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش فأنزل الله تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فأمامن دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلاتوبة له اخرجاه فى الصحيحين*وروى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة ومازداد الاشدة وعن خارجة ابن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول انزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق بستة اشهر اخرجه ابوداود والنسائى وزاد النسائى فى رواية بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التى فى الفرقان والذين لايدعون الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة*واراد بالغليظة هذه الآية التى فى سورة النساء وباللينة آية الفرقان *وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها*فقال بعضهم نسختها التى فى الفرقان وليس هذا القول بالقوى لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لاينسخ المتأخر * وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التى فى النساء ايضا وهى قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء *واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج فى الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور فى الآية والنسخ لايدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لايكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الامن تاب*وقال بعضهم ماورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة فى الزجر عن القتل فهو كماروى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لاتوبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قدروى عن ابن عباس مثله *وروى عنه ايضا ان توبته تقبل*وهو قول اهل السنة*ويدل عليه الكتاب والسنة*اما الكتاب فقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا *واما السنة فاروى عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماالموجبتان قال من مات لايشرك بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك به شيأ دخل النار اخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال تبايعونى على ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وفى رواية ولاتقتلوا اولادكم ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولاتعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن اصاب شيأ من ذلك فستره الله عليه فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

* (فصل) * وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد فى النار *واجاب علماء السنة بان الآية نزلت فى كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة*وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا

الوجود المحيط بالكل فلايفوته شئ (وكان الله سميعا) بأحاديث نفوسكم (بصيرا) بنياتكم وارادتكم باعمالكم (ياأيها الذين آمنوا) بالتوحيد العلى وارادة ثواب الدارين (كونوا) ثابتين فى مقام العدالة التى هى اشرف الفضائل (قوامين بالقسط شهداء

وهو مخلد فى النار بسبب كفره وعن ابى مجلز فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هى جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابوداود وقيل ان الخلود لايقتضى التأبيد بل معناه دوام الحالة التى هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لالدوام بقائها واذا ذكر الخلود فى حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذى لاينقطع * اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور فى الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا فى النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت فى احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار * وقيل ان قاتل المؤمن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولان الكفر اعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل من القاتل اولى والله اعلم * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت فى رجل من بنى مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثى فهربوا منه واقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف ان لايكونوا مسلمين فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لااله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة مامعه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لى يارسول الله فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فمازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت انى لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابوظبيان عن اسامة قال قلت يارسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفى رواية عن ابن عباس قال مرّ رجل من بنى سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا ماسلم عليكم الا ليتعوّذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله يعنى اذا سافرتم الى الجهاد * فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذى تقدمون عليه (ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام) يعنى التحية يعنى لاتقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوّذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه مااظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام والانقياد اى استسلم وانقاد لكم وقال لااله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اى لاتقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعنى لست من اهل

(الايمان)

(وفى الهامش)

ء ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) بحقوقها بحيث تكون ملكة راسخة فيكم لايمكن منها صدور جور وميل منكم فى شىء ولاظهور

الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الغزاة فى بلد اوقرية اوحى من العرب شعار الاسلام يجب ان يكفوا عنهم ولايغيروا عليهم لما روى عن عصام المزنى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا اوسرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا اوسمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابوداود والترمذى وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودى اوالنصرانى انا مؤمن لايحكم بايمانه لانه يدعى ان الذى هو عليه ايمان ولوقال لااله الاالله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لايحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذى كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لانه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذى كان عليه من التهود اوالتنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته * وقوله تعالى (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) يعنى تطلبون الغنيمة التى هى من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعندالله مغانم كثيرة) اى غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعندالله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعنى كما كان هذا الذى القى اليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعنى من قبل ان يعزالله دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا الذى قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون فى قومكم بهذه الكلمة فلاتحقروا من قالها ولاتقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمنّ الله عليكم) يعنى بالاسلام والهداية فلاتقتلوا من قال لااله الاالله وقيل معناه منّ عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل منّ عليكم بالتوبة (فتبينوا) اى ولاتعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى فلا تتهاونوا فى القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه * قوله عز وجل (لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال املى علىّ النبى صلى الله عليه وسلم لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها علىّ فقال والله يارسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت علىّ حتى خفت ان ترض فخذى ثم سرى عنه فانزل الله عز وجل غير اولى الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر وفى رواية اخرى لما نزلت لايستوى القاعدون من المؤمنين قال النبى صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله وخلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يارسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول واضافها الى البخارى ومسلم ولم اجدها فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى وفى هذه الآية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لايستوى القاعدون من المؤمنين يعنى لايعدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله

صفة نفس لاتباع هوى فى جذب نفع دنيوى أودفع مضرة (ياايها الذين آمنوا) بالايمان التقليدى (آمنوا) بالايمان التحقيقى اوآمنوا بالايمان العلمى آمنوا بالايمان العينى (بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله

من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله غير اولى الضرر يعني اولى الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ماسرتم مسيرا ولاقطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الاوهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لايستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها * وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين على اولى الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعني كلا من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) يعني الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعني في سبيل الله (على القاعدين) يعني الذين لاعذر لهم ولاضرر (اجرا عظيما) يعني ثوابا جزيلا * ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله ولايقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة مابين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها ابو سعيد فقال اعدها على يارسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وماهي يارسول الله قال الجهاد في سبيل الله (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله اوجلس في ارضه التي ولد فيها فقالوا اولانبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة * فان قلت قد ذكر الله عزوجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه الآية درجات فاوجه الحكمة في ذلك * قلت اما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر واما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولاعذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة * وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم * قوله تعالى (ومغفرة) يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها (ورحمة) يعني رأفة بهم (وكان الله غفورا) يعني لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعني بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته * عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عزوجل قال قال ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعته ارجعته بما

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا) اى تحيروا وترددوا بين جهتي الربوبية العلوية والسفلية لشدة النفاق وغلبة نور الفطرة تارة واستيلاء ظلمة النفس والهوى أخرى لاستواء الحالتين فيهم حتى

(اصاب)

اصاب من اجر اوغنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائى

* (فصل) * اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لاعذر له ولاضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن انفسهم وعن اهليهم وجيرانهم وسواء فى ذلك الحر والعبد والغنى والفقير فيجب على الكافة * وهو فى حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين اوبعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل فى هذا الفرض اعنى فرض الكفاية الفقراء والعبيد * واذا كان الكفار قارين فى بلادهم فعلى الامام ان لايخلى كل سنة من غزاة يغزوهم فيها امابنفسه اوسراياه حتى لايبطل الجهاد والاختبار * والمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لايقعده * ولكن لايفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولوكان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم * قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم) الآية نزلت فى اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعنى ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار * وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع * وفى التوفى هنا قولان * احدهما انه قبض ارواحهم * والثانى حشرهم الى النار فعلى القول الثانى يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار * ظالمى انفسهم يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه فى الصحيحين * وقيل ظالمى انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا فى اى الفريقين كنتم افى فريق المسلمين ام فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعنى عاجزين (فى الارض) يعنى فى ارض مكة (قالوا) يعنى قال لهم الملائكة (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعنى الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله فى قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم (فاولئك) يعنى من هذه صفتهم (مأواهم) يعنى منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعنى بئس المصير مصيرهم الى جهنم * ثم استثنى اهل العذر ومن علم صعفه منهم فقال تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة) يعنى لايقدرون على حيلة ولانفقة ولاقوة لهم على الخروج من مكة (ولايهتدون سبيلا) يعنى ولايعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة (فاولئك) يعنى المستضعفين واهل الاعذار (عسى الله ان يعفو عنهم) يعنى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا اطمع عبدا وصله (وكان الله

استحكمت الهيئات المظلمة وازدادت الحجب ورسخت العقائد الفاسدة والملكات الكاسدة باستيلاء صفات النفس واستعلائها مطلقا فرانت على قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) لمكان الرين الحاجب وفساد جوهر القلب وزوال الاستعداد (ولا ليهديهم سبيلا) الى

عفواً غفورا) قال ابن عباس كنت انا وامى ممن عذر الله يعنى من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين فى الصلاة (ق) عن ابى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف * قوله عز وجل (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعنى يجد فى الارض مهاجرا يعنى ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول الذلة ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم اباله به رغم انفه *ويقوى ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم انفه *وقيل معناه ان الرجل اذا خرج من قومه خرج مراغمالهم اى مغاضبالهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب فى الارض وانشد الزجاج فى المعنى

الى بلد غير دانى المحل * بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة فى معنى المراغمة *وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من ارض الى ارض *وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه *وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومى اى هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعنى فى الرزق *وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى *وقيل يجد سعة فى الارض التى يهاجر اليها *قال ابن عباس لما نزلت الآية التى قبل هذه سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل وانى لاجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجونى فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعنى قبل بلوغه الى مهاجره (فقد وقع اجره على الله) يعنى فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم * قال بعض العلماء ويدخل فى حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذى عمل واتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية انما نزلت فى معرض الترغيب فى الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا (وكان الله غفورا رحيما) يعنى ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا * قوله عز وجل (واذا ضربتم فى الارض) يعنى اذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) اى حرج واثم (ان تقصروا من الصلاة) يعنى من اربع ركعات الى ركعتين وذلك فى صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل

الحق ولا الى الكمال ولا الى الفطرة الاصلية لعدم قبولهم الهداية وصرف عذابهم بالايلام لمكان ستعدادهم فى الاصل (الذين يتخذون الكافرين اولياء) لمناسبتهم اياهم فى الاحتجاب (من دون المؤمنين) لعدم الجنسية (يبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا

القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشئ الى اصله وفسر ابن الجوزى القصر بالنقص ولم اره لاحد من اهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين * احدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين * والقول الثانى ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفى بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود * والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى (ان خفتم ان يفتنكم) يعنى يغتالكم ويقتلكم في الصلاة (الذين كفروا) * ذهب داود الظاهرى الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضى عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد * وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ماروى عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن اخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان امرنا ان نصلى ركعتين في السفر اخرجه النسائى وعن ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لايخاف الارب العالمين فصلى ركعتين اخرجه الترمذى والنسائى واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضى ان عند عدم الخوف لاتحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف مادل عليه القرآن * فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف * قلت انما نزلت الآية على غالب اسفار النبى صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع * وقوله تعالى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة فلعلى بهذا رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل اعداء لانه يستوى فيه الواحد والجمع * (فصل في احكام تتعلق بالآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر * فذهب اكثر العلماء الى ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وابى حنيفة ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفى رواية

وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا

اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر اخرجاه فى الصحيحين * وذهب قوم الى جواز الاتمام فى السفر ولكن القصر افضل روى ذلك عن عثمان وسعد بن ابى وقاص واليه ذهب الشافعى واحمد وهو رواية عن مالك ايضا ويدل على ذلك ماروى البغوى بسند الشافعى عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يارسول الله بابى انت وامى قصرت واتممت وصمت وافطرت قال احسنت ياعائشة وماعاب على اخرجه النسائى وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظة لاجناح انما تستعمل فى الرخصة لافيما يكون حتما واجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد فى صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع *(المسئلة الثانية)* اختلف فى صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هى مقصورة ام غير مقصورة * فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر روى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبدالله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدى وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور فى الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه * وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعى واحمد *(المسئلة الثالثة) * ذهب الشافعى ومالك واحمد والجمهور الى انه يجوز القصر فى كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج اوعمرة اوجهاد اوسفر طاعة ولا يجوز القصر فى سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثورى يجوز ذلك * (المسئلة الرابعة)* اختلف العلماء فى مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر فى قصير السفر وطويله وروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال لى جابر بن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم فانهم لايجوزون القصر فى السفر القصير واختلفوا فى حد الطويل الذى يجوز فيه القصر فقال الاوزاعى مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران فى مسيرة اربعة برد وهى ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحق وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعى فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فتكون ثمانية واربعين ميلا بالهاشمى والميل ستة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثورى وابو حنيفة واهل الكوفة لاقصر فى اقل من ثلاثة ايام

(فصل) قيل قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وان خفتم روى عن ابى ايوب الانصارى انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا فى القرآن كثير يجئ الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر هو فى الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه * قوله عز وجل (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية روى عن ابن عباس وجابر

(ان المشركين)

المنكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) التعززبهم فى الدنيا اوالتقوى عالهم وجاهلهم فلاسبيل الى ذلك وهم قداخطؤا لان العزة كلها صفة من صفات الله تعالى

ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وامهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروى عن ابي عياش المرزوقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر فقوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في اصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعني اذا حان وقت الصلاة واقمها لاصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم (وليأخذوا اسلحتهم) اختلفوا في هؤلاء الذين امرهم الله بأخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير اويؤذي من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعني اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا الى المكان الذي هو في وجه العدو للحراسة (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو (فليصلوا معك) الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح * فان قلت لم ذكر في اول الآية الاسلحة فقط وذكرهنا الحذر والاسلحة * قلت لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة (ودّ الذين كفروا) يعني تمنى الكفار (لو تغفلون) يعني لو وجدوكم غافلين (عن اسلحتكم وامتعتكم) يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشتغلون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم

* (فصل في احكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم

منبع القوى والقدرة له قوة القهر والغلبة للكل فبقدر القرب منه وقبول نوره وقوته والاتصاف بصفاته تحصل العزة فهي بأهل الايمان اولى واهل الحجاب والكفر بالذلة اولى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) لعدم شوقهم

فأقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلة اذا تفيد الشرط* وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة* واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين* ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم* واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت واما العدم عند العدم فغير مسلم* (المسئلة الثانية) * قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة وابلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فيحرسون وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ماروى عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فأتموا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القرآن واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو اما كونه اشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه* وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة الثانية فتصلي مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها روى ذلك عن ابن مسعود

الى الحضور وتغورهم عنه لظلمة استعدادهم باستيلاء الهوى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى

وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر بن السني سمع الزهرى من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذى اخرجاه فى الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا فى مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفى رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فى بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة فى الصحيحين اخذ الاوزاعى واشهب المالكى وهو جائز عند الشافعى ايضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة وهى فى حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضى كالمنفرد فى حكم صلاته * (المسئلة الثالثة) * فيما اذا كان العدو فى ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ماروى عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه وقام الصف المؤخر فى نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذى يليه الذى كان مؤخرا فى الركعة الاولى فقام الصف المؤخر فى نحو العدو فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذى يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبى صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخارى طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعى ومن وافقه فيما اذا كان العدو فى جهة القبلة * (المسئلة الرابعة) * اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومؤن بالركوع والسجود الى اى جهة كانت هذا مذهب الشافعى * ومذهب ابى حنيفة انهم لا يصلون فى هذه الحالة فاذا امنوا قضوا مافاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور اخر مذكورة فى كتب الفقه وليس هذا موضعها والله اعلم * وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) اى ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم فى وضع السلاح فى حال المطر وحال المرض

هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء) لئلا يتعدى اليكم كفرهم واجتنبوهم بالصحبة والمخالطة فانه لا شئ اقوى تأثيرا من الصحبة والميل الى ولايتهم لا يخلو من جنسية بينهم لوجود هوى كامن فيهم وضراوة بسادة

لان السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعنى راقبوا عدوكم ولاتغفلوا عنه امرهم الله بالحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بنى محارب وبنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادى والسماء ترش بالمطر فسال الوادى فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلنى الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك منى الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال ياغورث من يمنعك منى الآن فقال لا احد فقال اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك فقال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير منى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا له ويلك ياغورث مامنعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ماادرى من زلخنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادى فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعنى من عدوكم (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون به * قوله عز وجل (فاذا قضيتم الصلوة) يعنى فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) يعنى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله فى جميع احوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ما انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل احيانه * وقيل المراد بالذكر الصلاة يعنى فصلوا لله قياما يعنى فى حال الصحة وقعودا فى حال المرض وعلى جنوبكم يعنى فى حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأننتم) يعنى فاذا امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمأنينة سكون القلب (فأقيموا الصلاة) يعنى فأتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين فى اوطانكم فأقيموا الصلاة تامة اربعا من غير قصر * وقيل معناه فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) يعنى فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعنى مكتوبة موقتة فى اوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اى حال كان من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا فى الحضر اربع ركعات وفى السفر ركعتين * قوله تعالى (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان اباسفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم فشكوا من الم

ردية تشملهم لايؤمن عليهم الوقوع فى الكفر بغلبة الهوى والنفس (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة ظاهرة فى عقابكم برسوخ الهيئة التى بها تميلون الى ولايتهم بصحبتهم ومجالستهم (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) باعتبار زيادة عذابه وشدة ايلامه

الجراحات فقال الله تعالى ولاتهنوا يعنى ولاتضعفو ولاتتوانوا فى ابتغاء القوم يعنى فى طلب ابى سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة ذلك والزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) يعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ماتكابدون من الوجع والم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فادام لم يكن الالم مانعالهم عن قتالكم فكيف يكون مانعالكم عن قتالهم وكيف لاتصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لايقرون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون اولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) يعنى وتأملون من الله من الثواب فى الآخرة مالا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر فى الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها (وكان الله عليما حكيما) يعنى انه تعالى لايأمركم بشئ الاوهو يعلم انه مصلحة لكم * قوله عز وجل (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وماله بها من علم فقال اصحاب الدرع لقدر اينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودى فأخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن ابيرق زاد فى الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوى وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودى وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين اودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله هذه الآية انا انزلنا اليك يعنى يا محمد الكتاب يعنى القرآن بالحق يعنى بالصدق وبالامر والنهى والفصل (لتحكم بين الناس بما اراك الله) يعنى بما علمك الله واوحى اليك وانما سمى العلم اليقينى رؤية لانه جرى مجرى الرؤية فى قوة الظهور روى عن عمر انه قال لايقولن احدكم قضيت بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهد رأيه لان الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان رأى احدنا يكون ظنا ولايكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحى الالهى والنص المنزل عليه (ولاتكن) يعنى يا محمد (للخائنين خصيما) يعنى ولاتكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له (واستغفر الله) يعنى مما هممت به من معاقبة اليهودى وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا) يعنى لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم (رحيما) يعنى بعباده المؤمنين * (فصل) * وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لولم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه فى قوله ولاتكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودى فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر مايأتيه من الوحى السماوى والامر الالهى فنزلت هذه الآية واعلم رسول

واحراقه لاباعتبار كونه ادون مرتبة اذ تأثير النار فى المنافق أشد وأكثر ايلاما لبقية استعداد فيه واما الكافر الاصلى البهيم فلعدم استعداده لايتالم بعذابه كما يتالم المنافق وان كان اسوا حالا منه واعظم عذابا وهوانا (ولن تجد لهم نصيرا) ينصرهم من عذاب الله

الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودى برئ من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه فى الظاهر من المسلمين فامر الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثانى ان قوم طعمة لما شهدوا زورا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر فى الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح فى شهادتهم بان يقضى على اليهودى بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ فى نفس الامر فامر الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذنبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون الذنوب امته الوجه الرابع ان درجة النبى صلى الله عليه وسلم الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل والسهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم ❊ قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) يعنى ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من اقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة اى فلا تخاصم الخائن ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) يعنى خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودى وهو برئ وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط فى الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق مكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة فى الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى اول مرة ❊ قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة ابن ابيرق (ولا يستخفون من الله) يعنى ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعنى والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شئ من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافيه وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) يعنى يضمرون ويقدرون ويزوّرون فى اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافيه (ها انتم هؤلاء) ها للتنبيه يعنى يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون

لانقطاع وصلتهم وارتفاع محبتهم مع أهل الله (الا الذين تابوا) رجعوا الى الله ببقية نور الاستعداد وقبول مدد التوفيق (وأصلحوا) ما افسدوا من استعدادهم بقمع الهوى وكسر صفات النفس ورفع حجب القوى بالزهد والرياضة (واعتصموا بالله) بالتمسك بحبل الارادة

عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة القتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وعن قومه (في الحيوة الدنيا) وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعني اذا اخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (ام من يكون عليهم وكيلا) يعني محافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل بهم * قوله تعالى (ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه) نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه * وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه * وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوأ يسيء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة * وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك * وقيل معناه ومن يعمل سوأ اي قبيحا او يظلم نفسه برميه لبريء * وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعني من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيما) * ففي هذه الآية دليل على حكمين * احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه عم الكل * والحكم الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب اثما) يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به (فانما يكسبه على نفسه) يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا ايها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فاني لغفار لمن تاب * وهذه الآية نزلت في طعمة ايضا (وكان الله عليما) يعني بسارق الدرع (حكيما) يعني اذا حكم عليه بالقطع * وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة او اثما) قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة * وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به بريأ) يعني ثم يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق * فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريأ * وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريأ (فقد احتمل بهتانا) البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه (واثما مبينا) يعني ذنبا بينا لانه يكسب الاثم آثم وبرميه البريء باهت فقد جمع بين الامرين * قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما اوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعني من

وقوة العزيمة في التوجه اليه (واخلصوا دينهم لله) بافناء موانع السلوك من صفات النفس وازالة خطاء الشرك وقطع النظر عن الغير في السير (فاولئك مع المؤمنين) الموقنين (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) من مشاهدة تجليات الصفات وجنة الافعال (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسوله) يحتجبون عن الحق والدين وعن الجمع والتفصيل (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) بالاحتجاب عن الدين دون الحق والتفصيل دون الجمع فينكرون الرسل لتوهمهم وحدة منافية للكثرة وجعلها منافية للتفصيل وذلك هو ايمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض (ويريدون ان يتخذوا) بين الايمان بالكل جمعا وتفصيلا

والكفر بالكلّ طريقا (أولئك هم الكافرون) المحجوبون (حقا) بذواتهم وصفاتهم فانّ معرفتهم وهم وغلط وتوحيدهم زندقة ليسوا من الدين ولا من الحق فى شئ (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) بهينهم بوجود الحجاب وذل النفس وصفاتها (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم) من الجنات الثلاثة (وكان الله غفورا) يستر عنهم ذواتهم وصفاتهم التى هى ذنوبهم ويحجبهم بذاته وصفاته (رحيما) يرحمهم بتنعيمهم بالجنات الثلاثة وبالوجود الموهوب الحقانىّ والبقاء السرمدى (يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) علما يقينيا بالمكاشفة من سماء الروح (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) لانّ المشاهدة اكبر واعلى من المكاشفة (فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك) بطلبهم

بنى ظفروهم قوم طعمة (ان يضلوك) يعنى من القضاء بالحق وتوخى طريق العدل * وقيل معناه يخطؤك فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه ويبرءه عن السرقة ويرمى بها اليهودى (ومايضلون الا انفسهم) يعنى ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له انه برئ فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم (ومايضرونك من شئ) يعنى انهم وان سعوا فى القائك فى الباطل فانت ماوقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وماخطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك *وقيل معناه ومايضرونك من شئ فى المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لايضره احد (وانزل الله عليك الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى القضاء بهما يعنى واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك فى الشبهات (وعلمك مالم تكن تعلم) يعنى من احكام الشرع وامور الدين * وقيل علمك من علم الغيب مالم تكن تعلم * وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من احوال المنافقين وكيدهم مالم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعنى ولم يزل فضل الله عليك يامحمد عظيما فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ماانزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذى تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من ارادك بسوء ففى هذه الآية تنبيه من الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ماحباه من الطافه وماشمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه * قوله تعالى (لاخير فى كثير من نجواهم) يعنى من نجوى قوم طعمة * وقيل هى عامة فى جميع مايتناجى الناس به والنجوى هى الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ماتفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك اوجهرا وناجيته ساررته * واصله ان تخلو فى نجوة من الارض *وقيل اصله من النجى * والمعنى لاخير فى كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (الا من امر بصدقة) يعنى الا فى نجوى من امر بصدقة * وقيل معناه لاخير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها (اومعروف) يعنى اوامر بطاعة الله ومايجيزه الشرع واعمال البرّ كلها معروف لان العقول تعرفها (او اصلاح بين الناس) يعنى الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ماأذن الله فيه وامر به *عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هى الحالقة اخرجه الترمذى وابوداود * وقال الترمذى ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هى الحالقة لااقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل بن سعد ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن ام مكتوم بنت عقبة بن ابى معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين اوقال بين الناس فيقول خيرا اوينمى خيرا زاد مسلم فى رواية له قالت ولم اسمعه يرخص فى شئ مما يقول الناس الا فى ثلاث يعنى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعنى هذه الاشياء التى ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعنى طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك

(لقوله)

لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث (فسوف نؤتيه) يعني في الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (اجرا عظيما) لاحد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله ❁ قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان* واصله من المشاقة وهي كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته مايدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وماهم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ماتولى) اي نكله في الآخرة الى ماتولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلي وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعني وبئس المرجع الى النار* روى ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين* وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا* وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة ❁ قوله عز وجل (ان الله لا يغفر ان يشرك به) نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات مشركا* وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله عز وجل وماتوهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك (ويغفر مادون ذلك) يعني مادون الشرك (لمن يشاء) يعني لمن يشاء من اهل التوحيد* قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر مادون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه* فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك* قلت فائدة ذلك التأكيد اولا ان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على الشرك ❁ قوله عز وجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت في اهل مكة يعني مايعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيأ فقد دعاه لحاجته* وفي قوله اناثا اقوال* احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسماء الاناث فيقولون

المشاهدة مع بقاء ذواتهم اذ وجود البقية عند المشاهدة وضع الشيء في غير موضعه وطلب المشاهدة مع البقية طغيان من النفس ينشأ من رؤيتها كمالات الصفات لنفسها وذلك ظلم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا بالحجة عليهم بعد الافاقة (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به) رفع عيسى عليه السلام اتصال روحه عنه المفارقة عن العالم السفلي بالعالم العلوي وكونه

اللات والعزى ومنات قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بنى فلان * والقول الثانى اناثا يعنى امواتا قال الحسن كل شئ لا روح فيه كالحجر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبنى وهذه الدراهم تنفعنى ولان الانثى ازل درجة من الذكر والميت ازل درجة من الحى كما ان الموت ازل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات * والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله (وان يدعون) اى وما يعبدون (الا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل فى جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا * وقيل هو ابليس لانه اغواهم واغراهم على عبادتها واطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة * والمريد والمارد هو المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة (لعنه الله) اى ابعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعنى ابليس (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعنى حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه (ولاضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شئ قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولامنينهم) قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبى امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث * وقيل امنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصى * وقيل ازين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان * وقيل امنيهم طول البقاء فى الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يعنى يقطعونها ويشقونها وهى البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسوّل لهم ابليس ان هذا قربة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعنى دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال * وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التى فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه * وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن مسعود * ولهما عن اسماء قالت لعن النبى صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره انس اخصاء الغنم وجوّزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق اخرجه مالك فى الموطا ومعناه فى ترك الاختصاء نماء الخلق يعنى زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء فى حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) يعنى يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولى من الموالاة وهو الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهى غاية الخسران

فى السماء الرابعة اشارة الى انّ مصدر فيضان روحه وروحانية تلك الشمس الذى هو بمثابة قلب العالم ومرجعه اليه وتلك الروحانية نور محرّك ذلك الفلك بمعشوقيته واشراق اشعته على نفسه المباشرة لتحريكه ولما كان مرجعه الى مقرّه الاصلىّ ولم يصل الى الكمال الحقيقىّ وجب نزوله فى آخر الزمان بتعلقه ببدن آخر وحينئذ يعرفه كلّ احد فيؤمن به اهل الكتاب اى اهل العلم العارفين بالمبدا والمعاد كلهم عن آخرهم قبل موت عيسى بالفناء فى الله واذ آمنوا به يكون يوم القيامة اى يوم بروزهم عن الحجب الجسمانية وقيامهم عن حال غفلتهم ونومهم الذى هم عليه الآن (قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) شاهدهم بتجلى عليهم الحق فى صورة كما اشير اليه (فبظلم) عظيم (من الذين هادوا) اى بعباداتهم عجل النفس واتخاذه الها وامتناعهم عن دخول القرية التى هى حضرة الروح واعتدائهم فى السبت بمخالفة الشرع والاحتجاب عن كشف توحيد الافعال ونقضهم

*بقى فى الآية سؤالان * الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشئ المقدر القليل وقال فى موضع آخر لاحتنكن ذريته الاقليلا وقال لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع *فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المسلمين فى العدد لكنهم اقل من المؤمنين فى الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة فى الدنيا وعلو الدرجة فى الآخرة وانشد بعضهم فى هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة * والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ماأراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه اهلا ولهذه اهلا قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعنى الذين هم اهل النار * السؤال الثانى من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامنينهم ولآمرنهم وقال فى الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال فى بنى اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا *فالجواب من ثلاثة اوجه *احدها ان ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التى يريدها منهم فحصل له ماظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه* الوجه الثانى قال ابن الانبارى المعنى لاجتهدن ولاحرصن فى ذلك لانه كان يعلم الغيب *الوجه الثالث قال الماوردى من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلائق لايؤمنون* وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم) يعنى الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم مايوقع فى قلب الانسان من طول العمر ونيل ماأراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لايلتفت الى شئ منها فرب من لم يطل عمره ولم يحصل له ماأراد منها وان طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ماهو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأن لاجنة ولانار ولابعث فاجتهدوا فى تحصيل اللذات الدنيوية (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) يعنى باطلا وضلالا (اولئك) يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعنى مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولايجدون عنها) يعنى عن جهنم (محيصا) يعنى مفرا ومعدلا يعنى لايعدلون عنها الى غيرها ولابد لهم من ورودها والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (ابدا) بلا انتهاء ولاغاية* والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لاانقطاع له ولايتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لايقال ابد كذا كما يقال زمن كذا* وفى قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود لايفيد التأبيد والدوام لانه لوافاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لاعلى الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذى لاينقطع* وقوله عزوجل (وعد الله حقا) يعنى وعد الله ذلك الذى ذكر وعدا حقا (ومن اصدق من الله قيلا) يعنى ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا * قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولااماني اهل الكتاب) الامنية افعولة من التمنية والتمنى تقدير شئ فى نفس وتصويره فيها* والامنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشئ اذا وقع فى نفسه واراده

ميثاق الله واحتجابهم عن تجليات الصفات الذى هو كفرهم بآيات الله والانغماس فى الرذائل كلها كقتل الانبياء والافتراء على الله بكون قلوبهم غلفا اى مغشاة بحجب خلقية لاسبيل الى رفعها وبهتانهم على مريم وادعائهم قتل عيسى عليه السلام من الخصال التى اجتماعها ظلم لايعرف كنهه (حرمنا عليهم طيبات) جنات النعيم من تجليات الافعال والصفات وشهود الذات التى هى طيبات لايعرف كنهها (احلت لهم) بحسب قابلية استعدادهم لولا هذه الموانع (وبصدهم) الناس بصحبتهم ومرافقتهم ودعوتهم الى الضلال اوبصد قواهم الروحانية (عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ربا فضول العلوم كالخلاف والجدل واللذات البدنية والحظوظ التى نهوا عنها (واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) برذيل الحرص والطمع كأخذ الرشا واجر التزويرات والتلبيسات اواستعمال علوم

القوى الروحانية بين الكفر والعقل النظرى العلمى فى تحصيل المآكل والمشارب وكسب الحطام وتحصيل اللذات والشهوات الحسية والمآرب السبعية والبهيمية عذابا مؤلما لوجود استعدادهم (لكن الراسخون فى العلم) اى المحققون (منهم والمؤمنون) بالايمان التقليدى المطابق الثابت (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة) اى يتصفون بالتزكية والتحلية (والمؤمنون بالله) الموحدون بالتوحيد العيانى (واليوم الآخر) المعاينون لاحوال المعاد على ما هو عليه (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) من حظوظ تجليات الصفات وجناتها (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعد واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين) بتجليات

وفى المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم* والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة فى قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر بالعمل الصالح (ومن يعمل سوأ يجزبه) قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوأ يعنى شركا فمات عليه يجزبه النار وقال الحسن هذا فى حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسيئ عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيآته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولا يجدله من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولى ونصير وقال آخرون هذه الآية فى حق كل من عمل سوأ من مسلم ونصرانى وكافر قال ابن عباس هى عامة فى حق كل من عمل سوأ يجزبه الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه* وقال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يارسول الله واينا من لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره واما من كان جزاؤه فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيآته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله* ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابى هريرة قال لما نزلت من يعمل سوأ يجزبه بلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا فى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم* وعن ابى بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوأ يجزبه ولا يجدله من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقرئك آية انزلت على قلت بلى يارسول الله قال فاقرأنيها فلا اعلم الا انى وجدت انقصاما فى ظهرى فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشأنك يا ابا بكر قلت يارسول الله بابى انت وامى واينا لم يعمل سوأ وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده* قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن ابى بكر وليس له اسناد صحيح *وقوله ولا يجدله من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة فى حق الكفار فتاويلها ظاهر وان قلنا انها فى حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لا ولى لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لا ولى لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله* قوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوأ يجزبه قال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين

على غيرهم ولفظة من فى قوله من الصالحات للتبعيض لان احد الا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) النقير نقرة فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لاينقصون قدر نقرة النواة وهذا على سبيل المبالغة فى نفى الظلم ووعد بتوفية جزاء اعمالهم من غير نقصان * قوله عزوجل (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا يعنى ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عزوجل وهو الذى كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم * واعلم ان دين الاسلام مبنى على امرين * احدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعنى انقاد لله وخضع له فى سره وعلانيته * وقيل معناه اخلص طاعته لله وقيل فوّض امره الى الله * الامر الثانى من مبانى الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعنى فى عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيآت * وقال ابن عباس فى تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عزوجل لايشرك به شيأ قال العلماء وانما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما احسن الاعمال * وانما خص الوجه بالذكر فى قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتبع ملة ابراهيم) يعنى دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعنى مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ماسواه من الاديان باطل * وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك * فان قلت ظاهر هذه الاية يقتضى ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب * قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم * وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته * وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعنى صفيا والخلة صفاء المودة . وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمى ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله فى كل حال . وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمى ابراهيم خليلا لانه والى فى الله وعادى فى الله . وقيل لانه تخلق بأخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذى ليس فى محبته خلل وسمى ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولاخلل . وانشد فى معنى الخلة التى هى بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح منى * وبه سمى الخليل خليلا

صفات اللطف (ومنذرين) بتجليات صفات القهر (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ظهور وسلطنة بوجود صفة مابعد رفعها ومحوها بامداد الرسل (وكان الله عزيزا) قويا بقهرهم بمحو صفاتهم وافناء ذواتهم (حكيما) لايفعل ذلك الا بحكمة اتصافهم بصفاته اوبقائهم بذاته (لكن الله يشهد بما انزل اليك) لكونك فى مقام الجمع وهو محجوبون لايقرّون به بل هو يشهد (انزله بعلمه) ملتبسا بعلمه اى فى حالة كونه عالما به بحيث انه علمه الخاص لاعلمك ولاعلم غيرك من غيره (والملائكة يشهدون) لكونك مراعيا للتفصيل فى غير الجمع فهو الشاهد بذاته وباسمائه وصفاته (وكفى بالله شهيدا) اى الذات مع الصفات تكفى فى الشهادة اذلاموجود غيره (ان الذين كفروا) وصدّوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا حجبوا عن الحق لكون ضلالهم (بعيدا انّ الذين كفروا) حجبوا عن الدين (وظلموا) منعوا استعداد انهم عن حقوقها

*وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهى الحاجة سميت خلة للاختلال الذى يلحق الانسان فيها وسمى ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هى تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به *واختلفوا فى السبب الذى من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة فقحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذى بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم يريد انما الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل مادخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة فانا نستحى ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر التى معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ماجاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤا بشئ قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هى ملاءى باجود دقيق يكون حوارى فأمرت الخبازين فخبز واواطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال ياسارة من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصرى فقال هذا من عند خليلى الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه فى الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء فى النيران وبذل ولده للقوبان وماله عليه للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفى ذريته • وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه فى الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله فى اوله وتحمدوه فى آخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمى ابراهيم خليل الله (م) عن انس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياخير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله *(فصل)* وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابابكر خليلا *وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ولكنه اخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبى صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء فى حديث عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذى باطول منه *قوله تعالى (ولله مافى السموات ومافى الارض) قال أهل المعانى لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال مافى السموات ومافى الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذى يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما (وكان الله بكل شئ محيطا) يعنى عالما علم احاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه حتى لايشذ عنه نوع الاعلم *وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه * قوله

من الكمال بارتكاب الرذائل وتسليط صفات النفس على قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) لرسوخ هيئات الرذائل فيهم وبطلان الاستعداد (ولا ليهديهم طريقا) لجهلهم المركب واعتقادهم الفاسد وعدم علمهم بطريق ما من طرق الكمال (الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا) نيران اشواق نفوسهم الى ملاذها مع حرمانهم عنها (وكان ذلك على الله يسيرا) سهلا على الله لانجذابهم اليها بالطبيعة (يا اهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) اما اليهود فبالتعمق فى الظاهر ونفى البواطن وحط عيسى عن درجة النبوة ومقام الاتصاف بصفات الربوبية واما النصارى فبالتعمق فى البواطن ونفى الظواهر ورفع عيسى الى مقام الالوهية (ولا تقولوا على الله الا الحق) بالجمع بين الظواهر والبواطن والجمع والتفصيل كما هو عليه التوحيد المحمدى والقول بكون عيسى مظهرا لصفات الآلهية حيا بحياته داعيا الى مقام توحيد الاوصاف (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله

عزوجل (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآيه قال ابن عباس نزلت فى بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن فى أول السورة وقالت عائشة هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفى رواية قالت هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وقد شركته فى ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه فى ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعنى ويستخبرونك يا محمد فى شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو الاظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه * قال المفسرون والذى استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير فأجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعنى قل يا محمد الله يفتيكم فى شأن النساء وحالهن (وما يتلى عليكم فى الكتاب) يعنى يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم فى النساء بما أنزل فى كتاب عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التى تتلى عليكم وانها فى اللوح المحفوظ وأن العدل والانصاف فى حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التى تجب مراعاتها وان المخل بها ظالم (فى يتامى النساء) قيل معناه فى النساء اليتامى وقيل فى اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت فى يتامى أم كحة (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) يعنى ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة فى ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغبون أن تنكحوهن) يعنى ويرغبون فى نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة فى أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عزوجل يستفتونك فى النساء الى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق * وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعنى ويفتيكم فى المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب فى الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) يعنى بالعدل فى مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعنى فيجازيكم عليه * قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) (ق) عن عائشة فى قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت فى المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكنى لا تطلقنى ثم تزوج غيرى وأنت فى حل من النفقة على والقسمة لى قالت فذلك قوله

وكلمته) نفسا مجردة هى كلمة من كلمات الله اى حقيقة من حقائقه الروحانية روحا من ارواح (وكلمة القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله) بالجمع والتفصيل (ولا تقولوا ثلاثة) بزيادة الحياة والعلم على الذات فيكون الاله ثلاثة اشياء ويكون عيسى جزء من حياته بالنفخ او بالتفرقة بين ذات الحق وعالم النور وعالم الظلمة فيكون عيسى متولدا من نوره بل قولوا ما الكل من حيث هو كل ويكون العلم والحياة عين الذات وكذا عالم النور والظلمة ويكون عيسى فانيا فيه موجودا بوجوده حيا بحياته عالما بعلمه وذلك وحدته الذاتية المعبر عنها بقوله (انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد) نزهه عن ان يكون موجود غيره فيتولد منه وينفصل ويجانسه بانه موجود مثله بل هو الموجود من حيث هو وجود (له ما فى السموات) الارواح (وما فى الارض) الاجساد بكونها اسماءه وظاهره وباطنه (وكفى بالله وكيلا) يقوم مقام الخلق

تعالى فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوّجها وهي شابة فلما كبرت تزوّج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوّج غيرها فقالت لاتطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلاتقسم لي فقال أن كان يصلح ذلك فهو احب الىّ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لايحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها او يعبس في وجهها او يترك مضاجعتها او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعني فلا حرج ولاإثم على الزوج والمرأة (ان يصالحا) من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما صلحا) يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت في السن وانا اريد ان اتزوّج امرأة جميلة شابة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولاتجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة اويسرحها باحسان وان امسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاتطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلاجناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (واحضرت الانفس الشح) الشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها احب اليه منها (وان تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فيجازيكم باعمالكم ۞ قوله عز وجل

في افعالهم وصفاتهم وذواتهم عند فنائهم في التوحيد كما قال امير المؤمنين علىّ عليه السلام لا اله الا الله بعد فناء الخلق (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدالله ولا الملئكة المقرّبون) في مقام التفصيل اذ باعتبار الجمع لاوجود للمسيح ولا لغيره فلا يمكن اصلا واما باعتبار التفصيل فكلّ ماظهر بتعين فهو ممكن والممكن لاوجود له بنفسه فضلا عن شيء غيره فيكون عبدا محتاجا ذليلا مفتقرا غير مستنكف عن ذلة العبودية وان كان غنيا عن تعلق الاجسام بالتجرّد المحض والتقدّس عن دنس الطبائع كالملائكة المقرّبين الذين هم الارواح المجرّدة والانوار المحضة (ومن يستنكف عن عبادته) بظهور انيته (ويستكبر) بطغيانه في الظهور بصفاته (فسيحشرهم اليه جميعا) بظهور نور وجهه وتجليه بصفة قاهريته حتى يفنوا بالكلية في عين الجمع كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى سبعين الف حجاب

(ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) يعني ولن تقدروا ان تسوّوا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل * عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه الترمذي وعند ابي داود من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي * وقوله تعالى (فتذروها كالمعلقة) يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمعلقة لا ايما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا هو في السماء ولا على الارض * وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتزوّج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها (وان تصلحوا) يعني بالعدل في القسم (وتتقوا) يعني الجور في القسم (فان الله كان غفورا) يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض (رحيما) يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه (وان يتفرقا) يعني ان لم يصلحا واراد الفرقة (يغن الله كلا من سعته) يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامرأة اخرى والمرأة بزوج آخر * وقيل معناه يعوّض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسّع عليهما وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعني واسع الفضل والرحمة * وقيل واسع القدرة والعلم والرزق * وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيما) يعني فيما امر به ونهى عنه * (فصل) * فيما يتعلق بحكم الآية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امرأتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه * ولو كان في نكاحه حرة وامة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة * واذا تزوّج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوّي بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روى ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا تزوّج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوّج الثيب اقام عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابة ولو شئت لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسائه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسائه معه * قوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني

من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه فاما الذين آمنوا) بالفناء في عين الجمع بمحو الصفات وطمس الذات (وعملوا الصالحات) بالاستقامة في الاعمال ومراعاة تفاصيل الصفات وتجلياتها (فيوفيهم اجورهم) وصفاتهم من جنات صفاته (ويزيدهم من فضله) بالوجود الموهوب بعد الفناء في الذات (واما الذين استنكفوا) بظهور انيتهم (واستكبروا) طغوا عند تجليات الصفات وتوهموا بنورها فظهروا بها ونسبوها الى انفسهم كمن قال انا ربكم الاعلى (فيعذبهم عذابا اليما) باحتجابهم ببقايا ذواتهم وصفاتهم وحرمانهم عن مقام الجمع (ولا يجدون لهم من دون الله) غير الله (وليا) يوالبهم برفع حجاب الذات (ولا نصيرا) ينصرهم في رفع حجاب الصفات البرهان وهو التوحيد الذاتي والنور المبين وهو التفصيل في عين الجمع اى القرآن الذي هو علم الجمع والفرقان الذي هو علم التفصيل (يا ايها الناس

من سعته وفضله اشار الى ماوجب الرغبة اليه فى طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض
لاتفنى خزائنه (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى من اليهود والنصارى
واصحاب الكتب القديمة (واياكم) يعنى ووصيناكم يا اهل القرآن فى كتابكم (ان اتقوا الله)
اى بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر
بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة فى كتبهم (وان تكفروا) يعنى وان
تجحدوا مااوصاكم به (فان لله مافى السموات ومافى الارض) يعنى فان لله ملائكة فى السموات
والارض هم اطوع له منكم* وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن
ومالكهن والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه
(وكان الله غنيا) يعنى عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم (حميدا) يعنى محمودا
على نعمه عليهم (ولله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) قال ابن عباس يعنى
شهيدا على ان له فيهن عبيدا* وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا* فان قلت ما الفائدة فى تكرير
قوله تعالى ولله مافى السموات ومافى الارض* قلت الفائدة فى ذلك ان لكل آية معنى تختص به اما
الآية الاولى فمعناها فان لله مافى السموات ومافى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته
*وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له مافى السموات ومافى الارض وانه
قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم واما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا
فان لله مافى السموات وما فى الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب
المذنبين وانه لايزداد جلاله بالطاعات ولاينقص بالمعاصى* وقيل لما بين ان له مافى السموات
وما فى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغنى وله الملك
فاطلبوا منه ماتطلبون فهو يعطيكم لان له مافى السموات وما فى الارض واما الثالثة فقال تعالى
ولله مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا اى فتوكلوا عليه ولاتتوكلوا على غيره فانه
المالك لما فى السموات والارض* وقيل تكريرها تعديد لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه
ولا تعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير * قوله عز وجل (ان يشأ يذهبكم ايها
الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بغيركم هم خير منكم
واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ
كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعنى وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة
غيركم قادرا بليغا فى القدرة لايمتنع عليه شئ اراده لم يزل ولايزال موصوفا بالقدرة على جميع
الاشياء * قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعنى من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا
*نزلت فى مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله تعالى خالقهم ولايقرون بالبعث يوم
القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها* وقيل نزلت
فى المنافقين لانهم كانوا لايصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ماينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة)
يعنى الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وماينالونه من الغنيمة مخطؤن قصدهم لان الله
عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل

قدجاءكم برهان من ربكم
وانزلنا اليكم نورا مبينا
فاما الذين آمنوا بالله)
بالتوحيد الذاتى (واعتصموا
به) اى فى كثرة الصفات
وتفرقها وراعوا الجمع
فى التفاصيل (فسيدخلهم
فى رحمة منه) من جنات
الصفات التى لايعرف
كنهها (وفضل) من جنات
الذات (ويهديهم اليه
صراطا مستقيما) بالاستقامة
الى الوحدة فى تفاصيل
الكثرة اورحمة من جنات
الافعال وفضل من جنات
الصفات ويهديهم اليه
صراطا مستقيما من تفاصيل
الصفات الى الفناء فى الذات
والاول اولى بهذا المقام
وذلك التطبيق على تفاصيل
وجودك واحوالك فى نفسك
حيث امكن من هذه
السورة على القاعدة التى
مرت فى آل عمران والله
تعالى اعلم (يستفتونك قل الله
يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ
هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ماترك وهو
يرثها ان لم يكن لها ولد فان
كانتا اثنتين فلهما الثلثان
مما ترك وان كانوا اخوة
رجالا ونساء فللذكر مثل

لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية *والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا آتاه الله منها مااراد وصرف عنه من شرها مااراد وليس له ثواب في الآخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ماقدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعني لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعني بنياتهم وما في نفوسهم *وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدى ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لايظلم الغنى فأنزل الله هذه الآية وامر بالقيام بالقسط مع الغنى والفقير* وقيل ان هذه الاية متعلقة بقصة طعمة ابن ابيرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط *القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهداء لله يعني اقيموا شهادتكم لوجه الله كما امركم فيها فيقول الحق في شهادته (ولو على انفسكم) يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد ان يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه (اوالوالدين والاقربين) يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوى رحمه اواقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم اوعلى الوالدين اوالاقارب فأقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعني المشهود عليه (غنيا اوفقيرا فالله اولى بهما) يعني منكم اوالمعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبمصالحهم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله اولى بالغنى وبالفقير (فلاتتبعوا الهوى ان تعدلوا) يعني فلاتتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في اداء الشهادة *وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلووا) قرئ بواوين ومعناه ان يلوى الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوى لسانه بغير الحق ولايقيم الشهادة على وجهها (اوتعرضوا) يعني اويعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولايقيمها يقال لويته حقه اذادفعته عنه ومطلته به* وقيل معناه وان تلووا عن القيام باداء الشهادة اوتعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشي اذا قلبته* وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا يعني تميلوا مع احد الخصمين دون الآخر اوتعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلاتلوا امور المسلمين وتضيعوهم اوتعرضوا عنهم (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني انه تعالى يجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته فيجازيكم باعمالكم * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في عبد الله ابن سلام واسد واسيد بني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل

حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شئ عليم)

(سورة المائدة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياايها الذين آمنوا)بالايمان العلمي (اوفوا بالعقود) اى العزائم التي احكمتموها في السلوك والفرق بين العهد والعقد هو ان العهد هو ابداع التوحيد فيهم في الازل كامر والعقد هو احكام عزائم التكليف عليهم ليتأدى بهم الى الايفاء بما عاهدوا عليه فالعهد سابق والعقد لاحق فكل عزيمة على امر يوجب اخراج مافي الاستعداد بالقوة الى الفعل عقد يجب الوفاء به والامتناع عن نقضه بفتور اوتقصير (احلت لكم بهيمة الانعام) جميع انواع التمتعات والحظوظ بالنفوس السليمة التي لاتغلب عليها السبعية والشره كالنفوس التي هي على طباع الانعام الثلاثة (الامايتلى عليكم) من التمتعات المنافية للفضيلة والعدالة فانها منهي عنها لحجبها عن الكمال الشخصي والنوعي (غير محلى الصيد وانتم حرم) اى لاتمتعين بالحظوظ في تجريدكم للسلوك وشروعكم

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية يا ايها الذين آمنوا يعني بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني آمنوا بجميع رسله * وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن * وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطأة القلب * وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا ايها الذين آمنوا في الماضي والحال آمنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان (والكتاب الذى نزل على رسوله) يعني القرآن (والكتاب الذى انزل من قبل) يعني وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التى انزلها على انبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعني بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر * وقيل بذنوب احدثوها في الكفر * وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان * ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة * وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) يعني طريق هدى * وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين * قوله تعالى (بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما) يعني اخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم * وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار * وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (ايبتغون عندهم العزة) يعني يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فان العزة لله جميعا) يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذى يعز اولياءه واهل طاعته كما

في الرياضة عند السير الى الله لطلب الوصول فانه يجب حينئذ الاقتصار على الحقوق اذ الاحرام في الظاهر صورة الاحرام الحقيقي للسالكين في طريق كعبة الوصال والقاصدين لدخول الحرم الالهي وسرادقات صفات الجلال والكمال (ان الله يحكم ما يريد) على من يريده من اوليائه (يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) من المقامات والاحوال التى يعلم بها حال السالك في سلوكه كالصبر والشكر والتوكل والرضا وامثالها اى لا ترتكبوا ذنوب الاحوال ولا تخرجوا من حكم المقامات فانها شعائر دين الله الخالص وكما ان المواضع المعلومة المعلمة بما يفعل فيها كالمطاف والمسعى والمنحر وغيرها والافعال المعلومة في الحج شعائر يشعر بها الحاج فهذه المقامات والمراتب والاحوال شعائر يشعر بها حال السالك وكما انه لا يجوز في ظاهر الشرع تغييرها عن موضعها والخروج عن حكمها فكذلك هذه في شرع الصبين كما يحكى عن

قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يامعشر المسلمين (في الكتاب) يعني القرآن (ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا انزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزؤن به في مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلهم) يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فانتم وهم في الكفر سواء * قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر او خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته او منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) اي انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة * قوله عز وجل (الذين يتربصون بكم) نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير او شر (فان كان لكم فتح من الله) اي ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم (قالوا) يعني المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة * وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) اي دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعني المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان اي غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتلكم واسركم ثم لم نفعل ذلك * وقيل معناه ألم نغلبكم على رايكم (ونمنعكم من المؤمنين) يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما اصبتم عنهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار * فان قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا * قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دنيء ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لا لاجل كرامتهم بل اخر عذابهم الى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) * فيه قولان * احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به يوم القيامة بدليل انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روى ان رجلا سأل علي ابن ابي طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين

احدهم انه كان يتكلم في الصبر فدب عقرب على ساقه واحدث تصرّبه وهو على حاله لا ينحيها فسئل عنه فقال استحيي من ان اتكلم في مقام واما اعمل ما ينافيه (ولا الشهر الحرام) اي وقت الاحرام بالحج الحقيقي وهو وقت السلوك والوصول بالخروج من حكمه والاشتغال بما ينافيه ويصده عن وجهته ويثبطه في سيره (ولا الهدى) ولا النفس المستعدة المعدة للقربان عند الوصول الى فناء الحضرة الالهية على ما اشير اليه باستعمالها في شغل يصرفها عن طريقها او يضعفها او حمل فوق طاقتها من الرياضة فينقطع دون البلوغ الى المحل (ولا القلائد) ولا ما قلدته النفس من شعار اهل السلوك والسنن والاعمال الظاهرة بتركها او تغييرها عن وضعها (ولا آمين البيت الحرام) ولا القاصدين المجدين في السلوك المجتهدين بتغيرهم ومنعهم عن الرياضة وايهان عزائمهم بالمخالطة وتقليل السعي وايهامهم انه لا حاجة بهم اليه وشغلهم بما يصدهم

يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثانى ان هذا فى الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين ثابتة فى الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة ٭ وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بان يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المؤمنين ٭ وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ٭ ويتفرع على ذلك مسائل من احكام الفقه ٭ منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له ان يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى بدليل هذه الآية ٭ قوله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعنى يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم ٭ وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعنى والله مجازيهم بالعقاب ٭ وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (واذا قاموا الى الصلوة) يعنى المنافقين (قاموا كسالى) يعنى متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يتعبون بها الا انهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عزوجل ولا يخافون على تركها عقابا لان الداعى الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يراؤن الناس) يعنى انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتاده والله لولا الناس ماصلى منافق (ولا يذكرون الله الا قليلا) قال ابن عباس انما قال ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا ٭ وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا ٭ وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المؤمنين فلا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعنى متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) يعنى ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعنى طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة ٭ قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدرى لاى الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدرى الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين ٭ قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) لما ذم الله عزوجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن اوجبت له النار من المنافقين والسبب فى هذا النهى ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهودى بنى النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يارسول الله من نتولى فقال المهاجرين (اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعنى اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار اولياء

او يكسلهم (يبتغون فضلا من ربهم) بتجليات الافعال (ورضوانا) بتجليات الصفات (واذا حللتم) بالرجوع الى البقاء بعد الفناء والاستقامة (فاصطادوا) اى فلا حرج عليكم فى الحظوظ بل ربما كان تمتيع النفس بالحظوظ اعانة لها فى مشاهداتها ومكاشفاتها لشرفها وذكائها وشدة صفائها (ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام) اى لا يكسبنكم بغض القوى النفسانية المانعة عن سلوككم ان تقهروها بالكلية بمنعها عن الحقوق التى تقوم بها فتبطلوها او تضعفوها عن منافعها وما يحتاج اليه من افعالها بسبب صدها اياكم فان وبال ذلك عائد اليكم او عداوة قوم من اهليكم واقاربكم واصدقائكم بسبب منعهم اياكم عن التجريد والرياضة فى السلوك (ان تعتدوا) عليهم باضرارهم ومقتهم وارادة الشر بهم فانه اضر بكم فى السلوك من منعهم اياكم (وتعاونوا على البر والتقوى) بتدبير تلك القوى وسياستها بالاحسان

من دون المؤمنين فلتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر النار من المنافقين فقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر اخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرايعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين ❊ وقوله تعالى (وان تجد لهم نصيرا) يعني وان تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (الا الذين تابوا) يعني من النفاق (واصلحوا) يعني اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه (واعتصموا بالله) يعني وتمسكوا بعهد الله وتقواه (واخلصوا دينهم لله) يعني واخلصوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله وارادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى (فاولئك) يعني التائبين من النفاق (مع المؤمنين) يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) يعني في الآخرة ❊ قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمة وآمنتم به فقد انقذتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر (وكان الله شاكرا) يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليما) يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك ❊ قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان

اليها بحقوقها ومنعها عن حظوظها او بمراعاة الاهلين والاقارب والاصدقاء بمواساتهم والاحسان اليهم والمعروف في حقهم مع مخالفتهم الى ما يمنعكم عنه والاجتناب عن ذلك كما قال تعالى فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله) واجعلوه وقاية لكم في هذه الامور واحذروه في خلافها (ان الله شديد العقاب) يعاقبكم بالصد والحرمان (حرمت عليكم الميتة) هذه هي الامور المستدناة من انواع التمتعات الحلالة وهي الميتة اي خمود الشهوة التي هي رذيلة التفريط المنافية للعفة كالخنوثة والعجز عن الاقدام على القدر الضروري من التمتعات والتمتع بفقدان اعتدال القوة الشهوانية على ما يفعله الخنائي وبعض المعزلين والمتقشفين والمتزهدين بالطبع القاصرين عن السلوك لنقصان الاستعدادات (والدم) اي التمتع بهوى النفس في الاعمال فان مزج الهوى وشوبه يفسد الاعمال كلها (ولحم الخنزير) ووجوه التمتعات الحاصلة بالحرص

يجهر بظلم الظالم قال العلماء لايجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس فى الغيبة ووقوع ذلك الشخص فى الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق منى اوغصب ونحو ذلك وان شوتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيأ على ذلك ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ماقالا فعلى الاول وفى رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لايحب الله يدعو احد على احد الاان يكون مظلوما فانه قد ارخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الامن ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصرى هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم اعنى عليه اللهم استخرج لى حقى اللهم حل بينى وبين مايريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية فى الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ماصنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتى وقال مقاتل نزلت فى ابى بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبى صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يارسول الله شتمنى فلم تقل له شيأ حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعنى لدعاء المظلوم (عليما) بما فى قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق * قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (او تخفوه) يعنى تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة فى قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثانى التخلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق ينحصر فى قسمين ايضا وهما ايصال نفع اليهم فى السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا او تخفوه اورفع ضر عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (او تعفوا عن سوء) فيدخل فى هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) يعنى لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه اهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه * قوله عز وجل (الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت فى اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعنى ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعنى بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعنى يقينا وانما قال ذلك توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض

والشره فان قوة الحرص اخبث القوى واسدها لطرق الكمال والنجاة (وما اهل لغير الله به) اى الرياضات والاعمال بالرياء وكل ماينفصل لغير الله فان كسر النفس وقمعها ومخالفتها لايكون فعلا جميلا وفضيلة ومعينا فى السلوك الا اذا كان لله فاما اذا كان لغير الله فهو شرك والشرك اكبر الكبائر (والمنخنقة) اى حبس النفس عن الرذائل ومنعها عن القبائح بحصول صور الفضائل وصدور الافعال الحسنة صورة مع كون الهوى فيها فان الافعال النفسية انما تحسن بقمعها وقهرها لله وخروج الهوى الذى هو قوتها وحياتها منها وقيامها بارادة القلب كخروج الدم الذى هو قوة الحيوان وحياته منه بذبحه لله (والموقوذة) اى صدور الفضائل فى الظاهر عن النفس مع كره منها واجبار عليها (والمتردية) التى تتعلق بالتفريط والنقصان والميل الى الجهة السفلية وانحطاط النفس عن الهمم العلية والدرجة القوية (والنطيحة) التى تصدر عن خوف وقهر من مثله

الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذى يدل على نبوّة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوّة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم (واعتدنا) يعنى وهيأنا (للكافرين عذابا مهينا) يعنى يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعنى والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوّة جميع انبيائه وان جميع ماجاؤا به من عند الله حق وصدق (ولم يفرقوا بين احد منهم) يعنى من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (سوف يؤتيهم اجورهم) يعنى جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيما) يعنى انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيآتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفرلهم ما كان منهم فى حال الكفر * قوله تعالى (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) يعنى يسألك يامحمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما اتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مخصابهم وقيل سألوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان ليشهدلك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لاسؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لاينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت * وقوله تعالى (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) يعنى اعظم من الذى سألوك يامحمد ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لاتعظمن عليك يامحمد مسئلهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما اسند السؤال الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا فى ايام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم فى التعنت (فقالوا) يعنى اسلاف هؤلاء اليهود (ارنا الله جهرة) يعنى عيانا والمعنى ارناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بنى اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة فى سورة البقرة (فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية (ثم اتخذوا العجل) يعنى الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ماجاءتهم البينات) يعنى الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعنى عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يامحمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ولجاجا فانى قد انزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات مافيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفى قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان اولئك الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا)

كالعفاف الحاصل بواسطة زجر المحتسب وخوف الفضيحة (وما اكل السبع) كفضائل العفة التى تحصل لشدّة القوّة الغضبية من الانفة والحمية واستيلاء الغضب فانّ الغضب اذا استولى منع الشدّة عن فعلها اولقهر من قهار كالملك والامير (الاماذكيتم) الا ماقرّنت واعتادت وانقادت لكم بعدقهر من غير فكانت تصدر عنها الفضائل بارادة قلبية من غير مزج الهوى (وماذبح على النصب) مايفعل بناء على العادات التى يجب رفعها الالغرض عقلى اوشرعى (وان تستقسموا بالأزلام) وان تطلبوا السعادات والكمالات بالرسوم والطوالع اتكالا على ماقضى الله وقدّره وتتركوا السعى والجدّ فى الباب وتجعلوا ذلك علة للتقصير بان تقولوا ليس لنانصيب فيها ولوكان لنانصيب لحصل فانه ربما كان مجرّد تعليل وقد علق فى القدر تمامه بسعيه فانه لم يطلع على ذلك (ذلكم فسق) خروج عن الدين الذى هو طريق الحق (اليوم) اى وقت حصول الكمال

يعنى حجة واضحة تدل على صدقه وهى المعجزات الباهرات التى اعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام * قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعنى ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بنى اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق (وقلنا لهم) يعنى والطور يظلهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم (وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت) يعنى وقلنا لهم لاتجاوزوا فى يوم السبت الى مالا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك فى يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهى عن العمل والكسب فى يوم السبت (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعنى واخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما امرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعنى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم مافعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعنى وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق انبيائه (وقتلهم الانبياء) يعنى بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعنى بغير استحقاق لذلك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعنى وبقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهى لاتفقه ماتقول جمع اغلف وقيل جمع غلاف يعنى قلوبنا اوعية للعلم فلاحاجة بنا الى ماتدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعنى بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلايؤمنون الاقليلا) يعنى ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لايؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا من اليهود * قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات مايدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم * قوله عز وجل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله (وماقتلوه وماصلبوه) وفى قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثانى انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى ابدل ذكرهم فى عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح * وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعنى القى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء فى صفة التشبيه الذى شبه على اليهودى فى امر عيسى عليه السلام فروى الطبرى بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهودى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى اولنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشترى نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم فقال انا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا

تجرّد النفس بالفضائل وتثبتها فى العزائم (يئس الذين كفروا) اى حجبوا من قوى نفوسكم او من ابناء جنسكم واهل جلدتكم من الطبيعيين والمتزندقين (من دينكم) اى من ان يصدوكم عن طريق الحق (فلاتخشوهم) فانهم يستولون عليكم بعد ذلك (واخشونى) بان لاتقفوا عند تجلى صفة من صفاتى وتهيبوا عظمة ذاتى حتى تصلوا الى مقام الفناء (اليوم اكملت لكم دينكم) ببيان الشرائع وكيفية السلوك (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية الىّ (ورضيت لكم الاسلام) الاستسلام والانقياد بالانمحاء عند تجليات الافعال والصفات او اسلام الوجه للفناء عند تجلى الذات (دينا فمن اضطرّ) الى امر من هذه الامور المحرّمة التى عددناها (فى مخمصة) فى هيجان شديد من النفس وغلبة لظهور صفة من صفاتها (غير متجانف لاثم) غير منحرف عن الدين والوجهة الى رذيلة مانعة لقصده منه وعزيمة (فان الله غفور) يستر ذلك عنه بنور صفة

انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفي رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا آخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي ان انا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقيل اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل وصلب فرفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري واولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى القي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط به وبهم من غير مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه ارادوه به من قتل وغيره وليبتلي الله من اراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون القي شبهه على بعض اصحابه بعد ما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا من شبهه به وخفي امر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (وان الذين اختلفوا فيه) يعني في قتل عيسى وهم اليهود (لفي شك منه) يعني من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القي الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأيناه قتل وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (ما لهم به من علم) يعني انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى او غيره (الا اتباع الظن) يعني لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن علم وحقيقة (وما قتلوه يقينا) قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتله علما تاما واصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كلاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عائدة

من صفاته تقابلها (رحيم) يرحم عباده التوفيق لاظهار الكمال ووضع موانعه (يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات) من الحقائق والمعارف الحقية والفضائل العلمية التي تحصل لكم بعقولكم وقلوبكم وارواحكم (وما علمتم من الجوارح مكلبين) من جوارح حواسكم الظاهرة والباطنة وسائر قواكم وآلاتكم البدنية في اكتساب الفضائل والآداب محرضين (تعلمونهن مما علمكم الله) من علوم الاخلاق والشرائع التي تبين طريق الاحتظاء من الحظوظ على وجه العدالة (فكلوا مما امسكن عليكم) مما حصلن لكم بتعليمكم على ما ينبغي بنية وارادة قلبية وغرض صحيح يؤدي الى كمال الشخص او النوع لا يهجن ويشبن وينزن عليه بميلهن وحرصهن لطلب لذتهن وشهوتهن (واذكروا اسم الله عليه) واحضروا قلوبكم انها للصورة الانسانية الكاملة تقصد وتراد لا لغرض اخر واجعلوا الله وقاية لكم في فعلها حتى

على عيسى والمعنى وماقتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى مابعده تقديره وماقتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه فى سورة آل عمران بما فيه كفاية ❁ وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى اقتداره على من يشاء من عباده (حكيما) يعنى فى انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بنطيونس بن اسبيانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيما حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة ❁ قوله تعالى (وان من اهل الكتاب) يعنى وما من احد اهل الكتاب (الا ليؤمنن به) يعنى بعيسى عليه السلام وانه عبدالله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة فى قوله الا ليؤمنن به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لاوجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى (قبل موته) اختلف المفسرون فى هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابى والمعنى ومامن احد من اهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابى ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لاينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع اليأس حين لاينفعه ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق اوسقط عليه جدار اواكله سبع اومات فجأة فقيل له ارايت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به فى الهواء فقيل له ارأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة باجنحتها وجهه ودبره وقالوا ياعدو الله اتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبدالله ورسوله وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبدالله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لاينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى ومامن احد من اهل الكتاب الاليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلايبقى احد من اهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهى ملة اسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لايبقى يهودى ولا نصرانى ولا احد يعبد غيرالله الا آمن بعيسى وانه عبدالله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله احد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول ابوهريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلايسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل فى آخر الزمان فى هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لاينزل نبيا

تكون حسنة (واتقوا الله ان الله سريع الحساب) يحاسبكم بها فى آن لا فى ازمنة لحصول هيآتها فى انفسكم بمقدار تكابها (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين يا ايها الذين آمنوا) الايمان العلمى (اذا قمتم الى الصلاة) انبعثتم عن نوم الغفلة وقصدتم الى صلاة الحضور والمناجاة الحقيقية بالتوجه الى الحق (فاغسلوا وجوهكم) اى طهروا وجود قلوبكم بماء العلم النافع الطاهر المطهر من علم الشرائع والاخلاق والمعاملات التى تتعلق بازالة الموانع عن لوث صفات النفس (وايديكم) اى وقدركم من دنس تناول الشهوات والتصرفات فى مواد الرجس (الى المرافق) الى قدر الحقوق والمنافع (وامسحوا برؤسكم)

برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبطل ماتزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعنى لايقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولايقبل من أحد الا الاسلام أوالقتل وعلى هذا قديقال هذاخلاف ماهوحكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولااجباره على الاسلام* والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بماقبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ أوأن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الاليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعنى عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعنى الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية ومامن أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبرى هذا القول وقال عكرمة فى معنى الآية وان من أهل الكتاب الاليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فلايموت يهودى ولانصرانى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لاينفعه ايمانه ٠ * وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا وأشركوا به ويشهدوا على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قدبلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية * قوله عزوجل (فبظلم من الذين هادوا) يعنى فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعنى ماحرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الابظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هوماذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الهـا كمالهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ماذكره فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وقال الطبرى فى معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ماوصفهم الله به فى كتابه طيبات من المآكل وغيرها التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر الله عنهم فى كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغى بغوه وحرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا

بجهات ارواحكم عن قتام كدورة القلب وغبار تغيره بالتوجه الى العالم السفلى ومحبة الدنيا نور الهدى فان الروح لايتكدر بالتعلق بل يحتجب نوره عن القلب فيسود القلب ويظلم ويكفى فى انتشار نوره صقل الوجه العالى من القلب الذى اليه فان القلب ذو وجهين احدهما الى الروح والرأس ههنا اشارة اليه والثانى الى النفس وقواها فاحرى بالرجل ان تكون اشارة اليه (وارجلكم) وجهات قواكم الطبيعية البدنية بنفض غبار الانهماك فى الشهوات والافراط فى اللذات (الى الكعبين) الى حد الاعتدال الذى يقوم به البدن فعلى هذا من انهمك فى الشهوات وافرط فى اللذات احتاج الى غسلها بماء علم الاخلاق وعلم الرياضات حتى ترجع الى الصفاء الذى يستعد به القلب للحضور والمناجاة ومن قرب حوضه فيها من الاعتدال كفاه المسح ولهذا مسح من مسح وغسل من غسل (وان كنتم جنبا) بعداء عن الحق بالانجذاب الى الجهة السفلية والاعراض عن الجهة العلوية والميل

أكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ماذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية قال الواحدى فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيأ انتهى اليه امتركته ولقد أنصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية فى غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لايعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون فى معنى الظلم المذكور فى الآية ماتقدم ذكره وكلها ذنوب فى المستقبل * فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ماحرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ماسيقع منهم * قلت جوابه ماتقدم وهو ان الله تعالى لايعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين فى تفسير هذه الآية ماذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة فى نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع ذلك فى غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الاربعة هى الذنوب التى شدد عليهم بسببها فى الدنيا والآخرة * أما التشديد فى الدنيا فهو ماتقدم من تحريم الطيبات عليهم * واما التشديد فى الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب * قوله تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم) يعنى من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عزوجل من آمن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم فى الآيات التى تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين فى هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون فى العلم * ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون فى العلم الثابتون فى العلم البالغون فيه اولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا فى العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعنى بالله ورسله (يؤمنون بما انزل اليك) يعنى بالقرآن الذى انزل اليك (وما انزل من قبلك) يعنى ويؤمنون بسائر الكتب التى انزلها الله على انبيائه من قبلك يامحمد * وفى المراد بالمؤمنين ههنا قولان * احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثانى انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما انزل اليك يعنى انهم يصدقون بالقرآن الذى انزل اليك يامحمد وما انزل من قبلك (والمقيمين الصلاة) اختلف العلماء فى وجه نصبه فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغى ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان فى المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتهم فقيل له افلا تغيره فقال دعوه فانه لايحل حراما ولايحرم حلالا * وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولاغيره * واجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وابان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك

(فكيف)

الكلى الى النفس (فاطهروا) بكليتكم عن تلك الهيئة المظلمة والصفة الخبيثة الموجبة للبعد والاحتجاب (وان كنتم مرضى على سفر اوجاء احدمنكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدواماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) من ضيق ومشقة بكثرة المجاهدات والمكابدات (ولكن يريد ليطهركم) ان يطهركم من الهيئات المظلمة والصفات الخبيثة (وليتم نعمته عليكم) بالتكميل (لعلكم تشكرون) نعمة الكمال بالاستقامة والقيام بحق العدالة عند البقاء بعد الفناء (واذكروا نعمت الله عليكم) بالهداية الى طريق الوصول (وميثاقه الذى واثقكم به) اى عقود عزائمه المذكورة اذ قبلتموها من معدن النبوة بصفاء الفطرة (اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ان تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى)

فكيف يتركون فى كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغى ان ينسب هذا اليهم* قال ابن الانبارى ماروى عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيأ فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشرى فى الكشاف ولا يلتفت الى مازعموا من وقوع لحن فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب يعنى كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم فى النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه عن امثلة وشواهد وربما غبى عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب الطاعن عنه من ان يتركوا فى كتاب الله عز وجل ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم* ثم اختلف العلماء فى المقيمين الصلاة اهم الراسخون فى العلم ام غيرهم على قولين* احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك فى صفة الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح اوذم فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى اعراب اوله وربما اجروا اعراب آخره على اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءنى قومك المطعمين وهم المعينون* والقول الثانى ان المقيمين الصلاة غير الراسخين فى العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع احد منهم من اقامة الصلاة* وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون* وصحح الزجاج القول الاول واختاره* وصحح الطبرى القول الثانى واختاره * وقوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب (اولئك) يعنى من هذه الاوصاف صفته (سنؤتيهم اجرا عظيما) يعنى سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة * قوله عز وجل (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكين وعدى بن زيد يا محمد مانعلم ان الله انزل على بشر من شئ من بعد موسى فأنزل الله هذه الايات* وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فأجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين فى هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هؤلاء الانبياء وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على كل احد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على احد هؤلاء الانبياء قادحا فى نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا فى نبوته بل قد انزل عليه كما

اى العقل اقرب للتجرد عن ملابس صفات النفس واتخاذ صفات الله تعالى وقاية لانه اشرف الفضائل الذى اذا حصل تبعه الجميع (واتقوا الله) واجعلوه وقاية لكم فى صدور العدل منكم فان منبع الكمالات والفضائل ذاته تعالى (ان الله خبير بما تعملون) انه من صفات نفوسكم اومنه (وعد الله الذين آمنوا) منكم بالتوحيد العلمى (وعملوا الصالحات) التى توصلهم الى التوحيد العينى وتعدهم لذلك (لهم مغفرة) من صفاتهم (واجر عظيم) من تجليات صفاته تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم) من قوى نفوسكم المحجوبة وصفاتها (ان يبسطوا اليكم ايديهم) بالاستيلاء والقهر والاستعلاء لتحصيل مآربها وملاذها فمنعها عنكم بما اراكم من طريق التطهير والتنزيه (فكف ايديهم عنكم واتقوا الله) واجعلوه وقاية فى قهرها ومنعها

انزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان اول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كآدم عليهما السلام وكان اطول الانبياء عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) وهم اولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر (وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) يعنى وآتينا داود كتابا مزبورا يعنى مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذى انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بنى اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجئ الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدى زاد البرقانى قلت والله يارسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتى لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة * قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى فى هذه الآية لان الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء فى الآية انه لم ينزل على احد كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام * قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود مالموسى لم يذكر فأنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعنى سميناهم فى القرآن وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وماورد عليهم من قومهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) اى لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعانى الذى نوّه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) يعنى خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تاكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لاتؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمى كل ماوصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل لكن لاتحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن الاحقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبرى بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعنى كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لاافهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يارب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامى يعنى على وجهه لم تك شيأ قال موسى يارب هل فى خلقك شئ يشبه كلامك قال لا واقرب خلق شبها بكلامى اشد مايسمع الناس من

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله) رؤية الافعال كلها منه (ميثاق بنى اسرائيل) هو العهد المذكور والنقباء الاثنا عشرهم الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطن والقوّة العاقلة النظرية والعاقلة العملية (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم) بنور (لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة) ى فى العقد اللاحق او فقكم واعينكم لئن اقمتم بحقوق التزكية والتحلية من الاعراض عن السعادات البدنية بالعبادة وترك السعادات الخارجية بالزهد وايثار الثالثة التى هى الايمان برسل العقل والالهامات والافكار الصائبة والخواطر الصادقة من الروح والقلب وامداد الملكوت وتعزيرهم اى تعظيمهم بتسليطهم على شياطين الوهم وتقويتهم ومنعهم وساوسها والقاء الوهميات والخياليات والخواطر النفسانية (وآمنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا) بالبراءة من الحول والقوّة والعلم والقدرة الى الله بالجملة من الافعال والصفات

الصواعق*قال العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا فى نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا فى نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء * قوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين) يعنى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولئك النبيين ارسلت رسلا الى خلق مبشرين من اطاعنى واتبع امرى وصدق رسلى بالثواب الجزيل فى الجنة ومنذرين من عصانى وخالف امرى وكذب رسلى بالعذاب الاليم فى النار*وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيأ من العبادات ولم تألفها فاذا نزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل فى بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعنى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله فى ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة فى ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة فى ترك الطاعات والعبادات *فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التى النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

*قلت الرسول منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر فى تلك الدلائل التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لهاوهم وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون احكام الله تعالى التى افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله (حكيما) يعنى فى ارساله الرسل * قوله تعالى (لكن الله يشهد بما انزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم انى والله اعلم انكم لتعلمن انى رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الآية وفى رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله

كلها تم من الذات بالمحو والفناء واسلاءها الى الله (لاكفرن عنكم سيئاتكم) اى وجودات هذه الثلاث التى هى حجبكم وموانعكم عنكم (ولادخلنكم جنات) من افعالى وصفاتى وذاتى (تجرى من تحتها الانهار) علوم التوكل والرضا والتسليم والتوحيد وبالجملة علوم تجليات الافعال والصفات والذات فمن احتجب بعد ذلك العهد وبعث النقباء منكم (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) المستقيم بالحقيقة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) قست باستيلاء صفات النفس عليها وميلها الى الامور الارضية الجاسية الصلبية فحجبت عن انوار الملكوت والجبروت التى هى كلمات الله واستبدلوا قوى نفوسهم بها واستعملوا وهمياتهم وخيالاتهم بدل معارفها وحقائقها من المعانى المعقولية اوخلطوها بها وذلك هو تحريف الكلم مواضعه (ونسوا حظا) اى نصيبا وافرا مما اوتوه

عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك فى كتابهم فزعموا انهم لايعرفونك فانزل الله عزوجل لكن الله يشهد بما انزل اليك يعنى ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شئ فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه ووحيه* والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه انزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القرآن البالغ فى الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعى صادقا لاجرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذى انزله عليك (انزله بعلمه) يعنى انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة*وقيل معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده *وقيل معناه انزله بما علم من مصالح عباده فى انزاله عليك (والملائكة يشهدون) يعنى يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهدت الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بانه انزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعنى وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك * قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعنى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعنى منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات فى قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى موسى بالتوراة (قد ضلوا ضلالا بعيدا) يعنى عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعنى كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة فى قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر*وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح افعالهم بل يفضحهم فى الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبى والجلاء وفى الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا ليهديهم طريقا) يعنى ينجون فيه من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق فى علمه انهم لايؤمنون (الا طريق جهنم) يعنى لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدى جهنم وهى اليهودية لما سبق فى علمه انهم اهل لذلك (خالدين فيها) يعنى فى جهنم (ابدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعنى هينا * قوله عز وجل (يا ايها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم*وقيل هو خطاب لمشركى العرب (قد جاءكم الرسول) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعنى بدين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذى هو الحق (من ربكم) يعنى من عند ربكم (فآمنوا خيرا لكم) يعنى فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعنى من الكفر الذى انتم عليه (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم (فان لله ما فى السموات والارض) يعنى فان الله هو الغنى عن ايمانكم لان له ما فى السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شئ وانه قادر على ما يشاء (وكان الله عليما)

فى العهد السابق من الكمالات الكامنة فى استعدادهم بالقوة فذكروا به فى العهد اللاحق (ولاتزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح) اى على نقض عهد ومنع امانة لاستيلاء صفات النفس والشيطان عليهم وقساوة قلوبهم (ان الله يحب المحسنين) الذين يشاهدون ابتلاء الله اياهم فلا يقابلونهم بالعقاب فيستعملون معهم الصفح والعفو (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف) اى الزمناهم ذلك لتخالف دواعى قواهم السبعية والبهيمية والشيطانية وميلهم الى الجهة السفلية الموجب للتضاد والتعاند لاحتجابهم عن نور التوحيد وبعدهم عن العالم القدسى الذى فيه المقاصد كلية لاتقتضى التجاذب والتعاند الى وقت قيامهم بظهور نور الروح والقيامة الكبرى بظهور نور التوحيد (ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بعقاب ما صنعوا عند الموت وظهور

يعنى بما يكون منكم لايخفى عليه شئ من اعمال عباده فيجزى كل عامل بعمله (حكيما) يعنى فى تكليفكم مع علمه بما يكون منكم * قوله عز وجل (ياأهل الكتاب) نزلت هذه الآية فى النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية اتبع ذلك بابطال ماتعتقده النصارى * واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فأما اليعقوبية والملكانية فقالوا فى عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون فى عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذى اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بواص تنصرودس هذا فى دين النصارى ليضلهم بذلك وستأتى قصته فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى * وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا فى امر عيسى عليه السلام فأما اليهود فانهم بالغوا فى التقصير فى امره حتى حطوه عن منزلته حيث حطوه مولود الغير رشدة وغلت النصارى فى رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا ياأهل الكتاب (لاتغلوا فى دينكم) واصل الغلو مجاوزة الحد وهو فى الدين حرام والمعنى لاتفرطوا فى امر عيسى ولاتحطوه عن منزلته ولاترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولاتقولوا على الله الا الحق) يعنى لاتقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لاتصفوه بالحلول والاتحاد فى بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو فى دينهم ارشدهم الى طريق الحق فى امر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك (وكلمته) هى قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولا واسطة (القاها الى مريم) يعنى اوصلها الى مريم (وروح منه) يعنى انه كسائر الارواح التى خلقها الله تعالى وانما اضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعنى انه تفضل بها وقيل الروح هو الذى نفخ فيه جبريل فى جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بأمر الله * قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر جعلها فى صلب آدم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام * وقيل ان الروح والريح متقاربان فى كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعنى ان ذلك النفخ كان بأمره واذنه * وقيل ادخل التنكير فى قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح واى روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان له من العمل * وقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله)

الحرمان والخسران بظهور الهيئات القبيحة المؤذية الراسخة فيهم (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) بان حصروا الالوهية فيه وقيدوا الاله بتعينه (قل فمن يملك من الله شيأ ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) بالافناء فى التوحيد والطمس فى غير الجمع كما قال كل شئ هالك الا وجهه (ولله ملك السموات) اى عالم الارواح (والارض) عالم الاجسام (ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير) من الصور والاعراض كلها ظاهرة وباطنة واسمؤه وصفاته وافعاله (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم

يعنى فصدقوا يااهل الكتاب بوحدانية الله وانه لاولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولاتجعلوه الها وقوله تعالى (ولاتقولوا ثلاثة) يعنى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول فى عيسى وفى مريم فاثبتوا ذواتا متعددة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيرا لكم) يعنى يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله آله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه ان يكون له ولد) يعنى لا ينبغى ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث (له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى له ملك السموات والارض ومافيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فانهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا وزوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتزيهه عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما فى السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه لان التجزئة انما تصح فى الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيلا) يعنى انه تعالى كاف فى تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غنى عنهم * وقوله تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله) وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعنى لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اى انفت منه واصله من نكفت الشئ نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن يقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح ان يكون عبد الله (ولا الملائكة المقربون) يعنى ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبد الله لانهم فى ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى فى عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التى وقعت للنصارى بان عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبد الله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيد الله * وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه * والجواب عند ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله اوانهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعنى كان المسيح عبدا لله فكذلك الملائكة عبيد الله * وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعنى ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعنى نسيبعثهم يوم القيامة

بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض ومابينهما واليه المصير يااهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير قدجاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذجعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) اى حضرة القلب التى هى مقام تجلى الصفات فانه بالنسبة الى سماء الروح ارض (كتب الله لكم) عين لكم فى القضاء السابق واودع فى استعدادكم الوصول اليها والمقام بها (ولا ترتدوا على ادباركم) فى الميل الى مدينة البدن والاقبال عليه بتحصيل مآربه ولذاته وطلب موافقته وتزيين هيئاته فانه مقام خلف مقامكم وادنى واسفل من رتبتكم (فتنقلبوا خاسرين) باستبدال ظلمات البدن بانوار القلب وخباثه بطيباته (قالوا ياموسى

لموعدهم الذى وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيأ (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم) يعنى يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعنى ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (واما الذين استنكفوا واستكبروا) يعنى الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله) يعنى من سوى الله لانفسهم (وليا) يعنى ينجيهم من عذابه (ولا نصيرا) يعنى ولاناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته * ان فى الآية سؤال وهو ان التفسيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر * والجواب انه لااشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به * وصحة ذلك لوجهين * احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثانى * والوجه الثانى ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذا رأوا اجور المطيعين العاملين لله تعالى * قوله عز وجل (يا ايها الناس) خطاب للكافة (قد جاءكم برهان من ربكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرة التى تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق (وانزلنا اليكم نورا مبينا) يعنى القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان فى القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فاما الذين آمنوا بالله) يعنى صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب (واعتصموا به) يعنى بالله فى ان يثبتهم على الايمان ويصونهم من زيغ الشيطان وقيل فى معنى واعتصموا به اى وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم فى رحمة منه) يعنى فسيدخلهم فى رحمته التى ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعنى ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يعنى ويوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذى ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام * قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) نزلت فى جابر بن عبد الله الانصارى (ق) عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر يعودانى ماشيين فاغمى على فوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فأفقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كيف اصنع فى مالى كيف اقضى فى مالى فلم يرد على شيأ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وفى رواية فقلت يارسول الله انما يرثنى كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة قال هكذا نزلت وفى رواية للترمذى

ان فيها قوما جبارين) من سلطان الوهم وامراء الهوى والغضب والشهوة وسائر صفات النفس الفرعونية اخذوها عنوة وقهرا واستولوا عليها مستعلين يجبرون كلا على هواهم مالنا بهم يدان ولانقدر على مقاومتهم قالوا ذلك لاعتيادهم باللذات الطبيعية والشهوات الجسمانية وغلبة الهوى عليهم فلم يقدروا على الرياضة وقمع الهوى وكسر صفات النفس بالمجاهدة (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) اى يصرفهم الله عنها بلا رياضة منا ومجاهدة او ينصرفوا بالطبع مع احالته اويضعفوا عن الاستيلاء كما فى الشيخوخة مع امتناع دخولهم فيها حينئذ (قال رجلان من الذين يخافون) كانا من القبلاء الاثنى عشر وهم العقل النظرى والعقل العملى يخافون سوء عاقبة ملازمة الجسم ووبال العقوبة بهيئاته المظلمة (انعم الله عليهما) بالهداية الى الطريق المستقيم والدين

وكان لى تسع اخوات حين نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ولابى داود قال اشتكيت وعندى سبع اخوات فدخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ فى وجهى فافقت فقلت يارسول الله الااوصى لاخواتى بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركنى فقال ياجابر لااراك ميتا من وجعك هذا وان الله قدانزل فبين الذى لاخواتك فجعل لهنّ الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الآية فى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة * وروى الطبرى عن قتادة ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسألوا عنها نبى الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية * وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسيرله والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملنى ان احدثك فيها مالم احدثك يومئذ فقال عمر لم اردهذا رحمك الله واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعنى يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم فى الكلالة يعنى ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم فى اوّل السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد * وقوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعنى مات سمى الموت هلاكا لانه اعدام فى الحقيقة (ليس له ولد) يعنى ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال فى الفتيا انما كان فى الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد (وله اخت) يعنى ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه اومن ابيه (فلها نصف ماترك) يعنى فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقى المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعى وعند ابى حنيفة واهل العراق يرد الباقى عليها فاذا كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقى بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة * وقوله تعالى (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) يعنى ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل فى جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مماترك) اراد بنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين اواخوات فلهن الثلثان مماترك الميت (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) يعنى وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من اخواته الاناث (يبين الله لكم ان تضلوا) يعنى يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها (والله بكل شئ عليم) يعنى من مصالح عباده التى حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شئ (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفى رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبى صلى الله

القوم (ادخلوا عليهم الباب) باب قرية القلب وهو التوكل بتجلى الافعال كما انّ باب قرية الروح هو الرضا (فاذا دخلتموه) دخلتم مقام التوكل الذى هو باب القرية (فانكم غالبون) بخروجكم عن افعالكم وعن احوالكم وبكونكم فاعلين بالله واذا كان الحول والقوة بالله يهرب شيطان الوهم والتخيل والهوى والغضب منكم فغلبتم عليهم ويدلّ على انّ الباب هو التوكل قوله (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) بالحقيقة اذ الايمان بالغيبة عن المؤمن به اقل درجات حضور تجلى الافعال (قالوا ياموسى) اى اصروا على ابائهم وامتناعهم عن الدخول (انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك) اى ان كنت نبيا فادفعهم عنا بقوة نفسك واقمع الهوى وتلك القوى فينا بلا رياضة ومجاهدة منا وسل ربك يدفعها عنا كما يقول الشطار والوغود عند موعظتك اياهم وزجرك وتهديدك لهم ادفع بهمتك

عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الالا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

* (تفسير سورة المائدة) *

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال ياايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم فأكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شئ من جميع اشهر السنة وانما افرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوي روى عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وماذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) يعني العهود قاله الجماعة * واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بوفائها * فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى ياايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به * وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الايمان وما اخذه على عباده في القرآن فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والمؤازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا

عنا هذه الشقاوة وتواما استهزاء وعنادا واما جدا واعتقادا (فقاتلا انا ههنا قاعدون) ملازمون مكاننا في مقام النفس معتكفون على هوى نفوسنا ولذات ابداننا كما قالوا حطا سمقاثا (قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض) هي مدة بقائهم في مقام النفس اي بقوا في تيه الطبيعة يحيرون اربعين سنة الى قرية القلب فان دخول مقام القلب مع استيلاء جبابرة صفات النفس عليه حرام ممتنع ولهذا قال بلغ اشده وبلغ اربعين سنة فانه وقت البلوغ الحقيقي وقيل في قصة التيه انهم كانوا يسيرون جادين طول النهار في ستة فراسخ فاذا امسوا كانوا على المقام الذي ارتحلوا عنه اي كان سعيهم

في الاسلام*وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه* والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف *قال الطبرى واولى الاقوال عندنا بالصواب ماقاله ابن عباس ان معنـاه اوفوايا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (احلت لكم بهيمة الانعام)وهو خطاب للمؤمنين خاصة* والبهيمة اسم لكل ذى اربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضوارى من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتميز قال الزجاج كل حى لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع ا لم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل اللغة* واختلفوا في معنى الآية*فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد*وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت اونحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ماروى عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذى وابن ماجه وفي رواية ابي داود قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقيه ام نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبرى عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفى قلت ان خرج ميتاً آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها اذا كانها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب*وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام*وقوله تعالى (الاما يتلى عليكم) يعني في القرآن تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو مااستثنى الله عزوجل من بهيمة الانعام (غير محلى الصيد وانتم حرم) يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلى صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه (ان الله يحكم مايريد) يعني ان الله يقضى في خلقه مايشاء من تحليل مااراد تحليله وتحريم مااراد تحريمه وفرض مايشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده* قوله تعالى(ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكرى اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الام تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لى امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلى اسلم وآتى بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبي صلى الله

في تحصيل المناحج الجسمانية والمباغي البدنية المحصورة في الجهات الست ولم يخرجوا عن الجهات بالتجرد فكانوا على المقام الاول لعدم توجههم الى سمت القلب بطلب التجرد والتنزه عن الهيئات البدنية والصفات النفسانية وكان ينزل من السماء بالليل عمود من نار يسيرون وينتفعون بضوئه اى ينزل عليهم نور عقل المعاش من سماء الروح فيهتدون به الى مصالحهم وقيل من نار لانه عقل مشوب بالوهم ليس عقلا صرفا والالاهتدوا به الى طريق القلب واما الغمام والمن والسلوى فقدمر ذكرها وتأويلها وقيل كان على كل مولود ولد في التيه قيص بقدر قامته يزيد بزيادته يعنون به لباس البدن والله اعلم وان شئت ان تطبق القصة على حالك اولت موسى بالقلب وهرون بالروح

عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وماالرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قدلفها بالليل سواق حطم * ليس براعى ابل ولاغنم
ولابجزار على ظهر وضم * باتوانياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال المسلمون يارسول الله هذا الحطم قدخرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قدقلد الهدى فقالوا يارسول الله هذا شئ كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله * قال ابن عباس هي المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك * وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة انها هدى وهو سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله علية وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعثها الى البيت فاحرم عليه شئ كان له حلالا اخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنهـا وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج * وعندابي حنيفة لايجوز اشعار الهدى بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الآية لاتحلوا شعائر الله هي ان تصيد وانت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لاتحلوا شيأ من فرائضه التي افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التي نهى عنها (ولاالشهر الحرام) اى ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال في الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد بالشهر الحرم هنا ذوالقعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسئ قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول انى قد احللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتي تفسير النسئ في سورة براءة (ولا الهدى ولاالقلائد) الهدى مايهدى الى بيت الله من بعير اوبقرة اوشاة اوغير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولاالهدى ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * واعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة في التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداة والمعنى ولاتستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلائد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلايتعرض لهم احد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شئ من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعني ولاتستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعني يطلبون (فضلا من ربهم) يعني الرزق والارباح

فانه كان اخاه الا كبر ولهذا قال هوافصح منى لسانا وبنى اسرائيل بالقوة الروحانية والارض المقدسة بالنفس المطمئنة ثم اجريت القصة بحالها الى آخرها (فلا تأس على القوم الفاسقين) اى لاتهتم بهدايتهم ولا تغتم على عقوبتهم فانهم فسقوا وخرجوا عن طريق القلب بهواهم وطغيانهم (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) القلب للذين هما هابيل القلب وقابيل الوهم اذكان لكل منهما توأمة اما توأمة العقل فالعاقلة العلمية المدبرة لامور المعاش والمعاد بالآراء الصلاحية المقتضية للاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة المستنبطة لانواع الصناعات والسياسات واما توامة الوهم فالقوة المتخيلة المتصرفة في المحسوسات والمعاني الجزئية لتحصيل الآراء الشيطانية فأمر آدم القلب بتزويج الوهم توامة العقل التى

في التجارة (ورضوانا) يعني ويطلبون رضا الله عنهم بزعمهم لان الكافر لاحظ له في الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لاينالونه فلايبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في حجهم مايصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

(فصل) اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى ههنا لان قوله تعالى لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلايجوز ان يحج مشرك ولايأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولاآمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا له من مؤمن او كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التي كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدي وذهب جماعة الى انه لامنسوخ في هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من اهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له امانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة او امان وكذلك اجمعوا على منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم

✽وقوله تعالى (واذا حللتم) يعني من احرامكم (فاصطادوا) هذا امر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وانتم حرم واباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض معناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس لايحملنكم وقيل معناه لايكسبنكم ولا يدعونكم (شنآن قوم) يعني بغض قوم وعداوتهم (ان صدوكم) يعني لان صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لايحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم (ان تعتدوا) عليهم يعني بالقتل واخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى)

هي العاقلة العلية لتتسلط عليه بالقياسات العلية البرهانية وتدربه بالرياضات الاذعانية والسياسات الروحانية وتسخره للعقل فيطيع اب القلب ويحسن اليه ويبره بانواع الرجاء الصادقة ويعينه في الاعمال الصالحة ويمتنع من عقوقه بالتسويلات والتزيينات الشيطانية الفاسدة واغراء النفس عليها بالهيئات الفاسقة والافعال السيئة وتزويج العقل توأمة الوهم ليجعلها صالحة ويمنعها عن شهوات التخيلات الفاسدة وتهيج احاديث النفس الكاذبة فيستريح ابوها منها ويستعملها في المعقولات والمحسوسات والمعاني الكلية والجزئية فتصير مفكرة عاملة في تحصيل العلوم فينتفع ابوها فحسد قابيل الوهم هابيل العقل

يعني ليعن بعضكم بعضا على مايكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولاتعاونوا على الاثم والعدوان) يعني ولايعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ماحاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله) اى واحذروا الله ان تعتدوا ما امركم به او تجاوزوا الى مانهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعني لمن خالف امره ففيه وعيد وتهديد عظيم * قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى في اول السورة ماحل لنا من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الامايتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل مافارقته الروح ممالم يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير اراد به جميع اجزائه واعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة الاشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك * قوله تعالى (وما اهل لغير الله به) يعني ماذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسماء اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولاتأكلوا ممالم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعني التي تتردى من مكان عال فتموت او في بئر فتموت * والتردي هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها * ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لايعلم هل مات بالتردي او بالسهم (والنطيحة) يعني التي تنطحها شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لانها في حكم الميتة * فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم مايأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره * فان قلت لم اثبت الهاء في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفي مثل هذا الوضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة * قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بني فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف ارجل هو ام امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف

لكون توأمته اجل عنده واحب لما سبتها اياه فامر ابوهما القلب بان يقرب كل واحد منهما قربانا اى نسكا يتقرب به الى الله باقاضة النتيجة وافناء صورة القياس وقبول الصورة المعقولة الكلية المطابقة لما في نفس الامر التي هي نسيكته التي يتقرب بها الى الله منه وعدم قبول قربان الوهم الذي هو صورة المغالطة اوالصورة الموهومة الجزئية امتناع اتصال العقل به باقاضة النتيجة اذلانتيجة لها وامتناع قبول الصورة الوهمية اذلاتطابق مافي نفس الامر فزاد حسده عليه (اذقربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك) اى لمازاد قرب العقل من الله وبعده عن

غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتى فعيله بالهاء وهى فى تأويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت بقبيلة بنى فلان * وقوله تعالى (وما اكل السبع) قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله او اكل منه اكلوا مابقى منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفى الآية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع فقد فقد فلا حكم له انما الحكم للباقى منه (الا ما ذكيتم) يعنى الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة فى الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول على ابن ابى طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبى هذا الاستثناء مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول * واما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان توجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جائز . قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال . وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فأخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة ورمق الا انه قد صار الى حالة لا يؤثر فى حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانبارى لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة فى اللغة تمام الشئ فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ماروى عن رافع بن خديج عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فدى الحبشة اخرجاه فى الصحيحين * واقل الذبح فى الحيوان المقدور عليه قطع المرئ والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمرئ مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما آلة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك * وقوله تعالى (وما ذبح على النصب) يعنى وحرم ما ذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا وواحده نصاب وان يكون واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشئ المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هى الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب اولاجل النصب فهو حرام (وان تستقسموا بالازلام) يعنى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهى القداح وكانت ازلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها امرنى ربى وعلى واحد نهانى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اى ليس عليه شئ وكانت العرب فى الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة اونكاحا او اختلفوا فى نسب او امر قتيل او تحمل عقل اوغير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى

رتبة الوهم فى مدركاته وتصرفاته كان الوهم احرص على ابطال عمله ومنعه عن فعله كما ترى فى التشكيكات الوهمية ومعارضاته العقل فى تحصيل المطالب النظرية العميقة النور وقتله عبارة عن منعه عن فعله وقطع مدد الروح ونور الهداية الذى به حياة العقل عنه (قال انما يتقبل الله من المتقين) الذين يتخذون الله وقاية فى صدور الخيرات منهم او يحذرون آثام الهيئات المظلمة البدنية والاكاذيب الباطلة والاضاليل المغوية والاهواء المردية والتسويلات المهلكة (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك) لانى لا ابطل اعمالك التى هى شديدة

يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه وان اجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا * وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها * وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها * عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط * وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل * وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن اواستقسم بالازلام اوتطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة * وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم ترد يوما بعينه بمعنى وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار ايها المؤمنون الذين آمنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) اي وخافوا مخالفة امري واخلصوا الخشية لي * قوله عز وجل (اليوم اكملت لكم) نزلت هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فأي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع

في مواضعها من المحسوسات ولا اقطع عنك حياتك التي هي مدد النفس والهوى ولا امنعك عن فعلك الخاص بك اذ العقل يعلم ان المصالح الجزئية واحكام المحسوسات والمعاني الجزئية المعلقة بها وترتيب اسباب المعاش كلها لا تحصل ولا تتيسر الا بالوهم ولولا الرجاء وحصول الاماني والآمال الصادرة عن الوهم لم يتيسر لاحد ما يعيش به (اني اخاف الله رب العالمين) لاني اعرفه وقال انما يخشى الله من عباده العلماء واعلم بانه انما خلقك لشأن واوجدك لحكمة فلا اتعرض له في ذلك (اني اريد ان تبوء باثمي واثمك) باثم قتلي واثم قتلك من الآراء الباطلة

اعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شئ من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس * وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم اي حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين * وقيل معناه اني اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه * وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة * وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشئ في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا بصالح فيه لاجرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما في آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (واتممت عليكم نعمتي) يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي اكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وانتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه وروى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي

والتصورات الفاسدة التي لم تقبل قربانك لاجلها (فتكون من اصحاب النار) نار الجنة والحرمان (وذلك جزاء الظالمين) الواضعين الاشياء في غير موضعها كوضعك الاحكام الحسية في المعقولات (فطوعت) فسهلت وسولت (له نفسه قتل اخيه فقتله) بمنعه عن افعاله الخاصة وحجبه عن نور الهداية (فاصبح من الخاسرين) لتضرره باستيلائه على العقل واستبدال ضلالته وخطائه بهداية العقل وصوابه فان الوهم اذا انقطع عن معاضدة العقل حمل النفس بانواع التسويلات والتزيينات على اقدام امور يتضرر به النفس والبدن جميعا

(ولن يصلحه)

ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبرى عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لكل اهل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم فى الخير حتى يجئ الاسلام فيقول يارب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزى * وقوله تعالى (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم) هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره فى المطاعم التى حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل فى حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذى هو المرضى عند الله ومعنى الآية فمن اضطر اى اجهد واصيب بالضر الذى لا يمكنه معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى فى مخمصة يعنى فى مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعنى غير مائل الى اثم او منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة او الى غيرها فى المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو ان يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية فى مقصد وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعنى لمن اكل من الميتة فى حال الجوع والاضطرار * قوله عز وجل (يسئلونك ماذا احل لهم) روى الطبرى بسنده عن ابى رافع قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يارسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرنى ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرنى بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التى امرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع فى قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالى فدخل عاصم وسعد بن ابى خيثمة وعويمر بن ساعدة على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزى واخرج حديث ابى رافع الحاكم فى صحيحه قال البغوى فلما نزلت هذه الآية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث او ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوى وهذا القول اصح فى سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعنى يسألك اصحابك يا محمد ما الذى احل لهم اكله من المطاعم والمآكل كأنهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) يعنى قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعنى ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان ورد بتحريمه نص

كالاسرافات المذمومة من باب اللذات البهيمية والسبعية مثل شدة الحرص فى طلب المال والجاه والافراط فيضعف الوهم ايضا او يبطل (فبعث الله غرابا) غراب الحرص (يبحث فى الارض) ارض النفس (ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) اى الوهم اذ بقطع العقل عن نور الهداية وحجبها عن السير فى العالم العلوى لتحصيل الكمال وطلب سعادة المآل تحير فى امره فانبعث الحرص فهداه فى تيه الضلالة واراه كيف يوارى ويدفن عورته اى جثته المقتولة التى حملها الوهم على ظهره حتى انتنت فصار عقل المعاش فى تراب الارض وهو صورة العقل المقطع عن حياة الروح المشوب بالوهم والهوى المحجوب عن عالمه فى ظلمات ارض النفس المدفون فيها

من كتاب اوسنة *واعلم ان العبرة فى الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والاخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع الحيوانات فلاعبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة * وقوله تعالى (وماعلمتم من الجوارح مكلبين) يعنى واحل صيد ماعلمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد فى الكلام لدلالة الباقى عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وماعلمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار * والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعنى اكتسبوا وقوله ويعلم ماجرحتم بالنهار أى اكتسبتم * مكلبين يعنى معلمين والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه اكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعنى تعلمون الجوارح الاصطياد (مما علمكم الله) يعنى من العلم الذى علمكم الله ففى الآية دليل على انه لايجوز صيد جارحة مالم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور منها انه اذا اشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تأكل منه شيأ ومنها ان لاينفر منه اذا اراده وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما امسك عليك الا ان يأكل الكلب فلاتأكل فانى اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلاتأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لاتدرى ايها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم اويومين ليس به الااثر سهمك فكل فان وقع فى الماء فلاتأكل واختلف العلماء فيما اذا اخذت الكلاب الصيد واكلت منه شيأ فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبى وبه قال الثورى وابن المبارك واصحاب الرأى وهو اصح قولى الشافعى ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا تأكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم فى اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسى وسعد بن ابى وقاص وبه قال مالك لماروى عن ابى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اخرجه ابوداود اماغير المعلم من الجوارح اذا اخذت صيدا اوالمعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لايحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فصل (ق) عن ابى ثعلبة الخشنى قال قلت يارسول الله انا بارض قوم اهل كتاب افنأكل فى آنيتهم وبارض صيد اصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى

تأكله ديدان القوى الطبيعة باستعمالها فى تحصيل لذاتها ومطالبها (قال ياويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب) الذى دفن فرخه اى داعيته اوكاله فى ارض النفس بافناء مايحصل له وكتمانه فيها (فاوارى سوأة اخى) باخفائها فى ظلمة النفس فانتفع بها (فاصبح من النادمين) عند الخسران وحصول الحرمان (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اوفساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعا) لان كل شخص يشتمل على مايشتمل عليه جميع افراد النوع وقيام النوع بالواحد كقيامه بالجمع فى الخارج والاعتبار بالعدد فان النوع لايزيد بحسب الحقيقة بتعدد الافراد ولاينقص

قال اما ماذكرت من آنية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وماصدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وماصدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وماصدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل * وقوله تعالى (فكلوا مما امسكن عليكم) دخلت من فى قوله مما للتبعيض لانه انما احل اكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعنى اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدى اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير فى عليه عائدا الى ماعلمتم من الجوارح اى سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ماامسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عائدا الى الاكل يعنى واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسيأتى بيان هذه المسئلة فى سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (واتقوا الله) يعنى واحذروا مخالفة الله يعنى فيما احل لكم وحرم عليكم (ان الله سريع الحساب) يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل مانهاه عنه * قوله عزوجل (اليوم احل لكم الطيبات) انما كررا حلال الطيبات للتأكيد كانه قال اليوم احل لكم الطيبات التى سألتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذى انزلت فيه هذه الآية اواليوم الذى تقدم ذكره فى قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم اكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام فى ذلك اليوم وفى معنى الطيبات فى الآية المتقدمة * وقوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يعنى وذبائح اهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل فى دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فامامن دخل فى دينهم بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهم متنصر والعرب من بنى تغلب فلا تحل ذبيحته روى عن على بن ابى طالب قال لاتأكل من ذبائح نصارى العرب بنى تغلب فانهم لم يتمسكوا بشئ من النصرانية الابشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعى ان من دخل فى دين اهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لاتحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لابأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابى رباح والشعبى وعكرمة وقتادة والزهرى والحكم وحماد وهو مذهب ابى حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعى واجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر اهل الشرك من مشركى العرب وعبدة الاصنام ومن لاكتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ماسوى الذبائح فهى محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ماقبل هذه الآية فى بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه اولى ولان سائر الطعام لايختلف من تولاه من كتابى اوغيره وانما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لوذبح يهودى

بانحصاره فى شخص (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا اويصلبوا اوتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اوينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الاالذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) بالتزكية (وابتغوا اليه الوسيلة) بالتحلية وجاهدوا فى سبيله) بمحو الصفات والفناء بالذات (لعلكم تفلحون من ظهور) بقايا الصفات والذات (ان الذين كفروا لو ان لهم مافى الارض جميعا) اى مافى الجهة السفلى لانها اسباب زيادة الحجاب والبعد ولا ينجع ثمة الاق

اونصرانى على غير اسم الله فقال ابن عمر لايحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم مايقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى اوالنصرانى وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلاتأكل واذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقدزعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولاتأكلوا ممالم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولانسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم نأكل ولاوجه للنسخ * وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعنى ان ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لااليهم لانه لايمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة فى ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة من الجانبين لاجرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين * ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لاتدخل الامة المؤمنة فى هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لايحل نكاح الزانية لانها لم تدخل فى هذا التحليل واباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان يزوج اخته فقالت انى اخشى ان افضحك انى قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له منها فقال اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر او العفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين * وقوله تعالى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعنى الحرائر من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعى والضحاك يريد العفائف من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لايجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع فى حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب ابى حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء فى حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهى نصرانية وان طلحة بن عبيدالله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لااعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فاباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من اهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل الكتاب قال ابن عباس من نساء اهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لاتحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب * وقوله تعالى

الجهة العلوية من المعارف والحقائق النورية (ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير يا ايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم

(اذا آتيتموهن اجورهن) يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعني متعففين بالتزوج غير زانين (ولا متخذي اخدان) يعني ولا منفردين ببغي واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن واحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) يعني ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل لما اباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضي اعمالنا لم يبح للمؤمنين تزويجنا فانزل الله هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد بشيء مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو في الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه ❊ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر في البر اي اذا اردت التجارة وهذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد واجيب عن ظاهر الآية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ اخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو امر ندب ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها الطهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا الا نأتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار في معنى الآية ❊ وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية اربعة ❊ الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وجه ان الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب ان يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث

هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله

عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى والوضوء من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مأمور به وانه من اعمال الدين لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان اصل النية في جميع الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز واجيب عنه بأنا انما اوجبنا النية في الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما امر والا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ماتحت الحاجبين واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما اللحية فان كان كثة لاترى البشرة من تحتها لايجب غسل ماتحتها ويجب غسل ماتحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر مانزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لايجب لان الشعر النازل عن حد الراس لايكون حكمه حكم الراس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لايجب غسله والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية في حكم الوجه * الفرض الثاني قوله تعالى (وايديكم الى المرافق) يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وابي بكر بن داود الظاهري انه لايجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذي آمر به ان يبلغ المرفقين في الغسل لايجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومايجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لايدخل في المحدود فوجب ان لايجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور ان كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اى مع اموالكم ويعضده من السنة ماصح من حديث ابي هريرة انه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الآية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه * الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء في القدر الذي يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربعه وفي رواية اخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ماينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس وماسح

فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب) علم الفرقان الذي هو ظهور تفاصيل كمالك (بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب) اى علم القرآن هو العلم الاجمالي الثابت باستعدادك وحافظا عليه

بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق لمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب واخذ الشافعى باليقين فأوجب مسح مايقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ماروى عن المغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الرأس * الفرض الرابع قوله تعالى (وارجلكم الى الكعبين) اختلف العلماء فى هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الغسل فروى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان وروى ذلك عن قتادة ايضا وروى عن انس انه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس فى الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبى انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى ان ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح اهمل ومذهب الامامية من الشيعة ان الواجب فى الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فى هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائى وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذى بمعناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال اصحاب هذه القراءة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف واما قراءة الكسر فقد اختلفوا فى معناها والجواب عنها فقال ابو حاتم وابن الانبارى وابو على الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح فى الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لها وهات ماتمسح به للصلاة بمعنى اتوضأ قال ابو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء على اعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان الا ان مسح الرأس اخف والذى يدل على ان المراد بالمسح فى الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء فى المغسول ولم يجئ فى الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه فى حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس فى الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشئ على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يا ليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعنى وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى فى الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس فى الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين فى الوضوء واما من جعل كسر اللام فى الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما اخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل

بالاظهار اولما بين يديه العلوم النازلة على الانبياء السابقين زمانا فان الغالب على موسى عند الرجوع الى البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب قوة النفس وسلطانها ولهذا ابطش باخيه كما قال تعالى واخذ برأس اخيه يجره اليه وقال عند طلب التجلى ارنى انظر اليك فكان اكثر التوراة علم الاحكام الذى يتعلق باحوال النفس وتهذيبها ودعوته الى الظاهر والغالب على عيسى قوة القلب ونوره ولهذا تجرد عن ملابس الدنيا وامر بالزهد وقال لبعض اصحابه اذا لطمت فى خدك فادر الخد الآخر لمن لطمك وكان اكثر الانجيل علم تجليات الصفات والاخلاق والمواعظ والنصائح التى تتعلق باحوال القلب وتصفية ونوره ودعوته الى الباطن والغالب على محمد

لاجل الضرورة فى الشعر اويصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لايكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انمايكون بدون حرف العطف امامع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كمافى وجوب غسل الرجلين كمافى قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء فى ذلك عند قوله الى المرافق *والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من اهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم *ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لوكان على ماذكروه لكان فى كل رجل كعب واحد فكان ينبغى ان يقال وارجلكم الى الكعاب كمافى قوله تعالى وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ماقالوه وثبت قول الجمهور

*(فصل) * قد تقدم ان الفروض المذكورة فى هذه الآية اربعة وهى غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعى بهذه الآية على وجوب النية فى الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعى ومالك واحمد الى وجوب الترتيب فى الوضوء وهو ان يغسل الاعضاء فى الوضوء على الولاء كماذكره الله فى هذه الآية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا* وذهب ابوحنيفة الى ان الترتيب فى الوضوء غيرواجب *احتج الشافعى على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله تعالى امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله تعالى وانقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث حجة الوداع ابدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد فى قصة السعى بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ولان افعال النبى صلى الله عليه وسلم فى الوضوء ماوردت الا مرتبة كماورد فى نص الآية ولم ينقل عنه ولاعن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا اوغير مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضوء كما امر الله تعالى ونص عليه فى هذه الآية واجب واحتج ابوحنيفة لمذهبه بهذه الآية ايضا وذلك ان الواو لاتوجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غيرجائز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كماذكر وبيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

*(فصل فى ذكر الاحاديث التى وردت فى صفة الوضوء وفضله) *(ق) عن حمران مولى عثمن بن عفان ان عثمن دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه غفرله ماتقدم من ذنبه (ق) عن عبدالله بن زيد بن عاصم الانصارى قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى

عليه الصلاة والسلام سلطان الروح ونوره فكان جامع المكارم الاخلاق متمما لها عادلا فى الاحكام متوسطا فيها وكان القرآن شاملا لما فى الكتابين من العلوم والاحكام والمعارف مصدقا له حافظا عليه مع زيادات فى التوحيد والمحبة ودعوته الى التوحيد (فاحكم بينهم بما انزل الله) من العدل الذى هو ظل المحبة التى هى ظل الوحدة التى انكشفت عليك (ولا تتبع اهواءهم) فى تغليب احد الجانبين اما الظاهر واما الباطن (عما جاءك من الحق) من التوحيد والمحبة والعدل فان التوحيد يقتضى المحبة والمحبة العدل ويقع ظله من سماء الروح على القلب بالمحبة وعلى النفس بالعدالة (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) موردا كورد النفس ومورد القلب

المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه عن عبد خير قال اتانا على كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا مايصنع بالطهور وقد صلى مايريد الا ليعلمنا فأتى باناء فيه ماء وطست فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده فى الاناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود * عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف الطهور فدعا بماء فى اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل اصبعيه السباحتين فى اذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص فقد ساء وظلم او قال ظلم واساء اخرجه ابوداود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذى وصححه (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار (م) عن جابر قال اخبرنى عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارجع واحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى اخرجه مسلم * عن خالد عن بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلى وفى قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبى صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة اخرجه ابوداود (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادانا بأعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا * عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة اخرجه البخارى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين اخرجه ابوداود والترمذى وقال وقد روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتى فروحتها بعشى فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله مامن مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ماأجود هذا فاذا قائل بين يدى يقول التى قبلها اجود فنظرت فاذا عمر قال انى قد رايتك جئت آنفا قال مامنكم من احد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان امتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع

ومورد الروح وطريقا كعلم الاحكام والمعاملات التى تتعلق بالقلب وسلوك طريق الباطن الموصل الى جنة الصفات وعلم التوحيد والمشاهدة الذى يتعلق بالروح وسلوك طريق الفناء الذى يوصل الى جنة الذات (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) موحدين على الفطرة الاولى متفقين على دين واحد (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) ليظهر عليكم ما آتاكم بحسب استعداداتكم على قدر قبول كل واحد منكم فتنوع الكمالات (فاستبقوا الخيرات) اى الامور الموصلة الى كمالكم الذى قدر لكم بحسب استعدادكم المقربة اياكم اليه باخراجه الى الفعل (الى الله مرجعكم جميعا) فى عين جمع الوجود على حسب المراتب لا عين جمع الذات (فينبئكم بما

منكم ان يطيل غرته فليفعل وفى رواية قال رايت اباهريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى اشرع فى العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع فى الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع فى الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفى رواية لمسلم قال سمعت خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء * عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات اخرجه الترمذى * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجه ابوداود وابن ماجه *وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى اغتسلوا امر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحد شيئين اما بخروج المنى على اى صفة كان من احتلام او غيره او بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه فى الماء يخلل بهما اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده اما قوله تعالى (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) فقد تقدم تفسيره واحكامه فى تفسير سورة النساء وفى قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب *وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعنى من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعنى من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعنى ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم فى الدين من حرج * قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعنى ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذى واثقكم به) يعنى واذكروا عهده الذى عاهدكم به ايها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا واطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذى اخذه عليهم فى يوم الست بربكم قالوا بلى (واتقوا الله) يعنى فيما اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) يعنى ان الله تعالى عالم بما فى قلوب عباده من خير وشر *قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق فى كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعنى وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب فى شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك اهل بغضك واعداءك اقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على الا تعدلوا) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) امر الله بالعدل فى كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو اقرب للتقوى) اى العدل اقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) يعنى ان الله تعالى خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل * (وعد الله الذين آمنوا وعملوا

كنتم فيه تختلفون) اى يظهر عليكم ما اختلفتم فيه بحسب اختلاف استعداداتكم من طلب احدى الجنان الثلاث والوصول اليها والحرمان بموانعها التى احتجبتم بها فى استعداداتكم من الكمال (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون) ذنوب اليهود حجب الافعال وذنوب النصارى حجب الصفات فسق اليهود هو الخروج عن حكم تجليات الافعال الالهية برؤية النفس افعالها وفسق النصارى خروجهم عن حكم تجليات الصفات الحقانية برؤية النفس صفاتها واحتجابها بها كما ان فسق

الصالحات) يعني عملوا بما واثقهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها (لهم مغفرة واجر عظيم) هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد فقيل اى شئ هذا الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (اولئك) يعني من هذه صفته (اصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما ارادوه بكم * اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو احد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري لم يرعهم الا الطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فعمد الى رحى عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي

الجحدبين هو الالتفات الى ذواتهم والخروج عن حكم الوحدة الذاتية (افحكم الجاهلية يبغون) اى ما يطلبون بجهلهم الاحكاما صادرا عن مقام النفس بالجهل لا صادرا عن علم الهي (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح اوامر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا ايها الذين آمنوا

لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك منهم وسألك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله (فكف ايديهم عنكم) يعني انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم (واتقوا الله) يعني فيما امركم به ونهاكم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) امر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي جميع عباده امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسوء كما كف ايدي اليهود عنهم لما ارادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخياناتهم وذلك قوله تعالى (ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل) لما ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما ارادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وان يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم * (ذكر القصة في ذلك) * قال اصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى النقباء وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحاء وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق امه وهي احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس وروى ان الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك في السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عني يا عدو الله فاني لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقوّرها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقي عوج النقباء اخذهم وجعلهم في حجزته وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا منك وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فأخبروهم بما رايتم وكان مما راوا ان العنقود العنب لا يحمله الا خمسة انفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة نفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم اذا اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معه

(اكتموا)

من يرتد منكم عن دينه)
من رجع عن طريق الحق
لى الاحتجاب بعض الحجب
ي حجاب كان وخرج عنه
هو من المرد ودين لا من
هل المحبة ولا ينثلم ولا ينقض
ين الحق بارتداده فان الله
سوف يأتي بقوم يحبهم
حسب العناية الاولى لا لعلة
ل لذواتهم ويحبونه ذاته
لصفة من صفاته ككونه
طيفا او رحيما او منعما فان
حبة الصفات تتغير باختلاف
تجلياتها ومن يحب اللطيف
تبق محبته اذا تجلى بصفة
لقهر ومن يحب المنعم انمحت
حبته اذا تجلى بصفة المنتقم
واما محبة الذات فهي باقية
ببقائها لا تتغير باختلاف
لتجليات فيحب محبا القهار
عند القهر كما يحب اللطيف
عند اللطف ويحب المنتقم
حالة الانتقام كما يحب المنعم
حالة الانعام فلا تتفاوت
في الرضا وعدمه ولا تختلف

اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهرون بما رأيتم فبريان رأيهما واخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما رأى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما اوفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (وقال الله اني معكم) فيه حذف تقديره قال للنقباء اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقباء اولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل (لئن اقمتم الصلوة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة امور وهي قوله لئن اقمتم الصلوة (وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لاكفرن عنكم سيآتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن اقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني جميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم واصل التعزير في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداءهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله لاكفرن عنكم سيآتكم يعني اذا فعلتم سائر ما امرتكم به لامحون عنكم سيآتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعني بعد اخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعني فقد اخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه * قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) اي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت (الا قليلا منهم) يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه

محبته في احواله ويشكر عند البلاء كما يشكر عند النعماء واما من يحب النعم فلا يشكر عند البلاء بل يصبر ومثل هذه المحبة يلزم الاولى التي هي لله لاوليائه فيحبونه بحبه اياهم والا فمن اين لهم المحبة لله بالتراب ورب الارباب (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين) لينين حانين عليهم عطوفين في تواضعهم لهم لمكان الجنسية الذاتية ورابطة المحبة الازلية والمناسبة الفطرية بينهم (اعزة) اشداء غلاظ (على الكافرين) المحجوبين لاضداد ما ذكر (يجاهدون في سبيل الله) بمحو صفاتهم وافناء ذواتهم التي هي حجب مشاهداتهم (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) من نسبتهم الى الاباحة والزندقة والكفر وعذلهم بترك الدنيا ولذاتها

الذين اسلموا من اهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) اى فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التى نزلت فى سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت فى قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها مالم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ماداموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعنى اذا عفوت عنهم فانك محسن والله يحب المحسنين * قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود فى نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعنى كتبنا عليهم فى الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (فنسوا حظا مما ذكروا به) يعنى فتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (فأغرينا) يعنى فالقينا واوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده القى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هى الاهواء المختلفة وفى الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثانى ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) يعنى ان الله تعالى يخبرهم فى الآخرة باعمالهم التى عملوها فى الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله تعالى (يا اهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم مافيه فكان اظهاره ذلك معجزة له (ويعفوا عن كثير) يعنى مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة فى ذلك انهم يعلمون كون النبى صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به (قد جاءكم من الله نور) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب مبين) يعنى القرآن (يهدى به الله) يعنى يهدى الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) اى اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذى شرع لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعنى من ظلمات الكفر الى نور الايمان (باذنه) يعنى بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يعنى دين الاسلام * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) قال ابن عباس

بل بترك الآخرة ونعيمها كما قال امير المؤمنين عليه السلام اعبدوا الله لا رغبة ولا رهبة فهم من الفتيان الذين قيل فيهم واذا الفتى عرف الرشاد لنفسه * هانت عليه ملامة العذال (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) والمؤمنون لاهم للتنافى الحقيق بينكم وبينهم اى يتولى الله ورسوله والمؤمنون اياكم اولا يتولى الله واولياءه من الرسول والمؤمنين المحبوبون للتضاد الحقيق بينهم انما تتولون الله ورسوله والذين آمنوا انتم جمع اولا فى ثبات ولايتهم لله مطلقا ثم فصلها بحسب الظاهر فقال ورسوله والذين آمنوا كما فصل فى الشهادة فى قوله شهد الله انه لا اله الا هو (الذين)

هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون فى المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حلّ فى بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله مايدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعنى يامحمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعنى يقدر ان يدفع (من الله شيأ) يعنى من امر الله شيأ (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه) يعنى يعدم المسيح وامه (ومن فى الارض جميعا) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرها (ولله ملك السموات والارض ومابينهما) انما قال ومابينهما ولم يقل ومابينهن لانه اراد مابين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانه ملكهم واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده (يخلق مايشاء) يعنى من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وام (والله على كل شئ قدير) يعنى ان الله تعالى لايعجزه شئ اراده ولا اعتراض لاحد من خلقه عليه ❊ قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن اصار وبحرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ماتخوفنا يامحمد نحن ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله عزوجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية ❊ وسبب هذه المقالة ماحكاه السدى قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى اسرائيل انى ادخل من ولدك النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فرقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا فى المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله واما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح اذهب الى ابى وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا ياابانا الذى فى السماء تقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تأويلها انه فى بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده ❊ وجملة الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا فى تعظيم انفسهم الى ان قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عزوجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه فى النار (بل انتم بشر ممن خلق) يعنى بل انتم يامعشر اليهود والنصارى كسائر بنى آدم مجزيون بالاساءة والاحسان ❊ قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعنى لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعنى من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدى من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والارض

آمنوا (يقيمون الصلاة) صلاة الشهود والحضور الذاتى (ويؤتون الزكوة) زكاة البقايا (وهم راكعون) خاضعون فى البقاء بالله بنسبة كمالاتهم وصفاتهم الى الله كأمير المؤمنين عليه السلام النازل فى حقه هذا القائل لا اله الا الله بعد فناء الخلق لامتصبون فى مقام الطغيان بنسبتها الى انفسهم (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله) فهو من اهل الله وان اهل الله (هم الغالبون) بالله (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لايعقلون قل ياأهل الكتاب هل تنقمون

وما بينهما) يعني انه تعالى يملك ذلك لاشريك له فى ذلك فيعارضه وهوالذى يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لاولدله لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه اوشريك فى ملكه (واليه المصير) يعنى والى الله مرجع العباد فى الآخرة فيجازيهم باعمالهم ❁ قوله تعالى (يااهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقدكنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ماقلنا ذلك لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولاارسل بشيرا ولانذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يااهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعنى احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعنى على انقطاع من الرسل ❁ واختلف العلماء فى قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة اخرجه البخارى وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وماشاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة واربعون سنة وقال الضحاك انها اربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى و ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهى الفترة وكان بين عيسى ومحمد اربعة من الرسل ❁ ذلك قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لاادرى من هو فكانت تلك السنون مائة واربعا وثلاثين سنة نبوة وسائرها فترة قال ابوسليمان الدمشقى والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه قال الامام فخرالدين الرازى والفائدة فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هى ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لابد من عبادتك ولكنا ماعرفنا كيف نعبدك فبعث الله فى هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عزوجل (ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير فى هذا الوقت (فقدجاءكم بشير ونذير) يعنى فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على بعثة الرسل فى وقت الحاجة اليهم ❁ قوله عزوجل (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا ايادى الله عندكم وايامه التى انعم فيها عليكم قال الطبرى هذا تعريف من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتمادى هؤلاء اليهود فى الغى وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه لديهم وآلائه لديهم يسلى بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم فى ذات الله عزوجل (اذجعل فيكم انبياء) يعنى ان موسى عليه السلام ذكر قومه بنى اسرائيل بأيام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذفضلكم بأن جعل فيكم انبياء قال الكلبى

منا الا ان آمنا بالله وماانزل الينا وماانزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عندالله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذاجاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفروهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرامنهم يسارعون فى الاثم والعدوان) اى يقدمون على جميع الرذائل بالسرعة لاعتيادهم بها وتدربهم فيها وكونها ملكات لنفوسهم فالاثم رذيلة القوة النطقية لانه الكذب والعدوان رذيلة القوة الشهوية (واكلهم السحت لبئس ماكانوا يعملون لولاينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس

هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا كان انبياء بنى اسرائيل من اولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده فى بنى اسرائيل انبياء فانه لم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعنى وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا فى ايدى القبط قال ابن عباس يعنى جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوى بغير سند وسأل رجل عبدالله بن عمرو بن العاص فقال السنا من فقراء المهاجرين فقال له عبدالله الك امرأة تأوى اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنياء قال فان لى خادما قال فأنت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانكم يذكرهم ماانعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التى انعم الله بها عليهم ✽ قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ماانعم الله به عليهم امرهم الخروج الى جهاد عدوهم فقال ياقوم ادخلوا الارض المقدسة يعنى المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبى صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هى الطور وما حوله وقيل هى اريحاء وفلسطين وبعض الاردن وقيل هى دمشق وقيل هى الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت فى كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله فى ارضه وبها اكثر عباده التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم ✽ فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما ✽ قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثانى ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا ترتدوا على ادباركم) يعنى ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذى امركم به وان فعلتم خلاف ماامركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعنى فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله ✽ قوله عز وجل (قالوا) يعنى قوم موسى (ياموسى ان فيها) يعنى فى الارض المقدسة (قوما جبارين) يعنى قوما عاتين لاطاقة لنا بهم ولاقوة لنا بقتالهم وسموا اولئك القوم جبارين

ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يدالله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لايحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب آمنوا) آمنوا الايمان التوحيدى الحقيقى (واتقوا) واجتنبوا عن

لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار فى صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعنى اجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على مايريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لاتصل الايدى اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعنى ارض الجبارين التى امرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من ارضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه واخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لاتخبروا بنى اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم* وقيل ان النقباء الاثنى عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض لاتخبروا بنى اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا واخبروا موسى امرهم ان لايخبروا بنى اسرائيل بذلك فخالفوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا فى ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بنى اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعنى يخافون الله ويراقبونه (انعم الله عليهما) يعنى بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعنى قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لبنى اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) يعنى يقول الرجلان لقوم موسى تقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولايهولنكم عظم اجسامهم فانا قد رايناهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك اراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا امرهما وقالوا مااخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا) يعنى قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعنى مدة حياتنا (ماداموا فيها) يعنى مقيمين فيها (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوّزون الذهاب والمجئ على الله تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما ارادوا بقولهم وربك اخاه هرون لانه كان اكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون انا صاحبه احب الى مما عدل به اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يارسول الله انا لانقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى

شرك افعالهم وصفاتهم وذاتهم (لكفرنا عنهم سيئاتهم) من بقاياهم (ولأدخلناهم جنات النعيم) الجنات الثلاث (ولو انهم اقاموا التوراة) بتحقق علوم الظاهر والقيام بحقوق تجليات الافعال والمحافظات على احكامها فى المعاملات (والانجيل) بتحقق علوم الباطن والقيام بحقوق تجليات الصفات والمحافظة على احكامها (و) احكموا (ماانزل اليهم من ربهم) من علم المبدا والمعاد وتوحيد

اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسر * قوله تعالى (قال) يعنى موسى عليه السلام (رب) اى يارب (انى لااملك الانفسى واخى) يعنى انى لااملك الانفسى واخى لايملك الانفسه وقيل معناه لااملك الانفسى ونفس اخى لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لااملك الانفسى واخى وان كان معه فى طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوقنا الاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخى فى الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخوه فى الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان فى قوله واخى ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اى افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعنى الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بنى اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعنى فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بى حلفت لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية اربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم فى هذه القفار واما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعنى الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لاتحريم تعبد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بان يمكثوا فى تلك المفازة فى الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم (اربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون فى الارض فاما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم * وقوله تعالى (يتيهون فى الارض) يعنى يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير * واختلفوا فى مقدار الارض التى تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ فى ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذا هم فى الموضع الذى رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبنى اسرائيل ماخلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما * فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد * قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات فى ازمان الانبياء غير مستبعد فان الله على كل شئ قدير * وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ماحرم عليهم الخروج من تلك الارض بل امر بالمكث اربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنو اسرائيل فى التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ماهى قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه ان يسقيهم فأتى بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم

الملك والملكوت من عالم الربوبية الذى هو عالم الاسماء (لأكلوا من فوقهم) اى لرزقوا من العالم العلوى الروحانى العلوم الآلهية والحقائق العقلية اليقينية والمعارف الحقانية التى بها اهتدوا الى معرفة الله ومعرفة الملكوت والجبروت (ومن تحت ارجلهم) اى من العالم السفلى الجسمانى العلوم الطبيعية والمدركات الحسية التى اهتدوا بها الى معرفة عالم الملك فعرفوا الله باسمه الظاهر والباطن بل

الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل اريحاء ممن قال انا لن ندخلها ابدا واختلفوا في ان موسى عليه السلام مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا في التيه جميعا

(قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام)

فاما هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدى اوحى الله عز وجل الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا بيت مبنى وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت اعجبه وقال ياموسى انى احب ان انام على هذا السرير قال ثم قال انى اخاف ان يأتى رب هذا البيت فيغضب علىّ قال لاتخف انى اكفيك رب هذا البيت فنم قال ياموسى فنم انت معى فان جاء رب هذا البيت غضب علىّ وعليك جميعا فلما ناما اخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال ياموسى خدعتنى فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بنى اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان اخى افترونى اقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فمات هرون وبقى موسى فقال بنو اسرائيل لموسى انت قتلته وآذوه فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل انه مات وبرا الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم * واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفى الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه ويقول له يانبى الله مااحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبى الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شئ مما احدث الله اليك حتى كنت انت تبتدئ به وتذكره لى ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتنى الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ماغطت يده من شعرة سنة قال اى رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفى رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ماتقدم قال الشيخ محيى الدين النووى قال المازرى وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوّره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت واجاب عنه العلماء باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى فى هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل فى خلقه مايشاء ويمتحنهم بما اراد والثانى ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادّت المدافعة الى فقء عينه لا انه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه وهذا

بجميع الاسماء والصفات ووصلوا الى مقام التوحيدين المذكورين (منهم امة مقتصدة) عادلة واصلة الى توحيد الاسماء والصفات (وكثير منهم ساء مايعملون) لم يصلوا الى توحيد الافعال فضلا عن توحيد الصفات فساء عملهم لأنه من صفات نفوسهم فهو حجابهم الاكثف (ياأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين قل ياأهل

جواب الامام ابى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازرى والقاضى عياض قالوا وليس فى الحديث تصريح بانه قصد فقأ عينه * فان قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه اتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى * واما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم * وفيه دليل على استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين * قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم * قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمرّ برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفى الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوّت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام انقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع الى بنى اسرائيل فاخبرهم ان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى اريحاء وهى مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان فى السابع نفخوا فى القرون وضجوا فى الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علىّ الشمس وقال للشمس انك فى طاعة الله وانا فى طاعة الله وسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فردّ الله عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان وفى الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبنى بها ولم يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما اوخلفات وهو ينتظر اولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر اوقريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد فى رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا

الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدنّ كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين انّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا) على حسب مراتبهم فلما كانوا محجوبين من جميع الوجوه

وعجزنا فأحلهالنا اخرجه البخاري ومسلم * شرح غريب هذا الحديث * قوله لايتبعنى رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها اى لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذى حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضي وقد روى ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوى وقال رواته ثقاة والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما اخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير فى زياداته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن فى جبل افراثيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره امر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذى فتح اريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء ان موسى عليه السلام هو الذى قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبرى ونقل عن السدى قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب انى لا املك الانفسى واخى الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ماصنعت بنا ياموسى فكثوا فى التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى فى السماء عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبرى ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره فى التيه لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروى عن نون قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعوراء كان ممن اعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وسترد قصته فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى * قوله تعالى (فلا تأس على القوم الفاسقين) يعنى لاتحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على مادعا على قومه اوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اى لاتحزن يامحمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصى ومخالفة الرسل * قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) يعنى اذكر لقومك واخبرهم خبر ابنى آدم وهما هابيل وقابيل فى قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابنى آدم الذين قربا القربان ماكانا ابنى آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بنى اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى فى آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ماذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال فى اخر الآية فبعث الله غرابا يبحث فى الارض لان القاتل جهل مايصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اى اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما فى الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود

ارسلنا موسى لرفع حجاب الافعال والدعوة الى توحيد الملك فاهوته انفسهم لان دعوته كانت مخالفة لهواها لضراوتها بافعالها وتبجحها بها وبلذاتها وشهواتها فكذبوه وعبدوا عجل النفس واعتدوا فى السبت وفعلوا مافعلوا حتى اذا آمن به من آمن وبرز من حجاب الافعال حسب انه الكمال المطلق فارسلنا عيسى برفع حجاب الصفات والدعوة الى الباطن وتوحيد الملكوت فاهوته انفسهم لمخالفة

هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة اونسك اوغير ذلك مما يتقرب به

* (ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل) *

ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوّاء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا فى عشرين بطنا اولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته امالمغيث ثم بارك الله فى نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حوّاء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حوّاء فى الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوّج اية اخواته شاء غير توأمته التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فكبر قابيل واخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا امر الله آدم ان يزوّج قابيل لبودا اخت هابيل ويزوّج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى اختى وانا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال ابوه آدم انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم فربا الله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردئ واضمر فى نفسه لا ابالى ايتقبل منى ام لا لا يتزوج اختى احد غيرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش فى غنمه فقربه واضمر فى نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من احدهما) يعنى هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعنى قابيل فغضب قابيل اذلم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو فى غنمه (قال لاقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلنى قال قابيل لان الله تقبل قربانك وردّ قربانى وتريد ان تنكح اختى الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير منى ويفخر ولدك على ولدى فقال هابيل وماذنبى (انما يتقبل الله من المتقين) يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت الىّ يدك) يعنى لئن مددت

دعوته هواها من حسبانه الكمال فكذبوه وفطوا مافطوا حتى اذا آمن به من آمن وبرز عن حجاب الصفات بقى على حاله حاسبا لنفسه الكمال المطلق فارسلنا محمدا بدفع حجاب الصفات والدعوة الى توحيد الذات فدعوته انفسهم فكذبوه (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ان لاتكون فتنة) شرك عند توحيد الافعال وظهور الدعوة العيسوية (فعموا) عن

الىّ يدك (لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك) يعنى ما انا بمنتصر لنفسى بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج من قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله (انى اخاف الله رب العالمين) والمعنى انى اخاف الله فى بسط يدى اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبنى على ذلك * قوله عز وجل اخبارا عن هابيل (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك) يعنى ترجع باثم قتلى الى اثم معاصيك التى عملتها من قبل * فان قلت كيف قال هابيل انى اريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوزه قلت اجاب ابن الانبارى عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الىّ يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك انى اريد ان تبوء باثمى واثمك اى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه اشار الزجاج فقال معناه ان قتلتنى فما انا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه انى اريد ان تبوء بعقاب اثمى واثمك فحذف المضاف ومباء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (فتكون من اصحاب النار) يعنى الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعنى جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما * قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل اخيه) يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصوّر ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة * وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته اما دنياه فاسخط والديه وبقى بلا اخ واما آخرته فاسخط ربه وصار الى النار (ق) عن عبد الله ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل * قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يرى قابيل سنته فى موتى بنى آدم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث

تجليات رؤية الصفات (وصموا) عن سماع عليها (ثم تاب الله عليهم) بفتح اسماع قلوبهم وابصارها فتابوا فقبل توبتهم (ثم عموا وصموا) عند الدعوة المحمدية عن مشاهدة الوجه الباقى وسماع علم توحيد الجمع المطلق (كثير منهم والله بصير بما يعملون) بعملهم فى المقامات الثلاث وردّ الدعوات وانكار الانبياء فيجازيهم على حسب حالهم (لقد كفر الذين قالوا انّ الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح

في الارض يعني يحفرها و يثير ترابها ليريه كيف يواري سوأة اخيه يعني ليرى الله او يرى الغراب قابيل كيف يواري و يستر جيفة اخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال ياويلتا) اى لزمه الويل وحضره وهي كلمة تحسر و تلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال ياويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب) يعني مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الآخر (فأواري سوأة اخي) يعني فأستر جيفته وعورته عن الاعين (فاصبح من النادمين) يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبدالله بن حنطب لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى ابن اخوك هابيل فقال ما ادرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا وروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

وروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهى سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يابني انت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها

ومالى لا اجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة على غما * فهل انا من حياتى مستريح

قال الزمخشري وروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمق من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر ادم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولى

يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله) اى خصصوا عبادتكم بالذات الموصوفة بجميع الصفات والاسماء التى هى الوجود المطلق ولا تعينوه باسم وصفة فان نسبة ربوبيته الى الكل سواء ومن حصر الوهية في صورة وخصصها باسم معين وكلمة معينة وصفة معينة فقد اثبت غيره ضرورة وجود ماسواه من الاسماء والصور والصفات ومن اثبت غيره فقد اشرك به

ومن اشرك به (فقد حرّم الله عليه الجنة) جنة شهوده بذاته وصفاته وافعاله اى الجنة المطلقة الشاملة يعنى فقد حجبه مطلقا (ومأواه النار) نار الحرمان لظلمه بالشرك (وما للظالمين من انصار) ينصرونهم فينقذونهم من العذاب (لقد كفر) حجب (الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) واحد من جملة ثلاثة اشياء الفعل الذى هو ظاهر عالم الملك والصفة التى هى باطن عالم الملكوت والذات

*مهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لاتأمن من تراه فأخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لايمر به احد الا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فات فقال الاعمى ويل لى قتلت ابى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار فى الصيف وحظيرة من ثلج فى الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى اغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة *قوله تعالى (من اجل ذلك) يعنى بسبب ذلك القتل الذى حصل وقيل الاجل فى اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اى جنى عليهم شرا (كتبنا) اى فرضنا واوجبنا (على بنى اسرائيل) فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل مامر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا مشكل لانه لامناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بنى اسرائيل *قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك اى من اجل انه قتل هابيل ولم يواره *وروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعانى على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس بوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى مامر ذكره فى هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة فى الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حصل فى انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لادافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل اى من اجل ذلك الذى ذكرنا فى اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد الحرم شرعنا القصاص على القاتل *فان قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا فى جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببنى اسرائيل *قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما فى جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور ههنا فى حق بنى اسرائيل غير ثابت فى جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم فى هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ولايشك ان المقصود منه المبالغة فى عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ماقدم عليه اليهود بالفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بنى اسرائيل فى هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله اعلم بمراده *قوله عز وجل (انه من قتل نفسا) يعنى قتل نفسا ظلما (بغير نفس) يعنى بغير قتل نفس لاعلى وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم (او فساد فى الارض) هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد فى الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة

منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد فى الارض (فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي او امام عدل فكانما احيى الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعنى من غرق او حرق او وقوع فى هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعنى ان له من الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع من قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعانى قوله ومن احياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى فى الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية اهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل فقال اى والذى لا آله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل اكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعنى ولقد جاءت بنى اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) يعنى بعد مجئ الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (فى الارض لمسرفون) يعنى بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير * قوله عز وجل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) قال ابن عباس نزلت فى قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا فى الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشأ يقتل وان يشأ يصلب وان يشأ يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبي نزلت فى قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فأمرلهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى أثرهم فأمر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وارجلهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد فى رواية قال قتادة فحدثنى ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفى رواية للبخارى ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا

التى تقوم بها الصفة ويصدر عنها الفعل اذ ليس هو ذلك الواحد الذى توهموه بل الفعل والصفة فى الحقيقة عين الذات ولا فرق الا بالاعتبار وما من اله الا الواحد المطلق والالكان بحسب كل اسم من اسمائه اله آخر فتتعدد الآلهة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون) من كون الصفة والفعل غير الذات (ليمسن الذين كفروا)

من البانها وابوا لها فقتلوا الراعى واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم فى الحرة يعضون الحجارة زاد فى رواية قال ابو قلابة واى شئ اشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفى رواية ابى داود ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمر لهم النبى صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل فى آثارهم فما ارتفع النهار حتى جئ بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد فى رواية له وانزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا الآية * شرح غريب هذا الحديث وحكمه * قوله انا كنا اهل ضرع يعنى اهل ماشية وبادية نعيش بالابن ولسنا من اهل المدن * والريف هو الارض التى فيها زرع وخصب والجمع ارياف * قوله استوخموا المدينة يعنى انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو مسماه * والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة هو الحرة هى ارض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة * وقوله فسمر اعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها اعينهم حتى ذهب بصرها * وقوله وينهى عن المثلة المثلة ان تقطع اطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك * واختلف العلماء فى حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله * واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفى معناها للعلماء قولان احدهما ان المحاربين لله هم المخالفون امره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف امر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثانى معناه يحاربون اولياء الله واولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون فى الارض فسادا) يعنى بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا فى حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون فى البلد وهذا قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى وقال ابو حنيفة المكابرون فى الامصار ليس لهم حكم المحاربين فى استحقاق هذا الحد * ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض) وللعلماء فى لفظة او المذكورة فى هذه الآية قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس فى رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعى ومجاهد وهو ان الامام مخير فى امر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثانى ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات

المحجوبين (منهم عذاب اليم) مؤلم لقصورهم فى العرفان مع كونهم مستعدين (افلا يتوبون الى الله) بالرجوع عن اثبات التعدد فى الله الى عين الجمع المطلق (ويستغفرونه) عن ذنب رؤية وجودهم ووجود غيرهم (والله غفور) يسترهم ... بذاته (رحيم) ... العذاب بكمال العرفان والتوحيد (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين

على ترتيب الجرائم وهذا كما روى عن ابن عباس فى قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعى والشافعى واصحاب الرأى واختلفوا فى كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن فى بطنه برمح حتى يموت قال الشافعى يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق فى ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا فى تفسير النفى من الارض المذكور فى الآية فقيل ان الامام يطلبهم ففى كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعى وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفى هو الحبس لانه نفى من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفى من الارض فى الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التى هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب اول من حبس فى السجون يعنى من هذه الامة وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى (ذلك) يعنى الذى ذكر فى هذه الآية من الحدود (لهم) يعنى للمحاربين (خزى فى الدنيا) اى عذاب وهوان وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد فى حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من اجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفى العذاب العظيم عنهم فى الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجناية فى الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب فى الدنيا فهو فى خطر المشيئة ان شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة * وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) يعنى لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعى فى الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعنى فلا سبيل لكم عليهم بشئ من العقوبات المذكورة فى الآية المتقدمة (فاعلموا ان الله غفور) يعنى لمن تاب من الشرك (رحيم) يعنى به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية وانه لا يطالب بشئ مما اصاب من مال او دم قال ابو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التى وجبت عليهم فى كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن واصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشئ بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن من قبل القدرة عليه فقال السدى هو كالكافر اذا آمن لم يطالب بشئ الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرد على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعى غير ان مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فأما ما اصاب من الدماء والاموال ولم يطلبها اولياؤها فلا يتبعه الامام بشئ من ذلك وهذا حكم على بن ابى طالب فى حارثة بن بدر وكان قد خرج محاربا فتاب قبل ان يقدر عليه فامنه على على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى ابى موسى الاشعرى وهو على الكوفة فى خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذا مقام العائذ بك انا فلان بن فلان المرادى كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت فى الارض بالفساد وانى قد تبت من قبل ان يقدر على فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادى وانه كان حارب الله ورسوله وسعى فى الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد الا بخير وقال الشافعى يسقط

لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) اذ لا فعل له فيضر او ينفع بل لا وجود فضلا من الفعل وقال ما لا يملك دون من وان كان المراد عيسى للتنبيه على انه شئ يعتبر اعتبارا من حيث نفسه ولا وجود له حقيقة (والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل) بالاحتجاب عن

عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بني آدم من قصاص او مظلمة من مال اوغيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة ﴿ قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اى خافوا الله بترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضي وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر * ان الرجال لهم اليك وسيلة * اى قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة اى تحببوا الى الله عز وجل (وجاهدوا في سبيله) اى وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم تفلحون) يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب اليم) المقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا جاءهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا ﴿ قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) قال ابن السائب نزلت في طعمة بن ابيرق وقدمنا قصته في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه يأخذ الشيء الذي ليس له اخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هاهنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شيء موحد من اعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع ﴿ وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم (نكالا من الله) يعني عقوبة من الله (والله عزيز) في انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق

* (فصل في بيان حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * اقتضت هذه وجوب

انوار الصفات (واضلوا كثيرا وضلوا) الآن (عن سواء السبيل) طريق الوحدة الذاتية التي هي الاستقامة الى الله (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا اهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * وعن عائشة قالت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه * (المسئلة الثانية) * اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا اخرجاه في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم او قيمتها لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه الجماعة المجن الترس وروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن ابي ليلى لما روى عن انس قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم روى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينار او عشرة دراهم اخرجه ابو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز او غير حرز * (المسئلة الثالثة) * الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه اما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي واحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيأ من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي له او متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من اصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) الموالاة والمعاداة انما يكونان بحسب المناسبة والمخالفة فكل من والى احدا دل على رابطة جنسية بينهما وكل

فلاشئ عليه اخرجه الترمذى وابوداود والنسائى وزادفيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيأ بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو مايحمله الانسان فى حضنه وقيل هو ما يأخذه فى خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع التمر الذى يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك فى الموطأ عن ابى حسين المكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاقطع فى ثمر معلق ولا فى حريسة الجبل فاذا آواه المراح اوالجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبدالله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابى حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وجده هو عبدالله بن عمرو بن العاص قوله ولا فى حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس فى الجبل اذا سرق قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هى الشاة التى يدركها الليل قبل ان تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذى تأوى اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذى والنسائى * (المسئلة الرابعة) * اذا سرق مالاله فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده اوالوالد يسرق من مال ابنه اوالعبد يسرق من مال سيده اوالشريك يسرق من مال شريكه فلاقطع على احد من هؤلاء فيه * (المسئلة الخامسة) * اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته روى هذا عن ابى بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعى لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوى بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعدما قطعت يده ورجله فلاقطع عليه بل يحبس وروى عن على انه قال انى استحى ان لاادع له يدا يستنجى بها ولا رجلا يمشى بها وهذا قول الشعبى والنخعى والاوزاعى وبه قال احمد واصحاب الرأى * قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه) يعنى من بعد ماظلم نفسه بالسرقة (واصلح) يعنى واصلح العمل فى المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعنى فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعنى لمن تاب (رحيم) به * (فصل) * وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولابد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على مامضى والعزم على تركه فى المستقبل عن ابى امية المخزومى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مااخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين اوثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جئ به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابوداود والنسائى بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ماسرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثورى واصحاب الرأى لاغرم عليه فلو كان المسروق باقيا

من عاداه دل على مباينة ومضادة بينهما ولما كان اليهود محجوبين عن الذات والصفات ولم يكن لهم الاتوحيد الافعال كانت مناسبتهم مع المحجوبين المشركين مطلقا اقوى من مناسبتهم مع المؤمنين الموحدين مطلقا ولما كان النصارى برزوا من حجاب الصفات ولم يتولهم الاحجاب الذات كانت مناسبتهم مع المؤمنين اقوى فلذلك كانوا اقرب مودة لهم من غيرهم والمشركون

عنده يجب عليه ان يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمتنع احدهما بالآخر والله اعلم * قوله عز وجل (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس * ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر امر ما في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شيء مما اراده فيهما لان ذلك كله في ملكه واليه امره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء واراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه * قوله تعالى (يا ايها الرسول) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا ايها النبي في مواضع من كتابه وبيا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والآخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يعني لا تهتم بموالاتهم الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) اي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قابلون الكذب اي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه * وقوله تعالى (سماعون) يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم اهل خيبر (لم يأتوك) يعني اهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد * (ذكر القصة في ذلك) * قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالحد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه

والبهود اشد عداوة لقوة حجابهم اما ترى كيف علل قربهم في المودة بعلمهم وعبادتهم وعدم استكبارهم فان العبادة توصل الى جنة الافعال لتجردهم فيها عن افعال نفوسهم فاعلين ما امر الله والعلم يوصل الى جنة الصفات لتنزههم به عن جنة النفوس والوصول الى مقام القلب الذي هو محل المكاشفة وقبول العلم الآلهي وعدم الاستكبار يدل على انهم ماروا نفوسهم

ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا انهم انكم
جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب
ان تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق
قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابى
الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا
احصنا ما حدهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية
الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل بينك و بينهم ابن
صوريا ووصفه له فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك
يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأى رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما
انزل الله على موسى عليه السلام فى التوراة قال فأرسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم
انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودى قال كذلك يقولون فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود
تجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك بالله الذى لا اله
الا هو الذى انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق
آل فرعون وبالذى ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله
وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذى ذكرتنى به
لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت اوغيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابكم
يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليهما الرجم
فقال ابن صوريا والذى انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به فى امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا
الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم
نرجمه ثم زنى رجل آخر فى اسرة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا ترجمه
حتى ترجم فلانا ابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشريف والوضيع
فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على
حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا
ما اسرع ما اخبرته وما كنت لما اثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا
انه قد ناشدنى بالتوراة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فأمر النبى صلى الله عليه وسلم
بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى اول من احيا امرك اذ اماتوه فأنزل الله هذه الآية (ق) عن
ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم
ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم
يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم
فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل يحنى
على المرأة يقيها الحجارة وفى رواية اخرى لهما قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود

موصوفة بصفات العبادة
والعلم ولا نسبوا فعلهم
وعلمهم اليها بل الى الله والا
استكبروا واظهروا العجب
(ترى اعينهم تفيض
من الدمع) شوقا الى
ما عرفوا من توحيد الذات
لانهم كانوا اهل رياضة
وذوق فهاجت نفوسهم
بسماع الوحى وذكروا
الوحدة (مما عرفوا من الحق)
بصفاته اوسمعوا من الحق
كلامه فبكوا اشتياقا كما قال
ويبكى ان نأوا شوقا اليهم
ويبكى ان دنوا خوف

قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بها فقال لرجل ممن يرضون اعور اقرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرجما فرأيته يحني زاد في رواية أخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك بحد الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذا ماتوه فامر به فرجم فانزل الله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروه فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون في التوراة في شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس بتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه * قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه * فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما * قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب ففي قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية * وقوله تعالى (يقولون) يعني اليهود (ان اوتيتم هذا فخذوه) يعني ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعني كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيأ) يعني فلن تقدر على دفع امر الله فيه (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم)

الفراق (يقولون ربنا آمنا) بالتوحيد الذاتي ايمانا عينيا فاجعلنا (فاكتبنا مع الشاهدين) الحاضرين الذين مقامهم الشهود الذاتي واليقين الحقي وايمانا علميا يقينيا فاجعلنا مع المعاينين (ومالنا لا نؤمن بالله) ايمانا حقيقيا بذاته وما جاءنا من كلامه او لا نؤمن بالله جمعا (وما جاءنا من الحق) تفصيلا (ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) الذين استقاموا بالبقاء بعد فنائهم بالله بما قالوا (جنات تجرى

قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من اشد الآيات على القدرية (لهم في الدنيا خزى) يعني للمنافقين واليهود اما خزى المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزى اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود * قوله عز وجل (سماعون للكذب اكالون للسحت) نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذى لا تكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم * عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذى واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شئ فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * قوله عز وجل (فان جاؤك) يعني اليهود (فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدى نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الآخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيرى ديتين وللقرظى دية واحدة لانه كان من بنى النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الآية يخير نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم

* (فصل) * اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا اعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبي والنخعي والزهرى وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الآيتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم

من تحتها الانهار خالدين فيها) من التجليات الثلاث مع ومها (وذلك جزاء المحسنين) المشاهدين للوحدة في عين الكثرة بالاستقامة في الله (والذين كفروا) حجبوا عن الذات (وكذبوا بآياتنا) بآيات الصفات (اولئك اصحاب) الحرمان الكلى في جميع صفات النفوس (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا عليا (لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) من مكاشفات الاحوال وتجليات الصفات بتقصيركم في السلوك

بينهم بل بخير فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الآية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم * وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعنى بالعدل والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا هذا من احاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفى امثاله نؤمن بها ولا نتكلم فى تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين مبنى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيى الدين فى شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله اعلم * قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما فى التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله تعالى اظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبى صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفى الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعنى الرجم الذى تحاكموا اليك من اجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما فى كتابهم (وما اولئك) يعنى اليهود (بالمؤمنين) يعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين لك * قوله عز وجل (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان احكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) اراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث فى بنى اسرائيل الوفا من الانبياء وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا اى انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذى هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم فى التوراة قال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا

(ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) بطغيان النفس وظهورها بصفاتها واجعلوا ما رزقكم الله من علوم التجليات ومواهب الاحوال والمقامات غذاء قلوبكم سائغا طيبا واجعلوا الله وقاية لكم فى حصول تلك الكمالات بان تروها منه وله لا منكم ولكم فتطغوا (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

يعني اليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حمله على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ماارادوه من الجلد وقال
الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور
للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا (والربانيون والاحبار) اما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة
آل عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها
لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه صاحب
كتاب وقال ابوعبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من اثر علومه في قلوب الناس
وافعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه
الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه وانما سمي العالم حبرا لما عليه
من اثر جمال العلم *وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا فيه خلاف فقيل لافرق والربانيون
والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى
قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون
علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها
الربانيون والاحبار * وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعني بما استودعوا من كتاب الله
وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلاينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلايضيعوا احكامه وشرائعه وقد
اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم
ويدرسوه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لايضيعوا احكامه ولايهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا
قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعني ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على
كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله (فلاتخشوا الناس واخشون) هذا
خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لاتخافوا احدا
من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك
(ولاتشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يعني ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة
في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس
كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه واخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا
قليل (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) يعني ان اليهود لما انكروا حكم الله تعالى
المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة
وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن *واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله
ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون
ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث
نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لايقال انه كافر
وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ماروى عن البراء بن عازب
قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها اخرجه مسلم

فكفارته اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون
اهليكم اوكسوتهم اوتحرير
رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة
ايام ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم
كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تشكرون يا ايها
الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن

وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث فى اليهود خاصة قريظة والنضير اخرجه ابو داود وقال مجاهد فى هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله تعالى التى اتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة لكن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روى عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعى هذه الآيات الثلاث عامة فى اليهود وفى هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدى لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما من خفى عليه النص اواخطأ فى التأويل فلا يدخل فى هذا الوعيد والله اعلم بمراده ❊ قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) يعنى وفرضنا على بنى اسرائيل فى التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم فى التوراة ان على الزانى المحصن الرجم واخبر ان اليهود بدلوه وغيروه واخبر ايضا ان فى التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بنى النضير على بنى قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة ادّوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بنى النضير ادّوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذى انزله فى التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه فى التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعى انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علىّ بن ابى طالب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث اخرجاه فى الصحيحين ❊ وقوله تعالى (والعين بالعين) يعنى تفقأ بها (والانف بالانف) يعنى يجدع به (والاذن بالاذن) يعنى تقطع بها (والسن بالسن) يعنى تقلع بها واما سائر الاطراف والاعضاء فيجرى فيها القصاص كذلك ❊ وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعنى فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض فى لحم او كسر فى عظم او جراحة فى بطن يخاف منها التلف فلا قصاص فى ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم ان هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا فى التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة فى شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسئلة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وامته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن اصحاب ابى حنيفة وبعض اصحاب الشافعى وعن احمد فى احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحى اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع

ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون) موحدين (واطيعوا الله) بالفناء فيه فتنقادوا فيما يستعملكم فيه كالميت (واطيعوا الرسول) بالبقاء بعد الفناء فتستقيموا فيه مراعين للتفصيل احياء بحياته (واحذروا) ظهور البقاء حالة الاستقامة (فان توليتم فاعلموا) انّ التفسير منكم فما على رسولنا وما على الرسول الا البلاغ لا الالزام (ليس على الذين آمنوا) الايمان الغيبىّ بتوحيد الافعال (وعملوا) بمقتضى ايمانهم

من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي وهو الحق والاليق بالنزاع بمعنى اذ لاينكر احد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما اوحي اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآمدي من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بأن الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال * قوله تعالى (فمن تصدق به) يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني (فهو كفارة له) في هاء له قولان احدهما ان الهاء في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح اوولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبدالله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ماروى عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يصاب بشئ من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة اخرجه الترمذي وعن انس قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابوداود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لايؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله تعالى * وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عزوجل * قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعني وعقبنا على آثار النبيين الذين اسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعني فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار الاول لان في الاول الاخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بأن الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ * قوله تعالى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) قال اهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ماقبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه امر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل * فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القرآن * قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل * قوله عز وجل (وانزلنا اليك الكتاب)

اعمالا تخرجهم من حجب الافعال وتصلهم لرؤية افعال الحق حرج وضيق فيما تمتعوا به من انواع الحظوظ اذا ما اجتنبوا بقايا افعالهم واتخذوا الله وقاية في صدور الافعال منهم (وآمنوا) بتوحيد الصفات (وعملوا) مايخرجهم عن حجب الصفات ويصلهم لمشاهدة التجليات الآلهية بالصوفيها (ثم اتقوا) بقايا صفاتهم واتخذوا الله وقاية في صدور صفاته عليهم (وآمنوا) بتوحيد الذات

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق الذي لاشك فيه انه من عندالله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي انزلها الله على انبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذوو الالباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لاينسخ ولايغير ولايبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن امينا على الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان قالوا اذلك في القرآن فقد صدقوا والافلا (فاحكم بينهم بما انزل الله) يعني اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي انزله الله اليك (ولاتتبع اهواءهم) يعني ولاتتبع اهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لاتأخذ باهوائهم في جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعني ولاتنحرف عن الحق الذي جاءك من عندالله متبعا اهواءهم وقوله ولاتتبع اهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع اهواءهم قط * وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذا انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار فمعنى شرع بين واوضح وقيل هو من الشروع في الشيء والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها مايشاء ويحرم مايشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لايقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة ان لااله الا الله والاقرار بما جاء من عندالله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ومنها قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عندالله ولم يختلفوا فيه واما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع

(ثم اتقوا) بقية ذواتهم واتخذوا الله وقاية في وجودهم بالفناء المحض والاستهلاك في عين الذات واحسنوا بشهود التفصيل في عين الجمع والاستقامة في البقاء بعد الفناء (والله يحب المحسنين) المشاهدين للوحدة في عين الكثرة المراعين لحقوق التفاصيل في عين الجمع بالوجود الحقاني (يا ايها الذين آمنوا) بالغيب (ليبلونكم الله) حال سلوككم واحرامكم لزيارة كعبة الوصول (بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم)

وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز ان يتعبدالله عباده في كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله اعلم باسرار كتابه *واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعني ولكن اراد ان يختبركم (فيما آتاكم) يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها ام لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا يا امة محمد بالاعمال الصالحات التي تقربكم الى الله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب *قوله تعالى (وان احكم بينهم بما انزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن اسيد وعبدالله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل الله هذه الآية وان احكم بينهم بما انزل الله يعني احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي انزله الله في كتابه (ولا تتبع اهواءهم) يعني فيما امروك به قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وانما انزلت في حكمين مختلفين اما الآية الاولى فنزلت في شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الآية نزلت في شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه في امر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم *وقوله تعالى (واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك في كتابه واتباع اهوائهم (فان تولوا) يعني فان اعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله عليك (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم الى الآخرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) يعني اليهود لانهم ردوا احكم الله تعالى (افحكم الجاهلية يبغون) يعني افحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام وتحريفهم اياها عما امر الله به وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة واربعين وسقا وارش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني احكم ان دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك

من الحظوظ بتيسر لكم ويتهيأ ما يتوصل به اليها (ليعلم الله) العلم التفصيلي التابع للوقوع الذي يترتب عليه جزاء (من يخافه) في حالة الغيبة فان الخوف لا يكون الا للمؤمنين بالغيب لتعلقه بالخطاب الذي هو من باب الانفعال واما في حالة الحضور فاما الخشية فتجلي الربوبية والعظمة واما الهيبة فتجلي الذات فالخوف من صفات النفس والخشية من صفات القلب والهيبة من صفات الروح

فانك لما عدو وانك ماتألوف وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يامحمد افحكم الجاهلية يبغون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعنى اى حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل فى احكامه * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء) اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لايمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية فى عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبدالله ابن ابى بن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لى اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لى الا الله ورسوله فقال عبدالله بن ابى لكنى لا ابرأ من ولاية اليهود فانى اخاف الدوائر ولابد لى منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياابا الحباب مانفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهولك دونه فقال اذن اقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودى وآخذ منه امانا انى اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا الحق بفلان النصرانى من اهل الشام وآخذ منه امانا فأنزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت فى ابى لبابة بن عبدالمنذر لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه فى حلقه اشارة الى انه الذبح وانه يقتلكم فأنزل الله ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء فنهى الله المؤمنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر انه من اتخذهم انصارا واعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه براء (بعضهم اولياء بعض) يعنى ان بعض اليهود انصار لبعض على المؤمنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم فى دينهم وملتهم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) يعنى ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لايتولى مولى احد الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضى دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم فى مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام (ان الله لايهدى القوم الظالمين) يعنى ان الله لايوفق من وضع الولاية فى غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان اباموسى الاشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب ان لى كاتبا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعنى مسلما اما سمعت قول الله عز وجل ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولى كتابته فقال لا اكرمهم اذا اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت انه لايتم امر البصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين * قوله تعالى (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى فترى يامحمد الذين فى قلوبهم شك ونفاق (يسارعون فيهم) يعنى يسارعون فى مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت فى عبدالله بن ابى المنافق وفى اصحابه من المنافقين (يقولون) يعنى المنافقين (نخشى ان تصيبنا دائرة) الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التى تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط اليهود لاننا نخشى ان يدور

(فمن اعتدى بعد ذلك) بارتكاب الحظوظ بعد الابتلاء (فله عذاب اليم) فلم للاحتجاب بفعله عن الشوق (ياايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا) لاترتكبوا الحظوظ النفسانية فى حالة الاحرام الحقيقى ومن ارتكبه قصدا منه ونية بميل قوى من النفس وانجذاب اليه لالامر اتفاقى اورعاية حظر ضعيف اوصاحب (فجزاء مثل ما قتل من النعم) اى فحكمه جزاء قهر تلك القوة التى ارتكب بها الحظ النفسانى من قوى

علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة فى الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لايتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد (فعسى الله ان يأتى بالفتح اوامر من عنده) قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع فى خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم اوامر من عنده يعنى انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولايكون للناس فيه فعل البتة كما التى فى قلوبهم الرعب فأخلوا ديارهم وخربوها بايديهم ورحلوا الى الشام * وقوله تعالى (فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين) يعنى فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لايتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود (ويقول الذين آمنوا) يعنى ويقول الذين آمنوا فى وقت اظهار الله تعالى نفاق المنافقين (اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم) وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما اظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والآن كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين فى ايمانهم الباطلة (حبطت اعمالهم) اى بطل كل خير عملوه لاجل مااظهروا من النفاق وموالاة اليهود (فاصبحوا خاسرين) يعنى انهم خسروا فى الدنيا بافتضاحهم وخسروا فى الآخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) يعنى من يرجع منكم عن دينه الحق الذى هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله فى الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية اوغير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيأ وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذى هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سيأتى بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسى وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمى بيته وقتله فاخبر صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله فى آخر ربيع الاول * وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله امابعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب امابعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * وستأتى قصة قتله فيما بعد * وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه * وارتد سبع فرق فى خلافة ابى بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزارى وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو

النفس البهيمة بامر يوازى ذلك الحظ (يحكم به ذوا عدل) من العاقلتين النظرية والعملية (منكم) اى من انفسكم او من شيوخكم او من اصحابكم المقدمين السابقين بعيان كيفيته وكميته (هديا بالغ الكعبة) الحقيقية اى فى حال كون تلك القوة البهيمة هديا بافنائها فى الله ان كان صاحبها من الاقوياء مليا قادرا (اوكفارة) اى ستر بصدقة اوصيام يزيل ذلك الميل ويستر تلك الهيئة عن

(سلم)

سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعني بقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم ابوبكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم ابوبكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابوبكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا او قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا اهم اهل القبلة فتقلد ابوبكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال ابوبكر بن عياش سمعت اباحصين يقول ماولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد العرب واشراب النفاق ونزل بابي بكر مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابوبكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كبير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روى عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني اباموسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل هم احياء من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة آلاف من اهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من اخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه اوتظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وان يثيبه احسن الثواب على طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عزوجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل

نفسه اوبابناء جنس تلك القوة والاقتصار عليه دون الحظ فانها مسكنة او امساك عن افعال تلك القوة بقدر ذلك الحظ كما يزول عنها الميل (ليذوق وبال امره عفى الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه) بالحجب والحرمان (والله عزيز) لا يمكن الوصول الى جنات عزه مع كدورات صفات النفس (ذوانتقام) يحجب بهيئة مظلمة وظهور صفة ووجود بقية كما قال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام انذر الصديقين

ما يوجب سخطه وعقوبته وان يحبب اليه ما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه * وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة على المؤمنين يعني اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانباري اثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون الكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله اعزة على الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم (يجاهدون في سبيل الله) يعني انهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم) يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الآية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصره لدين الله بيده او بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم (والله واسع عليم) يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه * قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال اوالي الله ورسوله والمؤمنين يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين اولياء وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى

بانى غيور (احل لكم صيد البحر) بحر العالم الروحانى من المعارف والمعقولات والحظوظ العلية في احرام الحضرة الالهية (وطعامه ناما) من العلم النافع الذى هو حق واجب تعلمه في المعاملات والاخلاق تمتيعا (لكم) بها السالكون لطريق الحق (وللسيارة) المسافرين سفر الآخرة المحرزين لارباح النعيم الباقى (وحرم عليكم صيد البر) بر العالم الجسمانى من المحسوسات والحظوظ النفسانية *

ان المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفاً له الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع ونزلت في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مرّ بعليّ سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك بن سليمان قال سألت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناساً يقولون هو عليّ فقال عليّ من الذين آمنوا * وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتي بعدهم (فان حزب الله) يعني انصار دين الله (هم الغالبون) لان الله ناصرهم على عدوّهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبه يعني اهمه * قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً) قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزواً ولعباً هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولاً وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه (من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود (والكفار) يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب (اولياء) يعني لا تتخذوهم اولياء والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين هزواً وسخرية فلا تتخذوهم انتم اولياء وانصاراً (واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعني مؤمنين حقاً لان المؤمن يأبى موالاة اعداء الله عز وجل * قوله تعالى (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزواً ولعباً) قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت هذه الآية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيأ لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوّة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر فأنزل الله عز وجل ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله الآية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم * قوله تعالى (قل يا اهل الكتاب) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزواً ولعباً (هل تنقمون منا) يعني هل تكرهون منا وتعيبون علينا (الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وبما انزل الينا وبما

واجعلوا الله وقاية لكم في سيركم لتسيروا به واجعلوا نفوسكم وقاية الله في صدور الشرور المانعة منها وتيقنوا انكم (اليه تحشرون) بالفناء في الذات فاجتهدوا في السلوك ولا تقفوا مع الموانع وراء الحجاب (جعل الله) الكعبة حضرة الجمع (البيت الحرام) المحرّم من دخول الغير فيه كما قيل جل جناب الحق من ان يكون شريعة لكل وارد (قياماً للناس) من موتهم الحقيقيّ وانتعاشاً لهم به وبحياته

انزل على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر او ينقم منه وهذا كما قال بعضهم

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابى رافع وعازوراء وزيد خالد وازار بن ابى ازار واشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لانؤمن بمن آمن به فانزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله مانعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولادينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الآية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وان اكثركم فاسقون) يعني انما كرهتم ايماننا وتقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثركم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يؤمن بالله ورسوله * قوله عز وجل (قل هل انبئكم بشر من ذلك) هذا جواب لليهود لما قالوا مانعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذى ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وبما انزل علينا (مثوبة عند الله) يعني جزاء فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها فى معنى الثواب فكيف جاءت فى الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضى ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فاجوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك * وقوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل انبئكم بمن لعنه الله او هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحمته (وغضب عليه) يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة (وجعل منهم القردة والخنازير) يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان فى اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان فى الذين كفروا بعد نزول المائدة فى زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من اطاع الشيطان فيما سوّل له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا فى معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (اولئك) يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين (شر مكانا) يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولامكان اشد شرا منه (واضل عن سواء السبيل) يعني واخطأ عن قصد طريق الحق * قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا

وقدرته وسائر صفاته (والشهر الحرام) اى زمان الوصول وهو زمان الحج الحقيقى الذى يحرم ظهور صفات النفس فيه (والهدى) اى النفس المذبوحة بفناء تلك الكعبة (والقلائد) وخصوصا النفس القوية الشريفة الطيعة المنقادة فان التقرب بها افضل وشأنها عند البقاء والقيام بالوجود الثانى والحياة الحقيقية ارفع (ذلك) اى جعل تلك الحضرة قياما لكم (لتعلموا) بعلمه عند القيام به

آمنا) قال قتادة نزلت فى اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذى جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم فى ذلك منافقون فاخبرالله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعنى انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شئ من الايمان فهم كافرون فى حالتى الدخول والخروج (والله اعلم بما كانوا يكتمون) يعنى من الكفر الذى فى قلوبهم * قوله عز وجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة فى هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة فى الشئ المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل فى الخير ومنه قوله تعالى يسارعون فى الخيرات وضدها العجلة وتقال فى الشر فى الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة فى قوله يسارعون (فى الاثم والعدوان واكلهم السحت) لفائدة وهى انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصى والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصى وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان مازادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعنى لبئس العمل الذى كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم السحت * قوله تعالى (لولا) يعنى هلا وهى هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) يعنى الكذب (واكلهم السحت) والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعنى الاحبار والرهبان اذلم ينهوا غيرهم عن المعاصى وهذا يدل على ان تارك النهى عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين فى هذه الآية قال ابن عباس ما فى القرآن اشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما فى القرآن آية اخوف عندى منها * قوله عز وجل (وقالت اليهود يدالله مغلولة) نزلت هذه الآية فى فنحاص اليهودى قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم مابسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يدالله مغلولة يعنى محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لاجرم ان الله تعالى اشركهم معه فى هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يدالله مغلولة يعنى نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يدالله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر مايبر به قسمه وذلك قدر ماعبد آباؤنا العجل والقول الاول اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لاسيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فأطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى

(ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم) حقائق الاشياء فى عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط بكل شئ اذلايمكن احاطة علكم بعلمه (اعلموا ان الله شديد العقاب) بالحجب لمن ظهر بصفة اوبقية حال الوصول اوضرب بحظ اواشتغل بغير حال السلوك

اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد * وقوله تعالى (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) يعنى امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم هى المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال غلت ايديهم اى فى نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اى شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا فى النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ماقالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا فى الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفى الآخرة لهم عذاب النار * وقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) يعنى انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ماافتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام فى اليد فقد اختلف العلماء فى معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت فى الكتاب والسنة بلا كيف ولاتشبيه ولاتعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثانى قول جمهور المتكلمين واهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر فى اللغة على وجوه احدها الجارحة وهى معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندى يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولى الايدى والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ويقال لايدلك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة فى يد فلان اى فى ملكه ومنه قوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية فى صفة الله عزوجل لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعانى التى فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد فى حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اى ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه والاشكال الثانى ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولامعدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لانهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة فى وصف النعمة * اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته اوبنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم فى ملكه ومتقلبون فى نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت

وانتهك حرمة من حرماته (وان الله غفور) للتلوينات والفترات (رحيم) بهيئة الكمالات والسعادات التى لايعلم قدرها الاهو (ماعلى الرسول الاالبلاغ) التبليغ لاالايصال (والله يعلم) سركم وعلانيتكم (ماتبدون) من الاعمال والاخلاق (وماتكتمون) من النيات والعلوم والاحوال هل

بيدى دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازى عن ابى الحسن الاشعرى قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذى يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلابد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه واجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة بان الاسم اذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يؤدى عن الجنس ايضا قالوا وخطأ فى كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الدرهم اذا ثنى لا يؤدى فى كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدراهم فى ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم فى ايديهم لان الواحد يؤدى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعنى انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه فى ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض هذا الحديث ايضا احد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف * وقوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعنى كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة فى كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) يعنى القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل القى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين فى دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التى حصلت فى المسلمين انما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما فى الصدر الاول فلم يكن شئ من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) يعنى كلما افسد اليهود وخالفوا حكم الله بعث الله عليهم من يهلكهم افسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلى ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكرا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأه الله تعالى وقال السدى كلما اجمعوا امرهم على شئ ليفسدوا به امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما اوقدوا نارا فى حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفأها الله واخمد نارهم وقذف فى قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون فى الارض فسادا)

تصلح للتقرب بها اليه وهل تستعدون بها للقائه ام لا (قل لا يستوى الخبيث) من النفوس والاعمال والاخلاق والاموال (والطيب) منها عند الله تعالى فان الطيب مقبول موجب للقرب والوصول والخبيث منها مردود موجب للبعد والطرد

يعنى ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعنى ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه * قوله تعالى (ولو ان اهل الكتاب آمنوا) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به (واتقوا) يعنى اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيآتهم) يعنى لمحونا عنهم ذنوبهم التى عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ماقبله (ولادخلناهم جنات النعيم) يعنى مع المسلمين يوم القيامة (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) يعنى اقاموا احكامهما بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة مافيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما فى القرآن * وقوله تعالى (وما انزل اليهم من ربهم) فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب ارمياء وزبور داود وفى هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثانى ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) يعنى ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فأخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذى هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم امة مقتصدة) اى عادلة والاقتصاد الاعتدال فى العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام واصحابه والنجاشى واصحابه الذين اسلموا (وكثير منهم) يعنى من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود (ساء ما يعملون) يعنى بئس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) الآية روى عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل هذه الآية وقيل نزلت فى عيب اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شئ الآية وقيل نزلت هذه الآية فى امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يمسك فى بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى قصة الرجم والقصاص وما سأل عنه اليهود ومعنى الآية يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تتركن شيأ مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيأ من ذلك

والحرمان (ولو اعجبك كثرة الخبيث واتقوا الله يا اولى الالباب) الخبيث بكثرته ووفوره لمناسبته للنفس والملاءمة لصفاتها فاجعلوا الله وقاية لكم فى الاجتناب عن الخبيث واختيار الطيب * ياكل من له لب اى عقل خالص عن شوب الوهم ومزج هوى النفس (لعلكم تفلحون) بالخلاص عن نفوسكم

فى وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعنى ان كتمت آية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتى يعنى انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيأ مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيأ مما اوحى اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيأ مما انزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه فى الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) يعنى يحفظك يا محمد و يمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذى بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ماروى عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابى فقال ان هذا اخترط على سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفى رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافنى فقال لا فقال من يمنعك منى قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه فى الصحيحين وزاد البخارى فى رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابى وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك فقال وقع فى نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ماشج رأسه فى يوم احد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (ان الله لايهدى القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لايرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبرى معناه ان الله لايوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ماجئت به من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه * قوله تعالى (قل ياهل الكتاب لستم على شئ) يعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شئ من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شئ مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يامعشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يامعشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها

وصفاتها وخباثتها والوصول الى الله بالفناء فيه (يا ايها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفى الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ماجعل الله بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لايعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى

حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم مافيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ماامرتم ان تبينوه للناس فانا برئ من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله قل يااهل الكتاب لستم على شئ (حتى تقيموا التوراة والانجيل وماانزل اليكم من ربكم) الآية وقدتقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بمافيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقدتقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الكافرين) يعني فلا تحزن يامحمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم * قوله عزوجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عزوجل ان اهل الكتاب ليسوا على شئ مالم يؤمنوا بين في هذه الآية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل وانه لايحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا رضاء الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لايتم الايمان الابه وقدتقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضى ان يقال والصابئين وكذا قراءة ابى ابن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين اشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالا فكانه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبؤا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم صبؤا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ماجاء به الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في اول الآية ان الذين آمنوا ثم قال في آخر الآية من آمن فافائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا اى بالسنتهم لابقلوبهم ثم قال من آمن يعني من ثبت على ايمانه ورجع من نفاقه منهم وقيل فيه فائدة اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني في الآخرة * قوله عزوجل (لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل) يعني اخذنا العهود عليهم في التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بماامرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه (وارسلنا اليهم رسلا) يعني لبيان الشرائع والاحكام (كلما جاءهم رسول بمالاتهوى انفسهم) يعني بما يخالف اهواءهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعني من الرسل الذين جاءتهم (وفريقا يقتلون) يعني من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا ذكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عزوجل ومخالفة لامره * قوله تعالى (وحسبوا)

ما نزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولوكان آباؤهم لايعلمون شيأ ولا يهتدون يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر

يعنى وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء (ان لاتكون فتنة) يعنى ان لايعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذى فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لايكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما قدموا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب فى الآخرة (فعموا وصموا) يعنى انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل فى زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعنى انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) يعنى فى زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعنى ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعنى بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (كثير منهم) من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبدالله بن سلام واصحابه (والله بصير بما يعملون) يعنى من قتل الانبياء وتكذيب الرسل * قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع فى الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله حل وعلا حل فى ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) يعنى وقد كان المسيح قال هذا لبنى اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فى العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعنى انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعنى اذا مات على شركه (ومأواه النار) يعنى انه يصير الى النار فى الآخرة (وما للظالمين) يعنى وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك (من انصار) يعنى ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة* قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان احدهما هو قول اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة آلهة او واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدى ولايكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى فى سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثانى ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس

احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم اوآخران من غيركم ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لانشترى به ثمنا ولوكان ذاقربى ولانكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما

اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لاتكون واحدا والواحد لايكون ثلاثة ولاترى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولااظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا اخبرالله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (ومامن اله الااله واحد) يعني انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لاثاني له ولاشريك له ولاوالد له ولاولد له ولاصاحبة له الاالله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون) يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) يعني ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس بمرضى عذاب وجيع في الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (افلايتوبون الى الله) يعني من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الامر اي توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعني لمن استغفره وتاب اليه (رحيم) به وبسائر خلقه * قوله عزوجل (ماالمسيح ابن مريم الارسول قدخلت من قبله الرسل) يعني المسيح رسول من الله عزوجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد اتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وامه صديقة) يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه * وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولايعيش الابه وقيل معناه انه لوكان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه الم الجوع والم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من اكل وشرب لابد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي انظر يامحمد (كيف نبين لهم الايات) يعني الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر اني يؤفكون) اي كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله * قوله تعالى (قل اتعبدون من دون الله) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يامحمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله (مالايملك لكم ضراولانفعا) يعني لايستطيع ان يضركم بمثل مايضركم الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولايقدر ان ينفعكم بمثل ماينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لامن تعبدون من دونه ومن لايقدر على النفع والضر لايكون الها (والله هو السميع العليم) يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بمافي ضمائركم * قوله عزوجل

من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لايهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل) في عين

(قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفى الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذمومان فى الدين (غير الحق) يعنى لاتغلوا فى دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق فى دينهم ثم غلوا فى الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا فى عيسى عليه السلام اماغلو اليهود فالتقصير فى حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلو النصارى فمجاوزة الحد فى حقه حتى جعلوه الهم وكلا الغلوين مذموم (ولاتتبعوا اهواء قوم قدضلوا من قبل) الاهواء جمع هوى وهوماتدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ماذكر الله تعالى الهوى فى القرآن الا وذمه وقال ابوعبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لايقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب فى قوله ولاتتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهواء قوم قدضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (واضلوا كثيرا) يعنى من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعنى واخطؤا عن قصد طريق الحق * قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود) قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا فى السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتى قصتهم فى سورة الاعراف (وعيسى ابن مريم) يعنى وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار اصحاب المائدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتى قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من اولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بأنهم ملعونون على السنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعنى ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) اى لاينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لايتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام فى لبئس لام القسم اى اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فانه لايحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد فى رواية اوليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابوداود واخرجه الترمذى عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنواسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لاوالذى

الجمع المطلق او صين جمع الذات (فيقول ماذا اجبتم) اجابكم الامم حين دعوتموهم الى اى هل تطلعون على مراتبهم فى كانهم التى توجهوا اليها فى متابعتكم (قالوا لاعلم لنا) اى العلم كله لك جمعا وتفصيلا ليس لغيرك علم الفناء صفاتنا فى صفاتك (انك انت علام

نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا قال الترمذى هذا الحديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه وقعيده هو المؤاكل والمشارب والقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الاطر العطف يعنى لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذى خالفه والقصر القهر على الشئ * قوله عزوجل (ترى كثيرا منهم) يعنى من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه (يتولون الذين كفروا) يعنى يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ماقدمت لهم انفسهم) يعنى بئس ماقدموا من العمل لمعادهم فى الآخرة (ان سخط الله عليهم) يعنى بما فعلوا من موالاة الكفار (وفى العذاب هم خالدون) يعنى فى الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) يعنى ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق (وما انزل اليه) يعنى ويؤمنون بالقرآن الذى انزل اليه من ربه (ما اتخذوهم اولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار انصارا واعوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعنى ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبدالله بن سلام واصحابه * قوله تعالى (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) اللام فى قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام فى العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم فى الدين بأى طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء فى مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة فى طلب الحق فلهذا قال تعالى (ذلك بان منهم) يعنى من النصارى (قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى فى عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن من النصارى مثل النجاشى واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعنى العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله رهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله فى مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفه بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله وسلم فآمنوا به وتبعوه فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح فان النصارى ينازعون فى الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون فى النبوات فيقرون بعض النبيين وينكرون بعضهم والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى

الغيوب) فغيوب بواطننا وبواطنهم كلها علك (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك) بالهداية الخاصة ومقام النبوة والولاية (وعلى والدتك) بالتطهير والتزكية والاصطفاء (اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد) فى مهد البدن

(قلت)

قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه * (ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية) * قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجماعة بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي قالوا يستأذن اولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا له انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيأ مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني انكم آمنون فرجع عمرو واصحابه خائبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل

(وكهلا) بالغا الى نور شيب الكمال بالتجرد عن البدن وملابسه (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) كتاب الحقائق والمعارف الثابتة في اللوح المحفوظ بتأييد روح القدس وحكمة السلوك في الله بتحصيل الاخلاق والاحوال والمقامات والتجريد والتفريد * وتوراة العلوم الظاهرة والاحكام المتعلقة بالافعال واحوال النفس وصفاتها وانجيل العلوم

النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة تخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فارسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت ان الملك امرني ان لا آخذ منك شيأ وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقرئيه مني السلام قالت نعم فقالت قد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام و انزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني اباسفيان وذلك بتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ اباسفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ازهى في ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يارسول الله انى اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ازهى وان شئت ان آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يارسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافي مع جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من اهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق

❁ قوله عز وجل (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) يعني واذا سمعوا القرآن الذي انزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ترى اعينهم تفيض من الدمع) يقال فاض الاناء اذا امتلأ حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال ابن عباس يريد النجاشي واصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة (مما عرفوا من الحق) يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق (يقولون) يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي

الباطنة من علوم تجليات الصفات واحكامها واحكام احوال القلب وصفاته واعماله (واذ تخلق من الطين) من طين العقل الهيولاني الذي هو الاستعداد المحض بيد التربية والحكمة العملية (كهيئة الطير) طير القلوب الطائرة الى حضرة القدس لتجردها من عالمها وكمالها (باذني) اى بعلمي وقدرتي وتيسيري عند تجلي صفاتي حياتي

(ربنا آمنا) يعنى بالقرآن وشهدنا انه حق وصدق (فاكتبنا مع الشاهدين) يعنى مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية ومالنا لانؤمن بوحدانية الله وماجاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) يعنى ونرجو بذلك الايمان (ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعنى مع امة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (فاثابهم الله بما قالوا) يعنى بالتوحيد الذى قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو ايمان الحقيقى الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعنى المؤمنين الموحدين المخلصين فى ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عزوجل الوعد لمؤمنى اهل الكتاب وما اعدلهم من الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه والملق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (اولئك اصحاب الجحيم) * قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وهم ابوبكر وعلى بن ابى طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو وابوذر الغفارى وسالم مولى ابى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولاينامون على الفرش ولايأكلون اللحم والودك ولايقربون النساء ولاالطيب ويسيحون فى الارض فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته احق مابلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدى سر زوجها فقالت يارسول الله ان كان قداخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يارسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم اومر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال مابال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فانى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولااتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولاتشركوا به شيأ وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان

وعلى وقدرتى لك واتصافك واستنبائى اياك (فتنفخ فيها) من روح الكمال حياة العلم الحقيقى بالتكميل والاضافة (فتكون طيرا باذنى) نفسا مجردة كاملة تطير الى جناب القدس بجناح العشق (وتبرئ الاكمه) المحجوب عن نور الحق

قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم يعنى الطيبات اللذيذات التى تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ماعزموا عليه من ترك الطيبات وانه لاينبغى ان تجتنبوا الطيبات المباحات ومعنى لاتحرموا لاتعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ احله الله فقد كفر ماترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولاتفويت حق الغير ففضيلة لامنع منها بل مأمور بها ❊ وقوله تعالى (ولاتعتدوا) يعنى ولاتجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولاتجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولاتعتدوا بالاسراف فى الطيبات (ان الله لايحب المعتدين) يعنى المجاوزين الحلال الى الحرام ❊ وقوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعنى وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبدالله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ماغذى وانمى فاما الجامد كالطين والتراب ومالايغذى فمكروه الاعلى وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتنى شهوتى فحرمت على اللحم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن ابى هريرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها قالت عائشة ماكان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لايجد اللحم الاغبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذى ❊ وقوله تعالى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) هذا تأكيد للوصية بما امر الله تعالى به وزاد التأكيد بقوله الذى انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما امر الله به وعما نهى عنه وفى الآية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب ان لايبالغ فى الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد ❊ قوله تعالى (لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) قال ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يارسول الله كيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو فى الايمان فى سورة البقرة ❊ وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) يعنى ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق ❊

ولست بمأخوذ بلغو تقوله ❊ اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفى الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذفه لانه معلوم عند السامع (فكفارته) يعنى فكفارة ايمانكم التى عقدتموها اذا حنثتم (اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم) يعنى من اقصد ذلك لان من الناس من يسرف فى اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل فى اداء الكفارة وقيل اراد بالاوسط فى القيمة فلايكون غاليا من اعلى

(والابرص باذنى) المعيب بمرض محبة الدنيا وغلبة الهوى (واذ تخرج الموتى) موتى الجهل من قبور البدن وارض النفس (باذنى واذ كففت بنى اسرائيل) المحجوبين من نور تجليات

الموجود ولا خسيس أثمن من ارداً الموجود بل الوسط فى القيمة وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شئ فى كتاب الله اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله (اوكسوتهم) هو معطوف على محل اوسط اى كما تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة (اوتحرير رقبة) يعنى عتق رقبة والمراد جلة الشخص

* (فصل فى حكم الآية) * وفيه مسائل * (المسئلة الاولى) * فى بيان الكفارة وهى اربعة انواع * النوع الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا فى قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مد من الطعام بمد النبى صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعى ويروى عن عمر وعلى وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مد من البر او نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة فى الكفارة كالدراهم والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز فى الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد فى عشرة ايام * النوع الثانى من الكفارات الكسوة واختلف العلماء فى قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا ورداء اوقيص اوعمامة اوسراويل اوكساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعى وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة ثوبين درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو ادنى ما يجزى فى الصلاة وقال ابن عمر يجب قيص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعرى يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعى يجب ثوب جامع كالملحفة * النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب فى جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثورى اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان فى كفارة القتل ومذهب الشافعى ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد فى الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق فى الكفارة مكاتبا اوام ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذى يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزى فى اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراى عتق المكاتب فى الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيأ وجوز واعتق القريب فى الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد او الرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند ابى حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولا يجوز

الصفات الجاهلين المضادين لك لجهلهم بحالك ومقامك (عنك اذ جئتهم بالبينات) بالحجج والدلائل الواضحة (فقال الذين كفروا) جبوا (منهم) عن دين الحق (ان هذا الا سحر مبين) لحيرتهم فيه (واذ اوحيت الى الحواريين) اى الهمت فى قلوبهم النورانيين الذين طهروا نفوسهم بماء المنافع

عتق مقطوع الاذنين فى الكفارة * النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعنى الكفارة (فصيام ثلاثة ايام) يعنى فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين من الاطعام او الكسوة او العتق وجب عليه صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعنى فعليه صيام ثلاثة ايام قال الشافعى اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل مايطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جازله الصيام وقال ابو حنيفة يجوزله الصيام اذا لم يكن عنده من المال ماتجب فيه الزكاة فجعل من لازكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا فى وجوب التتابع فى الصيام من كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب ابى حنيفة واحد واحد قولى الشافعى والقول الثانى لايجب التتابع فى كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثانى للشافعى *(المسئلة الثانية) * كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء اطعم وان شاء كسا وان شاء اعتق فبأيها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة *(المسئلة الثالثة)* لايجوز صرف شئ من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمى او عبد او غنى لايجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لايجوز * (المسئلة الرابعة) * اختلفوا فى تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لماروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير اخرجه الترمذى (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الرحمن لاتسال الامارة فانها ان اتتك عن مسئلة وكلت اليها وان اتتك من غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعى والشافعى الا ان الشافعى قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لايجوز لانه بدنى انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لايجوز تقديم الكفارة على الحنث * وقوله (ذلك) اشارة الى ماتقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) يعنى وحنثتم لان الكفارة لاتجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين لايجوز بل اليمين وقبل الحنث كما تقدم (واحفظوا ايمانكم) يعنى قللوا ايمانكم ففيه النهى عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر قليل الألا يا حافظ ليمينه * وصفه بانه لايحلف وقيل فى معنى الآية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب اوفعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لماروى عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى والله ان شاء الله لا احلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى واتيت الذى هو خير اخرجاه فى الصحيحين * قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعنى كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ماتحتاجون اليه فى امر دينكم (لعلكم تشكرون) يعنى نعمه التى انعم بها عليكم ان بين لكم آياته ومعالم شريعته * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس) لما انزل الله تعالى

والاعمال المزكية حتى قبلوا دعوتك لصفاء نفوسهم واحبوك بالارادة التامة لمناسبتهم اياك بنور الفطرة وصفاء الاستعداد (ان آمنوا بى) ايمانا حقيقيا بتوحيد الصفات والمحو (وبرسولى) برعاية حقوق تجلياتها على التفصيل (قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) يا الهنا بعلمك الشامل المحيط بالكل انا منقادون لك مسلمين

يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله فى هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ماخامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما فى سورة البقرة والانصاب هى الحجارة التى كانوا ينصبونها لهم ويذبحون عندها والازلام هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس فى اللغة الشئ الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعنى من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه (فاجتنبوه) يعنى كونوا جانبا منه والضمير فى قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كأنه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التى هى رجس * قوله تعالى (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى سورة البقرة يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى سورة النساء يا ايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا فى الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذى من طريقين وقال رواية ابى ميسرة هذه اصح واخرجه ابو داود والنسائى وروى مصعب بن سعيد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم زاد حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابى وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحى جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بى هذا فلان اخى وكانوا اخوة ليس فى قلوبهم ضغائن فانزل الله تعالى تحريم الخمر فى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون واما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر يعنى انما زين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل فى الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله فى يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم مافيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان فى ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهى قوله تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه

وجودات صفاتنا اليك (ا
قال الحواريون ياعيسى بن
مريم) اذا اقترح عليك اصحابك
فقالوا (هل يستطيع ربك
اى شاهدك من عالم الربوبية
فان رب كل واحد هو
الاسم الذى يربه ويكمله
ولا يعبد احد الا ما عرفه
من عالم الربوبية ولا عرفه
الا ما بلغ اليه من المرتبة
فى الالوهية فيستفيض منه
العلوم ويستنزل منه

من ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الخمر والميسر لاجرم افردهما بالذكر في آخر الآية والله اعلم * وقوله تعالى (فهل انتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ ماينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كأنه قيل قد تلي عليكم مافيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابوداود ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لن يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابوداود * قوله عزوجل (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) يعني فيما امركم به ونهاكم عنه (واحذروا) اي واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به ونهاكم عنه (فان توليتم) يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط * قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يارسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي لاحرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم (اذا ما اتقوا) يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ماحرم الله عليهم

البركات ويستمد منه المدد الروحاني ولهذا قالوا مع اقرارهم واسلامهم ربك ولم يقولوا ربنا الان ربهم لايستطيع (ان ينزل علينا مائدة من السماء) شريعة من سماء عالم الروح تشتمل على انواع العلوم والحكم والمعارف والاحكام فيها غذاء القلوب وقوت النفوس وحياتها وذوقها (قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) احذروه في ظهور صفات

(وآمنوا) يعنى بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) اى وازدادوا من عمل الصالحات (ثم اتقوا وآمنوا) يعنى اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لاجناح عليه والثانية خطاب لمن بقى بعد التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها (ثم اتقوا) يعنى ماحرم عليهم فى المستقبل (واحسنوا) يعنى العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثانى المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التأكيد والمبالغة فى الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال تعالى (والله يحب المحسنين) يعنى انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعنى من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان ۞ قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد) نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الآية يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله الآية اللام فى ليبلونكم لام القسم اى ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشئ من الصيد يعنى بصيد البر دون البحر وقيل اراد الصيد فى حالة الاحرام دون الاحلال وانما قال بشئ من الصيد ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التى تزل عندها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى اصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيأ فى حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير ۞ وقوله تعالى (تناله ايديكم) يعنى الفرخ والبيض ومالا يقدر ان يفر من صغار الصيد (ورماحكم) يعنى كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس فى قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه (ليعلم الله) اى ليرى الله فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله (من يخافه بالغيب) يعنى من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد فى حالة الاحرام شيأ بعد النهى (فمن اعتدى بعد ذلك) يعنى فصاد فى حالة الاحرام بعد النهى (فله عذاب اليم) يعنى فى الدنيا قال ابن عباس هو ان يوجع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين فى معنى هذه الآية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ۞ وقوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم) جمع حرام اى لاتقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا فى الحرم نزلت هذه الآية فى ابى اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما

نفوسكم واجعلوه وقاية لكم فيما يصدر عنكم من الاخلاق والافعال تنجوا من تبعاتها وتفوزوا وتفلحوا ان تحقق ايمانكم فلاحاجة بكم الى شريعة جديدة: (قالوا نريد ان نأكل) نستفيد (منها) ونعمل بها ونتقوى بها (وتطمئن

فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له مادام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا اولم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا اونمرا اونحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لاجناح على من قتلهن في الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسـق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع مالا يؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على اشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لايدخل في معنى السباع ولا معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الرأى الى وجوب الجزاء في كل مالا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة * قوله تعـالى (ومن قتله منكم متعمدا) قال مجاهد والحسـن وابن زيد هو الذى يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء اما اذا قتل الصيد خطأ بان قصد غيره بالرمى فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهرى نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني الحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لاارى في الخطأ شيأ وهذا قول شاذ لايؤخذ به (فجزاء مثل ماقتل من النعم) يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشـبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة أهي في الخلقة ام بالقيمة والذى عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك ومالامثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لانزاع فيه فكان المراد بالمثـل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لايجوز حمله الاعلى معنى واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتهـا باقصى الامكان وان لم تمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشـافعي ومن وافقه في اعتبـار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلاد شتى و ازمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهى لاتساوى بدنة وحكموا في حمار الوحش ببقرة وهو لايساوى بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى مايقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب في الظبي شاة وفي الارنب عناق وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمامة وكل ماعب و هدر كالفواخت والقمرى وذوات الاطواق شـاة وما سواه

قلوبنـا) فان العـلم غذاء القلب وقوته (ونعلم) صدقك في الاخبار عن ربك ونبوتك وولايتك بهاوفيها (ونكون عليهـا من الشـاهدين) الحاضرين اهل العلم نخبر بها من عـدانا من الغـائبين ونعلمهم وندعوهم بهـا الى الله (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينـا مائدة من السماء تكون لنـا عيـدا لاولنـا وآخرنا) امرا اى شرعا ودينا يعود اليـه من في زماننا من اهل ديننا

من الطير فقيمة القيمة فى المكان الذى اصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس انهما حكما فى حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى فى الضبع بكبش وفى الغزال بعنز وفى الارنب بعناق وفى اليربوع بجفرة * وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعنى يحكم بالجزاء فى قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغى ان يكونا فقيهين فينظر ان الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهر ان جاء اعرابى الى ابى بكر الصديق فقال انى اصبت من الصيد كذا وكذا فسأل ابو بكر ابى بن كعب فقال الاعرابى انى اتيتك اسألك وانت تسأل غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبى فاذا اتفقنا على شئ امرناك به * وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) يعنى ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع فى الكعبة وعندها ملاقيا لها انما يقع فى الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدى بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعى وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة (اوكفارة طعام مساكين اوعدل ذلك صياما) ذهب الشافعى ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة او فى هذه الآية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابى حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعى اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعى مقدر بالمد وعند ابى حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لانفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى ان الخيار فى تعيين احد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذى وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شاء وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابى حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شئ من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من برأ وصاع من غيره يوما واختلفوا فى موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم فى المكان الذى قتل فيه الصيد وقال الشعبى يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها * وقوله تعالى (ليذوق وبال امره) يعنى جزاء ذنبه والوبال فى اللغة الشئ الثقيل الذى يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيصا للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن (عفا الله عما سلف) يعنى قبل التحريم (ومن عاد) يعنى الى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعنى فى الآخرة والانتقام المبالغة فى العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء فى المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس والنخعى وداود الظاهرى انه اذا قتل الصيد مرة ثانية

ومن بعدنا ممن سيوج
من النصارى (وآية منك
علامة وعلامتك تعرف
وتعبد (وارزقنا) ذل
الشرع والعلم النافع والهد
(وانت خير الرازقين
لا ترزق الا ما ينفعنا ويكو
صلاحنا فيه (قال الله انى منز
عليكم فمن يكفر بعد منكم
يحتجب عن ذلك الـد
بعد انزاله ووضوحه (فا

فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله سئل هل قتل قبله شيأ من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيأ حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطائف (والله عزيز ذو انتقام) يعني ممن عصاه واذا اتلف المحرم شيأ من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم اويصوم عن كل مد يوما * قوله تعالى (احل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ماصيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ماقذفه البحر ورمى به الى الساحل روى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن ابي عمر وابوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه روى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدى وروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابوداود والترمذي والنسائي ولا فرق بين ان يموت بسبب اوبغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لايحل الا ان يموت بسبب وماعدا السمك فقسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لايكون بالسرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لايحل للمحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يؤكل كل مافي البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل مافي البحر وذهب جماعة الى ان ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولايؤكل مالايؤكل نظيره في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلايحل اكله * قوله تعالى (متاعا لكم وللسيارة) يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه * وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله ياايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم ان يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لايحل ذلك بحال روى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بماروى عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء اوبودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى مافي وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم ان يأكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولاصيد له ولاباشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وابي هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الرأي ويدل عليه ماروى عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي

(صلى الله)

اعذبه عذابا لااعذبه احدا من العالمين) لبيان الطريق ووضوح الدين والحجة مع وجود استعدادهم فلا يكفرونه الامعاندين والعذاب مع العلم اشد من العذاب مع الجهل اذ الشعور بالمحجوب عنه يوجب شدة الايلام (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين

صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يؤذنوا لي واحبوا لو اني ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا لا والله لا نعينك عليه فغضبت ونزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال هل معكم منه شئ فقلت نعم فناولته العضد فأكل منها وهو محرم وزاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم لا يأكل ما صيد لاجله (واتقوا الله) يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله (الذي اليه تحشرون) يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم * قوله عز وجل (جعل الله الكعبة البيت الحرام) جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمى البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمى البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم ان يصطاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى (قياما للناس) اصله قواما لانه سبب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم وآخرتهم اما في امر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه تجبى اليه ثمرات كل شئ ويأمنون فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه واما في امر الآخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس (والشهر الحرام) يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الاشهر الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس (والهدى والقلائد) يعني وكذلك جعل الهدى والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يأمنون بسوق الهدى الى البيت الحرام على انفسهم وكذلك كانوا يأمنون اذا قلدوا انفسهم من لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد يأمنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وان الله

من دون الله) دعو
الناس الى نفسك وا...
او الى مقام قلبك ونفس...
فان من بقي فيه وجو...
الانانية وبقية النف...
والهوى اوكان فيه تلو...
بوجود القلب وظهو...
بصفته يدعون الخلق ا...
الى مقام نفسه واما الى مق...
قلبه لا الى الحق (قا...
سبحانك) تنزيه لله م...
الشريك وتبرئة له م...
وجود البقية (مايكون ا...
ان اقول ماليس لي بحق
فاني لا وجود لي بالحقيق...
فلا ينبغي ولا يصح ان اقو...
قولا ليس لي ذلك القو...

بكل شئ عليم) يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية (اعلموا ان الله شديد العقاب) يعني لمن انتهك محارمه واستحلها (وان الله غفور رحيم) يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله انواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم * قوله تعالى (ما على الرسول الا البلاغ) يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم الا التبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففي الآية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) يعني انه تعالى لا يخفى عليه شئ من احوالكم ظاهرا وباطنا (قل لا يستوي الخبيث والطيب) يعني الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردئ والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح (ولو اعجبك كثرة الخبيث) يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبعة البكري وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة (فاتقوا الله) يعني فيما امركم به اونهاكم عنه ولا تعتدوه (يا اولي الالباب) يعني يا ذوي العقول السليمة (لعلكم تفلحون) * قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعنا مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حنين فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسألني عن شئ فليسأل فلا تسألوني عن شئ الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي فقال ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط اعق منك امنت ان تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية اخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه

بالحقيقة فان القول والفعل والصفة والوجود كلها لك (ان كنت قلته فقد علمته) اى ان كان صدر مني قول فمن علمك ولا وجود لما لا تعلم او اوجد بعلمك وجد (تعلم ما في نفسي) لاحاطتك بالكل فعلي بعض علمك (ولا اعلم ما في نفسك) اى ذاتك لاني لا احيط بالكل (ما قلت لهم) وما امرتهم الا ما امرتني قوله والزمتني اياه (ان اعبدوا الله ربي وربكم) اى ما دعوتهم الا الى الجمع في صورة التفصيل وهو الذي نسبة ربوبيته الى الكل سواء فغلطوا فاراوه الا في بعض التفاصيل لضيق وعائهم (وكنت عليهم

سبيلا قالوا يارسول الله فى كل عام فسكت فقالوا يارسول الله فى كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افى كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذرونى ماتركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما اهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم اذا امرتكم بشئ فاتوا منه مااستطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لاتسئلوا عن اشياء قال هى البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ماجعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الآية ياايها الذين آمنوا لاتسئلوا عن اشياء جمع شئ ان تبدلكم اى تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعنى ان امرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن ان يلحقه النبى صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض اونهى اوحكم وليس فى ظاهره شرح ماتحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه فحينئذ يبدى لكم ومثال هذا ان الله عزوجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن فى عدد هؤلاء دليل على عدة التى ليست ذات قرء ولا حامل فسألوا عنها انزل الله عزوجل جوابهم فى قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الآية (عفا الله عنها) يعنى عن مسئلتكم عن الاشياء التى سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليه (والله غفور) يعنى لمن تاب منكم (حليم) فلا يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعنى لما كان فى الجاهلية حليم يعنى عن عقابكم مذ آمنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الاشياء التى يجوز السؤال عنها هى مايترتب عليها امر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك لايجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن ابى وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابوداود الاغلوطات صعاب المسائل التى تزل فيها اقدام العلماء ويؤيد ذلك قول ابى هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كى يغلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء فقال الحلال مااحل الله فى كتابه والحرام ماحرمه الله فى كتابه وماسكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تقربوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما فى جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعنى قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السؤال بلاء عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول ان اولئك سألوا فلما اعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا انتم شيأ فلعلكم ان اعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك * قوله تعالى (ماجعل الله) اى ماانزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا امر به (من بحيرة) البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنها فهى فعيلة بمعنى مفعولة (ولا سائبة) يعنى المسيبة المخلاة (ولا وصيلة) الوصيلة الشاة وكانت العرب فى الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وانثى قالوا

شهيدا) رقيبا حاضرا اراعيهم واعلمهم (مادمت فيهم) اى مابقى منى وجود بقية (فلما توفيتنى) افيتنى بالكلية بك (كنت انت الرقيب عليهم)

وصلت اخاها (ولاحام) الحام هو الفحل من الابل يحمى ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت خمسة ابطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال والنساء وان كانت انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فانتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم سيبت مع امها ويفعل بها كما يفعل بامها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفى الله مريضي او قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها احد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه واكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى والحامي هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعاء كانت الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة وسائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم (خ) عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون ❊ وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعني لقولهم ان الله امرنا بها (واكثرهم لا يعقلون) اراد بالاكثر الاتباع يعني ان الاتباع لا تعقل ان هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) يعني واذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الاشياء اضافوها الى الله كذبا تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرائع والاحكام وان الذي تفعلونه ليس بشيء (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يعني قد اكتفينا بما اخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم (اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) يعني انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم ❊ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال بعض العلماء هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها ما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم

لفنائي فيك (وانت على كل شيء شهيد) حاضر بوجدك والا لم يكن ذلك لشيء (ان تعذبهم) بادامة الحجاب (فانهم عبادك) احقاء بالحجب والحرمان

بمونها كهنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الآية فى اهل الكتاب اليهود والنصارى يعنى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا فى صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذى عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب اصحاب المعاصى فأما وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابى حازم عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال قوم فى معنى الآية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه آى قد مضى تأويلهن قبل ان ينزلن ومنه آى وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آى وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ومنه آى يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواؤكم والبستم شيعا واذيق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست فى هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لى ولا لاصحابى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وانتم الغائب ولكن هذه الآية لاقوام يجيؤن من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابى امية الشعبانى قال اتيت ابا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف تصنع بهذه الآية قال اية آية قلت يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفى رواية قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل فى معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل وقال ابن عباس قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعنى فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من اصحاب الاهواء فذكر شيأ من امره فقلت له ادلك على خاصة الله التى خص بها اولياءه يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى

وانت اولى بهم تفعل بهم ما تشاء (وان تغفر لهم) برفع الحجاب (فانك انت العزيز) القوى القادر على ذلك لا تزول عزتك بتقربهم ورفع

ولا مؤمن فيحانق الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل فى معنى الآية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية فى اهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغى لك ان تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبرى واولى هذه الاقوال واصح التأويلات عندنا فى هذه الآية ماروى عن ابى بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء مالزم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية اوكد آية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعنى اهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والذى يؤكد ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم اى احفظوا انفسكم وهذا امر بان تحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله اعلم ❁ وقوله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) فى الآخرة الطائع والعاصى والضال والمهتدى (فينبئكم بما كنتم تعملون) يعنى فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها ❁ قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم) سبب نزول هذه الآية ماروى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن بداء خرجا من المدينة فى تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع مامعه من المتاع والقاه فى متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدى وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ماكان معه فجاء اهل البيت الى تميم وعدى فقالوا هل باع صاحبنا شيأ من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيأ على نفسه قالا لا قالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ماكان معه وانا فقدنا اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا لاندرى انما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه ومالنا علم بالاناء فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأصرا على الانكار وحلفا فانزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذى عن ابن عباس عن تميم الدارى فى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال تميم برئ الناس منها غيرى وغير عدى بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الى الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن ابى مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو اعظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ماترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه انا وعدى فلما قدمنا اهله دفعنا اليهم ماكان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ماترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبى مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم على اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام

جابهم (الحكيم) تفعل ماتفعله من التعذيب بالحب والحرمان والتقريب باللطف والغفران بحكمتك البالغة (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)

عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وقد روى عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا اجاما من فضة مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من اولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر (اذا حضر احدكم الموت) يعني اذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت واردتم الوصية (ذوا عدل منكم) يعني من اهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت (او آخران من غيركم) يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح واكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز وشهادة الكفار واهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو في ارض غربة فليشهد كافرين او ذميين او من اي دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بارض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على اي دين كانا من اهل الكتاب او من عبدة الاصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال الا على وصيته في سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه ولم يجد احدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها الوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم او آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية محكمة من سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الآية يا ايها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم او آخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب

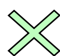
نفع صدقك اياك وصدق كل صادق لكونه خبرة الكمالات وخاصية الملكوت (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي

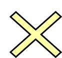
الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لايجب عليه يمين ولان الميت اذا كان
فى ارض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون او عنده وديعة فيضيع
ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتيج الى اشهاد من حضر من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى
لايضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذى ابيح له اكل الميتة فى حال الاضطرار والضرورات قد
تبيح شيأ من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا
مرضيين ولاعدولا فشهادتهم غير مقبولة فى حال من الاحوال * وقوله تعالى (ان انتم ضربتم
فى الارض) يعنى ان انتم سافرتم فى الارض (فاصابتكم مصيبة الموت) يعنى نزل بكم اسباب الموت
فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما (تحبسونهما) يعنى ان اتهمتما بعث الورثة وادعوا عليهما خيانة
فالحكم فيه ان يوقفوهما (من بعد الصلاة) يعنى من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان
يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا
كانا كافرين لايحترمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله قال الشافعى الايمان تغلظ
فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر
ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان فى بيت المقدس فعند الصخرة
وفى سائر البلاد فى اشرف المساجد واعظمها (ان ارتبتم) يعنى ان شككتم ايها الورثة فى قول
الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف
الشاهد المسلم غير مشروع (لانشترى به ثمنا) يعنى لانبيع عهد الله بشئ من الدنيا ولا نحلف
بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه او حق نجحده (ولو كان ذا قربى) يعنى ولو كان المشهود له
ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم (ولانكتم شهادة الله) انما
اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها (انا اذا لمن الآثمين) يعنى ان كتمنا
الشهادة او خنافيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما
وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذى لااله الا هو انهما لم يخونا شيأ مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا
اشتريناه من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فاتوهما فى ذلك فقالا انا
كنا اشتريناه منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيأ من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان
نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم (فان عثر) يعنى فان اطلع وظهر
والعثور الهجوم على امر لم يهجم عليه غيره وكل مااطلع على امر كان قد خفى عليه قيل له قد
عثر عليه (على انهما استحقا اثما) يعنى الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف
على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة (فآخران) يعنى
من اولياء الميت واقربائه (يقومان مقامهما) يعنى مقام الوصيين فى اليمين (من الذين
استحق عليهم) يعنى من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين
وبان كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته (الاوليان) يعنى بامر
الميت وهم اهله وعشيرته (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله (لشهادتنا احق من شهادتهما) يعنى ايماننا
احق واصدق من ايمانهما (وما اعتدينا) يعنى فى ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما (انا اذا لمن
الظالمين) ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان وهما من اهل الميت

الله عنهم ورضواعنه) الصفات
بدليل ثمرات الرضوان فان
ارضا لايكون الافناء
الارادة ولاتفنى ارادتهم الا
اذا غلبت ارادة الله عليهم
فافنتها ولهذا قدم رضوان
الله عنهم على رضوانهم عنه
اى لما ارادهم الله تعالى فى

وحلفابالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما ثم ردت اليمين على اولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيأ من مال الميت وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله واستغفره ❊ وقوله تعالى (ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان يأتوا بالشهادة على وجهها يعني ان يأتي الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) اي واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة (واسمعوا) يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من اصعب ما في القرآن من الآيات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه ❊ قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا اجبتم) يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعني الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين الرازي وجها آخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فرأوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا (انك انت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما غاب عنا من بواطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سألتنا عنه ليس

الازل بمظهرية ارادته ومحل رضوانه ورضي بهم محلا واهلا لذلك سلب عنهم ارادتهم بان جعل ارادته مكانها وابدلهم بها فرضي عنهم وارضاهم (ذلك الفوز العظيم) اي الفلاح العظيم الشأن ولو كان فناء الذات





عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلى فيه نحن ومن يجئ من بعدنا فنزلت فى يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها اول الناس كما يأكل آخرهم (وآية منك) اى وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك (وارزقنا) اى ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وانت خير الرازقين) يعنى وانت خير من تفضل ورزق (قال الله) عز وجل مجيبا لعيسى (انى منزلها عليكم) يعنى المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعنى بعد نزول المائدة (فانى اعذبه عذابا) يعنى جنسا من العذاب (لا اعذبه احدا من العالمين) يعنى من عالمى زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا الخنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا فى الدنيا ويجوز ان يكون مؤخرا الى الآخرة قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء فى نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما اوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى انى منزلها عليكم ان سألتم نزولها والصحيح الذى عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال انى منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف فى خبره ووعده ولما روى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير اخرجه الترمذى وقال قد روى عن عمار من غير طريق موقوفا وهو اصح وقال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا عملا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسى لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهى تهوى اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم واجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شئ لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فليكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا رأس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شئ مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شئ اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها

وهم شباع واذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض اوزمن اومبتلى الاعوفى ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت اربعين صباحا تنزلت ضحى فاذا نزل اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام انى شرطت ان من كفر بعد نزولها اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون فى الطرق يأكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز ورز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ماشاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير وليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يولدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ❊ قوله عز وجل (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله) الآية اختلف المفسرون فى وقت هذا القول فقال السدى قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة واجيب عن حرف اذ بانها قد تجيء بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعنى اذا فزعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عنى اذ جزى ❊ جنات عدن فى السموات العلى

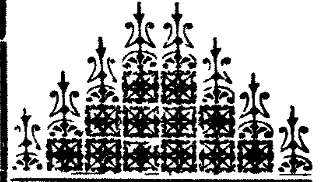
ولفظ الآية فى قوله أأنت قلت للناس لفظه استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم فى ادعائهم ذلك عليه وانه امرهم به فهو كما يقول القائل لآخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربى وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما زعمت وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت فى عيسى انه اله وراوا ان مريم ولدته لزمهم بهذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام (قال

سبحانك) يعني تنزيهاً لك عن النقائص و براءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيباً لله تعالى سبحانك (مايكون لي ان اقول ماليس لي بحق) اى كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق العبادة حتى ادعو الناس اليه وللابين انه ليس له ان يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال (ان كنت قلته فقد علمته) اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال (تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم مايكون منك في دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشئ يقال نفس الشئ وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشئ وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال (انك انت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما كان وماسيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك * قوله تعالى اخباراً عن عيسى (ماقلت لهم الا ما امرتني به) يعني ماقلت لهم الا قولا امرتني به (ان اعبدوا الله) يعني قلت لهم اعبدوا الله (ربي وربكم) يعني وحده ولا تشركوا به شيأ (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) يعني وكنت اشهد ما يفعلون واحضره مادمت مقيماً فيهم (فلما توفيتني) يعني فلما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت (كنت انت الرقيب عليهم) يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شئ (وانت على كل شئ شهيد) يعني انت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعدما رفعتني اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد لما كان ومايكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شئ فلا يعزب عن علمك شئ * قوله عز وجل اخباراً عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفر لهم) يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك (فانك انت العزيز) يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده (الحكيم) في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدى لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة اما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله يجوز في حكمه وسعة

مغفرته ورحمته ان يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانبارى لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسأل له المغفرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فاسأله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النسائي * قوله عز وجل (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما امرتني به الآية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه واما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من ايام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء (رضي الله عنهم) يعني بطاعتهم له (ورضوا عنه) يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته (ذلك) اشارة الى ما ذكره من ثوابهم (الفوز العظيم عظيم) يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والارض وما فيهن) عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح وامه لانهما من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السموات والارض ومن فيهن (وهو على كل شيء قدير)

والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تم الجزء الاول من تفسير الخازن ويليه الجزء الثاني اوله تفسير سورة الانعام ﴾



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* (تفسير سورة الانعام) *

* (فصل في ذكر نزولها) * روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وماقدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا اوقال اوحي الي ولم يوح اليه شئ الى آخر الآيتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وروى عن ابن عباس ايضا وقتادة انهما قالا هي مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا مابين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قال البغوي وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) قال

(الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) ظهور الكمالات وصفات الجمال والجلال على مظاهر تفاصيل الموجودات باسرها الذي هو كمال الكل والحمد المطلق مخصوص بالذات الالهية الجامعة لجميع صفاتها واسمائها باعتبار البداية الذي اوجد سموات عالم الارواح وارض عالم الجسم وانشاء في عالم الجسم ظلمات مراتبه التي هي حجب ظلمانية لذاته وفي عالم الارواح نور العلم والادراك (ثم) اي بعد ظهور هذه الآيات (الذين كفروا) حجبوا مطلقا (بربهم يعدلون) غيره يثبتون موجودا يساويه في الوجود (هو الذي خلقكم من طين)

كعب الاحبار هذه الآية أول آية فى التوراة وآخر آية فى التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية وفى رواية عنه ان آخر آية فى التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختمه بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفى قوله الحمد لله تعليم لعباده كيف يحمدونه أى قولوا الحمد لله وقال أهل المعانى لفظه خبر ومعناه الامر أى احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ فى البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى الحمد فى تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذى خلق السموات والارض اى احمدوا الله الذى خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) الجعل هنا بمعنى الخلق أى وخلق الظلمات والنور قال السدى يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعنى بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعنى بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ذكره البغوى بغير سند (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) يعنى والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون وأصل العدل مساواة الشئ بالشئ والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء فى قوله بربهم بمعنى عن أى عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشئ وقيل دخول ثم فى قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك ان تقول لرجل أكرمتك وأحسنت اليك وأنت تنكرنى وتجحد احسانى اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله * قوله تعالى (هو الذى خلقكم من طين) يعنى انه تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه أصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث وقالوا من يحيى العظام وهى رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدى لما أراد الله عز وجل ان يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأتيه بقبضة منها فقالت الارض انى أعوذ بالله منك أن تقبض منى فرجع ولم يأخذ منها شيأ فقال يارب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أخالف امره وأخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بنى آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لاجرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن

المادّة الهيولانية (ثم قضى اجلا) مطلقا غير معين بوقت وهيئة لانّ احكام القضاء الثابت الذى هو امّ الكتاب كلية منزهة عن الزمان متعالية عن المشخصات اذ محلها الروح الاولى المقدّس عن التعلق بالمحل فهو الاجل الذى يقتضيه الاستعداد طبعا بحسب هويته المسمى اجلا طبيعيا بالنظر الى نفس ذلك المزاج الخاص والتركيب المخصوص بلا اعتبار عارض من العوارض الزمانية (واجل مسمى) معين (عنده) هو الاجل المقدّر الزمانىّ الذى يجب وقوعه عند اجتماع الشرائط وارتفاع الموانع المثبت فى كتاب النفس الفلكية التى هى لوح القدر المقارن لوقت معين ملازم له كما قال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (ثم انتم تمترون وهو الله فى السموات وفى الارض) بعد ما علمتم قدرته على ابدائكم وافنائكم

والخبيث والطيب أخرجه ابو داود والترمذى ※ واما قوله تعالى (ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده) فاختلف العلماء فى معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ وروى نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث الى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث وذلك قوله ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الافى كتاب وقال مجاهد وسعيد ابن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل الثانى أجل الآخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عندالله لايزيد ولاينقص والاجل الثانى هو اجل القيامة وهو ايضا معلوم مقدر عندالله لايعلمه الاالله تعالى وقال ابن عباس فى رواية عطاء عنه ثم قضى اجلا يعنى النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى اجلا يعنى قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها وهو اجل مسمى عنده يعنى ان ذلك الاجل عنده لايعلمه الاهو والمراد بقوله عنده يعنى فى اللوح المحفوظ الذى لايطلع عليه غيره (ثم انتم تمترون) يعنى ثم انتم تشكون فى البعث ※ قوله عز وجل (وهو الله فى السموات وفى الارض) يعنى وهو اله السموات واله الارض وقيل معناه وهو المعبود فى السموات وفى الارض وقال محمد بن جرير الطبرى معناه وهو الله فى السموات (يعلم سركم وجهركم) فى الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير فى السموات وفى الارض لاشريك له فيهما والمراد بالسر ماتخفيه الانسان فى ضميره فهو من اعمال القلوب وبالجهر مايظهره الانسان فهو من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لايخفى عليه خافية فى السموات ولافى الارض (ويعلم ماتكسبون) يعنى من خير اوشر بقى فى الآية سؤال وهو ان الكسب اما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسر اومن اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لاتخرج عن هذين النوعين يعنى السر والجهر فقوله ويعلم ماتكسبون يقتضى عطف الشئ على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك واجيب عنه بانه يجب حمل قوله ويعلم ماتكسبون على مايستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كمايقال هذا المال كسب فلان اى مكتسبه ولايجوز حمله على نفس الكسب والالزم عطف الشئ على نفسه ذكره الامام فخر الدين (وماتأتيهم) يعنى لاهل مكة (من آية من آيات ربهم) يعنى من المعجزات الباهرات التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) يعنى الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين (فقد كذبوا بالحق) يعنى بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما اتى به من المعجزات (لماجاءهم) يعنى لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به (فسوف يأتيهم انباء ماكانوا به يستهزؤن) يعنى فسوف يأتيهم اخبار استهزائهم اذا عذبوا فى الآخرة ※ قوله تعالى (ألم يروا) الخطاب لكفار مكة يعنى الم ير هؤلاء المكذبون بآياتى (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة من الناس واهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود فى ذلك الزمان وقيل سمى قرنا لانه زمان بزمان وامة بامة واختلفوا فى مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل

(ستون)

واحاطة علمه بكم تشكون فيه وفى قدرته فتثبتون لغيره تأثيرا وقدرة وهو الله فى صورة الكل سواء الوهيته بالنسبة الى العالم العلوىّ والسفلىّ (يعلم سركم) فى عالم الارواح الذى هو عالم الغيب (وجهركم) فى عالم الاجسام الذى هو عالم الشهادة (ويعلم ماتكسبون) فيهما من العلوم والعقائد والاحوال والحركات والسكنات والاعمال صحيحها وفاسدها صوابها وخطئها خيرها وشرها فيجازيكم بحسبها (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا

ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله بن بشر المازنى انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن اهله الذين وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعنى اصحابى وتابعيهم وتابعى التابعين (مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم) يعنى اعطيناهم مالم نعطكم يا أهل مكة وقيل امددناهم فى العمر والبسطة فى الاجسام والسعة فى الارزاق مثل اعطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وارسلنا السماء عليهم مدرارا) مفعال من الدر يعنى وأرسلنا المطر متتابعا فى اوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمى بذلك لنزوله منها (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) يعنى وفجرنا لهم العيون تجرى من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين (فاهلكناهم بذنوبهم) يعنى بسبب ذنوبهم وكفرهم (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) يعنى وخلقنا من بعد هلاك اولئك اهل قرن آخرين وفى هذه الآية مايوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ماكانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع اهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هوا ضعف منهم واقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة * قوله عزوجل (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) الآية قال الكلبى ومقاتل نزلت فى النضر بن الحرث وعبدالله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يامحمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عندالله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عندالله وانك رسوله فانزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس يعنى من عندى يعنى مكتوبا فى قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التى يكتب فيها (فلمسوه بأيديهم) يعنى فعاينوه ومسوه بأيديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لانه ابلغ فى ايقاع العلم بالشئ من الرؤية لان المرئيات قد يدخلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف الممسوس (لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) يعنى لو انزلنا عليهم كتابا كما سألوا لما امنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا فى انشقاق القمر وانه لاينفع معهم شئ لما سبق فيهم من علمى بهم (وقالوا) يعنى مشركى مكة (لولا) يعنى هلا (انزل عليه) يعنى على محمد (ملك) يعنى نراه عيانا (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) يعنى لفرغ الامر ولوجب العذاب وهذه سنة الله فى الكفار انهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤ صلوا به (ثم لاينظرون) يعنى انهم لايمهلون ولايؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعنى ولو ارسلنا اليهم ملكا لجعلناه فى صورة رجل وذلك ان البشر لايستطيعون ان ينظروا الى الملائكة فى صورهم التى خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتى الانبياء فى صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى وكما جاء الملكان الى داود عليه السلام فى صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهما السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته التى خلق عليها صعق لذلك وغشى عليه * وقوله تعالى (وللبسنا عليهم مايلبسون) يقال لبست الامر على

آخرين ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لاينظرون ولو جعلناه) الرسول (ملكا لجعلناه رجلا) اى لجسدناه لان الملك نور غير مرئى بالبصر وهم ظاهريون لايدركون الاما كان محسوسا وكل محسوس فهو جسم او جسمانى ولا صورة تناسب الملك الذى ينطق بالحق حتى يتجسد فيها الا الصورة الانسانية امالكونه نفسا ناطقة تقتضى هذه الصورة واما الوجوب وجود الجنسية التى لولم تكن لما امكنهم السماع منه واخذ القول (وللبسنا عليهم مايلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن

القوم اذا اشبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية وخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكون فلا يدرون املك هو ام آدمي * وقيل في معنى الآية انا لو جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتعود المسئلة بحالها انا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبيس وانما كان تلبيسا لانهم يظنون انه ملك وليس بملك ويظنون انه بشر وليس هو بشرا وانما كان فعلهم تلبيسا لانهم لبسوا على ضعفتهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو راوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق بضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء * قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) يعنى كما استهزؤا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له اسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (فحاق) اى فنزل وقيل احاط وقيل حل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين ان يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بأنبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سيروا في الارض) اى قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعنى كيف كان جزاء المكذبين وكيف اورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية * قوله عز وجل (قل لمن ما في السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والارض فان اجابوك والا فأخبرهم ان ذلك الله الذي قهر كل شئ وملك كل شئ واستعبد كل شئ لا للاصنام التي تعبدونها انتم فانها موات لا تملك شيأ ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وانما امره بالجواب عقب السؤال ليكون ابلغ في التأكيد وآكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته اردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى (كتب على نفسه الرحمة) يعنى انه تعالى اوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بانه رحيم بعباده وانه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب واناب (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي البخاري ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا ان رحمتي تغلب غضبي (ق) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة

ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة) اى الزم ذاته من حيث هي افاضة الخير والكمال بحسب استعداد القوابل فما من مستحق لرحمة وجود اوكمال الا اعطاه عند حصول استحقاقه لها (ليجمعنكم الى يوم القيامة) الصغرى والاعادة اوالكبرى في عين الجمع المطلق (لاريب فيه) في كل واحد من الجمعين في نفس الامر عند التحقيق وان لم يشعر به المحجوبون وهم (الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون) باهلاكها في الشهوات واللذات الفانية ومحبة ما يفنى سريعا من حطام الدنيا وكل محب لشئ فهو محشور فيه فهؤلاء لمحبتهم اياها واحتجابهم بها عموا عن الحقائق الباقية النورانية واستبدلوا بها المحسوسات الفانية الظلمانية (وله ماسكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت ان اكون اول

حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه زاد البخارى فى رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذى عندالله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عندالله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (م) عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء والارض فجعل منها فى الارض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة (ق) عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى فاذا امرأة من السبى تبتغى اذ وجدت صبيا فى السبى اخذته فألصقته ببطنها وارضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهى تقدر ان لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعباده من هذه المراة بولدها وقوله تعالى (ليجمعنكم) اللام فى قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) وقيل معناه فى قبوركم الى يوم القيامة (لاريب فيه) اى لاشك فى انه آت (الذين خسروا انفسهم) يعنى بالشرك بالله اوغبنوا انفسهم باتخاذهم الاصنام فعرضوا انفسهم لسخط الله واليم عقابه فكانوا كمن خسر شيأ واصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذاغبن فى بيعه (فهم لايؤمنون) يعنى لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذى حملهم على الامتناع من الايمان * قوله تعالى (وله ماسكن فى الليل والنهار) يعنى وله مااستقر وقيل ماسكن وماتحرك فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه اكثر * وقال ابن جرير كل ماطلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ماحصل فى الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما فى البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره (وهو السميع) لاقوالهم وأصواتهم (العليم) بسرائرهم واحوالهم * قوله عزوجل (قل اغير الله اتخذ وليا) قال مقاتل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين آبائه انزل الله هذه الآية فقال قل لهم يامحمد اغير الله اتخذ وليا يعنى ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار اى لااتخذ غير الله وليا (فاطر السموات والارض) اى خالق السموات والارض ومبدعهما ومبتدئهما (وهو يطعم ولا يطعم) يعنى وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عزوجل نفسه بالغنى عن الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته ان يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لايطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غنى عن الخلق ومن كان كذلك وجب ان يتخذ رباوناصرا ووليا ومعبودا (قل انى امرت ان اكون اول من اسلم) يعنى من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعنى امرت ان استسلم لامر الله وانقاد الى طاعته (ولاتكونن من المشركين) يعنى وقيل لى يامحمد لاتكونن من المشركين (قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) يعنى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيرى ان ربى امرنى ان اكون

من اسلم) قال ذلك مع قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكذلك قال موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين لان مراتب الارواح مختلفة فى القرب والبعد من الهوية الآلهية وكل من كان ابعد فايمانه بواسطة من تقدمه فى الرتبة واهل الوحدة كلهم فى المرتبة الالهية اهل الصف الاول فكان ايمانهم بلا واسطة وايمان غيرهم بواسطتهم الاقدم فالاقدم وكل من كان ايمانه بلا واسطة فهو اول من آمن وان كان متأخر الوجود بحسب الزمان كما قال النبى عليه الصلاة والسلام نحن الآخرون السابقون فلايقدح اتباعه لملة ابراهيم فى سابقيته لان معنى الاتباع هو السير فى طريق التوحيد مثل سيره فى الزمان الاول ومعنى اوليته كونه فى الصف الاول مع السابقين (ولاتكونن من المشركين قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله

اول من اسلم ونهانى عن عبادة شئ سواه وانى اخاف ان عصيت ربى فعبدت شيأ سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) يعنى العذاب (يومئذ) يعنى يوم القيامة (فقدرحمه) يعنى نال انجاه من العذاب ومن انجاه من العذاب فقدرحمه واناله الثواب لامحالة وانما ذكر الرحمة من صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب (وذلك الفوز المبين) يعنى ان صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين * قوله تعالى (وان يمسسك الله بضر) يعنى بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما هو فى معناه (فلا كاشف له الا هو) يعنى فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل (وان يمسسك بخير) يعنى بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ماينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شئ قدير) يعنى من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على ان يمسسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لايقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل احد والمعنى وان يمسسك الله بضر ايها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسسك بخير ايها الانسان فهو على كل شئ قدير من دفع الضر وايصال الخير * عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لى ياغلام انى اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف اخرجه الترمذى زاد فيه رزين تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ماتكره خير كثير * واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا اومثله بطوله فى مسند احمد بن حنبل * قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعنى وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذى يريد فيقع فى ذلك مايشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع احد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر فى صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذى لايعجزه شئ اراده ومعنى فوق عباده هنا ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذى لايقدر احد على الخروج منه ولاينفك عنه فكل من قهر شيأ فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة * وقال ابن جرير الطبرى معنى القاهر المتعبد خلقه العالى عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيأ ان يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلل لهم العالى عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذى تفرد به الله عز وجل (وهو الحكيم) يعنى فى امره وتدبيره عباده (الخبير) يعنى باعمالهم ومايصلحهم * قوله عز وجل (قل اى شئ اكبر شهادة) قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ارنا من يشهد انك رسول الله

بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير وهو القاهر فوق عباده) بافنائهم ذاتا وصفة وفعلا بذاته وصفاته وافعاله فيكون قهره عين لطفه كما لطف بهم بايجادهم وتمكينهم واقدارهم على انواع التمتعات وهيأ لهم ماارادوا من انواع النعم والمشتهيات فحجبوا بها عنه وذلك عين قهر فسبحان الذى اتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته واشتدت نقمته على اعدائه فى سعة رحمته (وهو الحكيم) يفعل مايفعل من القهر الظاهر المتضمن اللطف الواسع او اللطف الظاهر المتضمن للقهر الكامل بالحكمة (الخبير) الذى يطلع على خفايا احوالهم واستحقاقها للطف والقهر (قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لااشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون

فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك و يجحدون نبوّتك من قومك اى شئ اكبر شهادة يعني اعظم شهادة فان هم اجابوك والا (قل) انت يا محمد (الله شهيد بيني وبينكم) قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسأل قريشا اى شئ اكبر شهادة ثم امر ان يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لى بالحق وعليكم بالباطل الذى تقولونه والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوّة فبين الله تعالى بهذه الآية ان اكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوّة وهو المراد بقوله (واوحى الىّ هذا القرآن لانذركم به) يعني ان الله عز وجل يشهد لى بالنبوّة لانه اوحى الى هذا القرآن وهو معجزة لانكم انتم الفصحاء البلغاء واصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بأنى رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحى الى هذا القرآن لاخوّفكم به واحذركم مخالفة امر الله عز وجل (ومن بلغ) يعني وانذر من بلغه القرآن ممن يأتى بعدى الى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الامم فكل من بلغ اليه القرآن وسمعه فالنبى صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار * شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بابلاغ ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قرآن وسنة وقوله وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث انه مهما قلتم عن بنى اسرائيل فانهم كانوا فى حال اكثر مما قلتم واوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب والاخبار عن بنى اسرائيل لكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على بعض البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لانه امر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيأ فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع اخرجه الترمذى وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه ابوداود موقوفا وقوله تعالى (ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا نبوّتك واتخذوا آلهة غيرى انكم ايها المشركون لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى يعني الاصنام التى كانوا يعبدونها وانما قال اخرى لان الجمع يلحقه التأنيث كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاوّلين (قل لا اشهد) يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا اشهد بما تشهدون به ان مع الله آلهة اخرى بل اجحد ذلك وانكره (قل انما هو اله واحد) يعني قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك اشهد (واننى برئ مما تشركون) يعني وانا برئ من كل شئ تعبدونه سوى الله وفى هذه الآية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) باثبات وجود غيره (او كذب) بصفاته باظهار صفات نفسه فاشرك به وغاية الظلم الشرك بالله (انه لا يفلح الظالمون) لاحتجابهم بما وضعوه فى موضع ذات الله وصفاته (ويوم نحشرهم جميعا) فى عين جمع الذات (ثم نقول للذين اشركوا) باثبات الغير (اين شركائى الذين كنتم تزعمون) لفناء الكل فى التجلى الذاتى (ثم لم تكن فتنتهم) عند تجلية الحال وبروز الكل للملك القهار نهاية شركهم وعاقبته (الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) لامتناع وجود شئ نشركه بالله (انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل) بافتراء الوجود والصفات لها وضاع (عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا

معبود سواه لان كلة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح فى التوحيد ونفى الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبرؤ من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من اسلم ان يأتى بالشهادتين ويبرأ من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانى برئ مما تشركون ❊ قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) المراد بالذين اوتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انا سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وانكروا معرفته بين الله عز وجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين فى هذه الآية انهم يعرفونه وانهم كذبوا فى قولهم انهم لا يعرفونه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله ابن سلام ياعمر لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم منى بابنى فقال عمر وكيف ذاك قال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادرى مايصنع النساء ❊ وقوله تعالى (الذين خسروا انفسهم) يعنى اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها فى نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار اهل الكتابين (فهم لا يؤمنون) يعنى به والقول الثانى انه كلام مبتدا ولا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا فى معنى الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدائم الذى حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثانى انه جعل لكل واحد من بنى آدم منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التى فى الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التى فى النار فذلك هو الخسران ❊ قوله تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى ومن اشد عنادا واخطأ فعلا واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الاصنام اوادعى ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى (اوكذب بآياته) يعنى كذب بحجته واعلام ادلته التى اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه اوكذب بآيات القرآن الذى انزله على محمد صلى الله عليه وسلم (انه لا يفلح الظالمون) يعنى انه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل (ويوم نحشرهم جميعا) اى اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) يعنى انها تشفع لكم عند ربكم ❊ قوله عز وجل (ثم لم تكن فتنتهم) يعنى قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار مافى قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج فى قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان تبرؤا منها ❊ وهو قوله تعالى (الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك

الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم ومايشعرون) فلم يجدوه شيأ بل وجدوه لاشيأ سوى المفترى اوكذبوا على انفسهم بنفى الشرك عنها مع رسوخ ذلك الاعتقاد فيها (ولو ترى اذ وقفوا على النار) نار الحرمان والتعذب بهيآت نفوسهم المظلمة واستيلاء صور المفتريات عليهم فى العذاب (فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) من تجليات صفاته (ونكون من المؤمنين) الموحدين لكان مالا يدخل تحت الوصف (بل بدا) ظهر (لهم ماكانوا يخفون من قبل) من العقائد الفاسدة والصفات المهلكة والهيآت المظلمة ببروزهم لله وانقلاب باطنهم ظاهرا فتعذبوا به (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) لرسوخ تلك الاعتقادات والملكات فيهم (وانهم لكاذبون) فى الدنيا والآخرة لكون الكذب ملكة راسخة فيهم (وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم

اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا نجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ماكنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر * قال الله تعالى (انظر كيف كذبوا على انفسهم) يعنى انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا على انفسهم يعنى اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الاصنام والشرك الذى كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ماكانوا عليه فى دار الدنيا وذلك لاينفعهم وهو قوله (وضل عنهم) يعنى زال عنهم وذهب (ماكانوا يفترون) يعنى ماكانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله فى ذلك اليوم * قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك) الآية قال الكلبى اجتمع ابوسفيان صخر بن حرب وابوجهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبه وشيبة ابنا ربيعة وامية وابى ابنا خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا اباقتيبة مايقول محمد قال ماادرى مايقول الا انى اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ماكنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال ابوسفيان انى لأرى بعض مايقول حقا فقال ابو جهل كلا لاتقر بشئ من هذا وفى رواية للموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعنى الى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم اكنة) يعنى اغطية جمع كنان (ان يفقهوه) يعنى لئلا يفقهوه اوكراهية ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يعنى وجعلنا فى آذانهم صمما وثقلا وفى هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايمان فتقبله ويجعل بعضها فى اكنة فلاتفقه كلام الله ولاتؤمن به (وان يروا كل آية لايؤمنوا بها) يعنى كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لايؤمنوا بها يعنى لايصدقوا بها ولايقروا انها دالة على صدقك (حتى اذا جاؤك يجادلونك) يعنى انهم اذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن انما جاؤا ليجادلوك ويخاصموك لاليؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) اى ماهذا القرآن (الا اساطير الاولين) يعنى احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم وماسطروا يعنى وماكتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحدها سطر واسطار جمع واساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون فى كتبهم الحكم والعلوم النافعة ومالا يعاب قائله اجيب عنه بانهم انما نسبوا القرآن الى اساطير الاولين بمعنى انه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروى اخبار الاولين وقيل فى معنى اساطير الاولين انها الترهات وهى عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قائلهم اخذنا فى الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذى لايعرف فجعلت الترهات مثلا لما لايعرف ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة التى لااصل لها * قوله عزوجل (وهم ينهون عنه) يعنى ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينأون عنه) يعنى ويتباعدون عنه بانفسهم نزلت فى كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت فى ابى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبى صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به يعنى يبعد حتى

تكفرون) فى القيامة الكبرى وهو تصوير حالهم فى الاحتجاب والبعد والالم بكن ثم قول ولاجواب لحرمانهم عن الحضور والشهود وان كانوا فى عين الجمع المطلق واعلم ان الوقف على الشئ غير الوقوف معه فان الوقوف مع الشئ يكون طوعا ورغبة والوقف على الشئ لايكون الاكرها ونفرة فمن وقف مع الله بالتوحيد كمن قال وقف الهوى من حيث انت فليس لى * متأخر عنه ولامتقدم لايوقف للحساب بل هو من اهل الفوز الاكبر الذين قال فيهم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شئ ويثاب بأنواع النعيم فى الجنان كلها ومن وقف مع الغير بالشرك وقف على الرب وعذب بجميع انواع العذاب فى مراتب النيران كلها لكون حجابه اغلظ وكفره اعظم ومن وقف مع الناسوت بمحبة اللذات والشهوات ولبث فى حجاب الآثار وقف على الملكوت وعذب بنيران الحرمان عن المراد وسلط عليه زبانية الهيآت المظلمة وقرن بشياطين الاهواء

روى انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذشابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ماانصفتمونى ادفع اليكم ابنى محمدا لتقتلوه واربى لكم ابنكم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا اباطالب الى الايمان فقال لولا تعيرنى قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ماحييت وقال فى ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابسر بذاك وقرمنه عيونا
ودعوتنى وعرفت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمت بانه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

* وقوله تعالى (وان يهلكون الا انفسهم) يعنى لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم (ومايشعرون) يعنى بذلك قوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على النار) يعنى فى النار فوضع على موضع فى كقوله على ملك سليمان اى فى ملك سليمان وقيل معناه اذعرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يامحمد فى تلك الحالة لرايت امرا عجيبا وموقفا فظيعا (فقالوا) يعنى الكفار (ياليتنا نرد) يعنى الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل) يعنى ليس الامر كما قالوا لوردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون فى الدنيا من الكفر والمعاصى وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين اخفوا شركهم وكتموه فاظهره الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم مااخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية فى المنافقين (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) يعنى فى قولهم لورددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين) وهذا خبر عن حال منكرى البعث وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيامة واهوالها وما اعدالله فى الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما اعدالله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعنى الكفار ان هى اى ماهى الا حياتنا الدنيا اى ليس لنا غير هذه الدنيا التى نحن فيها ومانحن بمبعوثين يعنى بعد الموت وقال عبدالرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لوردوا الى الدنيا لقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين * قوله عزوجل (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) يعنى على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم (قال اليس هذا بالحق) اى يقول الله يوم القيامة اليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا (قالوا بلى وربنا) يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا وقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله اليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف ففى موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفى موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه فى الدنيا (قال فذوقوا العذاب) اى يقول الله لهم ذلك

المردية ومن وقف مع الافعال وخرج من حجاب الآثار وقف على الجبروت وعذب بنار الطمع والرجاء ورد الى مقام الملكوت ومن وقف مع الصفات وخرج عن حجاب الافعال وقف على الذات وعذب بنار الشوق فى الهجران وان كان من أهل الرضا وهذا الموقف ليس هو الموقف على الرب فان الموقوف على الذات يعرف ربه الموصوف بصفات اللطف كالرحيم والرؤف والكريم دون الموقوف على الرب فهو حجاب الانية كما ان الواقف مع الافعال فى حجاب أوصافه والواقف مع الناسوت فى حجاب افعاله التى هى من جملة الآثار فالمشرك موقوف فى المواقف الاربعة أولا على الرب فيحجب بالبعد والطرد كما قال اخسؤا فيها ولا تكلمون وقال وذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ثم على الجبروت ويطرد بالسخط والقهر كما قال ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ثم على الملكوت ويزجر بالغضب واللعن كما قيل ادخلوا ابواب جهنم ثم على النار فيعذب بأنواع النيران أبدا كما قال على لسان مالك انكم ماكثون فيكون

اوالخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم فى كل حال يجدون الم العذاب وجدان الذائق فى شدة الاحساس (بما كنتم تكفرن) يعنى هدا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعدالموت ❊ قوله تعالى (قدخسر الذين كذبوا بلقاءالله) يعنى خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث بعدالموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم فى دارالنعيم المقيم وحصول العذاب الاليم فى دركات الجحيم (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة) يعنى جاءتهم القيامة فجاة وسميت القيامة ساعة لانها تفجأ الناس بغتة فى ساعة لايعلمها احد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون فى ساعة اواقل من دلك (قالوا) يعنى منكرى البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم فى الكفر والاعتقاد (ياحسرتنا) يعنى ياندامتنا والحسرة التلهف على الشئ الفائت ودكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ماوقع بهم من الحسرة (على مافرطنا) يعنى قصرنا (فيها) يعنى فى الدنيا لانها موضع التفريط فى الاعمال الصالحة والمعنى ياحسرتنا على الاعمال الصالحة التى فرطنافيها فى دارالدنيا وقال محمد بن جرير الطبرى الهاء والالف فى قوله فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قدخسر الذين كذبوا بلقاءالله عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لايكون الافى صفقة بيع قدجرى ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذى يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذى يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لايشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذاجاءتهم الساعة بغتة وراواما لحقهم من الخسران فى بيعهم قالواحينئذ ياحسرتنا على مافرطنا فيها وروى الطبرى بسنده عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ياحسرتنا قال يرى اهل النار منازلهم فى الجنة فيقولون ياحسرتنا وقوله تعالى (وهم يحملون اوزارهم) يعنى اثقالهم (على ظهورهم) والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذاحملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدى ان المؤمن اذاخرج من قبره استقبله احسن شئ صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لافيقول انا عملك الصالح فاركبنى فقدطالما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعنى ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شئ صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لافيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله فى صورة رجل قبيح كلما رأى هول صورته وقبحه زاده خوفا فيقول له بئس الجليس انت فيقول انا عملك طالما ركبتنى فلاركبنك اليوم حتى اخزيك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدى ربه تعالى فذلك قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر فى الوزن فقديذكر فى الحال والصفة يقال ثقل على كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون من الم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجازا عمايقاسونه من شدة العذاب وقيل فى معنى الآية اوزارهم لاتزايلهم كما تقول شخصه نصب عينى اى ذكره ملازم لى (الاساء مايزرون) يعنى بئس الشئ شيأ يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا ❊ قوله عزوجل (وماالحياة الدنيا

وقفه على النار متأخرا عن وقفه على الرب معلولا منه كما قال ثم اليامر جعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واما الواقف مع الناسوت فيقف للحساب على الملكوت ثم على النار وقدينجى لعدم السخط وقد لاينجى لوجوده والواقف مع الافعال لايوقف على النار اصلا بل يحاسب ويدخل الجنة واما الواقف مع الصفات فهو من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه والله أعلم بحقائق الامور (قدخسر الذين كذبوا بلقاء الله) المحجوبون المكذبون بلقاء الحق (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها) القيامة الصغرى ندمواعلى تفريطهم بها (وهم يحملون اوزارهم) من اعباء التعلقات واثقال محبة الجسمانيات ووبال السيئات لله وآثام هيآت الحسيات (على ظهورهم) اى ارتكبتهم واستولت عليهم للرسوخ فى نفوسهم فحجبتهم وعذبتهم وثبطتهم عماارادوا (ألاساء مايزرون وماالحيوة الدنيا) اى الحياة الحسية لان المحسوس ادنى الى الخلق من المعقول (الالعب ولهو)

الالعب ولهو) اى باطل وغرور لابقاءلها وهذافيه ردعلى منكرى البعث فى قولهم ان هى الاحياتناالدنيا ومانحن بمبعوثين فقال الله رداعليهم ومكذبالهم وماالحياة الدنيا الالعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن اوالكافر قولان احدهما ان المرادبها حياة الكافر لان المؤمن لايزداد بحياته فى الدنيا الاخيرا لانه يحصل فى ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة مايكون سببا لحصول السعادة فى الآخرة واماالكافر فان كل حياته فى الدنياوبال عليه * قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول الثانى ان هذا عام فى حياة المؤمن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عندانقضائه تحصل له الحسرة والندامة لان الذى كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لابقاءله فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانماشبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشئ الذى يلعب به وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فامافعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وان كان وقوعه فى الدنيا وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لايجدى شيأ ولاشتغالهم عماامروا به نسبوا الى اللعب واللهو وقوله تعالى (وللدار الآخرة) يعنى الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله لدار الآخرة (خير) يعنى من الدنيا وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع (للذين يتقون) يعنى الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو (افلا تعقلون) ان الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها * قوله تعالى (قدنعلم انه ليحزنك الذى يقولون) يعنى قدنعلم يامحمد انه ليحزنك الذى يقوله المشركون لك قال السدى التقى الاخنس ابن شريق وابوجهل بن هشام فقال الاخنس لابى جهل ياابا الحكم اخبرنى عن محمد اصادق هوام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيرى فقال ابوجهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذاذهب بنوقصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال ابوجهل للنبى صلى الله عليه وسلم مانتهمك ولانكذبك ولكنانكذب الذى جئت به فانزل الله هذه الآية عن على بن ابى طالب ان اباجهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لانكذبك ولكن نكذب بما جئت فانزل الله فيهم فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اخرجه الترمذى من طريقين وقال فى احدهما وهذا اصح فى هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه فى الظاهر الحسد والظلم (فانهم لايكذبونك) يعنى انهم لايكذبونك فى السر لانهم قدعرفوا انك صادق (ولكن الظالمين) يعنى الكافرين (بآيات الله يجحدون) يعنى فى العلانية وذلك انهم جحدوا القرآن بعد معرفة صدق الذى انزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى فى حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا * وقيل ظاهر الآية يدل على انهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا آيات الله وهى القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لايكذبونك لانهم قدعرفوا صدقك وانماجحدوا صحة نبوتك ورسالتك * قوله عزوجل (ولقد كذبت رسل من قبلك) يعنى ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما كذبك قومك (فصبروا على ما كذبوا واوذوا) يعنى ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب

اى الاشئ لااصل له ولاحقيقة سريع الفناء والانقضاء (وللدار الآخرة) اى عالم الروحانيات (خير للذين يتقون) يتجردون عن ملابس الصفات البشرية واللذات البدنية (افلاتعقلون) حتى تختاروا الاشرف الاطيب على الاخس الادون الفانى (قدنعلم انه ليحزنك الذى يقولون) عتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظهور نفسه بصفة الحزن (لايكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون) اى ليس انكارهم تكذيبك لانك لست فى هذه الدعوة قائما بنفسك ولاهذا الكلام صفة لك بل تدعوهم بالله وصفاته وهذه عادة قديمة (ولقدكذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا) بالله سلاه بالله بعدماعاتبه لئلا يبقى فى التلوين ولايتأسف بعد ذهابه فيقع فى القبض بل يطمئن قلبه ولهذا عقبه بقوله (ولامبدل لكلمات الله) اى صفات الله التى يتجلى بها لعباده ولا تتغير ولاتتبدل بانكار المنكرين ولايمكنهم تبديلها ونفى عنه القدرة وعجزه بقوله (ولقد جاءك من

قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبرانت يامحمد على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وازالة حزنه على تكذيب قومه له واذاهم اياه (حتى اتاهم نصرنا) يعني باهلاك من كذبهم (ولامبدل لكلمات الله) يعني ولاناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولاخلف فيما وعدالله به ❊ وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبا المرسلين) يعني ولقد انزلت عليك في القرآن من أخبار المرسلين مافيه تسلية لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول اصا بنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء واخبارهم كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ❊ قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم) ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية ان الحرث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال ائتنا بآية كما كانت الانبياء تأتي قومها بالآيات فان فعلت آمنابك فنزلت هذه الآية رواه ابوصالح عن ابن عباس ومعنى الآية وان كان عظم عليك يامحمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سألوه آية أحب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عزوجل (فان استطعت ان تبتغي) يعني تطلب وتتخذ (نفقا في الارض) يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر (اوسلما في السماء) يعني اوتتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة (فتأتيهم بآية) يعني بالآية التي سألوا عنها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في الارض اوتصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولايتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) اخبرالله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لوشاء لجمعهم على الهدى (فلاتكونن من الجاهلين) يعني بان لوشاء الله لجمعهم على الهدى وانه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لايشتد تحسرك على تكذيبهم اياك ولاتجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لاصبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيداله عن هذه الحالة ❊ قوله عزوجل (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني المؤمنين الذين فتح الله اسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموتى) يعني الكفار الذين لايسمعون ولايستجيبون (يبعثهم الله) يعني يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) فيجزيهم باعمالهم (وقالوا) يعني رؤساء كفار قريش (لولا) يعني هلا (نزل عليه آية من ربه) يعني الملك

نبا المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) فلا تظهر نفسه بصفاتها (فلا تكونن من الجاهلين) الذين لايعلمون علم حكمة تفاوت الاستعدادات فتأسف على احتجاب من احتجب فان المشيئة الآلهية اقتضت هداية بعض وحرمان بعض لحكمة ترتب النظام وظهور الكمالات الظاهرة والباطنة فلا يستجيب الا من فتح الله سمع قلبه بالهداية الاصلية ووهب له الحياة الحقيقية بصفات الاستعداد ونور الفطرة لاموتى الجهل الذين ماتت غريزتهم بالجهل المركب اوبالحجب الجبلية اولم يكن لهم استعداد بحسب الفطرة فانهم لايمكنهم السماع بل (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) بالاعادة في النشأة الثانية في عين الجمع المطلق للجزاء اوالمكافاة مع احتجابهم وقد يمكن رفع الحجب في الآخرة للفريق الثاني دون الباقين (وقالوا

ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبياء (قل) يعنى قل لهم يامحمد (ان الله قادر على ان ينزل آية) يعنى انه تعالى قادر على ايجاد ماطلبوه وانزال مااقترحوه من الآيات والمعجزات الباهرات (ولكن اكثرهم لايعلمون) يعنى ماذا عليهم فى انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لايعلمون ان الله قادر على انزال الآيات وقيل انهم لايعلمون وجه المصلحة فى انزالها ❊ قوله تعالى (وما من دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه الاامم امثالكم) قال العلماء جميع ماخلق الله عزوجل لايخرج عن هاتين الحالتين اماان يدب على الارض اويطير فى الهواء حتى الحقوا حيوان الماء بالطير لان الحيتان تسبح فى الماء كما ان الطير يسبح فى الهواء وانما خص مافى الارض بالذكر دون مافى السماء وان كان مافى السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد اظهر واولى مما لايشاهد وانما ذكر الجناح فى قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدى ونظرت بعينى الا امم امثالكم قال مجاهد اى اصناف مصنفة تعرف باسمائها يريد ان كل جنس من الحيوان امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمائها مثل بنى آدم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب امة ماروى عن عبدالله بن مغفل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم اخرجه ابوداود والترمذى والنسائى ❊ فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطير امم امثالنا فاوجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء فى وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلى له كما انكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما انكم مخلوقون لله عزوجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما ان جنس الانسان يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل امثالكم فى طلب الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل امثالكم فى الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى (مافرطنا فى الكتاب من شئ) يعنى فى اللوح المحفوظ لانه يشتمل على جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعنى ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال ابوهريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ❊ قوله عزوجل (والذين كذبوا بآياتنا) يعنى بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده (صم) يعنى عن سماع الحق (وبكم) يعنى عن النطق به والمعنى انهم فى حال كفرهم وتكذيبهم كمن لايسمع ولايتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لايسمع ولايتكلم (فى الظلمات) يعنى فى ظلمات الكفر حائرين مترددين فيها لايهتدون سبيلا (من يشا الله يضلله) يعنى عن الايمان (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) يعنى ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام وفى هذا دليل على

لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لايعلمون) نزول الآيات فان ظهور كل صفة من صفاته على كل مظهر من مظاهر الاكوان آية له يعرفها اهل العلم (ومامن دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه الاامم امثالكم) الى آخره يمكن حمله على المسخ اى امم امثالكم فى الاحتجاب والاعتداء وارتكاب الرذائل كاصحاب السبت الذين مسخوا قردة وخنازير (مافرطنا فى الكتاب من شئ) ماقصرنا فى كتابهم الذى فيه صور اعمالهم وهو صحيفة النفس الفلكية اوصحيفة نيتهم التى ثبتت فيها صور اعمالهم (ثم الى ربهم يحشرون) للجزاء محجوبين فى عين الجمع المطلق والظاهر ان المراد انهم امم امثالكم مربوبون بما احتاجوا اليه من معاشهم مكفيون مؤنتهم بتقدير من الله وحكمه ماقصرنا فى كتاب اللوح المحفوظ من شئ يصلحهم بل اثبتنا فيه ارزاقهم وآجالهم واعمالهم وكل مااحتاجوا اليه ثم الى ربهم يحشرون

ان الهادى والمضل هوالله تعالى فمن احب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن احب ضلالته تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ❊ قوله تعالى (قل ارايتكم) يعنى قل يامحمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عزوجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبرونى تقول العرب ارايتك بمعنى اخبرنا بحالك واصله ارايتم والكاف فيه للتأكيد (ان اتاكم عذاب الله) يعنى قبل الموت مثل مانزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (اواتتكم الساعة) يعنى القيامة (اغير الله تدعون) يعنى فى كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) يعنى دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذانزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل لهم اترجعون الى الله فى حال الشدة والبلاء ولاتعبدونه ولاتطيعونه فى حال اليسر والرخاء (بل اياه تدعون) يعنى بل تدعون الله ولاتدعون غيره فى كشف مانزل بكم (فيكشف ماتدعون اليه ان شاء) يعنى فيكشف الضر الذى من اجله دعوتموه وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى (وتنسون ماتشركون) يعنى وتتركون دعاء الاصنام التى تعبدونها فلاتدعونها لعلمكم انها لاتضر ولاتنفع وقيل معناه انكم فى ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناسى لها ❊ قوله تعالى (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك) فى الآية محذوف والتقدير ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يامحمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع (فاخذناهم بالبأساء) يعنى بالفقر الشديد واصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع (والضراء) يعنى الامراض والاوجاع والزمانة (لعلهم يتضرعون) يعنى يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهى الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا فى القسوة الى ان اخذوا بالبأساء والضراء وهى الشدة فى النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فلولا) يعنى فهلا (اذجاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفى التضرع فلم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) يعنى ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل اقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعنى من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما فى المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التى كانوا عليها فأصروا على معاصى الله عزوجل ❊ قوله عزوجل (فلما نسواماذكروا به) اى تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشئ معرضا عنه كانه قد صيره بمنزلة ماقد نسى (فتحنا عليهم ابواب كل شئ) يعنى بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة فى الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة فى الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شئ من الخير كان مغلقا عنهم (حتى اذا فرحوا بما اوتوا) يعنى فرحوا بما اوتوا من السعة والرخاء والصحة فى الابدان والمعيشة وظنوا ان

لجزاء اعمالهم كما هو مروى فى الحديث من حشر الوحوش وقصاص الاعمال بينهم وكل واحدة منها آية لكم تعرف بها احوالكم وارزاقكم وآجالكم واعمالكم فاعتبروا بها ولاتصرفوا هممكم ومساعيكم فى طلب الرزق واصلاح الحياة الدنيا فتخسروا انفسكم وتضروها وتشقوا بها فى آخرتكم (والذين كذبوا بآياتنا) بتجليات صفاتنا لاحتجابهم بغواشى صفات نفوسهم (صم) بآذان القلوب فلا يسمعون كلام الحق (وبكم فى الظلمات) بالسنتها التى هى العقول فلاينطقون بالحق فى ظلمات صفات نفوسهم وجلابيب ابدانهم وغشاوات طبائعهم كالدواب فكيف يصدقونك وما هداهم الله لذلك بالتوفيق (من يشأ الله يضلله) باسبال حجب جلاله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) باشراق نور وجهه وسبحات جماله (قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله اواتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه

ان شاءو تنسون ماتشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلهم يتضرّعون فلولا اذجاءهم باسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعلمون فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمدلله رب العالمين قل ارايتم ان اخذالله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة اوجهرة هل يهلك الاالقوم الظالمون ومانرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولااعلم الغيب ولااقول لكم انى ملك ان اتبع الامايوحى الىّ قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون) اى كل مشرك

ماكان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم مافتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما اوتى من الدنيا (اخذناهم بغتة) يعنى جاءهم عذابنا فجأة من حيث لايشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعانى انما اخذ وافى حال الرخاء والسلامة ليكون اشد لتحسرهم على مافاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف فى ضروب اللذة فاخذناهم فى آمن ماكانوا واعجب ماكانت الدنيا اليهم (فاذاهم مبلسون) اى آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولايكون له جواب قدابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال ابوعبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذارايت الله تعالى يعطى العبد مايحب وهومقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ماذكروا به الآية ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى * وقوله تعالى (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى آخرهم الذى يدبروه يقال دبر فلان القوم اذاكان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم تبق منهم باقية (والحمدلله رب العالمين) قال الزجاج حمدالله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شأفتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل ولمن آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شرالذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم اذاهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب * قوله تعالى (قل ارايتم) اى قل يامحمد لهؤلاء المشركين (ان أخذالله سمعكم) يعنى الذى تسمعون به فاصمكم حتى لاتسمعوا شيأ (وابصاركم) يعنى واخذ ابصاركم التى تبصرون بها فاعماكم حتى لاتبصروا شيأ اصلا (وختم على قلوبكم) يعنى حتى لاتفقهوا شيأ اصلا ولاتعرفوا شيأ مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها اشرف اعضاء الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه فى الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر مايدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر على ايجاد هذه الاعضاء واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لاالاصنام التى تعبدونها وهو قوله تعالى (من اله غير الله يأتيكم به) يعنى يأتيكم بما اخذالله منكم لان الضمير فى به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذى ذكر اوّلا ويندرج تحته غيره (انظر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اى انظر يامحمد (كيف نصرف الآيات) يعنى كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوّة (ثم هم يصدفون) يعنى يعرضون عنها مكذبين لها (قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة) يعنى فجأة (اوجهرة) يعنى معاينة ترونه عند نزوله وقال ابن عباس ليلا اونهارا (هل يهلك الاالقوم الظالمون) يعنى المشركين لانهم ظلموا انفسهم بالشرك * قوله عزوجل (وما نرسل المرسلين الامبشرين) يعنى لمن آمن بالثواب (ومنذرين) يعنى لمن اقام على كفره بالعقاب

والمعنى ليس فى ارسالهم ان يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة (فمن آمن واصلح) يعنى آمن بهم واصلح العمل لله (فلا خوف عليهم) يعنى حين يخاف اهل النار (ولاهم يحزنون) اى اذا حزن غيرهم (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) يعنى يصيبهم العذاب (بما كانوا يفسقون) يعنى بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة ❊ قوله تعالى (قل لا أقول لكم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا اقول لكم (عندى خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندى خزائن الله جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لا تناله الايدى والمعنى ليس عندى خزائن رزق الله فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويغنى فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله لا بيدى (ولا اعلم الغيب) يعنى فاخبركم بما مضى وما سيقع فى المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون (ولا اقول لكم انى ملك) وذلك انهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا اقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهد فلست اقول شيأ من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولى وتجحدون امرى وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الآيات العظام (ان اتبع الا ما يوحى الى) يعنى ما اخبركم الا بوحى من الله انزله على ومعنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزائن الله التى منها رزق ويعطى وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما اخبر عنه من غيب يوحى الله اليه وظاهر الآية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحى من الله اليه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) يعنى المؤمن والكافر والضال والمهتدى والعالم والجاهل (افلا تتفكرون) يعنى انهما لا يستويان ❊ قوله عز وجل (وانذر به) يعنى وخوف بالقرآن والانذار اعلام مع تخويف (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابى وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة عليهم اوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعنى من دون الله (ولى) اى قريب ينفعهم (ولا شفيع) يعنى

عند وقوعه فى العذاب او عند حضور الموت ان فسرنا الساعة بالقيامة الصغرى او رفع الحجاب بالهداية الحقانية الى التوحيد الحقيقى ان فسرناها بالقيامة الكبرى يتبرأ عن حول من اشركه بالله وقوته ويتحقق ان لا حول ولا قوة الا بالله ولا يدعو الا الله وينسى كل من تمسك به واشركه بالله من الوسائل ولهذا قيل البلاء سوط من سياط الله يسوق عباده اما ترى كيف عقب كلامه بمقارنة الاخذ بالبأساء والضراء بارسال الرسل لعل تضاعف اسباب اللطف كقود الانبياء وسوق العذاب يزعجهم عن مقار نفوسهم ويكسر سورتها وشدة شكيمتها فيطعوا ويبرزوا من الحجاب وينقادوا متضرعين عند تجلى صفة القهر وتأثيرها فيهم ثم بين انهم ما تضرعوا لقساوة قلوبهم بكثافة الحجاب وغلبة غش الهوى وحب الدنيا وميل اللذات الجسمانية (وانذر به الذين يخافون) اى انذر بما اوحى اليك المستعدين الذين هم اهل الخوف والرجاء واعرض عن الذين قست قلوبهم

يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المؤمنون ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من امته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني حتى يأذن الله لهم في الشفاعة فاذا اذن فيها كان للمؤمنين ولي وشفيع (لعلهم يتقون) يعني ما نهيتهم عنه * قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري هما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كانت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات وروي عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا قال وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه اخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني اشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد يعني ابن مسعود لبايعناك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مر ملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء بدلا من قومك اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا انحن تكون تبعا لهؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة

فانه لا ينجع فيهم كما قال في اول الكتاب هدى للمتقين (ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) اي يعلمون بصفاء استعدادهم انه لا بد من الرجوع الى الله فيخافون ان يحشر واليه في حال كونهم محجوبين عنه بحجب صفاتهم وافعالهم لا ولي ينصرهم غير الله فينقذهم من ذلة البعد وعذاب الحرمان ولا شفيع لهم فيقربهم منه ويكرمهم لفناء الذوات والقدر كلها في الله وقهره اياهم كما قال يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فيتعظون بما عهم له ويحدث فيهم الرجاء فيشمرون في السلوك بالجد والاجتهاد (لعلهم يتقون) لكي يحذروا حجب افعالهم وصفاتهم وذواتهم ويتجرد دواعيها بالمحو والفناء في الله ويتجه ان يكون الولي القلب والشفيع الروح اي لم يصلوا الى مقام القلب الذي هو ولي النفس فينقذها من العذاب وينصرها من الحرمان ولا الى مقام الروح فتشفع لهم بامداد مدد القرب لها واستمدادها من الله وتوسل بينهم وبين الله (ولا تطرد الذين يدعون)

ومطعم بن عدى والحرث بن نوفل فى اشراف بنى عبدمناف من اهل الكفر الى ابى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ياباطالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعسفاؤنا كان اعظم فى صدورنا والطوع له عندنا وادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له فأتى ابوطالب النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ماالذى يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله عزوجل هذه الآية وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى التى عن سلمان وخباب بن الارث فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ماروى عن ابن مسعود والكلبى وعكرمة فى ذلك ويعضده حديث سعد بن ابى وقاص المخرج فى صحيح مسلم من ان المشركين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعنى ضعفاء المسلمين والله اعلم واما معنى الآية فقوله ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولاتبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى قال ابن عباس يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر وروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهم مواظبون عليهما مع بقية الصلوات ولان الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فعبر بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب مااسرع الناس الى هذا المجلس فقال مجاهد يتأولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشى قال اوفى هذا انما هو فى الصلاة التى انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفى النار يريدون وجهه يعنى يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين فى عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى (ماعليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) يعنى لاتكلف امرهم ولايكلفون امرك وقيل ماعليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم لك ولارزقك عليهم انما الرزاق لجميع الخلق هو الله تعالى فلاتطردهم عنك (فتطردهم فتكون من الظالمين) يعنى بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفى وهو قوله ماعليك من حسابهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب النهى وهو قوله ولاتطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم لماهم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح فى العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبى صلى الله عليه وسلم ماطردهم ولاهم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهى التلطف بهؤلاء الاشراف فى ادخالهم فى الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى ان ادناء هؤلاء الفقراء اولى من الهم بطردهم فقربهم منه

اى لاتزجرهم به وهم اهل الوحدة الكاملون الواصلون فان الانذاركما لاينجع فى الذين قست قلوبهم لاينفع فى الذين طاشت قلوبهم فى الله وتلاشت (ربهم بالغداة والعشى) اى يخصونه بالعبادة دائما بحضور القلب وشهود الروح وتوجه السر اليه لايريدون بالعبادة الاذاته بالمحبة الازلية لايجعلون عباداتهم معللة بغرض من توقع ثواب جنة او خوف عقاب او نقمة ولايريدونه بمحبة الصفات فتتغير ارادتهم باختلاف تجلياتها ولايستحلون توسيط ذاته فى مقصد او مطلب بل شاهدوا افناء الوسايط والوسائل فيه ولم يبق فى شهودهم شئ يقع نظرهم عليه حتى ذواتهم (يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شئ) فيما يعملون من شئ اى لاواسطة بينهم وبين ربهم من ملك اونبى فلست من دعوتهم الى طاعة اوالى جهاد او الى غير ذلك فى شئ لحسابهم على الله اذ علمه ايس الابالله وفى الله (ومامن حسابك عليهم من شئ) اى لايخوضون فى امور دعوتك بنصر واعانة للاسلام ولا بدفع وقع للكفر

وادناهم واما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشئ في غير موضعه فيكون المعنى ان اولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلانهم بطردهم عنك فتضع الشئ في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لامن باب ترك الواجبات والله اعلم ❊ قوله عز وجل (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) يعنى وكذلك ابتلينا الغنى بالفقير والفقير بالغنى والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل احد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم واما فتنة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم (ليقولوا) يعنى الاغنياء والشرفاء والرؤساء (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يعنى منّ على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله (اليس الله باعلم بالشاكرين) يعنى انه تعالى اعلم بخلقه وبأحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين ❊ قوله تعالى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزلت في ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وبلال وسالم بن ابى عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابى الارقم وابى سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التى تقدمت في رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (كتب ربكم) يعنى فرض ربكم وقضى ربكم (على نفسه الرحمة) وهذا يفيد الوجود وسبب هذا انه تعالى يتصرف في عباده كيف يشاء واراد فاوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين (انه من عمل منكم سوأ بجهالة) قال مجاهد كل من عمل ذنبا اوخطيئة فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة الا انه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن آثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا (ثم تاب من بعده) يعنى من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه (واصلح) يعنى اصلح العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته وندم على فعله (فانه غفور) يعنى لمن تاب من ذنوبه (رحيم) بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على ابى العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن ابى سعيد الخدرى قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يارسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من امتى من امرت ان اصبر نفسى معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رأيت صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيرى

(ثم قال)

شغلهم بالله عما سواه ودوام حضورهم كما قال تعالى والذين هم على صلوتهم دائمون لايعنهم شان من امرك ونبوتك (فتطردهم) عماهم عليه من دوام الحضور بانه ضمهم لشغل دينى او مصلحة اوتشوش وقتهم وجمعيتهم (فتكون من الظالمين وكذلك فتنا) اى مثل ذلك الفتن والابتلاء العظيم فتنا (بعضهم ببعض) وهم المحجوبون بالبعض فان المحجوبين لما لم يروا منهم الا صورتهم وسوء حالهم في الظاهر وفقرهم ومسكنتهم ولم يروا قدرهم ومرتبتهم وحسن حالهم في الباطن استحقروهم وازدرتهم اعينهم بالنسبة الى ماهم فيه من المال والجاه والتنعم وخفض العيش فقالوا فيهم (ليقولوا اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا) بالهداية استخفافا بهم والله الاطيبون عيشا الارفعون حالا ومنزلا الاعظمون قدرا ورتبة عند الله وعند من يعرفهم كما قال نوح عليه السلام ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا بل الخير كل الخير ما آتاهم الله (اليس الله باعلم بالشاكرين) الذين يشكرونه بالحقيقة

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام اخرجه ابوداود * وقوله عز وجل (وكذلك نفصل الآيات) يعني وكما فصلنالك يامحمد في هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد وابطال ماهم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك ادلة حججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره اهل الباطل (ولتستبين) قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وليظهر لك الحق يامحمد ويتبين لك (سبيل المجرمين) يعني طريق هؤلاء المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار * قوله تعالى (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء المشركين (انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله) يعني نهيت ان اعبد الاصنام التي تعبدونها انتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجمادات اخس من ان تعبد اوتدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى (قل لااتبع اهواءكم) يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء (قد ضللت اذا) يعني اذ عبدتها (وما انا من المهتدين) يعني لو عبدتها (قل) يعني قل يامحمد لهؤلاء المشركين (انى على بينة من ربى) قال ابن عباس يعني على يقين من ربى وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى انى على بيان وبصيرة في عبادة ربى (وكذبتم به) يعني وكذبتم بالبيان الذى جئت به من عند ربى وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك (ماعندى ماتستعجلون به) يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون يامحمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فأمر الله تعالى ولايقدر احد على تقديمه ولاتأخيره وقيل كانوا يستعجلون بالآيات التي طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند احد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستعجل بها الذين لايؤمنون بها (ان الحكم الالله) يعني الحكم الذى يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصى اى ما الحكم المطلق الالله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضى بانزال العذاب اذا شاء (يقص الحق) قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرئ يقض بالضاد المعجمة من القضاء يعني انه تعالى يقضى القضاء الحق (وهو خير الفاصلين) يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين المحق والمبطل لانه لايقع في حكمه وقضائه جور ولاحيف على احد من خلقه (قل لوان عندى ماتستعجلون به) يعني من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشئ قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والاسراع تقديم الشئ في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يامحمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو ان عندى ماتستعجلون به لم امهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو اناة لايعجل بالعقوبة وقوله تعالى (لقضى الامر بيني وبينكم) يعني لانفصل مابيني وبينكم ولاتاكم ماتستعجلون به من العذاب (والله اعلم بالظالمين) يعني انه اعلم بمايستحقون من العذاب والوقت الذى يستحقونه فيه وقيل علم انه سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك اخره عنهم وقال والله اعلم بالظالمين وباحوالهم * قوله عزوجل (وعنده مفاتح الغيب) المفتاح الذى يفتح به المغلاق جمعه مفاتيح ويقال فيه مفتح

باستعمال نعمة وجودهم وصفاتهم وجوارحهم وما يقوم به من ارزاقهم ومعايشهم يؤمنون بآياتنا) بمحو صفاتهم (فقل سلام عليكم) لتنزهكم عن عيوب صفاتكم وتجردكم عن ملابسها (كتب ربكم على نفسه الرحمة) الزم ذاته ابدال صفاتكم بصفاته رحمة لكم لان في الله خلفا من كل مافات (انه من عمل منكم سوءا بجهالة) اى ظهر عليه في تلوينه صفة من صفاته بغيبة وغفلة ثم رجع عن تلوينه من بعد ظهور تلك الصفة وفاء الى الحضور فعرفها وقمعها بالانابة الى الله والتضرع بين يديه والرياضة (ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور) يسترها عنه (رحيم) برحمة هبة التمكين ونعمة الاستقامة (وكذلك نفصل الآيات) (اى مثل ذلك التبيين الذى بينا لهؤلاء المؤمنين نبين لك صفاتنا (ولتستبين سبيل المجرمين) المحجوبين بصفاتهم الذين يفعلون مايفعلون بها وذلك اجرامهم (قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله) ماسوى الله من الذين تعبدون بهواكم من مال اونفس اوشهوة

بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهى مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل ان يكون المراد منه المفاتيح التى يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هى التى يتوصل بها الى مافى الخزائن المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل الى مافيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ماغاب منها ومالم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثانى يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت اقوال المفسرين فى قوله وعنده مفاتح الغيب (لايعلمها الاهو) فقيل مفاتح الغيب خمس وهى ماروى عن عبدالله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب لايعلمها الاالله تعالى لايعلم احد مايكون فى غد الاالله ولايعلم احد مايكون فى الارحام الاالله ولاتعلم نفس ماذا تكسب غدا ولاتدرى نفس باى ارض تموت ولايدرى احد متى يجئ المطر وفى رواية اخرى لايعلم احد ماتغيض الارحام الاالله ولايعلم مافى غد الاالله ولايعلم متى يأتى المطر احد الاالله ولاتدرى نفس باى ارض تموت الاالله ولايعلم متى الساعة الاالله اخرجه البخارى وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ماغاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو علم مالم يكن بعد ان يكون اذ يكون كيف يكون ومالايكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شئ الامفاتح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق (ويعلم مافى البر والبحر) قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لايحدث فيها شئ الاوهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض امابر وامابحر وفى كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته مايدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وماتسقط من ورقة الايعلمها) يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد مايسقط من الورق ومابقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان تسقط على الارض (ولاحبة فى ظلمات الارض) قيل هو الحب المعروف يكون فى بطن الارض قبل ان ينبت وقيل هى الحبة التى فى الصخرة التى فى اسفل الارضين (ولارطب ولايابس) قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ماينبت ومالاينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شئ لان جميع الاشياء امارطبة وامايابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم افرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعد ذلك الاجمال مايدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة مافيها من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك وهو اقل من ذلك وهو مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل احد لكن لايعلم عددها وكيفية خلقها الاالله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ماهو اصغر من الورقة وهى الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا

ولذة بدنية اوغير ذلك فلا (قل لااتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين) بعبادتها فأضل اذا باحتجابى بها فلا أهتدى الى التوحيد ومعنى الماضى انه تحقق ضلالى على هذا التقدير وما انا من الهدى فى شئ (قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ماعندى ماتستعجلون به ان الحكم الاالله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندى ماتستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب) اعلم ان الغيب مراتب اولها غيب الغيوب وهو علم الله المسمى بالعناية الاولى ثم غيب عالم الارواح وهو انتقاش صورة كل وجد وسيوجد من الازل والابد فى العالم الاول العقلى الذى هو روح العالم المسمى بأم الكتاب على وجه كلى وهو القضاء السابق ثم غيب عالم القلوب وهو ذلك الانتقاش بعينه مفصلا تفصيلا علميا كليا وجزئيا فى عالم النفس الكلية التى هى قلب العالم المسمى باللوح المحفوظ ثم غيب عالم الخيال وهو انتقاش الكائنات باسرها فى النفوس

بجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لايخرج شئ منها من علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير ❊ قوله تعالى (الافى كتاب مبين) فيه قولان احدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذى لايغير ولايبدل والثانى ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم مايكون وماقدكان قبل ان يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لايفوته شئ مما يصنعونه لان من اثبت مالاثواب فيه ولاعقاب فى كتاب فهو الى اثبات مافيه ثواب وعقاب اسرع ❊ قوله تعالى (وهو الذى يتوفيكم بالليل) يعنى يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل (ويعلم ماجرحتم) ماكتبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) اى يوقظكم فيه اى فى النهار (ليقضى اجل مسمى) يعنى اجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم) فى الآخرة (ثم ينبئكم) اى يخبركم (بما كنتم تعملون) قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) يعنى وهو العالى عليهم بقدرته لان كل من قهر شيا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال امر فلان فوق امر فلان يعنى انه اقدر منه واغلب هذا مذهب اهل التأويل فى معنى لفظة فوق فى قوله وهو القاهر فوق عباده واما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو القاهر لخلقه وقهر كل شئ بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة ❊ قوله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) يعنى ان من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون اعمال بنى آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملائكة موكلا به يحفظ عليه اقواله وافعاله فى صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجرا له عن فعل القبيح وترك المعاصى وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بنى آدم ويحفظون اجسادهم قال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه واجله وعمله (حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا) يعنى اعوان ملك الموت الموكلين بقبض ارواح البشر فان قلت قال الله تعالى فى آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فى آية اخرى قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين هذه الآيات ان المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر اجل العبد امر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت اعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له اعوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا مامن اهل بيت شعر ولامدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين

الجزئية الفلكية المنطبعة فى اجرامها معينة مشخصة مقارنة لاوقاتها على مايقع بعينه وذلك العالم هو المعبر عنه فى الشرع بالسماء الدنيا اذ هو اقرب مراتب الغيوب الى عالم الشهادة لوح القدر الالهى الذى هو تفصيل قضائه وعلم الله وهو العناية الاولى عبارة عن احاطته بالكل بحضور ذاته لكل هذه العوالم التى هى عين ذاته فيعلمها مع جميع تلك الصور التى فيها باعيانها لابصورة زائدة فهى عين علمها ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فالمفاتح ان كان جمع مفتح بفتح الميم الذى هو المخزن فمعناه عنده هذه الخزائن المشتملة على جميع الغيوب لحضور ذاته لها (لايعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وماتسقط من ورقة الايعلمها ولاحبة فى ظلمات الارض ولارطب ولايابس الافى كتاب مبين) وان كان جمع مفتح بكسر الميم بمعنى المفتاح فمعناه اما ذلك المعنى بعينه يعنى ابوابها مغلقة ومفاتحها بيده لايطلع على مافيها احد غيره واما ان اسباب اظهارها واخراجها من مكانها

وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له * وقوله (وهم لا يفرطون) يعنى الرسل لا يقصرون فيما امروا به ولا يضيعونه * قوله عزوجل (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) يعنى ثم رد العباد بالموت الى الله فى الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا فى الدنيا تحت ايدى موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق (الاله الحكم) يعنى لاحكم الا له (وهو اسرع الحاسبين) يعنى انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض * قوله تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) يعنى يا محمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا الذى ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه وتحيرتم واظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذى ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فأخطأتم الطريق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل الحمل على الحقيقة اولى فظلمات البر هى ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من الوقوع فى الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدائد وهو المراد من قوله (تدعونه تضرعا وخفية) يعنى فاذا اشتدكم الامر تخلصون له الدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يعنى سرا حالا وحالا (لئن انجيتنا من هذه) يعنى قائلين فى حال الدعاء والتضرع لئن انجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك (لنكونن من الشاكرين) يعنى لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن انعم بها (قل الله ينجيكم منها) يعنى من الظلمات والشدائد التى انتم فيها (ومن كل كرب) يعنى وهو الذى ينجيكم من كل كرب ايضا والكرب هو الغم الشديد الذى يأخذ بالنفس (ثم انتم تشركون) يريد انهم يقرون بان الذى انجاهم من هذه الشدائد هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التى لا تضر ولا تنفع * قوله عزوجل (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) اى قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعنى الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (اومن تحت ارجلكم) يعنى الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعنى ائمة السوء والسلاطين الظلمة اومن تحت ارجلكم يعنى عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعنى من قبل كباركم او من تحت ارجلكم يعنى السفلة (او يلبسكم شيعا) الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة واشياع واصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج فى قوله او يلبسكم شيعا يعنى يخلط امركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله (ويذيق بعضكم بأس بعض) قال ابن عباس قوله او يلبسكم شيعا يعنى الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعنى انه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعنى اهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذى فيه الناس اليوم

الى عالم الشهادة حتى يطلع عليه الخلق بيد قدرته وتصرفه محفوظة عنده لا يقدر غيره على انتزاعها منه حتى يطلع على ما فيها وهى اسماؤه تعالى * والكتاب المبين هو السماء الدنيا لتعين هذه الجزئيات فيها مع عددها وتشخصها (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه) اى فيما جرحتم من صواب اعمالكم ومكاسبكم للجزاء (ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) هينه للبعث والاحياء (ثم الى ربكم ترجعون) فى عين الجمع المطلق فينبئكم باظهار صور اعمالكم عليكم وجزائكم بها (وهو القاهر فوق عباده) بتصرفه فيهم كما شاء وافنائهم فى عين الجمع المطلق اذ لا شئ الا وهو مقهور فيه (ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم) هى قواهم التى ينطبع فيها كل حال بحسب الرسوخ وعدمه فيظهر عليهم عند انسلاخهم عن البدن فيتمثل

من الاختلاف والاهواء وسفك بعضهم بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عنى بهذه الآية فقال قوم عنى بها المسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الآية قال ابو العالية فى قوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال هن اربع وكلهن عذاب فجاءت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا واذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لابد واقعتان يعنى الخسف والمسخ وعن ابى بن كعب نحوه هن اربع خلال وكلهن واقع قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة البسوا شيعا واذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لامحالة الخسف والرجم وقال مجاهد فى قوله من فوقكم اومن تحت ارجلكم لامة محمد فاعفاهم منه او يلبسكم شيعا ماكان بينهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم بعض يعنى ماكان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك اومن تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك اويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا اهون او هذا ايسر (م) عن سعد بن ابى وقاص انه اقبل مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى ان لايهلك امتى بالسنة فأعطانيها وسألت ربى ان لايهلك امتى بالغرق فأعطانيها وسألت ربى ان لايجعل بأسهم بينهم فمنعنيها عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة انى سألت الله فيها ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته ان لايهلك امتى بسنة فأعطانيها وسألته ان لايسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته ان لايذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها اخرجه الترمذى * وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) اى انظر يامحمد كيف نبين دلائلنا وحججنا لهؤلاء المكذبين (لعلهم يفقهون) يعنى يفهمون ويعتبرون فينزجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب * قوله تعالى (وكذب به قومك) يعنى بالقرآن (وهو الحق) يعنى فى كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير فى به يرجع الى العذاب وهو الحق يعنى انه نازل بهم ان اقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع الى تصريف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) اى قل يامحمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما انا منذر والله هو المجازى لكم على اعمالكم وقيل معناه انى انما ادعوكم الى الله والى الايمان به ولم اومر بحربكم فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل فى معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعنى حفيظا انما اطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لابما تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة (لكل نبأ مستقر) اى لكل خبر من اخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينتهى اليه اما فى الدنيا واما فى الآخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولاتأخير فكان ماوعدهم به من العذاب فى الدنيا وقع يوم بدر

بصورتنا سببها اما روحانية لطيفة توصل اليها الروح والثواب واما جسمانية مظلمة توصل اليها العذاب بل تظهر تلك الصور على جوارحها واعضائها ثم فتتشكل بهيآتها وتنطق عليهم باعمالها بلسان الحال والقوى السماوية التى اشرنا اليها والى انتقاش جميع الحوادث الجزئية فيها فتظهر عليهم باسرها عند مفارقتها عن بدنها لاتغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصتها عليهم وهى باعيانها الرسل التى توفتهم عند الموت والرد ايضا يكون فى عين الجمع المطلق فانه للجزاء (وهو اسرع الحاسبين) لوقوع حسابهم فى آن وهو توفيهم (قل من ينجيكم من ظلمات البر) التى هى حجب الغواشى البدنية والصفات النفسانية (و) ظلمات (البحر) التى هى حجب صفات القلوب وفكر العقول (تدعونه) الى كشفها (تضرعا) فى نفوسكم (وخفية) فى اسراركم (لئن انجيتنا من هذه) الحجب (لنكونن من الشاكرين) الذين شكروا نعمة الانجاء

(وسوف تعلمون) يعني صحة هذا الخبر امافي الدنيا واما في الآخرة ❊ قوله تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا) الخطاب في واذا رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رأيت يامحمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون في آياتنا يعني القرآن الذي انزلناه اليك والخوض في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه ويستعار للاخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن اكثر ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث ومايذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب في واذا رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رأيت ايها الانسان الذين يخوضون في آياتنا وذلك ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في الاستهزاء بالقرآن وبمن انزله وبمن انزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا معهم في وقت الاستهزاء بقوله (فاعرض عنهم) يعني فاتركهم ولاتجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) يعني حتى يكون خوضهم في غير القرآن والاستهزاء به (واما ينسينك الشيطان) يعني فقعدت معهم (فلاتقعد بعد الذكرى) يعني اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد (مع القوم الظالمين) يعني المشركين ❊ قوله تعالى (وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شئ) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله هذه الآية وما على الذين يتقون يعني يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ يعني ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثامهم (ولكن ذكرى) يعني ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم ان تذكروهم (لعلهم يتقون) يعني لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء

❊(فصل)❊ قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجمهور الى انها محكمة لانسخ فيها لانها خبر والخبر لايدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب نفسه لابحساب غيره وقيل انما اباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلاتكون منسوخة ❊ قوله عزوجل (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويعني وذر يامحمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم الذي امروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزؤا به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه الا المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى الآية وذر يامحمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم ولاتبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لاترك الانذار

(والتخويف)

بالاستقامة والتمكين (قل الله ينجيكم منها) بكشف تلك الحجب بانوار تجليات صفاته (ومن كل كرب) اى مابقى في استعدادكم بالقوة من كمالاتكم بابرازها حتى لوكانت بقية من بقايا وجودكم كربالكم لاستعدادكم للفناء والخلاص منها بالكلية لقوة الاستعداد وكمال الشوق لأنجاكم منها (ثم انتم) بعد علمكم بهذا المقام الشريف وما ادخر لكم (تشركون) به انفسكم واهواءكم فتعبدونها (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) باحتجابكم بالمعقولات والحجب الروحانيات (اومن تحت ارجلكم) باحتجابكم بالحجب الطبيعية (او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) او يخلطكم فرقا متفرقة كل فرقة على دين قوة من قواكم هى امامهم تقابل الفرقة الاخرى فيقع بينكم الهرج والمرج والقتال اوفرقا مختلفة العقائد كل فرقة على دين دجال اوشيطان انسى

والتخويف يدل عليه قوله (وذكربه) يعني وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين (ان تبسل نفس بما كسبت) اى لئلا تبسل نفس واصل البسل فى اللغة التحريم وضم الشئ ومنعه وهذا عليك بسل اى حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن وتحبس فى جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس يعنى فى جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع لكى لاتهلك نفس وترتهن فى جهنم بسبب الجنايات التى اكتسبت فى الدنيا وتحرم الثواب فى الآخرة (ليس لها) يعنى لتلك النفس التى هلكت (من دون الله ولى) اى قريب يلى امرها (ولاشفيع) يعنى يشفع لها فى الآخرة (وان تعدل كل عدل) يعنى وان تفتد بكل فداء والعدل الفداء (لا يؤخذ منها) يعنى ذلك العدل وتلك الفدية (اولئك الذين) اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا (ابسلوا بما كسبوا) يعنى اسلموا الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا (لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) ذلك لهم بسبب كفرهم ※ قوله تعالى (قل اندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولايضرنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين آبائك اندعو يعنى انعبد من دون الله يعنى الاصنام التى لاتنفع من عبدها ولاتضر من ترك عبادتها (ونرد على اعقابنا) يعنى ونرد الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) يعنى الى دين الاسلام والتوحيد (كالذى استهوته الشياطين فى الارض) يعنى كالذى ذهبت به الشياطين فالقته فى هوية من الارض واصله من الهوى وهو النزول من اعلى الى اسفل (حيران) يقال حار فلان فى الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا المخرج منه (له اصحاب يدعونه الى الهدى) يعنى لهذا المتحير الذى استهوته الشياطين اصحاب على الطريق المستقيم (ائتنا) يعنى يقولون له ائتنا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو الى عبادة الاصنام التى لاتضر ولاتنفع ولمن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل فى رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل اصحابه ورفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه اليهم فبقى حيران لايدرى اين يذهب فان اجاب الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى) يعنى ان طريق الله الذى اوضحه لعباده ودينه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لاعبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لاتفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لاهدى غيره (وامرنا لنسلم) اى وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة (لرب العالمين) لانه هو الذى يستحق العبادة لاغيره (وان اقيموا الصلاة واتقوه) يعنى وامرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما مايقرب اليه (وهو الذى اليه تحشرون) يعنى فى يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم ※ قوله عز وجل (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) يعنى اظهارا للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لايخلق مخلوق بمخلوق (ويوم يقول كن فيكون) وقيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل

اوجنى هو امامهم اويجعل انفسكم شيعا باستيلاء كل قوة من قواكم على القلب بطلب لذتها المخصوصة بها احداها تجذبه الى غضب والآخرى الى شهودة اوطمع اوغير ذلك فيفرق القلب حاجزا فيما بينهم اسيرا فى قبضتهم كلما همّ تحصيل لذة هذه منعته الآخرى ويقع بينهم الهرج والمرج فى وجودكم لعدم ارتياضهم بسياسة رئيس واحد قاهر يقهرهم ويسوسهم بامر وحدانى يقيم كلا منهم فى مقامها مطيعة منقادة فتستقيم مملكة الوجود ويستقر الملك على رئيس القلب وعلى هذا التأويل يكون كل واحد منهم فرقة او فرقا متفرقة على اديان شتى لاشخصا واحدا (وكذب به) اى بهذا العذاب قومك (وهو الحق) الثابت النازل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بموكل بحفظكم ويمنعكم من هذا العذاب (لكل نبأ مستقر) ما ينبأ عنه محل وقوع واستقرار (وسوف تعلمون) حين يكشف عنكم اغطية ابدانكم فيظهر عليكم الم هذا العذاب

يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كأنه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون احياء (قوله الحق) يعني ان قول الله تبارك وتعالى للشئ اذا اراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لامحالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما اخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لامنازع له يومئذ يدعي الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لامنازع له فيه وعلموا ان الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ماروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماالصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابوداود والترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يارسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله اخرجه الترمذي وقال ابوعبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول اصح لما تقدم في الحديث ولقوله تعالى في آية اخرى ثم نفخ فيه اخرى ولاجماع اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ماغاب عن عباده ومايشاهدونه فلايغيب عن علمه شئ (وهو الحكيم) يعني في جميع افعاله وتدبير خلقه (الخبير) يعني بكل مايفعلونه من خير اوشر * قوله تعالى (واذ قال ابرهيم لابيه آزر) اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن اسحق والكلبي والضحاك آزر اسم ابي ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون اسمه الاصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر ابو ابراهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز ان في القرآن الفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطئ فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيأ اواحبه جعل اسم ذلك المعبود اوالمحبوب اسماله فهو كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه ياعابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين والمؤرخين ان اسمه تارخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واهل السير من اهل الكتاب ولاعبرة بنقلهم وقد اخرج البخاري في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة

بصور ماتقتضيه نفوسكم (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) اى صفاتنا باظهار صفات نفوسهم واثبات العلم والقدرة لها (فاعرض عنهم) فانهم محجوبون مشركون (حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان) بتسويل بعض الاباطيل والخرافات عليك لاوسوسة نفسك فتنظهر بعض صفاتها وبجانسهم بذلك فتميل الى صحبتهم (فلا تقعد بعد الذكرى) ماتذكرت بتذكيرنا اياك (مع القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بوضع صفاتهم موضع صفاتي وحجبوها بصفاتهم فان صحبتهم تؤثر فيوشك ان تقع في الاحتجاب بشؤم صحبتهم على سبيل التلوين (وماعلى الذين يتقون من حسابهم) الموحدين الذين يتجردون عن ملابس صفاتهم ويجتنبون هيآتها من حساب اولئك المحجوبين (من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون) اى لايحتجبون بواسطة مخالطتهم فيكونون معهم سواء ولكن ذكرناهم لعلهم يحترزون عن صحبتهم

الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر ايضا ولم يقل اباه تارخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلي آزر لا تارخ والله اعلم ❊ وقوله تعالى (اتتخذ اصناما آلهة) معناه اذكر لقومك يا محمد قول ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب او حجارة او حديد اوذهب اوفضة على صورة الانسان وهو الوثن ايضا (اني اراك وقومك في ضلال مبين) يعني يقول ابراهيم لابيه آزر اني اراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بين لمن ابصر ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركي العرب باحوال ابراهيم ومحاجته لابيه وقومه لانهم كانوا يعظمون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين ❊ قوله عز وجل (وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض) معناه وكما ارينا ابراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى ابرهيم لانه تعالى كان اراه بعين البصيرة ان اباه وقومه على غير الحق فخالفهم لجزاه الله بان اراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي ومافي السموات من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى اسفل الارضين ورأى مافيها من العجائب قال البغوي وروي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فاراد ان يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم انت رجل مجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانما انا من عبدي على ثلاث خلال اما ان يتوب الي فأتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت عفوت وان شئت عاقبت وفي رواية وان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر او بعين البصيرة على قولين احدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض حتى رأى مافي بطنها والقول الثاني ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان في اول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس

وماهي يقعون فيه من التلوين اووبالهم وشأنهم وحسابهم حتى يصاحبونهم ولكن فليذكروهم احيانا بادنى مخالطة لعلهم يحذرون شركهم وخبثهم فينجون ببركة صحبتهم او وماعليهم مما يحاسب به من اعمالهم ووبالها من شيء ولكن قليذكروهم بالزجر والنهي لعلهم يحترزون عنها (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) اي اترك الذين دينهم وعادتهم الهوى واللهو لانهم لا يرفعون بذلك رأسا لرسوخ ذلك الاعتقاد فيهم واغترارهم بالحياة الحسية واعرض عنهم وانذر بالقرآن كراهة ان تحبس نفس بكسبها اي لا يكون دينها وديدنها ذلك ولم ترخ تلك العقيدة فيها لكن ترتكب بالميل الطبيعي افعالا مثل افعالهم فتحتجب بسببها فانها تتأثر به وتتعظ فتنتهي فأنذرها حتى لا تصير مثلهم فتحبس بعملها عن الهداية وحينئذ لا يقبل منها فدية اذ حجبت بكسبها والشراب

فى وليكون من الموقنين جلاله الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شئ من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لاتستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الآية على هذا القول وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شئ حسا وخبرا * قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) يقال جن الليل واجن اذا اظلم وغطى كل شئ واجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده (رأى كوكبا قال هذا ربى)

(ذكر القصة فى ذلك)

قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام فى زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود اول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء وقال السدى رأى نمرود فى منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك فى هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك اهل دينك على يديه فامر بذبح كل غلام يولد فى تلك السنة ناحيته وامر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لايجامعون فى الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقرية فحبسها عنده الا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل فى بطنها وقال السدى فخرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يامن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لى اليك حاجة احب ان اوصيك بها ولم ابعثك فيها الا لثقتى بك فاقسمت عليك ان لاتدنو من اهلك فقال آزر انا اشح على دينى من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على اهلى فنظرت اليهم فلما دخل على ام ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت ام ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذى اخبرناك به قد حملت به امه الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى خلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد فى موضع كذا فانطلق اليه ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا فى النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصلحت من شأنه مايصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر مافعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال ابو روق قالت ام ابراهيم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سال ام ابراهيم عن حملها مافعل فقالت

الجحيم هو شدة شوقها الى الكمال لقوة استعدادها والعذاب الاليم حرمانها عنه باحتجابها باعمالها وهيآتها (وان تعدل كل عدل لايؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل اندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) اى انعبد مالا قدرة ولا وجود له حقيقة فينفع او يضر (ونرد) الى الشرك (على اعقابنا بعد اذ هدانا الله) الهداية الحقيقة الى التوحيد (كالذى استهوته الشياطين فى الارض) ذهبت به شياطين الوهم والتخيل فى مهمه ارض النفس (حيران) لايدرى اين يمشى ومايصنع بلا طريق ولا مقصد (له أصحاب) رفقاء من الفكر والعاقلة العملية والنظرية (يدعونه الى الهدى) يقولون (ائتنا) فان هذا هو الطريق ولايسمع لارتتاق سمع قلبه بالهوى (قل ان هدى الله) هداية التى هى طريق التوحيد (هو الهدى) لاغير (وامرنا لنسلم لرب العالمين) لننقاد لصفة الربوبية بمحو صفاتنا فى المتجلى بها واسلامها اليه ونقيم صلاة الحضور القلبى ونتقيه ونجعله وقاية

(ولدت)

ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب فى اليوم كالشهر وفى الشهر كالسنة فلم يمكث فى المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخرجينى فاخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى لربى الذى مالى اله غيره ونظر فى السماء فراى كوكبا قال هذا ربى ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى واتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجعت به الى ابيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به امه اخبرته انه ابنه واخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث فى السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه آزر فقال ابراهيم يا ابتاه من ربى قال امك قال فمن رب امى قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر فى خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربى ويقال انه قال لابويه اخرجانى فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسأل اباه ماهذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم مالهذه بد من ان يكون لها اله وهو ربها وخالقها ثم نظر فاذ المشترى قد طلع ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فذلك قوله عزوجل فلما جن عليه الليل يعنى ستره بظلامه اى كوكبا قال هذا ربى ثم اختلف العلماء فى وقت هذه الرؤية وفى وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ او بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ فى حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذى صدر من ابراهيم فى هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب فى حال صغره ونظر الى السماء ومافيها من العجائب ونظر الى الارض ومافيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر فى نفسه وقال لابد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو اله الخلق ثم نظر فى حال تفكره فراى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربى على ماسبق الى وهمه وذلك فى حال طفوليته وقبل استحكام النظر فى معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته بقوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا فى حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ولا مرضى لان الانبياء معصومون فى كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عزوجل رسل ياتى عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل واراه ملكوت السموات والارض افبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذا ربى حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه اعلى واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثانى الذى عليه جمهور المحققين ان هذا القول

لنا فى الصفات ليكون هو الموصوف به فنتخلص به عن وجودنا فيكون هو المحشور اليه بذاته عند فنائنا فيه (وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) سموات الارواح وارض الجسم قائما بالعدل الذى هو مقتضى ذاته (ويوم يقول كن فيكون) اى وقت السرمدى الذى هو ازل آزال ظهور الاشياء فى ازلية ذاته التى هى ازلية الازل مطلقا وهو حين تعلق ارادته القديمة بالظهور فى تعينات ذاته المعبر عنه بقوله كن وهو بعد ازلية الآزال بالاعتبار العقلى لانها تتأخر عن تلك الازلية بالزمان بل بالترتيب العقلى الاعتبارى فى ذاته تعالى فان التعينات تتاخر عن مطلق الهوية المحضة عقلا وحقيقة وظهورها بالارادة المسماة بقوله كن فيكون بلا فصل وتأخير يعبر عنه بيكون لانها لم تكن فى الازل وكانت (قوله الحق وله الملك) فى حالها غير متغيرة اقتضت ما اقتضت على احسن مايكون من النظام والترتيب واعدل مايكون من الهيئة

كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة واكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب القول فى تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم فى تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فأراهم ابراهيم انه معظم ماعظموه فلما افل الكوكب والقمر والشمس اراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطأ ماكانوا يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل الحوارى الذى ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رايه فى كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو لاقبل لهم به فشاوروه فى امر هذا العدو فقال الراى عندى ان ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا مانزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيأ فلما تبين لهم انه لاينفع ولايضر ولايدفع دعاهم الحوارى وامرهم ان يدعو الله عزوجل ويكشف عنهم مانزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا ربى الذى تزعمون واسقاط حرف الاستفهام كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون يعنى افهم الخالدون والمعنى ايكون هذا ربا ودلائل النقص فيه ظاهرة * الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربى بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لماغاب فهو كقوله ذق انك انت العزيز الكريم يعنى عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان فى هذه الآية اضمارا تقديره يقولون هذا ربى واضمار القول كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربناتقبل مناای يقولان ربناتقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال فى حقه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لايليق بحاله ان يعبد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزالوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام واماقوله تعالى (فلما افل) يعنى غاب والافول غيبة النيرات (قال) يعنى ابراهيم (لااحب الآفلين) يعنى لااحب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه ظاهرة * قوله تعالى (فلما راى القمر بازغا) يعنى طالعا منتشر الضوء (قال هذا ربى) معناه ماتقدم من الكلام فى الكوكب (فلما افل) يعنى غاب (قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين) يعنى ان لم يثبتنى ربى على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفى الآية دليل على ان الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية الله تعالى (فلما راى الشمس بازغة) يعنى طالعة (قال هذا ربى) يعنى هذا الطالع اوانه

والتركيب (يوم ينفخ فى الصور) وقت نفخة فى الصور اى احياء صور المكونات بافاضة ارواحها عليها لاملاك الاله فانها بنفسها ميتة لا وجود لها ولاحياة فضلا عن المالكية (عالم الغيب) اى حقائق عالم الارواح التى هى ملكوته (والشهادة) اى صور عالم الاجسام التى هى ملكه (وهو الحكيم) الذى اوجدها ورتبها بحكمته فأفاض على كل صورة مايليق بها من الارواح (الخبير) الذى علم اسرارها وعلانيتها وخواصها وافعالها تلخيصه هو مبدع الارواح والجسم المطلق بارادته القديمة الازلية الثابتة التى لاتغير فيها ابدا ابداها على وجه العدل والحكمة الذى اقتضاه ذاته ومكون الكائنات بانشائها فى عالم الملك الذى هو مالكه لاغير كيف شاء عالما بمايجب ان يكون عليها حكيما اتقانها ونظامها وترتيبها خبيرا بما يحدث فيها من الاحوال الحادثة على حسب ارادته بذاته لاشريك له فى ذلك كله (واذ قال ابرهيم لابيه آزر) اى اذكر وقت سلوك ابراهيم طريق التوحيد عند

اشارالى الضياء والنور لانه راى الشمس اضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تأنيث الشمس غير حقيق فلهذا اتى بلفظ التذكير (هذا أكبر) يعني من الكوكب والقمر (فلما افلت) يعني فلما غابت الشمس (قال ياقوم انى برئ مما تشركون) يعني انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بآلهة ولاتصلح للربوبية تبرأمنها واظهر لقومه انه برئ مما يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرأمن شركهم اظهر ماهو عليه من الدين الحق فقال (انى وجهت وجهى) يعني انى صرفت وجه عبادتى وقصرت توحيدى (للذى فطر السموات والارض) يعني للذى خلقهما وابتدعهما (حنيفا) يعني مائلا عن عبادة كل شئ سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذى يستقبل الكعبة فى صلاته (وماانا من المشركين) تبرأمن الشرك الذى كان عليه قومه * قوله عزوجل (وحاجه قومه) يعني وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التى كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عزوجل خاصمه قومه وجادلوه فى ذلك فقال اتحاجونى فى الله يعني اتجادلونى فى توحيدى لله وقد هدانى وقد تبين لى طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوى لما رجع ابراهيم الى ابيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادى من يشترى مايضره ولاينفعه فلايشتريها احد فاذابارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربى استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها فى قومه واهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه وجادله قومه فى دينه (قال) يعني ابراهيم (اتحاجونى فى الله وقد هدان) يعني الى توحيده ومعرفته (ولااخاف ماتشركون به) وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانانخاف ان تمسك بخبل اوجنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولااخاف ماتشركون به فانها جمادات لاتضر ولاتنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله (الاان يشاء ربى شيأ) يعني لكن ان يشأربى شيأ كان مايشاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قديصيبه فى بعض حالاته وايام عمره مايكرهه فلواصابه مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الاان يشاء وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول فى شئ والمعنى ولكن ان شاءربى شيأ كان (وسع ربى كل شئ علما) يعني احاط علمه بكل شئ فلايخرج شئ عن علمه (افلاتتذكرون) يعني افلا تعتبرون انهذه الاصنام جمادات لاتضرولاتنفع وان النافع والضارهو الذى خلق السموات والارض ومن فيهما (وكيف اخاف مااشركتم) يعني وكيف اخاف الاصنام التى اشركتم بها لانها جمادات لاتبصرولاتسمع ولاتضر ولاتنفع (ولاتخافون انكم اشركتم بالله) يعني وانتم لاتخافون وقد اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب (مالم ينزل به عليكم سلطانا) يعني ماليس لكم فيه حجة وبرهان (فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون) يعني يقول من اولى بالامن من العذاب فى يوم القيامة الموحد اوالمشرك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وهذا فصل قضاه الله بين ابراهيم و بين قومه يعني ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم فى المحاجة لقومه والمعنى ان

تبصيرناوهدايتنااياه واطلاعه على شرك قومه واحتجابهم بظهور عالم الملك عن حقائق عالم الملكوت وربوبيته تعالى للاشياء باسمائه معتقدين لتأثير الاجرام والاكوان ذاهلين بها عن المكوّن فغيرهم بذلك وقال لمقدّمهم واكبرهم ابيه (أتتخذ أصناما آلهة) وتعتقد تأثيرها (انى اراك وقومك فى ضلال مبين) ظاهر يعرف بالحس ومثل ذلك التبصير والتعريف العام الكامل نعرف ابراهيم ونريه (وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض) اى القوى الروحانية التى يدبر الله بها أمر السموات والارض فان لكل شئ قوّة ملكوتية تحفظه وتدبر أمره باذن الله (وليكون من الموقنين) فعلنا ذلك اى بصرناه ليعلم ويعرف ان لاتأثير الا الله يدبر باسمائه التى هى ذاته مع كل واحدة من الصفات فتتكثر الافعال من وراء حجب الاكوان فالمحجوب بالكون واقف مع الحس يرى تلك الافعال من الاكوان والمجاوز عنه الذى خرق حجاب الكون ووقف مع العقل محبوسا فى قيده براها من الملكوت والمهتدى

الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعنى آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيأ ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخلطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا قول لقمان لابنه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفى رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل فى معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخلطوا ايمانهم بشئ من معانى الظلم وذلك بان يفعل بعض مانهى الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى هذا القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معانى الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور فى هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفى الآية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيأ كانت عاقبته الامن من النار لقوله (اولئك) يعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (لهم الامن) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعنى الى سبيل الرشاده ❊ وقوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) يعنى ماجرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم انا نخاف عليك من آلهتنا لسبك اياها قال افلا تخافون انتم منها اذ سويتم بين الصغير والكبير فى العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اى الفريقين احق بالامن من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة ام من يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على انفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم (نرفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء فى الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفى الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة (ان ربك حكيم) يعنى انه تعالى حكيم فى جميع افعاله عليم بجميع احوال خلقه لا يفعل شيأ الا بحكمة وعلم ❊ قوله عز وجل (ووهبنا له اسحق ويعقوب) لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التى فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها عدد الله نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته فى علبين وابقى النبوة فى ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعنى لابراهيم اسحق يعنى ابنا لصلبه ويعقوب يعنى ابن اسحق وهو ولد الولد (كلا هدينا) يعنى هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعنى من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية (ومن ذريته) اختلفوا فى هذا الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعنى ومن ذرية ابراهيم (داود وسليمان) وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان الله ذكر فى جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخى ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاء الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن ايشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (وايوب) هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (وموسى) هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو

بنور الهداية الالهية المنفتحة عين بصيرته يرى ان الملكوت بالنسبة الى ذات الله تعالى كالملك بالنسبة الى الملكوت فكما لا يرى التأثير من الاكوان لا يراها من ملكوتها بل من مالكها ومكونها فيقول حقا لا اله الا الله (فلما جن عليه الليل) اى فلما اظلم عليه ليل عالم الطبيعة الجسمانية فى صباه واول شبابه (راى كوكبا) كوكب ملكوت الهيكل الانسانى التى هى النفس المسماة روحانية وجد فيضه وحياته وربوبيته منها اذ كان الله تعالى يربيه فى ذلك الحين باسمه المحيي فقال بلسان الحال (قال هذا ربى فلما افل) بعبوره من مقام النفس وطلوع نور القلب واشراقه عليه بآثار الرشد والتعقل ومعرفته لامكان النفس ووجوب انطباعها فى الجسم (قال لا احب الآفلين) الغاربين فى مغرب الجسم المحتجبين به المستترين بظلمة الامكان والاحتياج الى الغير (فلما رأى القمر بازغا) قمر القلب بازغا بوصوله الى مقام القلب وطلوعه من افق النفس بظهوره عليه ورأى

اخوموسى وكان اكبر منه بسنة (وكذلك نجزى المحسنين) يعنى وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على اذى قومه كذلك نجزى المحسنين على احسانهم (وزكريا) هو ابن آذن بن بركيا (ويحيى) هو بن زكريا (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحق هو الياس بن سنا بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران وهو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس فى هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته (كل من الصالحين) يعنى ان كل من ذكرنا وسميناه من الصالحين (واسمعيل) هو ابن ابراهيم وانما اخر ذكره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر اولاد من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسمعيل الى هنا (واليسع) هو ابن اخطوب بن العجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن اخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) يعنى على عالمى زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء افضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى ان الانبياء افضل من الملائكة واعلم ان الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهى ان الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم اصول الانبياء واليهم ترجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدة الى ان اعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة فى تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد فى الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بأنهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شئ يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه * (ومن آبائهم) يعنى ومن آباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من آبائهم من لم يكن مسلما (وذرياتهم) يعنى ومن ذرياتهم اى بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان فى ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح (واخوانهم) يعنى ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق من آباء المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى (واجتبيناهم) يعنى اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعنى وارشدناهم (الى صراط مستقيم) اى الى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذى كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد بهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد (يهدى به من يشاء من عباده) يعنى يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولو اشركوا) يعنى هؤلاء الذين سميناهم (لحبط) يعنى لبطل

فيضه بمكاشفات الحقائق وعلمه وربوبيته منه اذ كان الله تعالى ربه حينئذ باسمه العالم والحكيم (قال هذا ربى فلما افل) باحتجابه عنه وعبوره عن طوره وشعوره بأن نوره مستفاد من شمس الروح وانه قد يتغيب فى ظلمة النفس وصفاتها فيحتجب بها ولا نور له اعرض عن مقامه سالكا طريق تجلى الروح قائلا (قال لئن لم يهدنى ربى) الى نور وجهه (لأكونن من القوم الضالين) الذين يحجبون بالبواطن عنه كالنصارى الواقفين مع الحجب النورانية (فلما رأى الشمس) الروح (بازغة) بتجليها عليه وظهور نورها وجد فيضه وشهوده وربوبيته منها اذ كان الله تعالى ربه حينئذ باسمه الشهيد والعلىّ العظيم (قال هذا ربى هذا اكبر) لعظمته وشدة نورانيته (فلما افلت) باستيلاء انوار تجلى الحق وطلوع سبحات الوجه الباقى وانكشاف حجاب الذات بوصوله الى مقام الوحدة رأى النظر الى الروح والى وجوده شركا فقال (قال ياقوم انى برئ مما تشركون) به اى اى شئ كان اذ لا وجود لغيره (انى وجهت

وذهب (عنهم ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لايقبل مع الشرك من الاعمال شيأ * قوله عزوجل (اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعنى اولئك الذين سميناهم من الانبياء اعطيناهم الكتب التى انزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوّة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوّة وان كانت النبوّة هى الاصل لان منصب النبوّة اشرف المراتب والمناصب فذكر اوّلا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة (فان يكفربها هؤلاء) يعنى فان يجحد بدلائل التوحيد والنبوّة كفار قريش (فقد وكلنابها قوما ليسوابها بكافرين) قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردى هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم لاينطلق الاعلى بنى آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا او نبيا او من الصحابة او التابعين وفى الآية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوّى دينه ويجعله عاليا على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب * قوله تعالى (اولئك الذين هدى الله) يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) اشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم يعنى فبشرائعهم وسننهم اعمل واصل الاقتداء فى اللغة طلب موافقة الثانى للاول فى فعله وقيل امره ان يقتدى بهم فى امر الدين الذى امرهم ان يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه من جميع النقائص التى لاتليق بجلاله فى الاسماء والصفات والافعال وقيل امره الله ان يقتدى بهم فى جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفهاء والعفو عنهم وقيل امره ان يقتدى بشرائعهم الاماخصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون فى الآية دليل على ان شرع من قبلنا شرع لنا

*(فصل) * احتج العلماء بهذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة فى الله عزوجل وكان اسحق ويعقوب من اصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا آل داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اوّاب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعنى الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من اصحاب الزهد فى الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التى كانت متفرقة فى جميعهم والله اعلم * وقوله تعالى (قل لااسئلكم عليه اجرا) يعنى قل يامحمد لااطلب على تبليغ الرسالة جعلا قيل لما امره الله تعالى بالاقتداء بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة

(لاجرم)

وجهى) اى اسلمت ذاتى ووجودى (للذى فطر السموات والارض حنيفا) اوجد سموات الارواح وارض النفس مائلا عن كل ماسواه حتى عن وجودى بالفناء فيه (وما انا من المشركين) اى لست من الشرك فى شئ كوجود البقية وظهورها وغير ذلك (وحاجه قومه) فى نفى التأثير من الاجرام والاكوان وترك تعبد كل ماسوى الله (قال اتحاجونى فى الله وقد هدان) الى توحيده (ولا اخاف ما تشركون به) وتقولون بتأثيره ابدا (الا) وقت (ان يشاء ربى شيأ) من جهتها بى من مكروه اوضر يلحقنى من جهتها وذلك منه وبعلمه لامنها (وسع ربى كل شئ علما) يعلم حالى ومافيه صلاحى ان علم اضرارى من جهتها اولى بى فعل (افلا تذكرون) فتميزوا بين العاجز والقادر وكيف أخاف ما اشركتم ولاتخافون انكم اشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأىّ الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون (الذين آمنوا) بالتوحيد الذاتى (ولم) يخلطوا (ايمانهم بظلم) من ظهور نفس القلب اووجود

لاجزم اقتدى بهم فقال لااسالكم عليه اجرا انهو) يعني ماهو يعني القرآن (الاذكرى للعالمين) يعني ان القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلائق ❊ قوله عزوجل (وماقدروا الله حق قدره) قال ابن عباس معناه ماعظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ماآمنوا ان الله على كل شئ قدير وقال ابوالعالية ماوصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ماعرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشئ اذاخرره وسبره واراد ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرف بصفاته يقال فيه انه لايقدر قدره فقوله وماقدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة في معناه (اذقالوا ماانزل الله على بشر من شئ) يعني الذين قالوا ماانزل الله على بشر من شئ ماقدروا الله حق قدره ولاعرفوه حق معرفته اذلو عرفوه حق معرفته لماقالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على قولين احدهما انهانزلت في كفارقريش وعلى هذاقول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدى ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبرى قال لان من اول السورة الى هذا الموضع هوخبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وماقدروا الله حق قدره موصولا بذلك غيرمفصول عنه فلايكون قوله اذقالوا ماانزل الله على بشر من شئ خبرا عن غيرهم واورد فخرالدين الرازى على هذا القول اشكالا وهو ان كفارقريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وايضا فبعد هذه الآية لايليق بكفارقريش انما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفارقريش كانوا مختلطين باليهود وقدسمعوا منهم ان موسى جاءهم بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وانما انكر كفارقريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذى جاءبه موسى واجاب عن كون سياق الآية لايليق الا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلايبعد ان بعض الآية يكون خطابا بالكفار قريش وبعضها خطابا لليهود والقول الثانى في سبب نزول هذه الآية وهوقول جهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة وانها من الآيات المدنيات التى في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست آيات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد ابن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى انزل التوراة على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ماانزل الله على بشر من شئ فقال اصحابه الذين معه ويحك ولاعلى موسى فقال والله ماانزل الله على بشر من شئ فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذقالوا ماانزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاءبه موسى نورا وهدى للناس الآية قال البغوى وفي القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ماانزل الله على بشر من شئ فقال مالك بن الصيف اغضبت فقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدى نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازوراء

بقية فانها شرك خفى (اولئك لهم الامن) الحقيقى الذى لاخوف معه (وهم مهتدون) بالحقيقة الى الحق (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) اى حجة التوحيد التى احتج بها ابراهيم على قومه (نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبناله اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) الذين يقومون بصلاح العالم وضبط نظامه وتدبيره لاستقامتهم بالوجود الموهوب الحقانى بعد فناء الوجود البشرى (وكلا فضلنا على العالمين) عالمى زمانهم (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بهاهؤلاء فقد وكلنابها قوما ليسوابها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسئلكم عليه اجرا

اليهودي وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فانزل الله وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم الا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى الواحا يحملها من عند الله فانزل الله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التي في سورة النساء فلما احدثهم باعمالهم الخبيثة جثا رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على احد شيأ فانزل الله وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ما انزل الله على بشر من شئ واورد الرازي على هذا القول اشكالا ايضا وهو انه قال ان اليهود مقرون بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما انزل الله على بشر من شئ مع اعترافهم بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشئ واجيب عنه بان مراد اليهود انكار انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى (قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى) اى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين انكروا انزال القرآن عليك بقولهم ما انزل الله على بشر من شئ من انزل التوراة على موسى وفي هذا الالزام توبيخ لليهود بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر (نورا وهدى للناس) يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير (يجعلونه قراطيس) يكتبونه في قراطيس مقطعة (تبدونها) يعني القراطيس المكتوبة (ويخفون كثيرا) يعني ويخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ماعندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة ومما اخفوه ايضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة (وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فان اجابوك يا محمد والا فقل انت الله الذي انزله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) يعني دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزؤن ويسخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من امرهم شئ فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد ✽ قوله تعالى (وهذا كتاب انزلناه مبارك) يعني وهذا القرآن كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير (مصدق الذي بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعني انه موافق لما في التوراة والانجيل وسائر الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب ونقيصة وتدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة (ولتنذر) قرئ بالتاء يعني ولتنذر

(يا محمد)

ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره اذقالوا ما انزل الله على بشر من شئ) اى ماعرفوه حق معرفته اذبالعوافق تنزيهه حتى جعلوه بعيدا من عباده بحيث لا يمكن ان يظهر من علمه وكلامه عليهم شئ ولو عرفوه حق معرفته لعلموا ان لا وجود لعباده ولا لشئ آخر الا به والكل موجود بوجوده لا وجود الا له جميع عالم الشهادة ظاهره وعالم الغيب باطنه ولكل باطن ظاهر فأى حرج من ظهور بعض صفاته على مظهر بشرى بل لا مظهر لكمال علمه الباطن وحكمته الا الانسان الكامل فالنبي من حيث الصورة ظاهره ومن حيث المعنى باطنه ينزل علمه على قلبه ويظهر على لسانه ويدعو به عباده الى ذاته ولا اثنينية الا باعتبار تفاصيل صفاته واما باعتبار الجمع فلا احد موجود الا هو ولا النبي ولا غيره فاذا اعتبر تفاصيل صفاته واسمائه يظهر النبي تبعية الخاص في ذاته تعالى بعض صفاته فيصير اسمائه واذا كان كاملا في نبوته يكون الاعظم الذي لا تنفتح ابواب خزائن غيبه ووجوده وحكمته الا به كما سمعت

بأمحمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب (ام القرى) يعنى مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض (ومن حولها) يعنى جميع البلاد والقرى التى حولها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) يعنى والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عندالله عزوجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذى يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب فى تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد اشرف الاديان وشريعته اعظم الشرائع (وهم على صلاتهم يحافظون) يعنى يداومون عليها فى اوقاتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على المحافظة على الصلاة وفائدة تخصيص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات التنبيه على انها اشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات ✽ قوله عزوجل (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى ومن اعظم خطأ واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو فى زعمه كذاب مبطل (اوقال اوحى الى ولم يوح اليه شئ) قال قتادة نزلت هذه الآية فى مسيلمة الكذاب ابن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بنى حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوّة باليمن وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان مسيلمة نبى قالا نعم فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لاتقتل لضربت اعناقكما (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم اذا اوتيت خزائن الارض فوضع فى يدى سواران من ذهب فكبرا على واهمانى فأوحى الى ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين الذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفى لفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فى المنام كان فى يدى سوارين فأوّلتهما كذابين يخرجان من بعدى يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسى صاحب صنعاء قوله فأوحى الى ان انفخهما يروى بالحاء المهملة ومعناه الرمى والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا دفعت ورمحت ويروى بالخاء المعجمة من النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوّة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بنى حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب فى زمن خلافة ابى بكر الصديق قتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشى يقول قتلت خير الناس يعنى حمزة وقتلت شر الناس يعنى مسيلمة واما الاسود العنسى بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذوا لحمار ادعى النبوّة باليمن فى آخر عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقتل والنبى صلى الله عليه وسلم حى لم يمت وذلك قبل موته بيومين واخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعنى بقتله الاسود العنسى فمن قال ان هذه الآية يعنى قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوقال اوحى الى ولم يوح اليه شئ نزلت فى مسيلمة الكذاب والاسود العنسى يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علماء التفسير

فلا تنكر ان عجبت وحرمت من فهمه وبهت فعسى ان يفتح الله عين بصيرتك فترى مالاعين رات اوسمع قلبك فتسمع مالااذن سمعت اوينور قلبك فتدرك مالاخطر على قلب بشر (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدّق الذى بين يديه ولتنذر امّ القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بادّعاء الكمال والوصول الى التوحيد والخلاص من كثرة صفات النفس وازدحامها مع بقائها فيه فيكون فى اقواله وافعاله بالنفس وهو يدعى انه بالله (اوقال اوحى الىّ ولم يوح اليه شئ) اى حسب مفتريات وهمه وخياله ومخترعات عقله وفكره وحيا من عند الله وفيضا من الروح القدسىّ فتنبا (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) اى تفرعن بوجود انائيته وتوهم التوحيد العلمىّ عينيا فادّعى الالهية (ولو ترى اذ

تقدم ذكره في اول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها نزلت في شأنهما يقول انها خبر عن غيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله اعلم * وقوله تعالى (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) اليك قال السدى نزلت في عبدالله بن ابي سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبدالله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبدالله بن ابي سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي مثل ما اوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبدالله بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله في المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) يعني ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرأيت امرا عظيما وغمراته شدائده وسكراته وغمرة كل شئ معظمه واصلها الشئ الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره (والملائكة باسطوا ايديهم) يعني بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم (اخرجوا انفسكم) يعني يقولون لهم اخرجوا انفسكم فان قلت انه لاقدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم من العذاب في ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعني الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه * قوله تعالى (ولقد جئتمونا فرادى) يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وما ذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكافرين ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئا في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا (كما خلقناكم اول مرة) يعني جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني قلفا كما ولدتهم امهاتهم في اول مرة في الدنيا لا شئ عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة فقالت يارسول الله

الظالمون) اى هؤلاء الظلمة من المدعين للكمال المحجوبين الذين يزعمون كون افعالهم الهيئة وهى نفسانية والمتنبئين والمتفرعنين (في غمرات الموت) اى شدائده وسكراته لافتقادهم في عواو غلطهم في حسبانهم انهم قد فنوا عن انفسهم وتجردوا عن ملابس ابدانهم مع شدة تعلقهم بها وقوة محبة الدنيا ورسوخ الهوى فيهم لانهم ما ماتوا بالموت الارادى والتجرد عن الشهوات واللذات البدنية وما فنوا عن صفات نفوسهم ودواعيها حتى يسهل عليهم الموت الطبيعى (والملائكة) اى قوى العالم التى كانت تمد قواهم النفسانية من النفوس الكوكبية والفلكية وتأثيراتها التى كانت تستولى عليهم في حياتهم مع ظنهم انهم تخلصوا منها بالتجرد كما اشرنا اليه (باسطوا ايديهم) قوية التأثير فيهم بالغة فيه كنه قواها وقدرها (اخرجوا انفسكم) اى تعنفهم وتقهرهم لشدة تعلقهم وكثرة تحسرهم وصعوبة مفارقة الابدان عليهم (اليوم تجزون عذاب الهون) والصغار بوجود صفات نفوسكم وهيئاتها المظلمة المؤذية وحجب انانيتكم وتفرعنكم كما قال سيجزيهم

واسوأتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سواة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض * وقوله تعالى (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) يعنى وتركتم الذى اعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول وكل ما اعطى الله العبد خوله فيه من المال والعبيد وراء ظهوركم يعنى فى الدنيا (ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) يعنى ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل او يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرئ بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) يعنى وذهب وبطل ما كنتم تكذبون فى الدنيا * قوله عز وجل (ان الله فالق الحب والنوى) لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة اردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بدلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها وتعريفا منه خطأ ما كانوا عليه من الاشراك الذى كانوا عليه والمعنى ان الذى يستحق العبادة دون غيره هو الله الذى فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفى معنى فلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس فى رواية العوفى عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدى ذهبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبرى هذا القول وقال لا يعرف فى كلام العرب فلق الله الشئ بمعنى خلق ونقل الازهرى عن الزجاج جوازه فقال وقيل الفلق الخلق واذا تأملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود فى العدم فلما اوجدها الله تعالى واخرجها من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها والقول الثانى وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا فى معناه على قولين احدهما وهو مروى عن ابن عباس قال فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدى وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر والقول الثانى وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان فى الحب والنوى والحب هو الذى ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى انه اذا وقعت الحبة او النواة فى الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان اظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة فى الهواء وعروقا ضاربة فى الارض فسبحان من اوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقه * وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى) قال ابن عباس فى رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحى وهذا قول الكلبى

وصفهم (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) اى بسبب افترائكم على الله اعمالكم واقوالكم الصادرة من صفات نفوسكم واهوائها (وكنتم عن آياته تستكبرون) وبسبب احتجابكم بانانيتكم وتفرعنكم محجبين بصفاتكم غير مذعنين بمحوها الصفاتنا محجوبين عنها بوجودها مستكبرين بها عنها (ولقد جئتمونا فرادى) مجردين عن الصفات والعلائق والاهل والاقارب والوجود بالاستغراق فى عين جمع الذات (كما خلقناكم اول مرة) بانشاء ذرات هوياتكم فى الازل عند اخذ الميثاق (وتركتم ما خولناكم) من الوسائل والعلوم والفضائل (وراء ظهوركم ومانرى معكم شفعاءكم) وسائلكم واسبابكم وما آثرتموه بهواكم وتعلقتم بها من محبوباتكم ومعوداتكم (الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم) بمحبتكم اياها وتعبدكم لها ونسبتكم التأثير اليها واعتباركم واعتدادكم بها فقد وقع التفرق بينكم بتغير الاحوال وتبدل الصور والاشكال (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) شيأ موجودا بشهودكم فناء الكل فى الله (ان الله فالق الحب والنوى) حبة القلب

ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصي والعاصي من الطائع وقال السدي يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري لانه قال عقب قوله ان الله فالق الحب والنوى فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت وما السبب في عطف الاسم على الفعل قلت قوله ومخرج الميت من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان او التفسير لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله (ذلكم الله) يعني ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء الحي المميت لها (فأنى تؤفكون) يعني فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل ايضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب * قوله تعالى (فالق الاصباح) اى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمى به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما اول النهار فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء المستطير في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى فالق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثاني الوجه الثاني انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح اى فالق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل الذي يلي الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصدع وانفلق وسمى الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعني خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو اول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره * وقوله تعالى (وجاعل الليل سكنا) السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد اتعب نفسه في النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن من الحركة وذلك هو الليل (والشمس والقمر حسبانا) يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين قال ابن عباس يجريان الى اجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحسبان لايجاوز انه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما (ذلك) اشارة الى

بنور الروح من العلوم والمعارف ونوى النفس بنور القلب من الاخلاق والمكارم (يخرج الحي من الميت) حي القلب من ميت النفس تارة باستيلاء نور الروح عليها (ومخرج الميت من الحي) ميت النفس من حي القلب اخرى باقباله عليها واستيلاء الهوى وصفات النفس عليه (ذلكم الله) القادر على تقليب احوالكم وتغليبكم في اطواركم (فانى تؤفكون) تصرفون منه الى غيره (فالق الاصباح) اى فالق ظلمة صفات النفس عن القلب باصباح نور شمس الروح واشراقه عليها (وجعل) ظلمة النفس الليل سكنا (والشمس والقمر حسبانا) سكن القلب يسكن اليها للارتفاق والاسترواح احيانا اوسكنا تسكن فيه القوى البدنية وتستقر عن الاضطراب وشمس الروح وقمر القلب محسوبين في عداد الموجودات الباقية الشريفة معتدا بهما او على حساب الاحوال والاوقات تعتبر بهما (ذلك تقدير العزيز) القوى على ذلك (العليم) باحوال البروز

ماتقدم ذكره في هذه الآية من الاشياء التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه ❊ قوله عز وجل (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها اذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه فامتن الله على عباده بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر الى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها زينة للسماء ورجوما للشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (قد فصلنا الآيات) يعني قد بينا الآيات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا (لقوم يعلمون) ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته ❊ قوله تعالى (وهو الذي انشأكم من نفس واحدة) يعني والله الذي ابتدا خلقكم ايها الناس من آدم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى ايضا لان ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض لان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس انه قال المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الآباء ثم قرا ونقر في الارحام ما نشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه انه قال بالعكس يعني ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم انت مستودع في اهلك الى ان تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة او النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتابيد (قد فصلنا الآيات) قد بينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعني لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم ❊ قوله عز وجل (وهو الذي انزل من السماء ماء) يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء الى السحاب ومن

والانكشاف والتستر والاحتجاب بهما بعزتارة باحتجابه بهما وعنهما في ستور جلاله وتارة بتجليه وقهرهما وافنائهما بعلم ما يفعل بحكمته (وهو الذي جعل لكم النجوم) نجوم الحواس (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) بر الاجساد الى مصالح المعاش وبحر القلوب باكتساب العلوم بها (قد فصلنا الآيات) اى الروح والقلب والحواس (لقوم يعلمون) ذلك (وهو الذي انشأكم من نفس واحدة) هي النفس الكلية (فمستقر) في ارض البدن حال الظهور (ومستودع) في عين جمع الذات حال الفناء (قد فصلنا الآيات) آيات ظهور النفس واستقرارها واستيداعها (لقوم يفقهون) بتنور قلوبهم وصفاء فهومهم (وهو الذي انزل من السماء ماء) من سماء الروح ماء العلم (فاخرجنا به نبات كل شئ) كل صنف من الاخلاق والفضائل (فاخرجنا منه خضرا) من النبات هيئة خضرة النفس وزينة حسنة جبلة

السحاب الى الارض (فاخرجنا به) يعني بالماء الذي انزلناه من السماء (نبات كل شئ) يعني كل شئ ينبت وينمو من جميع اصناف النبات وقيل معناه اخرجناه بالماء الذي انزلناه من السماء غذاء كل شئ من الانعام والبهائم والطير والوحش وارزاق بني آدم واقواتهم مما يتغذون به فينبتون عليه وينمون (فاخرجنا منه خضرا) يريد اخضر مثل عور واعور والاخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة (نخرج منه حبا متراكبا) يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه اكثر لانه القوت المألوف (ومن النخل من طلعها قنوان دانية) يعني من ثمرها يقال اطلعت النخلة اذا اخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو مايكون في قلب الطلع والطلع اول مايبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذاشق عنه كيزانه سمي عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة التناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ماقنوانها دانية قريبة ومنها ماهي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها اسهل تنا ولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة (وجنات من اعناب) يعني واخرجنا من ذلك بساتين من اعناب (والزيتون والرمان) يعني واخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان (مشتبها) قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان (وغير متشابه) يعني ومنها غير متشابه في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ماليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من اشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لمافيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه الرمان لمافيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه) يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبروا كيف اخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة * وهو قوله (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) يعني يصدقون ان الذي اخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على ان يحيي الموتى ويبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريف ماخلق ونقله من حال الى حال وهو مايعلمونه قطعا ويشاهدونه من احياء الارض بعد موتها واخراج سائر انواع النبات والثمار منها وانه لايقدر على ذلك احد الا الله تعالى ليبين انه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث * قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وقال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشرك لاثنين في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السائب ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام فخر

وبهجة بالعلم والخلق (نخرج منه حبا متراكبا) ومن النخل من طلعها قنوان دانية) من تلك الهيئة والنفس الطرية الغضة اعمالا مترتبة شريفة مرضية ونيات صادقة يتقوى بها القلب ومن نخل العقل من ظهور تعلقها معارف وحقائق قريبة التناول لظهورها بنور الروح كانها بديهية (وجنات من اعناب) الاحوال والاذواق وخصوصا انواع المحبة القلبية المسكر عصيرها وسلافها وزيتون التفكر ورمان التوهمات الصادقة التي هي الهمم الشريفة والعزائم النفيسة (والزيتون والرمان مشتبها) بعضها ببعض كالتعقلات والتفكرات والمعارف والحقائق والاعمال والنيات وكمحبة الذات ومحبة الصفات (وغير متشابه) كانواع المحبة مع الاعمال مثلا اومشتبها في رتبتها وقوتها وضعفها وجلائها وخفائها وغير متشابه فيه (انظروا الى ثمره اذا اثمر) وراعوه بالمراقبة عند السلوك وبدأ الحال وليكن نظركم من الذات الى هذه الثمرات

الدين الرازى وهذامذهب المجوس وانماقال ابن عباس هذاقول الزنادقة لان المجوس يلتبسون بالزندقة لان الكتاب الذى زعم زردشت انه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب اليه زندى ثم عرب فقيل زنديق فاذاجمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل مايكون فى هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور وجميع مافى العالم من الشر فهو من الظلمة يعنى ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس محدث ولهم فى كيفية حدوثه اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقداتفقوا على انه شريك الله فى تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انما اثبتوا الله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركاء قلت ان ابليس له اعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون اعماله فصح ماحكاه الله عنهم من انهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء الله واختلفوا فى معنى هذه الشركة فمن قال ان الآية فى كفار العرب قال انهم لما اطاعوا الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقدجعلوهم شركاء الله ومن قال انها فى المجوس قال انهم اثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقدجعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله (وخلقهم) فى معنى الكناية قولان احدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثانى ان الكناية تعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا لله الذى خلقهم شركاء لايخلقون شيأ وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لايكون شريكا لله وكل مافى الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع مافى الكون فامتنع ان يكون لله شريك فى ملكه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) اى اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان الله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ماهو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لايتجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعى ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل مالايليق بجلاله وقوله تعالى يعنى هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد اويكون المعنى المتعالى عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعنى عما يصفونه به من الكذب ❊ قوله عزوجل (بديع السموات والارض) الابداع عبارة عن تكوين الشئ على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق (انى يكون له ولد) يعنى من اين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) لان الولد لايكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغى ان تكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شئ (وخلق كل شئ) يعنى ان الصاحبة والولد فى جملة من خلق لانه خالق كل شئ وليس كمثله شئ فكيف يكون الولد لمن لامثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شئ عليم) يعنى انه تعالى عالم بجميع خلقه لايعزب عن علمه شئ وعلمه محيط بكل شئ ❊ قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعنى ذلكم الله الذى من صفته انه خلق السموات والارض وابدعها على

(وبعه) وكماله عند الوصول بالحضور (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) بالايمان العلمى ويوقنون هذه الآيات والاحوال التى عددناها (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) اى لجعلوا جن الوهم والخيال شركاء الله فى طاعتهم لها وانقيادهم وقد علموا ان الله خلقهم فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) اختلقوا بالافتراء المحض (بنين) من العقول (وبنات) من النفوس يعتقدون انها مؤثرات ومجردات مثله تولدت منه (بغير علم) منهم انها اسماؤه وصفاته لاتؤثر الابه (سبحانه وتعالى) تنزه عن ان يكون وجودا مجردا مخصوصا بتعين خاص واحدا من الموجودات المتعينة يصدر عنه وجودات العقول المجردة والنفوس وتعاظم (عما يصفون) به علوا كبيرا (بديع السموات والارض) اى عديم النظير والمثل فى سموات عالم الارواح وارض عالم الاجساد (انى يكون له ولد) اى كيف يماثله شئ (ولم تكن له صاحبة) لان الصاحبة لاتكون الا

غير مثال سبق وانه بكل شئ عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جادات لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه) يعنى انه الذى هو الذى يستحق العبادة فاعبدوه واطيعوه (وهو على كل شئ وكيل) يعنى انه هو تعالى على كل شئ خلق رقيب حفيظ يقوم بأرزاق جميع خلقه * قوله عز وجل (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشئ وحقيقته فالابصار ترى البارى جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب فى تفسير قوله لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به * (فصل) * تمسك بظاهر الآية قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله ادركته ببصرى ورأيته ببصرى فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفى الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين فى الآخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففى هذه الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهى الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهى الايمان وقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة واما دلائل السنة فما روى عن جرير بن عبد الله البجلى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اخرجه البخارى ومسلم عن ابى هريرة ان ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى وليس عنده فى اوله ان ناسا الى آخره وفى آخره ليس دونها سحاب عن ابى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك من خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل واعظم اخرجه ابو داود واما الدلائل العقلية فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره انه تعالى يمدح بقوله لا تدركه الابصار فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا يصح التمدح به فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على انه تعالى جائز الرؤية وتحقيق هذا ان الشئ اذا كان فى نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم

مجانسة وهو لا يجانس شيأ واذا لم يجانس شيأ لم يماثله فلم يكن له مثل يتولد منه (وخلق كل شئ) بتخصيصه بتعين فى ذاته وايجاده بوجوده لا بأنه موجود مثله (وهو بكل شئ عليم) محيط علمه بالعقول والنفوس وغيرها كما يحيط وجوده بها وهى محاطة لا تحيط بعلمه ولا تعلم الا بعلمه ولا توجد الا بوجوده فلا تماثله لانها بأنفسها معدومة وانى يماثل المعدوم الموجود المطلق (ذلكم) البديع العديم المثل الموصوف بجميع هذه الصفات (الله ربكم لا اله) فى الوجود (الا هو) اى لا موجود الا هو باعتبار الجمع (خالق كل شئ فاعبدوه) باعتبار تفاصيل صفاته فخصوا العبادة به اى بالوجود الموصوف بجميع الصفات الذى هو الله دون من سواه (وهو على كل شئ وكيل) اى لا يستحق العبادة الا المبدئ لكل شئ وهو مع ذلك وكيل على الكل يحفظها ويدبرها ويوصل اليها الارزاق وما تحتاج اليه حتى تبلغ الكمال اللاحق بها (لا تدركه الابصار) اى لا تحيط به لانه اللطيف

من عدم رؤيته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جائز الرؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على انه تعالى جائز الرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله ارني انظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل موسى مالا يجوز ويمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز واما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية في نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشئ وحقيقته والرؤية المعاينة للشئ من غير احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز ان يرى في الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئي وهو ما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لانهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الآية لاتدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لاتدركه الابصار لايدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا والله اعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لايخفى عليه شئ منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لاتدركه أبصار المبصرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشئ اليك برفق ولين وقيل هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر في الاشياء وقال ابو سليمان الخطابي اللطيف هو اللين بعباده يلطف بهم من حيث لايعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لايحتسبون وقال الازهري اللطيف في اسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن ان تدركه الابصار وهو يدركها * قوله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشئ والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست في انفسها بصائر الا انها بقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين اسبابا لحصول البصائر سميت بصائر (فمن ابصر) يعني فمن عرف الآيات واهتدى بها الى الحق (فلنفسه) يعني فلنفسه ابصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه (ومن عمي) يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها الى الطريق (فعليها) يعني فعلى نفسه عمي ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه (وما انا عليكم

الجليل عن ادراكها وكيف تدركه وهي لاتدرك انفسها التي هي نور منه (وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) لاحاطته بكل شئ ولطف ادراكه (قد جاءكم بصائر من ربكم) اي آيات بينات هي صور تجليات صفاته التي هي أنوار بصائر القلوب والبصيرة نور يبصر به القلب كما ان البصر نور تبصر به العين (فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها) اي صار بصيرا بها فانما فائدة ابصاره وهدايته لنفسه ومن حجب عنها فانما مضرة احتجابه بالاتعدى الى غيره بل اليه (وما انا عليكم بحفيظ) رقيب يرقبكم ويحفظكم عن الضلال بل الله حفيظ يحفظكم ويحفظ اعمالكم (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما اوحي

بحفيظ) يعنى وما انا عليكم برقيب احصى عليكم اعمالكم وافعالكم انما انارسول من ربكم اليكم ابلغكم ماارسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لايخفى عليه شئ من اعمالكم واحوالكم وقيل معناه لااقدر ان ادفع عنكم مايريده الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالايمان اخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله اعلم * قوله عز وجل (وكذلك نصرف الآيات) يعنى وكذلك نبين الآيات ونفصلها فى كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل (وليقولوا درست) يعنى وكذلك نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة امرهم ان يقولوا درست يعنى قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا اكثر قراءته وذلله للحفظ قال ابن عباس وليقولوا يعنى اهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعنى تعلمت من يسار وخير وكانا عبدين من سبى الروم ثم قرأت علينا تزعم انه من عندالله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ دارست بالالف بمعنى قارات اهل الكتاب عن المدارسة التى هى بين اثنين يعنى يقولون قرأت على اهل الكتاب وقرؤا عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التى تتلوها علينا قديمة فدرست وانمحت من قولهم درس الاثر اذا محى وذهب اثره (ولنبينه لقوم يعلمون) يعنى القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فمن اعرض عنها وقال للنبى صلى الله عليه وسلم درست اودرست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحق ان السبب الذى اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها اهل اللغة لام الصيرورة يعنى صار عاقبة امرهم ان قالوا دارست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفى هذا دليل على ان الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا لضلالة قوم وهدايتهم * قوله تعالى (اتبع مااوحى اليك من ربك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى اتبع يامحمد ما امرك به ربك فى وحيه الذى اوحاه اليك وهو القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادى ولاتلتفت الى قول من يقول دارست اودرست وفى قوله اتبع مااوحى اليك من ربك تعزية لقلب النبى صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذى حصل له بسبب قولهم درست ونبه بقوله تعالى (لااله الاهو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لاشريك له واذا كان فانه تجب طاعته ولايجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى (واعرض عن المشركين) قيل المراد منه فى الحال لاالدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون الامر بالاعراض منسوخا بآية القتال * قوله عز وجل (ولوشاء الله مااشركوا) قال الزجاج معناه لوشاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح فى ان شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة فى قولهم لم يرد من احد الكفر والشرك فالآية رد عليهم (وماجعلناك عليهم حفيظا) يامحمد على هؤلاء المشركين رقيبا ولاحافظا تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس فى رواية عطاء وماجعلناك عليهم حفيظا تمنعهم منا ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبلغا فلاتهتم بشركهم فان ذلك بمشيئة الله تعالى

اليك من ربك لااله الاهو اعرض عن المشركين ولو شاء الله مااشركوا) اى كل مايقع فانما يقع بمشيئة الله ولاشك ان استعداداتهم التى وقعوا بها فى الشرك واسباب ذلك من تعليم الآباء والعادات وغيرها ايضا واقعة بارادة من الله والا لم تقع فان آمنوا بذلك فبهداية الله والافهو ن على نفسك (وماجعلناك عليهم حفيظا) تحفظهم عن الضلال (وماانت عليهم بوكيل ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) بموكل عليهم بايمان ولاينافى هذا ماقال فى تعييرهم فيما بعد بقوله سيقول الذين اشركوا لوشاء الله مااشركنا لانهم قالوا ذلك عنادا ودفعا للايمان بذلك

﴿ وما انت عليهم بوكيل ﴾ يعني وما انت عليهم بقيم تقوم بارزاقهم وما انت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لاتكون منسوخة ❊ قوله عز وجل ﴿ ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ الآية قال ابن عباس لما نزلت انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يامحمد لتنتهين عن سب آلهتنا اولنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لانهم قوم جهلة لاعلم لهم بالله عز وجل وقال السدى لما حضرت اباطالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابوسفيان وابوجهل والنضر بن الحرث وامية وابى ابنا خلف وعقبة بن ابى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابى البختري الى ابى طالب فقالوا ياابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو طالب ان هؤلاء قومك بنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال له ابوطالب قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارأيتم ان اعطيتكم هذا فهل انتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادات لكم الخراج فقال ابوجهل نعم وابيك لنعطينكها وعشرة امثالها فما هي فقال قولوا لااله الاالله فابوا ونفروا فقال ابوطالب قل غيرها ياابن اخي فقال ياعم ماانا بالذى اقول غيرها ولواتونى بالشمس فوضعوها في يدى ماقلت غيرها ارادة ان يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا اولنشتمنك اولنشتمن من يأمرك فأنزلت ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولاتسبوا ايها المؤمنون الاصنام التي يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدها المشركون وقال ابن الانبارى هذه الآية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه بأصحابه نسخ هذه الآية ونظائرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتسبوا آلهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقة النهى عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك ❊ وقوله تعالى ﴿ كذلك زينا لكل امة عملهم ﴾ يعني كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لايحسن من الله خلق الكفر وتزيينه ❊ وقوله تعالى ﴿ثم الى ربهم مرجعهم﴾ يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي ﴿فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك ❊ قوله عز وجل ﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم ﴾ قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يامحمد

التعلل لااعتقادا فقولهم ذلك وان كان صدقا في نفس الامر لكنهم كانوا به كاذبين مكذبين للرسول اذلو صدقوا لعلموا ان توحيد المؤمنين ايضا بارادة الله وكذا كل دين فلم يعادوا احدا ولو علموا ان كل شئ لايقع الا بارادة الله لما بقوا مشركين بل كانوا موحدين لكنهم قالوه لغرض التكذيب والعناد واثبات انه لايمكنهم الانتهاء عن شركهم فلذلك غيرهم به لالانه ليس كذلك في نفس الامر فانهم لم يطلعوا على مشيئة الله وانه كما أراد شركهم في الزمان السابق لم يرد ايمانهم الآن اذليس كل منهم مطبوع القلب بدليل ايمان من آمن منهم فلم لايجوز ان يكون بعضهم كانوا مستعدين للايمان والتوحيد واحتجبوا بالعادة وما وجدوا من آبائهم

انك تخبرنا ان موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك احق ماتقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ماتقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل ان يجعل الصفا ذهبا فجاء جبريل فقال ماشئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوك لنعذبنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني وحلفوا بالله جهد ايمانهم يعني اوكد ماقدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه (لئن جاءتهم آية) يعني كما جاءت من قبلهم من الامم (ليؤمنن بها) يعني ليصدقن بها (قل) يعني قل يامحمد (انما الآيات عند الله) يعني ان الله تعالى قادر على انزالها (ومايشعركم) يعني ومايدريكم ثم اختلف العلماء في المخاطبين بقوله ومايشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله (انها اذا جاءت لايؤمنون) فقرأ ابن كثير واهل البصرة وابوبكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله ومايشعركم على معنى ومايدريكم مايكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لايؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه ومايشعركم ايها المشركون انها يعني الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه ومايشعركم ايها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ان يريهم مااقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم الله بقوله ومايشعركم ثم ابتدأ فقال تعالى انها جاءت لايؤمنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بانهم لايؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذ رأوها لان المشركين كانوا حلفوا انهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال الله تعالى ومايشعركم ايها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لايؤمنون فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لايؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءتهم يؤمنون اولا يؤمنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة ابيّ بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيأ بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد

أعاذل مايدريك ان منيتي * الى ساعة في اليوم اوفي ضحى الغد

يعني لعل منيتي * قوله تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم) قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات سألوها لما آمنوا بها والتقليب هو تحويل الشئ وتحريكه عن وجهه الى وجه

فاشركوا ثم اذا سمعوا الانذار وشاهدوا ايات التوحيد اشتاقوا الى الحق وارتفع حجابهم فوحدوا فلذلك وبخهم على قولهم وطلب منهم الحجة على ان الله أرادهم بذلك دائما وانذرهم بوعيد من كان قبلهم لعل من كان فيه أدنى استعداد اذا انقطع عن جنته وسمع وعيد من قبله من المنكرين ارتفع حجابه ولان قلبه فآمن ويكون ذلك توفيقا له ولطفا في شأنه فان عالم الحكمة يبتني على الاسباب واما من كان من الاشقياء المردودين المختوم على قلوبهم فلا يرفع لذلك رأسا ولا يلقي اليه سمعا (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) طلبوا خوارق العادات واعرضوا عن الحجج البينات لانهم كانوا محجوبين بالحس والمحسوس فلم تنجع فيهم الدعوة

آخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر (كما لم يؤمنوا به اول مرة) يعني كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاء بها رسول صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرات وقيل اول مرة يعني الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الآخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم وابصارهم عن الايمان فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة قبل مماتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان القلوب والابصار بيده وفي تصريفه فيقيم ماشاء منها ويزيغ ما اراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله نقلب افئدتهم نزيغها عن الايمان ونقلب ابصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عائدة على الايمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها * وقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعني ونترك هؤلاء المشركين الذين سبق في علم الله انهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق * قوله عز وجل (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة) قال ابن جريج نزلت في المستهزئين اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الآية جوابا لهم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدوا لك بالرسالة (وكلمهم الموتى) يعني كما سألوا (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) يعني وجمعنا عليهم كل شيء قبلا قبيلا وقيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا وهو قوله (ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله) يعني الا ان يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا أنطق الله الكل حتى يشهدوا له بصحة ما يقول كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله اخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا انهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا هم اهل الشقاء الا ان يشاء الله هم اهل السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا الذين تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين شاء لهم الايمان * قوله تعالى (ولكن أكثرهم يجهلون) يعني يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب اهل السنة ان الاشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم ان الله اراد الايمان من جميع الكفار * قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم اي كما فعلنا ذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء اعداء كذلك جعلنا لك اعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا ليعظم

بالحكمة والاثبات بالحجة كما تنجع في العقلاء المستعدين (قل انما الآيات عند الله) اي خوارق العادات التي اقترحوها انما هي من عالم القدرة ليست الا عنده (ومايشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) انهم لا يؤمنون عند مجيئها اي انا اعلم بهم منكم انهم لا يؤمنون بها او وما يشعركم انهم يؤمنون عند مجيئها لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها ومن لم يرد الله منه الايمان يقلب قلبه وبصره عند مجيء الآية التي اقترحها وزعم انه يؤمن عند نزولها فيقول هذا سحر ولا يؤمن به كما لا يؤمن قبل مجيء الاية ويذره في طغيان نفسه

ثوابه على مايكابده من اذى اعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي اعداء (شياطين الانس والجن) اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين احدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس اشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح واعياه ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس قلت يارسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم شر من شياطين الجن ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن وذلك انى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي القول الثاني ان الجميع من ولد ابليس واضيف الشياطين الانس على معنى انهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدى ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولاوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الآية يقتضى اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضى المغايرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم اولاد ابليس * وقوله تعالى (يوحى بعضهم الى بعض) يعني يلقى ويسر بعضهم الى بعض ويناجى بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها الى من يريد اغواءه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض مايفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان اولاد ابليس يلقى بعضهم بعضا في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن اضللت صاحبي بكذا وكذا فأضل انت صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض * (زخرف القول) يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذى قد زين ووشى بالكذب وكل شئ حسن مموه فهو زخرف (غرورا) يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني آدم ويغرونهم بها غرورا (ولو شاء ربك مافعلوه) يعني مافعلوا الوسوسة التي يلقيها الشياطين في قلوب بني آدم المعنى ان تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة (فذرهم ومايفترون) يعني فخلهم يامحمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصى فاني من ورائهم * قوله تعالى (ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) قال ابن عباس ولتميل اليه واصل الصغو في اللغة الميل يقال اصغى الى كذا مال اليه ويقال صغوت اصغو وصغيت اصغى لغتان قال ابن الانبارى اللام في ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لكى تصغى الى الباطل افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة والضمير في اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول

يصفاتها حتجابه بها ولهذا قال في آخر الاية الثانية (ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله) يعني من من استعد للايمان فهم المعقول وادرك الحجة وانفتحت عين بصيرته بأدنى نور من هداية الله وآمن بأدنى سبب ومن لم يستعد لذلك ولم يخلق له نورا أى كل آية من خوارق العادات وغيرها ماأثر فيه (ولكن اكثرهم يجهلون) ان الايمان بمشيئة الله لابخوارق العادات وفي الحقيقة لااعتبار بالايمان المرتب على مشاهدة خوارق العادات فانه ربما كان مجرد اذعان لامر محسوس واقرار باللسان وليس في القلب من معناه شئ كايمان اصحاب السامرى والايمان لايكون الا بالجنان كما قال تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن

المزخرف الباطل (وليقترفوا ماهم مقترفون) يعني وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ماهم مكتسبون
❊قوله عز وجل (افغير الله ابتغى حكما) اى قل يامحمد لهؤلاء المشركين افغير الله اطلب حكما
قاضيا يقضى بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما
فامره الله تعالى ان يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة غير ان بعض اهل
المعانى قال الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم من شانه ان يحكم والحكم اهل ان يتحاكم اليه وهو
الذى لا يحكم الا بالحق فالله تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما انزل الله على محمد القرآن فقد حكم له
بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا) يعني مبينا فيه امره ونهيه ووعيده
وفيه الحكم بيني وبينكم (والذين آتيناهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى (يعلمون
انه منزل من ربك بالحق) يعني يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم
بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل ابى بكر وعمر وعثمان وعلى
ونظرائهم تعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فآمنوا به وصدقوه (فلا تكونن من
الممترين) يعنى فلا تكونن يامحمد من الشاكين ان علماء اهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق
وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونن فى شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب
التهييج لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم
الا ان المراد به غيره والمعنى فلا تكونن ايها الانسان السامع لهذا القرآن فى شك انه منزل من عند الله
لما فيه من الاعجاز الذى لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى ❊قوله تعالى (وتمت كلمت ربك) وقرئ
كلمات ربك على الجمع فمن قرأ على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت
مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر فى كلمته يعنى فى قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة
لانه شئ واحد فى اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال فى سياق
الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع فى اللفظ الاول اتباعا للثانى (صدقا وعدلا) يعنى صدقا فيما
وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما اخبر عن القرون
الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع فى الجنة وعقاب
العاصى فى النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهى والحلال والحرام وسائر الاحكام (لا مبدل
لكلماته) يعنى لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام فى قوله
وتمت كلمت ربك والتمام فى كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته
لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفى قوله لا مبدل لكلماته دليل
على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقى ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد فى الازل والشقى من شقى
فى الازل واورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه واجيب عنه
بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا فى الازل ومن ختم له بالشقاوة كان
شقيا فى الازل والله اعلم ❊ وقوله تعالى (وهو السميع) يعنى لما يقوله العباد (العليم) يعنى باحوالهم
❊ قوله عز وجل (وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) قال المفسرون ان المشركين
جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف
تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع

قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولوشاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون) يلزم من ترتب مراتب الارواح ان مقابلة اصفى الاستعدادات وانورها بأكدرها واظلمها وابعدها ولزم منه وجود عدو لكل نبى للتضاد الحقيقى بينهما وفائدة وجود العدو فى مقابلته له ان الكمال الذى قدر له بحسب استعداده لا يظهر عليه الا بقوة المحبة للاستمداد واما القهر فلانكسار نفسه به وباهانته واستحقاقه له وتثبته عند مقابلته فى مقام القلب وتجلده معرضا عن النفس ولذاتها لاشتغاله بالعدو ذاهلا عنها لفرط الحمية والحرص على الفضيلة

اكثر من فى الارض فى اكل الميتة وكان الكفار يومئذا كثر اهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن دين الله الذى شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم فى معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى (ان يتبعون الا الظن) يعنى ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون فى دينهم الذى هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق فى دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا اهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل (وان هم الا يخرصون) يعنى يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كمية ثمرها على الظن من غير يقين ويسمى الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قائله لم يقله عن علم ويقين (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله) يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو اعلم منك ومن جميع خلقه اى الناس يضل عن سبيله (وهو اعلم بالمهتدين) يعنى وهو اعلم ايضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شئ من احوال خلقه فاخبر تعالى انه اعلم بالفريقين الضال والمهتدى وانه يجازى كلا بما يستحق ❊ قوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين اتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح (ان كنتم بآياته مؤمنين) وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الميتة فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطابا للمشركين وعلى القول الاول تكون الآية خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله فى آخر الآية ان كنتم بآياته مؤمنين (ومالكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) يعنى واى شئ لكم فى ان تأكلوا ومايمنعكم من ان تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تأكيد فى اباحة ماذبح على اسم الله دون غيره (وقد فصل لكم ماحرم عليكم) يعنى وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ماحرم عليكم المحرمات المذكورة فى قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام فخر الدين الرازى ههنا اشكالا فقال فى سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما انزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب ان يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدنى متأخر عن المكى فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة اودما مسفوحا اولحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا ان هذا القدر من التأخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام فى الترتيب لا فى النزول حسن عود الضمير فى قوله وقد فصل لكم ماحرم عليكم الى ماهو متقدم فى الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله اعلم بمراده ❊ وقوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) يعنى الا ان تدعوكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار (وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم) يعنى ان كثيرا من الذين يجادلونكم فى اكل الميتة يحتجون عليكم فى ذلك بقولهم اتأكلون ماتذبحون ولا تأكلون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة مايقولون بل يتبعون اهواءهم ليضلوا انفسهم واتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحى فمن دونه من المشركين

التى يقهر بها العدو والاحتراز عن الملابس الحيوانية والشيطانيه ليعد بها عن مقامه ومناسبته ولئلا يتطرق له سبيل الى طعنه وتحقيره وازدرائه بها ولهذا قال ما اوذى نبى قط مثل ما أوذيت اذ لاكمال لاحد مثل كماله فيجب ان يكون سبب اخراجه الى الفعل اقوى لغاية بعده عن صفات النفس وعاداتها (ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) ولتميل اليه المحجوبون لمناسبتهم (وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغى حكما وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) لمحبتهم اياه فتقوى غواياتهم ويتظاهرون ويخرج ما فيهم من الشرور

لانه اول من بحر البحائر وسيب السوائب واباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) يعني ان ربك يا محمد هو اعلم بمن تعدى حدوده فاحل ما حرم الله وحرم ما احل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم * قوله عز وجل (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع ابن انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب الرايات واما الباطن فالمرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلال الا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم التجرد عن الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الاثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة السوء للمسلمين ونحو ذلك * وقوله تعالى (ان الذين يكسبون الاثم) يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيجزون) يعني في الآخرة (بما كانوا يقترفون) يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله وكرمه * قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام انتهى * (فصل) * اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام فخر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام احتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا تحل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن احمد روايتين فيما اذا ترك التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فمن اباح اكل الذبيحة التي يذكر اسم الله عليها قال المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الآية (وانه لفسق) واجمع العلماء على ان آكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان هنا اقواما حديثا عهدهم بشرك يأتونا بلحمان فما ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم

الى الفعل ويزداد والطغيانا وتعديا على النبي فتزداد قوة كماله وتهيج ايضا بسببه دواعي المؤمنين والذين في استعدادهم مناسبة للنبي فتنبعث حبهم وتزداد محبتهم للنبي ونصرهم اياه فتنظهر عليهم كالاتهم وتقوى بهم النبي كما قيل ان شهرة مريديهم لا تكون الا بواسطة المنكرين اياهم (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) اي تم قضاؤه في الازل بما قضى وقدر من اسلام من اسلم وكفر من كفر ومحبة من احب احدا وعداوة من عادى قضاء مبرما وحكما صادقا مطابقا لما يقع عادلا بمناسبة كل قول وكل كمال وحال لاستعداد من يصدر عنه واقتضائه له (لا مبدل لكلماته) لاحكامه الازلية (وهو السميع) لما يظهرون من الاقوال والافعال المقدرة (العليم) بما يخفون (وان تطع

اسم الله وكلوا قالوا ولو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وقول الشافعي في اول الآية وان كان عاما بحسب الصيغة الا ان آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في الذبح كما قال في آخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذي اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما اهل لغير الله به والله اعلم * وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم) يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا افتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركي قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليائهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في خفية (وان اطعتموهم) يعني في اكل الميتة وما حرم الله عليكم (انكم لمشركون) يعني انكم اذا مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيأ مما حرم الله او حرم شيأ مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك * قوله عز وجل (اومن كان ميتا فاحييناه) يعني اومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي به الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى النور العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) يعني وجعلناه نورا يستضيء به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المؤمن بها يعمل (كمن مثله في الظلمات) يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (ليس بخارج منها) يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحييناه واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين او هما عامان في كل مؤمن وكافر فذكروا في ذلك قولين احدهما ان الآية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد بذلك ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع من صيده وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل ابو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم

(تعبدون)

اكثر من في الارض) اي من في الجهة السفلية بالركون الى الدنيا وعالم النفس والطبيعة (يضلوك عن سبيل الله) بتزيينهم زخارفهم عليك ودعوتهم اياك الى ما هم فيه (ان يتبعون الا الظن) لكونهم محجوبين في مقام النفس بالاوهام والخيالات عن اليقين (وان هم الا يخرصون) يخمنون المعاني بالصور والآخرة بالدنيا ويقدرون احوال المعاد وذات الحق وصفاته كاحوال المعاش وذواتهم وصفاتهم فيشركون ويحلون بعض المحرمات (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فكلوا) مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ومالكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير

لقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فأسلم حمزة يومئذ
فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابو جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت
في عمار بن ياسر وابي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وذلك ان ابا جهل
قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا نحن وهم كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه
والله لا نؤمن حتى يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت هذه الآية والقول الثاني وهو قول الحسن في آخرين
ان هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل
دخل فيه كل احد * وقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) قال اهل السنة المزين
هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعي
وحصوله لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين
هو الشيطان ويرده ما تقدم * وقوله تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها) يعني وكما
جعلنا في مكة اكابر وعظماء جعلنا في كل قرية اكابر وعظماء وقيل وهو معطوف على ما قبله ومعناه
كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون
مضافا لانه لا يتم المعنى بل في الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها
اكابر وانما جعل المجرمين اكابر لانهم اقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم
وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم
وجعل فساقهم اكابرهم (ليمكروا فيها) قال ابو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور
زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها
الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم (وما يمكرون
الا بانفسهم) يعني ما يحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون)
يعني ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم * قوله عز وجل (واذا جاءتهم آية قالوا لن
نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله) يعني النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لو كانت النبوة حقا لكنت انا اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله هذه الآية
وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي
رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله هذه
الآية واذا جاءتهم آية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
يعني الوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام اوكل واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الآية التي
قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش
ان قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا
منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قولان احدهما
وهو المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم
وان يكونوا متبوعين لا تابعين القول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى
واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن
نصدقك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل بصدقك بانك

علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
(وذروا) معلوم مما مر في المائدة
ومسبب للنهي عن طاعة
المضلين واتباعهم (ظاهر الاثم)
سيئات الاعمال والاقوال
الظاهرة على الجوارح
(وباطنه ان الذين يكسبون
الاثم سيجزون بما كانوا
يقترفون ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه وانه
لفسق وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجا
دلوكم وان اطعتموهم انكم
لمشركون) العقائد الفاسدة
والعزائم الباطلة (او من كان
ميتا) بالجهل وهو النفس
واحتجابه بصفاتها (فأحييناه)
بالعلم ومحبة الحق او بكشف
حجب صفاته بتجليات صفاتنا
(وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها) من هدايتنا
وعلما اونورا من صفاتنا
او نورا منا بقيوميتنا له بذاتنا
على حسب مراتبه كمن

رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوّة وانما طلبوا ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) يعني انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس باهل لها وانتم لستم لها باهل وان النبوّة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل المعاني الابلغ في تصديق الرسل ان لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى اعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها اليتيم ابي طالب دون ابي جهل والوليد وغيرهما من اكابر قريش ورؤسائها * وقوله تعالى (سيصيب الذين اجرموا صغار) اى ذلة وهوان وقيل الصغار وهو الذل الذى تصغر الى المرء نفسه فيه (عند الله) يعني هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار في الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا (وعذاب شديد) يعني في الآخرة (بما كانوا يمكرون) يعني انما حصل لهم هذه الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون * قوله تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) اى الايمان يقال شرح الله صدره فانشرح اى وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره وشرح المسئلة اذا كانت مشكلة فاوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين احدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا اى فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الآية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له وينشرح صدره لقبوله ويهوّنه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت واسنده الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت * وقوله تعالى (ومن يرد) اى الله (ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده اعرابي من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية

صفته هذا اى هذا القول وهوانه في ظلمات من نفسه وصفاتها وافعالها ليس بخارج منها (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) للمحجوبين عملهم فاحتجبوا به (وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها) للحكمة المذكورة في اعلاء الانبياء وكذا في قرية وجود الانسان التي هي البدن جعلنا أكابر مجرميها من قوى النفس الامارة ليمكروا فيها باضلال القلب وفتنته واغوائه (وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون) لان عاقبة مكرهم راجعة اليهم باحتراقهم بنيران فقدان الآلات والاسباب في جحيم الهوى والحرمان عن اللذات والشهوات وحصول الآلات الجسمانية عند خراب البدن وعند المعاد والبعث في أقبح الصور على

(ولا شيء)

ولاشئ فقال عمر كذلك قلب المنافق لايصل اليه شئ من الخير واصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهى الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لايصل اليها شئ وقرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا احد من بنى بكر قال رجل نعم قال ماالحرجة فيكم قال الوادى الكثير الشجر المستمسك الذى لاطريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعانى لماكان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره فقبل ماأودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذى هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لايعى علما ولااستدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفى الآية دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر * وقوله تعالى (كأنما يصعد فى السماء) يعنى ان الكافر اذا دعى الى الاسلام كأنه قد كلف ان يصعد الى السماء ولايقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء نبوا عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعى الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة فى ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون) الكاف فى كذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس عليهم كجعله صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الرجس عليهم الوجه الثانى قال الزجاج اى مثل ماقصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اى فيسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس مالا خير فيه وفى رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس فى الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب * قوله عز وجل (وهذا صراط ربك مستقيما) يعنى وهذا الذى بينا لك يامحمد فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لااعوجاج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعنى الاسلام وقال ابن مسعود يعنى القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعنى قد فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهى وغير ذلك من احكام القرآن (لقوم يذكرون) يعنى لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة فى قول جميع المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى ودار الجنة ومعنى السلام فى اسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لانه تعالى ذو السلامة من جميع الآفات والنقص فعلى هذا القول اضيفت الدار الى السلام الذى هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبى صلى الله عليه وسلم عبد الله فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا بان اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة فى تعظيم امرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التى لاتنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كأنه قال لهم دار السلامة التى لايلقون فيها شيأ يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى فى وصفها

أسوا الاحوال (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) من صفة قلبية واشراق نورى من هيئة ملكية خلقية أو علم وحكمة وفيض من روح ينكرونها بالاعراض عنها ويتمنون من قبيل الوهم والخيال ادراكات مثل ادراكات العقل والفكر وتركيبات تخيلية ومغالطات وهمية يعارضون بها البراهين الحقة حتى يؤمنوا بها ويذعنوا لها (الله أعلم حيث يجعل رسالته) لايضعها الا مواضعها من القوى الروحانية المجردة من المواد الهيولانية (سيصيب الذين أجرموا) باحتجابهم ومكرهم فى اضلال لهم من استعد للهدى أو اهتدى من القلوب الصافية (صغار عند الله) بزوال قدرتهم وتمكنهم بخراب البدن

ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لايسمعون فيها لغوا الاسلاما وقوله عندربهم يعني ان الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها (وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعني انه تعالى يتولى امرهم وإيصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الآخرة بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا * قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا) اى اذكر يامحمد يوم نحشر المعادلين بالله الاصنام مع اوليائهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة (يامعشر الجن) فيه حذف تقديره يقول لهم يامعشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعني من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لابدله من تأويل آخر لان الجن لايقدرون على اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لانه لايقدر على الاجبار احد الاالله لانه هو المتصرف في خلقه بما شاء فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس (وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فنزل بأرض قفراء وخاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا اسدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن وهو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على انواع الشهوات واصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤسا للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر نادر لايكاد يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه (وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا) يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة (قال) يعني قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار مثواكم) يعني ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها (خالدين فيها) يعني مقيمين في نار جهنم ابدا (الا ماشاء الله) اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها الاقدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات نقلتهم من عذاب الى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة نقلتهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم

(وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) بحرمانهم عما يلائمهم ووصول ماينافيهم في المعاد الجسماني بسبب مكرهم (فمن يرد الله ان يهديه) من هذه القوى للانقياد للعقل (يشرح صدره للاسلام) اى يسهل عليه ويجعل وجهه الذي يلي القلب ذا نتوء وسعة لقبول نوره وتمكنا من استسلامه له (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا) يعسر عليه ويعجزه عن ذلك (حرجا) ذا ظلمة وقصور استعداد عن قبول النور كأنما يزاول امرا ممتنعا في الاستنارة بنور القلب وطلب الفيض منه على هذا التأويل الذي ذكرناه وعلى المعنى الظاهر المراد من الاية السابقة فمن يرد الله ان يهديه للتوحيد يشرح صدره بقبول نور الحق واسلام الوجود الى الله بكشف

فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل تكون مافى قوله الاماشاء الله بمعنى من يعنى الامن شاءالله ونقل الطبرى عن ابن عباس انه كان يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل امر هؤلاء القوم فى مبلغ عذابهم الى مشيئته قال فى هذا الآية انه لا ينبغى لاحد ان يحكم على الله فى خلقه ان لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول الاول اولى لان معنى الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ماشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم (ان ربك حكيم) يعنى فى تدبير خلقه وتصريفه اياهم فى مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصى وفى سائر وجوه المجازاة (عليم) يعنى بعواقب امور خلقه وماهم اليه صائرون كانه قال انما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود فى النار لعلمى بأنهم يستحقون ذلك* قوله عز وجل (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) الكاف فى وكذلك كاف التشبيه تقتضى شيأ تقدم ذكره فالتقدير كما انزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولى بعض الظالمين بعضا اى نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء فى الاثر من اعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم اولياء بعض فالمؤمن ولى المؤمن حيث كان واين كان والكافر ولى الكافر حيث كان واين كان وفى رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا فى النار من الموالاة وقيل معناه نولى ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعنى نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس فى تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمن اراد ان يتخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم * وقوله تعالى (بما كانوا يكسبون) يعنى يسلط عليهم من يظلمهم بسبب اعمالهم الخبيثة التى اكتسبوها * قوله (يامعشر الجن والانس) المعشر كل جماعة امرهم واحد والجمع معاشر (الم يأتكم رسل منكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل ام لا فذهب اكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسل منكم يعنى من احدكم وهم الانس لحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع فى قوله مرج البحرين وهو جائز فى كل مااتفق فى اصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى احد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور اهل العلم قال الواحدى وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد انبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن انبياء وذهب قوم الى انه ارسل الى الجن رسلا منهم كما ارسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية يدل على ذلك لانه قال تعالى الم يأتكم رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله تعالى قال يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضى كون الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع واذا كان الرسل من الانس كان الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع وكان هذا القول اولى من حمل لفظ الآية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل ايضا ان يقال ان كافة

جب صفات نفسه عن وجه قلبه الذى يلى النفس فيفسح لقبول نور الحق ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا باستيلائها عليه ضغطها له (كأنما يصعد فى السماء) فى سماء روحه مع تلك الهيات البدنية وذلك أمر محال (كذلك يجعل الله الرجس) رجس التلوث بلوث التعلقات المادية أو رجس التعذب بالهيآت البدنية (على الذين لا يؤمنون وهذا) اى طريق التوحيد واسلام الوجه الى الله (صراط ربك مستقيما) لا اعوجاج فيه بوجه من الوجوه يميل الى جانب الصورة الى جانب المعنى او الى النظر الى الغير والشرك به (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) المعارف والحقائق التى هى مركوزة فى استعدادهم فيتدبروا بها (لهم دار السلام)

الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقى الداعية فى قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس ثم يأتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فكان اولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وابو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده واسرار كتابه * وقوله تعالى (يقصون عليكم آياتى) يعنى يخبرونكم بما اوحى اليهم من آياتى الدالة على توحيدى وتصديق رسلى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وهو يوم القيامة ولذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ ما اخبر فى كتابه وهو قوله تعالى يامعشر الجن والانس الآية فيجيبون بما اخبر عنهم فى قوله تعالى (قالوا) يعنى كفار الجن والانس (شهدنا على انفسنا) اعترفوا بأن الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذروهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) فى الدنيا فان قلت كيف اقروا على انفسهم بالكفر فى هذه الاية وجحدوا الشرك والكفر فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا راوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على انفسهم قلت شهادتهم الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفى قوله وشهدوا على انفسهم ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذتها فكانت عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجر لهم عن الكفر والمعاصى * قوله عز وجل (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذى قصصنا عليك من امر الرسل وامر عذاب من كذبهم (ان لم يكن ربك) يعنى لانه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال الكلبى معناه لم يكن يهلكهم بذنوبهم من قبل ان تأتيهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه (واهلها غافلون) اى وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التى عملوها وعلى قول الفراء انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه فى شئ من افعاله غير انه اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسول ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه * قوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) يعنى ولكل عامل بطاعة الله او بمعصيته درجات يعنى منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها فى الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا انما يكون فى الثواب والعقاب على قدر اعمالهم

السلامة من كل نقص وآفة وخوف ظهور صفة ووجود بقية (عند ربهم) فى حضرة صفاته او حضرة ذاته (وهو وليهم بما كانوا يعملون) بعطيهم محبته وكماله ويدخلهم فى ظل صفاته ويجعلهم فى امانه بالبقاء السرمدى بعد فناء حدثانهم بسبب اعمالهم القلبية والقالبية فى سلوكهم (ويوم نحشرهم) فى يوم عين الجمع المطلق (جميعا) قلنا (يامعشر الجن) جن القوى النفسانية (قد استكثرتم من الانس) اى من الحواس والاعضاء الظاهرة او من الصور الانسانية بان جعلتموهم اتباعكم واهل طاعتكم اياهم وتسويلكم وتزيينكم الحطام الدنيوية واللذات الجسمانية عليهم ووسوستكم اياهم بالمعاصى (وقال اولياؤهم من الانس) الذين تولوهم (ربنا استمتع

(فى الدنيا)

فى الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لايليق الابهم * وقوله تعالى (وماربك بغافل عما يعملون) مختص باهل الكفر والمعاصى ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاوّل اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصى وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله ومايليق به من ثواب اوعقاب * قوله عز وجل (وربك الغنى) يعنى عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة اومعصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع اومنتقص بمعصية العاصى بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذوالرحمة) قال ابن عباس بأوليائه واهل طاعته وقال الكلبى بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون (ان يشأ يذهبكم) يعنى يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف) يعنى وينشئ ويخلق (من بعدكم) يعنى من بعد اهلاككم (مايشاء) يعنى خلقا غيركم امثل واطوع منكم (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اختلفت عبارات المفسرين فى هذه اللفظة فقال البغوى يعنى آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدى وصاحب الكشاف يعنى من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازى فى قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعنى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لايكون الا على طريق البدل من فائت واما قوله مايشاء فالمراد منه خلق ثالث اورابع واختلوا فيه فقال بعضهم خلقا آخر من امثال الجن والانس قال القاضى وهو الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق فمتى كل خلق ثالث ورابع يكون اقوى فى دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التى هى الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته لهؤلاء الاقوام الحاضرين ابقاهم وامهلهم ولوشاء لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوّة قدرته على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لهذا آخر كلامه وقال الطبرى فى قوله كما انشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا يعنى مكان الدينار ثوبا لا ان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما انشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم انشؤا من اصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ماذكرنا انهم انشؤا مكان قوم آخرين قداهلكوا قبلهم * قوله تعالى (ان ماتوعدون) به من مجئ الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة (لآت) يعنى انه كائن قريب (وماانتم بمعجزين) يعنى بفائتين حيثما كنتم يدرككم الموت (قل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يامحمد (ياقوم) اى قل لقومك من كفار قريش (اعملوا على مكانتكم) وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة

بعضنا ببعض) بانتفاع كل منافق بصورة الجمعية بالآخر (و) قد (بلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) بالموت اوبالمعاد الجسمانىّ على اقبح الصور واسوا العيش (قال النار) نار الحرمان عن اللذات ووجد ان الآلام (مثواكم خالدين فيها الا) وقت (ماشاء الله) ان تخفف اوينجى منكم من لايكون سبب تعذبه شركا راسخا فى اعتقاده (انّ ربك حكيم) لايعذبكم الابهيآت نفوسكم التى كسبتم على ماتقتضيه الحكمة (عليم) بمن يتعذب باعتقاده فيدوم عذابه اوبهيآت سيآت اعماله فيعذب على حسبها ثم ينجو منه (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) اى مثل ذلك الجعل العظيم الهائل نجعل بعضهم ولى بعض بتوافق مكاسبهم وتناسبها فيتوالون ويحشرون معا فى العذاب كالجنّ والانس الذين ذكرناهم اونجعل بعضهم والى بعض بتعذيبه بمكسوباته فى النار (يامعشر الجنّ والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى

اذا تمكن ابلغ التمكن و بمعنى المكان يقال مكان و مكانة كما يقال مقام و مقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل ان يكون معناه اعملو على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التى انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله مكانتك يافلان اى اثبت على ماانت عليه لاتتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم (انى عامل) يعنى انى عامل على مكانتى التى انا عليها وماامرنى به ربى والمعنى اثبتوا على ماانتم عليه من الكفر والعداوة فانى ثابت على الاسلام والمصابرة * فان قلت ظاهر الآية يدل على امر الكفار بالاقامة على ماهم عليه من الكفر وذلك لايجوز * قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة فى الزجر عماهم عليه من الكفر فكأنه قال اقيموا على ماانتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ماشئتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم فى عمل ماارادوه من الكفر والمعاصى * وقوله تعالى (فسوف تعلمون) يعنى لمن تكون العاقبة المحمودة لنا اولكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم اينا كان على الحق فى عمله نحن امانتم (من تكون له عاقبة الدار) يعنى فسوف تعلمون غدا فى القيامة لمن تكون عاقبة الدار وهى الجنة (انه لايفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لايسعد من كفر بى واشرك * ثم فى هذه الآية قولان احدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثانى انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال * قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه فى الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعنى مما خلق من الحرث يعنى الزرع والثمر والانعام يعنى ومن الانعام وهى الابل والبقر والغنم نصيبا يعنى قسما وجزأ قال المفسرون كان المشركون فى الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وانعامهم وسائر اموالهم نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شئ مما جعلوه لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شئ من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شئ مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شئ مما جعلوه للاوثان جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا (فقالوا هذا لله بزعمهم) يعنى قولهم الذى هو بغير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولذلك لايجئ الا فى موضع ذم لقائليه وانما نسبوا الى الكذب فى قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لاضافتهم نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم (وهذا لشركائنا) يعنى الاصنام وانما سموا الاصنام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها (فما كان لشركائهم) يعنى ماجعلوه لها من الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) يعنى فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) والمعنى انهم كانوا يقرون ماجعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يقرون مما جعلوه لله ماجعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اى قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله واكلوا منه ووفروا ماجعلوه لشركائهم

ويندرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) من البشر الذين هم جنسكم وعلى التأويل المذكورة من عقولكم التى هى قوى من جنسكم وهذه الاسئلة والاجوبة والشهادت كلها بلسان الحال واظهار الاوصاف كما قيل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال الوتد سل من يدقنى وكشهادة الايدى والارجل بصورها التى تناسب هيآت افعالها وتعذيبها (ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) اشارة الى ارسال الرسل وتبيين الآيات والزام الحجة بالانذار والتهديد اى الامر ذلك لان ربك لم يكن مهلك القرى على غفلتهم ظالما لانه ينافى الحكمة (ولكل درجات مما عملوا وماربك بغافل عما تعملون وربك الغنى ذوالرحمة) فى القرب والبعد من اعمالهم التى عملوها (ان يشأ يذهبكم) بفناء عينكم (ويستخلف من بعدكم) من اهل طاعته

ولم يأكلوا منه شيأ وقال الحسن والسدى كانوا اذا هلك ماجعلوه لشركائهم اخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء مايحكمون) يعنى بئس مايحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله تعالى فى الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزأ من المال وهى لاتملك ولاتخلق ولاتضر ولاتنفع نسبوا الى الاساءة فى الحكم والمقصود من ذلك بيان ماكانوا عليه فى الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التى لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل *قوله عز وجل (وكذلك) عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا يعنى كما فعلوا ذلك جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل اولادهم شركاؤهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم ولشركائهم نصيبا فى غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله فى استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل اولادهم فى نهاية الجهالة ايضا فكأنه قال ومثل ذلك الذى فعلوه فى القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك (زين) يعنى حسن (لكثير من المشركين قتل اولادهم) يعنى به واد البنات احياء مخافة الفقر والعيلة (شركاؤهم) يعنى شياطينهم امروهم ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله فى وجوب طاعتهم واضيف الشركاء الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبى شركاؤهم سدنة آلهتهم يعنى خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل فى الجاهلية يقوم فيحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن آخرهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الاصنام سموا شركاء لانهم اشركوهم فى الطاعة (ليردوهم) يعنى ليهلكوهم بذلك الفعل الذى امروهم به والارداء فى اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم فى النار (وليلبسوا عليهم دينهم) يعنى وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك فى دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذى كان عليه اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم (ولو شاء الله مافعلوه) يعنى ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذى زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله عز وجل ان جميع الاشياء بمشيئته وارادته اذ لو لم يشا مافعلوا ذلك (فذرهم) يعنى فاتركهم يامحمد (ومايفترون) يعنى ومايختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد * قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (هذه انعام وحرث حجر) اى حرام واصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون اشياء من انعامهم وحروثهم لآلهتهم قال مجاهد يعنى بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى (لايطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعنى يأكلها خدام الاصنام والرجال دون النساء (وانعام حرمت ظهورها) يعنى الحوامى وهى الانعام التى حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لايركبونها (وانعام لايذكرون اسم الله عليها) يعنى لايذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل معناه لايحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعنى انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيجزيهم بما

برحمته (مايشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ماتوعدون لآت وماانتم بمعجزين قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم ومايفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لايطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازوجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله

قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة اودما مسفوحا اولحم خنزير فانه رجس اوفسقا اهل لغير الله به فمن اضطر

كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم على الله الكذب * قوله عز وجل (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) يعنى نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبى اراد اجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنساء جميعا وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) ودخلت الهاء فى خالصة للتأكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث الانعام لان ما فى بطونها مثلها فانث بتأنيثها وقال الكسائى خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تانيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما فى هذه الآية فانه انث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ (سيجزيهم وصفهم) يعنى سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب (انه حكيم عليم) فيه وعيد وتهديد يعنى انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم * قوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضى الرجل على ان يستحيى جارية ويئد اخرى فاذا كانت الجارية التى توأد غدا الرجل اوراح من عند امرأته وقال لها انت على كظهر امى ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها فى الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها بينهن حتى اذا ابصرته راجعا دستها فى حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل الجاهلية كان احدهم يقتل ابنه مخافة السبى والفاقة ويغذو كلبه اماسبب الخسران المذكور فى قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل فى ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر فى الدنيا والآخرة اما خسارته فى الدنيا فقد سعى فى نقص عدده وازالة ما انعم الله به عليه واما خسارته فى الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعنى فعلوا ذلك للسفاهة وهى الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا بالجاهلية * وقوله تعالى (وحرموا ما رزقهم الله) يعنى البحائر والسوائب والحامى وبعض الحروث وبعض ما فى بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهالة (افتراء على الله) يعنى انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا ان الله امرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا ايضا من اعظم الجهالة لان الجراءة على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب واكبر الكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعنى فى فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) يعنى الى طريق الحق والصواب فى فعلهم (خ) عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين * قوله عز وجل (وهو الذى انشأ جنات معروشات) يعنى والله الذى ابتدع وخلق جنات يعنى بساتين معروشات (وغير معروشات) يعنى مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش فى اللغة شئ مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا فى معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع

وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه مايعرش ومنه مالم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ماغرسه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هوما انبته الله في البرارى والجبال من كرم اوشجر (والنخل والزرع) يعنى وانشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التى تقتات وتدخر (مختلفا اكله) يعنى به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردئ ونحو ذلك (والزيتون والرمان متشابها) يعنى في المنظر (وغير متشابه) يعنى في المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة في الجنس والطعم (كلوا من ثمره اذا اثمر) لماذكر ما انعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ماهو المقصود الاصلى وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد الى غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل ان يحرم على المالك ان يأكل منها شيأ قبل اخراج الواجب فيها لمكان شركة الفقراء والمساكين معه فاباح الله ان يأكل قبل اخراجه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشياء التى انعم الله بها على عباده هو الاكل (وآتوا حقه يوم حصاده) يعنى يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المأمور باخراجه فقال ابن عباس وانس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وآتوا حقه يوم حصاده اى من الصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائحة اوسقاه النيل والندى اوكان بعلا العشر كاملا وان سقى بنضح اوسانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة اوالزرع وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفى رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر * فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وآتوا حقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة * قلت ذكر ابن الجوزى في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روى عن ابن عباس انه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ماسقط من الزرع والثمر وهذا قول على بن الحسن وعطاء ومجاهد وحماد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيؤن بالعذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا النخل يجيؤن بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجئ المسكين فيضربه بعصاه فاسقط منه اكله فعلى هذا القول هل هذا الامر امر وجوب اواستحباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا بآية الزكاة وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابى هل على غيرها قال الا ان تطوع والقول الثانى انه امر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن

غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما اوالحوايا اوما اختلط بعظم ذلك) اى تحريم الطيبات عليهم جزاء (جزيناهم ببغيهم) بظلمهم (وانا لصادقون) في ايعادهم بجزاء الظلم (فان كذبوك) بان الله واسع المغفرة فلا يعذبنا بظلمنا (فقل) بلى (ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه) ولكنه ذو قهر شديد فلا ترد رحمته بأسه (عن القوم المجرمين) بل ربما اودع قهره في صورة لطفه ولطفه في صورة قهره (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله مااشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم) اى كذب المشركون الرسل من قبلهم بتعليق كفرهم بمشيئة الله عنادا وعتوا فعذبوا بكفرهم (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون) اى ان كان لكم علم بذلك وحجة فبينوا وانما قال ذلك

واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي القول الاول وصححاه * فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف * قلت معناه قدروا اداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا انه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه ※ وقوله تعالى (ولا تسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيا فانزل الله هذه الآية ولا تسرفوا وقال السدي معناه لا تعطوا اموالكم وتقعدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيأ فقد اسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله تعالى ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهى ان يأخذ من رب المال فوق الذي الزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا اي لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس ※ وقوله تعالى (انه لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شئ لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار ※ قوله تعالى (ومن الانعام) يعني وانشأ من الانعام (حمولة) وهي كل ما يحمل عليها من الابل (وفرشا) يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هي الكبار من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في رواية اخرى عنه ذكرها الطبري اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شئ يحمل عليه واما الفرش فالغنم وقال الربيع بن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضأن فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمى فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره (كلوا مما رزقكم الله) يعني كلوا مما احله الله لكم من هذه الانعام والحرث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام كما فعله اهل الجاهلية (انه) يعني الشيطان (لكم عدو مبين) يعني انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل (ثمانية ازواج) يعني وانشأ من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية اصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج (من الضأن اثنين) يعني الذكر والانثى والضأن

اشارة الى قولهم لو شاء الله ما اشركنا لانهم لو قالوا ذلك من علم لعلموا ان ايمان الموحدين وكل شئ لا يقع الا بارادة الله فلم يعادوهم ولم ينكروهم بل والوهم ولم يبق بينهم وبين المؤمنين خلاف ولعمري انهم لو قالوا ذلك عن علم لما كانوا مشركين بل كانوا موحدين ولكنهم اتبعوا الظن في ذلك وبنوا على التقدير والتخمين لغرض التكذيب والعناد وعلى ما سمعوا من الرسل الزاما لهم واسكاتا لعدم امتناعهم عن الرسل لانهم محجوبون في مقام النفس واني لهم اليقين ومن اين لهم الاطلاع على مشيئة الله (قل فلله الحجة البالغة) اي ان كان ظنكم صدقا في تعليق شرككم بمشيئة الله فليس لكم حجة على المؤمنين وعلى غيركم من اهل دين لكون كل دين حينئذ بمشيئة الله فيجب ان تواتفقوهم وتصدقوهم بل لله الحجة عليكم في وجوب تصديقهم واقراركم بانكم اشركتم بمن لا يقع امر الا بارادته ما لا ارادة له اصلا فانتم اشقياء في الازل

ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز اثنين) يعنى الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى (قل آ الذكرين حرم ام الانثيين) استفهام انكار اى قل يامحمد لهؤلاء الجهلة آ الذكرين من الضأن والمعز حرم عليكم ام الانثيين منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل اناثهما حرام (ام مااشتملت عليه ارحام الانثيين) يعنى ام حرم مااشتملت عليه ارحام الانثيين من الضأن والمعز فانها لاتشتمل الا على ذكر او انثى (نبئونى) اى اخبرونى وفسروا لى ماحرمتم (بعلم ان كنتم صادقين) يعنى ان الله حرم ذلك عليكم (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) وهذه اربعة ازواج اخر بقية الثمانية (قل آ الذكرين حرم ام الانثيين ام مااشتملت عليه ارحام الانثيين) وتفسير هذه الآية نحو ماتقدم وفى هاتين الآيتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم مالم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما اخبر الله عنهم فى كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمى فقال يامحمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لمالك يامالك ألا تتكلم فقال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغى ان يحرم الكل لان الرحم لايشتمل الا على ذكر او انثى واما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ماقالوه من ذلك واضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيأ من ذلك وانهم اتبعوا فى ذلك اهواءهم وخالفوا امر ربهم * وذكر الامام فخر الدين فى معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ماورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعنى انكم لاتقرون بنبوة نبى ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثانى انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهى الضأن والمعز والبقر والابل فلما لم تحكموا بهذه الاحكام فى هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة * قوله تعالى (ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا) يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ماحرموا على انفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لاتقرون بنبوة احد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لامستند لهم فى ذلك قال تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم)

مستحقون للبعد والعقاب (فلو شاء لهداكم اجمعين) اى بلى صدقتم ولكن كما شاء كفركم لو شاء لهداكم كلكم فبأى شئ علمتم انه لم يشأ هدايتكم حتى اصررتم وهذا تهييج لمن عسى ان يكون له استعداد منهم فيقمع ويهتدى فيرجع عن الشرك ويؤمن (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لايؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم) لما ثبت ان المشركين فى التحريم والتحليل يتبعون اهواءهم اذ الشرك فى نفسه ليس الا عبادة الهوى والشيطان فلما احتجبوا بصفات النفس عن صفات الحق وامروا عليهم الهوى وعبدوه اطاعوا اوامره

يعنى فمن اشد ظلما وابعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم مالم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصدّهم عن سبيل الله جهلا منه اذ ليس هو على بصيرة وعلم فى ذلك الذى ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله امرنا بهذا قيل اراد به عمرو بن لحى لانه اول من بحر البحائر وسيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل فى هذا الوعيد كل من كان على طريقته او ابتدع شيأ لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل فى دين الله ماليس فيه فهو داخل فى هذا الوعيد (ان الله لايهدى القوم الظالمين) يعنى ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه مالم يشرعه لعباده ❊ قوله عز وجل (قل لا احد فيما اوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه) اعلم انه لما بين الله تعالى فساد طريقة اهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحليل والتحريم من عند انفسهم واتباع اهوائهم فيما احلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح فى ذلك وبين ان التحريم والتحليل لايكون الا بوحى سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحى الىّ وقيل انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرما يعنى شيأ محرما على طاعم يطعمه يعنى على آكل يأكله (الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا) يعنى سائلا مصبوبا (او لحم خنزير فانه رجس) اى نجس (او فسقا اهل لغير الله به) يعنى ماذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى فى هذه الآية ان التحريم والتحليل لايكون الا بوحى منه وان المحرمات محصورة فى الاربعة الاشياء المذكورة فى هذه الآية وهى الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وماذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة فى ان التحريم لايخرج من هذه الاربعة وذلك انه ثبت انه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحى وثبت ان الله تعالى نص فى هذه الآية على هذه الاربعة الاشيا ولهذا اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لايحرم شئ من سائر المطعومات والحيوان الا ماذكر فى هذه الآية روى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لايدخله النسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت مكية لكن يعضدها آية مدنية وهى قوله تعالى فى سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهلّ به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية فى الحكم وذهب جمهور العلماء الى ان هذا التحريم لايختص بهذه الاشياء المنصوص عليها فى هذه الآية فان المحرم بنص الكتاب هو ماذكر فى هذه الآية وقد حرمت السنة اشياء فوجب القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام ابن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ولابى داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لايحل لكم الحمار الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه

ونواهيه فى التحريم والتحليل بين ان التحريم والتحليل المتبع فيهما امر الله تعالى ماهما ولما كان الكلام معهم فى تحريم الطيبات عدّد المحرمات ليستدل بها على المحللات فحصر جميع انواع الفضائل بالنهى عن اجناس الرذائل وابتدأ بالنهى عن رذيلة القوّة النطقية التى هى اشرفها فان رذيلتها اكبر الكبائر مستلزمة لجميع الرذائل بخلاف رذيلة اخويها من القوّتين البهيمية والسبعية فقال (الا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) اذ الشرك من خطئها فى النظر وقصورها عن استعمال

عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية يأكلون اشياء ويتركون اشياء تقذرا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو وتلا قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية اخرجه ابوداود (م) عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحوم الحمر الاهلية (ق) عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن فى الخيل وفى رواية اكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل الهر واكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال واباح اكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل فى ذلك عند الشافعى ان كل مالم يرد فيه نص بتحريم او تحليل فما كان امر الشرع بقتله كما ورد فى الصحيح خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم وهى الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب العقور وروى عن سعد بن ابى وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ اخرجه البخارى ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد اخرجه ابوداود فهذا كله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا يأكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير ما يحل ويحرم من المطعومات * واما الجواب عن هذه الآية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون المعنى لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما اوحى الىّ فى هذه الآية الوجه الثانى ان يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه فى هذه الآية ثم حرم بعد نزولها اشياء اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد فى السنة الوجه الرابع ان ما ذكر فى هذه الآية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد فى السنة من المحرمات والله اعلم * (بقى فى الآية احكام) * فى قوله تعالى اودما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان فى حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن جدير سألت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعى لا بأس بالدم فى عرق او مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود * وقوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) لما بين الله المحرمات فى هذه الآية اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغى ولا عدوان * وفى قوله (فان ربك غفور رحيم) دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار * قوله تعالى (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا كل ذى ظفر) قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبى هو كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعنى شحم الجوف وهى الثروب

العقل ودرك البرهان وعقبه باحسان الوالدين اذ معرفة حقوقهما تتلو معرفة الله فى الايجاد والربوبية لانهما سببان قريبان فى الوجود والتربية وواسطتان جعلهما الله تعالى مظهرين لصفتى ايجاده وربوبيته ولهذا قال من اطاع الله ورسوله فعقوقهما يلى الشرك ولا يقع الجهل بحقوقهما الا عن الجهل بحقوق الله تعالى ومعرفة صفاته ثم بالنهى عن قتل الاولاد خشية الفقر فان ارتكاب ذلك لا يكون الا عن الجهل والعمى عن تسبيبه تعالى الرزق لكل مخلوق وان ارزاق العباد بيده يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر والاحتجاب عن سر القدر فلا يعلم ان الارزاق مقدرة بازاء الاعمال كتقدير الآجال فاولاها لا تقع الا من خطئها فى معرفة ذات الله تعالى والثانية من خطئها فى معرفة صفاته والثالثة من معرفة افعاله ولا يرتكب هذه الرذائل الثلاث الا منكوس محجوب عن ذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهذا الحجب ام

وشحم الكليتين (الاماحملت ظهورهما) يعني الاماعلق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدى وابو صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية (اوالحوايا) وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بعض الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود (اوما اختلط بعظم) يعني من شحم الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والراس والعين فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم شحم الثرب وشحم الكلية وماعدا ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يارسول الله ارايت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لاهو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومهما جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه يقال اجملت الشحم وجملته اذا اذبته وجملته اكثر وافصح * وقوله تعالى (ذلك جزيناهم) اى ذلك التحريم جزيناهم عقوبة (ببغيهم) يعنى بسبب بغيهم وظلمهم وهو قتل الانبياء واخذ الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) يعني في الاخبار عن بغيهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم (فان كذبوك) يعنى فان كذبك اليهود يامحمد فيما اخبرناك انا حرمنا عليهم واحللنا لهم مما بيناه في هذه الآية المتقدمة (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يعني بتأخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسئ والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من كفر به او عصاه (ولا يرد بأسه) يعني ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتهما (عن القوم المجرمين) يعنى الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود * وقوله عزوجل (سيقول الذين اشركوا) لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ماكانوا عليه من الشرك بالله وتحريم مالم يحرمه الله اخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين اشركوا يعني مشركى قريش والعرب (لوشاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا) يعنى من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لوشاء الله ما اشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لانفعله فلولا انه رضى ما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك (ولا حرمنا من شئ) يعنى ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عزوجل رداو تكذيبا لهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء (حتى ذاقوا بأسنا) يعني عذابنا * (فصل) * استدل القدرية والمعتزلة بهذه الآية فقالوا ان القوم لما قالوا لوشاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لوشاء الله منا ان لانشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا واجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لوشاء الله ما اشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لوشاء الله ما اشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله امرنا به ورضى ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها فرد الله

الرذائل واساسها ثم بين رذيلة القوة البهيمية لان رذيلتها اظهر واقدم فقال (ولاتقربوا الفواحش) من الاعمال القبيحة الشنيعة عند العقل (ماظهر منها) كالزنا في الحانات وشرب الخمر واكل الربا (ومابطن) كقصد هذه الفواحش المذكورة ونيتها والهم بها واخفائها كالسرقة وارتكاب المحظورات في الخفية ثم اشار الى رذيلة القوة السبعية بقوله (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) اى بالقصاص والكفر وختم الكلام بقوله (ذلكم) اى الاجتناب عن اجناس رذائل النفوس الثلاث (وصاكم به لعلكم تعقلون) اى لاتجتنبها الا العقلاء اومن ارتكبها فلا عقل له ثم اراد ان يبين ان الرذائل الثلاث مستلزمة باجتماعها رذيلة الجور التى هى اعظمها وجامعها كما ان فضائلها تستلزم العدالة التى هى كمالها والشاملة لها فقال (ولاتقربوا مال اليتيم) بوجه من الوجوه (الابالتى هى احسن) الا بالخصلة التى هى احسن

تعالى عليهم بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والدليل ان التكذيب فى قولهم ان الله امرنا بهذا ورضيه
منا لا فى قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله
عن كذبهم فى قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان نسبهم
الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة
بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما
يقولون وقيل فى معنى الآية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما اشركنا
الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم فى ترك الايمان والرد عليهم فى ذلك ان امر الله
بمعزل عن مشيئته وارادته فان الله تعالى مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد فعلى العبد ان
يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد عليه فى فعله فهو تعالى يشاء
الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويأمره بالايمان وورود
الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى
فى شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى
فى كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله اعلم * وقوله تعالى (قل هل عندكم من علم) اى قل
يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما اشركنا ولكنه رضى ما نحن عليه من الشرك هل
عندكم يعنى بدعواكم ما تدعون من علم يعنى من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم (فتخرجوه لنا)
يعنى فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته
فى العقول (ان تتبعون الا الظن) يعنى فيما انتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون
انكم على حق وانما هو باطل (وان انتم الا تخرصون) يعنى وما انتم فى ذلك كله الا تكذبون
وتقولون على الله الباطل * وقوله تعالى (قل فلله الحجة البالغة) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين حين
عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم فلله الحجة البالغة يعنى التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال
الرسل قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده
(فلو شاء لهداكم اجمعين) يعنى فلو شاء الله لوفقكم اجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل
على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون) يعنى هاتوا وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشئ يستوى فيه الواحد والاثنان
والجمع والذكر والانثى وفيه لغة اخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمى
واللغة الاولى افصح (ان الله حرم هذا) وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الكافرين على
تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه
من عند انفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين فى شهادتهم
فلا تشهد انت يا محمد معهم لانهم فى شهادتهم كاذبون (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) يعنى ان
وقع منهم شهادة فانما هى باتباع الهوى فلا تتبع انت يا محمد اهواءهم ولكن اتبع ما اوحى اليك من كتابى
الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون بالآخرة) اى ولا تتبع اهواء
الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم بربهم يعدلون) يعنى يشركون * قوله عز وجل (قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم) عليكم لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه على

من حفظه وتثميره (حتى
يبلغ اشده) فينتفع به
لا بالاكل والانفاق فى مآربكم
والاتلاف فانه افحش ولما
بين تحريم اجناس الرذائل
الاربع باسرها على التفصيل
امر بايجاب الفضائل
الاربع بالاجمال اذ تفصيل
الرذائل يغنى عن تفصيل
مقابلاتها وذلك انها مندرجة
باسرها فى العدالة فامر بها
فى جميع الوجوه فعلا وقولا
وقال (واوفوا الكيل
والميزان بالقسط لا نكلف
نفسا الا وسعها) اى
حافظوا على العدل فيما
بينكم وبين الخلق مطلقا
(واذا قلتم فاعدلوا) اى
لا تقولوا الا الحق (ولو كان)
المقول فيه (ذا قربى) فلا
تميلوا فى القول له او عليه
الى زيادة او نقصان (وبعهد الله
اوفوا) اى بالتوحيد
والطاعة وكل ما بينكم
وبين الله من لوازم العهد
السابق بالعقد اللاحق ولما
كان سلوك طريقة الفضيلة
التى هى طريقة الوحدة
والتوجه الى الحق صعبا

انفسهم فكانهم سألوا وقالوا اىّ شئ حرم الله فامر الله عزوجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا * تعال من الخاص الذى صار عاما واصله ان يقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل اصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى مافيه رفعة وشرف ثم كثر فى الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم اتل عليكم يعنى اقرا ماحرم ربكم عليكم يعنى الذى حرم ربكم عليكم حقا يقينا لاشك فيه ولاظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحى اوحاه الله الىّ (ان لاتشركوا به شيأ) * فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله ان لاتشركوا به شيأ لانه كالتفصيل لما اجمله فى قوله حرم ربكم عليكم وذلك لايجوز * قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لاتشركوا الوجه الثانى ان يكون محله النصب واختلفوا فى وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا وتكون لا صلة وقيل ان حرف لا على اصلها ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك اى لاتشركوا ويكون المعنى اوصيكم ان لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لاتشركوا على الاغراء او بمعنى فرض عليكم ان لاتشركوا به شيأ ومعنى هذا الاشراك الذى حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع مخلوقا فى معصية الخالق او يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولايشرك بعبادة ربه احدا * وقوله عزوجل (وبالوالدين احسانا) اى وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان اعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذى اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيأ ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب فى وجود الانسان ولمالهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك فى حال صغره (ولاتقتلوا اولادكم من املاق) يعنى من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمراد بالقتل وأد البنات وهن احياء فكانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن نرزقكم واياهم) يعنى لاتئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فانى رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال فى امر الرزق على الله عزوجل (ولاتقربوا الفواحش) يعنى الزنا (ماظهر منها ومابطن) يعنى علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا فى العلانية ولايرون به بأسا فى السر فحرم الله تعالى الزنا فى السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم فى جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهى هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وايضا فان السبب اذا كان خاصا لايمنع من حمل اللفظ على العموم * وفى قوله ماظهر منها ومابطن دقيقة وهى ان الانسان اذا احترز عن المعاصى فى الظاهر ولم يحترز منها فى الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما امر به اونهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس وذمهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم

كما قيل ادق من الشعرة واحد من السيف وخصوص فى الافعال اذ مراعاة الوسط فيها بلاميل مالى طرف الافراط والتفريط فى غاية الصعوبة قال بعد قوله واوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا الا وسعها فبين انه جمع فى هذا المقام بين النهى عن جميع الرذائل والامر بجميع الفضائل كلها بحيث لايخرج منها جزئىّ مامن جزئياتها ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنه ان هذه آيات محكمات لم ينسخهنّ شئ من جميع الكتب واتفق على قوله اهل الكتابين وجميع الملل والنحل وقال كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده انها لاوّل شئ فى التوراة (ذلكم) اى ماذكر من وجوب الانتهاء عن جميع الرذائل والاتصاف بجميع الفضائل (وصاكم به) فى جميع الكتب على السنة

ذكرها فى قوله تعالى ولاتقربوا الفواحش وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبائر وقيل انما افرده بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثنى منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالافراد فلذلك قال ولاتقتلوا النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق وهى التى ابيح قتلها من ردة او قصاص او زنا بعد احصان وهو الذى يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل دم امرئ مسلم يشهد ان لااله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ☼ وقوله تعالى (ذلكم) يعنى ماذكر من الاوامر والنواهى المحرمات (وصاكم به) يعنى امركم به واوجبه عليكم (لعلكم تعقلون) يعنى لكى تفهموا مافى هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوابها ☼ قوله تعالى (ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) يعنى ولاتقربوا مال اليتيم الا بمافيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيأ هذا اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصى فقيرا فله ان يأكل بالمعروف (حتى يبلغ اشده) يعنى احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى فى الشباب الى حد الرجال قال الشعبى ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيآت وقال ابو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبى الاشد هو مابين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى اربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدى الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التى نقلت عن المفسرين فى هذه الآية انما هى نهاية الاشد لا ابتداؤه والمراد بالاشد فى هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار فى تفسير هذه الآية ☼ وقوله تعالى (واوفوا الكيل والميزان بالقسط) يعنى بالعدل من غير زيادة ولانقصان (لانكلف نفسا الا وسعها) يعنى طاقتها ومايسعها فى ايفاء الكيل والميزان واتمامه لم يكلف المعطى ان يعطى اكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا باقل من حقه حتى لاتضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لاحرج عليه فيه (واذاقلتم فاعدلوا) يعنى فى الحكم والشهادة (ولو كان ذاقربى) يعنى المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل فى القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير زيادة فيه ولانقصان واداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التى يعتمد فيها العدل والصدق (وبعهد الله اوفوا) يعنى ماعهد الى عباده ووصاهم به واوجبه عليهم او ما اوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به (ذلكم) يعنى الذى ذكر فى هذه الآيات (وصاكم به) يعنى بالعمل به (لعلكم تذكرون) يعنى لعلكم تتعظون وتتذكرون فتأخذون ما امرتكم به ☼ قوله عز وجل (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) يعنى وان هذا الذى وصيتكم به وامرتكم به فى هاتين الآيتين هو صراطى يعنى طريقى ودينى الذى ارتضيته لعبادى مستقيما يعنى قويما لااعوجاج فيه فاتبعوه يعنى فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين فى الآيتين المتقدمتين ماوصى به مفصلا اجمله فى هذه الآية اجمالا يقتضى دخول جميع ماتقدم ذكره فيه ويدخل فيه ايضا جميع احكام الشريعة وكل مابينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين

جميع الرسل (لعلكم تذكرون) عند سماعها ما وهب الله لكم من الكمال واودع استعدادكم فى الازل (وان هذا) اى طريق الفضائل لان منبع الفضيلة هى الوحدة الاترى انها اواسط واعتدالات بين طرفى افراط وتفريط لايمكن سلوكها على التعين بالحقيقة الالمن استقام فى دين الله اليه وايده الله بالتوفيق لسلوك طريق الحق حتى وصل الى الفناء عن صفاته ثم عن ذاته ثم اتصف فى حال البقاء بعد الفناء بصفاته تعالى حتى قام بالله فاستقام فيه وبه فحينئذ يكون صراطه صراط الحق وسيره سير الله (صراطى مستقيما) اى طريق لايسلكها الامن قام بى مستويا غير مائل الى اليمين والشمال لغرض (فاتبعوه ولاتتبعوا السبل) من المذاهب المتفرقة والاديان المختلفة فانها اوضاع وضعها اهل الاحتجاب بالعادات والاهواء اى وضع لهم لئلا يزدادوا ظلـ

وامرهم باتباع جلته وتفصيله (ولاتتبعوا السبل) يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية (ذلكم وصاكم به) يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه (لعلكم تتقون) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات الى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ❊ قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة فان قلت اتيان موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم اخبركم انا آتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليها ❊ وقوله تعالى (تماما على الذي احسن) اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من اي تماما على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن اي اتممنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب اتماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى (وتفصيلا لكل شيء) يعني وفيه بيان لكل شيء يحتاج اليه من شرائع الدين واحكامه (وهدى) يعني وفيه هدى من الضلالة (ورحمة) يعني انزاله عليهم رحمة مني عليهم (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب ❊ قوله عز وجل (وهذا كتاب انزلناه مبارك) يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ (فاتبعوه) يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام (واتقوا) يعني مخالفته (لعلكم ترحمون) يعني ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى (ان تقولوا) يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعني انزلنا اليكم الكتاب كراهية ان تقولوا (انما انزل الكتاب) وقيل يجوز ان تكون ان متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا انما انزل

وعتو او حيرة وروى ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خط خطا فقال هذا سبيل الرشاد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية (فتفرق بكم عن سبيله ذلكم) اي سلوك طريق الوحدة والفضيلة (وصاكم به لعلكم تتقون) السبل المتفرقة بالاجتناب عن مقتضيات الاهواء ودواعي النفوس وتجعلون الله وقاية لكم في ملازمة الفضائل ومجانبة الرذائل (ثم آتينا موسى الكتاب) اي بعد ما وصاكم بسلوك طريق الفضيلة في قديم الدهر آتينا موسى الكتاب (تماما على الذي احسن) او تتميما الكرامة الولاية ونعمة النبوة مزيدا على الذي احسنه موسى من سلوك طريق الكمال وبلوغه الى ما بلغ من مقام المكالمة والقرب بالوجود الموهوب بعد الفناء في الوحدة كما قال تعالى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول

الكتاب والكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) يعنى اليهود والنصارى (وان كنا) اى وقد كنا وقيل وانه كنا (عن دراستهم) يعنى قراءتهم (لغافلين) يعنى لاعلم لنا بما فيها لانها ليست بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القرآن بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف مافيهما فقطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم (او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتقادهم على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم ﴿قال الله عزوجل (فقد جاءكم بينة من ربكم) يعنى هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها (وهدى) يعنى من الضلالة (ورحمة) يعنى وهو رحمة ونعمة انعم الله بها عليكم (فمن اظلم) اى لا احد اظلم واكفر (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) يعنى واعرض عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) يعنى اسوأ العذاب واشده (بما كانوا يصدفون) اى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله ﴿قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هل ينتظر هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدهم عن آيات الله وهو استفهام معناه النفى وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احداها آمنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم (الا ان تأتيهم الملائكة) يعنى لقبض ارواحهم وقيل ان تأتيهم بالعذاب (او يأتى ربك) يعنى للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام فى معنى الآية فى سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجئ والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف (او يأتى بعض آيات ربك) قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض اخرجه مسلم عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله او يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه او قال يسير الراكب فى عرضه اربعين او سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها وفى رواية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا (م) عن حذيفة بن اسيد الغفارى قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال

المؤمنين بالتكميل ودعوة الخلق الى الحق (وتفصيلا لكل شئ) يحتاج اليه الخلق فى المعاد (وهدى) لهم الى ربهم فى سلوك سبيله (ورحمة) عليهم بافاضة كمالاته عليهم بواسطة موسى وكتابه (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) الايمان العلمى او العيانى (وهذا كتاب انزلناه مبارك) بزيادة الهداية الى محض التوحيد والارشاد الى سواء السبيل يهدى باقرب الطرق الى ارفع الدرجات من الكمال (فاتبعوه واتقوا) كل ماسوى الله حتى ذواتكم وصفاتكم (لعلكم ترحمون) رحمة الاستقامة بالله وفى الله بالوجود الموهوب (او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) لقوة استعداداتنا وصفاء اذهاننا ان صدقتم (فقد جاءتكم بينة من ربكم) بيان لكيفية سلوككم (وهدى) الى مقصدكم (ورحمة) بتسهيل طريقكم وتيسيرها الى اشرف الكمالات (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف

قبل ست طلوع الشمس من مغربها او الدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا وروى الطبرى بسنده عن عبدالله بن مسعود فى تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد فى رواية عنه فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا وبسنده عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى فارجعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا تنكر الناس منها شيأ حتى تنتهى فتخر ساجدة فى مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون اى يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خير وبسنده عن ابى ذر قال كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب فى عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيرى بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل ان يأتيكم بعذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدى امر عظيم فاذا اصبحوا فطال عليهم رأت اعينهم طلوع الشمس فبينماهم ينظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لاينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع اهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزى قيل ان الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك لايكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها لما روى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها مالم تخرج احدى ثلاث الدابة او طلوع الشمس من مغربها او يأجوج ومأجوج وروى عن عائشة قالت اذا خرج اول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وروى عن ابى هريرة فى قوله تعالى او يأتى بعض آيات ربك قال هى مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت

فنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة) لتوفى روحهم (او يأتى ربك) بتجليه فى جميع الصفات كما مرت الاشارة اليه من تحول الصورة فى القيامة فلا يعرفه الا الموحدون الكاملون واما اهل المذاهب والملل المختلفة فلا يعرفونه الا فى صورة معتقدهم (او يأتى بعض آيات ربك) تجليه فى بعض الصفات التى لم يعرفوه بها (يوم يأتى بعض آيات ربك) بعض تجلياته التى لم يأنسوا بها او لم يعرفوها (لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) فان الناس اما محجوبون مطلقا او ليسوا كذلك وهم اما مؤمنون لعرفانهم ببعض الصفات او بكلها والمؤمنون به العارفون اياه بكلها اما محبون للذات واما محبون للصفات فاذا تجلى الحق

فى ايمانها خيرا لطلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال فى ذلك ماتظاهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) يعنى لاينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التى تضطرهم الى الايمان والتوبة (او كسبت فى ايمانها خيرا) يعنى اوعملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فامامن آمن من شرك اوتاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو ارسل الله عذابا على امة فآمنوا وصدقوا فانهم لاينفعهم ايمانهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدائد التى تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله (قل انتظروا) يعنى ماوعدتم به من مجئ الآية ففيه وعيد وتهديد (انا منتظرون) يعنى ماوعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة اوقبله فى الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تأخر فى الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا اوظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة ابدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد به الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة ۞ قوله عزوجل (ان الذين فرقوا) وقرئ فارقوا (دينهم وكانوا شيعا) يعنى احزابا متفرقة فى الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قوا فرقوا دينهم يعنى جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السهلة اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرا فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشئ وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شئ واحد فى الحقيقة وهو ان من فرق دينه فآمن ببعض وانكر بعضا فقد فارق دينه فى الحقيقة ثم اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام وقالوا هذه شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدى والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابوهريرة فى هذه الآية هم اهل الضلالة من هذه الامة وروى ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وليسوا منك هم اهل البدع واهل الشبهات واهل الضلالة من هذه الامة اسنده الطبرى فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لايتفرقوا فى الدين ولايبتدعوا البدع المضلة وروى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع والاهواء من هذه الامة ذكره البغوى بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يارسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم

بعض الصفات لاينفع ايمان المحجوبين مطلقا وايمان المؤمنين الذين لم يعرفوه بهذه الصفة من قبل هذا التجلى اذ الايمان انما ينفع اذا صار عقيدة ثابتة راسخة يتمثل بها القلب وتتنور بها النفس وتشاهدها الروح لا الذى يقع عند الاضطرار دفعة (او كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون) كايمان العارفين المحبين للصفات فانهم وان آمنوا به وعرفوا بتجليه بكل الصفات فلم يكتسبوا المحبة الذاتية والكمال المطلق واحبوه ببعض الصفات كالمنعم مثلا او اللطيف او الرحيم فاذا تجلى بصفة المنتقم او القهار او المبلى لم ينفعهم الايمان به اذ لم يطيعوه من قبل هذا الوصف ولم يتمرنوا بتجليه ولم يحبوا الذات فيلتذوا بشهوده فى اى صفة كانت (ان الذين فرّقوا دينهم) اى جعلوا دينهم اهواء متفرّقة كالذين غلبت عليهم صفات النفس بجذبهم هذه الى شئ وهذه الى شئ فحدثت فيهم اهواء مختلفة

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابوداود والترمذى * عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة زاد فى رواية وانه سيخرج فى امتى اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لايبقى منه عرق ولا مفصل الادخله اخرجه ابوداود * عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار الاملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال من كان على ما انا عليه واصحابى اخرجه الترمذى قال الخطابى فى هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجارى تفاعل من الجرى وهو الوقوع فى الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجرى الفرس والكلب قال ابن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا * وقوله تعالى (لست منهم فى شئ) يعنى فى قتال الكفار فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال المراد من الآية اهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم فى شئ اى انت منهم برئ وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست منى اى كل واحد منا برئ من صاحبه (انما امرهم الى الله) يعنى فى الجزاء والمكافأة (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) يعنى اذا وردوا القيامة * قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) يعنى عشر حسنات امثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها) يعنى مثلها فى مقابلتها * واختلفوا فى هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لااله الاالله والسيئة هى الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لامثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر امثالها واجيب عنه بأن جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يجازى على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر امثالها للترغيب فى الايمان لاللتحديد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثانى ان اللفظ عام فى كل حسنة يعملها العبد وسيئة وهذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء فى حسناته الى سبعمائة ويعطى من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى وهو قوله تعالى (وهم لايظلمون) يعنى لاينقص من ثواب الطائع ولايزاد على عذاب العاصى (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن ابى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشى اتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض

فبقوا حيارى لاجهة لهم ولا مقصد (وكانوا شيعا) فرقا مختلفة بحسب غلبة تلك الاهواء يغلب على بعضهم الغضب وعلى بعضهم الشهوة وان دانوا بدين جعلوا دينهم بحسب غلبة هواهم مادة التعصب ومدد استيلاء تلك القوة الغالبة على القلب ولم يتعبدوا الا بعادات وبدع ولم ينقادوا الا لاهواء وخدع يعبد كل منهم الها مجعولا لا فى وهمه مخيلا فى خياله ويجعله سبب الاستطالة والتفرق على الآخر كما نشاهد من اهل المذاهب الظاهرة (لست منهم فى شئ) اى لست من هدايتهم ودعوتهم الى التوحيد فى شئ اذ هم اهل التفرقة والاحتجاب بالكثرة لايجتمع همهم ولايتحد قصدهم (انما امرهم الى الله) فى جزاء تفرقهم لااليك (ثم ينبئهم) عند

خطيئة بعدان لايشرك بى شيألقيته بمثلها مغفرة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدى ان يعمل سيئة فلاتكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلى فاكتبوها له حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمائة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة مالم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشر امثالها واذا تحدث عبدى بان يعمل سيئة فانا اغفرها له مالم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراى زاد الترمذى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ❊ قوله عز وجل (قل) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك (اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) يعنى قل لهم اننى ارشدنى ربى الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذى الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين (دينا قيما) يعنى هدانى صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل ان يكون محمولا على المعنى تقديره وعرفنى دينا قيما يعنى دينا مستقيما لااعوجاج فيه ولازيغ وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشى ومعادى وقيل هو من قام وهو ابلغ من القائم (ملة ابراهيم) والملة بالكسر الدين والشريعة يعنى هدانى وعرفنى دين ابراهيم وشريعته (حنيفا) الاصل فى الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل من اختتن اوحج حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعنى ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين وممن يعبد الاصنام (قل ان صلاتى) اى قل يا محمد ان صلاتى (ونسكى) قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدى اراد بالنسك فى هذا الموضع الذبيحة فى الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل المناسك اعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابى قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفى قوله ان صلاتى ونسكى دليل على ان جميع العبادات يؤديها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله لله رب العالمين لاشريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لاتؤدى الا على وجه التمام والكمال لان ما كان لله لاينبغى ان يكون الا كاملا تاما مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولا (ومحياى ومماتى) اى حياتى وموتى بخلق الله وقضائه وقدره اى هو يحيينى ويميتنى وقيل معناه ان محياى بالعمل الصالح ومماتى اذا مت على الايمان لله وقيل معناه ان طاعتى فى حياتى لله وجزائى بعد مماتى من الله وحاصل هذا الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وهو المراد بقوله (لله رب العالمين لاشريك له) يعنى فى العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر افعاله لايشاركه فيها احد من خلقه (وبذلك امرت) يعنى قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت (وانا اول المسلمين) قال قتادة يعنى من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضائه وقدره ❊ قوله عز وجل

ظهورهيات نفوسهم المختلفة والاهواء المتفرقة عليهم بمفارقة الابدان (بما كانوا يفعلون) من السيئات (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) هذا اقل درجات الثواب وذلك ان الحسنة تصدر بظهور القلب والسيئة بظهور النفس فاقل درجات ثوابها انه يصل الى مقام القلب الذى يتلو مقام النفس فى الارتقاء تلو مرتبة العشرات للآحاد فى الاعداد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لايظلمون) لانه لامقام ادون من مقام النفس فينحط اليه بالضرورة فيرى جزاءه فى مقام النفس بالمثل ومن هذا يعلم ان الثواب من باب الفضل فانه يزيد به صاحبه ويتنور استعداده ويزداد قبوله لفيض الحق فيتقوى على اضعاف مافعل ويكتسب به اجورا متضاعفة الى

(قل اغير الله ابغي ربا) اى قل يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك اغير الله اطلب سيدا اوالها (وهو رب كل شئ) يعنى وهو سيد كل شئ ومالكه لايشاركه فيه احد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي احمل عنكم اوزاركم فقال الله عزوجل ردا عليه (ولا تكسب كل نفس الا عليها) يعني ان اثم الجاني عليه لاعلى غيره (ولا تزر وازرة وزر اخرى) يعني لاتؤاخذ نفس آثمة باثم اخرى ولاتحمل نفس حاملة حمل اخرى ولايؤاخذ احد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) يعني يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا من الاديان والملل ❋ قوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) يعني والله الذى جعلكم يا امة محمد خلائف في الارض فان الله اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وامته آخر الامم (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) يعني انه تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز اوالجهل اوالبخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان ❋ وهو قوله تعالى (ليبلوكم فيما آتاكم) يعني يعاملكم معاملة المبتلي والمختبر وهو اعلم بأحوال عباده والمعنى يبتلي الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم مايكون عليه الثواب والعقاب لان العبد اما ان يكون مقصرا فيما كلف به واما ان يكون موفيا ما امر به فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترغيب ❋ وهو قوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) يعني لاعدائه باهلاكهم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت فهو قريب وان كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما امر به اونهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم ❋ وهو قوله تعالى (وانه لغفور) يعني لذنوب اوليائه واهل طاعته (رحيم) يعني بجميع خلقه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

❋ (تفسير سورة الاعراف) ❋

نزلت بمكة روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس ايضا انها مكية الاخمس آيات اولها واسألهم عن القرية التي كانت به قال قتادة وقال مقاتل ثمان آيات في سورة الاعراف مدنية اولها واسألهم عن القرية الى قوله واذ اخذ ربك من بني آدم وهي مائتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمس وعشرون كلمة واربعة عشر الف حرف وعشرة احرف

❋ (بسم الله الرحمن الرحيم) ❋

❋ قوله عزوجل (المص) قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من اسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدى هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي

غير نهاية بازدياد القبول عند فعل كل حسنة وزيادة القدرة والشغف على الحسنة عند زيادة الفيض الى مالا نعلمه الا الله كما قال بعد ذكر اضعافها الى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء وان العقاب من باب العدل اذ العدل يقتضى المساواة ومن فعل بالنفس اذا لم يعف عنه يجازى بالنفس سواء وتذكر ما قيل في قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فان الفضيلة للانسان ذاتية موجبة لترقيه البتة والرذيلة عارضة ظلمتها للفطرة فمهما لم تكن بقصد ونية من صاحبها اوكانت ولم يصر عليها عفى عنها ولم تحجب صاحبها وان كانت واصر عليها جوزى في مقام النفس بالمثل والحسنة والسيئة المذكورتان ههنا من قبيل الاعمال والاقرب سيئة من شخص تعادل حسنة من

حروف مقطعة استأثر الله تعالى بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز وقيل هى حروف اسمه الاعظم وقيل هى حروف تحتوى معانى دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معانى الحروف المقطعة اوائل السور فى اوّل سورة البقرة ※ قوله تعالى (كتاب انزل اليك) يعنى هذا كتاب انزل الله اليك يامحمد وهو القرآن (فلا يكن فى صدرك حرج منه) يعنى فلا يضق صدرك بالابلاغ وتأدية ما ارسلت به الى الناس (لتنذر به) يعنى انزلت اليك الكتاب يامحمد لتنذر به من امرتك بانذاره (وذكرى للمؤمنين) يعنى ولتذكر وتعظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن فى شك منه لان الشك لايكن الامن ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ماحصل له ※ قوله تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) اى قل يامحمد لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم من ربكم يعنى من القرآن الذى فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن ياابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله مانزلت آية الاويجب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاج اى اتبعوا القرآن وما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار فى قوله لتنذر به كان معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار اى اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك ويدل عليه قوله تعالى (ولا تتبعوا من دونه اولياء) يعنى ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك اولياء فتتبعوهم والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجنّ فيامروكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة (قليلا ما تذكرون) يعنى ما تتعظون الا قليلا ※ قوله تعالى (وكم من قرية اهلكناها) لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وامر امته باتباع ما انزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا ما امروا به فذكر فى هذه الآية ما فى ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من اهل قرية لان المقصود بالاهلاك اهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها (فجاءها بأسنا) يعنى عذابنا فان قلت مجئ البأس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها بأسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها بأسنا وقال الفراء الهلاك والبأس قد يقعان معا كما قال اعطيتنى فاحسنت الىّ فلم يكن الاحسان قبل الاعطاء ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لافرق بين قولك اعطيتنى فاحسنت الى او احسنت الىّ فاعطيتنى فيكون احدهما بدلا من الآخر (بياتا) يعنى فجاءها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا (او هم قائلون) من القيلولة وهى نوم نصف النهار او استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لاتغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فما كان دعواهم) يعنى فما كان دعاء اهل القرية التى جاءها

غيره كما قال عليه السلام حسنات الابرار سيئات المقرّبين بوجود القلب عند الشهود وسيئات الابرار بظهور النفس عند السلوك وحسناتهم بظهور القلب ورب سيئة توجب حجاب الابد كاعتقاد الشرك مثلا (قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم) الى طريق التوحيد الذاتى (دينا قيما) ثابتا ابدا لاتغيره الملل والنحل ولا تنسخه الشرائع والكتب (ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) التى اعرض بها من كل ماسواه بالترقى عن جميع المراتب ماثلا عن كل دين وطريق باطل فيه شرك ماولو بصفة من صفات الله تعالى (قل انّ صلاتى) اى حضورى بالقلب وشهودى بالروح (ونسكى) اى تقرّبى او كل ما اتقرّب به بالقلب (ومحياى) بالحق (ومماتى) بالنفس كلها

بأسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا في صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم (اذ جاءهم بأسنا) يعني عذابنا (الا ان قالوا انا كنا ظالمين) يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنسئلن الذين ارسل اليهم) يعني نسأل الامم الذين ارسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل (ولنسئلن المرسلين) يعني ولنسألن الرسل الذين ارسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتنا واديتم الى الامم ما امرتم بتأديته اليهم ام قصرتم في ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما اجابوا به المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال السدى يسال الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسال الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به *فان قلت قد اخبر عنهم في الآية الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم بذلك *قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار *فان قلت فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم * قلت اذا كان يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير وكان مسئلة الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من ارسلوا اليهم من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم *وقوله تعالى (فلنقصن عليهم بعلم) يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلم ويقين بما عملوا في الدنيا (وما كنا غائبين) يعني عنهم وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا *فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين واذا كان عالما فما فائدة هذا السؤال قلت فائدة سؤال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التقريع والتوبيخ للكفار لانهم اذا اقروا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سؤال الاسترشاد والاستثبات فهو منفي عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشياء كعلمه بباطنها * قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعني والوزن يوم سؤال الامم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملأ كفتيه حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل *فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال

(لله) لا نصيب لي ولا لاحد غيري فيها الا اني تمت به له بالفناء فلا وجود لي ولا لغيري حتى يكون لي حظ ونصيب (رب العالمين) اي له باعتبار الجمع في صورة تفاصيل الربوبية (لا شريك له) في ذلك جمعا وتفصيلا (وبذلك امرت) اي امرت ان لا اري غيره في عين الجمع ولا في صورة التفاصيل حتى احمل له كما وصفني تعالى بقوله مازاغ البصر وما طغى فهو الآمر والمأمور والرائي والمرئي (وانا اول المسلمين) المنقادين للفناء فيه باسلام وجهي له باعتبار الرتبة في تفاصيل الذات والافلا اول ولا آخر ولا مسلم ولا كافر (قل اغير الله) الذي هذا شأنه (ابغي ربا) فاطلب مستحيلا او غير الذات الشامل لجميع الصفات الذي هو الكل من حيث هو كل ابغي متعينا فيكون

العباد فما الحكمة فى وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك فى الدنيا واقامة الحجة عليهم فى العقبى ومنها تعريف العباد مالهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد فى اللوح المحفوظ ثم فى صحائف الحفظة الموكلين ببنى آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء فى كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ماروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيأ اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تبارك وتعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانه لاظلم عليك اليوم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ اخرجه الترمذى واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان ومعنى قول ابن عباس ان الاعمال تصور صورا وتوضع تلك الصور فى الميزان ويخلق الله تعالى فى تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوى عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة اخرجاه فى الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ماذكر من وزن الاشخاص فى الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن اونفس الاعمال تجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك * وقوله تعالى (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد فاوجه الجمع واجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعنى من رجحت اعماله بالحسنة الموزونة التى لها وزن وقدر (فاولئك هم المفلحون) يعنى هم الناجون غدا والفائزون بثواب الله وجزائه (ومن خفت موازينه) يعنى موازين اعماله وهم الكفار بدليل قوله تعالى (فأولئك الذين خسروا انفسهم) يعنى غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله تعالى وكرامته (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يعنى بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده يجحدون ولا يقرون بها وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه حين حضره الموت قال فى وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا * قوله عز وجل (ولقد مكناكم فى الارض) يعنى ولقد مكناكم ايها الناس فى الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على

مربوبا لاربا (وهو رب كل شئ) وماسواه باعتبار تفاصيل صفاته مربوب (ولا تكسب كل نفس) شيأ) (الا) هو وبال (عليها) اذ كسب النفس شرك فى افعاله تعالى وكل من شرك فوباله عليه باحتجابه (ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) لرسوخ هيئة وزرها فيها ولزومه اياها تحتجب هى به فكيف يتعدى الى غيرها (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) فى ارضه باظهار كمالاته فى مظاهركم ليمكنكم انفاذ امره (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى مظهرية كمالاته على تفاوت درجات الاستعدادات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) من كمالاته

التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدهما ما انعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وانواع المآكل والمشارب والثاني ما يحصل من المكاسب والارباح في انواع التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معايش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة لام بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى (قليلا ما تشكرون) يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم * وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها * قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم آدم ثم صورناكم في ارحام النساء صورا مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي ان الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته * قلت يحتمل ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر به على الخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم او لانه ابو البشر فكان في خلقه خلق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى آدم عليه السلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم حكمنا بخلقه ثم صورناكم يعني آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يعني بعد اكمال خلقه وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل التحية والتعظيم لآدم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان المسجود له هو الله تعالى وانما كان آدم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان المسجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة او لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره في سورة البقرة وقوله تعالى (فسجدوا) يعني الملائكة (الا ابليس) يعني فسجد الملائكة لآدم الا ابليس (لم يكن من الساجدين) يعني له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورا بالسجود لآدم مع الملائكة فلما لم يسجد اخبر الله تعالى عنه انه لم يكن من الساجدين لآدم فلهذا استثناه منهم * قوله تعالى (قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك) يعني قال الله عز وجل لابليس اي شيء منعك من السجود لآدم اذ امرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لا في قوله ان لا تسجد صلة زائدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها

بحسب الاستعدادات من يقوم بحقوق ما ظهر منهـا عليـه ومن لا يقوم ومن يقوم بحق في سلوك طريقها حتى يظهرها الله باخفاء صفات نفسه فيكون مؤديا لامانات الله ومن لا يقوم فيكون خائنا وتظهر عليكم اعمالكم بحسبها فيترتب عليها الجزاء معـا اما مثوبة الاحتجاب حالة التقصير فيكون ربك سريع العقاب اما مثوبة البروز والانكشاف فيكون غفورا بستر افعالكم وصفات نفوسكم الساترة الحاجبة لتلك لصفات الالهية والكمالات الربانية رحيما يرحمكم باظهارها عليكم والله اعلم بحقائق الامور

مفيدة وليست بزائدة لانه لايجوز ان يقال ان كلمة من كتاب الله زائدة او لامعنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن احمد بن يحيى ان لا فى هذه الآية ليست زائدة ولا توكيدا لان معنى قوله مامنعك ان لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه ابوبكر عن الفراء وقال الطبرى الصواب فى ذلك ان يقال ان فى الكلام محذوفا تقديره مامنعك من السجود فاحوجك ان لا تسجد فترك ذكر احوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القاضى قال ذكر الله تعالى المنع واراد الداعى فكأنه قال مادعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة الله تعالى عظيمة يتعجب منها ويسئل عن الداعى اليها * فان قلت لم سأله عن المانع له من السجود وهو اعلم به * قلت انما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وحسده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يتب الله عليه (قال) يعنى قال ابليس مجيبا لله تعالى عما سأله عنه (انا خير منه) فان قلت قوله انا خير منه ليس بجواب عما سأله عنه فى قوله تعالى مامنعك ان لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغى له ان يقول منعنى كذا وكذا ولكنه قال انا خير منه قلت استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار خير من الطين وانور وانما قال انا خير منه لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه اصلا وذلك لفضل الجنس الذى خلق منه وهو النار على الطين الذى خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجهل عدو الله ابليس وجه الحق واخطأ طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذى حمل الخبيث ابليس مع الشقاء الذى سبق له من الله تعالى فى الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بامر ربه فاورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان فى جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعى لآدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التى سبقت له من الله تعالى فى الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان اول من قاس ابليس فاخطأ وقال ابن سيرين ايضا ماعبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس واصل هذا القياس الذى قاسه ابليس لعنه الله تعالى لما راى ان النار افضل من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ولم يدر ان الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمؤمن الحبشى خير من الكافر القرشى فالله تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام باشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شئ واورثه الاجتباء والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للعناية التى سبقت له فى القدم واورث ابليس كبره اللعنة والطرد للشقاوة التى سبقت له فى القدم * وقوله تعالى (قال فاهبط منها) يعنى قال الله تعالى لابليس لعنه الله اهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض * والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف (فما يكون لك ان تتكبر فيها) يعنى فليس لك ان تستكبر فى الجنة عن امرى وطاعتى لانه لا ينبغى ان يسكن فى الجنة او فى السماء

* (سورة الاعراف) *
* بسم الله الرحمن الرحيم *
(المص كتاب انزل اليك)
الى قوله ذكرى للمؤمنين
(١) اشارة الى الذات الاحدية و(ل) الى الذات مع صفة العلم كما مر و(م) الى التميمة الجامعة التى هى معنى محمد اى نفسه وحقيقته و(ص) الى الصورة المحمدية التى هى جسده وظاهره وعن ابن عباس انه قال ص جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حين لا ليل ولا نهار اشار بالجبل الى جسد محمد وبعرش الرحمن الى قلبه كما ورد فى الحديث قلب المؤمن عرش الله وجاء لا يسعنى ارضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن وقوله حين لا ليل ولا نهار اشارة منه الى الوحدة لان القلب اذا وقع فى ظل ارض النفس واحتجب بظلمة صفاتها كان فى الليل واذا طلع عليه نور شمس الروح واستضاء بضوئه كان فى النهار واذا وصل الى الوحدة الحقيقية بالمعرفة والشهود الذاتى واستوى عنده النور والظلمة كان وقته لا ليلا ولا نهارا ولا يكون عرش الرحمن

متكبر مخالف لامر الله عزوجل فماغير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون في الارض ﴿ فاخرج انك من الصاغرين ﴾ يعني انك من الاذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله تعالى منها الى جزائر البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها ﴿ قال ﴾ يعني قال ابليس عند ذلك ﴿ انظرني ﴾ يعني اخرني وامهلني فلا تمتني ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ يعني من قبورهم وهي النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس لعنه الله لانه سال ربه الامهال وقد علم انه لاسبيل لاحد من خلق الله تعالى الى البقاء في الدنيا ولكنه كره ان يكون ذائقا للموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب الى ماسال بل ﴿ قال ﴾ الله تعالى له ﴿ انك من المنظرين ﴾ يعني من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة في سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم * فان قلت فما وجه قوله انك من المنظرين وليس احد ينظر سواه * قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت بآجالهم فهو منهم ﴿ قال ﴾ يعني ابليس ﴿ فبما اغويتني ﴾ يعني فبأي شيء اضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية وتم الكلام عند قوله اغويتني ثم ابتدأ فقال ﴿ لاقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ وقيل هي باء القسم تقديره فباغوائك اياي وقيل معناه فبما اوقعت في قلبي الغي الذي كان سبب هبوطي الى الارض من السماء واضللتني عن الهدى لاقعدن لهم صراطك المستقيم يعني لاجلسن على طريقك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يسلكونه الى الجنة وذلك بان اوسوس اليهم وازين لهم الباطل ومايكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول اولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاردن بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولاغوينهم ولاضلنهم كما اضللتني عن سبرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له في طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دين آبائك وآباء آبائك فعصاه واسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المراة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال من فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة او وقصته دابته كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه النسائي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس ﴿ ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ﴾ قال ابن عباس من بين ايديهم يعني من قبل الآخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم يشبه عليهم امر دينهم وعن شمائلهم اشهي لهم المعاصي وانما جعل الآخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم مقبلون اليها وصائرون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين ايديهم من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لابعث ولانشور ولاجنة ولانار وعن ايمانهم من قبل

الا في هذا الوقت فعنى الآية ان وجود الكل من اوله الى آخره كتاب انزل اليك اي انزل اليك علمه (فلا يكن في صدرك حرج منه) اي ضيق من حمله فلا يسعه لعظمته فيتلاشى بالفناء في الوحدة والاستغراق في عين الجمع والذهول عن التفصيل اذ كان عليه السلام في مقام الفناء محجوبا بالحق عن الخلق كما رد عليه الوجود وحجب عنه الشهود الذاتي بظهور عليه بالتفصيل ضاق به وعاؤه وارتكب عليه وزر وثقل ولهذا خوطب بقوله المنشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك بالوجود الموهوب الحقاني والاستقامة في البقاء بعد الفناء بالتمكين ليسع صدرك الجمع والتفصيل والحق والخلق فلم يبق عليك وزر في عين الجمع ولا حجاب باحدهما عن الآخر (لتنذر به وذكرى) وتذكر تذكيرا (للمؤمنين) بالايمان الغيبي اي لايضيق صدرك منه ليمكنك الانذار والتذكير اذلو ضاق لبقي في حال الفناء لايرى الا الحق في الوجود وينظر الى الحق بنظر العدم المحض فكيف

حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم وانما جعل الدنيا من بين ايديهم في هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاثبطهم عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لابعث ولاجنة ولانار ومن خلفهم من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فبطاهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها اتاك يا ابن آدم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك فلم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من اعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني مامضى من اعمارهم فلا يتوبون عما اسلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور نالوه وقال شقيق البلخي مامن صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لاتخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين مايشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما اريد بها التأكيد والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لآتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجد اكثرهم شاكرين) يعني ولا تجد يارب اكثر بني آدم شاكرين لك على نعمك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين * فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين * قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله اعلم بمراده * قوله عز وجل (قال اخرج منها) اي قال الله تعالى لابليس حين طرده عن بابه وابعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة (مذؤما) يعني معيبا والذام اشد العيب (مدحورا) يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير (لمن تبعك منهم) يعني من بني آدم (لاملأن جهنم منكم اجمعين) اللام لام القسم اقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بني آدم واطاعه منهم ان يملأ جهنم منه وممن كفر من بني آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم * قوله تعالى (ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة (فكلا من حيث شئتما)

ينذر ويذكر ويأمر وينهى وعلى تقدير القسم فمعناه بالكل من اوله الى آخره اوباسم الله الاعظم اذ ص حامل العرش والعرش يسع الذات والصفات والمجموع هو الاسم الاعظم لهو كتاب انزل اليك عله اولهذا القرآن كتاب انزل اليك (اتبعوا ماانزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ماتذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا اوهم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق) الوزن هو الاعتبار اي اعتبار الاعمال حين قامت القيامة الصغرى هو الحق اي العدل اوالثابت اوالوزن العدل يومئذ (فمن ثقلت موازينه) اي رجحت موزوناته بان كانت باقيات صالحات (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بصفات الفطرة ونعيم جنة الصفات في مقام القلب (ومن خفت موازينه)

يعنى فكلا من ثمار الجنة من اى مكان شئتما *فان قلت قال فى سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء فاالفرق* قلت قال الامام فخر الدين الرازى ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولامنافاة بين النوع والجنس فى سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع (ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) تقدم فى سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى * قوله تعالى (فوسوس لهما الشيطان) يعنى فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان فى قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلا ماخفيا مكررا واصله من صوت الحلى ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما * فان قلت كيف وسوس اليهما وآدم وحواء فى الجنة وابليس قداخرج منها *قلت ذكر الامام فخر الدين الرازى فى الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال كان يوسوس فى الارض الى السماء الى الجنة بالقوة القوية التى جعلها الله تعالى له وقال ابو مسلم الاصفهانى بل كان آدم وابليس فى الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذى يقوله بعض الناس من ان ابليس دخل فى جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال آخرون ان آدم وحواء يما قربا من باب الجنة وكان ابليس وقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك *فان قلت ان آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف مابينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله * قلت يحتمل ان يقال ان ابليس لقى آدم مرارا كثيرة ورغبه فى اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس فى آدم حتى اكل من الشجرة (ليبدى لهما ماوورى عنهما من سوآتهما) يعنى ليظهر لهما ماغطى وستر من عوراتهما وقوله ماوورى ماخوذ من المواراة وهى الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوأة فرج الرجل والمرأة سمى بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفى الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام فى قوله ليبدى لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وانما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما (وقال) يعنى وقال ابليس لآدم وحواء (مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة) يعنى عن الاكل من هذه الشجرة (الاان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين) يعنى انما نهاكما عن هذه الشجرة لكى لاتكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر اوتكونا من الباقين الذين لايموتون وانما طمع ابليس آدم بهذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك آدم واحب ان يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم اويكون مع الخالدين الذين لايموتون ابدا* فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الملك افضل من الانبياء لان آدم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه * قلت ليس فى ظاهر الآية مايدل على ذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام لما طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب ان يكون من الملائكة او من الخالدين وعلى تقدير ان تكون هذه الواقعة فى زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما طلب ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم لالانهم افضل منه حتى يلتحق بهم فى الفضل لانه طلب اما ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين الذين لايموتون

موزوناته بان كانت من المحسوسات الفانية (فاولئك الذين خسروا انفسهم) ببيعها باللذات العاجلة السريعة الزوال وافنائها فى دار الفناء مع كونها بضاعة البقاء واعلم ان لسان ميزان الحق هو صفة العدل واحدى كفيته هو عالم الحس والكفة الآخرى هو عالم العقل فمن كانت مكاسبه من المعقولات الباقية والاخلاق الفاضلة والاعمال الخيرية المقرونة بالنيات الصادقة ثقلت اى كانت ذات قدر ووزن اذلاقدر ارجح من البقاء الدائم ومن كانت مقتنياته من المحسوسات الفانية واللذات الزائلة والشهوات الفاسدة والاخلاق الرديئة والشرور المردية خفت اى لاقدرلها ولااعتداد بها ولاخفة اخف من الفناء فخسرانهم هو انهم اضاعوا استعدادهم الاصلى فى طلب الحطام الدنيوى وتحصيل المآرب النفسانية بسبب ظهورهم بصفات انفسهم وظلمهم بصفات الله تعالى بالتكذيب بها اى باخفائها بصفات انفسهم (بما كانوا بآياتنا

ابدا * وقوله تعالى (وقاسمهما) اى واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التى تختص بالواحد (انى لكما لمن الناصحين) قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال انى خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعانى ارشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له (فدلاهما بغرور) يعنى فخدعهما بغرور يقال مازال فلان يدلى فلانا بغرور يعنى مازال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل قال الازهرى واصله ان الرجل العطشان يتدلى فى البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهوان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون الا من علو الى اسفل ومعنى الآية ان ابليس لعنه الله تعالى غرّ آدم باليمين الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وابليس اوّل من حلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فاغترّ به (فلما ذاقا الشجرة) يعنى طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير (بدت لهما سوآتهما) يعنى ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما قبل ان ازدردا اخذتهما العقوبة والعقوبة ان ظهرت وبدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما وورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان لباس آدم فى الجنة ظفرا كله فلما وقع فى الذنب فشط عنه وبدت سوأته (وطفقا) يعنى واقبلا وجعلا (يخصفان عليهما من ورق الجنة) يعنى انهما لما بدت لهما سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على ورقة ليستراسوآتهما وفى الآية دليل على ان كشف العورة من ابن آدم قبيح الا ترى انهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر فى عقلهما من قبح كشفها روى ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كانه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سوأته وكان لا يراها فى الجنة فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسلينى قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم امنى تفرّ قال لا يارب ولكنى استحييتك ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى من طريقين موقوفا ومرفوعا * قوله تعالى (وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة) يعنى ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة (واقل لكما ان الشيطان لكما عدوّ مبين) يعنى الم اعلمكما ان الشيطان قد بانت عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اكل آدم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء امرتنى قال فانى اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتنى حواء فقال لحواء لم اطعمتيه قالت امرتنى الحية فقال للحية لم امرتها قالت امرنى ابليس قال الله تعالى اما انت يا حواء فكما ادميت الشجرة تدمين كل شهر واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك واما انت يا ابليس فملعون مطرود مدحور يعنى عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا آدم اما خلقتك بيدى اما نفخت فيك من روحى اما اسجدت لك الملائكة اما اسكنتك جنتى فى جوارى * قوله

يظلمون ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقنا كم ثم صوّرنا كم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد اذا امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) خلقت القوّة الوهمية من الطف اجزاء الروح الحيوانية التى تحدث فى القلب من بخارية للاخلاط ولطافتها وترتقى الى الدماغ وتلك الروح هى احرّ ما فى البدن فلذلك سماها نارا والحرارة توجب الصعود والترفع وقدمرّ انّ كل قوّة ملكوتية تطلع على خواص ما تحتها دون ما فوقها وعلى الكمالات البدنية وخواصها وكمالات الروح الحيوانية وخواصها واحتجابها عن الكمالات الانسانية الروحانية والقلبية هو صورة انكارها وعلة ابائها واستكبارها وتعديها عن طورها بالحكم فى المعانى المعقولة والمجرّدات والامتناع عن قبول حكم

عز وجل (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليها السلام واعترافهما على انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة امرك وطاعة عدونا وعدوك مالم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التى نهيتنا عن اكلها (وان لم تغفر لنا) يعنى وانت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا (وترحمنا) يعنى وتتفضل علينا برحمتك (لنكونن من الخاسرين) يعنى من الهالكين قال قتادة قال آدم يارب ارأيت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله ان ينظره فاعطى كل واحد منهما ماسأل وقال الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هى الكلمات التى تلقاها آدم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل * (فصل) * وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية واجيب عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور صدرت منهم على سبيل التأويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم وسيآت بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصى غيرهم فكان ماصدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا وهى حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين يعنى انهم يرونها بالنسبة الى احوالهم كالسيآت وهى حسنات لغيرهم وقد تقدم فى سورة البقرة ان اكل آدم من الشجرة هل كان قبل النبوة او بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله اعلم * قوله تعالى (قال اهبطوا) قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ان الذى تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب ان يتناول هؤلاء الثلاثة وقال الطبرى قال الله تعالى لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا يعنى من السماء الى الارض قال السدى رحمه الله قوله تعالى اهبطوا يعنى الى الارض آدم وحواء وابليس والحية (بعضكم لبعض عدو) يعنى ان العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وابليس (ولكم فى الارض مستقر) يعنى موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ولكم فى الارض مستقر يعنى القبور (ومتاع الى حين) يعنى ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا اوالى انقضاء آجالكم ومعنى الآية ان الله عز جل اخبر آدم وحواء وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم فى الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم يستقرون فى قبورهم الى انقطاع الدنيا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ومتاع الى حين يعنى الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا (قال فيها تحيون) يعنى قال الله عز وجل لآدم وذريته وابليس واولاده فيها تحيون يعنى فى الارض تعيشون ايام حياتكم (وفيها تموتون) يعنى وفى الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم (ومنها تخرجون) يعنى ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة * قوله عز وجل (يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم) اعلم ان الله عز وجل لما امر آدم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذى يحتاج اليه فى الدين والدنيا فاما منفعته فى الدين فانه يستر العورة وسترها شرط فى صحة الصلاة

العقل هو صورة اباءه من السجود (قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها) اذ التكبر وهو التظاهر بما ليس فيه من الفضيلة من صفات النفس لا يليق بالحضرة الروحانية التى تزعم انك من اهلها بالترفع على العقل فاخرج فلست من اهلها الذين هم الاعزة (فاخرج انك من الصاغرين) من القوى النفسانية الملازمة للجهة السفلية الدائمة الهوان بملازمة الابدان (قال فانظرنى الى يوم يبعثون) من قبور الابدان واجداث صفات النفس بعد الموت الارادى فى القيامة الوسطى بحياة القلب وخلاص الفطرة من حجب النشأة او يبعثون بعد الفناء فى الوحدة فى القيامة الكبرى بالوجود الموهوب الحقانى والحياة الحقيقية والمبعوث الاول هو المخلص بكسر اللام والثانى هو المخلص بالفتح ولا سبيل لابليس الى اغوائهما (قال انك من المنظرين قال فبما اغويتنى) اقسام وابليس محجوب عن الذات الاحدية

واما منفعته فى الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان انزل عليهم لباسا يوارى سوآتهم فقال تعالى يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم يعنى لباسا تسترون به عوراتكم * فان قلت ما معنى قوله قد انزلنا عليكم لباسا * قلت ذكر العلماء فيه وجوها احدها انه بمعنى خلق اى خلقنا لكم لباسا او بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثانى ان الله تعالى انزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكأنه انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد (وريشا) الريش للطائر معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا لزينتكم لان التزيين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا فى معنى الريش المذكور فى الآية فقال ابن عباس رضى الله عنهما وريشا يعنى مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدى لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا وقيل ان الرياش فى كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس او يفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه لحسن الريش اى لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل فى الصاق الحسب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف العلماء فى معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز فاما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا فى معناه فقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب فى الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة فى الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علىّ رحمه الله تعالى لباس التقوى آلات الحرب التى يتقى بها فى الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التى يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة فى الصلاة * واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا فى معناه فقال قتادة والسدى لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقى به من النار وقال ابن عباس رضى الله عنهما لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن رضى الله عنه هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير رضى الله عنه لباس التقوى خشية الله وقال الكلبى هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل والزينة ويدل عليه قوله تعالى (ذلك خير) يعنى ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشدوا فى المعنى

اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى * عريت وان وارى القميص قميص

* وقوله تعالى (ذلك من آيات الله) يعنى انزال اللباس عليكم يابنى آدم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده (لعلهم يذكرون) يعنى لعلهم يذكرون نعمته عليهم فيشكرونها * قوله تعالى (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة) قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم فى الطواف وانما ذكر قصة آدم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد آدم فقال تعالى يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج

دون الصفات والافعال فشهوده للافعال وتعظيمه لها اقسام بها كما اقسم بعزته فى قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين (لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم) اى اعترضنّ لهم فى طريق التوحيد الذاتى وامنعنهم عن سلوكها بان اشغلهم بما سواك ولآتينهم من الجهات الاربع التى يأتى منها العدوّ فى الشاهد لانّ اتيانه من اسفل اى من جهة الاحكام الحسية والتدابير الجزئية من باب المصالح الدنيوية غير موجب الضلالة بل قد ينتفع به فى العلوم الطبيعية والرياضية وبه يستعين العقل فيها كما مرّ تأويل قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم واتيانه من فوق غير ممكن له اذ الجهة العلوية هى التى تلى الروح ويرد منها الالهامات الحقة والالقاآت الملكية وتفيض المعارف والحقائق الروحية فبقيت الجهات الاربع مواقع وساوسه اما من بين يديه فبان يؤمنه من مكر الله ويغرّه بان الله غفور رحيم فلا يخاف فيثبطه عن الطاعات

ابويكم من الجنة يعنى آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبأن يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عزوجل بنى آدم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الافعال الرديئة فى قلوب بنى آدم فهذه فتنته التى نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها * وقوله تعالى (ينزع عنهما لباسهما) انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا فى اللباس الذى نزع منهما فقال ابن عباس رضى الله عنهما كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفى رواية عنه التقوى وقيل ان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه ولان النزع لايكون الا بعد اللبس (ليريهما سوآتهما) يعنى ليرى آدم عورة حواء ويرى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لايرى بعضهم سوأة بعض (انه يراكم هو وقبيله) يعنى ان ابليس يراكم يابنى آدم هو وقبيله انما اعاد الكناية فى قوله هو ليحسن العطف * والقبيل جمع قبيلة وهى الجماعة المجتمعة التى يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله اى من هو من نسله وحكى ابو عبيد عن ابى زيد القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو اب واحد وقال الطبرى قبيله يعنى صنفه وجيله الذى هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو وولده *وقوله (من حيث لاترونهم) يعنى انتم يابنى آدم قال العلماء رحمهم الله ان الله تعالى خالق فى عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق فى عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه فى ان الانس لايرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه فى رؤية الجن للانس كثافة اجسام الانس والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوّى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل فى ابصارنا هذا القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بنى آدم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربعة نرى ولا نرى فى نخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله تعالى (انا جعلنا الشياطين اولياء) يعنى اعوانا وقرناء (للذين لايؤمنون) قال الزجاج يعنى سلطناهم عليهم يزيدون فى غيهم * قوله عزوجل (واذا فعلوا فاحشة) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هى طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هى الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصى والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التى كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهى فى نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو * قوله تعالى (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها) فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر الثانى قولهم

واما من خلفه فبان يخوّفه من الفقر وضيعة الاولاد من خلفه فيحرضه على الجمع والادخار لهم ولنفسه فى المستقبل عند تأميله طول العمر واما من جهة اليمين فبأن يزين عليه فضائله ويعجبه بفضله وعلمه وطاعته ويحجبه عن الله رؤية تفضيله واما عن شماله فبأن يحمله على المعاصى والمقابح ويدعوه الى الشهوات واللذات (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد اكثرهم شاكرين) مستعملين لقواهم وجوارحهم وما انعم الله به عليهم فى طريق الطاعة والتقرّب الى الله (قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأنّ جهنم) الطبيعة التى هى اسفل مراتب الوجود (منكم اجمعين) محجوبين عن لذة النعيم الابدى وذوق البقاء السرمدى والكمالات الروحانية والكمالات الحقانية معذبين بنيران الحرمان عن المراد فى انقلابات عالم التضاد وتقلبات الكون

والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله تعالى عنه بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى رداعليهم (اتقولون على الله مالا تعلمون) يعني انكم ماسمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون * قوله تعالى (قل امر ربي بالقسط) اي قل يامحمد لهؤلاء الذين يقولون على الله مالا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس رضي الله عنهما بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له (واقيموا وجوهكم عند كل مسجد) فان قلت قل امر ربي بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه * قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند المسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي اوفي مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا (وادعوه مخلصين له الدين) اي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعاء لله عزوجل لا لغيره (كما بداكم تعودون) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله عزوجل بدا خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدا خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله في سياق الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ماروي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدى عليه خلقه وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقاوة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة ويصحح هذا القول ماروي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الآية كما بداكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيأ فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احياء يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ماروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله عزوجل حفاة عراة عزلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم * وقوله تعالى (فريقا هدى) يعني هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته (وفريقا حق عليهم الضلالة) يعني وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة التي سبقت لهم في الازل بانهم اشقياء وفيه دليل على ان الهدى والضلالة من الله

والسلام (ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماووري عنهما من سوآتهما) اي ليظهر عليهما بالميل الى الطبيعة ماحجب عنهما عند التجرد من الامور الطبيعية واللذات البدنية والرذائل الخلقية والافعال الحيوانية والصفات السبعية والبهيمية التي يستحيي الانسان من اظهارها ويستحيي من افشاءها وتحمله المروة على اخفائها لكونها عورات عند العقل يأنف منها ويستقبحها (وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين) اي اوهمهما ان في الاتصال بالطبيعة الجسمانية والمادة الهيولانية لذات ملكية وادراكات وافعالا وخلودا فيها اوملكا ورياسة على القوى وسائر الحيوانات دائما بغير زوال ان قرئ ملكين بكسر اللام كما قال هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وزين لها

عز وجل ولما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل اخرجه الترمذى * وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) يعنى ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء واعوانا اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصى والمعنى ان الداعى الذى دعاهم الى الكفر والمعاصى هو انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لان الشياطين لايقدرون على اضلال احد وقوله (ويحسبون انهم مهتدون) يعنى انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذى يظن انه فى دينه على الحق والجاحد والمعاند فى الكفر سواء * قوله عز وجل (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهى عريانة فتقول من يعيرنى تطوافا تجعله على فرجها وهى تقول اليوم يبدو بعضه او كله * وما بدا منه فلا احله

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد فى رواية اخرى عنه فأمرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حى من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لاينبغى لى ان اطوف فى ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرنى مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فأنزل الله تعالى فيه ماتسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهرى ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش واحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف فى ثوب احمسى ويرى انه لايحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقى ثيابه ويطوف عريانا وان طاف فى ثياب نفسه القاها اذا قضى طوافه وحرمها اى جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التى تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عوراتكم ولو عباءة وقال الكلبى الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب وفيه دليل على ان ستر العورة واجب فى الصلاة والطواف وفى كل حال * وقوله تعالى (وكلوا واشربوا) قال الكلبى كانت بنو عامر لايأكلون فى ايام حجهم الاقوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان نفعل ذلك يارسول الله فأنزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعنى الدسم واللحم (ولا تسرفوا) يعنى بتحريم مالم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله فى نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفى الآية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ماخصه الشرع بدليل فى التحريم لان الاصل فى جميع الاشياء الاباحة الا ماحظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (انه لايحب المسرفين) يعنى ان الله تعالى لايحب من اسرف فى المأكول والمشروب والملبوس وفى هذه الآية وعيد وتهديد لمن اسرف فى هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الآية على الوعيد الشديد فى الاسراف * قوله تعالى (قل من حرم زينة الله

من المصالح الجزئية والزخارف الحسية التى لاتنال الابالالات البدنية فى صورة الناصح الامين (اوتكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلماذاقا الشجرة بدت لهماسوآتهما) اى فنزلهما الى التعلق بهما والسكون اليهما بماغرهما من التزيى بزى الناصحين وافادة توهم دوام اللذات البدنية والرياسة الانسية وسوّلهما من المنافع البدنية والشهوات النفسية (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اى يكتمان الفواشى الطبيعية بالآداب الحسنة والعادات الجميلة التى هى من تفاريع الآراء العقلية ومستنبطات القوّة العاقلة العملية ويخفيانها بالحيل العلمية (وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما) صورة النهى هو ما ركز فى العقول من الميل الى التجرد وادراك المعقولات والتجافى عن المواد والمحسوسات وقوله لهما (ان الشيطان لكما عدوّ مبين) ماالهم العقل

اخرج لعباده) يعنى قل يامحمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده ان تتزينوا بهـا وتلبسوها فى الطواف وغيره * ثم فى تفسير الزينة قولان * احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذى يستر العورة * والقول الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلى ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلوا فى هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التى اخرجها الله لعبـاده وخلقها لهم ثم ذكروا فى معنى الطيبـات فى هذه الآية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثانى وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل مايستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا مانهى عنه وورد نص بتحريمه (قل هى للذين آمنوا) يعنى قل يامحمد ان الطيبات التى اخرج الله من رزقه للذين آمنوا (فى الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) يعنى لايشركهم فيها احد لانه لاحظ للمشركين يوم القيامة فى الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والاثم لانه قد يقع لهم فى الحياة الدنيا فى تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فأعلمهم انها خالصة لهم فى الآخرة من ذلك كله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا انى انا الله وحدى لاشريك لى فأحلوا حلالى وحرموا حرامى * قوله عز وجل (قل انما حرم ربى الفواحش) جمع فاحشة وهى ماقبح وفحش من قول اوفعل والمعنى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ماتحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربى الفواحش من الافعال والاقوال (ماظهر منها وما بطن) يعنى علانيته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الآخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة فى وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن وقد يحتمل ان تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله اعلم * وقوله تعالى (والاثم) يعنى وحرم الاثم واختلفوا فى الفرق بين الفاحشة

من منا فاذا احكام الوهم ومضادة مدركاته والوقوف على مخالفاته ومكابراته اياه ونداؤه اياهما بذلك هو التنبيه على ذلك المعنى على سبيل الخاطر والتذكير له بعد التعلق والانغمار فى اللذات الطبيعية عند البلوغ وظهور انوار العقل والفهم عليهما وقولهما (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) هو تنبه النفس الناطقة على نقصانها من جهة الطبيعة وانطفاء نورها وانكسار قوتها وحصول الداعى فيها على طلب الكمال بالتجرد (وان لم تغفر لنا) بالباسنا الانوار الروحانية وافاضتها مشرقة علينا (وترحمنا) بافاضة المعارف الحقيقية (لنكونن من الخاسرين) الذين اتلفوا الاستعداد الاصلى الذى هو مادة السعادة والبقاء بصرفها فى دار الفناء وحرموا عن الكمال التجردى بملازمة النقص الطبيعى (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها

والاثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل انما حرم ربى الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الاثم فى اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا او صغيرا والفائدة فيه انه لما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم ربى الفواحش اردفه تحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم ان التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسما لكل ما تفاحش من قول اوفعل لكنه قد صار فى العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا واما الاثم فقد قيل انه اسم من اسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهرى وقد تسمى الخمر اثما واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلى * كذاك الاثم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى ان تسمية الخمر بالاثم صحيح لان شربها اثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وانكر ابوبكر بن الانبارى تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط فى جاهلية ولا فى اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله قل فيهما اثم كبير * وقوله تعالى (والبغى) اى وحرم البغى (بغير الحق) والبغى هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد فى ذلك كله ومعنى البغى بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من ان يكون بغيا (وان تشركوا) اى وحرم ان تشركوا (بالله ما لم ينزل به سلطانا) هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به غيره لان الاقرار بشئ ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على الاطلاق * فان قلت البغى والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا البغى ايضا من الفواحش والاثم * قلت انما افردهما بالذكر للتنبيه على عظم قبحهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البغى والشرك فكأنه بين جملته ثم تفصيله وقوله (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ولكل أمة أجل) الاجل الوقت المؤقت لانقضاء وقت المهلة ثم فى هذا الاجل المذكور فى الآية قولان احدهما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم الله الى ذلك الوقت (فاذا جاء اجلهم) يعنى فاذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسماء الاوقات فى العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فاخبرهم الله تعالى ان لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت اهلاكهم واستئصالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثانى ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وانما قال تعالى لكل امة لتقارب اعمار اهل كل عصر فكأنهم كالواحد فى مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول ميتا بأجله خلافا لمن يقول القاتل قطع عليه اجله * قوله عز وجل (يابنى آدم اما يأتينكم

تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم) اى شريعة تستر قبائح أوصافكم وفواحش افعالكم (وريشا) اى جمالا بعدكم عن شبه الانعام المهملة ويزينكم بالاخلاق الحسنة والاعمال الجميلة (ولباس التقوى) اى صفة الورع والحذر من صفة النفس (ذلك خير) من جملة اركان الشرائع لانه أصل الدين وأساسه كالحمية فى العلاج (ذلك من آيات الله) أى من أنوار صفاته اذ الاجتناب عن صفات النفس لا يحصل ولا يتيسر الا بظهور تجليات صفات الحق والى هذا أشار القوم بقولهم ان الله لا يتصرف فى شئ من العبد الا ويعوضه احسن منه من جنسه (لعلهم يذكرون) عند ظهور تجليات لباسكم النورى الاصلى جوار الحق الذى كنتم تسكنون فيه بهداية انوار الصفات (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان) عن دخول الجنة وملازمتها بنزع لباس الشريعة

رسل منكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ماؤكدة لمعنى الشرط وجزاء هذا الشرط هو الفاء ومابعده من الشرط والجزاء وهوقوله فمن اتقى واصلح يعنى منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب فى قوله يابنى آدم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب فى قوله يابنى آدم عام فى كل بنى آدم وانما قال منكم يعنى من جنسكم ومثلكم من بنى آدم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما لايليق بقدرته اوبقدرة امثاله علم ان ذلك الذى اتى به معجزة له وحجة على من خالفه (يقصون عليكم آياتى) يعنى يقرؤن عليكم كتابى وادلة احكامى وشرائعى التى شرعت لعبادى (فمن اتقى) يعنى فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلى (واصلح) يعنى العمل الذى امرته به رسلى فعمل بطاعتى وتجنب معصيتى ومانهيته عنه (فلا خوف عليهم) يعنى حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولاهم يحزنون) يعنى على مافاتهم من دنياهم التى تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعنى ومن جحدوا آياتنا وكذبوا رسلنا (واستكبروا عنها) يعنى واستكبروا عن الايمان بها وماجاءت به رسلنا (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى لايخرجون منها ابدا * قوله تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى فمن اعظم ظلما ممن يقول على الله مالم يقله اويجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد (اوكذب بآياته) يعنى اوكذب بالقرآن الذى انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعنى ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب فى اللوح المحفوظ واختلفوا فى ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المعين لهم فى الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدى ماكتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس فى رواية عنه كتب لمن يفترى على الله كذبا ان وجهه اسود وقال الزجاج هو المذكور فى قوله فأنذرتكم نارا تلظى وفى قوله اذ الاغلال فى اعناقهم فهذه الاشياء هى نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم فى كفرهم والقول الثانى ان المراد بالنصيب المذكور فى الكتاب هو شئ سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية فى قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ماكتب عليهم من الاعمال وقال فى رواية اخرى عنه من عمل خيرا جوزى به ومن عمل شرا جوزى به وقال قتادة جزاء اعمالهم التى عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا فى الكتاب من خير اوشر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا وقال الربيع بن انس ينالهم ماكتب لهم فى الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظى عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبرى هذا القول الآخر وقال لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذى ينالهم هو ماقدر لهم فى الدنيا فاذا فرغ توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين رحمه الله تعالى وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا فى الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ماكتب لهم من رزق

والقوى عنكم (كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لايؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لاتعلمون قل أمر ربى بالقسط) منها بنزع اللباس الفطرى النورى (قل امر ربى بالقسط) اى العدالة والاستقامة (واقيموا وجوهكم) ذواتكم الموجودة بمنعها عن الميل والزيغ الى طرفى الافراط والتفريط فى العدالة وعن التلوينات فى الاستقامة (عند كل مسجد) اى كل مقام سجود اووقت سجود والسجود اربعة اقسام سجود الانقياد والطاعة واقامة الوجود فيه بالاخلاص والاجتناب عن الرياء والنفاق فى العمل لله والالتفات الى الغير فيه ومراعاة موافقة الامر مع

وهم تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكى يصلحوا ويتوبوا ❊ قوله تعالى (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعنى حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعنى ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعنى قال الرسل وهم الملائكة للكفار (اينما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الآخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعنى ملائكة العذاب يتوفونهم يعنى يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا اينما كنتم تدعون يعنى شركاء واولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله (قالوا) يعنى الكفار مجيبين للرسل (ضلوا عنا) يعنى بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على انفسهم بذلك ❊ قوله عز وجل (قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس) يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن افترى عليه كذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا فى امم يعنى فى جملة امة قد خلت يعنى قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعنى فى جملة جماعة قد خلت من قبلكم من الجن والانس (فى النار) اى ادخلوا جميعا فى النار التى هى مستقركم ومأواكم وانما عنى بالامم الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس (كلما دخلت امة) يعنى كلما دخلت جماعة النار (لعنت اختها) يعنى كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل ملتها فى الدين لا فى النسب قال السدى كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى (حتى اذا اداركوا) يعنى تداركوا وتلاحقوا (فيها جميعا) يعنى تلاحقوا واجتمعوا فى النار جميعا وادرك بعضهم بعضا واستقروا فى النار (قالت اخراهم لاولاهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى قال آخر كل امة لاولها وقال السدى قالت اخراهم الذين كانوا فى آخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعنى قال آخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار اولا (ربنا هؤلاء اضلونا) يعنى تقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتأخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم فى الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء اضلونا لانا اتبعنا سبيلهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) اى اضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشئ مرة واحدة قال الازهرى والذى قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس فى مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربى مبين فيرد تفسيره الى موضوع كلام العرب والضعف فى كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز فى كلام العرب هذا ضعفه اى مثلاه وثلاثة امثاله لان الضعف فى الاصل زيادة غير محصورة واولى الاشياء به ان يجعل عشرة امثاله فاقل الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج فى تفسير هذه الآية فآتهم عذابا ضعفا اى مضاعفا لان الضعف فى كلام العرب على

(ضربين)

صدق النية والامتناع عن المخالفة فى جميع الامور وهى العدالة وجود الفناء فى الافعال واقامة الوجه فيه بالقيامة بحقه بحيث لا يرى هو مؤثرا غير الله ولا يرى مؤثرا من نفسه ولا من غيره وجود الفناء فى الصفات واقامة الوجه عنده بالمحافظة على شرائطه بحيث لا يرى زينة ذاته بها ولا يريد ولا يكره شيأ من غيران يميل الى الافراط بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا الى التفريط بالتسخط على المخالف وجود الفناء فى الذات واقامة الوجه عنده بالتيبة عن البقية والانطماس بالكلية والامتناع عن اثبات الانية والاثنينية فلا يطغى بحجاب الانائية ولا يتزندق بالاباحة وترك الطاعة (وادعوه مخلصين له الدين) فى المقام الاول بتخصيص العمل لله به وفى الثانى والثالث برؤية الدين والطاعة من الله وفى الرابع برؤية بالله فيكون الله هو المتدين بدينه ليس

ضربين * احدهما المثل والآخر ان يكون في معنى تضعيف الشئ اي زيادته (قال) يعني قال الله تعالى (لكل ضعف) يعني لاولاكم ضعف ولاخراكم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا (ولكن لا تعلمون) يعني ما اعدالله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما اعدالله تعالى من العذاب للفريق الآخر (وقالت اولاهم) يعني في الكفر وهم القادة (لاخراهم) يعني الاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الآية وقالت كل امة سلفت في الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فارجعتم عن ضلالتكم وكفركم (فذوقوا العذاب) وهذا يحتمل ان يكون من قول القادة للاتباع والامة الاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب (بما كنتم تكسبون) يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة * قوله عز وجل (ان الذين كذبوا بآياتنا) يعني كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا (واستكبروا عنها) اي وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا (لا تفتح لهم ابواب السماء) يعني لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تفتح ابواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب السماء لاعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان باقبح اسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم ابواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شئ * وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الآية وانما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لانه اكبر من سائر الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر * جسم الجمال واحلام العصافير * وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة من اضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا ثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأيوس منه قطعا وقال بعض اهل المعاني لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأبيد وذلك

لغيره فيه نصيب (كما بدأكم) باظهاركم واختفائه (تعودون) بفنائكم فيه واختفائكم بظهوره (فريقا هدى) اليهم بهذا الطريق (وفريقا حق عليهم) كلمة (الضلالة انهم اتخذوا الشياطين) بسبب اتخاذهم شياطين القوى النفسانية الوهمية والتخيلية (اولياء من دون الله) لمناسبة ذواتهم في الظلمة والكدورة والبعد عن معدن النور اياهم والجنسية التي بينهم في الركون الى الجهة السفلية والميل الى الزخارف الطبيعية (ويحسبون انهم مهتدون) لان سلطان الوهم المستولي (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) اي لازموها وتمسكوا بها فزينة المقام الاول من السجود هي الاخلاص في العمل لله وزينة المقام الثاني هي التوكل ومراعاة شرائطه وزينة المقام الثالث هي القيام بحق الرضا وزينة المقام الرابع هي التمكين في الصدق

لان العرب اذا علقت مايجوز كونه بمالايجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر

اذا شاب الغراب اتيت اهلي * وصار القار كاللبن الحليب

* قوله تعالى (وكذلك نجزى المجرمين) اى ومثل الذى وصفنا نجزى المجرمين يعنى الكافرين لانه تقدم من صفتهم انهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على انهم الكفار ولما بين الله عزوجل ان الكفار لايدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف ماأعد لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) يعنى لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد المهد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهى الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظى والضحاك والسدى المهاد الفراش والغواشى اللحف (وكذلك نجزى الظالمين) يعنى وكذلك نكافئ ونجازى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها * قوله عزوجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما اعد لهم فى الآخرة اتبعه بذكر وعد المؤمنين وما اعد لهم فى الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزيله عليه من شرائع دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه فى ذلك وتجنبوا مانهاهم عنه لانكلف نفسا الا وسعها يعنى لانكلف نفسا الا مايسعها من الاعمال ومايسهل عليها ويدخل فى طوقها وقدرتها ومالاحرج فيه عليها ولاضيق قال الزجاج الوسع مايقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ماافترض عليها يعنى الذى افترض عليها من وسعها الذى تقدر عليه ولاتعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال اكثر اصحاب المعانى ان قوله تعالى لانكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا عملوا الصالحات (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) لانكلف نفسا الا وسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولامشقة صعبة وقال قوم من اصحاب المعانى هو من تمام الخبر وموضعه رفع والعائد محذوف كأنه قال لانكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العائد للعلم به * قوله تعالى (ونزعنا مافى صدورهم من غل) يعنى وقلعنا واخرجنا مافى صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم فى الدنيا ومعنى الآية ازلنا تلك الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لايحسد بعضهم بعضا على شئ خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس ودفعها عن ان ترد على القلب روى عن على رضى الله عنه قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه ايضا انه قال انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا مافى صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالحقيقة الحقة ومراعاة حقوق الاستقامة وشرائطها (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين) بالمحافظة على قانون العدالة فيها (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده) اى من منعهم من جنس هذه الزينة المذكورة المطلقة وقال انه لايمكنهم التزين بها واستحال ذلك منهم تمسكا بان الله مانعهم (والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) من رزق علوم الاخلاص وعلوم مقام التوكل والرضا والتمكين (خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) عن شوب التلوينات وظهور شئ من بقايا الافعال والصفات والذات (قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن) اى رذائل القوة البهيمية (والاثم والبغى) اى رذائل القوة السبعية (بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا وان تقولوا على الله مالاتعلمون) اى رذائل القوة

يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدى في هذه الآية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولكن يشحنوا بعدها ابدا وقيل ان درجات اهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض اهل الجنة اعلى من بعض واخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية واورد على هذا القول كيف يعقل ان الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب حرمانه منها وان كان في لذة ونعيم واجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة في النعيم الذى هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وبهجته ❊ وقوله تعالى ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ لما اخبر الله تعالى بما انعم به على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر بما انعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ يعنى ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وارشدنا للعمل الذى هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه فله الحمد على ذلك ﴿ وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ﴾ يعنى وما كنا لنرشد لذلك العمل الذى هذا ثوابه لولا انه ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الآية دليل على ان المهتدى من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ يعنى ان اهل النعيم اذا دخلوها ورأوا ما اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعنى انهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا ﴿ ونودوا ان تلكم الجنة ﴾ يعنى ونادى مناد يا اهل الجنة ان هذه الجنة التى كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة (م) عن ابى سعيد الخدرى وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى ﴿ اورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك قوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحياء يرثون الاموات فقال اورثتموها يعنى ان المؤمن حى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤل الى الجنة كما ان الميراث يؤل الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثوابا على الاعمال ولا يعارض هذا

النطقية الملكية لانها صفات نفسانية مانعة عن الزينة المذكورة التى هى الكمالات الانسانية مضادة لها ﴿ ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى واصلح ﴾ اى اتقى البقية في الفناء واصلح بالاستقامة عند البقاء ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ لكونهم في مقام الولاية ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ اى اخفوا صفاتنا بصفات انفسهم ﴿ واستكبروا عنها ﴾ بالشيطنة ﴿ اولئك اصحاب النار ﴾ نار الحرمان ﴿ هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت

من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا في النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت

القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل والدرجات بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لن يناله المؤمن ولن يبلغه الا برحمة الله تعالى وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم ❊ قوله تعالى (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار) يعني ونادى اهل الجنة اهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار تقول اهل الجنة يا اهل النار (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) يعني العذاب على من الكفر (قالوا نعم) يعني قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا ❊ فان قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض ❊ قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء او كيف يصح ان يقع ❊ قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوي الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب ❊ وقوله تعالى (فاذن مؤذن بينهم) يعني نادى مناد واعلم لان اصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا المنادي من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي (ان لعنة الله على الظالمين) يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه الله فاخطؤا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعني وهم بكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها ❊ قوله عز وجل (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار وقيل بين اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله (وعلى الاعراف رجال) الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من الجسد سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار اعرف وابين من المنخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاعراف الشيء المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبل بين الجنه والنار يحبس عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين اخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من اجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله تعالى فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة ولا من اهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في الآخرة

دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته اكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيآته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلك من غلب آحاده عشراته وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فهم بذلك المكان حتى اذا اراد الله تعالى ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت الوانهم اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبري بسنده الى يحيى بن عبل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لآبائهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم ان يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي انهم قوم رضي آباؤهم دون امهاتهم وامهاتهم دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن ابي صالح مولى التوامة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر امر اصحاب الاعراف الى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة الله اعلم بحالهم وهو يتولى امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة اوليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر اهل القيامة واظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار ومطلعين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبري قول ابي مجلز قال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني آدم دون اناثهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة وبين اهل النار والله اعلم بمراده واسرار كتابه * قوله عز وجل (يعرفون كلا بسيماهم) يعني ان اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة بسيماهم وذلك ببياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم ويعرفون اهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة

رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها (وبينهما حجاب) اي بين اصحاب الجنة وبين اصحاب النار حجاب به كل منهم محجوب عن صاحبه والمراد باصحاب الجنة ههنا اهل ثواب اعمال من الابرار والزهاد والعباد الذين جنتهم جنة النفوس والافاهل جنة القلوب والارواح لا يحجبون عن اصحاب النار (وعلى الاعراف)

عيونهم والسيما العلامة الدالة على الشيء واصله من السمة قال ابن عباس رضي الله عنهما اصحاب الاعراف اذا رأوا اصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا رأوا اصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان اصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيآتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا هل الجنة وعرفوهم ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم من الآفات وحصل لكم الامن والسلامة واذا رأوا اهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على اهل الجنة واهل النار ثم ينقلهم الله عز وجل الى الدرجات العلية في الجنة ※ وقوله تعالى (لم يدخلوها وهم يطمعون) يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم ※ قوله تعالى (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار) يعني واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف تلقاء اصحاب النار يعني وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وماهم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اصحاب الاعراف اذا نظروا لاهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه ان لا يجعلهم منهم ※ قوله تعالى (ونادى اصحاب الاعراف رجالا) يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء في الدنيا وهم من اهل النار (يعرفونهم بسيماهم) يعني بسيما اهل النار (قالوا) يعني اصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم في النار (ما اغنى عنكم جمعكم) يعني ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعني وما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيأ قال الكلبي ينادونهم وهم على السور ياوليد بن المغيرة ياابا جهل بن هشام يافلان ويافلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول اصحاب الاعراف لاولئك الكفار (اهؤلاء) لفظ استفهام يعني اهؤلاء الضعفاء (الذين اقسمتم) بالله (لا ينالهم الله برحمة) يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضلي ورحمتي (لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاصحاب النار ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اولئك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء يعني اصحاب الاعراف الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ※ قوله عز وجل (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا يا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة

اي على اعالي ذلك الحجاب الذي هو حجاب القلب المفارق بين الفريقين هؤلاء عن يمينه وهؤلاء عن شماله (رجال) هم العرفاء اهل الله وخاصته (يعرفون كلا) من الفريقين (بسيماهم) يسلمون على اهل الجنة بامداد اسباب التزكية والتحلية والانوار القلبية وافاضة والبركات عليهم لم يدخلوا الجنة لتجردهم عن ملابس صفات النفوس وطيباتها وترقيهم عن طورهم فلا يشغلهم عن الشهود الذاتي ومطالعة التجلي الصفاتي نعيم (وهم) اي اصحاب الجنة (يطمعون) في دخولهم ليقتبسوا من نورهم ويستضيؤا باشعة وجوههم ويستأنسوا بحضورهم (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار) اي لا ينظر اليهم طوعا ورأفة ورحمة ورضا بل كراهة واعتبارا كان صارفا صرف ابصارهم اليهم (قالوا ربنا لا تجعلنا

الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادون اى اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم فينادى الرجل اباه واخاه فيقول قداحترقت افض علىّ من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الآية ان اهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عندنزول البلاء باهل النار ومايلقون من شدة العطش والجوع عقوبة لهم من الله على ماسلف منهم فى الدنيا من الكفر والمعاصى يقول اهل النار لاهل الجنة يااهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعنى صبوا علينا من الماء اوممارزقكم الله يعنى واطعمونا ممارزقكم الله ووسعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة بقولهم (ان الله حرمهما على الكافرين) وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم فى الدنيا فى لذة الاكل والشرب عذبهم الله فى الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ماكانوا يعتادونه فى الدنيا من طلب الاكل والشرب فأجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعنى طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال تعالى (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) يعنى انهم تلاعبوا بدينهم الذى شرع لهم واهواءه واصل اللهو مايشغل الانسان عمايعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اى اشتغلت عنه قال ابن عباس رضى الله عنهما هم المستهزؤن وذلك انهم كانوا اذادعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤابه استهزاء بالله عزوجل وقيل هو مازين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لايذكرون الله فيه (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى وخدعتهم عاجل ماهم فيه من خصب العيش ولذته وشغلهم ماهم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسله وعن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة فى اليقظة وهو طمع الانسان فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق فى الدنيا بلذاته وماهو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال (فاليوم) يعنى يوم القيامة (ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) يعنى فاليوم نتركهم فى العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدى قال ابن عباس رضى الله عنهما نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم معاملة من نسى فتركهم فى النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان اعراض الناسى سمى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لاينسى شيأ فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لايجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم بل يتركهم فى النار كما تركوا الايمان والعمل (وما كانوا بآياتنا يجحدون) يعنى ونتركهم فى النار كما كانوا بدلائل وحدانيتنا يكذبون * قوله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب) يعنى ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقرآن الذى انزلناه عليك يا محمد (فصلناه على علم) اى بيناه على علم منا بما نفصله ونبينه (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) اى جعلنا القرآن هاديا وذارحمة لقوم يؤمنون (هل ينظرون) يعنى هل ينتظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآياتنا وجحدوها ولم يؤمنوا بها (الا تأويله) يعنى هل ينظرون ويتوقعون الاماوعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتأويل مايؤول اليه الشئ (يوم يأتى تأويله) يعنى يوم القيامة لانه يوم

مع القوم الظالمين) اى لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا كما قال اميرالمؤمنين علىّ عليه السلام اعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى وقال النبى عليه الصلاة والسلام اللهم ثبت قلبى على دينك فقيل له اما غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال او مايؤمننى ان مثل القلب كمثل ريشة فى فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا مااغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اوممّا رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة

الجزاء وماتؤل اليه امورهم (يقول الذين نسوه من قبل) يعنى يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوابه يوم القيامة عندمعاينة العذاب (قدجاءت رسل ربنابالحق)اقرواعلى انفسهم واعترفواحين لاينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار اقروابأن الذى جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروابهذه الاشياء لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لاينفعهم ولماراوا انفسهم فى العذاب قالوا (فهل لنامن شفعاء فيشفعوالنا اونرد فنعمل غير الذى كنانعمل)يعنى انه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الاان يشفع لنا شفيع عندربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب اونرد الى الدنيا فنعمل غيرالذى كنا نعمل فيها فنبدل الكفربالتوحيد والايمان والمعاصى بالطاعة والانابة (قدخسروا انفسهم)يعنى ان الذى طلبوه لايحصل لهم فتبين خسرانهم واهلاكهم انفسهم لانهم كانوا فى الدنيا اول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا لعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله تعالى فيهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل وذهب عنهم ماكانوا يزعمون ويكذبون فى الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا فى دعوهم كاذبين ❊ قوله عزوجل (ان ربكم الله) يعنى ان سيدكم ومالككم ومصلح اموركم وموصل الخيرات اليكم والذى يدفع عنكم المكاره هوالله (الذى خلق السموات والارض)اصل الخلق فى اللغة التقدير ويستعمل فى ابداع الشئ من غيراصل سبق ولاابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض يعنى ابدعهماوانشأ خلقهما على غير مثال سبق وقدراحوالهما (فى ستة ايام) فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال فى ستة ايام ولم يكن شمس ولاسماء قلت معناه فى مقدارستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيهابكرة وعشيايعنى على مقادير البكر والعشى فى الدنيا لان الجنة لاليل فيهاولانهار واختلف العلماء فى اليوم الذى ابتدا الله عزوجل بخلق الاشياء فيه فقيل فى يوم السبت وهوقول محمدبن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ماروى مسلم فى افراده من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان فى صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للآية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض فى ستة ايام وقال فى آية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكمل فى ستة ايام والذى فى الحديث ان بعض الخلق وقع فى سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلماء وقد ذكر الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة مايقوى الحديث فقال وقال ابن الانبارى السبت القطع وسمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبدالله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك

الدنيا فاليوم ننساهم كمانسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنايجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الاتأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قدجاءت رسل ربنابالحق فهل لنامن شفعاء فيشفعوالنا اونرد فنعمل غيرالذى كنانعمل قدخسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) اى البدن الانسانى المفصل الى اعضاء وجوارح وآلات وحواس تصلح للاستكمال على ماتقتضيه العلم الآلهى وتأويله مايؤل اليه امره فى العاقبة من الانقلاب الى مالايصلح لذلك عندالبعث من هيئات وصور واشكال تناسب صفاتهم وعقائدهم على مقتضى قوله سيجزيهم وصفهم كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما (ان ربكم الله الذى خلق السموات

و مجاهد واختاره ابن جرير الطبرى قال الطبرى خلق الله السموات والارض فى ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وبدأ الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق فى يوم الجمعة وتهوّدت اليهود فى يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ماحكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمى سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن فى السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التى هى الارض بلا دحو ولا بسط فى يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فى يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج ماءها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع مافيها فى يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم فى يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجميع مافيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجته حوّاء ثم اهبطهما الى الارض فى آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اوّل ماخلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ماكان وماسيكون وماخلق وماهو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات ومافيهما من نجوم وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التى خلقها اوّلا ثم خلق جميع مافيهما من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق فى ستة ايام كل يوم مقداره الف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل فى ستة ايام من ايام الدنيا * فان قلت ان الله عز وجل قادر على ان يخلق جميع الخلق فى لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفائدة فى خلق السموات والارض فى ستة ايام وما الحكمة فى ذلك * قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء فى لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شئ حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل فى الوجود الا فى ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأنى فى الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض فى لمحة ولحظة فخلقهن فى ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتأنى فى الامور كما فى الحديث التأنى من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشئ اذا احدث دفعة واحدة فلعله ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشئ انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيأ بعد شئ على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ فى القدرة واقوى فى الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد ان يوقع فى كل يوم امرا من امره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل فى الخلق ابلغ فى القدرة واقوى فى الدلالة والتثبت ابلغ فى الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته فى خلق الاشياء بالتثبت كما اظهر قدرته فى خلق الاشياء بكن فيكون * وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) العرش فى اللغة السرير وقيل هو ماعلا فأظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب فى كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه

والارض فى ستة ايام) اى اختفى فى صور سماء الارواح وارض الاجساد فى ستة آلاف سنة لقوله تعالى وانّ يوما عند ربك كالف سنة مما تعدّون اى من لدن خلق آدم الى زمان محمد عليهما الصلاة والسلام لانّ الخلق هو اختفاء الحق فى المظاهر الخلقية وهذه المدّة من ابتداء دور الخفاء الى ابتداء الظهور الذى هو زمان ختم النبوّة وظهور الولاية كما قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله فيه السموات والارض لانّ ابتداء الخفاء بالخلق هو انتهاء الظهور فاذا انتهى الخفاء الى الظهور عاد الى اوّل الخلق كما مرّ ويتم الظهور بخروج المهدى عليه السلام فى تتمة سبعة ايام ولهذا قالوا مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة (ثم استوى على العرش) اى عرش القلب المحمدى بالتجلى التام فيه بجميع صفاته كما ذكر فى معنى ص (يغشى الليل النهار) ليل البدن وظلمة الطبيعة نهار نور

البشر الابالاسم على الحقيقة وليس هوكاتذهب اليه اوهام العامة فانه لوكان كذلك لكان حاملا له تعالى الله عن ذلك وليس كاقال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال اما الاستواء فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لايفسرونه ولايتكلمون فيه كنحو مذهبهم في امثال ذلك وروى بسنده عن عبدالله بن وهب انه قال كناعند مالك بن انس فدخل رجل فقال ياابا عبدالله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك واخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كاوصف الله نفسه ولايقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج وفي رواية يحيي بن يحيي قال كناعند مالك بن انس فجاء فقال رجل ياابا عبدالله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق مالك برأسه حتى علته الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومااراك الامبتدعا فامر به ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كل ماوصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه واليه ذهب احمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتأخرين ابوسليمان الخطابي قال البغوي اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عزوجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقدتقدم وروى عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة اقرؤها كاجاءت بلا كيف وقال الامام فخرالدين الرازي رحمه الله ذكره الدلائل العقلية والسمعية انه لايمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولانخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهو الذي قررنا في تفسير قوله ومايعلم تأويله الاالله والراسخون في العلم يقولون آمنابه وهذا المذهب هوالذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني انا نخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصا الاول ماذكره القفال فقال العرش في كلامهم هوالسرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال ثل عرشه اى انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ماقاله القفال والذي قال القفال حق وصواب ثم قاله والله تعالى دل على ذاته وصفته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم تنبيها على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة جريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش واورد على هذا القول ان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لايصح ان يقال شبع زيد الابعد اكله الطعام فاذ فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما

الروح (بماله) بتهيئته واستعداده ثم وله باستدال مزاجه سريعا وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس (حينا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) الذي هوالشأن المذكور في قوله كل يوم هو في شأن (الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) الايجاد بالقدرة والتصريف بالحكمة اولاله التكوين والابداع وازحل السموات والارض على الظاهر فالايام الستة هي الجهات الست اذ يعبر عن الحوادث بالايام كقوله وذكرهم بايام الله اى خلق عالم الاجسام في الجهات الست ثم استعلى متمكنا على العرش بالتأثير فيه باثبات صور الكائنات عليه وللعرش ظاهر وباطن فظاهره هوالسماء التاسعة التي تنقش فيها صور الكائنات باسرها ويتم وجودها وعدمها المحو والاثبات فيها على ماسيأتي في تأويل قوله يمحو الله مايشاء ويثبت ان شاء الله وباطنه هوالعقل الاول المرتسم

استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثانى ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات ورد هذا القول بأن العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن فى ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستوليا عليها فاى تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقى عن ابى الحسن الاشعرى ان الله تعالى فعل فى العرش فعلا سماه استواء كما فعل فى غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرهما من افعاله ثم لم يكيف الاستواء الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخى والتراخى انما يكون فى الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون فى المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفى التحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقه الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقى رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد اشار ابو الحسن الاشعرى الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابى هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشياء بائن منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستواء صفة لله تعالى تنفى الاعوجاج عنه وروى ان ابن الاعرابى جاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ما معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اى استولى فقال له ابن الاعرابى ما يدريك ان العرب لا تقول استولى فلان على الشئ حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما تظنه البشر والله اعلم * وقوله تعالى (يغشى الليل النهار) يعنى انه تعالى يأتى بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشى النهار الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه (يطلبه حثيثا) يعنى سريعا وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الآخر ويخلفه فكأنه يطلبه حكى الامام فخر الدين الرازى عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوائه على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان فى اشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهى الف فرسخ فلهذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية فى مجاريها بأمره وقال المفسرون يعنى بتسخيرهن تذليلهن لما يراد منها من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن فى متصرفاتهن على ارادة المدبر لهن

بصور الاشياء على وجه كلى المعبر عنه ببطنان العرش كما جاء نادى مناد من بطنان العرش وهو محل القضاء السابق فالاستواء عليه قصد الاستعلاء عليه بالتأثير فى ايجاد الاشياء باثبات صورها عليه قصدا مستويا من غير ان يلوى الى شئ غيره (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف

الحكيم فى تدبيرهن وتصريفهن على ما اراد منهن والمراد بالامر فى قوله بامره نفاذا رادته لان الغرض من هذه الآية تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الامر الذى هو الكلام وقال انه تعالى امر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم افردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم قلت انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما فى المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة ۞ وقوله تعالى (الا له الخلق والامر) يعنى له الخلق لانه خلقهم وله ان يأمر فيهم بما اراد وله ان يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذى هو نقيض النهى واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر الذى فمن جمع بينهما فقد كفر يعنى ان من جعل الامر الذى هو كلامه تعالى من جملة ماخلقه فقد كفر لان المخلوق لايقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع مافى العالم عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجرى بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشئها فلا يبقى بعد هذا لاحد شئ وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفى الآية دليل على انه لاخالق الا الله عز وجل نفيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الآمر والناهى الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد لااعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله) يعنى تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله (رب العالمين) يعنى انه هو الذى يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الذى خلق السموات والارض وذكر اشياء من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الآية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه باسمه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف ۞ قوله عز وجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لان معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لان الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من انواع العبادة لان الداعى لايقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعى فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعا) يعنى ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذى فى النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعنى تملقا وحقيقته ان تدعوه

الآيات لقوم يشكرون لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين

(خاضعين)

خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى (وخفية) يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء ان يكون خفيا لهذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الاهمسا بينهم وبين ربهم وذلك انه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا رضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا (ق) وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى رضي الله عنه وانا خلفه اقول لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم يعني ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعاء * وقوله تعالى (انه لا يحب المعتدين) يعني في الدعاء وقال ابو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء اخرجه ابو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء فكل من خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفاء الطاعات والعبادات افضل من اظهارها لهذه الآية ولكونها ابعد عن الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدي به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادات صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى التمكين بحيث صار مباينا شائبة الرياء كان الاولى في حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم الى اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفائها فالصلاة المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل من صلاته في المسجد وكذا اظهار الزكاة افضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع افضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات * قوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني ولا تفسدوا ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء الى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال ابن عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا في الارض شيأ بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل او افسادها بقطع بعض الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب

قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا

شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة فى الدنيا هى هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد فى ماهيتها ❊ وقوله تعالى (وادعوه خوفا وطمعا) اصل الخوف انزعاج فى الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه فيحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء فى الذكر والدعاء وطمعا فى الاجابة فان قلت قال فى اول الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا هو عطف الشئ على نفسه فما فائدة ذلك قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اى ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فائدة الدعاء احد هذين الامرين فكانت الآية الاولى فى بيان شرط صحة الدعاء والآية الثانية فى بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين فى انفسكم بين الخوف والرجاء فى اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله فى العبادة والدعاء وان اجتهدتم فيهما (ان رحمت الله اصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة فى الرقة المجردة عن الاحسان وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها البارى جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هى ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثانى تكون من صفات الذات (قريب من المحسنين) قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تأنيث الرحمة ليس بحقيقى وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان فى كل ساعة من الساعات فى ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة واذا كان كذلك الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التى هى الثواب فى الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان ❊ قوله عز وجل (وهو الذى يرسل الرياح) هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وهو الذى يرسل الرياح (بشرا) قرئ نشرا بالنون اراد جمع نشور وهى الريح الطيبة الهبوب التى تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال انشر الله الريح بمعنى احياها وقال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة التى تنشئ السحاب وقال ابن الانبارى النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطى فيحتمل انها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى ارسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشيرة وهى التى تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربعة الصبا وهى الشرقية والدبور وهى الغربية والشمال وهى التى تهب من القطب الشمال والجنوب وهى القبلية وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان الرياح ثمان اربع منها عذاب وهى القاصف والعاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات (بين يدى رحمته) يعنى امام المطر الذى هو رحمته وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانبارى رحمه الله تعالى اليدان تستعملهما العرب فى المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون فى الفتن بين يدى الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا بما اذا كانت يدا الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به ❊ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال اخذت الناس ريح

بآياتنا وما كانوا مؤمنين والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم)

الناقة لصالح عليه السلام كالعصا لموسى عليه السلام والحمار لعيسى والبراق لمحمد عليهما السلام فان لكل احد من الانبياء وغيرهم مركبا هو نفسه الحيوانية الحاملة الحقيقة التى هى النفس الانسانية وتنتسب

بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله مابلغكم فى الريح فلم يرجعوا اليه شيأ وبلغنى الذى سأل عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتى حتى ادركت عمر وكنت فى مؤخر الناس فقلت ياأمير المؤمنين اخبرت انك سألت عن الريح فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تعالى تاتى بالرحمة وتاتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعى رضى الله عنه بطوله واخرجه ابو داود فى المسند منه وقال كعب الاحبار لوحبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل الارض * وقوله تعالى (حتى اذا اقلت سحابا ثقالا) يقال اقل فلان الشئ اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيأ يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء اولم يكن فيه ماء سمى سحابا لانسحابه فى الهواء والمعنى حتى اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيه من الماء قال السدى ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم ثم تنشره فتبسطه فى السماء كيف يشاء ثم تفتح له ابواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تتحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم ينضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عزوجل وهو قوله تعالى (سقناه لبلد ميت) نعنى الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائز انظرا الى اللفظ قال الازهرى رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الارض عامرا وغير عامر خال اومسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة * للجن بالليل فى حافاتها زجل

ومعنى الآية اناسقنا السحاب الى بلد ميت محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فانزلنا به الماء) اختلفوا فى الضمير فى قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الانبارى جائز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجائز ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لنزول الماء (فاخرجنا به) يعنى بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت (من كل الثمرات) يعنى واخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدبه من اصناف الثمار والزروع (كذلك نخرج الموتى) يعنى كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى احياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس آثارهم واختلفوا فى وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيى الموتى بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما ان الناس اذا ماتوا فى النفخة الاولى امطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفى رواية اربعين يوما فينبتون فى قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم واعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا

بالصفة الغالبة الى ما تتصف بتلك الصفة من الحيوانات فيطلق عليه اسمه فمن كانت نفسه مطواعة منقادة من غاية اللين جولة قوية متذللة فركبه ناقة ونسبتها الى الله لكونها مأمورة بامره مختصة به فى طاعته وقربه وما قيل ان الماء قسم بينها وبينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم اشارة الى ان مشربهم من القوة العاقلة العملية ومشربها من العاقلة النظرية وما روى انها يوم شربها كانت تتفحج

اراد الله تعالى ان يخرج الموتى امطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كاحيائه الارض به و قيل انما وقع التشبيه باصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما احيا هذا البلد الميت بعد جرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيى الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احياء بعدان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان يحييهم ويخرجهم من قبورهم ونشرهم (لعلكم تذكرون) الخطاب لمنكرى البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهى مزهرة موقة مثمرة فى ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق الثمار ثم ان الله تعالى احيا ها مرة اخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصف ماوصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبر واوتذكر واوتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذى يعيد ويحيي ❊ قوله تعالى (والبلد الطيب) يعنى والارض الطيبة التربة السهلة السمحة (يخرج نباته باذن ربه) يعنى اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن الله عزوجل (والذى خبث لايخرج) يعنى والبلد الذى خبث ارضه فهى سبخة لايخرج يعنى لايخرج نباته (الانكدا) يعنى عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر فى المعنى يذم انسانا

لاتنجز الوعدان وعدت وان ❊ اعطيت اعطيت تافها نكدا

يعنى بالتافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان اعطيت القليل بشر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار الثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبخة التى لاينتفع بها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لاينتفع به ولايصدقه ولايزيده الاعتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة فى الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولاينتفع بها فى الاخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمر طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التى خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله تعالى لآدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل مابعثنى الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طائفة منها اخرى انما هى قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلاء فذلك مثل من فقه فى دين الله عزوجل ونفعه مابعثنى الله تعالى به فعلم وعلم من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذى ارسلت به اخرجاه فى الصحيحين ❊ قوله تعالى (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) يعنى كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا بسماع القرآن ❊ قوله عزوجل (لقد ارسلنا

فيحلب منها اللبن حتى ملؤا اوانيهم اشارة الى ان نفسه تستخرج بالفكر من علومه الكلية الفطرية العلوم النافعة للناقصين من علوم الاخلاق والشرائع والآداب وخروجها من الجبل ظهورها من بدن صالح عليه السلام هذا هو التأويل مع ان الاقرار بظاهرها واجب فان ظهور المعجزات وخوارق العادات حق لاننكر شيأ منها ومايؤيد التأويل تسوية النبي عليه الصلاة والسلام عاقرها بقاتل على عليه السلام حيث قال ياعلى اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح ثم قال اتدرى من اشقى الآخرين قال الله

نوحا الى قومه) اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر فى الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته واقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وماجرى لهم مع اممهم وفى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد اعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة اولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك فى الدنيا وفى الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا من قبله من الامم المكذبة وفى ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لايقرأ ولايكتب ولم يلق احدا من علماء زمانه فلما اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ومعنى ارسلنا بعثنا وهو اول نبى بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نوح عليه الصلاة والسلام نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثه الله وهو ابن اربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضى الله عنهما سمى نوحا لكثرة مناح على نفسه واختلفوا فى سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه فى شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ ياقبيح فأوحى الله تعالى اليه اعبتنى ام عبت الكلب (فقال) يعنى نوحا لقومه (ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) يعنى اعبدوا الله تعالى فانه هو الذى يستحق العبادة لاغيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذى يستوجب ان يعبد (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعنى ان لم تقبلوا ما آمركم به من عبادة الله تعالى واتباع امره وطاعته واليوم الذى خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة انما قال اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة (قال الملأ) وهم الجماعة الاشراف (من قومه انا لنراك) يعنى يانوح (فى ضلال مبين) يعنى فى خطار وزوال عن الحق بين (قال) يعنى نوحا (ياقوم ليس بى ضلالة) مابى ماتظنون من الضلال (ولكنى رسول من رب العالمين) يعنى هو ارسلنى اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله (ابلغكم رسالات ربى) يعنى بتحذيرى اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به (وانصح لكم) يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريده لنفسه وقيل النصح تحرى قول اوفعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وارشدكم الى الاوجه الاصلح والاصوب لكم وادعوكم الى مادعانى اليه واحب لكم مااحب لنفسى قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع اوامر الله تعالى ونواهيه وجميع انواع

ورسوله اعلم قال فانك وروى انه قال من خضب هذا بهذا واشار بيده الى لحيته ورأسه (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن

التكاليف التي اوجبها الله تعالى عليهم واما النصيحة فهوان يرغبهم في قبول الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه ﴿ واعلم من الله مالاتعلمون ﴾ يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ونعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم من الله مالاتعلمون ﴿ اوعجبتم ﴾ الالف الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه اكذبتم وعجبتم ﴿ ان جاءكم ذكر من ربكم ﴾ يعني وحيا من ربكم ﴿ على رجل منكم ﴾ تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماه ذكرا كما سمى القرآن ذكرا وقيل المراد المعجزة التي جاءبها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع اى مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع ﴿ لينذركم ﴾ يعني جاءكم لاجل ان ينذركم ﴿ ولتتقوا ﴾ اى ولاجل ان تتقوا ﴿ ولعلكم ترحمون ﴾ لان المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل مالاينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة ﴿ فكذبوه ﴾ يعني فكذبوا نوحا ﴿ فأنجيناه ﴾ يعني من الطوفان والغرق ﴿ والذين معه ﴾ يعني من آمن من قومه معه ﴿ في الفلك ﴾ يعني في السفينة ﴿ واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر وانشدوا قول زهير

واعلم مافي اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم مافي غد عم

قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم والغرق * قوله تعالى ﴿ والى عاد اخاهم هودا ﴾ اى وارسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك او الجن والثاني انه اخاهم يعني صاحبهم العرب تسمي صاحب القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ اى اعبدوا الله وحده ولاتجعلوا معه الها آخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من غيره ﴿ افلاتتقون ﴾ يعني افلاتخافون عذابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ماحل بهم من الغرق حسن قوله هنا افلاتتقون يعني افلا تخافون مانزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة

لاتحبون الناصحين ولوطا اذقال لقومه اتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم مسرفون وما كان جواب قومه الاان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الاامرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قدجاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولاتفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولاتقعدوا بكل

نوح شئ حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة) يعنى انا لنراك ياهود فى حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا له انا لنراك فى ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا له انا لنراك فى سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوّف قومه بالطوفان وطفق فى عمل السفينة قال له قومه عند ذلك انا لنراك فى ضلال مبين حيث تتعب فى اصلاح سفينة فى ارض ليس فيها من الماء شئ واما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك فى سفاهة (وانا لنظنك من الكاذبين) يعنى فى ادعائك انك رسول من عند الله (قال) يعنى قال هود لهؤلاء الملأ الذين نسبوه الى السفه (ياقوم ليس بى سفاهة) يعنى ليس الامر كما تدعون ان بى سفاهة (ولكنى رسول من رب العالمين) يعنى اليكم (ابلغكم رسالات ربى) يعنى اودى اليكم ما ارسلنى به من اوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه (وانا لكم ناصح) يعنى فيما آمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ماسواه (امين) يعنى على تبليغ الرسالة واداء النصح والامين الثقة على ما ائتمن عليه حكى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال وانصح لكم وحكى عن هود عليه الصلاة والسلام انه قال وانا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثانى بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدد النصح ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله عنه بقوله قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم ناصح واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين والمدح للنفس باعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وانما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم فى قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين فى تبليغ ما ارسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوّة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه فى موضع الضرورة الى مدحها (اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعنى اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوّفكم عقابه (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعنى واذكروا نعمة الله عليكم اذ اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم فى الارض (وزادكم فى الخلق بسطة) يعنى طولا وقوة قال الكلبى والسدى كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثنى عشر ذراعا وقال وهب كان رأس احدهم مثل القبة العظيمة (فاذكروا آلاء الله) يعنى نعم الله وفيه اضمار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تفوزوا بالفلاح وهو البقاء فى الآخرة (قالوا) يعنى قال قوم هود مجيبين له (اجئتنا) ياهود (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) يعنى من الاصنام (فأتنا بما تعدنا) يعنى من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى فى قولك انك رسول الله (قال) يعنى قال هود مجيبا لهم (قد وقع) يعنى نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس وغضب) اى عذاب وسخط (اتجادلوننى) يعنى اتخاصموننى (فى اسماء سميتموها

صراط توعدون وتصدون
عن سبيل الله من آمن به
وتبغونها عوجا واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم
وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذى ارسلت به
وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا
حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحاكمين قال الملأ
الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك ياشعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا
اولتعودنّ فى ملتنا قال
اولو كنا كارهين قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها
ومايكون لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا
كل شئ علما على الله توكلنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وانت خير الفاتحين
وقال الملأ الذين كفروا
من قومه لئن اتبعتم
شعيبا انكم اذا لخاسرون
فأخذتهم الرجفة فاصبحوا
فى دارهم جاثمين الذين

انتم وآباؤكم) يعني وضعتم لها اسماء من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالآلهة وذلك معدوم فيها (ما نزل الله بها من سلطان) يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل (فانتظروا) يعني العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعني نزول العذاب بكم (فأنجيناه) يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه (والذين معه برحمة منا) يعني وانجينا اتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا)يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه واراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فهلكوا جميعا ولم يبق منهم واحد (وما كانوا مؤمنين) يعني لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

* (ذكر قصة عاد على ماذكره محمد بن اسحق واصحاب السير والاخبار) *

قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله تعالى فيهم هودا عليه الصلاة والسلام الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد فسقوا فى الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التى جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله عزوجل صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عزوجل فيهم هودا عليه الصلاة والسلام وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم موضعا فأمرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعيد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم واكثروا فى الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عزوجل ذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عزوجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبرى وهو رجل من عاد وكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ونعيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صندين بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذى اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالى واصهارى وهؤلاء

كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا

(مقيمون)

مقيمون عندى وهم ضيفى نازلون على والله مادرى كيف اصنع فانى استحى ان آمرهم بالخروج لمابعثوا اليه فيظنوا انه ضيق منى بمكانهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا قال وشكا ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما * فيسقى ارض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما * من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد امست نساؤهم ايامى * وان الوحش تأتيهم جهارا
ولا تخشى لعادى سهاما * وانتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وعرف القوم ماغنتا به قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأتم عليكم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك وقال فى ذلك

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد * فابصرنا الهدى وجلى العماء
وان اله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء
لقد حكم الاله وليس جورا * وحكم الله ان غلب الهواء
على عاد وعاد شر قوم * فقد هلكوا وليس لهم بقاء
وانى لن افارق دين هود * طوال الدهر او يأتى الفناء

فقال جلهمة بن الخيبرى مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته وعرف انه اتبع دين هود وآمن به

الا ياسعد انك من قبيل * ذوى كرم وامك من ثمود
فانا لا نطيعك مابقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين وفد * ورمل والصداء مع الصمود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وابيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها العاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعونه فقال مرثد اللهم اعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعو فقال اللهم اعط قيلا ماسألك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وسأل طول العمر فعمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين دعا ياالهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لقومك ولنفسك

ضحى وهم يلعبون افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى

من هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا يبقى من آل عاد احدا وساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختار هاقيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ مرت به بامر ربها وكان اول من ابصر مافيها وعرف انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت مافيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ماذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من آل عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة مايصيبه ومن معه من الريح الاماتلين عليه الجلود وتلذبه الانفس وانها فى قوتها لتمر بالظعن من عاد فتحملهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية ابن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ اقبل اليه رجل على ناقة فى ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له اين فارقت هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكأنهم شكوا فيما احدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب فجاءت الريح فقلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم ارسل الله عليهم طيرا اسود فنقلهم الى البحر فالقاهم فيه وقيل ان الله تعالى امر الريح فأمالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم غير انه لاسبيل الى الخلود ولابد من الموت فقال مرثد اللهم اعطنى برا وصدقا فاعطى ذلك قال لقمان اللهم اعطنى عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار لنفسه مايصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لاابالى لا حاجة لى فى البقاء بعد قومى فاصابه الذى اصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من ارض اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ان قبر هود عليه الصلاة والسلام بحضرموت فى كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن شبا بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم الصلاة والسلام فى تلك البقعة ويروى ان كل نبى من الانبياء اذا اهلك قومه جاء هو والصالحون من قومه معه

يافرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على ان لااقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى

الى مكة يعبدون الله تعالى حتى يؤتوا بها ✻ قوله عزوجل (والى ثمود اخاهم صالحا) يعنى وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وماحوله ومعنى الكلام والى بنى ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذى ينسبون اليه اخاهم صالحا يعنى فى النسب لا فى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) يعنى قال لهم صالح حين ارسله الله تعالى اليهم ياقوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيأ فمالكم من اله يستحق ان يعبد سواه (قد جاءتكم بينة من ربكم) يعنى جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعو اليه من عبادة الله تعالى وان لا تشركوا به شيأ وعلى تصديق بانى رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) يعنى علامة على صدق قال العلماء رحمهم الله تعالى ووجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة انها خرجت من صخرة فى الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت فى ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة ايضا لان ناقة تشرب ماتشرب به قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها فى يوم شربها قدر مايكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا ايضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء فى يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء فى غير يوم الناقة وهذا ايضا معجزة وانما اضافها الى الله تعالى فى قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح (فذروها تأكل فى ارض الله) يعنى فذروا الناقة تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة ايضا لله وليس لكم فى ارض الله شئ لانه هو الذى انبت العشب فيها (ولا تمسوها بسوء) يعنى ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من انواع الاذى ولا تعقروها (فيأخذكم عذاب اليم) يعنى بسبب عقرها واذاها (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) يعنى ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم فى الارض وتعمرونها (وبوأكم) يعنى واسكنكم وانزلكم (فى الارض تتخذون من سهولها قصورا) يعنى تبنون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين (وتنحتون الجبال بيوتا) يعنى وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفهين (فاذكروا آلاء الله) اى فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروا عليها (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) قال قتادة معناه ولا تسيروا فى الارض مفسدين فيها والعثو اشد الفساد وقيل اراد به عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهى عن جميع انواع الفساد (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) يعنى قال الاشرف الذين تعظموا عن الايمان بصالح (للذين استضعفوا) يعنى المساكين (لمن آمن منهم) يعنى قال الاشرف المتعظمون فى انفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه (اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) يعنى ان الله ارسله الينا واليكم (قالوا انا بما ارسل به مؤمنون) يعنى قال الضعفاء انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون (قال الذين استكبروا) يعنى عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح (انا

اما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف مايأفكون فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) ظاهره اعجاز موسى كما هو مروى والتأويل هو ان العصا اشارة الى نفسه التى يتوكأ عليها اى يعتمد عليها فى الحركات والافعال الحيوانية ويهش بها على غنم القوى البهيمية السليمة ورق الآداب الجميلة والملكات الفاضلة والعادات الحميدة من شجرة الفكر وكانت نفسه من

بالذى آمنتم به كافرون) اى جاحدون منكرون (فعقروا الناقة) يعنى فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره (وعتوا عن امر ربهم) اى تكبروا عن امر ربهم وعصوه والعتو الغلو فى الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا وتركوا امره فى الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه الصلاة والسلام (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) يعنى من العذاب (ان كنت من المرسلين) يعنى ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله تعالى ينصر رسله على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين فى كل ما اخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى (فأخذتهم الرجفة) قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدى هى الصيحة فيحتمل انهم اخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) يعنى فأصبحوا فى ارضهم وبلدهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب اى بلد الحرب ودار بنى فلان بمعنى موضعهم ومحلهم وجمع فى آية اخرى فقال فى ديارهم لانه اراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعنى باركين على الركب والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطئا بالارض فى حال نومه وسكرته بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين على وجوههم موتى لا يتحركون (فتولى عنهم) يعنى فأعرض عنهم صالح وفى وقت هذا التولى قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على انه جعل هذا التولى بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثانى انه تولى عنهم وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء فعلى هذا القول يحتمل ان يكون فى الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبى صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا فى القليب فجعل يناديهم بأسمائهم الحديث فى الصحيح وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتى من بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التى كانوا عليها * (ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار) * قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا فى الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حى فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا فى سعة من العيش والرخاء فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله تعالى والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا القليل مستضعفون فلما الح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سألوه ان يريهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال صالح اى آية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك فى يوم معلوم من السنة وقالوا تدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا

سياسته اياها ورياضته لها منقادة لتصرفاته مطاوعة لاوامره مرتدعة عن افعالها الحيوانية الاباذنه كالعصا واذا ارسلها عند الاحتجاج فى مقابلة الخصوم صارت كالثعبان يتلقف ما يأفكون من اكاذيبهم الباطلة ويزورون من حبال شبهاتهم التى بها تحكم دعاويهم وعصى مغالطاتهم ومن خرقاتهم التى تمسكوا بها عند الخصام فى اثبات مقاصدهم فتغلبهم وتقهرهم (ونزع يده) اى اظهر قدرته الباهرة التى تبهرهم وتظهر نور حقية دعواه والظاهر انه كان الغالب على زمانه هو السحر فخرج بالسحر الآلهى كان الغالب

فقال لهم صالح ثم خرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا اوثانهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح فى شىء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت آمنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقنى ولتؤمنن بى قالوا نعم قال فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوا ووصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط معه من قومه واراد بقية اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبى اوثانهم ورباب بن صمير وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها فى ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتتفحج لهم فيحلبون ما شاؤا منها من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذى وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاء الله من الماء ويدخرون ما شاؤا ليوم الناقة فهم على ذلك فى سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادى فتكون فى حره وجدبه واذا كان الشتاء تشتوا الناقة فى بطن الوادى فتهرب المواشى الى ظهره فتكون فى البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للامر الذى يريده الله بهم للبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فأجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهى امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدقة بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيهما فتحيلتا فى عقر الناقة فدعت صدقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا ويزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة اقدار اى بناتى شئت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا فى قومه (ق) عن عبد الله بن زمعة رضى الله تعالى عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى رهطه مثل ابى زمعة قوله انبعث اى قام بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع

بن مهزج فاستفزوا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط انطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقدكمن لها قدار فى اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم فى عضلة ساقها فخرجت ام غنم عنيزة وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من احسن الناس وجها فرآها قدار ثم حثته على عقرها واغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فتحدر سقبها من الجبل ثم طعن قدار فى لبتها فنحرها فخرج اهل البلد فاقتسموا لحمها فلما راى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صور وقيل قارة واتى صالح عليه الصلاة والسلام فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فأقبل نحوها وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يانبى الله انما عقرها فلان ولاذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا فى طلبه فراوه على الجبل فذهبوا ليأخذوه فأوحى الله تعالى الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ماتناله الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذبه فانزله والقوا لحمه مع لحم صالح عليه الصلاة والسلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فى ذلك الوقت الاحد اول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فأتوه ليلا ليقتلوه فى اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطؤا على اصحابهم اتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لاتقتلوه ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا فلم تزيدوا ربكم الاغضبا عليكم وان كان كاذبا فأنتم وراء ماتريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحى من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بأبى هدب وهو مشرك فغيب صالحا فلم يقدروا عليه وكانوا عمدوا الى اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يانبى الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك افندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فأتوا اباهدب فكلموه فى امر صالح فقال هو عندى وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم مانزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما امسوا صاحوا بأجمعهم الاقد مضى يوم من الاجل فلما

اصبحوا فى اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا
انه العذاب فلما امسوا صاحوا بأجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما
اصبحوا فى اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم
العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصلاة والسلام ومن اسلم معه من بين اظهرهم
الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبحوا فى اليوم الرابع تكفنوا وتحنطوا والقوا بأنفسهم
الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لايدرون من اين يأتيهم
العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة
وصوت كل شئ له صوت فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية
مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه الصلاة والسلام
فاطلق الله تعالى رجليها بعدما عاينت العذاب وما اصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى اتت
وادى القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذى بثمود ثم استقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت
فى الحال وذكر السدى فى عقر الناقة فقال اوحى الله عزوجل الى صالح عليه الصلاة والسلام
ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ماكنا لنفعل فقال صالح انه سيولد فى شهركم
هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لايولد لنا فى هذا الشهر ولد الاقتلناه قال فولد
لتسعة منهم فى ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فأبى ان يذبحه لانه كان لم يولد له
قبل ذلك ولد وكان الولد الذى ولد له احمر ازرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة
فرأوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب
قتل ابنائهم فتقاسموا بالله يعنى فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فنرى الناس انا قد خرجنا
الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم
نرجع الى الغار فنكون فيه حتى ننصرف الى رحلنا فنقول ماشهدنا مهلك اهله وانا لصادقون
فيصدقوننا فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لاينام معهم فى القرية بل كان يبيت فى مسجد له
خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه
قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على
امرهم لينظروا مافعل اولئك النفر فرأوهم وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون مارضى صالح
بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على
تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدى وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قدار فكان يشب سريعا
فلما كبر جلس مع اناس يشربون الخمر فأرادوا ماء يمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب
الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا مانصنع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا
نأخذ هذا الماء الذى تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل
لكم ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقرها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحجر قال لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم مااصابهم الا ان تكونوا
باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادى وفى رواية لمسلم لاتدخلوا على هؤلاء المعذبين
ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود

على زمان محمد عليه الصلاة
والسلام كان هو الفصاحة
فكان معجزه القرآن وعلى
زمان عيسى عليه السلام
الطب فجاء بالطب الالهى
على ماروى لان معجزة كل
نبى يجب ان تكون من جنس
ماغلب على زمانه ليكون
ادعى الى اجابة دعواه (والقى
السحرة ساجدين قالوا آمنا
برب العالمين رب موسى
وهرون قال فرعون آمنتم به
قبل ان اذن لكم ان هذا
لمكر مكرتموه فى المدينة
لتخرجوا منها اهلها فسوف
تعلمون لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف
ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا
انا الى ربنا منقلبون وماتنقم
منا الا ان آمنا بآيات ربنا

فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما … ويعلفوا
الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة … ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من آبارها ولا … واستقيا
فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا … الماء وفي … الاحاديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم الآيات … قوم صالح … رسولهم
الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا … وردها
واراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم … اديم
السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا … سيف
كان في حرم الله فمنعه حرم الله تعالى من عذاب الله فلما خرج اصابه … ودفن
معه غصن من ذهب واراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم … فابتدروه
باسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة … من قومه … اربعة
آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح … والاربعة
آلاف مدينة وسموها حاضوراء وقال قوم من اهل العلم … صالح عليه السلام
بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين … سنة
ورأسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن … تارح … اخي
ابراهيم وابراهيم عمه (اذ قال لقومه) يعني اهل سدوم واليهم كان … ذلك … الصلاة
والسلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام الى … السلام
ارض فلسطين ونزل لوط الاردن ارسله الله تعالى الى اهل سدوم … فدعاهم الى … ونهاهم
عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) يعني … في غاية
في القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكر في ادبارهم (ما سبقكم بها من احد … من
الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية … القوم
بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام … وتقريع … تلك
الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا الا كان من قوم لوط (انكم لتأتون الرجال)
يعني في ادبارهم (شهوة من دون النساء) يعني ان ادبار الرجال اشهى عندكم … النساء
(بل انتم) يعني ايها القوم (قوم مسرفون) اي مجاوزون الحلال الى الحرام … غيرهم
ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة … لبقاء
النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فاذا تركهن … وعدل
عنهن الى غيرهن من الرجال فكأنما قد اسرف وجاوز … ووضع الشيء في غير محله
وموضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليست محلا للولادة … الشهوة
المركبة في الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن … وغيره … الاخبار
والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة ذات زروع وثمار لم … في الارض … فقصدهم
الناس فآذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ فقال لهم ان فعلتم بهم … نجوتم
منهم فأبوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا صباحا فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم

لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم

قال الحسن ... لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال
الكلبي ... من عمل به عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان
فتمثل لهم ... في صورة ... امرد ودعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره فامر الله تعالى
السماء ان ... عليهم والارض ان تخسف بهم * قوله عزوجل (وما كان جواب قومه)
يعني ... جواب قوم لوط ... اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم
من العمل ... (الا ان قالوا) يعني قال بعضهم لبعض (اخرجوهم من قريتكم) يعني
اخرجوا ... واتباعه ... من بلدكم (انهم اناس يتطهرون) يعني انهم اناس يتنزهون
عن فعل ... ادبار ال... موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي
والآثام ... طهارة ... فقد تطهر فلهذا قال انهم اناس يتطهرون اي من فعل المعاصي
والآثام ... ه واهله ... فانجينا لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله
المتصلون ... المراد باهله ابنتاه (الا امرأته) يعني زوجته (كانت من
الغابرين ... كانت ... في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين
المعمر ... عليها ... هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين
ولم يقل ... ات لانه ... مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين (وامطرنا
عليهم ... حجارة ... ت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة
يقال في ... الامطار ... رحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعني انظر
يا محمد ... ن عاقبة ... الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال
مجاهد ... جبريل عليه السلام ... حل جناحيه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء
ثم قلبها ... اعلاها اسفلها ... امطروا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان
هذا ... النبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا بما جرى على اولئك
فينزجروا ... ن الاعتبار ... الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة * قوله عزوجل (والى مدين
اخاهم ... يعني و ... مدين ... اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين بن
ابراهيم عليه الصلاة ... لام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين اسم
للقبيلة ... بنو تميم ... وبنو اسد وقيل مدين اسم للماء الذي كانوا عليه وقيل هو
اسم للمدينة ... على هذا ... يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح هو الاول لقوله
اخاهم ... يعني في النسب ... ادريس وشعيب هو ابن ثويب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ... عطاء وقال ... ابن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم
عليه السلام ... ام ميكيل ... بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن ثويب بن مدين بن ابراهيم
عليه السلام ... كان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه
اهل كفر ... وبخس في المكيال والميزان (قال) يعني شعيب (ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله
غيره قد ... جاءتكم بينة من ربكم) يعني قد جاءتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق
ما ادعي من النبوة والرسالة الكريمة لانه لابد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء به من
عند الله ... تلك المعجزة التي ... لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء مذكورة
في القرآن وقيل اراد بالبينة مجيء شعيب بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله

سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق

(فاوفوا الكيل والميزان) يعني فاتموا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم ٭ وهو قوله (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) يعني لاتظلموا الناس حقوقهم ولاتنقصوهم اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطففه (ولاتفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني بعد ان اصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم (ذلكم) يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبخس (خير لكم) يعني مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بما اقول (ولاتقعدوا بكل صراط توعدون) يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولاتقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله تعالى (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم (وتبغونها عوجا) يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والضلال ولاتستقيمون على طريق الهدى والرشاد (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) يعني ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعني وانظروا نظر اعتبار مانزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لما عصوه وكذبوا رسله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا) يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة آمنت بي وصدقت برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى يحكم الله بيننا) يعني حتى يقضي الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم (وهو خير الحاكمين) يعني انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اولتعودن في ملتنا) يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لابد من احد امرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا اولترجعن الى ديننا وملتنا ومانحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ماكان عليه فما معنى قوله اولتعودن في ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة اولئك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب

الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ انجينا كم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها

وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد علىّ من فلان مكروه بمعنى قد لحقنى منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الايام احسن مدة * الىّ فقد عادت لهن ذنوب

اراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان * وقوله تعالى (قال اولو كنا كارهين) اى لانعود فى ملتكم وان اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولاندخل (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) يعنى ان شعيبا اجاب قومه اذدعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعنى قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ماانتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطأها *وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل مافى الاول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ماكان فى ملتهم قط حتى يقول ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل مااجيب عن الاشكال الاول وهو ان نقول ان الله نجى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريأ مما كانوا عليه من الكفر فأجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منهـا علما قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصنا منها * وقوله تعالى اخبارا عنه (وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) يعنى ومايكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذى نحن عليه الا ان يشاء الله ربنا يعنى الا ان يكون قد سبق لنا فى علم الله ان نعود فيها فحينئذ يمضى قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا الابتداء والذى عليه اهل العلم والسنة فى هذه الآية ان شعيبا واصحابه قالوا ماكنا لنرجع الى ملتكم بعد ان وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته يسعد من يشاء بالطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الاترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا مايقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قال الزجاج رحمه الله تعالى المعنى ومايكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق فى علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله (وسع ربنا كل شىء علما) يعنى انه تعالى يعلم مايكون قبل ان يكون وماسيكون وانه تعالى كان عالما فى الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد فى علم الله تعالى والشقى من شقى فى علم الله تعالى (على الله توكلنا) اى على الله نعتمد واليه نستند فى امورنا كلها فانه الكافى لمن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لاعلى غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعاء فقال ربنا افتح اى اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعنى بالعدل الذى لاجور فيه ولاظلم ولاحيف (وانت خير الفاتحين) يعنى خير الحاكمين قال الفراء ان اهل عمان يسمون القاضى الفاتح والفتاح وقال غيره من اهل اللغة هى لغة مراد وانشد لبعضهم فى ذلك

بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى واصلح ولاتتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) قيل امره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فمه فتسوك فعاتبه الله على ذلك وأمره بزيادة عشر وقيل امره بان يتقرب اليه بما تقرب به فى الثلاثين وانزل اليه التوراة فى العشر الاخير تتمة الاربعين فالاول اشارة الى انه خلص عن حجاب الافعال والصفات

الابلغ بنى عصم رسولا * فانى عن فتى حكم غنى

اراد انه غنى عن حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ماكنت ادرى مامعنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعالى افاتحك يعنى اقاضيك وهذا قول قتادة والسدى وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضى والحاكم سمى بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى ينفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) يعنى وقال جماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به لآخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه (انكم اذا لخاسرون) يعنى انكم لمغبونون فى فعلكم (فأخذتهم الرجفة) يعنى الزلزلة الشديدة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حرا شديدا من جهنم فاخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا فى الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهى الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كاحتراق الجراد فى القلى وصاروا رمادا وروى ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا بها وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فأخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة هلكوا جميعا قال ابو عبد الله البجلى كان ابوجاد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم فى زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به كلمن هدم ركنى * هلكه وسط المحله

سيد القوم اتاه * هلك نار تحت ظله * جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

※ وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) يعنى كأن لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اى اقمت به والمغانى المنازل التى بها اهلها واحدها مغنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

ارادا اقاموا فيها وقيل فى معنى الآية كأن لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذى هو ضد الفقر (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) يعنى خسروا انفسهم بهلاكهم (فتولى عنهم) يعنى فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب (وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) يعنى انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب اوبعده على قولين سبقا فى قصة صالح عليه الصلاة والسلام ※ وقوله (فكيف آسى) يعنى احزن (على قوم كافرين) والاسى اشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايمان فلما نزل بهم مانزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن على قوم كافرين لانهم هم الذين اهلكوا

(انفسهم)

والذات فى الثلاثين لكن بقى منه بقية ماخلص عن وجودها واستعمال السواك اشارة الى ظهور تلك البقية عند قوله (قال رب ارنى انظر اليك) والثانى اشارة الى انه بلغ الشهود الذاتى التام فى الثلاثين بالسلوك الى الله ولم يبق منه بقية بل فنى بالكلية وتم فى العشر الاخير سلوكه فى الله حتى رزق البقاء بالله بعد الفناء بالافاقة وعلى هذا ينبغى ان يكون قوله رب ارنى انظر اليك كان قد صدر عنه فى الثلاثين والافاقة بعدها فى تتمة الاربعين وكلمه ربه التكليم فى مقام تجلى الصفات وقوله رب ارنى انظر اليك بدر عن افراط شوق منه الى شهود الذات فى مقام فناء الصفات مع

انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل فى معنى الآية ان شعيبا قال لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصحى فكيف احزن عليكم يعنى انكم لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى الثانى لم يحزن عليهم والله اعلم * وقوله تعالى (وما ارسلنا فى قرية من نبى) فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه (الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال البأساء كل ما نالهم من الشدة فى اموالهم والضراء كل ما نالهم من الامراض وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال (لعلهم يضرعون) يعنى انما فعلنا بهم ذلك لكى يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرّف نبيه صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرّفه سنته فى الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرّفه فى هذه الآية انه قد ارسل رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم فأخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجرى تدبيره فى اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكونون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعى الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة فى الابدان فأخبر الله تعالى فى هذه الآية انه يأخذ اهل المعاصى والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله (حتى عفوا) يعنى انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى كثرت اموالهم واولادهم (وقالوا) يعنى من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعنى انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فأخذناهم بغتة) يعنى اخذناهم فجاءة آمن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم (وهم لا يشعرون) يعنى بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب * قوله عز وجل (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا) لما بين الله تعالى فى هذه الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعذابه بين فى هذه الآية انهم لو آمنوا يعنى بالله ورسله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعنى ما نهى الله تعالى عنه وحرمه عليهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة فى نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهى المطر وقال البغوى اصل البركة المواظبة على الشئ اى تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب (ولكن كذبوا)

وجود البقية (وقال لن ترانى) اشارة الى استحالة الاثنينية وبقاء الانية فى مقام المشاهدة كقوله * اذا تغيبت بدا * وان بدا غيبنى * وقوله رايت ربى بعين ربى (ولكن انظر الى الجبل) اى جبل وجودك (فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل) امكنت رؤيتك اياى وذلك من باب التعليق بالمحال (جعله دكا) اى متلاشيا لا وجود له اصلا (وخر موسى) عن درجة الوجود فانيا (فلما افاق) بالوجود الموهوب الحقانى عند البقاء بعد الفناء (قال سبحانك) ان تكون مرئيا لغيرك مدركا لابصار الحدثان (تبت اليك) عن

يعنى الرسل (فأخذناهم) يعنى بانواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعنى اخذناهم كسبهم الاعمال الخبيثة ❊ قوله تعالى (افأمن اهل القرى) هو استفهام بمعنى الانكار بسبب وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وماحولها وقيل هو عام فى كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا (ان يأتيهم بأسنا) يعنى عذابنا (بياتا) يعنى ليلا (وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى) يعنى نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعنى وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم فى كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع (افأمنوا مكر الله) يعنى استدراجه اياهم بما انعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به ان يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكرا لنزوله وهم فى غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) يعنى انه لا يأمن ان يكون ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الامن خسر فى اخراه وهلك مع الهالكين (اولم يهد) يعنى اولم يبين (للذين يرثون الارض من بعد) هلاك (اهلها) الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) يعنى لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع) اى ونختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعنى لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضى ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعنى هذه القرى التى ذكرنا لك يامحمد امرها وامر اهلها وهى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من انبائها) يعنى نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يامحمد انا لننصر رسلنا والذين آمنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم وبمخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم (ولقد جاءتهم) يعنى لاهل تلك القرى (رسلهم بالبينات) يعنى جاءتهم رسلهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) اختلف اهل التفسير فى معنى ذلك فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدى قال السدى آمنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم فى علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال ابى بن كعب كان سبق لهم فى علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن انس يحق على العباد ان يأخذوا من العلم ما ابدى لهم ربهم وان لا يتأولوا علم ما اخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفى ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم

ذنب البقية (وانا اول المؤمنين) بحسب الرتبة لا بحسب الزمان اى انا فى الصف الاول من صفوف مراتب الارواح الذى هو مقام اهل الوحدة وذلك مقام الاصطفاء المحض وقوله (قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) هو اول درجة الاستنباء بعد الولاية (فخذ ما آتيتك) بالتمكين (وكن من الشاكرين) بالاستقامة فى القيام بحق العبودية كما قال النبى عليه السلام اولا اكون عبدا شكورا (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ) اى الالواح تفاصيل وجود موسى من روحه وقلبه وعقله وفكره وخياله واقواها عند الغضب هو الذهول

ايهم المطيع من العاصى حيث خلقهم فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول ابى بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق فى علم الله انه لايؤمن به فلا يؤمن ابدا وقد كان سبق فى علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم فى هذه السورة انهم لايؤمنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون به فى سابق علمه قبل مجئ الرسل عند مجيئهم اليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعنى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم انهم لايؤمنون من قومك (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) يعنى وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من الوفاء بالعهد الذى عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به (وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) اى وما وجدنا اكثرهم الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا ✽ قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعنى ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام (موسى بآياتنا) يعنى بحججنا وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام (الى فرعون وملئه) قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون فى ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشى وكان اسم فرعون الذى ارسل اليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملأ اشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الاشراف آمن الاتباع (فظلموا بها) يعنى فجحدوا بها لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وكانت هذه الآيات معجزات ظاهرة قاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) اى انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم (وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى الايمان به وقال له انى رسول اى مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعنى ان الله الذى خلق السموات والارض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذى ارسلنى اليك (حقيق) اى واجب (على ان لا اقول على الله الا الحق) يعنى انى رسول والرسول لايقول على الله الا الحق فى وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره (قد جئتكم ببينة من ربكم) يعنى ببرهان على صدق فيما ادعى من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهى العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى (فارسل معى بنى اسرائيل) يعنى خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بنى اسرائيل واستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة (قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين) يعنى ان فرعون قال لموسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فأتنى بها واحضرها عندى لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) اى بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه

عنها والتجافى عن حكم ما فيها كما يحكم احدنا بحسن الحلم والتحمل للاذى ثم ينسى عند سورة الغضب ولا يتذكر شيا مما فى عقله من علمه عند ظهور نفسه (فخذها بقوة) اى بعزيمة لتكون من اولى العزم (وأمر قومك يأخذوا باحسنها) اى بالعزائم دون الرخص (ساريكم دار الفاسقين) اى عاقبة الذين لايأخذون بها (ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) لان التكبر من صفات النفس فهم فى مقام النفس محجوبون عن آيات الصفات التى تكون فى مقام القلب دون المتكبرين بالحق الذين اتصفوا بصفة الكبرياء فى مقام المحو والفناء فقام

في آية اخرى بانه جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين انها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس والسدى ان موسى لما القى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث في ذلك اليوم اربعمائة مرة وقيل انها اخذت قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى انشدك بالذى ارسلك ان تأخذها وانا اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فعادت في يده عصا كما كانت * وفي كون الثعبان مبينا وجوه * الاول انه تميز وتبين ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تمويه السحرة وتخييلهم * الوجه الثاني انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اى بين * الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من اعظم الآيات التي ابانت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام في انه رسول من رب العالمين * وقوله تعالى (ونزع يده) النزع في اللغة عبارة عن اخراج الشيء عن مكانه والمعنى انه اخرج يده من جيبه اومن تحت جناحه (فاذا هي بيضاء للناظرين) قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فاخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية اخرى بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه

*(فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل) * اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجائز ان تكون تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز ان تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع اممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدى من النبي قائم مقام قول الله عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان معجزة النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم كتمني الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ماهو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى

كبرياؤه تعالى مقام تكبرهم كما قال جعفر الصادق عليه السلام في جواب من قال له فيك كل فضيلة الا انك متكبر فقال لست بمتكبر ولكن كبرياء الله تعالى قام منى مقام التكبر (وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اى ستروا بصفاتهم صفاتنا وبافعالهم افعالنا فوقفوا مع الآثار وعموا عن لقاء الآخرة وجنة النفوس والافعال (حبطت اعمالهم) ولو كان التكذيب بالصفات مجردا عن التكذيب بلقاء الآخرة

وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التى عجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبي بشئ من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذى اظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى اعلم * قوله عز وجل (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا) يعني موسى (لساحر عليم) يعني انه ليأخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشئ بخلاف ماهو عليه كما اراهم يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب فى ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا ان هذا لساحر عليم * فان قلت قد اخبر الله تعالى فى هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال فى سورة الشعراء وقال فرعون للملا حوله ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما قلت لايمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله تعالى عنهم هنا واخبر عن فرعون فى سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملا واخبر هناك عن فرعون * وقوله (يريد ان يخرجكم من ارضكم) يعني يريد موسى ان يخرجكم ايها القبط من ارض مصر (فماذا تأمرون) يعني فاى شئ تشيرون ان نفعل به وقيل ان قوله فماذا تأمرون من قول الملا الى ان كلام فرعون تم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملاء مجيبين لفرعون فماذا تأمرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك فى التعظيم والتفخيم والمعنى فاترون ان نفعل به والقول الاول اصح لسياق الآية التى بعدها وهو قوله تعالى (قالوا ارجه واخاه) يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجاء التأخير فى اللغة وقيل معنى ارجئه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء فى اللغة هو التأخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد ان راى من امر العصا ما راى (وارسل فى المدائن) جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اى اقام به يعني مدائن صعيد مصر (حاشرين) يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون ارسل الى هذه المدائن رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله (ياتوك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدى فى صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذى يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذى يدوم سحره ويعمل فى كل وقت (عليم) يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضى الله عنهما وابن اسحق والسدى ان فرعون لما راى من سلطان الله وقدرته فى العصا قال انا لانقاتل موسى الا بمن هو اشد منه سحرا فاتخذ غلمانا من بني اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الفرماء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون

لما حبطت اعمالهم وان عذبوا حينا بنوع من العذاب (هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن ام

موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاؤا ومعهم معلم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسيهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا * قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا وجاؤا الى فرعون (قالوا ان لنا لاجرا) يعني جعلا وعطاء تكرمنا به (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام فخر الدين الرازي ولقائل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سأل ماقالوا اذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم لمن المقربين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا اقتصر معكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم من المقربين عندي قال الكلبي تكونون اول من يدخل علي وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (ياموسى اما ان تلقي) يعني عصاك (واما ان نكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالنا في هذه الآية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تادبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ان من عليهم بالايمان والهداية ولما راعوا الادب اولا واظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك (قال) يعني قال لهم موسى (القوا) يعني انتم فقدمهم على نفسه في الالقاء * فان قلت كيف جاز لموسى ان يأمر بالالقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر غير جائز * قلت ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فيه اجوبة احدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الجواب الثاني انما امرهم بالالقاء لتظهر معجزته لانهم اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لابد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع التخيير في التقديم والتأخير فأذن لهم في التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبهم لانه لو القى اولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى امرهم بالالقاء اولا (فلما القوا) يعني حبالهم وعصيهم (سحروا اعين الناس) يعني صرفوا اعين الناس عن ادراك حقيقة مافعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشيء والمعجزة قلب نفس الشيء عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسعى (واسترهبوهم) يعني ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى (وجاؤا) يعني السحرة (بسحر عظيم) وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقا ايضا

ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا

والقوها على الارض فلما اثرحر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا فى ميل فصارت كلها حيات وافاعى ففزع الناس من ذلك واوجس فى نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى انهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان كل ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما راوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه الصلاة والسلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس فى نفسه خيفة موسى * قوله تعالى (واوحينا الى موسى ان الق عصاك) يعنى فالقاها (فاذاهى تلقف) يعنى تبتلع (ما يأفكون) يعنى ما يكذب فيه السحرة لان اصل الافك قلب الشئ عن غير وجهه ومنه قيل للكذاب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون اوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام ان لا تخف والق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذاهى تلقف يعنى تبتلع كل شئ اتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزمان خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى عليه الصلاة والسلام فصارت فى يده عصا كما كانت اول مرة فلما راى السحرة ذلك عرفوا انه من امر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) يعنى فظهر الحق الذى جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) يعنى من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما نفدت وتلاشت فى عصا موسى علموا ان ذلك من امر الله وقدرته (فغلبوا هنالك) يعنى فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه (وانقلبوا صاغرين) يعنى ورجعوا ذليلين مقهورين (والقى السحرة ساجدين) يعنى ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى ما ليس فى قدرتهم مقابلته وعلموا انه ليس بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل الهمهم معرفته والايمان به (قالوا آمنا برب العالمين) فقال فرعون اياى تعنون فقالوا له (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بى ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتنى لاومنن بك وقيل ان الحبال والعصى التى كانت مع السحرة كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعتها عصى موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا امر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السماء فآمنوا به وصدقوه * فان قلت كان يجب ان ياتوا بالايمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان * قلت لما قذف الله عز وجل فى قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على هدايتهم اليه وعلى ما الهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا اعظيم قدرة الله تعالى وسلطانه فى امر العصا وانه ليس يقدر على ذلك احد من البشر وزالت كل شبهة كانت فى قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشأنه لما راوا من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان باللسان قال

لميقاتنا) من اشرافهم ونجبائهم اهل الاستعداد وصفاء النفس والارادة والطلب والسلوك وهم المصعوقون فى قوله فاخذتهم الصاعقة (فلما اخذتهم الرجفة) اى رجفة جبل البدن التى هى من مبادى صعقة الفناء عند طيران بوارق الانوار وظهور طوالع تجليات الصفات من اقشعرار الجسد وتأثره وارتعاده بها ولهذا قال موسى عندها (قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى) اذ لا قول لموسى عند الصعقة ولا لهم لفنائهم عندها وقوله رب لو شئت كلمة ضجر وفقدان صبر من

ابن عباس رضي الله عنهما لما رأت السحرة ما رأت عرفت ان ذلك من امر السماء وليس بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا رب العالمين رب موسى وهرون ※ قوله عز وجل (قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم) يعني قال فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه قبل ان آمركم به وآذن لكم فيه (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) يعني ان هذا الصنع الذي صنعتموه انتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطآ عليه وعلى اهل مصر وهو قوله (لتخرجوا منها اهلها) وتستولوا عليها انتم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) وهو ان تقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع (ثم لاصلبنكم اجمعين) يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضي الله عنهما اول من صلب واول من قطع الايدي والارجل فرعون (قالوا) يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل (انا الى ربنا منقلبون) يعني انا الى ربنا راجعون واليه صائرون في الآخرة (وما تنقم منا) وما تكره منا وما تطعن علينا وقال عطاء معناه ومالنا عندك من ذنب تعذبنا عليه (الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) ثم فزعوا الى الله تعالى وسألوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) اى اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني صبرا واى صبر عظيم (وتوفنا مسلمين) يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في اول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون ※ قوله تعالى (وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى) يعني وقال جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى (وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الارض) يعني ارض مصر واراد بالافساد فيها انهم يأمرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله (ويذرك وآلهتك) يعني وتذره ليذرك ويذر آلهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبدها وكان اذا رأى بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاولى ان يقال ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هي الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انا ربكم الاعلى وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس والشعبي والضحاك ويذرك والهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالآلهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر تروحنا من اللعباء قصرا واعجلنا الالاهة ان تؤبا

اراد بالالاهة الشمس (قال) يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى وقومه (سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم) يعني نتركهن احياء وذلك ان قوم فرعون لما ارادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه اوجس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل بموسى

غلبة الشوق عند الم الفراق كما قال محمد عليه السلام في مثل هذه الحالة ليت امي لم تلدني وكذا ليت رب محمد لم يخلق محمدا وهم بالقاء نفسه من الجبل ولو هذه للتمني (اتهلكنا) بطول الحجاب وعذاب الحرمان والم الفراق (بما فعل السفهاء منا) من عبادة عجل هوى النفس والاحتجاب بصفاتها او بما صدر منا حالة السفه قبل التيقظ والاستبصار وارادة السلوك وظهور نور البصيرة والاعتبار من الوقوف مع النفس وصفاتها (ان هي الا فتنتك) اى ما هذا الابتلاء

عليه الصلاة والسلام شيأ مما ارادوا به لقوة موسى عليه السلام بما معه من المعجزة فعدل الى قومه فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعدما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله ﴿ وانا فوقهم قاهرون ﴾ يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم ﴿قال موسى لقومه﴾ يعني لما شكوا اليه ﴿ استعينوا بالله واصبروا ﴾ يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم وابنائكم ﴿ ان الارض لله ﴾ يعني ارض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى ﴿ يورثها من يشاء من عباده ﴾ وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد هلاكهم وهو قوله تعالى ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ يعني ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة ﴿قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما آمنت السحرة تبع موسى ستمائة الف من بني اسرائيل والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تأتينا يعني بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعني بالرسالة وظاهر هذا الكلام يوهم ان بني اسرائيل كرهوا مجيء موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام ان موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه ﴿ قال ﴾ موسى مجيبا لهم ﴿عسى ربكم ان يهلك عدوكم ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿ ويستخلفكم في الارض ﴾ يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد هلاكهم ﴿ فينظر كيف تعملون ﴾ يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم * قوله عز وجل ﴿ ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ يعني بالقحط والجدب تقول العرب مستهم السنة بمعنى اخذهم الجدب في السنة ويقال اسنتوا كما يقال اجدبوا قال الشاعر * ورجال مكة مسنتون عجاف * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الآية ولقد اخذنا آل فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ يعني واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ يعني لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى

بصفات النفس وعبادة الهوى الا ابتلاؤك لا مدخل فيها لغيرك ﴿ تضل بها من تشاء ﴾ من اهل الحجب والشقاوة والجهل والعمى ﴿وتهدي من تشاء﴾ من اهل السعادة والعناية والعلم والهدى قال الهاتف بمقام تجلي الافعال ﴿انت ولينا﴾ متولي امورنا القائم بها ﴿ فاغفر لنا ﴾ ذنوب صفاتنا وذواتنا كما غفرت لنا ذنوب افعالنا ﴿وارحمنا﴾ بافاضة انوار شهودك ورفع حجاب الانية بوجودك ﴿ وانت خير الغافرين ﴾ بالمغفرة التامة ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ العدالة والاستقامة

(فاذاجاءتهم الحسنة) يعني الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لنا هذه) اى نحن مستحقون لها ونحن اهلها على العادة التى جرت لنا فى سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه (وان تصبهم سيئة) يعنى القحط والجدب والمرض والبلاء وراوا مايكرهون فى انفسهم (يطيروا) يعنى يتشاءموا واصله يتطيروا والتطير التشاؤم فى قول جميع المفسرين (بموسى ومن معه) يعنى انهم قالوا مااصابنا بلاء الاحين رأيناهم وماذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولوكان حصل له فى تلك المدة جوع يوم اوحمى ليلة اووجع ساعة لماادعى الربوبية قط (الاانماطائرهم عندالله) يعنى ان نصيبهم من الخصب والجدب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما طائرهم ماقضى لهم وقدر عليهم من عندالله وفى رواية عنه شؤمهم عندالله تعالى ومعناه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذى لهم عندالله من عذاب النار (ولكن اكثرهم لايعلمون) يعنى ان مااصابهم من الله تعالى وانما قال اكثرهم لايعلمون لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولايضيفونها الى القضاء والقدر * قوله تعالى (وقالوا) يعنى قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتنا به من آية) يعنى من عند ربك فهى عندنا سحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عمانحن عليه من الدين (فمانحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلاحديدا مستجاب الدعوة فدعاعليهم فاستجاب الله عزوجل دعاءه فقال تعالى (فارسلنا عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه الاالاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عزوجل عليهم الآيات فاخذهم اولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتا وان قومه قدنقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى بيوت بنى اسرائيل شئ وركد الماء على ارضهم فلم يقدروا على الحرث ولم يعملوا شيأ ودام ذلك الماء عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن وقال ابوقلابة الطوفان الجدرى وهم اول من عذبوا به ثم بقى فى الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما ان الطوفان امر من الله عزوجل طاف بهم فعند ذلك قالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت الله لهم تلك السنة شيأ لم ينبته قبل ذلك من الكلا والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ماكان هذا الماء الانعمة علينا فلم يؤمنوا واقاموا شهرا فى عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر واكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب

بالبقاء بعد الفناء (وفى الآخرة حسنة) المشاهدة والزيادة (اناهدنا) رجعنا (اليك) عن ذنوب وجودنا (قال عذابى) اى عذاب الشوق المخصوص بى الحاصل من جهتى وان كان اليما لشدة الم الفراق لكنه امر عزيز خطير (اصيب به من اشاء) من اهل العناية من عبادى الخاصة بى (ورحمتى وسعت كل شئ) لاتختص باحد دون احد غيره وشئ دون شئ فى هذا العذاب رحمة لايبلغ كنهها ولايقدر

والامتعة واكل مسامير الحديد التى فى الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لايشبع وامتلائت دور القبط منه ولم يصب بنى اسرائيل من ذلك شئ فعجوا وضجوا وقالوا ياموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وفى الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقى من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقى لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركى ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا فى عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ان القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدى والكلبى القمل الدبى وهو الصغار الجراد الذى لا اجنحة له وقال ابو عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراسانى هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يمشى الى كثيب رمل اعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانثال عليهم القمل فتتبع ما بقى من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها كلها ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما امتلأ قملا قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذى يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة اقفز فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابصارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعد ما قاموا شهرا فى عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلائت منها بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف احد اناء ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس فى الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل فى فيه وكانت تثب فى قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الآخر واذا اراد ان يأكل سبقه الضفدع الى فيه ولا يعجن احدهم عجينا الا امتلأ ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلائت ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الضفادع برية فلما ارسلها الله عز وجل على آل فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها فى القدور وهى تغلى على النار وفى التنانير وهى تفور فاثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليه السلام عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد ما اقامت عليهم سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا فى عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فارسل الله

قدرها من رحمة لذة الوصول التى قال فيها فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين مع كونه لذيذا لايقاس بلذته لذة كما قال احدهم وكل لذيذة قد نلت منه * سوى ملذوذ وجدى بالعذاب * ولعمرى ان هذا العذاب اعز من الكبريت الاحمر واما الرحمة فلا يخلو من حظ منها احد (فسا كتبها) تامة كاملة رحيمية كتبة خاصة (للذين يتقون ويؤتون الزكوة) الحجب كلها ويفيضون مما رزقوا من الاموال والاخلاق والعلوم والاحوال على مستحقيها (والذين هم بآياتنا يؤمنون) بجميع صفاتنا يتصفون وهم (الذين يتبعون الرسول

عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما عبيطا وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستقون من الآبار والانهار يجدونه دما عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من اين سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيأ من الماء الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويغرفان الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ماء حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها في قربتها فيصير في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على ذلك سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلطه الله عز وجل عليهم كان الرعاف فاتوا موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقوم عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر (فاستكبروا) يعني عن الايمان فلم يؤمنوا (وكانوا قوما مجرمين) يعني آل فرعون * قوله تعالى (ولما وقع عليهم الرجز) يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافنون (ق) عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه * وقوله تعالى (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) يعني بما اوصاك وقيل بما انبأك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) يعني العذاب الذي وقع بنا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤا (فلما كشفنا عنهم الرجز) يعني بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام (الى اجل هم بالغوه) يعني الى الوقت الذي اجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالغرق في اليم (اذا هم ينكثون) يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به واعلم ان ما ذكره الله تعالى في هذه الآيات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في امان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز ايضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة في تواليها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل واما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله اعلم بمراده * قوله عز وجل (فانتقمنا منهم) يعني كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم واصل الانتقام في اللغة سلب

النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) في آخر الزمان اي المحمديون الذين اتبعوا في الاقوى وصفه بقوله تعالى له ومارميت اذ رميت

النعمة بالعذاب (فاغرقناهم في اليم) والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذى اجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعنى في البحر واليم الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الازهرى اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب (بانهم كذبوا بآياتنا) يعنى اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا (وكانوا عنها) يعنى عن آياتنا (غافلين) يعنى معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان ✻ قوله عز وجل (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعنى ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على انفسهم وهو ان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل فقتلوا ابناءهم واستخدموهم وهم مستضعفين تحت ايديهم (مشارق الارض ومغاربها) يعنى ارض الشام ومصر واراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد بمشارق الارض ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل اراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود سليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بنى اسرائيل وقد ملكا الارض ✻ وقوله عز وجل (التى باركنا فيها) يدل على انها الارض المقدسة يعنى باركنا فيها بالثمر والاشجار والزروع والخصب والسعة (وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل) يعنى وتمت كلمة الله وهى وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين فى الارض من بعدهم وقيل كلمة الله هى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الآية والحسنى صفة للكلمة وهى تأنيث الاحسن وتمامها انجاز ما وعدهم به من تمليكهم فى الارض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعنى انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما انعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه واذى فرعون لهم (ودمرنا) يعنى واهلكنا والدمار الهلاك باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) فى ارض مصر من العمارات والبنيان (وما كانوا يعرشون) يعنى يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب ✻ قوله عز وجل (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) يعنى وقطعنا ببنى اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبى عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكر الله تعالى (فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم) يعنى فمر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون اى يقيمون ويواظبون على اصنام لهم يعنى تماثيل لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة ساحل البحر وقيل كان اولئك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم (قالوا) يعنى قال بنو اسرائيل لموسى لما راوا ذلك التماثيل (ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) يعنى كما لهم اصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا انت الها نعبده ونعظمه قال البغوى رحمه الله ولم يكن ذلك شكا من بنى اسرائيل فى وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيأ نعظمه ونتقرب بتعظيمه

ولكن الله رمى وبقوله وما ينطق عن الهوى وقوله مازاغ البصر وماطغى وفى ايتاء الزكاة قوله تعالى واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث وفى الايمان بالآيات قوله اوتيت جوامع الكلم وبعثت لاتمم مكارم الاخلاق (ومن قوم موسى امة) اى اولئك المتبعون هم المفلحون بالرحمة التامة وامة من قوم موسى موحدون (يهدون) الناس (بالحق) لا بانفسهم (وبه يعدلون) بين الناس فى حال الاستقامة والتمكين (وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتى عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا

الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بنى اسرائيل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى بعد مارأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهى الآيات التى توالت على قوم فرعون حتى اغرقهم الله تعالى فى البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فرد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال انكم قوم تجهلون) يعنى تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يستحق ان يعبد سواه لانه هو الذى انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم فى البحر وانجاكم منه عن ابى واقد الليثى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذى * وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ماهم فيه) اى مهلك والتتبير الاهلاك (وباطل ما كانوا يعملون) البطلان عبارة عن عدم الشئ اما بعدم ذاته او بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرا لانه عمل لغير الله تعالى فكان باطلا لانفع فيه (قال اغير الله ابغيكم الها) لما قال بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار عليهم اغير الله ابغيكم الها يعنى اطلب لكم وابغى لكم الها (وهو فضلكم على العالمين) والمعنى ان الاله ليس هو شيأ يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذى فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذى يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعنى عالمى زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التى لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم * قوله عزوجل (واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) هذه الآية تقدم تفسيرها فى سورة البقرة والفائدة فى ذكرها فى هذا الموضع انه تعالى هو الذى انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة * قوله عزوجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) يعنى وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهى ذو القعدة (واتممناها بعشر) يعنى عشر ذى الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى اسرائيل اذا اهلك الله تعالى عدوهم فرعون ان يأتيهم بكتاب من عند الله عزوجل فيه بيان مايأتون وما يذرون فلما اهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عزوجل ان ينزل عليه الكتاب الذى وعد به بنى اسرائيل فأمره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله ان يصوم عشر ذى الحجة وقال له اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك وكانت فتنة بنى اسرائيل فى تلك العشر التى زادها الله عزوجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان الله امر موسى عليه الصلاة والسلام ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيهما مايتقرب به الى الله ثم

عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون

كلمه واعطاه الالواح فى العشر التى زادها فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذى ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله فى سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل ※ وقوله تعالى (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) يعنى فتم الوقت الذى قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذى قدر ان يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى) يعنى كن انت خليفتى فيهم من بعدى حتى ارجع اليك (واصلح) يعنى واصلح امور بنى اسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد الرفق بهم والاحسان اليهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) يعنى ولا تسلك طريق المفسدين فى الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التأكيد لان هرون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبى وكقولك للقاعد اقعد بمعنى دم على ما انت عليه من القعود ※ قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) يعنى للوقت الذى وقتناه ان يأتى فيه لمناجاتنا وهو قوله (وكلمه ربه) وفى هذه الآية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس فى كلام الله تعالى فقال الزمخشرى كلمه ربه عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا فى الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك فى بطلانه وفساده لان الشجرة او ذلك الجرم لا يقول اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله تعالى حروف واصوات منقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقائلون بهذا القول قالوا ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض فى تأويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء وفى القصة ان الله تعالى انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته (قال رب ارنى انظر اليك) قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارنى نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطنى انظر اليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى فى الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من انواع الجلال حتى استغرق فى بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل انما سأل الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى فى الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال لن ترانى) يعنى ليس لبشر ان يرانى فى الدنيا ولا يطيق النظر الى فى الدنيا ومن نظر الى فى الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الى من ان اعيش ولا اراك وقال السدى لما كلم الله تعالى

قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم فى الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب

موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله ابليس الخبيث فى الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤية فقال رب ارنى انظر اليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن ترانى

* (فصل) * وقد تمسك من نفى الرؤية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن ترانى قالوا لن تكون للتأبيد والدوام ولا حجة لهم فى ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم فى ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه فى ان لن تكون للتأبيد خطأ بين ودعوى على اهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية ولم يقل به احد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى فى صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يامالك ليقض علينا ربك وقوله ياليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تأكيد النفى كلا التى تنفى فى المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معنى لن ترانى محمولا على الدنيا اى لن ترانى فى الدنيا جمعا بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت فى الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة فى الدار الآخرة وايضا فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفا بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفى الآية دليل على انه سأل الرؤية فلو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام فحيث سألها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وايضا فان الله عز وجل علق رؤيته على امر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من ذلك كون الرؤية فى نفسها جائزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) وهو امر جائز الوجود فى نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلى اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل الرؤية ارسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى احاطت بالجبل الذى عليه موسى عليه الصلاة والسلام اربع فراسخ من كل جانب وامر الله تعالى اهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب انى كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسئلتى فهل ينجينى مما انا فيه شئ فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم امر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال النسور لهم قصف ورجب ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك ياابن عمران حتى ترى مالا صبر لك عليه ثم امر الله ملائكة السماء الرابعة اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لايشبههم شئ من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية

يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الا الحق ودرسوا مافيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لانضيع اجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية

بالتسبيح والتقديس لايقاربهم شئ من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارعد
قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت
ثم امر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم
سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلأ جوفه
خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى
مالا تصبر عليه ثم امر الله ملائكة السماء السادسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا
عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار اشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب
النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح
قدوس رب العزة ابدا لا يموت فى رأس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما رآهم موسى عليه الصلاة
والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا ادري
انفلت مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان اقمت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد
او شكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم امر الله تعالى أن
يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه
وتعالى ورفعت الملائكة اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت
فارتج الجبل لشدة اصواتهم واندك واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى
صعقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر
الذى كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام
واقامت الروح عليه مثل اللامة فلما افاق موسى قام يسبح ويقول آمنت بك وصدقت انه لا يراك
احد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما اعظمك واعظم ملائكتك انت رب الارباب
ومالك الملوك والاله العظيم لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك
ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال
ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر الله عزوجل من
نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله
تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ماروى ثابت
عن انس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام
على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوى هكذا بغير سند واخرجه الترمذى
ايضا عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال
حماد هكذا وامسك بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى
عليه السلام صعقا وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الا من حديث حماد بن سلمة
ويروى عن سهل بن سعد الساعدى ان الله تعالى اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم
فجعل الجبل دكا يعنى مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى
وقع فى البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا يعنى
كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهى احد

من بعدهم افتهلكنا بما فعل
المبطلون وكذلك نفصل
الآيات ولعلهم يرجعون
واتل عليهم نبأ الذى آتيناه
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه
الشيطان فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه
اخلد الى الارض واتبع هواه
فمثله كمثل الكلب ان تحمل
عليه يلهث او تتركه يلهث
ذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون ساء مثلا
القوم الذين كذبوا بآياتنا
وانفسهم كانوا يظلمون
من يهد الله فهو المهتدى
ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون) ماكان
الا كحال الاسلاميين من
اهل زماننا فى اجتماع انواع
الحظوظ النفسانية من المطاعم
والمشارب والملاهى والمناكح
ظاهرة فى الاسواق والمواسم

وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهى ثور وثبير وحراء * وقال تعالى (وخر موسى صعقا) قال ابن عباس والحسن يعنى مغشيا عليه وقال قتادة يعنى ميتا والاول اصح لقوله (فلما افاق) والميت لا افاقة له انما يقال افاق من غشيته قال الكلبى صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفى بعض الكتب ان ملائكة السموات اتوا موسى وهو فى غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت فى رؤية رب العزة فلما افاق يعنى من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل امرا عظيما لا ينبغى له (قال سبحانك) يعنى تنزيها لك من النقائص كلها (تبت اليك) يعنى من مسئلتى الرؤية فى الدنيا وقيل لما كانت الرؤية فى الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمعناه قال سبحانك تبت اليك يعنى من سؤالى ما ليس لى وقيل لما سأل الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعنى من هذا السؤال وحسنات الابرار سيآت المقربين (وانا اول المؤمنين) يعنى بانك لا ترى فى الدنيا وقيل وانا اول المؤمنين يعنى من بنى اسرائيل بقى فى الآية سؤالات الاول ان الرؤية عين النظر فكيف قال ارنى انظر اليك وعلى هذا يكون التقدير ارنى حتى اراك والجواب عنه ان معنى قوله ارنى اجعلنى متمكنا من رؤيتك حتى انظر اليك واراك السؤال الثانى كيف قال لن ترانى ولم يقل لن تنظر الى حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذى لا رؤية معه السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم امر الرؤية وان احدا لا يقوى على رؤيته تعالى الا من قواه الله تعالى بمعونته وتأييده الا ترى انه لما ظهر اثر التجلى للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم امر الرؤية والله اعلم بمراده * قوله عزوجل (قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) يعنى قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ياموسى انى اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتباء والمعنى انى فضلتك واجتبيتك على الناس وفى هذا تسلية لموسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التى انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كأنه قال له ان كنت منعت من الرؤية التى طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى سائر انواع النعم التى خصصتك بها وهى الاصطفاء على الناس برسالاتى وبكلامى يعنى من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتى مع ان كثيرا من الانبياء قد ساواه فى الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين احدهما ذكره البغوى فقال لما لم تكن الرسالة على العموم فى حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفى هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى فقال

والشوارع والمحافل يوم الجمعات دون سائر الايام وما ذلك الا الابتلاء من الله بسبب الفسق (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام) لفقدان ادراك الحقائق والمعارف التى تقرّبهم من الله بالقلوب وعدم الاعتبار بالاعين والاذكار والفهم بالاسماع (بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى) قدمر ان كل اسم هو الذات مع صفة والله يدبر كل امر باسم من اسمائه (فادعوه بها) عند الافتقار الى ذلك الاسم به اتم بلسان الحال كما ان الجاهل اذا طلب العلم يدعوه باسمه العليم

ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ماحصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان اعلى واشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر ايضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه يا محمد يدل عليه قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذى يعتمد فى الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا فى زمانه وذلك انه لم يكن فى ذلك الوقت اعلى منصبا ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمى زمانهم وهو قوله تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعنى على عالمى زمانهم ※ وقوله تعالى (فخذ ما آتيتك) يعنى ما فضلتك واكرمتك به (وكن من الشاكرين) يعنى على انعامى عليك وفى القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعدما كلمه ربه لايستطيع احد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته انا لم ارك مذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها ※ قوله تعالى (وكتبنا له فى الالواح) قال ابن عباس يريد الواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى فى الواح التوراة قال البغوى وفى الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وجاء فى الحديث خلق الله تعالى ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبى من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد امر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من زبرجد وقال وهب امره الله بقطع الواح من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك فى اول يوم من ذى الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة فاعطاه الله التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا فى عدد الالواح فروى عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروى عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جمعت على عادة العرب فى اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس نزلت التوراة وهى وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها فى سنة ولم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعنى لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية فى التوراة بالف آية يعنى قوله وكتبنا له فى الالواح (من كل شئ) يعنى يحتاج اليه من امر ونهى (موعظة) يعنى نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته (وتفصيلا لكل شئ) يعنى وتبيينا لكل شئ من الامر والنهى والحلال والحرام والحدود

والمريض اذا طلب الشفاء يدعوه باسمه الشافى والفقير اذا طلب الغنى يدعوه باسمه المغنى كل بتحصيل الاستعداد الذى استلزم قبوله لتأثير ذلك الاسم واثر تلك الصفة واما بلسان القال كما اذا قال الاول يارب يريد به يا عليم لاختصاص ربوبيته بذلك

والاحكام مما يحتاج اليه في امور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك بي شيأ من اهل السماء ولا من اهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ووقر والديك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر في التوراة فقال اني اجد امة خير الامم اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال هي امة محمد يا موسى فقال رب اني لأجد امة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد في التوراة امة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال يارب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال يارب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال يارب اني اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء البحر فاجعلهم امتي قال هي امة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قال ياليتني من اصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله ساريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا ❊ وقوله تعالى (فخذها بقوة) يعني وقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبنا له في الالواح من كل شيء خذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة لان من اخذ شيأ بضعف نية اداه الى الفتور (وامر قومك يأخذوا باحسنها) قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام اشد عبادة من قومه فامر بما لم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وامر قومك يأخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى اشد لانه تعالى لم يرخص له مارخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله تعالى يأخذوا باحسنها يدل على ان فيها ماليس بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله يأخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص حسن ولكن العفو احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان يأخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله

الاسم ❊ والثاني يريديا رب ياشافي والثالث ياغني واما بلسان الفعل كما يدعوه الطالب السالك باتصافه بتلك الصفة فاذا فني عن علمه بعلمه دعاه باسمه العليم واذا وجد شفاء دائه منه وطلب منه ان يشفي غيره باتصافه بصفة الشفاء دعاه باسمه الشافي واذا استغنى عن فقره به دعاه باسمه الغني وهذه هي الدعوة المأمور بها الموحدون من المؤمنين

الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها حسن ※ وقوله تعالى (ساريكم دار الفاسقين) قال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة فادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدى يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا فكانوا يمرون عليها اذا سافروا ※ قوله عزوجل (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون اوليائي ساصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة منعهم فهم القرآن وقيل معناه ساصرفهم عن التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما من الآيات والعبر وقيل حكم الآيات لاهل مصر خاصة واراد بالآيات الآيات التسع التي اعطاها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والاكثرون على ان الآية عامة وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء ويوفق بالتفكر في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الالله عزوجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في حق الله عزوجل صفة مدح وفي حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر اي يفتعلون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم فلذلك قال يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد) يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب (لا يتخذوه سبيلا) يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية (وان يروا سبيل الغي) يعني طريق الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا) يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيده (وكانوا عنها غافلين) يعني عن التفكر فيها والاتعاظ بها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب (حبطت اعمالهم) يعني بطلت فصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بآيات الله من يعمل البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) يعني هل يجزون في العقبى الاجزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا ※ قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه عزوجل (من حليهم) يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال الله تعالى من حليهم فلما ابطا موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل

فليمتثلوا (وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من

فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكأنهم اجمعوا عليه وكان السامرى رجلا صائغا فصاغ لهم (عجلا جسدا) يعنى من ذلك الحلى وهو الذهب والفضة والقى فى ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل عليه السلام فتحوّل عجلا جسدا لحما ودما (له خوار) هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لاروح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيق الريح وذلك انه جعله مجوّفا ووضع فى جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت فى تلك الانابيب فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاوّل اصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولايتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى (الم يروا) يعنى الذين عبدوا العجل وقيل ان بنى اسرائيل كلهم عبدوا العجل وقيل ان بنى اسرائيل كلهم عبدوا العجل الاهرون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا (انه) يعنى العجل الذى عبدوه (لايكلمهم ولايهديهم سبيلا) يعنى ان هذا العجل لايمكنه ان يتكلم بصواب ولايهدى الى رشد ولايقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لايصلح لان يعبد (اتخذوه وكانوا ظالمين) يعنى لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله تعالى الذى يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذى لايضر ولاينفع ولايتكلم ولايهديهم الى رشد وصواب ❊ قوله عزوجل (ولما سقط فى ايديهم) يعنى ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر سقط فى يده وذلك لان من شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من اعلى الى اسفل (وراوا انهم قد ضلوا) يعنى وتيقنوا انهم على الضلالة فى عبادتهم العجل (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) يعنى يتب علينا ويتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين) يعنى الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة فى غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى فى اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسر ان ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وهو قوله تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا) يعنى ولما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه الى قومه بنى اسرائيل رجع غضبان اسفا لان الله تعالى كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامرى قد اضلهم فكان موسى فى حال رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدى الاسف الحزن والاسيف الحزين قال الواحدى والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكره ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك (قال) يعنى موسى عليه الصلاة والسلام

شئ وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأىّ حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الا هو) يطلبون هذه الصفات من غيره ويضيفونها اليه فيشركون به * المراد بالساعة وقت ظهور القيامة

(اقومه)

لقومه (بئسما خلفتمونى من بعدى) اى بئس الفعل فعلتم بعد فراقى اياكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامرى واتباعه او لهرون والمؤمنين من بنى اسرائيل فعلى الاحتمال الاول فانه خطاب لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثانى وهو ان يكون الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما خلفتمونى حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله تعالى وقد رأيتم منى الامر بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له ونفى الشركاء عنه وجل بنى اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم * وقوله (اعجلتم امر ربكم) معنى العجلة التقدم بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشئ فى اول وقته ولقائل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الآية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لم يأت على رأس الثلاثين فقد مات وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبى معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم * ولما ذكر الله تعالى ان موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى قومه غضبان اسفا ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى (والقى الالواح) يعنى التى فيها التوراة وكان حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى ان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلاة والسلام بفتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما اخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه ورأى ذلك وشاهده القى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة (واخذ برأس اخيه يجره اليه) قيل انه اخذ بشعر رأسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام ووجد قومه مقيمين على المعصية اكبر ذلك واستعظمه فاقبل على اخيه هرون يلومه ومد يده الى رأسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بنى اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هرون عليه السلام انه انما اقام بين اظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى (قال) يعنى هرون (ابن ام) انما قال هرون لموسى ابن ام وان كان لاب وام ليرققه ويستعطفه عليه (ان القوم) يعنى الذين عبدوا العجل (استضعفونى) اى استذلونى وقهرونى (وكادوا يقتلوننى) اى وقاربوا او هموا ان يقتلونى (فلا تشمت بى الاعداء) اصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال منى من مكروه (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) يعنى الذين عبدوا العجل (قال رب اغفر لى) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما تبين له عذر اخيه هرون قال رب اغفر لى ما صنعت الى اخى هرون يريد ما ظهر من الموجدة عليه فى وقت الغضب (ولاخى) يعنى واغفر لاخى هرون ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبدة العجل (وادخلنا) يعنى جميعا (فى رحمتك) يعنى فى سعة رحمتك (وانت ارحم الراحمين) وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعاء لان من هو ارحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعى فى نجاح طلبته (ان الذين

الكبرى اى الواحدة الداتية بوجود المهدى ولا يعلم وقتها الا الله كما قال النبى عليه الصلاة والسلام فى وقت خروج المهدى كذب الوقاتون ولعمرى ما يعلمها عند وقوعها ايضا الا الله كما هى قبل وقوعها (ثقلت فى السموات والارض) اذ لا يسع اهلها علمها (لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب

اتخذوا العجل) يعني الها عبدوه من دون الله (سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا)
يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة
الدنيا ثم للمفسرين في هذه الآية قولان احدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا
عبادته وعلى هذا القول ففي الآية سؤال وهو ان اولئك الاقوام الذين اتخذوا
العجل تابوا الى الله تعالى بقتلهم انفسهم كما امرهم الله فتاب عليهم فكيف
ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب انما حصل
لهم في الدنيا وهو نفس التقل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد
بالذلة هو استلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطأ فان قلت السين في قوله
سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه
الصلاة والسلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم
غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذى امرهم الله به بعد ذلك
وقال ابن جريج في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل
وهذا الذى قاله ابن جريج وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين
اتخذوا العجل اليهودى الذى كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين ادركوا
النبي صلى الله عليه وسلم وآباؤهم هم الذين عبدوا العجل واراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة
في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينال اولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى
هذا القول ففي تقرير الآية وجهان الاول ان العرب تعير الابناء بقبائح افعال الآباء كما تفعل ذلك
في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من آبائهم فكذلك ههنا وصف
اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان آباؤهم فعلوا
ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة
الدنيا الوجه الثاني ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا
عبادته سينال اولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه * وقوله تعالى (وكذلك نجزى
المفترين) يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها نجزى كل من افترى على الله كذبا او عبد
غيره وقال ابو قلابة هي والله جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا
في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ
هذه الآية قال والمبتدع مفتر في دين الله (والذين عملوا السيآت) يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل
في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فما دونه (ثم تابوا من بعدها) يعني ثم رجعوا الى الله
من بعد اعمالهم السيئة (وآمنوا) يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب
(ان ربك) يا محمد او يا ايها الانسان التائب (من بعدها) يعني من بعد توبتهم (لغفور رحيم)
يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيآت باسرها صغيرها وكبيرها
مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الآية ان من اتى بجميع
السيآت ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشائر للمذنبين

لا استكثرت من الخير
وما مسني السوء ان انا الا نذير
وبشير لقوم يؤمنون هو
الذى خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن اليها فلما تغشاها
حملت حملا خفيفا فمرت به
فلما اثقلت دعوا الله ربهما
لئن آتيتنا صالحا لنكونن
من الشاكرين فلما آتاهما
صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما
فتعالى الله عما يشركون
ايشركون ما لا يخلق
شيأ وهم يخلقون
ولا يستطيعون لهم نصرا
ولا انفسهم ينصرون
وان تدعوهم الى الهدى

التائبين (قوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب) يعني سكن لان السكوت اصله الامساك عن الشئ ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير فى سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بفورته دالا على ما فى نفس المغضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة فى رأسى والمعنى ادخلت رأسى فى القلنسوة والقول الاول اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير (اخذ الالواح) يعنى التى القاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شئ (وفى نسختها) النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نقلت ما فى الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من الالواح التى اخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه فى لوحين وفيهما ما فى الاولى بعينها فيكون نسختها نقلها وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر واخذها موسى بعينها بعد ما القاها يكون معنى وفى نسختها المكتوب فيها (هدى ورحمة) قال ابن عباس يعنى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب (للذين هم لربهم يرهبون) يعنى للخائفين من ربهم ✻ قوله عز وجل (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشئ اذا اخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ فى العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير فى ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذى كلمه فيه ربه وسأل فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء اخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة المذكورة فى هذه الآية وقال السدى ان الله امر موسى ان يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقال محمد بن اسحق اختار موسى من بنى اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لى حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطلب لنا نسمع

لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله) كائنين من كانوا ناسا كانوا او غيرهم (عباد امثالكم) فى العجز وعدم التأثير (فادعوهم) الى امر لا ييسره الله لكم (فليستجيبوا لكم) الى تيسيره (ان كنتم صادقين) فى نسبة التأثير الى الغير كما قال النبى عليه الصلاة والسلام لابن عباس يا غلام

كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بنى آدم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ من امره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهى الرجفة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقال ابن عباس كان الله امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا مالم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هرون قال على بن ابى طالب انطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل قالوا له انت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه وكان هرون حسن الخلق محببا فى بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا ياهرون من قتلك قال ماقتلنى احد ولكن الله توفانى فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لالانهم كانوا من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وماكرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما اخرجوا ودعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألون ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد اصابوا من المعصية ما اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظى لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يأمروهم بالمعروف فاخذتهم لرجفة فماتوا ثم احياهم الله ❊ وقوله تعالى ﴿ فلما اخذتهم الرجفة ﴾ اصل الرجف الاضطراب الشديد الذى يحصل معه التغير والهلاك ولهذا اختلفوا فى تلك الرجفة التى حصلت لهؤلاء هل كان معها موت ام لا فمعظم الروايات التى تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ رب ﴾ اى يارب ﴿ لو شئت اهلكتهم من قبل ﴾ يعنى من قبل عبادتهم العجل ﴿ واياى ﴾ وذلك انه خاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم وماهم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل يعنى قبل خروجهم الى الميقات واياى معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونى ﴿ اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ قال الفراء ظن موسى انهم اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهى

احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف (الهم ارجل

قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة من اهل العلم لايجوز ان يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد اى لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانبارى وقال المبرد هذا استفهام استعطاف اى لاتهلكنا (ان هى الا فتنتك) قال الواحدى الكناية فى هى تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك اى اختيارك وابتلاءك وهذا تأكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لاتهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) قال الواحدى وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرية التى لايبقى لهم معها عذر (انت ولينا) يعنى انت يار بنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر اى لاولى لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت (فاغفر لنا) سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هى الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم ارنا الله جهرة وفى هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له ولقومه (وارحمنا) اى واشملنا برحمتك التى وسعت كل شئ (وانت خير الغافرين) يعنى ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل اولدفع ضرر واما انت يارب فتغفر ذنوب عبادك الا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين * قوله تعالى (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة) يعنى قال موسى فى دعائه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة اى واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهى ثواب الاعمال الصالحة وفى الآخرة اى واكتب لنا فى الآخرة مغفرة لذنوبنا (انا هدنا اليك) قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخ شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم (قال) يعنى قال الله عزوجل لموسى عليه الصلاة والسلام (عذابى اصيب به من اشاء) يعنى من خلقى وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكى وعبيدى ومن تصرف فى خاص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتى وسعت كل شئ) يعنى ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الآخرة وقيل هى للمؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتى وسعت كل شئ تطاول ابليس اليها وقال انا من ذلك الشئ فنزعها الله تعالى من ابليس فقال تعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون)فأيس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآية وقال نوف البكالى لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتكم الصلاة الا عند مرحاض او حمام اوقبر واجعل السكينة فى قلوبكم واجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لانريد ان نصلى الا فى الكنائس ولانستطيع حمل

يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) استفهام على سبيل الانكار اى الهم ارجل ولكن لايمشون بها بل بالله اذ هو الذى يمشيهم بها وكذا سائر الجوارح (قل ادعوا شركاءكم) من الجن والانس (ثم كيدون فلا تنظرون) ان استطعتم فانى متولى امرى وحافظى ومدبرى

السكينة فى قلوبنا ولانستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نظرا قال الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلنى نبيهم منهم قال اجعلنى منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يارب اتيتك بوفد بنى اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضى موسى اما التفسير فقوله الذين يتقون يعنى الشرك وسائر مانهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة فى نوعين الاول التروك وهى الاشياء التى يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها ولايقربها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثانى الافعال المأمور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية اما البدنية فاليها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت فى حق المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية كالايمان والمعرفة واليها الاشارة بقوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون ❊ وقوله عز وجل ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذين يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ﴾ ذكر الامام فخر الدين الرازى فى معنى هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته فى التوراة اذ لايجوز ان يتبعوه فى شرائعه قبل ان يبعث الى الخلق وفى قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبا فى الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثانى ان المراد من لحق من بنى اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لايكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لايمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرحمة لايفوزبها من بنى اسرائيل الامن اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات الله فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بنى اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع امته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بنى اسرائيل اوغيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته واوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع الدرجات عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لايكتب ولايقرأ ولايحسب قال الزجاج فى معنى الامى هو الذى على صفة امة العرب اكثرهم لايكتب ولايقرأ ولايحسب فالنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لانكتب ولانحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذى اعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولانقصان منه ولاتغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلاتنسى وقيل انه لوكان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا القرآن العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين

هو (ولى الله الذى نزل الكتاب) يعلمى بتنزيل الكتاب (وهو يتولى الصالحين) كل صالح اى كل من قام به فى حال الاستقامة وكما ورد الصالح فى وصف نبى من الانبياء اريد به الباقى بالحق بالاستقامة والتمكن بعد الفناء فى عين

الجمع القائم باصلاح النوع باذن الحق والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) اى ان تدع المطبوع على قلوبهم من المشركين وغيرهم الى الهدى لا يسمعوا ولا يطيعوا وتراهم مع صحة البصر والنظر لا يبصرون

والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وايضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على احد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الامى الذى هو منسوب الى امه كانه لم يخرج بعد عما ولدته عليه وقيل سمى اميا لانه منسوب الى ام القرى وهى مكة وقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يعنى يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ماكانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال اجل انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا

(شرح غريب الفاظ الحديث)

الفظ السيئ الخلق والغليظ الجافى القاسى وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كانه فى غلاف وروى البغوى بسنده عن كعب الاحبار قال انى اجد فى التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحامدون ويحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على انصافهم ويتوضؤن اطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء مناديهم ينادى فى جو السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ❊ وقوله تعالى (يأمرهم بالمعروف) يعنى بالايمان وتوحيد الله (وينهاهم عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل المعروف ماعرف فى الشريعة والسنة والمنكر مالا يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) يعنى بذلك ماكان محرما عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ماكانوا يحرمونه على انفسهم فى الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى وقيل هى المستلذات التى تستطيبها الانفس (ويحرم عليهم الخبائث) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل مايستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل فى المضار الحرمة الا ماله دليل متصل بالحل (ويضع عنهم اصرهم) يعنى ثقلهم واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذى اخذ على بنى اسرائيل ان يعملوا بما فى التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد (والاغلال التى كانت عليهم) يعنى يضع الاثقال والشدائد التى كانت عليهم فى الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة

وقرض النجاسة عن الدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لاتجوز الا في الكنائس وتتبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لاتمتد مع وجود الغل فكذلك لاتمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه الصلاة السلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) يعني بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعني وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعني على اعدائه (واتبعوا النور الذي انزل معه) يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم (اولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية ✻ قوله تعالى (قل ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد للناس انى رسول الله اليكم جميعا الى بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله ياايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عزوجل بان يقول انى رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت الى الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لى الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدى مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد من قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون ✻ وقوله تعالى (الذي له ملك السموات والارض) لما امر الله عزوجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني ان الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني بان اقول لكم انى رسول الله اليكم جميعا (لااله الا هو يحيي ويميت) وصف الله نفسه بالالهية وانه لاشريك له فيها وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) لما امر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس انى رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله

الحق ولاحقيقتك لانهم عمى القلوب في الحقيقة (خذ العفو) اى السهل الذي يتيسر لهم ولاتكلفهم مالايتيسر لهم (وامر بالعرف) اى بالوجه الجميل (واعرض عن الجاهلين) بعدم مكافاة جهلهم ومن الامام جعفر الصادق رضى الله عنه امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها قال ذلك لقوة دلالتها على التوحيد

فرع عنه فلهذا بدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان رسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى (النبي الامي) تقدم معناهما (الذى يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعنى آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدى اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعنى يؤمن بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعنى واقتدوا به ايها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة فى الاقوال ومتابعة فى الافعال اما المتابعة فى الاقوال فبأن يمتثل التابع جميع ماامره المتبوع على طريق والنهى والترهيب واما المتابعة فى الافعال فبأن يقتدى به فى جميع افعاله وآدابه الاماخص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلامتابعة فيه * وقوله تعالى (لعلكم تهتدون) يعنى لكى تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب فى متابعتكم اياه * قوله عز وجل (ومن قوم موسى) يعنى من بنى اسرائيل (امة) اى جماعة (يهدون بالحق) يعنى يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه (وبه يعدلون) يعنى وبالحق يحكمون وبالعدل ياخذون ويعطون وينصفون واختلفوا فى هؤلاء من هم فقيل الذين اسلموا من بنى اسرائيل مثل عبدالله بن سلام واصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الامة يقتضى الكثرة واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين فى الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما فى قوله ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذى جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدى وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس سار واقى السرب سنة ونصف رواه الطبرى وحكى البغوى عن الكلبى والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يسمى نهر الاردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولايصل اليهم احد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل ذهب بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به فكلمهم الله فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا النبى الامى فآمنوا به وقالوا يارسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ منى عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى واقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان احدامنا لايصل اليهم واذا كان كذلك فمن ذا الذى اوصل خبرهم الينا الوجه الثانى قولهم ان جبريل ذهب بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقل صحيح ولارواه احد من ائمة الحديث ولايلتفت الى قول الاخباريين والقصاص فى ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبى صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح فى حديث المعراج انه سلم عليه فى السماء السادسة وايضا قولهم واقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل فرضيتها

فان من شاهد مالك النواصى وتصرفه فى عباده وكونهم فيما يأتون ويذرون به لا بانفسهم لايشاقهم ولا يداقهم فى تكاليفهم ولا يغضب فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا تشدد عليهم ويحلم عنهم (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) اى نخس وداعية قوية تحملك على مناقشتهم رؤية الفعل منهم ونسبة الذنب اليهم (فاستعذ بالله) بالشهود والحضور لفاعليته (انه سميع) يسمع

فاذاثبت بماذكره بطلان هذه الرؤية فالمختار في تفسير هذه الآية انها اما ان تكون نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التدليل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام واصحابه والله اعلم بمراده ❊ قوله تعالى (وقطعناهم) يعني وفرقنا بني اسرائيل (اثنتي عشرة اسباطا) يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا (امما) يعني جماعة وقبائل (واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) يعني في التيه (اضرب بعصاك الحجر فانبجست) يعني فانفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس (منه) اي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) يعني لكل سبط عين (قد علم كل اناس مشربهم) يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظللنا عليهم الغمام) يعني في التيه يقيهم حر الشمس (وانزلنا عليهم المن) هو الترنجبين (والسلوى) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه (كلوا من طيبات مارزقناكم) اي وقلنا كلوا (وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون) في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات مارزقناكم فاجعوا ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكلف اذا امر بشئ فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسئلتهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ماامروا به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة ❊ وقوله تعالى (واذ قيل لهم) يعني واذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل (اسكنوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لابد له من الدخول اليه (وكلوا منها حيث شئتم) يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم وان شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقبه فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شؤا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول الذ واكمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك بخلافه هنا (وقولوا حطة) اي حط عنا ذنوبنا (وادخلوا الباب سجدا) وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير (نغفر لكم خطيئاتكم) يعني نغفر لكم ذنوبكم ولم نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع (سنزيد المحسنين) وقال في سورة وسنزيد بالواو ومعناه انه قد وعد المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لايخل بهذا المعنى لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم) يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امرنا من بني اسرائيل فقالوا قولا غير الذي قيل لهم وامروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم (فأرسلنا عليهم رجزا من السماء) يعني بعثنا عليهم عذابا من السماء اهلكهم ولا منافاة بين قوله تعالى هنا ارسلنا وبين قوله في سورة البقرة انزلنا لانهما لا يكونان الا من اعلى الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال

احاديث النفس ووساوس الشيطان في الصدر (عليم) بالنيات والاسرار (ان الذين اتقوا) الشرك (اذامسهم طائف) لمة (من الشيطان) بنسبة الفعل الى الغير (تذكروا) مقام التوحيد ومشاهدة الافعال من الله (فاذاهم مبصرون) فعالية الله فلا يبقى شيطان ولا فاعل غير الله في نظره (واخوانهم) واخوان الشياطين من المحجوبين

لايشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكأنه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلا ثم ارسله عليهم كثيرا (بما كانوا يظلمون) يعني ان ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا من طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة ايضا في تفسير سورة البقرة * قوله عز وجل (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال اهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام لانه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال اهل هذه القرية بوحي الله عز وجل اليه واخباره اياهم بحالهم وانما المقصود بهذا السؤال تقريع اليهود على اقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته ليس شيأ قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلا لاسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم امر الله عز وجل مسخوا قردة وخنازير واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي ما بين مدين وعيوني يعني القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة منه (اذ يعدون في السبت) يعني يتجاوزون حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه فخالفوا امر الله وصادوا فيه السمك (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأتيهم متتابعة يتبع بعضهم بعضا وقيل كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش البيض السمان (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) يعني الحيتان (كذلك نبلوهم) يعني مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن اعلم بحالهم (بما كانوا يفسقون) يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليكم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا فيه واكلوا وباعوا وصار اهل القرية احزابا ثلاثة وكانوا نحوا من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله واصطادوا واكلوا وباعوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي

(يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) في نسبة الفعل الى غيره فلا يقصرون من العناد والمراء والجهل (لولا اجتبيتها) اي هلا اجتمعتها من تلقاء نفسك (قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) اي لا افتعل بنفسي بل ابلغ عن الله ولا اقول الا يوحى الي منه به لاني قائم به لا بنفسي

بذنهم فاذاهم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم فسار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تأتي انسابها من الناس فتشم ثيابها فيقول لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى ﴿ واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ﴾ واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا يعني انهم لامو هم على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم معذرة الى ربكم يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فوعظتنا لهؤلاء عذر لنا عند الله ﴿ ولعلهم يتقون ﴾ اى وجائز عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ماهم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابه والقول الاول اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية * وقوله تعالى ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ اى فلما تركوا ما وعظوا به ﴿ انجينا الذين ينهون عن السوء ﴾ وهم الفرقة الناهية ﴿ واخذنا الذين ظلموا ﴾ يعني الفرقة المعتدية العاصية ﴿ بعذاب بئيس ﴾ اى شديد وجيع من البأس وهو الشدة ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ يعني اخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا ادري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداءك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ماهم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله انجيتهم لم يقل اهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وامر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية اشد آية في ترك النهي عن المنكر * وقوله تعالى ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه ﴾ قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عما نهوا يعني عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ماحرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت واكله ﴿ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيرهم قردة تتعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شبان القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا * قوله تعالى ﴿ واذ تأذن ربك ﴾ الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم

﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له ﴾ اى الى الله ولا تستمعوا الا منه ﴿ وانصتوا ﴾ عن حديث النفس وغيره فان المتكلم به هو الله ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ برحمة تجلي المتكلم في كلامه بصفاته وافعاله ﴿ واذكر ربك ﴾ حاضرا ﴿ في نفسك ﴾ كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ﴿ تضرعا ﴾ في مقام التفصيل للجمع ﴿ وخيفة ﴾ في السر من

ومعنى تأذن اذن والاذان الاعلام يعني اعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل آلى ربك بمعنى اقسم ربك (ليبعثن عليهم) اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تأذن ربك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير في عليهم الى من يرجع فقيل يقتضي ان يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فألحق الذل بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود وهو بختنصر وسنجاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة واورد على هذا بان في آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه واشياعه واجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليبعثن عليهم (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص في ان العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا افضوا الى الآخرة كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب) يعني لمن اقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى (وانه لغفور رحيم) يعني لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام ※ قوله تعالى (وقطعناهم في الارض امما) يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل ارض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل ※ وقوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا (وبلوناهم) يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلوى اختبار وامتحان (بالحسنات) يعني الخصب والعافية (والسيئات) يعني الجدب والشدة (لعلهم يرجعون) يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني كل واحدة من الحسنات والسيآت اذا فسرت بالنعم والشدة تدعو الى طاعة الله تعالى اما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة واما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها ※ قوله تعالى (فخلف من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك

النفس اوخيفة ان يكون للنفس فيه نصيب (ودون الجهر من القول بالغدو والآصال) اى دون ان يظهر لك التضرع والذكر منك بل تكون ذاكرا به له في غدو ظهور نور الروح واشراقه وغلبته وآصال غلبات صفات النفس وقواها (ولا تكن) في حال من الاحوال وخصوصا حال غلبات النفس وصفاتها (من الغافلين) عن شهود الوحدة الذاتية (ان الذين عند ربك) بالتوحيد والفناء فيه باقين به ذوي الاستقامة (لا يستكبرون عن عبادته) بسبب احتجابهم بالانانية بل يشاهدون التفصيل

فى الذم وتسكن فى المدح قال حسان بن ثابت فى المدح

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

فسكن اللام فى قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد فى الذم

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

بفتح اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير فى السقاء ويقال للردئ من القول خلف وخلف الشئ تغير ومنه خلوف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذى يجئ بعد قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعنى انتقل اليهم الكتاب عن آبائهم والمراد بالكتاب التوراة (يأخذون عرض هذا الادنى) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا يأخذون الرشا فى الاحكام على تبديل الكلام وتغييره وذلك الذى يأخذونه من حطام الدنيا هو الشئ التافه الخسيس الحقير لان الدنيا بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشا فى الاحكام ويعلمون انها حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه (ويقولون سيغفر لنا) يعنى ذنوبنا فيتمنون على الله الامانى الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى اخرجه الترمذى وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعنى حاسبها فى الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الامانى لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمنى بعينه * وقوله تعالى (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شئ من الدنيا اخذوه حلالا كان اوحراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه قال السدى كانت بنو اسرائيل لايستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم فيقال له مابالك ترتشى فيقول سيغفر لى فيطعن عليه الآخرون فاذا مات اونزع من الحكم وجعل مكانه آخر فمن كان يطعن عليه ارتشى ايضا يقول الله عزوجل وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعنى الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى احكامهم العهود والمواثيق فى الكتاب وهو التوراة (ان لايقولوا على الله الا الحق) يعنى انا اخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود فى ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو مايوجبون على الله من غفران ذنوبهم التى لايزالون يعودون فيها ولايتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعنى ما فى الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما اخذ عليهم من العهود والمواثيق فى الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به (والدار الآخرة) يعنى وما فى الدار الآخرة مما اعدالله لاوليائه واهل طاعته العاملين بما امرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا فى الاحكام (خير للذين يتقون) يعنى يتقون الله ويخافون عقابه (افلا يعقلون) يعنى افلا يعقل

فى معنى الجمع فيذعنون له (ويسبحونه) ينزهونه عن الشرك بنفى الانانية (وله يسجدون) بالفناء التام وطمس البقية وآثار الانية والله الباقى بعد فناء الخلق

* (سورة الانفال) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسألونك عن الانفال) احتجبوا بافعالهم فاعترضوا على فعل الله ورسوله اى فعل الله فى مظهر الرسول فامر وابتقوى الانفال اى الاجتناب عنها برؤية فعل الله واصلاح ذات البين

هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا انما في الآخرة خير وابقى لانها دار المتقين (والذين يمسكون بالكتاب) يقال مسكت بالشيء وتمسكت به وامسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية في الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فأداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن (واقاموا الصلاة) يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما افردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم العبادات بعد الايمان بالله ورسوله (انا لانضيع اجر المصلحين)* قوله عز وجل (واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة) يعني واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ماعلا الانسان كالسقف ونحوه (وظنوا) اي وعلموا وايقنوا (انه واقع بهم) يعني الجبل (خذوا) يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب (ماآتيناكم) يعني التوراة (بقوة) يعني بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) يعني واعملوا بما فيه من الاحكام (لعلكم تتقون) قال اصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله عز وجل جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان يسقط عليه ولذلك لاتسجد اليهود الا على شق وجوههم الايسر * قوله تعالى (واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) الآية عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار اخرجه مالك في الموطا وابوداود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال اي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص مابين عينيه فقال يارب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زده من عمري اربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا الاربعين جاءه ملك الموت فقال آدم

بمحو صفات النفوس التي هي مصادر افعالهم الموجبة للتنازع والتخالف حتى يرجعوا الى الالفة والمحبة القلبية بظهور انواع الصفات (قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله) بفناء صفاتها ليتيسر لكم قبول الامر بالارادة القلبية (ان كنتم مؤمنين) الايمان الحقيقي (انما المؤمنون) بالايمان الحقيقي (الذين اذا ذكر الله) ذكر الصفات الذي للقلب

اولم يبق من عمرى اربعون سنة قال اولم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحد ذريته ونسى آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى واذاخذ ربك يعنى واذكر يامحمد اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم يعنى من ظهور بنى آدم وانما لم يذكر ظهر آدم وان كان الله سبحانه وتعالى اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ماىتوالد الابناء من الآباء فلذلك قال سبحانه وتعالى من بنى آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو آدم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء ثم للعلماء فى تفسير هذه الآية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التفسير والاثر وظاهر ماجاءت به الروايات عن السلف فيماروى عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبرى باسانيد فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة اناكنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس فى هذه الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال ان اول مااهبط الله آدم الى الارض اهبطه بدهناء ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة اناكنا عن هذا غافلين زاد فى رواية عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وفى رواية عنه قال لما خلق الله آدم اخذ ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب ارزاقهم وآجالهم ومصائبهم وفى رواية عنه قال ان الله عزوجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم فى صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن ادرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن ادرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا اولم يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبرى بسنده عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس اخرج ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم اعادها فى صلبه فليس احد من الخلق الاوقد تكلم فقال ربى الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال السدى اخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتى ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيئة الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولاابالى فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التبعية زاد فى رواية وذلك حيث يقول وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها

لاذكر الافعال الذى للنفس (وجلت قلوبهم) تأثرت بتصور العظمة والبهاء والقهر والكبرياء واشراق انوار تجليات تلك الصفات عليها (واذاتليت عليهم آياته) اى جليت عليهم صفاته فى المظاهر الكلامية (زادتهم ايمانا) حقيقيا بالترقى عن مقام العلم الى العين (وعلى ربهم يتوكلون) اى يصححون مقام التوكل بفناء الافعال ويتمونه فى مقام فناء الصفات فانّ

وقال محمد بن كعب القرظي اقرله بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح
صفحة ظهر آدم اليمنى فاخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى
فاخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال ياآدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم الست بربكم
قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولاابالي
وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق
جميعا وروى ان الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لااله لكم غيري وانا ربكم لارب لكم
غيري فلا تشركوا بي شيأ فاني سأنتقم ممن اشرك بي ولم يؤمن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم
عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا اشهدنا انك ربنا لارب لنا غيرك فأخذ بذلك
مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغني والفقير
وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده
واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلاتقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق وقال
الزجاج وجائز ان يكون الله سبحانه وتعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى
في النملة قالت نملة ياايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير
وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكبراء اهل العلم في هذه الآية ان الله تعالى اخرج ذرية
آدم من صلبه واصلاب اولاده وهم صور كالذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه
فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال
عقولا حتى خوطبوا بقوله ياجبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك الشجرة حتى سمعت لامره وانقادت ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال الله
سبحانه وتعالى للذرية الست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعني قالت الذرية بلى انت
ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالربوبية واعتراف على انفسهم بالعبودية (شهدنا) فيه
قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا اشهدنا على اقرارهم
فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله سبحانه وتعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام
مستأنف والقول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا
الاقرار وعلى هذا لايحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده * وقوله سبحانه وتعالى (ان يقولوا)
وقرئ بالتاء على خطاب الذرية ومعناه لئلا تقولوا ايها الذرية (يوم القيامة انا كنا عن هذا) يعني
الميثاق (غافلين) وقرئ ان يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا اي الذرية انا كنا عن هذا
غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الآية وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه سبحانه وتعالى اخرج
الذرية وانشأهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الآباء وهم اولاد بني آدم فاخرج الذرية الى الدنيا
على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول واراهم عجائب خلقه
وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه
ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وبارئهم
وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا
بلى شهدنا على انفسنا انك انت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على

تصحيح كل مقام انمايتم
بالترقي عنه والنظر اليه
من مقام فوقه (الذين
يقيمون الصلاة) صلاة
الحضور القلبي بمشاهدة
الصفات والترقي فيها
بتجلياتها (ومما رزقناهم)
من علوم التوكل في مقام
فناء الافعال اوعلوم
تجليات الصفات في السير
فيها (ينفقون) بالعمل بها
والافاضة على مستحقيها
(اولئك هم المؤمنون حقا)
الايمان الحقيقي (لهم
درجات عند ربهم) من

المجازلا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور فى كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقداخذ عليه الميثاق بماجعل فيه من السبب الذى يؤخذ به الميثاق وهوالعقل والتكليف فيكون معنى الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم واشهدهم على انفسهم بماركب فيهم من العقل الذى يكون به الفهم والتكليف الذى به يترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين فى تفسير هذه الآية قلت المذهب الاول هوالمختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار فى تفسير هذه الآية هومذهب السلف فى ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد فى الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير الفاظ هذه الآية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم فى تفسير الفاظ الآية من ان الله اخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما فى الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذى هو اصلهم فبهذا الطريق امكن الجمع بين الآية والحديث اذ ليس فى معنى الفاظ الآية مايدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الآية والحديث وحكى الواحدى عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر آدم فقد اخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية آدم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وتحصل الفائدة بهذا الفصل بانه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذى اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التى نصبها بالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فائدة اخذ الميثاق عليهم فى القدم ان من مات منهم صغيرا ادخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لايحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيأ ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيأ حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق رسله فيما جاؤا به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن هذا الميثاق او الايمان بان الله ربنا غافلين اولئلا تقول اخلافهم انما اشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت ان ذلك الميثاق لايذكره احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم اوفكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به قلت لما اخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب آدم بطل ماركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتداهم بالخطاب على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام واصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار تكليف وامتحان ولولم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق فى الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولم تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات

مراتب الصفات وروضات جنات القلب (ومغفرة) من ذنوب الافعال (ومغفرة ورزق كريم) من باب تجليات الصفات وعلومها (كما اخرجك ربك) اى هذه الحال يعنى حالهم فى الاعتراض عليك فى باب التنفيل كحالهم فى الاعتراض عليك عند اخراج ربك اياك لانهم لما احتجبوا عن فعل الله بافعالهم راوا الفعلين منك فكرهوا خروجك كما كرهوا تنفيلك ومافطنوا لاخراج ربك اياك (من بيتك بالحق) اى ملتبسا بالحق خارجا به لابنفسك فيكون بالحق حالا مفعول اخرجك او خروجا ملتبسا بالذى هو الصواب والحكمة

﴿وقوله تعالى (او يقولوا) يعنى الذرية (انما اشرك آباؤنا من قبل) يعنى انما اخذ الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما اشرك آباؤنا من قبل (وكنا ذرية من بعدهم) يعنى وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم فى الشرك (افتهلكنا) يعنى افتعذبنا (بما فعل المبطلون) قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيامة انما اشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا فى غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل ذلك وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك يوم القيامة واما الذين حملوا معنى الآية على ان المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب اهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل واظهرها للعقول لئلا يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لآبائنا لان نصب ادلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء فى الشرك ﴿وقوله تعالى (وكذلك نفصل الآيات) يعنى ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (ولعلهم يرجعون) يعنى عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه ﴿ قوله عز وجل (واتل عليهم) يعنى واقرأ على قومك يا محمد (نبأ) يعنى خبر (الذى آتيناه آياتنا) اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بنى اسرائيل وفى رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدى وغيرهم من اصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعام اليه وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم وانى ان فعلت هذا ذهبت دنياى وآخرتى فراجعوه والحوا عليه فقال حتى اؤامر ربى وكان لا يدعو حتى يؤامر ربه فى المنام فاتى فى المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد آمرت ربى فنهانى ان ادعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى اؤامر ربى فآمر فلم يوح اليه شئ فقال قد آمرت ربى فلم يوح الى شئ فقالوا له لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك اول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على اتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذلقها فاذن الله عز وجل لها فى الكلام وانطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام اتدرى اين تذهب اما ترى الملائكة امامى يردوننى عن وجهى هذا ويحك اتذهب الى نبى الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا اشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل يدعو فلم يدع بشئ الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه يا بلعام اتدرى ما تصنع انما تدعو لهم

(وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق) لاحتجاجهم بافعالهم وصفاتهم (بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) عليك حاله بالتجلى او تبين عليهم آثاره بالمعجزات من قبل او باعلامك اياهم بان النصرة لهم (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) اى يثبته بملائكته السماوية التى امدهم بها (اذ تستغيثون ربكم) بالبراءة عن حولكم وقوتكم

وتدعو علينا فقال هذا مالااملكه هذا شيء قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق لي الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال ثم قال جلوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بني اسرائيل ليبعنها عليهم ومروهن ان لاتمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهن كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة واخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال اني لاظنك انك تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لاتقربها قال والله اني لااطيعك في هذا ثم قام ودخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عزوجل الطاعون على بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون وكان صاحب امر موسى وكان رجلا فظا قد اعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ماصنع فجاء والطاعون يجوس في بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون من بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين ان اصاب ذلك الرجل المرأة الى ان قتله فنحاص فوجدوه قد هلك سبعون الفا في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل اولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها القشة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته ويعطوهم البكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار وفي بلعام انزل الله عزوجل واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال مقاتل ان ملك البقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني ولاادعو عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما رأى ذلك خرج على اتان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاتان فضربها فقالت لم تضربني واني مأمورة وهذه نار امامي قد منعتني ان امشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه اولاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لايدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل في التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى يارب اى ذنب وقعت في التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله سبحانه وتعالى منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فان قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعا على بلعام بأن ينزع عنه الاسم الاعظم وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة ان يدعو على انسان بالكفر بعد الايمان اورضي له بذلك قلت الجواب عنه من وجوه احدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولايلتفت الى مايسطره اهل اهل الاخبار اذا خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرائيل في التيه هو عبادتهم العجل اوقولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لادعاء

اليه والانسلاخ عن حجب افعالكم بتيقن ان التأثير والقوة منه لامنكم ولامن عدوكم (فاستجاب لكم) دعوتكم عند ذلك التجرد عن ملابس الافعال وصفات النفس (باني ممدكم) من عالم الملكوت لجنسية قلوبكم اياها حينئذ (بالف من الملائكة) بعالم من ملكوت القهر اى من القوى السماوية وروحانياتها التي تناسب قلوبكم في تلك الحالة كما مرت الاشارة اليه في آل عمران واختلاف العدد في الموضعين اما لان المراد الكثرة لاالعدد المخصوص واما لان قوله (مردفين)

بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله اصحاب الاخبار فى كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه وقال عبدالله بن عمر وبن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه الآية فى امية بن ابى الصلت الثقفى وكانت قصته انه كان قد قرأ الكتب القديمة وعلم ان الله سبحانه وتعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل منهم فقيل له قتلهم محمد فقال لوكان نبيا ماقتل اقرباءه فلما مات امية اتت اخته فازعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه اوعى قال وعى قال اذكى قال ابى قالت فسألته عن ذلك فقال خير اريد بى فصرف عنى ثم غشى عليه فلما افاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر مره الى ان يزولا
ليتنى كنت قبل ماقد بدالى * فى قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدينى من شعر اخيك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية وفى رواية عن ابن عباس انها نزلت فى البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها اولاد فقالت له اجعل لى منها دعوة فقال لك منها واحدة كما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعالها فصارت اجمل النساء فلما علمت انه ليس فى نساء بنى اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها الى ابيهم وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس تعيرنا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان اشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت فى منافقى اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون ابناءهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضرب الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناه اياتنا وقال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان يعلم لايسأل الله شيأ الا اعطاه وقال السدى كان يعلم اسم الله الاعظم وفى رواية اخرى عن ابن عباس انه اوتى كتابا وقيل ان الله آتاه حجة وادلة وهى الآيات التى اوتيها (فانسلخ منها) يعنى فخرج من الآيات التى كان الله آتاه اياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم (فاتبعه الشيطان) يعنى لحقه وادركه وصيره الشيطان تابعا لنفسه فى معصية الله يخالف امر ربه ويطيع الشيطان وهواه * قوله تعالى (فكان من الغاوين) يعنى من الهالكين

هنا يدل على اتباعهم بطائفة اخرى منهم وامدادهم اما بان يتجسدوا ويتمثلوا لهم بصورة المقاتلة كما تتمثل الصور فى المنام مثلا فيتهبوا منهم واما بان يصل اثرهم وقهرهم اليهم فيهلكوا وينهزموا (وماجعله الله) الامداد (الابشرى) بشارة (لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر) بالنصر وطمأنينة لقلوبكم بالاتصال بها عند التجرد عن ملابس النفس واحوالها الا ان النصر منها فان النصر ليس (الا من

الضالين بما خالف ربه واطاع هواه وشيطانه * وقوله سبحانه وتعالى (ولوشئنا لرفعناه بها) يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات التي اوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء معناه ولوشئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات (ولكنه اخلد الى الارض) يعني ولكنه سكن الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المفاز والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج مايعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الارض (واتبع هواه) يعني انه اعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخسر دنياه وآخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الآية من اشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضي بها عوضا عن الآخرة نزع منه ما كان اعطيه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله بالورع ونبهه بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذئبان جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه اخرجه الترمذي * ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وترك آخرته وآثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب في اخس احواله وهو اللهث لان الكلب في حال لهثه لايقدر على نفع نفسه ولاضرها كذلك العالم الذي يتبع هواه لايقدر على نفع نفسه ولا ضرها في الآخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه اوتركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهي مواظبة على اللهث دائما فكذلك من آتاه الله العلم والدين واغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا توصل بعلمه الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند اهلها ويدلع لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل مايحصل عنده من حرارة الحرص والشديد وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي ادلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولاضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث اي ان شددت عليه واهجته لهث وان تركته على حاله لهث لان اللهث طبيعة اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لايقبل الوعظ ولاينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني ان المثل الذي ضربناه للذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم اذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا ايضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى (فاقصص القصص) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

عندالله) لكن حكمته تقتضي تعليق الاشياء باسبابها (ان الله عزيز) قوي على النصر غالب (حكيم) يفعله على مقتضى الحكمة (اذ يغشيكم النعاس) نعاس هدو القوى البدنية والصفات النفسانية بنزول السكينة امنا من عندالله وطمأنينة (وينزل عليكم من السماء) سماء الروح (ماء) علم اليقين (ليطهركم به) من خبث احاديث النفس وهواجس الوهم (ويذهب عنكم رجز) وسوسة (الشيطان) وتخويفه (وليربط على قلوبكم) اي ليقوي قلوبكم بقوة اليقين ويسكن جاشكم

يعنى فاقصص القصص يامحمد على قومك اى اخبار من كفر باياًت الله (لعلهم يتفكرون) يعنى فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى (ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياًتنا) يعنى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا باياًتنا (وانفسهم كانوا يظلمون) يعنى بتكذيبهم بآياتنا ❊ قوله عز وجل (من يهد الله فهو المهتدى) يعنى من يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو المهتدى (ومن يضلل) يعنى ومن يتول الضلالة (فاولئك هم الخاسرون) يعنى فى الآخرة فى الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو الهادى المضل ❊ وقوله سبحانه وتعالى (ولقد ذرأنا) يعنى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) اخبر الله سبحانه وتعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له فى الخلاص منها واستدل البغوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبى من الانصار فقلت يارسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال اوغير ذلك ياعائشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووى فى شرح مسلم اجمع من يعتقد به من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لايعتد به لحديث عائشة هذا واجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن ابى وقاص لفظة انى لاراه مؤمنا فقال اومسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين فى الجنة فلما علم ذلك قال به واما اطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الاكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له باشياء منها خبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة وحوله اولاد الناس فقالوا يارسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين رواه البخارى فى صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولايلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفى الآية دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة فى ان الله خالق اعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولامزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لايختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام فى جهنم للعاقبة اى عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى (لهم قلوب لايفقهون بها) يعنى لايفهمون بها ولايعقلون بها واصل الفقه فى اللغة الفهم والعلم بالشئ ثم صار علما على اسم العلم فى الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لايتفكرون بها فى آيات الله ولايتدبرونها ولايعلمون بها الخير والهدى عن الحق وتركهم

(ويثبت به الاقدام) اذ الشجاعة وثبات القدم فى المخاوف والمهالك لاتكون الابقوة اليقين (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم) اى بمد الملكوت بالجبروت فيعلموا من عالم الجبروت ان الله ناصرهم (فثبتوا الذين آمنوا) بالتأييد الاتصالى (سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) لانقطاعهم عن الامداد السماوى والتأييد الالهى واستيلاء الشك وقوة الوهم عليهم (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه

(ولهم اعين لا يبصرون بها) يعنى لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها فى آيات الله وادلة توحيده (ولهم آذان لا يسمعون بها) يعنى لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعانى ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها المرئيات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عزوجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم فى الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم فى امور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها * وانى ان اشاء بها سميع

فانه اثبت له صمامع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيأ من امر الآخرة ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق * ثم ضرب لهم مثلا فقال سبحانه وتعالى (اولئك كالانعام) يعنى ان الذين ذراهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية كالانعام وهى البهائم التى لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون فى هذه الحواس الثلاثة التى هى القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التى لا تدرك شيأ * ثم قال تعالى (بل هم اضل) يعنى بل ان الكفار اضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار اضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اخس حالا من الانعام وقيل ان الانعام مطيعة لله عزوجل والكافر غير مطيع لله عزوجل فصارت الانعام افضل منه * ثم قال الله تعالى (اولئك هم الغافلون) يعنى عن ضرب هذه الامثال لهم * قوله سبحانه وتعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلا دعا الله فى صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركى مكة قال ابن الجوزى هو ابوجهل ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية ان اسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معان فهى انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن فى حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة فى نوعين احدهما عدم افتقاره الى غيره الثانى افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفى رواية من احصاها وفى رواية اخرى لله تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخارى احصاها حفظها وفى رواية الترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم

وان للكافرين عذاب النار يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) اى ثبتوهم بتلقين هذا المعنى وشجعوهم بالقاء هذا القول عليهم اوبارائتهم هذا الفعل منكم كما هو المروى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت) ادبهم وهداهم الى فناء الافعال بسلب الافعال عنهم واثباتها لله تعالى ولما كان النبى عليه الصلاة والسلام فى مقام البقاء بالحق نسب الفعل اليه بقوله (اذ رميت) مع سلبه عنه بما رميت واثباته لله بقوله (ولكن الله رمى)

القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيي المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الاحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور قال الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر اسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به فى علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربى المالكى عن بعضهم ان لله الف اسم قال ابن العربى وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العدد اى عدها فى الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها احضر باله عند ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر باله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله والله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه فى وصف الله تعالى انه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر فى الاعمال لان اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم واللطيف من اسماء الله ولا يقال من اسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيرى فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين الرازى دلت الاية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى يقتضى اضافة الاسماء الى الله واضافة الشئ الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشئ المسمى به فهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف

ليفيد معنى التفصيل فى عين الجمع فيكون الرامى محمدا بالله تعالى لا بنفسه ومانسب اليهم من الفعل شيأ اذلو فعلوا لفعلوا بانفسهم (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) اى عطاء جميلا هو توحيد الافعال فعل ذلك (ان الله سميع) باحاديث نفوسكم انا قتلناهم (عليم) بانه هو القاتل وان اظهر الفعل على مظاهركم (ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله

ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه اسمائه ايضا * وقوله سبحانه وتعالى (فادعوه بها) يعنى ادعوا الله باسمائه التى سمى بها نفسه اوسماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز ان يقال ياجواد ولا يجوز ان يقال ياسخى ويجوز ان يقال ياعالم ولا يجوز ان يقال ياعاقل ويجوز ان يقال ياحكيم ولا يجوز ان يقال ياطبيب وللدعا شرائط منها ان يعرف الداعى معانى الاسماء التى يدعو بها ويستحضر فى قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية فى دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تاثير عظيم (وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) معنى الالحاد فى اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ماليس منه يقال الحد فى الدين الحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع فى اسماء الله تعالى على وجوه احدها اطلاق اسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سموا اصنامهم بالآلهة واشتقوا لها اسماء من اسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثانى وهو قول اهل المعانى ان الالحاد فى اسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد فى الشرع بل ندعو الله باسمائه التى وردت فى الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب فى الدعاء فلا يجوز ان يقال ياضار يا نافع ياخالق القردة على الانفراد بل يقال ياضار ياذافع يامعطى ياخالق الخلق الوجه الرابع ان لا يسمى الله العبد باسم لا تعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يسمى به لما فيه من الغرابة * وقوله سبحانه وتعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) يعنى فى الآخرة ففيه وعيد وتهديد لمن الحد فى اسماء الله عز وجل * قوله عز وجل (وممن خلقنا امة) يعنى جماعة وعصابة (يهدون بالحق وبه يعدلون) قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتاده بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من امتى امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتى امر الله وهم على ذلك وفى الآية دليل على انه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدى اليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم ياخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا اتوا بجرم او اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة فى الدنيا

ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون) اى لا تعرضوا عنه مع السماع لان اثر السماع الفهم والتصديق واثر الفهم الارادة واثر الارادة الطاعة فلا يصح دعوى السماع مع الاعراض اذ هما لا يجتمعان فلازموا الطاعة بالارادة ان كنتم صادقين فى دعوى السماع (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) يدعون السماع وليسوا منه فى شئ لكونهم محجوبين عن الفهم والقبول كالدواب بل هم شر الدواب عند الله لما مر (ولو علم الله فيهم خيرا

فيزدادون بذلك تماديا فى الغى والضلال ويتدرجون فى الذنوب والمعاصى فيأخذهم الله اخذة واحدة اغفل مايكونون عليه وقال الضحاك معناه كما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثورى نسبغ عليهم ثم نسلبهم الشكر روى ان عمر بن الخطاب لما حل اليه كنوز كسرى قال اللهم انى اعوذ بك ان اكون مستدرجا فانى سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لايعلمون قال اهل المعانى الاستدراج يتدرج الشئ الى الشئ فى خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبى اذا قارب بين خطاه فى المشى ومنه درج الكتاب اذا طواه شيأ بعد شئ (واملى لهم) يعنى وامهلهم واطيل مدة اعمارهم والاملاء فى اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى انى اطيل مدة اعمارهم ليتمادوا فى الكفر والمعاصى ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة (ان كيدى متين) يعنى ان اخذى شديد والمتين من كل شئ هو القوى الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكرى شديد قال المفسرون نزلت هذه الآية فى المستهزئين من قريش وذلك ان الله سبحانه وتعالى امهلهم ثم قتلهم فى ليلة واحدة وفى هذه الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وان الله سبحانه وتعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد لايسئل عما يفعل وهم يسئلون * قوله سبحانه وتعالى (اولم يتفكروا مابصاحبهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) يعنى من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يابنى فلان يابنى فلان انى لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عزوجل اولم يتفكروا والتفكر التأمل واعمال الخاطر فى عاقبة الامر والمعنى اولم يتفكروا فيعلموا مابصاحبهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال لفظة من فى قوله من جنة يوجب ان لايكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو برئ منه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم فى الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة ونعيمها مشتغلا بالدعاء الى الله عزوجل وانذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى (ان هو) يعنى ماهو (الا نذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدى الى العلم بالوحدانية فقال سبحانه وتعالى (اولم ينظروا) يعنى نظر اعتبار واستدلال (فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شئ خلقه الله سبحانه وتعالى ورآه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) والمعنى ولعل اجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المؤدى الى الفوز بالنعيم المقيم (فبأى حديث بعده) يعنى بعد القرآن (يؤمنون) يعنى يصدقون والمعنى فبأى كتاب بعد الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبى ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحى بعد محمد صلى الله عليه وسلم * ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال سبحانه وتعالى (من يضلل الله

لاسمعهم) وصلاحا اى استعداد القبول كما سمعهم حتى فهموا وقبلوا واطاعوا (ولو اسمعهم لتولوا) مع عدم الخير فيهم حتى فهموا لما كان لفهمهم اثر من الارادة والطاعة بل تولوا سريعا لكون ذلك الفهم فيهم امرا عارضيا سريع الزوال لاذاتيا (وهم معرضون) بالذات فلا يلبث فيهم الفهم والارادة كما قال امير المؤمنين رضى الله عنه خذ الحكمة ولو من اهل النفاق فان الحكمة لتتلجلج فى صدر المنافق حتى تسكن الى صواحبها فى صدر المؤمن اى لاتثبت فى صدره لكونها عارضية هناك لاتناسب ذاته (يا ايها الذين آمنوا) بالغيب (استجيبوا لله وللرسول)

فلاهادي له) يعني ان اعراض هؤلاء عن الايمان لاضلال الله اياهم فلو هداهم لآمنوا (ويذرهم في طغيانهم يعمهون) يعني ويتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر يترددون متحيرين لايهتدون سبيلا * قوله عز وجل (يسئلونك عن الساعة ايان مرساها) قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى الساعة فانزل عز وجل يسئلونك عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم في ساعة غفلة وبغتة اولان حساب الخلائق ينقضي فيها في ساعة واحدة ايان سؤال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها اي متى وقوعها قال والساعة الوقت الذي تموت فيه الخلائق والاصل الارساء الثبات يقال رسا يرسو اذا ثبت (قل) اي قل لهم يا محمد (انما علمها عند ربي) اي لايعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليه احد ومن حديث الايمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية (لايجليها لوقتها الا هو) قال مجاهد لايأتي بها الا هو وقال السدى لايرسلها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشئ بعد خفائه والمعنى لايظهرها لوقتها المعين الا الله ولايقدر على ذلك غيره (ثقلت في السموات والارض) يعني ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموات والارض فكل شئ خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على اهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب (لاتأتيكم الا بغتة) يعني فجأة على حين غفلة من الخلق (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولايطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها * اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويرى يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه يليطه اويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة * وقوله سبحانه وتعالى (يسئلونك كانك حفي عنها) يعني يسألك قومك عن الساعة كانك حفي بهم يعني بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتاخير تقديره يسئلونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كانك حفي بها اي عالم بها من قولهم احفيت في المسئلة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعني قل يا محمد (انما علمها عند الله) يعني استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرساها

بالتزكية والتصفية (اذا دعاكم لما يحييكم) يحيي قلوبكم من العلم الحقيقي اوآمنوا الايمان التحقيقي استجيبوا بالسلوك الى الله وفيه اذا دعاكم اليه لاحيائكم به هذا اذا كانت استجابة الله والرسول استجابة واحدة اما اذا كانت متغايرة فمعناه استجيبوا لله بالباطن والاعمال القلبية وللرسول بالظاهر والاعمال النفسية او استجيبوا الله بالفناء في الجمع وللرسول بمراعاة حقوق التفصيل اذا دعاكم الى الاستقامة لما يحييكم من البقاء بالله فيها كل ذلك قبل زوال الاستعداد فان الله يحول بين المرء وقلبه بزوال الاستعداد وحصول الحجاب بارتكاب الرين فانتهزوا الفرصة ولاتؤخروا الاستجابة

(وقوله)

وقوله سبحانه وتعالى ثانيا يسئلونك كانك حفى عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاوّل سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثانى سؤال عن احوالها من ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن الجواب فى السؤال الاوّل بقوله تعالى علمها عند ربى وعن الجواب فى السؤال الثانى بقوله تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين فى الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاوّل واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عند ربى ولما كان السؤال الثانى واقعا عن احوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى عند الله لانه اعظم الاسماء (ولكن اكثر الناس لايعلمون) يعنى لايعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لايسألوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لايعلمون السبب الذى من اجله اخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق ❊ قوله سبحانه وتعالى (قل لااملك لنفسى نفعا ولاضرا) قال ابن عباس ان اهل مكة قالوا يامحمد الايخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشترى به فتربح فيه عند الغلاء وبالارض التى يريد ان تجدب فترحل عنها الى ماقد اخصبت فانزل الله عزوجل قل لااملك اى قل يامحمد لااملك ولااقدر لنفسى نفعا اى اجتلاب نفع بأن اربح فيما اشتريه ولاضرا يعنى ولااقدر ان ادفع عن نفسى ضرا نزل بها بأن ارتحل الى الارض الخصبة واترك الجدبة (الاماشاء الله) يعنى ان املكه واقدر عليه (ولوكنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير) يعنى ولوكنت اعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال (ومامسنى السوء) يعنى الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معناه لااملك لنفسى نفعا ولاضرا من الهدى والضلالة ولوكنت اعلم الغيب يريد وقت الموت لاستكثرت من الخير يعنى من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة انزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناه انا لاادعى علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت احاديث فى الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولوكنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لااعلم الغيب الاان يطلعنى الله عليه ويقدّره لى ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عزوجل على الغيب فلما اطلعه الله عزوجل اخبر به كما قال تعالى فلايظهر على غيبه احدا الامن ارتضى من رسول اويكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك اظهره الله سبحانه وتعالى على اشياء من المغيبات فأخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوّته صلى الله عليه وسلم وقوله ومامسنى السوء يعنى الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولوكنت اعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لايمسنى السوء قيل معناه ولوكنت اعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا ومامسنى السوء يعنى قولكم لوكنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة (ان انا الانذير) ماانا الارسول ارسلنى الله اليكم انذركم واخوّفكم عقابه ان لم تؤمنوا (وبشير) يعنى وابشر بثوابه (لقوم يؤمنون) يعنى يصدقون ❊ قوله عزوجل (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) يعنى وخلق منها زوجها حوّاء وقد تقدم كيفية خلق حوّاء من ضلع آدم فى اوّل

(واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون) فيجازيكم من صفاته وذاته على حسب محوكم وفنائكم (واتقوا فتنة) شركا وحجابا (لاتصيبنّ) تلك الفتنة (الذين ظلموا منكم) بازالة الاستعداد اونقصه لاستعماله فى غير موضعه وصرفه فيما دون الحق (خاصة) لانفرادهم بالظلم ومعنى لاتصيبن النهى اى ان يصب تصبهم خاصة كقوله ولاتزر وازرة وزر اخرى ويجوز ان يكون المعنى لاتصيبنهم خاصة بل تشملهم وغيرهم بشؤم صحبتهم وتعدى

سورة النساء (ليسكن اليها) يعني ليأنس بها ويأوى (فلما تغشاها) يعني واقعها وجامعها كنى به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها (حملت حملا خفيفا) يعني النطفة والمعنى لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها (فمرت به) يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما اثقلت) اى صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت مدة ولادتها (دعوا الله ربهما) يعني ان آدم وحواء دعوا الله ربهما (لئن آتيتنا صالحا) يعني لئن اعطيتنا بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط آدم وحواء الى الارض القيت الشهوة في نفس آدم فأصاب حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذى في بطنك قالت انى ما ادرى قال انى اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا اترين في الارض الا بهيمة او نحوها قالت انى اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك اومن فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزالا في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء لآدم عليه السلام فقال لعله صاحبنا الذى قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سماه عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال قد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحي الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له اول ولد اتاه ابليس فقال انى سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث وكان اسمه في السماء الحرث فقال آدم اعوذ بالله من طاعتك انى اطعتك في اكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال اطعني والامات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال ابن عباس اشركاه في طاعته في غير عبادة ولم يشركا بالله ولكن اطاعاه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما قرئ شركاء بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحرث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا في العبادة ولان الحرث رب لهما لان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث ان الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به مملوك كما قال الشاعر

وذيلتهم الى من يخالطهم كقوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدى الناس (واعلموا ان الله شديد العقاب) بتسليط الهيآت الظلمانية التي اكتسبتها القلوب عليها وحجبها عنه وتعذيبها بها (واذكروا اذ انتم قليل) القدر لجهلكم وانقطاعكم عن نور العلم (مستضعفون في الارض) ارض النفس (تخافون ان يتخطفكم الناس) اى ناس القوى الحسية لضعف نفوسكم

* واني لعبد الضيف مادام ثاويا * اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ماقام عنده مع بقاء الجزية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواى اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هنا وانما اخبر عن آدم عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه وتعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما لان حسنات الابرار سيآت المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاهما * ثم ابتدأ في الخبر عن الكفار بقوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون) نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد آدم وحواء لقال سبحانه وتعالى فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعانى ولو اراد به ماسبق في معنى الآية فستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك في التسمية فكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحرث وفي معنى الآية قول آخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركاء فحذف ذكر الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل وادقتلتم نفسا فعبر به عن اليهود الذين كانوا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اى خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اى وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك * وقوله سبحانه وتعالى (ايشركون) قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة (مالا يخلق شيأ) يعنى ابليس والاصنام (وهم يخلقون) اى وهم مخلوقون فان قلت كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهى من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحتمله للجمع بحسب المعنى فوحد قوله مالا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو وبالنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابد والاصنام انها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بناء على مايعتقدونه ويتصورونه * وقوله تعالى (ولا يستطيعون لهم نصرا) يعنى ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى ان المعبود الذى تجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها * ثم قال تعالى (ولا انفسهم ينصرون) يعنى ولا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرها قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها * ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى) يعنى وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى

(ما آواكم) الى مدينة العلم (وايدكم بنصره) في مقام توحيد الافعال (ورزقكم من الطيبات) طيبات علوم تجليات الصفات (لعلكم تشكرون) نعمة العلوم والتجليات بالسلوك فيه (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بنقض ميثاق التوحيد الفطرى السابق (و) تخونوا (الرسول) بنقض العزيمة

الهدى (لايتبعوكم) لان الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية (سواء عليكم ادعوتموهم) الى الدين والهداية (ام انتم صامتون) اى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلا الحالين لايؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين فى الآية المتقدمة عجز الاصنام بين فى هذه انه لاعلم لها بشئ البتة والمعنى ان هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لاتضر ولاتنفع ولاتسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا فى شدة وبلاء تضرعوا لاصنامهم فاذا لم تكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لافرق بين دعائكم للاصنام او سكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال * قوله سبحانه وتعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم) يعنى ان الاصنام التى يعبدها هؤلاء المشركون انما هى مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة مذللة مثل ما انتم مسخرون مذللون قال مقاتل فى قوله سبحانه وتعالى عباد امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول اصح وفيه سؤال وهو انه وصفها بأنها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال عزوجل (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى كونها آلهة وجواب آخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد فى معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التى تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم آلهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا * ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى (ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) يعنى ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها آلات يستعين بها الانسان فى جميع اموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شئ فهم مفضلون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشى وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لافضل لها البتة لانها حجارة وجماد لاتضر ولاتنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذى لافضل له البتة ولايضر ولاينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام آلهة * ثم قال تعالى (قل ادعوا شركاءكم) اى قل يامحمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التى تعبدونها حتى يتبين عجزها (ثم كيدون) يعنى انتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله فى استكمال الحجة عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لايملك ضرا ولانفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودى يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم فى كيدى لم تصلوا الى ضرى لان الله يدفع عنى وقال الحسن كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فلا تنظرون) اى لاتمهلون واعجلوا فى كيدى انتم وشركاؤكم (ان وليى الله) يعنى ان الذى يتولى حفظى وينصرنى عليكم هو الله (الذى نزل الكتاب) يعنى القرآن والمعنى كما ايدنى بانزال القرآن على كذلك يتولى حفظى وينصرنى (وهو يتولى الصالحين) يعنى

ونبذ العقد اللاحق (وتخونوا اماناتكم) من المعارف والحقائق التى استودع الله فيكم بحسب الاستعداد الاول فى الازل باخفائها بصفات النفس (وانتم تعلمون) انكم حاملوها اوتعلمون ان الخيانة من اسوأ الرذائل واقبحها (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) اى حجاب لكم لاشتغالكم بها عن الله اوشرك لمحبتكم اياها كحب الله (وان الله عنده اجر عظيم) فاطلبوه

(يتولاهم)

يتولاهم بنصره وحفظه فلاتضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن ارادهم بسوء وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لايعدلون بالله شيأ ولايعصونه وفى هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله يحفظه فلايضره شئ * قوله عزوجل (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولاانفسهم ينصرون) هذه الآية قدتقدم تفسيرها والفائدة فى تكريرها ان الآية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوزله العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهى ليست كذلك فلاتكون معبودة * وقوله سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون) قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الهدى لايسمعوا دعاءكم لان آذانهم قدصمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يامحمد وهم لايبصرون يعنى ببصائر قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الآية ايضا واردة فى صفات الاصنام لانها جماد لاتضر ولاتنفع ولاتسمع ولاتبصر * قوله تعالى (خذ العفو) العفو هنا الفضل وما جاء بلاكلفة والمعنى اقبل الميسور من اخلاق الناس ولاتستقص عليهم فيستعصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعنى خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو التساهل فى كل شئ (خ) عن عبدالله بن الزبير قال مانزلت خذ العفو وامر بالعرف الا فى اخلاق الناس وفى رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من اخلاق الناس وكذا فى جامع الاصول وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من اخلاق الناس لو كما قال وقال ابن عباس يعنى خذ ما عفالك من اموالهم فما اتوك به من شئ فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال السدى خذ العفو اى الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ماعفا من اموالهم وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة (وامر بالعرف) يعنى وامر بكل ماامرك الله به وهو كل ماعرفته بالوحى من الله عز وجل وكل مايعرفه الشارع وقال عطاء وامر بقول لا اله الا الله (واعرض عن الجاهلين) امر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يؤمر بقتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم اول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ اولها اخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ماهذا قال لاادرى حتى اسأل ثم رجع فقال ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوى بغير سند وقال جعفر الصادق امر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولاسخابا فى الاسواق ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى لتمام مكارم

بالتجرد عنها ومراعاة حق الله فيها (ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بالاجتناب عن نقض العهد وفسخ العزيمة واخفاء الامانة ومحبة الاموال والاولاد حتى تفنوا فيه (يجعل لكم فرقانا) نورا يفرق به بين الحق والباطل من طور العقل الفرقانى ويكفر عنكم سيئاتكم) اى سيئات نفوسكم (ويغفر لكم) اى ذنوب ذواتكم (والله ذو الفضل العظيم) باعطاء

الاخلاق وتمام محاسن الافعال * قوله عز وجل (واماينزغنك من الشيطان نزغ) قال ابن زيد لمانزل قوله سبحانه وتعالى خذالعفو وامربالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فانزل الله عزوجل واماينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذبالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساسه ونخسه فى القلب وقيل النزع الانزعاج واكثر مايكون عندالغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة والمعنى واما يصيبنك يامحمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة او نخسة (فاستعذ بالله) يعنى فاستجر بالله والجأ اليه فى دفعه عنك (انه سميع) يعنى لدعائك (عليم) بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا فى حمل الانسان على مالاينبغى فى حالة الغضب والغيظ فامرالله بالالتجاء اليه والتعوذ به فى تلك الحالة فهى تجرى مجرى العلاج لذلك المرض

* (فصل واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بهذه الآية) * فقالوا لوكان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ فى قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل فى قلبك نزغ من الشيطان فاستعذبالله وانه لم يحصل ذلك له البتة فهو كقوله لئن اشركت وهو برئ من الشرك البتة والوجه الثانى على تقدير انه لوحصل وسوسة من الشيطان لكن الله عزوجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قولها وثبوتها فى قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد الاوقدوكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يارسول الله قال واياى الاان الله اعانني عليه فاسلم فلا يأمرنى الابخير قال الشيخ محيي الدين النووى يروى فأسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع قال معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من الاسلام يعنى صار مؤمنا لايأمرنى الابخير قال الخطابى الصحيح المختار الرفع ورجح القاضى عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلايأمرنى الابخير قال القاضى عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه وفى هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه اعلمنا انه معنا لنحترز عنه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه واماينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله * قوله سبحانه وتعالى (ان الذين اتقوا اذامسهم طائف) وقرئ طيف (من الشيطان)وهمالغتان ومعناه الشئ يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف مايطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف ماطاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهرى الطيف فى كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان تشبه لمة الخبال فذكر فى الآية الاولى النزغ وهو اخف من الطيف المذكور فى هذه الآية لان حالة الشيطان مع الانبياء اضعف من حاله مع غيرهم (تذكروا) يعنى عرفوا ماحصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب

الوجود الموهوب الحقانى والعقل الفرقانى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليسبتوك اويقتلوك اويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر نا علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم

فيذكر الله فيقوم ويدعه (فاذاهم مبصرون) يعنى انهم يبصرون مواقع الخطا بالتذكر والتفكر وقال السدى اذازلوا تابوا وقال مقاتل هوالرجل اذااصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع عن مخالفة الله عزوجل (واخوانهم) يعنى واخوان الشياطين من المشركين (يمدونهم) اى يمدهم الشياطين (فى الغى) قال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم اى يطيلون لهم فى الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم فى الضلالة (ثم لايقصرون) يعنى لايكفون عن الضلالة ولايتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا اصابه طايف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر فى ضلالته لايتذكر ولا يرعوى وقال ابن عباس الانس لايقصرون عما يعملون من السيآت ولا الشياطين يمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لايقصرون عن فعل الانس والشياطين جميعا ※ قوله عزوجل (واذالم تأتهم بآية) يعنى واذالم تأت المشركين يامحمد بآية ومعجزة باهرة (قالوا) يعنى قال المشركون (لولا اجتبيتها) يعنى افتعلتها وانشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان اهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تعنتا فاذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعنى هلا احدثتها وانشأتها من عندك (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين سالوا الآيات (انما اتبع مايوحى الى من ربى) يعنى القرآن الذى انزل على وليس لى ان اقترح الآيات والمعجزات (هذا بصائر من ربكم) يعنى هذا القرآن جمع وبرهان واصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشئ حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سببا لبصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب (وهدى) يعنى وهو هدى (ورحمة) يعنى وهو رحمة من الله (لقوم يؤمنون) وهنا لطيفة وهى الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون فى درجات العلوم فنهم من بلغ الغاية فى علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم اصحاب حق اليقين فالقرآن فى حق الاولين وهم السابقون بصائر وفى حق القسم الثانى وهم المستدلون هدى وفى حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة ※ قوله تعالى (واذاقرئ القرآن فاستمعواله وانصتوا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذاقرئ عليكم ايها المؤمنون القرآن فاستمعواله يعنى اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا يعنى عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلماء فى الحال التى امر الله عزوجل بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذاقرأ لان قوله فاستمعواله وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء فى ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر ان تجرى هذه الآيات على العموم ففى اى وقت واى موضع قرئ القرآن يجب على كل احد الاستماع له والسكوت والقول الثانى انها نزلت فى تحريم الكلام فى الصلاة روى عن ابى هريرة انهم كانوا يتكلمون فى الصلاة بحوائجهم فامروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن

وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) لان العذاب صورة الغضب واثره فلا يكون الامن غضب النبي اومن غضب الله المسبب من ذنوب الامة والنبي عليه السلام كان صورة الرحمة لقوله تعالى وماارسلناك الارحمة للعالمين ولهذا اذكسروا رباعيته قال اللهم اهدقومى فانهم لايعلمون ولم يغضب كاغضب نوح عليه السلام وقال رب لاتذر على

وقال عبدالله كنا يسلم بعضنا على بعض فى الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن واذاقرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت فى ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن ابى هريرة قال نزلت هذه الآية فى رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت فى السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت فى اثنتين عند الرجل يقرا القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ماروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه فى الصحيحين واختلف العلماء فى القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة او اسر روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعى واليه ذهب الشافعى وذهب قوم الى انه يقرا فيما اسر الامام فيه القراءة ولا يقرا فيما جهر الامام فيه روى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهرى ومالك وابن المبارك واحمد واسحق وذهب قوم الى انه لايقرا سواء اسر الامام اوجهر روى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الراى حجة من لايرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرا فى السرية دون الجهرية قال ان الآية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعا بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراءة خلف الامام فى صلاة السرية والجهرية قال الآية واردة فى غير الفاتحة لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا قرا الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا ينازعه فى القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ماروى عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القرءة فلما انصرف قال اراكم تقرؤن وراء امامكم قال قلنا يارسول الله اى والله قال لاتفعلوا الا بام القرآن فانه لاصلاة لمن لم يقرا بها اخرجه الترمذى بطوله واخرجاه فى الصحيحين اقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابى هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرابها فى نفسك وذكر الحديث ❊ وقوله سبحانه وتعالى (لعلكم ترحمون) يعنى لكى يرحمكم ربكم باتباعكم ما امركم به من اوامره ونواهيه ❊ قوله عزوجل (واذكر ربك فى نفسك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعنى بالذكر القرآن فى الصلاة يريد اقرا سرا فى نفسك والفائدة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذاوقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص والبعد عن الراد

الارض من الكافرين ديارا فوجوده فيهم مانع من نزول العذاب وكذا وجود الاستغفار فان السبب الاولى للعذاب لما كان وجود الذنب والاستغفار مانع من تراكم الذنب وثباته بل يوجب زواله فلا يتسبب لغضب الله فادام الاستغفار فيهم فهم لايعذبون (ومالهم الايعذبهم الله) اى ليس عدم نزول

(وقيل)

وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور عز وجل (تضرعا) يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان لغيره (وخيفة ودون الجهر من القول) يعني وخوفا والمعنى تضرع الي وخف عذابي وقال مجاهد وابن جريج امر ان يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي ان قوله سبحانه وتعالى واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعرب بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي ايمانه والمستحب ان يكون الخوف اغلب على العبد في حال صحة وقوته فاذا قارب الموت ودنا آخر اجله فيستحب ان يغلب رجاؤه على خوفه عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله يارسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله مايرجو منه وآمنه مما يخاف اخرجه الترمذي ❊ وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع غدوة (والآصال) جمع اصل وهي مابين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب له ان يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول اعماله ذكر الله عز وجل واما وقت الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو اخو الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر لانه حالة تشبه الموت ولعله لايقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولاتكن من الغافلين) يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان اعمال العبد تصعد اول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله عز وجل من صلاة او ذكر ❊ قوله عز وجل (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة المقربين لما امر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف اخبر ان الملائكة الذين عنده مع علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم (لايستكبرون عن عبادته) وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريائه عز وجل (ويسبحونه) يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا (وله يسجدون) لالغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله تعالى لايستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف افردهما بالذكر قلت اخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لايستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم انهم يسجدون ولما كانت الاعمال تقسم الى قسمين اعمال القلوب واعمال الجوارح واعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه

العذاب لعدم استحقاقهم لذلك بحسب انفسهم بل انهم مستحقون بذواتهم لصدورهم وصدهم المستعدين عن مقام القلب وعدم بقاء الخيرية فيهم ولكن بمنعه وجودك ووجود المؤمنين المستغفرين معك فيهم واعلم ان الوجود الامكاني يتبع الخير الغالب لان الوجود الواجبي هو الخير المحض فارجح خيره على شره فهو موجود بوجوده بالمناسبة الخيرية واذا غلب الشر لم تبق المناسبة فلزم استئصاله واعدامه فهم ماداموا على الصورة الاجتماعية كان الخير فيهم غالبا فلم يستحقوا الدمار

بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عباداتهم (ق) عن عبدالله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرا سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى مايجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاقرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويلتا امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لاتسجد لله سجدة الارفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

* (تفسير سورة الانفال) *

مدنية كلها الاسبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

❋ قوله سبحانه وتعالى (يسئلونك عن الانفال) (ق) عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ماجعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لاتذهبوا به دوننا ولاتستأثروا به علينا فانا كنا ردا لكم ولو انكشفتم انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية قال اهل التفسير قام ابو اليسر بن عمر والانصاري اخو بني سلمة فقال يارسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وكذا وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله مامنعنا ان نطلب ماطلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان تعرى مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يارسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لايبقى لاصحابك كبير شئ فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هولنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن مااصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا دونه فما انتم باحق منا فنزلت هذه الآية وروى مكحول عن ابى امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسول الله صلى الله

بالعذاب واما اذا تفرقوا ابقى شرهم الا خالصا فوجب تدميرهم كما وقع في وقعة بدر ومن هذا يظهر تحقيق المعنى الثاني في قوله واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لغلبة الشر على المجموع حينئذ ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام كان في الارض امانان فرفع احدهما وبقي الآخر فاما الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الذي بقي فالاستغفار وقرأ هذه الآية (وهم يصدون

عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابى وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يارسول الله ان الله قد شفى صدرى من المشركين او نحو هذا هب لى هذا السيف فقال هذا ليس لى ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا من لا يبلى بلائى فجاءنى الرسول فقال انك سألتنى وليس لى وانه قد صار لى وهو لك فنزلت يسئلونك عن الانفال الآية اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح واخرجه مسلم فى جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة واذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنى هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث اخذته فانطلقت به حتى اردت ان القيه فى القبض لامتنى نفسى فرجعت اليه فقلت اعطنيه قال فشد على صوته رده من حيث اخذته فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ وما اصاب سرايا المسلمين من سبى اتوه به فمن حبس منه ابرة اوسلكا فهو غلول واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الانفال استفتاء يعنى يسألك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لاسؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال اى من الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة اى يسئلونك الانفال والانفال هى الغنائم فى قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصله الزيادة سميت الغنائم انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على انها نزلت فى غنائم بدر وقال عطاء هى ماشذ عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او امرأة او متاع فهو للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه مايشاء (قل الانفال لله والرسول) اى قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شاآ واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الآية منسوخة فنسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس فى قوله واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا فى شرائع انبيائهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت آية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهى احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها فى قوله واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول الاية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا اثنى عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه فى الصحيحين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللامام ان ينفل من شاء من الجيش ماشاء قبل التخميس (فاتقوا الله) يعنى اتقوا بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة فى الغنائم (واصلحوا ذات بينكم) اى اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وبتسليم امر الغنائم الى الله ورسوله (واطيعوا الله ورسوله) فيما يامرانكم به وينهيانكم عنه (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده ❊ قوله سبحانه

عن المسجد الحرام) صورة لصدودهم واعراضهم عن معناه الذى هو القلب بالركون الى النفس وصفاتها وصدهم المستعدين عنه باغرائهم على الامور النفسانية واللذات الطبيعية (وما كانوا اولياءه) لبعدهم عن الصفة وغلبة ظلمة النفس واستيلاء صفاتها عليهم واحتجابهم عنه بالكفر المستفاد من الدين (ان اولياؤه الا المتقون) الذين اتقوا صفات النفس وافعالها (ولكن اكثرهم لايعلمون) ان البيت صورة القلب الذى هو

وتعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) لما امر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله فى الآية المتقدمة ثم قال بعد ذلك ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين فى هذه الآية صفات المؤمنين واحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون فى ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوّفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال اهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوف واما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته فى ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال فى هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال فى آية اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا فى آية واحدة وهى قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل فى قلب المؤمنين * ثم قال تعالى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شئ من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان زيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاوّل وهو الذى عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها زوال الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا فى شيئين كان اكبر ممن يصدقه فى شئ واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة فى ايمانهم واختلف الناس فى ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبى قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهى التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح فى ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثانى انه ذكر فى هذه الآية اوصافا متعددة من احوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك اولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة فى مسمى الايمان وروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان الايمان فيه اعلى وادنى واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة

بيت الله بالحقيقة فلا يستحق ولايته الا اهل التقوى من الموحدين دون المشركين (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون قل

والنقص قال عمرو بن حبيب وكان له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان للايمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ معناه يفوضون جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المؤمن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهى درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد فى شئ من اموره الا على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعنى الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى ﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يعنى يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها واركانها فى اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة فى الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق فى انواع البر والقربات ❊ ثم قال تعالى ﴿ اولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ هم المؤمنون حقا ﴾ يعنى يقينا لا شك فى ايمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال قتادة استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مؤمنا حقا لان الله سبحانه وتعالى انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسئلة اصولية وهى ان العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مؤمن واختلفوا فى انه هل يجوز له ان يقول انا مؤمن حقا ام لا فقال اصحاب الامام ابى حنيفة الاولى ان يقول انا مؤمن حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين ❊ الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول فى القائم والقاعد فكذلك هذه المسئلة يجب فيها ان يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله ❊ الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال اولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا وفى قوله انا مؤمن ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الاولى ان يقول الرجل انا مؤمن ان شاء الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه ❊ الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك فيه والشك فى احد اجزاء الماهية يوجب الشك فى الماهية فيجب ان يقول انا مؤمن ان شاء الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند اصحاب ابى حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الايمان فلم يلزم حصول الشك ❊ الوجه الثانى ان قولنا انا مؤمن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مؤمن فقد مدح نفسه باعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار روى ان اباحنيفة قال لقتادة لم استثنيت فى ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام فى قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به فى قوله اولم تؤمن قال بلى فانقطع قتادة قال

للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه) شديد العقاب لا يقبل التأويل بحسب ما ورد فيه من الوقعة وان شئت تطبيقه على تفاصيل وجودك امكن ان تقول واعلموا ايها القوى الروحانية انما غنمتم من العلوم النافعة والشرائع المبنى

بعضهم كان قتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي فطلب مزيد الطمأنينة ❊ الوجه الثالث ان الله سبحانه وتعالى ذكر في اول الآية انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله سبحانه وتعالى وايتاء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال اولئك هم المؤمنون حقا يعني ان من اتى بجميع هذه الاوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مؤمن ان شاء الله وقال ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال امؤمن انت فقال الحسن ان كنت سألتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مؤمن وان كنت سألتني عن قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا ادري انا منهم ام لا وقال علقمة كنا في سفر فلقينا قوم فقلنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبدالله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيأ قال هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم ان المؤمنين هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر ❊ الوجه الرابع ان قولنا انا مؤمن ان شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور ❊ الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقول انا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال اصحاب ابي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال اولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة ولا يقدر احد ان يأتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول ايضا ان من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله اعلم بمراده واسرار كتابه ❊ وقوله تعالى (لهم درجات عند ربهم) يعني لهم مراتب بعضها اعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن انس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم (ومغفرة) يعني ولهم مغفرة لذنوبهم (ورزق كريم) يعني ما اعد لهم في الجنة ووصفه بكونه كريما لان منافعه حاصلة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم ❊ قوله سبحانه وتعالى (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق)

عليها الاسلام في قوله بني الاسلام على خمس فان لله خمسه وهو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله باعتبار التوحيد الجمعي ولرسول القلب (وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين) الذي هو السر ويتامى العاقلة النظرية والعملية والقوة الفكرية ومساكين القوى النفسانية (وابن السبيل) الذي هو النفس السالكة الداخلة في الغربة الجائبة منازل السلوك النائية عن مقرها الاصلي باعتبار التوحيد

اختلفوا فى الجالب لهذه الكاف ماهو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك فى الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك فى الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعدالله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره كما اخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على اى امض على الذى اخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذى اخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك فى الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعنى بالوحى لطلب المشركين (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) يعنى للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وسلاحهم (يجادلونك فى الحق) وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم (بعد ما تبين) يعنى تبين لهم انك لاتصنع شيأ الا بأمر ربك وتبين لهم صدقك فى الوعد (كانما يساقون الى الموت) يعنى لشدة كراهتهم القتال (وهم ينظرون) يعنى الى الموت شبه حالهم فى فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم انه آتيه * قوله عزوجل (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) يعنى الفرقتين فرقة ابى سفيان مع العير وفرقة ابى جهل مع النفير (انها لكم) يعنى احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق والسدى اقبل ابو سفيان بن حرب من الشأم فى عير قريش فى اربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى ومعهم تجارة كبيرة وهى اللطيمة يريد باللطيمة الجمال التى تحمل العطر والبز غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وامره ان يأتى قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا فى اصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبدالمطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة ايام افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت يا اخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا افزعتنى وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينماهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ بمثلها باعلى صوته الا انفروا يا آل

التفصيلى فى العالم النبوى والاخماس الاربعة الباقية تقسم على الجوارح والاركان والقوى الطبيعية (ان كنتم آمنتم) باسمه الايمان الحقيقى (بالله) جمعا (وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان) وقت التفرقة بعد الجمع تفصيلا (يوم التقى الجمعان) من فريقى القوى الروحانية والنفسانية عند الرجوع الى مشاهدة التفصيل فى الجمع (والله على كل شئ قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا) من مدينة العلم ومحل العقل الفرقانى (وهم بالعدوة القصوى) اى الجهة السفلية البعيدة من الحق ومحل العلم وركب

غدر الى مصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس ابى قبيس فصرخ مثلها ثم اخذ صخرة وأرسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى من بيوت مكة ولا دار من دورها الا ودخلها منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فظيعة فاكتمها ولا تذكرها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فعمدت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام فى نفر من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فغدوت اطوف فلما رآنى ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافى اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لى ابو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرؤيا التى رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بنى عبد المطلب اما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم لقد زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ماقالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا بأنكم اكذب اهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه من كبير شئ الا انى جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة رأت شيأ ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا اتتنى فقلن اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم حتى تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان منى اليه من شئ وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفيكنه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب ارى انى قد فاتنى شئ احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه اتعرضه ليعود لبعض ماقال فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت فى نفسى ماله لعنه الله اكل هذا فرقا منى ان اشاتمه قال فاذا هو قد سمع مالم اسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه اموالكم مع ابى سفيان وقد عرض لها محمد فى اصحابه ولا ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بنى بكر فقال انا جار لكم من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذافرد فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء اخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين انها لكم اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله

القوى الطبيعية الممتازة للقوى النفسانية (والركب اسفل منكم) اى من الفريقين (ولو تواعدتم) اللقاء للمحاربة من طريق العقل والحكمة دون طريق الرياضة والوحدة (لاختلفتم فى الميعاد) لكون ذلك صعبا حينئذ موجبا للفشل والجبن (ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا) مقدرا محققا عنده واجبا وقوعه فعل ذلك (ليهلك من هلك عن بينة) هى كونها ملازمة للبدن الواجب الفناء منطبعة فيه (ويحيى من حى

عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا فنمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا من دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا احد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وعدوك انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم (م) عن انس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما اخطؤا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يارسول الله كيف تكلم اجساد الارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا على شيأ فذلك قوله سبحانه وتعالى وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم يعني طائفة ابي سفيان مع العير وطائفة ابي جهل مع النفير (وتودون) اي وتريدون وتتمنون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) والمعنى وتتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح (ويريد الله ان يحق الحق) اي يظهر الحق ويعليه (بكلماته) يعني بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه (ويقطع دابر الكافرين) اي ويستأصلهم حتى لا يبقى منهم احد (ليحق الحق) يعني ليثبت الاسلام (ويبطل الباطل) يعني وينفي الكفر (ولو كره المجرمون) يعني المشركون وفي الآية سؤالان * الاول ان قوله ويريد الله ان يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فما معناه والجواب انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واظهار منار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان

عن بينة) هي كونها مجردة عنه متصلة بعالم القدس الذي هو معدن الحياة الحقيقية الدائم البقاء (وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا) ايها القلب في منام تعطل الحواس الظاهرة وهدو القوة البدنية قليل القدر ضعاف الحال (ولو اراكهم كثيرا) في حال غلبة صفات النفس (لفشلتم ولتنازعتم في الامر) في امر كسرها وقهرها لانجذاب كل منكم الى جهة (ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا

سبباً لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك * السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقاً والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلاً وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته وقمع رؤساء الباطل وقهرهم * قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم) اي واذكر يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ماوعدتني اللهم آتني ماوعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لاتعبد في الارض فمازال يهتف بربه مادايديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه واتاه ابو بكر فأخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ماوعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم (فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فأمده الله بالملائكة قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم انفه وشق وجهه كضربة السيف فاخضر ذلك اجمع وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعني فاجاب دعاءكم اني ممدكم اصله باني ممدكم اي مرسل اليكم مددا وردا لكم بألف من الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى عمائم بيض قد ارخوها بين اكتافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله ينجز لك ماوعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال ياابابكر اتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ماذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فحطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله الا بشرى) يعني وما جعل الله الارداف بالملائكة الا بشرى (ولتطمئن به قلوبكم) وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح

والى الله ترجع الامور يا أيها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) عن الفشل والتنازع بتأييده وعصمته (ولا تكونوا) ككفرة القوى النفسانية (كالذين خرجوا من ديارهم) ديار مقارهم ومحالهم وحدودهم (بطرا ورئاء الناس) واظهار الجلادة على الحواس من ديارهم

بطر اورئاالناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان) شيطان (اعمالهم) في التغلب على مملكة القلب وقواه (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) واوهمهم تحقيق امنيتهم بان بصرهم ان لا غالب عليهم من ناس الحواس فكذا سائر القوى (واني جار لكم) امدكم واقويكم وامنعكم من ناس القوى الروحانية (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه) لشعوره بحال القوى الروحانية وغلبتها المناسبة اياها بادراك المعاني (وقال اني بريء منكم)

هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام ❊ وقوله تعالى (وما النصر الا من عند الله) يعني ان الله هو ينصركم ايها المؤمنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة بأسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة (ان الله عزيز) يعني انه تعالى قوي منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه (حكيم) يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده ❊ قوله سبحانه وتعالى (اذ يغشاكم النعاس امنة منه) اي واذكروا اذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف امنة منه اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون النعاس امنة في القتال ان الخائف على نفسه لا يأخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان امنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة ❊ قوله سبحانه وتعالى (وينزل عليكم من السماء ماء) يعني المطر (ليطهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا على عدوكم فأنزل الله سبحانه وتعالى مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية واطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم (وليربط على قلوبكم) يعني بالصبر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به الاقدام) يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى يثبت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء ❊ وقوله سبحانه وتعالى (اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم) يعني ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى الملائكة الذين امدبهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة (فثبتوا الذين آمنوا) اي قووا قلوبهم

واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كان للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر فكذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى مايلقى الشيطان وسوسة ومايلقى الملائكة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومؤنتهم لهم اى ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين (فاضربوا فوق الاعناق) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عماقبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بماقبله قال ابن الانبارى ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بنى آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعنى الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على (واضربوا منهم كل بنان) يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي الطراف اصابع اليدين سميت بذلك لان بها صلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمله بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى امرهم بضرب اعلى الجسد وهو الراس وهو اشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن ابى داود المازنى وكان شهد بدرا قال انى لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيرى وعن سهل بن حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا اعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله انى لجالس انحت القداح وعندى ام الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهرى فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب الى يا ابن اخى فعندك الخبر اليقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال ابو لهب يا ابن اخى اخبرنى كيف كانت احوال الناس قال لاشئ والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لايتلقاهم شئ قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدى وقلت تلك والله الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة فثاورته فاحتملني

لانى لست من جنسكم انى ارى) من المعانى ووصول المدد اليهم من سماء الروح وملكوت عالم القدس ((مالاترون انى اخاف الله) لشعورى بعض انواره وقهره (والله شديد العقاب) وفيه اشارة الى قول سيد المرسلين لكل احد شيطان ولكن شيطانى اسلم على يدى وهذا هو الدستور والانموذج فى امثال ذلك ان ادم مريد تطبيق القصص على احواله لكنى قلما اعود الى مثله بعد هذا لقلة الفائدة الا في تصوير طريق السلوك

فضرب بي الارض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت اليه ام الفضل بعمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ماعاش الاسبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذى اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يارسول الله لقد اعانني عليه رجل مارايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعني الذى وقع من القتل والاسر يوم بدر (بانهم شاقوا الله ورسوله) يعني بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها المجانبة كانهم صاروا في شق وجانب من شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا اولياء الله وهم المؤمنون اوشاقوا دين الله ﴿ ثم قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) يعني ان الذى نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شئ قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﴿ ثم قال تعالى (ذلكم) اشارة الى القتل والاسر الذى نزل بهم (فذوقوه) يعني عاجلا في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذى اعده الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله (وان للكافرين عذاب النار) يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالعير ليس من دونها شئ قال فناداه العباس ومن وثاقه لايصلح لك لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ماوعدك قال صدقت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) يعني مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التداني في القتال واصل الزحف مشي مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطائفتين بعضهم الى بعض في القتال زحفا لانها تمشي كل طائفة الى صاحبتها مشيا رويدا وذلك قبل التداني للقتال وقال ثعلب الزحف المشي قليلا قليلا الى الشئ (فلاتولوهم الادبار) يعني فلاتولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولي ظهره ودبره (ومن يولهم يومئذ دبره) يعني ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال (الامتحرفا لقتال) يعني الامنقطعا الى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود اليه وهذا احد ابواب الحرب وخداعها ومكايدها ﴿ وقوله تعالى (اومتحيزا الى فئة) يعني اومنضما وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال (فقد باء بغضب من الله) يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الافي هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير)

* (فصل في حكم هذه الآية) * اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ماكان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانها اول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلايكون فراره كبيرة

وتخييل المبتدئ ماهو بصدده لتنشطه في الترقي والعروج والله الهادي (اذيقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولوترى اذيتوفى الذين كفروا الملائكة) مر توفي الملائكة وانه لايكون الالمن هو في مقام النفس فان كان من العصاة ومن غلب عليه صفات النفس من الغضب والحقد والشهوة والحرص وامثال ذلك من رذائل الاخلاق توفتهم ملائكة القهر والعذاب بمايناسب هيآت نفوسهم (يضربون

وهذاقول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابى حبيب اوجب الله النارلمن فريوم بدرفلما كان يوم احدقال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقدعفاالله عنهم ثم كان حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعدذلك على من يشاء وقال عبدالله بن عمر كنا فى جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يارسول الله نحن الفرارون قال لا بل انتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعنى جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والحيص الهرب وقال محمدبن سيرين لماقتل ابو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لوانحاز الى كنت له فئة انا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام فى حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل قوله ياايها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت فى غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء فى الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن ابى رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا فى هذه العدة وعلى هذا اكثر اهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو اكثر من المثلين جاز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر * قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الآخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعنى بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشرى الفاء فى قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم انتم ولكن الله قتلهم (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) قال اهل التفسير والمغازى لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبنى الحجاج وابويسار غلام لبنى العاص بن سعد فأخذوهما واتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ماعددهم قالا لاندرى قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم مابين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما من فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام والحرث بن عامر وطعمة ابن عدى والنضر بن الحرث وابوجهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل جاء الى الوادى فقال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعنى قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل فى عينه

وجوههم) لاحتجابهم من عالم الانوار واعراضهم عنها ولهيآت الكبر والعجب والنجوة فيها (وادبارهم) لميلهم وشدة انجذابهم الى البدن وعالم الطبيعة ولهيآت الشهوة والحرص والشره (وذوقوا عذاب الحريق) اى حريق الحرمان واستيلاء نيران التعب والطلب مع الفقد ان لاكتسابهم تلك الهيآت الموجبة لذلك وان كان من اهل الطاعة ومن غلبت عليه انوار صفات القلب من الرأفة والرحمة والسلامة والقناعة وامثال

وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكرلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل ومارميت اذرميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الاوقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية ومابلغت اذرميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذرميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) يعني ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد اجمع المفسرون على ان البلاء هنا بمعنى النعمة (ان الله سميع) يعني لدعائكم (عليم) يعني باحوالكم * وقوله تعالى (ذلكم) يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا (وان الله) يعني واعلموا ان الله مع ذلك (موهن) اي مضعف (كيد الكافرين) يعني مكرهم وكيدهم * قوله عزوجل (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم اينا كان افجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم قاطعا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم اينا كان خيرا عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان افجر واقطع لرحمه فأحنه اليوم فانزل الله عزوجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان تستحكموا الله على اقطع الفريقين للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه ياابن اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده لئن رأيته لايفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الاتريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن عفراء (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ماصنع ابوجهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال انت ابوجهل وفي كتاب البخاري انت اباجهل هكذا قاله انس فقال وهل فوق رجل قتلتموه اوقال قتله قومه وفي رواية فقال ابوجهل فلو غيرا كار قتلني عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا ابوجهل صريع قد ضربت رجله فقلت ياعدو الله

ذلك من فضائل القوتين السبعية والبهيمية دون فضيلة القوة النطقية فانه حينئذ يكون صاحب قلب ليس في مقام النفس توفتهم ملائكة الرحمة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لمناسبة هيآت نفوسهم تلك الروحانيات من العالم (ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد. كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة

يااباجهل قد اخزى الله الاخر قال ولااهابه عند ذلك فقال اعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه ابوداود واخرجه البخارى مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله مانعرف ماجاءبه محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عزوجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدى والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ماسألوه فكان النصر لاهدى الفئتين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثنى عبدالله بن ابى بكر قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر امر بابى جهل بن هشام ان يلتمس فى القتلى وقال اللهم لايعجزك فلما سمعتها جعلته من شأنى فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة واجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى جعلت عليها قدمى ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابى جهل وهو عقير معاذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فريه عبدالله بن مسعود وقال عبدالله وجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه فقلت هل اخزاك الله ياعدو الله قال وبما ذا اخزانى اعمد من رجل قتلتموه اخبرنى لمن الدولة قلت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لى ابوجهل لقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صعبا ثم احتززت رأسه ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله ابى جهل فقال آلله الذى لااله غيره فقلت نعم والذى لااله غيره ثم القيته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال ابى بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل للمسلمين ان تستفتحوا اى تستنصروا فقد جاءكم الفتح اى النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الاتستنصر لنا الاتدعو لنا فقال قدكان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه مايصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الاالله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوى بهذا الحديث على مافسربه ابى بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة فى الحديث كانت بمكة والآية مدنية فلاتعلق للحديث بتفسير الآية والله اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز ماوعده من احدى الطائفتين والح فى الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيباله ان تستفتحوا يعنى تطلبوا النصر وانجاز ماوعدكم الله به فقد جاءكم الفتح يعنى فقد حصل لكم ماطلبتم فاشكروا الله على ماانعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ماوعدكم به وهذا القول اولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لايليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء اما اذا فسرنا بالقضاء والحكم

انعمها على قوم حتى يغيروا مابانفسهم وان الله سميع عليم) اى كل مايصل الى الانسان هو الذى يقتضيه استعداده ويسأله بدعاء الحال وسؤال الاستحقاق فاذا انعم على احد النعمة الظاهرة اوالباطنة لسلامة الاستعداد وبقاء الخيرية فيه لم يغيرها حتى افسد استعداده وغير قبوله للصلاح بالاحتجاب وانقلاب الخير الذى فيه بالقوة الى الشر لحصول الرين وارتكام الظلمة فيه بحيث لم يبق له مناسبة للخير ولاامكان لصدوره منه

لم يمتنع ان يراد به الكفار اماقوله سبحانه وتعالى (وان تنتهوا فهو خير لكم) فهو خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا امافي الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيحصل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر (وان تعودوا نعد) يعني وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم (ولن تغني عنكم فئتكم) يعني جماعتكم (شيأ) يعني لاتغني عنكم شيأ (ولو كثرت) يعني جماعتكم (وان الله مع المؤمنين) يعني بالنصر لهم عليكم يامعشر الكفار ❊ قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس (ولاتولوا عنه) يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لايصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله تعالى والمعنى لاتعرضوا عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد (وانتم تسمعون) يعني القرآن يتلى عليكم (ولا تكونوا كالذين قالوا) بألسنتهم (سمعنا وهم لايسمعون) يعني وهم لايتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله (الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلايقولونه (الذين لايعقلون) يعني يفهمون عن الله امره ونهيه ولايقبلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم احد وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الارجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كانوا ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلاجرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم (ولو اسمعهم) يعني بعد ان علم انه لاخير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتولوا وهم معرضون) يعني لتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله سبحانه وتعالى ولو احييناهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون ❊ قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) يعني اجيبوهما بالطاعة والانقياد لامرهما (اذا دعاكم) يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة الله تعالى وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد واستدل اكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لابد من الاجابة في كل مادعاه الله ورسوله اليه (خ) عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يارسول الله اني كنت اصلي فقال صلى الله عليه وسلم الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي ولم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله

فيغيرها الى النقمة عدلا منه وجود اوطلبا من ذلك الاستعداد اياها بجاذبة الجنسية والمناسبة لاظلما وجورا (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لايتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين ولايحسبن

عليه وسلم فقال السلام عليك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام مامنعك ياابى ان تجيبنى اذ دعوتك فقال يارسول الله انى كنت فى الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم افلم تجد فيما اوحى الله الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبى صلى الله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد آخر وقيل لو دعاه احد لامر مهم لا يحتمل التأخير فله ان يقطع صلاته ❊ وقوله تعالى (لما يحييكم) يعنى اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة فى الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله اعزه به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصى الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن او يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات ودواعى وتلك الاعتقادات والدواعى لابد ان تتقدمها الارادة وتلك الارادة لابد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف فى القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقلنا يارسول الله قد آمنابك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء اخرجه الترمذى وهذا الحديث من احاديث الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل فى معنى الآية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدرى ما يصنع ولا يعقل شيأ وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا فى غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراءة ❊ وقوله تعالى (وانه اليه تحشرون) يعنى فى الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصى ❊ قوله سبحانه وتعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) لما اخبر الله عز وجل انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء فى الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية فى على وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا ومانرى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعنى ما كان منهم فى يوم الجمل وقال السدى ومجاهد والضحاك وقتادة هذا فى قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله

الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم) لاتفاقهما فى الوجهة

بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوى بسنده عن عدى بن عدى الكندى قال حدثنى مولى لنا انه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذى ذكره ابن الاثير فى جامع الاصول عن عدى بن عميرة الكندى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها اخرجه ابوداود عن جرير بن عبدالله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الااصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابوداود وقال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى خير من الساعى من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفى ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من نوع المصلحة والله اعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا ان الله شديد العقاب) فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التى حذره الله منها وقوله عز وجل (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض) لما امر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يامعشر المؤمنين المهاجرين اذ انتم قليل يعنى فى العدد مستضعفون فى الارض يعنى فى ارض مكة فى ابتداء الاسلام (تخافون ان يتخطفكم الناس) يعنى كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعنى فارس والروم (فآواكم) يعنى الى المدينة (وايدكم بنصره) يعنى وقواكم بالانصار وقال الكلبى وقواكم يوم بدر بالملائكة (ورزقكم من الطيبات) يعنى الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) يعنى تشكرون الله على نعمه عليكم * قوله سبحانه وتعالى (ياايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) قال الزهرى والكلبى نزلت هذه الآية فى ابى لبابة هرون ابن عبدالمنذر الانصارى من بنى عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ماصالح عليه اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشأم فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الاان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابالبابة بن عبدالمنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابالبابة ماترى اننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابولبابة بيده الى حلقه يعنى انه الذبح فلا تفعلوا قال ابولبابة والله مازالت قدماى عن مكانهما حتى عرفت انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخلاصها عن قيود صفات النفس التى تستلزم التخالف والتعاندلر كونها الى عالم التضاد واختلافها بالطباع فان القلب مادام واقفا مع النفس ومراداتها واستولت عليه بصفاتها جذبته الى الجهة السفلية وصيرت مطالبه جزئية مما يناسب مصالحها فيطلب ما يمنعه منه الآخر وتقع العداوة والبغضاء وتستولى القوة الغضبية الطالبة للجاه والكرامة والقهر والغلبة والرياسة والسلطنة ويقع الاستكبار والاباء والانفة والاستنكاف ويؤدى الى التقاطع والتهاجر والتحارب والتشاجر وكلما بعد عن الجهة السفلية

خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له اما اذا فعل مافعل فاني لااطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام لايذوق طعاما ولاشرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يااباليابة قدتيب عليك فقال والله لااحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي حلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به فنزل فيه ياايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبدالله ان اباسفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اباسفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان اباسفيان في موضع كذا كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عزوجل لاتخونوا الله والرسول (وتخونوا اماناتكم) ومعنى الآية لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا اماناتكم (وانتم تعلمون) يعني انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ان مافعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة واصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيأ فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الآية لاتخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لاتخونوا الله بترك فرائضه ولاتخونوا الرسول بترك سنته ولاتخونوا اماناتكم قال ابن عباس هي مايخفى عن اعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فأدوا الى الله ماائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولاتخن من خانك اخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث حسن غريب ❊ وقوله عزوجل (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) قيل هذا نازل في ابي لبابة وذلك لان امواله واولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ماقال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة هو حب المال والولد نبه الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن وروى البغوي بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله واخرج الترمذي عن عمر بن عبدالعزيز قال زعمت المراة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن احد ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لانعرف لعمر بن عبدالعزيز سماعا من خولة قوله لمن ريحان الله اي لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق ❊ وقوله تعالى (وان الله عنده اجر عظيم) يعني لمن ادى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد ❊ وقوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا ان تتقوا الله) يعني بطاعته وترك معاصيه (يجعل لكم فرقانا) يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة

بالتوجه الى الجهة العلوية والتنور بأنوار الوحدة الصفاتية اوالذاتية ارتفع عن مقام النفس واتصل بالروح وصارت مطالبه كلية لاتتمانع ولاتتنافس فيها لامكان حصولها لهذا بدون حرمان الآخر منه ومال الى من يجانسه في الصفاء بالمحبة الذاتية لشدة المناسبة وكلما كان اقرب الى الوحدة كانت قوة المحبة فيه اقوى لشدة قربه لمن تدين بدينه كالخطوط الآتية من محيط

قال مجاهد يجعل لكم مخرجا فى الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا فى الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة اى يفرق بينكم وبين ماتخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه (ويكفر عنكم سيآتكم) يعنى ويمح عنكم ماسلف من ذنوبكم (ويغفر لكم) يعنى ويستر عليكم بان لايفضحكم فى الدنيا ولا فى الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) لانه هو الذى يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفى به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيآت وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب الا من عنده لا من عند غيره ٭قوله سبحانه وتعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا) لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش فى دار الندوة ليتشاورو فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدى والنضر بن الحرث وابو البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف فاعترضهم ابليس فى صورة شيخ فلما رأوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو البخترى اما انا فارى ان تأخذوا محمدا وتحبسوه فى بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدى وقال بئس الرأى رأيتم لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذى اغلقتم دونه الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من ايديكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقام هشام بن عمرو من بنى عامر بن لؤى فقال اما انا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ماصنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ماهذا لكم برأى تعمدون الى رجل قد افسد احلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك ليذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم برأى ماارى غيره انى ارى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فتيا ثم نعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها ولااظن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا ارادوا ذلك قالوا العقل فتؤدى قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا والقول ماقال لاارى غيره فتفرقوا على قول ابى جهل وهم مجتمعون عليه فاتى جبريل صلى الله عليه وسلم الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان لايبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج

الدائرة الى مركزها فبحسب قوة الايمان شدة الالفة بينهم (لو انفقت مافى الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم) لان مافى الجهة السفلية تزيد فى عداوتهم ومواثبهم لاشتداد حرصهم وتكاليفهم به (ولكن الله الف بينهم) بنور الوحدة التى تورث المحبة الروحانية والالفة القلبية فان المحبة ظل الوحدة والالفة ظل المحبة والعدالة ظل الالفة (انه عزيز) قوى على دفع الكفرة وقهرهم باجتماع المؤمنين واتفاقهم (حكيم) يفعل ذلك بحكمه لايقاع الالفة والمحبة بين هؤلاء والتفرقة واختلاف الكلمة

الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب ان يبيت فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابوبكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وامانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبى صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فرأوه عليا فقالوا له اين صاحبك قال لا ادرى فاقتفوا اثره وارسلوا فى طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه اثر فمكث فى الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر احتيال فى خفية (ليثبتوك) اى ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيأ واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة (او يقتلوك) يعنى كما اشار اليهم ابو جهل (او يخرجوك) يعنى من مكة (ويمكرون) يعنى ويحتالون ويدبرون فى امرك (ويمكر الله) يعنى ويجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكرا لانه فى مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير هو ومن الله تعالى التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا فى ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره (والله خير الماكرين) فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير فى مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى فى مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا ❊ قوله عز وجل (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) نزلت فى النضر بن الحرث بن علقمة من بنى عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى ارض فارس والحيرة ويسمع اخبارهم عن رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبى صلى الله عليه وسلم قد اوحى اليه وهو يقرأ ويصلى فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعنى مثل هذا الذى جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذى لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدى وابان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم فى قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (ان هذا الا اساطير الاولين) يعنى اخبار الماضين ❊ قوله سبحانه وتعالى (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) نزلت فى النضر بن الحرث ايضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعنى الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعنى

بين أولئك (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض

القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى ان كان الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعنى كما امطرتها على قوم لوط اوائتنا بعذاب اليم يعنى مثل ماعذبت به الامم الماضية وفى النضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل فى النضر بن الحرث بضع عشرة آية فحاق به ماسأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدى وعقبة بن ابى معيط والنضر بن الحرث وروى انس بن مالك ان الذى قال ذلك ابوجهل (ق) عن انس قال قال ابوجهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية فلما اخرجوه نزلت ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ❊ قوله عز وجل ﴿ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ﴾ اختلفوا فى معنى هذه الآية نقل محمد بن اسحق هذه الاية متصلة بما قبلها وهى حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لايعذبنا ونحن نستغفر ولايعذب امة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ثم قال تعالى ردا عليهم ومالهم الا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا فى معناه فقال الضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وانت يامحمد مقيم فيهم وبين اظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقى بقية من المسلمين يستغفرون فأنزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج اولئك المسلمون من بين اظهر الكافرين اذن الله فى فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث امر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم ومالهم الا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فلما امسوا ندموا على ماقالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اى لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو اقروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لااعاقبك وانت تطيعنى اى اطعنى حتى لااعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون اى يسلمون يعنى لو اسلموا لماعذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية انه يؤمن ويستغفر مثل ابى سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اى وفى اصلابهم من يستغفر وقيل فى معنى الآية ان الكفار لمابالغوا وقالوا ان كان محمد محقا فى قوله فأمطر علينا حجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمدا محق فى قوله وانه مع ذلك لايمطر

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ياأيها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا وجاهدوا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان

على اعدائه ومنكرى نبوته حجارة من السماء مادام بين اظهرهم وذلك تعظيماله صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال فى غير هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثانى وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بأيديكم هو عذاب القتل والسبى والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال اهل المعانى دلت هذه الآية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة اخرجه الترمذى * وقوله سبحانه وتعالى (ومالهم الا يعذبهم الله) يعنى اى شئ يمنعهم من ان يعذبهم يعنى بعد خروجك من بين اظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين فى الآية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين اظهرهم وبين فى هذه الآية انه معذبهم ثم اختلفوا فى هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الآخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال واراد بالعذاب الثانى العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة قال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله ومالهم الا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين مالاجله يعذبهم فقال تعالى (وهم يصدون عن المسجد الحرام) يعنى وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبيه (وما كانوا اولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعنى ليسوا اولياء المسجد الحرام (ان اولياؤه الا المتقون) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن اكثرهم) يعنى المشركين (لا يعلمون) ذلك * قوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب فى ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء فى اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكاء اسم طير ابيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طائر يألف الريف سمى بذلك لكثرة مكائه يعنى صفيره والتصدية التصفيق وفى اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثانى قال ابو عبيدة اصله تصددة فأبدلت الياء من الدال قال الازهرى والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التى امروا بها المكاء والتصدية قال حسان ثابت *
صلاتهم التصدى والمكاء * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بنى عبد الدار يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف ويستهزؤن به ويدخلون اصابعهم فى افواههم ويصفرون فالمكاء جعل الاصابع فى الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت اباسلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخلت المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبى صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بنى عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان

استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير بالفحوى) تدل على ان الفقير القائم بالخدمة فى الخانقاه والبقعة ليس عليه خدمة المقيم بل المسافر لقوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ اى الذين آمنوا الايمان العلمى وهاجروا المألوفات من الاهل والولد والاموال والاسباب واوطان النفس بقوة العزيمة واختاروا السياحة فى الغربة وجاهدوا بقوة اليقين والتوكل باموالهم بتركها وانفاقها فى مراضى الله وانفسهم باتعابها بالرياضة ومحاربة الشيطان وتحمل ومشاء

نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اصح لان الله سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو ان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع * وقوله سبحانه وتعالى (فذوقوا العذاب) يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) يعني بسبب كفركم في الدنيا * قوله سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حرام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر واسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حرام وقال الحكم بن عتبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية اثنان واربعون مثقالا وقال ابن ابزى استأجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب آباؤهم وابناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منافقهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم على امثالهم من المشركين ليتقووا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسينفقونها) يعني اموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) يعني ما انفقوا من اموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان اموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون (والذين كفروا) يعني منهم لان فيهم من اسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم (الى جهنم يحشرون) يعني يساقون الى النار (ليميز الله الخبيث من الطيب) يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز اهل السعادة من اهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعني بعضه فوق بعض (فيركمه جميعا) يعني فيجمعه جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم (فيجعله في جهنم) يعني الخبيث (اولئك) اشارة الى المنفقين

السفر في سبيل الله وبذلها في الدين بنية السلوك في الله (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا) هم بالخدمة في المنزل ونصرهم بتهيئة ما احتاجوا اليه من الاهبة (اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم براءة من الله ورسوله) لما لم يتمكن الرسول في الاستقامة

فى سبيل الشيطان اوالى الخبيث (هم الخاسرون) يعنى انهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الآخرة قوله سبحانه وتعالى (قل) يعنى قل يامحمد (للذين كفروا ان ينتهوا) يعنى عن الشرك (يغفر لهم ماقد سلف) يعنى ماقد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام (وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين) يعنى فى اهلاك اعدائه ونصر اوليائه ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا فى دين الاسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم ماقد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك اعدائه ونصر انبيائه واوليائه واجمع العلماء على ان الاسلام يجب ماقبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه شئ من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه يعنى بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يعجز عن هدم ماقبله من كفر فارجو ان لا يعجز عن هدم مابعده من ذنب (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) قال ابن عباس يعنى حتى لايكون شرك وقال الحسن حتى لايكون بلاء (ويكون الدين كله لله) يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبى الله صلى الله عليه وسلم واليها دعا وقال محمد بن اسحق فى قوله وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله يعنى لايفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد والشركاء (فان انتهوا) يعنى عن الشرك وافتتان المؤمنين وايذائهم (فان الله بما يعملون بصير) يعنى فان الله لايخفى شئ من اعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم (وان تولوا) يعنى وان اعرضوا عن الايمان واصروا على الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايذائهم (فاعلموا) يعنى ايها المؤمنون (ان الله موليكم) وناصركم عليهم وحافظكم (نعم المولى ونعم النصير) يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان فى حفظه ونصره وكفايته وكلاءته فهو له نعم المولى ونعم النصير * قوله عزوجل (واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول) الغنم الفوز بالشئ يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والفئ اسمان لمسمى واحد ام يختلفان فى التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ماظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاخذوه عنوة واما الارض فهى فئ وقال سفيان الثورى الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس واربعة اخماسه لمن شهد الوقعة والفئ ماصولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفئ مالم يوجف عليه بخيل ولاركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفئ والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشئ واحد والصحيح انهما يختلفان فالفئ ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولاركاب والغنيمة ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ يعنى من اى شئ كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول وقد ذكر اكثر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعى قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقى لخمسة اصناف كما ذكر الله عزوجل وللرسول

لمكان تلوينه بظهور صفاته تارة وبوجود البقية تارة اخرى على مادل عليه القرآن فى موضع العتاب والتثبيت كقوله عبس وتولى وقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا عفا الله عنك لم اذنت لهم ماكان لنبى ان يكون له أسرى ولم يصل اصحابه من المؤمنين الى مقام الوحدة الذاتية لاحتجابهم تارة بالافعال وتارة بالصفات كان بينهم وبين المشركين مناسبة وقرابة جنسية وال تفتلك الجنسية عاهدوهم لوجود الاتصال بينهم ثم لما امتثل النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنون قوله تعالى

ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عزوجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول اصح اى ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له فى حياته واليوم هو لمصالح المسلمين ومافيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعى واحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود فى الخمس فيقسم الخمس على الاربعة الاصناف المذكورين فى الآية هم ذووا القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل * وقوله سبحانه وتعالى (ولذى القربى) يعنى ان سهما من خمس الخمس لذوى القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلى بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعى رحمه الله تعالى هم بنو هاشم و بنو المطلب وليس لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل منه شئ وان كانوا اخوة ويدل عليه ماروى عن جبير بن مطعم قال جئت انا وعثمان ابن عفان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وفى رواية اعطيت بنى المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفى رواية قال جبير ولم يقسم النبى صلى الله عليه وسلم عبد شمس ولا لبنى نوفل شيأ اخرجه البخارى وفى رواية ابى داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قسم من الخمس فى بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يارسول الله قسمت لاخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شيأ وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وفى رواية النسائى قال لما كان يوم خيبر رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى فى بنى هاشم وبنى المطلب وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بنى المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم انا وبنو المطلب لا نفترق فى جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شئ واحد وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم فى سهم ذوى القربى هل هو ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراؤهم واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعى وذهب ابو حنيفة واصحاب الرأى الى انه غير ثابت قالوا سهم النبى صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى مردود فى الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم ووجه الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعى بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير انهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما * وقوله سبحانه وتعالى (واليتامى) جمع يتيم يعنى من خمس الخمس لليتامى

فاستقم كما امرت ومن تاب معك وبلغ غاية التمكين وارتفعت الحجب الفعالية والصفاتية والذاتية عن وجه السالكين من اصحابه حتى بلغوا مقام التوحيد الذاتى ارتفعت المناسبة بينهم وبين المشركين ولم تبق بينهم جنسية بوجه ما وتحققت الضدية والمخالفة وحقت الفرقة والعداوة فنزلت براءة من الله ورسوله (الى الذين عاهدتم من المشركين) هذه الحالة حالة الفرقة والمباينة الكلية بيننا والتبرى الحقيقى من الله باعتبار الجمع ورسوله باعتبار التفصيل

واليتيم الذى له سهم فى الخمس هو الصغير المسلم الذى لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه (والمساكين) وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين (وابن السبيل) وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم فى النفل للفرس سهمين وللراجل سهما وفى رواية نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخارى ومسلم وفى رواية ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك والشافعى واحمد واسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند ابى حنيفة يتخير الامام فى العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركا فى القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روى عن ابى قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذى واخرجه البخارى ومسلم فى حديث طويل والسلب كل مايكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذى كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم فى الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة فى سائر الغنيمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهرى قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع فى البدأة والثلث فى الرجعة اخرجه ابو داود واختلف العلماء فى ان النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعى وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لى مما افاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائى وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد واسحق وذهب قوم الى ان النفل من رأس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما الفئ وهو ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما اخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت احد منهم فى دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فئ ومال الفئ كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة حياته وقال عمر ان الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الفئ بشئ لم يخص به احدا غيره ثم قرأ عمر وما افاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقى يجعله مجعل مال الله فى الكراع والسلاح واختلف اهل العلم فى مصرف الفئ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبت اسماؤهم فى ديوان الجهاد لانهم هم القائمون مقام

اليهم فتبرؤا منهم ظاهرا كما تبرؤا منهم باطنا ونبذوا عهدهم فى الصورة كما نبذوا عهدهم فى الحقيقة (فسيحوا فى الارض اربعة اشهر) على عدد موافقهم فى الدنيا والآخرة تنبيها لهم فانهم لما وقفوا فى الدنيا مع الغير بالشرك حجبوا عن الدين والافعال والصفات والذات فى برزخ الناسوت فلزمهم ان يوقفوا فى الآخرة على الله ثم على الجبروت ثم على الملكوت ثم على النار فى جميع الآثار على ما مرت الاشارة اليه فى الانعام فيعذبوا بانواع العذاب (واعلموا انكم غير معجزى الله) لوجوب حبسكم فى هذه

النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفاياتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الفئ فذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لايخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا ولجميع المسلمين فيه حق * عن مالك بن انس قال ذكر عمر يوما الفئ فقال ما انا احق بهذا الفئ منكم وما احد منا احق به من الآخر الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته اخرجه ابوداود واخرج البغوى بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ماعلى وجه الارض مسلم الاله في هذا الفئ حق الا ماملكت ايمانكم * وقوله سبحانه وتعالى (ان كنتم آمنتم بالله) يعني واعلموا ايها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدانيته (وماانزلنا على عبدنا) يعني وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذى انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسئلونك عن الانفال الآية (يوم الفرقان) يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) يعني جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة اولسبع عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ المئة وبضعة عشر رجلا والمشركون مابين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك (والله على كل شئ قدير) يعني على نصركم ايها المؤمنون مع قلتكم وكثرة اعدائكم * قوله سبحانه وتعالى (اذ أنتم) اى اذكروا نعمة الله عليكم يامعشر المسلمين اذ أنتم (بالعدوة الدنيا) يعني بشفير الوادى الادنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الادنى (وهم) يعني المشركين (بالعدوة القصوى) يعني بشفير الوادى الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تأنيث الاقصى (والركب اسفل منكم) يعني ابا سفيان واصحابه وهم عير قريش التى خرجوا لاجلها وكانوا في موضع اسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر (ولو تواعدتم) يعني انتم والمشركون (لاختلفتم في الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم انتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم (ولكن) يعني ولكن الله جمعكم على غير ميعاد (ليقضى الله امرا كان مفعولا) يعني من نصر اوليائه واعزاز دينه واهلاك اعدائه واعداء دينه (ليهلك من هلك عن بينة) يعني ليموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (ويحيى من حى عن بينة) يعني ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد ابن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدى

المواقف بسبب وقوفكم مع الغير بالشرك فكيف تفوتونه به (وان الله مخزى الكافرين) المحجوبين عن الحق بافتضاحهم عند ظهور رتبة مايعبدون من دون الله ووقوفه معه على النار (واذان) اى اعلام (من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) اى وقت ظهور الجمع الذاتى في صورة التفصيل كامر (ان الله برئ من المشركين ورسوله) في الحقيقة فيوافق الظاهر الباطن (فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله

من اهتدى على بينة (وان الله لسميع عليم) يعنى يسمع دعائكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية *قوله عز وجل (اذ يريكهم الله) يعنى واذكر يامحمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين (فى منامك) يعنى فى نومك (قليلا) قال مجاهد اراهم الله فى منامه قليلا فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان ذلك تثبيتا وقال محمد بن اسحق فكان ماأراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكيف عنهم بها ماتخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بمافيهم وقيل لماأرى الله النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش فى منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه قالوا رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراءتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت فى اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) يعنى لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم (ولتنازعتم فى الامر) يعنى اختلفتم فى امر الاقدام عليهم اوالاحجام عنهم وقيل معنى التنازع فى الامر الاختلاف الذى تكون معه مخاصمة ومجاذبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم واختلفت كلمتكم (ولكن الله سلم) يعنى ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل (انه عليم بذات الصدور) يعنى انه تعالى يعلم مايحصل فى الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما فى صدوركم من الحب لله عز وجل (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين فى اعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا فى القتال ليتأكد فى اليقظة مارآه النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه واخبر به اصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا الفا (ويقللكم فى اعينهم) يعنى ويقللكم يامعشر المؤمنين فى اعين المشركين قال السدى قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الآن اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعنى لقلتهم فى عينيه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم فى الحبال يقوله من القدرة التى فى نفسه والحكمة فى تقليل المشركين فى اعين المؤمنين تصديق رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراءتهم عليهم ولايجبنوا عند قتالهم والحكمة فى تقليل المؤمنين فى اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى الاستعداد والتاهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن فى القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على مايشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك (ليقضى الله امرا كان مفعولا) يعنى امرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان اهله فان قلت قد قال فى الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا وقال فى هذه الآية ليقضى الله امرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره فى الآية المقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره فى هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين

وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ) اى هذه براءة اليهم الا الذين بقيت فيهم مسكة الاستعداد واثر سلامة الفطرة فلم يقدموا على نقض العهد لبقاء المروأة فيهم الدالة على سلامة الفطرة وبقائهم على عهد الله السابق بوجود الاستعداد وامكان الرجوع الى الوحدة (ولم يظاهروا عليكم احدا) لبقاء الوصلة الاصلية والمودة الفطرية بينكم وبينهم وعدم ظهور العداوة الكسبية (فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) اى مدة تراكم الرين وتحقق الحجاب ان لم يرجعوا ويتوبوا (ان الله يحب المتقين فاذا نسلخ الاشهر

فى اعين بعضهم بعضا للحكمة التى قضاها فلذلك قال ليقضى الله امرا كان مفعولا (والى الله ترجع الامور) يعنى فى الآخرة فيجازى كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسئ باساءته او يغفر * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) يعنى جماعة كافرة (فاثبتوا) يعنى لقتالهم وهو ان يوطنوا انفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولى (واذكروا الله كثيرا) يعنى كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المؤمنين واولياءه الصالحين بان يذكروه فى اشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده ان يسألوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى (لعلكم تفلحون) يعنى وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لآية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة فى الجملة وآية التحرف والتحيز لا تقدح فى حصول هذا الثبات فى المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (واطيعوا الله ورسوله) يعنى فى امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو (ولا تنازعوا فتفشلوا) يعنى ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن * وقوله تعالى (وتذهب ريحكم) يعنى قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهبت ريح اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال السدى جراءتكم وجدكم وقال مقاتل حدتكم وقال الاخفش وابو عبيدة دولتكم والريح ههنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هى ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى تضرب وجوه العدو ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من اول النهار اخر القتال حتى تزول وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه ابو داود * وقوله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعنى عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (ان الله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة (ق)عن عبدالله بن ابى اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض ايامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا * قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) يعنى فخرا واشرا وقيل البطر الطغيان فى النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها فى المفاخرة على الاقران وكاثر بها ابناء الزمان وانفقها فى غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر فى النعمة وان صرفها فى طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان فى النعمة وترك شكرها (ورئاء الناس) الرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية (ويصدون

الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى

عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس عن الدخول فى دين الله نزلت هذه الآية فى كفار قريش
حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش
قد اقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به قال ابن عباس
ان ابا سفيان لما راى انه قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم
واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان فى بدر موسم
من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق فى كل عام قال فنقيم عليها ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام
ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا زاد غيره قال
فلما وافوا بدرا سقوا كؤس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله
عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن امركم ايها المؤمنون رياء وسمعة ولا التماس
ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة فى نصر دينكم وموازرة نبيكم
صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره * وقوله تعالى (والله بما يعملون محيط)
فيه وعيد وتهديد يعنى انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شئ لانه محيط بأعمال العباد
كلها فيجازى المحسنين ويعاقب المسيئين * قوله سبحانه وتعالى (واذ زين لهم الشيطان اعمالهم)
يعنى اذكروا ايها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين لهم الشيطان يريد ابليس للمشركين اعمالهم الخبيثة
(وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) قال بعضهم كان تزيينه وسوسة القاها فى
قلوبهم من غير ان يتحول فى صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس فى صورة
سراقة بن مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما اجمعت على المسير الى بدر ذكرت الذى بينها وبين
بنى بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن جعشم
المدلجى وكان من اشراف بنى كنانة فقال انا جار لكم من ان يأتيكم من كنانة شئ تكرهونه فخرجوا
سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه رايته فى صورة رجل من رجال بنى
مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اصطف
الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين فولوا مدبرين
واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع ابليس
يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل ياسراقة اتزعم انك جار لنا فقال انى ارى ما لا ترون انى
اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين راى الملائكة وقوله انى جار لكم من كنانة (فلما تراءت
الفئتان) اى التقى الجمعان راى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم
(نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم) يعنى رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال
الكلبى لما التقى الجمعان كان ابليس فى صف المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو
آخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله على عقبيه فقال له الحرث افرارا من غير قتال وجعل
يمسكه فدفع فى صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك
سراقة فقال بلغنى انكم تقولون انى هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم
فقالوا اما اتيتنا فى يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله (انى
ارى ما لا ترون) قال راى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرد يمشى بين يدى النبى صلى الله

قلوبهم وا كثرهم
فاسقون اشتروا بآيات الله
ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله
انهم ساء ما كانوا يعملون
لا يرقبون فى مؤمن الا
ولا ذمة واولئك هم المعتدون
فان تابوا واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة فاخوانكم
فى الدين ونفصل الآيات
لقوم يعلمون وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا فى دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم
لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما
نكثوا ايمانهم وهموا
باخراج الرسول وهم
بدؤكم اول مرة اتخشونهم
فالله احق ان تخشوه
ان كنتم مؤمنين قاتلوهم

عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال ابليس انى ارى مالا ترون صدق وقال انى اخاف الله وكذب مابه مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه (انى اخاف الله) اعلم صدق وعده لاوليائه لانه كان على ثقة من امر به وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة (والله شديد العقاب) قيل معناه انى اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله انى اخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كرز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماروى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة وماذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر فانه قد راى جبريل يزع الملائكة اخرجه مالك فى الموطأ قوله ولا ادحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملائكة اى يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملائكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة ❊ قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون) يعنى من اهل المدينة (والذين فى قلوبهم مرض) اى شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام فى قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غر هؤلاء دينهم) يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما راوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى (ومن يتوكل على الله) يعنى ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه (فان الله) حافظه وناصره لانه (عزيز) لا يغلبه شئ (حكيم) فيما قضى وحكم فتوصل الثواب الى اوليائه والعقاب الى اعدائه ❊ قوله عز وجل (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) يعنى ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند الموت لرايت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم فى ذلك الوقت (يضربون وجوههم وادبارهم) اختلفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال

يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام

ابن جريج يريد ماقبل من اجسادهم وادبر يعنى يضربون جميع اجسادهم (وذوقوا عذاب الحريق) يعنى وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار فى جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانيه ذوقوا عذاب الحريق (ذلك) يعنى الذى نزل بكم من القتل والضرب والحريق (بما قدمت ايديكم) يعنى انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصى فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضى ان فاعل هذا الكفر هى اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هى المؤثرة فى العمل فاليد كناية عن القدرة * وقوله تعالى (وان الله ليس بظلام للعبيد) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يعذب احدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم احدا من خلقه وانما نفى الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصى على عصيانه لانه يتصرف فى ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فلهذا قال الله سبحانه وتعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم فى ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء * قوله تعالى (كداب آل فرعون) يعنى ان عادة هؤلاء الكفار فى كفرهم كعادة آل فرعون فى كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزى آل فرعون بالاغراق واصل الداب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان يداب فى كذا وكذا يداوم ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دابا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه ان آل فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبى من الله تعالى فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون (والذين من قبلهم) يعنى من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) يعنى ان عادة الامم السالفة هو كفرهم بآيات الله (فاخذهم الله بذنوبهم) يعنى بسبب كفرهم وذنوبهم (ان الله قوى) يعنى فى اخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله (شديد العقاب) يعنى لمن كفر به وكذب رسله (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) يعنى ان الله سبحانه وتعالى انعم على اهل مكة بان اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة واخذهم بالعقاب قال السدى نعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله تعالى الى الانصار (وان الله سميع) يعنى لاقوال خلقه لا يخفى عليه شئ من كلامهم (عليم) يعنى بما فى صدورهم من خير وشر فيجازى كل واحد على عمله (كداب آل فرعون) يعنى ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم) يعنى اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف (واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يعنى الاولين والآخرين فان قلت ما الفائدة فى تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثانى يجرى مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر اخذهم وفى الآية الثانية ذكر

لكن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين) الذين اجتنبوا الرذائل خصوصا نقض العهد الذى هو ام الرذائل ظاهرا وباطنا (الذين آمنوا) علما (وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم) الرغائب الحسية والمواطن الانسية بالسلوك فى سبيل الله وجاهدوا باموالهم معلوماتهم ومراداتهم ومقدوراتهم بمحو صفاتهم فى صفات الله (وانفسهم) بافنائها فى ذات الله اعظم درجة) فى التوحيد (عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة) ثواب الاعمال (منه ورضوان) الصفات

اغراقهم فهذه تفسير للاولى الفائدة الثانية انه ذكر فى الآية الاولى انهم كفروا بايات الله وجحدوها وفى الاية الثانية انهم كذبوا بايات ربهم ففى الاية الاولى اشارة الى انهم انكروا ايات الله وجحدوها وفى الاية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفى قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب ❊ قوله تعالى (ان شر الدواب عند الله) يعنى فى علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لايؤمنون) والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر نزلت فى يهود بنى قريظة رهط كعب بن الاشرف (الذين عاهدت منهم) قيل من صلة يعنى الذين عاهدتهم وقيل هى للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بنى قريظة ان لايحاربوه ولايعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا مشركى مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا نسينا واخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لايتقون) يعنى انهم لايخافون الله فى نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقى نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فاما تثقفنهم فى الحرب) يعنى فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم فى الحرب (فشرد بهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل التشريد فى اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من اهل مكة واليمن (لعلهم يذكرون) يعنى لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد (واما تخافن) يعنى واما تعلمن يا محمد (من قوم) يعنى معاهدين (خيانة) يعنى نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بنى قريظة والنضير (فانبذ) اى فاطرح (اليهم) يعنى عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعنى على طريق ظاهر مستو يعنى اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم فى العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد اولا بنصب الحرب معهم (ان الله لايحب الخائنين) يعنى فى نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر وفاء لاغدرا فاذا هو عمرو ابن عنبسة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلايشد عقدة ولايحلها حتى ينقضى امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير وعنده الله اكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة اوفرس واما حكم الآية فقال اهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب

(وجنات) من الجنان الثلاثة (لهم فيها نعيم) شهود الذات (مقيم) ثابت ابدا (خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) اى لايترجح فيكم جهة القرابة الصورية والوصلة الطبيعية على جهة القرابة المعنوية والوصلة الحقيقية فيكون بينكم وبين من آثر الاحتجاب على الكشف من اقربائكم ولاية مسببة عن الاتصال الصورى مع فقد الاتصال المعنوى واختلاف الوجهة

وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا اباسفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة * وقوله تعالى (ولا تحسبن) قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد (الذين كفروا سبقوا) يعني فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر (انهم لا يعجزون) يعني انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يعجزونه * قوله عز وجل (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخاذ الشئ لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال * احدها انها جميع انواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم * الثاني انها الحصون والمعاقل * الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم (خ) عن ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني غشوكم وفي رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو بأسهمه (م) عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت وماذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة اسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة واخرجه ابو داود ايضا عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود الا ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اي نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي مختصرا الى نبله (خ) عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بني فلان فامسك احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم

الموجب للقطيعة المعنوية والعداوة الحقيقية فان ذلك من ضعف الايمان ووهن العزيمة بل قضية الايمان بخلاف ذلك قال الله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وقال بعض الحكماء الحق حبيبنا والخلق حبيبنا فاذا اختلفا فالحق احب الينا (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها) قل ان كانت هذه القرابات الصورية والمألوفات الحسية (احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) فقد ضعف ايمانكم ولم يظهر

* القول الرابع ان المراد بالقوة جميع مايتقوى به فى الحرب على العدو وكل ماهو آلة يستعان بها فى الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمى لاينفى كون غير الرمى من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لاينفى اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من افضل المقصود واجله فكذا ههنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال فى الحرب وجهاد العدو بجميع مايمكن من الآلات كالرمى بالنبل والنشاب والسيف والدروع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من فروض الكفايات * وقوله تعالى (ومن رباط الخيل) يعنى اقتناءها وربطها للغزو فى سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذى يخص باقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من اعظم مايستعان به روى ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا اوصى بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها فى سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعنى الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروى ان خالد بن الوليد كان لايركب فى القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند الشنات والغارات وقيل ربط الفحول اولى من الاناث لانها اقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها اولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فأى ذلك ربط بنية الغزاة كان فى سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد البارقى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هى لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذى هى له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله زاد فى رواية لاهل الاسلام فاطال لها فى مرج او روضة فما اصابت فى طيلها ذلك من المرج او الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت له آثارها وارواثها حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له حسنات فهى لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل على فيها شئ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذى يشد به الفرس وقت الرعى والاستنان الجرى والشرف الشوط الذى تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعنى استغناء بها عن الطلب لما فى ايدى الناس اما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها فقيل اراد به الاحسان اليها وقيل اراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعاداة يقال ناوأت الرجل مناواة اذا عاديته * وقوله تعالى (ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعنى تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعنى الكفار من اهل مكة وغيرهم وقال

اثره فى نفوسكم وعلى جوارحكم لتنقاد بحكمه وذلك اوقوفكم مع الآثار الناسوتية الموجب للعذاب والحجاب (فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لايهدى القوم الفاسقين) بعذابه وكيف لاوانتم تسلكون طريق الطبيعة وتنقادون بحكمها مكان سلوك طريق الحق والانقياد لامره وذلك فسق منكم والفاسق محجوب عن الله لايهديه اليه لعدم توجهه وارادته بل لاعراضه وتوليه فهو يستحق العذاب والخذلان والحجاب والحرمان (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة

ابن عباس تحزنون به عدوّ الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل الجزية للمسلمين ❊ قوله تعالى (وآخرين من دونهم) يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدى هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله (الله يعلمهم) يعني انهم منافقون واورد على هذا القول المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوّفون باعداد القوّة ورباط الخيل واجيب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوّة المسلمين وكثرة آلاتهم واسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبرى قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة فارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين اما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم احوالهم واما كنهم دونكم ويعضد هذا القول ماروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخبل احدا في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزرى وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن ❊ وقوله سبحانه وتعالى (وما تنفقوا من شئ في سبيل الله) قيل اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو امر عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره (يوف اليكم) يعني اجره في الآخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا (وانتم لا تظلمون) يعني وانتم لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيأ ❊ قوله تبارك وتعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) لما امر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باعداد القوّة ومارهب العدوّ امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها اى مل اليها يعني الى المصالحة روى عن الحسن وقتادة ان هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام ان يصالح اعداءه من الكفار وفيه قوّة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوّة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة ❊ وقوله تعالى (وتوكل على الله) يعني فوّض امرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع احوالك (انه هو السميع) يعني لاقوالهم (العليم) يعني باحوالهم ❊ قوله عزوجل (وان يريدوا ان يخدعوك) يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم (فان حسبك الله) يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته (هو الذى ايدك بنصره) يعني هو الذى قوّاك واعانك بنصره يوم بدر وفي سائر ايامك (وبالمؤمنين) يعني وايدك بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا كان الله قد ايده بنصره فاى حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأييد والنصر من الله عزوجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذى يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسايط معلومة واما الذى يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة بوسايط

ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم

وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى اقامهم لنصره ثم بين كيف ايده بالمؤمنين فقال تعالى (والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) وذلك العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القويه والعصبية والانطواء على الضغينة ادنى شئ حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفى الله واتفقوا على الطاعة وصاروا انصار الرسول لله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم فى الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وعالة فأغناكم الله بى وفى الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعنى انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف فى القلوب فيقلبها من العداوة المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب ❊ قوله سبحانه وتعالى (يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت فى سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقبل القتال على هذا القول اراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعنى الى غزوة بدر وقيل اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا ايها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين ❊ قوله عز وجل (يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال) يعنى حثهم على قتال عدوّهم والتحريض فى اللغة الحث على الشئ بكثرة التزين وتسهيل الخطب فيه كأنه فى الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعنى رجلا (صابرون) يعنى عند اللقاء محتسبين انفسهم (يغلبوا مائتين) يعنى من عدوّهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا فى قتال عدوّهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى اوجب اوّلا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعنى صابرة (يغلبوا الفا من الذين كفروا) فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين فى مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بأنهم قوم لا يفقهون) يعنى ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم فى القتال فانهم لا يثبتون معكم (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة

بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا

صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية اخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا فايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالصبر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك * قوله تعالى (ما كان لنبي ان يكون له اسرى) روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يارسول الله قومك واهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يارسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول ابي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رأيتني في يوم اخوف ان تقع الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدان يبكيان فقلت يارسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله

ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم

صلى الله عليه وسلم ابكى على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل عليه ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الآية اخرج هذا الحديث الترمذى مختصرا وقال في الحديث قصة وهى هذه القصة التى ذكرها البغوى واخرج مسلم فى افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر ما ترون فى هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر يارسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يارسول الله ما ارى الذى رأى ابو بكر ولكنى ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه وتمكننى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وصناديده فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يبكيان فقلت يارسول الله اخبرنى من اى شئ تبكى انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكى على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدى فى مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى يعنى ما كان ينبغى ولا يجب لنبي وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان يحبس كافرا قدر عليه وصار فى يده اسيرا للفداء والمن والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع (حتى يثخن فى الارض) الاثخان فى كل شئ عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ فى قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله ان يقدم على الاسر فيأسر الاسارى (تريدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعنى تريدون ايها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا عرضا لانه لاثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لا انقطاع لها * وقوله سبحانه وتعالى (والله يريد الآخرة) يعنى انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعنى فى تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله سبحانه وتعالى فى الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا اعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فداء يزيل حكم الآية التى نحن فى تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاهما تدلان على انه لابد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل اسير اربعين اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل اسير اربعة آلاف درهم

عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) جمع المال وكنزه مع عدم الانفاق لا يكون الا لاستحكام رذيلة الشح وحب المال وكل رذيلة كية يعذب بها صاحبها فى الآخرة ويخزى

* (فصل) * قد استدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى امر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وابابكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لانسلم ان اخذ الفداء كان محرما واما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على اخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وابابكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفداء والله اعلم * قوله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر اسرع المؤمنون في اخذ الغنائم والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل ان تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين احد ممن حضر بدرا الا واحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يارسول الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء مانجا منه غير عمر وسعد بن معاذ * وقوله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) يعني فقد احلت لكم الغنائم واخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روي انه لما نزلت الآية الاولى كف اصحاب رسول الله

بها في الدنيا ولما كانت مادة رسوخ تلك الرذيلة واستحكامها هي ذلك المال كان هو الذي يحمى عليه في نار جحيم الطبيعة وهاوية الهوى فيكوى به وانما خصت هذه الاعضاء لان الشح مركوز في النفس والنفس تغلب القلب من هذه الجهات لا من جهة العلو التي هي جهة استيلاء الروح وممر الحقائق والانوار ولا من جهة السفل التي هي من جهة الطبيعة الجسمانية لعدم

صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبدالله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم وذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا ❊ وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يعنى وخافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا شيأ من قبل انفسكم قبل ان تؤمروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما اقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل فى قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية ❊ قوله سبحانه وتعالى (يا ايها النبي قل لمن فى ايديكم) نزلت فى العباس ابن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فأراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيأ وبقيت العشرون اوقية معه فلما اسر اخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا اتركه لك وكلف فداء ابنى اخيه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذى دفنته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهذا لك ولعبدالله ولعبيدالله وللفضل وقثم يعنى بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن اخى قال اخبرنى به ربى قال العباس اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله وامر ابنى اخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فأسلما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن فى ايديكم (من الاسرى) يعنى الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) يعنى ايمانا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) يعنى من الفداء (ويغفر لكم) يعنى ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعنى بأهل طاعته قال العباس فأبدلنى الله خيرا مما اخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطانى زمزم وما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعنى الاسارى (خيانتك) يعنى ان يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعنى فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعنى فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل احد يخونه اوينقض عهده (والله عليم) يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق اوخيانة ونقض عهد (حكيم) يعنى حكم بأنه يجازى كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب ❊ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى فى سبيل الله) يعنى ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعنى وهجروا ديارهم وقومهم فى ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم

تمكن الطبيعة من ذلك فبقيت سائر الجهات فيؤذى بها من الجهات الاربع ويعذب كما راه يعاب بها فى الدنيا ويخزى من هذه الجهات ايضا اما بان يواجه بها جهرا فيفضح او يسار بها فى جنبه اويغتاب بها من وراء ظهره (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لوكان

المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا انفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (اولئك) يعني المهاجرين والانصار (بعضهم اولياء بعض) يعني في العون والنصر دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم وذوى ارحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ❊ وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا واقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شيء) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) يعني الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) يعني ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) يعني فعليكم نصرهم واعانتهم (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) يعني في النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض (الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) قال ابن عباس الا تأخذوا في الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الا تفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا) يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (ورزق كريم) يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة بعد اخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها قوله اولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين ما تحقق هذا القول ان من فارق اهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا حقا النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة واى مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم وكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقا لا تلحقهم فيه غضاضة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم

عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما

من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله فى الآية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر فى الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) اختلفوا فى قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه فى الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بأن المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فأما من كان من المؤمنين فى بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد لايخاف فيه على اظهار دينه * وقوله تعالى (فأولئك منكم) يعنى انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف واعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى الحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح هذا الالحاق * وقوله تعالى (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى فى الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة اقوى واولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله فى كتاب الله يعنى فى حكم الله وقيل اراد به فى اللوح المحفوظ وقيل اراد به القرآن وهى ان قسمة المواريث مذكورة فى سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك اصحاب الامام ابى حنيفة بهذه الآية فى توريث ذوى الارحام واجاب عنه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه بانه لما قال فى كتاب الله كان معناه فى حكم الله الذى بينه فى سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها فى سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء اهل الفروض فروضهم وما بقى فللعصبات * وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لاتخفى عليه خافية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

* (تفسير سورة التوبة) *

وهى مدنية باجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين فى آخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانهما نزلتا بمكة وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية واربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف واربعمائة وثمان وثمانون حرفا ولهذه السورة اسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهى المقشقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق اى تبرئ منه وهى المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهى المخزية لان فيها خزى المنافقين وهى المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهى المشردة سميت بذلك لانها شردت جموع المنافقين وفرقتهم وهى المثيرة سميت بذلك لانها اثارت مخازى المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت استارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هى الفاضحة مازالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا ان لايبقى احدا الا ذكر

يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) اى كانوا اشقياء لم يبق فى استعدادهم خير فيريده الله منهم فلذلك كره انبعاثهم اى كانوا من الفريق الثانى من الاشقياء المردودين الذين من

فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سور بني النضير اخرجاه في الصحيحين *(فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في اول هذه السورة)* عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا هذه الآية وكانت الانفال من الاوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها او من غيرها من اجل ذلك قرنت بينهما ولما كتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال اخرجه ابو داود و الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي بن ابي طالب لم لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير واول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الراحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة ام سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله ورسوله واصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ براءة اي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج اي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا (الى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم واصحابه بذلك راضون فكأنهم هم عقدوا وعاهدوا * وقوله سبحانه وتعالى (فسيحوا في الارض) اي فسيروا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين احدا من المشركين

ذكرهم غير مرة (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك

واصل السياحة الضرب فى الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه مضمر اى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا فى الارض وانتم آمنون من القتل والقتال (اربعة اشهر) يعنى مدة اربعة اشهر واختلف العلماء فى هذا التأجيل وفى هؤلاء الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر حطه الى اربعة اشهر ومن عهده بغير اجل معلوم محدود حده بأربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويؤسر الا ان يتوب ويرجع الايمان وقيل ان المقصود من هذا التأجيل ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الآخر فأما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما قال الزهرى الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآية نزلت فى شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون وقال الكلبى انما كانت الاربعة اشهر عهد المن كان له عهد دون الاربعة اشهر فأتم له الاربعة اشهر فأما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله تعالى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها فى العاشر من ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسئ ثم صار فى السنة المقبلة فى العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن امر الله عزوجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امره بقتال المشركين والبراءة منهم واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دماء جميعهم من اهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت فى اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر فى عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم انى ناشد محمدا * خلف ابينا وابيه الابلدا
كنت لنا ابا وكنا ولدا * ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا * ان سيم خطب وجهه تربدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا

مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما

وزعوا ان لست تدعو احدا * وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم انصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لااحب ان احج حتى يكون ذلك فبعث ابابكر فى تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين آية من سورة براءة ليقراها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابوبكر فقال يارسول الله بأبى انت وامى انزل فى شأنى شئ فقال لا ولكن لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى اما ترضى ياابابكر انك كنت معى فى الغار وانك معى على الحوض قال بلى يارسول الله فسار ابوبكر اميرا على الحاج وعلى بن ابى طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابوبكر فخطب الناس وحدثهم فاقام للناس الحج والعرب فى تلك السنة على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن ابى طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى امر به وقرا عليهم اول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع سألنا عليا بأى شئ بعثت فى الحجة قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى حج النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن ابى هريرة ان ابابكر بعثه فى الحجة التى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ثم اردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بن ابى طالب فأمره ان يؤذن ببراءة قال ابوهريرة فأذن معنا فى اهل منى ببراءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبذ ابوبكر الى الناس فى ذلك فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله فى العام الذى نبذ فيه ابوبكر الى المشركين ياايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية

* (فصل) * قد يتوهم متوهم ان فى بعث على بن ابى طالب بقراءة اول براءة عزل ابى بكر عن الامارة وتفضيله على ابى بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابابكر لم يزل اميرا على الموسم فى تلك السنة اول حديث ابى هريرة المتقدم ان ابابكر بعثه فى رهط يؤذنون فى الناس الحديث وفى لفظ ابى داود والنسائى قال بعثنى ابوبكر فيمن يؤذن فى يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثنى ابوبكر فيه دليل على ان ابابكر كان هو الامير على الناس وهو الذى اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن فى الناس ببراءة بان عادة العرب جرت ان لا يتولى تقرير

فاسقين ومامنعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كفرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها

العهد ونقضه الاسيد القبيلة وكبيرها اورجل من اقاربه وكان على بن ابى طالب اقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم من ابى بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبى صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف مانعرفه من عادتنا فى عقد العهود ونقضها وقيل لما خص ابابكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا فى هذه الرسالة حتى يصلى خلف ابى بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة ابى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابابكر اميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان ابوبكر الامام وعلى المؤتم وكان ابوبكر الخطيب وعلى المستمع وكان ابوبكر المتولى امر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلى فدل ذلك على تقديم ابى بكر على على وفضله عليه والله اعلم ❋ وقوله تعالى (واعلموا انكم غير معجزى الله) يعنى ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا فى الارض اربعة اشهر عالمين انكم لاتعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم فى ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لايخاف الفوت ولا يعجزه شئ (وان الله مخزى الكافرين) يعنى بالقتل والعذاب فى الاخرة ❋ قوله عزوجل (واذان من الله ورسوله) الاذان فى اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل (الى الناس يوم الحج الاكبر) اختلفوا فى يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن على بن ابى طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر اخرجه الترمذى وقال ويروى موقوفا عليه وهو اصح وعن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال اى يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابوداود ويروى ذلك عن عبدالله بن ابى اوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير والسدى وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وكان سفيان الثورى يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت فى تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبدالله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهرى والشعبى وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها عن الحج وقيل سمى الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر فى خطبته ان الزمان قد استدار وابطل النسئ وجميع احكام الجاهلية ❋ قوله سبحانه وتعالى (ان الله برئ من المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله برئ من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها وفى رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمر والتقدير ان الله برئ من المشركين ورسوله

رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولوانهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون انما الصدقات للفقراء والمسكين والعملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغرمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هواذن) كانوا يؤذونه ويغتابونه بسلامة القلب وسرعة القبول والتصديق لما يسمع فصدقهم فى ذلك وسلم وقال هو كذلك ولكن بالنسبة الى الخير فان النفس الابية والغليظة الجافية والكرة القاسية التى تصلب فى الامور ولاتتأثر غير

ايضا برئ الثانى تقديره برئ الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله فى محل الرفع بالابتداء وبرئ خبره ورسوله عطف على المبتدا فان قلت لافرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله برئ من المشركين ورسوله فما فائدة هذا التكرار قلت المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التى هى نقيض للموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذى يدل على صحة هذا الفرق انه قال فى اوّلها براءة من الله ورسوله الى يعنى برئ اليهم وفى الثانية برئ منهم * وقوله تعالى (فان تبتم) يعنى فان رجعتم عن شرككم وكفركم (فهو خير لكم) يعنى من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله فى التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتم) يعنى اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا انكم غير معجزى الله) فيه وعيد عظيم واعلام لهم بأن الله سبحانه وتعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) يعنى فى الآخرة ولفظة البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم * قوله سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم من المشركين) هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حى من كنانة امر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقى من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى (ثم لم ينقصوكم شيأ) يعنى من عهودهم التى عاهدتموهم عليها (ولم يظاهروا) يعنى ولم يعاونوا (عليكم احدا) يعنى من عدوّكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا فى الارض الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل لهم بعد ان امروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى تقتضى ان لا يستوى بين القبيلتين يعنى الوافى بالعهد والناكث له والغادر فيه * قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هى شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التى يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) يعنى فى الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعنى اقتلوهم فى اى وقت واى مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعنى واسروهم (واحصروهم) اى واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعنى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يقعد فيه للعدوّ من رصدت الشئ ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تأخذوهم

مستعدة للكمال اذا الكمال الانسانى لا يكون الا بالقبول والتأثر والانفعال فكلما كانت النفس الين عريكة واسلم قلبا واسهل قبولا كانت اقبل للكمال واشدّ استعدادا له وليس هذا اللين هو من باب الضعف والبلاهة الذى يقتضى الانفعال من كل ما يسمع حتى المحال والتأثر من كل ما يرد عليه ويراجئ الكذب والشرور والضلال بل هو من باب اللطافة وسرعة القبول لما يناسبه من الخير والصدق

من اى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لايدخلوها (فان تابوا) يعنى من الشرك ورجعوا الى الايمان (واقاموا الصلاة) يعنى واتموا اركان الصلاة المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم (فخلوا سبيلهم) يعنى الى الدخول الى مكة والتصرف فى بلادهم (ان الله غفور) يعنى لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة (رحيم) يعنى بأوليائه واهل طاعته وقال الحسين بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء ※ قوله تعالى (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) يعنى وان استأمنك يامحمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذى انزل عليك وهو القرآن فأجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان اصر على الكفر (ثم ابلغه مأمنه) يعنى ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله (ذلك بانهم قوم لايعلمون) اى لايعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اى لايكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدى ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو الديل قبائل من بنى بكر كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة (فما استقاموا لكم) يعنى على العهد (فاستقيموا لهم) يعنى ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا بأى بلاد شاؤا فأسلموا بعد الاربعة الاشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بنى بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بنى بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشئ قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ※ وقوله تعالى (ان الله يحب المتقين) يعنى انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه (كيف وان يظهروا عليكم) قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم (لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة) وقال الاخفش معناه كيف لاتقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم اى يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا اى لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعنى قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدى هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتأكيد او لاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز

فلذلك قال (قل اذن خير) اذ صفاء الاستعداد ولطف النفس يوجب قبول ما يناسبه من باب الخيرات لا ما ينافيها من باب الشرور فان الاستعداد الخيرى لا يقبل الشر ولا يتأثر به ولا ينطبع فيه لمنافاته اياه وبعده عنه (لكم) اى يسمع ما ينفعكم وما فيه صلاحكم دون غيره (يؤمن بالله) هو بيان لينه وقابليته لان الايمان لايكون الامع سلامة القلب ولطافة النفس ولينها (ويؤمن للمؤمنين) يصدق قولهم فى الخيرات

ومجاهد الال هو الله عزوجل ومنه قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعنى من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولاذمة يعنى ولا يحفظون عهدا (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) يعنى يطيعونكم بالسنتهم بخلاف مافى قلوبهم (واكثرهم فاسقون) فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق فى معرض الذم وما الفائدة فى قوله واكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا فى دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق فى دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين انهم نقضوا العهد وبالغوا فى العدواة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ فى الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال سبحانه وتعالى واكثرهم فاسقون ❊ وقوله تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) يعنى استبدلوا بآيات القرآن والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم اياها ابو سفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (فصدوا عن سبيله) يعنى منعوا الناس عن الدخول فى دين الله قال ابن عباس وذلك ان اهل الطائف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول فى دين الاسلام (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) يعنى ان هؤلاء المشركين لا يراعون فى مؤمن عهدا ولاذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم (واولئك هم المعتدون) يعنى فى نقض العهد ❊ قوله عزوجل (فان تابوا) يعنى فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به (واقاموا الصلوة) يعنى المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها (وآتوا الزكوة) يعنى وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم (فاخوانكم فى الدين) يعنى اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم فى الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال رحم الله ابابكر ما كان افقهه يعنى بذلك ما ذكره ابوبكر فى حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة (ق) عن ابى هريرة قال لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم واستخلف ابوبكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عزوجل فقال ابوبكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها وفى رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت ان الله

ويسمع كلامهم فيها ويقبله (ورحمة للذين آمنوا منكم) يعطف عليهم ويرق لهم فينجيهم من العذاب بالتزكية والتعليم ويصلح امر معاشهم ومعادهم بالبر والصلة وتعليم الاخلاق من الحلم والشفقة والامر بالمعروف باتباعهم اياه فيها ووضع الشرائع الموجبة لنظام امرهم فى الدارين والتحريض على ابواب البر بالقول والفعل وغير ذلك (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها

شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله * وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا ايمانهم) يعني وان نقضوا عهودهم (من بعد عهدهم) يعني من بعد ماعاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم (وطعنوا في دينكم) يعني وعابوا دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى (فقاتلوا ائمة الكفر) يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ماقوتل اهل هذه الآية بعد ولم يأت اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراده * وقوله سبحانه وتعالى (انهم لا ايمان لهم) جمع يمين اي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهود وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان اي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم (لعلهم ينتهون) اي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى (الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم) يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم بدؤكم) يعني بالقتال (اول مرة) يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا واصحابه وقيل اراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتخشونهم) يعني اتخافونهم ايها المؤمنون فتتركون قتالهم (فالله احق ان تخشوه) يعني في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده * قوله سبحانه وتعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وانت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم اونقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف * وقوله تعالى (ويخزهم) يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان (وينصركم عليهم) يعني بان يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم

ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين

ثم شفى الله صدور خزاعة من بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعنى ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بكر روى أن النبي صلى الله عيه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الاخزاعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوى بغير سند * ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بابى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا (والله عليم) يعنى بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام (حكيم) يعنى فى جميع افعاله * قوله عز وجل (ام حسبتم ان تتركوا) هذا من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه ام لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) اراد بالعلم المعلوم لان وجود الشئ يلزمه معلوم الوجود عند الله لاجرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازى ونقل الواحدى عن الزجاج اى العلم الذى يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة يعنى خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء اولياء يعنى لا تتخذوا المشركين اولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال ابو عبيدة كل شئ ادخلته فى شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون فى القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بدخيله امره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة فى القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهى المؤمنين عن موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم (والله خبير بما تعملون) يعنى من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده * قوله سبحانه وتعالى (ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد الله) يعنى به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية ان جماعة من رؤساء كفار قريش اسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل على بن ابى طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن افضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى يعنى الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين اى ما ينبغى للمشركين ان يعمروا مساجد الله اوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له ان يعمر مساجد الله واختلفوا فى المراد بالعمارة على قولين احدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثانى ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه

هم الفسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة واولئك هم الخسرون الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم

(فيمنع)

فيه منع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سوارى المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها ❊ وقوله تعالى (شاهدين على انفسهم بالكفر) يعنى لايدخلون المساجد فى حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدى شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصرانى يسئل من انت فيقول نصرانى واليهودى يقول يهودى والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس فى رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم (اولئك حبطت اعمالهم) يعنى الاعمال التى عملوها فى حال الكفر من اعمال البر مثل قرى الضيف وسقى الحاج وفك العانى لانها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر (وفى النار هم خالدون) يعنى من مات منهم على كفره ❊ وقوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين فى هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذى يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعنى وآمن باليوم الآخر وانه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء اجره انما يكون فى الآخرة فمن انكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط فى صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل فى الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعى الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوّة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الى الايمان بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر (واقام الصلوة وآتى الزكوة) وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة فى عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد اقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه ❊ وقوله تعالى (ولم يخش الا الله) يعنى ولم يخف فى الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعنى واولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التى تؤدى الى الجنة عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد

رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) وهى جنات النفوس (ومساكن طيبة فى جنات عدن

المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد اوراح اعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا اوراح النزل ما يهيأ للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا فى الجنة وفى رواية بنى الله له فى الجنة مثله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان اوكبيرا بنى الله له بيتا فى الجنة اخرجه الترمذى عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا فى الجنة اخرجه النسائى * قوله سبحانه وتعالى (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالى ان لااعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد فى سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لاترفعوا اصواتكم عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الى اخرها وقيل قال العباس حين اسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله هذه الآية واخبران عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لاينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نبيه خير مماهم عليه وقال الحسن والشعبى ومحمد بن كعب القرظى نزلت فى على بن ابى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن ابى شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدى مفاتيحه وقال العباس وانا صاحب السقاية والقيام عليها وقال على ماادرى ماتقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهى سقى الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها فى الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعنى بناءه وتشييده ومرمته (كمن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره كايمان من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد فى سبيل الله) اى وكجهاد من جاهد فى سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره اجعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله (لايستوون عند الله) يعنى لايستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لايقبل عملا الامع الايمان به (والله لايهدى القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يافضل اذهب الى امك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقنى فقال يارسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقنى فشرب منه ثم اتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذا يعنى عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزنى قال كنت جالسا مع ابن عباس

ورضوان من الله اكبر) مقامات ارباب التوكل فى جنات الافعال بدليل قوله تعالى ورضوان من الله اكبر فان الرضوان من جنات الصفات (ذلك) اى الرضوان (هو الفوز العظيم يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد

عندالكعبة فاتاه اعرابى فقال مالى ارى بنى عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذامن حاجة بكم ام من بخل فقال ابن عباس الحمدلله مابنا من حاجة ولا بخل انماقدم النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة فقال احسنتم اواجلتم كذا فاصنعوا فلانريد تغييرما امربه رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع فى الماء غدوة ويشرب عشاء اوينقع عشاء ويشرب غدوة وهذاحلال فانغلى وحمض حرم * قوله عزوجل (الذين آمنواوهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عندالله) يعنى من كان موصوفا بهذه الصفات يعنى الايمان والهجرة والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم درجة عندالله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانمالم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عندالله فى الآخرة (واولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعنى بسعادة الدنياوالآخرة (يبشرهم ربهم) يعنى يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذى يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار * ثم ذكر الخبر الذى يبشرهم به فقال تعالى (رحمة منه ورضوان)وهذا اعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عزوجل على العبد نهاية مقصوده (وجنات لهم فيهانعيم مقيم)يعنى ان نعيم الجنة دائم غير منقطع ابدا (خالدين فيها) يعنى فى الجنان وفى النعيم (ابدا) يعنى لاانقطاع له (ان الله عنده اجر عظيم)يعنى لمن عمل بطاعته وجاهد فى سبيله * قوله سبحانه وتعالى (ياايهاالذين آمنوالاتتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء)قال مجاهد هذه الآية متصلة بماقبلها نزلت فى قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لماامر النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك الله ان لاتضيعنا فيرق لهم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وانزل ياايهاالذين امنوالاتتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء يعنى بطانة واصدقاء تفشون اليهم اسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهى من آخر القرآن نزولا والاقرب ان يقال ان الله سبحانه وتعالى لماامر المؤمنين بالتبرى من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع الرجل اباه واخاه وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه فى الدين واجبة فالمؤمن لايوالى الكافروان كان اباه واخاه وابنه وهوقوله تعالى(ان استحبوا الكفر على الايمان) يعنى ان اختار وا الكفر واقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) يعنى ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقدظلم نفسه بمخالفة امر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولمانزلت هذه الآية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة(ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم)وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من اهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم (واموال اقترفتموها)يعنى اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها)يعنى بفراقكم لها(ومساكن ترضونها) يعنى تستوطنونها راضين بسكناها (احب اليكم من الله ورسوله)يعنى احب اليكم من الهجرة

الى اللّٰه ورسوله (وجهاد فى سبيله) فبين اللّٰه سبحانه وتعالى انه يجب تحمل جميع المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما واخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم اولى من طاعة اللّٰه وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل اللّٰه (فتربصوا) اى فانتظروا (حتى يأتى اللّٰه بامره) يعنى بقضائه وهذا امر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعنى بفتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) يعنى الخارجين عن طاعته وفى هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا * قوله عز وجل (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (فى مواطن كثيرة) يعنى اماكن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر فى الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة فى حديثه قاتل فى ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة (ويوم حنين) يعنى ونصركم اللّٰه فى يوم حنين ايضا فاعلم اللّٰه سبحانه وتعالى انه هو الذى يتولى نصر المؤمنين فى كل موقف وموطن ومن يتولى اللّٰه نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف فى اثنى عشر الفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبى كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصرى وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفى رواية فلم يرض اللّٰه قوله ووكلهم الى انفسهم وذكر ابن الجوزى عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك ابو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبرى ان القائل لذلك رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان فى جميع احواله متوكلا على اللّٰه عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتى من عند اللّٰه عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن ابى اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا عمارة فقال اشهد على نبى الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس حسرا الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحرث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم انزل نصرك زاد ابو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن ابى اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم حسرا ليس

عليهم سلاح اوكثير سلاح فلقوا قومارماة لايكاديسقط لهم سهم جمع هوازن وبنى نصر فرشقوهم رشقا مايكادون يخطؤن فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقودبه فنزل ودعا واستنصر وقال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن ابى اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قومارماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأمارسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم مايعوقهم والحسرجمع حاسر وهو الذى لادرع عليه يقال اذارمى القوم باسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبى كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وايمن ابن ام ايمن قتل يوم حنين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت اناوابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لاتسرع وابوسفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عباس ناد اصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتى اين اصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها فقالوا يالبيك يالبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة فى الانصار يقولون يامعشر الانصار يامعشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بنى الحرث بن الخزرج فقالوا يابنى الحرث بن الخزرج يابنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمى الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى قال فوالله ماهو الا ان رماهم بحصياته فمازلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا قوله حمى الوطيس اى اشتد الحرب قال الخطابى هذه الكلمة لم تسمع قبل ان يقولها النبى صلى الله عليه وسلم من العرب وهى مما اقتضبه وانشأه والوطيس فى اللغة التنور وقوله حدهم كليلا يعنى لايقطع شيأ (م) عن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الاملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وروى ان رجلا من بنى نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال اين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا

نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروى ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا واصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوى ان الزهرى قال بلغنى ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان بن ابى طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما فى نفسى فالتفت الى وضرب فى صدرى وقال اعيذك بالله ياشيبة فارعدت فرائصى فنظرت اليه وهو احب الى من سمعى وبصرى فقلت اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اطلعك الله على ما فى نفسى فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف النصرى فأتى الطائف فتحصن بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير المسلمين قال الزهرى اخبرنى سعيد بن المسيب انهم اصابوا يومئذ ستة آلاف صبى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وتألف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين افاء الله على رسوله من اموال هوازن ما افاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فأرسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغنى عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذو ورأينا يارسول الله لم يقولوا شيأ واما اناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى اعطى رجالا حديثى عهد بكفر اتألفهم افلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يارسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدى اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد فى رواية قال انس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيأ فكأنهم وجدوا اذ لم يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم فقال يامعشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فالفكم الله بى وعالة فأغناكم الله بى كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله امن قال فما منعكم ان تجيبوا رسول الله كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله امن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا اترضون ان تذهب الناس بالشاة

وتذهبوا بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم مالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الى اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استأنيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يارسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين (اذ اعجبتكم كثرتكم) يعني حين قلتم لن نغلب اليوم من قلة (فلم تغن عنكم) يعني كثرتكم (شيأ) يعني ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) يعني بسعتها وفضائها (ثم وليتم مدبرين) يعني منهزمين (ثم انزل الله سكينته) يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا واذا امن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن * وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وانزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعني بالاسر والقتل وسبي العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعني في الدنيا ثم اذا افضوا الى الآخرة كان لهم عذاب اشد من ذلك العذاب واعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعني فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث اسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فمن عليهم واطلق سبيهم (والله غفور) لمن تاب (رحيم) بعباده *

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من اصناف الكفار وقيل بل اراد جميع اصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لانجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة ابدانهم وقيل هم انجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ وروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول اصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤن (فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام اراد به الحرم لانه اسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت ام هانئ قال العلماء وجملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلاثة اقسام * احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستأمنا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعى واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام فى الحرم فلا يأذن له فى دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم * القسم الثانى من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامى ونصفها حجازى وقيل كلها حجازى وقال ابن الكلبى حد الحجاز ما بين جبل طيئ وطريق العراق سمى حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشأم قال الحربى وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لايقيمون فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام (م) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الامسلما زاد فى رواية لغير مسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر فى خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايجتمع دينان فى جزيرة العرب اخرجه مالك فى الموطأ مرسلا (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادى الى اقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف العراق فى الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشأم عرضا * والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لايدخلون المساجد الا باذن مسلم * وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) يعنى العام الذى حج فيه ابو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وان لايحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) يعنى فقرا وفاقة وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وان خفتم عيلة (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال عكرمة فاغناهم الله بان انزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل

جدة وصنعاء وحرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها (ان شاء) قيل انما شرط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهال الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد امله من كل احد الامن الله عز وجل فانه هو القادر على كل شئ وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (ان الله عليم) يعنى بما يصلحكم (حكيم) يعنى انه تعالى لا يفعل شيأ الاعن حكمة وصواب فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب فقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزلت الآية حين امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه المؤمنين والمعنى قاتلوا ايها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد ان عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون اكثر الانبياء ليسوا بمؤمنين بالله واما ايمانهم باليوم الآخر فليس كايمان المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن * وقوله تعالى (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) يعنى ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا باحكام من قبل أنفسهما (ولا يدينون دين الحق) يعنى ولا يعتقدون صحة الاسلام الذى هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم (من الذين اوتوا الكتاب) يعنى اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) وهى ما يعطى المعاهد من اهل الكتاب على عهده وهى الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم (عن يد) يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيأ كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا الا نسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم اذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائمون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من احدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبي اذا أعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمتيه ويقال له أد حق الله يا عدو الله وقال الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم * (فصل في بيان احكام الاية) * اجمعت الامة على جواز

اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا فى اهل الكتاب العرب وفى غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعى الى ان الجزية على الاديان لا على الانسان فتؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة فاخذه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابوداود وقال الشافعى وهو رجل من العرب يقال انه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعى الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال ابوحنيفة تؤخذ من اهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركى العجم ولا تؤخذ من مشركى العرب وقال ابويوسف لا تؤخذ من العربى كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ماروى عن بجالة بن عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادرى كيف اصنع فى امرهم فقال عبدالرحمن بن عوف اشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب اخرجه مالك فى الموطا عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر اخرجه مالك فى الموطا وفى امتناع عمر من اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان راى الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا فى ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروى على بن ابى طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل فى دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ بمجى محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا فى امرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ اوقبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبنى تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم فى اهل الكتاب كأهل البدع فى المسلمين واما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ماروى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان يأخذ من كل حالم اى محتلم دينارا او عدله من المعافرية ثياب تكون باليمن اخرجه ابوداود فالنبى صلى الله عليه وسلم امره ان يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغنى والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول اصحاب الراى ويدل عليه ماروى

عن اسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك في الموطا قال اصحاب الشافعي اقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغني اربعة دنانير قال العلماء انما اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بأيديهم كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فأمهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من اخذ الجزية من اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه ※ قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الآية فاخبر عنهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقائهم على هذا الشر وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة عن اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بختنصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرا التوراة كان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله لهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعدما اماته الله مائة سنة قال فاتى ملك باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما

اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين

كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة فى قلب عزير الا انه ابنه فعند
ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان ذاشيا فى اليهود جميعا ثم انه انقطع
واندرس فاخبر الله تعالى به عنهم واظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عزوجل
اصدق واثبت من انكارهم واما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين
الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى
وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان فى اليهود رجل شجاع يقال بولص قتل جماعة من اصحاب
عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن
مغبونون اذ دخلنا النار ودخلوا الجنة فانى سأحتال واضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد
الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه اتى الى
النصارى فقالوا له من انت قال انا عدوكم بولص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تتنصر
وقد تبت واتيتكم فادخلوا الكنيسة ونصروه وادخلوه بيتا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل
ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال
اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور ان عيسى مريم والاله
ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال
فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له انت خالصتى وادع الناس لما علمتك وامره
ان يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد
منهم انى سأذبح نفسى تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اولئك الذين الثلاثة
فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد منهم
مقاله ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان
ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام فخر الدين الرازى بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب
عندى ان يقال لعله ذكر لفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل فى حق
ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم
وفشا هذا المذهب الفاسد فى اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بافواههم)
يعنى انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعانى لم يذكر الله قولا
مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهئون) قال ابن
عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين
كفروا من قبل) قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن
الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين
كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا
من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبى يريد ان من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى يقولون ماقاله اولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله
وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اى حق ان يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة
قولهم كما يقال ان فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله (انى يؤفكون) يعنى انى يصرفون

من المؤمنين فى الصدقات
والذين لايجدون الاجهدهم
فيسخرون منهم سخر الله منهم
ولهم عذاب اليم استغفر لهم
اولاتستغفر لهم ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم ذلك بانهم كفروا بالله
ورسوله والله لايهدى القوم
الفسقين فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله
وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم فى سبيل الله
وقالوا لاتنفروا فى الحر قل
نارجهنم اشد حرا لوكانوا
يفقهون فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما

من الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الاله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم فالله سبحانه وتعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل * قوله سبحانه وتعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى اربابا من دون الله يعنى انهم اطاعوهم فى معصية الله تعالى وذلك انهم احلوا لهم اشياء وحرموا عليهم اشياء من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدى بن حاتم قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال ياعدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ فى سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه واخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك

وهل بدل الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها

(والمسيح ابن مريم) يعنى اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوّة والحلول اعتقدوا فيه الالهية (وما امروا) يعنى وما امروا فى الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة انبيائهم (الا ليعبدوا الها واحدا) لانه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) اى تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك فى العبادة والاحكام وان يكون له شريك فى الالهية يستحق التعظيم والاجلال (يريدون) يعنى يريد رؤساء اليهود والنصارى (ان يطفؤا نور الله بأفواههم) يعنى يريد هؤلاء ابطال دين الله الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوّته صلى الله عليه وسلم وهى امور احدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التى ظهرت على يد النبى صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذى نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد دالة على صدقه وثالثها ان دينه الذى امر به وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبرى من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلائل واضحة فى صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) يعنى ويأبى الله الا ان يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون * قوله عز وجل (هو الذى ارسل رسوله) يعنى ان الله الذى يأبى الا ان يتم نوره هو الذى ارسل رسوله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) يعنى بالقرآن الذى انزله عليه وجعله هاديا اليه (ودين الحق) يعنى دين الاسلام (ليظهره) يعنى ليعليه (على الدين كله) يعنى على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاء ليظهره عائدة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شئ منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الله الا به وقال ابوهريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام

كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوّا انكم رضيتم بالقعود اوّل مرّة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فسقون ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كفرون واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول

فلا يبقى اهل دين الا دخلوا فى الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى هريرة فى حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ويهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام امابعز عزيز او بذل ذليل اما ان يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوى بغير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يارسول الله انى كنت اظن حين انزل الله تعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة تتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعى وقد اظهر الله دين رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بان ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال واظهره على الشرك دين اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفى قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا اموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل فى قوله تعالى (ليأكلون اموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشئ باسم ماهو اعظم مقاصده واختلفوا فى السبب الذى من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم فى تخفيف الشرائع والمسامحة فى الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا وهى المآكل التى كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته فى كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبى صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون فى تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعنى ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول فى دين الاسلام (والذين يكنزون الذهب والفضة) اصل الكنز فى اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا فى المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم اهل الكتاب قاله معاوية بن ابى سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدى نزلت فى مانعى الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان فى الحرص على اخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر

منهم وقالوا ذرنا نكن مع القعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهر خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين

وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابوذر نزلت في اهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف اهل الكتاب بالحرص على اخذ اموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من اهل الكتاب او من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بابي ذر فقلت ما انزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت انا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثر على الناس حتى كانهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذاك الذي انزلني هذا المنزل ولو امر على عبد حبشي لسمعت واطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجب فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وروى عن ابن عمر انه قال له اعرابي اخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له هذا كان قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهر اللاموال اخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ماهو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما اديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن ابي طالب قال اربعة آلاف فما فوقها كنز وما دونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شئ من المال اخرجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على اصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الا اخبرك بخير ما يكنز المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابوداود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول الاول وهو ماذكرنا عن ابن عمر ان كل مال اديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مالم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ماروى عن ابي هريرة

لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لايؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما ردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لايؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت لايفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وقيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لايؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لايفقد منها شيأ ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار اخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكي اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها لانها لم تؤلم بنطحها وكذا الجلحاء وهي الشاة التي لاقرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة اخبث الحيات والزبيبتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين ❊ وقوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله) يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهي اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها اغلب اموال الناس (فبشرهم بعذاب اليم) يعني الكافرين الذين لايؤدون زكاة اموالهم (ق) من ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت يارسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لايؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين ❊ وقوله تعالى (يوم يحمى عليها) يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (في نار جهنم فتكوى بها جباههم) يعني بالكنوز جباه كانزيها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لايوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكي من بين سائر الاعضاء لان الغني صاحب المال اذا اتاه

والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) لكرامة اهله (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم

السائل فطلب منه شيأ تبدر منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح وتجتمع اسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب والح فى السؤال ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل جهة آخرى وهى النهاية فى الرد والغاية فى المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانعى البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكى يوم القيامة * وقوله سبحانه وتعالى (هذا ما كنزتم لانفسكم) اى يقال لهم ذلك يوم القيامة (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى فذوقوا عذاب ما كنزتم فى الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا فى حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فارأيت احدا منهم رجع اليه شيأ قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت مارأيت هؤلاء الا كرهوا ماقلت لهم فقال ان هؤلاء لايعقلون شيأ هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخارى قلت من هذا قالوا ابوذر قال فقمت اليه فقلت ماشئ سمعتك تقول قبيل فقال ماقلت الاشيا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم * قوله عزوجل (ان عدة الشهور عند الله اثناعشر شهرا) هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجاذى الاولى وجاذى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتد بها المسلمون فى صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من اجل النسئ الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فاعلم الله عزوجل ان عدة شهور سنة المسلمين التى يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثناعشر شهرا (فى كتاب الله) يعنى فى اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع احوال الخلق ومايؤتون ومايذرون وقيل اراد بكتاب الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذى اوجبه وامر عباده بالاخذ به (يوم خلق السموات والارض) يعنى ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض ان السنة اثناعشر شهرا (منها) يعنى من الشهور (اربعة حرم) وهى رجب فردوذ والقعدة وذوالحجة والمحرم ثلاثة متوالية وانما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقى قاتل ابيه وابنه واخيه فى هذه الاربعة الاشهر لم يهجه ولما جاء الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تضاعف وكذلك السيآت ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعنى ذلك الحساب

دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون) اى الذين سبقوا الى الوحدة من اهل الصف الاول (من المهاجرين) الذين هاجروا مواطن النفس (والانصار) الذين نصروا القلب بالعلوم الحقيقية على النفس (الذين اتبعوهم) فى الاتصاف بصفات الحق (باحسان) اى بمشاهدة من مشاهدات الجمال

المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذي لايغير ولايبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لايزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم وغير ذلك من سائر احكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان اى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال فاى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الافلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الاليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه ثم قال الاهل بلغت الاهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد * وقوله تعالى (فلا تظلموا فيهن انفسكم) قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الاشهر اى لاتظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم منه فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لاتظلموا فيهن انفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لاتجعلوا حلالها حراما ولاحرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا * وقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) يعني قاتلوا المشركين بأجمعكم مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولاتخاذلوا ولا تدابروا ولاتفشلوا ولاتجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح مايحل للناس ان يغزوا في الحرم ولافي الاشهر الحرم وما نسخت الا

والجلال (رضي الله عنهم) لاشتراكهم في كشف الصفات والوصول الى مقام الرضا الذي هو باب الله الاعظم (ورضوا عنه واعدلهم جنات) من جنات الافعال والصفات (تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم) انهار علوم التوكل والرضا ومايناسبهما وذلك لاينافي وجود جنة اخرى للسابقين هي جنة الذات واختصاصهم بها لاشتراك الكل في هذه (وممن حولكم من الاعراب منافقون

(ان)

ان يقاتلوا فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على اعدائهم قوله سبحانه وتعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) النسيء في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال فنسؤا يعني اخروا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول وكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجة شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختلفوا في اول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن امية الكناني وقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال دقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا وكان بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادركه النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم * وفينا ناسيء الشهر القلمس * وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث ابي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فأوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم اضلوهم وحملوهم

ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم) الاعتراف بالذنب هو ابقاء نور الاستعداد وابن الشكيمة وعدم رسوخ ملكة الذنب فيه لانه ملك الرجوع والتوبة ودليل رؤية قبح الذنب التي لا تكون الا بنور البصيرة وانفتاح عين القلب اذ لو ارتكبت الظلمة ورسخت الرذيلة ما استقبحه ولم يره ذنبا بل رآه فعلا حسنا لمناسبته لحاله فاذا عرف انه ذنب ففيه خير (خلطوا عملا صالحا

عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا اويضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بأقوالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين فى تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) يعني يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا لايغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيرون فيه (ليواطئوا) يعنى ليوافقوا (عدة ماحرم الله) يعنى انهم ما احلوا شهرا من المحرم الا حرموا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة فى العدد لا فى الحكم كذلك قوله سبحانه وتعالى (فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء اعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل (والله لايهدى القوم الكافرين) يعنى انه سبحانه وتعالى لايرشد من هو كافر اثيم لما سبق له فى الازل انه من اهل النار ※ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض) نزلت هذه الآية فى الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف امر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت والم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورّى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين امرهم ليتأهبوا اهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم يعنى قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا فى سبيل الله اى اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم اى تثاقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعنى لزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله (ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة) يعنى ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة (فما متاع الحيوة الدنيا فى الآخرة الا قليل) يعنى ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفى الآية دليل على وجوب الجهاد فى كل حال وفى كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهى قوله تعالى (الا تنفروا) يعنى ان لم تنفروا ايها المؤمنون الى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه (يعذبكم عذابا اليما) يعنى فى الآخرة لان العذاب الاليم لايكون الا فى الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر فى الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من احياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) يعنى خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل

وآخر سيئا) اى كانوا فى رتبة النفس اللوامة التى لم يصر اتصالها بالقلب وتنورها بنوره ملكة ولم تتذلل بعد فى طاعتها للقلب فتارة يستولى عليها القلب فتتذلل وتنقاد وتتنور بنوره وتعمل اعمالا صالحة وتارة تظهر بصفاتها الحاجبة لنور القلب عنها وتحتجب بظلمتها فتفعل افعالا سيئة فان ترجحت الانوار القلبية والاعمال الصالحة وتعاقبت عليها الخواطر الملكية حتى صار اتصالها بالقلب وطاعتها

بنصره نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم على الله عزوجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم لئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لاتحصل الابهم وهو قوله تعالى (ولاتضروه شيأ) قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعنى ولاتضروا الله شيأ لانه غنى عن العالمين وانما تضرون انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ولاتضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ فان الله ناصره على اعدائه ولايخذله (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل شئ فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ ❊ قوله عزوجل (الا تنصروه فقد نصره الله) يعنى الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم ايها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عزوجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته اعانوه اولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو فى كثرة من العدد والعدد (اذ اخرجه الذين كفروا) يعنى انه تعالى نصره فى الوقت الذى اخرجه فيه كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله (ثانى اثنين) يعنى هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر (اذهما فى الغار) يعنى اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر فى الغار والغار نقب عظيم يكون فى الجبل وهذا الغار فى جبل ثور وهو قريب من مكة (اذ يقول لصاحبه لاتحزن) يعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق لاتحزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحزن (ان الله معنا) يعنى بالنصر والمعونة قال الشعبى عاتب الله عزوجل اهل الارض جميعا فى هذه الآية غير ابى بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان ابابكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفى سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولايكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر انت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (ق) عن ابى بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤسنا فقلت يارسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال ياابا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيى الدين النووى معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل فى قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبى صلى الله عليه وسلم حتى فى هذا المقام وفيه فضيلة لابى بكر وهى من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله ورياسته فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبى صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده ابوبكر فقال وددت ان عملى كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه وليلة وحدة من لياليه امالليلته فليلة

اياه ملكة صلح امرها ونجت وذلك معنى قوله (عسى الله ان يتوب عليهم) وان ارتكمت عليها الهيآت المظلمة المكتسبة من غلباتها وكثرة اقدامها على السيئات كان الامر بالعكس فزال استعدادها بالكلية وحق عذابها ابدا وترجح احد الجانبين على الآخر لايكون الا بالصحبة ومجالسة اصحاب كل واحد من الصنفين ومخالطة الاخيار والاشرار فان ادركه التوفيق ساقه القدر الى صحبة الصالحين ومتابعة اخلاقهم واعمالهم فيصير

سارمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهيا اليه قال والله لاتدخله حتى ادخل قبلك فان كان فيه شئ اصابني دونك فدخله فكنسه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره ونام فلدغ ابوبكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يااباابكر فقال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب مايجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لانؤدي الزكاة فقال لومنعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت ياخليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام انه قدانقطع الوحي وتم الدين ايقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يااباابكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فأمشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل يارسول الله فنزل وقال له ان اقتل فأنا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

(ذكر سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخاري)

عن عائشة قالت لم اعقل ابوي قط الاوهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الايأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا فلما ابتلي المسلمون خرج ابوبكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال اين تريد يااباابكر فقال ابوبكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يااباابكر لايخرج ولايخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانالك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم ان اباابكر لايخرج مثله ولايخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا اباابكر وقالوا لابن الدغنة مر اباابكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرا ماشاء ولايؤذينا بذلك ولايستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابوبكر كذلك يعبد ربه في داره ولايستعلن بصلاته ولايقرا في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرا القرآن فيتقذف عليه نساء المشركين وابناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابوبكر رجلا بكاء لايملك عينيه اذا قرا القرآن فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا اناكنا اجرنا اباابكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد

منهم وان لحقه الخذلان ساقه الى صحبة المفسدين واختلاطه بهم فيصير من الخاسرين اعاذنا الله من ذلك (ان الله غفور) يغفر لهم السيئات المظلمة ويسترها عنهم (رحيم) يرحمهم بالتوفيق للصالحات وقبول التوبة ولما وفقوا للقسم الاول ببركة صحبة الرسول وتزكيته اياهم وتربيته لهم قال (خذ من اموالهم صدقة) اذ المال هو سبب ظهور النفس وغلبة صفاتها ومددقواها ومادة هواها كما قال عليه الصلاة والسلام المال مادة

اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قدعلمت الذى عاهدتك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الى ذمتى فانى لااحب ان تسمع العرب انى اخفرت فى رجل عقدت له فقال ابوبكر فانى ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى رايت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابوبكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى ارجو ان يؤذن لى فقال ابوبكر وهل ترجو ذلك بأبى انت وامى قال نعم فحبس ابوبكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينا نحن جلوس يوما فى بيت ابى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال ابوبكر فداء له ابى وامى والله ماجاء به فى هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابى بكر اخرج من عندك فقال ابوبكر انما هم اهلك بأبى انت وامى يارسول الله قال فانى قد اذن لى فى الخروج قال ابوبكر الصحبة بأبى انت وامى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابوبكر فخذ بأبى انت وامى يارسول الله احدى راحلتى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت اسماء بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن ابى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابى بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالى الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر رجلا من بنى الديل وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلى فاخذ بهم طريق السواحل وفى رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرنى عبدالرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن اخى سراقة بن مالك بن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينا انا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة انى قد رايت آنفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتى ان تخرج بفرسى وهى من وراء اكمة فتحبسها على واخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجه الارض وخفضت عاليه

الشهوات فينبغى ان يكون اول حالهم التجرد عن الاموال لتنكسر قوى النفس وتضعف اهواؤها وصفاتها فتتزكى من الهيآت المظلمة التى فيها وتتطهر من خبث الذنوب ورجس دواعى الشيطان وذلك معنى قوله (تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم) بامداد الهمة وافاضة نور الصحبة عليهم (ان صلاتك سكن لهم) اى ان نورك الذى تفيض عليهم بالتفات خاطرك اليهم وقوة همتك وبركة صحبتك سبب نزول السكينة فيهم تسكن قلوبهم اليه وتطمئن والسكينة

حتى اتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت عنها فقمت
واهوت بيدى الى كنانتى فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم ام لافخرج الذى
اكره فركبت فرسى وعصيت الازلام تقرب بى حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
لايلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها
فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع فى السماء مثل الدخان فاستقسمت
بالازلام فخرج الذى اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين
لقيت مالقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا
فيك الدية واخبرتهم اخبار مايريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزانى ولم يسألانى
الا ان قال اخف عنا ما استطعت فسألته ان يكتب لى كتاب امن فأمر عامر بن فهيرة فكتب
فى رقعة من اديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبرنى عروة بن الزبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشأم
فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابابكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة
فانقلبوا يوما بعد ماطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على ظهر اطم
من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم
السراب فلم يملك اليهودى ان قال بأعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرونه قال
فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين
حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس
وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحيى ابابكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر
حتى ظل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذى اسس على التقوى
وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت
عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان
مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما
بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبله
منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه
ويقول هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا ابر ربنا واطهر
ويقول اللهم ان الاجر اجر الآخره فارحم الانصار والمهاجره فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم
يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت
شعر تام غير هذا البيت اخرجه البخارى بطوله * شرح غريب الفاظ الحديث قولها لم اعقل
ابوى الا وهما يدينان الدين يعنى انهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك

نور مستقر فى القلب يثبت
معه فى التوجه الى الحق
ويتقوى اليقين ويتخلص
عن الطيش بلمات الشيطان
ووساوسه واحاديث
النفس وهوا جسها لعدم
قبوله لها حينئذ (والله سميع)
يسمع تضرعهم واعترافهم
بذنوبهم (عليم) يعلم نياتهم
وعزائمهم ومافى ضمائرهم
من الندم والغم (الم يعلموا
ان الله هو يقبل التوبة عن
عباده ويأخذ الصدقات
وان الله هو التواب الرحيم
وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون

وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لايتعذر عليه كسب كل شئ حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشئ المعدوم المتعذر لمن لايقدر عليه فقيه وصفه بالاحسان والكرم والكل مايثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال واقراء الضيف ونوائب الحق ماينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده انا لك جار اي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي وقوله فينقذف النساء عليه يعني يزدحمن عليه والذمة العهد والامان واخفارها نقضها واللابة الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشئ على رسلك بكسر الراء اي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل اونحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من اعلاه الى اسفله لئلا يصل الى الارض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير اول الليل وبتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية واراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا في آل فلان اذا اخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعثان الغبار يقال مارزأت فلانا شيأ اي ما اصبت منه شيأ والمراد انهم لم يأخذوا منه شيأ وقوله اوفى اي اشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء اي هم ذوو ثياب بياض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة في الآخرة لاحمال خيبر يعني مايحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد افضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من التجمل والرواية الاولى اشهر واكثر والله اعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا في اسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل اتت يمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لودخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرني * ونحن في سدف في ظلمة الغار
لاتخش شيأ فان الله ثالثنا * وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قد كادت لكفار

وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لاتقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى) لما كان عالم الملك تحت قهر عالم الملكوت وتسخيره لزم ان يكون لنيات النفوس

والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فانزل الله سكينته عليه) يعني فانزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك * (فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدى ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) * منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن ابي بكر الصديق في سره واعلانه وانه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ابابكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب اهل الارض بقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان سيدنا ابابكر رضي الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان ابابكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله وكان ابو بكر اول من آمن ثم دعا ابو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يدى ابي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وابوبكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه ومنها انه ثانية في تربته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل ابي بكر الصديق ومنها ان الله سبحانه وتعالى نص على صحبة ابي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره منها وانزال السكينة على ابي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى (وايده بجنود لم تروها) يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته وقيل القى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملائكة يوم بدر فأخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) قال ابن عباس هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعد الله سبحانه وتعالى حقا وصدقا * قوله سبحانه وتعالى (انفروا خفافا وثقالا) يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن

(والضحاك)

وهيا تها تأثير فيما باشرها من الاعمال وكل مافعل بنية صادقة لله تعالى عن هيئة نورانية صحبته بركة ويمن وجمعية وصفا وكل مافعل بنية فاسدة شيطانية عن هيئة مظلمة صحبته تفرقة وكدورة ومحق وشؤم الاترى الكعبة كيف شرفت وعظمت وجعلت متبركة لكونها مبنية على يدى نبي من انبياء الله بنية صادقة ونفس شريفة صافية عن كمال اخلاص لله تعالى ونحن نشاهد اثر ذلك في اعمال الناس ونجد اثر الصفاء والجمعية في بعض

مجاهد وقتادة وعكرمة يعنى شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفى ركبانا ومشاة وقاله ابو صالح خفافا من المال يعنى فقراء وثقالا يعنى اغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذى لاضيعة له والثقيل الذى له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا اهل اليسرة من المال وثقالا اهل العسرة وقيل خفافا يعنى من السلاح مقلين منه وثقالا يعنى مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعنى مسرعين فى الخروج الى الغز وساعة سماع النفير وثقالا يعنى بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعنى على اى حال كنتم فيهما فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدى نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصارى شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له فى ذلك فقال سمعت الله عزوجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا اجدنى الا خفيفا اوثقيلا وقال الزهرى خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد اوحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم انت معذور عندالله فرفع حاجبيه وقال ياابن اخى استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول انها منسوخة وان الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت فى غزوة تبوك وان النبى صلى الله عليه وسلم خلف فى المدينة فى تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله اعلم ※ وقوله سبحانه وتعالى ﴿وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله﴾ فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثانى ان من كان له مال وهو مريض اومقعد اوضعيف لايصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ﴿ذلكم﴾ يعنى ذلكم الجهاد ﴿خير لكم﴾ يعنى من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ يعنى ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قوله عزوجل ﴿لو كان عرضا قريبا﴾ فيه اضمار تقديره لوكان ماتدعوهم اليه عرضا يعنى غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ماعرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ﴿وسفرا قاصدا﴾ يعنى سهلا قريبا ﴿لاتبعوك﴾ يعنى لخرجوا معك ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾

الموضع والبقاع والكدورة والتفرقة فى بعضها وماهو الا ذلك فلهذا قال لمسجد اسس على التقوى ﴿من اول يوم احق ان تقوم فيه﴾ لان الهيآت الجسمانية مؤثرة فى النفوس كان الهيآت النفسانية مؤثرة فى الاجسام فاذا كان موضع القيام مبنيا على التقوى وصفاء النفس تارت النفس باجتماع الهم وصفاء الوقت وطيب الحال وذوق الوجدان واذا كان مبنيا على الرياء والضرار تأثرت بالكدورة والتفرقة والقبض ﴿فيه رجال يحبون ان يتطهروا﴾ اى اهل ارادة وسعى فى التطهر

اى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الآية لوكان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا فى تلك المنافع التى تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبى عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو قوله تعالى (وسيحلفون بالله) يعنى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة (لو استطعنا لخرجنا معكم) يعنى الى هذه الغزوة (يهلكون انفسهم) يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها (والله يعلم انهم لكاذبون) يعنى فى ايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج * قوله عز وجل (عفا الله عنك لم اذنت لهم) قال الطبرى هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اى فى اذنه لمن اذن له فى التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين استأذنوك فى ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودى اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب

* (فصل) * استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين احدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار * والجواب عن الاول انا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة فى التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت فى امرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ فى ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم يخاطب المتوكل

عفا الله عنك الا حرمة * تعود بفضلك ان ابعدا * الم تر عبدا عدا طوره
ومولى عفا ورشيدا هدى * اقلنى اقالك من لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردى

والجواب عن الثانى انه لايجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب فى هذه الواقعة اولا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لايليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض فى كتابه الشفاء فى الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم انه امر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فى امرين قالوا وقد كان له ان يفعل مايشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لاحرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله

من الذنوب نبه على ان صحبة الصالحين من اهل الارادة لها اثر عظيم يجب ان تختار وتؤثر على غيرها كما ان المقام له اثر يجب ان يراعى ويتعاهد ولهذا ورد فى اصطلاح القوم يجب مراعاة الزمان والمكان والاخوان فى حصول الجمعية وجعلوها شرطالها وفيه اشعار بان زكاء نفس البانى وصدق نيته مؤثر فى البناء وان تبرك المكان وكونه مبنيا على الخير يقتضى ان يكون فيه اهل

وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو لايكون الاعن ذنب من لايعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنب قال الداودى انها تكرمة وقال مكى هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت لهم يعنى فى التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لاسيما وهذه كانت من جنس مايتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يتبين لك الذين صدقوا) يعنى فى اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة * قوله سبحانه وتعالى (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهد واموالهم وانفسهم) اى فى ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره (والله عليم بالمتقين) يعنى الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يامحمد من غير عذر (الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون لقوله (وارتابت قلوبهم) يعنى شكت قلوبهم فى الايمان وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا (فهم فى ريبهم يترددون) يعنى ان المنافقين متحيرون لامع الكفار ولامع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقيل انها منسوخة بالآية التى فى سورة النور وهى قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن فى التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا فى الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستأذنون فى التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو ارادوا الخروج) يعنى الى الغزو معكم (لاعدوا له عدة) لتهوؤا له باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) يعنى خروجهم الى الغزو معكم (فثبطهم) يعنى منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبى صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبى صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم فى اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا بقى فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التأمل والتدبر فى حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه فى امرهم بالقعود (وقيل اقعدوا مع القاعدين) معناه انهم لما استأذنوه فى القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا فى القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما

الخير والصلاح ممن يناسب حاله حال بانيه وان محبة الله واجبة لاهل الارادة والطهارة لقوله (والله يحب المطهرين) كيف لولا محبة الله اياهم لما أحبوا التطهر (افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الاان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا

قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه فى القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان القى فى قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ❊ ثم بين سبحانه وتعالى مافى خروجهم من المفاسد فقال تعالى (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) يعنى لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو مازادوكم الا فسادا وشرا واصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر فى العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم مازادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولاوضعوا خلالكم) يعنى ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعنى يطلبون لكم ماتفتنون به وذلك انهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التى تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد يعنى وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم ومايسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك انهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قلت كيف يجوز ان يكون فى المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض المؤمنين لهم اقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك القول فى قلوب ضعفة المؤمنين فى بعض الاحوال (والله عليم بالظالمين) وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين ❊ وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعنى لقد طلبوا صد اصحابك يامحمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبدالله بن ابى بن سلول يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم (وقلبوا لك الامور) يعنى واجالوا فيك وفى امرك وفى ابطال دينك الراى وبالغوا فى تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت امرك (حتى جاء الحق) يعنى النصر والظفر (وظهر امر الله وهم كارهون) يعنى ذلك ❊ قوله عز وجل (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) نزلت فى الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس ياابا وهب هل لك فى جلاد بنى الاصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال الجد يارسول الله لقد عرف قومى انى رجل مغرم بحب النساء وانى اخشى ان رايت بنات بنى الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بهن واعينك بمالى قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعنى ومن المنافقين من يقول ائذن لى يعنى فى التخلف والقعود فى المدينة ولا تفتنى يعنى ببنات بنى الاصفر وهم الروم (الا فى الفتنة سقطوا) يعنى انهم وقعوا فى الفتنة العظيمة وهى النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يعنى يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها ❊ قوله سبحانه وتعالى (ان تصبك حسنة تسؤهم) يعنى ان تصبك يامحمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصبك مصيبة) يعنى من هزيمة او شدة (يقولوا) يعنى المنافقين (قد اخذنا امرنا) يعنى اخذنا امرنا بالجد والحزم فى القعود عن الغزو (من قبل) يعنى من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعنى مسرورين

عليه حقا فى التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) لما هداهم الى الايمان العلمى وهم مفتونون بمحبة الأموال والانفس استنزلهم لفرط عنايته بهم عن مقام

لمانالك من المصيبة وسلامتهم منها (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا اراده لم يقدر له (هو مولانا) يعني الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في جميع امورهم (قل هل تربصون بنا) يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا ايها المنافقون (الا احدى الحسنيين) يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الآخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ماروى عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه في الصحيحين ❊ وقوله سبحانه وتعالى (ونحن نتربص بكم) يعني ونحن ننتظر بكم احدى السوأيين (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) يعني فيهلككم كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية (او بايدينا) يعني او يصيبكم بايدي المؤمنين بان يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم (فتربصوا انا معكم متربصون) قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه (قل انفقوا طوعا او كرها) نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل الله عز وجل ردا عليه قل اي قل يا محمد لهذا المنافق وامثاله في النفاق انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طائعين من قبل انفسكم او مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق (لن يتقبل منكم) لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه ❊ ثم علل بسبب منع القبول بقوله (انكم) اي لانكم (كنتم قوما فاسقين) والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) اي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله (ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما (فلا تعجبك) يا محمد (اموالهم ولا اولادهم) هذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم والاعجاب السرور بالشئ مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشئ ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان ان لا يعجب بشئ من امور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثر ماله وولده فيكثر اعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا

قال سبحانه وتعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا) فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو مايحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لاحاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل احد من بني آدم مؤمنهم وكافرهم فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه لايعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فبقي مايحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم بهما في الدنيا اخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظ والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لايحمده ثم يقدم في الآخرة على ملك لايعذره (وتزهق انفسهم) يعني وتخرج انفسهم (وهم كافرون) والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة * قوله عز وجل (ويحلفون بالله) يعني المنافقين (انهم لمنكم) يعني على دينكم وملتكم (وما هم منكم) يعني انهم كاذبون في ايمانهم (ولكنهم قوم يفرقون) يعني انهم يخافون ان تظهروا على ماهم عليه من النفاق (لو يجدون ملجأ) يعني حرزا وحصنا ومعقلا يلجؤن اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما يأمنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم (او مغارات) يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه الانسان اي يستتر (او مدخلا) يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولوا اليه) والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة او على احد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا اليه اي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه (وهم يجمحون) يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا ان يهربوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم * قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج (ق) عن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم فيأتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يارسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا

يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد فى رواية يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفى رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبى قال رجل من المنافقين يقال له ابوالجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة قال يامحمد والله لئن كان الله امرك ان تعدل فاعدلت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله مايعطيها محمد الامن احب ولايؤثر بها الامن يهواه فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات يعنى ومن المنافقين من يعيبك فى قسم الصدقات وفى تفريقها ويطعن عليك فى امرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد اى عابه (فان اعطوا منها) يعنى من الصدقات (رضوا) يعنى رضوا عنك فى قسمتها (وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) يعنى وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا (ولوانهم رضوا) يعنى ولوان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) اى كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعنى مانحتاج اليه (انا الى الله راغبون) يعنى فى ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم * قوله عزوجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه فى قسم الصدقات بين الله عزوجل فى هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولاتعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشئ ولم يأخذ لنفسه منها شيأ فلم يلمزونه ويعيبون عليه فلامطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد بن الحرث الصدائى قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطنى من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبى ولاغيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابوداود

* (فصل فى بيان حكم هذه الآية فيه مسائل) * المسئلة الاولى فى بيان وجه الحكمة فى ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا استغرق القلب فى حب المال اشتغل به عن حب الله عزوجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله عزوجل فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة فى ذلك المال الذى هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عزوجل باخراج الزكاة منه الوجه الثانى ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذى هو سبب لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال مشق على النفس فأوجب الله عزوجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة اصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصى المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء

عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزانة الذين هم اغنياء بدفعه من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امر له به احد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنياء فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية * (المسئلة الثانية) * الآية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات الا هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية * (المسئلة الثالثة) * في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من انقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان اوغير زمن والمسكين من له مال اوحرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته سائلا كان اوغير سائل فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الرأي الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

لما رأى لبد النسور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين اسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا من الفقير ولان الله سبحانه وتعالى قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اسوأ حالا من المسكين وحجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوأ حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له

واحتج ايضا بقول الراعي اما الفقير الذي كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك له سبد
واحتج ايضـا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين الذي لاشيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لاشيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لاملك له وقيل ان كل محتاج الى شيء فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى انتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله اومسكينا ذا متربة فهو حجة لمذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لابهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فائدة والجواب من جعل الكفارات للمسكين انه هو الفقير الذي اصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده وكل فقير افرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه النسائي وابو داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولاحظ فيها الغني ولا لقوي مكتسب اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولاحظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب الرأي حده ان يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لاتحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خموش اوخدوش اوكدوح قيل يارسول الله ومايغنيه قال خمسون درهما اوقيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحق وقالوا لايجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل اربعين درهما لما روى عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية في ذلك الزمان اربعين درهما * الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر اجور اعمالهم سواء كانوا فقراء واغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لايجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روى عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد ابو رافع ان يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحل

محبة الاموال والانفس بالتجارة المربحة والمعاملة المرغوبة بان جعل جنة النفس ثمن اموالهم وانفسهم ليكون الثمن من جنس المثمن الذي هو مالوفهم لكنه الذواشهى وارغب وابقى فرغبوا فيما عنده وصدقوا القوة اليقين وعده ثم لما ذاقوا بالتجرد عنها لذة الترك وحلاوة نور اليقين رجعوا عن مقام لذة النفس وتابوا عن هواها ومشتهياتها فلم يبق عندهم لجنة النفس قدر فوصفهم بالتائبين بالحقيقة الراجعين من طلب ملاذ النفس وتوقع الاجر اليه العابدين الذين اذا رجعوا من محبة النفس والمال

لنا الصدقة وان مولى القوم منهم اخرجه الترمذي والنسائي * الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما اعطى عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي امثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفئ من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كثيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازائهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدي بن حاتم جاء ابابكر بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فأعطاه ابوبكر منها ثلاثين بعيرا واما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يرجوا اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغناه عن ان يتألف عليه احد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم وراوا ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك * الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ماروى عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول ابي حنيفة واصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه سبحانه وتعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس

وطلب الاجر والثواب عبدوا الله حق عبادته لا لرغبة ولا لرهبة بل تشبها بملكوته في القيام بحقه تعالى بالخضوع والخشوع والتذلل ولعظمته كبريائه تعظيما واجلالا ثم حمدوا الله حق حمده باظهار الكمالات العملية الخلقية والعملية المكنونة في استعداداتهم بالقوة حمدا فعليا حاليا ثم ساحوا اليه بالهجرة من مقام الفطرة ورؤية الكمالات الثابتة وتألفهم

وفي الرقاب فلابد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولايدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه مايحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه * الصنف السادس ❊ قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) اصل الغرم في اللغة لزوم مايشق على النفس وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المدينون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال يفي بديونهم فان كان عندهم وفاء فلايعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات مايقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لماروى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتحل الصدقة لغني الالخمسة لغاز في سبيل الله اولعامل عليها اولغارم اولرجل اشتراها بماله اولرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني اخرجه ابوداود مرسلا لان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه امامن كان دينه في معصية فلايعطى من الصدقات شيأ * الصنف السابع ❊ قوله تعالى (وفي سبيل الله) يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو مايستعينون به على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وابي سعيد الخدري ولايعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج روى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلايجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلايختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه * الصنف الثامن ❊ قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

انا ابن الحرب ربتني وليدا * الى ان شبت واكتهلت لداتي

فكل مريد سفرا مباحا ولم يكن له مايقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات مايكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده اولم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع ❊ وقوله تعالى (فريضة من الله) يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه فريضة (والله عليم) يعني بمصالح عباده (حكيم) يعني فيما فرض لهم لايدخل في تدبيره وحكمه نقض ولاخلل * (المسئلة الرابعة) * في احكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها

واعتدادهم وابتهاجهم بها في مفاوز الصفات منازل السبحات ثم ركعوا في مقام محو الصفات ثم سجدوا بفناء الذات ثم قاموا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على حدود الله في مقام البقاء بعد الفناء (وبشر المؤمنين) بالايمان الحقيقي المقيمين في مقام الاستقامة (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لابيه الاعن

وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهامهم ثمانية اقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى اقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو فاوت بين اولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شئ رده الى الباقين وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد هذه الاصناف او الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري واصحاب الراي واحمد بن حنبل قال احمد بن حنبل يجوز ان يضعها في صنف واحد وتفريقها اولى وقال ابرهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك نتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة فان راى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في صنف آخر في عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيأ من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل ادنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيأ وان كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال احمد بن حنبل لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة اكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان اعطيته اجزأ فان اعطى من ظنه فقيرا فبان انه غني فهل يجزئ فيه قولان ولا يجوز ان يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطى والدا وان علا ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شئ لقوله صلى الله عليه وسلم انا آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال ابو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شئ واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه اكثر اهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر واداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله اعلم ※ قوله سبحانه وتعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون مالا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس ابن سويد وهو من المنافقين بل نقول

موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم) اى لما اطلعوا على سر القدر ووقفوا على ماقضى الله وقدر وعلموا بما ينتهي اليه عواقب الامور لم يكن لهم ان يطلبوا خلاف ذلك ورضوا بما دبر الله من امره وان كان في طبيعتهم ما يقتضي خلافه لانهم قد انسلخوا عن مقتضيات طباعهم فان اقتضت القرابة الطبيعية واللحمة الصورية فرط شفقة ورقة على بعض من يناسبهم ويواصلهم فيها وشاهدوا حكم الله عليه

ماشئنا ثم ناتيه وننكر ماقلنا ونحلف فيصدقنا بمانقول فانما محمد اذن اى يسمع كل مايقال له ويقبله وقيل معنى هو اذن اى ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت فى رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان ازنم ثائر الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبى صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شيأ صدقه فنقول ماشئنا ثم ناتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل مايسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل اذن خير لكم) يعنى هب انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ اذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يعنى انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى انؤمن لك وقوله آمنتم له (ورحمة) اى هو رحمة (للذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل فى كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجرى احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا يهتك اسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة ❊ قوله عز وجل (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان مايقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره فدعاهم فسألهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبى نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم ايها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعنى فيما بلغكم عنهم من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله احق ان يرضوه) اختلفوا فى معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عائد على الله تعالى لان فى رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله احق ان يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر وقيل معناه والله احق ان يرضوه وكذلك رسوله (ان كانوا مؤمنين) يعنى ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده فى الآخرة ❊ قوله سبحانه وتعالى (الم يعلموا) قال اهل المعانى الم تعلم خطاب لمن علم شيأ ثم نسيه او انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المؤمنين

بالقهر والتعذيب حملتهم الحمية الدينية على الصبر ان لم يكن لهم مقام الرضا بل غلبتهم المباعدة الدينية على القرابة الطبيعية فتبرؤا منه ولم يقترحوا على الله خلاف وامره ولهذا قيل لا تؤثر همة العارف بعد كمال عرفانه اى اذا تيقن وقوع كل شئ بقدره وامتناع وقوع خلاف ماقدر الله فى الازل علم ان ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولا تؤثر همته ولا غيرها فى شئ فلا يسلط همته على امر بخلاف المحبوب الذى ينسب التأثير الى غير الله

والمنافقين وعلمهم من احكام الدين مايحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله الم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (انه من يحادد الله ورسوله) يعني انه من يخالف الله ورسوله واصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله ورسوله اي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فان له نار جهنم) اي فحق ان له نار جهنم (خالدا فيها) يعني على الدوام (ذلك الخزي العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة * قوله عز وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (ان تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبئهم) يعني تخبر المؤمنين (بما في قلوبهم) يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثرت عن اخبارهم واثارتها واسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) امر تهديد فهو كقوله اعملوا ماشئتم (ان الله مخرج) اي مظهر (ماتحذرون) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا له وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر بأصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمار ارأيت قتالكم ارأيا رأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب ام عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماعهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في امتي قال شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امتي اثني عشر منافقا لايدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة جراح من النار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم * قوله سبحانه وتعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ماقال زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك مالقرائنا اورغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء قال عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه

ولا يعلم سر القدر (وما كان الله ليضل قوما) ليضلهم عن طريق التسليم والانقياد لامره والرضا بحكمه (بعد اذهداهم) الى التوحيد العلمي ورؤية وقوع كل شئ بقضائه وقدره (حتى يبين لهم مايتقون) كل مايجب عليهم اتقاؤه في كل مقام من مقامات سلوكهم ومرتبة من مراتب وصولهم فان اقدموا في بعض مقاماتهم على ماتبين لهم وجوب اتقائه فهو يضلهم لكونهم مقدمين على ماهو ذنب حالهم وهو فسق في دينهم

(وسلم)

وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده قال محمد بن اسحق قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت اخو امية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشأم وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه انزل في اصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق باللعب والحديث واصل الخوض الدخول في مائع كالماء والطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلويث واذى (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده واحكامه والمراد بآياته كتابه وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء ❊ قوله عز وجل (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) يعني قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو أثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (ان نعف عن طائفة منكم تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشن بن حمير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم انى لا ازال اسمع آية تقرأ اعني بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه ❊ قوله سبحانه وتعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) يعني انهم على امر واحد ودين

والعياذ بالله من الضلال بعد الهدى (ان الله بكل شئ عليم) يعلم دقائق ذنوب احوالهم وان لم يتفطن لها احد فيؤخذ بها اهل الهداية من اوليائه كما ورد في الحديث الرباني واندر الصديقين باني غيور (ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم

واحد يجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اى امرنا واحد لا مباينة فيه (يأمرون بالمنكر) يعني يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف) يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون ايديهم) يعني عن الانفاق في سبيل الله تعالى وفي كل خير (نسوا الله فنسيهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا دما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا فان النسيان في حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صاروا بمنزلة الناسين لجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيأ لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى (ان المنافقين هم الفاسقون) يعني هم الخارجون عن الطاعة (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر (نار جهنم خالدين فيها) فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي كافيهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (ولعنهم الله) يعني وابعدهم من رحمته وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقيم) اى دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه قلت ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلى بالنار ولقائل ان يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار واجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمتنع ان يحصل النوع الآخر من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم ❊ قوله سبحانه وتعالى (كالذين من قبلكم) هذا رجوع من الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كافعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا اشد من هؤلاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال تعالى (كانوا اشد منكم قوة) يعني بطشا ومنعة (واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم) يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق الله للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلاقكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم ايها المنافقون والكافرون بخلاقكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) فان قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق الاولين ثالثا قلت فائدته انه يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين

(والكفار)

الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) في جميع الرذائل بالاجتناب عنها خاصة رذيلة الكذب وذلك معنى قوله (وكونوا مع الصادقين) فان الكذب اسوأ الرذائل واقبحها لكونه ينافي المروأة لقوله لا مروأة لكذوب اذ المراد من الكلام الذى يتميز به الانسان عن سائر الحيوان اخبار الغير

والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريدان تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له انت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا للتأكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم فى فعلهم ※ وقوله تعالى (وخضتم كالذى خاضوا) معطوف على ماقبله ومستند اليه يعنى وسلكتم فى فعلكم مثل ماسلكوا فى اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين (اولئك حبطت اعمالهم) يعنى بطلت اعمالهم (فى الدنيا والآخرة) يعنى ان اعمالهم لاتنفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة بل يعاقبون عليها (واولئك هم الخاسرون) والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن ※ وقوله تعالى (الم يأتهم) رجع من الخطاب الى الغيبة يعنى الم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير اى قداتاهم (نبأ) يعنى خبر (الذين من قبلهم) يعنى الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم نوح) يعنى انهم اهلكوا بالطوفان (وعاد) اهلكوا بالريح العقيم (وثمود) اهلكوا بالرجفة (وقوم ابرهيم) اهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة (واصحاب مدين) وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) يعنى المنقلبات التى جعل الله عاليها سافلها وهى مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم بالشأم والعراق واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم (اتتهم رسلهم بالبينات) يعنى بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرنا كما فعلتم ايها المنافقون والكفار فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم (فما كان الله ليظلمهم) يعنى بتعجيل العقوبة لهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى ان الذى استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم ※ قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعد ما اعد لهم من انواع الوعيد فى الدنيا والآخرة عقبه بذكر اوصاف المؤمنين واعمالهم الحسنة وما اعد لهم من انواع الكرامات والخيرات فى الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يعنى الموالاة فى الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فان قلت انه سبحانه وتعالى قال فى وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال فى وصف المؤمنين بعضهم اولياء بعض فما الفائدة فى ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة * وقوله سبحانه وتعالى (يأمرون بالمعروف) يعنى بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كل ما عرف فى الشرع من خير وبر وطاعة (وينهون عن المنكر) يعنى من الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره

عما لا يعلم فاذا كان الخبر غير مطابق لم تحصل فائدة النطق وتحصل منه اعتقاد غير مطابق وذلك من خواص الشيطنة فالكاذب شيطان وكما ان الكذب اقبح الرذائل فالصدق احسن الفضائل واصل كل حسنة ومادة كل خصلة محمودة وملاك كل خير وسعادة به تحصل كل كمال وتحصل كل حال واصله الصدق فى عهد الله تعالى الذى هو نتيجة الوفاء بميثاق الفطرة او نفسه كما قال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فى عقد العزيمة ووعد الخليقة كما قال فى اسمعيل انه كان صادق الوعد واذا روعى فى المواطن كلها حتى الخاطر والفكر والنية والقول

الشرع وينفر منه الطبع وهذا فى مقابلة ماوصف به المنافقون وضده (ويقيمون الصلوة) يعنى الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها (ويؤتون الزكاة) يعنى الواجبة عليهم وهو فى مقابلة ويقبضون ايديهم (ويطيعون الله ورسوله) يعنى فيما يأمرهم به وهو فى مقابلة نسوا الله فنسيهم (اولئك) يعنى المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سيرحمهم الله) لما ذكر الله ماوعدبه المنافقين من العذاب فى نار جهنم ذكر ماوعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وماعد لهم فى الجنان والسين فى قوله سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد (ان الله عزيز حكيم) وهذا يوجب المبالغه فى الترهيب لان العزيز هو الذى لايمتنع عليه شئ اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد وايصال العقوبة لمن اراد والحكيم هو الذى يدبر عباده على مايقتضيه العدل والانصاف (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) لما ذكر الله فى الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وماعدلهم فى نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى فى هذه الآية ماوعدبه المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التى تجرى من تحتها الانهار البساتين التى يتحير فى حسنها الناظر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة فى جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن ومناظرهم الجنات التى هى البساتين فتكون جنات عدن هى المساكن التى يسكنونها والجنات الآخر هى البساتين التى يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعنى ومنازل يسكنونها طيبة (فى جنات عدن) يعنى فى بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روى الطبرى بسنده عن عمران بن حصين وابى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفى رواية فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة مايأتى على ذلك كله اجمع وروى بسنده عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولايسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عزوجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبرى فان صحت هذه الرواية فلابد من تأويلها فقوله عدن داره يعنى دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار اصفياء الله التى اعدها لاوليائه واهل طاعته والمقربين من عباده عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن اخرجه البخارى ومسلم وقال عبدالله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعنى وسطها وقال عبدالله بن عمرو بن العاص ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لايدخله الانبى اوصديق اوشهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر فى الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبى عدن اعلى درجة فى الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهى مغطاة من حين خلقها الله

والعمل صدقت المنامات والواردات والاحوال والمقامات والمواهب والمشاهدات كانه اصل شجرة الكمال وبذر ثمرة الاحوال (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولامخمصة فى سبيل الله ولايطؤن موطئا يغيظ الكفار ولاينالون من

حتى ينزلها اهلها وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال الامام فخر الدين الرازى حاصل هذا الكلام ان فى جنات عدن قولين احدهما انه اسم علم لموضع معين فى الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده والقول الثانى انه صفة للجنة قال الازهرى العدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن * وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله اكبر) يعنى ان رضوان الله الذى ينزله عليهما اكبر من كل ماسلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) اشارة الى ماتقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يااهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى ياربنا وقد اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط بعده عليكم ابدا * قوله سبحانه وتعالى (ياايها النبى جاهد الكفار) يعنى بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعنى وجاهد المنافقين واختلفوا فى صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس امر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعنى اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبرى واولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس فى الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلابد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبالانتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود (واغلظ عليهم) يعنى شدد عليهم بالجهاد والارهاب (ومأواهم جهنم وبئس المصير) يعنى ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك النبى صلى الله عليه وسلم المنافقين بين اظهر اصحابه مع علمه بهم وبحالهم قلت انما امر الله عزوجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقتال من اظهر كلمة الكفر واقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر فى السر فاذا اطلع عليه انكره ورجع عنه وقال انى مسلم فانه يحكم باسلامه فى الظاهر فى حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك فى الباطن لان الله سبحانه وتعالى امر باجراء الاحكام على الظواهر فلذلك اجرى النبى صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم فى الآخرة بما يستحقون * قوله عزوجل (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم)

عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لايضيع اجر المحسنين ولاينفقون نفقة صغيرة ولاكبيرة ولايقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ماكانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) اى يجب على مستعد من جماعة سلوك طريق طلب العلم اذ لايمكن لجميعهم اما ظاهرا فلفوات المصالح واما باطنا فلعدم الاستعداد والتفقه فى الدين هو من علوم القلب لامن علوم الكسب اذ ليس كل من يكتسب العلم يتفقه كما قال وجعلنا على قلوبهم اكنة

اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ماجاء به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التي نحن عليهما فقال مصعب اما والله ياعدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بماقلت وخفت ان ينزل في القرآن اوان تصيبني قارعة وان اخلط بخطيئة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اقبلت انا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخالط بخطيئته اوتصيبني قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له ياجلاس اقلت ماقال مصعب فحلف ماقال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ماقالوا الآية وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ماقالوا ومافعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ماقالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر الآية وقال قتادة ذكرلنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبدالله بن ابي ابن سلول الاوس انصروا اخاكم فوالله مامثلنا ومثل محمد الاكما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ماقاله فانزل الله هذه الآية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بماقال الجلاس فقال الجلاس كذب يارسول الله على فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لااله الاهو ماقاله ولقد كذب على عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لااله الاهو لقد قاله وماكذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يارسول الله اسمع الله قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل هي كلمة عبدالله بن ابي ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستأتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه وقيل هم عبدالله بن ابي ابن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر

ان يفقهوه والاكنة هي الغشاوات الطبيعية والحجب النفسانية فمن اراد التفقه فلينفر في سبيل الله وليسلك طريق التزكية والتصفية حتى يظهر العلم من قلبه على لسانه كما نزل على بعض انبياء بني اسرائيل يابني اسرائيل لاتقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحر من يعبر ويأتي به العلم مجبول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا

رجلا من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال السدى قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبدالله بن ابى سلول تاجا فلم يصلوا اليه (وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) يعنى وما انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبى صلى الله عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيأ ولا يتعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

مانقم الناس من امية* الا انهم يحلمون ان غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وانما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيأ فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

اى ليس فيهم عيب قال الكلبى كانوا قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبى صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبدالله بن ابى دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى لبنى عدى قتل رجلا من الانصار فقضى له النبى صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا يك خيرا لهم) يعنى فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم فى العاجل والآجل (وان يتولوا) يعنى وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا) يعنى بالخزى والاذلال (والآخرة) اى ويعذبهم فى الآخرة بالنار (وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير) يعنى وليس لهم احد يمنعهم من عذاب الله او ينصرهم فى الدنيا والآخرة * قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية روى البغوى بسند الثعلبى عن ابى امامة الباهلى قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امالك فى رسول الله اسوة حسنة والذى نفسى بيده لو اردت ان تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها وهى تنمى كما تنمى الدود فكان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى فى غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج فتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مافعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها

باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغمركم ويغطيكم فالمراد من التفقه علم راسخ فى القلب ضارب بعروقه فى النفس ظاهر اثره على الجوارح بحيث لا يمكن صاحبه ارتكاب ما يخالف ذلك العلم والا لم يكن عالما الا ترى كيف سلب الله الفقه عمن لم تكن رهبة الله اغلب عليه من رهبة الناس بقوله لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لكون رهبة الله لازمة للعلم كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء وسلب العلم عن لم يعمل به فى قوله هل يستوى الذين يعلمون

واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذ ان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الاجزية ماهذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رايا هاقا لا ماهذه عليك قال خذاها فان نفسى بذلك طيبة فرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال اورونى كتابكما فقراه ثم قال ماهذه الاجزية ماهذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رايى قال فاقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يتكلما ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ثم دعا للسلمى بخير فاخبراه بالذى صنع ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو على راسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فلما ابى ان يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابابكر فقال اقبل صدقتى فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها منه فلما ولى عمر اتاه فقال اقبل صدقتى فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر فانا لا اقبلها منك فلم يقبلها ثم ولى عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك فى خلافة عثمان واخرجه الطبرى ايضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هى جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتانى الله من فضله آتيت منه كل ذى حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت فى ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بنى عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السائب ان حاطب بن ابى بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتانى الله من فضله يعنى ذلك المال لاصدقن منه ولاصلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيه افعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ماسأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بأن يوسع علينا فى الرزق لنصدقن يعنى لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقته (ولنكونن من الصالين) يعنى ولنعملن فى ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح باموالهم

والذين لا يعلمون واذا تفقهوا وظهر علمهم على جوارحهم اثر فى غيرهم وتأثروا منه لارتوائهم به وترشحهم منه كما كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزم الانذار الذى هو غايته كما قال (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ومن لازم التفقه الجهاد الاكبر ثم الاصغر فلذلك

(من)

الصالحين

من صلة الارحام والانفاق فى سبيل الله وجميع وجوه البر واخراج الزكاة وايصالها الى اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذى يبخل بما يلزمه فى حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل مايفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) يعنى فلما رزقهم الله لم يفعلوا من اعمال البر شيأ (وتولوا) يعنى عما عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعنى عن العهد (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم) يعنى فأعقبهم الله نفاقا بأن صيرهم منافقين يقال اعقبت فلانا ندامة اذ صارت عاقبة امره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم (الى يوم يلقونه) يعنى انه سبحانه وتعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه (بما اخلفوا الله ماوعدوه) يعنى الصدقة والانفاق فى سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعنى فى قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفى رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محيى الدين النووى هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد فى المسلم المصدق الذى ليس فيه شك وقد اجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لايحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد فى النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا اوكله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء فى معناه فالذى قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين فى هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار مايبطن خلافه وهذا موجود فى صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه فى حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا انه منافق فى الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين فى الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا فيه هذا هو المختار فى معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا فى ايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا فى امر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا فى خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن ابى رباح ورجع اليه الحسن البصرى بعد ان كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر ورواه ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض واليه مال اكثر ائمتنا وحكى الخطابى قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد على هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد فى رجل بعينه منافق وكان النبى صلى الله عليه وسلم لايواجههم بصريح القول القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم مابال اقوام يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازى ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق

قال بعده (ياايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) من كفار قوى نفوسكم التى هى اعدى عدوكم (وليجدوا فيكم غلظة) اى قهرا وشدة حتى تبلغوا درجة التقوى فينزل عليكم النصر من عند الله كما قال (واعلموا ان الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام

فيجب على المسلم ان يبالغ فى الاحتراز عنه فاذا عاهد الله فى امر فليجتهد فى الوفاء به ❊ وقوله سبحانه وتعالى (الم يعلموا) يعنى هؤلاء المنافقين (ان الله يعلم سرهم) يعنى ما تنطوى عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعنى ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجو هو الخفى من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شئ منها (وان الله علام الغيوب) وهذا مبالغة فى العلم يعنى ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه احوالهم ❊ قوله عز وجل (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات) الآية (ق) عن ابى مسعود البدرى قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فقالوا مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالى ثمانية آلاف درهم جئتك باربعة آلاف فاجعلها فى سبيل الله وامسكت اربعة آلاف لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله فى مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتى اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالى واتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره فى الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابى عقيل ولكن احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون يعيبون المطوعين يعنى المتبرعين من المؤمنين يعنى عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى فى الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه (والذين لا يجدون الا جهدهم) يعنى ابا عقيل الانصارى والجهد بالضم الطاقة وهى لغة اهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذى يأتى به فيتصدق به اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذى يأتى به فيتصدق به لان الغنى اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذى اخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعنى ان المنافقين كانوا يستهزؤن بالمؤمنين فى انفاقهم المال فى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذى يتصدق بالقليل ويقولون انه فقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به ❊ وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعنى انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخريتهم ❊ ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة ❊ قوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة فى المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره

(استغفرت)

مرة اومرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) البلاء مائد من الله تعالى يقود الناس اليه وقد ورد فى الحديث البلاء سوط من سياط الله تعالى يسوق به عباده اليه فان كل مرض وفقر وسوء حال يحل بأحد يكسر سورة نفسه وقواها ويقمع صفاتها وهواها فيلين القلب ويبرز من حجابها وينزع من ركون الدنيا ولذاتها وينقبض منها ويشمئز فيتوجه الى الله واقل درجاته انه اذا اطلع على

استغفرت لهم يامحمد اولم تستغفر فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال لما توفي عبدالله يعني ابن ابي ابن سلول جاء ابنه عبدالله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عزوجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزوجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم * وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم من اجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للايمان ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله * قوله عزوجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه سبحانه وتعالى (وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا في الحر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون) يعني قل يامحمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر ان نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يارسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا في الحر فقال الله عزوجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فامره الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بقعدهم خلافه (وليبكوا كثيرا) يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة

باقية والمقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل (جزاء بما كانوا يكسبون) يعني ان ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت * قوله سبحانه وتعالى (فان رجعك الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه (الى طائفة منهم) يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة من غزوة تبوك كان منافقا مثل اصحاب الاعذار (فاستأذنوك للخروج) يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة اخرى (فقل لن تخرجوا معي ابدا) يعني فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي ابدا الى غزوة ولا الى سفر (ولن تقاتلوا معي عدوا انكم) يعني لانكم (رضيتم بالقعود اول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف من غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعني مع المخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكروه وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات * قوله عز وجل (ولا تصل على احد منهم مات ابدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله بن ابي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه ان يكفن فيه فأعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه في قميصه صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابي ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي بن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله اعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعدما ادخل حفرته فأمر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه والله اعلم قال وكان كسا عباس

قميصا قال سفيان وقال ابوهرون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبدالله يا رسول الله البس عبدالله قميصك الذى يلى جلدك قال سفيان فيرون ان النبى صلى الله عليه وسلم البس عبدالله قميصه مكافأة لما صنع فى رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتى بالاسارى واتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبى صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبدالله بن ابى يقدر عليه فكساه النبى صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبى صلى الله عليه وسلم قميصه الذى البسه

* (فصل) * قد وقع فى هذه الاحاديث التى تتضمن قصة موت عبدالله بن ابى ابن سلول المنافق صورة اختلاف فى الروايات ففى حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفى عبدالله بن ابى ابن سلول اتى ابنه عبدالله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلى عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفى حديث عمر بن الخطاب من افراد البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفى حديث جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم أتاه بعدما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس فى حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه اولا كما فى حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعدما ادخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذى اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم البسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبدالله بن ابى تطيبا لقلب ابنه عبدالله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده فى مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلى عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث فى جلده ودلاه فى حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث فى جلده ودلاه فى قبره جملة منقطعة عما قبلها يعنى انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما اعطاه قميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وقال القرطبى فى شرح صحيح مسلم له ان عبدالله بن ابى ابن سلول كان سيد الخزرج فى آخر جاهليتهم فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا فى المنافقين واعظمهم نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روى عن ابن عباس انهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبدالله يعنى ولد عبدالله بن ابى من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا وكان ابر الناس بأبيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم انى من ابر الناس بأبى وان امرتنى ان آتيك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام ابيه وعلى ان ينتفع من بركات النبى صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات ابوه سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وسأله ان يصلى عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبدالله واسعافا له ولطلبته وقول عمر تصلى عليه وقد نهاك الله ان تصلى عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على احد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع فى خاطره

ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذى شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم اولا تستغفر لهم وهذان التأويلان فيهما بعد قال القرطبي والذى يظهر لى والله اعلم ان البخارى ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي ابين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبدالله بن ابى ابن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شئ من الاشكال المتقدم فهو الاولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما فى حديث ابن عباس عن عمر فان فيه لو اعلم انى زدت على السبعين يغفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم انى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم انى خيرت مشكل مع قوله تعالى ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهى عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التى فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهى عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك واما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهى عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمدالله والله اعلم وقال الشيخ محيي الدين النووى انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبدالله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فأجابه اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبدالله بن ابى المنافق الميت لانه البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفى الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوى قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافئه بها ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبدالله بن ابى فقال صلى الله عليه وسلم وما يغنى عنه قميصى وصلاتى من الله والله انى كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه فيروى انه اسلم الف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه وتعالى (ولا تقم على قبره) يعنى لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه فأمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر فى تعليل هذا النهى كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة فى وصفه بكونه فاسقا بعد ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا فى نفسه بأن يؤدى الامانة ولا يضمر لاحد سوأ وقد يكون خبيثا فى نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر

(قوله)

* قوله تعالى (ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريدالله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الآية في مقامين * المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل اوّلا وتأكيده وارادة ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالآية الاخرى اقواما آخرين منهم * المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها اتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى واولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا ان يعذبهم بحرف ان والفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف اللام فمعناه ان كقوله سبحانه وتعالى وما امروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما امروا الا ان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى في الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظة الحياة التنبيه على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جمل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

*قوله عز وجل (واذا انزلت سورة) يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد (ان) اي بأن (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكأنه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والآخرة * وقوله سبحانه وتعالى (استأذنك اولوا الطول منهم) قال ابن عباس يعني اهل الغنى وهم اهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص اولي الطول بالذكر قولان احدهما ان الذم لهم الزم لكونهم

قادرين على اهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص اولى الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لايحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعنى اولى الطول (ذرنا نكن مع القاعدين) يعنى فى البيوت مع النساء او الصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قيل الخوالف النساء اللواتى يتخلفن فى البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة وهم ادنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لايفقهون مراد الله فى الامر بالجهاد * قوله سبحانه وتعالى (لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم) اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعنى الرسول والمؤمنين (واولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (واولئك هم المفلحون) اى الفائزون بالمطالب * قوله سبحانه وتعالى (اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية * قوله سبحانه وتعالى (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعنى وجاء المعتذرون من اعراب البوادى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فى التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا يانبى الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيئ على حلائلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انبأنى الله من اخباركم وسيغنى الله عنكم وقيل هم نفر من بنى غفار رهط خفاف بن ايماء بن رخضة وقيل هم من اسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعذرون اى المقصرون يعنى انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا وقيل ان الاصل فى هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء فى الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار فى كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب فى عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لاتعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * يعنى فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذى هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ يحتمل انهم كانوا صادقين فى اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابى عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكلفوا عذرا باطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لالعذر ولا لشبهة عذر جراة على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ماجاؤا وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعنى فى ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم) يعنى فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار وانما

(قال)

قال منهم لانه سبحانه وتعالى على ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه ❊ قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم واخبر ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في اصل الخليقة ضعيفا نحيفا ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم اهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني الفقراء العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور (حرج) اى ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج اى اثم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازى ليس في الآية انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا وو بالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا نصحوا لله ورسوله) ومعناه انهم اذا اقاموا في البلد احترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجرى مجرى النصح لله ورسوله (ما على المحسنين من سبيل) اى ليس على من احسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد اباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه ليس عليه سبيل في نفسه وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل (والله غفور) يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع (رحيم) يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن ام مكتوم وكان ضرير البصر ❊ ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى (ولا على الذين اذا ما اتوك) يعني ولا حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما اتوك (لتحملهم) يعني يسألونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبرى عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه فانزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بنى واقف حرمى بن عمير ومن بنى مازن بن النجار عبد الرحمن كعب يكنى ابا ليلى ومن بنى المعلى سلمان بن صخر ومن بنى حارثة عبد الرحمن بن زيد وهو الذى تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بنى سلمة عمرو بن عنمة وعبد الله بن عمرو المزنى وقال البغوى هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن

يسار وصخر بن خنساء وعبدالله بن كعب الانصارى وعلبة بن زيد الانصارى وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبدالله بن مغفل المزنى قال اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ان الله عزوجل قدندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لااجد مااحملكم عليه وقال مجاهدهم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت فى العرباض بن سارية و يحتمل انها نزلت فى كل من ذكر قال ابن عباس سألوه ان يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لااجد مااحملكم عليه فولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿قلت لااجدما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع﴾ قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ﴿حزنا الايجدوا ماينفقون﴾ يعنى على انفسهم فى الجهاد ﴿انما السبيل﴾ لما قال الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى فى حق من يعتذر ولاعذر له انما السبيل يعنى انما تتوجه الطريق بالعقوبة ﴿على الذين يستأذنونك﴾ يامحمد فى التخلف عنك والجهاد معك ﴿وهم اغنياء﴾ يعنى قادرين على الخروج معك ﴿رضوا بان يكونوا مع الخوالف﴾ يعنى رضوا بالدناءة والضعة والانتظام فى جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم ﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ يعنى ختم عليها ﴿فهم لايعلمون﴾ مافى الجهاد من الخير فى الدنيا والآخرة امافى الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو وامافى الاخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى لاينقطع ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم﴾ يعنى يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يامحمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المؤمنين فلهذا قال تعالى يعتذرون اليكم يعنى بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعنى من سفركم ﴿قل﴾ اى قل لهم يامحمد ﴿لاتعتذروا﴾ قال البغوى روى ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لاتعتذروا ﴿لن نؤمن لكم﴾ يعنى لن نصدقكم فيما اعتذرتم به ﴿قد نبأنا الله من اخباركم﴾ يعنى قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ يعنى فى المستأنف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بان ينصروا المؤمنين فى المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم املا ﴿ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم﴾ يعنى فيخبركم ﴿بما كنتم تعملون﴾ لانه هو المطلع على مافى ضمائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد ❊ قوله عزوجل ﴿سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم﴾ يعنى اذا رجعتم من سفركم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين ﴿لتعرضوا عنهم﴾ يعنى لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولاتوبخوهم بسبب تخلفهم ﴿فاعرضوا عنهم﴾ يعنى فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعنى لاتكلموهم ولاتجالسوهم فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال لاتجالسوهم ولاتكلموهم قال اهل المعانى ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ❊ ثم ذكر العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى ﴿انهم رجس﴾ يعنى ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة ﴿ومأواهم﴾ يعنى مسكنهم فى الآخرة

(جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتجالسوهم ولاتكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لااله الا هو انه لايتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية والتي بعدها (يحلفون لكم لترضوا عنهم) يعني يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم (فان ترضوا عنهم) يعني فان رضيتم عنهم ايها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم (فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) يعني انه سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم ابدا * وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب اشد كفرا ونفاقا) نزلت في سكان البادية يعني ان اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا ويجمع الاعرابي على الاعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابي اذا قيل له ياعربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يااعرابي غضب والعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله سبحانه وتعالى (واجدر) يعني واخلق واحرى (الايعلموا) يعني بان لايعلموا (حدود ما انزل الله على رسوله) يعني الفرائض والسنن والاحكام (والله عليم) يعني بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه واحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعني لايرجو على انفاقه ثوابا ولايخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا ورياء والمغرم التزام مالايلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه لاينفق ذلك الا خوفا من المسلمين اومراآة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه (ويتربص) يعني وينتظر (بكم الدوائر) يعني بالدوائر تقلب الزمان وصروفه التي تاتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان فيموت الرسول وتظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعني بل ينقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولايرون في محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ودينه الا مايسوءهم (والله سميع) يعني لاقوالهم (عليم) يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمؤمنين نزلت هذه الآية في اعراب اسد وغطفان وتميم * ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيتم ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال انهم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الحجيج [illegible] صلى الله [illegible]
[illegible] غفار ومزينة [illegible] عامر [illegible]

ان لا مفرّ منه الا اليه ولم يجد مهربا ومحيصا من البلاء سواء تضرع اليه وتذلل بين يديه كما قال واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه اوقاعدا اوقائما وبالجملة يوجب رقة الحجاب وارتفاعه فليغتنم وقته وليتعوذ وليتخذ ملكة يعود اليها ابدا حتى يستقر التيقظ والتذكر وتتسهل التوبة والحضور فلا يتعود الغفلة عند الخلاص وتقوى النفس عند الامان فتغلب ويتسبل الحجاب اغلظ مما كان كما قال فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه

قال خابوا وخسروا قال نعم (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم فى رواية له امانى لم اقلها لكن الله قالها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله ❊ وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) جمع قربة اى يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعنى ويرغبون فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى (الا انها قربة لهم) يحتمل ان يعود الضمير فى انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى الا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم (سيدخلهم الله فى رحمته) وهذه النعمة هى اقصى مرادهم (ان الله غفور) للمؤمنين المنفقين فى سبيله (رحيم) يعنى بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة ❊ قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء فى السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابى رباح هم اهل بدر وقال الشعبى هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظى هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى الا تخبرنى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة فى كتابه فقلت له فى اى موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية فى قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط فى التابعين شريطة وهى ان يتبعوهم فى اعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكأنى لم اقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء فى اول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء اول من امن بعد خديجة على بن ابى طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا فى سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعى والشعبى وقال الزهرى وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلى يجمع بين هذه الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان على بن ابى طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه فهؤلاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص

(وطلحة)

(واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم) ليكون بينكم وبينه جنسية نفسانية بها تقع الالفة بينكم وبينه فتخالطونه بتلك الجنسية وتختلطون به فتتأثر من نورانيتها المستفادة من نور قلبه انفسكم فتتنور بها وتنسلخ عنها ظلمة الجبلة

وطلحة بن عبيدالله فجاءبهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يده وصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية اول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبدالله بن رباب ثم اصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبدالله بن عمرو بن حرام وابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبدالله بن رواحة فهؤلاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا اوجب صرف اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا ان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه وآووه وواسوه وآووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ※ قوله تعالى (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولانصيفه اراد بالقرن في الحديث الاول اصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله مابلغ هذا القدر اليسير التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة ※ وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضي الله عن اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم) ※ قوله سبحانه وتعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون وماذكروه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى وممن حولكم من

والعادة (عزيز عليه ماعنتم) شديد شاق عليه عنتكم مشقتكم ولقاؤكم المكروه لرافتها اللازمة للمحبة الالهية التي له لعباده ورؤيته اياهم بمثابة اعضائه وجوارحه لكونه ناظرا بنظر الوحدة فكما يشق على احدنا تألم بعض اعضائه يشق عليه تعذيب بعض أمته (حريص عليكم) لشدة اهتمامه بحفظكم كما يشتد اهتمام احدنا بكل واحد اجزاء جسده وجوارحه لايرضى بنقص اقل جزء منه ولا بشقائه فكذلك هو بل اشد اهتماما بالدقة

الاعراب منافقون على القليل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم واما الطبرى فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة بل قال فى تفسير هذه الآية من القول الذين حول مدينتكم ايها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم اقوام منافقون وقال البغوى (ومن اهل المدينة) من الاوس والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) فيه تقديم وتأخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعنى مرنوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد فى معصية اى مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منه (لا تعلمهم) يعنى انهم بلغوا فى النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار (نحن نعلمهم) يعنى لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت (سنعذبهم مرتين) اختلف المفسرون فى العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثانى هو عذاب القبر بدليل قوله (ثم يردون الى عذاب عظيم) وهو عذاب النار فى الآخرة فثبت بهذا انه سبحانه وتعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة فى الدنيا ومرة فى القبر ومرة فى الآخرة اما المرة الاولى وهى التى اختلفوا فيها فقال الكلبى والسدى قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا فى يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد أناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثانى هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبى وهذا القول ضعيف لان احكام الاسلام فى الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هى الدبيلة فى الدنيا وقد جاء تفسيرها فى الحديث بانها خراج من نار تظهر فى اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعنى تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هى المصائب فى الاموال والاولاد فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم فى الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى هى ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احداهما ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعنى عذاب جهنم يخلدون فيه ❊ قوله عز وجل (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وجه هذا القول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم ويعضده ما نقله الطبرى عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثانى وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت فى جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون فى عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروى عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة

نظره (بالمؤمنين رؤف) يحميهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصى برأفته (رحيم) يفيض عليهم العلوم والمعارف الكمالات المقرنة بالتعليم والترغيب عليها برحمته (فان تولوا) واعرضوا عن قبول الرأفة والرحمة لعدم الاستعداد اوزواله وتعرضوا للشقاوة الابدية (فقل حسبى الله) لا حاجة لى بكم ولا باستعداتكم كما لا حاجة للانسان الى العضو المألوم المتعفن الذى يجب قطعه عقلا اى الله كافينى فى الوجود الا هو فلا مؤثر

غيره ولا ناصر الا هو (لا اله الا هو عليه توكلت) لا ارى لاحد فضلا ولا حول ولا قوة الا به (وهو رب العرش العظيم) المحيط بكل شئ يأتى منه حكمه وامره الى الكل

بن عبد المذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا انكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الجهاد واللاءواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم فى سوارى المسجد فلما رجع النبى صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيأ فانزل الله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت هذه الآية فى ابى لبابة خاصة واختلفوا فى ذنبه الذى تاب منه فقال مجاهد نزلت فى ابى لبابة حين قال لبنى قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسى ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت اويتوب الله على فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم لان لفظة من تقتضى التبعيض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتى خبرهم واما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعانى الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشئ ومعناه انهم اقروا بذنبهم وفيه دقيقة وهى انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة ام لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضى من الذنب والعزم على تركه فى المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ❊ وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ) قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسئ هو تخلفهم عنه فى غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة والسئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية فى حق جميع المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وروى الطبرى عن ابى عثمان قال ما فى القرآن آية ارجى عندى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد جعلت كل واحد من العمل الصالح والسئ مخلوطا فما المخلوط به قلت

ان الخلط عبارة من الجمع المطلق فاما قولك خلطته فانما يحسن في الموضع الذى يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازى وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا معا بقى كل واحد منهما على حاله كما هو مذهبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفى القول بالمحابطة وانه بقى كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر احدهمــا بالآخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو فى الآية احسن من الباء لانه اريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما ※وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله ان يتوب عليهم) قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله ان يأتى بالفتح وقد فعل ذلك وقال اهل المعانى لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه ابعد من الاتكال والاهمال ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التى هى للترجى والطمع حتى يكون العبد بين الترجى والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه اقرب لانه ختم الآية بقوله (ان الله غفور رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد ※ قوله سبحانه وتعالى (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالبابة وصاحبيه انطلق ابولبابة وصاحباه فأتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ اموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ شيأ منها حتى اومر به فأنزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلمــاء فى المراد بهذه الصدقة فقــال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فأوجب الله سبحانه وتعالى اخذها وصار ذلك معتبرا فى كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة امر الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا الآيات لابد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا فى سبب نزولها انها نزلت فى شأن التائبين واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك انهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال امروا باخراج الزكاة التى هى طهرة فلما اخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل

(سورة يونس عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) اشارة الى الرحمة التى هى الذات المحمدية لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وال مرّ ذكرهما (تلك) اى ما اشير اليه بهذه الحروف اركان كتــاب الكل ذى الحكمة او المحكم المتقن تفاصيله او اقسم بالله باعتبــار الهوية الاحدية جمعا وباعتبار الصفة الواحدية تفصيلا فى باطن الجبروت وظاهر الرحموت عــلى ماذكر اوعــلى ان تلك الآيات المذكورة فى السورة (آيات الكتــاب الحكيم) ذى الحكمة (اكان للناس

التلث من اموالهم فلايكونوا راضين باخراج الزكاة اولى ثم فى هذه الآية احكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذمن اموالهم صدقة الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم اى خذ يامحمد من اموالهم صدقة فكان النبى صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم ايام حياته ثم اخذها من بعده الائمة فيجوز للامام او نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثانى قوله من اموالهم ولفظة من تقتضى التبعيض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها فى اخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذمن اموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة فى جميع المال حتى فى الديون وفى مال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الامن البالغ دون الصبى فوجب ان تجب الزكاة فى مال البالغ دون الصبى وهذا قول ابى حنيفة ثم اجاب اصحاب الشافعى بانه لايلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وللعلماء فى قوله سبحانه وتعالى تطهرهم اقوال الاول ان معناه خذ يامحمد من اموالهم صدقة فانك تطهرهم باخذها من دنس الآثام القول الثانى ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذمن اموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة من اوساخ الناس فاذا اخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون القدير خذ يامحمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان تجعل التاء فى قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت يامحمد بأخذها منهم وتزكيهم انت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعنى ترفع منازلهم عن منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم اى تنمى اموالهم ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه (وصل عليهم) يعنى ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة فى اللغة الدعاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب فى صدقة الفرض ويستحب فى صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطى وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ماروى عن عبدالله بن ابى اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى اخرجاه فى الصحيحين * وقوله سبحانه وتعالى (ان صلاتك) وقرئ صلواتك على الجمع (سكن لهم) يعنى ان دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قدقبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ماسكنت اليه النفس والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها والمعنى ان الله قدقبل توبتهم اوقبل زكاتهم (والله سميع) يعنى لاقوالهم اولدعائك لهم (عليم) يعنى بنياتهم (الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقرير فبشر الله عزوجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية الم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لايكلمون

عجبا) انكر عجبهم لكون سنة الله جارية ابدا على هذا الاسلوك فى الايحاء على الرجال وانما كان تعجبهم لبعدهم عن مقام وعدم مناسبة حالهم لحاله ومنافاة ماجاء به لما اعتقدوه (ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا) (ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى سابقة بحسب العناية الاولى عظيمة اومقاما من قربه ليس لاحد مثله خصصهم الله به فى الازل بمحض الاجتباء

ولا يجالسون فاباتهم اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيبا لهم فى التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لافرق بين عن عباده ومن عباده اذلافرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك اومنك وقيل بينهما فرق لعل عن فى هذا الموضع ابلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها * وقوله سبحانه وتعالى (ويأخذ الصدقات) يعنى يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا فى بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى اخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازى عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير اوالسائل هو الآخذ لها وفى هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتصدق احدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربى احدكم فلوه اوفصيله لفظ مسلم وفى البخارى من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفى رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واخرجه الترمذى ولفظه ان الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربى احدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل احد وتصديق ذلك فى كتاب الله سبحانه وتعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربى الصدقات وقوله من كسب طيب اى حلال وذكر اليمين والكف فى الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطى لان من عادة الفقير اوالسائل اخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته فى القبول والاثابة وقوله فتربو اى تكبر يقال ربا الشئ يربوا اذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان المهر اول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل عنها * وقوله سبحانه وتعالى (وان الله هو التواب الرحيم) تأكيد لقوله سبحانه وتعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم * قوله عز وجل (وقل) اى قل يا محمد لهؤلاء التائبين (اعملوا) يعنى لله بطاعته واداء فرائضه (فسيرى الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا فى العمل فى المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعنى ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اعمالكم ايضا اما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على اعمالكم واما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل فى قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) اى فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من خير اوشر فيجازيكم على اعمالكم * قوله سبحانه وتعالى (وآخرون مرجون) اى مؤخرون والارجاء التأخير (لامر الله) يعنى لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثانى التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعدما [illegible] بذنوبهم وهم ابو لبابة وصحبه وقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى ان يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم

والاملا آمنوا به (قال الكافرون) الذين عجبوا من الله فلم يطلعوا على ظهور صفاته فى النفس المحمدية (ان هذا الذى جاء به (لساحر مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش) اى شئ خارج عن قدرة البشر ليس الامن عمل الشياطين قالوا ذلك لغلبة الشيطنة عليهم واحتجابهم بها عن الله

الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله امرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب ابن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) يعني ان امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليم) يعني بما في قلوبهم (حكيم) يعني بما يقضي فيهم * قوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا) نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثنى عشر رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت وحذام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحرث وبجاد بن عثمان وبحزج بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما ارادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تأتينا وتصلي فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى اتيناكم فصلينا فيه * وقوله سبحانه وتعالى (وارصادا لمن حارب الله ورسوله) يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله (من قبل) يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان ابو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال ابو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه الناس ابا عامر الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعني انتظارا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام من قبل يعني ان ابا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد (ان اردنا) يعني ما اردنا ببنائه (الا الحسنى) يعني

وعبادتهم الشيطان بحيث لم يصلوا الى طور من الروحانيات وراءه في القدرة فلذلك نسبوا ما يتجاوز عن حد البشرية اليه بالطبع (يدبر) امر السموات والارضين على وفق حكمته بقدرته (ما من شفيع) يشفع لاحد بافاضة كمال وامداد نور يقربه الى الله وينجيه من ظلمات النفس ويطهره من رجز صفاتها (الا من بعد) ان يأذن بموهبة الاستعداد ثم توفيق الاسباب (ذلكم) الموصوف بهذه الصفات (الله ربكم فاعبدوه) الذي يربيكم ويدبر امركم فخصصوه بالعبادة واعرفوه بهذه الصفات

الاالفعلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعجز عن الصلاة فى مسجد قباء او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله يشهدانهم لكاذبون) يعنى فى قيلهم وحلفهم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لماانصرف من تبوك راجعانزل بذى اوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله هذه الآية واخبره خبر مسجدالضرار وماهموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ابن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوابنى سالم بن عوف وهم مالك بن الدخشم فقال مالك انظرونى حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله فأخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى ان بنى عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء اتوا عمر بن الخطاب فى خلافته فسألوه ان يأذن لمجمع بن جارية ان يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ونعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع ياامير المؤمنين لاتعجل على فوالله لقد صليت فيه وانما لااعلم ماأضمروا عليه ولو علمت ماصليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لايقرؤن فصليت بهم ولا احسب الاانهم يتقربون الى الله ولم اعلم مافى انفسهم فعذره عمر فصدقه وامره بالصلاة فى مسجد قباء قال عطا لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لايبنوا فى موضع واحد مسجدين يضار احدهما الآخر ❋ وقوله سبحانه وتعالى (لاتقم فيه ابدا) قال ابن عباس معناه لاتصل فيه ابدامنع الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى مسجد الضرار (لمسجد اسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد اسس يعنى بنى اصله ووضع اساسه على التقوى يعنى على تقوى الله عزوجل (من اول يوم) يعنى من اول يوم بنى ووضع اساسه كان ذلك البناء على التقوى (احق ان تقوم فيه) يعنى مصليا واختلفوا فى المسجد الذى اسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدرى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى مسجد المدينة ويدل عليه ماروى عن ابى سعيد الخدرى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت بعض نسائه فقلت يارسول الله اى المسجدين اسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصى فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة اخرجه مسلم (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى (ق) عن عبدالله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبرى هذا رواتب فى الجنة اخرجه النسائى قوله رواتب يعنى ثوابت يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفى رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ويدل على انهم اهل قباء ماروى عن ابى هريرة قال نزلت هذه الآية فى اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم اخرجه ابوداود

ولاتعبدوا الشيطان ولا تحتجبوا عنه ببعض صفاته فتنسبوا قوله وفعله الى الشيطان افلاتتذكرون مافى انفسكم من آياته فتتفكروا فيها وتنزجروا عن الشرك به (اليه مرجعكم جميعا) بالعود الى عين الجمع المطلق فى القيامة الصغرى كما هو الآن او الى عين جمع الذات بالفناء فيه عند القيامة الكبرى (وعدالله حقا انه يبدؤا الخلق) فى النشاة الاولى (ثم يعيده) فى النشاة الثانية (ليجزى)

والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية ابي داود والترمذي موقوفاً عن ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعاً عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية ومما يدل على فضل مسجد قباء ماروى عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء اويأتي قباء راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه سلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة اخرجه الترمذي * وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولاينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني اسمع الله عزوجل قد احسن عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يارسول الله مانعمل شيأ الا ان جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد احسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عزوجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني اهل قباء بالضد من صفتهم وماذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضاء عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة * قوله سبحانه وتعالى (افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعني طلب ببنائه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار) الشفاء هو الشفير وشفا كل شئ حرفه ومنه يقال اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال ابو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر بالماء فيبقى واهيا هار اي هائر وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذي تراعى بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشئ الرخو (فانهار به) يعني سقط بالباني (في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين) والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد

الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المؤمن والكافر على حسب ايمانهم وعملهم الصالح وكفرهم وعملهم الفاسد وهذا على التأويل الاول وعلى الثاني بدا الخلق باختفائه واظهارهم ثم يعيدهم بافنائهم وظهوره ليجزي الذين امنوا به وعملوا الصالحات مايصلحهم للقائه من الاعمال الرافعة لحجبهم المقربة اياهم (بالقسط) بحسب مابلغوا من المقامات بأعمالهم من مواهبه الحالية والذوقية التي يقتضيها مقامهم وشوقهم اوليجزي الذين آمنوا الايمان الحقيقي وعملوا بالله الاعمال التي تصلح العباد

الضرار ومسجد التقوى مسجد قباء او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل انمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير امن اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير اساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط فى نار جهنم ولان البانى الاوّل قصد ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه اشرف البناء والبانى الثانى قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه اخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ماتناهى بناؤهم حتى وقع فى النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) يعنى شكا ونفاقا (فى قلوبهم) والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة فى قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سبب الريبة فى قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون فى بنائه كما حبب العجل الى بنى اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاى سبب امر بتخريبه وقال السدى لايزال هدم بنيانهم ريبة اى حرارة وغيظا فى قلوبهم (الا ان تقطع قلوبهم) اى تجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء امابالسيف وامابالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية فى قلوبهم الى ان يموتوا عليها (والله عليم) يعنى باحوالهم واحوال جميع عباده (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم ※ قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولانستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال اهل المعانى لايجوز ان يشترى الله شيأ هوله فى الحقيقة لان المشترى انما يشترى مالا يملك والاشياء كلها ملك الله عز وجل ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف فى الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله حتى يقتل او انفق ماله فى سبيل الله عوّضه الله الجنة فى الآخرة جزاء لما فعل فى الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها فى سبيل الله وفى جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون فى سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر اى قاتلوا فى سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعنى فيقتلون اعداء الله ويقتلون فى طاعة الله وسبيله (وعدا عليه حقا) يعنى ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا (فى التوراة والانجيل والقرآن) يعنى ان هذا الوعد الذى وعده الله تعالى للمجاهدين فى سبيله قد اثبته فى التوراة والانجيل كما اثبته فى القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود فى جميع الشرائع ومكتوب على جميع اهل الملل (ومن اوفى بعهده من الله) يعنى لااحد اوفى بالعهد من الله (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) يعنى فاستبشروا ايها المؤمنون بهذا البيع الذى

(بايعتم)

اى جزاء بالتكميل بقسطهم اى بسبب عدلهم فى زمان الاستقامة او جزاء بحسب رتبتهم ومقاماتهم فى الاستقامة (والذين كفروا) حجبوا فى اى مقام كان (لهم شراب من حميم) لجهلهم بمافوقه وشكهم واضطرابهم اذ لو وصلوا الى اليقين لذاقوا برده (وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) من الحرمان والهجران وفقدان روح الوجدان بسبب احتجابهم (هو الذى جعل الشمس ضياء) شمس الروح ضياء الوجود وقمر القلب

بايعتم الله به (وذلك) يعنى هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه رابح فى الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى اعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم ❊ قوله سبحانه وتعالى (التائبون) قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة ايضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولاقاصدين لترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين المذكورين فى قوله ان الله اشترى واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصى لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل باموز اربعة اولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها فى المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص فى توبته (العابدون) يعنى المطيعين الله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهى ان تكون العبادة خالصة له تعالى (الحامدون) يعنى الذين يحمدون الله تعالى على كل حال فى السراء والضراء روى البغوى بغير سند عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا واخرى (السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمى الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذى يسيح فى الارض متعبدا لازاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب فى الارض كالماء الذى يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون فى سبيل الله ويدل عليه ماروى عن عثمان بن مظعون قال قلت يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله ذكره البغوى بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلبه وقيل ان السياحة لها اثر عظيم فى تهذيب النفس وتحسين اخلاقها لان السائح لابد ان يلقى انواعا من الضر والبؤس ولابد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصالحين فى سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم ويرى العجائب وآثار قدرة الله تعالى فيتفكر فى ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكعون الساجدون) يعنى المصلين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلى من غير المصلى بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلى وغيره (الآمرون بالمعروف) يعنى يأمرون الناس بالايمان بالله وحده (والناهون عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق فى اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه اونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

نوره وقدره مسير فى سلوكه (والقمر نورا وقدره منازل) ومقامات (لتعلموا عدد عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) سنى مراتبكم و الطوار كم فى السير الى الله وفى الله وحساب درجاتكم ومواقع اقدامكم فى كل مقام ومرتبة (ان فى اختلاف الليل والنهار) ليل غلبة ظلمة النفس على القلب ونهار اشراق ضوء الروح عليه ماخلق الله فى سموات الارواح وارض الاجساد (وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون) حجب صفات

قال الحسن اما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه واما دخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى فى صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه آخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون الى قوله الساجدون مبتدا خبره الآمرون يعنى هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون لحدود الله) قال ابن عباس يعنى القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم اهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون الى امره ونهيه فلا يضيعون شيأ من العمل الذى الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه (وبشر المؤمنين) يعنى بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآية بأن له الجنة وان لم يغز *قوله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى) الآية واختلف اهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى شأن ابى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والد على وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ماروى عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضرت اباطالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده اباجهل وعبدالله بن ابى امية بن المغيرة فقال اى عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابوجهل وعبدالله ابن ابى امية بن المغيرة اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعود ان لتلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم انا على ملة عبدالمطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك مالم انه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وانزل الله فى ابى طالب انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء اخرجاه فى الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية فى شأن ابى طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهى من آخر القرآن نزولا قلت الذى نزل فى ابى طالب قوله تعالى انك لا تهدى من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك مالم انه عنك كما فى الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له فى بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله اعلم بمراده واسرار كتابه (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامه فأبى فأنزل الله انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء الآية وفى رواية قال لولا تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فأنزل الله الآية (ق) عن ابى سعيد الخدرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلى منه ام دماغه وفى رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو فى ضحضاح من نار ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار وفى رواية قال قلت يارسول الله ان اباطالب

النفس الامارة ولم يرتقوا الى رتبة النفس اللوامة فعرفوا تلك الآيات ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها) اى دعاؤهم الاستعدادى فى الجنات الثلاث التى

كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فأخرجته الى ضحضاح وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه آمنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبرى بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قال واكثر ظنى انه قال قبر امه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يارسول الله انا رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربى في زيارة قبر امى فأذن لى واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لى فما رؤى باكيا اكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزى عن بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر امه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امى فصليت ركعتين ثم استأذنت ربى ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربى ان استغفر لها فزجرت زجرا فأبكانى ثم دعا براحلته فركبها فما سار الاهنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحى فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى الآية (ق) عن ابى هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استأذنت ربى في ان استغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته في ان ازور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابى كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الآية وروى الطبرى بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يانبي الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العانى ويوفى بالذمم افلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابى كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه الآية عن على بن ابى طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية اخرجه النسائى والترمذى وقال حديث حسن واخرجه الطبرى وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغى للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهى عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولى قربى لان النهى عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ※ ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) يعنى تبين لهم انهم ماتوا على الشرك فهم من اصحاب الجحيم وايضا فقد قال تبارك وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده ※ اما قوله سبحانه وتعالى (وما كان استغفار ابرهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه) فمعناه وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة وعدها ابراهيم اياه ان يستغفر له رجاء اسلامه قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه لما انزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربى سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت اتستغفر

يهديهم الله اليها بحسب نور ايمانهم (سبحانك اللهم) اى تنزيهه في الاولى عن الشرك في الافعال بالبراءة عن حولهم وقوتهم وفي الثانية عن الشرك في الصفات بالانسلاخ عن صفاتهم وفي الثالثة عن الشرك في الوجود بفنائهم و(تحيتهم فيها سلام) اى تحية بعضهم لبعض في كل مرتبة منها افاضة انوار التزكية وامداد التصفية من بعضهم على بعض او تحية الله لهم فيها اشراقات التجليات وامداد التجريد وازالة الآفات من الحق تعالى عليهم (وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين)

لابويك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الموعد الذي وعده ان يسلم ﴿ فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ﴾ فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم سأستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه ايضا قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان اباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى ابراهيم ان اباه عدو له فتبرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة فيقول ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره فتبرأ منه والقترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة هو ذكر الضباع والانثى ذيخة ❊ وقوله تبارك وتعالى ﴿ ان ابراهيم لاواه حليم ﴾ جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التأوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول اوه من النار قبل ان لا ينفع اوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال ابو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع ايقانا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التأوه وهو ان يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه اوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال له لئن لم تنته لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليبين سبحانه وتعالى انه مع هذه الصفات الجليلة الحميدة تبرأ من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به انتم في هذه الحالة ايضا ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم ﴾ يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم

اي اخر ما يقتضي استعداداتهم وسؤال الله تعالى بالطلب والاستفاضة قيامهم بالله في ظهور كمالاته وصفات جلاله وجماله عليهم الذي هو الجد الحقيقي منه وله وتخصيص ذلك الجد به مجملا ثم مفصلا او لا باعتبار هويته المطلقة ثم باعتبار ربوبيته للعالمين ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير ﴾ لما كانت الاستعدادات مفطورة على الخير الاضافي الصوري او المعنوي بحسب درجاتها في الازل كان كل دعاء منها وطلب

قبل المنع خافوا ماصدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم (حتى يبين لهم مايتقون) يعنى مايأتون ومايذرون وهو ان يقدم اليهم النهى عن ذلك الفعل فاماقبل النهى فلاحرج عليهم فى فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قدماتوا قبل النهى عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع فى قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين انه لايؤاخذهم بعمل الابعد ان يبين لهم مايجب عليهم ان يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين فى ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم فى معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وماكان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم مايأتون ومايذرون وقال مقاتل والكلبي هذا فى امر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولاعلم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قدحرمت والقبلة قدصرفت الى الكعبة فقالوا يارسول الله قدكنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فانزل الله عز وجل وماكان الله ليضل قوما بعد اذهداهم يعنى وماكان الله ليبطل عمل قوم قدعملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عليم بماخالط نفوسكم من الخوف عندمانهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم مايبين لكم من اوامره ونواهيه (ان الله له ملك السموات والارض) يعنى انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض ومافيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بمايشاء (يحيي ويميت) يعنى انه تعالى يحيي من يشاء على الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لااعتراض لاحد عليه فى حكمه وعبيده (ومالكم من دون الله من ولى ولانصير) يعنى انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم * قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخلف فى غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب يوجب عقابا وقال اصحاب المعانى هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار فى ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كماضم اسم الرسول الى اسم الله فى قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ماوقع فى قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت فى وقت شديد وربما وقع فى قلوب بعضهم انا لانقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفاعنهم ماوقع فى قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لايخلو من زلات وتبعات فى مدة عمره امامن باب الصغائر وامامن باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التى حصلت لهم فى ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ماتحملوه من الشدائد العظيمة فى تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانماضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم فى الدين وانهم قدبلغوا الى الرتبة التى لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين

اتبعوه) فى تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقدذكر بعض العلماء ان النبى صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك فى سبعين الفا مابين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (فى ساعة العسرة) يعنى فى وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذى سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة فى الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العسرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوّس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون ومامعهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبى صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال ابوبكر الصديق يارسول الله ان الله عز وجل قد عوّدك فى الدعاء خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعا حتى ارسل الله سحابة فمطرت فملؤا مامعهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبرى عن عمر ❊ قوله تعالى (من بعد ماكاد تزيغ قلوب فريق منهم) يعنى من بعد ماقارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التى نالتهم والزيغ فى اللغة الميل وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التى نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ماخطر فى قلوبهم فلاجل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعنى انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة اوّلا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة اوّلا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا انه سبحانه وتعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله (انه بهم رؤف رحيم) تأكيدا لذلك ومعنى الرؤف فى صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لم يحملهم مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا فى المعنى قال الخطابى قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة تكون مع الكراهة ❊ قوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ماقبله تقديره لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع كلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون مرجون لامر الله وفى معنى خلفوا قولان احدهما انهم خلفوا عن توبة ابى لبابة واصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابولبابة واصحابه فتاب الله على ابى لبابة واصحابه واخر امر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثانى انهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب

(الزهرى)

الزهرى قال اخبرنى عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك ان عبدالله بن كعب وكان قائد
كعب من بنيه حين عمى قال وكان اعلم قومه واوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سمعت كعب بن مالك بن عبدالله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط
الا فى غزوة تبوك غير انى قد تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير
ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما
احب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر فى الناس منها وكان من خبرى حين تخلفت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم اكن قط اقوى ولا ايسر منى حين
تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ماجمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم
يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا
فجلا للمسلمين امرهم ليتأهبوا اهبة غزوهم فاخبرهم بوجههم الذى يريد والمسلمون مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل
يريد ان يتغيب الاظن ان ذلك سيخفى له مالم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا اليها اصعر فتجهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكى اتجهز معهم فأرجع ولم اقض شيأ فأقول فى نفسى انا قادر
على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازى شيا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيأ
فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى اسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فأدركهم فياليتنى فعلت
ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى
انى لا ارى لى اسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق اورجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك مافعل كعب بن مالك
فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس
ماقلت والله يارسول الله ماعلمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا هو
كذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة
فاذا هو ابو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغنى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى بثى فطفقت اتذكر الكذب
واقول بم اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من اهلى فلما قيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت انى لن انجو منه بشئ ابدا فأجمعت
صدقه فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع
فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له
وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفرلهم ووكل سرائرهم الى الله

عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال لى تعال فجئت امشى حتى جلست بين يديه فقال ماخلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يارسول الله انى والله لوجلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علىّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عقبى الله وفى رواية عفوالله عز وجل والله ماكان لى عذر والله ماكنت قط اقوى ولاايسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ماعلمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت ان لاتكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله مازالوا يؤنبوننى حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا احد معى قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ماقلت وقيل لهما مثل ماقيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامرى وهلال بن امية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس اوقال اوتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فأشهد الصلاة واطوف فى الاسواق ولايكلمنى احد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلى قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتى نظر الىّ واذا التفت نحوه اعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرت جدار حائط ابى قتادة وهو ابن عمى واحب الناس الىّ فسلمت عليه فوالله مارد علىّ السلام فقلت ياباقتادة انشدك بالله هل تعلم انى احب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسوّرت الجدار فبينا انا امشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الىّ حتى جاءنى فدفع الىّ كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه امابعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحى واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعتزل امرأتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لابل اعتزلها ولاتقربها قال وارسل الى صاحبى مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن امية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لاولكن لايقربك قالت انه والله مابه حركة الى شئ ووالله مازال يبكى منذ كان من امره ما كان الى

يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلا منا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت على نفسي وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ماامالك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجافوجا يهنؤني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهناني والله ماقام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يارسول الله من عندالله فقال لا بل من عندالله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يارسول الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا مابقيت قال فوالله ماعلمت ان احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله ووالله ماتعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يوم هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ماانعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا

وليس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن خلف له واعتذر اليه فقبل منه وفى رواية ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبى ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ اهم الى من ان اموت فلا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى احد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وانزل الله عزوجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة فى شأنى معتنية بأمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياام سلمة تيب على كعب بن مالك قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخارى ومسلم * شرح غريب هذا الحديث قوله حين تواثقنا على الاسلام التوثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل او الناقة القويان على الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشئ اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية القفراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلاهو بالتخفيف يعنى لهم مقصدهم واظهره لهم والاهبة الجهاز ومايحتاج اليه المسافر قوله فأنا اليها اصعر هو بالعين المهملة اى اميل والصعر الميل قوله وتفارط الغزو اى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر فى عطفيه اذا كان معجبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان فى البرية فى وقت الهاجرة كانه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض قوله كن اباخيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم اجعله اباخيثمة اى لتوجد ياهذا الشخص اباخيثمة حقيقة قوله الذى لمزه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرنى بثى البث اشد الحزن كانه لشدته يظهر قوله زاح عنى الباطل اى زال وذهب عنى واجمعت صدقه اى عزمت عليه لقد اعطيت جدا اى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اردت مما شاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله فازا لوا يؤنبونى اى يلوموننى اشد اللوم قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فماهى بالارض التى اعرف معناه تغير على كل شئ من الارض وتوحشت على وصارت كانها ارض لا اعرفها وقوله فاما صاحباى فاستكانا يعنى خضعا وسكنا قوله تسورت حائط ابى قتادة اى علونه وصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتيممت بها التنور فسجرته بها اى فقصدت بالصحيفة التى ارسل بها ملك غسان فأحرقتها فى التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت اتأمم يعنى اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور قوله انخلع من مالى اى اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ماعلمت احدا من المسلمين ابلاه الله فى صدق الحديث احسن مما ابلانى البلاء والابتلاء يكون فى الخير وفى الشر واذا اطلق كان فى الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيدها بقوله احسن مما ابلانى اى انعم على قوله

ان لا اكون كذبته هكذا هو فى جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لا زائدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه امرنا تاخيره وقوله فى الرواية الاخرى يحطمكم الناس اى يطؤكم ويزدحون عليكم واصل الوطء الكسر وقوله سائر الليل يعنى باقى الليل وقوله وآذن بتوبة الله علينا اى اعلم والاذان الاعلام والله اعلم ❊ قوله عزوجل (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا (وضاقت عليهم انفسهم) يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعنى وايقنوا وعلموا (ان لا ملجأ) يعنى لا مفزع ولا مفر (من الله الا اليه) ولا عاصم من عذابه الا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار اى وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا ❊ وقوله تعالى (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم فى الماضى ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة فى المستقبل فيرجعوا ويداوموا عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عادتهم فى الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك (ان الله هو التواب) يعنى على عباده (الرحيم) بهم وفيه دليل على ان قبول بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ ❊ قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) يعنى فى مخالفة امر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعنى مع من صدق النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا فى البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعنى مع ابى بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد فى الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيأ ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار فى يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين ❊ قوله سبحانه وتعالى (ما كان لاهل المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الاعراب) يعنى سكان البوادى من مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وقيل هو عام فى كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم اولى (ان يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى اى ليس ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا)

يعني ولا ان يرغبوا (بانفسهم عن نفسه) يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم مايختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم بان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بانهم لا يصيبهم) في سفرهم وغزواتهم (ظمأ) اى عطش (ولا نصب) اى تعب (ولا مخمصة) يعني مجاعة شديدة (في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار) يعني ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم (ولا ينالون من عدو نيلا) يعني اسرا اوقتلا اوهزيمة اوغنيمة اونحو ذلك قليلا كان اوكثيرا (الا كتب لهم به عمل صالح) يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قد احسن في عمله واطاعه فيما امره به اونهاه عنه ان يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيآت الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد ابن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون في هذه الآية انها لاول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل واباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وامرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لا تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا امر وكذا غيره من الائمة والولاة قالوا اذا ندبوا اوعينوا لا ناسوغنا المندوب ان يقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله اعلم ❊ وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعني في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعني تمرة فادونها او اكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) يعني ولا يجاوزون في مسيرهم واديا مقبلين اومدبرين (الا كتب لهم) يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجزيهم الله) يعني يجازيهم (احسن ما كانوا يعملون) قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين الرازي فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة افعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب المندوب دون المباح والثاني ان الاحسن صفة للجزاء اى يجزيهم جزاء هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وانه من احسن اعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله اوالغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن

ان ادخله الجنة اوارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذى نفس محمد بيده مامن كلم يكلم فى سبيل الله الاجاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا ولكن لااجد سعة فاحملهم ولايجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت ان اغزو فى سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخارى بمعناه (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامه يعنى حسنات (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مااغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار (م) عن ابن مسعود الانصارى البدرى قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذى والنسائى ❋ قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست فى الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويتعللوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجهدوهم فانزل الله عز وجل الآية يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائرهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفى رواية اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيسألون عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون فى دينهم ويقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ماتأمرنا ان نفعله واخبرنا مانقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وان ينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم النار ويبشروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا فى البوادى فأصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ماينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم مانراكم الا قد تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا فى انفسهم تحرجا واقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يبتغون الخير وقعد طائفة (ليتفقهوا فى الدين) ليسمعوا

للخير بتهيئة قابليتها وتصفيتها وشوقها اليه يوجب حصول ذلك له عاجلا وفيضانه عليه من المبدا الفياض الذى هو منبع الخيرات والبركات كقوله وآتاكم من كل ماسألتموه وكلما فاض عليه خير باستحقاقه لوجود تصفية وتزكية زاد استعداده بانضمام هذا الخير اليه فصار اقوى واقبل من الاول فيكون المبدأ تعالى اسرع اجابة له واكثر افاضة عليه وعلى هذا يزداد الاستعداد فيزداد الفيض حتى يبلغ مداه وهو معنى تضاعف الحسنات ومعنى قوله من جاء بالحسنة فله خير منها واما الشرور فليست الا حجب الاستعداد وموانع القبول وحواجز الفيض فلما حصلت ماوقع بسببها الاعدم القبول للخيرات فمنعت فيضانها وبقى الاستعداد فى حجاب ماحصل منها ليس الا وان اقتضى بحسب المناسبة فيضان الشر ليس فى فيض المبدا مايجانسه ولا يفيض عليه شئ من

ماانزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس (اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ماانزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا اخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ماانزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير الآية فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق اوصاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لانتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولايجوز لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيأ بعد شيء فالملازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون مانزل من الاحكام وماتجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة امر الله وامر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على اعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول ان هذا النوع لايعد تفقها في الدين ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الاية كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد وهو ماذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فأصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم مانراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة وقال طائفة ليتفقهوا في الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذا رجعوا

جنسه وهذا معنى قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها اللهم الا اذا أفرط وتجاوز حد الرحمة وازال الاستعداد بالكلية فناسب الشيطنة واستمد من عالمها كما قال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم (لقضى اليهم أجلهم) لقطع مدى استعدادهم فانقطع مدد الحياة الحقيقية عنهم ومدد الخير عن استعدادهم بالكلية وأزيل امكان التصفية منه لاقتضائه الشر فلم يصل اليهم بعد ذلك خير صوري ولا معنوي ولكن نمهلهم مابقي فيهم أدنى مسكة من استعدادهم وامكان قبول لادنى خير (فنذر الذين لايرجون لقاءنا) من جملتهم اى لايرفعون رأسا من انهما كهم في الشرور ولا يتوقعون نورا من أنوارنا ولا ينتبهون قط من غفلتهم بالرجوع الينا وطلب رحمتنا (في طغيانهم يعمهون) وتماديهم في الشرور يتحيرون وينقطع

اليهم لعلهم يحذرون يعني بأس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الآية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولم يزل امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتي امر الله (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع واحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة واحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل آية محكمة اوسنة قائمة اوفريضة عادلة اخرجه ابو داود الآية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها اوليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت السموات واخرجه الترمذي موقوفا وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه طلب العلم افضل من صلاة النافلة * قوله سبحانه وتعالى (يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلوهم حتى فرغوا منهم فأمروا بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا او يعطوا الجزية عن يد ونقل عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ

مدد الخيرات الصورية التي يسألها استعدادهم بلسان حاله عنهم حتى زول بانغماسهم وانهماكهم في الطبيعيات نور استعدادهم بالكلية لحصول الرين ويحق الطمس فانكسوا على رؤسهم الى اسفل سافلين (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه اوقاعدا اوقائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله

لانه سبحانه وتعالى لما امرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم انتقل الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم في الشأم فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما نال منهم من الغنائم على الابعد ❊ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم ﴿ واعلموا ان الله مع المتقين ﴾ يعني بالعون والنصرة ❊ قوله عزوجل ﴿ واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا ﴾ يعني واذا انزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه يعني السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا ﴾ يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شئ الى آخر من جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا اقروا بنزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عزوجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في اول سورة الانفال ﴿ وهم يستبشرون ﴾ يعني ان المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيأ بعد شئ لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ واما الذين في قلوبهم مرض ﴾ اى شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج ﴿ فزادتهم ﴾ يعني السورة من القرآن ﴿ رجسا الى رجسهم ﴾ يعني كفرا الى كفرهم وذلك انهم كلما جحدوا نزول سورة اواستهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه اقبح الاشياء واصل الرجس في اللغة الشئ المستقذر ﴿ وماتوا ﴾ يعني هؤلاء المنافقين ﴿ وهم كافرون ﴾ يعني وهم جاحدون لما انزل الله عزوجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ اولا يرون ﴾ قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض ﴿ انهم يفتنون ﴾ يعني يبتلون ﴿ في كل عام مرة او مرتين ﴾ يعني بالامراض والشدائد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ﴿ ثم لا يتوبون ﴾ يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ﴿ ولا هم يذكرون ﴾ يعني

﴿ ولا يتعظون ﴾

افلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الأمة واحدة فاختلفوا) على الفطرة التي فطر الله الناس عليها متوجهين الى الوحدة متنورين بنور الهداية الاصلية (فاختلفوا) بمقتضيات النشأة واختلاف الامزجة والاهوية والعادات والمخالطات (ولولا كلمة سبقت من ربك) اى قضاء سبق في الازل بتعيين الاجال والارزاق وتادى كل واحد من الشقي والسعيد الى حيث قدر له فيما بزاوله (لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) عاجلا ولميز السعيد من الشقي والحق من الباطل من اديانهم واهوائهم ولكن حكمة الله اقتضت ان يبلغ كل منهم وجهته

ولايتعظون بمايرون من صدق وعدالله بالنصروا لظفر للمسلمين (واذاماانزلت سورة) يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من احد) يعني هل احد من المؤمنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم من المؤمنين اقاموا ولبثوا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها مايكرهون (صرف الله قلوبهم) يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بانهم قوم لايفقهون) يعني لايفقهون عن الله دينه ولاشيأ فيه نفعهم * قوله سبحانه وتعالى (لقدجاءكم رسول من انفسكم) هذا خطاب للعرب يعني لقدجاءكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الاوقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني من سفاح اهل الجاهلية شئ ماولدني الانكاح كنكاح اهل الاسلام قال قتادة جعله الله من انفسهم فلايحسدونه على مااعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الاوقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضرها وربيعتها ويمانها فامار بيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان آمنة لها نسب بالانصار وان كانت من قريش والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ترغيب العرب في نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته وفخرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من اشرفكم وافضلكم (خ) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنافقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون احسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة في كدية من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فريقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فاناخيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقدجاءكم رسول من انفسكم عام فحمله على العموم اولى فيكون المعنى على هذا القول لقدجاءكم ايها الناس رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذلوكان من الملائكة لضعفت قوى البشر من سماع كلامه والاخذ عنه * وقوله سبحانه وتعالى (عزيز

التي ولي وجهه اليها باعماله التي نزاولها هو واظهار ماخفي في نفسه (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم)قدمر ان انواع البلاء من الضراء والبأساء وصنوف اللأواء تكسر شرة النفس وتلطف القلب بكشف حجب صفات النفس وترقيق كثافات الطبع ورفع غشاوات الهوى فلذا تنزع قلوبهم بالطبع الى مبدئها في تلك الحالة لرجوعها الى مقتضى فطرتها حينئذ وعودها الى نوريتها الاصلية وقوتها الفطرية وميلها الى العروج الذي هو في منحها لزوال المانع بل الميل الى الجهة العلوية والمبادئ النورية مفطور في طباع القوى الملكوتية كلها حتى النفس الحيوانية اوتركت عن الهيآت البدنية الظلمانية فان التسفل من العوارض الجسمانية حتى ان البهائم والوحوش اذا اشتدت

عليه ماعنتم) اى شديد عليه عنتكم يعنى مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم (حريص عليكم) يعنى حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله (بالمؤمنين رؤف رحيم) يعنى انه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وقد سماه الله رؤفا رحيما قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبى صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم * قوله سبحانه وتعالى (فان تولوا) يعنى فان اعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب (فقل حسبى الله) يعنى يكفينى الله وينصرنى عليكم (لااله الاهو عليه توكلت) يعنى لاعلى غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل مادونه فى الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فمادونه اويكون خصه بالذكر تشريفا له كما قال بيت الله روى عن ابى بن كعب انه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفى رواية عنه قال احدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر الايتين والله سبحانه وتعالى اعلم

(تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام)

نزلت بمكة الاثلاث آيات وهى قوله سبحانه وتعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفى رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدنى قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لايؤمن به الآية وقال مقاتل هى مكية الاآيتين وهى قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والتى تليها وهى مائة وتسع آيات والف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عزوجل (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبدالله وقال قتادة الر اسم من اسماء القرآن وقيل هى اسم للسورة وقد تقدم الكلام فى معنى الحروف المقطعة فى اول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة فى هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هى آيات الكتاب وهو القرآن الذى انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عزوجل وعده ان ينزل عليه كتابا لايمحوه الماء ولاتغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك للاشارة الى ماتقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هى آيات الكتاب الحكيم وفى قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التى قبل القرآن حكاه الطبرى عن قتادة وروى عن مجاهد انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكورة فى هذه السورة هى الآيات المذكورة فى التوراة والانجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة فى هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة

(والانجيل)

الحال عليها فى اوقات الحل وايام الجدب اجتمعت رافعة رؤسها الى السماء كان ملكوتها يشعر بنزول الفيض من الجهة العلوية فتمد منها فكذا اذا توافرت على الناس النعم الظاهرة وتكاملت عليهم الامداد الطبيعية والمرادات الجسمانية قويت النفس من مدد الجهة السفلية واستطالت قواها بالترفع على القلب وتكاثف الحجاب وغلظ وتسلط الهوى وغلب وصارت السلطنة للطبيعة الجسمانية وارتكمت الهيآت البدنية الظلمانية فتشكل القلب بهيئة النفس وقسا وغلظ وطغى وابطرته النعمة فكفر وعمى ومال الى الجهة السفلية لبعده عن الهيئة النورية حينئذ وبقدر استيلاء النفس على القلب يستولى الوهم على العقل فتستولى الشيطنة لكون القوة العاقلة اسيرة فى قيد الوهم مأمورة له يستعملها فى مطالبه ويستعيها فى مآربه من تحصيل لذات النفس

والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التى منها الر سميت آيات لانها افتتاح السور وسر القرآن (الحكيم) يعنى المحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وقيل ان الحكيم هو الذى يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على الاحكام صار كانه هو الحكيم فى نفسه * قوله سبحانه وتعالى (اكان للناس عجبا) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم قال الله اعظم ان يكون له رسول بشر مثل محمد فقال الله سبحانه وتعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا الآية والهمزة فى اكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا (ان اوحينا الى رجل منهم) والعجب حالة تعترى الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعترى الانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعنى من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته (ان انذر الناس) يعنى خوفهم بعقاب الله تعالى ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) اختلف عبارات المفسرين واهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وفى رواية اخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة فى الذكر الاول يعنى فى اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة فى هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شئ اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله فى مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة كل سابق فى خير اوشر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم فى الاسلام وقدم فى الخير ولفلان عندى قدم صدق وقدم سوء وقال حسان بن ثابت

لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

وقال الليث وابو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة

وانت امرؤ من اهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر

والسبب فى اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

صل لذى العرش واتخذ قدما * تنجيك يوم العثار والزلل

وامدادها من عالم الرجس وتقوية صفاتها باهب عالم الطبع وعدد مواد الحظ بالفكر فيحتجب القلب بالرين عن قبول صفات الحق بالكلية وذلك معنى قوله (اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله اسرع مكرا) باخفاء القهر الحقيقى فى هذا اللطف الصورى وتعبية عذاب نيران الحرمان وحيات هيآت الرذائل والعقارب السود ولباس القطران فى هذه الرحمة الظاهرة (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق) قد علمت ان الملكوت السماوية تنتقش بكل حادثة تقع

*وقوله سبحانه وتعالى (قال الكافرون ان هذا لسحر مبين) وقرئ لساحر مبين وفيه حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا الساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم انما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التي لايقدر احد من البشر ان يحصل مثلها او من قرا السحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك * قوله عزوجل (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش) تقدم تفسير هذا فى سورة الاعراف بما فيه كفاية * وقوله سبحانه وتعالى (يدبر الامر) قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور فى مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر فى ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل فى الوجود مالا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث فى العالم العلوى وفى العالم السفلى الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته (مامن شفيع الا من بعد اذنه) يعنى لايشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد ان يأذن له فى الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة فى تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ماليس له به علم فاذا اذن له فى الشفاعة كان له ان يشفع فيمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فاخبر الله سبحانه وتعالى انه لايشفع احد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق فى جميع العالم (ذلكم الله ربكم) يعنى الذى خلق هذه الاشياء ودبرها هو ربكم وسيدكم لارب لكم سواه (فاعبدوه) اى فاجعلوا عبادتكم له لالغيره لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم من النعم العظيمة (افلا تذكرون) يعنى افلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى * قوله سبحانه وتعالى (اليه مرجعكم جميعا) يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع (وعد الله حقا) يعنى وعدكم الله ذلك وعدا حقا (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) اى يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفى هذه الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكرى البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن فى المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى واذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصى وهو قوله سبحانه وتعالى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) يعنى بالعدل لاينقص من اجورهم شيأ (والذين كفروا لهم شراب من حميم) هو ماء حار قد انتهى حره (وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء) يعنى ذات ضياء (والقمر نورا) يعنى ذا نور واختلف اعلام اصحاب الكلام فى ان الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها اقوى واكمل من النور وخص القمر

فى هذا العالم من كل عمل حسن او قبيح يصدر عن احد فقد كتب عليه فى تلك الالواح وقد اتصل ملكوت كل بدن بتلك المبادى الملكوتية فتى هم هنا بحسنة او سيئة ارتسمت صورته فى ملكوت ابداننا على سبيل الخاطر اولا ثم اخذنا فى الفكر فيه فان استحكم النقش وانبعث منه العزيمة حتى امتلئنا الخاطر الاول بالارادة الجازمة انطبع باقدامنا على الفعل الا انه ان كان حسنة انطبع فى الحال فى جهة القلب التى تلى الروح ولوح الفؤاد المنور بنوره وكتبته القوة العاقلة العملية التى هى صاحب اليمين من الملكين الموكلين المشار اليهما بقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد اذ الفؤاد هو الجانب الاقوى منه وان كان سيئة لا ينطبع فى الحال لبعدالهيئة الظلمانية من القلب وعدم مناسبته

بالنور لانه اضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضياء المختص بالشمس اكمل واقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير فى وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدرلهما منازل اوقدر اسيرهما منازل لايجاوز انهما فى السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير فى وقدره للايجاز اوا كتفى بذكر احدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر فى المنازل اسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة فى الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثنى عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة (لتعلموا عدد السنين) يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها (والحساب) يعنى ولتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها (ماخلق الله ذلك الا بالحق) يعنى للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته (ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية فى نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى لايخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لايرجو فلانا بمعنى لايخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى مالكم لاترجون لله وقارا ومنه قول ابى ذؤيب الهذلى * اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * اى لم يخفه والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لايطمعون فى ثوابنا (ورضوا بالحيوة الدنيا) يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها (واطمأنوا بها) يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت فى قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات ادلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعنى عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون اى معرضون (اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يعنى يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة

اياها بالذات فان ادركه التوفيق وتلألأ عليه نور من انوار الهداية الروحانية ندم واستغفر فمحى عنه ومحى له وان لم يتداركه بقى متلجلجا حتى امدته النفس بظلمة صفاتها فاستقر فى لوح الصدر الذى هو وجه القلب الذى يلى النفس المظلم بظلمة النفس الغالبة عليه فى صدور هذا الفعل منه وكتبته القوة المتخيلة التى هى صاحب الشمال اذ هذا الجانب هو الاضعف وهذا هو المراد من قولهم صاحب الشمال لايكتب السيئة حتى تمضى ست ساعات فان استغفر فيها صاحبها لم تكتب وان صرح كتبته ويفهم من هذا الامر ايتاء الكتاب بيمين المسلم وشمال الكافر واما صورة الايتاء وكيفيته فقد يجىء فى موضعها ان شاء الله تعالى (يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به

والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانبارى يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه اى بتصديقهم هداهم (تجرى من تحتهم الانهار) يعنى بين ايديهم ينظرون اليها من اعالى اسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قدجعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهى قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل تجرى بامرهم (فى جنات النعيم) يعنى ذلك لهم فى جنات النعيم (دعواهم فيها) اى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء اى دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهى كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم فى الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم فى الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون الف صحيفة فى كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما اعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عزوجل والثناء عليه بما هو اهله وفى هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ماروى ماروى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفى رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم قوله جشاء اى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا ❊ وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيها سلام) يعنى يحيي بعضهم بعضا وقيل وتحييهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام (وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيأ قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشئ واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج اعلم الله ان اهل الجنة يبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر فى الحديث ❊ قوله سبحانه وتعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) يعنى ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر بما لهم فيه مضرة ومكروه فى نفس او مال قال ابن عباس هذا فى قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله واهله وولده بما يكره ان يستجاب له فيه (استعجالهم بالخير) يعنى كاستعجالهم بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم اجلهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشئ قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم واهلهم واولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو اجابهم الله اذا دعوه بالشر الذى يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم يعنى لفرغ من هلاكهم ولكن الله عزوجل بفضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له فى الشر وقيل ان هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله

نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) الجى ضد العدل فكما ان العدل فضيلة شاملة لجميع الفضائل وهيئة وحدانية لها فائضة من نور الوحدة على النفس فالبغى لا يكون الا عن غاية الانهماك فى الرذائل بحيث يستلزمه جميعا فصاحبها فى غاية البعد عن الحق ونهاية الظلمة كما قال الظلم ظلمات يوم القيامة فلهذا قال على انفسكم لا على المظلوم لان الظلوم سعد به وشقى الظالم غاية الشقاء وهو ليس الا متاع الحيوة الدنيا اذ جميع الافراطات والتفريطات المقابلة للعدالة تمتعات طبيعية ولذات حيوانية تنقضى بانقضاء الحياة الحسية التى مثلها فى سرعة الزوال وقلة البقاء هذا المثل الذى مثل به من تزين الارض بزخرفها من ماء المطر ثم فسادها

للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (في طغيانهم) يعني في تمردهم وعتوهم (يعمهون) يعني يترددون (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ❋ قوله عز وجل (واذا مس الانسان الضر) اى الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر (دعانا لجنبه) اى على جنبه مضطجعا (او قاعدا او قائما) يريد جميع حالاته لان الانسان لا يخلو من احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في جميع حالاته الى ان يكشف ضره سواء كان مضطجعا او قاعدا او قائما وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه (مر) يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وانما اسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضر مسه) والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه في البحائر والسوائب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم اعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر اقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه اولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع اوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام اعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلي ببلية او نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع احواله وليعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ابقاه على تلك المحنة فهو عدل وان ازالها عنه فهو فضل ❋ قوله سبحانه وتعالى (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعني لما اشركوا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) يعني وكذبوا (وما كانوا ليؤمنوا) يعني هذه الامم برسلهم ويصدقوهم بما جاؤا به من عند الله (كذلك نجزي القوم المجرمين) يعني كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها المشركون

بعض الآفات سريعا قبل الانتفاع بنباتها ثم تتبعها الشقاوة الابدية والعذاب الاليم الدائم وفي الحديث اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة لان صاحبه تتراكم عليه حقوق الناس فلا تحتمل عقوبته المهل الطويل الذي يحتمله حق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول قلما يموت الظالم حتف انفه وقلما يبلغ الفاسق أوان الشيخوخة وذلك لمبارزتهما الله تعالى في هدم النظام المصروف عنايته تعالى الى ضبطه ومخالفتهما اياه في حكمته وعدله (والله يدعوا الى دار السلام) يدعوا الكل الى دار سلام العالم الروحاني الذي لا آفة فيه ولا نقص ولا فقر ولا فناء بل فيه السلامة عن كل عيب والامان من كل خوف (ويهدي من يشاء) من جملتهم من اهل الاستعداد (الى صراط مستقيم) صراط الوحدة (للذين احسنوا)

بكذبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم ايها الناس خلفاء فى الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم (لننظر كيف تعملون) يعنى خيرا وشرا فنعاملكم على حسب اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر اعمالكم وهو يعلم مايكون قبل ان يكون قال اهل المعانى معنى النظر هو طلب العلم وجاز فى وصف الله سبحانه وتعالى اظهارا للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بمايكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء اخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء ❊ قوله سبحانه وتعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى انزلناه اليك يامحمد بينات يعنى واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لايرجون لقاءنا) يعنى قال هؤلاء المشركون الذين لايخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لايؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لايرجو ثوابا ولايخاف عقابا (ائت بقرآن غير هذا او بدله) قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبدالله بن امية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبدالله بن ابى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن بك فات بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لوجئتنا بقرآن غير هذا القرآن او بدلته لآمنابك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثانى ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا فى قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا او بدله يحتمل ان يأتى بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لايكون الامع وجوده وهو ان يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله ان يجيبهم بقوله (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء (مايكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى) يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس الى وماينبغى لى ان اغيره من قبل نفسى ولم اومر به (ان اتبع الامايوحى الى) يعنى فيما آمركم به او انهاكم عنه وما اخبركم الا مايخبرنى الله به وان الذى اتيتكم به هو من عند الله لامن عندى (انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) اى قل لهم يامحمد انى اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه او بدلته فعصيته بذلك ان يعذبنى بعذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت ❊ قوله سبحانه وتعالى (قل) اى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لوشاء الله ماتلوته عليكم) يعنى لوشاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يامرنى بقراءته عليكم (ولاادراكم به) قال ابن عباس ولاادراكم الله به ولااعلمكم به (فقد

اى جاؤا بما يحسن به حالهم من خير فعلى اوقولى او على ماهوسبب كمالهم المثوبة (الحسنى) من الكمال الذى يفيض عليهم بسبب ذلك الخير (وزيادة) مرتبة مما كان قبله بالترقى اوزيادة فى استعداد قبول الخيرات والكمالات بانضمام هذا الكمال والنور الفائض عليهم الى استعدادهم الاول على ماذكر (ولايرهق وجوههم قتر) وجوه قلوبهم غبار من كدورات صفات النفس وقيام غلباتها ولاذلة) من ميل قلوبهم الى الجهة السفلية (اولئك اصحاب الجنة) التى يقتضيها حالهم وارتقاؤهم من الجنان المذكورة (هم فيها خالدون والذين كسبوا) اجناس (السيئات) من اعمال واقوال وعقائد تحجب استعدادهم عن قبول الكمال (جزاء سيئة بمثلها) من الهيئة التى ارتكبت على قلوبهم من سيئاتهم فنعتها الصفاء والنور (وترهقهم ذلة)

لبثت فيكم عمرا من قبله) يعنى فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى الى القرآن مدة اربعين سنة لم آتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من احد مدة عمره قبل الوحى وذلك اربعون سنة ثم بعد اربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم واخبار الماضين وفيه من الاحكام والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما عجز البلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحى من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله (افلا تعقلون) يعنى ان هذا القرآن من عند الله اوحاه الى لا من قبل نفسى (ق) عن ابن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيأ وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشرا وتوفى وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه فى الصحيحين (ق) عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه فى الصحيحين (م) عن انس قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وابوبكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين اخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن قال سمعت انس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل انزل عليه الوحى وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحى وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على راس ستين سنة وليس فى راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محيى الدين النووى ورد فى عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها انه صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنه والثالثة ثلاث وستون سنة وهى اصحها واشهرها رواها مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان اصحها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقى عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة ايضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعنى صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعنى نور الملائكة او نور آيات الله حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحى من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والحمرة ✽ قوله عز وجل (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى انى لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه فى قوله ان هذا القرآن من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله تعالى منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان احد فى الدنيا اظلم على نفسه منى من حيث انى افتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله اوحاه الى وجب ان يقال ليس احد فى الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم من حيث انكم انكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد

الميل الى الجهة السفلية (مالهم من الله من عاصم) يعصمهم من تلك الذلة والخذلان لوجود الحجاب وعدم قبول نور العصمة لثبوت الكدورة (كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط ارتكاب الهيئة المظلمة من الميول الطبيعية والاعمال الردية عليها (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) التى يقتضيها حالهم فى التسفل من نيران الآثار والافعال (ويوم نحشرهم جميعا) فى الجمع الاكبر عين جمع الوجود المطلق (ثم نقول للذين اشركوا) منهم اى المحجوبين الواقفين مع الغير بالمحبة والطاعة (مكانكم) اى الزموا مكانكم (انتم وشركاؤكم) ومعناه وقفوا مع ما وقفوا معه فى الموقف مع قطع الوصل والاسباب التى هى سبب محبتهم وعبادتهم وتبرؤا المعبود من العابد لانقطاع الآلات البدنية والاعراض الطبيعية التى توجب تلك الوصل وهو معنى قوله

كذبتم بآياته وهو قوله تعالى (اوكذب بآياته) يعنى جحد بكون القرآن من عند الله وانكر دلائل التوحيد (انه لايفلح المجرمون) يعنى المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق (ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم) يعنى ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التى لاتضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولاتنفعهم ان عبدوها لانها جارة وجاد لاتضر ولاتنفع وان العبادة اعظم انواع التعظيم فلاتليق الا بمن يضر وينفع ويسمع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جاردة لاتضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعنى الاصنام التى يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال اهل المعانى توهموا ان عبادتها اشد فى تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا بأهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبارا عنهم مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى وفى هذه الشفاعة قولان احدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم فى الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثانى انها تشفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لايعتقدون بعثا بعد الموت (قل) اى قل لهم يامحمد (اتنبؤن الله بما لايعلم فى السموات ولا فى الارض) يعنى اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا فى السموات ولا فى الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفى علم الله بذلك الشفيع وانه لاوجود له البتة لانه لوكان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لايكون موجودا ومثل هذا مشهور فى العرف فان الانسان اذا اراد نفى شئ حصل فى نفسه يقول ماعلم الله ذلك منى مقصوده انه ماحصل ذلك الشئ منه قط ولا وقع (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون له شريك فى السموات والارض ولايعلمه ❊ قوله سبحانه وتعالى (وماكان الناس الا امة واحدة فاختلفوا) يعنى فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعنى كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحى فعلى هذا القول يكون المراد من الناس فى قوله وماكان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعنى فى الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لامطمع فى ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس فى الآية مايدل على اى دين كانوا من ايمان اوكفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا فى اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا فى الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه اوينصرانه اويمجسانه والمراد بالفطرة فى الحديث فطرة الاسلام ❊ قوله سبحانه وتعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى انه سبحانه وتعالى جعل لكل امة اجلا وقضى بذلك فى سابق الازل قال الكلبى هى امهال هذه الامة وانه لايهلكهم بالعذاب (لقضى بينهم) يعنى بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعنى مضت فى حكمة الله انه لايقضى عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم

(فزيلنا بينهم) اى مع كونهم فى الموقف معا فرقنا بينهم فى الوجهة وذلك هو دعلو رتبة المعبود ودنو رتبة العابد وتباين حاليهما اذا كان المعبود شريفا كالملائكة والمسيح وعزير وامثالهم ممن له السابقة عند الله كما قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون (وقال شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون) بل تعبدون الشيطان بطاعتكم اياه وما اخترعتموه فى اوهامكم من اباطيل فاسدة واماني كاذبة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) اى الله يعلم انا ما امرناكم بذلك وما اردنا عبادتكم ايانا (هنالك تبلوا) اى عند ذلك الموقف تختبرون وتذوق (كل نفس ما اسلفت) فى الدنيا (وردوا الى الله) فى موقف الجزاء بالانقطاع عن الآلهة وانفرادهم عنها (مولاهم الحق) المتولى جزاءهم بالعدل والقسط (وضل عنهم ماكانوا يفترون) من اختراعاتهم

فى الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل لجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انى لا يؤاخذ احد الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التى سبقت من الله هى قوله ان رحمتى سبقت غضبى ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة فى الدنيا ولكن اخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعنى فى الدنيا (ويقولون) يعنى كفار مكة (لولا انزل عليه آية من ربه) يعنى هلا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الآيات (فقل) اى فقل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعنى ان الذى سألتمونيه هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزل الآية الا هو (فانتظروا) يعنى نزولها (انى معكم من المنتظرين) وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل انى معكم من المنتظرين ❊ قوله عز وجل (واذا اذقنا الناس رحمة) يعنى رخاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعنى من بعد شدة وبلاء وضيق فى العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فأنزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا لهم مكر فى آياتنا) قال مجاهد اى تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب اخرجاه فى الصحيحين قوله على اثر سماء كانت من الليل اى مطر كان وقع فى الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر من السماء والانواء عند العرب هى منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون فى الجاهلية انه لابد عند ذلك من وجود مطر او ريح كما زعم المنجمون ايضا فمن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه ناء اى ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبى عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير واما من يجعل دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك الى العادة التى يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله اعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشئ عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون فى دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد (قل الله اسرع مكرا) اى قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا واقدر على الجزاء وان عذابه فى هلاككم اسرع اليكم مما يأتى منكم فى دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) يعنى الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم ❊ قوله تعالى (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يعنى هو الله الذى يسيركم يعنى يحملكم فى البر على ظهور الدواب وفى البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادى لكم فى المسير فى البر والبحر طلبا للمعاش او هو المهيئ لكم اسباب السير فى البر والبحر (حتى اذا كنتم

واصول دينهم ومذهبهم وتوهماتهم الكاذبة وامانيهم الباطلة (قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فمالكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن ان يفترى) اختلافا (من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه) ن اللواح المحفوظ (وتفصيل

الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) الذى هو الام كقوله وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم اى كيف يكون مختلقا وقد اثبت قبله فى كتابين من غير مفسر لا كا هو فى اللوح المحفوظ ومجملا فى ام الكتاب الذى هذا تفصيله (ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) اى لما جهلوا كيفية ثبوته فى علم الله ونزوله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقصر علمهم عن ذلك كذبوا به (ولما يأتهم تأويله) اى ظهور ماشار اليه فى مواعيده وامدله ما يؤل امره وعلما اليه فلا يمكنهم لتكذب لانه اذا ظهرت حقائقه لا يمكن لاحد تكذيبه * مثل ذلك التكذيب العظيم (كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) عاقبتهم لما ظلموا بالتكذيب (ومنهم من يؤمن به) اى سيؤمن به لرقة حجابه (ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم

فى الفلك) يعنى السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقدير هما مختلفان فان اريد بها الواحد كان كبناء قفل وان اريد بها الجمع كان كبناء اسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجرين بهم) يعنى وجرت السفن بركابها فان قلت مافائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من اقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات فى الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعنى وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوا بها) يعنى وفرح ركباز تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك (جاءتها ريح عاصف) قيل ان الضمير فى جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فاقلبتها وقيل الضمير فى جاءتها يرجع الى الفلك يعنى جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه اراد به ذات عصوف اولاجل ان لفظ الريح قد يذكر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعنى وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء فى البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا انهم احيط بهم) يعنى وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين اى وايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله مخلصين له الدين) يعنى انهم اخلصوا فى الدعاء لله عزوجل ولم يدعوا احدا سواه من آلهتهم وقيل فى معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقى لا اخلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا فى شدة وضرو بلاء اخلصوا لله الدعاء (لئن انجيتنا) اى قائلين لئن انجيتنا ياربنا (من هذه) يعنى من هذه الشدائد التى نحن فيها وهى الريح العاصفة والامواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعنى من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما انجاهم) يعنى فلما انجى الله هؤلاء الذين ظنوا انها احيط بهم من الشدة التى كانوا فيها (اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق) يعنى انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا فى الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصى على ظهرها واصل البغى مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغى على ضربين احدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثانى مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغى لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة (ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم) يعنى ان وبال بغيكم راجع عليكم (متاع الحيوة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغى بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم لا يتهيأ ان يبغى بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها فى سرعة انقضائها والبغى من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يتمثل به فقال

ياصاحب البغي ان البغي مصرعة * فارجع فخير مقاتل المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه اعاليه واسفله

* وقوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعكم) يعني يوم القيامة (فننبئكم) اى فنخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها * قوله عزوجل (انما مثل الحيوة الدنيا) يعني في فنائها وزوالها (كماء انزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به) اى بالمطر (نبات الارض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يأكل الناس) يعني من الحبوب والثمر (والانعام) يعني ومما يأكل الانعام من الحشيش ونحوه (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) يعني حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) اى وتزينت (وظن اهلها) يعني اهل تلك الارض (انهم قادرون عليها) يعني على جدادها وقطافها وحصادها رد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة (اتاها امرنا) اى قضاؤنا بهلاكها (ليلا او نهارا) يعني في الليل او النهار (فجعلناها حصيدا) يعني محصودة مقطوعة (كان لم تغن بالامس) يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض واصله من غني فلان بالمكان اذا اقام به وهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمتشبثين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الآخرة لان النبات في اول بروزه من الارض ومبدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجعلت الارض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولاشك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى ارسل على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا يأتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذا الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتاه الموت بغتة فسلبه ماهو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتته آفة فتلف بالكلية ثم ان الله سبحانه وتعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء في الآخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة من القلوب * قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لامحالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من

بالمفسدين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريؤن مما اعمل وانا بريء مما تعملون) ابدا الغلظ جبابه (ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون) ولكن لايفهمون اما لعدم الاستعداد في الاصل واما لرسوخ الهيآت المظلمة الحاجبة لنور الاستعداد فيهم واما لاجتماع الامرين كالاصم الذى لاعقل له فلا يسمع ولا يتفطن الاشارة فكيف يمكن افهامه (ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولوكانوا لايبصرون) ولكن لايبصر الحق ولاحقيقتك لاحد الامرين المذكورين اوكليهما كالاعمى الذى انضم الى فقد ان بصره فقدان البصيرة فلايبصر ولايستبصر فكيف تمكن هدايته (ان الله لايظلم الناس شيأ) لما ذكر الصمم والعمى اللذين يدلان على عدم استعداد الادراك اشعر الكلام بوقوع الظلم لوجود الاستعداد لبعض وعدمه لبعض فسلب الظلم عن نفسه لان عدم الاستعداد في الاصل ليس ظلما اعدم

اسماالله عزوجل ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذي السلام اي لايقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات الاهو وقيل دارالسلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقدسلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دارالسلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على اهلها وتسلم الملائكة عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دارالسلام وفيه دليل على ان فيها مالاعين رات ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر لان لان العظيم لايدعو الاالى عظيم ولايصف الاعظيما وقدوصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه (ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يعني والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربواله مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا اولوها يفقهها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت في المنام كان جبريل عليه السلام عند راسي وميكائيل عند رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وعن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كنفي الصراط داران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعو على راس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ※ قوله عزوجل (للذين احسنوا الحسنى) قال ابن عباس للذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين احسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانباري الحسنى في اللغة تأنيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا المثوبة الحسنى (وزيادة) اختلف المفسرون في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم ابوبكر الصديق وحذيفة وابوموسى الاشعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فروي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى اتريدون شيا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذين احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن

امكان ماهو اجود منه بالنسبة الى خصوصية ذلك وهويته فكان عينه مقتضيا له في رتبة من مراتب الامكان كالا يمكن للحمار مع جاريته استعداد الادراك الانساني وكان عينه مستدعيا لما هو عليه من الاستعداد الجاري ولا يطلب منه وراء ما في استعداده فلا ظلم هذا اذا لم يكن في الاصل او اما اذا بطل برسوخ الهيآت المظلمة فلا كلام فيه او كلاهما ظالم لنفسه اما الاول فلقصوره في درجات الامكان ونقصانه بالاضافة الى مافوقه كقصور الحمار مثلا عن الانسان ونقصانه بالاضافة اليه لا في نفسه لانه في حد نفسه ليس بقاصر ولا ناقص واما الثاني فظاهر وعلى هذا معنى (ولكن الناس انفسهم يظلمون) ينقصون حظها او ان الله لا يظلم الناس شيأ بان يطلب منهم ما ليس في استعدادهم فيعاقبهم على ذلك ولكن الناس انفسهم يظلمون فيستعملون استعداداتهم فيما لم تخلق لاجله (ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) لعدم احساسهم بالحركة

النبي صلى الله عليه وسلم في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم وعن ابي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وعن ابي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة مناديا ينادي هل انجزكم ما وعدكم به فينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها ابو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيتجلى لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شيء اعطوه ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على ان المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة امرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والالزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فأثبت لاهل الجنة امرين احدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لايجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتفى ما قلتم اجاب اصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه بان المزيد عليه اذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيأ مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية واجيب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية بانه معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ماروى عن علي بن ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤ واحدة لها اربعة ابواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم

المستلزم لذهولهم عن الزمان اذ الذاهل عن الحركة ذاهل عن الزمان فسواء عندهم الساعة الواحدة والدهور المتطاولة (يتعارفون بينهم) بحكم سابقة الصحبة وذهبة الهوى اللازمة للجنسية الاصلية بدلالة التشاؤم ثم ان بقيت الجنسية الاصلية والمناسبة الفطرية لاتحادهم في الوجهة واتفاقهم في المقصد بقي التعارف بينهم وان لم يبق بسبب اختلاف الاهواء وتباين الآراء وتفاوت الهيآت المستفادة من لواحق النشأة وعوارض المادة انقلب الى التناكر (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) لوقوعهم في وحشة التناكر حينئذ واحتجابهم بحجب عاداتهم الفاسقة وهيآت اعتقاداتهم الفاسدة (وما كانوا مهتدين) وبطل نور استعدادهم فلا يهتدون الى الله ولا الى التعارف فخسؤا مبغوضين مطرودين لا يألفون انسا ولا يؤنون الفا (واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول) يجانسهم في الاحوال

ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا لايحاسبهم به يوم القيامة ✽ وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرهق وجوههم) يعني ولا يغشى وجوه اهل الجنة (قتر) اى كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس سواد الوجوه (ولا ذلة) يعني ولا هوان قال ابن ابى ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعني ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لاغيرهم وهم فيها مقيمون لايخرجون منها ابدا ✽ قوله سبحانه وتعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى احوال المحسنين وما اعدلهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من اقدم على السيآت والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين عملوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصى جزاء سيئة بمثلها يعني فلهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيآت لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيآت فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله اياهم (مالهم من الله من عاصم) يعني مالهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم (كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) يعني كأنما البست وجوههم سوادا من الليل المظلم (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم جميعا) الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) اى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (انتم وشركاؤكم) يعني انتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله (فزيلنا بينهم) يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الآن ✽ قوله (وقال شركاؤهم) يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم او لانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب (ما كنتم ايانا تعبدون) تبرأ المعبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جماد لاروح فيها ولاعقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم او يبقيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شئ من افعاله واحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب او سنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة

النفسانية ليكن بينهم الالفة الموجبة للاستفادة منه وبمكنه النزول الى مبالغ عقولهم ومراتب فهومهم فيزكيهم بما يصلح احوالهم ويكشف حجبهم ويعلمهم بما يوجب ترقيهم عن مقاماتهم ويهديهم الى الله (فاذا جاء رسولهم قضى بينهم) بهداية من اهتدى منهم وضلالة من ضل وسعادة من سعد وشقاوة من شقى لظهور ذلك بوجوده وطاعة بعضهم اياه لقربه منه وانكار بعضهم له لبعده عنه (بالقسط) اى بالعدل الذى هو الغالب على حال النبي لكونه ظاهر توحيده وسيرته وطريقته (وهم لايظلمون) بنسبة خلاف ماهو حالهم اليهم ومجازاتهم به او قضى بينهم بانجاء من اهتدى به واثابته واهلاك من ضل وتعذيبه لظهور اسباب ذلك بوجوده (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) انكار لاحتجابهم عن القيامة وعدم وقوفهم على معناها اذ لو علموا كيفيته بارتفاع حجبهم بالتجرد عن ملابس النفس صدقوهم في ذلك وما انكروا (قل لااملك

الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون في يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك اما قوله سبحانه وتعالى (هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت) فهو كالتتمة للآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام او ذلك الموقف او ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلوا قراآت قرئ بتاءين ولها معنيان احدهما انه من تلاه اذا تبعه اي تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب او العقاب الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير او شر وقرئ تبلو بالتاء المثناة والباء الموحدة ومعناه تخبر وتعلم والبلوا الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت يعني انه ان قدم خيرا او شرا اقدم عليه وجوزي به (وردوا الى الله مولاهم الحق) الرد عبارة عن صرف الشئ الى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكهم ومتولي امرهم فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى في آية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا * قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والارض) اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات (امن يملك السمع والابصار) يعني ومن اعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول اقرب الى الحقيقة (ومن يدبر الامر) يعني ان مدبر امر السموات وما فيها ومدبر امر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعني انهم يعترفون ان فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك (فقل) اي قل لهم يا محمد (افلا تتقون) يعني افلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ من هذه الامور (فذلكم الله ربكم الحق) يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا (فانى تصرفون) يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستخيرون العدول عن الحق الى الضلال الباطل (كذلك) اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال (حقت) اي وجبت (كلمت ربك) في الازل (على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يدافع (قل هل من شركائكم) اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها آلهة (من يبدا الخلق) يعني من يقدر على ان

لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله) درجهم الى شهود الافعال بسلب الملك والتأثير عن نفسه ووجوب وقوع ذلك عنه بمشيئة الله ليعرفوا آثار القيامة ثم اوّح الى ان القيامة الصغرى هي بانقضاء آجالهم المقدرة عند الله بقوله (لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبؤنك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) اي تزكية لنفوسكم بالوعد والوعيد

يتشئ الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) اى ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السؤل استفهام انكار (قل) اى قل انت يا محمد (الله يبدا الخلق ثم يعيده) يعنى ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فانى تؤفكون) يعنى فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من احوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) اى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك (قل) اى قل لهم انت يا محمد (الله يهدى للحق) يعنى ان الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره (افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى) يعنى ان الله هو الذى يهدى الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التى لا تهدى الا ان تهدى فان قلت الاصنام جماد لا تتصور هدايتها ولا ان تهدى فكيف قال الا ان يهدى قلت ذكر العلماء من هذا السؤال وجوها الاول ان معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان اخر الا ان تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى ان ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عمن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيد الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته واما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته اولى من اتباع غيره ❊ وقوله سبحانه وتعالى (فما لكم كيف تحكمون) قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم اى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على اى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بئسما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع اكثرهم الا ظنا) يعنى وما يتبع اكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شيأ) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيأ ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيأ (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ❊ قوله تعالى (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتى به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القرآن وحى انزله الله عليه وانه مبرأ عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكد هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله انزل هذا القرآن مصدقا لما قبله من الكتب التى

والانذار والبشارة والزجر عن الذنوب المورطة فى العقاب والتحريض على الاعمال الموجبة للثواب لتعلوا على الخوف والرجاء (وشفاء لما فى الصدور) اى القلوب من امراضها كالشك والنفاق والغل والغش وامثال ذلك بتعليم الحقائق والحكم الموجبة لليقين وتصفيتها لقبول المعارف والتنور بنور التوحيد والتهيئ لتجليات الصفات (وهدى) لارواحكم الى الشهود الذاتى (ورحمة) بافاضة الكمالات اللائقة بكل مقام من المقامات الثلاث بعد حصول الاستعداد فى مقام النفس بالموعظة ومقام القلب بالتصفية ومقام الروح بالهداية (للمؤمنين) بالتصديق اولا ثم باليقين ثانيا ثم بالعيان ثالثا (قل بفضل الله) اى بتوفيقه للقبول فى المقامات الثلاثة (وبرحمته) بالمواهب الخلقية والعلمية والكشفية فى المراتب الثلاث فليعتنوا وان كانوا يفرحون (فبذلك فليفرحوا) لا بالامور الفانية القليلة المقدار الدنيئة القدر والوقع (هو خير مما يجمعون)

انزلها على انبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميالايقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه اخبار الاوّلين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان مافيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بانه ماعلم مافيها فثبت بذلك انه وحى من الله انزله عليه وانه مصدق لمابين يديه وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذى بين يديه يعنى من اخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق مااخبر (وتفصيل الكتاب) يعنى وتبيين مافى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لاريب فيه من رب العالمين) يعنى ان هذا القرآن لاشك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لايقدر احد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (ام يقولون افتراه) يعنى ام يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو اى ويقولون افتراه (قل) اى قل لهم يامحمد ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) يعنى بسورة شبيهة به فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثلى فى الفصاحة والبلاغة فان قلت قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فاتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك ومالفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرأ ولم يكتب واتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا فى نفسه فقيل لهم فأتوا بسورة من مثله يعنى من انسان امى مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه فى عدم الكتابة والقراءة واما قوله سبحانه وتعالى فاتوا بسورة مثله اى فاتوا بسورة تساوى سور القرآن فى الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعنى ان السورة فى نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله (وادعوا من استطعتم من دون الله) يعنى وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعنى فى قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعنى القرآن اى كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريدانه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما فى القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا مافى القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك انكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لايقدر احد على استيعابها وتحصيلها (ولما يأتهم تأويله) يعنى انهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان مايؤل اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ماتؤل اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعنى كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية انبياءهم فيما وعدوهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى فانظر يامحمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم

من الخصائص الفاسدة والحقرات الزائلة من جملة الحطام ان كانوا اصحاب دراية وفطنة وارباب قدر وهمة (قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق) الى آخره اى اخبرونى ماأنزل الله من رزق معنوى كالحقائق والمعارف والاحوال والمواهب وكالآداب والشرائع والمواعظ والنصائح (فجعلتم منه) بعضه (حراما) كالقسم الاول (و) بعضه (حلالا) كالقسم الثانى (قل الله أذن لكم) فى الحكم بالتحريم والتحليل (أم على الله تفترون وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة) الوسطى بتجرد القلب عن ملابس النفس وحصول اليقين او يوم القيامة الكبرى بالتوحيد الذاتى وظهور العيان اى لايبقى ظنهم وليس شيأ حينئذ او يوم القيامة الصغرى بالموت وحصول الحرمان اى يكون ظنهم وبالا وعذابا حينئذ (ان الله لذو فضل على الناس) بصنفى العلمين وافاضتهما وتوفيق القبول لهما وتهيئة الاستعداد لقبولهما (ولكن اكثرهم لايشكرون) نعمته

وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله * قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به) يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن (وربك اعلم بالمفسدين) يعني الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعني وان كذبك قومك يا محمد (فقل) اي فقل لهم (لي عملي) يعني الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) يعني الشرك وجزاء عقابه (انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والردع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا * قوله تعالى (ومنهم) يعني ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (افانت تسمع الصم) يعني كما انك لا تقدر على اسماع الصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعني ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال اذا لم ينتفعوا بما يسمعوا هم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيأ ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعني بابصارهم الظاهرة (افانت تهدي العمي) يريد عمي القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله اعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيأ من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن (ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس انفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم اخبر في هذه الآية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم) يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على امر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال

فليستعملون ما وهب لهم من الاستعداد والعلوم في تحصيل المنافع الجزئية والمطالب الحسية ويكفرون لنعمته فيحرمون عن الزيادة (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين) الا ان اولياء الله) المستغرقين في عين الهوية الاحدية بفناء الانية (لا خوف عليهم) اذ لم يبق منهم بقية حتى يخافوا بسببها من حرمان ولا غاية وراء ما بلغوا فيخافوا من حجبه (ولا هم يحزنون) لامتناع فوات شئ من الكمالات واللذات منهم فيحزنوا عليه وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من هم فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم وهذا رمز لطيف منه عليه السلام وعن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة

يوم القيامة وفى بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من تحبه ولايقدر ان يكلمه هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيامة مختلفة ففى بعضها يعرف بعضهم بعضا وفى بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول مايعاينون فى ذلك اليوم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) يعنى ان من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه آثر الفانى على الباقى (وما كانوا مهتدين) يعنى الى مايصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (واما نرينك) يعنى يامحمد (بعض الذى نعدهم) يعنى مانعدهم به من العذاب فى الدنيا فذاك (او نتوفينك) قبل ان نريك ذلك الوعد فى الدنيا فانك ستراه فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فالينا مرجعهم) يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ان الله يرى رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم فى حال حياته فى الدنيا وقد اراه ذلك فى يوم بدر وغيره من الايام وسيريه مااعدلهم من العذاب فى الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على مايفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعنى انه سبحانه وتعالى شاهد على افعالهم التى فعلوها فى الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة * قوله عزوجل (ولكل امة رسول) لما بين الله عزوجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع اممهم كذلك فقال تعالى ولكل امة يعنى قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعنى مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به (فاذا جاء رسولهم) فى هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم وبلغهم ماارسل به اليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون (قضى بينهم بالقسط) يعنى حكم بينهم بالعدل وفى وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان احدهما انه فى الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل الى كل امة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا رسلهم وخالفوا امر الله قضى بينهم وبين رسلهم فى الدنيا فيهلك الكافرين وينجى رسلهم والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لاظلما لان قبل مجئ الرسول لايكون ثواب ولاعقاب * القول الثانى ان وقت القضاء فى الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصى جئ بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة فى اظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لايظلمون) يعنى من جزاء اعمالهم شيأ ولكن يجازى كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لايعذبون بغير ذنب ولايؤاخذون بغير حجة ولاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيآتهم (ويقولون) يعنى هؤلاء الكفار (متى هذا الوعد) يعنى الذى تعدنا به يامحمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك اويكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يامحمد اوذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) اى قل لهم يامحمد (لااملك لنفسى ضرا ولانفعا) يعنى لااملك لنفسى دفع ضر اوجلب نفع ولااقدر على ذلك (الاماشاء الله) نعنى ان اقدر عليه او املكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لايقدر عليه الاالله فتعيين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذى وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لامحالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل امة اجل) اى مدة مضروبة ووقت معين (اذا جاء اجلهم) يعنى اذا انقضت مدة اعمارهم (فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون)

لمكانهم من الله قالوا يارسول الله خبرنا من هم وماأعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لايخافون اذا خاف الناس ولايحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية قوله وانهم لعلى منابر من نور يريد به اتصالهم بالمبادى العالية الروحانية كالعقل الاول ومايليه (الذين آمنوا وكانوا يتقون) ان جعل صفة لاولياء الله فمعناه الذين آمنوا الايمان الحق وكانوا يتقون بقاياهم وظهور تلويناتهم (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا) بوجود الاستقامة فى الاعمال والاخلاق المبشرة بجنة النفوس (وفى الآخرة) بظهور انوار الصفات والحقائق الروحانية والمعارف الحقانية عليهم المبشرة بجنة القلوب وحصول الذوق بهما واللذة (لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) لحقائقه الواردة عليهم واسمائه المنكشفة لهم واحكام تجلياته النازلة بهم

يعني لايتأخرون عن ذلك الاجل الذى اجل لهم ولايستقدمونه (قل) اى يامحمد لهؤلاء المشركين من قومك (ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا) يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان فى الليل لايكون الافى البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (اونهارا) يعنى فى النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعنى ماالذى يستعجلون من نزول العذاب وقدوقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوايستعجلون نزول العذاب كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هوالحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعنى اى شئ يعلم المجرمون مايطلبون ويستعجلون كمايقول الرجل لغيره وقدفعل فعلا قبيحا ماذاجنيت على نفسك (اثم اذا ماوقع) يعني اذامانزل العذاب ووقع (آمنتم به) يعنى آمنتم بالله وقت نزول العذاب وهووقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع (آلآن) فيه اضمار تقديره يقال لهم آلآن تؤمنون اى حين وقع العذاب (وقدكنتم به تستعجلون) يعنى تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) يعنى ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الابما كنتم تكسبون) يعنى فى الدنيا من الاعمال ❊ قوله سبحانه وتعالى (ويستنبؤنك احق هو) يعني ويستخبرونك يامحمدا حق ماتعدنابه من نزول العذاب وقيام الساعة (قل اى وربى) اى قل لهم يامحمد نعم وربى (انه لحق) يعنى ان الذى اعدكم به حق لاشك فيه (وماانتم بمعجزين) يعنى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقدفاته (ولو ان لكل نفس ظلمت) يعنى اشركت (مافى الارض) يعنى من شئ (لافتدت به) يعنى يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجو به من العذاب الاانه لاينفعه الفداء ولايقبل منه (واسروا الندامة) يعنى يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضى والقيامة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضى والاسراريكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا فى قوله واسروا الندامة فقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا يعنى اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم (لماراوا العذاب) يعنى حين عاينوا العذاب وابصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قدظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهوقوله سبحانه وتعالى (وهم لايظلمون) يعنى فى الحكم لهم وعليهم بأن يخفف من عذاب المظلوم ويشدد فى عذاب الظالم (الاان لله مافى السموات والارض) يعنى ان كل شئ فى السموات والارض لله ملك له لايشركه فيه غيره فليس للكافر شئ يفتدى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا ملك لله فكيف يفتدى من هومملوك لغيره بشئ لايملكه (الاان وعدالله حق) يعنى ماوعدالله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصى حق لاشك فيه (ولكن اكثرهم لايعلمون) يعنى حقيقة ذلك (هو يحيى ويميت) يعنى الذى يملك مافى السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لايتعذر عليه شئ مماراد (واليه ترجعون) يعنى بعد الموت للجزاء ❊ قوله عزوجل (ياايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم) قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهوالاصح وهو

وان جعل كلامابرأسه مبتدأ فمعناه الذين آمنوا الايمان اليقيني و كانو ايتقون حجب صفات النفس وموانع الكشف من التشكيكات الوهمية والوساوس الشيطانية لهم البشرى فى الحيوة الدنيا بوجدان لذة بردالیقین فى النفس واطمئنانها بنزول السكينة وفى الآخرة بوجدان ذوق تجليات الصفات أثرانوار المكاشفات لاتبديل لكلمات الله من عاومهم اللدنية وحكمهم اليقينية اوفطرتهم التى فطرهم الله عليها فان كل نفس كلمة (ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا) اى لاتتأثر به فانه مراء وشاهد عزته الله وقهره لتنظر اليهم بنظر الفناء وترى اعمالهم واقوالهم ومايهددونك به كالهباء فمن شاهد قوة الله وعزته يرى كل القوة والعزة له لاقوة لاحد ولاحول (انه هوالسميع) لاقوالهم فيك فيجازيهم (العليم) لما ينبغى ان يفعل بهم من بين ضعفهم وعجزهم وامتناع غلبتهم عليه بقوله (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) كلهم تحت ملكته وتصرفه

اختيار الطبرى قدجاءتكم موعظة من ربكم يعنى القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة مايدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما فى الصدور) يعنى ان القرآن ذو شفاء لما فى القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هى الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع فى بدن الانسان لمكان القلب فيه (وهدى) يعنى وهو هدى من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) يعنى ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء فى بفضل الله متعلقة بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ماتقدم عليه وهو قوله قدجاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الآية على هذا ياايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ❊ثم قال سبحانه وتعالى (فبذلك فليفرحوا) اشار بذلك الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ واشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدى الفاء فى قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر ❊ فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعى ❊ فالفاء فى قوله فاجزعى زائدة وقال صاحب الكشاف فى معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط وكانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة فى القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا ادركت المأمول ولذلك اكثر ما يستعمل الفرح فى اللذات البدنية الدنيوية واستعملها فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته اى ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه (هو خير مما يجمعون) يعنى من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعانى فى هذه الآية واما مذهب المفسرين فغير هذا قال ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال ابو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه فى قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن وعلى هذا الباء فى بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره مابعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (قل) اى قل يامحمد لكفار مكة (ارايتم ماانزل الله لكم من رزق) يعنى من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما فى الارض بالانزال لان جميع مافى الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السماء (فجعلتم منه) يعنى من ذلك الرزق (حراما وحلالا) يعنى ماحرموه على انفسهم فى الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله مماذرا من الحرث والانعام نصيبا (قل آلله اذن لكم)

وقهره ولايقدرون على شئ بغير اذنه ومشيئته واقداره اياهم (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) واى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى اذا كان الكل تحت قهره وملكته فايتبعون من دون الله ليس بشئ ولا تأثير له ولاقوة (ان يتبعون الاالظن) مايتوهمونه فى ظنهم ويتخيلونه فى خيالهم وماهم الايقدرون وجود شئ لاوجود له فى الحقيقة (هو الذى جعل لكم الليل) ليل الجسم (لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) ونهار الروح لتبصروا به حقائق الاشياء وماتهتدون به اليه (ان فى ذلك الآيات لقوم يسمعون) كلام الله به فيفهمون بواطنه وحدوده ويطلعون به على صفاته واسمائه فيشاهدونه موصوفا ومتسميا بها (قالوا اتخذ الله ولدا) اى معلولا يجانسه (سبحانه) انزهه عن مجانسة شئ (هو الغنى) الذى وجوده بذاته وبه وجود كل شئ فكيف يماثله شئ ومن له الوجود كله فكيف يجانسه شئ (له ما فى السموات ومافى الارض ان عندكم من سلطان بهذا

أتقولون على الله ماتعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبأنوح) فى صحة توكله على الله ونظره الى قومه والى شركائهم بعين الفناء وعدم مبالاته بهم وبمكايدهم ليعتبروا به حالك فان الانبياء كلهم فى ملة التوحيد والقيام بالله وعدم الالتفات الى الخلق سواء اذقال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا امركم وشركاءكم ثم لايكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولاتنظرون فان توليتم فماسألتكم من اجر ان اجرى الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا

يعنى قل لهم يامحمد آلله اذن لكم فى هذا التحريم والتحليل (ام على الله تفترون) يعنى بل انتم كاذبون على الله فى ادعائكم ان الله امرنا بهذا (وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعنى اذا لقوه يوم القيامة ايحسبون انه لايؤاخذهم ولايجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب (ان الله لذو فضل على الناس) يعنى ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام (ولكن اكثرهم لايشكرون) يعنى لايشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان ❊ قوله سبحانه وتعالى (وماتكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذى يتفق ويصلح ولايقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشؤن تقول العرب ماشأن فلان اى ماحاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذى فى هذه الآية يجوز ان يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وماتكون يامحمد فى شأن يريد من اعمال البر وقال الحسن فى شأن من شؤن الدنيا وحوائجك ويجوز ان يكون المراد منه القصد يعنى قصد الشئ وماتتلو منه من قرآن اختلفوا فى الضمير فى منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شؤنه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله تعالى وما تكون فى شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره فى قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وماتتلو من القرآن من قرآن يعنى من سورة وشئ منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير فى منه راجع الى الله والمعنى وماتتلو من الله من قرآن نازل عليك ❊ واما قوله سبحانه وتعالى (ولاتعملون من عمل) فانه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين فى ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولاتعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون فى الخطابين الاولين ❊ وقوله سبحانه وتعالى (الا كنا عليكم شهودا) يعنى شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لامحدث ولاخالق ولاموجد الا الله تعالى فكل مايدخل فى الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل فى علمه وهو شاهد عليه (اذ تفيضون فيه) يعنى ان الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون فى ذلك العمل والافاضة الدخول فى العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون فى ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنتشرون فيه يقال افاض القوم فى الحديث اذا انتشروا فيه (ومايعزب عن ربك) يعنى ومايبعد ويغيب عن ربك يامحمد من عمل خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب (من مثقال ذرة) يعنى وزن ذرة والمثال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهى خفيفة الوزن جدا (فى الارض ولافى السماء) فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ ومافائدة ذلك قلت كان حق السماء ان يقدم على الارض كما فى سورة سبأ الا انه تعالى لما ذكر فى هذه الآية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله ومايعزب عن

ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع لهذه الفائدة (ولا اصغر من ذلك) يعني من الذرة (ولا اكبر) يعني منها (الا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ * قوله سبحانه وتعالى (الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) اعلم اننا نحتاج اولا في تفسير هذه الآية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولى فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الآية هم الذين يذكرون الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اولياء الله فقال هم الذين اذا رؤا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ماروى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ماهم بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يارسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولااموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لايخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون اخرجه ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لاظل الاظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبيدا ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يارسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى ولم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولادنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولايفزعون ويخاف الناس ولايخافون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يارسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولاانساب وجوههم نور على منابر من نور لايخافون اذا خاف الناس ولايحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ماعلى المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه وقال ابوبكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكلماافترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك

وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولايفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض ومانحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ماانتم ملقون فلما القوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولوكره المجرمون فما آمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله) اي ايمانا يقينيا (فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) جعل التوكل من لوازم الاسلام وهو اسلام الوجه لله تعالى ولم يجعل الاسلام لوازم الايمان اي ان كل ايمانكم ويقينكم بحيث اثر في نفوسكم وجعلها خالصة لله فانية فيه لزم التوكل عليه فان اول مرتبة الفناء هو فناء الافعال ثم الصفات ثم الوجود فان

ثم الفناء لزم التوكل الذى هو فناء الافعال وان اريد الاسلام بمعنى الانقياد كان شرطا فى التوكل لاملزوماله وحينئذ يكون معناه ان صح ايمانكم يقينا فعليه توكلوا بشرط ان لايكون لكم فعل ولاتروا لانفسكم ولالغيركم قوة وتاثيرا بل تكونوا منقدين كالميت فان شرط صحة التوكل فناء بقايا الافعال والقوى كما تقول ان كرهت هذا الشجر فاقلعه ان قدرت والباقى الى آخر السورة بعضه لايقبل التاويل وبعضه معلوم مما مرّ (فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلايؤمنوا حتى يروا العذاب اليم قال قد اجيبت دعوتكما

تحرك فى طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لايفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا وقال المتكلمون ولى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ماوردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهوان الايمان مبنى على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقى العبد كل مانهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لاخوف عليهم يعنى فى الآخرة اذا خاف غيرهم ولاهم يحزنون يعنى على شئ فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم فى الآخرة لان الدنيا لاتخلو من هم وغم وانكار وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلايخاف من شئ ولايحزن على شئ لان مقام الولاية والمعرفة منعه من ان يخاف او يحزن ❊ واما قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاولياء الله ❊ وقوله سبحانه وتعالى (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) اختلفوا فى هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن اوترى له اخرجه الترمذى وله عن رجل من اهل مصر قال سألت اباالدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ماسألنى عنها احد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ماسألنى عنها احد غيرك منذ نزلت هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم اوترى له قال الترمذى حديث حسن (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوّة الاالمبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوّة لفظ البخارى ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزء من النبوّة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول انا اذا حملنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى ان لاتحصل هذه الحالة الالهم وذلك لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عزوجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لايبقى فى قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله فى القلب لاتفيد الا الحق والصدق فاذا رأى الولى رؤيا اوروئيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عزوجل لهذا الولى قال الخطابى فى هذه الاحاديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزأ من اجزاء النبوّة فى حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال الخطابى قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتى على موافقة النبوّة لانها جزء من النبوّة وقال الخطابى وغيره فى معنى قوله الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ من النبوّة اقام النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوّة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة اشهر يرى فى المنام الوحى فهى جزء من ستة واربعين جزأ وقيل ان المنام لعل ان يكون فيه اخبار بغيب وهو احد مراتب النبوّة وهو يسير فى جانب النبوّة لانه لايجوز ان يبعث الله بعد

محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولايخبر بغيب ابدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزأ من النبوة لانه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل في تفسير الآية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ماروى عن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي قال العلماء معنى هذا البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخرة له في الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله عنه ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عزوجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة في الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يعرج بها الى الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هي مابشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله تعالى (لاتبديل لكلمات الله) يعني لاخلف لوعد الله الذي وعده اولياءه واهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله ولاتغيير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعني ماوعدهم به في الآخرة (ولايحزنك قولهم) يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولايحزنك يامحمد قول هؤلاء المشركين لك ولايغمك تخويفهم اياك (ان العزة لله جميعا) يعني ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية اخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولامنافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على ان يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع) لاقوالكم ودعائكم (العليم) بجميع احوالكم لاتخفى عليه خافية ✲ قوله سبحانه وتعالى (الا ان لله من في السموات ومن في الارض) الا كلمة تنبيه معناه انه لاملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عزوجل فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه الا ان لله مافي السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت ان لفظة ماتدل على مالايعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الآيتين يدل على ان الله عزوجل يملك جميع من في السموات ومن في الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء ايضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هؤلاء

فاستقيما ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لااله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلاتكونن من الممترين ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم

عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ولوشاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون قل انظروا ماذا فى السموات والارض وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون فهل ينتظرون) خالصة (الامثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل ياايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل

العقلاء المميزون فى ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى ان يكونوا فى ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التى يعبدها المشركون ايضا فى ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا فى جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظة ما استفهامية معناه واى شئ يتبع الذين يدعون من دن الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعنى انهم ليسوا على شئ لانهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على مايظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون الا الظن) يعنى ان فعلهم ذلك ظن منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقة له (وان هم الا يخرصون) يعنى ان هم الا يكذبون ❊ قوله عزوجل (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) يعنى هو الله ربكم الذى خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضيئا لتهتدوا فيه لحوائجكم واسباب معايشكم واضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم ومايفهمونه قال جرير ❊ لقد لمتنا ياام عيلان فى السرى ❊ ونمت وما ليل المطى بنائم ❊ فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وانه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء ❊ قوله تعالى (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) يعنى يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية فى الوجود (قالوا) يعنى المشركين (اتخذ الله ولدا) يعنى به قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغنى) يعنى انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها (له مافى السموات ومافى الارض) يعنى انه مالك مافى السموات ومافى الارض وكلهم عبيده وفى قبضته وتصرفه وهو محدثهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم من سلطان بهذا) يعنى انه لاحجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ فى الانكار عليهم بقوله تعالى (اتقولون على الله مالا تعلمون) يعنى اتقولون على الله قولا لاتعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه مالايجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) اى قل يامحمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا (لايفلحون) يعنى لايسعدون وان اغتروا باطول السلامة والبقاء فى النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لاينجح فى سعيه ولايفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعنى قوله لايفلحون ثم ابتدا فقال تعالى (متاع فى الدنيا) وفيه اضمار تقديره لهم متاع فى الدنيا يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضاء آجالهم فى الدنيا وهى ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم فى العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعهم) يعنى بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون فى الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه

(بما)

بمالايليق بجلاله * قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك فى بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع اممهم ليكون فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخف عليه مايلقى من اذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك فى الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظمهم كفرا وجحودا ذكر الله قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعنى واقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قابيل (ان كان كبر) يعنى ثقل (عليكم مقامى) يعنى فيكم (وتذكيرى بآيات الله) يعنى ووعظى اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيرى بآيات الله يعنى ووعظى بآيات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلى وطردى (فعلى الله توكلت) يعنى فهو حسبى وثقتى (فاجمعوا امركم) يعنى فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لاتدعوا من امركم شيأ الا احضرتموه (وشركاءكم) يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لاتضر ولاتنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم (ثم لايكن امركم عليكم غمة) يعنى لايكن امركم عليكم خفيا مبهما ولكن امركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفى والتبس على الناس (ثم اقضوا) ثم امضوا (الى) بما فى انفسكم من مكروه وماتوعدونى به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما انتم قاضون (ولا تنظرون) اى ولاتؤخرونى ولاتمهلونى بعد اعلامكم اياى ما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية فى التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره اياه غير خائف من كيدهم علما منه بأنهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولاضر وان مكرهم لايصل اليه (فان توليتم) يعنى فان اعرضتم عن قولى وقبول نصحى (فما سألتكم من اجر) يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيأ كان اقوى تأثيرا فى النفس (ان اجرى الا على الله) اى ماثوابى وجزائى على تبليغ الرسالة الا على الله (وامرت ان اكون من المسلمين) يعنى انى امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه ام لم تقبلوه وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعنى فكذبوا نوحا عليه السلام (فنجيناه ومن معه فى الفلك) يعنى فى السفينة (وجعلناهم خلائف) يعنى وجعلنا الذين نجيناهم معه فى الفلك سكان الارض بعد الهالكين (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) اى فانظر يا محمد ويا ايها الانسان كيف كان آخر امر من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعنى من بعد نوح (رسلا الى قومهم) لم يسم

يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

* سورة هود *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(الر كتاب) مر ذكره (احكمت آياته) اى اعيانه وحقائقه فى العالم الكلى بأن اثبتت دائمة على حالها لاتتبدل ولاتتغير ولاتفسد محفوظة عن كل نقص وآفة (ثم فصلت) فى العالم الجزئى وجعلت مبينة فى المظاهر معينة بقدر معلوم (من لدن حكيم) اى احكامها وتفصيلها من لدن حكيم بناها على علم وحكمة لايمكن احسن منها واشد احكاما (خبير) بتفاصيلها على ماينبغى فى النظام الحكمى فى تقديرها وتوفيقها وترتيبها (الا تعبدوا الا الله) اى ينطق عليكم بلسان الحال والدلالة ان لاتشركوا بالله فى عبادته وخصوصه بالعبادة (اننى لكم منه نذير وبشير) كلام على لسان الرسول اى اننى انذركم

هنامن كان بعدنوح من الرسل وقدكان بعد نوح هود وصالح وغيرهم من الرسل (فجاؤهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) يعني ان اولئك الاقوام والامم التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ماجاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من التكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعني مثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب * قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعني من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) يعني اشراف قومه (بآياتنا فاستكبروا) يعني عن الايمان جاء به موسى وهرون (وكانوا قوما مجرمين) يعني مستكسبين للاثم (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله (قالوا ان هذا لسحر مبين) يعني ان هذا الذي جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل احد (قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا) فيه حذف تقديره اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح الساحرون) يعني حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح ابدا (قالوا) يعني قال قوم فرعون لموسى (اجئتنا لتلفتنا) يعني لتصرفنا وتلوينا (عما وجدنا عليه آباءنا) يعني من الدين (وتكون لكما الكبرياء) يعني الملك والسلطان (في الارض) يعني في ارض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا (ومانحن لكما بمؤمنين) يعني بمصدقين (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم) يعني ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى بأنواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به موسى سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون) انما امرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصي التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما اتوا به فاسد (فلما القوا) يعني ما معهم من الحبال والعصي (قال موسى ما جئتم به السحر) يعني الذي جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم (ان الله سيبطله) يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه (بكلماته) يعني بوعد الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون) * قوله سبحانه وتعالى (فما آمن لموسى الاذرية من قومه) لما ذكر الله عز وجل ما اتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة اخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الاذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية في قومه فقيل انها راجعة الى موسى واراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه

من الحكيم الخبير عقاب الشرك وتبعته وابشركم منه بثواب التوحيد وفائدته (وان استغفروا ربكم) اي وحدوه واطلبوا منه ان يغفر هيآت النظر الى الغير والاحتجاب بالكثرة والتقيد بالاشياء والوقوف معها حتى افعالكم وصفاتكم (ثم توبوا اليه) ارجعوا اليه بالفناء فيه ذاتا (يمتعكم متاعا) في الدنيا تمتيعا (حسنا الى اجل مسمى) على وفق الشريعة والعدالة حالة البقاء بعد الفناء الى وقت وفاتكم (ويؤت كل ذي فضل) في الاخلاق والعلوم والكمالات (فضله) في الثواب والدرجات او يمتعكم بلذات تجليات الافعال والصفات عند تجردكم الى وقت فنائكم او ويؤت كل ذي فضل في الاستعداد فضله في الكمال والمرتبة عند الترقي والتدلي (وان تولوا) اي تعرضوا عن التوحيد والتجريد (فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير) شاق عليكم وهو يوم الرجوع الى الله القادر على كل شئ اي يوم ظهور عجزكم وعجز ما تعبدون بظهوره تعالى في صفة

بمصر من اولاده قال مجاهدهم اولاديعقوب الذين ارسل اليهم موسى هلك الآباء وبقى الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما امر بقتل ابناء بنى اسرائيل كانت المراة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى الاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امراة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامراة خازنه وماشطته قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وامهاتهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع امه واخواله فى الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس الآباء (على خوف من فرعون وملئهم) الملاء الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن اشرافهم وهم ملاء الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وامهاتهم من بنى اسرائيل وقيل اراد بالملاء ملاء فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له (ان يفتنهم) اى يصرفهم ويصدهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم يقل ان يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره (وان فرعون لعال فى الارض) يعنى انه لغالب قهار متكبر فيها (وانه لمن المسرفين) يعنى من المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل (وقال موسى) يعنى لقومه (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) يعنى فيه فتقوا الامره فسلموا فانه ناصر اوليائه ومهلك اعدائه (ان كنتم مسلمين) يعنى ان كنتم مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبى وبالاسلام الظاهرى ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره (فقالوا) يعنى قال موسى مجيبين له (على الله توكلنا) يعنى عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) يعنى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انالم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا فيفتتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) يعنى وخلصنا برحمتك من ايدى قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاعمال الشاقة ❊ قوله عز وجل (واوحينا الى موسى واخيه) هرون (ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) يعنى اتخذا لقومكما بمصر بيوتا للصلاة فيها يقال تبوا فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة اى وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف اهل التفسير فى معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد التى يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذى يستقبل فى الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا فى هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد ايضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا

قادر به فيقهركم بالعذاب (الى مرجعكم وهو على كل شئ قدير الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اى خلق العالم الجسمانى فى ست جهات (وكان عرشه على الماء) اى عرشه الذى هو العقل الاول مبتنيا على العلم الاول مستندا اليه مقدما بالوجود على عالم الاجسام وان اولنا الايام الستة بمدة الخفاء كما مر وخلق السموات والارض باختفائه تعالى بتفاصيل الموجودات فمعنى كون عرشه على الماء كونه قبل بداية الاختفاء ظاهرا معلوما للناس كقولك فعلته على علم اى فى حال كونه معلوما لى اوكونى عالما به اى على المعلومية كما قال حارثة حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف

مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا فى بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل اراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اى متقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا فى بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب فى اول الآية بقوله سبحانه وتعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّآ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه سبحانه وتعالى امر موسى وهرون بان يتبوّآ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم الخطاب الجمع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة ﴿ واقيموا الصلاة ﴾ يعنى فى بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا فى الكنائس والبيع الجامعة ان يؤذوهم فامرهم الله سبحانه وتعالى ان يصلوا فى بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا فى الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا مساجد فى بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ارسل موسى وهرون واظهرهما على فرعون امرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يعنى بانه لا يصل اليهم مكروه ✵ قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ﴾ لما اتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى ان القوم مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به اخذ فى الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اوّلا سبب اقدامه على الجرائم التى كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما اخذ فى الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال مازاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ اختلفوا فى هذه اللام فقال الفراء هى لام كى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطغوا فى الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هى لما يؤل اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملأه زينة فى الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هى لام العاقبة يعنى فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانبارى هى لام الدعاء وهى لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ الطمس ازالة اثر الشئ بالمحو ومعنى الطمس على اموالهم ازل صورها وهيآتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظى صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع اهله فى فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا

اصبحت ياحارثة اصبحت مؤمنا حقا قال لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال رأيت اهل الجنة يتزاورون ورأيت اهل النار يتعاوون ورأيت عرش ربى بارزا قال اصبت فالزم وقد عبر فى الشرع عن المادة الهيولانية بالماء فى مواضع كثيرة منها ما ورد فى الحديث ان الله خلق اوّل ما خلق جوهرة فنظر اليها بعين الجلال فذابت حياء نصفها ماء ونصفها نار فان اوّلتها بها فماء وكان عرشه قبل السموات والارض بالذات لا بالزمان مستعليا على المادة فوقها بالرتبة وان شئت التطبيق على تفاصيل وجودك فمعناه خلق سموات القوى الروحانية وارض الجسد فى الاشهر الستة التى هى اقل مدة الحمل وكان عرشه الذى هو قلب المؤمن على ما مادة الجسد مستوليا عليه متعلقا به تعلق التصوير والتدبير ﴿ ليبلوكم ايكم احسن عملا ﴾ جعل غاية خلق الاشياء ظهور اعمال الناس اى خلقناهم لنعلم العلم التفصيلى التابع للوجود الذى يترتب عليه

بخريطة فيها شئ من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوز مشقوقة وهى حجارة وقال السدى مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو احد الآيات التسع التى اوتيها موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لاتلين ولاتنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لايدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعنى الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه قال موسى قبل ان يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاءه فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لايؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم فى الازل انهم لايؤمنون فوافق دعاء موسى ماقدر وقضى عليهم (قال) الله عزوجل لموسى وهرون (قد اجيبت دعوتكما) انما نسب الدعاء اليهما وان الداعى هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال ايضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى فى الدعاء فلذلك قال تعالى قد اجيبت دعوتكما (فاستقيما) يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا لامرى الى ان يأتيهم العذاب (ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) يعنى ولاتسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لاخلف فيه ووعيدى نازل بفرعون وقومه فلاتستعجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعون سنة قال الامام فخر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لايدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لايدل على صدور الشرك منه ❊ قوله عزوجل (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) اى وقطعنا ببنى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فاتبعهم فرعون وجنوده) يعنى لحقهم وادركهم (بغيا وعدوا) اى ظلما وعدوانا وقيل البغى طلب الاستعلاء بغير حق والعدوا الظلم وقيل بغيا فى القول وعدوا فى الفعل قال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة الف وذلك انه لما اجاب الله دعاء موسى وهرون امرهما بالخروج ببنى اسرائيل من مصر فى الوقت الذى امرهما ان يخرجا فيه بهم ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما ادركهم قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فاوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة الف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس انثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لايشذ منهم احد فلما خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيأ فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم اولهم بالخروج التطم

الجزاء أيكم احسن عملا فان علم الله قسمان قسم يتقدم وجود الشئ فى اللوح وقسم ويتأخر وجوده فى مظهر خلق والبلاء الذى هو الاختيار هو هذا القسم (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن مايحبسه الايوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور) واتقا بالله متوكلا عليه ينبغى للانسان ان يكون فى الفقر والغنى والشدة والرخاء والمرضى والصحة لايحتجب عنه بوجود نعمة ولا بسعيه وتصرفه فى الكسب ولابقوته وقدرته فى الطلب ولابسائر الاسباب والوسائط لئلا يحصل اليأس عند فقدان تلك الاسباب والكفران والبطر والاشر عند وجودها فيبعد بها عن الله تعالى وينساه فينساه الله بل يرى الاعطاء والمنع منه دون غيره فان

البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق اتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا ادركه الغرق قال) يعني فرعون (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان به فى مهل قال العلماء ايمانه غير مقبول وذلك ان الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك فى ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابهما بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعني آلآن تتوب وقد اضعت التوبة فى وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد فى الارض ويدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول اشهر ويعضده ماروى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رايتني وانا آخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وفى رواية اخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل عليه السلام جعل يدس فى فى فرعون الطين خشية ان يقول لا اله الا الله فيرحمه الله اوخشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

* (فصل فى الكلام على هذا الحديث) * لانه فى الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففى الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذا لم يتابع عليه اوخالفه فيه الثقات وكلاهما منتف فى هذا الحديث لان فى الطريق الآخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخارى ورواه ايضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به اوخولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففى الحديث الثانى شك فى رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك فى رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة فى تعيينه هل هو عطاء بن السائب اوعدى بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك فى تعيينه لم يكن هذا علة فى الحديث وقوله من حال البحر اى من طين البحر كما فى الرواية الآخرى

اتاه رحمة من صحة اونعمة شكره اولا برؤية ذلك منه وشهود المنعم فى صورة النعمة وذلك بالقلب ثم بالجوارح باستعمالها فى مراضيه وطاعته والقيام بحقوقه تعالى فيها ثم باللسان بالحمد والثناء متيقنا بانه القادر على سلبها محافظا عليها بشكرها مستزيدا اياها اعتمادا على قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم قال امير المؤمنين عليه السلام اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر ثم ان نزعها منه فليصبر ولا يتأسف عليها عالما بانه هو الذى نزعه دون غيره لمصلحة تعود اليه فان الرب تعالى كالوالد المشفق فى تربيته اياه بل ارأف وارحم فان الوالد محجوب عما يعلمه تعالى اذ لا يرى الا عاجل مصالحه وظاهرها وهو العالم بالغيب والشهادة فيعلم ما فيه صلاحه عاجلا وآجلا راضيا بفعله راجيا اعادة احسن ما نزع منها اليه اذ القانط من رحمته بعيد منه لا يستوسع رحمته لضيق وعائه محجوب عن ربوبيته لا يرى عموم فيض رحمته ودوامه ثم اذا اعادها

* (فصل) * ووجه اشكاله مااعترض به الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل يصح ان جبريل اخذ بملء فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والجواب الاقرب انه لا يصح لان في تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل كان ثابتاً ام لا فان كان ثابتا لا يجوز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه وعلى التوبة على كل طاعة وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وايضا فكيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذي اورده الامام على هذا الحديث في كلام اكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتا في تلك الحالة ام لا فان كان ثابتا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل المثبتين للقدر القائلين بخالق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول اهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة فاخبر الله سبحانه وتعالى انه قلب افئدتهم مثل تركهم الايمان به اول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان اولا فدس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخالق الافعال لله ومن المنكرين لخالق الافعال من اعترف ايضا ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق ورده للايمان لما جاءه واما فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بامر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكاليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما امره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه واخبر عنه انه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما ان يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما امر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبرانه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا واما قوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة فجوابه ان يقال ان للناس في تعليل افعال الله قولين احدهما ان افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال اصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني

لم يفرح بوجودها كما لم يحزن بفقدانها ولا يفخر بها على الناس فان ذلك من الجهل وظهور النفس والا لعلم ان ذلك ليس منه وله فبأي سبب يسوغ له فخر بما ليس له ومنه بل لله ومن الله (الا الذين صبروا) استثناء من الانسان اي هذا النوع يؤس كفور فرح فخور في الحالين الا الذين صبروا مع الله واقفين معه في حالة الضراء والنعماء والشدة والرخاء كما قال عمر رضي الله عنه الفقر والغنى مطيتان لا ابالي ايهما امتطي (وعملوا الصالحات) في الحالين ما فيه صلاحهم مما ذكر (اولئك لهم مغفرة) من ذنوب ظهور النفس باليأس والكفران والفرح والفخر في الحالين (واجر كبير) من ثواب تجليات الافعال والصفات وجناتها (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) لما لم يقبلوا كلامه صلى الله عليه وسلم بالارادة وانكروا قوله بالاقتراحات الفاسدة وقابلوه بالعناد والاستهزاء ضاق صدره ولم ينبسط للكلام اذ الارادة تجذب الكلام وقبول المستمع يزيد نشاط المتكلم ويوجب

ان اعماله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا اوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين فى فيه لتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها فى وقت لا ينفعه فدس الطين فى فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ماقد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعا ربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع اجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين فى فيه لييأس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التى وعد الله موسى بقوله قد اجيبت دعوتكما ويكون سعى جبريل فى تكميل ما سبق فى حكم الله انه يفعله ويكون سعى جبريل فى مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذا لما امره به وقدره وقضاه على فرعون واما قوله لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من ان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما امره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما امره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالمأمور به فأى كفر يكون هنا وايضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا فى حقنا لانا مأمورون بازالته بحسب الامكان فاذا اقررنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا فى حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس مأمورا كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه فانه اذا نفذ ما امره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا فى حقه على هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين فى فى فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق اعمال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر غاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضاء الله وقدره فى فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل واما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فجوابه انه انما فعل ذلك بأمر الله منفذا لامر الله والله اعلم بمراده واسرار كتابه ❊ قوله سبحانه وتعالى (فاليوم ننجيك ببدنك) اى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل فى قلوبهم من الرعب لاجله فأمر الله عز وجل البحر فألقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فرآه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى ننجيك وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما راوه فى درعه ذات عرفوه (لتكون لمن خلفك آية) يعنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت ابدا فاظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان فى غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه احد (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) ❊ قوله عز وجل (ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) يعنى

يمهله فيه ولذا الم يجد المتكلم محلا قابلا لم يتسهل له وبقى تكرما عنده فشجعه الله تعالى بذلك وهيج قوته ونشاطه بقوله (ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير) فلا يخلوا نذارك من احدى الفائدتين اما رفع الحجاب بان يجمع فيمن وفقه الله تعالى لذلك واما الزام الحجة لمن لم يوفق لذلك (والله على كل شئ وكيل) وكل الهداية اليه (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد الحيوة الدنيا) اى كل من يعمل عملا وان كان من اعمال الآخرة فى الظاهر بنية الدنيا لا يريد به الا حظا من حظوظها يوفيه الله تعالى اجره فيها ولا يصل اليه من ثواب الآخرة شئ فان لكل احد نصيبا من الدنيا بمقتضى نشأته التى هو عليها ونصيبا من الآخرة بمقتضى فطرته التى فطر عليها فاذا لم يرد بعمله الا الدنيا فقد اقبل بوجهه اليها واعرض

اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيأ اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشئ اذا كان كاملا صالحا لابد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرائيل لجميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني أنه ارض الشأم والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثار البقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون * وقوله تعالى (ان ربك) يعني يا محمد (يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار * قوله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك مما انزلنا اليك) الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فمعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك انه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القرآن (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعني علماء اهل الكتاب يخبروك انك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل عليه او في نبوته حتى يسأل اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره اولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء فانه اورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس اوغيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه فانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه

من الآخرة وجعل النصيب الدنيوي بانجذابه وتوجهه الى الجهة السفلية حجاب النصيب الاخروي حتى انتكست فطرته وتبعت النشأة واستخدمت نفسه القلب في طلب حظوظها فصار نصيبه من الآخرة منضما الى النصيب الدنيوي وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون اى لا ينقص من ثواب أعمالهم في الدنيا شئ لانه لما تشكل القلب بهيئة النفس تمثل حظه بصورة حظ النفس (اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار) لتعذب قلوبهم بالحجب الدنيوية وحرمانها عن مقتضى استعدادها تألمها بالآلام من مكسوباتها (وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) من أعمال البر في الآخرة لكونها بنية الدنيا لقوله الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى الى آخر الحديث (أفمن كان على بينة من ربه) اى من كان يريد الحياة الدنيا

وسلم قال ماشك ولااسأل وعامة المفسرين على هذاتم كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب * اياك اعني واسمعي ياجاره * فعلى هذا يكون معنى الآية قل يامحمد ياايها الانسان الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤن الكتاب يخبروك بصحته ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل ياايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية فبين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكورة في تلك الآية على سبيل التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لااشك يارب ولااسأل اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله ياايها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه ومانت في شك مما انزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثاني ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تمجد وتعالى فان كنت ايها الانسان في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل اراد الجمع واختلفوا في المسؤل عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبدالله بن سلام واصحابه لانهم هم الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل اهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول اصح وقال الضحاك يعني اهل التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ مقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك (فلا تكونن من الممترين) يعني من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) يعني بدلائله وبراهينه الواضحة (فتكون من الخاسرين) يعني الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ماتقدم من ان ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا ان المراد

أفمن كان على بينة من ربه يعني بعد ما بينهما في المرتبة بعد اعظيما من كان على بينة اي يقين برهاني عقلي اووجداني كشفي ويتسع ذلك اليقين (ويتلوه شاهد منه ومن قبله) من ربه اي القرآن المصدق للبرهان العقلي في التوحيد وصحة النبوة واصول الدين ومن قبل هذا القرآن (كتاب موسى) اي يتبع البرهان من قبل هذا الكتاب كتاب موسى في حال كونه (اماما ورحمة) يؤتم به وقدوة يتمسك بها في تحقيق المطالب ورحمة رحيمية تهدي الناس وتزكيهم وتعلمهم الحكم والشرائع (اولئك يؤمنون به) بالحقيقة دون الطالبين لحظوظ الدنيا (ومن يكفر به الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لايؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) باثبات وجود غيره واسناد صفته من الكلام ونحوه الى الغير (اولئك يعرضون على ربهم) بالوقف

بخيره والله اعلم * قوله سبحانه وتعالى (ان الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كلمت ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت هؤلاء للنار ولاابالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ماقدره عليهم وقضاه في الازل (لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لايؤمنون بها (حتى يروا العذاب الاليم) فحينئذ لاينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شئ * قوله سبحانه وتعالى (فلولا) يعني فهلا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام معنى الجحد والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعني عند معاينة العذاب (فنفعها ايمانها) يعني في حال اليأس (الا قوم يونس) هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعني لما اخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا ام لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لايكون الابعد الوقوع اواذا قرب وقوعه

(ذكر القصة في ذلك)

على ماذكره عبدالله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فأرسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الاقدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فقذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحن الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم مانزل بهم من العذاب بعدما ظللهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع اساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن ابي الجلد خيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا ياحي حين لاحي ياحي محيي الموتى وياحي لااله الاانت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولاتفعل

في الموقف الاول محجوبين مخذولين ويقول الاشهاد) الموحدون (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) بالشرك ثم طردوا ولعنوا بسبب شركهم الذي هو اعظم الظلم (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون) الناس عن سبيل التوحيد ويصفونها بالاعوجاج مع استقامتها وهم مع احتجابهم من الحق محجوبون عن الآخرة دون غيرهم من اهل الاديان (اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا) الايمان اليقيني الغيبي (وعملوا الصالحات) الاعمال التي تصلحهم للقاء الله وتقربهم اليه من التوبة والزهد

بينما نحن اهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيأ فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدونى كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستأتى القصة فى سورة والصافات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته قلت اجاب العلماء عن هذا بأجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل مايشاء ويحكم مايريد الجواب الثانى ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عزوجل علم صدق نياتهم فى التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ماصدق فى ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه ايمانه والله اعلم * قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا) يقول الله عزوجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من فى الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأ ان يصدقك ولم يؤمن بك الا من سبقت له السعادة فى الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبقت له من الله السعادة فى الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء فى الذكر الاول وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فأخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يعنى ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئتنا وقضائنا وقدرنا ليس ذلك لاحد سوانا (وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله) يعنى وما كان ينبغى لنفس خلقها الله تعالى ان تؤمن وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر الله وقال عطاء بمشيئة الله * قوله تعالى (ويجعل) قرئ بالنون على سبيل التعظيم اى ونجعل نحن وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله (الرجس) يعنى العذاب وقال ابن عباس يعنى السخط (على الذين لا يعقلون) يعنى لا يفهمون عن الله امره ونهيه * قوله عز وجل (قل انظروا) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعنى انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر (ماذا فى السموات والارض) يعنى ماذا خلق الله فى السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته ففى السموات الشمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم سخرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السماء وفى الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وما تغنى الآيات والنذر) يعنى الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا فى حق اقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم فى الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعنى مشركى مكة (الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) يعنى من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعنى وقائع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب اياما والام اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه

الحقيق والانابة والعبادة والصبر والشكر ومايناسبها من اعمال اهل السلوك ومقاماتهم (واخبتوا الى ربهم) وتذللوا واطمأنوا اليه بالشوق وانقطعوا اليه متفانين فيه (اولئك اصحاب الجنة) جنة القلوب (هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ان لاتعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه) اى الاشراق الملوثون بامور الدنيا القادرون عليها الذين حجبوا بعقلهم ومعقولهم عن الحق (ما نراك الا بشرا مثلنا) لكونهم ظاهريين واقفين على حد العقل المشوب بالوهم المحجوب بالهوى الذى هو عقل المعاش لا يرون لاحد طورا وراء ما بلغوا اليه من العقل غير مطلعين على مراتب الاستعدادات والكمالات طورا بعد طور ورتبة فوق

العذاب مثل مافعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم جيعا فان كانوا ينظرون ذلك العذاب (فقل فانتظروا) يعني قل لهم يامحمد فانتظروا العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعني هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) يعني من العذاب والهلاك (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) يعني كما انجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يامحمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لايستحق على خالقه شيأ * قوله سبحانه وتعالى (قل ياايها الناس) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى قل يامحمد لهؤلاء الذين ارسلتك اليهم فشكوا فى امرك ولم يؤمنوا بك (ان كنتم فى شك من دينى) يعني الذى ادعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى امره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التى كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم فى شك من دينى الذى ادعوكم اليه فلا ينبغى لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه ولاتشكون فيه وانما ينبغى لكم ان تشكوا فى عبادتكم لهذه الاصنام التى لااصل لها البتة فان اصررتم على ما انتم عليه (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله) يعني هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفى لان العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهى الحجارة التى لاتنفع لمن عبدها ولاتضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام بهذه الصفة ان المراد ان الذى يستحق العبادة فاعبده انا وانتم هو الذى خلقكم اولا ولم تكونوا شيأ ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقى وقيل لما كان الموت اشد الاشياء على النفس ذكر فى هذا المقام ليكون اقوى فى الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب اجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذى هو قادر على اهلاككم ونصرى عليكم (وامرت ان اكون من المؤمنين) يعني وامرنى ربى ان اكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهى من اعمال الجوارح اتبعها بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب (وان اقم وجهك للدين حنيفا) الواو فى قوله وان اقم واو عطف معناه وامرت ان اقيم وجهى يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيفى وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفى غير مائل عنه (ولاتكونن من المشركين) يعني ولاتكونن ممن يشرك فى عبادة ربه غيره فيهلك وقيل ان النهى عن عبادة الاوثان قد تقدم فى الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى على معنى زائد وهو ان من عرف الله عزوجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لاغيره فلاينبغى له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذى تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفى (ولاتدع من دون الله مالاينفعك) يعني ان عبدته ودعوته (ولايضرك) يعني ان تركت

رتبة الى مالايعلمه الاالله فلم يشعروا بمقام النبوة ومعناها (ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) فقراؤنا الادنون منا اذ المرتبة والرفعة عندهم بالمال والجاه ليس الا كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (بادى الرأى) اى بديهة الرأى واوله لانهم ضعاف العقول عاجزون عن كسب المعاش ونحن اصحاب فكر ونظر قالوا ذلك لاحتجابهم بعقلهم القاصر عن ادراك الحقيقة والفضيلة المعنوية لقصر تصرفه على كسب المعاش والوقوف على حده واما اتباع نوح عليه السلام فانهم اصحاب همم بعيدة وعقول حائمة حول القدس غير متصرفة فى المعاش ولا ملتفتة الى وجوه كسبه وتحصيله فلذلك استنزلوا عقولهم واستحقروها (ومانرى لكم علينا من فضل) وتقدم فيما نحن بصدده لكون الفضل عندهم محصورا فى التقدم بالغنى والمال والجاه (بل

عبادته (فان فعلت) يعنى مانهيتك عنه فعبدت غيرى او طلبت النفع ودفع الضر من غيرى (فانك اذا من الظالمين) يعنى لنفسك لانك وضعت العبارة فى غير موضعها وهذا الخطاب وان كان فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيأ البتة فيكون المعنى ولاتدع ايها الانسان من دون الله مالا ينفعك الآية ❊ قوله تعالى (وان يمسسك الله بضر) يعنى وان يصبك الله بشدة وبلاء (فلا كاشف له) يعنى لذلك الضر الذى انزله بك (الاهو) يعنى لاغيره (وان يردك بخير) يعنى بسعة ورخاء (فلاراد لفضله) يعنى فلا دافع لرزقه (يصيب به) يعنى بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لاتقدر على نفع ولاضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شئ وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفى الآية لطيفة اخرى وهى ان الله سبحانه وتعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساس الضر بين انه لا كاشف له الاهو ودلك يدل على انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفى اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلاراد لفضله يعنى ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذى يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعنى الساتر لذنوب عباده الرحيم يعنى بهم ❊ قوله سبحانه وتعالى (قل ياايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) اى على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء فى الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشئ ابدا (وما انا عليكم بوكيل) يعنى وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف (واتبع ما يوحى اليك) يعنى الامر الذى يوحيه الله اليك يا محمد (واصبر) يعنى على اذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعنى ينصرك عليهم باظهار دينك (وهو خير الحاكمين) يعنى انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين واخذ الجزية من اهل الكتاب وفيها اذلالهم وصغارهم والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

❊ (تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام) ❊

وهى مكية فى قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفى رواية عن ابن عباس انها مكية غير آية وهى قوله سبحانه وتعالى واقم الصلاة طرفى النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هى مكية الاقوله سبحانه وتعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وهى مائة وثلاث وعشرون آية والف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال ابو بكر يارسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت واخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية غيره قال قلت يارسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتنى هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة فى الحديث لما فيها من حكم القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

تظنكم كاذبين) لعدم ادراك ماتثبتون وفهم ماتقولون مع وفور كياستنا (قال ياقوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى) يجب عليكم من طريق العقل الاذعان له (واتانى رحمة) اى هداية خاصة كشفية متعالية عن درجة البرهان (من عنده) اى فوق طور العقل من العلوم اللدنية ومقام النبوة (فعميت عليكم انلزمكموها) لاحتجابكم بالظاهر عن الباطن وبالخليقة عن الحقيقة ولا يمكن تلقيها الا بالارادة لاهل الاستعداد فكيف نلزمكموها ونجبركم عليها (وانتم لها كارهون) اى ان شئتم تلقيها فزكوا نفوسكم وصفوا استعداد كم ان وهب لكم واتركوا انكاركم حتى يظهر عليكم أثر نور الارادة فتقبلوها ان شاء الله (وياقوم لاأسألكم عليه مالا) أى الغرض عندكم من كل أمر محصور فى حصول المعاش وأنا لاأطلب ذلك منكم فتنبهوا الغرضى وأنتم عقلاء بزعمكم

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (الر كتاب احكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت هي الكتب والشرائع (ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن احكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال احكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد واحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار من المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليست هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها بآيات منه ايضا لم ينسخها غيره وقيل احكمت آيات اي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على بعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه * وقوله تعالى (من لدن حكيم) يعني احكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله (خبير) يعني باحوال عباده وما يصلحهم (الا تعبدوا الا الله) هذا مفعول له معناه كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام (انني لكم منه) اي قل لهم يا محمد اني لكم من عند الله (نذير) ينذركم عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعني وابشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك او معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد (يمتعكم متاعا حسنا) يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في امن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور (الى اجل مسمى) يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفعه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى قلت اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن

(ان أجري الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم آمنوا) لانهم أهل القربة والمنزلة عند الله فان طردتهم كنت عدوا لله مناويا لاوليائه لست بنبي حينئذ (ولكني اراكم قوما تجهلون) ما يصلح به المرء للقاء الله ولا تعرفون الله ولا لقاءه لذهاب عقولكم في الدنيا او تسفهون تؤذون المؤمنين بسفهكم (وياقوم من ينصرني من الله) الذي هو القاهر فوق عباده (ان طردتهم) واستوجبت قهره بطردهم (افلا تذكرون) مقتضيات الفطرة الانسانية فتنزجرون عما تقولون (ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب) اي انا ادعي الفضل بالنبوة لا بالغنى وكثرة المال ولا بالاطلاع على الغيب ولا بالملكية حتى تنكروا فضلي بفقدان ذلك (ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري

فهو بالنسبة الى مااعدالله ما فى الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه فى سجن فى الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدّله واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى مااعدالله له فى الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذى لاينقطع فهو فى الدنيا فى جنة حتى يفضى الى مااعدالله له فى الآخرة واما ما يضيق على الرجل المؤمن فى بعض الاوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيآت وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن فى جميع احواله فى عيشة حسنة لانه راض عن الله فى جميع احواله ❊ وقوله سبحانه وتعالى (ويؤت كل ذى فضل فضله) اى ويعط كل ذى عمل صالح فى الدنيا اجره وثوابه فى الآخرة قال ابوالعالية من كثرت طاعاته فى الدنيا زادت حسناته ودرجاته فى الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن زادت سيآته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيآته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التى عملها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها فى الدنيا من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله فى المستقبل لطاعته (وان تولوا) يعنى وان اعرضوا عما جئتهم به من الهدى (فانى اخاف عليكم) اى فقل لهم يامحمد انى اخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعنى عذاب النار فى الآخرة (الى الله مرجعكم) يعنى فى الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته (وهو على كل شيء قدير) يعنى من ايصال الرزق اليكم فى الدنيا وثوابكم وعقابكم فى الآخرة ❊ قوله سبحانه وتعالى (الا انهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت فى الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على مايكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعنى يخفون مافى صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبدالله بن شداد بن الهاد نزلت فى بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كى لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كى لايسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستره ويحنى ظهره ويتغشى ثوبه ويقول هل يعلم الله مافى قلبى وقال السدى يثنون صدورهم اى يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عنانى (ليستخفوا منه) يعنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عزوجل ان استطاعوا (الا حين يستغشون ثيابهم) يعنى يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم مايسرون ومايعلنون انه عليم بذات الصدور) ومعنى الآية على ماقاله الازهرى ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخفى علينا حالهم فى كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو مااخرجه البخارى فى افراده عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومى انه سمع ابن عباس يقرأ الا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم ❊ وقوله سبحانه وتعالى (ومامن دابة فى الارض) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض والمطلق لفظ الدابة على كل ذى اربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه

اعينكم) للفقراء المؤمنين الذين تستحقرونهم وتنظرون اليهم بعين الحقارة (ان يؤتيهم الله خيرا) كما تقولون اذا الخير عندى ماعندالله لا المال (الله اعلم بما فى انفسهم) من الخير منى ومنكم وهو اعرف بقدرهم وخطرهم ومايعلم احد قدر خيرهم لعظمه (انى اذا) اى اذ نفيت الخير عنهم اوطردتهم (لمن الظالمين قالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصدقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء ومانتم بمعجزين ولاينفعكم نصحى ان اردت ان نصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلىّ اجرامى وانا برىء مما تجرمون واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا

الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات (الا على الله رزقها) يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من اى من الله رزقها وقال مجاهد ماجاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا (ويعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذى تأوى اليه فى ليل او نهار ومستودعها المكان الذى تدفن فيه بعد الموت وقال مسعود مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان الذى تموت فيه وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر (كل فى كتاب مبين) اى كل ذلك مثبت فى اللوح المحفوظ قبل خلقها * قوله عز وجل (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء) يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ماخالق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيأ من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على اى شئ كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات فى يومين ثم اخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات فى يومين والسموات فى يومين والارض فى يومين ثم فرغ آخر الخلق اليوم السابع قال بعض العلماء وفى خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء مايدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فاتى ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يابنى تميم فقالوا ابشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يااهل اليمن اذلم يقبلها بنو تميم قالوا اقبلنا يارسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب فى الذكر كل شئ ثم اتانى رجل فقال ياعمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله اوددت انها ذهبت ولم اقم عن ابى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان فى عماء مافوقه هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء اخرجه الترمذى وقال قال احمد يريد بالعماء انه ليس معه شئ قال ابوبكر البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شئ قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب فى الذكر كل شئ وقوله فى عماء وجدته فى كتاب عماء مقيدا بالمد فان كان فى الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله فى عماء اى فوق سحاب مدبر اله وعاليا عليه كما قال سبحانه وتعالى أامنتم من فى السماء يعني من فوق السماء وقال تعالى لاصلبنكم فى جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله مافوقه هواء اى مافوق السحاب هواء وكذلك قوله

ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ونصنع الفلك) الاية تفسيره على مادل عليه الظاهر حق يجب الايمان به وصدق لابد من تصديقه كما جاء فى التواريخ من بيان قصة الطوفان وزمانه وكيفيته وكميته واما التأويل فيحتمل بان يؤول الفلك بشريعة نوح التى نجا بها هو ومن آمن معه من قومه كما قال النبى عليه الصلاة والسلام مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق والطوفان باستيلاء بحر الهيولى واهلاك من لم يتجرد عنها بمتابعة نبى وتزكية نفس كما جاء فى كلام ادريس النبى عليه

ومانحته هواء اى مانحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمعناه لاشئ ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شئ فكانه قال فى جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال مافوقه هواء وما تحته هواء اى ليس فوق العمى الذى هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله اعلم وقال الهروى صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقى وقال ابن الاثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولابد فى الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى العمى المقصور انه قال هو كل امر لايدركه الفطن وقال الازهرى قال ابو عبيد لاندرى كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فنحن نؤمن به ولانكيف صفته (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفى رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين الف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا انه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لايشغله شأن عن شأن فانما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون ❊ وقوله سبحانه وتعالى (ليبلوكم) يعنى ليختبركم وهو اعلم بكم منكم (ايكم احسن عملا) يعنى بطاعة الله واورع عن محارم الله (ولئن قلت) يعنى ولئن قلت يامحمد لهؤلاء الكفار من قومك (انكم مبعوثون من بعد الموت) يعنى للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) يعنون القرآن (ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة) يعنى الى اجل محدود واصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس وكأنه قال سبحانه وتعالى الى انقراض امة ومجئ امة اخرى (ليقولن مايحبسه) يعنى اى شئ يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشئ قال الله عز وجل (الايوم يأتيهم) يعنى العذاب (ليس مصروفا عنهم) اى لايصرفه عنهم شئ (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) يعنى ونزل بهم وبال استهزائهم ❊ قوله سبحانه وتعالى (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) يعنى رخاء وسعة فى الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا (ثم نزعناها منه) يعنى سلبناه ذلك كله واصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به (انه ليؤس كفور) يعنى يظل قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور اى جحود لنعمتنا عليه اولا قليل الشكر لربه قال بعضهم ياابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولاتجحدها فان نزعت عنك فينبغى لك ان تصبر ولاتيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعنى ولئن نحن انعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعنى الذى اصابه الخير والسعة (ذهب السيآت عنى) يعنى ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراءة عليه لانه لم يضف الاشياء كلها الى الله وانما اضافها الى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال (انه لفرح فخور)

عليه السلام ومخاطباته لنفسه يامعناه ان هذه الدنيا بحر مملوء ماء فان اتخذت سفينة تركبها عند خراب البدن نجوت منها الى عالمك والاغرقت فيها وهلكت فعلى هذا يكون معنى ويصنع الفلك يتخذ شريعة من الواح الاعمال الصالحات ودسر العلوم التى تنظم بها الاعمال وتحكم (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) كما ترى من عادة الشطار وذوى الخلاعة

اى انه اشر بطر والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه * ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا عليها (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (لهم مغفرة) يعنى لذنوبهم (واجر كبير) يعنى الجنة * قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض مايوحى اليك ربك ان تبلغه الى من امرك ان تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعنى ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلاتبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فأنزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض مايوحى اليك يعنى من ذكر آلهتهم هذا ماذكره المفسرون فى معنى هذه الآية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ماهو به لاخطأ ولاعمدا ولاسهوا ولا غلط وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ماانزل الله عليه الى امته ولم يكتم منه شيأ واجمعوا على انه لايجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة فى الوحى والانذار ولايترك بعض ماأوحى اليه لقول احد لان تجويز ذلك يؤدى الى الشك فى اداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض مايوحى اليك شيأ آخر سوى ماذكره المفسرون وللعلماء فى ذلك اجوبة احدها قال ابن الانبارى قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم لايترك شيأ مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة احد وغضبه ولكن الله تعالى اكد على رسوله صلى الله عليه وسلم فى متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك الآية الثانى ان هذا من جنبه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على اداء ماانزله اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك فى عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقى اليهم مالايقبلونه ويستهزؤن به فامره الله سبحانه وتعالى بتبليغ مااوحى اليه وان لايلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر اهون من كتم شئ من الوحى والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفى الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر فى باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايترك شيأ من الوحى هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض مايوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك اى بأن تتلوه عليهم (ان يقولوا) يعنى مخافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كنز) يعنى يستغنى به وينفقه (اوجاء معه ملك) يعنى يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن ابى امية المخزومى والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فى قولك بأنك رسول الله

١٨٠

١١

المشتهرين بالاباحة يستهزؤن بالمتشرعين والمتقيدين بقيودها (قال ان تسخروا منا) بجهلكم (فانا نسخر منكم) عند ظهور وخامة عاقبة كفركم واحتجابكم (كما تسخرون فسوف تعلمون) عند ذلك (من يأتيه عذاب يخزيه) فى الدنيا من هلاك وموت اومرض وضر اوشدة وفقر كيف يضطرب ويتحسر على مايفوته (ويحل عليه عذاب مقيم) دائم فى الآخرة من استيلاء نيران الحرمان وهيئات الرذائل المظلمة والخسران (حتى اذا جاء امرنا) باهلاكنا امتك (وفار التنور) تنور البدن باستيلاء الاخلاط الفاسدة والرطوبات

الذى تصفه بالقدرة على كل شئ وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل عليك ماتستغنى به انت واصحابك وهلا انزل عليك ملكا يشهدلك بالرسالة فتزول الشبهة فى امرك فاخبرالله عزوجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عزوجل (انماانت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشر بالثواب لمن اطاعك وآمن بك وصدقك (والله على كل شئ وكيل) يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ اقوالهم واعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة * قوله سبحانه وتعالى (ام يقولون افتراه) يعنى بل تقول كفار مكة اختلقه يعنى ما اوحى اليه من القرآن (قل) اى قل لهم يا محمد (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات) لما قالوا له افتريت هذا القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وارخى لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا انى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى شئ وان الامر كاقلتم وانتم عرب مثلى من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة واصحاب اللسان فأتوا انتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون على مثل ما اقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه وتعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فى مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة اعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة يونس وانه تحداهم اولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله فى سورة يونس فاتوا بسورة مثله فى الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وفى قوله سورة هود فاتوا بعشر سور مثله يعنى فى مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام امره بان يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (ان كنتم صادقين) يعنى فى قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما اشتملت الآية المتقدمة على امرين وخطابين احدهما امر وخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات والثانى امر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم اتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار فى المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون فى معنى الآية على قولين احدهما انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه (فاعلموا انما انزل بعلم الله) يعنى فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين بانه منزل من عند الله وقيل الخطاب فى قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبى صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثانى ان قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال فى الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عزوجل فى هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم ايها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان لا اله الا هو) يعنى الذى انزل القرآن هو الله الذى لا اله الا هو لا من تدعون من دونه (فهل انتم مسلمون) فيه والمعنى الامر اى اسلموا

(واخلصوا)

الفصيلة على الحرارة الغريزية وقوة طبيعة ماء الهيولى على نار الروح الحيوانية وامرنا باهلاكهم المعنوى وفار التنور باستيلاء ماء هوى الطبيعة على القلب واغراقه فى بحر الهيولى الجسمانى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) اى من كل صنفين من نوع اثنين هما صورتاهما النوعية والصنفية الباقيتان عند فناء الاشخاص ومعنى حملهما فيها علم بقيتهما مع

واخلصوا العبادة وان حلنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل انتم مسلمون الترغيب اى دوموا على ما انتم عليه من الاسلام * قوله عز وجل (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها) يعنى بعمله الذى يعمله من اعمال البر نزلت فى كل من عمل عملا يبتغى به غير الله عز وجل (نوف اليهم اعمالهم فيها) يعنى اجور اعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم فى الرزق ويدفع عنهم المكاره فى الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يبخسون) يعنى انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم كاملة موفرة (اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) يعنى وبطل ما عملوا فى الدنيا من اعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغير الله واختلف المفسرون فى المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن انس انها فى اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا فى غير تقوى يعنى من اهل الشرك اعطى على ذلك اجرا فى الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطى سائلا او يرحم مضطرا او نحو هذا من اعمال البر فيعجل الله له ثواب عمله فى الدنيا يوسع عليه فى المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره فى الدنيا وليس له فى الآخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار الآية وهذه حالة الكافر فى الآخرة وقيل نزلت فى المنافقين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حمل الآية على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذى هذه صفته والمؤمن الذى يأتى بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد فى هذه الآية اهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روى عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه اخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار اخرجه الترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها اخرجه ابو داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم اربعمائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراؤن باعمالهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال البغوى وروينا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه بغير سند والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها او ليعتقدوا فيه الصلاح او ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل هو الذى لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال البغوى وقيل هذا فى الكفار يعنى قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة روينا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة واما الكافر فيطعم بحسناته

بقاء الارواح الانسية فان علمه جزء من سفينته الحاوية لكل لتركبها من العلم والعمل فعلوميتهما محمو لية بهما وطالبيته بهما حاملية اياهما فيها (واهلك) ومن يتصل بك فى دينك وسيرتك من اقاربك (الا من سبق عليه القول) اى الحكم باهلاكه فى الازل لكفره (ومن آمن) بالله من امتك (وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) اى باسم الله الاعظم الذى هو وجود كل عارف كامل من افراد نوع الانسان

فى الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوى بغير سند ❊ قوله سبحانه وتعالى (افمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر فى هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى افمن كان على بينة من ربه اى كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم فى الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن هو فى ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذى امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعنى انه على يقين من ربه انه على الحق (ويتلوه شاهد منه) يعنى ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا فى الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبى صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابى يعنى على بن ابى طالب رضى الله عنه انت التالى قال وما تعنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما فى الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفضل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبى صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد النبى صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال على بن ابى طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل وانت اى آية نزلت فيك فقال على ما تقرأ الآية التى فى هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن ابى طالب وقوله منه يعنى من النبى صلى الله عليه وسلم والمراد تشريف هذا الشاهد وهو على لاتصاله بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعنى الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القرآن فى التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن ❊ قوله سبحانه وتعالى (ومن قبله) يعنى ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (كتاب موسى) يعنى التورية (اماما ورحمة) يعنى انه كان اماما لهم يرجعون اليه فى امور الدين والاحكام والشرائع وكونه رحمة لانه الهادى من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة ❊ وقوله تعالى (اولئك يؤمنون به) يعنى ان الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله اولئك يؤمنون به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه (ومن يكفر به) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (من الاحزاب) يعنى من جميع الكفار واصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء (فالنار موعده) يعنى فى الآخرة روى البغوى بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى احد

انفاذها واجراء احكامها وترويجها فى بحر العالم الجسمانى واقامتها واثباتها كما ترى من اجراء كل شريعة وانفاذ امرها وتثبيتها واحكامها بوجود نبى اوامام من ائمتها اوحبر من احبارها (ان ربى لغفور) يغفر هيئات نفوسكم البدنية المظلمة وذنوب ملابس الطبيعة المهلكة اياكم المغرقة فى بحرها بمتابعة الشريعة (رحيم) يرحم بافاضة

من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه فى كتاب الله عز وجل حتى بلغنى هذا الحديث لا يسمع بى احد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت اين هذا فى كتاب الله حتى اتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب اهل الملل كلها ❊ ثم قوله سبحانه وتعالى (فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك) فيه قولان احدهما ان معناه فلا تك فى شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى ام يقولون افتراه والقول الثانى انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده يعنى فلا تك فى شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب فى قوله فلا تك فى مرية للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) يعنى لا يصدقون بما اوحينا اليك او من ان موعد الكفار النار ❊ قوله عز وجل (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى اى الناس اشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا او ولدا وفى الآية دليل على الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ورد فى معرض المبالغة (اولئك) يعنى المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعنى يوم القيامة فيسألهم عن اعمالهم فى الدنيا (ويقول الاشهاد) يعنى الملائكة الذين يحفظون اعمال بنى آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) يعنى فى الدنيا وهذه الفضيحة تكون فى الآخرة لكل من كذب على الله (الا لعنة الله على الظالمين) يعنى يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا اباعبد الرحمن اخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد فى رواية فينادى بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ❊ قوله سبحانه وتعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعنى يمنعون الناس من الدخول فى دين الله الذى هو دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعنى ويطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام (وهم بالآخرة هم كافرون) يعنى وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت وينكرونه (اولئك) يعنى من هذه صفتهم (لم يكونوا معجزين فى الارض) قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين فى الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا ارادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم فى قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم (وما كان لهم من دون الله من اولياء) يعنى وما كان لهؤلاء المشركين من انصار يمنعونهم من دون الله اذا اراد بهم سوأ

المواهب العلية والكشفية والهيات النورانية التى ينجيكم بها لولا مغفرته ورحمته لغرقتم وهلكتم مثل اخوانكم (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) من فتن بحر الطبيعة الجسمانية واستيلاء دواعيها على الناس وغلبة اهوائها باتفاقهم على مقتضياتها كالجبال الحاجبة للنظر المانعة للسير او موج من انحرافات المزاج وغلبات الاخلاط المردية (ونادى نوح ابنه) المحجوب بعقله المغلوب

او دنايا (يضاعف لهم العذاب) يعني في الآخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) قال قتادة صموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فيأخذون به وقال ابن عباس اخبر الله سبحانه وتعالى انه احال بين اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون واما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة ابصارهم (اولئك الذين خسروا انفسهم) يعني ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم (لا جرم) يعني حقا وقال الفراء لا محالة (انهم في الآخرة هم الاخسرون) لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الاخرة اتبعه بذكر احوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الاخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله اخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل يعني ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام انهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال او يكونون مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع (اولئك) يعني الذين هذه صفتهم (اصحاب الجنة هم فيها خالدون) اخبر عن في الاخرة بأنهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال * قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) لما ذكر الله سبحانه وتعالى احوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصير وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعمى وهو الذي لا يهتدي لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيأ البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه ومثل الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه (هل يستويان مثلا) قال الفراء لم يقل هل يستوون الاعمى والاصم في حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن (افلا تذكرون) يعني فتتعظون * قوله عز وجل (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين) يعني ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين ارسله الله اليهم انى لكم ايها القوم نذير مبين يعني بين النذارة اخوف بالعقاب من خالف امر الله وعبد

بالوهم الذي هو عقل المعاش عن دين ابيه وتوحيده (وكان في معزل) من دينه وشريعته (يا بني اركب معنا) اي ادخل في ديننا (ولا تكن مع الكافرين) المحجوبين عن الحق الهالكين بموج هوى النفس المغرقين في بحر الطبع (قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء) يعني به الدماغ الذي هو محل العقل اي سأعتصم بالعقل والمعقول ليعصمني من استيلاء بحر الهيولى فلا اغرق فيه (قال

غيره وهو قوله سبحانه وتعالى (ان لاتعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم) يعنى مؤلم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يعنى الاشراف والرؤساء من قوم نوح (مانراك) يانوح (الا بشرا مثلنا) يعنى آدميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ❊ ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح (ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) يعنى سفلتنا والرذل الدون من كل شئ قيل هم الحاكة والاساكفة واصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة فى الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم فى الدين (بادى الرأى) يعنى انهم اتبعوك فى اول الرأى من غير تثبت وتفكر فى امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأى يعنى اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا (وما نرى لكم علينا من فضل) يعنى بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل نظنكم كاذبين) قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعنى نوحا (ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) يعنى على بيان ويقين من ربى بالذى انذرتكم به (وآتانى رحمة من عنده) يعنى هدى ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم) يعنى خفيت والتبست عليكم (انلزمكموها) الهاء عائدة على الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول الرحمة يعنى انا لانقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا (وانتم لها كارهون) وهذا استفهام معناه الانكار اى لا اقدر على ذلك والذى اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لى ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبى الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك (وياقوم لا اسئلكم عليه مالا) يعنى لا اسألكم ولا اطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا (ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا) وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون فى زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يعتقدون (انهم ملاقوا ربهم) فلا اطردهم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) يعنى عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم (وياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم) يعنى من يمنعنى من عذاب الله ان طردتهم عنى لانهم مؤمنون مخلصون (افلا تذكرون) يعنى فتتعظون (ولا اقول لكم عندى خزائن الله) هذا عطف على قوله لا اسئلكم عليه مالا والمعنى لا اسألكم عليه مالا ولا اقول لكم عندى خزائن الله يعنى التى لا يفنيها شئ فأدعوكم الى اتباعى عليها لاعطيكم منها وقال ابن الانبارى الخزائن هنا بمعنى

عاصم اليوم من امر الله الا) الذى (رحم) بدين التوحيد والشرع (وحال بينهما الموج) موج هوى النفس واستيلاء ماء بحر الطبيعة اى حجبه عن ابيه ودينه وتوحيده (فكان من المغرقين) فى بحر الهيولى الجسمانية (وقيل ياارض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى) اى نودى من جهة الحق على لسان الشرع ارض الطبيعة الجسمانية اى ياارض انقصى أمر الشريعة وامتثال احكامها من غلبة هواك واستيلائه بفوران موادك على القلب وقفى على حد الاعتدال الذى به قوامه وياسماء العقل المحجوبة بالعادة والحس المشوبة بالوهم المغيمة بغيم الهوى التى تمد النفس والطبيعة بتهيئة موادها واسبابها بالفكر اقلعى عن مددها (وغيض الماء) ماء قوة

غيوب الله وما هو منطو من الخلق وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى وادعوا ان المؤمنين انما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا اقول لكم عندى خزائن الله التى لا يعلم منها ما ينطوى عليه عباده وما يظهرونه الا هو وانما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول اولى ليحصل الفرق بين قوله ولا اقول لكم عندى خزائن الله وبين قوله (ولا اعلم الغيب) يعنى ولا ادعى علم ما يغيب عنى مما يسرونه في نفوسهم فسبيلى قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمائرهم الا الله (ولا اقول انى ملك) وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اى لا ادعى انى من الملائكة بل انا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم

(فصل) استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول انى ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعى كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشئ اشرف وافضل من احوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب ان يكون الملك افضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا ظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال سبحانه وتعالى ولا اقول انى ملك ولم يرد ان درجة الملائكة افضل من درجة الانبياء والله اعلم * وقوله سبحانه وتعالى (ولا اقول للذين تزدرى اعينكم) يعنى تحتقر وتستصغر اعينكم يعنى المؤمنين وذلك لما قالوا انهم اراذلنا من الرذالة وهى الخسة (لن يؤتيهم الله خيرا) يعنى توفيقا وهداية وايمانا واجرا (الله اعلم بما في انفسهم) يعنى من الخير والشر (انى اذا لمن الظالمين) يعنى ان طردتهم مكذبا لظاهرهم ومبطلا لايمانهم يعنى ان فعلت هذا فأكون قد ظلمتهم وانا لا افعله فانا من الظالمين (قالوا يا نوح قد جادلتنا) يعنى خاصمتنا (فأكثرت جدالنا) يعنى خصومتنا (فأتنا بما تعدنا) يعنى من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى في دعواك انك رسول من الله الينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) يعنى قال نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى من يشاء ان اراد انزال العذاب بكم (وما انتم بمعجزين) يعنى وما انتم بفائتين ان اراد الله نزول العذاب بكم (ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم) يعنى ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم (ان كان الله يريد ان يغويكم) يعنى يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى الى الهلاك (هو ربكم) يعنى انه سبحانه وتعالى هو مالككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه (واليه ترجعون) يعنى في الآخرة فيجازيكم باعمالكم (ام يقولون افتراه) اى اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحى الذى جاءهم به (قل ان افتريته) اى اختلقته (فعلى اجرامى) اى اثم اجرامى والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وجرم واجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله (وانا برئ مما تجرمون) يعنى من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح قومه فهى من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل ام يقولون يعنى المشركين من كفار مكة افتراه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح

الطبيعة الجسمانية ومدد الرطوبة الحاجبة لنور الحق المانعة للحياة الحقيقية (وقضى الامر) امر الله بانجاء من نجا واهلاك من هلك (واستوت) اى استقامت شريعته (على الجودى) جودى وجود نوح واستقرت (وقيل بعدا) اى هلاكا (للقوم الظالمين) الذين كذبوا بدين الله وعبدوا الهوى مكان الحق ووضعوا طريق الطبيعة مكان الشريعة (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى) حمله شفقة الابوة وتعطف الرحم والقرابة على طلب نجاته لشدة تعلقه به واهتمامه بامره وراعى مع ذلك ادب

ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى (واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه فى لبد ويلقونه فى بيت يظنون انه قد مات فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم الى الله وروى ان شيخا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يابنى لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكنى من العصا فأخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (فلا تبتئس) يعنى فلا تحزن عليهم فانى مهلكهم (بما كانوا يفعلون) يعنى بسبب كفرهم وافعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمير الليثى انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتى قرن الا كان اخبث من الذى قبله ولقد كان يأتى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيأ فشكا نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه (واصنع الفلك) يعنى السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (بأعيننا) قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) يعنى بامرنا (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) يعنى بالطوفان والمعنى ولا تخاطبنى فى امهال الكفار فانى قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبنى فى ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطئ فصنعها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (ويصنع الفلك) يعنى كما امره الله سبحانه وتعالى قال اهل السير لما امر الله سبحانه وتعالى نوحا بعمل السفينة اقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج اليه فى عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو فى عمله فيسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوى وزعم اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى ووسطى وعليا وان يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما امره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة فى سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل فى البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه فى البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها فى عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها الفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الاول اشهر وهو ان طولها ثلثمائة ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة فى ثلاثين سنة وروى انه ثلاثة اطباق الطبقة

الحضرة وحسن السؤال فقال (وان وعدك الحق) ولم يقل لا تخلف وعدك بانجاء اهلى وانما قال ذلك اوجود تلوين وظهور بقية منه اذفهم من الاهل ذوى القرابة الصورية والرحم الطبيعة وغفل لفرط التأسف على ابنه عن استثنائه تعالى بقوله الا من سبق عليه القول ولم يتحقق ان ابنه هو الذى سبق عليه القول ولا استعطف ربه بالاسترحام وعرض بقوله (وانت احكم الحاكمين) الى ان العالم العادل والحكيم لا يخلف وعده (قال يانوح انه ليس من اهلك) اى ان اهلك فى الحقيقة هو الذى بينك وبينه القرابة الدينية واللحمة المعنوية والاتصال الحقيقى لا الصورى كما قال

السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثرت اروات الدواب اوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفأر فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما افسد الفار فى السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها اوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان اضرب بين عينى الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهى القطة والقط فاقبلا على الفار فاكلاه * قوله سبحانه وتعالى (وكلما مر عليه ملأ من قومه) اى جماعة من قومه (سخروا منه) يعنى استهزؤا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذى كان يزعم انه نبى قد صار نجارا وقيل قالوا يانوح ماذا تصنع قال اصنع بيتا يمشى على الماء فضحكوا منه (قال) يعنى نوحا قومه (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) يعنى ان تستجهلونا فى صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لاتليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمى هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج فى مشاكلة الكلام كما فى قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون) يعنى فسترون (من يأتيه) يعنى اينا يأتيه نحن اوانتم (عذاب يخزيه) يعنى يهينه (ويحل عليه عذاب مقيم) يعنى فى الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثانى عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذى لاانقطاع له * قوله عز وجل (حتى اذا جاء امرنا وفار التنور) يعنى وغلى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسى معرب لاتعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء فى القرآن بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربى وعجمى وقيل ان لفظ التنور اصله اعجمى فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا فى المراد بهذا التنور فقال عكرمه والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال على فار التنور اى طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبى ان التنور هو الذى يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة فى اسم الموضع الذى يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام فى لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رايت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك قلت لايبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك واختلفوا فى موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته وكان ذلك فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبى اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم وكان بالشام

امير المؤمنين عليه السلام الاوان ولى محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته الاوان عدو محمد من عصى الله وان قربت لحمته (انه عمل غير صالح) بين انتفاء كونه من اهله بانه غير صالح تنبيها على ان اهله هم الصلحاء اهل دينه وشريعته وانه لتاديه فى الفساد والغى كان نفسه عمل غير صالح وان سبب النجاة ليس الا الصلاح لاقرابته منك بحسب الصورة فمن لاصلاح له لانجاة له ولوح الى انه صورة من صور الخطايا صدرت منك كما قيل انه سر من اسرار ابيه على ماقال النبى عليه الصلاة والسلام الولد سر ابيه وذلك انما بالغ فى الدعوة وبلغ الجهد فى المدة المتطاولة وما اجابه قومه غضب ودعا

بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان (قلنا احمل فيها) يعنى قلنا لنوح احمل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين لا يستغنى احدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وانثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه فى كل جنس منها فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة (واهلك) اى واحمل اهلك وولدك وعيالك (الا من سبق عليه القول) يعنى بالهلاك واراد به امرأته واعلة وولده كنعان (ومن آمن) يعنى واحمل معك من آمن من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا فى عدد من حمل نوح معه فى السفينة فقال قتادة وابن جريج محمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان فى السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم قال الطبرى والصواب من القول فى ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغى ان يجاوز فى ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك فى كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوح جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تنتقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك على يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى يا عدو الله قال لا بد من ان تحملنى معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى وقال الامام فخر الدين الرازى واما الذى روى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم نارى او هوائى فكيف يفر من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا احملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيأ ✻ قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة (بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم) يعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها وقال الضحاك كان نوح اذا اراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فجرى وكان اذا اراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو اى تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغى له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون

عليهم بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فذهل عن شهود قدرة الله وحكمته و انه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وكانت دعوته تلك ذنب حاله فى خطيئة مقامه فابتلاه الله بالفاجر الكفار الذى زعم حال غضبه انهم لا يلدون الا مثله وحكم على الله بظنه فزكاه عن خطيئة بتلك العقوبة وفى الحديث خلق الكافر من ذنب المؤمن (فلا تسألنى ما ليس لك به علم) من الجهلة

ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) الموج ماارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير ارسل الله المطر اربعين يوما وليلة خرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وارتفع الماء على اعلى جبل واطوله اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شئ وروى انه لما كثر الماء فى السكك خافت ام صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافرا (وكان فى معزل) يعنى عن نوح لم يركب معه (يابنى اركب معنا) يعنى فى السفينة (ولاتكن مع الكافرين) يعنى فتهلك معهم (قال) يعنى قال كنعان (سآوى) يعنى سألتجئ واصير (الى جبل يعصمنى) يعنى يمنعنى (من الماء قال) يعنى قال له نوح (لاعاصم) يعنى لامانع (اليوم من امر الله) يعنى من عذابه (الامن رحم) يعنى الامن رحمه الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) يعنى كنعان (وقيل) يعنى بعد ما تناهى الطوفان واغرق الله قوم نوح (ياارض ابلعى ماءك) اى اشربيه (وياسماء اقلعى) اى امسكى (وغيض الماء) اى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب (وقضى الامر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) يعنى هلاكا (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون فى منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لايالف البيوت وطوّق الحمامة بالخضرة التى فى عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تالف البيوت وروى ان نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقى موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابى قبيس وهبط نوح ومن معه فى السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهى اوّل قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه رد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ورد على ذلك ايضا

من ليس بصالح ولامن اهلك واعلم ان الصلاح هو سبب النجاة دون غيره وان اهلك هو ذو القربة المعنوية لاالصورية (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) الواقفين مع ظواهر الامور المحجوبين عن حقائقها فتنبه عليه السلام عند ذلك التأديب الالهى والعتاب الربانى وتعوذ بقوله (قال رب انى اعوذ بك ان اسالك ماليس لى به علم والاتغفر لى) تلوينانى وظهور بقاياى (وترحمنى) بالاستقامة والتمكن (اكن من الخاسرين) الذين خسروا انفسهم بالاحتجاب عن علمك وحكمتك (قيل يانوح اهبط) اى اهبط من محل الجمع وذروة مقام

اهلاك اطفال الامم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل مايشاء ويحكم مايريد لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ❊ قوله عز وجل (ونادى نوح ربه) اى دعاه وسأله (فقال رب ان ابني من اهلي) يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي (وان وعدك الحق) يعني الصدق الذى لاخلف فيه (وانت احكم الحاكمين) يعني انك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك (قال) يعني قال الله تعالى (يا نوح انه) يعني هذا الابن الذى سألتني نجاته (ليس من اهلك) اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لماصح عن ابن عباس انه قال مابغت امرأة نبي قط ولان الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لايجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولافرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى اخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم من صلب آزر وهو نبي وكان آزر كافرا فكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني انه ليس من اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب اودين اومايجرى مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح انه ليس من اهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياى ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعدما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل اوصاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء ❊ فانما هي اقبال وادبار ❊ قال الواحدي وهذا قول ابي اسحق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان

الولاية والاستغراق في التوحيد الى مقام التفصيل وتشريع النبوة بالرجوع الى الخلق ومشاهدة الكثرة في عين الوحدة لاغضبا بالاحتجاب بهم عن الحق ولا راضيا بكفرهم بالاحتجاب بالحق عنهم (بسلام) اى سلامة عن الاحتجاب بالكثرة وظهور النفس بالغضب ووجود التلوين وحصول التعلق بعد التجرد والضلال بعد الهدى (منا) اى صادر منا وبنا (وبركات) بتقنين قوانين الشرع وتأسيس قواعد العدل الذى ينمو به كل شئ ويزيد (عليك وعلى امم) ناشئة (ممن معك) وعلى دينك وطريقتك الى آخر الزمان (وامم) اى

اذا كثر منه فعلى هذا لاحذف (فلا تسألني ما ليس لك به علم) وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة لوالد على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ما ليس لك به علم بجواز مسئلته (انى اعظك) يعنى انهاك (ان تكون من الجاهلين) يعنى لمثل هذا السؤال (قال) يعنى قال نوح (رب انى اعوذ بك) يعنى الجأ اليك واعتذر اليك (ان اسالك ما ليس لى به علم) يعنى انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب عنى فاعتذر اليك من مسئلتى ما ليس لى به علم (والا تغفر لى) يعنى جهلى واقدامى على سؤالى ما ليس لى به علم (وترحمنى) يعنى برحمتك التى وسعت كل شئ (اكن من الخاسرين)

* (فصل وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء) * وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى اعظك ان تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك فى وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح واعلمه الله سبحانه وتعالى انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وساله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيآت المقربين وليس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم * قوله سبحانه وتعالى (قيل يا نوح اهبط) اى انزل من السفينة اومن الجبل الى الارض (بسلام) اى بامن وسلامة (منا وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ونموه وزيادته و قيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه فى السفينة غيرهم (وعلى امم ممن معك) يعنى وعلى ذرية امم ممن كانوا معك فى السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجئ من بعدك من ذرية اولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فى هذا كل مؤمن الى يوم القيامة (وامم سنمتعهم) هذا ابتداء كلام اى وامم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم يعنى فى الدنيا الى منتهى آجالهم (ثم يمسهم منا عذاب اليم) يعنى فى الآخرة (تلك من انباء الغيب) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان هذه القصة التى اخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من انباء الغيب يعنى من اخبار الغيب (نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) يعنى من قبل نزول القرآن عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة فى العالم فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت امته فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول

ويلشأ من معك امم (سنمتعهم) فى الحياة الدنيا الا احتجابهم بها وبقواهم (ثم يمسهم منا عذاب اليم) باهلاكهم بكفرهم واحراقهم بنار الآثار وتعذيبهم بالهيات وان شئت التطبيق اولت نوحا بروحك والفلك بكمالك العلمى والعملى الذى به نجاتك عند طوفان بحر الهيولى حتى اذا فار تنور البدن باستيلاء الرطوبة الغريبة والاخلاط الفاسدة واذن بالخراب ركب هو فيها وحمل معه من كل صنفين من وحوش القوى الحيوانية والطبيعية وطيور القوى الروحانية اثنين اى اصليهما وبنيه الثلاثة حام القلب وسام العقل النظرى ويافث العقل العملى وزوجه النفس المطمئنة واجراها باسم الله الاعظم فنجا بها بالبقاء السرمدى من الهلاك الابدى بالطوفان وغرقت زوجه الاخرى التى هى الطبيعة الجسمانية وابنه منها الذى هو الوهم الآوى الى جبل الدماغ واولت استواءها على الجودى

القرآن بها (فاصبر) يامحمد على اذى مشركى قومك كاصبرنوح على اذى قومه (ان العاقبة) يعنى النصروا لظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية (للمتقين) يعنى للمؤمنين * قوله عزوجل (والى عاد) يعنى وارسلنا الى عاد (اخاهم هودا) يعنى اخاهم فى النسب لافى الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولاتشركوا معه شيئا فى العبادة (مالكم من اله غيره) يعنى انه تعالى هو الحكم لاهذه الاصنام التى تعبدونها فانها حجارة لاتضر ولاتنفع (ان انتم الامفترون) يعنى ماانتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره (ياقوم لااسئلكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة (اجرا) يعنى جعلا آخذه منكم (ان اجرى) يعنى ماثوابى (الا على الذى فطرنى) يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى فى الدنيا ويثيبنى فى الآخرة (افلاتعقلون) يعنى فتتعظون (وياقوم استغفروا ربكم) اى آمنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب اولا (ثم توبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة فى اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم واخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوه ارسل الله اليهم المطر فأحيا به بلادهم كما كانت اول مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم يقوكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى اعقم ارحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ماكانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قوة الابدان (ولاتتولوا مجرمين) يعنى ولاتعرضوا عن قبول قولى ونصحى حال كونكم مشركين (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) اى ببرهان وحجة واضحة على صحة ماتقول (ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك) يعنى ومانترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (ومانحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان نقول الااعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى انك ياهود لست تتعاطى ماتتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا ان بعض آلهتنا اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولانحمل امرك الا على هذا (قال) يعنى قال هود مجيبا لهم (انى اشهد الله) يعنى على نفسى (واشهدوا) يعنى واشهدوا انتم ايضا على (انى برئ مماتشركون من دونه) يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها (فكيدونى جميعا) يعنى احتالوا فى كيدى وضرى انتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لاتضر ولاتنفع (ثم لاتنظرون) يعنى ثم لاتمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ماهم فيه من الكفر والجبروت الاثقة بالله عزوجل وتوكله وهو قوله تعالى (انى توكلت على الله ربى وربكم) يعنى انه فوض امره الى الله واعتمد عليه (مامن دابة) يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض (الا هو آخذ بناصيتها) يعنى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الراس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا

وهبوطه بمثل نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والى عاد اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الامفترون ياقوم لااسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى افلاتعقلون وياقوم استغفروا ربكم) من ذنوب حجب صفات النفس والوقوف مع الهوى بالشرك (ثم توبوا اليه يرسل السماء) بالتوجه الى التوحيد والسلوك فى طريقه بالتجرد والتنور يرسل سماء الروح (عليكم مدرارا) بماء العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية (ويزدكم قوة) قوة الكمال (الى قوتكم ولاتتولوا) قوة الاستعداد ولاتعرضوا عنه (مجرمين) بظهور صفات نفوسكم وتوجهكم الى الجهة السفلية بمحبة الدنيا ومتابعة الطبيعة (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) لقصور فهمهم وعمى

فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتقدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم (ان ربى على صراط مستقيم) يعنى ان ربى وان كان قادرا وانتم فى قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسئ بعصيانه وقيل معناه ان دين ربى هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربى يحملكم على صراط مستقيم (فان تولوا) يعنى تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم (فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) يعنى انى لم يقع منى تقصير فى تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم فى قبول ذلك (ويستخلف ربى قوما غيركم) يعنى انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضرونه شيأ) يعنى بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيأ اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربى على كل شئ حفيظ) يعنى انه تعالى حافظ لكل شئ فيحفظنى من ان تنالونى بسوء * قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء امرنا) يعنى باهلاكهم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا اربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما انجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعنى الريح التى اهلكت عادا وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهى الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرهم شيأ وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما نجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا بآيات ربهم يعنى المعجزات التى اتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعنى هودا وحده وانما اتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يعنى ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع فى نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذى لا يقبل الحق ولا يتبعه (واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة) يعنى اردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) يعنى وفى يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم فى الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذى استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى (الا ان عادا كفروا ربهم) اى كفروا بربهم (الا بعدا لعاد) يعنى هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة فى قوله الا بعدا لعاد لان الثانى هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة فى قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عادا الاولى القديمة التى هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم

بصيرتهم من ادراك البرهان لمكان الغشاوات الطبيعية واذا لم يدركوه انكروه بالضرورة (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) بين وجوب التوكل على الله وكونه حصنا حصينا اولا بان ربوبيته شاملة لكل احد ومن يرب يدبر امر المربوب ويحفظه فلا حاجة له الى كلاءة غيره وحفظه ثم بان كل ذى نفس تحت قهره وسلطانه اسير فى يد تصرفه ومملكته وقدرته عاجز عن الفعل والقوة والتأثير فى غيره لا حراك به بنفسه كالميت فلا حاجة الى الاحتراز منه والتحفظ ثم بانه (ان ربى على صراط مستقيم) اى على طريق العدل فى عالم الكثرة الذى هو ظل وحدته فلا يسلط احدا على احد الا عن استحقاق له لذلك بسبب ذنب وجرم ولا يعاقب احدا من غير زلة ولو صغيرة وقد يكون لتزكية ورفع درجة كالشهادة وفى ضمن ذلك كله نفى القدرة على النفع والضر عنهم وعن آلهتهم (فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف

ذات العماد وهم العماليق فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهوان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد ❊ قوله عزوجل (والى ثمود اخاهم صالحا) يعني وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين (قال ياقوم اعبدوا الله) وخصوه بالعبادة (مالكم من اله غيره) يعني هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال تعالى (هو انشأكم من الارض) يعني انه هو ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني آدم وآدم خلق من الارض (واستعمركم فيها) يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم (فاستغفروه) يعني من ذنوبكم (ثم توبوا اليه) يعني من الشرك (ان ربي قريب) يعني من المؤمنين (مجيب) لدعائهم (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يعني هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع ان تعود الى ديننا فلما اظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه (اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا) يعني الآلهة (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) يعني من عبادة الله (مريب) يعني انا مرتابون في قولك من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في التهمة (قال) يعني قال صالح مجيبا لقومه (ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على يقين وبرهان (وآتاني منه رحمة) يعني نبوة وحكمة (فمن ينصرني من الله) اي فمن يمنعني من عذاب الله (ان عصيته) يعني ان خالفت امره (فما تزيدونني غير تخسير) قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقول الا نسبتي الى الخسارة (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك ان قومه طلبوا ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عزوجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فذروها تأكل) يعني من العشب والنبات (في ارض الله) يعني فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يعني بعقر (فيأخذكم) يعني ان قتلتموها (عذاب قريب) يعني في الدنيا (فعقروها) يعني فخالفوا امر ربهم فعقروها (فقال) يعني فقال لهم صالح (تمتعوا) يعني عيشوا (في داركم) اي في بلدكم (ثلاثة ايام) يعني ثم تهلكون (ذلك) يعني العذاب الذي اوعدهم به بعد ثلاثة ايام (وعد غير مكذوب) اي هو غير كذب روي انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة ايام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال واتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاء امرنا) يعني العذاب (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) اي بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان فآمنوا (ومن خزي يومئذ) يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزيا لان فيه خزي الكافرين (ان ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد (هو القوي) يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزيز) يعني القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم اخبر عن عذاب قوم

ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيأ ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) قد مر تأويل الناقة واما انجاء صالح ومن معه على التأويل المذكور فكانجاء عيسى عليه السلام من الصلب كما جاء في قوله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وفي قوله وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكانجاء

صالح فقال سبحانه وتعالى (واخذ الذين ظلموا) يعني انفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت لكل شئ في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا (فاصبحوا في ديارهم جاثمين) يعني صرعى هلكى (كأن لم يغنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اتيته واقمت به (الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود) وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف * قوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) اراد بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائل واسرافل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال السدي كانوا احد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعني بالبشارة باسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) يعني ان الملائكة سلموا سلاما (قال) يعني لهم ابراهيم (سلام) اي عليكم او امركم سلام (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) يعني مشويا والحنوذ هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل الا معه فلما جاءت الملائكة رأى اضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوي (فلما رأى ايديهم) يعني ايدي الاضياف (لا تصل اليه) يعني الى العجل المشوي (نكرهم) يعني انكرهم وانكر حالهم وانما انكر حالهم لامتناعهم من الطعام (واوجس منهم خيفة) يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام (قالوا لا تخف) يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (ارسلنا الى قوم لوط وامرأته) يعني سارة زوجة ابراهيم وهي ابنة هاران بن ناحورا وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم (فضحكت) اصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد ايضا وللعلماء في تفسير هذا الضحك قولان احدهما انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى اضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تأكلون فقالوا انا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة ايديهم

مؤمن آل فرعون على
ما اشار اليه بقوله فوقاه الله
سيئات ما مكروا (فذروها
تأكل في ارض الله ولا تمسوها
بسوء فيأخذكم عذاب قريب
فعقروها فقال تمتعوا في داركم
ثلاثة ايام ذلك وعد غير
مكذوب فلما جاء امرنا نجينا
صالحا والذين آمنوا معه
برحمة منا ومن خزي يومئذ
ان ربك هو القوي العزيز
واخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين
كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا
كفروا ربهم الا بعدا لثمود
ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى قالوا سلاما قال سلام
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه
نكرهم واوجس منهم
خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط وامرأته قائمة
فضحكت فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب
قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز
وهذا بعلي شيخا ان هذا
لشئ عجيب قالوا أتعجبين
من امر الله رحمت الله وبركاته
عليكم اهل البيت انه حميد
مجيد فلما ذهب عن ابراهيم
الروع وجاءته البشرى
يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم
لحليم اواه منيب يا ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء

لاتصل اليه ضحكت سارة وقالت ياعجبا لاضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لايأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه فحين قالوا لاتخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون فى الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحق فضحكت يعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقة ماظنت القول الثانى فى معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد اى حاضت فى الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت ليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تصيصا لحالها فان جعل ذلك امارة لما بشرت به لحيضها فى الوقت لتعلم ان حملها ليس بمنكر لان المرأة مادامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانبارى قد انكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث فى هذه الآية فضحكت اى طمثت وحكى الازهرى عن بعضهم فى قوله فضحكت اى حاضت قال ويقال اصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

تضحك الضبع من دماء سليم * اذ رأتها على الحراب تمور

وقال فى المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكا يعنى حاضت حيضا قال وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم اللقا يعنى الحيض فيما زعم بعضهم واجاب عن هذا من انكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما اراد الشاعر تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتهز بعضها على بعض فجعل هزها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكا فان قلت اى القولين اصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فالله اعلم اى ذلك كان * وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها اى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا (قالت ياويلتى) نداء ندبة واصلها ياويلاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية مايتعجب منه مثل ياعجبا (ءالد وانا عجوز) وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا بعلى) يعنى زوجى والبعل هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قائما بامرها

امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون فى ضيفى اليس منكم رجل رشيد) ان للنفوس الشريفة الانسانية اتصالات بالمبادى المجردة العالية والارواح المقدسة الفلكية من الانوار القاهرة العقلية والنفوس المدبرة السماوية واختلاطات بالملأ الاعلى من اهل الجبروت وانخراطات فى سلك الملكوت ولكل نفس بحسب فطرتها مبدأ يناسبها من عالم الجبروت ومدبر يربها من عالم الملكوت تستمد من الاول فيض العلم والنور ومن الثانى مدد القوة والعمل كما اشار اليه قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ومقر أصلى تأوى اليه من جناب اللاهوت ان تجردت كما قال عليه الصلاة والسلام ارواح الشهداء تأوى الى قناديل من نور معلقة تحت العرش وكلما انجذبت الى الجهة السفلية بالميل الى اللذات الطبيعية احتجبت بغشاوتها

سمى بعلا لذلك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا لشئ عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما (قالوا) يعنى قالت الملائكة لسارة (اتعجبين من امر الله) معناه لاتعجبى من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا اراد شيأ كان سريعا (رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل بيته (انه حميد) يعنى هو المحمود الذى يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد فى السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال (مجيد) ومعناه المنيع الذى لايرام وقال الخطابى المجيد الواسع الكرم واصل المجد فى كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد والشرف والكرم ❊ قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابرهيم الروع) يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءته وهى البشارة بالولد (يجادلنا) فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا اوجعل يجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (فى قوم لوط) لان العبد لايقدر ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا فى قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم ارأيتم لوكان فى مدائن قوم لوط خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لاقال فاربعون قالوا لاقال فثلاثون قالوا لاقال فمازال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لاقال ارأيتم لوكان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونهـا قالوا لاقال ابراهيم فان فيهـا لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الاامرأته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون اويرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصى قال ابن جريج كان فى قرى قوم لوط اربعة آلاف مقاتل (ان ابرهيم لحليم اواه منيب) تقدم تفسيره فى سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم (ياابرهيم اعرض عن هذا) يعنى اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال (انه قد جاء امر ربك) يعنى ان ربك قدحكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) يعنى ان العذاب الذى نزل بهم غير مصروف ولامدفوع عنهم ❊ قوله عزوجل (ولما جاءت رسلنا لوطا) يعنى هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسـان الوجوه (سيء بهم) يعنى احزن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه (وضاق بهم ذرعا) قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه فى سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومدعنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذرعا اذلم يجد من المكروه فى ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا لايعرف اصله الاان يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا فى يدى يعنون ليس هذا فى وسعى لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع فى مكروه ولايطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه اوفاحشة وعلم

من ذلك الجنـاب وانقطع مددهـا من تلك الجهة من الانوار الجبروتية والقوى الملكوتيـة فضـعفت فى الادراكات لاحتجابهـا عن قبول تلك الاشراقات وفى المنة والقوة لانقطـاع مددها من تلك القوة وكلمـا توجهت الى الجهة العلوية بالتنزه عن الهيآت البدنية والتجرد عن الملابس المادية والتقرب الى الله تعالى مبدا المبادى ونور الانوار بالزهد والعبادة والتشبث فى المبادى بالنظافة والنزاهة مقرنا عمله بالصدق فى النية واخلاص الطوية امده الله تعالى لمناسبته سكان حضرته من عالم امداد النور والقوة فتعلم مالايعلمه غيرها من ابناء جنسها وتقدر على مالايقدر عليه مثلها من بنى نوعها ويكون لها اوقات تنخرط فيها فى سلكها بالانخلاع عن بدنها واوقات تبعد فيها عنها بما هى ممنوة به من تدبير جسدها فى اوقات اتصـالها بها وانخراطهـا فى سلكها قد تتلقى الغيب منها اما كما هو على سبيل الوحى والالهام والالقاء فى الروح والاعلام بمطالعة صورة الغيب المنتقشة هى بها منها واما على طريق الهتـاف والانهاء واما على صـورة

سيحتاج الى المدافعة عنهم (وقال) يعنى لوطا (هذا يوم عصيب) اى شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء اى شدبه مأخوذ من العصابة التى تشدبها الرأس قال قتادة والسدى خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل فى ارض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لاتهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلمامشى ساعة قال لهم امابلغكم امر هذه القرية قالوا وماامرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لماحمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومى شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة اخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ماقال اولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه فى داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقال ان فى بيت لوط رجالا مارأيت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم (وجاء قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجمز (ومن قبل) يعنى ومن قبل مجئ الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السيئات) يعنى الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهى اتيان الرجال فى ادبارهم (قال) يعنى قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بنى آدم (ياقوم هؤلاء بناتى) يعنى ازوجكم اياهن وفى اضيافه بناته قيل انه كان فى ذلك الوقت وفى تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد بناته نساء قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبى ابو امته وهو كالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروءة ان يعرض الرجل بناته على اعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق ※ وفى قوله (هن اطهر لكم) سؤال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب افعل التفضيل فيقتضى ان يكون الذى يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه محرم فاسد نجس لاطهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله ذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لاخير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم احد اعل هبل قال الله اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة ※ وقوله (فاتقوا الله) يعنى خافوه وراقبوه واتركوا ماانتم عليه من الكفر والعصيان (ولاتخزون فى ضيفى) يعنى ولاتسوؤنى فى اضيافى ولاتفضحونى معهم (أليس منكم رجل رشيد) اى صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لااله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) يعنى ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليست

كتابة فى صحيفة تطالعه منها وذلك بحسب جهة قبول لوح حسها المشترك واختصاصه بنوع بعض المحسوسات دون بعض للاحوال السابقة والاتفاقات العارضة وقد يتراءى لها صور منها تناسبها فى الحسن واللطافة فيتجسد لها مابقوة تخيلها وظهورها فى حسها المشترك لاستحكام الاتصال واستقراره ربما تحاكيها المتخيلة ومابتمثلها فى متخيلة الكل التى هى السماء الدنيا وانطباعها فى متخيلتها بالانعكاس كما فيما بين المرايا المتقابلة فتخاطبها بصورة الغيب شفاها على مايرى فى المنامات الصادقة من غير فرق فان الرؤيا الصادقة والوحى كلاهما من واد واحد لاتباين بينهما الا بالنوم واليقظة فان صاحب الوحى يقدر على الغيبة من الحواس وادراكاتها وعزلها عن افعالها وتعطيلها فى استعمالها فيتصل بالمجردات العلوية لقوة نفسه وحصول ملكة الاتصال لها وصاحب الرؤيا الصادقة يقع له ذلك بحكم الطبع وتلك الرؤيا هى التى لاتحتاج الى تعبير كما اشار اليه من رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن

بنات لنا بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه مالنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك (وانك لتعلم ما نريد) يعني من اتيان الرجال في ادبارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو ان لي بكم قوة) اى لو انى اقدر ان اتقوى عليكم (او آوى الى ركن شديد) يعني او انضم الى عشيرة يمنعونى منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت عشيرة لانضممت اليهم قال ابو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشيرته (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت في السجن مالبث يوسف ثم اتانى الداعى لاجبته قال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او آوى الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتى في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رأت الملائكة ما لقى لوط بسببهم (قالوا يالوط) ركنك شديد (انا رسل ربك لن يصلوا اليك) يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط اسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يالوط كما انت حتى تصبح وسترى ماتلقى منا غدا يوعدونه بذلك (فاسر باهلك) يعني ببنتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضى اوله وقيل انه السحر الاول (ولا يلتفت منكم احد) يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه (الا امرأتك) فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى (انه مصيبها ما اصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد اريد اسرع من ذلك فقالوا له (اليس الصبح بقريب) فلما خرج لوط من قريته اخذ اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا امرأته فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم (فلما جاء امرنا) يعني امرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهى خمس مدائن اكبرها سدوم وهى المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها اربعمائة الف وقيل اربعة آلاف الف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها (وامطرنا عليها) يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر عليهم (حجارة من سجيل)

بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون ولهذا جعل الرؤيا الصادقة جزأ من ستة واربعين جزأ من النبوة وكانت مقدمة وحيه المنامات الصادقة ستة اشهر ثم استحكمت وصارت الى اليقظة وقد تنتقل المنزلة اى الحالتين اى النوم واليقظة الى اللوازم فيقع الاحتياج الى التعبير والتأويل وقد يظهر على تلك النفس المتدربة بملكة الاتصال المتمرنة فيها من خوارق العادات وانواع الكرامات والمعجزات لوصول المدد من عالم القدرة ما ينكر من لا يعلمه من المحجوبين بالعادة واصحاب قسوة القلوب والجفوة والمحجوبين بالعقول الناقصة المشوبة بالوهم القاصرة عن بلوغ الحد وادراك الحق ويقبله من تنور قلبه بنور الهداية وعصم عن الضلالة والغواية استبصارا وايقانا او سلمت فطرته عن الحجب المظلمة والغباوة وحصلت من الجهالة والغشاوة تقليدا وايمانا للين قلبه بالارادة

قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك كل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسي صار لغة للعرب ولايضاف الى الفارسي مثل قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع اخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن اصل الحجارة طين فشددت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لاتشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدى كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها اى على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به (وماهى) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) يعني مشركي مكة (ببعيد) قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله مااجار الله منها ظالما بعده وفي بعض الآثار مامن ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه * قوله عز وجل (والى مدين) يعني وارسلنا الى مدين (اخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) يعني وحدوا الله ولاتعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله مالكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولاتنقصوا المكيال والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولاتنقصوا المكيال والميزان (انى اراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول النقمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا اوحذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين (وياقوم اوفوا المكيال والميزان) اى اتموهما ولا تطففوا فيهما (بالقسط) اى بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولاتبخسوا الناس) اى ولاتنقصوا الناس (اشياءهم) يعني اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولاتبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين ماتقدم فماالفائدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع

وقوة قبوله للصقالة وذلك اما بتأيد نفسه من عالم الملكوت وتقويها بمبدا الايد والقوة كما قال على عليه السلام عند قلعه باب خيبر والله ماقلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضية واما بصدور ذلك عن تلك النفوس الملكوتية والمبادى الجبروتية التي اتصل هو بها لاجابة دعوته بالطاعة الملكوت له باذن الله تعالى وامره وتقديره وحكمه وتسخيره وقد دلت الآية على تمثل الملائكة لخليل الله عليه الصلاة والسلام وتجسدها على الحالات اللات مخاطبتها اياه بالغيب الذي هو البشرى بوجود الولد واهلاك قوم لوط وانجائه وتأييدهم في خرق العادة من ولادة العجوز العقيم من الشيخ الفاني وتأثيرهم في اهلاك قوم لوط وتدميرهم بدعائه والله اعلم بحقائق الامور (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم مانريد قال لو ان لي بكم قوة او اوى الى ركن شديد قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر باهلك بقطع

الناس حقوقهم احتيج في المنع منه الى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهى ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها تزيد المبالغة في الامر والنهى واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير ايضا لانه سبحانه وتعالى لما خص النهى عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الاشياء التي يجب ايفاء الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله اعلم * وقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الارض مفسدين) يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقاه لكم من الثواب الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم عنه (وما انا عليكم بحفيظ) يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم (قالوا ياشعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الاصنام (او ان نفعل في اموالنا مانشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يرونه فيرونه يصلي فيستهزؤن به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش اقراءتك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني ادينك يأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا مانشاء وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير وكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من اعظم شعائر الدين (انك لأنت الحليم الرشيد) قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوى لان العرب قد تصف الشئ بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لأنت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك ياشعيب فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم (قال) يعني قال لهم شعيب (ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على بصيرة وهداية وبيان (ورزقني منه رزقا حسنا) يعني حلالا قيل كان شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف تقديره ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعمة ان اخون في وحيه او ان اخالف امره او اتبع الضلال او ابخس الناس اشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لأنت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله عليه نعم كثيرة * وقوله (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول

من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظلمين ببعيد والى مدين اخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير) للرأى (وانى اخاف عليكم يوم محيط) شعيب عليه السلام ضلالتهم بالشرك واحتجابهم عن الحق بالجبت وتهالكهم على كسب الحطام بأنواع الرذائل وتماديهم في الحرص على جمع المال بأسوا الخصال منعهم عن ذلك وقال انى اراكم بخير في استعدادكم من امكان حصول كمال وقبول هداية فانى اخاف عليكم احاطة خطيئاتكم لاحتجابكم عن الحق ووقوفكم مع الغير وصرف افكاركم بالكلية الى طلب المعاش واعراضكم عن المعاد وقصور هممكم على احراز الفاسدات الفانيات عن تحصيل الباقيات الصالحات وانجذابكم الى الجهة

خالفنى الى الماء يريد انه قد ذهب اليه وارادوانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى ان اسبقكم الى شهواتكم التى نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام فخر الدين الرازى وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا فيها بأنه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكأنه عليه السلام قال لهم لما اقررتم بكمال عقلى فاعلموا ان الذى اخترته لنفسى هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فأنا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق واشرفها لا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه انى لست انهاكم عن شئ وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسى وقال ابن الانبارى بين ان الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوى الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم (ان اريد) يعنى ما اريد فيما آمركم به وانهاكم عنه (الا الاصلاح) يعنى فيما بينى وبينكم (ما استطعت) يعنى ما استطعت الا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء (وما توفيقى الا بالله) التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وما توفيقى الا بالله (عليه توكلت) يعنى على الله اعتمدت فى جميع امورى (واليه انيب) يعنى واليه ارجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه ارجع فى معادى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه * وقوله تعالى (وياقوم لا يجرمنكم شقاقى) اى لا يحملنكم خلافى وعداوتى (ان يصيبكم) يعنى عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة (مثل ما اصاب قوم نوح) يعنى الغرق (او قوم هود) يعنى الريح اهلكتهم (او قوم صالح) يعنى ما اصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا (وما قوم لوط منكم ببعيد) وذلك انهم كانوا احدث عهد بالهلاك منهم وقيل معناه وما ديار قوم منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا ربكم) يعنى من عبادة الاصنام (ثم توبوا اليه) يعنى من البخس والنقصان فى الكيل والوزن (ان ربى رحيم) يعنى بعباده اذا تابوا واستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه وقال الحليمى هو الواد لاهل طاعته اى الراضى عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمان الخطابى وقد يكون معناه من تودد الى خلقه (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) يعنى ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تعى ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون (وانا لنراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال ان حمير كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال ابو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعنى جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجمناك) يعنى لقتلناك بالحجارة

السفلية من الجهة العلوية واشتغالكم بالخواص البهيمية عن الكمالات الانسية فلازموا التوحيد والعدالة واعتزلوا عن الشرك والظلم الذى هو جماع الرذائل والفواحش (وياقوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فى افسادكم اى ولا تبالغوا ولا تمادوا فى غاية الافساد فان الظلم هو الغاية فى ذلك كما ان العدل هو الغاية فى الصلاح وجماع الفضائل (بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ) اى ان كنتم مصدقين ببقاء شئ فابقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الاخروية والمقتنيات العقلية والمكاسب العلمية والعملية خير لكم من تلك المكاسب الفانية التى تشقون بها وتشقون على انفسكم فى كسبها وتحصيلها ثم تتركونها بالموت ولا يبقى منها معكم شئ الا الوبال والتبعات والعذاب اللازم لما فى نفوسكم من رواسخ الهيآت ولما شاهد انكارهم وعتوهم فى العصيان واستهزاءهم

والرجم بالحجارة اسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا لك القول (وما انت علينا بعزيز) يعنى بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بدؤا شعيب عليه السلام انه لاحرمة له عندهم ولا وقع له فى صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله (قال ياقوم ارهطى اعز عليكم من الله) يعنى اهيب عندكم من الله وامنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى ان تحفظونى فى الله ولاجل الله لا لرهطى لان الله اعز واعظم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) يعنى ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشئ الملقى الذى لايلتفت اليه (ان ربى بما تعملون محيط) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بأحوالكم جميعا لايخفى عليه منها شئ فيجازيكم بها يوم القيامة (وياقوم اعملوا على مكانتكم) يعنى على تؤدتكم وتمكنكم من اعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر (انى عامل) يعنى ماقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر فى قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) اينا الجانى على نفسه المخطئ فى فعله فان قلت اى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء فى قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فمايكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه) يعنى بسبب عمله السيئ اوايا الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه (ومن هو كاذب) يعنى فى ما يدعيه (وارتقبوا) يعنى وانتظروا العاقبة ومايؤول اليه امرى وامركم (انى معكم رقيب) اى منتظر الرقيب بمعنى المراقب (ولما جاء امرنا) يعنى بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعنى بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة (واخذت الذين ظلموا) يعنى ظلموا انفسهم بالشرك والبخس (الصيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت ارواحهم وماتوا جميعا (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) يعنى ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطأ بالارض (كأن لم يغنوا فيها) يعنى كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر ماخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا به عن غيره (الا بعدا) يعنى هلاكا (لمدين كما بعدت) ثمود قال ابن عباس لم تعذب امتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم ✽ قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعنى بحججنا والبراهين التى اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعنى ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمى السلطان سلطانا لانه حجة الله فى الارض (الى فرعون وملئه) يعنى اتباعه واشراف قومه (فاتبعوا امر فرعون) يعنى ماهو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى (وما امر فرعون برشيد) يعنى وما طريق فرعون وماهو

(عليه)

بطاعته وزهده وتوحيده وتنزهه بقولهم (قالوا يشعيب اصلواتك تأمرك ان نترك مايعبد آباؤنا او ان نفعل فى اموالنا مانشؤ انك لأنت الحليم الرشيد قال ياقوم ارايتم) اى اخبرونى (ان كنت على بينة) برهان يقينى على التوحيد (من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) من الحكمة العلمية والعملية والكمال والتكميل بالاستقامة فى التوحيد هل يصح لى ان اترك النهى عن الشرك والظلم والاصلاح بالتزكية والتحلية وحذف جواب ارايتم لما دل عليه فى مثله كما مر فى قصة نوح وصالح عليهما السلام وعلى خصوصيته ههنا من قوله (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) اى ان اقصد الى جر المنافع الدنيوية الفانية بارتكاب الظلم الذى انهاكم عنه (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) اصلاح نفسى ونفوسكم بالتزكية والتهيئة لقبول الحكمة مادمت مستطيعا وما كونى موفقا للاصلاح (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب وياقوم لايجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل مااصاب قوم نوح اوقوم

عليه بسديد ولاحيد العاقبة ولابد عوالى خير (يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار) يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر فى الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوتهم فى الضلال والكفر فى الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم فى النار (وبئس الورد المورود) يعني وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون فى تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال فى حق فرعون واتباعه فاوردهم النار وبئس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الماء واستعمل فى ورود النار على سبيل الفظاعة (واتبعوا فى هذه) يعني فى هذه الدنيا (لعنة) يعني طردا وبعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) يعني واتبعوا لعنة اخرى يوم القيامة مع اللعنة التى حصلت لهم فى الدنيا (بئس الرفد المرفود) يعني بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفد للعنة فى الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم لعنتان لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة ✽ وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من انباء القرى) يعني من اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب (منها) يعني من القرى التى اهلكنا اهلها (قائم وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محى اثره بالكلية شبهها الله تعالى بالزرع الذى بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب اثره والحصيد بمعنى المحصود (وما ظلمناهم) يعني بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا انفسهم) يعني بالكفر والمعاصى (فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك) يعني بعذابهم اى لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب (وما زادوهم غير تتبيب) يعني غير تخسير وقيل غير تدمير (وكذلك اخذ ربك) يعني وهكذا اخذ ربك (اذا اخذ القرى وهى ظالمة) الضمير فى وهى عائد على القرى والمراد اهلها (ان اخذه اليم شديد) (ق) عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع فى هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مختص بظالمى الامم الماضية بل هو عام فى كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم ✽ قوله عز وجل (ان فى ذلك لآية) يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعني ان اهلاك اولئك عبرة يعتبر بها وموعظة تعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه فى الآخرة لانه اذا نظر ما حل الله باولئك الكفار فى الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما اعد لهم فى الآخرة اعتبر به فيكون زيادة فى خوفه وخشيته من الله (ذلك يوم مجموع له الناس) يعني يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدى رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعني يشهده اهل السماء واهل الارض (وما نؤخره الا لاجل معدود) يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله تعالى (يوم يأت) يعني ذلك اليوم (لا تكلم نفس الا باذنه) قيل ان جميع الخلائق يسكتون فى ذلك

هودا وقوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) انما لم يفقهوا لوجود الرين على قلوبهم بما كسبوا من الآثام وانما منعهم خوف رهطه من رجمه دون خوف الله تعالى لاحتجابهم بالخلق عن الحق المسبب عن عدم الفقه كقوله لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون (ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم

اليوم فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا تدل على الكلام فى ذلك قلت يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففى بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفى بعض الاحوال يؤذن لهم فى الكلام فيتكلمون وفى بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعنى لا تشفع نفس لنفس شيأ الا ان يأذن الله لها فى الشفاعة (فمنهم) يعنى فمن اهل الموقف (شقى وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هى معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهى السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين ايضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهى الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقى من سبقت له الشقاوة فى الازل والسعيد من سبقت له السعادة فى الازل (ق) عن على بن ابى طالب قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يارسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيصير لعمل اهل السعادة واما من اهل الشقاوة فسيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفنهم والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشئ بتلك المخصرة او باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه الآية وهذا الحديث على ان اهل الموقف قسمان شقى وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقى قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيآته وهم اصحاب الاعراف فى قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيآت فهؤلاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفى القسم الثالث (فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها) اى فى النار من العذاب والهوان (زفير وشهيق) اصل الزفير ترديد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر او الزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره اذا رده الى صدره وقال ابو العالية الزفير فى الحلق والشهيق فى الجوف (خالدين فيها) يعنى لابثين مقيمين فى النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك يعنى مادامت سموات الجنة والنار وارضهما ولا بد لاهل الجنة واهل النار من سماء تظلهم وارض تقلهم وكل ما علاك فاظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض وقال اهل المعانى هذه عبارة عن التأبيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأبيد ❊ وقوله سبحانه وتعالى (الا ما شاء ربك) اختلف العلماء فى معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور فى اهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار

قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض) لما اطلق السعيد منكرين للتعظيم دل على الشقى والسعيد الازليين الابديين ولما وصفهم فى التقسيم التفصيلى استثنى عن خلود الشقى فى النار وخلود السعيد فى الجنة بقوله (الا ما شاء ربك) لان المراد بالنار والجنة عذاب النفس بدر

بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين اخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخارى ومسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعدما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال لهم الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما الاستثناء الثاني المذكور في اهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثناءين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل ان الاستثناءين يرجعان الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو مابين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ماشاء ربك سوى ماشاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على الف الا الفين اى سوى الفين وقيل الا بمعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله تمجد وتعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اى ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء وهذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقوله والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمه ان يضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج من اراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين فاما على التفصيل فقوله الا ماشاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع خلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الا ماشاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه الا ماشاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه الا ماشاء ربك ان يرفع بعضهم الى منازل اعلى منازل الجنان ودرجتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود اهل الجنة في الجنة ان الامة مجمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها * وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعنى

الحرمان عن المراد و آلام الهيآت والآثار وثواب النفس بجنة حصول المراد واللذات وبالاستثناء عن الخلود فيهما خروج الشقى منها الى ماهو اشد منه من نيران القلب في حجب الصفات والافعال بالسخط والطرد والاذلال والاهانة ونيران الروح بالحجب واللعن والقهر وخروج السعيد منها الى ماهو الذ واطيب من جنان القلب في مقام تجليات الصفات بالرضوان واللطف والاكرام والاعزاز وجنان الروح في مقام الشهود باللقاء وظهور سبحات الجلال ومالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر لكون الشقى في مقابلة السعيد وخروج السعيد من الجنة الى النار محال وقد دل عليه بقوله (ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خلدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فلاتك في مرية مما يعبد هؤلاء مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك

غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وعن ابى هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وابى هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلاء اماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم * قوله سبحانه وتعالى (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) يعنى فلا تك فى شك يا محمد فى هذه الاصنام التى يعبدها هؤلاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعنى انه ليس لهم فى عبادة هذه الاصنام مستند الا انهم راوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم (وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) يعنى وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم فى الآخرة كاملا موفرا غير ناقص * قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) يعنى فى الكتاب فمنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (لقضى بينهم) يعنى لعذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفى شك منه) يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد (مريب) يعنى انهم قد وقعوا فى الريب والتهمة (وان كلا) يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك اعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار (انه بما يعملون خبير) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من اعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذبين الكافرين * قوله سبحانه وتعالى (فاستقم كما امرت) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما امرك ربك والامر فى فاستقم للتأكيد لان النبى صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك اى دم على ما انت عليه من القيام حتى آتيك (ومن تاب معك) يعنى ومن آمن معك من امتك فليستقيموا ايضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ منه روغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم (ولا تطغوا) يعنى ولا تجاوزوا امرى الى غيره ولا تعصونى وقيل معناه ولا تغلوا فى الدين فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما تعملون بصير) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باعمالكم لا يخفى عليه شئ منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هى اشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتنى هود واخواتها (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر

لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير) اى غير مقطوع وكذا ما يقابله على ان قوله تعالى فعال لما يريد يشعر بذلك لكونه وعيدا شديدا هذا لسان الادب ومراعاة الظواهر فى تحقيق البواطن واما الحقيقة فحكم بان الشقى لما كان فى المراتب المذكورة فى النار لم يخرج منها بل انتقل من طبقة منها الى طبقة اخرى ومن دركة الى دركة فكان فى حكم الخلود فالمراد بالاستثناء غيره وهو انه من حيث الاحدية مع ربه والرب آخذ بناصيته على صراط مستقيم يقوده ريح الدبور التى هى هوى نفسه يسوقه الى جهنم فهو هالك فى عين القرب مع هوى نفسه فيتلذذ بما يوافقه فتصير عين النعيم فزال مسمى النار فى حقه وصار رحمة للذته به وان كان بعيدا عن نعيم السعيد كما جاء فى الحديث سينبت فى قعر جهنم الجرجير وفيه يأتى على جهنم زمان يصفق ابوابها ليس فيها احد وكذا السعيد فان انتقاله فى الجنان ودرجاتها والخروج بحكم الاستثناء

والمراد به التسهيل فى الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا اى اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا اى اطلبوا المقاربة وهى القصد الذى لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والرواح الرجوع عشيا والمراد منه اعلموا اطراف النهار وقتاوقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل ايضا وقوله شئ من الدلجة اشارة الى تقليله ❁ وقوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالية لا ترضوا باعمالهم وقال السدى لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسكم النار) يعنى فتصيبكم النار بحرها (ومالكم من دون الله من اولياء) يعنى اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعنى ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا فى القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة اورضى باعمالهم اواحبهم فكيف حال الظلمة فى انفسهم نعوذ بالله من الظلم ❁ قوله عز وجل (واقم الصلوة طرفى النهار) سبب نزول هذه الآية مارواه الترمذى عن ابى اليسر قال اتتنى امرأة تبتاع تمرا فقلت ان فى البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معى البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا فى سبيل الله فى اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يارسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يارسول الله الى هذه الآية قال لمن عمل بها من امتى وفى رواية فقال رجل من القوم يانبى الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله ارايت رجلا لقى امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتى الرجل الى امرأته شيأ الا قد اتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلى قال معاذ فقلت يارسول الله اهى له خاصة ام للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة اخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بمتصل لان عبد الرحمن بن ابى ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله سبحانه وتعالى واقم الصلوة طرفى النهار يعنى صلاة الغداة والعشى وقال مجاهد طرفى النهار يعنى صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعنى صلاة العشاء وقال الحسن طرفى النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفى النهار الغداة والعشى يعنى صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازى كثرت المذاهب فى تفسير طرفى النهار والاشهر ان الصلاة التى فى طرفى النهار هى الفجر والعصر وذلك لان احد طرفى النهار هو طلوع الشمس والثانى هو غروبها فالطرف

غير ذلك فهو بفنائه فى احدية الذات واحتراقه بلوعة العشق فى سبحات الجمال حيث كان الحق شاهدا ومشهودا الا فى مقام المشاهدة بوجود الروح بل بالشهود الذاتى الاحدى الذى لم يبق فيه لغيره عين ولا اثر ولا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان جعل التنكير فى قوله شقى وسعيد للنوعية لا للتعظيم جاز تأويل خروج الشقى من النار بالترقى الى الجنة من مقامه بزكاء نفسه عن الهيآت المظلمة وتبعات المعاصى وحينئذ لا يكون شقى الابد (فاستقم كما امرت) فى القيام بحقوق الله بالله فانه عليه الصلاة والسلام مأمور بمحافظة حقوق الله والتعظيم لامره والتسديد لخلقه بضبط احكام التجليات الصفاتية بعد الرجوع الى الخلق مع شهود الوحدة الذاتية بحيث لا يتحرك ولا يسكن ولا ينطق ولا يتفكر لا به من غير ظهور تلوين من بقايا صفاته اوذاته ولا يخطر له خاطر بغيره من غير اخلال بشرط ما من شرائط التعظيم كما قال افلا اكون عبدا شكورا حين تورمت قدماه من قيام الليل

الاوّل هو صلاة الفجر والطرف الثانى لايجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخله تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثانى على صلاة العصر (وزلفا من الليل) يعنى واقم الصلاة فى زلف من الليل وهى ساعاته واحدتها زلفة واصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعنى ان الصلاة الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد فى رواية مالم تغش الكبائر وزاد فى رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر (ق) عن ابى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارأيتم لوان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات كمثل نهر جار غمر على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن ومايبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الشرط الاوّل الاقلاع عن الذنب بالكلية الثانى الندم على فعله الثالث العزم التام لايعود اليه فى المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد فى تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول الاوّل اصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد فى احدى الروايتين عنه والقرظى والضحاك وجمهور المفسرين (ذلك) اشارة الى ماتقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعنى عظة للمؤمنين المطيعين (واصبر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واصبر يامحمد على اذى قومك وماتلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة (فان الله لايضيع اجر المحسنين) يعنى اعمالهم قال ابن عباس يعنى المصلين * قوله سبحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعنى فهلا كان من القرون التى اهلكناهم (من قبلكم) يعنى ياامة محمد (اولو بقية) يعنى اولو تميز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة (ينهون عن الفساد فى الارض) يعنى يقومون بالنهى عن الفساد فى الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعنى لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد فى الارض فلذلك اهلكناهم (الا قليلا) هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا (ممن انجينا منهم) يعنى من امن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد فى الارض (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) يعنى واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى ماتنعموا فيه والترف التنعم والمعنى انهم اتبعوا ماتعودوا به من النعم واشار اللذات على الآخرة ونعيمها (وكانوا مجرمين) يعنى كافرين (وما كان ربك) يعنى وما كان ربك يامحمد (ليهلك القرى بظلم) يعنى لايهلكهم بظلم منه (واهلها مصلحون) يعنى فى اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل فى معنى الآية وماكان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعنى يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال فى الدنيا اما عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضييق والتشديد * قوله عزوجل (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) يعنى كلهم على دين واحد وشريعة واحدة (ولايزالون

(مختلفين)

وقيل له امابشرك الله بقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ولا بدقيقة من باب النهى عن المنكر والامر بالمعروف والانذار والدعوة وذلك فى غاية الصعوبة ولهذا قال شيبتنى سورة هود قيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض العرفاء فى المنام فسأله عن ذلك وقال لماذا يارسول الله القصص الانبياء ومانزل باممهم المكذبين من العذاب وما كانوا يقاسون من اممهم قال لابل لقوله فاستقم كما أمرت (ومن تاب) عن انيته وذنب وجوده (معك) من الموحدين الواصلين الى الشهود الكثرة فى عين الوحدة ومقام البقاء بعد الفنا (ولا تطغوا) بالاحتجاب بحجاب الانائية ونسبة الكمالات الالهية المطلقة الى انائيتكم لتخصصه المقيدة برؤيتها لكم الموجبة للاحتجاب بالتقيد عن الاطلاق فان الهوية الالهية لاتتقيد باشارة الهذية والانائية (انه بما تعملون بصير) اتعملونه بى ام بانفسكم (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) اى اشركوا بهوى كامن ناشئ من وجود بقيتها خفية اوالتفات خفى

مختلفين) يعنى على اديان شئ مابين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان قداختلفوا فى دينهم ايضا اختلافا كثيرا لاينضبط * عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة اواثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابوداود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة اخرجه ابوداود قال الخطابى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتى فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذجعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهر وابعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى اقواله وافعاله * وقوله سبحانه وتعالى (الامن رحم ربك) يعنى لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لايختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم قال اشهب سالت مالك بن انس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين رحمهم وقال الفراء خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عزوجل اهل الرحمة للرحمة لئلايختلفوا وخلق اهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فحاصل الآية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم اهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذاالقول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين)وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق اقواما للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق اقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية * قوله سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل مانثبت به فؤادك) لماذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وماجرى لهم مع انبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يامحمد من انباء الرسل يعنى من اخبار الرسل وماجرى لهم مع قومهم مانثبت فؤادك يعنى مانقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذاسهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه (وجاءك) يامحمد (فى هذه الحق) اختلفوا فى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك فى هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل فى هذه الآية وقيل فى هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قدجاءه الحق فى سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لايلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لايكون قدجاءه الحق فى غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها (وموعظة وذكرى للمؤمنين) اى وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية ومانزل بهم (وقل للذين

الى اثبات غيرفانه هوالزيغ المقارن للطغيان فى قوله مازاغ البصر وماطغى (فتمسكم النار) نار السخط والحرمان بالاحتجاب والتعذيب بالفراق من نيران غيرة المحبوب كماقال لحبيبه بشر المذنبين بانى غفور وانذر الصديقين بانى غيور ولهذا المعنى قال والمخلصون على خطر عظيم فان دقائق ذنوب احوالهم ادق من ان تدرك بالعقل واشدعقابا من ان تتوهم بالوهم (ومالكم) حينئذ (من دون الله من اولياء) يتولونكم من عقابه ويدبرون اموركم ويربونكم (ثم لاتنصرون) من بأسه وهذاتهديد لاوليائه فكيف باعدائه (واقم الصلوة طرفى النهار وزلفامن الليل) لما كانت الحواس الخمس شواغل تشغل القلب بمايرد عليه من الهيآت الجسمانية وتجذبه عن الحضرة الرحمانية وتحجبه عن النور والحضور بالاعراض عن جناب القدس والتوجه الى معدن الرجس وتبدله الوحشة بالانس والكدورة بالصفاء فرضت خمس صلوات يتفرغ فيها العبد للحضور ويسد ابواب الحواس لئلايرد على القلب

شاغل يشغله ويفتح باب القلب الى الله تعالى بالتوجه والنية لوصول مدد النور ويجمع همه عن التفرق ويستأنس بربه عن التوحش مع اتحاداوجهة وحصول الجمعية فتكون تلك الصلوات خمسة ابواب مفتوحة للقلب على جناب الرب يدخل بها عليه النور بازاء تلك الخمسة المفتوحة الى جناب الغرور ودار اللعين الغرور التى تدخل بها الظلمة ليذهب النور الوارد آثار ظلماتها ويكسح غبار كدوراتها وهذا معنى قوله (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وقد ورد فى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وامر باقامتها فى طرفى النهار لينسحب حكمها ببقاء الجمعية واستيلاء الهيئة النورية فى اوله الى سائر الاوقات فعسى ان يكون من الذين هم على صلاتهم دائمون لدوام ذلك الحضور وبقاء ذلك النور ويكسح ويزيل فى آخره ما حصل فى سائر الاوقات من التفرقة والكدورة ولما كانت القوى الطبيعية المدبرة لامر الغذاء سلطانها فى الليل وهى تجذب النفس الى تدبير البدن بالنوم عن عالمها الروحانى وتحجزها عن شأنها الخاص بها الذى هو مطالعة الغيب ومشاهدة عالم القدس بشغلها باستعمال آلات الغذاء لعمارة الجسد فتسلبها اللطافة والطراوة وتكدرها بالغشاوة واحتيج الى تلطيفها وتصفيتها باليقظة وتنويرها وتطريتها بالصلاة فقال وزلفا من الليل ذلك الذى ذكر من اقامة الصلاة فى الاوقات المذكورة واذهاب السيئات بالحسنات تذكير لمن يذكر حاله عند الحضور مع الله فى الصفاء والجمعية والانس والذوق (واصبر) بالله فى الاستقامة ومع الله فى الحضور فى الصلاة وعدم الركون الى الغير (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) الذين يشاهدونه فى حال القيام بحقوق الاستقامة ومراعاة العدالة والقيام بشرائط التعظيم فى العبادة ﴿٤١٢﴾ (فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) متساوية فى الاستعداد متفقة على دين التوحيد ومقتضى الفطرة (ولا يزالون مختلفين) فى الوجهة والاستعداد (الا من رحم ربك) بهدايته الى التوحيد وتوفيقه لكمال فانهم متفقون فى المذهب والمقصد موافقون فى السيرة والطريقة قبلتهم الحق ودينهم التوحيد والمحبة (ولذلك) الاختلاف (خلقهم) ليستعد كل منهم لشأن وعمل ويختار بطبعه امرا وصنعة ويستتب بهم نظام العالم ويستقيم امر المعاش فهم محامل لامر الله حمل عليهم حمول الاسباب والارزاق وما يعيش به الناس ورتب بهم قوام الحياة الدنيا كما ان الفئة المرحومة مظاهر لكماله اظهر الله بهم صفاته وافعاله وجعلهم مستودع حكمه ومعارفه واسراره (وتمت كلمة ربك) اى احكمت وابرمت وثبتت وهى هذه (لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) لان جهنم رتبة من مراتب الوجود لا يجوز فى الحكمة تعطيلها وابقاؤها فى كتم العدم مع امكانها (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك) اى لما اطلعناك على مقاساتهم للشدائد من اممهم مع ثباتهم فى مقام الاستقامة وعدم مزلتهم عنه وعلى معاتباتهم عند تلويناتهم وظهور شىء من بقياتهم كما فى قصة نوح من سؤال انجاء الولد وعلى قوة ثباتهم وشجاعتهم فى يقينهم وتوكلهم كما فى قصة هود من قوله انى اشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون الى قوله على صراط مستقيم وعلى كمال كرمهم وفضيلتهم فى الفتوة كما فى قصة لوط من تفدية البنات لحفظ الاضياف من السوء ثبت قلبك فى ذلك كله واستحكمت استقامتك وقوى تمكينك بذهاب آثار التلوين عنك وقوى توكلك ورضاك ويقينك وشجاعتك وكمل خلقك وكرمك (وجاءك فى هذه السورة (الحق) اى ما يحقق به اعتقاد المؤمنين (وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) لهم يحترزون بها عما اهلك به الامم وتذكير لما يجب ان يتدينوا به ويجعلوه طريقهم وسيرتهم والله اعلم

لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) فيه وعيد وتهديد يعنى اعملوا ما انتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العامل فهو كقوله اعملوا ما شئتم (انا عاملون) يعنى ما امرنا به ربنا (وانتظروا) يعنى ما يعدكم به الشيطان (انا منتظرون) يعنى ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه اما فى الدنيا واما فى الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعنى يعلم ما غاب عن العباد فيهما يعنى ان علمه سبحانه وتعالى نافذ فى جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء (واليه يرجع الامر كله) يعنى الى الله يرجع امر الخلق كلهم فى الدنيا والآخرة (فاعبده) يعنى ان كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل بعبادة (وتوكل عليه) يعنى وثق به فى جميع امورك فانه يكفيك (وما ربك بغافل عما تعملون) قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شىء فيجزى المحسن باحسانه والمسىء باساءته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله اعلم بمراده واسرار كتابه

(تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث اوله سوره يوسف)



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام

وهى مكية باجماعهم وهى مائة واحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى وفى سبب نزولها قولان • أحدهما روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص • القول الثانى رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل (الر) تقدم تفسيره فى أول سورة يونس عليه الصلاة والسلام (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة المسماة بالر هذه (آيات الكتاب المبين) وهو القرآن أى المبين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه ورشده فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) يعنى هذا الكتاب (قرآنا عربيا) اى أنزلناه بلغتكم لكى تعلموا معانيه وتفهموا مافيه وقيل لما قالت اليهود لمشركى مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا أنزلنا هذا



بسم الله الرحمن الرحيم

(الر تلك آيات الكتاب المبين) مر ذكره (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين) لكون لفظه وتركيبه اعجازا وظاهر معناه مطابقا للواقع وباطنه دالا على صورة السلوك وبيان حال السالك كالقصص الموضوعة لذلك وأشد طباقا وأحسن وفاقا منها (اذ قال يوسف لابيه ياابت انى رأيت احد أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) هذه من المقامات التى ذكرنا فى سورة هود

الكتاب

الكتـاب الذى فيه قصة يوسف فى حال كونه عربيـا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلاف العلماء هل يمكن أن يقال فى القرآن شئ بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن فى القرآن لسـانا غير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول . واحتج بهذه الآية انا انزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبى عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى . ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية فى الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما (لعلكم تعقلون) يعنى تفهمون ايها العرب لانه نازل بلغتكم * قوله تعـالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الاصل فى معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضـا والقاص هو الذى يأتى بالخبر على وجهه وأصله فى اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذى يقص الحديث يذكر تلك القصة شيأ فشيأ والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التى تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والممالك والعلمـاء ومكر النساء والصبر على أذى الاعـداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة فى هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال عطاء لايسمع سورة يوسف محزون الااستراح اليها * وقوله تعالى (بما أوحينا اليك) يعنى بايحائنا اليك يا محمد (هذا القرآن وان كنت) أى وقد كنت (من قبله) يعنى من قبل وحينا اليك (لمن الغافلين) يعنى عن هذه القصة وما فيها من العجائب . قال سعد بن أبى وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فانزل الله عز وجل ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله * قوله عز وجل (اذ قال يوسف لابيه) أى اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبرى ولذلك لايجرى فيه الصرف وقيل هو عربى سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسيف العبد واجتمعا فى يوسف فسمى به (يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبـا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأى يوسف فى منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم فى التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه فى قول قتادة وقال السدى القمر خالته لان أمه راحيل قد ماتت وقال قتادة

انها تحتاج الى تعبير لانتقال المتخيلة من النفوس الشريفة التى عرض على النفس من الغيب سجودها له الى الكواكب والشمس والقمر وما كانت فى نفس الامر الا أبويه واخوته (قال يا بنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) هذا من الالهامات المجملة فانه قد يلوح صورة الغيب من المجردات الروحانيـة على الوجه الكلى العالى عن الزمان فى الروح ويصل أثره الى القلب ولا يتشخص فى النفس مفصلا حتى يقع العلم به كما هو فيقع فى النفس منـه خـوف واحتراز ان كان مكروها وفرح وسرور ان كان مرغوبا ويسمى هذا النوع من الالهـام انذارات وبشـارات فخاف عليـه السلام من وقوع ما وقع قبـل وقوعه فنهـاه عن اخبـارهم برؤياه احترازا ويجوز أن يكون احترازه كان من جهة دلالة الرؤيا على شرفه وكرامته وزيادة قدره على اخوته فخاف من حسـدهم عليه عنـد شعورهم بذلك (وكذلك يجتبيـك ربك ويعلمـك

وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين واراد بالسجود تواضعهم له دخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود . فان قلت ان الكواكب جماد لاتعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما أخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح . فان قلت قد قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤيا ثانيا فقال رأيتهم لى ساجدين فما فائدة هذا التكرار . قلت معنى الرؤيا الاولى انه رأى أجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكأنه قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد الحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان اخوته وأبويه يخضعون له فلهذا (قال) يعقوب (يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك) يعنى لاتخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك كيدا) أى فيحتالوا فى اهلاكك فامره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق واللام فى فيكيدوا لك كيدا تأكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) يعنى انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبى قتادة قال كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم مايحب فلا يحدث بها الامن يحب واذا رأى أحدكم مايكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره (خ) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شره ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه عن أبى رزين العقيلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من اربعين وفى رواية جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا لبيبا أو حبيبا أخرجه الترمذى ولابى داود نحوه قال الشيخ محيى الدين النووى قال المازرى مذهب اهل السنة فى حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق فى قلب النائم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل مايشاء لايمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه

من تاويل الاحاديث) أى مثل ذلك الاصطفاء بارادة هذه الرؤيا العظيمة الشأن يصطفيك للنبوة اذ الرؤيا الصادقة خصوصا مثل هذه من مقدمات النبوة فعلم من رؤياه انه من المحبوبين الذى يسبق كشوفهم سلوكهم (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على أبويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم) بالنبوة والملك (لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين) اى آيات معظمات لمن يسأل عن قصتهم ويعرفها تدلهم أولا ان الاصطفاء المحض امر مخصوص بمشيئة الله تعالى لايتعلق بسعى ساع ولا ارادة مريد فيعلمون مراتب الاستعدادات فى الازل وثانيا على ان من اراد الله به خيرا لم يمكن لاحد دفعه ومن عصمه الله لم يمكن لاحد رميه بسوء ولاقصده بشر فيقوى يقينهم وتوكلهم ويشهدون تجليات أفعاله وصفاته وثالثا على ان كيد الشيطان واغواءه أمر لاامن منه أحد حتى الانبياء فيكونون منه على حذر واقوى من ذلك كله انها

الاعتقادات فكأنه جعلها علما على امور أخر يجعلها فى ثانى الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التى يجعلها علما على مايسر بغير حضرة الشيطان فاذا خلق ماهو علم على مايضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لافعل له فى الحقيقة فهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيأ والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل فى منامه مايحب أن يحدث به من يحب واذا رأى مايكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لاتضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء والله أعلم * قوله تعالى (وكذلك يجتبيك ربك) يعنى يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة والسلام أى وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعنى يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعى من العبد وذلك مختص بالانبياء أو ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعنى به تعبير الرؤيا سمى تأويلا لانه يؤول أمره الى مارأى فى منامه يعنى يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يرونه فى منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم فى الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من اتمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بأن جعلهما نبيا وهو المراد من اتمام النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من اتمام النعمة على اسحق بان خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (ان ربك عليم) يعنى بمصالح خلقه (حكيم) يعنى انه تعالى لايفعل شيأ الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة فى بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا مارضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه * قوله عز وجل (لقد كان فى يوسف واخوته) يعنى فى خبره وخبر اخوته وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهى ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين اسم احداهما زلفة والاخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان

تعلمهم من طريق الفهم الذى هو الانتقال الذهنى على احوالهم فى البداية والنهاية ومابينهما وكيفية سلوكهم الى الله فتثير شوقهم وارادتهم وتشحذ بصيرتهم وتقوى عزيمتهم وذلك ان مثل يوسف مثل القلب المستعد الذى هو فى غاية الحسن المحبوب الموموق الى أبيه يعقوب العقل المحسود من اخوته من العلات أى الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والغضب والشهوة غير النفس الا الذاكرة فانها لاتحسدوه ولا تقصدوه بسوء فبقيت احدى عشرة على عددهم واما حسدهم عليه وقصدهم بالسوء فهو أنها تجذب بطبائعها الى لذاتها ومشتهياتها وتمنع استعمال العقل القوة المفكرة فى تحصيل كمالات القلب من العلوم والاخلاق وتكره ذلك ولاتريد الا استعماله اياها فى تحصيل اللذات البدنية ومشتهيات تلك القوى الحيوانية ولاشك ان الفكر نظره الى القلب أكثر وميله الى تحصيل السعادات القلبية من العلوم والفضائل أشد واوفر

ونفتالى و جادوآشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا (آيات للسائلين) وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما فى التوراة فعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيأ فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أوحاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل القائه فى الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ماتشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ (اذ قالوا) يعنى اخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف (وأخوه) يعنى بنيامين وهما من أم واحدة (أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هى العشرة فما زاد وقيل هى مابين الواحد الى العشرة وقيل مابين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هى مابين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر (ان أبانا لفى ضلال مبين) يعنى لفى خطأ بين فى ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لانفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ فى أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ فى صرف محبته اليه لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا فى المحبة المحضة ومحبة القلب ليس فى وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير اولانه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة مالم يره فى سائر اخوته * فان قلت الذى فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك قادح فى عصمة الانبياء فما الجواب عنه * قلت هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر فى عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة فى عصمة الانبياء * قوله تعالى حكاية عن

اخوة

وذلك معنى قولهم (اذ قالوا ليوسف واخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة) وأخوه هو القوة العاقلة العلمية من أم يوسف القلب التى هى راحيل النفس اللوامة التى تزوجها يعقوب القلب بعد وفاة ليا النفس الامارة وانما قالوا ليوسف وأخوه لان العقل كما يقتضى تكميل القلب بالعلوم والمعارف يقتضى تكميل هذه القوة باستنباط أنواع الفضائل من الاخلاق الجميلة والاعمال الشريفة ونسبتهم اياه الى الضلال الذى هو البعد عن الصواب بقولهم (ان أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا) قصورها عن النظر العقلى وبعد طريقها عن طريقتها فى تحصيل الملاذ البدنية والقاؤهم اياه فى غيابة الجب استيلاؤها على القلب وجذبها اياه الى الجهة السفلية بحدوث محبة البدن وموافقته له حتى ألقى فى قعر جب الطبيعة البدنية الا أنه ألبس قميصا من الجنة أتى به جبريل ابراهيم عليه السلام يوم جرد وألقى فى النار فألبسه اياه وورثه اسحق وورثه

اخوة يوسف (اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم) لما قوي الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة أوالتغريب الى أرض يحصل اليأس من اجتماعه بابيه بان تفترسه الاسد والسباع أو يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكر والعلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجه أبيكم والمعنى انه قدشغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك يوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم (وتكونوامن بعده) يعني من بعد قتل يوسف أو ابعاده عن أبيه (قوما صالحين) يعني تائبين فتوبوا الى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أبيكم . فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه الافعال منهم وهم أنبياء . قلت الجواب ماتقدم انهم لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبيا شاوروه في ذلك فأشار عليهم بقتله (قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف) يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان أقربهم اليه سنا (وألقوه في غيابت الجب) يعني ألقوه في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيأ وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب أي قطع ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لايراه أحد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قولهم (يلتقطه بعض السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ الشئ من الطريق أو من حيث لايحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه (ان كنتم فاعلين) فيه اشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لاتفعلوا شيأ من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدران كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء الابعده وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا ياأبانا استغفرلنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لاذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لاذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفاالله عن ذلك كله حتى لاييأس أحد من رحمة الله وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم الله فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل (قالوا) يعني قال اخوة يوسف ليعقوب (ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف) بدؤا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف

منه يعقوب فعلقه في تميمة على عنقه فاتاه جبريل في البئر فأخرجه وألبسه اياه والا لغمره الماء وظهرت عورته كاقيل وهواشارة الى صفة الاستمداد الاصلي والنور الفطري وذلك هو الذي منع ابراهيم عن النار وحماه باذن الله حتى صارت عليه بردا وسلاما واستنزالها العقل الفكر في باب المعاش وتحصيل أسبابه والتوجه نحوه هو معنى قولهم (يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا ياابانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون) اي في ترتيب المعاش وتهيئة اسبابه على حسب المراد ومراودتها للعقل عن القلب بالتسويلات الشيطانية والتعزيرات النفسانية مع كراهية العقل لذلك هومعنى قولهم عند مراودة يعقوب عنه (ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب ونحن عصبة انا

معهم كانهم قالوا أتخافنا عليه اذا أرسلته معنا (وانا له لناصحون) المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك انهم قالوا لابيهم أرسله معنا فقال يعقوب انى ليحزننى ان تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعنى الى الصحراء (نرتع) الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا أنفقه في شهواته والاصل في الرتع أكل البهائم في الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (ونلعب) اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لمافيه من المحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معنى نرتع ونلعب ننعم ونأكل ونلهو وننشط (وانا له لحافظون) يعنى نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (انى ليحزننى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية انه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين أحدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لايقدر ان يصبر عنه ساعة والثانى قوله (وأخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون) يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى في المنام ذئبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب عليه الصلاة والسلام يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب في أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) اى جماعة عشرة رجال (انا اذا لخاسرون) يعنى عجزة ضعفاء وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون * قوله عزوجل (فلما ذهبوا به) فيه اضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب) يعنى وعزموا على ان ان يلقوه في غيابة الجب

(ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام)

قال وهب وغيره من أهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له أماتشتاق ان تخرج معنا الى مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا له أتسأل أباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ماتقول يابنى قال نعم ياأبت انى أرى من اخوتى اللين واللطف فأحب ان تأذن لى وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فأذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض واظهروا له ما في أنفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه

اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لايشعرون وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه) وافتراؤهم على الذئب هو ان القوة الغضبية اذا ظهرت واستشاطت حجبت القلب بالكلية عن عن افعاله الخاصة به والظاهر من حالها انها اقوى اضرارا به وابطالا لفعله وحباله الذي هو معنى الاكل مع ان القوة الشهوانية والحواس وسائر القوى اشد نكاية في القلب واضربه في نفس الامر واجذب له الى الجهة السفلية واشد اباء وامتناعا من قبول السياسات العقلية وطاعة الاوامر والنواهي الشرعية واذعان

فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادى يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكى بكاء شديدا فأخذه روبيل وجلد به الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخى لاتقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله فىّ وحل بينى وبين من يريد قتلى فأدركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتى ماعلى هذا عاهدتمونى الا أدلكم على ماهو أهون لكم وأرفق به فقالوا وماهو قال تلقونه فى هذا الجب اما أن يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه فى البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا أخوتاه ردوا على قميصى لاستتر به فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال انى لم أر شيأ فالقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتا أتدعونى فيها فريدا وحيدا وقيل جعلوه فى دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت فى البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما ألقوه فى الجب جعل يبكى فنادوه فظن انها رحمة أدركتهم فاجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك . وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته أخرج له قميص ابراهيم الذى كساه الله اياه من الجنة حين ألقى فى النار فجعله يعقوب فى قصبة فضة وجعلها فى عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين ألقى فى الجب فاضاء له الجب . وقال الحسن لما ألقى يوسف فى الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيأ فقل يا صريخ المستصرخين وياغوث المستغيثين ويامفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم حالى ولايخفى عليك شئ من أمرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس فى الجب وقال محمد بن مسلم الطائفى لما ألقى يوسف فى الجب قال ياشاهدا غير غائب وياقريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى فرجا مما أنا فيه فما بات فيه واختلفوا فى قدر عمر يوسف يوم ألقى فى الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث فى الجب ثلاثة ايام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهوذا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا) يعنى لتخبرن اخوتك قال أكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره انه سينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا فى ذلك الوقت اوكان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا أن الله عزوجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحى والنبوة كما قال فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام . فان قلت كيف جعله نبيا فى ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالة ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من

القلب بالموافقة فى طلب الكمالات الروحية منها وظهور ذلك الاثر من القوة الغضبية مع كونه بخلاف ذلك فى الحقيقة هو الدم الكذب على قميصه وابيضا عين يعقوب فى فراقه عبارة عن كلال البصيرة وفقدان نور العقل عند كون يوسف القلب فى غيابة جب الطبيعة وبعض السيارة الذى اخرجه من البئر هو القوة الفكرية وشراؤه من عزيز مصر (بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته) تسليمهم له الى عزيز الروح الذى هو من مصر مدينة القدس بما يحصل للقوة الفكرية من المعانى والمعارف الفائضة عليها من الروح عند استنارتها بنوره وقربها منه فان القوة الفكرية لما كانت قوة جسمانية والقلب ليس بجسمانى لم تصل الى مقامه الا عند كونه مغشى بغشاوات النفس فى مقام الصدر اى الوجه الذى يلى النفس منه واما اذا تجرد فى مقام الفؤاد اووصل الى مقام الروح الذى سموه السر فتركه عند عزيز

ارسل اليه قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحى ويكرمه بالنبوة والرسالة فى ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه وازالة الهم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة فى وقتها وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليه وحى الهام كما فى قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى والقول الاول اولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعنى بايحائنا اليك وانت فى البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة فى اخفاء ذلك الوحى عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل ان الله تعالى اوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت امره وقهره

* قوله تعالى (وجاؤا اباهم عشاء يبكون) قال المفسرون لما طرحوا يوسف فى الجب رجعوا الى ابيهم وقت العشاء ليكونوا فى الظلمة اجتراء على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع اصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يا بنى هل اصابكم شئ فى غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف (قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق) قال ابن عباس يعنى ننتضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا فى الرمى والاصل فى السبق الرمى بالسهم وهو التناضل ايضا وسمى المتراميان بذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما ابعد سهما وقال السدى يعنى نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين اينا اسرع عدوا واخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعنى عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعنى فى حال استباقنا وغفلتنا عنه (وما انت بمؤمن لنا) يعنى وما انت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعنى فى قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا فى قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك امارة تدل على صدقنا (وجاؤا على قميصه) يعنى قميص يوسف (بدم كذب) اى مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ثم جاؤا اباهم وفى القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم اتوه بذئب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايها الذئب انت اكلت ولدى وثمرة فؤادى فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما اكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا ان نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهى قرابة لى فاخذونى واتوا بى اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم انفسكم امرا) يعنى بل زينت لكم انفسكم امرا واصل التسويل تقدير معنى فى النفس مع الطمع فى تمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اى سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ركبتموه من يوسف وهونتموه فى انفسكم واعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل ردا لقولهم فأكله الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون اكله الذئب بل سولت لكم انفسكم امرا آخر غير ما تصفون (فصبر جميل) اى فشأنى صبر جميل وقيل معناه فصبرى صبر جميل والصبر الجميل الذى لا شكوى

فيه

الروح وتسلمه اليه وتفارقه على الدريهمات التى تحصل لها بقربه من المعانى المذكورة وامرأة العزيز المسماة زليخاء التى اوصى اليها بقوله (اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) هى النفس اللوامة التى استنارت بنور الروح ووصل اثره اليها ولم تمكن فى ذلك ولم تبلغ الى درجة النفس المطمئنة وتمكين الله اياه فى الارض اقداره بعد التزكية والتنور بنور الروح على مقاومة النفس والقوى وتسليطه على ارض البدن باستعمال آلاته فى تحصيل الكمالات وسياستها بالرياضات حتى يخرج ما فى استعداده من الكمال الى الفعل كما قال (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) اى ولنعلمه فعلنا ما فعلنا به من الانجاء والتمكين (والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) بالتأييد والتوفيق والصبر حتى يبلغ غاية كمال اشده من مقامه الذى يقتضيه استعداده فيؤتيه العلم والحكمة كما قال (ولما بلغ اشده آتيناه حكما

فيه ولاجزع وقيل من الصبران لاتحدث بمصيبتك ولاتزكين نفسك (والله المستعان على ماتصفون) يعنى من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل ماتصفون * قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سموا سيارة لمسيرهم فى الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب الذى كان فيه يوسف وكان فى قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحا فلما القى يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قال والوارد الذى هو يتقدم الرفقة الى الماء فيهيء الارشية والدلاء يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها فى البئر ودلوتها اذا اخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال فكان يوسف عليه السلام احسن مايكون من الغلمان وذكر البغوى بسند متصل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وامه بثلثى الحسن وحكى الثعلبى عن كعب الاحبار وقال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا ابتسم رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور من ثناياه ولايستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصورته قبل ان يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر كا حسن مايكون من الغلمان (قال) يعنى الوارد وهو مالك بن ذعر (يابشرى) يعنى يقول الوارد لاصحابه ابشروا (هذا غلام) وقرئ يابشرى بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه اسمه بشرى كما تقول يازيد ويقال ان جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأسروه بضاعة) قال مجاهد اسره مالك بن ذعر واصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف اسروا شان يوسف يعنى انهم اخفوا امر يوسف وكونه اخالهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر واصحابه والقول الاول اصح لان مالك بن ذعر هو الذى اسره بضاعة واصحابه (والله عليم بما يعملون) يعنى من ارادة هلاك يوسف فيجعل ذلك سبب نجاته وتحقيق رؤياه ان يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال اصحاب الاخبار ان يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام فأتاه فلم يجده فى الجب فأخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر واصحابه نزولا قريبا من البئر فأتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) اى باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشئ بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير فى وشروه وفى وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شئ واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير فى وشروه يعود على مالك بن ذعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه (بثمن بخس)

وعلما) والاشد هو نهاية الوصول الى الفطرة الاولى بالتجرد عن غواشى الخلقة الذى نسميه مقام الفتوة . ولكن اكثر الناس لايعلمون ان الامر بيد الله فى ذلك فيضيفون الى السعى والاجتهاد والتربية ولا يعلمون ان السعى والاجتهاد والتربية والرياضة ايضا من عند الله جعلها الله اسبابا ووسايط لما قدره ولذلك لم يعزلها وقال بعد قوله آتيناه حكما وعلما (وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لايفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر) فى الطلب والارادة والاجتهاد والرياضة ومراودة زليخاء اياه عن نفسه وتغليقها الابواب عليه اشارة الى ظهور النفس اللوامة بصفتها فان التلوين فى مقام القلب يكون بظهور النفس كما ان التلوين فى مقام

قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدى بخس اى حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بخساً لانه مبخوس البركة يعنى منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اى زيوف ناقصة العيار وقال قتادة بخس اى ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبى بخس اى قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس فى اللغة هو نقص الشئ على سبيل الظلم والبخس والباخس الشئ الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم فى ذلك الزمان ما كانوا يزنون اقل من اربعين درهما انما كانوا يأخذون ما دونها عددا فاذا بلغت اربعين درهما وهى اوقية وزنوها واختلفوا فى عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ اخوه من امه وابيه شيأ منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين لانهم كانوا احد عشر اخا وقال عكرمة كانت اربعين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) يعنى وكان اخوة يوسف فى يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان فى كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير فى قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد أبق أظهر المشترى قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن نزوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقى قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة اوسبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذى اشتراه من مصر) يعنى قطفير من اهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (اكرمى مثواه) يعنى اكرمى منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه فى المطعم والملبس والمقام (عسى ان ينفعنا) يعنى ان اردنا بيعه بعناه بربح اويكفينا بعض امورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ (اونتخذه ولدا) يعنى نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس الناس ثلاثة العزيز فى يوسف حيث قال لامرأته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا اونتخذه ولدا وابنة شعيب فى موسى حيث قالت لابيها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وابوبكر فى عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكنا

لیوسف

الروح يكون بوجود القلب وجذبها للقلب الى نفسها بالتسويل والاستيلاء عليه وتزيين صفاتها ولذاتها وسدها طرق مخرجه الى الروح بحجبها مسالك الفكر ومنافذ النور بصفاتها الحاجبة وهمها ميل القلب اليها لعدم التمكين والاستقامة ورؤيته البرهان ربه ادراك ذلك التلوين بنور البصيرة ونظر العقل كما قيل فى القصة تراءى له ابوه فزعه اوصوت به وقيل ضرب بكفه فى نحره فخرجت شهوته من انامله وذهبت كل ذلك اشارة الى منع العقل اياه عن مخالطة النفس بالبرهان ونور البصيرة والهداية وتأثيره فيه بالقدرة والايد النورى الموجب لذهاب شهوتها وظلمتها النافذ فيها الى اطرافها المزيل عنها بالهيئة النورية الهيئة الظلمانية وقد قيصه من دبر اشارة الى حرقها لباس الصفة النورية التى له من قبل الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة بتأثيرها فى القلب بصفتها فانها صفة يكسبها القلب بالجهة التى تلى النفس المسماة بالصدر وهو الدبر لامحالة وقوله (والفيا

ليوسف فى الارض) يعنى كما مننا على يوسف بان انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكناه فى الارض يعنى ارض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) اى مكناله فى الارض لكى نعلمه من تأويل الاحاديث يعنى عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على امره) قيل الكناية فى امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على امره يفعل مايشاء ويحكم مايريد لادافع لامره ولا رادلقضائه ولا يغلبه شئ وقيل هى راجعةالى يوسف ومعناه ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والا حاطة لايكله الى احد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن اكثر الناس لايعلمون) يعنى ماهو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ اشده) يعنى منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدى ثلاثون سنة وقال الكلبى الاشد مابين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هوالحلم (آتيناه حكما وعلما) يعنى آتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها فى الدين وقيل حكما يعنى اصابة فى القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هوالذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هوالذى يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لاينبغى والعلم هو العلم النظرى (وكذلك) يعنى وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (نجزى المحسنين) قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التى هوفى بيتها عن نفسه) يعنى ان امراة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت الابواب) اى اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا فى ستر وخفية اوانها اغلقتها لشدة خوفها (وقالت هيت لك) اى هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائى يقول هى لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة ايضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هى لغة عربية وهى كلمة حث واقبال على الشئ وقيل هى بالعبرانية واصلها هيتالج اى تعالى فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت اصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم فى القسطاس ولغة العرب الفرس فى التنور ولغة العرب الترك فى الغساق ولغة العرب الحبشة فى ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقرئ هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك (قال) يعنى يوسف (معاذ الله) اى اعوذ بالله واعتصم به والجأ اليه فيما دعوتنى اليه (انه ربى) يعنى ان العزيز قطفير سيدى (احسن مثواى) أى اكرم منزلتى فلا اخونه وقيل ان الهاء فى انه ربى راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربى احسن مثواى يعنى انه آوانى ومن بلاء الجب نجانى (انه لايفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا الفعل فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لايسعد الزناة ۞ قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها فى مقامين الاول فى ذكر اقوال المفسرين فى هذه الآية قال المفسرون الهم هوالمقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشئ اذا اردته وحدثتك نفسك به وقاربته

سيدها لدالباب) اشارة الى ظهور نور الروح عند اقبال القلب اليه بواسطة تذكر البرهان العقلى وورود الوارد القدسى عليه واستتباعه للنفس وهى تنازعه بالجذب الى جهتها واستيلائه على القلب ثم على النفس بواسطته وقولها (قالت ماجزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن اوعذاب اليم قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها انكان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) تلويح الى ان النفس تسول اغراضها فى صور المصالح العقلية وتزينها بحيث تشتبه مفاسدها بالمصالح العقلية التى يجب على العقل مراعاتها والقيام بها وموافقتها فيها و مخالفته اياها فيها ارادة السوء بها ومقابحها بالمحاسن التى تتعلق بالمعاش كما كرة النساء بالرجال وميل القلب الى الجهة العلوية يكذب قولها ودعواها والشاهد الذى شهد من اهلها قيل كان ابن عم لها اى الفكر الذى يعلم ان الفساد الواقع من جهة الاخلاق والاعمال لايكون الا من قبل النفس واستيلائها اذلوكان من جهة القلب وميله الى النفس

من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به اى ارادته وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشرى هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمر وبن ضابئ البرجمى

همممت ولم افعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها اى وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها قال البغوى واما همه بها فروى عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى جيد المراة حتى جمع بينهما قال ابوعبيدة القاسم بن سلام وقدانكر قوم هذا القول قال البغوى والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا فى الانبياء من غير علم قال السدى وابن اسحق لما ارادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكرله محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ماينتثر عن جسدى قالت ما احسن عينيك قال هى اول مايسيل على خدى فى قبرى قالت ما احسن وجهك قال هوللتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب مايجده الرجل وهى امراة حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف بالبرهان الذى ذكره وسيأتى الكلام على تفسير البرهان الذى رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون فى هذه الآية اما المقام الثانى فى تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التى ينسب اليها قال بعض المحققين الهم همان فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امراة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة فى القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به مالم يتكلم اويعمل به ويدل على صحة هذا ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذاهم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة واذاهم بحسنة فلم يعملها فاكتبوهاله حسنة فان عملها فاكتبوهاله عشرة لفظ مسلم وللبخارى بمعناه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيمايرويه عن ربه عزوجل قال ان الله كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد فى رواية أومحاها ولن يهلك على الله الاهالك قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لايؤاخذبه وليس سيئة وذكر الحديث المتقدم فلامعصية فى هم يوسف اذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة وأما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو

عنه

لوقع فى الاعتقاد والعزيمة لافى مجرد العمل وقيل كان ابن خالهما اى الطبيعة الجسمانية التى تدل على الميل السفلى فى النفس الجاذب للقلب من جهة الصدر المباشر للعمليات الى ارض البدن وموافقاته واطلاع الروح بنور الهداية على ان الخلل وقع فى العمل لافى العقد والعزيمة وذلك لايكون الامن قبل الداعية النفسانية وهو معنى قوله (فلمارأى قميصه قدمن دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) وقوله (يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا) اشارة الى اشراق نور الروح على القلب وانجذابه الى جانبه التنازل النورى والخاطر الروحى الذى يصرفه عن جهة النفس ويأمره بالاعراض عن عملها ويذكره لئلا يحدث الميل مرة أخرى وتأثير ذلك الوارد والخاطر فى النفس بالتنوير والتصفية فان تنورها بنور الروح

عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي همها امتناعه وقيل هم بها أي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم مازال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وأما الامام فخر الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فأقول قال الامام فخر الدين الرازي ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى مانقله بعض المفسرين عن الائمة المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب واما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيأ من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شئ لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيأ علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شئ كما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام مما نسب اليه واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والمولود الذي شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المرأة اعترف ايضا ببراءة يوسف فقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من اهلها الآية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ويبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى اخذ بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ماروي عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخائن فحاشى ابن عباس ان يقول مثل

المنعكس اليها من القلب استغفارها عن الهيئة المظلمة التي غلبت بها على القلب ولما بلغ القلب هذا المنزل من الاتصال بالروح والاستشراق من نوره وتنورت النفس بشعاع نور القلب وتصفت عن كدوراتها عشقته للاستنارة بنوره والتشكل بهيئته والتقرب اليه وارادة الوصول الى مقامه لا لجذبه الى نفسه وقضاء وطرها منه باستخدامها اياه في تحصيل اللذات الطبيعية واستنزالها اياه عن مقامه ومرتبته الى مرتبتها ليتشكل بهيئتها ويشاركها في افعالها ولذاتها كما كانت عند كونها امارة فتتأثر قواها حينئذ حتى القوى الطبيعية بتأثرها وذلك معنى قول نسوة المدينة (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن) وكلما استولى القلب عليها بهيئته النورية وحسنه الذاتي الفطري والصفاتي الكسبي

هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض اصحاب القصص واصحاب الاخبار
وضعوه على ابن عباس وكذلك ماروى عن مجاهد وغيره ايضا فانه لايكاد يصح بسند
صحيح وبطل ذلك كله وثبت مابيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة
والله اعلم بمراده واسرار كتابه وماصدر من انبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى
هذا التقدير لايبقى لقوله عز وجل لولا ان رأى برهان ربه فائدة قلت فيه اعظم الفوائد
وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف انه لوهم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان ان
الامتناع من ضربها اولى ٠ ونا النفس عن الهلاك الوجه الثانى انه عليه الصلاة والسلام
لواشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد فى ذلك ان يتمزق ثوبه من قدام وكان فى علم الله
ان الشاهد يشهد بان ثوبه لوتمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف
كانت هى الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا
فاثبت بذلك الشاهد حجة له لاعليه واما تفسير البرهان على ماذكره المفسرون فى قوله
تعالى لولا ان راى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب
عليه السلام وهو يقول له يايوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب من الانبياء وقال الحسن
وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على
اصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده فى صدره فخرجت
شهوته من انامله وقال السدى نودى يايوسف اتواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى
جو السماء لايطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثله اذا وقع على الارض لايستطيع ان يدفع
عن نفسه شيأ ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لايطاق ومثلك ان واقعتها كمثله
اذا مات ودخل النمل فى قرنه لايستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه
مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم
وعليه مكتوب ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك
الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل
عليه السلام ادرك عبدى يوسف قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه
يقول يايوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه
فخرجت شهوته من انامله قال محمد بن كعب القرظى رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى
كتابا فى حائط فيه ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفى رواية عن ابن عباس
انه رأى مثال ذلك الملك وعن على بن الحسين قال كان فى البيت صنم فقامت المراة اليه وسترته
بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه ان يرانى على معصية
فقال لها يوسف اتستحيين ممن لايسمع ولايبصر ولايفقه شيأ فانا احق ان استحيى من ربى
فهرب فذلك قوله لولا ان رأى برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول
قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين
مايسخط الله عز وجل الثانى البرهان حجة الله عز وجل على العبد فى تحريم الزنا والعلم بما على
الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن

من الترقى الى مجاورة الروح وبلوغه منزل السر استنارت جميع القوى البدنية بنوره لاستتباعه للنفس واستتباعها اياه فشغلت عن افعالها وتحيرت ووقفت عن تصرفاتها فى الغذاء وذهلت عن سكاكين الاتها التى كانت تدبر بها امر التلذذ والتغذى والتفكه وجرحت قدرتها التى تستعمل بها الآلات فى تصرفاتها وبقيت مبهوتة فى متكآتها التى هى محالها فى اعضاء البدن التى هيأتها لها النفس فى قراها وهو معنى قوله (فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الاملك كريم) وقولها اخرج عليهن استحلاؤها لوره بالارادة واقتضاؤها طلوعه عليها لحصول استمدادا لتنورلها ولما انخرطت النفس فى سلك ارادة القلب وقلت منازعتها اياه فى عزيمة السلوك وتمرنت لمطاوعته حان وقت الرياضة بالدخول فى الخلوة لتجرد القلب حينئذ عن علائقه ومواله وتجريده عزمه بانتفاء التردد اذ يتردد العزم بانجذابه الى جهة النفس تارة والى جهة

الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله (كذلك) يعنى كما اريناه البرهان كذلك (لنصرف عنه السوء) يعنى الاثم (والفحشاء) يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله (انه) يعنى يوسف (من عبادنا المخلصين) قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل * قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والسابقة طلب السبق فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقدت قميصه من دبر) يعنى شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه (والفيا سيدها لدى الباب) يعنى فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول (قالت) يعنى لزوجها (ما جزاء من اراد بأهلك سوء) يعنى الفاحشة ثم خافت عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت (الا ان يسجن) اى يجلس فى السجن و يمنع التصرف (او عذاب اليم) يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان الحب لا يشتهى ايلام المحبوب وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها اراد ان يبرهن عن نفسه (قال) يعنى يوسف (هى راودتنى عن نفسى) يعنى طلبت منى الفحشاء فابيت وفررت و ذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد ان يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هى ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هى راودتنى عن نفسى (وشهد شاهد من اهلها) يعنى و حكم حاكم من اهل المراة واختلفوا فى ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا فى المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوى بغير سند والذى جاء فى الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم مخرجة فى الصحيح قيل كان هذا الصبى شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما اذا راى وقال السدى هو ابن عم المرأة فحكم فقال (ان كان قميصه قد من قبل) اى من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر) اى من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وانما كان هذا الشاهد من اهل المرأة ليكون اقوى فى نفى التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفى التهمة عنه من وجوه منها ان كان فى الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا

الروح اخرى لا يمكن الرياضة ولا السلوك ولا تصح الخلوة لفقدان الجمعية التى هى من شرطها وهذه الرياضة ليست رياضة النفس بالتطويع فانها لا تحتاج الى الخلوة بل الى ترك ارتكاب المخالفات والاقدام على كسرها وقهرها بالمقاومات من انواع الزهد والعبادة انما هى رياضة القلب بالتنزه عن صفاته وعلومه وكمالاته وكشوفه فى سلوك طريق الفناء وطلب الشهود واللقاء وذلك بعد العصمة من استيلاء النفس عليه كما قالت (فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) طلب العصمة من نفسه واستزادها (ولئن لم يفعل ما آمره) من ايفاء حظى ليمنعن من اللذات البدنية وروح الهوى والمدركات الحسية بالخلوة والانقطاع عنها (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) لفقدان كرامته وعزته عندنا واحتذائنا عنه واعتزاله عن رياسة الاعوان والخدم فى البدن ولما حبيت اليه الخلوة كما حبيت الى

يوسف يعدو هاربا منها والطالب لايهرب ومنها انهم راوا المرأة قد تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها اولى ومنها انهم عرفوا يوسف فى المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا (فلما راى قميصه قدمن دبر) يعنى فلما راى قطفير زوج المراة قميص يوسف عليه الصلاة والسلام قد من خلفه عرف خيانة امراته وبراءة يوسف (قال) يعنى قال لها زوجها قطفير (انه) يعنى هذا الصنيع (من كيدكن) يعنى من حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال اعظم من مكر النساء قلت اما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ماهو اعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك واما عظم كيد النساء ومكرهن فى هذا الباب فهو اعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد فى اتمام مراد هن مالا يقدر عليه الرجال فى هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعنى يا يوسف (اعرض عن هذا) يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لايفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لاتكترث بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفرى لذنبك) يعنى توبى الى الله بما رميت يوسف به من الخطيئة وهو برئ منها وقيل ان هذا من قوله الشاهد يقول للمراة سلى زوجك ان يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين) يعنى من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو برئ وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين * قوله عز وجل (وقال نسوة فى المدينة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعنى وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن اربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة فى مدينة مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امراة حاجب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امراة العزيز يعنى زليخا تراود فتاها عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعانى عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعنى قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه قد احاط بقلبها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبى حجب حبه قلبها حتى لاتعقل شيأ سواه (انا لنراها فى ضلال مبين) يعنى فى خطاء بين ظاهر حيث تركت مايجب على امثالها من العفاف والستر واحبت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعنى فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمى قولهن ذلك مكرا لانهن

رسول الله صلى الله عليه وسلم عند التحنث فى حراء (قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه) وانما قال مما يدعوننى اليه ودعاربه ان يصرف عنه كيدهن بقوله (والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين) لان فى طباعها الميل الى الجهة السفلية وجذب القلب اليها وداعية استنزاله اليها بحيث لايزول ابدا وتنورها بنوره وطاعتها له امر عارضى لايدوم والقلب يمدها فى اعمالها دائما فانه ذو طبيعتين وذووجهين ينزع باحداهما الى الروح وبالاخرى الى النفس ويقبل بوجه الى هذه وبوجه الى هذه فلاشئ اقرب اليه من الصبوة اليها بجهالته لولم يعصمه الله بتغليب الجهة العليا وامداده بانوار الملاء الاعلى كما قال النبى عليه السلام اللهم ثبت قلبى على دينك قيل له او تقول ذلك وانت نبى يوحى اليك قال ومايؤمننى ان مثل القلب كمثل ريشة فى فلاة تقلبها الرياح كيف شاءت وذلك الدعاء هو صورة افتقار القلب الواجب عليه

طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجماله فقصدن ان يرينه وقيل ان امراة العزيز افشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا (ارسلت اليهن) يعنى انها لما سمعت بأنهن يلمنها على محبتها ليوسف ارادت ان تقيم عذرها عندهن ° قال وهب اتخذت مأدبة يعنى صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت اربعين امراة من اشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتى عيرنها (واعتدت لهن متكأ) يعنى ووضعت لهن نمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعنى طعاما وانما سمى الطعام متكأ لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت له وسائد يجلس ويتكئ عليها فسمى الطعام متكأ على الاستعارة ويقال اتكأنا عند فلان اى طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهى عنه فى الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكأ الاترج وقيل هو كل شئ يقطع بالسكين او بحز يقال ان المراة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتى عيرنها بحب يوسف (وآتت كل واحدة منهن سكينا) يعنى واعطت كل واحدة من النساء سكينا لتاكل بها وكان من عادتهن ان يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعنى وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واختبأته فى مكان آخر (فلما رأينه) يعنى النسوة (اكبرنه) يعنى اعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد اعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوى بغير سند وقال اسحق بن ابى فروة كان يوسف اذا سار فى ازقة مصر تلألأ وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عزوجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن امره وبهتن اليه وفى رواية عن ابن عباس قال اكبرنه اى حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وانكر اكثر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة فى اللغة والهاء فى اكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز ان يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهرى ان صحت هذه اللفظة فى اللغة فلها مخرج وذلك ان المراة اذا حاضت اول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها اكبرت اى حاضت على هذا المعنى فان صحت الرواية عن ابن عباس سلمناله وجعلنا الهاء فى قوله اكبرنه هاء الوقف لا هاء الكناية وقيل ان المراة اذا خافت اوفزعت فربما اسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن من امر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازى وعندى انه يحتمل وجها آخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة ملكية وهى عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلاجرم اكبرنه واعظمنه ووقع الرعب والمهابة فى قلوبهن قال وحمل الآية على هذا

ابدا (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) اى ايده بالتأييد القدسى قواه بالالقاء السبوحى فصرف وجهه عن جناب الرجس الى جناب القدس ودفع عنه بذلك كيدهن (انه هو السميع) لمناجاه القلب فى مقام السر (العليم) بما ينبغى ان يفعل به عند افتقاره اليه (ثم بدالهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما) اى ظهر لعزيز الروح ونسوة النفس والقوى واعوان الروح من العقل والفكر وغيرها رأى متفق عليه من جميعها وهو ليسجننه اى ليتركنه فى الخلوة التى هى احب اليه اما الروح فلقهره اياه بنور الشهود ومنعه عن تصرفاته وصفاته واما النفس وسائر القوى فلامتناعها عن استجذابه اليها من بعد ما رأوا آيات العصمة وصدق العزيمة وعدم الميل اليها وقهره عليها بنوره واخلاصه فى الافتقار الى الله والا لما خلته وتأبه فى الخلوه واما الوهم فلانهزامه عن نوره وفراره من طلبه عند التصاب فى الدين والتعود

الوجه اولى (وقطعن ايديهن) يعنى وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التى معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما احسن الابالدم وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب مات جماعة منهن (وقلن) يعنى النسوة (حاش لله ماهذا بشرا) اى معاذ الله ان يكون هذا بشرا (ان هذا الاملك كريم) يعنى على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ركز فى النفوس ان لاشئ احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التى تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك ✽ قوله تعالى (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) يعنى قالت امرأة العزيز للنسوة لما راين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذى لمتننى فى محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امراة العزيز قد شغفها فتاها الكنعانى حبا وانما قالت فذلكن الخ بعدما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذلك الكنعانى الذى صورتن فى انفسكن ثم لمتننى فيه ثم ان امراة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعنى فامتنع من ذلك الفعل الذى طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لاملامة عليها منهن وانهن قد اصابهن ما اصابها عند رؤيته ثم ان امراة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما آمره) يعنى وان لم يطاوعنى فيما دعوته اليه (ليسجنن) اى ليعاقبن بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعنى من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المراة بذلك (قال رب) اى يارب (السجن احب الى مما يدعوننى اليه) قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما اضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الا الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن لما قلن له اطع مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا اولانه كان بحضرتهن قال بعضهم لو لم يقل السجن احب الى لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد ان يسأل الله العافية (والاتصرف عنى كيدهن) يعنى ما اردن منى (اصب اليهن) اى اميل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (واكن من الجاهلين) يعنى من المذنبين وقيل معناه اكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما ارتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعنى فاجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعنى لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعنى بحاله وفى الآية دليل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما ابتلته البلية بكيد النساء ومطالبتهن اياه بما لايليق بحاله لجا الى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على انه لايقدر احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به ✽ قوله عز وجل (ثم بدالهم) يعنى للعزيز واصحابه فى الراى وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا من امر يوسف على الاعراض وكتم الحال وذلك ان المراة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم بانى قد راودته

بالحق واما العقل فلتنوره بنور الهداية واما الفكر فلحصول سلطانه فى الحلوة والفتيان اللذان دخلا معه السجن احدهما قوة المحبة الروحية اللازمة له وهو شرابى الملك الذى يسقيه خمر العشق كما قيل فى القصة انه كان شرابيه والثانى هوى النفس التى لاتفارقه ايضا بحال فان الهوى حياة النفس الفائضة اليها منه لاستبقائها وهو خباز الملك الذى يدبر الاقوات فى المدينة كما قيل وهما يلازمانه فى الخلوة دون غيرهما ومنام الشرابى فى قوله (انى ارانى اعصر خمرا) اهتداء قوة المحبة الى عصر خمر العشق من كرم معرفة القلب فى نوم الغفلة عن الشهود الحقيقى ومنام الخباز فى قوله (وقال الآخر انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نريك من المحسنين) توجه الهوى بكليته الى تحصيل لذات طير القوى النفسانية وحظوظها وشهواتها وشبهت بالطير فى جذب ماتجذبه من الحظوظ لسرعة حركتها نحوه وقوله (قال لايأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما

عن نفسه فلما ان تاذن لي فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فراى حبسه (من بعد ماراوا الآيات) يعنى الدلالة الصدق على يوسف وبراءته من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء ايديهن وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجننه) اى ليحبسن يوسف فى السجن (حتى حين) يعنى الى مدة يرون رايهم فيها وقال عطاء الى ان تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبى خمس سنين فحبسه قال السدى جعل الله ذلك الحبس تطهير اليوسف من همه بالمراة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن ثروان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب فى ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا الهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك فى طعامه وشرابه فاجاباالى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لاتاكل ايها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لاتشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسامع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى عبر الاحلام فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبرانى فتراءيا له رؤيا فسألاه من غير ان يكونا قدر ايا شيأ قال ابن مسعود ماراياشيأ انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قدر ايارؤيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا انهما غلامان للملك وقد حبسهما وقدر ايارؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا على مارايتما فقصا عليه ماراايا فذلك قوله تعالى (قال احدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى ارانى اعصر خمرا) يعنى عنبا سمى العنب خمرا باسم مايؤل اليه يقال فلان يطبخ الابن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال انى رايت فى المنام كأنى فى بستان واذا فيه اصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فجنيتها وكان كأس الملك فى يدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه) وذلك انه قال انى رايت فى المنام كان فوق راسى ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها (نبئنا بتأويله) اى اخبرنا بتفسير مارايناه وما يؤل اليه امر هذه الرؤيا (انا نريك من المحسنين) يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ماكان احسانه قال كان اذا مرض انسان فى الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على احد وسع عليه واذا احتاج احد جمع له شيا وكان مع هذا يجتهد فى العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يافتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن اين انت قال انا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساوفق بك واحسن جوارك واختر اى بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك فقال لهما يوسف انشدكما الله

بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى) اشارة الى منعه اياهما عن حظوظهما الابعد تبيينه لهما مايؤل اليه امرهما من شأنهما الذى يجب لهما القيام به بالسياسة والتشديد والتقويم والاصلاح واظهار التوحيد لهما بقوله انى تركت الى آخره بعثه اياهما على القيام بالامر الالهى الضرورى وترك الفضول والامتناع عن تفرق الوجهة وتشتت الهم فان خاصية الهوى الفرقة والتوزع وتعبد الشهوات المختلفة للقوى المتنازعة وخاصية المحبة فى البداية وقبل الوصول الى النهاية التعلق بحسن الصفات والتعبد لها دون جمال الذات فدعاهما الى التوحيد بقوله (انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله) اى المشركين العابدين لاوثان صفات النفس بل لوجود القلب وصفاته (وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابرهيم واسحق ويعقوب) اى وهم عن البقاء فى العالم الروحانى محجوبون وقوله (ما كان لنا ان نشرك بالله

ان لاتحبـانى فوالله ما احبنى احد قط الادخل على من حبه بلاء لقد احبتنى عمتى فدخل علىّ من ذلك بلاء واحبنى ابى فالقيت فى الجب واحبتنى امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤيا هما كره يوسف ان يعبر ها لهما حين سالاه لما علم ما فى ذلك من المكروه لاحد هما و اعرض عن سؤ الهما واخذ فى غيره من اظهـار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد و قيل انه عليه السـلام اراد ان يبين لهما ان درجته فى العلم اعلى و اعظم مما اعتقدا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولاشـك ان هذا العلم مبنى على الظن والتخمين فأراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤيا هما الى اظهـار المعجزة لانه علم ان احد هما سيصلب فأراد ان يدخله فى الاسلام و يخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لايأ تيكما طعام تر زقانه الانبأ تكما بتأويله) قيل اراد به فى النوم يقول لا يأ تيكما طعـام تر زقانه فى نومكما الا اخبر تكما خبره فى اليقظة وقيل اراد به فى اليقظة يقول لايأ تيكما طعام من منازلكما تر زقانه يعنى تطعمانه وتأ كلانه الانبأ تكما بتأويله يعنى اخبر تكما بقدره ولونه والوقت الذى يصل اليكما فيه (قبل ان يأ تيكما) يعنى قبل ان يصل اليكما واى طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصـلاة والسـلام حيث قال وانبئكم بما تأ كلون وماتدخرون فى بيوتكم فقا لا ليوسف عليه الصـلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقا ل ما انا بكا هن ولاعراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذى اخبر همـا به (ذلكما عمـا علمنى ربى) يعنى ان هذا الذى اخبر تكما به وحى من الله اوحاه الى وعلمنيه (انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله) فان قلت ظاهر قوله انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخلا فى هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا و ظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك فى قوله تركت . قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه . الوجه الثـانى وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسـلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجـمع من عنده كذلك و قد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله انى تركت ملة قوم لايؤ منون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوا فقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم فى قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكار هم للمعاد وقوله (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة واظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان آباءه كلهم كانوا انبياء وقيل لمـا كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسـالة ولهم الدرجة العليا فى الدنيـا عند الخلق والمنزلة الرفيعة فى الآخرة اظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعو هم اليه من التوحيد

من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون ياصاحبى السجن) وقوله (أارباب متفرقون خـير ام الله الواحـد القهـار ماتعبدون من دونه الا اسماء سـميتموها انتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سـلطان ان الحـكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمـون يا صـاحبى السجن) اى اذا كان لكل منكما ارباب كثيرة كما قال تعالى فيه شركاء متشا كسون يأمره هـذا بأمر وهـذا بأمر متما نعـون فى ذلك عاجزون اما للمحبـة فكالصفات والاسماء واما للهوى فكالقوى النفسانية كان خيراله ام رب واحد لايأمره الابأمر واحد كما قال وما امرنا الا واحدة قهار قوى يقهر كل احـد لايمانعـه فى امر شئ ولا يمتنع عليه واجبرهما بالسيـاسة على اتحاد الوجهة فان القلب اذاغلبت عليه الوحـدة امتنعت محبتـه عن حب الصفـات وانصرفت الى الذات واذاتمرن فى التوحيد انقمع هواه عن تعبد

(ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغى لنا ان نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التى اختصنا بها قال الواحدى لفظة من فى قوله من شئ زائدة مؤكدة كقولك ماجاء فى من احد وقال صاحب الكشاف ماكان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان من ملك اوجنى اوانسى فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعنى ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذى رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعنى بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن اكثر الناس لايشكرون) يعنى ان اكثرهم لايشكرون الله على هذه النعم التى انعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال (يا صاحبى السجن) يريد يا صاحبى فى السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد يا ساكنى السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة (ء ارباب متفرقون) يعنى ء آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون فى الصفة وهى مع ذلك لا تضر ولا تنفع (خير ام الله الواحد القهار) يعنى ان هذه الاصنام اعظم صفة فى المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة ام الله الواحد القهار قال الخطابى الواحد هو الفرد الذى لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الاحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذى لامثل له ولا يشبهه شئ من خلقه القهار قال الخطابى القهار هو الذى قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذى قهر كل شئ وذلله فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التى تعبدونها ذليلة مقهورة اذا اراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد فى ملكه القهار لعباده الذى لايغلبه شئ وهو الغالب لكل شئ سبحانه وتعالى * ثم بين عجز الاصنام وانها لا شئ البتة فقال (ماتعبدون من دونه) يعنى من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدا بالتثنية فى المخاطبة لانه اراد جميع من فى السجن من المشركين (الااسماء سميتموها) يعنى سميتموها آلهة وارباباً وهى حجارة جمادات خالية عن المعنى لاحقيقة لها (انتم وآباؤكم) يعنى من قبلكم سموها آلهة (ما انزل الله بها من سلطان) يعنى ان تسمية الاصنام آلهة لاحجة لكم بها ولا برهان ولا امر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله بها من سلطان (ان الحكم الا لله) يعنى ان الحكم والقضاء والامر والنهى لله تعالى لاشريك له فى ذلك (امر الاتعبدوا الااياه) لانه هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التى سميتموها آلهة (ذلك الدين القيم) يعنى عبادة الله هى الدين المستقيم (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال (ياصاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا) يعنى ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقى الملك خمرا كما كان يسقيه اولا والعناقيد الثلاثة هى ثلاثة ايام يبقى فى السجن ثم يدعو به الملك

الحظوظ والشهوات والتفرق فى تحصيل اللذات واقتصر على الحقوق والضرورات بأمر الحق لابطاعة الشيطان وقوله (اما احدكما فيسقى ربه خمرا) تعيين لشأن الاول بعد السياسة بالمنع عن الشرك وهو تسليط حب اللذات على الروح (واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) بيان لما يؤول اليه امر الثانى وصلبه منعه عن افعاله بنفسه وقمعه من مقتضاه وتثبيته وتقريره على جذع القوة الطبيعية النباتية بحيث لاتصرف للمتخيلة فيه ولاله فيها ولا فى سائر القوى الحيوانية وذلك هو اماتة الهوى فتأكل بعد الاماتة والصلب طير قوى النفس من رأسه بأمر الحق وهو الوقوف مع الحقوق (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) اى ثبت واستقر امر كما على هذا وذلك وقت وصوله وتقربه من الله واوان ظهور مقام الولاية بالفناء فى الله واذا تمكنت القوتان فيما عينه لهما من الامر تم امره بالوصول الى مقام الشهود الذاتى

ويرده الى منزلته التى كان عليها (واما الآخر فيصلب) يعنى صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعوه الملك فيصلبه (فتأكل الطير من راسه) قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سمعا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالا ما راينا شيأ انما كنا نلعب قال يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) يعنى فرغ من الامر الذى سألتماعنه ووجب حكم الله عليكما بالذى اخبرتكما به رايتما شيأ ام لم تريا (وقال) يعنى يوسف (للذى ظن) يعنى علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (انه ناج منهما) يعنى ساقى الملك (اذكرنى عند ربك) يعنى سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان فى السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه (فأنساه الشيطان ذكر ربه) فى هاء الكناية فى فأنساه الى من تعود قولان احدهما انها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقى ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى انساه ذكر يوسف اولى من صرفها الى يوسف والقول الثانى وهو قول اكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله فى دفع الضرر وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق فى دفع الضرر جائزة الا انه لما كان مقام يوسف اعلى المقامات ورتبته اشرف المراتب وهى منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيئات المقربين ۔ فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى انساه ذكر ربه ۔ قلت بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذى هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه ۞ وقوله سبحانه وتعالى (فلبث فى السجن بضع سنين) اختلفوا فى قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع فى هذه الاية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها فى السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنا عشرة سنة وقال وهب اصاب ايوب البلاء سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب انسى قلبى ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التى قالها مالبث فى السجن مالبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبى مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف فى السجن فلما راه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين مالى اراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحيت منى ان استغثت بالآدميين فوعزتى وجلالى لالبثنك فى السجن بضع سنين قال يوسف وهو فى ذلك عنى راض قال نعم قال اذا لا ابالى وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء

واقتضت حلوته فان طول مدة السجن هو امتداد سلوكه فى الله فاذ تم له الفناء استوى امر القوتين لكونهما بالله حينئذ لا بنفسهما واستوى زمان الخلوة بابتداء زمان البقاء بالوجود الحقانى ولكن لم تم بعد لوجود البقية المشار اليها بقوله (وقال للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك) اى الملك الموجود فى مقام الروح بالمحبة والاستقرار فيه فان المحبة اذا اسكرت الروح بخمر العشق ارتقى الروح الى مقام الوحدة والقلب الى مقام الروح ويسمى الروح فى ذلك المقام خفيا والقلب سرا وهو ليس بالفناء لكونهما موجودين حينئذ مغمورين بنور الحق ومن الوقوف فى هذا المقام ينشأ الطغيان والانانية فلهذا قال (فانساه الشيطان فلبث) اى انسى شيطان الوهم يوسف القلب ذكر الله تعالى بالفناء فيه لوجود البقية وطلبه مقام الروح والذهل عن ذكر نفسه ووجوده وللاحتجاب بهذا المقام وهذه البقية لبث (فى السجن بضع سنين

والحشاه قال الله قال فكيف استغنت بآدمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخمس سنين التى كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد الله عزوجل اخراجه من السجن راى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك انه راى فى منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فا بتلع العجاف السمان و دخلن فى بطونهن و لم يرمنهن شئ ولم يتبين على العجاف منها شئ وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات اخريا بسات قد استحصدت فالتوت اليا بسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضر تها شئ فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التى رآهـا فذلك قوله تعالى (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخريا بسات يا ايها الملاء افتونى فى رؤياى) يعنى يا ايها الاشراف اخبرونى بتأويل رؤياى (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعنى ان كنتم تحسنون علم العبارة وتفسير ها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تعبير الان المفسر للرؤيا عابر من ظاهر ها الى باطنها ليستخرج معنا ها وهذا اخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفى غيره (قالوا) يعنى قال جماعة الملاء وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (اضغاث احلام) يعنى اخلاط مشتبهة واحد ها ضغث واصله الحزمة المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التى يراها الانسان فى منامه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قدشاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد ان يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه واخبرهم بما راى فى منامه وسالهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذى نجا منهما) يعنى وقال الساقى الذى نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (وادّكر بعد امة) يعنى انه تذكر قول يوسف اذكرنى عند ربك بعد امة يعنى بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان امة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (انا انبئكم) يعنى اخبركم (بتأويله) وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع اما انه اراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين اواراد به الملك وحده و خاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدى الملك وقال ان فى السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا (فأرسلون) فيه اختصار تقديره فارسلنى ايها الملك فارسله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن فى المدينة (يوسف) اى يا يوسف (ايها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذى لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق فى تعبير رؤياه التى رآهـا فى السجن (افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخريا بسات) فان الملك راى هذه الرؤيا (لعلى ارجع الى الناس) يعنى ارجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعنى بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك فى العلم (قال)

وقال الملك) واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله اخى يوسف لولم يقل اذكرنى عند ربك لمابقى فى السجن بضع سنين او انسى شيطان الوهم المقهور الممنوع المحجوب عن جناب الحق رسول المحبة المقرب عند ارتفاع درجته واستيلائه واستعلاء سلطانه والتحير فى الجمال الالهى والسكر الغالب ذكر يوسف القلب فى حضرة الشهود لان المحب المشاهد للجمال حيران ذاهل عن الخلق كله وتفاصيل وجوده بل نفسه مستغرق فى عين الجمع حتى يتم فناؤه وينقضى سكره ثم يرجع الى الصحو فيذكر التفصيل ثم لما انتهى فناؤه بالانغماس فى بحر الهوية والانطماس فى الذات الاحدية وانقضى زمان السجن احياه الله تعالى بحياته ووهب له وجودا من ذاته وصفاته فأراه صورة التبديل فى صفات النفس مدة اعتزاله عنها بالخلوة والسلوك فى الله بصورة اكل البقرات العجاف السمان وفى صفات الطبيعية البدنية بصورة

يعنى قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة واما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامر اى ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعنى عادتكم فى الزراعة والداب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فاحصدتم فذروه فى سنبله) انما امرهم بترك ماحصدوه من الحنطة فى سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان (الا قليلا مما تأكلون) يعنى ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله (ثم يأتى من بعد ذلك) يعنى من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) يعنى سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس (يأكلن) يعنى يفنين (ماقدمتم لهن) يعنى يؤكل فيهن كل ما اعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع فى الكلام (الا قليلا مما تحصنون) يعنى تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشئ فى الحصين بحيث يحفظ ولايضيع (ثم يأتى من بعد ذلك) يعنى من بعد هذه السنين المجدبة (عام فيه يغاث الناس) اى يمطرون من الغيث الذى هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأغاثنى من الغوث (وفيه يعصرون) يعنى العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب فى الزروع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب * قوله عز وجل (وقال الملك ائتونى به) وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك واخبره بفتيا يوسف وماعبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذى قاله كائن لامحالة فقال ائتونى به حتى ابصر هذا الرجل الذى قد عبر رؤياى بهذه العبارة فرجع الساقى الى يوسف وقال له اجب الملك فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأبى ان يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولايراه بعين النقص (قال) يعنى قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعنى الى سيدك وهو الملك (فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن) ولم يصرح بذكر امرأة العزيز ادبا واحتراما لها (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولبثت فى السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعى اخرجه الترمذى وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعى رسول الملك الذى جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ماهو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث فى السجن اورسل الملك فى كشف امره الذى سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء * وقوله (ان ربى بكيدهن عليم) يعنى ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن فى هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و(قال) لهن (ماخطبكن) اى ماشأنكن وامركن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون استرلها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها

استيلاء السنبلات اليابسة على الخضر والملك الذى قال (انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ياايها الملأ افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا) قيل هو ريان بن الوليد الذى ملك قطفير على مصر وولاه عليها لا العزيز المسمى قطفير وان كان العزيز بلسان العرب هو الملك فعلى هذا يكون الملك اشارة الى العقل الفعال ملك ملوك الارواح المسمى روح القدس فان الله تعالى لايحيى اهل الولاية عند الفناء التام الذى هو بداية النبوة الا بواسطة نفحه ووحيه وبالاتصال به تظهر التفاصيل فى عين الجمع ولهذا قالوا لما دخل عليه كلمه بالعبرانية فأجابه بها وكان عارفا بسبعين لسانا فكلمه بها فتكلم معه بكلها والملأ الذين قالوا (اضغاث احلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون يوسف ايها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر

وسائر النسوة امرأته بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعنى النسوة جميعا مجيبات للملك (حاش لله) يعنى معاذالله (ماعلمنا عليه من سوء) يعنى من خيانة فى شئ من الاشياء (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) يعنى ظهر وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امرأة العزيز فعز رنها وقيل خافت ان يشهدن عليها فأقرت فقالت (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) يعنى فى قوله هى راودتنى عن نفسى واختلفوا فى قوله (ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب) على قولين احدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف انى لم اخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم اكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته ثم بالغت فى تأكيد هذا القول فقالت (وان الله لايهدى كيد الخائنين) يعنى انى لما اقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم انى افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول انه لايبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية انه لما بلغ يوسف قول المراة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك اى الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم يعنى العزيز انى لم اخنه فى زوجته بالغيب يعنى فى حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امراة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملاء فماذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا اين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احدهما انه كان فى السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو فى السجن واخبره بجواب امراة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وهذه رواية ابى صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثانى انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس . فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهى اشارة للغائب مع حضوره عندهم . قلت قال ابن الانبارى قال اللغويون هذا وذلك يصلحان فى هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كالمشاهد يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذى فعلته من ردى الرسول ليعلم انى لم اخنه بالغيب اى لم اخن العزيز فى حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لايهدى كيد الخائنين يعنى انى لوكنت خائنا لما خلصنى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لان الله لايهدى اى لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا فى قوله (وما ابرئ نفسى) من قول من على قولين ايضا احدهما انه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب من

واخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الاقليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون) هى القوى الشرعية من العقل والفكر المحجوب بالوهم والوهم نفسه المحجوبة عن سر الرياضة والتبديل كما ترى المحجوبين بينها الواقعين معها يعدون احوال اهل الرياضات من الخرافات ورسول المحبة الذى اذكر بعد امة انما يذكر بواسطة ظهور ملك روح القدس وانجاءته تفاصيل وجوده بالرجوع الى الكثرة بعد الوحدة والانكان فيه حالة الفناء ذاهبا فى عين الجمع لايرى فيها وجود القلب ولاغيره فكيف يذكره انما يذكر بظهوره بنور الحق بعدعدمه والعام الذى (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) هو وقت تمتيعه للنفس عند الاطمئنان التام والامن الكلى وقول سورة القوى (وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال

قول المراة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسى من مراودتى يوسف عن نفسه وكذبى
عليه والقول الثانى وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه الصلاة
والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولاحين هممت بها
فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسى وهذه رواية عن ابن عباس ايضا وهو قول
الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب خاف ان يكون
قد زكى نفسه فقال و ما ابرئ نفسى لان الله تعالى قال فلا تزكوا انفسكم ففى قوله وما
ابرئ نفسى هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس فى مقام
العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيآت المقربين
(ان النفس لامارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل مايهم الانسان من الامور الدنيوية
والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا فى النفس الامارة بالسوء ماهى فالذى عليه
اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة
بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هى صفات لنفس واحدة فاذا
دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهى النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس
اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك
الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت
من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة ❊ وقوله (الا ما رحم ربى) قال ابن عباس معناه الا من عصم
ربى فتكون ما بمعنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعنى من طاب لكم وقيل هذا استثناء
منقطع معناه لكن من رحم ربى فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربى غفور)
يعنى غفور لذنوب عباده (رحيم) بهم ❊ قوله تعالى (وقال الملك ائتونى به استخلصه
لنفسى) وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال
ائتونى به يعنى بيوسف استخلصه لنفسى اى اجعله خالصا لنفسى والاستخلاص طلب خلوص
الشئ من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة
الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من الناس وانما قال الملك ذلك
لما عظم اعتقاده فى يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى اهل
السجن وحسن ادبه وثباته على المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله
تعالى امرا اهيأ اسبابه فالهم الملك ذلك فقال ائتونى به استخلصه لنفسى (فلما كلمه) فيه
اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك الآن بلا معاودة فاجابه روى
ان يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم
عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار فى كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا
بيت البلواء وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن
ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من الدنيا وحسبى ربى
من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك قال اللهم انى اسالك
بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له

ارجع الى ربك فاسئله مابال
النسوة اللاتى قطعن ايديهن
ان ربى بكيدهن عليم قال
ما خطبكن اذ راودتن
يوسف عن نفسه قلن حاش
لله ماعلمنا عليه من سوء
وقول امرأة العزيز
(قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين
ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب
وان الله لايهدى كيد الخائنين
وما ابرئ نفسى ان النفس
لامارة بالسوء الا مارحم
ربى ان ربى غفور رحيم
وقال الملك ائتونى به
استخلصه لنفسى فلما كلمه
قال انك اليوم لدينا مكين
امين قال اجعلنى على خزائن
الارض انى حفيظ عليم
وكذلك مكنا ليوسف
فى الارض يتبوأ منها حيث
يشاء نصيب برحمتنا من نشاء
ولا نضيع اجر المحسنين)
اشارة الى تنور النفس
والقوى بنور الحق
واتصافها بصفة الانصاف
والصدق وحصول ملكة
العدالة بنور الوحدة
وظهور المحبة حال الفرق
بعد الجمع وكمال طمانينة
النفس لاقرارها بفضيلة
القلب وصدقه وذنبها

الملك ماهذا اللسان قال لسان عمى اسماعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال له وماهذا اللسان ايضا قال يوسف هذا لسان آبائى قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك اعجبه مارأى مع حداثة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعنى فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لايحسن لاحد ان يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى ايها الملك هذا الذى علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و (قال انك اليوم لدينا مكين امين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اى منزلة وهى الحالة التى يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت امانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل مايحتاج اليه من الفضائل والمناقب فى امر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام احب ان اسمع تأويل رؤياى منك شفاها فقال نعم ايها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان كافتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد اكلهن اذ بسبع سنبلات خضر طريات ناعمات ممتلئات حبا وماء والى جانبهن سبع اخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما انت تقول فى نفسك اى شئ هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن فى الثرى والماء اذهبت ريح فذرت اوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا مارأيت ايها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطأت منها شيأ فاشان هذه الرؤيا وان كان عجبا فاهو باعجب مما سمعت منك وما ترى فى تأويل رؤياى ايها الصديق قال يوسف عليه الصلاة والسلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتجعل ما تحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس فليرفعوا الخمس من زروعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحى للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك (قال) يعنى يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) يعنى على خزائن الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اى اجعلنى على خزائن ارضك التى تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلنى على خزائن خراج مصر ودخلها (انى حفيظ عليم) اى حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بما وليتنى وقيل حفيظ للحساب عليم اعلم لغة من يأتينى وقال الكلبى حفيظ

وبراءته فان من كمال اطمئنان النفس اعترافها بالذنب واستغفارها عما فرط منها حالة كونها امارة وتمكنها بالرحمة الالهية والعصمة الربانية واستخلاص الملك اياه لنفسه استخلافه للقلب على الملك بعد الكمال التام كما جاء فى القصة اجلسه على سريره وتوجه بتاجه وختمه بخاتمه وقلده بسيفه وعزل قطفير وزوجه الملك امرأته زليخا واعتزل عن الملك وجعله فى يده وتخلى بعبادة ربه كل ذلك اشارة الى مقام خلافة الحق كما قال لداود انا جعلناك خليفة فى الارض وتوفى العزيز اشارة الى وصول القلب الى مقامه وذهاب الروح فى شهوده للوحدة وتزوجه بامرأة العزيز اشارة الى تمتيع القلب النفس بعد الاطمئنان بالحظوظ فان النفس الشريفة المتنورة تقوى بالحظوظ على محافظة شرائط الاستقامة وتقنين قوانين العدالة واستنباط اصول العلم والعمل وهما الولدان اللذان جاء فى القصة انها ولدتهما منه افرائيم وميشا وروى انه لما دخل عليها

بتقديره فى السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن احق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد من النهى عنها مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اوتيتها عن غير مسئلة اعنت عليها اخرجاه فى الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول اعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحى من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان فى طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم فى تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله انى حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه فى مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين ❁ قوله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعنى وكما انعمنا على يوسف بان انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه فى عين الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكناله فى الارض يعنى ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله (يتبوأ منها حيث يشاء) لانه تفسير التمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون ماريا وضرب له عليه كلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل امره وقضاءه نافذا فى مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له ايها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين

قال لها اليس هذا خير مما طلبت فوجدها عذراء وهو اشارة الى حسن حالها فى الاطمئنان مع التمتع ومراعاة العدالة وكونها عذراء اشارة الى ان الروح لا يخالط النفس لتقدسه دائما وامتناع مباشرته اياها فان مطالبه كلية لا تدرك جزئياتها بخلاف القلب وانما كانت امرأته لتسلطه عليها ووصول اثر امره وسلطانه اليها بواسطة القلب ومحكوميتها له فى الحقيقة وسؤال التولية على خزائن الارض ووصف نفسه بالحفظ والعلم هو ان القلب يدرك الجزئيات المادية ويحفظها دون الروح فيقتضى باستعداده قبول ذلك المعنى من الواهب الذى هو ملك روح القدس وتمكينه فى الارض يتبوء منها حيث يشاء استخلافه بالبقاء بعد الفناء عند الوصول الى مقام التمكين وهو اجر المحسن اى العابد لربه فى مقام الشهود لرجوعه الى التفصيل من عين الجمع (ولاجر الآخرة) اى الحظ المعنوى بلذة شهود الجمال ومطالعة انوار سبحات الوجه الباقى (خير

افراثيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر واقام فيه العدل واحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف فى ملكه دبر فى جمع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين الجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنين الخصبة ودخلت السنين الجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اول اوان القحط فهلك فى السنة الاولى من اول سنين القحط كل ما اعدوه فى السنة الخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر فى ايدى الناس منها شئ وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى والانعام حتى لم تبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق بايدى الناس عبد ولا امة وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى اتى عليها كلها وباعهم فى السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال اهل مصر ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى فى هؤلاء قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع قال فانى اشهد الله واشهدك انى قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وقيل ان يوسف كان لايشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان شبعت انسى الجائع وامر يوسف طباخى الملك ان يجعلوا غداءه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نشاء) يعنى نخص بنعمتنا وهى النبوة من نشاء يعنى من عبادنا (ولانضيع اجر المحسنين) قال ابن عباس يعنى الصابرين (ولاجر الآخرة) يعنى ولثواب الآخرة (خير) يعنى افضل من اجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون) يعنى يتقون مانهى الله عنه وفيه دليل على ان الذى اعدالله عزوجل ليوسف عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله فى الدنيا من الملك * قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لايعطى احدا اكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بآل يعقوب مانزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين والعربات ثغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشياه

للذين آمنوا) الايمان العينى (وكانوا يتقون) بقية الانانية . ولما رجع الى مقام التفصيل وجلس على سرير الملك للخلافة جاءه اخوته القوى الحيوانية بعد طول مفارقته اياهم فى سجن الرياضة والخلوة بمصر الحضرة القدسية والاستغراق فى عين الجمع (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه) متقربين اليه بوسيلة التأدب بآداب الروحانيين لاطمئنان النفس وتنور تلك القوى بها وتدربها بهيآت الفضائل والاخلاق متارين لاقوات العلوم النافعة من الاخلاق والشرائع (فعرفهم) مع حسن حالهم وصلاحهم بالذكاء والصفاء وفقرهم واحتياجهم الى مايطلبون منه من المعانى (وهم له منكرون) لارتقائه عن رتبتهم بالتجرد واتصافه بما لايمكنهم ادراكه من الاوصاف ولهذا استحضر القوة العاقلة العلمية بقوله (ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من ابيكم الا ترون انى اوف الكيل وانا خير المنزلين) اذ المعانى الكلية

فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغنى ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ماتحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد بأول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين ان قذفوه فى الجب وبين دخولهم عليه مدة اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفى عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع فى القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان فى تلك الساعة فى قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه سينبئهم بامرهم هذا وهم لايشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبرونى من انتم وما امركم فانى قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة قد اصابنا من الجهد ما اصاب الناس فجئنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله مانحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبى من انبياء الله تعالى قال وكم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا قال فكم انتم الآن قالوا عشرة قال واين الآخر قالوا هو عند ابينا لانه اخو الذى هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها احد قال فأتونى باخيكم الذى من ابيكم ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا فى يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو مايحتاجون اليه فى وجوههم والجهاز بفتح الجيم هى اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام واكرمهم فى النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم مايحتاجون اليه فى سفرهم (قال ائتونى بأخ لكم من ابيكم) يعنى الذى خلفتموه عنده وهو بنيامين (الاترون انى اوف الكيل) يعنى انى اتمه ولا ابخس منه شيأ وازيدكم حمل بعير آخر لاجل اخيكم اكرمكم بذلك (وانا خير المنزلين) يعنى خير المضيفين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم جواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم الاترون انى اوف الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا ان يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لايليق بالصديق ثم قال يوسف (فان لم تأتونى به) يعنى بأخيكم الذى من ابيكم (فلا كيل لكم عندى) يعنى لست اكيل لكم طعاما (ولا تقربون)

المتعلقة بالاعمال لايدركها الا تلك القوة واعلم ان المحبوبين يسبق كشوفهم اجتهادهم فيعلمون قواهم الشرائع و الاحكام ويسوسونها بعد الوصول وان اطمأنت نفسهم قبله . واما جهازهم الذى جهزهم به فهو الكيل اليسير من الجزئيات التى يمكنهم ادراكها والعمل بها وقال (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم) من المعانى الكلية الحاصلة (عندى ولا تقربون) لبعد رتبتكم عن رتبتى الا بواسطته ولما كانت العاقلة العلمية اذا لم تفارق مقام العقل المحض الى مقام الصدر لم يمكنها مرافقة القوى الحسية والقاؤها المعانى الجزئية الباعثة اياها على العمل وتحريك القوة النزوعية الشوقية نحو المصالح العقلية (قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون) اى بتصفية الاستعداد لقبول فيضه وقوله (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) اشارة الى امر القلب فتيانه القوى النباتية عند تمتيع النفس حالة الاطمئنان بايراد مواد قواهم التى يتقون بها

يعنى ولا ترجعوا ولا تقربو ابلادى وهذا هونهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الامن عنده فاذا منعهم من العود كان قدضيق عليهم فعندذلك (قالوا) يعنى اخوة يوسف (سنراود عنه اباه) يعنى سنجتهد ونحتال حتى ننزعه من عنده (وانالفاعلون) يعنى ماامرتنابه * قوله عزوجل (وقال لفتيانه) يعنى وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانه واتباعه (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) ارادبالبضاعة ثمن الطعام الذى اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهى الاوعية التى يحمل فيها الطعام وغيره (لعلهم يعرفونها) يعنى يعرفون بضاعتهم (اذا انقلبوا الى اهلهم) يعنى اذا رجعوا الى اهلهم (لعلهم يرجعون) الينا واختلفوا فى السبب الذى من اجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذافتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قدردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف ان لايكون عند ابيه شئ آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه راى ان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لؤم لشدة حاجتهم اليه وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه لايلحقهم فيه لؤم ولا عيب وقيل اراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم فى رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذاوجدوها فى رحالهم لانهم انبياء واولاد انبياء وقيل اراد برد البضاعة اليهم ان يكون ذلك عونا لابيه ولاخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ياابانا) اناقدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لوكان رجلا من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقرؤا عليه منى السلام وقولوا له ان ابانا يصلى عليك ويدعولك بما اوليتنا ثم قال لهم اين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده واخبروه بالقصة ثم قالوا ياابانا (منع منا الكيل) وفيه قولان احدهما انهم لما اخبروا يوسف بأخيهم من ابيهم طلبوا منه الطعام لابيهم واخيهم المتخلف عند ابيهم فنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثانى انه سيمنع منا الكيل فى المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولاتقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم تحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (فأرسل معنا اخانا) يعنى بنيامين (نكتل) قرئ بالياء يعنى يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعنى نكتل نحن جميعا واياه معنا (وانا له لحافظون) يعنى نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة (قال) يعنى يعقوب (هل آمنكم عليه الا كماامنتكم على اخيه من قبل) يعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف مافعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه فى يوسف وضمنتم لى حفظه وقلتم وانا له لحافظون فما فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال (فالله خير حافظا) يعنى ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه فى جميع الامور (وهو ارحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه ارسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد مافعلوا بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل

ويقتدرون على كسب كمالاتهم اذهى بضاعتهم التى يمكنهم بها الامتيار ورحالهم آلات ادراكاتهم ومكاسبهم (لعلهم يعرفونها) يعرفون قواهم وقدرهم على الاكتساب (اذاانقلبوا الى اهلهم) من سائر القوى الحيوانية كالغضبية والشهوانية وامثالهما (لعلهم يرجعون) الى مقام الاسترباح والامتيار من قوت المعانى والعلوم النافعة بتلك البضاعة (فلما رجعوا الى ابيهم) بتصفية الاستعداد والتمرن بهيآت الفضائل اقتضوا ارسال القوة العاقلة العلمية معهم لامدادهم فى فضائل الاخلاق بالمعانى دائما اى استمدوا من فيضه (قالوا ياابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون) اى نستفد منه وانالانستنزله الى تحصيل مطالبنا فنهلكه كمافعلنا حالة الجاهلية بأخيه بل نحفظه بالتعهد له ومراعاته فى طريق الكمال واخذ العهد منهم فى ارساله معهم واستيثاقه عبارة عن تقديم الاعتقاد الصحيح الايمانى على العمل والزامهم ذلك العقد والالم يستقم حالهم فى العمل

ماكان بينهم وبين يوسف اوان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم او ان شدة القحط وضيق الوقت احوجه الى ذلك ﴿ قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعنى الذى حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) يعنى انهم وجدوا فى متاعهم ثمن الطعام الذى كانوا قد اعطوه ليوسف قدرد عليهم ودس فى متاعهم (قالوا يا ابانا ما نبغى) يعنى ماذا نبغى واى شئ نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا اى شئ نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام او فى لنا الكيل ورد علينا الثمن وارادوا بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم (هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا) يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى انا نشترى لاهلنا الطعام ونحمله اليهم (ونحفظ اخانا) يعنى بنيامين مما تخاف عليه حتى نرده اليك (ونزداد كيل بعير) يعنى ونزداد لاجل اخينا على احمالنا حمل بعير من الطعام (ذلك كيل يسير) يعنى ان ذلك الحمل الذى نزداده من الطعام هين على الملك لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذى حملناه معنا كيل يسير قليل لايكفينا واهلنا (قال) يعنى قال لهم يعقوب (لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) يعنى لن ارسل معكم بنيامين حتى تؤتونى عهدالله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه (لتأتننى به) دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (الا ان يحاط بكم) قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم عندى لان العرب تقول احيط بفلان اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا ان تغلبوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعنى فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما نقول وكيل) يعنى قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كأن الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حافظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاردن عليك كليهما بعدما توكلت على وفوضت امرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا امره اليه ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب (وقال يا بنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بنى لاتدخلوا يعنى مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدى اراد الطرق لاالابواب يعنى من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد وأمرهم ان يتفرقوا فى دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين واذا

ولم يجمع (قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) اى لاتسلكوا طريق فضيلة واحدة كالسخاوة مثلا دون الشجاعة اولاتسيروا على وصف واحد من اوصاف الله تعالى فان حضرة الوحدة هى منشأ جميع الفضائل والذات الاحدية مبدأ جميع الصفات فاسلكوا طرق جميع الفضائل المتفرقة حتى تتصفوا بالعدالة فتتطرقوا الى الحضرة الواحدية وسيروا على جميع الصفات حتى يكشف لكم عن الذات وقد ورد فى الحديث ان الله تعالى تجلى على اهل المذاهب

اغتسلتم فاغتسلوا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين اخرجه ابوداود قال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله تعالى قال المازرى اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى يكون مخالفا فى نفسه ولايؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه وانكاره وقيل لابد من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبربه من امور الآخرة قال وقدزعم بعض الطبائعيين المثبتين للعين تأثيرا ان العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالعين فيهلك اويفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللدوغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازرى وهذا غير مسلم لانا بينا فى كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبائع وبينا ان المحدث لا يفعل فى غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ماقالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لايقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسد البعض باولى من عكسه فبطل ماقالوه واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لايبعد ان تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولاطبيعية الجأ العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثم جواهر ام لافهذا من مجوزات العقول لايقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفى الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطباء الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطأ فى قطعه وانما هو من الجائزات هذا مايتعلق بعلم الاصول واما مايتعلق بعلم الفقه فان الشرع قدورد بالوضوء لهذا الامر فى حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك فى الموطا واماصفة وضوء العائن فمذكور فى كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هنالك فليس هذا موضعه والله اعلم وقال وهب بن منبه فى قوله لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف ان يغتالوا لما ظهر لهم فى ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزى عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا ان الله تعالى لم يأذن له فى اظهاره ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف فى وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله تعالى بقوله (وما اغنى عنكم من الله من شئ) يعنى ان كان الله قدقضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كائن ولايغنى حذر من قدر (ان الحكم الا لله) يعنى وما الحكم الا لله وحده لا شريك له وهذا تفويض من يعقوب فى اموره كلها الى الله تعالى (عليه توكلت)

يوم القيامة فى صورة معتقدهم فيعرفونه ثم تحول الى صورة اخرى فينكرونه (وما اغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) اى لا ادفع عنكم شيأ ان منعكم توفيقه وحجبكم ببعض الحجب عن كمالاتكم فان العقل ليس اليه الا افاضة العلم لا اجادة الاستعداد ورفع الحجاب (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله) اى امتثلوا امر العقل بسلوك طرق جميع الفضائل لم يغن عنهم من جهة الله (من شئ) اى اى لم يدفع عنهم الاحتجاب بحجاب الجلال والحرمان عن لذة الوصال لان العقل لايهتدى الا الى الفطرة ولا يهدى الا الى المعرفة واما التنور بنور الجمال والتلذذ بلذة الشوق بطلب الوصال وذوق العشق بكمال الجلال والجمال بل جلال الجمال وجمال الجلال فأمر لايتيسر الا بنور الهداية الحقانية (الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) هى تكميلهم بالفضيلة (وانه لذو علم لما علمناه) لتعليم الله

يعني عليه اعتمدت في اموري كلهـا لاعلى غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماء اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلهـا (ماكان يغني عنهم من الله من شيء) وهذا تصـديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما اغني عنكم من الله من شيء (الا حاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء منقطع ليس من الاول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه اشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد اهل مصر او خاف ان لايردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه (وانه) يعني يعقوب (لذو علم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل مايعمل عن علم لاعن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لايعمل بما يعلم لايكون عالما (ولكن اكثر النـاس لايعلمون) يعني لايعلمون ماكان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لايعلم المشركون ما الهم الله اولياءه * قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنـا ان نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرم نزلهم ثم انه اضـافهم واجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معي فاخذه فاجلسـه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل امرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وسأضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعـام فقال روبيل مارأينا مثل هذا فذلك قوله آوى اليه اخاه يعني ضمه وانزله معه في منزله فلمـا خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايهـا الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسـلام وقام وعانقه و (قال) له (اني انا اخوك) يعني يوسف (فلا تبتئس) يعني لاتحزن وقال اهـل اللغة تبتئس تفتعـل وهـو الضرر والشـدة والابتئـاس اجتلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعني فلا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا من الهـلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لاتعلم اخوتك بشيء مما اعلمتك به ثم انه اوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه بنيامين قال السدي وهو لايشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني

اياه لاذو عيـان وشـهود (ولكن اكثر الناس لايعلمون) دلات فيحسبون الكمال ما عنـد العقـل من العـلم او ناس الحواس لايعلمون علم العقل الكلي (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعمـلون فلما جـهزهم بجهازهم) للتناسب بينهما في التجرد (جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنـا لنفسـد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيـه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف) مشربته التي يكيل بها على الناس اي قوة ادراكه للعلوم ليستفيد بها علوم الشرائع ويستنبط قوانين العـدالة فان العاقلة العلمية تقوى على ادراك المعقولات عند

انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدى على فاذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد ان اشهرك بأمر فظيع وانسبك الى ما لا يحمد قال لا ابالى فافعل ما بدالك فانى ادس صاعى فى رحلك ثم انادى عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه) وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد وجعلت فى وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم اذن مؤذن) يعنى نادى مناد واعلم معلم والاذان فى اللغة الاعلام (ايتها العير) وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله ايتها العير اراد اصحاب العير (انكم لسارقون) فقفوا والسرقة اخذ ما ليس له اخذه فى خفاء فان قلت هل كان هذا النداء بأمر يوسف ام لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم اقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير امره فهلا اظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه انه اخوه قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة انسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضى به فلا يكون ذنبا الثانى ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفى المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل ان يكون المنادى ربما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك احد غيرهم وغلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال اصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا واقبلوا عليهم اى عطفوا على المؤذن واصحابه ماذا اى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعنى المؤذن واصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه اصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولمن جاء به) يعنى بالصواع (حمل بعير) يعنى من الطعام (وانا به زعيم) اى كفيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

التجرد عن ملابس الوهم والخيال كما تقوى النظرية وهى القوة المدبرة لامر المعاش المشوبة بالوهم فى اول الحال . ونسبته الى السرقة لتعوده بادراك الجزئيات فى محل الوهم من المعانى المتعلقة بالمواد وبعده عن ادراك الكليات فلما تقوى عليها بالاول الى اخيه واستفادته منه تلك القوة بالتجرد فكانه قد سرق ولم يسرق . والمؤذن الذى نسبهم الى السرقة هو الوهم لوجدان الوهم تغير حال الجميع عما كانت عليه وعدم مطاوعتها له وتوهمه لذلك نقصانهم . والحمل الموعود لمن يجئ بالصواع هو التكليف الشرعى الذى يحصل بواسطة العقل العملى عند استفادته علم ذلك من القلب والصواع هو القوة الاستعدادية التى يحصل بها علمه . والفاقد لها المدهش لمتاعهم المستخرج اياها من رحل اخيه هو الفكر الذى بعثه القلب لهذا الشأن ولما كان دين روح القدس تحقيق المعارف والحقائق النظرية مما لا يتعلق بالعمل (ما كان ليأخذ اخاه) بالبحث على العمليات

بما في قوله الحمل غارم والحميل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيأ قلت لم يكونوا سراقا في الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعالة ولعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعني اخوة يوسف (تالله) التاء بدل من الواو ولا تدخل الا على اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله (لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ماجاؤا لاجل الفساد في الارض والثاني انهم ماجاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من احوالهم مايدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من امرهم انهم شدوا افواه دوابهم لئلا تؤذي زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد في حقه ممتنع واما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين فلانهم قد كانوا ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبينت براءتهم من هذه التهمة (قالوا) يعني اصحاب يوسف وهو المنادي واصحابه (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعني فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين (قالوا) يعني اخوة يوسف (جزاؤه من وجد في رحله) يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله ان يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فاراد يوسف ان يأخذ بحكم ابيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان يستعبد سنة جزاء له على جرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعني هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين) يعني مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام اصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين * قوله عز وجل (فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه) قال اهل التفسير ان اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف لابد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لازالة التهمة فجعل يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لايفتح متاعا ولا ينظر وعاء الا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ماأظن هذا اخذ شيأ قال اخوته والله لانتركك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء اخيه) انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكر ويؤنث فلما اخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ماصنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يابني راحيل مازال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في

والاستعمال على الفضائل (في دين الملك) لان دينه العلم وعلمه التعقل (الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء) اي وقت تنور النفس بنور القلب المستفاد منه وتفسح الصدر القابل للعمليات وذلك هو رفع الدرجات لان النفس حينئذ ترتفع الى درجة القلب والقلب الى درجة الروح في مقام الشهود (وفوق كل ذي علم) كالقوى (عليم) كالعقل العملي وفوقه العقل النظري وفوقه الروح وفوقه روح القدس والله تعالى فوق الكل علام الغيوب كلها ومن (قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا ياايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين) ان القلب استعد لهذا المعنى من قبل دون القوى فبقوا منكرين لهما متهمين اياهما عند أبيهما لتحصيل مطالبهما وطلب لذة وراء مايطلبونها وقيل كان لابراهيم صلوات الله عليه

رحالكم قالوا فاخذ بنيامين برفقاو قيل ان المنادي واصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه برقبته وردوه الى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذي ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق اي مثل ذلك الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف بأن حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذلك الهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل اخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابي الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معناه في اوصاف المخلوقين فانه اذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل الله معرى من المعاني المذمومة ويخلص بانه وقع بمن يكيده تدبير ما يريده به من حيث لايشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيئته بالذي يكون من اجل ان المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ماينويه ويضمره له من الذي يقع به من الكيد فهو من الله تعالى استتزا ذهو ما ختم الله به عاقبته والذي وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة وحيث جرى الامر على غير ماقدروا من اهلاكه وخلوص ابيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لانه اشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيدالله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام مائلا الى جميع ما اعطاه الله وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك ❁ وقوله تعالى (ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس اخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى الهم يوسف مادبره حتى وجد السبيل الى ذلك (الا ان يشاء الله) يعني ان ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد (نرفع درجات من نشاء) يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية دلالة على ان العلم الشريف اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولايطمع نفسه في الغلبة لانه لايخلو عالم من عالم فوقه ❁ قوله تعالى (قالوا) يعني اخوة يوسف (ان يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق اخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس

وسلامه منطقة يتوارثها اكابر اولاده فورثها من اسحق عمة يوسف لكونها كبرى من اولاده وقد حضنته بعد وفاة امه راحيل فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فلم تصبر عنه فحزمت المنطقة تحت ثيابه عليه السلام ثم قالت اني فقدت المنطقة فلما وجدت عليه سلم لها وتركه يعقوب عندها حتى مات وهي اشارة الى مقام الفتوة التي ورثها من ابراهيم الروح قبل مقام الولاية وقت شبابه وحرمتها عليه النفس المطمئنة التي حضنتها وقت وفاة راحيل اللوامة وارادة انتزاع يعقوب اياه منها اشارة الى ان العقل يريد الترقي الى كسب المعارف والحقائق واذا وجده موصوفا بالفضائل في مقام الفتوة رضي به وتركه عند النفس المطمئنة سالكا في طريق الفضائل حتى توفيت بالفناء في الله في مقام الولاية والله اعلم ❁ واسرار يوسف في نفسه كتمه علمه بقصورهم عن ادراك مقامه ونقصانهم عن كماله وهي قوله انتم شر مكانا والذي اقترح ان يأخذه يوسف

بقريب منه فان اخاه الذى هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى غير امنا واختلفوا فى السرقة التى نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابى امه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره والقاه فى الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينه اخذ دجاجة من الطير الذى كان فى بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا اخناه سلى الى يوسف فوالله ماقدر على ان يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال لها والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندى اياما انظر اليه لعل ذلك يسلينى عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لايشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لى يعنى يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانبارى وليس فى هذه الافعال كلها مايوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب ﴿ فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ﴾ فى هاء الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التى بعدها وهى قوله تعالى ﴿ قال ﴾ يعنى يوسف ﴿ انتم شر مكانا ﴾ روى هذا المعنى العوفى عن ابن عباس والثانى ان الضمير يرجع الى الكلمة التى قالوها فى حقه وهى قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابى صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التى قالوها فى حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فأسر يوسف الاحتجاج عليهم فى ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا يعنى منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة فى الحقيقة وخيانتكم حقيقة ﴿ والله اعلم بما تصفون ﴾ يعنى بحقيقة ما تقولون ❁ قوله عز وجل ﴿ قالوا ﴾ يعنى اخوة يوسف ﴿ يا ايها العزيز ﴾ يخاطبون بذلك الملك ﴿ ان له ابا شيخا كبيرا ﴾ قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل اخيه بنيامين نقره وادناه الى اذنه ثم قال ان صواعى هذا يخبرنى انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك هذا من جعله فى رحلى فنقره ثم قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى وقد رؤيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شئ وكان اذا صاح القت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد

القلب مكان اخيه العقل العملى هو الوهم لمداخلته فى المعقولات وشوقه الى الترقى الى افق العقل وحكمه فيها لا على ماينبغى وميلهم الى سياسته اياهم دون العقل العملى للتناسب الذى بينهم فى التعلق بالمادة ونزوعه الى تحصيل مآربهم من اللذات البدنية ولما وحد القلب متاعه من ادراك المعانى المعقولة عند العقل العملى دون الوهم ﴿ قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذاً لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف ﴾ ان اخذنا الوهم مكانه واوينا الينا والقينا اليه ماالقينا الى اخينا كنا مرتكبين الظلم العظيم لوضعنا الشئ فى غير محله . ويأسهم منه شعورهم بعد تكميل الوهم اياهم وتمتيعهم بدواعيه وحكمه . وكبيرهم الذى ذكرهم موثق ابيهم الذى هو الاعتقاد الايمانى وتفريطهم فى يوسف عند حكومة الوهم هو الفكر ولهذا قال المفسرون هو

يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفونى انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك اوا كفونى انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا اولا صيحن صيحة لايبقى بمصر امرأة حامل الاوضعت ولدها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه اوخذ بيده فاتى له فلمسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسنى منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يامعشر العبرانيين تزعمون ان لااحد اشد منكم فلما راوا مانزل بهم وراوا ان لاسبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا ياايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعنى فى السن ويحتمل ان يكون كبيرا فى القدر لانه نبى من اولاد الانبياء (فخذ احدنا مكانه) يعنى بدلا عنه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك (انا نراك من المحسنين) يعنى فى افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا فى توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعنى قال يوسف اعوذ بالله معاذا (ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحرزا عن الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق (انا اذا لظالمون) يعنى ان اخذنا بريئا بذنب غيره فان قلت كيف استجاز يوسف ان يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس اخاه ايضا عنده مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه مافيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع مافيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة كثيرة واحسنها واصحها انه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آبائه الماضين ولله تعالى اسرار لايعلمها احد من خلقه فهو المتصرف فى خلقه بما يشاء وهو الذى اخفى خبر يوسف عن يعقوب فى طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد ان يدبره فيهم والله اعلم باحوال عباده ❊ قوله عز وجل (فلما استيأسوا منه) يعنى ايسوا من يوسف ان يجيبهم لما سألوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرد عليهم وقال ابو عبيدة استيأسوا اى استيقنوا ان الاخ لايرد اليهم (خلصوا نجيا) يعنى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعنى فى العقل والعلم لا فى السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا وكان اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدى والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم سنا واحسنهم رأيا فى يوسف لانه نهاهم عن قتله (الم تعلموا ان اباكم) يعنى يعقوب (قد اخذ عليكم موثقا) يعنى عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) يعنى قصرتم فى امر يوسف حتى ضيعتموه (فلن ابرح الارض) يعنى الارض التى انا فيها وهى ارض مصر والمعنى فلن اخرج من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة (حتى يأذن لى ابى) يعنى فى الخروج من ارض مصر فيدعونى اليه (او يحكم الله لى) برد اخى

الذى كان احسنهم رأيا فى يوسف ومنعهم عن قتله وقوله (فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا ياابانا ان ابنك سرق) اى لا اتحرك الا بحكم العقل دون الوهم الى ان اموت وامرهم بالرجوع الى ابيهم سياسته اياهم بامتثال الاوامر العقلية (وما شهدنا الا بما علمنا) اى انا لانعلم كون ذلك المتاع عند العاقلة العلمية الا انقصا وسرقة لعدم شعورنا به وبكونه كمالا (وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التى كنا فيها) حافظين للمعنى العقلى الغيبى لانا لاندرك الا مافى عالم الشهادة وكذا اهل قريتنا التى هى مدينة البدن من القوى النباتية (والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون) من القوى الحيوانية فاسألهم ليخبروك بسرقة ابنك (قال بل سولت لكم انفسكم امرا) اى زينت طبائعكم الجسمانية لكم امر التلذذ باللذات البدنية والشهوات الحسية فحسبتموها كمالا وتتبع المعقولات والتزام الشرائع والتأسى بالفضائل نقصا

على [او يحكم الله لى] بحكم وترك اخى او يحكم الله لى بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخى (وهو خير الحاكمين) لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى الله تعالى فى اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى ابيكم) يعنى يقول الاخ الكبير الذى عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب (فقولوا) له (ياابانا ان ابنك سرق) انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة فى ظاهر الامر لافى حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وماشهدنا الا بما علمنا) يعنى ولم نقل ذلك الا بعد ان راينا اخراج الصواع وقد اخرج من متاعه وقيل معناه ماكانت مناشهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمناه وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق فى زعم الملك واصحابه لاانا نشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها اى نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لاتحتاج الى تأويل ومعناه ان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلاتقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هى الاولى وقوله وماشهدنا الا بما علمنا يعنى وماقلنا هذا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة فى عمرنا على شئ الا بما علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه سرق فايدرى هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ماشهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيه واورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كافر (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعنى ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ماذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا الى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لايعلمه الا الله فلعل الصواع دس فى رحله ونحن لانعلم بذلك (واسئل القرية التى كنا فيها) يعنى واسئل اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور فى كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هى قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير التى اقبلنا فيها) يعنى واسأل القافلة التى كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وانا لصادقون) يعنى فيما قلناه وانما امرهم اخوهم الذى اقام بمصر بهذه المقالة مبالغة فى ازالة التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم انفسكم امرا) فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم فى سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوه لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعنى بل زينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم معكم الى مصر لطلب نفع عاجل فآل الامر الى ما آل اليه

(فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل فى العمل بالشرائع والفضائل دائما والوقوف مع حكم الشرع والعقل اوصبر جميل على الاستمتاع على وجه الشرع اجمل بكم من الاباحة والاسترسال بحكم الطبيعة اوفامرى صبر جميل فى بقاء يوسف القلب واخوته على استشراق الانوار القدسية واستنزال الاحكام الشرعية واستخراج قواعدها التى لامدخل لى فيها فلابدلى من فراقهم الى اوان فراغهم الى رعاية مصالح الجانبين والوفاء بكلا الامرين اى المعاش والمعاد فان العقل كما يقتضى طلب الكمال واصلاح المعاد يقتضى صلاح البدن وترتيب المعاش وتعديل المزاج بالغذاء وتربية القوى باللذات اوفامرى صبر جميل على ذلك (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) من جهة الافق الاعلى والترقى عن طورى الى مايقتضيه نظرى ورأيى من مراعاة الطرفين ومقامى ومرتبتى من اختيار التوسط بين المنزلتين (انه هو العليم) بالحقائق (الحكيم) بتدبير العوالم

معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق (فصبر جميل) تقدم تفسيره فى اول السورة * وقوله (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) يعنى يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذى اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجرى عليه وعلى بنيه من اول امره وهو رؤيا يوسف وقوله يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله ان يأتينى بهم جميعا (انه هو العليم) يعنى بحزنى ووجدى عليهم (الحكيم) فيما يدبره ويقضيه * قوله تعالى (وتولى عنهم) يعنى واعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم (وقال يا اسفا على يوسف) الاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك

يقول أتبكى كل قبر رايته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت له ان الاسى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

فأجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من ام واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام فى قوله يا اسفا على يوسف فقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا الى الله لا منه فقوله يا اسفا على يوسف معناه يارب ارحم اسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ وتلخيصه يا الهى ارحم اسفى اوانت راءٍ اسفى اوهذا اسفى فنادى الاسف فى اللفظ والمنادى سواه فى المعنى ولا مأثم اذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم فى شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا اسفا على يوسف اى اشكو الى الله شدة اسفى على يوسف ولم يشكه الى احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بثى وحزنى الى الله (وابيضت عيناه من الحزن) اى عمى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيأ ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) اى مكظوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذى يردد حزنه فى جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه الى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البنانى ووهب بن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى ايها

فلا يتركهم مراعين للجهة العلوية ذاهلين عن الجهة السفلية فيخرب مدينة البدن ويهلك أهلها وذلك قبل التمنيع التام الذى اشرنا اليه اذ هو مقام الاجتهاد بعد الكشف والسلوك فى طريق الاستقامة بعد التوحيد (وتولى عنهم وقال يااسفى على يوسف) اى اعرض عن جانبهم وذهل عن حالهم لحنينه الى يوسف القلب وانجذابه الى جهته (وابيضت عيناه من الحزن) اولا بوقوعه فى غياهب الجب وكلال قوة بصيرته لفرط التأسف على فراقه ثم بترقيه عن طوره وفنائه فى التوحيد وتخلفه عنه وعدم ادراكه لمقامه وكماله فبقى بصره حسيرا غير بصير بحال يوسف (فهو كظيم) مملوء من فراقه وقولهم (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اوتكون من الهالكين قال انما اشكوا بثى وحزنى الى الله) اشارة الى شدة حنينه ونزوعه وانجذابه الى جهة القلب فى تلك الحالة دونهم لشدة المناسبة بينهما فى التجرد والميل الى العالم العلوى وقوله (واعلم

الصديق قال يوسف جبرئيل صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فما ادخلك مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى اطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله يا اطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين المخلصين الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بآبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلاء قال فما له من الاجر ياجبريل قال اجر مائة شهيد قال امترانى لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما ابالى مالقيت ان رايته ❁ قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لابيهم (تالله تفتؤا تذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولاتفتر عن حبه يقال مافتئ يفعل كذا اى مازال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ❁ ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى

اى لا ابرح قاعدا ❁ وقوله (حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرض مادون الموت يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسدا لاعقل له والحرض الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا من الهم واصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن او الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعنى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (اوتكون من الهالكين) يعنى من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شئ لم يعلموا حقيقته قطعا قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر اى نقوله ظنا منا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعنى يعقوب عندما راى قولهم له وغلظتهم عليه (انما اشكو بثى وحزنى الى الله) اصل البث اثارة الشئ وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث اشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث اشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما اشكو حزنى العظيم وحزنى القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزى روى الحاكم ابو عبدالله فى صحيحه من حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى اذهب بصرك وما الذى قوس ظهرك قال اما الذى اذهب بصرى فالبكاء على يوسف واما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك اما تستحى ان تشكو الى غيرى فقال انما اشكو بثى وحزنى الى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جارله فقال له يا يعقوب مالى اراك قد تهشمت بالضعف وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابواك فقال هشمنى وافنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب اتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى

من الله مالا تعلمون) اشارة الى علم العقل برجوع القلب الى عالم الخلق ووقوفه مع العادة بعد الذهاب الى الجهة الحقانية وانخلاعه عن حكم العادة عن قريب كما سئل احدهم ما النهاية قال الرجوع الى البداية ولهذا العلم قال (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولاتيأسوا من روح الله) وذلك عند فراغه عن السلوك بالكلية ووصول اثر ذلك الفراغ الى العقل بقربه الى رتبته فى التنزل والتدلى فيأمر القوى باستنزاله الى مقامهم بطلب الحظوظ فى صورة الجمعية البدنية وتدبير معايشهم ومصالحهم الجزئية وذلك هو الروح الذى نهاهم عن اليأس منه اذا المؤمن يجد هذا الروح والرضوان فى الحياة الثانية التى هى بالله فيحيابه ويتمتع بحضوره بجميع انواع النعيم ولذات جنات الافعال والصفات والذات بالنفس والقلب والروح دون الكافر قال (انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وقولهم (فلما دخلوا عليه قالوا ياايها العزيز

قال

قال قد غفر تهالك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكو بثى وحزنى الى الله وقيل ان الله اوحى اليه وعزتى وجلالى لا اكشف مابك حتى تدعونى فعند ذلك قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله ثم قال اى رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصرى وقوست ظهرى فاردد على ريحانتى اشمهما شمة قبل ان اموت ثم اصنع ماشئت فأتاه جبرئيل فقال يايعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك ابشر فوعزتى لوكانا ميتين لنشرتهما لك اتدرى لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين و هو صائم فلم تطعموه منها شيأ وان احب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى امر مناديا ينادى من اراد ان يتغدى فليأت آل يعقوب و اذا افطر امر ان ينادى من اراد ان يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدى امه وهى تخور فلم يرحمها فان قلت هل فى هذه الروايات مايقدح فى عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سيآت المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر منصبهم وشرف رتبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام من اهل بيت النبوة و الرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من انبيائه بمحنة فصبر وفوض امره الى الله فابراهيم عليه الصلاة والسلام القى فى النار فصبر ولم يشك الى احد واسمعيل ابتلى بالذبح فصبر وفوض امره الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمى بعد ذلك اوضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى احد شيأ مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما اشكو بثى وحزنى الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل فى الدنيا والدرجات العلا فى الآخرة مع من سلف من ابويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذما ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبى صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن وما نقول الا مايرضى ربنا فهذا القدر لايقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس * وقوله (واعلم من الله مالا تعلمون) يعنى انه تعالى من رحمته واحسانه يأتى بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابنى يوسف فى الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع فى رؤيته فلذلك قال واعلم من الله مالا تعلمون وقيل معناه واعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق وانى وانتم سنسجد له وقال السدى لما اخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله فى جميع اقواله وافعاله احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك قال بنى

مسنا واهلنا الضر) اشارة الى عسرهم وسوء حالهم وضيقهم فى الوقوف مع الحقوق (وجئنا ببضاعة مزجاة) الى ضعفهم لقلة موادقواهم وقصورغذائهم عن بلوغ مرادهم وقولهم (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين) ا ستعطافهم اياه بطلب الحظوظ وقوله (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه اذا نتم جاهلون) اشارة الى تنزل القلب الى مقامهم فى محل الصدر ليعرفوه فيتذكروا حالهم فى البداية وما فعلوا به فى زمان الجهل والغواية وقولهم (قالوا أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى) تعجب منهم عن حاله تلك الهيئة النورانية والابهة السلطانية وبعدها عن حال بدايته وقوله (قدمنّ الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) اشارة الى علة ذلك وسبب كماله وقولهم (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين) اشارة الى تهدى القوى عند الاستقامة الى كماله ونقصها وقوله (قال لا ترب

يعقوب (يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون فى الخير وبالجيم يكون فى الشر ومنه الجاسوس وهو الذى يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانبارى يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه اقيم من مقام عن قال ويجوز ان يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واخيه روى عن عبدالله بن يزيد عن ابى فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدى ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الى والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرا يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما نذكره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه (ولا تيأسوا) اى ولا تقنطوا (من روح الله) يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعنى ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك * قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند ابيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا ياايها العزيز) يعنون ياايها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا واهلنا الضر) اى الشدة والفقر والجوع وارادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) اى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجوز من البائع واصل الازجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشئ لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتناء بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة اما لنقصانها او لرداءتها او لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبى ومقاتل كانت حبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجى العيش اى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لتدافع بها الزمان وليست مما ينتفع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها (فأوف لنا الكيل) يعنى اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى انا نريد ان تقيم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردئ (وتصدق

عليكم اليوم) لكونها مجبولة على افعالها الطبيعية وقوله (يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا) اشارة الى براءتها من الذنب عند التنور بنور الفضيلة والتامر بامره عند الكمال * والقميص هو الهيئة النورانية التى اتصف بها القلب عند الوصول الى الوحدة فى عين الجمع والاتصاف بصفات الله تعالى وقيل هو القميص الارثى الذى كان فى تعويذه حين القى فى البئر وهو اشارة الى نور الفطرة الاصلية كما ان الاول اشارة الى نور الكمال الحاصل له بعد الوصول والاول اولى بتبصير عين العقل فان العقل لما لم تكتحل بصيرته بنور الهداية الحقانية عمى عن ادراك الصفات الالهية (وأتونى بأهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا) اى ارجعوا الى عن آخركم

علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردئ ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانبارى ولا كان الذى يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء قبل نبينا ام لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد فى تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم والصدقة اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن سواه واجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عادتهم من المسامحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغى الثواب وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغى الثواب قل اللهم اعطنى وتفضل على وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعنى برد اخينا علينا (ان الله يجزى المتصدقين) يعنى بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه مؤمن (قال) يعنى قال يوسف لاخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) وقد اختلفوا فى السبب الذى من اجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لى انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركته رقة على اخوته فباح بالذى كان يكتم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه ببيعه من مالك وفى آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا ايها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بأمتعتنا الى ابينا بمكان كذا وكذا فذلك حين ادركته الرقة عليهم والرحمة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب ابيه اليه لم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما وقع ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدرى من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذى فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا فى حبسه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا لما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منكم يا بنى راحيل خيرا (اذ انتم جاهلون) [illegible] اذ انتم جاهلون [illegible] انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين [illegible] وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف * قوله [illegible] على سبيل الاستفهام وهذه قراءة [illegible]

فى مقام الاعتدال ومراعاة التوسط فى الافعال فان القلب متوسط بين جهتى العلو والسفالة وانضموا الى وائتمروا بأمرى واقربوا منى ولا تبعدوا عن مقامى فى طلب اللذات البدنية بمقتضى طباعكم . وريحه الذى وجده من بعيد هو وصول آثر رجوع القلب الى عالم العقل والمعقول واقباله اليه من محض التوحيد بتجهيز القوى الحيوانية بجهاز الحظوظ على حكم العدالة وقانون الشرع والعقل فقد قيل انه جهز العير بأجمل ما يكون ووجههما الى كنعان . وضلاله القديم هو تعشقه بالقلب ازلا وذهوله عن جهتهم وقوله (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل) اشارة الى سابق علمه

عباس لماقال لهم هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما أئنك لأنت يوسف وقرئ على الخبر وحجته ماقال ابن عباس ايضا فى رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها فعرفوه بها وقالوا انت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى (قال انا يوسف) قال بعض العلماء انما اظهر الاسم فى قوله انا يوسف ولم يقل اناهو تعظيما لمانزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكأنه قال انا يوسف المظلوم الذى ظلمتمونى وقصدتم قتلى بان القيتمونى فى الجب ثم ابعتمونى بأبخس الأثمان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال (وهذا اخى) وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا وهذا اخى المظلوم كما ظلمتمونى ثم صرت انا وهو الى ماترون وهو قوله (قد من الله علينا) بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير فى الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة فى ديننا ودنيانا (انه من يتق ويصبر) يعنى يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل يتق الله بأداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لايضيع اجر المحسنين) يعنى اجر من كان هذا حاله (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم فى حقه (تالله لقد آثرك الله علينا) اى اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله ايثارا اى اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال ابو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التى اعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة واورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبياء ايضا فليس له عليهم فضل فى ذلك واجيب عنه بأن يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان افضل ممن خص بالنبوة فقط (وان كنا لخاطئين) يعنى وما كنا فى صنعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما ان يقال خطئ خطأ اذا تعمد واخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون آثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآى لان خاطئين اشبه بما قبلها (قال) يعنى يوسف (لا تثريب عليكم) يعنى لاتعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب اى لايعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفى محل قوله (اليوم) قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وانا لا اقرعكم اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثانى ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدأ باليوم يغفر الله لكم كانه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو ارحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال ابيه فقال ما حال ابى بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك

برجوع القلب الى مقام العقل . واستغفاره لهم تقريره اياهم على حكم الفضائل العقلية بالاستقامة بعد صفائهم وذكاهم وقبولهم للهيات النورانية بعد خلع الظلمانية . ودخولهم على يوسف هو وصولهم الى مقام الصدر حال الاستقامة . ودخولهم مصر كون الكل فى حضرة الجمعية الالهية الواحدية مع تفاضل مراتبهم فى عين جمع الوحدة . ورفع ابويه على العرش عبارة عن ارتفاع مرتبتى العقل والنفس عن مراتب سائر القوى وزيادة قربهما اليه وقوة سلطنتهما عليها . وخرورهم له سجدا عبارة عن انقياد الكل وطاعتهم له بالامر الوحدانى بلا فضل حركة بأنفسهم بحيث لايتحرك منها شعر ولا ينبض لها عرق الا بالله . وتأويل رؤياه صورة ماتقرر فى استعداده الاول من قبول هذا الكمال (قد جعلها ربى حقا) اخرجها من القوة الى الفعل (وقد احسن بى) بالبقاء بعد الفناء (اذ اخرجنى من السجن) سجن الخلوة التى كنت فيها

فأعطاهم قميصه وقال (اذهبوا بقميصى هذا) قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد امره جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه والقى فى النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى قصبة من فضة وسد راسها وجعلها فى عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما القى يوسف فى البئر عريانا اتاه جبريل واخرج له ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامره ان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه ريح الجنة فلايقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى فى الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصى هذا (فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحى الله اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اباه قد عمى من كثرة البكاء علاه وضيق الصدر بعث اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر تمكن معرفته من جهة العقل ✽ وقوله (واتونى باهلكم اجمعين) قال الكلبى كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامراة (ولما فصلت العير) يعنى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى ارض كنعان (قال ابوهم) يعنى قال يعقوب لولد ولده (انى لاجد ريح يوسف) قيل ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب بريح يوسف قبل ان يأتيه البشير وقال مجاهد اصابت يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ريح الجنة فعلم انه ليس فى الارض من ريح الجنة الا ماكان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال انى لاجد ريح يوسف (لولا ان تفندون) اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراى وقال ابن الانبارى افند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعى اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو التفنيد والفند فيكون المعنى لولا ان تفندونى اى تنسبونى الى الخرف وقيل تسفهونى وقيل تلوموني وقيل تجهلونى وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمونى فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعنى لولاد اولاد يعقوب واهله الذين عنده لان اولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (تالله انك لفى ضلالك القديم) يعنى من ذكر يوسف ولا تنساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم يعنى من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما ان جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدى قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف اكله الذئب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره انه حى فافرحه كما احزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به

محجوبا عن شهود الكثرة فى عين الوحدة ومطالعة الجمال فى صفات الجلال (وجاء بكم من البدو) بدو خارج مصر الحضرة الالهية (من بعد ان نزغ الشيطان) شيطان الوهم (بينى وبين اخوتى) بتحريضه اياهم على القائى فى قعر بئر الطبيعة بانهماكهم وتهالكهم على اللذات البدنية (ان ربى لطيف لما يشاء) يلطف باحبابه بتوفيقهم للكمال وتدبير امورهم بحسب مشيئته الازلية وعنايته القديمة (انه هو العليم) بما فى الاستعدادات (الحكيم) بترتيب اسباب الكمال وتوفيق المستعد للوصول اليه (رب قد آتيتنى من الملك) اى من توحيد الملك الذى هو توحيد الافعال (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) اى معانى المغيبات وما يرجع اليه صورة الغيب وهو من باب توحيد الصفات (فاطر السموات والارض) سموات الصفات فى مقام القلب وارض توحيد الافعال فى مقام النفس (انت ولى فى الدنيا والاخرة) بتوحيد الذات فى الدنيا

حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة فلم يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (القاه على وجهه) يعنى فألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعنى فرجع بصيرا بعدما كان عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون) يعنى من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة * قوله تعالى (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا) يعنى قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف استغفر لنا اى اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعنى فى صنيعنا (قال سوف استغفر لكم ربى) قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذى يقول الله فيه هل من داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفرلى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما اتوا الى اخيهم يوسف فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه اخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس اخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبى سوف استغفر لكم ربى قال حتى اسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى (انه هو الغفور) يعنى لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الاترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى ابيه مائتى راحلة وجهازا كثيرا ليأتوه بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر يعنى ملك مصر وعرفه بمجئ ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك فى اربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا ابت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعنى ضم اليه (ابويه) قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قدماتت فى نفاس بنيامين وقال الحسن هما ابوه وامه

فى دنيا الملك واخرة الملكوت (توفنى مسلما) افننى عنى فى حالة كونى منقادا لامرك لا طاغيا ببقاء الانية (والحقنى بالصالحين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) الثابتين فى مقام الاستقامة بعد الفناء فى التوحيد (وما يؤمن اكثرهم بالله) الايمان العامى (الاوهم مشركون) باثبات موجود غيره او الايمان العينى الا وهم مشركون باحتجابهم بانانيتهم (افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) حجاب يحجب استعدادهم عن قبول الكمال من هيئة راسخة ظلمانية (او تأتيهم الساعة) القيامة الصغرى (بغتة وهم لا يشعرون) بنور الكشف والتوحيد فلا يرتفع حجابهم فيبقون فى الاحتجاب ابدا (قل هذه) السبيل التى اسلكها

وكانت حية بعد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول اصح (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان بها اي ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع ابويه على العرش) يعني على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخروا له سجدا) يعني يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلى منصبا في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولان احدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك ابلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رايتهم لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه (وقال) يعني وقال يوسف عندما راى ذلك (يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل) يعني هذا تصديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر (قد جعلها ربي حقا) يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ستة وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن

وهي سبيل توحيد الذات (سبيلي) المخصوص بي ليس عليه الا انا وحدي (ادعوا الى الله على بصيرة) الذات الاحدية الموصوفة بكل الصفات في عين الجمع (انا ومن اتبعني) في هذه السبيل وكل من يدعوا الى هذه السبيل فهو من اتباعي اذ الانبياء قبلي كلهم كانوا داعين الى المبدا والمعاد والى الذات الواحدية الموصوفة ببعض الصفات الا ابراهيم عليه السلام فانه قطب التوحيد ولهذا كان صلى الله عليه وسلم من اتباعه باعتبار الجمع دون التفصيل اذ لا متمم لتفاصيل الصفات الا هو عليه الصلاة والسلام والا لكان غيره خاتما لسبيل الحق كما ختم لان كل احد لا يمكنه الدعوة الا الى المقام الذي بلغ اليه من الكمال (وسبحان الله) انزهه من ان يكون غيره على سبيله بل هو السالك سبيله والداعي الى ذاته (وما انا من المشركين) المثبتين للغير في مقام التوحيد الذاتي المحتجبين عنه بالانانية بل انانيه فاني عني فهو الداعي الى سبيله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي

الحسن ان يوسف كان عمره حين القى فى الجب سبع عشرة سنة واقام فى العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة * وقوله (وقد احسن بى) يعنى انعم على يقال احسن بى والى بمعنى واحد (اذ اخرجنى من السجن) انما ذكر انعام الله عليه فى اخراجه من السجن وان كان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لاتثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه فى اخراجه من السجن كانت اعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله فى العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من اعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعنى من البادية واصل البد وهو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعنى يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى) يعنى افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول فى امر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما فى الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضى اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى فى الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك (ان ربى لطيف لما يشاء) يعنى انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد فى هدايتهم وقوله ان ربى لطيف لما يشاء اى حسن الاستخراج تنبيها على ما اوصل الى يوسف حيث القاه اخوته فى الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه (انه هو العليم) يعنى بمصالح عباده (الحكيم) فى جميع افعاله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة فى اهنا عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر ابيه اسحق فى الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما امره به ابوه فحمل جسده فى تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص اخى يعقوب وكانا قد ولدا فى بطن واحد فدفنا فى قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعا واربعين سنة فلما دفن يوسف اباه وعمه رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لايدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) اى يارب (قد آتيتنى من الملك) يعنى من ملك مصر ومن هنا للتبعيض

اليهم من اهل القرى) اى من كان فيه بقية من الرجولية من اهل قرى الصفات والمقامات لا من مصر الذات فان البقاء الحاصل لاهل التمكين لايكون الا بقدر الفناء والرجوع الى الخلق لايكون الا على حسب العروج فالفناء التام والعروج الكامل لايكون الا للقطب الذى هو صاحب الاستعداد الكامل الذى لارتبة الا قد بلغها ويلزم ان يكون الرجوع التام الشامل لجميع تفاصيل الصفات عند البقاء له وهو الخاتم ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كان بنيان النبوة تم ورصف وبقى منه موضع لبنة واحدة فكنت انا تلك اللبنة والى هذا المعنى اشار بقوله بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (افلم يسيروا فى الارض) ارض استعدادهم (فينظروا كيف كان) نهاية الامر (عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) وغاية كمالهم فيبلغوا منتهى اقدامهم ويحصلوا كمالاتهم بحسب استعداداتهم فان لكل احد خاصية واستعداده الخاص يقتضى

لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع فى المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) يعنى تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعنى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وافطر الله الخلق اوجده وابدعه (انت وليي) يعنى معينى ومتولى امرى (فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما) اى اقبضنى اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب للوفاة فى الحال ام لا على قولين احدهما انه سأل الله الوفاة فى الحال قال قتادة لم يسأل نبى من الانبياء الموت الا يوسف قال اصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه اسبوع حتى توفى والقول الثانى انه سال الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت فى الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفنى اذا توفيتنى على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس فى اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة فى الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وان نعيم الآخرة باق دائم لانفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمن احدكم الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضرر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه اولى * وقوله (والحقنى بالصالحين) اراد به بدرجة ابائه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفى التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة امرأة ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه فى النيل فى صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن فى محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه فى النيل بحيث يجرى الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن فى الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب فاخصب واجدب الجانب الايمن فدفنوه فى وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى الى ان اخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام فى الارض المقدسة * قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق (من انباء الغيب) يعنى اخبار الغيب (نوحيه اليك) يعنى الذى اخبرناك به من اخبار يوسف وحى اوحيناه اليك يا محمد وفى هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد آخر غير بلده الذى نشأ فيه صلى الله عليه وسلم ولانه نشأ بين امة امية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح عبارة فعلم بذلك ان الذى اتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له باقية الى آخر الدهر * وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعنى وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب (اذ اجمعوا امرهم) يعنى

سعادة خاصة هى عاقبته ومن الاطلاع على خواص النفوس وغايات اقدامهم فى السير يحصل للنفس هيئة اجتماعية من تلك الكمالات هى كمال الامة المحمدية على حسب اختلاف استعداداتهم وهى الدار الآخرة التى هى خير للذين اتقوا صفات نفوسهم التى هى حجب الاستعدادات (افلا تعقلون) ان هذا المقام خير مما انتم عليه من الدار الفانية وتمتعاتها فانها لهى الحيوان لو كانوا يعلمون (حتى اذا استيأس الرسل) اى ساروا واتقوا وتراخى فتحهم ونصرهم فى الكشوف على كفرة قوى النفس حتى اذا استيأس الرسل الذين هم اشراف القوم من بلوغ الكمال (وظنوا انهم قد كذبوا) كذبتهم ظنونهم فى استعدادهم للكمال او رجائهم (جاءهم نصرنا) بالتأييد والتوفيق من امداد انوار الملكوت والجبروت (فنجى من نشاء) من اهل العناية من الرسل واتباعهم (ولا يرد بأسنا) قهرنا بالحجب والتعذيب (عن القوم المجرمين) باظهار

حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام فى الجب (وهم يمكرون) يعنى يوسف (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ماعندهم فى التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له (وماتسئلهم عليه من اجر) يعنى على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله من اجر يعنى اجرا وجعلا على ذلك (ان هو) اى ماهو يعنى القرآن (الاذكر) يعنى عظة وتذكيرا (للعالمين وكأين من آية) يعنى وكم من آية دالة على التوحيد (فى السموات والارض يمرون عليها) يعنى لايتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) اى لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى باعجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون) يعنى ان من ايمانهم انهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفى رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفى رواية اخرى عنه ايضا انها نزلت فى تلبية مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لبيك لاشريك لك الاشريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا فى الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم فى الرخاء فاذا اصابهم البلاء اخلصوا فى الدعاء (افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) يعنى عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعنى الصواعق والقوارع (اوتأتيهم الساعة بغتة) يعنى فجأة (وهم لايشعرون) يعنى بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم فى اسواقهم (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلى) يعنى طريقى التى (ادعو) اليها وهى توحيد الله عزوجل ودين الاسلام وسمى سبيلا لانه الطريق المؤدى الى الله عزوجل والى الثواب والجنة (الى الله) يعنى الى توحيد الله والايمان به (على بصيرة) يعنى على يقين ومعرفة والبصيرة هى المعرفة التى يميز بها بين الحق والباطل (انا ومن اتبعنى) يعنى من آمن بى وصدق بما جئت به ايضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبى وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به ان يدعو الى مادعا اليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله ادعو الى الله ثم استأنف على بصيرة انا ومن اتبعنى يعنى انا على بصيرة ومن اتبعنى ايضا على بصيرة قال ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قدمات اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرقهم فهو لانهم كانوا على الصراط المستقيم * وقوله (وسبحان الله) اى وقل سبحان الله يعنى تنزيها له عما لايليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد (وما انا من المشركين) يعنى وقل

صفات نفوسهم على قلوبهم فيكسبونها الهيآت الفاسقة الحاجبة المؤذية (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب) اى مايعبر بها عن ظاهرها الى باطنها كما عبرنا فى قصة يوسف الاولى العقول المجردة عن قشور الوهميات الخالصة عن غشاوات الحسيات (ما كان) هذا القرآن (حديثا يفترى) من عند النفس (ولكن تصديق الذى بين يديه) كان ثابتا قبله فى اللوح (وتفصيل كل شئ) اجل فى عالم القضاء وهداية الى التوحيد (وهدى ورحمة) بالتجليات الصفاتية من وراء استار آياته (لقوم يؤمنون) بالغيب لصفاء الاستعداد

﴿ سورة الرعد ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) اى الذات الاحدية واسمه العليم واسمه الاعظم ومظهره الذى هو الرحمة التامة على ماشير اليه (تلك آيات الكتاب) معظمات علامات كتاب الكل الذى هو الوجود المطلق وآياته الكبرى (و) المعنى (الذى انزل اليك من ربك الحق) من العقل الفرقانى وهذا

يا محمد وما انا من المشركين الذى اشركوا بالله غيره ❁ قوله عز وجل (وما ارسلنا من قبلك الارجالا) يعنى وما ارسلنا قبلك يا محمد الارجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (نوحى اليهم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك (من اهل القرى) يعنى انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادى لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل عقلا من اهل البوادى قال الحسن لم يبعث نبى من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم (افلم يسيروا فى الارض) يعنى هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هؤلاء بهم وماحل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعنى فعلنا هذا باوليائنا واهل طاعتنا اذا نجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما فى الدار الآخرة خير لهم يعنى الجنة لانها خير من الدنيا وانما اضاف الدار الى الآخرة وان كانت هى الآخرة لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (افلا تعقلون) يعنى يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون ❁ قوله عز وجل (حتى اذا استيأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما ارسلنا من قبلك الارجالا نوحى اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم (وظنوا انهم قد كذبوا) قرا اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائى كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ماقاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعانى كذبوا من قولهم كذبتك الحديث اى لم اصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابو على والضمير فى قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولايمتنع حمل الضمير فى وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى فى قوله افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى مكذبى الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ماروى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا فى وعد قومهم اياهم الايمان اى وعدوا ان يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم لاينصرون اورجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لانصر لهم فى

الذى [illegible] فى الحروف هو الحق (ولكن اكثر الناس لايؤمنون الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) اى بعمد غير مرئية هى ملكوتها التى تقومها وتحركها من النفوس السماوية اوسموات الارواح بلا مادة تعمدها فتقوم هى بها بل مجردة قائمة بانفسها (ثم استوى) مستعليا (على العرش) بالتأثير والتقويم او على عرش القلب بالتجلى (وسخر الشمس والقمر) شمس الروح بادراك المعارف الكلية واستشراق الانوار العالية وقمر القلب بادراك ما فى العالمين جميعا والاستمداد من فوق ومن تحت ثم قبول تجليات الصفات بالكشف (كل يجرى لاجل مسمى) اى غاية معينة هى كماله بحسب الفطرة الاولى (يدبر الامر) فى البداية بتهيئة الاستعداد وترتيب المبادى (يفصل الآيات) فى النهاية بترتيب الكمالات والمقامات المترتبة فى السلوك على حسب تجليات الافعال والصفات (لعلكم بلقاء ربكم) عند مشاهدات آيات

الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرا اوتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن مايخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية واما الظن الذى هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معول عليه من جهتين احداهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على ان اهل الكفر ظنوا ما لايجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولايستحقون ظفرا ولانصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعنى وايقنوا يعنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لايرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا ان من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطؤا النصر اتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى وظنوا بالرسل ظن حسبان ان ربهم قد كذبهم فى وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم ولطول البلاء بهم لا انهم كذبوهم فى كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا فالكناية فى وظنوا الرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا اوكذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وماهو بالظن فقالت ياعروة اجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفى رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابى مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب لها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا ان يكون معهم من قومهم من يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة * وقوله تعالى (جاءهم نصرنا) يعنى جاء نصر الله النبيين (فنجى من نشاء) من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فنجى المؤمنين المطيعين (ولايرد بأسنا) يعنى عذابنا (عن القوم المجرمين) يعنى

المتجليات (توقنون) عين اليقين (وهو الذى مد الارض) ارض الجسد (وجعل فيها رواسى وانهارا) العظام وانهار العروق (ومن كل الثمرات) ثمرات الاخلاق والمدركات (جعل فيها زوجين اثنين) اى صنفين متقابلين كالجود والبخل والحياء والقحة والفجور والعفة والجبن والشجاعة والظلم والعدالة وامثالها وكالسواد والبياض والحلو والحامض والطيب والنتن والحرارة والبرودة والملاسة والخشونة وامثالها (يغشى الليل النهار) ليل ظلمة الجسمانيات على نهار الروحانيات كتغشية القوى الروحانية بآلاتها والروح بالجسد (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فى صنع الله وتطابق عالمية الاصغر والاكبر (وفى الارض) ارض الجسد (قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل) من العظم واللحم والشحم والعصب وجنات من اشجار القوى الطبيعية والحيوانية والانسانية من اعناب القوى الشهوانية التى يعصر منها خمر هوى النفس

المشركين

المشركين ۞ قوله تعالى (لقد كان فى قصصهم) يعنى فى خبر يوسف واخوته (عبرة) اى موعظة (لاولى الالباب) يعنى يتعظ بها اولو الالباب والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ماليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة الذى قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القائه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال فى اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال فى آخرها لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب فدل على ان هذه القصة من احسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثا يفترى) يعنى ما كان هذا القرآن حديثا يفترى ويختلق لان الذى جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه او يختلقه لانه لم يقرا الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما فى التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شئ) يعنى ان فى هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شئ تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد فى امر دينهم ودنياهم (وهدى) يعنى الى كل خير (ورحمة) يعنى انزلناه رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين ينتفعون به والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد

قال ابن الجوزى اختلفوا فى نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه ابو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احداهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثانى انها مدنية رواه عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدنى منها قوله هو الذى يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق وهى ثلاث وقيل خمس واربعون آية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انا الله اعلم وارى وروى عطاء عنه انه قال ان معناه انا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اى آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها ۞ ثم قال (والذى انزل اليك من ربك الحق) يعنى من القرآن كله هو الحق الذى لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة فى قوله تلك الاخبار والقصص اى الاخبار والقصص التى

والقوى العقلية التى يعصر منها خمر المحبة يعصر العشق وزرع القوى النباتية ونخيل سائر الحواس الظاهرة والباطنة (صنوان) كالعينين والاذنين والمنخرين (وغير صنوان) كاللسان وآلة الفكر والوهم والذكر (تسقى بماء واحد) هو ماء الحياة (ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات) اكل الادراكات والملكات كتفضيل مدركات العقل الحس والبصر على اللمس وملكة الحكمة على العفة وامثالها (لقوم يعقلون) عجائب صنعه (وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) عن قولهم فهو مكان التعجب لان الانسان فى كل ساعة خلق آخر جديد بل العالم لحظة فلحظة خلق جديد بتبدل الهيئة والاحوال والاوضاع والصور فكيف ينكر الخلق الجديد من نظر فى عالم الكون والفساد بعين الاعتبار (اولئك الذين كفروا بربهم) حجبوا عن شهود افعال الربوبية وتجلياتها فكيف عن تجليات الصفات

قصصنا عليك يا محمد هى آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذى انزل اليك يعنى وهذا القرآن الذى انزل اليك يا محمد من ربك الحق اى هوالحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة ارادبآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذى هو القرآن ثم قال والذى انزل اليك من ربك الحق يعنى وهذا القرآن الذى انزل اليك من ربك هو الحق الذى لاشك فيه ولا تناقض (ولكن اكثرالناس لا يؤمنون) يعنى مشركى مكة نزلت هذه الآية فى الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهى الاساطين والدعائم التى تكون تحت السقف وفى قوله (ترونها) قولان احدهما ان الرؤية ترجع الى السماء يعنى وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعنى ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفى العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثانى ان الرؤية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول اصح * وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه فى سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعنى ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على مايريد (كل يجرى لاجل مسمى) يعنى الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعنى انهما يجريان فى منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوز انها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة (يدبر الامر) يعنى انه تعالى يدبر امر العالم العلوى والسفلى ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على اكمل الاحوال لايشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعنى انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهى خلق السموات والارض ومافيهما من العجائب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثانى الموجودات الحادثة فى العالم وهى الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يعنى انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكى توقنوا وتصدقوا بلقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاده واحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم

الالهية (واولئك الاغلال فى اعناقهم) فلا يقدرون ان يرفعوا رؤسهم المنكسة الى الارض القاصر نظرها الى مايدانيها من الحس فيروا ملكوت الارواح ويشاهدوا عالم القدرة ومايبعد عن منازل الحس من المعقولات (واولئك اصحاب النار) نيران جهنم الافعال فى قعر هاوية الطبيعة (هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بمناسبة استعدادهم للشر لاستيلاء الهيآت المظلمة والرذائل عليها فينزعون الى الشر لغلبة الشر عليهم (وقد خلت من قبلهم المثلات) عقوبات امثالهم (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم على انفسهم باكتساب تلك الهيآت الفاسقة الحاجبة عن النور لمن لم ترسخ فيه ولم تبطل استعداد فيزيلها بنور رحمته (وان ربك لشديد العقاب) لمن ترسخت فيه وصارت رينا وابطلت الاستعداد (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر) حجبوا فلم يروا الآيات الشاهد على النبوة

* قوله تعالى (وهو الذي مد الارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر اردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطحة كالاكف وعند اصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مد الارض وانه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعني في الارض (رواسي) يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وارساه غيره اثبته قال ابن عباس كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض (وانهارا) يعني وجعل في الارض انهارا جارية لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين احمر واصفر وحلوا وحامضا (يغشي الليل النهار) يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (لآيات) اي دلالات (لقوم يتفكرون) يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله اذا كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك لانه يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول حقيقتها * قوله عز وجل (وفي الارض قطع متجاورات) يعني متقاربات بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبائع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع (وجنات) يعني بساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر باشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من اعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي النخلات يجتمعن من اصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو ابيه يعني انهما من اصل واحد (وغير صنوان) هي النخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق (يسقى بماء واحد) يعني اشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح (ونفضل بعضها على بعض في الاكل) يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والنرسيان والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وانزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان الماء قليلا قيل انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل

من اتصافه بصفات الله لعدم ادراكهم وعمى بصائرهم فلذلك لم يعدوها آيات واقترحوها على حسب هواهم ما عليك الا انذارهم لاهدايتهم اذ الهداية الى الله (ولكل قوم هاد) يناسبهم بحسب الحدسية الفطرية فيألفونه عند كماله وتلقيه النور الالهي ويقبلون الهداية منه فيهديهم الله على مظهره فمن ناسبك بتلك الجنسية الاصلية قبل الهداية منك ومن لا فلا وتلك اسرار خفية لا يعلمها الا (الله) الذي (يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد) فيعلم ما تحمل انثى النفس من ولد الكمال اي ما في قوة كل استعداد وما تزيد ارحام الاستعداد بالتزكية والتصفية وبركة الصحبة من الكمالات وما تنقص منها بالانهماك في الشهوات (وكل شيء) من الكمالات (عنده بمقدار) معين على حسب القابلية او كل شيء من قوة قبول في استعداد مقدر عنده بمقدار في الازل من فيضه الاقدس لا يزيد ولا ينقص او لكل قوم هاد

عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ماجالس القرآن احد الاقام من عنده بزيادة اونقصان قال الله تعالى ونتزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وقوله تعالى (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر (لآيات لقوم يعقلون) يعنى فيتدبرون ويتفكرون فى الآيات الدالة على وحدانيته * قوله تعالى (وان تعجب فعجب قولهم) العجب تعبيد النفس رؤية المستبعد فى العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب مالايعرف سببه ولهذا قيل العجب فى حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لايخفى عليه خافية والخطاب فى الآية للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يامحمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب امرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين مالايضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وماضرب لهم به الامثال مارأوا فعجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر فى النفوس ان الاعادة اهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم (أئذا كنا ترابا) يعنى بعد الموت (أئنا لفى خلق جديد) يعنى تعاد خلقا جديدا بعد الموت كما كنا قبله * ثم ان الله تعالى قال فى حقهم (اولئك الذين كفروا بربهم) وفيه دليل على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من انكر البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وان الله على كل شئ قدير ومن انكر ذلك فهو كافر (واولئك الاغلال فى اعناقهم) يعنى يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلا بالغل (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى انهم مقيمون فيها لايخرجون منها ولا يموتون (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجئ وقته والمراد بالسيئة هنا هى العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم (وقد خلت من قبلهم المثلات) يعنى وقد مضت فى الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثاء المثلثة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا ليرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعنى للمصرين على الشرك الذى ماتوا عليه وقال مجاهد انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب * قوله تعالى (ويقول الذين كفروا) يعنى من اهل مكة (لولا) اى هلا (انزل عليه) يعنى على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعنى مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم (انما انت منذر) اى

هو الله تعالى كما قال انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء لعلمه بما فى الاستعدادات من قوة القبول وزيادتها ونقصانها فيقدر بحسبها كالاتم (عالم الغيب والشهادة) غيب مافى الاستعدادات من قوة القبول وشهادة الكمالات الحاضرة الخارجة الى الفعل (الكبير) الشأن الذى يجل عن اعطاء مايقتضيه بعض الاستعدادات بل يسع كلها فيعطيها مقتضياتها (المتعال) عن ان ينقطع فيضه فيتأخر عن حصول الاستعداد وينقص عما يقتضيه (سواء منكم من اسر القول) فى مكمن استعداده (ومن جهر به) بابراز العلم من القوة الى الفعل (وهو مستخف بالليل) بليل ظلمة نفسه (و) من هو (سارب بالنهار) بخروجه من مقام النفس وذهابه فى نهار نور الروح (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) امداد متعاقبة من الملكوت واصلة اليه من امر الله (يحفظونه من امر الله) خطفات جن القوى الخيالية والوهمية وغلبات البهيمية والسبعية

ليس عليك يامحمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شئ (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادى هوالله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعى والمعنى انما عليك الانذار يامحمد والهادى هوالله يهدى من يشاء وقال عكرمة فى رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما انت منذر وانت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى ولكل قوم نبى يهديهم وقال ابو العالية الهادى هو العمل الصالح وقال ابو صالح الهادى هو القائد الى الخير لا الى الشر * قوله تعالى (الله يعلم ماتحمل كل انثى) لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات اخبرهم الله عزوجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعنى من ذكر او انثى سوى الخلق اوناقص الخلق واحدا او اثنين اوا كثر (وماتغيض) يعنى وماتنقص (الارحام وماتزداد) قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا فى الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد فى الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة فى وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهرة فان رأت خمسة ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان فى الغذاء زيادة فى مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فأقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا فى اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعى وقال حماد بن ابى سلمة انما سمى هرم بن حيان هرما لانه بقى فى بطن امه اربع سنين وعند مالك ان اكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شئ عنده بمقدار) يعنى بتقدير وحد لايجاوزه ولاينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على اكمل الوجود وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذى لايقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ماغاب عن خلقه ومايشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ماغاب عن الحس والشاهد ماحضر الحس (الكبير) اى العظيم الذى يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعنى المنزه عن صفات النقص المتعالى عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص * قوله تعالى (سواء منكم من اسر القول ومن جهر به) اى مستو منكم من اخفى القول اوكتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى فى علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) اى مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) اى ذاهب بالنهار فى سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبى السارب المتصرف فى حوائجه قال ابن عباس فى هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار ارى الناس انه برئ من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشئ اذا اظهرته واخفيته اذا

واهلاكها اياه (ان الله لايغير مابقوم) من نعمة وكمال ظاهر اوباطن (حتى يغيروا مابأنفسهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له ومالهم من دونه من وال) من الاستعداد وقوة القبول فان القبض الالهى عام متصل كالماء الجارى المترالى قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فيتلون بلون الاستعداد فمن تكدر استعداده تكدر فيضه فزاده فى شره ومن صفى استعداده تصفى فيضه فزاده فى خيره وكذا النعم الظاهرة لابد فى تغيرها الى النقم من استحقاق جلى اوخفى ولهذا قال المحققون ان الدعاء الذى لا يتخلف عنه الاستجابة المشار اليه بقوله ادعونى استجب لكم هو الذى يكون بلسان الاستعداد وعن بعض السلف ان الفأرة مزقت خفى وماعلم ذلك الابذنب احدثته والاماسلطها الله على وتمثل بقول الشاعر * لوكنت من مازن لم تستبح ابلى * (هو الذى يريكم البرق) برق لوامع الانوار القدسية والخطفة الآلهية (خوفا) اى خائفين

كيمته وسارب بالنهار اى متوار دخل فى السرب مستخفيا ومعنى الآية سواء ما اضمرت به القلوب او نطقت به الالسن وسواء من أقدم على القبائح مستترا فى ظلمات الليل اواتى بها ظاهرا فى النهار فان علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعنى لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وان كان الملائكة ذكور لان واحدها معقب وجمعها معقبة ثم جمع المعقبة كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بنى آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيآت وكاتب الحسنات امين على كاتب السيآت فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول انظره لعله يتوب اويستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والاقال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عزوجل رفعه بها وان تجبر على الله عزوجل وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لايدعه يدخل فى فيه شئ من الهوام يؤذيه فهؤلاء خمسة املاك موكلون بالعبد فى ليله وخمسة غيرهم فى نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) يعنى يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من امر الله بامر الله واذنه مالم يجئ القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما امر الله به من الحفظ له قال مجاهد مامن عبد الاوملك موكل به يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شئ يأتيه يؤذيه الاقال له الملك وراءك الاشئ يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه اى يحفظون عليه الحسنات والسيآت وهذا على قول من يقول ان الآية فى الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيآت وقال عكرمة الآية فى الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير فى قوله له راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فى معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن ابن زيد نزلت هذه الآية فى عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد وكانت قصتهما على مارواه الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما من بنى عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فى نفر من اصحابه فدخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يارسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يامحمد مالى ان اسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك

من سرعة انقضائه وبطء رجوعه (وطمعا) اى طامعين فى ثباته وسرعة رجوعه (وينشئ السحاب) سحاب السكينة (الثقال) بماء العلم اليقينى والمعرفة الحقة (ويسبح الرعد بحمده) رعد سطوة التجليات الجلالية اى يسبح الله ويمجده عما يتصور فى العقل من ترد عليه تلك التجليات لوجدانه مالايدركه العقل ويحمده حق حمده بالكمال المستفاد من ذلك التجلى حمدا فعليا فيكون التسبيح للرعد الموجب لذلك او السطوة تسبح بنفس التجلى المنزه عن ان يدرك بالادراك العقلى (والملائكة من خيفته) اى ملكوت القوى الروحانية من هيبته وجلاله (ويرسل الصواعق) صواعق السبحات الآلهية تجلى القهر الحقيقى المتضمن للطف الكلى فيسلب الوجود عن المتجلى عليه ويفنيه عن بقية نفسه كما ورد فى الحديث ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لوكشفها لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه (فيصيب بها

ماعلى المسلمين قال تجعل الامر لى بعدك قال ليس ذلك لى انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلنى على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لى قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك لى اليوم ثم معى اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتنى اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وماصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فى يوم صحو قائظ فاحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وشبابا مردا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يمنعنى الله من ذلك وابناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج فى اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض فى الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن ابصرت محمدا وصاحبه يعنى ملك الموت لانفذنهما برمحى فارسل الله اليه ملكا فلطمه فارداه فى التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره واجاب الله عزوجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عامر بن الطفيل فمات بالطعن واربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عزوجل فى شأن هذه القصة سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله اى بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ❊ وقوله (ان الله لايغير مابقوم) خطاب لهذين عامر ابن الطفيل واربد بن ربيعة يعنى لايغير مابقوم من العافية والنعمة التى انعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بانفسهم) يعنى من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى (واذا اراد الله بقوم سوء) يعنى هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعنى لايقدر احد ان يردما انزل الله بهم من قضائه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعنى وليس لهم من دون الله من وال يلى امرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم ❊ قوله عزوجل (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عزوجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوء ذكر فى هذه الآية من عظيم قدرته مايشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذى يعنى هو الله الذى يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفى كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع فى نزول المطر الثانى انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن فى جرينه يعنى بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له فى نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان فى غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان فى مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا امطرت قحطت واذا لم تمطر اخصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعنى بالمطر

من يشاء) من عباده المحبوبين والمحبين العشاق المشتاقين (وهم يجادلون فى الله) بالتفكر فى صفاته والنظر العقلى فى اثباته ومايجب له ويمتنع عليه من الصفات (وهو شديد المحال) القوى فى رفع الحيل العقلية فى الادراك وطمس نور بصيرته بالتجلى واحراقه بنور العشق (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه) اى الدعوة الحقية التى ليست بالباطل له لالغيره يدعو نفسه فيستجيب كما قال الا لله الدين الخالص اى الدين الخالص ليس الا دينه ومعناه ان الدعوة الحقة الحقيقة بالاجابة هى دعوة الموحد الفانى عن نفسه الباقى بربه وكذا الدين الدين الخالص دينه . والدعاة القائمون بأنفسهم لا يدعون الا من تصوره ونحتوه فى خيالهم فلا يستجاب لهم الا كاستجابة الجماد الذى يطلب منه الشئ ولعمرى انه لايدعو الله الا الموحد وغيره يدعو الغير الموهوم الذى لا قدرة له

ولا وجود فلا استجابة وهو الذي حجب استعداده بصفات نفسه فلا يعلم ما استحقه فضاع دعاؤه ولا يكون مثل هذا الدعاء الا في ضياع اودعوة الحق جل وعلا لاتكون الاله اودعوة المدعو الذي هو الحق هي الدعوة المختصة بذاته لايدعى بها غيره من اسمائه وصفاته من دونه انه لايستجيبهم المدعو الا استجابة كاستجابة داعي الماء بالاشارة لكونهم محجوبين (وما دعاء الكافرين) المحجوبين (الا في ضلال) ضياع (ولله يسجد) ينقاد (من في السموات والارض طوعا وكرها) من الحقائق الروحانيات كاعيان الجواهر وملكوت الاشياء (وظلالهم) اى هياكلهم واجسادهم التي هي اصنام تلك الروحانيات وظلالها ولهذا قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السجدة سجدلك وجهي وسوادي وخيالي اى حقيقة ذاتي وسواد شخصي وخيال نفسي اى وجودي وعيني وشخصي (طوعا وكرها) اى شاؤا اوابوا والمعنى ملزمهم ذلك الاضطرار

يقال انشا الله السحابة فنشأت اى ابداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله على بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء اولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء واصل السحب الجر وسمى السحاب سحابا بالماجر الريح له اولجره الماء اولانجراره في سيره (ويسبح الرعد بحمده) اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول ماعطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) واذا كان المعطوف مغاير المعطوف عليه وجب ان يكون غيره واجيب عنه انه لايبعد ان يكون الرعد اسما لملك من الملائكة وانما افرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ماهو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث امرت قالوا صدقت اخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا واراد به هنا آلة تزجربها الملائكة السحاب وقدجاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان اصابته صاعقة فعلى ديته وكان عبدالله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لوان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء في نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لايبقى ملك في السماء الارفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عزوجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عزوجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شئ الايسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عزوجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة اعوان السحاب اعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم اولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار او عذاب اوموت وهي في ذاتها شئ واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلك بها كما اصاب اربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون

في الله

فى الله) يعنى يخاصمون فى الله وقيل الجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله من جدلت الحبل اذا احكمت فتله نزلت فى شان اربدبن ربيعة حين قال النبى صلى الله عليه وسلم مم ربك من در أم من ياقوت ام من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبى صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم اخبرونى عن رب محمد هذا الذى تدعونى اليه هل هو من ذهب اوفضة اوحديد اونحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله مارأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيا بل قال أ اجيب محمدا الى رب لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الاولى شيأ بل قال اخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لايزيدهم على مقالته شيأ اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافروهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم ذلك قالوا قداوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله واختلفوا فى هذه الواو فقيل واوالحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء فى حال جداله فى الله وذلك ان اربد لما جادل فى الله اهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو استئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون فى الله (وهو شديد المحال) اى شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم يمحل به محلا اذا اراد به سوأ وقيل هو من قولهم يمحل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال بأعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولايتوقعونه وقيل المحل من الحول وهوالحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين فى معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال و ذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون فى الله اخبر انه اشد جدالا منهم * قوله تعالى (له دعوة الحق) يعنى لله دعوة الصدق قال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لااله الاالله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سوله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالانفع فيه ولا جدوى فيرد دعاءه الثانى ان تضاف الى الحق الذى هوالله على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن انه هوالحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ماوجه اتصال هذين الوصفين بما قبلهما قلت اما على قصة

الاان بعضهم طائع وبعضهم كاره (بالغدو والآصال) اى دائما (قل الله قل افاتخذتم من دونه) اى من كل ماعداه كائنا من كان (اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولاضرا) اذ القادر المالك هو الله لاغير (قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) اى من كل ماعداه كائنا من كان اذ القادر المالك هو الله لاغير انزل من السماء ماء) من سماء روح القدس ماء العلم (فسالت اودية بقدرها) اودية القلوب بقدر استعداداتها (فاحتمل السيل) سيل العلم (زبدا رابيا) من حيث صفات ارض النفس ورذائلها ودناياها (ومما يوقدون عليه فى النار) فى نار العشق من المعارف والكشوف والحقائق والمعانى التى تهيج العشق (ابتغاء حلية) زينة النفس وبهجتها لكونها كالات لها (او متاع) من الفضائل الخلقية التى يحصل بسببها فانها مما يتمتع به النفس (زبد مثله كذلك

اريد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون فى الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعا عليهم وقيل فى معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لايكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعنى والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهى الاصنام التى يعبدونها (لايستجيبون لهم بشئ) يعنى لايجيبونهم بشئ يريدونه من نفع اودفع ضرر ان دعوهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه) يعنى الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لايشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاءه اويبلغ فاه وكذلك مايدعونه جماد لايحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولايقدر على نفعهم وقيل شبهم فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا اصابعه لايكون فى يده منه شئ ولايبلغ الى فيه منه شئ كذلك الذى يدعو الاصنام لانها لاتضر ولا تنفع ولايفيده منها شئ وقيل شبه بالرجل العطشان الذى يرى الماء من بعيد بعينيه فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلايأتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا نفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه فى الماء لاينفعه ذلك مالم يغرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لاينفعهم البتة * ثم ختم هذا بقوله (وما دعاء الكافرين) يعنى اصنامهم (الا فى ضلال) يعنى يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس فى هذه الآية اصواتهم محجوبة عن الله تعالى * قوله عز وجل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) فى معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول ففى معنى الآية وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من فى السموات يعنى الملائكة ومن فى الارض من الانس يعنى المؤمنين طوعا وكرها يعنى من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعنى المنافقين الداخلين فى المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لايرجون على سجودهم ثوابا ولايخافون على تركه عقابا بل سجودهم و عبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثانى هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففى اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من فى السموات ومن فى الارض ان يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من

يضرب الله الحق والباطل) خبث كالظرالها ورؤيتها وتصور النفس كونها كاملة او فاضلة متزينة بزينة تلك الاوصاف واعجابها واحتجابها وسائر مايعد من آفات النفس وذنوب الاحوال (فاما الزبد فيذهب جفاء) مرميا به منفيا بالعلم كما قال ليطهركم به (واما ماينفع الناس) من المعانى الحقية والفضائل الخالصة (فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال) فى ارض النفس (للذين استجابوا لربهم) بتصفية الاستعداد عن كدورات صفات النفس (الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهو الكمال الفائض عليهم عند الصفاء المعبر عنه بقوله نور على نور (والذين لم يستجيبوا له لوان لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) لم يتزكوا عن الرذائل البشرية والكدورات الطبيعية لايمكنهم الافتداء بكل مافى الجهة السفلية من الاموال والاسباب التى انجذبوا اليها بالمحبة فأهلكوا نفوسهم لان تلك سبب زيادة البعد والهلاك فكيف تكون سببا لخلاصهم عن تلك

في السموات من ملك ومن في الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له ❊ وقوله تعالى (وظلالهم بالغدوّ والآصال) الغدوة والغداة اول النهار وقيل الى نصف النهار والغدوّ بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع اصل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي مابين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لايبعد ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدوّ والآصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم ❊ قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا اجابوك بذلك فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله (قل الله) اى قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لاينكرون ان الله خالق كل شئ فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) اى قل يا محمد للمشركين (افاتخذتم من دونه) يعني من دون الله (اولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام (لايملكون) يعني وهم لايملكون (لانفسهم نفعا ولاضرا) فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (ام هل تستوي الظلمات والنور) يعني الشرك والايمان والمعنى كما لايستوي الاعمى والبصير كذلك لايستوي الكافر والمؤمن وكما لاتستوي الظلمات والنور كذلك لايستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمى لايهتدي سبيلا كذلك الكافر لايهتدي سبيلا (ام جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقه) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل

الظلمات وتبرئهم عنها لاينفعهم عند رسوخ هيآت التعلق بها في انفسهم (اولئك لهم سوء الحساب) لوقوفهم مع الافعال في مقام النفس الذي هو مقام العدل الالهي فلابد لهم من المناقشة في الحساب (ومأويهم جهنم وبئس المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) صفات النفس ونيران الحرمان وهيآت السوء (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم) عند تجلي الصفات في مقام القلب فيشاهدون جلال صفة العظمة ويلزمهم الهيبة والخشية (ويخافون سوء الحساب) عند تجلي الافعال في مقام النفس وينظرون الى البطش والعقاب فيلزمهم الخوف (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة) في سلوك سبيله عن المألوفات طلبا لرضاه واشتغلوا بالتزكية بالعبادات المالية والبدنية

رأو اغيرالله خلق شيأ فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جلو لله شركاء خلقوا خلقامثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكارى أى ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكر و بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لايخلقون شيأ حتى يشتبه خلق بخلق الله الشركاء اذا كان الامر كذلك فقدلزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شئ) أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شئ مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شئ من العموم الذى يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شئ وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعنى والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته * وقوله عزوجل (انزل من السماء ماء) لما شبه الله عزوجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السماء ماء يعنى المطر (فسالت اودية بقدرها) اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت اودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال فى الوادى فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء فى النهر فحذف فى لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بمثلها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار مائها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل لايعم جميع الارض ولايسيل فى كل الاودية بل ينزل فى ارض دون ارض ويسيل فى واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السماء ماء يعنى قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الماء نفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعو او اصاب طائفة منها اخرى انما هى قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الذى ارسلت به قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وغيره فى معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلأ فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش واما قوله وكان منها اجادب فبالجيم والدال المهملة والباء الموحدة كذا فى الصحيحين وهى الارض التى لاتنبت الكلأ جمع جدب على غير قياس وقياسه اجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابى هى التى تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفى رواية الهروى اخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهى الغدير الذى يمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو فى صحيح مسلم من الرعى ووقع فى صحيح البخارى وزرعوا بزيادة زاى من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض

ويدفعون بالفضيلة رذيلة النفس (اولئك لهم عقبى الدار) بالرجوع الى الفطرة او صبروا عن صفات نفوسهم ابتغاء وجه ربهم اى لمحبة الذات لا لمحبة الصفات واقاموا صلاة المشاهدة وانفقوا مما رزقناهم من المقامات والاحوال والكشوف والاعمال سرا بالتجريد عن هيآتها وهيآت الركون اليها والمحبة اياها وعلانية بتركها وعدم الالتفات اليها ويدرؤن بالحسنة الحاصلة من تجلى الصفة الالهية السيئة التى هى صفة النفس اولئك لهم عقبى الدار اى البقاء بعد الفناء (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم) اى ثلاثتها يدخلون جنة الذات مع من صلح من اباء الارواح وجنة الصفات بالقلوب وجنة الافعال بمن صلح من ازواج النفوس وذريات القوى (والملائكة) من اهل الجبروت والملكوت (يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب الصفات مسلمين محيين اياهم بتحايا الاشراقات النورية والامداد القدسية كل ذلك

وقوله

وقوله فذلك مثل من فقه فى دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام وامامعنى الحديث ومقصوده فهو ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التى اصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة انواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التى تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعى وغيرذلك وكذلك النوع الاول من الناس من بلغه الهدى وغيرذلك من العلم فيحيابه قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية للعلوم بمار زقت من صفاء الفهوم النوع الثانى من انواع ارض لاتقبل الانتفاع فى نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهى امساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثانى من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم افهام ثاقبة فيبقى ماعندهم من العلم حتى يجئ المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من انواع الارض سبخة لاتنبت مرعى ولاتمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولاافهام ثاقبة فاذا بلغهم شئ من العلم لاينتفعون به فى انفسهم ولاينفعون غيرهم والله اعلم * وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد مايعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحبب وكذلك مايعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذى حدث من ذلك الماء زبدا (رابيا) يعنى عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدا بمثل آخر فقال تعالى (ومما يوقدون عليه فى النار) الايقادجعل الحطب فى النار لتتقدتلك النار تحت الشئ ليذوب (ابتغاء حلية) يعنى لطلب زينة والضمير فى قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لاتطلب الامنهما (اومتاع) يعنى اولطلب متاع آخر مماينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه ممايذاب وتتخذمنه الاوانى وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل مايتمتع به ويقال لكل ماينتفع به فى البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاوانى متاع (زبدمثله) يعنى ان ذلك الذى يوقدعليه فى النار اذا اذيب فله ايضا زبدمثل زبد الماء فالصافى من الماء ومن هذه الجواهر هوالذى ينتفع به وهومثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هوالذى لاينتفع به وهومثل الباطل وهوقوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هوالجوهر الصافى الثابت والباطل هوالزبد الطافى الذى لاينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعنى ضائعاباطلا والجفاء مارمى به الوادى من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا فى وقت فانه يضمحل ويذهب (واما ماينفع الناس) يعنى الماء الصافى والجوهر الجيد من هذه الاجسام التى تذاب (فيمكث فى الارض) يعنى يثبت ويبقى ولايذهب (كذلك يضرب الله الامثال) قال اهل التفسير والمعانى هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق فى بعض الاوقات والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد الذى يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافى الذى ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذى هو الكدر وهومابنفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك

بسبب صبرهم على اللذات الحسية (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امرالله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وماالحياة الدنيا فى الآخرة الامتاع ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) اى ليس الهداية والضلال بالآيات فان فى كل شئ آية وكفى بالآيات المنزلة على رسول الله واعاها بالمشيئة الالهية يضل من يشاء لعدم الاستعداد او لحجبهم الغواشى الظلمانية (ويهدى اليه من اناب) بتصفية الاستعداد من الحجبين وكما ان اهل الضلال فريقان عديم الاستعداد وحاجبه بظلمة البشرية فكذلك اهل الهداية قسمان محبوبون يهتدون بغير الانابة لقوة الاستعداد ومحبون يهديهم الله بعد الانابة كما قال يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (الذين آمنوا)

الحق والباطل فالباطل وان علا فى وقت فانه يذهب هو واهله والحق يظهر هو واهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافى الذى ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذى لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذى يحصل فى قلوب العباد على ما قسم لها فى الازل لان الوادى اذا سال كنس كل شئ فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك اذا سال وادى قلب العبد بالنور الذى قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى يذهب البواطل وهى الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهى الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال * وقوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل اللام فى للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعنى اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعنى الجنة وقيل الحسنى هى النعمة العظمى فى الحسن وهى المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعنى الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) يعنى لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (اولئك) يعنى الذين لم يستجيبوا لربهم (لهم سوء الحساب) قال ابراهيم النخعى سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شئ (ومأواهم) يعنى فى الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعنى وبئس ما مهد لهم فى الآخرة وقيل المهاد الفراش يعنى وبئس الفراش يفرش لهم فى جهنم * قوله تعالى (افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق) يعنى فيؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو اعمى) يعنى اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وابى جهل بن هشام وقيل نزلت فى عمار بن ياسر وابى جهل فالاول هو حمزة او عمار والثانى هو ابو جهل وحمل الآية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى لرشد وربما وقع فى مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان لرشد وهما واقعان فى المهلكة (انما يتذكر اولو الالباب) يعنى انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار * قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعنى الذى عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو تركيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعنى يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والاكثرون

اى الميبون الذين آمنوا الايمان العلمى بالغيب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذكر النفس باللسان والتفكر فى النعم او ذكر القلب بالتفكر فى الملكوت ومطالعة صفات الجمال والجلال فان للذكر مراتب ذكر النفس باللسان والتفكر فى النعم وذكر القلب بمطالعة الصفات وذكر السر بالمناجاة وذكر الروح بالمشاهدة وذكر الخفاء بالمناغاة فى المعاشقة وذكر الله بالفناء فيه والنفس تضطرب بظهور صفاتها واحاديثها وتطيش فيتلون القلب بسببها ويتغير باحاديثها فاذا ذكر الله استقرت النفس وانتفت الوساوس كما قال عليه الصلاة والسلام ان الشيطان يضع خرطومه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس فاطمأن القلب وكذا ذكر القلب بالتفكر فى الملكوت ومطالعة انوار الجبروت واما سائر الاذكار فلا تكون الا بعد الاطمئنان والعمل الصالح ههنا التزكية والتحلية و (طوبى لهم) بالوصول الى الفطرة وكمال الصفات

على ان المراد به صلة الرحم عن عبدالرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته اوقال بتته اخرجه ابو داود والترمذى (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له فى رزقه وان ينسأله فى اثره فليصل رحمه صلة الرحم برة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسأله فى اثره الاثر هنا الاجل وسمى الاجل اثرالانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمرادبه تأخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان يبارك الله له فى عمره فكأنما قدزاد فيه والثانى ان يزيده فى عمره زيادة حقيقية والله يفعل مايشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة قاطع زاد فى رواية قال سفيان يعنى قاطع رحم (خ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ماتصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل ومثراة فى المال ومنسأة فى الاثر اخرجه الترمذى ❁ وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعنى انهم مع وفائهم بعهدالله وميثاقه والقيام بما امرالله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر مايكون ذلك علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعنى على طاعة الله وقال ابن عباس على امرالله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصى وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصى من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ماتزل به من الامراض والمصائب واصل الصبر حبس النفس عما تقتضيه العقل اوالشرع اوعما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته ماذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قديصبر ليقال ما اكمل صبره واشدقوته على ماتحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الاعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثانى الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا فى ذلك الصبر ثواب الله محتسبا اجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعنى صبروا على مانزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه (واقاموا الصلوة) يعنى الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام اركانها وهيآتها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر

(وحسن مآب) بالدخول فى جنة القلب جنة الصفات (كذلك ارسلناك فى امة قدخلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لااله الاهو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اوقطعت به الارض اوكلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعدالله ان الله لايخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) اى يقوم عليها بايجاد كل ماينسب اليها من مكاسبها قيوم لها وبمكسوباتها وانما سمى مكسوبها وان كان مخلوق الله تعالى لانه انما اظهره عليها لاستعداد فيها يناسبه قبلته من الله تعالى فمن جهة قبول المحل وصلاحيته لمظهريته ومحليته ينسب الى كسبها مع قيام الحق تعالى بايجاده لانها اقتضته اوقائم عليها بحسب كسبها او بمقتضاها اى كما يقتضى

مكسوباتهـا من الصفـات والاحـوال التى تعرض لاسـتعدادها بفيض عليها من الجزاء الذى هو الهيآت الكمالية النورايـة المثيبة اياهـا اوالهيآت الكدرة الظلمانيـة المعـذبة اياها (وجعـلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبؤنه بمالايعلم فى الارض ام بظـاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصـدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد لهم عـذاب فى الحيوة الدنيا ولعـذاب الآخرة اشـق ومالهـم من الله من واق مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلهـا دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقـبى الكافرين النـار والذين آتيناهم الكتـاب يفرحون بما انزل اليـك ومن الاحزاب من ينـكر بعضـه قل انما امرت ان اعبـدالله ولااشرك به اليه ادعواواليه مآب وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعدماجاءك من العلم مالك من الله من ولى ولاواق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسـول

مايخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم اولى (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء وهو معنى قوله ان الحسـنات يذهبن السيآت ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قدخنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل اخرى فانفكت اخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لايكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبى معنـاه اذا سـفه عليهم حلموا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتـادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبدالله بن المبارك هذه ثمان خلال مشـيرة الى ابواب الجنة الثمانية قلت انما هى تسع خلال فيحتمل انه عدخلتين بواحدة ولماذكر الله عزوجل هذه الخلال من اعمـال البر ذكر بعدهاما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى (اولئك) يعنى من اتى بهذه الاعمـال (لهم عقبى الدار) يعنى الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبى الدار يعنى بسـاتين اقامة يقـال عدن بالمكان اذا اقام به (يدخلونها) يعنى الدار التى تقدم وصفها (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) يعنى ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسـان لاينفع بغير اعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه اصلح فى عمله قال الواحدى والصحيح ماقاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه فى اهله حيث بشره يدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على انهم يدخلونهـا كرامة للمطيع العامل الآتى بالاعمال الصالحة ولوكان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع ولافائدة فى الوعد به اذ كل من كان صـالحا فى عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازى قوله تعالى وازواجهم ليس فيه مايدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها اومات عنه وروى انه لما كبرت سودة اراد النبى صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته ان لايفعل ووهبت يومها لعائشة فأمسكها رجاء ان تحشر فى جملة ازواجه فهو كالدليل على ماذكرناه * وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعنى من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد به التحية من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) يعنى يقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعنى يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التى كنتم تخافونها فى الدنيا وادخلكم بمـا صبرتم فى دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السـلام قول والصبر فعل ولايكون القول ثوابا بالفعل فعلى هذا يكون قوله سـلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعنى سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم فى مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوى بسنده عن ابى

امامة

امامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على اريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم ادنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول الذى يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ اقصاها هم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبى الدار) يعنى فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله احوال السعداء وما اعدلهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده احوال الاشقياء ومالهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعنى خالفوا امره ومعنى من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه على انفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل) يعنى ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة (ويفسدون فى الارض) يعنى بالكفر والمعاصى (اولئك) يعنى من هذه صفته (لهم اللعنة) يعنى الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعنى النار لان منقلب الناس فى العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهى الجنة والكفار لهم سوء الدار وهى النار * قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله (وفرحوا بالحيوة الدنيا) يعنى مشركى مكة لما بسط الله عليهم الرزق اشروا وبطروا والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحيوة الدنيا فى الآخرة) يعنى بالنسبة الى الآخرة (الامتاع) اى قليل ذاهب قال الكلبى المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها فى الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لابقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعنى من اهل مكة (لولا انزل عليه آية من ربه) يعنى هلا انزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) اى قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عزوجل وهو قوله (ويهدى اليه من اناب) يعنى ويرشد الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه بكليته (الذين آمنوا) بدل من قوله من اناب (وتطمئن قلوبهم) يعنى وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك (الا بذكر الله تطمئن القلوب) يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا فى الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت اليس قد قال الله تبارك وتعالى فى اول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما فى حال واحد قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد

ان يأتى بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب) لكل وقت امر مكتوب مقدر ومفروض فى ذلك الوقت على الخلق فالشرائع معينة عند الله بحسب الاوقات فى كل وقت يأتى بما هو صلاح ذلك الوقت رسول من عنده وكذا جميع الحوادث من الآيات وغيرها وما كان لرسول ان يأتى بشئ منها الا باذنه فى وقته لانها معينة بازاء الاوقات التى تحدث فيها من غير تغير وتبدل وتقدم وتأخر (يمحو الله ما يشاء) عن الالواح الجزئية التى هى النفوس السماوية من النقوش الثابتة فيها فيعدم عن المواد ويفنى (ويثبت) ما يشاء فيها فيوجد (وعنده ام الكتاب) اى لوح القضاء السابق الذى هو عقل الكل المنتقش بكل ما كان ويكون ازلا وابدا على الوجه الكلى المنزه عن المحو والاثبات فان الالواح اربعة لوح القضاء السابق العالى عن المحو والاثبات وهو لوح العقل الاول ولوح القدر اى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيها كليات اللوح الاول

والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة اعين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي رواية اخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي اصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن ابي امامة وابي هريرة وابي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو ان رجلا ركب فرسا او حقة او جذعة ثم دار بأرض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة رحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرؤا ان شئتم وظل ممدود * وقوله تعالى (وحسن مآب) يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الآخرة وهي الجنة * قوله عز وجل (كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم) يعني كما ارسلنا يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبياء قبلك الى امم قد خلت ومضت (لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك)

ويتعلق بالسماء وهو المسمى باللوح المحفوظ ولوح النفوس الجزئية السماوية التي ينتقش فيها كل ما في هذا العالم بشكله وهيئته ومقداره وهو المسمى بالسماء الدنيا وهو بمثابة خيال العالم كما ان الاول بمثابة روحه والثاني بمثابة قلبه ثم لوح الهيولى القابل للصور في عالم الشهادة والله اعلم (واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اولم يروا انا نأتي الارض) نقصد ارض الجسد وقت الشيخوخة (ننقصها من اطرافها) بتواكل الاعضاء وتخاذل القوى وكلالة الحواس شيأ فشيأ حتى يموت (والله يحكم) على هذا الوجه (لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) لا راد ولا مبدل لحكمه او نأتي ارض النفس وقت السلوك ننقصها من اطرافها بافناء افعالها

يعنى لتقرا على امتك الذى اوحينا اليك من القرآن وشرائع الدين ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الآية مدنية نزلت فى صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمر ولما جاء للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما نكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعنى انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الحجر يدعو ويقول فى دعائه يا الله يارحمن فرجع ابو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الارحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى ﴿قل﴾ اى قل يا محمد ان الرحمن الذى انكرتم معرفته ﴿هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت﴾ يعنى عليه اعتمدت فى امورى كلها ﴿واليه متاب﴾ يعنى واليه توبتى ورجوعى * قوله تعالى ﴿ولو ان قرآنا سيرت به الجبال﴾ الآية نزلت فى نفر من مشركى قريش منهم ابو جهل بن هشام وعبدالله بن ابى امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا خلف النبى صلى الله عليه وسلم فأتاهم وقيل انه مربهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عزوجل فقال له عبدالله بن ابى امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه اوسخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان اواحى لنا جدك قصيا اومن شئت من موتانا لنسأله عن امرك احق اوباطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله من عيسى فانزل الله هذه الآية ولو ان قرآنا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض ﴿اوقطعت به الارض﴾ يعنى شققت فجعلت انهارا وعيونا ﴿اوكلم به الموتى﴾ فاحياها واختلفوا فى جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بمعرفة السامع مراده وتقديره ولوان قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فاقسم لو شئ اتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

اراد لو شئ اتانا رسوله سواك رددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولوان قرآنا سيرت به الجبال اوقطعت به الارض اوكلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق فى علمنا فيهم كما قال ولوانا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانو اليؤمنوا ثم قال تعالى ﴿بل لله الامر جميعا﴾ يعنى فى هذه الاشياء وفى غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ﴿افلم ييأس الذين آمنوا﴾ قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبى

بافعالنا اولا كما قال بى يسمع وبى يبصر ثم بافناء صفاتها بصفاتنا ثانيا كما قال كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر ثم بافناء ذاتها بذاتنا كما قال لمن الملك اليوم واجاب نفسه بقوله لله الواحد القهار لفناء الخلق كله وحينئذ لاحكم الا لله يحكم كما يشاء لامعقب لحكمه لعدم غيره

﴿سورة ابراهيم عليه السلام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) من ظلمات الكثرة الى نور الوحدة او من ظلمات صفات النشأة الى نور الفطرة او من ظلمات حجب الافعال والصفات الى نور الذات (باذن ربهم) بتيسيره وبابداع ذلك النور فيهم بهيئة الاستعداد من الفيض الاقدس من عالم الالوهية وبوفقه بتهيئة اسباب خروجه الى الفعل من حضرة الربوبية اذالاذن هبة الاستعداد وتهيئة الاسباب والالم يكن لاحد اخراجهم (الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما

هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وابو عبيد الم ييأس الم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

اقول لهم بالشعب اذ يأسرونني * الم تيأسوا انى ابن فارس زهدم

يعني الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر آخر

الم ييأس الاقوام انى انا ابنه * وان كنت عن ارض العشيرة نائيا

يعني الم يعلم الاقوام قال قطرب يئس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشئ وبقينك به يئسك من غيره وقيل لم يردان اليأس في موضع من كلام العرب للعلم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى ان يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائى ماوجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرأب المسلمون لذلك وارادوا ان يظهر لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله افلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) يعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندى ان معناه افلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآية قولين احدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثانى انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ماتقدم وتمسك اهل السنة بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعنى من الكفر والاعمال الخبيثة (قارعة) اى نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا احيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (او تحل) يعنى السرايا او البلية (قريبا من دارهم) وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم (حتى يأتى وعد الله) يعنى النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم (ان الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبى صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد * قوله عزوجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) وذلك ان كفار مكة انما سألوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسل من قبلك (فأمليت للذين كفروا) يعنى فامهلتهم واطلت لهم المدة (ثم اخذتهم) يعنى بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعنى فكيف كان عقابى لهم (افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعنى افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان اساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهى الاصنام التى لاتضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعنى وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التى جعلوها لله شركاء (قل سموهم) يعنى له وقيل صفوهم

في الارض) القوى الذى يقهر ظلمات الكثرة بنور وحدته الحميد بكمال ذاته وعلى المعنى الثانى صراط العزيز الذى يقهر صفات النفس بنور القلب الحميد الذى يهب نعم الفضائل والعلوم عند صفاء الفطرة وعلى الثالث العزيز الذى يقهر بسبحات ذاته انوار صفاته ويفنى بحقيقة هويته جميع مخلوقاته الحميد الذى يهب الوجود الباقى الكامل بعد فناء الرذائل الناقص بوجود ذاته وجمال وجهه (وويل للكافرين من عذاب شديد) المحجوبين عن الوحدة اوالفطرة اوتجلى الذات وكشفه ويترتب على الوجوه الثلاثة مراتب العذاب فهو اما عذاب محبة الانداد في جحيم التضاد واما عذاب هيآت الرذائل ونيران صفات النفس ومقتضيات الطبائع اوعذاب حجب الافعال والصفات والحرمان عن نور الذات (الذين يستحبون) يؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة) الحسية على العقلية والصورية على المعنوية لوصفه الضلال بالبعد وكون عالم الحس في ابعد المراتب

بما

بما يستحقون ثم انظر واهل هى اهل لان تعبد (ام تنبؤنه) يعنى ام تخبرون الله (بما لا يعلم فى الارض) يعنى انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما فى السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفى العلم بان يكون له شريك (ام بظاهر من القول) يعنى انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لا اصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف فى الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد ❁ وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم اى عن الايمان (ومن يضلل الله فما له من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء فى قراءة اكثر القراء (لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) يعنى بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة اشق) يعنى اشد واغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذى هو الصدع (ومالهم من الله) يعنى من عذاب الله (من واق) يعنى من مانع يمنعهم من عذابه ❁ قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون) اى صفة الجنة التى وعد المتقون (تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم) لا ينقطع ابدا (وظلها) يعنى انه دائم ابدا لا ينقطع وليس فى الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفى الآية رد على جهم واصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفى الآية دليل على ان حركات اهل الجنة لا تنتهى الى سكون دائم كما يقوله ابو الهذيل واستدل القاضى عبد الجبار المعتزلى بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب ان تفنى وينقطع اكلها لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة مخلوقة لقوله اكلها دائم يعنى لا ينقطع قال ولا ينكر ان تكون فى السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن يعدحيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ماروى الا ان الذى نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من آيتين احداهما قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها دائم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ❁ وقوله تعالى (تلك عقبى الذين اتقوا) يعنى ان عاقبة اهل التقوى هى الجنة (وعقبى الكافرين النار) يعنى فى الاخرة ❁ قوله عزوجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) فى المراد بالكتاب هنا قولان احدهما انه القرآن والذى اوتوه المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت

عن الله تعالى (ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك فى ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) اى بكلام يناسب ما عليه حالهم بحسب استعدادهم وعلى قدر عقولهم والا لم يفهموا لبعد ذلك المعنى عن افهامهم وعدم مناسبته لمقامهم فلم يمكنه ان يبين لهم مافى استعدادهم الاول بالقوة من الكمال اللائق به وما تقتضيه هوياتهم بحسب الفطرة (فيضل الله من يشاء) لزوال استعداده الهيآت الظلمانية ورسوخها والاعتقادات الباطلة واستقرارها (ويهدى من يشاء) ممن بقى على استعداده اولم يترسخ فيه حواجب هيآته وصور اعتقاداته (وهو العزيز) القوى الذى لا يغلب على مشيئته فيهدى من يشاء ضلاله ويضل من يشاء هدايته (الحكيم) الذى يدبر امر هداية المهتدى بانواع اللطف وامر ضلال الضال باصناف الخذلان على مقتضى الحكمة البالغة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك

بتجدد نزول القرآن (ومن الاحزاب) يعنى الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من اهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لاينكرون القرآن بجملته لانه قد ورد فيه آيات دالات على توحيدالله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لاينكرون ذلك ابدا والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد بأهله الذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبدالله بن سلام واصحابه ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعنى بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا فى القرآن فى الابتداء فلما اسلم عبدالله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن فى القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعنى مشركى مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الارحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لاينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) اى قل يا محمد (انما امرت ان أعبدالله) يعنى وحده (ولا اشرك به) شيأ (اليه ادعو) اى الى الله والى الايمان به ادعوالناس (واليه مآب) يعنى مرجعى يوم القيامة (وكذلك انزلناه حكما عربيا) اى كما انزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم انزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهوالقرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبعت اهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع اهوائهم فى ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم فى الصلاة لبيت المقدس (بعدما جاءك من العلم) يعنى بأنك على الحق وان قبلتك الكعبة هى الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبى صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة واعظم قدرا واعلى مرتبة اذا حذركان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى (مالك من الله من ولى ولا واق) يعنى من ناصر ولا حافظ ❁ قوله تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبى صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لوكان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فأجاب الله عزوجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله

من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) اى لكل مؤمن بالايمان الغيبى اذ الصبر والشكر مقامان للسالك قبل الوصول حال العقد الايمانى والسير فى الافعال لتحصيل رتبة التوكل وحينئذ آياته التى يعتبر بها ويستمدها يتمسك بها ويعتمدها فى سلوكه هى الافعال فكلما رأى نعمة اوسمع بها اووصلت اليه من هداية وغيرها شكره باللسان وبالقلب بتصوره من عند الله وبالجوارح بحسن التلقى والقبول والطاعة والعمل بمقتضاها على ماينبغى وكلما رأى اوسمع بلاء اونزل به صبر بحفظ اللسان عن الجزع وقول انالله وانا اليه راجعون وربط القلب وتصور ان له فيه خيرا ومصلحة والا لما ابتلاه الله به ومنع الجوارح عن الاضطراب (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن

عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد (وجعلنا لهم ازواجا وذرية) فانه قد كان
لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امراة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك فى نبوته
وكان لابيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امراة فلم يقدح ذلك ايضا فى نبوته فكيف
يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قادحا فى نبوتك والمعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ياكلون
ويشربون وينكحون وماجعلناهم ملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وماكان
لرسول ان ياتى بآية الاباذن الله) هذا جواب لعبد الله بن ابى امية وغيره من المشركين
الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير
هذا الجواب ان المعجزة الواحدة كافية فى اثبات النبوة وقداتاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فما لهم ان يقترحوا عليه شيأ واتيان الرسول
بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء اظهرها وان شاء
لم يظهرها (لكل اجل كتاب) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم
بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤا ذلك وقدكانوا يستعجلون نزوله اخبرالله عز وجل ان
لكل قضاء كتاباقدكتبه فيه ووقتا يقع فيه لايتقدم ولا يتأخر والمعنى ان لكل اجل
اجله الله كتاباقداثبته فيه وقيل فى الآية تقديم وتاخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة والمعنى
ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (يمحوالله مايشاء ويثبت) وذلك انهم
لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم
ثم يامرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه اجاب الله عن هذا
الاعتراض بقوله يمحو الله مايشاء و يثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من
الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت مايشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن
عباس يمحو الله مايشاء و يثبت الاالرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا
التأويل ماروى عن حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا
مربالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر ام انثى فيقضى ربك مايشاء فيكتب الملك ثم يقول
يارب اجله فيقول ربك مايشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقول ربك
مايشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على امر ولا ينقص اخرجه مسلم
(ق) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه نطفة اربعين يوما ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه واجله
وشقى اوسعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث و الذى قبله صريح بان الآجال
والارزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لاتتغير عما قدره الله وعلمه فى الازل فيستحيل

شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابى لشديد
وقال موسى ان تكفروا انتم
ومن فى الارض جميعا فان الله
لغنى حميد الم يأتكم نبأ الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم
لايعلمهم الا الله جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا
ايديهم فى افواههم وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به وانا
لفى شك مما تدعوننا اليه
مريب قالت لهم رسلهم
افى الله شك) مع وضوحه
اى كيف تشكون فيما ندعوكم
اليه وهو الذى لامجال
للشك فيه لغاية ظهوره
وانما يوضح مايوضح به
(فاطر السموات والارض
يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم) ليستر بنوره
ظلمات حجب صفاتكم فلا
تشكون فيه عند جلية
اليقين (ويؤخركم الى اجل
مسمى) غاية يقتضيها
استعدادكم من السعادة
اذ كل شخص عين له بحسب
استعداده الاول كمال هو
اجله المعنوى كما ان لكل
احد بحسب مزاجه الاول
غاية من العمر هى اجله
الطبيعى وكما ان الآجال
الاخترامية تقطع العمر

زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا او الشقى سعيدا وقد صح فى فضل
صلة الرحم تزيد فى العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحوا الله
مايشاء ويثبت قلت قد تكرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال والارزاق وغيرها
وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ماهو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت فى وقت معين
استحال ان يموت قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون
فدل ذلك على ان الآجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلماء عما ورد فى الحديث فى فضل
صلة الرحم من انها تزيد فى العمر بأجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة فى عمره
بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه فى الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب
الثانى منها انها بالنسبة الى مايظهر للملائكة فى اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون
سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون سنة وقد علم الله فى الازل ماسيقع من ذلك وهو
معنى قوله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت اى بالنسبة لمايظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما
انقلاب الشقى سعيدا والسعيد شقيا فيتصور فى الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من
الشقاوة الى السعادة وكذا العاصى ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد
المسلم والعياذ بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل فى هذا
الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الازلى الذى لايتغير ولايتبدل
والله اعلم واصل المحو اذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الآية على
ظاهرها فجعلها عامة فى كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله مايشاء فى الرزق والاجل
وكذا القول فى السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود
فانهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت مايشاء وروى عن عمر انه كان
يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول اللهم ان كنت كتبتنى فى اهل السعادة فأثبتنى فيها وان كنت
كتبتنى من اهل الشقاوة فامحنى منها واثبتنى فى اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ماتشاء وتثبت
وعندك ام الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد فى بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقى
من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوى بغير سند وروى بسنده
عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى فى ثلاث ساعات
بقين من الليل فينظر فى الساعة الاولى منهن فى الكتاب الذى لاينظر فيه احد غيره فيمحو
مايشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص فى بعض الاشياء دون بعض فقال
المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل
ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بنى آدم واقوالهم فيمحو الله مايشاء من ديوان الحفظة مماليس
فيه ثواب ولاعقاب مثل قول القائل اكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام
وهو صادق فيه ويثبت مافيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبى يكتب القول
كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولاعقاب وقال ابن عباس هو
الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذى يمحو والذى يثبت
هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن يمحو الله

دون الوصول الى الغاية
المسماة بسبب من الاسباب
فكذلك الآفات والموانع
التى هى حجب الاستعداد
تحول دون الوصول الى
الكمال المبين (قالوا ان انتم
الا بشر مثلنا تريدون ان
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا
فأتونا بسلطان مبين قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر
مثلكم ولكن الله يمن على
من يشاء من عباده وماكان لنا
ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ومالنا الا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا ولنصبرن
على ما آذيتمونا وعلى الله
فليتوكل المتوكلون وقال
الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او
لتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم
ربهم لنهلكن الظالمين
ولنسكننكم الارض من
بعدهم ذلك لمن خاف مقامى
وخاف وعيد واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد من
ورائه جهنم ويسقى من ماء
صديد يتجرعه ولايكاد يسيغه
ويأتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورائه
عذاب غليظ مثل الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد
اشتدت به الريح فى يوم

مايشاء يعنى من جاء اجله فيذهبه ويثبت من لم يجئ اجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله مايشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت مايشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله مايشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدى يمحو الله مايشاء يعنى القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا فى الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه وامسكه ومن اراد بقاءه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت فى اول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو فى المحن والمصائب فهى مثبتة فى الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو مايشاء ويثبت مايشاء لااعتراض لاحد عليه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فان قلت مذهب اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيأ ولا يثبت شيأ الا ماسبق به علمه فى الازل وعليه يترتب القضاء والقدر ❊ مسئلة ❊ استدلت الرافضة على مذهبهم فى البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان يعتقد شيأ ثم يظهر له خلاف مااعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله مايشاء ويثبت والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم ازلى وهو من لوازم ذاته المخصوصة وماكان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازى فى تفسير هذه الآية ❊ وقوله تعالى (وعنده ام الكتاب) يعنى اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذى لايغير ولايبدل وسمى اللوح المحفوظ ام الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه مايشاء ويثبت مايشاء وام الكتاب الذى لايغير شئ منه وروى عطية عن ابن عباس قال ان الله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وسال ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ماهو خالق وماخلقه وماهم عاملون (واما نرينك) يعنى يامحمد (بعض الذى نعدهم) يعنى من العذاب (او نتوفينك) يعنى قبل ان نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعنى ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ (وعلينا الحساب) يعنى وعلينا ان نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم ❊ قوله عز وجل (اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها) يعنى اولم ير كفار مكة الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الآيات انا نأتى الارض يعنى ارض الشرك ننقصها من اطرافها قال اكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان مازاد فى دار الاسلام فقد نقص فى دار الشرك والمعنى اولم يروا انا نأتى الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد ارض حوالى اراضيهم افلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا فى ديارهم من زيادة فى دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من اقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ماوعده وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا انا نأتى الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة والشعبى نحوه وهذا القول

عاصف لايقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص) للخلائق ثلاث برزات برزة عند القيامة الصغرى بموت الجسد وبروز كل احد من حجاب جسده الى عرصة الحساب والجزاء وبرزة عند القيامة الوسطى بالموت الارادى عن حجاب صفات والبروز الى عرصة القلب بالرجوع الى الفطرة وبرزة عند القيامة الكبرى بالفناء المحض عن حجاب الانية الى فضاء الوحدة الحقيقة وهذا هو البروز المشار اليه بقوله وبرزوا لله الواحد القهار ومن كان من اهل هذه القيامة يراهم بارزين لايخفى على الله منهم شئ واما ظهور هذه القيامة للكل وبروز الجميع لله وحدوث التقاول بين الضعفاء والمستكبرين

قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبدالله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لايسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عبدالله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال سليمان لايزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدي لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى ❋ اطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول اولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال ايضا ان هذا الوجه لايليق بهذا الموضع وتقديره ان يقال اولم يروا ان كما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه ايضا يجوز ايصال الكلام بما قبله ❋ وقوله تعالى (والله يحكم لامعقب لحكمه) يعني لاراد لحكمه ولاناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لايتعقب حكمه احد غيره بتغيير ولانقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية الذين مكروا بانبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لايشعر مثل ما مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى (فلله المكر جميعا) يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اي هو من خلقه وارادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لايضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب ان لايكون الخوف الا من الله لامن احد من المخلوقين (يعلم ماتكسب كل نفس) يعني ان جميع اكتساب العباد وتاثيراتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلاقدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولايحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين

فهو بوجود المهدي القائم بالحق الفارق بين اهل الجنة والنار عند قضاء الامر الالهي بنجاة السعداء وهلاك الاشقياء (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي) ظهر سلطان الحق على شيطان الوهم وتنور بنوره فأسلم واطاع وصار محقا عالما بان الحجة لله في دعوته للخلق الى الحق لاله ودعوته الى الباطل بتسويل الحطام وتزيين الحياة الدنيا عليهم واهية فارغة عن الحجة واقربان وعده تعالى بالبقاء بعد خراب البدن والثواب والعقاب عند البعث حق قد وفى به ووعدي بان ليس الا الحياة الدنيا باطل اختلقته فاستحقاق اللوم ليس الا لي قبل الدعوة الخالية عن الحجة فاستجاب لها واعرض عن الدعوة المقرونة بالبرهان فلم يستجب لها (فلاتلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم

(وسيعلم الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعنى اباجهل وقيل اراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (لمن عقبى الدار) والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة فى الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة ❁ قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عندالله امره الله بقوله (قل) اى قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين انكروا نبوتك (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عندالله (ومن عنده علم الكتاب) يعنى ومن عنده علم الكتاب ايضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلفوا فى الذى عنده علم الكتاب من هو فروى العوفى عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وانكره من انكره منهم وقيل انهم مؤمنوا اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوته قال قتادة هو عبدالله بن سلام وانكر الشعبى هذا وقال هذه السورة مكية وعبدالله بن سلام اسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبدالله بن سلام فقال كيف يكون عبدالله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بينى وبينكم قال الزجاج الا شبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهى قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عندالله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم ان القرآن الذى جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بينى وبينكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام

وهى مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى آخر الآيتين وهى احدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

❁ قوله عز وجل (الر كتاب انزلناه اليك) يعنى هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعنى

عذاب اليم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) اى نفسا طيبة كما مر فى تسمية عيسى عليه السلام كلمة (كشجرة طيبة) كما شبهها بالزيتونة فى القرآن وبالنخلة فى الحديث (اصلها ثابت) بالاطمئنان وثبات الاعتقاد بالبرهان (وفرعها فى السماء) سماء الروح (تؤتى اكلها) من ثمرات المعارف والحكم والحقائق (كل حين) وقت (باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) بتسهيله وتيسيره بتوفيق الاسباب وتهيئتها (ومثل كلمة) نفس (خبيثة كشجرة خبيثة) مثل الحنظلة او الشرحط (اجتثت من فوق الارض مالها من قرار) استوصلت للطيش الذى فيها وتشوش الاعتقاد وعدم القرار على شئ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الايمان اليقينى بالبرهان الحقيقى (فى الحياة الدنيا) الحسية لاستقامتهم فى الشريعة وسلوكهم فى تحصيل

بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهى صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا (باذن ربهم) يعنى بامر ربهم وقيل بعلم ربهم (الى صراط العزيز الحميد) يعنى الى دين الاسلام وهو دينه الذى امر به عباده والعزيز هو الغالب الذى لايغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره مابعده وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال ابو عمرو وقراءة الخفض على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد (الذى له مافى السموات ومافى الارض) يعنى ملكا ومافيهما عبيده (وويل للكافرين) يعنى الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذى له مافى السموات ومافى الارض وعبدوا من لايملك شيأ البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما فى السموات وما فى الارض (من عذاب شديد) يعنى معدلهم فى الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يعنى يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (يصدون عن سبيل الله) اى ويمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبغونها عوجا) يعنى ويطلبون لها زيغا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائدين عن القصد وقيل الهاء فى ويبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام (اولئك) يعنى من هذه صفة (فى ضلال بعيد) يعنى عن الحق وقيل يجوز ان يراد فى ضلال بعيد ذى بعد اوفيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق * قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعنى بلغة قومه ليفهموا عنه مايدعوهم اليه وهو قوله تعالى (ليبين لهم) يعنى مايأتون ومايذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب وكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بالسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم فى عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا ارسل بلسان قومه كانت دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان اقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم فى ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير اهله واذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك ابلغ فى اجتهاد المجتهدين فى تعليم معانيه وتفهيم فوائده وغوامضه واسراره وعلومه وجميع حدوده واحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) يعنى ان

المعاش طريق الفضيلة والعدالة (وفى الآخرة) اى الحياة الروحانية لاهتدائهم بنور الحق فى الطريقة وكونهم فى تحصيل المعارف على بصيرة من الله وبينة من ربهم (ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) فى الحياتين لنقص استعدادتهم بحظوظ صفات النفس وبقائهم فى الحيرة الاحتجاب عن نور الحق (الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله) التى انعم بها عليهم فى الازل من الهداية الاصلية والنور الاستعدادى الذى هو بضاعة النجاة (كفرا) اى احتجابا وضلالة كما قال اشتروا الضلالة بالهدى فماربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اضاعوا النور الباقى واستبدلوا به اللذة الحسية الفانية فبقوا فى الظلمة الدائمة (واحلوا قومهم) من فى قوى نفوسهم او من اقتدى بطريقتهم وتأسى بهم وتابعهم فى ذلك (دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا) من متاع الدنيا وطيباتها وشهياتها يحبونها كحب الله اذ كل ماغلب حبه فهو معبود قال الله تعالى

الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادى المضل يفعل مايشاء (وهو العزيز) يعنى الذى يغلب ولا يغلب (الحكيم) فى جميع افعاله * قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) المراد بالآيات المعجزات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة (ان اخرج قومك من الظلمات الى النور) اى ان اخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وذكرهم بايام الله) قال ابن عباس وابى بن كعب ومجاهد وقتادة يعنى بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله فى الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب اى بوقائعهم وانما اراد بما كان فى ايام الله من النعمة والنقمة فاخبر بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله وقيل بايام الله فى حق موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت ايدى القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور كثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا اما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) لما امر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكر قومه بأيام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم (اذ انجاكم من آل فرعون) اى اذكروا انعام الله عليكم فى ذلك الوقت الذى انجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم) فان قلت قال فى سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت انما حذفت الواو فى سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفى التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاء نى القوم زيد وعمرو اذا اردت تفسير القوم واما دخول الواو هنا فى هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح ايضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لا انه تفسير للعذاب (ويستحيون نساءكم) يعنى يتركونهن احياء (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا مافعلوا بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت ايديهم كالاماء فكان ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) هذا من جملة ماقال موسى لقومه كانه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن اى اعلم ولابد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى افعل كانه قيل وآذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الخ (ليضلوا عن سبيله) كل من نظر اليهم من الاحداث المستعدين ومن دان بدينهم (قل تمتعوا فان مصيركم الى النار) اى اذهبوا فيه بامر الوهم فان تمتعكم قليل سريع الزوال وشيك الفناء وعاقبته وخيمة بالمصير الى النار (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذى خلق السموات والارض) سموات الارواح وارض الجسد (وانزل من السماء ماء) سماء عالم القدس ماء العلم (فاخرج به من الثمرات) من ارض النفس ثمرات الحكم والفضائل (رزقا لكم) وتقوى القلب بها (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار) انهار العلم بالاستنتاج والاستنباط والتفريع والتفصيل (وسخر لكم الشمس والقمر) شمس الروح وقمر القلب (دائبين) فى السير بالمكاشفة والمشاهدة (وسخر لكم الليل والنهار) ليل ظلمة

واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعني يا بني اسرائيل ماخولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لازيدنكم) يعني نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة اقسام نعم الله عز وجل عليه وانواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تتاكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف ومقام اعلى منه وهو ان يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر (ان عذابي لشديد) يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها (وقال موسى ان تكفروا) يعني يا بني اسرائيل (انتم ومن في الارض جميعا) يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على انفسكم بحرمانها الخير كله (فان الله لغني) يعني عن جميع خلقه (حميد) اي محمود في جميع افعاله لانه متفضل وعادل (الم يأتكم نبأ) يعني خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل ان يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكرهم بذلك امر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم (والذين من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة (لايعلمهم الا الله) يعني لايعلم كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شيء الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله اقوام وامم مابلغنا خبرهم اصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبدالله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لايعلمهم الا الله وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه أبا أبا الى آدم لانه لايعلم اولئك الآباء إلا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فردوا ايديهم في افواههم) وفي معنى الايدي والافواه قولان احدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا ايديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ماجاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه اي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا ايديهم على افواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا ايديهم في افواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد

صفات النفس ونهار نور الروح لطلب المعاش والمعاد والراحة والاستنارة (وآتاكم من كل ماسألتموه) بالسنة استعداداتكم فان كل شيء يسأله بلسان استعداده كما لايفيض عليه مع السؤال بلا تخلف وتراخ كما قال يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن (وان تعدوا نعمت الله) من الامور السابقة على وجودكم الفائضة من الحضرة الالهية ومن اللاحقة بكم من امداد التربية الواصلة عن الحضرة الربوبية (لاتحصوها) لعدم تناهيها كما تقرر في الحكمة (ان الانسان لظلوم) بوضع نور الاستعداد ومادة البقاء في ظلمة الطبيعة ومحل الفناء وصرفه فيها او بنقص الفناء حق الله او حق نفسه بابطال الاستعداد (كفار) بتلك النعم التي لاتحصى باستعمالها في غير ماينبغي ان تستعمل وغفلته عن المنعم عليه بها واحتجابه بها عنه (واذ قال ابرهيم) الروح بلسان الحال عند التوجه الى الله في طلب الشهود (رب اجعل هذا البلد) اي

بالايدي، النعم ومعناه ردوا مالوقبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد اى نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما امروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيه اذا امسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قداجابوا بالتكذيب وهو ان الامم ردوا على رسلهم (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به لانهم لم يقروا بانهم ارسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) يعنى يوجب الريبة اويوقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر الذى يشك فيه فان قلت انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر اوداخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين فى ذلك (قالت رسلهم) يعنى مجيبين لاممهم (افى الله شك) يعنى هل تشكون فى الله وهو استفهام انكار ونفى لما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعنى وهل تشكون فى كونه خالق السموات والارض وخالق جميع مافيهما (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعنى ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها اصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم مابينهم وبينه من الكفر والمعاصى دون مظالم العباد (ويؤخركم الى اجل مسمى) يعنى الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعنى الامم مجيبين للرسل (ان انتم) يعنى ما انتم (الابشر مثلنا) يعنى فى الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعنى ماتريدون بقولكم هذا الاصدنا عن آلهتنا التى كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسلطان مبين) يعنى حجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم) يعنى ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان انتم الابشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لاننكر ذلك (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) يعنى بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الاباذن الله) يعنى وليس لنا مع ماخصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة ان نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الاباذن الله لنا فى ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى فى دفع شرور اعدائهم عنهم (ومالنا ان لانتوكل على الله) يعنى ان الانبياء قالوا ايضا قد عرفنا انه لايصيبنا شئ الابقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه فى دفع شروركم عنا (وقدهدانا سبلنا) يعنى وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتمونا) يعنى به من قول اوفعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثانى فيه اشارة الى السعى فى التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين (* قوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اولتعودن فى ملتنا) يعنى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم ايها الرسل من بلادنا وارضنا واما عودكم فى ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم

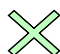
بلد البدن (آمنا) من غلبات صفات النفس وتنازع القوى وتجاذب الاهواء (واجنبنى وبنى) القوى العاقلة النظرية والعملية والفكر والحدس والذكر وغيرها (ان نعبد الاصنام) اصنام الكثرة عن المشتهيات الحسية والمرغوبات البدنية والمألوفات الطبيعية بالمحبة (رب انهن اضللن كثيرا من الناس) بالتعلق بها والانجذاب اليها والاحتجاب بها عن الوحدة (فمن تبعنى) فى سلوك طريق التوحيد (فانه منى ومن عصانى فانك غفور) تستر عنه تلك الهيئة المظلمة بنورك (رحيم) ترحمه بافاضة الكمال عليه بعد المغفرة (ربنا انى اسكنت من ذريتى) ذرية قواى (بوادغير ذى زرع) اى وادى الطبيعة الجسمانية الخالية عن زرع الادراك والعلم والمعرفة والفضيلة (عند بيتك المحرم) الذى هو القلب (ربنا ليقيموا الصلاة) صلاة المناجاة والمكاشفة (فاجعل افئدة من الناس) ناس الحواس (تهوى اليهم) تمدهم بانواع الاحساسات وتمدهم بادراك الجزئيات وتميل

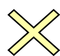
كانوا على ملتهم فى اول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذالله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف اممهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله فقالوا لهم لتعودن فى ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشؤا على التوحيد لايعرفون غيره (فأوحى اليهم ربهم) يعنى ان الله تعالى اوحى الى رسله وانبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لنهلكن الظالمين) يعنى ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلاتخافوهم (ولنسكننكم الارض من بعدهم) يعنى من بعد هلاكهم (ذلك) يعنى ذلك الاسكان (لمن خاف مقامى) يعنى خاف مقامه بين يدى يوم القيامة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف افعالها الى انفسها كقولهم ندمت على ضربى اياك وندمت على ضربك مثله (وخاف وعيد) اى وخاف عذابى * قوله عزوجل (واستفتحوا) يعنى واستنصروا قال ابن عباس يعنى الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على اممهم وذلك انهم لما ايسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعنى وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار فى صفة الانسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لايستحقها وهو صفة ذم فى حق الانسان وقيل الجبار الذى لايرى فوقه احدا وقيل الجبار المتعظم فى نفسه المتكبر على اقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى يأبى ان يقول لااله الاالله وقيل العنيد هو المعجب بما عنده وقيل العنيد الذى يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعنى هى امامه وهو صائر اليها قال ابوعبيدة هو من الاضداد يعنى انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى امام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعنى انه سيأتيك (ويسقى) يعنى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ماسال من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب اهل النار وقال محمد بن كعب القرظى هو مايسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) اى يتحساه ويشربه لابمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه (ولايكاد يسيغه) اى لايقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولايسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعنى ولايقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولايكاد يسيغه اى يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ماكدت اقوم اى قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على اصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لايجيزه وقيل معناه يكاد لايسيغه ويسيغه فيغلى فى جوفه عن ابى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه اى جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذى عليها * وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان

اليهم بالمشايعة وترك المخالفة بالميل الى الجهة السفلية واللذة البدنية (وارزقهم من الثمرات) من ثمرات المعارف والحقائق من الكليات (لعلهم يشكرون) نعمتك فيستعملون تلك المدركات فى طلب الكمال (ربنا انك تعلم مانخفى) مما فينا بالقوة (وما نعلن) مما اخرجناه الى الفعل من الكمالات (ومايخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) فى ارض الاستعداد ولا فى سماء الروح (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) كبر الكمال (اسمعيل) العاقلة النظرية (واسحق) العلمية (ان ربى لسميع الدعاء) اى لسميع لدعاء الاستعداد كما قال حسبى من سؤالى علمه بحالى (رب اجعلنى مقيم الصلاة) صلاة الشهود (ومن ذريتى) كلا منهم مقيم صلاة تخصه (ربنا وتقبل دعاء) اى طلبى للفناء التام فيك (ربنا اغفر لى) بنورك ذاتك ذنب وجودى فلا احتجب بالطغيان (ولوالدى وللمؤمنين) ولما يتسبب لوجودى من القوابل والفواعل فلاارى غيرك

من اعضائه وقال ابراهيم التيمى حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وماهو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلاتخرج من فيه فيموت ولاترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (ومن ورائه) يعنى امامه (عذاب غليظ) اى شديد قيل هو الخلود فى النار * قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص او فيما نتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التى فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال اعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل اعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ماذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد كقولك فى صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو مايسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعنى فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيأ فى يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحر والمطر توحد فيهما وقيل معناه فى يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاعمال الكفار التى لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق اجزاءه بحيث لايبقى منها شئ وكذلك اعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لايبقى منها شئ ثم اختلفوا فى هذه الاعمال ماهى فقيل هى ماعملوه من اعمال الخير فى حال الكفر كالصدقة وصلة الارحام وفك الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لاتنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التى ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم فى الدهر الطويل لكى ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل اراد بالاعمال الاعمال التى عملوها فى الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها لاتنفعهم لانها صارت كالرماد الذى ذرته الرياح وصار هباء لاينتفع به وهو قوله تعالى (لايقدرون مما كسبوا) يعنى فى الدنيا (على شئ) يعنى من تلك الاعمال والمعنى انهم لايجدون ثواب اعمالهم فى الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعنى ذلك الخسران الكبير لان اعمالهم ضلت وهلكت فلايرجى عودها والبعيد هنا الذى لايرجى عوده (الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق) يعنى لم يخلقهما باطلا ولاعبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعنى ايها الناس (ويأت بخلق جديد) يعنى سواكم اطوع لله منكم والمعنى ان الذى قدر على خلق السموات والارض قادر على افناء قوم واماتتهم وايجاد خلق اخر سواهم لان القادر لايصعب عليه شئ قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يميتكم يامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعنى بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت * قوله عزوجل (وبرزوا لله جميعا) يعنى وخرجوا من قبورهم الى الله

ولاالتفت الى سواك فأبتلى بزيغ البصر والمؤمن القوى الروحانية (يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام) حساب الهيآت الروحانية النورانية والنفسانية الظلمانية ايها ارجح (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) تبدل ارض الطبيعة بارض النفس عند الوصول الى مقام القلب وسماء القلب بسماء السر وكذا تبدل ارض النفس بارض القلب وسماء السر





(وفرعها) يعنى اعلاها (فى السماء) يعنى ذاهبة فى السماء (تؤتى اكلهـا) يعنى ثمرها (كل حين باذن ربها) يعنى بأمر ربهـا والحين فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة اشهر يعنى من وقت طلعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عبـاس ايضا وقال على بن ابى طالب ثمانية اشهر يعنى ان مدة حملها باطنا وظاهرا ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور حملهـا الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعنى من وقت ان يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن انس كل حين يعنى غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل ابدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فأكلها دائم فى كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الاخلاص واصل الايمـان بالنخلة حاصل من اوجه احدها ان كلمة الاخلاص شـديدة الثبوت فى قلب المؤمن كثبوت اصل النخلة فى الارض الوجه الثانى ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذى هو عال فى السماء الوجه الثالث ان ثمر النخلة يأتى فى كل حين ووقت وكذلك مايكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة فى كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شـبيهة بالانسان فى غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانهـا اذا قطع راسها تموت كالآدمى بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانهـا لاتحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس فى وجه الحكمة فى تمثيل الايمـان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لاتسمى شجرة الا بثلاثة اشياء عرق راسخ واصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لايتم الا بثلاثة اشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعنى ان فى ضرب الامثال زيادة فى الافهام وتصويرا للمعانى وتذكيرا ومواعظا لمن تذكر واتعظ ﴿ قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعنى الحنظل قاله انس بن مالك ومجاهد وفى رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه ايضـا انها الثوم وعنه ايضا انها الكافر لانه لايقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السماء (اجتثت) يعنى استؤصلت وقطعت (من فوق الارض مالها من قرار) يعنى مالهذه الشجرة من ثبات فى الارض لانها ليس لها اصل ثابت فى الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لاخير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها قال هى النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هى الحنظلة اخرجه الترمذى مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح ﴿ قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة فى الآية المتقدمة اخبر فى هذه

بالفعل والعقل المستفاد (وزيناناها) بالعلوم والمعارف (للناظرين) المتفكرين فيه (وحفظناها من كل شيطان رجيم) من الاوهام الباطلة (الا من استرق السمع) فاختطف الحكم العقلى باستراق السمع لقربه من افق العقل (فاتبعه شهاب مبين) اى برهان واضح فنطرده ونبطل حكمه (والارض) وارض النفس (مددناها) بسطناها بالنور القلبى (والقينا فيها رواسى) الفضائل (وانبتنا فيها من كل شئ) من الكمالات الخلقية والافعال الارادية والملكات الفاضلة والمدركات الحسية (موزون) معين بقدر عقلى عدلى غير مائل الى طرفى الافراط والتفريط لكل قوة بحسبها (وجعلنا لكم فيهـا معـايش) بالتدابير الجزئية والاعمال البدنية (ومن لستم له برازقين) ممن ينسب اليكم ويتعلق بكم او جعلنـا فى سماء القلب بروجا مقـامات كالصبر والشكر والتوكل والرضا والمعرفة والمحبـة وزيناها بالمعارف والحكم والحقائق وحفظنـاها من كل شيطان رجيم من الاوهام

الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هى الكلمة الطيبة وهى شهادة ان لااله الاالله فى قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة فى الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال فى هذه الآية ويضل الله الظالمين يعنى بالكلمة الخبيثة وهى كلة الشرك فى قول جميع المفسرين * وقوله (فى الحيوة الدنيا) يعنى فى القبر عند السؤال (وفى الآخرة) يعنى يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ماروى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل فى القبر يشهد ان لااله الاالله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى عذاب القبر زاد فى رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبى محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه البخارى ومسلم (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول اشهد انه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكرلنا انه يفسح له فى قبره ثم رجع الى حديث انس واما المنافق وفى رواية واما الكافر فيقول لاادرى كنت اقول مايقول الناس فيه فيقال لادريت ولاتليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الاالثقلين لفظ البخارى ولمسلم بمعناه زاد فى رواية انه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون واخرجه ابوداود عن انس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع فى قبره اتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت اعبد الله فيقول له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبدالله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له فى النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا فى الجنة فيراه فيقول دعونى حتى اذهب فأبشر اهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع فى قبره اتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لاادرى فيقال له لادريت ولاتليت فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت اقول مايقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين واخرجه النسائى ايضا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت اوقال اذا قبر احدكم اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول كنت اقول هو عبدالله ورسوله اشهد ان لااله الاالله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول ارجع الى اهلى فأخبرهم فيقولان ثم كنومة العروس الذى لايوقظه الااحب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول للارض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهت الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على

والتخيلات الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين اى اشراق نورى من طوالع انوار الهداية (وان من شئ الاعندنا خزائنه) اى مامن شئ فى الوجود الاله عندنا خزانة فى عالم القضاء اولا بارتسام صورته فى ام الكتاب الذى هو العقل الكلى على الوجه الكلى ثم خزانة اخرى فى عالم النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ بارتسام صورته فيه متعلقا بأسبابه ثم خزانة اخرى بل خزائن فى النفوس الجزئية السماوية المعبر عنها بسماء الدنيا ولوح القدر بارتسام صورته فيها جزئية مقدرة بمقدارها وشكلها ووضعها (وماننزله) فى عالم الشهادة (الابقدر معلوم) من شكل وقدر ووضع ووقت ومحل معينة واستعداد مختص به فى ذلك الوقت (وارسلنا الرياح) رياح النفحات الالهية (لواقح) بالحكم والمعارف مصفية للقلوب معدة للاستعدادات لقبول التجليات (فانزلنا من السماء ماء) من سماء الروح ماء من العلوم الحقيقة (فاسقينا كموه) واحيينا كم به (وما انتم له) لذلك العلم

رؤسنا الطير وبيده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله
من عذاب القبر مرتين اوثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين
حين يقال له ياهذا من ربك ومادينك ومن نبيك وفي رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له
من ربك فيقول الله ربي فيقولان له ومادينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل
الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان ومايدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به
وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة ثم اتفقا قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وافتحوا له
بابا الى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وان كان الكافر فذكر موته
قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لاادري
فيقولان مادينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه
هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان قدكذب عبدي فافرشوا له من النار والبسوه من النار
وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه
زاد في رواية ثم يقيض له اعمى ابكم اصم معه مرزبة من حديد لوضرب بها جبل لصار ترابا
فيضربه بها ضربة يسمعها من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح
اخرجه ابو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من
دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل اخرجه
ابو داود عن عبدالرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت
فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل ابنه يقول مايبكيك يا ابتاه أ مابشرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان افضل مانعد شهادة ان لااله
الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انامت فلاتصحبني نائحة ولانار
فاذادفنتموني فشنوا على التراب شنا ثم اقيموا حول قبري قدر ماتنحر جزور ويقسم لحمها حتى
استأنس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من
التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة
الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فمن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص اكثر كان رسوخها
في قلبه اعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته
من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عزوجل ان يرزقه
ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه
خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه
وكرمه واحسانه انه على كل شئ قدير * وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) يعني ان الله
تعالى لايهدي المشركين الى الجواب بالصواب في القبر (ويفعل الله ما يشاء) يعني من التوفيق
والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع افعاله لايسئل عما
يفعل وهم يسئلون * قوله عزوجل (الم ترالى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) (خ) عن
ابن عباس في قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم

(بخازنين) لخلوكم عنها (وانا لنحن نحيي) بالحياة الحقيقية بماء الحياة العلمية والقيام في مقام الفطرة (ونميت) بالافناء في الوحدة (ونحن الوارثون) للوجود الباقون بعد فنائكم (ولقد علمنا المستقدمين منكم) اي المتبصرين المشتاقين من المحبين الطالبين للتقدم (ولقدعلمنا المستأخرين) المنجذبين الى عالم الحس ومعدن الرجس باستيلاء صفات النفس ومحبة البدن ولذاته الطالبين للتأخر عن عالم القدس (وان ربك هويحشرهم) مع من يتولونه ويجمعهم الى من يحبونه وينزعون اليه (انه حكيم) يدبر امرهم في الحشر على وفق الحكمة بحسب المناسبة (عليم) بكل مافيهم من خفايا الميل والانجذاب والمحبة وماتقتضيه هيآتهم وصفاتهم فسيجزيهم وصفهم (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) اي من العناصر الاربعة الممتزجة اذالحمأ هو الطين المتغير والمسنون ماصب عليه الماء حتى خلص عن الاجزاء الصلبة الخشنة الغير المعتدلة المنافية لقبول الصورة

والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (واحلوا قومهم دارالبوار) قال النار يوم بدر وعن على رضى الله عنه قال هم كفار قريش فجروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الا فجران من قريش بنو المغيرة وبنوامية اما بنوالمغيرة فقد كفيتو هم يوم بدر واما بنوامية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة اتوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر و بدلوه بالكفر واحلوا قومهم يعنى من تبعهم على دينهم وكفرهم دارالبوار يعنى دارالهلاك ثم فسرهـا بقوله تعالى (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعنى المستقر (وجعلوا لله اندادا) يعنى امثالا واشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولاشبيه ولامثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعنى ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) اى قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا فى الدنيا اياما قلائل (فان مصيركم الى النار) يعنى فى الآخرة ❊ قوله تعالى (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعنى اقيموا اوليقيموا الصلاة الواجبة واقامتها تمام اركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل اراد بهذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق فى جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق فى جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعنى ينفقون اموالهم فى حال السر وحال العلانية وقيل اراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه) قال ابوعبيدة البيع هنا الفداء فى ذلك اليوم (ولاخلال) يعنى ولاخلة وهى المودة والصداقة التى تكون مخاللة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لابيع فيه ولاشراء ولامخاللة ولاقرابة انما هى الاعمال اما ان يثاب بها اويعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلة فى هذه الآية التى فى سورة البقر واثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفى الخلة محمولة على نفى الخلة الحاصلة بسبب ميل البيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الا تراه اثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة احوالا مختلفة ففى بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفى بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالة لله فى محبته ❊ قوله عزوجل (الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية فى مواضع كثيرة ونذكرههنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذى لايعجزه شئ اراده فقوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهما اعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل من السماء ماء يعنى من السحاب سمى السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اى بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم

يراد تصويرهـا التى منه والصلصال ماتخلخل منه بالهواء وتجفف بالحرارة (والجان) اى اصل الجن وهو جوهر الروح الحيوانى الذى تولد منه قوى الوهم والتخيل وغيرها (خلقناه من قبل من نار السموم) اى من الحرارة الغريزية ومن بخارية الاخلاط ولطافتها المستحيلة بها وانما قال من قبل لتقدم تأثير الحرارة فى التركيب بالتمزيج والتعديل واثارة ذلك البخار على صور الاعضاء بل القوى الفعالة المؤثرة متقدمة على التركيب فى الاصل وقدم معنى انقياد الملائكة له وعدم انقياد ابليس (واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال ياابليس مالك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها) من جنة عالم القدس التى ترتقى الى افقه (فانك رجيم) مرجوم

يقع على مايحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق اى اخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها فى جلب ذلك الرزق الذى هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهى من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الانهار) يعنى ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لاينتفع به فى سقى الزرع والثمرات ولا فى الشراب ايضا ذكر نعمته على عباده فى تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من اعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الداب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة وداب فى السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لايفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دؤبها فى طاعة الله عزوجل وقال بعضهم معناه يدأبان فى طاعة الله اى فى مسيرهما وتأثيرهما فى ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل بتسخير الله عزوجل وانعامه على عباده وتسخيره لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعنى يتعاقبان فى الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم (وآتاكم من كل ماسألتموه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التى انعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع والمرادات مالا يأتى على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ماسألتموه شيأ فحذف شيأ اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعنى وآتاكم من كل شئ سألتموه ومالم تسألوه لان نعمه علينا اكثر من ان تحصى (وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها) يعنى ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدها لكثرتها (ان الانسان) قال ابن عباس يريد اباجهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلوم كفار) يعنى ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع الشكر فى غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع * قوله سبحانه وتعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعنى ذا امن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة فان قلت اى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق بينهما انه سأل فى الاول ان يجعل من جملة البلاد التى يأمن اهلها فيها ولا يخافون وسأل فى الثانى ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام) يعنى ابعدنى وبنى ان نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهى من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه ان يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا اهلها الوجه الثانى ان الانبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فا

مطرود منها لكونك غير مجرد عن المادة (وان عليك اللعنة) لعنة البعد فى الرتبة (الى يوم الدين) القيامة الصغرى وتجرد النفس عن البدن بقطع علاقتها او الكبرى بالقضاء فى التوحيد (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض) الشهوات واللذات فى الجهة الطبيعية (ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) اى المخصوصين بك الذين اخلصتهم من شوائب صفات النفس وطهرتهم من دنس تعلق الطبيعة وجردتهم بالتوجه اليك من بقايا صفاتهم وذواتهم او الذين اخلصوا اعمالهم لك من غير حظ لغيرك فيها (قال هذا صراط علىّ) حق نهجه و مراعاته (مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين) لا اعوجاج فيه وهو ان لا سلطان لك على عبادى المخلصين الا الذين يناسبونك فى الغواية والبعد عن

الفائدة فى قوله اجنبنى من عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه ايضا ان يجنب بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر احد على خراب مكة واورد على هذا ماورد فى الصحيح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اخرجاه فى الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمنا يعنى الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثانى ان يكون المراد جعل اهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه اكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص اهل مكة بزيادة الأمن فى بلدهم كما اخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة امن على نفسه وماله من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم امنت واستأنست لعلمها انه لايهيجها احد فى الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثانى فن وجوه ايضا الوجه الاول ان دعاء ابراهيم عليه السلام افسد لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثانى ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس واظهار العجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان احدا لايقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء واما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد احدمنهم صنما قط الوجه الثانى انه اراد اولاده واولاد اولاده الموجودين حالة الدعاء ولاشك ان ابراهيم عليه السلام قد اجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعا لمن اذن الله ان يدعوله فكأنه قال وبنى الذين اذنت لى فى الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال فى آخر الآية فمن تبعنى فانه منى وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه * وقوله تعالى (رب انهن) يعنى الاصنام (اضللن كثيرا من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جادات وحجارة لاتعقل شيأ حتى تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعنى فانه منى) يعنى فمن تبعنى على دينى واعتقادى فانه منى يعنى المتدينين بدينى المتمسكين بحبلى كما قال الشاعر

اذا حاولت فى اسد فجورا * فانى لست منك ولست منى

اراد ولست من المتمسكين بحبلى وقيل معناه فانه منى حكمه حكمى جار مجراى فى القرب والاختصاص (ومن عصانى) يعنى فى غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدى ومن عصانى ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصانى فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح

صراطى فيتبعون (لها سبعة ابواب) هى الحواس الخمس والشهوة والغضب (لكل باب منهم جزء مقسوم) عضو خاص به او بعض من الخلق يختصون بالدخول منه لغلبة قوة ذلك الباب عليهم (ان المتقين) الذين تزكوا عن الغواشى الطبيعية وتجردوا عن الصفات البشرية (فى جنات) من روضات عالم القدس (وعيون) من ماء حياة العلم مقولا لهم (ادخلوها بسلام) بسلامة من الهيآت الجسدانية وامراض القلوب المانعة عن الوصول الى ذلك المقام (آمنين) من آفات عالم التضاد وعوارض الكون والفساد وتغيرات احوال الازمنة والمواد (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) اى حقد راسخ وكل هيئة متصاعدة من النفس الى وجه القلب الذى يليها بفيض النور واستيلاء قوة الروح وتأييد القدس وهم الذين غلبت انوارهم على ظلماتهم من اهل العلم واليقين فاضمحلت وزالت عنهم الهيآت النفسانية الغاسقة وآثار العداوة اللازمة

ابوبكر بن الانبارى هذا فقال ومن عصانى فخالفنى فى بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفرله غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين احدهما ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرا منهما والوجه الآخر ومن عصانى باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعنى انك قادر على ان تغفرله وترحمه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب * قوله عزوجل اخبارا عن ابراهيم (ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولا شئ فقالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف وفى رواية قدر ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذاهم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا أتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه بامرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد

لهبوط النفس والميل الى عالم التضاد واشرقت فيهم قوة المحبة الفطرية بتعاكس اشعة القدس وانوار التوحيد واليقين من بعضهم الى بعض فصاروا اخوانا بحكم العقد الايمانى والتناسب الروحانى (اخوانا على سرر) مراتب عالية (متقابلين) لتساوى درجاتهم وتقارب مراتبهم وكونهم غير محتجبين (لا يمسهم فيها نصب) لامتناع اسباب المنافاة والتضاد هناك (وماهم منها بمخرجين) لسرمدية مقامهم وتنزهه عن الزمان وتغيراته واما كيفية نزول الملائكة على النبيين وتجسد الارواح العالية للمتجردين المنسلخين عن الهيآت البدنية المتقدسين فقد مرت الاشارة اليها فى سورة هود (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن

البخارى باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله فى تفسير سورة البقرة واما تفسير الآية فقوله ربنا انى اسكنت من ذريتى من التبعيض اى بعض ذريتى وهو اسمعيل عليه السلام بوادغير ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لانه وادبين جبلين جبل ابى قبيس وجبل اجياد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرمالانه يحترم عنده مالايحترم عنده مالا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ماحوله محرمالمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمى محر مالان الزائرين له يحرمون على انفسهم اشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا ايضالانه اعتق من الجبابرة اومن الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عزوجل اوحى اليه واعلمه ان له هناك بيتاقد كان فى سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذى كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذى جرى فى سابق علمك انه سيحدث فى هذا المكان (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام فى ليقيموا متعلقة باسكنت يعنى اسكنت قوما من ذريتى وهم اسمعيل واولاده بهذا الوادى الذى لازرع فيه ليقيموا اى لاجل ان يقيموا اولكى يقيموا الصلاة (فاجعل افئدة من الناس) قال البغوى جمع الوفد (تهوى اليهم) تحن وتشتاق اليهم قال السدى رحمه الله امل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزى افئدة من الناس اى قلوب جماعة من الناس فلهذا جمله جمع فؤاد قال ابن الانبارى وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع افئدة فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من فى قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال افئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعى يقال هوى يهوى هويا اذا سقط من علو الى سفل وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال ايضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانبارى معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول اهل اللغة فى هذا الحرف واما اقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفى هذا بيان ان حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بانهم ينتفعون بمن يأتى اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام فى هذا الدعاء من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته (وارزقهم من الثمرات) يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزروع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ * وقوله تعالى (لعلهم يشكرون) يعنى لعلهم يشكرون هذه النعم التى انعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على ان تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعان بها على اداء العبادات واقامة الطاعات (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) يعنى انك تعلم السر كما تعلم

من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الاامرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم

العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا منافلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ماعندك وقيل معناه تعلم مانخفى من الوجد بفرقة اسمعيل وامه حيث اسكنتها بوادغيرذى زرع ومانعلن يعنى من البكاء وقيل مانخفى يعنى من الحزن المتمكن فى القلب ومانعلن يعنى ماجرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لا براهيم عليه السلام الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لايضيعنا (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) قيل هذا من تمة قول ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال فهوكقوله وكذلك يفعلون (الحمدلله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة و ولدله اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشر سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد فى هذا السن من اعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمدلله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق فى الدعاء فى وقت واحد وانما بشر باسحق بعد اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعاء عندما بشر باسحق وذلك انه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمدلله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ولايرد على هذا ماورد فى الحديث انه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وامه لان الذى صح فى الحديث انه دعا بقوله ربنا انى اسكنت من ذريتى الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمدلله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق فى وقت آخر والله اعلم بحقيقة الحال (ان ربى لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لى من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأل شكرالله على ما اكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمدلله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله (رب اجعلنى مقيم الصلاة) يعنى ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها فى اوقاتها (ومن ذريتى) اى واجعل من ذريتى من يقيم الصلاة وانما ادخل لفظة من التى هى للتبعيض فى قوله ومن ذريتى لانه علم باعلام الله اياه انه قديوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتى واراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سال ابراهيم عليه السلام ربه ان يتقبل دعاءه فاستجاب الله لا براهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفرلى) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شئ الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته (ولوالدى) فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت اراد انهما ان اسلما

آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا) اى الصفات السبع التى ثبتت لله تعالى وهى الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والتكلم (من المثانى) التى كررو ثنى ثبوتها لك اولا فى مقام وجود القلب عند تخلقك بأخلاقه واتصافك باوصافه فكانت لك وثانيا فى مقام البقاء بالوجود الحقانى بعد الفناء فى التوحيد (والقرآن العظيم) اى الذات الجامعة لجميع الصفات وانما كانت لمحمد عليه الصلاة والسلام سبعا ولموسى تسعا لانه ماأوتى القرآن العظيم بل كان مقامه التكليم اى مقام كشف الصفات دون كشف الذات فله هذه السبع مع القلب والروح (ولاتمدن عينيك الى مامتعنابه ازواجا منهم ولاتحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى

وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له انهما من اصحاب الجحيم وقيل ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعني واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك اى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة * قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعترى الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا فى حق الله محال فلابد من تاويل الآيه فالمقصود منها انه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو اعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا اى اثبتوا على انتم عليه من الايمان الوجه الثانى ان المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شئ وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبى صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز ان يحسبه غافلا فلجهله بصفاته (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين لا يطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ماترى فى ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول ابى عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقى بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ان احوال اهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعى وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقنعى رؤسهم) الاقناع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر احد الى احد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) اى لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف فهى شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم (وافئدتهم هواء) اى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى الآية ان افئدتهم خالية فارغة لا تعى شيأ ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وافئدتهم هواء اى مترددة تهوى فى اجوافهم

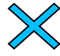
انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك) بالتجريد عن عوارض الصفات المتعلقة بالمادة لتكون منزها لله تعالى بلسان الحال حامدا لربك بالاتصاف بالصفات الكمالية لتكون حامد النعم بتجليات صفاته بأوصافك (وكن من الساجدين) بسجود الفناء فى ذاته (واعبد ربك) بالتسبيح والتحميد والسجود المذكورة (حتى يأتيك) حق (اليقين) فتنتهى عبادتك بانقضاء وجودك فيكون هو العابد والمعبود جميعا لا غير

﴿ سورة النحل ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اتى امر الله) لما كان صلى الله عليه وسلم من اهل القيامة الكبرى يشاهدها ويشاهد احوالها فى عين الجمع كما قال بعثت انا والساعة كهاتين





الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرألكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لايخلق افلاتذكرون وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ماتسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيأ وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم ان الله يعلم مايسرون وما يعلنون انه لايحب المستكبرين

وتعالى يجعل الارض كالظلمة اى الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شئ قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو ان تحدث بكل ماعمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل اولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث اخبارها ثم بعد ذلك بدل تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم فى الظلمة دون الجسر ذكره البغوى بغير سند ففى هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثانى مرة يكون بعد الحساب والله اعلم بمراده واسرار كتابه * وقوله تعالى (وبرزوا) يعنى وخرجوا من قبورهم (لله) يعنى لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى قالوا حد الذى لاثانى له ولاشريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذى يقهر عباده على مايريد ويفعل مايشاء ويحكم مايريد * قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعنى مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشئ بالشئ اذا شددته معه فى رباط واحد (فى الاصفاد) يعنى فى القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقال ابوزيد تقرن ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهى القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض (سرابيلهم) يعنى قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل مالبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير اهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ فى اشتعال النار فى الجلود ولو اراد الله المبالغة فى احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من قطرآن على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذى انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعنى تعلوها وتجللها (ليجزى الله كل نفس ماكسبت) يعنى من خير اوشر (ان الله سريع الحساب) يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعنى هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا انما هو اله واحد) يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليذكر اولوا الالباب) يعنى وليتعظ بهذا القرآن ومافيه من المواعظ اولو العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الحجر ﴾

(مكية باجماعهم وهى تسع وتسعون آية وستمائة واربع وخمسون كلمة والفان وسبعمائة وستون حرفا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله سبحانه وتعالى (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ماتضمنته السورة

واذاقيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء مايزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لايشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يعنى بعض السبل وهى السبل المتفرقة مماعدا سبيل التوحيد جائر عادل عن الحق موصل الى الباطل لامحالة فهى سبيل الضلالة كيفما كانت ولم يشاهد آية الجميع الى السبيل المستقيم لكونها تنافى الحكمة (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم) قدمر ان ان السابقين الموحدين يتوفاهم الله تعالى بذاته واما الابرار والسعداء فقسمان فمن ترقى عن مقام النفس بالتجرد ووصل الى مقام القلب بالعلوم والفضائل يتوفاهم ملك الموت ومن كان فى مقام النفس من العباد

من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذى وعدالله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه كتابا وفى كونه قرآنا واى قرآن كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان وقيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما فى ذلك من الفائدة وهى التفخيم والتعظيم والمبين الذى يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءنى وربما جاءنى زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ كانك قلت رب شئ فيكون المعنى رب شئ (يود الذين كفروا) وقيل مافى ربما بمعنى حين اى رب حين يود يعنى يتمنى الذين كفروا الان التمنى هو تشهى حصول مايوده واختلف المفسرون فى الوقت الذى يتمنى الذين كفروا (لوكانوا مسلمين) على قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان على الضلال فيتمنى لوكان مسلما وذلك حين لاينفعه ذلك التمنى قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثانى ان هذا التمنى يكون فى الآخرة وذلك حين يعاينون اهوال يوم القيامة وشدائده ومايصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لوكانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لوكان مسلما وقيل اذا رأى الكافر ان الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم فى بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك التمنى حين يخرج الله المؤمنين من النار عن ابى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لمن فى النار من اهل القبلة الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمته فيأمر الله بكل من كان من اهل القبلة فى النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين ذكره البغوى بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزى وقال واليه ذهب ابن عباس فى رواية عنه وانس بن مالك ومجاهد وعطاء وابو العالية وابراهيم يعنى النخعى فان قلت رب وانما وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا لوكانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على فعله ولايشكون فى تندمه ولايقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لوكان الندم مشكوكا فيه اوكان قليلا لحق عليك ان لاتفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ فى التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم فى كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لايفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لاتدخل الا على الماضى فكيف قال ربما يود وهو فى المستقبل قلت لان المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به

فى تحققه كانه قال ربما ردّ قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) يعنى دع يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا فى دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلههم الامل) يعنى ويشغلهم طول الامل من الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعنى اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ماصنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن اخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض اهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفى الآية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم فى الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس ذلك من اخلاق المؤمنين قال على بن ابى طالب انما اخشى عليكم اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما اهلكنا من قرية) يعنى من اهل قرية واراد هلاك الاستئصال (الا ولها كتاب معلوم) اى اجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا فى الوقت الذى حدلهم فى اللوح المحفوظ (ماتسبق من امة اجلها) من زائدة فى قوله من امة كقولك ماجاءنى من احد يعنى احد وقيل هى على اصلها لانها تفيد التبعيض الى هذا الحكم فيكون ذلك فى افادة عموم النفى آكد ومعنى الآية ان اجل المضروب لهم وهو وقت الموت اونزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وانما ادخل الهاء فى اجلها لارادة الامة واخرجها من قوله ومايستأخرون لارادة الرجال * قوله عز وجل (وقالوا) يعنى مشركى مكة (يا ايها الذى نزل عليه الذكر) يعنى القرآن وارادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحى عليه مايشبه الغشى فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله واتى بهذا القرآن العظيم انكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا ايها الذى نزل عليه الذكر فى زعمه واعتقاده واعتقاد اصحابه واتباعه انك لمجنون فى ادائك الرسالة (لوما) قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعنى هلا (تأتينا بالملائكة) يعنى يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعنى فى قولك وادعائك الرسالة (ماننزل الملائكة الا بالحق) يعنى بالعذاب او وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعنى لو نزلت الملائكة اليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا فى الحال ان لم يؤمنوا ويصدقوا (انا نحن نزلنا الذكر) يعنى القرآن انزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر فأخبر الله عز وجل انه هو الذى نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم (وانا له لحافظون) الضمير فى له يرجع الى الذكر يعنى وانا للذكر الذى انزلناه على محمد لحافظون يعنى من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر احد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد

والصلحاء والزهاد والمتشمرين الذين لم يتجردوا عن علائق البدن بالتزكية والتحلية تتوفاهم ملائكة الرحمة بالبشرى بالجنة اى جنة النفس التى هى جنة الافعال والآثار واما الاشرار الاشقياء فكيفما كانوا تتوفاهم ملائكة العذاب اذ القوى الملكوتية المتصلة بالنفوس تتشكل بهيآت تلك النفوس فاذا كانت محجوبة ظالمة كانت هيآتهم غاسقة ظلمانية هائلة فتتشكل القوى الملكوتية القابضة لنفوسهم بتلك الهيآت لمناسبتها ولهذا قيل انما يظهر ملك الموت على صورة اخلاق المحتضر فاذا كانت رديئة ظلمانية كانت صورته هائلة موحشة غلب على من يحضره الخوف والذعر وتذلل وتمسكن ونزل عن استكباره واظهر العجز والمسكنة وهذا معنى قوله (فالقوا السلم) اى سالموا وهانوا ولانوا وتركوا العناد والتمرد وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) فاجيبوا بقولهم (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين

فيه او ينقص منه حرفا واحدا اوكلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عزوجل حفظ هذا الكتاب بقى مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية فى له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعنى وانا لمحمد لحافظون ممن اراده بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه امرا معلوما الا ان القول الاول اصح واشهر وهو قول الاكثرين لانه اشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية الى اقرب مذكور اولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختلفوا فى كيفية حفظ الله عزوجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا مباينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو ارادوا لزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة ان ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر احد من الخلق ان يعارضه وقال آخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعى جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين ﴾ لما تجرا كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون واساؤا الادب عليه اخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار فى قديم الزمان مع انبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة فى الصبر على اذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وفى الآية محذوف تقديره ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى فى شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله فى شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف ﴿ وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين ﴾ السلوك النفاذ فى الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشئ فى الشئ كادخال الخيط فى المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء فى قلوب شيع الاولين كذلك نسلكه اى ندخله فى قلوب المجرمين يعنى مشركى مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهى ابين آية فى ثبوت القدر لمن اذعن للحق ولم يعاند وقال الواحدى قال اصحابنا اضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر فى قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازى احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال فى قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه اى كذلك نسلك الباطل والضلال فى قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن ان الضمير عائد اليه واجيب عنه بانه سبحانه وتعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير فى قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان

اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفهم الملائكة طيبين) الافعال . واما المتقون عن المعاصى والمناهى الوافقون مع احكام الشريعة المعترفون بالتوحيد والنبوة على التقليد لا التحقيق والا لتجردوا بعلم اليقين عن صفات النفس الى مقام القلب فتتوفاهم الملائكة طيبين على صورة اخلاقهم واعمالهم الطيبة الجميلة فرحين مستبشرين (يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة) اى الجنة المعهودة عندهم وهى جنة النفوس من جنات الافعال (بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة اويأتى امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك عنادا وتعنتا

عن فرط الجهل والزاما للموحدين بناء على مذهبهم اذلو قالوا ذلك عن علم ويقين لكانوا موحدين لا مشركين بنسبة الارادة والتأثير الى الغير لان من علم انه لا يمكن وقوع شئ بغير مشيئة من الله علم انه لو شاء كل من فى العالم شيأ لم يشأ الله ذلك لم يمكن وقوعه فاعترف بنفى القدرة والارادة عما عدا الله تعالى فلم يبق مشركا قال الله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا (نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم) فى تكذيب الرسل بالعناد (فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى

المراد من قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين انه الكفر والضلال * وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الاولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعنى ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لوما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى فى ذلك الباب يعرجون يعنى يصعدون والمعارج المصاعد وفى المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما انهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن ابصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثانى انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون فى ذلك الباب فينظرون فى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس سدت ابصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعنى غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واصله من السكور يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعنى سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه اخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة * قوله سبحانه وتعالى (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) البروج التى تنزلها الشمس فى مسيرها واحدها برج وهى بروج الفلك الاثنا عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر فى تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلثون درجة تقطعها الشمس فى كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر فى ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس فى هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعنى منازلهما وقال ابن عطية هى قصور فى السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هى النجوم العظام قال ابو اسحق يريدون نجوم هذه البروج وهى نجوم على ما صورت به وسميت واصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعنى السماء بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) يعنى المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذى اوجد كل شئ وخلقه وصوره (وحفظناها) يعنى السماء (من كل شيطان رجيم) اى مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه

السلام

السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد ان يسترق السمع الا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الا من استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأتبعه) اى لحقه (شهاب مبين) والشهاب شعلة من نار ساطع سمى الكوكب شهابا لاجل مافيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه اوجنبه اويده اوحيث يشاء الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادى (خ) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر اوالكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين احدهما انها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدء امره فكان ذلك اساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمى بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمى ويعضده ماروى ان يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال اول من فزع للرمى بالنجوم هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بنى علاج وكان ادهى العرب فقالوا له الم تر ماحدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التى يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هى التى يرمى بها فهو والله طى الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لامر اراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم ان شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية * مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثانى ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد

يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) الفرق بين ارادة الله تعالى وعلمه وقدرته لايكون الا بالاعتبار فان الله تعالى يعلم كل شئ ويعلم وقوعه في وقت معين بسبب معين على وجه معين فاذا اعتبرنا علمه بذلك قلنا بعالميته واذا اعتبرنا تخصيصه بالوقت المعين والوجه المعين قلنا بارادته واذا اعتبرنا وجوب وجوده بوجود مايتوقف عليه وجوده في ذلك الوقت على ذلك الوجه المعلوم قلنا بقدرته فرجع الثلاثة الى العلم ولو اقتضى علمنا وجود شئ ولم يتغير ولم يحتج الى تروّ وعزيمة غير كونه معلوما وتحريك الآلات لكان فينا ايضا كذلك (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوّئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس

مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض اويأتيهم العذاب من حيث لايشعرون او يأخذهم فى تقلبهم فماهم بمعجزين اويأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اولم يروا الى ماخلق الله من شئ) اى ذات وحقيقة مخلوقة اية ذات كانت من المخلوقات (يتفيؤا ظلاله) اى يجسد ويتمثل هياكله وصوره فان لكل شئ حقيقة هى ملكوت ذلك الشئ واصله الذى هو به هو كما قال تعالى بيده ملكوت كل شى وظلاله هو صفته ومظهره اى جسده الذى به يظهر ذلك الشئ (عن اليمين و) عن (الشمائل) اى عن جهة الخير والشر (سجدالله) منقادة بامره مطواعة لاتمتنع عما يريد فيها اى يحرك هياكله الى جهات الافعال الخيرية والشرية بأمره (وهم داخرون) صاغرون متذللون لامره مقهورون (ولله يسجد) ينقاد (مافى السموات) فى عالم الارواح من اهل الجبروت والملكوت والارواح المجردة المقدسة (وما فى الارض من دابة

وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ابن عباس قال اخبرنى رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بيناهم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذرمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكنتم تقولون فى الجاهلية اذارمى بمثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم اومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لايرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى اهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى يبلغ هذه الخبر السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى اوليائهم ويرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون اخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن فى شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابى حازم وهو جاهلى

فالعير يرهقها الغبار وجحشها ❊ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلى فانقض كالدرى يتبعه ❊ نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمى بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد فى حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله اعلم ❊ قوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعنى بسطناها على وجه الماء كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة انها كرة عظيمة بعضها فى الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر ان الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا اصحاب التفسير بان الله اخبر فى كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله اعلم بمراده وكيف مد الارض (والقينا فيها رواسى) يعنى جبالا ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فاثبتها بالجبال (وانبتنا فيها) اى فى الارض لان انواع النبات المنتفع به تكون فى الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب مذكور ولقوله تعالى (من كل شئ موزون) وانما يوزن ماتولد فى الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون اى معلوم وقال مجاهد وعكرمة اى مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذى يحتاج اليه الناس فى معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لايعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشئ الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب فى الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان جميع ماينبت فى الارض والجبال نوعان احدهما مايستخرج من المعادن

وجميع

وجميع ذلك موزون والثـانى النبات وبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمدّ مقدران بالوزن ﴿ وجعلنالكم فيهـا معايش ﴾ جمع معيشـة وهو مايعيش به الانسان مدة حياته فى الدنيا من المطاعم والمشـارب والملابس ونحو ذلك ﴿ ومن لسـتم له برازقين ﴾ يعنى الدواب والوحش والطير انتم منتفعون بها ولسـتم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وتكون من فى قوله تعالى ومن لستم بمعنى مالان من لمن يعقل ومالمن لايعقل وقيل يجوزا طلاق لفظة من على من لايعقل كقوله تعالى فمنهم من يمشى على بطنه وقيل اراد بهم العبيد والخدم فتكون من على اصلها ويدخل معهم مالايعقل من الدواب والوحش ﴿ وان من شئ الا عندنا خزائنه ﴾ الخزائن جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ للحفظ يقال خزن الشئ اذا احرزه فقيل اراد مفاتيح الخزائن وقيل اراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبنى آدم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا انه فى حكمه وتصرفه وامره وتدبيره * قوله تعالى ﴿ وماننزله الا بقدر معلوم ﴾ يعنى بقدر الكفاية وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من المطر يقال لاتنزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسـوقها الى حيث يشـاءالله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لايزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لاينتفع به كالبرارى والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال فى العرش تمثال جميع ماخلق الله فى البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه ﴿ وارسلنا الرياح لواقح ﴾ قال ابن عباس يعنى للشجر وهو قول الحسن وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى اليهـا الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود فى تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه فى السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر فى هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فانزلنا من السماء ماء قال ابوبكر بن عبـاس لاتقطر قطرة من السماء الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيهـا فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال ابوعبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لها لواقح وان القحت غيرها لان معناها النسبة كما يقال درهم وازن اى ذووزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمعن لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب الرازى عنه بان قال هذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غير اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح اى ذات لقاح وقيل ان الريح فى نفسـها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز ان يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لهـا عقيم اذا لم تأت بخير وورد

والملائكة) فى عالم الاجساد من الدواب والاناسىّ والاشجار وجميع النفوس والقوى الارضية والسماوية (وهم لايستكبرون) لايمتنعون عن الانقيـاد والتذلل لامره (يخافون ربهم) اى ينكسرون ويتأثرون وينفعـلون منه انفعال الخائف (من فوقهم) من قهره وتأثيره وعلوه عليهم (ويفعلون مايؤمرون) طوعا وانقيادا بحيث لايسعهم فهـل غـيره (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله مافى السـموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتـقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) بنسـبة النعمة الى غيره ورؤيته منه وكذا بنسبة الضر الى الغير واحالة الذنب فى ذلك عليه والاستعانة فى رفعه به قال الله تعـالى انا والجن والانس فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى وذلك هو كفران النعمة والغفـلة عن المنعم المشـار اليهما بقوله (ليكفروا بما

في بعض الاخبار ان اللقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ماهبت رياح الجنوب الا وانبعت عينا غدقة (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم انى اسألك خيرها وخير مافيها وخير ماارسلت به واعوذبك من شرها وشر مافيها وشر ماارسلت به وروى البغوى بسنده الى الشافعى الى ابن عباس قال ماهبت ريح قط الاجثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتية وقال اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات ❊ وقوله سبحانه وتعالى (فانزلنا من السماء ماء) يعنى المطر (فاسقيناكوه) يعنى جعلنا لكم المطر سقيا يقال اسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا اعطاه مايشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب ارضه اوماشيته يقال اسقيناه (وما انتم له) يعنى للمطر (بخازنين) يعنى ان المطر في خزائننا لافي خزائنكم وقيل وما انتم له بمانعين (وانا لنحن نحيي ونميت) يعنى بيدنا احياء الخلق واماتتهم لايقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانا لنحن يفيد الحصر يعنى لايقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقى بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقى بعد فناء خلقه الذين امتعهم بما آتاهم فى الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداؤه منه تعالى فاذافنى جميع الخلائق رجع الذى كانوا يملكونه فى الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق اليه ❊ قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون فى الصف الاول لئلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون فى الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين اخرجه النسائى واخرجه الترمذى وقال فيه وقدروى عن ابن الجوزى نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا اشبه ان يكون اصح قال البغوى وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من فى قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من فى قلبها ريبة فتتقدم الى اول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابى هريرة وقال ابن عباس اراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعنى فى الطاعة والخير والمستأخرون يعنى فيهما وقال الاوزاعى اراد بالمستقدمين المصلين فى اول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستأخرين فى صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم آخرا وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم

آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) وبال ذلك الاعتقاد عليهم او فسوف تعلمون بظهور التوحيد ان لاتأثير لغير الله فى شئ (ويجعلون لما لا يعلمون) وجوده مما سواه (نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون واذابشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب الاساء مايحكمون للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله مايكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لاجرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وماانزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم الذى

كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما نجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لايخفى عليه شئ من احوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) يعنى على ماعلم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ماماتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ماما ت عليه * قوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان) يعنى آدم عليه السلام فى قول جميع المفسرين سمى انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسى (من صلصال) يعنى من الطين اليابس الذى اذا نقرته سمعت له صلصلة يعنى صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذى اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائى وقال هو من صل اللحم اذا انتن (من حما) يعنى من الطين الاسود (مسنون) اى متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال ابوعبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ماذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما اراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبلها بالماء حتى اسودت وانتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وجره حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حما مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة انسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعنى صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تفخر فى الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا * قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعنى من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان آدم ابو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفى الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولايموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لايتوالدون ولايأكلون ولايشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم فى الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتى المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعنى من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التى تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التى تكون بالليل الحرور وقال ابوصالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهى نار بين السماء والحجاب فاذا حدث امر خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت به فالهدة التى تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول اصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن مسعود

اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فأحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون

هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التى خلق منها الجان وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من حى من الملائكة يسمعون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور * قوله عزوجل (واذ قال ربك للملائكة) اى واذكر يامحمد اذ قال ربك للملائكة (انى خالق بشرا) سمى الآدمى بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد (من صلصال من حما مسنون) تقدم تفسيره (فاذا سويته) يعنى عدلت صورته واتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) النفخ عبارة عن اجراء الريح فى تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح فى النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحى واضاف الله عزوجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبدالله وسيأتى الكلام على الروح فى تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال لله لهم انى خالق بشرا امرهم بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لاسجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم) يعنى الذين امروا بالسجود لآدم (اجمعون) قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لوقال فسجد الملائكة لاحتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا باسرهم ثم عند هذا بقى احتمال آخر وهو انهم سجدوا فى اوقات متفرقة او فى دفعة واحدة فلما قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين معرفة فلاتكون حالا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله سبحانه وتعالى امر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فارسل الله عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لآدم فسجدوا (الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين) يعنى مع الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم فسجدوا (قال) يعنى قال الله (ياابليس مالك الاتكون مع الساجدين قال) يعنى ابليس (لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) أراد ابليس انه افضل من آدم لان آدم طينى الاصل وابليس نارى الاصل والنار افضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه افضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) اى طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون فى السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذى هو يوم القيامة قلت لابل يزداد عذابا الى اللعنة التى عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لاانقطاع له (قال رب فانظرنى) يعنى اخرنى (الى يوم يبعثون) يعنى يوم القيامة واراد بهذا السؤال انه لايموت ابدا لانه اذا امهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لايموت فيه احد لزم من ذلك انه لايموت ابدا فلهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس اربعون سنة

وبنعمت الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلاتضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون) فيقولون هو اعطانى كذا ولولم يعطى لكان كذا وفلان رزقنى واعانى فيجعلون لغيره تأثيرا فى وصول ذلك اليه وان لم يثبتوا له تأثيرا فى وجوده فقد جعلوا له نصيبا مما رزقهم الله (ضرب الله مثلا) للمجرد والمقيد والمشرك والموحد (عبدا مملوكا) محبا لغيرالله مؤثرا له بهواه فان المقيد بالشئ يدين بدينه ويصدر عن حكمه ويتصرف بامره فهو عبده اذ كل من احب شيأ اطاعه واذا اطاعه فقد عبده فنهم من يعبد الشيطان ومنهم من يعبد الشهوة ومنهم من يعبد الدنيا اوالدينار اواللباس كما قال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخيصة وقال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واذا عبده كان مملوكه ورقيقه (لايقدر على شئ) لان المحب والعابد لايرتقى همته وتأثيره وقوة نفسه من محبوبه ومعبوده والا لما كان

وهو مابين النفختين ولم تكن اجابةالله تعالى اياه فىالامهال اكراماله بل كان ذلك الامهال زيادةله فى بلائه وشقائه وعذابه وانماسمى يومالقيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلكاليوم لايعلمه احد الاالله تعالى فهومعلوم عنده وقيل لانجيع الخلائق يموتون فيه فهومعلوم بهذا الاعتبار وقيل لماسأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون اجابهالله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذى عينت وسألت الانظار اليه (قال رب بمااغويتنى) الباء للقسم فىقوله بما ومامصدرية وجواب القسم (لازينن) والمعنى فباغوائك اياى لازينن لهم فىالارض وقيل هىباء السبب يعنى بسبب كونى غاويا لازينن (لهم فىالارض) يعنى لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك (ولاغوينهم اجمعين) يعنى بالقاء الوسوسة فىقلوبهم وذلك ان ابليس لماعلم انه يموت على الكفر غيرمغفورله حرص علىاضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال (الا عبادك منهم المخلصين) يعنى المؤمنين الذين اخلصوالك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الامناخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم انكيده ووسوسته لاتعمل فيهم ولايقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصالله عن شائبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات فلايخلوا ماان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط اوغيرالله اومجموع الامرين اما ما كانلله تعالى فهوالخالص المقبول واما ما كان لغيرالله فهوالباطل المردود واما من كان مراده مجموع الامرين فانترجح جانبالله تعالى كان من المخلصين الناجين وانترجح الجانب الآخركان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى اى الجانبين رجح اخذبه (قال) يعنى قالالله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لايعرج الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد والوعيد كمايقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على اى لاتنفلت وقيل معناه على استقامة بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص طريق على والى يؤدى الى كرامتى ورضوانى (انعبادى ليسلك عليهم سلطان) اىقوة وقدرة وذلك ان ابليس لماقال لازينن لهم فىالارض ولاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين اوهم بهذا الكلام انله سلطانا على غير المخلصين فبينالله سبحانه وتعالى انه ليسله سلطان على احد من عبيده سواء كان من المخلصين اولم يكن من المخلصين قال اهل المعانى ليسلك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقالمعناه ليسلك عليهم سلطان ان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء خاصته اى الذين هداهم واجتباهم من عباده (الا من اتبعك من الغاوين) يعنى الامن اتبع ابليس من الغاوين فانله عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به (وان جهنم لموعدهم اجمعين) يعنى موعد ابليس واشياعه واتباعه (لها) يعنى لجهنم (سبعة ابواب) يعنى سبع طبقات قال على بن ابى طالب تدرون كيف ابواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اى سبعة ابواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعنى لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشئ وجزاته جعلته

مقهورا له اسيرا فى وثاقه بل ينقض منه ومعبوده عاجز لاتأثيرله بللاوجود سواء كان جمادا اوحيوانا اوانسانا او ماشئت فهو اعجزمنه واذل ولهذا قيل انالدنيا كالظل اذاتبعته فاتك وانتركته تبعك فان تابع الدنيا احقر قدرا من الدنيا واقل خطرا ولا تأثير للدنيا فكيف به حتى يحصل له وبسببه شئ وان الدنيا ظل زائل فهو ظل الظل ولاظل لظل الظل بل الظل للذات ولاذات له فلاملك له ولاقدرة (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) ومن احبنا واقبل بقلبه علينا وتجرد عما سوانا وانقطع الينا اعطيناه الايد والقوة ورزقناه الملك والحكمة واسبغنا عليه النعمة الظاهرة والباطنة لانه متوجه الى مالك الملك منبع الكل منبع القوى والقدر فاكتسب نفسه القوة والتأثير والقدرة منه وتأثر منه الاكوان والاجرام واطاعه الملك والملكوت كما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يادنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك ثم اذا ربت همته الشريفة عن الاكوان ولم

اجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة اجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار قال الضحاك فى الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة المجوس وفى السادسة اهل الشرك وفى السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امتى اوقال على امة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب ❊ قوله سبحانه وتعالى (ان المتقين فى جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك فى قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصى والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية فى الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التى فى الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون او تجرى هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجرى فى جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجرى من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد (ادخلوها) اى يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى او بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعنى ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن فى القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة فى الغل لانها كامنة فى القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (اخوانا) يعنى فى المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب (على سرر) جمع سرير قال بعض اهل المعانى السرير مجلس رفيع عال مهيا للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعاء الى الجابية (متقابلين) يعنى يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احد منهم فى قفا صاحبه وفى بعض الاخبار ان المؤمن فى الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يمسهم فيها) يعنى فى الجنة (نصب) اى تعب ولا اعياء (وما هم منها) يعنى من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله فى كتابه على خلود اهل الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان ❊ قوله سبحانه وتعالى (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعنى لمن تاب منهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادى ذكره البغوى بغير سند (وان عذابى هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبخع نفسه يعنى لقتل نفسه (خ) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه

تقف بمحبته مع غير الله ولم يلتفت الى ماسواه زدنا فى رزقه فآتيناه صفاتنا ومحونا عنه صفاته فعلمناه من لدنا علما واقدرناه بقدرتنا كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به الحديث (فهو ينفق منه سرا وجهرا) ينفق من النعم الباطنة كالعلم والحكمة سرا ومن الظاهرة جهرا اوينفق من كلتيهما سرا كالذى يصل الى الناس من غير تسببه لوصوله ظاهرا وهو فى الحقيقة منه وصل لانه حينئذ واسطة الوجود الالهى ووكيل حضرته وجهرا كالذى يتسبب هو بنفسه ظاهر الوصوله (هل يستوون) استفهام بطريق الانكار وكذا المشرك كالابكم الذى لم يكن له استعداد النطق فى الخلقة لانه ما استعد للادراك والعقل الذى هو خاصية الانسان فيدرك وجوب وجود الحق تعالى وكماله وامكان الغير ونقصانه فيتبرأ عن غيره ويلوذ به عن حول نفسه وغيره وقوتهما (الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون

وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وادخل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عندالله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عندالله من العذاب لم يأمن من النار وفى الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادى وهذا تشريف وتعظيم لهم الاترى انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل فى هذا التشريف العظيم ومنها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ فى التأكيذ بالفاظ ثلاثة اولها قوله انى وثانيها انا وثالثها ادخال الالف واللام فى الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل انى انا المعذب وماوصف نفسه بذلك بل قال وان عذابى هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه فى التزام المغفرة والرحمة * قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ماقبله اى واخبر يامحمد عبادى عن ضيف ابراهيم واصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى واصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع فى عامة كلامهم وقديجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين ارسلهم الله سبحانه وتعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (اذدخلوا عليه) يعنى اذدخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) اى نسلم سلاما (قال) يعنى ابراهيم (انامنكم وجلون) اى خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لاتوجل) يعنى لا تخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعنى انهم بشروه بولد ذكر غلام فى صغره عليم فى كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبرامرأته (قال ابشرتمونى) يعنى بالولد (على ان مسنى الكبر) يعنى على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعنى فبأى شئ تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعنى بالصدق الذى قضاه الله بان يخرج منك ولد اذكرا تكثر ذريته وهو اسحق (فلا تكن من القانطين) يعنى فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الاياس من الخير (قال) يعنى ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الاالضالون) يعنى من ييأس من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الاعند من يجهل كون الله تعالى قادرا على مايريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلالة (قال) يعنى ابراهيم (فماخطبكم) يعنى فماشأنكم وما الامر الذى جئتم فيه (ايها المرسلون) والمعنى ما الامر الذى جئتم به سوى مابشرتمونى به من الولد (قالوا) يعنى الملائكة (انا ارسلنا الى قوم

وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لايقدر على على شئ) لعدم استطاعته وقصوره وقوته للنقص اللازم لاستعداده (وهو كل على مولاه) لعجزه بالطبع عن تحصيل حاجته فهو عبد بالطبع محتاج متذلل للغير ناقص عن رتبة كل شئ لكونه اقل من لاشئ فان الممكن الذى يعبده ليس بشئ سواء كان ملكا او ملكا اوفلكا اوكوكبا اوعقلا اوغيرها (اينما يوجهه لايأت بخير) لعدم استعداده وشرارته بالطبع فلايناسب الا الشر الذى هو العدم فكيف يأتى بالخير (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) والموحد القائم بالله الفانى عن غيره حتى نفسه يقوم بالحق ويعامل الخلق بالعدل ويأمر بالعدل لان العدل ظل الوحدة فى عالم الكثرة فحيث قام بوحدة الذات وقع ظله على الكل فلم يكن الا آمرا بالعدل (وهو على صراط مستقيم) اى صراط الله الذى عليه خاصته من اهل البقاء بعد الفناء الممدود على نار الطبيعة لاهل الحقيقة يمرون عليه كالبرق اللامع

(ولله غيب السموات والارض) اى ولله علم الذى خفى فى السموات والارض من امر القيامة الكبرى اوعلم مراتب الغيوب السبعة التى اشرنا اليه من غيب الجن والنفس والقلب والسر والروح والخفى وغيب الغيوب او ماغاب من حقيقتهما اى ملكوت عالم الارواح وعالم الاجساد (وما امر الساعة) القيامة الكبرى بالقياس الى الامور الزمانية (الا كلمح البصر) كاقرب زمان يعبرعنه مثل لمح البصر (اوهو اقرب) وهو بناء على التمثيل والا فأمر الساعة ليس بزمانى ومالیس بزمانى يدركه من يدركه لا فى الزمان (ان الله على كل شئ قدير) يقدر على الامانة والاحياء والحساب لافى زمان كما يشاهداهله وخاصته (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير) القوى الروحانية والنفسانية من الفكر والعقل النظرى والعملى بل الوهم والتخيل (مسخرات فى جوّ السماء) اى فضاء عالم

مجرمين) يعنى لهلاك قوم مجرمين (الا آل لوط) يعنى اشياعه واتباعه من اهل دينه (انالمنجوهم اجمعين الاامرأته) يعنى امرأة لوط (قدرنا) يعنى قضينا وانما اسندالملائكة القدر الى انفسهم وان كان ذلك لله عزوجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن امرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك (انها لمن الغابرين) يعنى لمن الباقين فى العذاب والاستثناء من النفى اثبات ومن الاثبات نفى فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك ان الملائكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم فى زى شبان مردان حسان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون يعنى لااعرفكم ولااعرف من اى الاقوام انتم ولالأى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعنى الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنى جئناك بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه (واتيناك بالحق) يعنى باليقين الذى لاشك فيه (وانا لصادقون) يعنى فيما اخبرناك به من اهلاكهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشئ وبعضه (واتبع ادبارهم) يعنى واتبع آثار اهلك وسر خلفهم (ولايلتفت منكم احد) يعنى حتى لايرى مانزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع فى السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بماخلفه كماتقول امض لشأنك ولاتعرج على شئ وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط واثلا يتخلف احدمنهم فيناله العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعنى الى الشأم وقيل الاردن وقيل الى حيث يامركم جبريل وذلك ان جبريل امرهم ان يسيروا الى قرية معينة ماعمل اهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعنى واوحينا الى لوط ذلك الامر الذى حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذى قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعنى ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما ابهم الامر الذى قضاه عليهم اولا وفسره ثانيا تفخيماله وتعظيما لشأنه (وجاء اهل المدينة) يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعنى يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لمانزلوا على لوط ظهر امرهم فى المدينة وقيل ان امرأته اخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا فى غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفى) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلاتفضحون) يعنى فيهم يقال فضحه يفضحه اذا اظهر من امره مايلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فى امرهم (ولاتخزون) يعنى ولاتخجلون (قالوا) يعنى قوم لوط الذين جاؤا اليه (اولم ننهك عن العالمين) يعنى اولم ننهك عن ان تضيف احدامن العالمين وقيل معناه اولم ننهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد ان نركب منهم الفاحشة وقيل معناه السناقد نهيناك ان تكلمنا فى احد من العالمين اذاقصدناه بالفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه الذين قصدوا اضيافه (هؤلاء بناتى) ازوجكم اياهن ان اسلمتم فأتوا الحلال ودعوا

الحرام

الحرام وقيل اراد بالبنات نساء قومه لان النبي كالو الدلامته (ان كنتم فاعلين) يعني ما آمركم به (لعمرك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ماخلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه (انهم لفي سكرتهم) يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم (يعمهون) يعني يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون (فاخذتهم الصيحة مشرقين) يعني حين اضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين اشرقت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود (ان في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب (لآيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال قتادة للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التأويل ماروى عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخير وهي على نوعين احدهما مادل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب اوليائه فيعلمون بذلك احوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك احوال الناس ايضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشئ وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا اى عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعني قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى ان آثار ما انزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشأم يشاهدون ذلك ويرون اثره (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما انزل بهم (لآية للمؤمنين) يعني المصدقين بما انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان كان اصحاب الايكة لظالمين) يعني كان اصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله الظالمين للتأكيد وقوم شعيب عليه السلام كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى اخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم جميعا (وانهما) يعني مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة (لبامام مبين) يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمى الطريق اماما لانه يؤم ويتبع ولان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده * قوله عز وجل (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر

الارواح (ما يمسكهن) من غير تعلق بمادة ولا اعتماد على جسم ثقيل (الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله) اى هداية النبي او وجوده لما ذكرنا ان كل نبي يبعث على كمال يناسب استعدادات امته ويجانسهم بفطرته فيعرفونه بقوة فطرتهم (ثم ينكرونها) لعنادهم وتعنتهم بسبب غلبة صفات نفوسهم من الكبر والانفة وحب الرياسة او لكفرهم واحتجابهم عن نور الفطرة بالهيآت الفاسقة الظلمانية وتغير الاستعداد الاول (واكثرهم الكافرون) في انكاره لشهادة فطرهم بحقيقته (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) اى نبعث نبيهم

عليها ركب الشام الى الحجاز واهل الحجاز الى الشام واراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم اولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة وولدها والآيات التى كانت فى الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما اضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعنى عن الآيات (معرضين) يعنى تاركين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) يعنى خوفا من الخراب اوان يقع عليهم الجبال اوالسقف (فاخذتهم الصيحة) يعنى العذاب (مصبحين) يعنى وقت الصبح (فما اغنى عنهم ماكانوا يكسبون) يعنى من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه واسرع السير حتى جاوز الوادى ❁ قوله سبحانه وتعالى (وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق) يعنى لاظهار الحق والعذاب وهو ان يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لآتية) يعنى وان القيامة لتأتى ليجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته (فاصفح الصفح الجميل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى فأعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل مانلقى من اذى قومك وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالى والخوف (ان ربك هو الخلاق العليم) يعنى انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ماهم فاعلوه وما يصلحهم ❁ قوله عزوجل (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) قال ابن الجوزى سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى واذرعات ليهود قريظة والنضير فى يوم واحد فيها انواع البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها فى سبيل الله فأنزل الله هذه الآية وقال قد اعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لاتمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف اولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع اهل التفسير وليس فيها من المدنى شئ ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح ان يقال ان سبع قوافل جاءت فى يوم واحد فيها اموال عظيمة حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الآية واخبرهم ان هذه السبع آيات هى خير من هذه السبع القوافل والله اعلم وفى المراد بالسبع المثانى اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلى وابن مسعود وفى رواية عنه وابن عباس وفى رواية الاكثرين عنه وابى هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفى رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة فى آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثانى اخرجه ابوداود والترمذى (ق) عن ابى سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته اخرجه البخارى وفيه زيادة اما السبب فى تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثانى فلانها سبع آيات

على غاية الكمال الذى يمكن لامته الوصول اليه او القرب منه والتوجه اليه لامكان معرفتهم اياه فيعرفونه ولهذا يكون لكل امة شهيد غير شهيد الامة الاخرى ويعرف كل من قصر وخالف نبيه بالاعراض عن الكمال الذى يدعو اليه والوقوف حضيض النقصان قصوره واحتجابا فلا حجة له ولا نطاق فيبقى متحيرا متحسرا وهو معنى قوله (ثم لايؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون) ولاسبيل له الى ادراك مافاته من كماله لعدم آلته ولايمكن ان يرضى بحاله لقوة استعداده الفطرى الذى جبل عليه وشوقه الاصلى الغريزى اليه فهو مكظوم لايستعتب ولا يسترضى (واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلايخفف عنهم ولاهم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ماكانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب

باجماع اهل العلم واختلفوا فى سبب تسميتها بالمثانى فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى فى الصلاة فتقرا فى كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد و بين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثانى دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين الحديث مذكور فى فضل الفاتحة وقيل سميت مثانى لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبدواياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه الفاظ مثناة وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابوزيد البلخى لانها تثنى اهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عنانى وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثانى لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمدالله وتوحيده وملكه واذاثبت كون الفاتحة هى السبع المثانى دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من افضل سور القرآن لان افرادها بالذكر فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعامن المثانى والقرآن العظيم مع انها جزء من اجزاء القرآن واحدى سوره لابد وان يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثانى فى تفسير قوله سبعا من المثانى انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفى رواية عنه وابن عباس وفى رواية عنه وسعيد بن جبير وفى رواية عنه والسبع الطوال هى سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا فى السابعة فقيل الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هى سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ماروى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى اعطانى السبع الطوال مكان التوراة واعطانى المئين مكان الانجيل واعطانى مكان الزبور المثانى وفضلنى ربى بالمفصل اخرجه البغوى باسناد الثعلبى قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثانى لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه الطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهى مكية واجيب عن هذا الايراد بأن الله سبحانه وتعالى حكم فى سابق علمه بانزال هذه السور على النبى صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسير هذه الآية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثانى هى السور التى هى دون الطوال وفوق المفصل وهى المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطانى مكان الزبور المثانى والقول الرابع ان السبع المثانى هى القرآن كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى وسمى القرآن كله مثانى لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن فى قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثانى وهل هو الا عطف الشئ على نفسه قلت اذا عنى بالسبع المثانى فاتحة الكتاب اوالسبع الطوال فاوراء هن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الاترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف عليه السلام واذا عنى بالسبع المثانى القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهى القرآن العظيم واعاصمى القرآن عظيما لانه

بما كانوا يفسدون ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) اى الاستسلام والانقياد وقد جاء انكارهم كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وذلك بحسب المواقف فالانكار فى الموقف الاول وقت قوة هيآت الرذائل وشدة شكيمة النفس فى الشيطنة وغاية البعد عن النور الالهى للاحتجاب بالحجب الغليظة والغواشى المظلمة حتى لايعلم انه كان يراه ويطلع عليه ونهاية تكدر نور الفطرة حتى يمكنه اظهار خلاف مقتضاه والاستسلام فى الموقف الثانى بعد مرور احقاب كثيرة من ساعات اليوم الذى كان مقداره خمسين الف سنة حين زالت الهيآت ورقت وضعفت شراشر النفس فى رذائلها وقرب من عالم النور لرقة الحجب ولمعان نور فطرته الاولى فيعترف وينقاد هذا اذا كان الاستسلام والانكار لنفوس بعينها وقد يكون الاستسلام للبعض الذين لم ترسخ هيآت رذائلهم ولم تغلظ حجبهم ولم ينطفئ نور استعدادهم والانكار

كلام الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم * قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تمدن عينيك يا محمد (الى ما متعنا به ازواجا) يعني اصنافا (منهم) يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شئ فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشئ اذا ادام النظر اليه مستحسنا له فيحصل له من ذلك تمنى ذلك الشئ المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شئ من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعني ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا ففيه النهي عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابي مريم ما قاتلا لا يموت قال النار (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت اصحب الاغنياء فما كان احد اكثر هما مني كنت ارى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت * وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعني لين جانبك (للمؤمنين) وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) اي وقل لهم يا محمد (اني انا النذير المبين) لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى اني انا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين البين النذارة (كما انزلنا على المقتسمين) يعني انذركم عذابا كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب اراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان اقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل

لمن ترسخت فيه الهيآت وقويت وغلبت عليه الشيطنة واستقرت وكثف الحجاب وبطل الاستعداد والله اعلم (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) قد مر في سورة النساء (ونزلنا عليك الكتاب) اي العقل الفرقاني بعد الوجود الحقاني (تبيانا لكل شئ) تبيينا وتحقيقا لحقيقة كل شئ وهداية لمن استسلم وانقاد باسلامه فطرته الى كماله (وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) له بتبليغه الى ذلك الكمال بالتربية والامداد وبشارة له ببقائه على ذلك الكمال ابدا سرمدا في الجنان الثلاث (واوفوا بعهد الله) الذي هو تذكر العهد السابق وتجديده بالعقد اللاحق بالبقاء على حكمه في الاعراض عن الغير والتجرد عن العوائق والعلائق في التوجه اليه (اذا عاهدتم) اي تذكرتموه باشراق نور النبي عليكم وتذكيره اياكم (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد

بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مربهم من حجاج العرب لاتغتروا بهذا الخارج الذى يدعى النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوه عما قال اولئك المقتسمون قال صدقوا ❋ وقوله سبحانه وتعالى ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه اجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشئ اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن اجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضه وهو السحر يعنى انهم جعلوا القرآن سحرا ﴿ فوربك لنسألنهم اجمعين ﴾ اقسم الله بنفسه انه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴿ عما كانوا يعملون ﴾ يعنى عما كانوا يقولونه فى القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع الضمير فى لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم اولى قال جماعة من اهل العلم عن لا اله الا الله عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لايسألهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان يعنى سؤال استعلام وقوله لنسألنهم اجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس ايضا انه قال فى الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون فى بعض المواقف ولا يسئلون فى بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لاينطقون وقال تعالى فى آية اخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ❋ قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ قال ابن عباس اظهر ويروى عنه امضه وقال الضحاك اعلم واصل الصدع الشق والفرق اى افرق بالقرآن بين الحق والباطل امر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من ارسل اليهم قال عبدالله بن عبيدة مازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو واصحابه ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ اى اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ اكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما النسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيرى فانى انا كافيك وحافظك ممن عاداك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزؤن بالنبى صلى الله عليه

جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هى اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ماكنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ماعندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ماكانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى) اى عملا يوصله الى كماله الذى يقتضيه استعداده اذ الصلاح فى الشخص توجهه الى كماله اوكونه على ذلك الكمال والفساد بالضد وفى العمل كونه وصلة ووسيلة اليه من صاحب قلب بالغ الى كمال الرجولية او صاحب نفس قابلة لتأثير القلب

وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى
والاسود بن المطلب بن الحرث بن اسد بن عبدالعزى بن زمعة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن
وهب بن عبدمناف بن زهرة والحرث بن قيس بن طلاطلة كذا ذكره البغوى وقال ابن الجوزى
الحرث بن قيس بن عيطلة وقال الزهرى عيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب الى ابيه وامه قال
المفسرون اتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون
بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة
فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبدالله فقال قد كفيته واوما الى ساق الوليد
فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نباله وعليه برد يمانى وهو يجر ازاره فتعلقت
شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر ان يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضربه فى ساقه
فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص بن وائل السهمى فقال جبريل كيف تجد هذا
يا محمد فقال بئس عبدالله فاشار جبريل الى اخمص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على
راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ شبرقة فدخل منها شوكة فى اخمص
رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير
فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء
فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء
فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفى رواية الكلبى قال
اتاه جبريل وهو قاعد فى اصل شجرة ومعه غلام له وفى رواية فجعل ينطح رأسه فى الشجرة
ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما ارى احدا يصنع بك شيأ غيرك
فمات وهو يقول قتلنى محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا
يا محمد فقال بئس عبدالله على انه خالى فقال جبريل قد كفيته واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات
وفى رواية الكلبى انه خرج من اهله فأصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى اهله
فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلنى رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس
فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا
فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك
قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعنى بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
يعلمون) يعنى اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد * قوله سبحانه وتعالى (ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون) يعنى بسبب مايقولون وهو ماكانوا يسمعون من الاستهزاء به
والقول الفاحش والجبلة البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند
ذلك امره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بامر
ربك (وكن من الساجدين) يعنى من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل
سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعنى من المصلين روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان اذا احزنه امر فرع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب فى زوال الحزن

مستفيضة منه (وهو مؤمن)
اى معتقد للحق اعتقادا
جازما اذ صلاح العمل
مشروط بصحة الاعتقاد
والا لم يتصور كماله على ماهو
عليه ولم يعتقده على الوجه
الذى ينبغى فلم يمكنه عمل
يوصله اليه فلا يكون مايعمله
صالحا حينئذ فى الحقيقة
وان كان فى صورة الصلاح
(فلنحيينه حياة طيبة) اى
حياة حقيقية لاموت بعدها
بالتجرد عن المواد البدنية
والانخراط فى سلك الانوار
السرمدية والتلذذ بكمالات
الصفات فى مشاهدات
التجليات الافعالية والصفاتية
(ولنجزينهم اجرهم)
من جنان الافعال والصفات
(بأحسن ماكانوا يعملون)
اذ عملهم يناسب صفاتهم
التى هى مبادى افعالهم
واجرهم يناسب صفاتنا
التى هى مصادر افعالنا
فانظر كم بينهما من التفاوت
فى الحسن (فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم) فادرج
عن مقام النفس بالعروج
الى جناب القدس فان النفس
مأوى كل كدورة ومنبع كل
رجس تناسب وساوس
ومن الشيطان وتجردها

عن القلب

عن القلب اذا اتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة فكانه يقول يارب انما يجب على عبادتك سواء اعطيتني ما احب او كفيتني ما اكره فأنا عبدك وبين يديك فافعل بي ماتشاء * قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذي لايشك فيه احد والمعنى واعبد ربك في جميع اوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وانت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم واوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا روى البغوى بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مااوحى الله الى ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين ابويه يغذيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها اوقال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ماترون ذكره البغوى بغير سند والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النحل

مكية الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا وقوله تعالى وان عاقبتم الى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية والفان وثمانمائة واربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى (اتى امر الله) يعني جاء ودنا وقرب امر الله تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع المجيء بعدما اتى ومعنى الآية اتى امر الله وعدا (فلا تستعجلوه) يعني وقوعا والمراد به مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ماكنتم تعملون حتى ننظر ماهو كائن فلما رأوا انه لاينزل شيء قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يامحمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب مجيء الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما اخرجاه

بأحاديثها فان ارتقيت من مقرها لم يكن للشيطان عليك سلطان لانه لايطيق نور حضور الحق وحضرة القلب مهبط انواره وجناب صفاته المقدسة ومحل تجلياته النورية فغذ اليها وعذ بنور الله فيها تستحكم بنيان ايمانك باليقين فان الايمان الذى لايبقى معه سلطان الشيطان كما قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا) اقل درجاته اليقين العلمى الذى محله القلب الصافى ولايكفى هذا اليقين فى نفى سلطانه الا اذا كان مقرونا بشهود الافعال الذى هو مقام التوكل كما قال تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) والفناء فى الافعال لايمكن مع بقاء صفات النفس اذ بقاء صفاتها يستدعى افعالها ولهذا قيل لايمكن ايفاء حق مقام وتصحيحه واحكامه الابعد الترقى الى مافوقه فبالترقى الى مقام الصفات يتم فناء الافعال فيصح التوكل (انما سلطانه على الذين يتولونه) فى مقام النفس بالمناسبة التى بينهما فى الظلمة والكدورة اذ التولى مرتب على الجنسية (والذين هم به مشركون) بنسبة القوة

فى الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفى رواية بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا الى النبى صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر ههنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعنى تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون * قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعنى بالوحى (من امره) وانما سمى الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعنى على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحى الى الخلق (أن انذروا) يعنى بأن اعلموا (انه لا اله الا انا فاتقون) اى فخافون وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعنى مخوفين بالقرآن (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعنى انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت فى أبى بن خلف الجمحى وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيى هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه ايضا قوله تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم والصحيح ان الآية عامة فى كل مايقع من الخصومة فى الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف قبيح مافعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم * قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق السموات والارض ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ماينتفع به فى سائر ضروراته ولما كان اعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المتنفع به فى ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهى الابل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظر احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدئ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو مايستدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعنى النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ماينتفع به من الانعام (ومنها تأكلون) يعنى من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقدم

والتأثير اليه بل بطاعته وانقياد اوامره للتولى المذكور (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه) لكون الظلمة له ذاتية بحسب استعداده الاول والنور عارضيا فى حجاب خاق عن نور الايمان ان اعتراه شعاع قدسى من نفس الرسول او من فيض القدس اواثر فيه وعدا ووعيدا وكلمة حق فى دعوته الى الحق فى حال اقبال من قلبه ودعاء داعية نفسانية من حصول نفع ودفع ضر ماليين اوجاه وعزة بسبب الاسلام آمن ظاهرا ومقامه ومقره الكفر فقد استحق

الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها امات الاكل من هذه الانعام هو الذى يعتمده النـاس فى معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فغير معتدبه فى الاغلب واكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب فى الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم اخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل ❊ وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيهـا) اى فى الانعام (جمال) اى زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الاراحة رد الابل بالعشى الى مراحها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحـا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ماتكون هذه الراحة ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلاء وخرجت العرب للنجعة واحسن ماتكون النعم فى ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشى بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشى الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء ثغاء يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها بها وتتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند النـاس فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال فى الاراحة وهو رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيفرح اهلها بها بخلاف تسريحهـا الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ فى التفرق والانتشار للرعى فى البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل فى الاراحة اكثر منه فى التسريح فوجب تقديمه ❊ وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل اثقالكم) الاثقال جمع ثقل وهو متـاع السفر ومايحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعنى غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطـاب لاهل مكة واكثر تجاراتهم واسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه اولى من تخصيصه ببعض المخاطبين (لم تكونوا بالغيه) يعنى بالغى ذلك البلد الذى تقصدونه (الا بشق الانفس) يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشئ والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصـان قوة النفس وذهـاب نصفها (ان ربكم لرؤف رحيم) يعنى بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع ❊ قوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغـال والحمير لتركبوهـا) هذه الآية عطف على ماقبلهـا والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل ان تركبوهـا والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعنى وجعلها زينة مع المنافع التى فيها

﴿ فصل ﴾ احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عبـاس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وابو حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعـالى علمنا تحريم اكله فلو كان اكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنهـا تأكلون وخص هذه بالركوب فقـال لتركبوها فعلمنا انهـا مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء

غضب الله لانه محجوب بحسب الاستعداد عن اول مراتب الايمان الذى هو شهود الافعال بالاستدلال من الصنع على الصانع فعقابه من باب الافعال والصفات لا الذات (الا من اكره) على الكفر بالانذار والتخويف (وقلبه مطمئن) ثابت متمكن مملوء (بالايمان) لنورية فطرته فى الاصل وكون النور ذاتياله بحسب الفطرة والكفر والاحتجاب انما عرض بمقتضى النشأة وقد زال الحجاب العارضى (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اى طاب به نفسا ورضى واطمأن لكونه مستقره ومأواه الاصلى (فعليهم غضب) عظيم اى غضب (من الله ولهم عذاب عظيم) لاحتجابهم عن جميع مراتب الانوار من الافعال والصفات والذات فما اغلظ حجابهم وما اعظم عذابهم (ذلك) اى انشراح الصدر بالكفر والرضا به (ب) سبب (انهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) لكونها مبلغ علمهم ونهايته ومابلغ علمهم الى الآخرة لانسداد بصـائر قلوبهم ومناسبة

وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه واحد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بماروى عن اسماء بنت ابي بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب من اباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل اثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا بها جمعا بين النصين والله اعلم * وقوله تعالى (ويخلق مالا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها مالا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عزوجل في البر والبحر والسموات اكثر من ان تحصى او يحيط بها عقل احدا وفهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم ويخلق مالا تعلمون يعني مما اعدالله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لاعين رأت ولا اذن سمعت وخطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق مالا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه * قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا اداك الى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائر) يعني ومن السبيل سبل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبدالله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبدالله بن المبارك وسهل بن عبدالله قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع (ولو شاء لهداكم اجمعين) فيه دليل على ان الله تعالى ماشاء هداية الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم اجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم اجمعين وذلك يفيد انه تعالى ماشاء هدايتهم فلا جرم ماهداكم * قوله عزوجل (هو الذي انزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده

استعدادهم للامور الفاسقة السفلية من المواد الجسمية فاحبوا ما اشعروا به ولائم حالهم وحب الدنيا رأس كل خطيئة لاستلزامه الحجاب الاغلظ الذي لا خطيئة الا تحته وفي طيه (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) اي المحجوبين باغلظ الحجب لامتناع قبولهم للهداية (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم) بقساوتها وكدورتها في الاصل فلم ينفتح لهم طريق الالهام والفهم والكشف (وسمعهم وابصارهم) بسد طريق المعنى المراد من مسموعاتهم وطريق الاعتبار من مبصراتهم الى القلب فلم يؤثر فيهم شيء من اسباب الهداية من طريق الباطن من فيض الروح والقاء الملك واشراق النور ولا من طريق الظاهر بطريق التعليم والتعلم والاعتبار من آثار الصنع (واولئك هم الغافلون) بالحقيقة لعدم انتباههم بوجه من الوجوه وامتناع تيقظهم من نوم الجهل بسبب من الاسباب (لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون) الذين ضاعت دنياهم التي استعدوا

بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من اعظم النعم على العباد فقال وهو الذى انزل من السماء يعنى والله الذى خلق جميع الاشياء هو الذى انزل من السماء ماء يعنى المطر (لكم منه) يعنى من ذلك الماء (شراب) يعنى تشربونه (ومنه) يعنى ومن ذلك الماء (شجر) الشجر فى اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف ماجل وعظم وهو الذى يبقى على الشتاء ومادق وهو صنفان احدهما تبقى له ادوحة فى الشتاء وينبت فى الربيع ومنها مالا يبقى له ساق فى الشتاء كالبقول وقال ابو اسحق كل ماينبت على وجه الارض فهو شجر وانشد نطعمها اللحم اذا عز الشجر * اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال ابن قتيبة فى هذه الآية يعنى الكلأ ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى انزل من السماء ماترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر (فيه) يعنى فى الشجر (تسيمون) يعنى ترعون مواشيكم يقال اسمت السائمة اذا خليتها ترعى وسامت هى اذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) اى ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم لكم (به) اى بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله فى الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر فى الثمار تفصيلا واجمالا فبدا بذكر الزرع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير وما اشبههما لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده * ثم قال تعالى (ان فى ذلك) يعنى الذى ذكر من انواع الثمار (لآية) يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا (لقوم يتفكرون) يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم تفسيره فى سورة الاعراف (مسخرات) يعنى مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هى الفعالة المتصرفة فى العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات فى نفسها مذللات (بامره) يعنى بامر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وانها ليس لها تصرف فى نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يعنى ان كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان لله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما اراد منهم (وماذرأ لكم فى الارض) يعنى وماخلق لكم فى الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار (مختلفا الوانه) يعنى فى الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوان المخلوقات مع كثرتها حتى لايشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يعنى فيعتبرون بذلك * قوله سبحانه وتعالى (وهو الذى سخر) لكم (البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات

فى تحصيلها وسعهم واتلفوا فى طلبها اعمارهم وليسوا من الآخرة فى شئ الا فى عذاب هيآت التعلقات ووبال التحسرات (ثم ان ربك للذين هاجروا) اى تباعد بين هؤلاء المحجوبين الذين ان ربك عليهم بالغضب والقهر وبين الذين ان ربك لهم بالرضا والرحمة وهم الذين هاجروا عن مواطن النفس بترك المألوفات والمشتهيات (من بعد مافتنوا) وابتلوا بحكم النشأة البشرية (ثم جاهدوا) فى الله بالرياضات وسلوك طريقه بالترقى فى المقامات والتجريد عن الهيآت والتعلقات (وصبروا) على ماتحب النفس وتكرهه بالثبات فى السير (ان ربك من بعدها) بعد هذه الاحوال (لغفور) لهم بستر غواشى الصفات النفسانية (رحيم) بافاضة الكمالات وابدال صفاتهم بالصفات الالهية (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت وهم لايظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) للنفس المستعدة القابلة الصافية عن

الكدورات المستفيدة من فيض القلب الثابتة فى طريق اكتساب الفضائل الآمنة من خوف فواتها وفنائها المطمئنة باعتقادها (يأتيها رزقها رغدا) من العلوم النافعة والفضائل الحميدة والانوار الشريفة (من كل مكان فكفرت بانعم الله) اى من جميع الجهات الطرق البدنية كالحواس الممتازة اياها قوت العلوم الجزئية والجوارح والآلات التى تطاوعها فى الاعمال الجميلة وتمرين الفضيلة اذا كانت منقادة للقلب مطواعة له قابلة لفيضه باقية على معتقدها من الحق تقليدا ومن جهة القلب كامداد الانوار وهيآت الفضائل فظهرت بصفاتها بطرا واعجابا بزينتها وكمالها ونظرا الى ذاتها ببهجتها وبهائها فاحتجبت بصفاتها الظلمانية عن تلك الانوار ومالت الى الامور السفلية من زخارف الدنيا واللذات الحسية وانقطع امداد القلب عنها وانقلبت المعانى الواردة اليها من طرق الحس هيآت غاسقة من صور المحسوسات التى انجذبت اليها (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف)

والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر انعامه فى ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به امابالركوب عليه اوبالغوص فيه اوالصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من انواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذى سخر البحر (لتأكلوا منه لحما طريا) فبدأ بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لان به قوام البدن وفى ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لوكان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى مايعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذى لحمه فى غاية العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلقه لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد * المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم ليس نسائهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم * المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر فيه) يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر فى اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعنى انها اذا جرت يسمع لها صوت قال ابو عبيدة يعنى صوائخ والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعنى مواقراى مملوءة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعنى الارباح بالتجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم (والقى فى الارض رواسى) يعنى جبالا ثقالا (ان تميد بكم) يعنى لئلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال (وانهارا) يعنى وجعل فيها انهارا لان فى القى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وانهارا معطوف على والقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار واصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها فى اسفاركم والتردد فى حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان (لعلكم تهتدون) يعنى بتلك السبل الى ماتريدون فلا تضلون (وعلامات) يعنى وجعل فيها علامات تهتدون بها فى اسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكلبى اراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد اراد بالكل النجوم فمنها مايكون علامات ومنها مايهتدى به وقال السدى اراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدى فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف مالا علم له به * قوله سبحانه وتعالى (افمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ماذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة

المذكورة فى الآيات المتقدمة كلها دالة على كال قدرة الله تعالى و وحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التى لاتضر ولاتنفع ولاتقدر على شئ افمن يخلق يعنى هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لايخلق يعنى هذه الاصنام العاجزة التى لاتخلق شيأ البتة لانها جمادات لاتقدر على شئ فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها و يترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (افلاتذكرون) يعنى ان هذا القدر ظاهر غير خاف على احد فلايحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بماذكر بقى فى الآية سؤالان الاول قوله كمن لايخلق المراد به الاصنام وهى جمادات لاتعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهى لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل فى زعمهم الاترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لايخلقون شيأ فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثانى قوله افمن يخلق كمن لايخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام افمن يخلق كمن لايخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه خلق الاشياء العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة فى التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لاتخلق شيأ البتة والله اعلم

* وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) يعنى ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذى يفهم به الاشياء و بطش اليدين وسعى الرجلين الى غير ذلك مما انعم به عليه فى نفسه وفيما انعم به عليه مما خلق له من جميع مايحتاج اليه من امر الدين والدنيا لاتحصى حتى لورام احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التى لايمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها يعنى ولو اجتهدتم فى ذلك واتعبتم نفوسكم لاتقدرون عليه (ان الله لغفور) يعنى لتقصيركم فى القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعنى بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى (والله يعلم ماتسرون وماتعلنون) يعنى ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشياء وهو ماكانوا يمكرون بالنبى صلى الله عليه وسلم ومايعلنون يعنى ومايظهرون من ايذائه فاخبرهم الله عزوجل انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لايخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها فى الآية المتقدمة ذكر فى هذه الآية ان الاله الذى يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلاتستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام التى تدعونها آلهة من دون الله (لايخلقون شيأ وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة افمن يخلق كمن لايخلق يدل على ان هذه الاصنام لاتخلق شيأ فقوله سبحانه وتعالى لايخلقون شيأ وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور فى تلك الآية

بانقطاع مدده المعانى والفضائل والأنوار من القلب والخوف من زوال مقتنياتها من الشهوات والمألوفات الحسية والمشتهيات (بما كانوا يصنعون) من كفران نعم الله باستعمالها فى طلب اللذات الحسية والزخارف الدنيوية ولظهورها بصفاتها واحتجابها بكمالاتها وركونها الى الدنيا ولذاتها واستيلائها على القلب بهيآتها واقعا لها وحجب صاحبها عن نوره ومدده بطلب شهواتها كما قال امير المؤمنين عليه السلام نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى بقرينة صفتها ماذكر (ولقد جاءهم رسول منهم) اى من جنسهم وهى القوة الفكرية التى هى من جملة قوى النفس المعانى المعقولة والآراء الصادقة (فكذبوه) بعدم الائتمار بها والانقياد لاوامرها ونواهيها العقلية والشرعية وترك العمل بمقتضاها وقلة المبالاة بها ولم يرفعوا بها رأسا عن الاشتغال فيما هم عليه (فأخذهم العذاب) عذاب الاحتجاب والحرمان عن لذة الكمال فى حالة ظلمهم وزيغهم عن طريق

فما فائدة التكرار قلت فائدته ان المعنى المذكور فى الآية المتقدمة انهم لايخلقون شيأ فقط والمذكور فى هذه الآية انهم لايخلقون شيأ وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة فى المعنى وهو فائدة التكرار (اموات) اى جمادات ميتة لاحياة فيها (غير احياء) يعنى كغيرها والمعنى لوكانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت احياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذى يستحق ان يعبد هو الحى الذى لايموت وهذه اموات غير احياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة فى غير موضعها وقوله (ومايشعرون) يعنى هذه الاصنام (ايان يبعثون) يعنى متى يبعثون وفيه دليل عن ان الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه مايدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون * قوله سبحانه وتعالى (الهكم اله واحد) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو اله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعنى جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعنى عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا (لاجرم) يعنى حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون انه لايحب المستكبرين) يعنى عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطك حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيأ وكذا معنى غمصته اى انتقصت به وازدريته * قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعنى لهؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين) يعنى احاديثهم واباطيلهم (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام فى ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعنى ذنوب انفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التى اصابتهم فى الدنيا واعمال البر التى عملوها فى الدنيا لاتكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين الرازى وهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لوكان هذا المعنى حاصلا فى حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة * وقوله سبحانه وتعالى (ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعنى ويحصل للرؤساء الذين اضلوا غيرهم وصدورهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع والسبب فيه ماروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لاينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيأ اخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث ان الرئيس اوالكبير اذا سن سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه او عقابه حتى يكون ذلك الثواب او العقاب مساويا لكل مايستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة او القبيحة وليس المراد

ان الله

الفضيلة وتقصهم لحقوق صاحبهم (وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابرهيم كان امة) قد مر ان كل نبى يبعث فى قوم يكون كماله شاملا لجميع كمالات امته وغاية لايمكن لاحد الوصول الى رتبة الا وهى دونه فهو مجموع كمالات قومه ولا يصل اليهم الكمال فى صفة من صفات الخير والسعادة الا بواسطته بل وجوداتهم فائضة من وجوده فهو وحده

ان الله تعالى يوصل جميع الثواب او العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولاتزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ماسعى قال الواحدى ولفظة من فى قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لاينقص ذلك من آثامهم شيأ ولكنها للجنس اى ليحملوا من جنس اوزار الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (الا ساء مايزرون) يعنى الا بئس مايحملون ففيه وعيد وتهديد لهم * قوله سبحانه وتعالى (قد مكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السماء ويقابل اهلها فى زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقى فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت السنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوى وفى هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عربا منهم جرهم الذى نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكلموا فى القديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى والله اعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية عامة فى جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير * وقوله سبحانه وتعالى (فاتى الله بنيانهم من القواعد) يعنى قصد تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح قصفت بنيانهم من اعلاه واتاهم بزلازل قلعت بنيانهم من قواعده واساسه هذا اذا حملنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الآية على القول الثانى وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على انبياء الله واهل الحق من عباده اهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر بآخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بئرا لاخيه اوقعه الله فيه * وقوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لان السقف لايخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكوا وماتوا تحته (واتاهم العذاب من حيث لايشعرون) يعنى فى مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة يخزيهم) يعنى يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزى هو العذاب مع الهوان (ويقول) يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة (اين شركائى) يعنى فى زعمكم واعتقادكم

امة لاجتماعهم بالحقيقة فى ذاته ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لو وزنت بامتى لرجحت بهم (قانتا لله) مطيعا له منقادا بحيث لايتحرك منه شعرة الا بامره لاستيلاء سلطان التوحيد عليه ومحو صفاته بصفاته واتحاده بذاته ولهذا سمى خليل الله لمخالة الحق اياه فى شهوده فخلته عبارة عن منزج بقية من ذاته تؤذن الاثنينية اماترى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم يبق منه شئ من بقيته سمى حبيب الله فمحو صفاته فى صفات الحق بالكلية وبقاء اثر من ذاته دون العين قنوته لله والا كان قانتا بالله لالله كما قال لمحمد عليه الصلاة والسلام وما صبرك الا بالله (حنيفا) مائلا عن كل باطل حتى عن وجوده ووجود كل ماسواه تعالى معرضا عن انبائه . وما كان (ولم يك من المشركين) بنسبة الوجود والتأثير الى الغير (شاكراً لانعمه) اى مستعملا لها على الوجه الذى ينبغى لكونه متصرفا فيها بصفات الله فتكون افعاله الهية مقصودة لذاتها لالغرض فلايمكنه ولايسعه الا توجيه كل نعمة الى ماهو

(الذين كنتم تشاقون فيهم) يعنى كنتم تعادون وتخالفون بالمؤمنين وتخاصمونهم فى شأنهم لان المشاقة عبارة من كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى مالهم لايحضرون معكم ليدفعوا عنكم مانزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين اوتوا العلم) يعنى المؤمنين وقيل الملائكة (ان الخزى) يعنى الهوان (اليوم) يعنى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعنى العذاب (على الكافرين) وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤن بالمؤمنين فى الدنيا وينكرون عليهم احوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر اهل الحق واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فيكون اعظم فى الهوان والخزى * قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) تقبض ارواحهم الملائكة وهم ملك الموت واعوانه (ظالمى انفسهم) يعنى بالكفر (فالقوا السلم) يعنى انهما ستسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا (ماكنا نعمل من سوء) يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) يعنى فلا فائدة لكم فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ماحصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) اى فيقال لهم ادخلوا (ابواب جهنم خالدين فيها) يعنى مقيمين فيها لايخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون اعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض (فلبئس مثوى المتكبرين) يعنى عن الايمان * قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد اناشر وافدان رجعت الى قومى من دون ان ادخل مكة فالقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبى مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعنى انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله اساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا معقولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين احسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله به على عباده فى الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) يعنى مالهم فى

كمالها على مقتضى الحكمة الالهية والعناية السرمدية (اجتباه) اختاره فى العناية الاولى بلاتوسط عمل منه وكذا لكونه من المحبوبين الذين سبقت لهم منه الحسنى فتتقدم كشوفهم على سلوكهم (وهداه الى صراط مستقيم) اى بعد الكشف والتوحيد والوصول الى عين الجمع هداه الى سلوك صراطه ليقتدى به ورده من الوحدة الى الكثرة والى الفرق بعد الجمع لاعطاء كل ذى حق حقه من مراتب التفاصيل وتبيين احكام التجليات فى مقام التمكين والاستقامة والا لم يصلح للنبوة (وآتيناه فى الدنيا حسنة) من تمتيعه بالحظوظ لتتقوى نفسه على تقنين القوانين الشرعية والقيام بحقوق العبودية فى مقام الاستقامة والاطاقة بحمل اعباء الرسالة وآتيناه الملك العظيم مع النبوة كما قال وآتيناهم ملكا عظيما ليتمكن من تقرير الشريعة ويضطلع بأحكام الدعوة والذكر الجميل كما قال وجعلنا لهم لسان صدق عليا والصلاة والسلام عليه كما قال وتركنا عليه فى الآخرين سلام على

في الآخرة مما اعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اي اقام به (يدخلونها) يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجري من تحتها الانهار) يعني تجري الانهار في هذه الجنان من تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) يعني في الجنات (ما يشاؤن) يعني ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤن لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا (كذلك يجزي الله المتقين) اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان اوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعني الملائكة لهم (سلام عليكم) يعني تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضله ورحمته اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شئ بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى اخبر وخبره صادق انه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوهما من الآيات التي تدل على ان الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه

ابرهيم (وانه في الآخرة) اي في عالم الارواح (لمن الصالحين) المتمكنين في مقام الاستقامة بايفاء كل ذي حق حقه وتبليغه الى كماله وحفظه عليه ما امكن (ثم اوحينا اليك) اي بعد هذه الكرامات والحسنات التي اعطيناه اياها في الدارين شرفناه وكرمناه بامرنا باتباعك اياه (ان اتبع ملة ابراهيم) في التوحيد واصول الدين التي لا تتغير في الشرائع كامر المبدأ والمعاد والحشر والجزاء وامثالها الا في فروع الشريعة واوضاعها واحكامها فانها تتغير بحسب المصالح واختلاف الازمنة والطبائع وما عليه احوال الناس من العادات والخلائق (حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) اي ما فرض عليك انما فرض عليهم فلا يلزمك اتباع موسى في ذلك بل اتباع ابراهيم (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك) اي لتكن دعوتك منحصرة في هذه الوجوه الثلاثة لان المدعو اما ان يكون خاليا عن الانكار

لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اى بسببها وهى من الرحمة والفضل والمنة والله اعلم بمراده ✽ قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هؤلاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد (الا ان تأتيهم الملائكة) يعنى لقبض ارواحهم (او يأتى امر ربك) يعنى بالعذاب فى الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعنى بتعذيبه اياهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى باكتسابهم المعاصى والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيآت ما عملوا) يعنى فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) يعنى ان مشركى مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول فى انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان لحصل جئت اولم تجئ ولو شاء الله منا الكفر لحصل جئت اولم تجئ واذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة فى بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة فى احكام الله وفى افعاله وهو باطل لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه فى احكامه وافعاله ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا وكان فى حكم الله وسنته فى عباده ارسال الرسل اليهم ليأمروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فمن هداه فهو المهتدى ومن اضله فهو الضال وهذه سنة الله فى عباده انه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدى من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شئ) يعنى الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا الى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما فى الامم الخالية (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يعنى ليس اليهم هداية احد انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا) يعنى كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعنى ان الرسل كانوا يأمرونهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعنى فمن الامم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعنى هداه الله الى الايمان به وتصديق رسله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعنى ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق فى الازل حتى مات على الكفر والضلال وفى هذه الآية ابين دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف فى عباده فيهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به فى سابق علمه

اولا فان كان خاليا لكونه فى مقام الجهل البسيط غير معتقد لشئ فاما ان يكون مستعدا غير قاصر عن درك البرهان بل يكون برهانى الطباع اولا فان كان الاول فادعه بالحكمة وكلمه بالبرهان والحجة وادعه الى صراط التوحيد بالمعرفة وان كان قاصر الاستعداد فادعه بالموعظة الحسنة والنصيحة البالغة من الانذار والبشارة والوعد والوعيد والزجر والترهيب واللطف والترغيب وان كان منكرا ذا جهل مركب واعتقاد باطل فجادله بالطريقة التى هى احسن من ابطال معتقده بما يلزم من مذهبه بالرفق والمداراة على وجه يلوح له الك تثبت الحق وتبطل الباطل لا غرض لك سواه (بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم هى بالتى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) فى الازل لشقاوته الاصلية فلا تنجع فيه احد هذه الطرق الثلاثة (وهو اعلم بالمهتدين) المستعدين القابلين للهداية لصفاء الفطرة (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم) اى الزموا سيرة العدالة

(فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعنى فسيروا فى الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مآل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم ✽ قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هداهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان تحرص يامحمد على هدى هؤلاء وايمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لايهدى من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعنى لايهدى الله من اضله وقيل معناه لايهتدى من اضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادى له (ومالهم من ناصرين) اى مانعين يمنعونهم من العذاب (واقسموا بالله جهد ايمانهم) قال ابن الجوزى سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذى ارجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله ان لايبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله ابو العالية وتقرير الشبهة التى حصلت للمشركين فى انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشئ اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه فهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم فى انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم (لايبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم فى قولهم فقال تعالى (بلى) يعنى بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفى والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان واوجده من العدم ولم يك شيأ فالذى اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية اهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعنى ان الذى وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) يعنى لايفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) يعنى من امر البعث ويظهر لهم الحق الذى لاخلف فيه (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) يعنى فى قولهم لابعث بعد الموت (انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه فى احيائهم وبعثهم انما يقول لشئ اراده كن فيكون على ما اراد لانه القادر الذى لا يعجزه شئ اراده (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمنى ابن آدم وماينبغى له ان يشتمنى ويكذبنى وما ينبغى له ان يكذبنى اما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا واما تكذيبه اياى فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى وفى رواية كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك اما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدانى وليس اول الخلق بأهون علىّ من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ✽ وقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا) يعنى اوذوا وعذبوا نزلت فى بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابى جندل بن سهيل اخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان اصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة

والفضيلة لاتجاوزها فانها اقل درجات كما لكم فان قدم فى الفتوة وعرق راسخ فى الفضل والكرم والمروأة فاتركوا الانتصار والانتقام ممن جنى عليكم وعارضوه بالعفو مع القدرة واصبروا على الجناية فانه (لهو خير للصابرين) الا تراه كيف اكده بالقسم واللام فى جوابه وترك المضمر الى المظهر حيث ماقال لهو خير لكم بل قال لهو خير للصابرين للتسجيل عليهم بالمدح والتعظيم بصفة الصبر فان الصابر ترقى عن مقام النفس وقابل فعل نفس صاحبه بصفة القلب فلم يتكدر بظهور صفة النفس وعارض ظلمة نفس صاحبه بنور قلبه فكثيرا ماينيدم ويتجاوز عن مقام النفس وتنكسر سورة غضبه فيصلح وان لم يكن لكم هذا المقام الشريف فلاتعاقبوا المسئ لسورة الغضب باكثر مماجنى عليكم فتظلموا وتتورطوا بأقبح الرذائل وافحشها فيفسد حالكم ويزيد وبالكم على وبال الجانى (واصبر وماصبرك الابالله) اعلم ان الصبر اقسام صبر لله وصبر فى الله وصبر مع الله وصبر

وهو يقول احد احد فاشتراه منهم ابو بكر الصديق واعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين واما صهيب فقال لهم انى رجل كبير ان كنت معكم فلن انفعكم وان كنت عليكم فلا اضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به ابوبكر الصديق فقال ياصهيب ربح البيع وما بقيهم فاعطوهم بعض مايريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بواهم الله المدينة بعدذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم انصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث الاعمال بالنيات وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها اوامرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه الحديث اخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب * وقوله تعالى (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) يعنى لنبوئنهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى انزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم فى الدنيا دارا حسنة او بلدة حسنة وهى المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله فى الدنيا وما ادخرلك فى الآخرة افضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه لنحسنن اليهم فى الدنيا بأن يفتح لهم مكة ويمكنهم من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة فى الدنيا التوفيق والهداية فى الدين (ولاجر الآخرة اكبر) يعنى اعظم وافضل واشرف مما اعطاهم فى الدنيا (لوكانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون مالهم فى الآخرة والمعنى لوكان هؤلاء الكفار يعلمون ان اجر الآخرة اكبر مماهم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لوكانوا يعلمون ما اعد الله لهم فى الآخرة لزادوا فى الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين (الذين صبروا) يعنى فى الله على ماتالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعنى صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال فى سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) يعنى فى امورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل فى هذه الآية وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب واما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه (وما ارسلنا من قبلك الارجالا نوحى اليهم) نزلت هذه الآية جوابا لمشركى مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا فاجابهم الله عزوجل بقوله وما ارسلنا من قبلك يا محمد الارجالا يعنى مثلك نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عزوجل جارية من اول مبدأ الخلق انه لم يبعث الارسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة (فاسئلوا اهل الذكر) يعنى اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما

امرهم الله

عن الله وصبر بالله فالصبر لله هو من لوازم الايمان واول درجات اهل الاسلام قال النبى عليه الصلاة والسلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وهو حبس النفس عن الجزع عند فوات مرغوب اووقوع مكروه وهو من فضائل الاخلاق الموهوبة من فضل الله لاهل دينه وطاعته المقتضى للثواب الجزيل والصبر فى الله هو الثبات فى سلوك طريق الحق وتوطين النفس على المجاهدة بالاختيار وترك المألوفات واللذات وتحمل البليات وقوة العزيمة فى التوجه الى منبع الكمالات وهو من مقامات السالكين يهبه الله لمن يشاء من فضله من اهل الطريقة والصبر مع الله هو لاهل الحضور والكشف عند التجرد عن ملابس الافعال والصفات والتجليات الجمال والجلال وتوارد واردات الانس والهيبة فهو بحضور القلب لمن كان له قلب والاحتراس عن الغفلة والغيبة عند التلوينات بظهور النفس وهو اشق على النفس من الضرب على الهام وان كان لذيذا جدا

امرهم الله بسؤال اهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلابد وان يخبروهم بأن الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ الخطاب لاهل مكة يعني ان كنتم ياهؤلاء لاتعلمون ذلك ﴿ بالبينات والزبر ﴾ اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الارجالا نوحي اليهم ارسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسئلوا اهل الذكر يعني اهل العلم والمعنى فاسألوا اهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبران كنتم لاتعلمون انتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل مايتكامل به امر الرسالة لان مدار امر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل ﴿ وانزلنا اليك الذكر ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القرآن وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيها للغافلين ﴿ لتبين للناس مانزل اليهم ﴾ يعني ما اجمل اليك من احكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس مانزل اليهم محمول على ما اجمل فيه دون المحكم المبين المفسر ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ يعني فيما انزل اليهم فيعملوا به ﴿ افأمن الذين مكروا السيآت ﴾ فيه حذف تقديره المكرات السيآت وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا في اذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السيئ في اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة ﴿ ان يخسف الله بهم الارض ﴾ يعني كما خسف بقرون من قبلهم ﴿ اويأتيهم العذب من حيث لايشعرون ﴾ يعني ان العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما اهلك قوم لوط وغيرهم ﴿ او يأخذهم في تقلبهم ﴾ يعني في تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على ان يأخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع احوالهم ﴿ فماهم بمعجزين ﴾ يعني بسابقين الله اويفوتونه بل هو قادر عليهم ﴿ اويأخذهم على تخوف ﴾ قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخوف يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه واخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به انه ينقص من اطرافهم ونواحيهم الشيئ حتى يهلك جميعهم وقيل هو على اصله من الخوف فيحتمل انه سبحانه وتعالى لايأخذهم بالعذاب اولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيتخوف

والصبر عن الله هو لاهل الجفاء والحجاب نورانيا كان او ظلمانيا وهو مذموم جدا وصاحبه ملوم حقا وكلما كان اصبركان اسوا حالا وابعد وكلما كان في ذلك اقوى كان الوم واجفى اولاهل العيان والمشاهدة من العشاق والمشتاقين المتقلبين في اطوار التجلي والاستتار والمتحامين عن الناسوت المتنورين بنور اللاهوت مابقي لهم قلب ولاوصف كلما لاح لهم نور من سبحات انوار الجمال احترقوا وتفانوا وكلما ضرب لهم حجاب ورد وجودهم تشويقا وتعظيما ذاقوا من الم الشوق وحرقة الفرقة ماعيل به صبرهم وتحقق موتهم وهو من احوال المحبين ولا شيئ اشق من هذا الصبر واشد تحملا واقل فان اطاقه المحب كان خافيا وان لم يطق كان فانيا فيه هالكا وفي هذا المقام قال الشبلي صابرا لصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا اى صابر الحبيب الصبر فاستغاث به الصبر عند اشرافه على الفساد فصاح المحب بالصبر صبرا على النفاد والهلاك فان فيه الحجاج

الآخرون ان يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل فى الارض او بعذاب ينزل من السماء او بآفات تحدث دفعة او بآفات تحدث قليلا قليلا ان يأتى الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) يعنى انه سبحانه وتعالى لايعجل بالعقوبة والعذاب * قوله سبحانه وتعالى (اولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ماخلق الله من شئ) يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لايكون الابنفس الرؤية التى يكون معها نظر الى الشئ ليتأمل احواله ويتفكر فيه فيعتبر به (يتفيؤ ظلاله) يعنى تميل وتدور من جانب الى جانب فهى من اول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود فى آخر النهار الى حالة اخرى ويقال للظل بالعشى فىء لانه من فاء يفئ اذا رجع من المغرب الى المشرق والفئ الرجوع قال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لايكون الا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو مالم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما اضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال (عن اليمين والشمائل) قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وانت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمال فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشئ وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشئ يراد به الجمع (سجدا لله) فى معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ راسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشياء التى لها ظلال فهى منقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شئ ساجد لله سواء كان ذلك الشئ يسجد لله اولا ويقال ان ظل الكافر ساجدا لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) اى صاغرون اذلاء والداخر الصاغر الذى يفعل مايأمر به شاء ام ابى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء * قوله عزوجل (ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عزوجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظ مافى قوله مافى السموات ومافى الارض للتغليب لان مالايعقل اكثر ممن يعقل فى العدد والحكم

والفلاح والصبر بالله هو لاهل التمكين فى مقام الاستقامة الذين افناهم الله بالكلية وما ترك عليهم شيأ من بقية الانية والاثنينية ثم وهب لهم وجودا من ذاته حتى قاموا به وفعلوا بصفاته وهو من اخلاق الله تعالى ليس لاحد فيه نصيب ولهذا امره به ثم بين ان ذلك الصبر الذى امرت به ليس من سائر اقسام الصبر حتى يكون بنفسك او بقلبك بل هو صبرى لاتباشره الابى ولا تطيقه الا بقوتى ولعدم وفاء قوته بهذا الصبر قال شيبتنى سورة هود (ولاتحزن عليهم) بالتلوين بظهور القلب بصفته لان صاحب هذا الصبر يرى الاشياء بعين الحق فكل مايصدر عنهم يراه فعل الله وكل صفة تظهر عليهم يراه تجليا من تجلياته وينكر المنكر بحكمه لان الله بصره بانواع التجليات القهرية واللطفية والغضبية والرضوية وعرفه احكامه وامره بانفاذ الاحكام فى مواقعها (ولاتك فى ضيق مما يمكرون) لانشراح صدرك بى فكن معهم كانى معهم سائرا بسيرى قائما بى وبامرى

للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولانه لواتى بمن التى هى للعقلاء لم يكن فيهادلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ماليشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهوعبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسمانى يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه ممايدب على الارض ولهذا افرد الملائكة فى قوله (والملائكة) لانهم اولو اجنحة يطيرون بها اوافردهم بالذكر وان كانوا من جملة من فى السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد مافى السموات من الملائكة ومافى الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود مالايعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعوالغافلين الى السجودلله عندالتأمل والتدبر (وهم لايستكبرون) يعنى الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) هوكقوله وهوالقاهر فوق عباده وقدتقدم تفسيره (ويفعلون مايؤمرون) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى ارى مالاترون واسمع مالاتسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع اربع اصابع الاوملك واضع جبهته ساجدا والله لوتعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وماتلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال ابوذر لوددت انى كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذى وقال عن ابى ذرموقوفا

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها وسماعها * قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين) لما اخبرالله عزوجل فى الآية المتقدمة ان كل مافى السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره مايدون له وانهم فى ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى فى هذه الآية عن الشرك اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لاتتخذوا اثنين الهين يعنى ان الاثنين لايكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهوقوله تبارك وتعالى (انما هو اله واحد) لان الالهين لايكونان الامتساويين فى الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية وذلك قوله تعالى انما هو اله واحد يعنى لايجوز ان يكون فى الوجود الهان اثنان انما هو اله واحد (فاياى فارهبون) يعنى فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ فى الترهيب من قوله فاياه فارهبوا نهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياى فارهبون يفيد الحصر وهو ان لايرهب الخلق الا منه ولايرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه (وله مافى السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لاشريك له فى الالهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيداله وفى ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله مافى السموات والارض يعنى عبيدا وملكا (وله الدين واصبا) يعنى وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من احديدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب فى حال الحياة او بالموت الاالحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة ابدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائمة ابدا (افغيرالله تتقون) يعنى انكم عرفتم ان الله

(ان الله مع الذين اتقوا) بقاياهم وانياتهم بالاستهلاك فى الوحدة والاستغراق فى عين الجمع (والذين هم محسنون) بشهود الوحدة فى عين الكثرة والطاعة فى عين المعصية والقيام بالامر والنهى فى مقام الاستقامة وابقاء حقوق التفاصيل فى عين الجمع فلايحجبهم الفرق عن الجمع ولاالجمع عن الفرق ويسعهم مراعاة الحق والخلق للرجوع الى الكثرة بوجود القلب الحقانى

﴿ سورة بنى اسرائيل ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذى اسرى بعبده) اى انزهه عن اللواحق المادية والنقائص التشبيهية بلسان حال التجرد والكمال فى مقام العبودية الذى لاتصرف فيه اصلا (ليلا) اى فى ظلمة الغواشى البدنية والتعلقات الطبيعية لان العروج والترقى لايكون الا بواسطة البدن (من المسجد الحرام) اى من مقام القلب المحرم عن ان يطوف به مشرك القوى البدنية ويرتكب فيه فواحشها وخطاياها ويحجه غوى القوى الحيوانية

واحد لاشريك له فى ملكه وعرفتم ان كل ماسواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار * قوله عز وجل (ومابكم من نعمة فمن الله) يعنى من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل ما اعطاكم من مال اوولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين فى الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لايخافوا الا الله تعالى بين فى هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها (ثم اذا مسكم الضر) اى الشدة والامراض والاسقام (فاليه تجأرون) يعنى اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم مانزل بكم من الضر والشدة واصل الجؤار هو رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضر فى بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا يدعى الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم) يعنى ثم اذا ازال الشدة والبلاء عنكم (اذا فريق منكم) يعنى طائفة وجماعة منكم (بربهم يشركون) يعنى انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولايضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذى كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لايرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) قيل ان هذه اللام لام كى ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم فى كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظة امر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا فى اللذة التى انتم فيها الى المدة التى ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعنى عاقبة امركم الى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم * قوله سبحانه وتعالى (ويجعلون لما يعلمون نصيبا) قيل الضمير فى قوله لما لايعلمون عائد الى المشركين يعنى ان المشركين لايعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعنى ان الاصنام لاتعلم شيأ البتة لانها جماد والجماد لاعلم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفى العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لما لايعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثانى قال لانا اذا قلنا انه عائد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لايعلمون انه اله ولاله حق نصيبا واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نحتج الى هذا الاضمار لانها لاعلم لها ولافهم * وقوله (مما رزقناهم) يعنى ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وانعامهم واموالهم التى رزقهم الله وتقدم تفسيره فى سورة الانعام (تالله) اقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسئلن عما كنتم تفترون) يعنى عما كنتم تكذبون فى الدنيا فى قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من اموالكم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وانما اطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء اولدخول لفظ التأنيث فى تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم

من البهيمية والسبعية المنكشفة سوأتا افراطها وتفريطها العروها عن لباس الفضيلة (الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله) الذى هو مقام الروح الا بعد من العالم الجسمانى بشهود تجليات الذات وسبحات الوجه وتذكر ماذكرنا ان تصحيح كل مقام لايكون الا بعد الترقى الى مافوقه لتفهم من قوله (لنريه من آياتنا) مشاهدة الصفات فان مطالعة تجليات الصفات وان كانت فى مقام القلب لكن الذات الموصوفة بتلك الصفات لاتشاهد على الكمال بصفة الجلال والجمال الا عند الترقى الى مقام الروح اى لنريه آيات صفاتنا من جهة انها منسوبة الينا ونحن المشاهدون بها البارزون بصورها (انه هو السميع) لمناجاته فى مقام السر لطلب الفناء (البصير) بقوة استعداده وتوجهه الى محل الشهود وانجذابه اليه بقوة المحبة وكمال الشوق (وآتينا موسى الكتاب) القلب كتاب العلم (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) اى القوى التى هى اسباط اسرائيل الروح (الاتتخذوا

مايشتهون) يعنى ويجعلون لانفسهم مايشتهون يعنى البنين (واذا بشر احدهم بالانثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذى يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور بوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر اثره على الوجه وهو الكمودة التى تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر احدهم بالانثى (ظل وجهه مسودا) يعنى متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التى حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لايرضى احدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ ❊ وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعنى انه ظل ممتلئا غما وحزنا (يتوارى من القوم من سوء مابشر به) يعنى انه يختفى من ذلك القول الذى بشر به وذلك ان العرب كانوا فى الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة احدهم توارى من القوم الى ان يعلم ماولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت انثى حزن ولم يظهر اياما حتى يفكر مايصنع بها وهو قوله تعالى (ايمسكه على هون) يعنى على هو ان وانما ذكر الضمير فى ايمسكه لانه عائد الى مابشر به فى قوله واذا بشر احدهم (ام يدسه فى التراب) يعنى ام يخفى ذلك الذى بشر به فى التراب والدس اخفاء الشئ فى الشئ قال اهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات احياء والسبب فى ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة اوالحمية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه اوطمع غير الاكفاء فيهن فكان الرجل من العرب فى الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى اذا كبرت البسها جبة من صوف اوشعر وجعلها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمائها ويكون قد حفر لها حفرة فى الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظرى الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها فى تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشئ من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك

وعمى الذى منع الوائدات ❊ فاحيا الوئيد فلم يوأد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤودة فى النار اخرجه ابوداود وقوله تعالى (الا ساء مايحكمون) يعنى بئس مايصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الا ساء مايحكمون فى واد البنات (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعنى صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكر وكراهتهم الاناث وقتلهن خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) اى الصفة العليا المقدسة وهى ان له التوحيد وانه المنزه عن الولد وانه لااله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لااله الا الله (وهو العزيز) اى الممتنع فى كبريائه وجلاله (الحكيم) يعنى فى جميع افعاله ❊ قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم)

من دونى وكيلا) لاتستبدوا بافعالكم ولاتستقلوا بطلب كمالاتكم وحظوظكم ولا تكتسبوا بمقتضى دواعيكم ولاتكلوا امركم الى شيطان الوهم فيسول لكم اللذات البدنية ولاالى عقل المعاش فيستعملكم فى ترتيبه واصلاحه بل كلوا امركم الىّ لادبركم بأرزاق العلوم والمعارف وهيآت الاخلاق والفضائل واكلكم بامداد الانوار من عالم القلب والروح بتأييد القدس وانزل عليكم من عوالم الملكوت والجبروت مايغنيكم عن مكاسب الناسوت اعنى (ذرية من حملنا مع نوح) العقل فى فلك الشريعة والحكمة العملية (انه كان عبدا شكورا) لمعرفته بنعم الله واستعمالها على الوجه الذى ينبغى (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب) القوى فى كتاب اللوح المحفوظ اى حكمنا فيه (لتفسدن فى الارض مرتين) مرة فى مقام النفس حالة كونها امارة لتفسدن فى طلب شهواتكم ولذاتكم (ولتعلن علواً كبيرا) باستيلائكم على القلب

يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى فى آية اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم فى تلك الآية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان فى جنس الناس الانبياء والصالحون ومن لايطلق عليه اسم الظالم وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله (ماترك عليها) يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لاتدب الاعلى الارض (من دابة) يعنى ان الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الامن كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان ابا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لايضر الانفسه فقال بئس ماقلت ان الحبارى تموت هزالا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب فى جحرها بذنب ابن آدم وقيل اراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الآية ولو يؤاخذ الله الاباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض احد (ولكن يؤخرهم) يعنى يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (الى اجل مسمى) يعنى الى انتهاء آجالهم وانقضاء اعمارهم (فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولاينقصون عنه وقيل اراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله مايكرهون) يعنى لا نفسهم وهى البنات (وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى) يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعنى فى الآخرة لا الجنة (وانهم مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لامر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها اى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اى متقدمكم (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك) يعنى كما ارسلناك الى هذه الامة لقد ارسلنا الى امم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان اعمالهم) يعنى اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وليس له قدرة ان يضل احدا اويهدى احدا وانما له الوسوسة فقط فمن اراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) اى ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور

وغلبتكم واستعلائكم عليه ومنعكم اياه عن كماله واستخدام قوته المفكرة فى تحصيل مطالبكم ومآربكم ومرة فى مقام القلب عند تزينكم بالفضائل وتنوركم بنور القلب وظهوركم ببهجة كمالاتكم لتفسدن لظهوركم بكمالاتكم واحتجاب القلب بفضائلكم عن شهود تجلى التوحيد و الحجب النورية اقوى من الحجب الظلمانية لرقتها ولطافتها وتصورها كمالات يجب الوقوف معها ولتعلن فى مقام الفطرة بالسلطنة الهيآت العقلية والكمالات الانسية (فاذا جاء وعد اولاهما) اى وعد وبال اولاهما (بعثنا عليكم عبادا لنا) من الصفات القلبية والانوار الملكوتية والآراء العقلية (اولى بأس شديد) ذوى سلطنة وقهر (فجاسوا خلال الديار) ديار اماكنكم ومحالكم وقتلوا بعضكم بالقمع والقهر و سبوا ذرارى الهيآت البدنية والرذائل النفسانية ونهبوا اموال المدركات الحسية واللذات البهيمية والسبعية (وكان وعداً) على الله (مفعولا) لابداعه

وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة (وما انزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم الذى اختلفوا فيه) يعنى فى امر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورحمة) يعنى وما انزلنا عليك الكتاب الابيانا وهدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون به * قوله سبحانه وتعالى (والله انزل من السماء ماء) يعنى المطر (فاحيابه) يعنى بالماء (الارض) يعنى بالنبات والزروع (بعد موتها) يعنى يبسها وجدوبتها (ان فى ذلك لآية) يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعنى سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات الله اى القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم فى الانعام لعبرة) يعنى اذا تفكر تم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقيكم مما فى بطونه) الضمير عائد الى الانعام وكان حقه ان يقال مما فى بطونها واختلف النحويون فى الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما فى بطونه وقال فى سورة المؤمنين مما فى بطونها وهذا قول ابى عبيدة والاخفش وقال الكسائى انه رده الى ما ذكر يعنى مما فى بطون ما ذكرنا وقال غيره الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كأنه قال نسقيكم مما فى بطونه اللبن فاضمر اللبن اذليس لكلها لبن (من بين فرث) وهو ما فى الكرش من الثفل فاذا خرج منها لايسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) يعنى من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف واستقر فى كرشها وطحنته كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما فالكبد مسلطة عليه تقسم بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائغا للشاربين) يعنى هنيأ سهلا يجرى فى الحلق بسهولة قيل انه لم يغص احد باللبن قط هذا قول المفسرين فى معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازى قول الحكماء فى ذلك فقال ولقائل ان يقول الدم واللبن لايتولدان فى الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا ومارأى احد فى كرشها دما ولا لبنا بل الحق ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذى حصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة واما السوداء فتذهب الى الطحال واما المائية فتذهب الى الكلية ومنها الى المثانة واما الدم فيذهب فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددى الرخو ابيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد من بعض

قوة الكمال وطلبه فى استعدادكم وذكره ادلة العقل فى فطرتكم (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) الدولة بتنوركم بنور القلب واقبالكم على الصدر وانصرافكم الى مقتضى نظر العقل ورأيه (وامددناكم بأموال) العلوم النافعة والحكم العقلية والشرعية والمعارف القلبية (وبنين) من الفضائل الخلقية والهيآت النورانيه (وجعلناكم اكثر نفيرا) بكثرة الفضائل والملكات الفاضلة والاراء العقلية (احسنتم لانفسكم وان اسأتم) باكتساب الرذائل والهيئات البدنية (فلها فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بالفناء فى التوحيد بعثنا عليكم عبادا من الانوار القدسية والتجليات الجلالية والسبحات القهرية من الصفات الالهية وجنود سلطان العظمة والكبرياء (ليسوؤا وجوهكم) اى وجوداتكم بالفناء فى التوحيد فيغلب عليكم كآبة فقدان الكمالات بقهرها وسلبها (وليدخلوا المسجد) مسجد القلب (كما دخلوه اول مرة) ووصل اثرها عليكم من العلوم والفضائل

اجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء الماكولة الحاصله في الكرش فاللبن تولد اولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع يخلق الله عزوجل بلطيف حكمته في حلمة الثدى ثقبا صغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج بالمص او الحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله خالصا يعني من شوائب كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا * قوله عز وجل ﴿ ومن ثمرات النخيل والاعناب ﴾ يعني ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب ﴿ تتخذون منه ﴾ الضمير في منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه ﴿ سكرا ورزقا حسنا ﴾ قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن ابي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عزوجل في معرض الانعام والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمرة فيه غير محرمة وقيل ان الله عزوجل نبه في هذه الآية على تحريم الخمر ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الآية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة وقال ابو عبيدة في معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اى طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اى سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابي عبيدة ان السكر الطعم ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني الذي ذكر من انعامه على عباده ﴿ لآية ﴾ يعني دلالة وحجة واضحة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا قادرا على ما يريد * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واوحى ربك الى النحل ﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال سبحانه وتعالى واوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل

(وليتبروا ما علوا) بالظهور بكماله وفضياته والاعجاب برؤية زينته وبهجته (تتبيرا) بالافناء بصفات الله (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد القهر بالفناء والمحو بتجليات الصفات بالاحياء ويبعثكم بالبقاء بعد الفناء ويثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وان عدتم) بالتلوين في مقام الفناء بالظهور بانائيتكم (عدنا) بالقهر والافناء كما قال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا (وجعلنا جهنم) الطبيعة (للكافرين) المحجوبين عن الانوار الذين بقوا على فساد المرة الاولى (حصيرا) محبسا وسجنا يحصرهم في عذاب الاحتجاب والحرمان عن الثواب (ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم) اى يبين احوال الفرق الثلاث من السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال يهدى الى طريقة التوحيد التي هي اقوم الطرق للسابقين (ويبشر المؤمنين الذين يعملون

وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله الى انبيائه وحي والى اوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها وقدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألهمها الله سبحانه وتعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة والهمها الله تعالى ايضا ان تجعل عليها اميرا كبيرا نافذ الحكم فيها وهي تطيعه وتمتثل امره ويكون هذا الامير اكبرها جثة واعظمها خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري والهمها الله سبحانه وتعالى ايضا ان جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها الله سبحانه وتعالى ايضا انها تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر ايضا قال الزجاج يجوز ان يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها بمعنى اعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز وكذا انثها الله تعالى فقال (ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) يعني يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي الى الكهوف ومنه اهلي وهو الذي يأوي الى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوي اليها وقال ابن زيد اراد بالذي يعرشون الكروم (ثم كلي من كل الثمرات) يعني من بعض الثمرات لانها لا تأكل من جميع الثمار فلفظة كل ههنا ليست للعموم (فاسلكي سبل ربك) يعني الطرق التي الهمك الله ان تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات (ذللا) قيل انه نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤوا وارادوا لا تستعصي عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف الوانه) يعني ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من افواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه رأى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار واوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول اقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل تتغذى بالعسل واجاب

الصالحات) من اصحاب اليمين الذين آمنوا تقليدا جازما او تحقيقا علميا وداوموا على اعمال التزكية والتحلية الصالحة لان يتوصل بها الى الكمال (ان لهم اجرا كبيرا) من نعيم جنات الافعال والصفات في عوالم الملك والملكوت والجبروت (وان الذين لا يؤمنون) من اصحاب الشمال (بالآخرة) لكونهم مذنبين محجوبين عن عالم النور محبوسين في ظلمات الطبيعة (اعتدنا لهم عذابا اليما) في قعر سجين الطبيعة مقيدين بسلاسل محبة السفليات واغلال التعلقات ونيران الحرمان عن اللذات والشهوات والتعذيب بالعقارب والحيات من غواسق الهيآت (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين) ليل الكون وظلمة البدن ونهار الابداع ونور الروح يتوصل بهما وبثمرتهما الى معرفة الذات والصفات (فمحونا آية الليل) بالفساد والفناء (وجعلنا آية النهار مبصرة) بينة باقية ابدا منيرة بكمالها تبصر بنورها الحقائق (لتبتغوا فضلا

من قوله تعالى يخرج من بطونها بأن كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعنى من افواهها وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد انه يوجد فى طعم العسل طعم تلك الازهار التى تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا قول بعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لما كانت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى اجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فعنى جرست نحله العرفط اكلت ورعت من العرفط الذى له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد فى طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس فى الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم ❁ وقوله تعالى (فيه) يعنى فى الشراب الذى يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذ الضمير فى قوله فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا فى هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين احدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وفى رواية اخرى عنه عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شئ الا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض الملحدين ومن فى قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول فى الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها التخم والهيضات وقد اجمع الاطباء فى مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل ان يكون اسهال الشخص المذكور فى الحديث اصابه من امتلاء او هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ما هو عليه او تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذى كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل او كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجارى على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب

من ربكم) اى كما لكم الذى تستعدونه (ولتعلموا عدد السنين والحساب) المراتب والمقامات اى لتحصوها من اول حال بدايتكم الى كبر نهايتكم بالترقى فيها وحساب اعمالكم واخلاقكم واحوالكم فلا تجدوا شيأ من سيآت اعمالكم الا وتكفرونه بحسنة مما يقابله من جنسه ولا رذيلة من اخلاقكم الا وتفكرونها بضدها من الفضيلة ولا ذنبا من ذنوب احوالكم الا وتكفرونه بالانابة الى جناب الحق (وكل شئ) من العلوم والحكم (فصلناه) بنور عقولكم عند الكمال ونزول العقل الفرقانى (تفصيلا) اى علما تفصيليا مستحضرا الاجماليا مغفولا عنه كما فى العقل القرآنى عند البداية (وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه) اى جعلنا سعادته وشقاوته وسبب خيره وشره لازما لذاته لزوم الطوق فى العنق كما قال السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه (ونخرج له يوم القيامة) الصغرى عند الخروج من قبر جسده (كتابا) هيكلا مصورا

التى

التى اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بالوحى الالهى ان العسل الذى امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه فى الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما وعدبه من ان فيه شفاء وكذب بطن اخيك يعنى باستعجالك للشفاء فى اول مرة والله اعلم بمراده واسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش قلنا فى الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس مع انه يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه فى الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه فى الجملة دواء وان نفعه اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثانى انه شفاء للاوجاع التى شفاؤها فيه وهذا قول السدى وقال مجاهد فى قوله فيه شفاء للناس يعنى القرآن لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور * وقوله سبحانه وتعالى (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعنى فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا * قوله عز وجل (والله خلقكم) يعنى اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) يعنى عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) يعنى اراده واضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له اربع مراتب اولها من النشو والنماء وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانيه سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان فى النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال على بن ابى طالب رضى الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات * وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) يعنى ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكى يصير كالصبى الذى لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيأ لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم الله من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيائه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيائه بعد اماتته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت لكان اجود

بصور اعماله مقلدا فى عنقه (يلقاه) للزومه اياه (منشورا) لظهور تلك الهيآت فيه بالفعل مفصلة لا مطويا كما كان عند كونها فيه بالقوة يقال له (اقرأ كتابك) اى اقرأه قراءة المأمور الممتثل لامر آمر مطاع يأمره بالقراءة او تأمره القوى الملكوتية سواء كان قارئ او غير قارئ لان الاعمال هناك ممثلة بهيآتها وصورها يعرفها كل احد لا على سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها الامى (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) لان نفسه تشاهد ما فعلته لازما اياها نصب عينها مفصلا لا يمكنها الانكار فبين لها اغيرها (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى) لرسوخ هيئة ما فعلته فيها وصيرورتها ملكة لازمة دون الذى فعل غيرها ولم يعرض لها منه شئ وانما يتعذب من يتعذب بالهيآت التى فيه لا من خارج (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) رسول العقل بالزام الحجة وتمييز الحق والباطل الا ترى ان الصبى والسفيه غير مكلفين او

قال ابن عباس ليس هذا فى المسلمين لان المسلم لايزداد فى طول العمر والبقاء الا كرامة عندالله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرا القرآن لم يردالى ارذل العمر حتى لايعلم بعد علم شيأ وقال فى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس فى قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات * وقوله تعالى (ان الله عليم) يعنى بما صنع بأوليائه واعدائه (قدير) يعنى على مايريد * قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) يعنى ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض فى الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض فى الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون فى ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم) يعنى من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لايرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدى شركائى فى ملكى وسلطانى يلزم بهذه الحجة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم احد يرضى ان يشركه مملوكه فى جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل فى معنى الآية ان الموالى والمماليك الله رازقهم جميعا (فهم فيه) يعنى فى رزقة (سواء) فلا تحسبن ان الموالى يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايدى الموالى للمماليك والمقصود منه بيان ان الرازق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان الموالى والمماليك فى الرزق سواء وان المالك لايرزق المملوك بل الرازق للمماليك والمالك هو الله سبحانه وتعالى * وقوله (افبنعمة الله يجحدون) فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمة الله وعبدوا غيره * قوله عز وجل (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) يعنى النساء فخلق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع فى الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله فى الدعاء واليك نسعى ونحفد اى نسرع الى طاعتك فهذا اصله فى اللغة ثم اختلفت اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعى الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود ايضا انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من اعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبى البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفى رواية اخرى عنه انهم بنو امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فيحصل بينهم مغايرة

رسول الشرع لظهور مافى الاستعداد من الخير والشر والسعادة والشقاوة بسببه ومقابلته بالاقرار والانكار فان المستعد للكمال يتحرك مافيه بالقوة عند سماع الدعوة فيشتاق ويطلب متقبلا لها بالاقرار والقبول لمايدعوه اليه لمناسبته اياه وقربه وغير المستعد ينكر ويعاند لمنافاته لمايدعوه اليه وبعده (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) ان لكل شئ من الدنيا زوالا وزواله بحصول استعداده يقتضى ذلك وكما ان زوال البدن بزوال الاعتدال وحصول انحراف يبعده عن ظل الوحدة التى هى سبب بقاء كل شئ وثباته فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها عن اجادة المستقيمة التى هى صراط الله وهى الشريعة الحافظة للنظام فاذا جاء وقت اهلاك قرية فلابد من استحقاقها للاهلاك وذلك بالفسق

(ورزقكم من الطيبات) يعني النعم التي انتم بها عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله (افبالباطل يؤمنون) يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون ان لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكار اي ليس لهم ذلك (وبنعمت الله هم يكفرون) يعني انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض) يعني الاصنام التي لاتقدر على انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولايقدرون على اخراج النبات الذي في الارض معدنه (شيأ) يعني لايملك من الرزق شيأ قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون مالا يرزق شيأ (ولا يستطيعون) يعني ولايقدرون على شئ يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر (فلاتضربوا لله الامثال) يعني لاتشبهوا الله بخلقه فانه لامثل له ولاشبه ولاشريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق او الرازق بالمرزوق او القادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعني ماانتم عليه من ضرب الامثال له (وانتم لاتعلمون) خطأ ماتضربون له من الامثال ❁ قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا) لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بانه لاتجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوى بين الله عزوجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لاتملك ولا تقدر على شئ البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي لايقدر على شئ هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لايقدر على شئ وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لايملك شيا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فاثابه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا لايقدر على شئ وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك ليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لايقدر على شئ احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لايملك شيأ (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوى الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوى هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لايستوى الكافر العاصي والمؤمن الطائع وقال عطاء في قوله عبدا مملوكا هو ابوجهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابوبكر الصديق ❁ ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التي عبدها هؤلاء فانها لاتستحق الحمد لانها جماد عاجزة

والخروج عن طاعة الله فلما تعلقت ارادته باهلاكها تقدمه اولا بالضرورة فسق مترفيها من اصحاب الترف والتنعم بطرا واشرا بنعمة الله واستعمالا لها فيما لا ينبغي وذلك بامر من الله وقدر منه لشقاوة كانت تلزم استعداداتهم وحينئذ وجب اهلاكهم (من كان يريد العاجلة) لكدورة استعداده وغلبة هواه وطبيعته (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) اي لانزيده بارادته زيادة على ماقدرناه من النصيب في اللوح ولذلك قيده بالمشيئة ثم بقوله لمن نريد يعني لولم نقدر له شيأ مما اراده لم نعجل له تخليصه انا لانعطى الا ما اردنا من اردنا (ثم جعلنا له جهنم) اي قعر بئر الطبيعة الظلمانية لانجذابه بارادته الى الجهة السفلية وميله اليها (يصلاها) بنيران الحرمان (مذموما) عند اهل الدنيا والآخرة (مدحورا) من جناب الرحمة والرضوان في سخط الله وقهره (ومن اراد الآخرة) لصفاء استعداده وسلامة فطرته وقام بشرائط ارادته من الايمان والعمل الصالح

لايدلها على احد ولامعروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لالغيره فيجب على جميع العباد حمدالله لانه اهل الحمد والثناء الحسن (بل اكثرهم) يعني الكفار (لايعلمون) يعني ان الحمدلله لالهذه الاصنام (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) هوالذي ولد اخرس وليس كل اخرس ابكم والابكم الذي لايفهم (لايقدر على شئ) هواشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) اى ثقيل على من يلي امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهوكل على مولاه اى غليظ ثقيل على مولاه (اينما يوجهه) اى حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة اوكفاية مهم (لايأت بخير) يعني لايأت بنجح لانه اخرس عاجز لايحسن ولايفهم (هل يستوى) يعني من هذه صفته (هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعني ومن هوسليم الحواس نفاع ذوكفايات ذورشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهابه من آثار رحمته والطافه وللاصنام التي هي اموات جماد لاتضر ولاتنفع ولاتسمع ولاتنطق ولاتعقل وهي كل على عابدها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هوالذي يأمر بالعدل وهوعلى صراط مستقيم والكافر هوالابكم الثقيل الذي لايأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهوعلى صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهوابكم ابوجهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهوالذي لايأتي بخير وقيل المراد بالابكم الذي لايأتي بخير ابي بن خلف وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والارض) اخبرالله عزوجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلاتخفى عليه خافية ولايخفى عليه شئ منها وقيل الغيب هنا هوعلم قيام الساعة وهو قوله (وما امر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب (الا كلمح البصر) يعني في السرعة ولمح البصر هوانطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا (اوهو اقرب) يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا اراد شيأ قال له كن فيكون في اسرع من لمح البصر وهو قوله (ان الله على كل شئ قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما اراد شيأ كان اسرع مايكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في اقرب من لمح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لايعجزه شئ * قوله عزوجل (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ) تم الكلام ههنا لان الانسان خلق في اول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لايهتدى سبيلا ثم ابتدأ فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني ان الله سبحانه وتعالى انما اعطاكم هذه الحواس

شكر سعيه بحصول مراده كاقيل من طلب وجد وجد لان الطلب الحقيقي والارادة الصادقة لايكونان الاعند حصول استعداد المطلوب واذقارن الاستعداد الدال على ان المطلوب حاصل له بالقوة مقدر له في اللوح اسباب خروج المطلوب الى الفعل وبروزه من الغيب الى الشهادة وهو السعي الذي ينبغي له ومن حقه ان يسعى له على هذا الوجه المعني بقوله (وسعى لها سعيها) اى السعي الذي يحق لها بشرط الايمان العيني اليقيني وجب حصوله له (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) اى كلهم من طالبي الدنيا وطالبي الآخرة نمد من عطائنا ليس بمجرد ارادتهم وسعيهم شئ وانما ارادتهم وسعيهم معرفات وعلامات لما قدرنا لهم من العطاء (وماكان عطاء ربك محظورا) ممنوعا من احد لامن اهل الطاعة ولامن اهل المعصية (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الدنيا بمقتضى مشيئتنا وحكمتنا

لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهى الدلائل السمعية لتستدلوا بها على مايصلحكم فى امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معانى الاشياء التى جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس فى هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ماانعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل فى معنى الآية والله خلقكم فى بطون امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى مايسعدكم به فى الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو فى بطن امه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لايدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لاتوجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر فى بعض كلامها واقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت فى ذلك الوقت الذى ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك * وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعنى انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها فى شكر من انعم بها عليكم (الم يروا الى الطير مسخرات) يعنى مذللات (فى جو السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع فى الجو اثنى عشر ميلا ولاترتفع فوق ذلك (مايمسكهن الا الله) يعنى فى حال قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها فى الهواء وفى هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها فى حال طيرانها ووقوفها فى الهواء وهو الله تعالى (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم * قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعنى التى هى من الحجر (سكنا) يعنى مسكنا تسكنونه والسكن ماسكنت اليه وفيه من الف اوبيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعنى الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين احدهما مالايمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثانى مايمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهى الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعنى يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعنى فى يوم سيركم ورحيلكم فى اسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء اومرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعنى وتخف عليكم ايضا فى اقامتكم وحضركم والمعنى لاتثقل عليكم فى الحالتين (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعنى ومن اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز (اثاثا) يعنى تتخذون اثاثا الاثاث متاع البيت الكبير واصله من اث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس اثاثا يعنى مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبى الاثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعنى وبلاغا وهو مايتمتعون به

(وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) اذ بقدر رجحان الروح على البدن يكون رجحان درجات الآخرة على الدنيا وبقدر تفاضلهما يكون تفاضل درجاتهما (لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد) بتوقع العطاء منه وجعله سببا لوصول شئ لم يقدر الله لك اليك فتصير (مذموما) رذيلة الشرك والشك عند الله وعند اهله (مخذولا) من الله يكلك اليه ولاينصرك وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا ماكتب الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يضروك الا ما كتب الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف * قرن سبحانه وتعالى احسان الوالدين بالتوحيد وتخصيصه بالعبادة لانه من مقتضى التوحيد لكونهما مناسبين للحضرة الالهية فى سببيتهما لوجودك وللحضرة الربوبية لتربيتهما اياك عاجزا صغيرا ضعيفا لا قدرة لك ولا حراك بك وهما اول مظهر

(الى حين) يعنى الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت اى فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواوالعطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاثاث ماكثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ماينتفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله اعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) يعنى جعل لكم ماتستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال اكنانا) جمع كن وهو مايستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما ان يكون غنيا اوفقيرا فاذا سافر احتاج فى سفره مايقيه من شدة الحر والبرد فاما الغنى فيستصحب معه الخيام فى سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً واما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال ومايدفع شدته وقوته اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) يعنى وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال اهل المعانى والبرد فاكتفى بذكر احدهما لدلالة الكلام عليه (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن وسائر مايلبس فى الحرب من السلاح والبأس الحرب يعنى تقيكم فى بأسكم السلاح ان يصيبكم قال عطاء الخراسانى انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وماجعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكنهم كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا اصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل من الثلج اكثر ولكنهم كانوا لايعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقى من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر ۞ وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعنى كما انعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعنى نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعنى لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون انه لايقدر على هذه الانعامات الاالله تعالى (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد وآثروا ماهم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم لاعليك (فانما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ۞ ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال السدى نعمة الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسلام لانه من اعظم النعم التى انعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ماعدد عليهم فى هذه السورة من النعم يقرون بانها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبى انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعترفون

بان الله

ظهر فيه آثار صفات الله تعالى من الايجاد الربوبية والرحمة والرأفة بالنسبة اليك ومع ذلك فانهما محتاجان الى قضاء حقوقهما والله غنىّ عن ذلك فأهمّ الواجبات بعد التوحيد اذن احسانهما والقيام بحقوقهما ماامكن (وقضى ربك الا تعبدوا الااياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما اوكلاهما فلا تقل لهما اف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولاتقتلوا اولادكم

بان الله انعم بهذه النعم ولكنهم لايستعملونها فى طلب رضوانه ولايشكرونه عليها (واكثرهم الكافرون) انما قال سبحانه وتعالى واكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالاكثر عن البالغين وقيل اراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجمع * قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها وذكر ان اكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم فى الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا يعنى رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على اممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لايؤذن للذين كفروا) يعنى فى الاعتذار وقيل لايؤذن لهم فى معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولاهم يستعتبون) الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هى الغلظة والموجدة التى يجدها الانسان فى نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما فى نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضاعة واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لايكلفون ان يرضوا ربهم فى ذلك اليوم لان الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا ربهم فالاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار فى الآخرة (واذا رأى الذين ظلموا) يعنى ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى (العذاب) يعنى عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعنى العذاب (ولاهم ينظرون) يعنى لايؤخرون ولايمهلون (واذا رأى الذين اشركوا) يعنى يوم القيامة (شركاءهم) يعنى اصنامهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) يعنى اربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة (فألقوا) يعنى الاصنام (اليهم) يعنى الى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعنى ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعنى فى تسميتنا آلهة ومادعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جماد لاتتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لايبعد ان الله سبحانه وتعالى لما بعثها واعادها فى الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادتها وبعثها ان تكذب الكفار ويراها الكفار وهى فى غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعنى المشركين (الى الله يومئذ السلم) يعنى انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيأ (وضل عنهم) يعنى وزال عن المشركين (ماكانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون فى الدنيا فى قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعنى ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول فى الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعنى زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى واختلفوا فى هذه الزيادة ماهى فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها انياب كامثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها المها اربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعنى خمسة انهار من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير

خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا افأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا ومايزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش

فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على امته وهو اعدل شاهد عليها (من انفسهم) يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان (وجئنابك) يعني يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعني على قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شيء) تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعني لما امر به وما نهى عنه وقال اهل المعاني تبيانا لكل شيء يعني من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على مايوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين (وهدى) يعني من الضلالة (ورحمة) يعني لمن آمن به وصدقه (وبشرى للمسلمين) يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل * قوله سبحانه وتعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وفي رواية عنه العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال في رواية اخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان تقابل الخير باكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من اساء اليك وقيل يامر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن (وايتاء ذي القربى) يعني ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل مارزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ماقبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر مالا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) يعني الكبر والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الآخر لدك الباغي وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة اشياء ومن المنهيات ثلاثة اشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ماقبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان

سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده) ان لكل شيء خاصية ليست لغيره وكما لا يخصه دون ماعداه يشتاقه ويطلبه اذا لم يكن حاصلا له ويحفظه ويحبه اذا حصل فهو باظهار خاصيته ينزه الله عن ا شريك والا لم يكن متوحدا فيها فكأنه يقول بلسان الحال اوحده على ما وحدني ويطلب كماله ينزهه عن صفات النقص كانه يقول يا كامل كملني وباظهار كماله يقول كلني الكامل المكمل وعلى هذا القياس حتى ان الابوة مثلا باشفاقها على ولدها تقول ارأفني الرؤف وارحمني الرحيم وبطلب الرزق يارزاق فالسموات السبع تسبحه بالديمومة والكمال والعلو والتأثير والايجاد والربوبيه وبانه كل يوم هو في شان والارض بالدوام والثبات والخلاقية والرزاقية والتربية والاشفاق والرحمة وقبول الطاعة والشكر عليها بالثواب وامثال ذلك والملائكة بالعلم والقدرة والذوات المجردة منهم

وهو

وهو ان تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر فى مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من احسن اليك وذكر ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر فى مقابلته البغى وهو ان يتكبر عليهم اويظلمهم حقوقهم * ثم قال تعالى (يعظكم لعلكم تذكرون) يعنى انما امركم بما امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكى تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان اجمع آية فى القرآن لخير وشر هذه الآية وقال اهل المعانى لما قال الله تعالى فى الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ بين فى هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فما من شئ يحتاج اليه الناس فى امر دينهم مما يجب ان يؤتى اويترك الا وقداشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن اخى اعد علىّ فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وماهو بقول البشر * قوله عز وجل (واوفوا بعهدالله اذا عاهدتم) لما ذكرالله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر فى هذه الآية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدا بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكدالحقوق فقال تعالى واوفوا بعهدالله اذا عاهدتم نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل مايلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعدايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال القتيبى العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح اما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف يمينا ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهدالله من العام الذى خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت فى حلف اهل الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان فى الجاهلية لم يزده الاسلام الاشدة (ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها) يعنى تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين لانه اعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيدا بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ماتفعلون) يعنى من وفاء العهد ونقضه * ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعنى فى نقض العهد (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) يعنى من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبى ومقاتل هذه امراة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت قداتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف اوالشعر اوالوبر وتأمر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ماغزلن فكان هذا دابها والمعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولاحين عاهد وفى به (انكاثا) جمع نكث وهومانقض من الغزل اوالحبل بعد الفتل (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) يعنى دغلاوخيانة وخديعة والدخل مايدخل فى الشئ على سبيل

بالتجرد عن المادة والوجوب ايضا مع ذلك كله فهم مع كونهم مسبحين اياه مقدسون له (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) لقلة النظر والفكر فى ملكوت الاشياء وعدم الاصغاء اليهم وانما يفقهه من كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد (انه كان حليما) لايعاجلكم بترك التسبيح فى طلب كمالاتكم واظهار خواصكم فان من خواصكم تفقه تسبيحهم وتوحيده كما وحدوه (غفورا) يغفر لكم غفلاتكم واهمالاتكم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) لقصور نظرهم عن ادراك الروحانيات وقصر هممهم على الجسمانيات (حجابا مستورا) من الجهل وعمى القلب فلا يرون حقيقة القارئ والا آمنوا وانما لايبصرونك لانهم لايحسبونك الا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين فى بحر الهيولى محجوبين بالغواشى الطبيعية وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وافعاله اذلو عرفوا الحق امرفوك ولوعرفوا صفاته

الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه (ان تكون) يعنى لان تكون (امة هى اربى من امة) يعنى اكثر واعلى من امة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما اكثر من اولئك واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد لان كانت امة اى جماعة اكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (انما يبلوكم الله به) يعنى يختبركم بما امركم به من الوفاء بالعهد وهو اعلم بكم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعنى فى الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسئ المخالف * قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) يعنى على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يعنى بخذلانه اياه عدلا منه (ويهدى من يشاء) بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لايسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا فيجازى المحسن باحسانه ويعاقب المسئ باساءته اويغفرله * قوله عزوجل (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) يعنى خديعة وفسادا بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا الى ايمانكم ويأمنوا اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا المعنى تأكيدا عليهم واظهارا لعظم امر نقض العهد قال المفسرون وهذا فى نهى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذى بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لايليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشريعته * وقوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذكر لكل من وقع فى بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة اوسقط فى ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع فى بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعنى العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) يعنى بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو اقدمه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعنى بنقضكم العهد (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) يعنى ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن اوفوا بها (انما عند الله) يعنى فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (هو خير لكم) يعنى من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعنى فضل ما بين العوضين * ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعنى من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب (وما عند الله باق) يعنى من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزين الذين صبروا) يعنى على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (اجرهم) يعنى ثواب صبرهم (باحسن ما كانوا يعملون) عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى * وقوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكر والانثى قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة فى تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة لوهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطا فى كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنحيينه

لعرفوا كلامه ولم يكن على قلوبهم اكنة من الغشاوات الطبيعية والهيآت البدنية وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) ولو عرفوا افعاله لعلموا القراءة ولم يكن فى آذانهم وقر لرسوخ اوساخ التعلقات (ولوا على ادبارهم نفورا) لتشتت اهوائهم وتفرق هممهم فى عبادة متعبداتهم من اصنام الجسمانيات والشهوات فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة لتألفها بالكثرة واحتجابها بها (نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) اى

حياة طيبة) قال سعيد بن جبير وعطاء هى الرزق الحلال وقال مقاتل هى العيش فى الطاعة وقيل هى حلاوة الطاعة وقال الحسن هى القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن فى الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لايفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة فى ذلك القدر الذى رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر او الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا فى حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ماقدر له فظهر بهذا ان عيش المؤمن القنوع اطيب من غيره وقال السدى الحياة الطيبة انما تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة فى قوله فلنحيينه حياة طيبة هى الجنة وروى عوف عن الحسن قال لاتطيب لاحد الحياة الا فى الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لاتكون الا فى الجنة ولقوله فى سياق الآية (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون فى الجنة ❋ قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبى صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد امر بها فغيره اولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا فى القاء الوسوسة فى قلوب بنى آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمرو لاادرى اى صلاة هى قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه السحر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود الموتة الجنون والفاء فى قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول ابى هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهرى قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوساوس فى قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقى الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية اذا اردت ان تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الخ ومثله من الكلام اذا اردت ان تأكل فقل بسم الله واذا اردت ان تسافر فتأهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل فى اثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه اولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت فى الصلاة او فى غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة فى الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها فى اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جمع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة

تتعلق ارادته ببعثكم فتنبعثون فى اقرب من طرفه عين حامدين له بحياتكم وعلمكم وقدرتكم وارادتكم حمدا واصفين له بالكمال باظهار هذه الكمالات (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) اى فى القبور والمضاجع لذهولكم عن ذلك الزمان كما يجئ فى قصة اصحاب الكهف او فى الحياة الاولى لاستقصاركم اياها بالنسبة الى الحياة الآخرة فيتناول اللفظ القيامات الثلاث الا ان الآية السابقة ترجح الصغرى وقل لعبادى يقول التى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب

ربك كان محذورا وان من
قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة اومعذبوها
عذابا شديدا كان ذلك
فى الكتاب مسطورا وما
منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون
وآتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها وما نرسل
بالآيات الاتخويفا واذقلنا لك
ان ربك احاط بالناس وما
جعلنا الرؤيا التى اريناك الا
فتنة للناس والشجرة
الملعونة فى القرآن ونخوفهم
فما يزيدهم الاطغيانا كبيرا
واذقلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الاابليس
قال ءاسجد لمن خلقت طينا
قال ارأيتك هذا الذى
كرمت علىّ لئن اخرتن الى
يوم القيامة لاحتنكن ذريته
الاقليلا قال اذهب فمن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا واستفزز
من استطعت منهم بصوتك
واجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم
فى الاموال والاولاد
وعدهم ومايعدهم الشيطان
الاغرورا) تمكن الشيطان
من اغواء العباد على اقسام
لان الاستعداد متفاوتة
فمن كان ضعيف الاستعداد

فى قلوب بنى آدم باقدار الله اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك اوهم ان له قدرة على التصرف فى ابدان بنى آدم فأزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعنى ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لايغفر ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لايمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الابعصمة الله ولهذا قال المحققون لاحول عن معصية الله الابعصمة الله ولاقوة على طاعة الله الابتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه) يعنى يطيعونه ويدخلون فى ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعنى بالله وقيل الضمير فى به راجع الى الشيطان والمعنى هم من اجله مشركون بالله * قوله سبحانه وتعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل) وذلك ان المشركين من اهل مكة قالوا ان محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هو الامفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم اية فأبدلنا مكانه حكما آخر والله اعلم بما ينزل اعتراض دخل فى الكلام والمعنى والله اعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو اصلح لخلقه وبما يغير ويبدل من احكامه اى هو اعلم بجميع ذلك بما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار على قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما انت مفتر) اى تختلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى اعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافتراء والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل اكثرهم لايعلمون) يعنى لايعلمون فائدة الناسخ وتبديل المنسوخ (قل) اى قل لهم يا محمد (نزله) يعنى القرآن (روح القدس) يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعنى ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعنى ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى وبشرى) يعنى وهو هدى وبشرى (للمسلمين) * قوله عزوجل (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمى مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا فى ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا اعجمى اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبنى المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا مايجلس عند المروة الى غلام رومى نصرانى عبد لبعض بنى الحضرمى يقال له جبر وكان يقرا الكتب وقال عبيدالله بن مسلمة كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى ابافكيهة ويقال للآخر جبر وكانا

يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فربما مر بهما النبى صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آذاه الكفار يقعد اليهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبدالعزى كان نصرانيا وقد اسلم وحسن اسلامه وكان اعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحى من الله عزوجل وهو كاذب فى ذلك فأجاب الله عنه وانزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذى يلحدون اليه) يعنى يميلون ويشيرون اليه (اعجمى) يعنى هو اعجمى والاعجمى هو الذى لايفصح فى كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمى زياد الاعجم لانه كان فى لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمى منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابى الذى يسكن البادية والعربى الذى يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب (وهذا لسان عربى مبين) يعنى بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذى يشيرون اليه رجل اعجمى فى لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذى عجزتم انتم عنه وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمى على مثله واين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذى يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذى يشيرون اليه ولا هو اتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عزوجل اليه وروى ان الرجل الذى كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه (ان الذين لايؤمنون بآيات الله) يعنى لا يصدقون انها من عندالله (لايهديهم الله) يعنى لا يرشدهم ولايوفقهم للايمان (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة ثم اخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعنى انما يقدم على فرية الكذب من لايؤمن بآيات الله فهو ردلقول كفار قريش انما انت مفتر (واولئك هم الكاذبون) يعنى فى قولهم انما يعلمه بشر لامحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال تبارك وتعالى انما يفترى الكذب فما معنى قوله تعالى واولئك هم الكاذبون والثانى هو الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يفترى الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله واولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اى كذبت فى هذا القول ومن عادتك الكذب وفى الآية دليل على ان الكذب من افحش الذنوب الكبار لان الكاذب المفترى هو الذى لايؤمن بآيات الله روى البغوى باسناد الثعلبى عن عبدالله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لاقال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ❁ قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان) نزلت فى عمار بن ياسر وذلك ان المشركين اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم

استفزه اى استخفه بصوته يكفيه وسوسة وهمس بل هاجسة ولمة ومن كان قوى الاستعداد فان اخلص استعداده عن شوائب الصفات النفسانية او اخلصه الله تعالى عن شوائب الغيرية فليس له الى اغوائه سبيل كما قال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) والا فان منغمسا فى الشواغل الحسية غارزا رأسه فى الامور الدنيوية شاركه فى امواله واولاده بأن يحرضه على اشراكهم بالله فى المحبة بحبهم كحب الله ويسول له التمتع بهم والتكاثر والتفاخر بوجودهم ويمنيه الامانى الكاذبة ويزين عليه الآمال الفارغة وان لم ينغمس فان كان عالما بصيرا بتسويلاته اجلب عليه بخيله ورجله اى مكربه بأنواع الحيل وكاده بصنوف الفتن واتى له فى تحصيل انواع الحطام والملاذ بأنها من جملة مصالح المعاش وغره بالعلم وحمله على الاعجاب وامثال ذلك حتى يصير ممن اضله الله على علم وان لم يكن عالما بل عابدا متنسكا اغواه بالوعد والتمنية وغره بالطاعة والتزكية ايسر مايكون (وكفى بربك

ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية ام عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئى قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة اخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعدلهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في اناس من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا فانا لانراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا في اول الاسلام قبل ان يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم اسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى ان يقال ان الآية عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فامعنى هذا الاستثناء في الامن اكره قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ماشابه ما يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله اعلم

﴿ فصل في حكم الآية ﴾ قال العلماء يجب ان يكون الاكراه الذى يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفران يعذب بعذاب لاطاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء اول من اظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة ابوبكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وابوه ياسر وامه سمية فامارسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابى طالب واما ابوبكر فمنعه قومه وعشيرته واخذ الآخرون والبسوا ادراع الحديد واجلسوا في حر الشمس بمكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابوبكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقداوقدوالى نارا ما اطفاها الاودك ظهرى واجمعوا على ان من اكره على الكفر لايجوزله ان يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتى بالمعاريض وبمايوهم انه كفر فلواكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمانينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفرولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال مايتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن اكره بالسيف اوالقتل على ان يشرب الخمر اويأكل الميتة اولحم الخنزير اونحوها جازله ذلك لقوله تعالى ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال مالا يتصور الاكراه عليه كالزنالان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه

وكيلا ربكم الذى يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذامسكم الضر في البحر ضل من تدعون الااياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) اى عبادى الخالصة لايكلون امرهم الاالى الله وحده لاالى الشيطان ولاالى غيره وهوكافيهم بتدبير الامور ولايتوكلون الاعليه بشهود افعاله وصفاته (ولقد كرمنا بنى آدم) بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة (وحملناهم في البر والبحر) اى يسرنالهم اسباب المعاش والمعاد بالسير في طلبهما فيهما وتحصيلها (ورزقناهم من الطيبات) اى المركبات التى لم ترزق غيرهم من المخلوقات (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) اى ماعدا الذوات المقدسة من الملاء الاعلى واما افضلية بعض الناس كالانبياء على الملائكة

الاكراه و اختلف العلماء فى طلاق المكره فقال الشافعى رضى الله تعالى عنه واكثر العلماء لايقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجةالشافعى ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لااكراه فى الدين ولايمكن انيكون المراد نفى ذاته موجودة فوجب حمله على نفى آثاره والمعنى انه لااثرله ولاعبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) يعنى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) يعنى يكون ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر لاجل انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وان الله لايهدى القوم الكافرين) يعنى لايرشدهم الى الايمان ولايوفقهم للعمل به (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) تقدم تفسيره (واولئك هم الغافلون) يعنى عما يراد بهم من العذاب فى الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) يعنى ان الانسان انما يعمل فى الدنيا ليربح فى الآخرة فاذا دخل النار بان خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر * قوله عزوجل (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول فى الاسلام فتنهم المشركون (ثم جاهدوا وصبروا) عن الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعنى من بعد الفتنة التى فتنوها (لغفور رحيم) نزلت هذه الآية فى عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه لامه وفى ابى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبدالله بن اسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ماارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية فى عبدالله بن ابى سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنيات فى السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك * قوله سبحانه وتعالى (يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها) يعنى تخاصم وتحتج عن نفسها اى بما اسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لاتتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هى مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هى بدنه فهى عينها وذاتها ايضا والمعنى يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته ولايهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لايقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعنى جزاء ما عملت فى الدنيا من خير اوشر (وهم لايظلمون) يعنى لاينقصون من جزاء اعمالهم شيأ بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولانقصان روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وانت لايهمك الانفسك وان جهنم لتزفر زفرة مايبقى ملك مقرب ولانبى مرسل الاجثا على ركبتيه

المقربين فليست من جهة كونهم بنى آدم فانهم من تلك الحيثية لايتجاوزون مقام العقل بل من جهة السر المودوع فيهم المشار اليه بقوله انى اعلم مالاتعلمون وهو ماأعد لذلك البعض من المعرفة الآلية التامة بواسطة الجمعية التى فيه اى مقام الوحدة وحينئذ ليس هو بهذا الاعتبار من بنى آدم كما قيل وانى كنت ابن آدم صورة . فلى فيه معنى شاهد بأبوتى بل هو عين المكرم المعروف كما قيل رأيت ربى بعين ربى . فقال من انت قلت انت وقدفنى ابن آدم فى هذا المقام ومابقى منه شئ والا فالتراب ورب الارباب او ولقد كرمنا بنى آدم بالتقريب ومعرفة التوحيد وحملناهم فى بر عالم الاجساد وبحر عالم الارواح بتسييره فيهما التركيبه منهما وارقائه عنهما فى طلب الكمال ورزقناهم من طيبات العلوم والمعارف وفضلناهم على الجم الغفير ممن خلقنا اى جميع المخلوقات على ان تكون من للبيان والمبالغة فى تعظيمه بوصف المفضل عليهم بالكثرة وتنكير

حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لااسألك الانفسى وان تصديق ذلك فيما انزل الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل من نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية قال ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لى يد أبطش بها ولارجل امشى بها ولاعين ابصر بها ويقول الجسد يارب انت خلقتنى كالخشبة ليست لى يد ابطش بها ولارجل امشى بها ولاعين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لسانى وبه ابصرت عيناى وبه مشت رجلاى فضرب الله لهما مثلا اعمى ومقعد دخلا حائطا يعنى بستانا فيه ثمار فالاعمى لايبصر الثمر والمقعد لايناله فحمل الاعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب * قوله عزوجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول فى شئ يشبه اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره فى معنى من المعانى اى معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا اولم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل ان تكون شيأ مفروضا ويحتمل ان تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة اوغيرها والاكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشرى فى كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية اى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وههنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة فى اهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلا لقريتكم اى بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من مثلا لانها هى الممثل بها ويجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا اراد بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة فى تمثيلها بقرية صفتها ماذكر وقال ابن الجوزى فى هذه القرية قولان احدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثانى انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن واقول هذه الآية نزلت بالمدينة فى قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة فى اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم مااصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ماقلت الخوف المذكور فى هذه الآية فى قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعثها فى قول جميع المفسرين لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعنى مكة (كانت آمنة)

الوصف وتقديمه على الموصوف اى كثير واى كثير وهو جميع مخلوقاتنا لدلالة من على العموم (تفضيلا) تاما بينا (يوم ندعوا) اى نحضر (كل اناس بامامهم) طائفة من الامم مع شاهدهم الذى يحضرهم ويتوجهون اليه من الكمال ويعرفونه سواء كان فى صورة نبى آمنوا به كما ذكر فى تفسير قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اوامام اقتدوا به اودين اوكتاب اوماشئت على ان تكون الباء بمعنى مع او نسميهم الى امامهم وندعوهم باسمه لكونه هو الغالب عليهم وعلى امرهم المستعلى محبتهم اياه على سائر محباتهم (فمن اوتى كتابه بيمينه) اى من جهة العقل الذى هو اقوى جانبيه وبعث فى صورة السعداء (فاولئك يقرؤن كتابهم) دون غيرهم لاستعدادهم للقراءة والفهم لان الذى اوتى كتابه بشماله اى من جهة النفس التى هى اضعف جانبيه لايقدر على قراءة كتابه وان كان مقروا لذهاب عقله وفرط حيرته (ولا يظلمون) اى لا

يعنى

يعني ذات امن لايهاج اهلها ولايغار عليهم (مطمئنة) يعني قارة بأهلها لايحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا) يعني واسعا (من كل مكان) يعني يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق اهله من الثمرات (فكفرت) يعني هذه القرية والمراد اهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي انعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان احدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ماهذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان اهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس لايذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع اويقال فاذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وماعس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه مايدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ماغشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لماوقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان مايشهد لصحة ماقال وقال الامام فخر الدين الرازي جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه احاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الاانه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذق ماعنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها ❊ وسيق الينا عذبها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ماظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال كماتقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز ان تقول ذقت لباس الجوع والخوف على الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير

ينقصون من صور اعمالهم وكمالاتهم واخلاقهم شيأ قليلا (ومن كان في هذه اعمى) عن الاهتداء الى الحق (فهو في الآخرة اعمى) كذلك (واضل سبيلا) مماهنا لانه له في هذه الحياة آلات وادوات واسبابا يمكنه الاهتداء بها وهو في مقام الكسب باقي الاستعداد ان كان ولم يبق هناك شئ من ذلك (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره) هو من باب التلوينات التي تحدث لارباب القلب بظهور النفس ولارباب الشهود والفناء بوجود القلب فانه عليه السلام افرط شفقه وحرصه على ايمانهم بوجود القلب كاد يميل اليهم في بعض مقترحاتهم ويرضى ببعض ماهو خلاف شريعته ويضيف الى الله ماليس منه طلبا للمناسبة التي كان يتوقع ان تحدث بينه وبينهم بذلك فيحبونه كما قال (واذا لاتخذوك خليلا) عسى ان يقبلوا قوله ويهتدوا به واستمالة وتطييبا لقلوبهم عسى ان يلينوا وينزلوا عن شدة انكارهم فيرق حجابهم وتتنور قلوبهم فشددوا اقيم من عند الله ولهذا قالت

فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه اراد اهل القرية والمعنى فعلنا بهم مافعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا فى الامن والطمأنينة والخصب ثم انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا فى ايذائه وارادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وامره بالهجرة الى المدينة وسلط على اهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين اظهرهم ❋ قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعنى اهل مكة (رسول منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فأخذهم العذاب) يعنى الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم فى الآية (وهم ظالمون) يعنى كافرون (فكلوا مما رزقكم الله) فى المخاطبين بهذا قولان احدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثانى انهم هم المشركون من اهل مكة قال الكلبى لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يامعشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم (حلالا طيبا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى احل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعنى التى انعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية واحكامها فى سورة البقرة فلم نعده هنا ❋ وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب) يعنى ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعنى البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعنى قولهم مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يحلون اشياء ويحرمون اشياء من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعنى لا تقولوا ان الله امرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفترين الكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعنى لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ماهم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعنى متاعهم فى الدنيا متاع قليل فانه لابقاء له (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى ما سبق ذكره وبيانه فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعنى بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) يعنى انما حرمنا عليهم ماحرمنا بسبب بغيهم وظلمهم انفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ❋ وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان

عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن تعنى انه عليه الصلاة والسلام كلما ظهرت نفسه وهمت بما ليس بفضيلة نبه من عند الله وثبت بتنزيل آية تقومه وترده الى الاستقامة حتى بلغ مقام التمكين وهذا وامثاله من قوله تعالى ما كان لنبى ان تكون له اسرى وقوله عفى الله عنك لم اذنت لهم وقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقوله عبس وتولى يدل على انه كان اكثر سلوكه فى الله بعد الوصول فى زمان النبوة وزمان الوحى (اذا لاذقناك) اى لو قاربت فتنتهم وكدت توافقهم لاذقناك عذابا مضاعفا فى الحيوة وعذابا مضاعف فى الممات فان شدة العذاب بحسب علو المرتبة وقوة الاستعداد اذا النقصان الموجب للعذاب يقابل الكمال الموجب للذة فكما كان الاستعداد اتم والادراك اقوى كانت المرتبة فى الكمال والسعادة واللذة اقوى فكذا مايقابله من النقص والشقاوة ابعد واسفل والالم اشد (ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا

السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل مالاينبغي وكل من عمل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لايرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر اومعصية فانما يصدر عنه بسبب جهله اما لجهله بقدر مايترتب عليه من العقاب او لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوأ بجهالة ثم تاب واصلح العمل في المستقبل ان يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد عمل ذلك السوء (واصلحوا) يعني اصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعدها) يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعني لمن تاب وآمن (رحيم) يعني بجميع المؤمنين والتائبين * قوله سبحانه وتعالى (ان ابرهيم كان امة) حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة فلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم امة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في امة ومنه قول الشاعر

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة اقوال احدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير يأتم به اهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان امة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وماكانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من اهل دين الاوهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت امته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام امة لانه قام مقام امة في عبادة الله (قانتا لله) يعني مطيعا لله وقيل هو القائم باوامر الله (حنيفا) مسلما يعني مقيما على دين الاسلام لايميل عنه ولايزول وهو اول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره (شاكرا لانعمه) يعني انه كان شاكرا لله على النعم التي انعم بها عليه (اجتباه) اي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته (وهداه الى صراط مستقيم) يعني هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم (وآتيناه في الدنيا حسنة) يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله حببه الى جميع خلقه فكل اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه اولادا ابرارا على الكبر (وانه في الآخرة لمن الصالحين)

ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلافك الاقليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا اقم الصلاة لدلوك الشمس) اعلم الصلاة على خمسة اقسام صلاة المواصلة والمناغاة في مقام الخفاء وصلاة الشهود في مقام السر وصلاة الحضور في مقام القلب وصلاة المطاوعة والانقياد في مقام النفس فدلوك الشمس هو علامة زوال شمس الوحدة عن الاستواء على وجود العبد بالفناء المحض فانه لاصلاة في حال الاستواء الا الصلاة عمل يستدعي وجودا الحالة لاوجود للعبد حتى يصلي كما ذكر في تأويل قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين الاترى الشارع عليه السلام كيف نهى عن الصلاة وقت الاستواء فاما عند الزوال اذا حدث ظل وجود العبد سواء عند الاحتجاب بالخلق حالة الفرق قبل الجمع او عند البقاء حالة الفرق بعد الجمع فالصلاة واجبة (الى غسق الليل) ليل النفس (وقرآن الفجر) فجر القلب

يعنى فى اعلى مقامات الصالحين فى الجنة وقيل معناه وانه فى الآخرة لمع الصالحين يعنى الانبياء فى الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عزوجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية امرالله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم) يعنى دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول كان النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الاما نسخ منها ومالم ينسخ صار شرعا له وقال ابوجعفر الطبرى امره باتباعه فى التبرى من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره * وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعنى انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله فى كل سبعة ايام يوما فاعبدوه فى يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيأ من صنعتكم وستة ايام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لانريد الااليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام ايضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لانريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عزوجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغد لليهود وبعد غد للنصارى وفى رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفى رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون فى الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم قال العلماء فى معنى الحديث نحن الآخرون فى الزمان والوجود السابقون فى الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد انهم يعنى غير انهم اوالا انهم وقوله فهذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضى عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف احبارهم فى تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعنى القاضى عياضا وقدجاء ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة واعلمهم بفضله فناظروه ان السبت افضل فقيل له دعهم قال القاضى ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيى الدين النووى ويمكن ان يكونوا امروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه ام لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا فى ابداله قال الامام فخر الدين الرازى فى قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعنى على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم فى السبت كان اختلافا على نبيهم فى ذلك اليوم اى لاجله وليس معنى

فاول الصلوات والطفها صلاة المواصلة والمناغات وافضلها واشرفها صلاة الشهود للروح المشار اليها بصلاة العصر كما فسرت الصلاة الوسطى اى الفضلى فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات الوسطى بها واوحاها واخفها صلاة السر بالمناجاة اول وقت الاحتجاب بظهور السرعة اقتضاء وقتها ولهذا استحب التخفف فى صلاة المغرب فى القراءة وغيرها لكونها علامة وازجر الصلاة للشيطان واوفرها تنويرا لباطن الانسان صلاة الحضور للقلب المومأ اليها بقرآن الفجر فانها فى وقت تجليات انوار الصفات ونزول المكاشفات ولهذا استحب التكثر فى جماعة صلاة الصبح وأكد استحباب الجماعة فيها خاصة وتطويل القراءة وقال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) اى محضورا بحضور ملائكة الليل والنهار اشارة الى نزول صفات القلب وانوارها وذهاب صفات النفس وزوالها واشدها تثبيتا للنفس وتطويعا لها صلاة

قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحدى على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف فى السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد افضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدا فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين فى السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق فى ستة ايام وبدا بالخلق والتكوين فى يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك العمل فى هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدا بخلق الاشياء فى يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا وهذان الوجهان معقولان فاوجه فضل يوم الجمعة حتى جعله اهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا بهذا الوجه وهو اولى ووجه آخر وهو ان الله عزوجل خلق فيه اشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو ابو البشر وفيه تاب عليه وكان يوم الجمعة اشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيأ وكان ما اختاره الله لهم افضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ يوم الاحد فى شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء وفى معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت اى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير فى زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة فى تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيأ وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة * وقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى فى امر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب * قوله عزوجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعنى ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لايخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم (وجادلهم بالتى هى احسن) يعنى بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة اقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس

النفس للطمانينة والثبات ولهذاسنّ فيما جعل آية لها من صلاة العشاء السكوت بعدها حتى النوم الا بذكر الله وحيث امكن للشيطان سبيل الى الوسوسة استحب فيما جعل علامة لها الجهر كصلاة النفس والقلب والسر للزجر ولا مدخل له فى مقام الروح والخفاء فأمر بالاخفات (ومن الليل فتهجد به) اى خصه ببعض الليل بالتهجد (نافلة لك) زيادة على ما فرض خاصة بك لكونه علامة مقام النفس فيجب تخصيصه بزيادة الطاعة لزيادة احتياج هذا المقام الى الصلاة بالنسبة الى سائر المقامات فيقتدى بك السالكون من امتك فى تطويع نفوسهم ويقوى تمكنك فى مقام الاستقامة كما قال افلا اكون عبدا شكورا (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) اى فى مقام يجب على الكل حمده وهو مقام ختم الولاية بظهور المهدى فان خاتم النبوة فى مقام محمود من وجه هو جهة كونه خاتم النبوة غير محمود من وجه هو جهة ختم الولاية فهو من هذا الوجه فى مقام الحامدية

وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثاني هم اصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة اي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) يعني انما عليك يا محمد تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي كل عامل بعمله ✿ قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) نزلت هذه الآية بالمدينة في سبب شهداء احد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم احد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن ابي عامر الراهب وذلك ان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه وآذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيأ من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمنا ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان ادعك حتى تحشر من افواج شتى اما والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وامسك عما اراد وكفر عن يمينه عن ابي بن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة انزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ✿ واما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوها فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها امر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على

ان

فاذاتم ختم الولاية يكون في مقام محمود من كل وجه (وقل رب ادخلني) حضرة الوحدة في عين الجمع (مدخل صدق) مدخلا حسنا مرضيا به بلا آفة زيغ البصر بالالتفات الى الغير ولا الطغيان بظهور الانانية ولا شوب الاثنينية (واخرجني) الى الكثرة عند الرجوع الى التفصيل بالوجود الموهوب الحقاني (مخرج صدق) مخرجا حسنا مرضيا به من غير آفة التلوين بالميل الى النفس وصفاته ولا الضلال بعد الهدى بالانحراف عن جادة الاستقامة والزيغ عن سنن العدالة الى الجور كالفترة الداودية (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة ناصرة بالتثبيت والتمكين بان اكون بك في الاشياء في حال البقاء بعد الفناء لا بنفسي كما قال عليه الصلاة والسلام لا تكلني الى نفسي طرفة عين او عزا وقوة قهرية بك اقوى بها دينك واظهره على الاديان كلها (وقل جاء الحق) اي الوجود الثابت الواجب الحقاني الذي لا يتغير ولا يتبدل (وزهق الباطل) اي الوجود

ان الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بأن الترك اولى فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) يعنى ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه اجر للصابرين العافين

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة ام لا على قولين احدهما انها نزلت قبل براءة فامر النبى صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثانى انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه اكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبى والنخعى وابن سيرين والثورى قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة فى تعليم حسن الادب فى كيفية استيفاء الحقوق فى القصاص وترك التعدى وهو طلب الزيادة وهذه لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم * قوله عز وجل (واصبر وما صبرك الا بالله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعنى ان الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى احد وما فعل بهم فانهم افضوا الى رحمة الله ورضوانه (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) يعنى ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ فى ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال ابو عبيد الضيق بالكسر فى قلة المعاش وفى المسكن واما ما كان فى القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبى الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى ولا تك فى امر ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة فى الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا فى الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق فيك الا ان الفائدة فى قوله ولا تك فى ضيق هى ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة فى ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) اى اتقوا المثلة والزيادة فى القصاص وسائر المناهى (والذين هم محسنون) يعنى بالعفو عن الجانى وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى ان اردت ايها الانسان انا اكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفى هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت اوص فقال انما الوصية فى المال ولا مال لى ولكنى اوصيك بخواتيم سورة النحل والله اعلم بمراده واسرار كتابه

البشرى الامكانى القابل للفناء والتغير والزوال (ان الباطل) اى الوجود الممكن (كان زهوقا) فانيا فى الاصل لاشيأ ثابتا طرأ عليه الفناء ففنى بل الفانى فان فى الازل والباقى باق لم يزل وانما احتجبنا بتوهم فاسد باطل فكشف (وننزل من القران) العقل القرآنى الجامع بالتدريج نجوم تفاصيل العقل الفرقانى نجما فنجما على الوجود الحقانى على حسب ظهور الصفات اى نفصل ما فى ذلك مجملا مكنونا تفصيلا بارزا ظاهرا عليك ليكون شفاء لامراض قلوب المستعدين المؤمنين بالغيب من امثلك كالجهل والشك والنفاق وعمى القلب والغل والحقد والحسد وامثالها فيزكيهم ورحمة تفيدهم الكمالات والفضائل وتحليهم بالحكم والمعارف (ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين) الناقصين استعدادهم بالرذائل والحجب الظلمانية الا خسين حظوظهم من الكمال بالهيآت البدنية والصفات النفسانية (الا خسارا) بزيادة ظهور

تفسير سورة الاسرا

﴿ فصل فى نزولها ﴾ قال ابن الجوزى هى مكية الاثمان فى قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس انه قال هى مكية الاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب ادخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك احاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا ان ثبتناك والتى تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسمأئة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

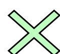
* قوله عزوجل (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شئ هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله فى اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده وتزاهته عن كل مالا ينبغى الذى اسرى يقال سرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة فى ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم

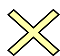
لاتدعنى الا بياعبدها * فانه اشرف اسمائى

قيل لما بلغ رسول صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج اوحى الله عزوجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتنى الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لايكون الا بالليل فامعنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به فى بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر اواكثر فدل تنكير الليل على البعضية (من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفى حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتى بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار ام هانئ بنت ابى طالب وهى بنت عم اخت على رضى الله تعالى عنه فعلى هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم (الى المسجد الاقصى) يعنى الى بيت المقدس سمى اقصى لبعده عن المسجد الحرام اولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يعنى بالانهار والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين ومافائدة ذكر المسجد الاقصى فقط قلت قد كان الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده الى السماء

اولا

انفسهم بصفاتها كالانكار والعناد والمكابرة واللجاج والرياء والنفاق منضمة الى مالهم من الشك والجهل والعمى والعمه (واذا انعمنا على الانسان) بنعمة ظاهرة (اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا) لوقوفه مع النفس والبدن وكون القوى البدنية متناهية لاتقدر الامور الغير المتناهية الممكنة الوقوع من سبب النعمة وردها عند عدمها وسائر الغير ولايرى الا العاجل وتكبر لاستعلاء نفسه على القلب وظهوره بانانيته وتفرعنه فنأى اى بعد عن الحق فى جانب النفس وطوى جنبه معرضا وكذا فى جانب الشر اذا مسه يئس لاحتجابه عن القادر وقدرته ولو نظر بعين البصيرة شاهد قدرة الله تعالى فى كلتا الحالتين وتيقن فى الحالة الاولى ان الشكر رباط النعم وفى الثانية ان الصبر دفاع النقم فشكر وصبر وعلم ان المنعم قدر فلم يعرض عند النعمة بطرا واشرا خائفا زوالها غير غافل عن المنعم ولم ييأس عند النقمة جزعا وضجرا راجيا





اولالاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه اسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبر به من العلامات التى فيه و صدقوه عليها اخبر بعد ذلك بعر وجه الى السماء فجعل الاسراء الى المسجد الاقصى كالتوطئة لمعراجه الى السماء ❁ وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يعنى من عجائب قدرتنا فقد راى محمد صلى الله وسلم فى تلك الليلة الانبياء وصلى بهم وراى الآيات العظام فان قلت لفظة من فى قوله من آياتنا تقتضى التبعيض وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولاقائل به فاوجهه قلت ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله ايضا ولآيات الله افضل من ذلك واكثر والذى اراه محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صل الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم (انه هو السميع) لا قواله و دعائه (البصير) لا فعاله الحافظ له فى ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين اخبرهم بمسراه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازى كل عامل بعمله وحمله على العموم اولى

﴿ فصل ﴾ فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به قال بينما انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذا تانى آت فقد قال وسمعته يقول فشق مابين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي مايعنى به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشى ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود هو البراق ياابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل عليه السلام حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل و من معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعدبى الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعدبى حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه

كشفا مراعيا لجانب المبلى (قل كل يعمل على شاكلته) اى خليقته وملكته العالية عليه من مقامه فمن كان مقامه النفس وشاكلته مقتضى طباعها عمل ماذكرنا من الاعراض واليأس ومن كان مقامه القلب وشاكلته السجية الفاضلة عمل بمقتضاها الشكر والصبر (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) من العاملين عامل الخير بمقتضى سجية القلب وعامل الشر بمقتضى طبيعة النفس فيجازيهما بحسب اعمالهما (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى) ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهرين البدنيين الذين لايتجاوز ادراكهم عن الحس والمحسوس بالتشبيه ببعض ماشعروا به والتوصيف بل من عالم الامر اى الابداع الذى هو الذوات المجردة عن الهيولى والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والاين فلايمكنكم ادراكه ايها المحجوبون بالكون لقصور ادراككم وعلمكم عنه (وما اوتيتم من العلم الاقليلا) هو علم المحسوسات وذلك شئ نزر

نزول الملائكة مع كونهم نفوسا مجردة على الهيئة الملكية فى الارض بل لو نزلت لم ينزلوا الا متجسدين كما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون والا لم يمكنكم ادراكهم فبقيتم على انكاركم واذا كانوا مجسدين ماصدقتم كونهم ملائكة فشأنكم الانكار على الحالين بل على اى حال كان كانكار الخفاش ضوء الشمس (من يهد الله) بمقتضى العناية الازلية فى الفطرة الاولى بنوره (فهو المهتد) خاصة دون غيره (ومن يضلل) بمنع ذلك النور عنه (فلن تجد لهم) انصارا يهدونه (من دونه اولياء) او يحفظونه من قهره (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) اى ناكسى الرؤس لانجذابهم الى الجهة السفلية او على وجوداتهم وذواتهم التى كانوا عليها فى الدنيا كقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون اذ الوجه يعبر به عن الذات الموجودة مع جميع عوارضها ولوازمها اى على الحالة الاولى من غير زيادة ونقصان (عميا) عن الهدى كما كانوا

آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر قال ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذى خبالك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ماقالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم فاوعيت منهم ادريس فى الثانية وهرون فى الرابعة وآخر فى الخامسة ولم احفظ اسمه وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم اظن ان يرفع على احد ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى الله فيما اوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يامحمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لاتستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره فى ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فان امتى لاتستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يامحمد والله لقد راودت بنى اسرائيل قومى على ادنى من هذا فضعفوا فتركوه فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنه ربك كل ذلك يلتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يارب ان امتى ضعفاء اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابدانهم فخفف عنا فقال الجبار يامحمد قال لبيك وسعديك قال انه لايبدل القول لدى كما فرضت عليك فى ام الكتاب قال فكل حسنة بعشر امثالها فهى خمسون فى ام الكتاب وهى خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها قال موسى قد والله راودت بنى اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياموسى قد والله استحييت من ربى مما اختلفت اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخارى وادرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه فى حديث ثابت البنانى المسند فذكر من اول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم واخر وزاد ونقص وليس فى حديث ثابت من هذه الالفاظ الاما نورده على نصه اخرجه مسلم وحده وهو حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التى يربطها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح

لنا فاذا انا بآدم فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد اعطى شطر الحسن قال فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب ودعالى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ماغشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الى ما اوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال مافرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لايطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف على امتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عنى خمسا قال ان امتك لاتطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه هذه رواية مسلم واخرجه الترمذى مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هكذا ماركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا واخرجه النسائى مختصرا والمعنى واحد وفى آخره قال فرجعت الى ربى فسألته التخفيف فقال انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها امر الله جرى بقول حتم فلم ارجع

﴿ فصل ﴾ قال البغوى قال بعض اهل الحديث ماوجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيأ لايحتمل مخرجا الاحديث شريك بن ابى نمر عن انس واحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحى واتفق اهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحى بنحو من اثنى

فى الحياة الاولى (وبكما) عن قول الحق لعدم ادراكهم المعنى المراد بالنطق اذ ليسوا ذوى قلوب يفهم بها ويفقه فكيف التعبير عما لم نفهم (ومأواهم جهنم) عن سماع المعقول لعدم الفهم ايضا فلا يؤثر فيهم موجب الهداية لا من جهة الفهم من الله تعالى بالالهام ولا من طريق السمع من كلام الناس ولا من طريق البصر بالاعتبار (كلما خبت زدناهم سعيرا) كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بل ابلغ منه ذلك بسبب احتجابهم عن صفاتنا خصوصا قدرتنا على البعث وانكارهم له انكروا وما استدلوا بخلق السموات والارض على القدرة (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم) لوقوفكم مع صفات نفوسكم التى من لوازمها الشح الجبلى

عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة ان الذى تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوى وهذا الاعتراض عندى لايصح لان هذا كان رؤيا فى النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه التى راها من قبل كما انه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله تعالى فى كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك فى هذا الحديث اوهام انكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء اقل ماقيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربى كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهرى كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق اسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين واشبه الاقوال قول الزهرى وابن اسحق واما قوله فى رواية شريك وهو نائم وفى الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولاحجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة اول وصول الملك اليه وليس فى الحديث مايدل على كونه نائما فى القصة كلها هذا كلام القاضى عياض وهذا الذى قاله فى رواية شريك وان اهل العلم قد انكروها قدقاله غيره وقد ذكر البخارى فى رواية شريك هذه عن انس فى كتاب التوحيد من صحيحه واتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن ابى نمر عن انس قد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يات احد منهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث قال والاحاديث التى تقدمت قبل هذا هى المعوّل عليها

﴿ فصل ﴾ فى شرح بعض الفاظ حديث المعراج ومايتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت فى رجب ويقال فى رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر فى الفصل الذى قبل هذا واختلف الناس فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك فى المنام والحق الذى عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسرى بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التى تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة انه قال كل ذلك كان رؤيا وانه مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا وعن معاوية نحوه والصحيح ماعليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق هو اسم للدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته

لكون ادراكها مقصورا على مايدرك بالحس من الامور المادية المحصورة واحتجابها عن البركات الغير المتناهية والرحمة الواسعة الغير المنقطعة التى لاتدرك الاعند اكتحال البصيرة بنور الهداية فتخشى نفادها وانقطاعها (خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) مرت الاشارة اليها فى سورة الحجر (فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يافرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) اى ماانزلنا القرآن الابعد زوال بشرية النبى عليه الصلاة والسلام بالكلية فى مقام الفناء وانتفاء الحدثان عن وجه القدم

اولشـدة صفائه وبياضه ولمعانه وتلالئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد ربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لايقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال لى اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرت يعنى فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها ام الخبائث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بى حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وان يقول انا فلان ولايقول انا فانه مكروه وفيه ان للسماء ابوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد ارسل اليه وفى الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لايخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح فى معناه وقيل غيره وقوله فاذا انا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء اهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر افضل من المزور فيه جواز مدح الانسان فى وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بى الى السدرة هكذا وقع فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهى اليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها من امر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهى الجرة الكبيرة التى تسع قربتين او اكثر قوله فرجعت الى ربى قال الشيخ محيى الدين النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته فيه اولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم ازل ارجع بين موسى وبين ربى معناه وبين موضع مناجاة ربى عز وجل قلت واما الكلام على معنى الرؤية ومايتعلق بها فانه سيأتى ان شاء الله تعالى فى تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على امتى خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفى الرواية الاخرى فوضع عنى عشرا وفى الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف واما رواية العشر فهى رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البنانى وقتادة وهما اثبت من شريك فالمراد حط عنى خمسا الى آخره ثم قال هى خمس وهن خمسون يعنى خمسين فى الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشئ قبل فعله وفى اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق ايضا فى صغره وهو عند حليمة التى كانت ترضعه فالمراد بالشق الثانى زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب او يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغها فى صدرى فان قلت الحكمة

وانقشاع ظلمة الامكان عن سبحات الوجه الواجب بالباقى بالفرق الثانى ليكون له محل وجودى فما كان انزاله الاظهور احكام التفاصيل من عين الجمع على المظهر التفصيلى فكان انزاله بالحق من الحق على الحق ونزوله بالحق على هذا التأويل هو كما يقال نزل بكذا اذا حل به على ان تكون الباء الثانية للظرفية كقولك نزلت ببغداد والاولى للحال اى ملتبسا بالحق على معنيين اما بالحق الذى هو نقيض الباطل اى بالحقيقة والحكمة واما بالحق الذى هو الله تعالى اى انزل على صفته وهو الحق (وقرآنا فرقناه) على حسب ظهور استعدادات المظاهر المقتضية لقبوله بحسب الاحوال والمصالح والصفات كما اشرنا اليه فى قوله ولولا ان ثبتناك (لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به اولاتؤمنوا) اى ان وجودكم كالعدم عندما ليس المراد منه هدايتكم لكونكم مطبوعا على قلوبكم لامحل لكم عند الله ولا فى الوجود لكونكم احلاس بقعة الامكان معدومى

والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل فى الطست شئ يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما فسمى ايمانا وحكمة لكونه سببالهما وهذا من احسن المجاز وقوله فى صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره فى الحديث بانه نسم بنيه يعنى ارواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المؤمنين فى السماء وارواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون فى السماء والجواب عنه انه يحتمل ان ارواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو فى السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله فى ادريس مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على ان ادريس هو اخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبى صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم جده فكان ينبغى أن يقول بالنبى الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضى عياض قال الشيخ محيي الدين ليس فى الحديث مايمنع كون ادريس ابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون قاله تلطفا اوتأدبا وهو اخ وان كان ابا لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله اعلم

﴿ فصل ﴾ فى ذكر الآيات التى ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق احاديث تتعلق بالاسراء قال البغوى روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به وكان بذى طوى قال ياجبريل ان قومى لايصدقونى قال يصدقك ابوبكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة اسرى بى الى السماء اصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت ان الناس يكذبونى فروى انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابوجهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شئ قال نعم اسرى بى الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ابوجهل ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابوجهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال اتحدث قومك بما حدثتنى به قال نعم قال ابوجهل يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتنى قال نعم اسرى بى الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا وارتد اناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابى بكر فقال له هل لك فى صاحبك يزعم انه اسرى به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا اوتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة قبل ان يصبح قال نعم انى اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء فى غدوة اوروحة فلذلك سمى ابوبكر الصديق قال وكان فى القوم من اتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت انعت حتى التبس على قال فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وانا انظر اليه فقال

الاعيان بالذات انما الاعتبار بالعلماء الذين لهم وجود عند الله فى عالم البقاء المقتدبهم فى الانبياء فانظر كيف تراهم عند تلاوته عليهم وسماعهم اياه (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون) اى ينقادون له ويعترفون به ويعرفون حقيقته اعلمهم به ومعرفتهم اياه بنورية الاستعداد ومناسبته له وبنور كمالهم لتجردهم وعلمهم بانه كان كتابا من عند الله موعودا ليس هو الااياه لماوجدوه مطابقا لمااعتقدوه يقينافان الاعتقاد الحق لايكون الا واحدا (للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) باللين والانقياد لحكمه لتأثرهم به وحسن تلقيهم لقبوله (قل ادعوا الله) بالفناء فى الذات الجامعة لجميع الصفات (اوادعو الرحمن) بالفناء فى الصفة التى هى ام الصفات (ايا ماتدعو ا) طلبت من هذين المقامين لست هناك بموجود ولالك بقية ولااسم ولاعين ولااثر اذا الرحمن لايصلح اسما لغير

القوم اما النعت فوالله لقد اصاب فيه ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيأ قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد اضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذي مر فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية اخرى قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى اتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذه سحر مبين (م) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما يسألوني عن شيء الا أنبأتهم به وقد رايتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام (ق) عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت الى الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه زاد البخاري في رواية له لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري به عند الكثيب الاحمر فاذا هو قائم يصلي في قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق اخرجه الترمذي فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة قلت اما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى اراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم واما رؤيته موسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج واما صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل افضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء فالانبياء احياء بعد الموت واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعاء وذلك من اعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح

تلك الذات ولا يمكن ثبوت تلك الصفة اي الرحمة الرحمانية لغيرها فلا يلزم وجود البقية بخلاف سائر الاسماء والصفات (فله الاسماء الحسنى) كلها في هذين المقامين لا لك (ولا تجهر بصلاتك) في صلاة الشهود باظهار صفة الصلاة عن نفسك فيؤذن بالطغيان وظهور الانانية (ولا تخافت بها) غاية الاخفات فيؤذن بالانطماس في محل الفناء دون الرجوع الى مقام البقاء فلا يمكن احدا الاقتداء بك (وابتغ بين ذلك سبيلا) يدل على الاستقامة ولزوم سيرة العدالة في عالم الكثرة وملازمة الصراط المستقيم بالحق (وقل الحمد لله) اي اظهر الكمالات الآلهية والصفات الرحمانية التي لا تكون الا للذات الاحدية (الذي لم يتخذ ولدا) اي لم يكن علة لموجود من جنسه لضرورة كون المعلول محتاجا اليه ممكنا بالذات معدوما بالحقيقة فكيف يكون من جنس الموجود حقا الواجب بذاته من جميع الوجوه (ولم يكن له شريك

كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص فى الآخرة كما خصهم فى الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبرانه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقائق * قوله سبحانه وتعالى (وآتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (وجعلناه) يعنى الكتاب (هدى لبنى اسرائيل ان لاتتخذوا) يعنى وقلنالهم لاتتخذوا (من دونى وكيلا) يعنى ربا كفيلا (ذرية) يعنى يا ذرية (من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) يعنى ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما اوشرب شرابا اولبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك * قوله عزوجل (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب) يعنى اعلمناهم واخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى (لتفسدن فى الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم فى الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام فى لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن فى الارض يعنى بالمعاصى والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعنى ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما) يعنى اولى المرتين قيل افسادهم فى المرة الاولى هو ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم فى المرة الاول قتلهم شعياء فى الشجرة وارتكابهم المعاصى (بعثنا عليكم عبادا لنا) يعنى جالوت وجنوده وهو الذى قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من اهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلى وهو الاصح (اولى بأس شديد) يعنى ذوى بطش وقوة فى الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعنى طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعنى قضاء كائنا لازما لاخلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعنى رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) يعنى اكثر عددا (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) يعنى لها ثوابها وجزاء احسانها (وان اسأتم فلها) يعنى فعليها اساءتها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى (ليسؤا وجوهكم) يعنى ليحزنوكم وقرئ بالنون اى ليسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه اول مرة) يعنى وقت افسادهم الاول (وليتبروا ما علوا تتبيرا) يعنى وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بنى اسرائيل اهلاكا

﴿ ذكر القصة فى هذه الآيات ﴾

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان اول مانزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا ليسدده ويرشده ولاينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التى فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعياء هو الذى بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال ابشرى اورشليم الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك يعنى صديقة بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعياء فبعث الله

سنجاريب

فى الملك) من يساويه فى قوة القهر والمملكة من الشريك فى الملك والالكانا مشتركين فى وجوب الوجود والحقيقة فامتياز كل واحد منهما عن الآخر لابد وان يكون بامر غير الحقيقة الواجبية فلزم تركبهما فكانا كلاهما ممكنين لاواجبين وايضا فان لم يستقلا بالتأثير لم يكن احدهما الها وان استقل احدهما دون الآخر فذلك هو الاله دونه فلا شريك له وان استقلا جميعا لزم اجتماع المؤثرين المستقلين على معلول واحد ان فعلا معا والالزام الهية احدهما دون الآخر رضى بفعله اولم يرض (ولم يكن له ولى من الذل) اى لم يكن له ناصر علة كان اوجزء علة تقويه وتنصره من ذلة الانفعال والعدم والالم يكن الها واجبا بل ممكنا لتكون حيثما قائما به لاينفك (وكبره) من ان يتقيد بصفة دون اخرى اوصورة غير اخرى او يلحقه شئ من هذه النقائص فينحصرون فى وجود خاص تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا (تكبيرا) لايقدر قدره ولايعرف كنهه لامتناع

سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فجاء شعياء النبى اليه وقال ياملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة الف راية وقدها بهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبى الله هل اتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال شعياء لم يأتنى وحى فى ذلك فبينماهم على ذلك اوحى الله الى شعياء النبى ان ائت ملك بنى اسرائيل فمره ان يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعياء ملك بنى اسرائيل وقال ان ربك قد اوحى الى ان آمرك ان توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة ياقدوس يامتقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وانت اعلم به من سرى وعلانيتى لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعياء ان يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه واخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنجاريب فاتاه شعياء فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت انت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة انت الاول والآخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين انت الذى اجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه اوحى الله الى شعياء ان قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فقال الملك لشعياء سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعياء قل له انى قد كفيتك عدوك وانجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه احدهم بختنصر فلما اصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلاب فى مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه احدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم اتوابهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال سنجاريب قد اتانى خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التى يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادى فلم اطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى ولو سمعت اوعقلت ماغزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم بماشاء وان ربنا لم يمتعك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلتك ومن معك ولدمك ودم من معك اهون على الله من دم قراد لوقتلت ثم ان ملك بنى اسرائيل امر امير حرسه ان يقذف فى رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس

وجود شئ غيره يفضل عليه وينسب اليه بل كل مايتصور ويعقل ولا يكبر غيره بهذا التكبير والله الحق الموفق

﴿ سورة الكهف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب) اثنى الله تعالى بلسان التفصيل على نفسه باعتبار الجمع من حيث كونه منعوتا بانزال الكتاب وهو ادراج معنى الجمع فى صورة التفصيل فهذا الحامد والمحمود تفصيلا وجمعا فالحمد اظهار الكمالات الالهية والصفات الجمالية والجلالية على الذات المحمدية باعتبار العروج بعد تخصيصه اياه بنفسه فى العناية الازلية المشار بالاضافة فى قوله عبده وذلك جعل عينه فى الازل قابلة للكمال المطلق من فيضه وايداع كتاب الجمع فيه بالقوة التى هى الاستعداد الكامل وانزال الكتاب عليه ابراز تلك الحقائق عن مكمن الجمع الوحدانى على ذلك المظهر الانسانى فهما متماكسان باعتبار النزول والعروج حمدالله تعالى لبينه اذا المعانى الكامنة

وايليـاء وكان رزقهم فى كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم فقـال سنجاريب للملك صديقة القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فامر بهم الى السجن فاوحى الله الى شعياء النبي ان قل لملك بين اسرائيل برسل سنجـاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعياء للملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم واوحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهى امة لايستطيعها احد مع ربهم وكان امر سنجاريب تخويفـا لبنى اسرائيل ثم كفاهم الله تعـالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنجـاريب لبث بعد ذلك سبع سـنين ثم مات واستخلف على ملكه بختنصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سـنة ثم قبض الله ملك بنى اسرائيل صـديقة فمرج امر بنى اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعياء نبيهم معهم لايقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم فى قومك حتى اوحى على لسانك فلما قام اطلق الله لسـانه بالوحى فقال يا سماء استمعى ويا ارض انصتى فان الله يريد ان يقص شأن بنى اسرائيل الذى رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضـائعة التى لاراعى لها فآوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لايدرون انى جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لايذكرون من حيث جاءهم الخير وهم اولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير وانى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون فى ارض كانت خرابا زمانا لاعمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوى او يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وانبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيمـا ذا رأى وهمة حفيظا قويا امينا فلما اطلعت جاء طلعها خروبا فقالوا بئست الارض هذه فترى ان يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا لاعمران فيهـا قال الله تعالى قل لهم الجدار دينى والقصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيي وان الغراس هم وان الخروب الذى اطلع الغراس اعمـالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على انفسـهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الىّ بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون ان يتقربوا الىّ بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتهـا وايديهم مخضوبة منها وثيابهم مترملات بدمائها يشيدون لى البيوت مسـاجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوّقون لى المسـاجد ويزينونها ويخربون عقولهم واخلاقهم ويفسـدونها فاى حاجة الى تشييد البيوت ولست اسكنها واى حاجة الى تزويق المساجد ولست ادخلها انما امرت برفعها لاذكروا سبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء

فى غيب الغيب مالم ينزل على قلبه فلم يمكنه حمد الله حق حمده فقال لم يحمده الله لم يحمد الله بل حمده حمده كما قال لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك حمدا ولا فى عين الجمع نفسه باعتبار التفصيل ثم عكس فقـال الحمد لله (ولم يجعل له) اى لعبده (عوجا) اى زيغا وميلا الى الغير كما قال مازاغ البصر وماطغى اى لم ير الغير فى شهوده (قيما) اى جعله قيما يعنى مستقيما كما امر بقوله فاستقم كما امرت والمعنى جعله موحدا فانيا فيه غير محتجب فى شـهوده بالغير ولا بنفسه لكونها غيرا ايضا ممكنا مستقيما حال البقاء كما قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . او جعله قيما بامر العبـاد وهدايتـهم اذ التكميل يترتب على الكمال لانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تقويم نفسه وتزكيتها اقيمت نفوس امته مقام نفسه فامر بتقويمها وتزكيتها ولهذا المعنى سمى ابراهيم صلوات الله عليـه امة وهذه القيمة اى القيام بهداية النـاس داخلة فى الاستقامة المأمور هو بها فى الحقيقة (لينذر) متعلق

الذئاب فى كل ذلك لايستجاب لنا قال الله فاسألهم ماالذى يمنعنى ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى ام كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب لهم دعاءهم وانما هو قولهم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما استجيب للداعى اللين وانما استمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضائى رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها اقاويل منقولة واحاديث متواترة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا انهم لوشاؤا ان يأتوا بحديث مثله فعلوا ولوشاؤا ان يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء اثبته وحتمته على نفسى وجعلت دونه اجلا مؤجلا لابد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه اوفى اى زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها امضيت فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يؤلفوا مايشاؤن فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التى ادبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان اجعل النبوة فى الاجراء وان اجعل الملك فى الرعاء والعز فى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحكمة فى الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن اعوان هذا الامر وانصاره ان كانوا يعلمون وانى باعث لذلك نبيا اميا ليس اعمى من عميان ولاضالا من ضالين وليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الاسواق ولامتزين بالفحش ولاقوال الخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره الحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء مشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لى وايمانا بى واخلاصا لى يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء مرضاتى الهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لى فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف يطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون لى الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن اموص وبعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران وذكر ابن اسحق انه الخضر واسمه ارمياء سمى الخضر لانه

بعامل قيما اى جعله قيما يأمر العباد لينذر (بأسا شديدا) وحذف المفعول الاول للتعميم لان احدا لايخلوا من بأس مؤمنا كان اوكافرا كما قال تعالى انذر الصديقين بأنى غيور وبشر المذنبين بأنى غفور اذا البأس عبارة عن قهره ولذلك عظمه بالتنكير اى بأس اليق بعظمته وعزته ووصفه بالشدة وخصصه بقوله (من لدنه) والقهر قسمان قهر محض ظاهره وباطنه قهر كالمختص بالمحجوبين بالشرك وقسم ظاهره قهر وباطنه لطف وكذا اللطف كما قال امير المؤمنين على عليه السلام سبحان من اشتدت نقمته على اعدائه فى سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته ومن القسم الثانى القهر المخصوص بالموحدين من اهل الفناء اطلق الانذار للكل تنبيها ثم فصل اللطف والقهر مقيدين بحسب الصفات والاستحقاقات فقال (ويبشر المؤمنين) اى الموحدين لكونهم فى مقابلة المشركين الذين قالوا اتخذ الله ولدا (الذين يعملون الصالحات) اى

جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارمياء ان ائت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمى وعرفهم باحداثهم فقال ارمياء يارب انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى قال الله تعالى اولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتى وان القلوب والألسنة بيدى اقلبها كيف شئت انى معك ولن يصل اليك شئ معى فقام ارمياء فيهم ولم يدر مايقول فالهمه الله عزوجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عزوجل وانى حلفت بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارمياء انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث من اهل بابل فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من فى بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين الف صبى فلما خرجت غنائم جنده واراد ان يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمان وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق ثلثا اقرهم بالشام وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب باناث بيت المقدس وبالصبيان السبعين الفا حتى اقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التى انزل الله عزوجل ببنى اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد يعنى بختنصر واصحابه ثم ان بختنصر اقام فى سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيا اصابه فانساه الذى رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذرارى الانبياء وسألهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتاويلها فقال ماذكرها ولئن لم تخبرونى بها وبتأويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم عنه فجاؤه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما انت تنظر اليه وقد اعجبك ارسل الله صخرة من السماء فدقته فهى التى انستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها انك رأيت الملوك بعضهم كان الين ملكا وبعضهم كان احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا والفخار اضعفه ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة احسن من ذلك وافضل والذهب احسن من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو اشد واعز مما قبله والصخرة التى رأيت ارسل الله من السماء فدقته فنبى يبعثه الله من السماء فيدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم اهل بابل قالوا لبختنصر ارأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد انكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم من بين اظهرنا او اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن احب منكم ان يقتل من كان فى يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عزوجل وقالوا يا ربنا اصابنا البلاء بذنوب غيرنا

الباقيات من الخيرات والفضائل لان الاجر الحسن هو من جنة الآثار والافعال التى تستحق بالاعمال واعلم ان الانذار والتبشير اللذين هما من باب التكميل اللازم لكونه قيما عليهم كلاهما اثر ونتيجة عن صفتى القهر واللطف الالهيين اللذين محل استعداد قبولهما من نفس العبد الغضب والشهوة فان العبد ما استعد لقبولهما الا بصفتى الغضب والشهوة وفنائهما كما لم يستعد لفضيلتى الشجاعة والعفة الا بوجودهما فلما انتفتا قامتا مقامهما الان كلا منهما ظل لواحدة من تينك نزول بحصولهما فعند ارتواء القلب منهما وكمال التحاق بهما حدث عن القهر الانذار عند استحقاقية المحل بالكفر والشرك وعن اللطف التبشير باستحقاقية الايمان والعمل الصالح اذ الافاضة لاتكون الا عند استحقاق المحل (ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم) اى مالهم بهذا القول من علم بل انما يصدر

فوعدهم

فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا الامن كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل ثم لما اراد الله تعالى هلاك بختنصر انبعث فقال لمن فى يده من بنى اسرائيل ارأيتم هذا البيت الذى خربت والناس الذى قتلت منكم وماهذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا مافعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببنى اسرائيل قال فاخبرونى كيف لى ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها لى ملكا فانى قد فرغت من اهل الارض قالوا مايقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن اولاقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عزوجل عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت ام دماغه فما كان يقر ولايسكن حتى يوجأله رأسه على ام دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل فى يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ماكانوا عليه ويزعمون ان الله سبحانه وتعالى احيا اولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكى ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاء رجل فقال له ياعزير مايبكيك قال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين اظهرنا الذى لايصلح ديننا وآخرتنا غيره قال افتحب ان يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذى وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حبا لم يحبوا حبه شيأ قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشأم فلما ظهر عليهم امر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له انى قد كنت حلفت بالهى لئن انا ظفرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم فى وسط عسكرى الا ان لااجد احدا اقتله فامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يابنى اسرائيل ماشأن هذا الدم يغلى اخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ماصدقتمونى فقالوا لوكان كاول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدا الدم فامر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدا فامر بسبعة آلاف من شيبهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدا

عن جهل مفرط وتقليد للاباء لاعن علم ويقين ويؤيده قوله (كبرت كلمة) اى ما اكبرها كلمة (تخرج من افواههم) ليس فى قلوبهم من معناه شئ لانه مستحيل لامعنى له اذا العلم اليقينى يشهد ان الوجود الواجبى العلى احدى الذات لايماثله الوجود الممكن المعلول والولد هو المماثل لوالده فى النوع المكافئ له فى القوة والشهود الذاتى يحكم بفناء الخلق فى الحق والمعلول فى المشهود فلم يكن ثم سواه شئ غيره فضلا عن الشبيه والولد كما قال احدهم هذا الوجود وان تكثر ظاهرا . وحياتكم مافيه الا انتم (ان يقولون الا كذبا) لتطابق الدليل العقلى والوجدان الذوقى الشهودى على احالته (فلعلك باخع) اى مهلك (نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا) من شدة لوجدوالاسف على توليهم واعراضهم وذلك لان الشفقة على خلق الله والرحمة عليهم من لوازم محبة الله وتابعه ولما كان صلى الله عليه وسلم حبيب الله ومن لوازم محبوبيته محبة الله

فلما رأى بيورزاذان ان الدم لايهدا قال لهم يابنى اسرائيل ويلكم اصدقونى واصبروا على امر ربكم فقد طالما ملكتم فى الارض تفعلون ماشئتم قبل ان لااترك منكم نافخ نار من ذكر ولاانثى الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبى كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كنا ارشدنا وكان يخبرنا عن امركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا فى بنى اسرائيل ثم قال يايحيى بن زكريا قد علم ربى وربك مااصاب قومك من اجلك ومن قتل منهم فاهدا باذن ربك قبل ان لاابقى من قومك احدا الا قتلته فهدا الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وايقنت انه لارب غيره وقال لبنى اسرائيل ان خردوش امرنى ان اقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لااستطيع ان اعصيه قالوا له افعل ماامرت به فامرهم فحفروا خندقا وامرهم باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم فى العسكر وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من المواشى فلم يظن خردوش الا ان مافى الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره ارسل الى بيورزاذان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بنى اسرائيل اوكاد ان يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى انزل الله ببنى اسرائيل فى قوله لتفسدن فى الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشأم ونواحيها الى الروم واليونانيين الا ان بقايا بنى اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة الى ان بدلوا واحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فما لبثوا فى امة الا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بامره وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وان الملك هوى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة اخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها الحلى وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه فان هو راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ماسألته فاذا اعطاها ماسألت سألت رأس يحيى بن زكريا وان يؤتى به فى طست ففعلت فلما راودها قالت لاافعل حتى تعطينى ماسألتك قال فما تسألينى قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطست فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ماأريد غير هذا فلما ابت عليه بعث فاتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لاتحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلى فأمر بتراب فالقى عليه فرقى الدم يغلى فلا زال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يرقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين الفا حتى سكن دمه ❁ قوله عز وجل (عسى ربكم ان يرحمكم) يعنى يا بنى

لقوله يحبهم ويحبونه وكلما كانت محبته للحق اقوى كانت شفقته ورحمته على خلقه اكثر لكون الشفقة عليهم ظل محبته لله اشتد تعطفه عليهم فانهم كاولاده واقاربه بل كاعضائه وجوارحه فى الشهود الحقيقى فلذلك بالغ فى التأسف عليهم حتى كاد يهلك نفسه وايضا علم ان المحب اذا تقوى بالمحبوب فى استمرار الوصل ظهر قبوله فى القلوب لمحبة الله اياه فلما لم يؤمنوا بالقرآن استشعر ببقية من نفسه وتوجس بنقصان حاله فعلاه الوجد وعزم على قهر النفس بالكلية طلبا للغاية وكان ذلك من فرط شفقته عليهم وكمال ادبه مع الله حيث احال عدم ايمانهم على ضعف حاله لاعلى عدم استعدادهم ولذلك سلاه بقوله (انا جعلنا ما على الارض) اى لاتحزن عليهم فانه لاعليك ان يهلكوا جميعا انا نخرج جميع الاسباب من العدم الى الوجود للابتلاء ثم نفنيها ولاحيف ولانقص اوانا جعلنا ما على ارض البدن من النفس ولذاتها وشهواتها وقوى صفاتها وادراكاتها ودواعيها

اسرائيل

اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وان عدتم) اى الى المعصية (عدنا) اى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) اى سجنا ومحبسا من الحصر الذى هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذى يبسط ويفترش * قوله تعالى (ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم) اى الى الطريقة التى هى اصوب وقيل الى الكلمة التى هى اعدل وهى شهادة ان لا اله الا الله (ويبشر) يعنى القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) يعنى الجنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) يعنى النار فى الآخرة (ويدع الانسان) اى على نفسه وولده وماله (بالشر) يعنى قوله عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) اى كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الانسان عجولا) اى بالدعاء على مايكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء * قوله سبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) اى علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفى معنى الآية قولان احدهما ان يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدنيا والدين اما فى الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه اقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما فى الدنيا فلأن مصالح العباد لا تتم الا بهما ففى الليل يحصل السكون والراحة وفى النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى ان يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) اى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شئ (وجعلنا آية النهار مبصرة) اى تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذى فى القمر فقال هو اثر المحو (لتبتغوا فضلا من ربكم) اى لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف فى معايشكم (ولتعلموا) اى باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) اى ماتحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار (وكل شئ فصلناه تفصيلا) يعنى وكل شئ تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر احوال آيتى الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على اهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلا * قوله عز وجل (وكل انسان الزمناه طائره

(زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) لننظر ايهم اقهر لنا واعصى لهواها فى رضاى واقدر على مخالفتها لموافقتى (وانا لجاعلون) بتجلينا وتجلى صفاتنا (ماعليها) من صفاتها هامدة كارض ملساء لانبات فيها اى نفنيها وصفاتها بالموت الحقيقى او بالموت الطبيعى ولانبالى بلأ (صعيدا جرزا . ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) اى اذا شاهدت هذا الانشاء والافناء فليس حال اصحاب الكهف آية عجيبة من آياتنا بل هذه اعجب واعلم ان اصحاب الكهف هم السبعة الكمل القائمون بامر الحق دائما الذين يقوم بهم العالم ولا يخلو عنهم الزمان على عدد الكواكب السبعة السيارة وطبقها فكما سخرها الله تعالى فى تدبير نظام عالم الصورة كما اشار اليه بقوله فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا على بعض التفاسير وكل نظام عالم المعنى وتكميل نظام الصورة الى سبعة انفس من السابقين كل ينتسب بحسب الوجود الصورى الى واحد منهم

فى عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان وقيل خيره وشره معه لايفارقه حتى يحاسب به وقيل مامن مولود الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى او سعيد وقيل اراد بالطائر ماقضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة اوشقاوة وقيل هو من قولك طارله سهم اذا خرج يعنى الزمناه ماطارله من عمله لزوم القلادة او الغل لاينفك عنه والعنق فى قوله فى عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا فى عنقك اى قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين اويشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة او الحلى فى العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالغل فى عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيآته فاذامات طويت الصحيفتان وجعلتا معه فى عنقه فلاينشر ان الى يوم القيامة (اقرا كتابك) اى يقال له اقرا كتابك قيل يقرا يوم القيامة من لم يكن قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اى محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى احاسب نفسى فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعنى ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله ايضا ولايتعدى منه الى غيره * وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) اى لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الآثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ماوجب انما وجب بالسمع لا بالعقل * قوله سبحانه وتعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها) فى معنى الآية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى يامرهم فقال اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول الثانى امرنا مترفيها اى كثرنا فساقها يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة اى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى امرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذى ابطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) اى خرجوا عما امرهم الله به من الطاعة (فحق عليها القول) اى وجب عليها العقاب (فدمرناها تدميرا) اى اهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن ام المؤمنين زينب بنت جحش ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قداقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها قالت زينب قلت يارسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع فى هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اى الشر * قوله تعالى (وكم اهلكنا من القرون) اى المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف

الله

والقطب هو المنتسب الى الشمس والكهف هو باطن البدن والرقيم ظاهره الذى انتقش بصور الحواس والاعضاء ان فسر باللوح الذى رقمت فيه اسماؤهم والعالم الجسمانى ان جعل اسم الوادى الذى فيه الجبل والكهف والنفس الحيوانية ان جعل اسم الكلب والعالم العلوى ان جعل اسم قريتهم على اختلاف الاقوال فى التفاسير ومنهم الانبياء السبعة المشهورون المبعوثون بحسب القرون والادوار وان كان كل نبى منهم على ذكر وهم آدم وادريس ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لانه السابع المخصوص بمعجزة انشقاق القمر اى انفلاقه عنه لظهوره فى دورة ختم النبوة وكمل به الدين الالهى كما اشار اليه بقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض اذ المتأخر بالزمان والظهور اى الوجود الحسى هو الحائز لصفات الكل وكالانهم كالانسان بالنسبة الى سائر الحيونات ولهذا قال كان بنيان النبوة قد تم وبقى منه

الله بذلك كفار قريش قال عبدالله بن ابى اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اول قرن ويزيد بن معاوية فى آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بشر المازنى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يعنى انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لا يخفى عليه شئ من احوال الخلق ❁ وقوله عزوجل ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ اى الدار العاجلة يعنى الدنيا ﴿ عجلناله فيها ما نشاء ﴾ اى من البسط او التقتير ﴿ لمن نريد ﴾ ان نفعل به ذلك اواهلاكه وقيل فى معنى الآية عجلناله فيها ما نشاء لمن نريد اى القدر الذى نشاء نعجله له فى الدنيا لا الذى يشاء هو ولمن نريد ان نعجل له شيأ قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من ارادها لايدرك منها الاماقدر له ﴿ ثم جعلناله ﴾ اى فى الآخرة ﴿ جهنم يصلاها ﴾ اى يدخلها ﴿ مذموما مدحورا ﴾ اى مطرودا مباعدا ❁ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ اى عمل لها عملها ﴿ وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ اى مقبولا قيل فى الآية ثلاث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعى فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ❁ قوله عزوجل ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء ﴾ اى نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ﴿ من عطاء ربك ﴾ يعنى يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما فى المآل ﴿ وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ اى ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء فى الدنيا اذلاحظ للكافر فى الآخرة ﴿ انظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ اى فى الرزق والعمل يعنى طالب العاجل وطالب الآخرة ﴿ وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ﴾ يعنى ان تفاضل الخلق فى درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم فى درجات منافع الآخرة اكبر واعظم فان نسبة التفاضل فى درجات الآخرة الى التفاضل فى درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته فى طلب الدنيا فلان تقوى وتشتد رغبته فى طلب الآخرة اولى لانها دار المقامة ❁ قوله تعالى ﴿ لاتجعل مع الله الها آخر ﴾ الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها آخر وهذا اولى ﴿ فتقعد مذموما ﴾ اى من غير حد ﴿ مخذولا ﴾ اى بغير ناصر ❁ قوله سبحانه ﴿ وقضى ربك ﴾ اى وامر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه واوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك انه قراها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهى قراءة على وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب ان التحريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولاشك انه طعن عظيم فى الدين ﴿ الا تعبدوا الا اياه ﴾ فيه وجوب

موضع لبنة واحدة فكنت انا تلك اللبنة وقد اتفق الحكماء المتألهة من قدماء الفرس ان مراتب العقول والارواح على مذهبهم فى التنازل تتضاعف اشراقاتها فكل ما تأخر فى الرتبة كان حظه من اشراقات الحق وانواره وسبحات اشعة وجهه واشراقات انوار الوسايط اوفر وازيد فكذا فى الزمان فهو الجامع الحاصر لصفات الكل وكمالاتهم الحاوى لخواصهم ومعانيهم مع كماله الخاص به اللازم للهيئة الاجتماعية كما قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن هذا ظهر تقدمه عليهم بالشرف والفضيلة ومن جهة ان ابراهيم عليه السلام كان مظهر التوحيد الاعظمى الذاتى وكان هو الوسط فى الترتيب الزمانى بمنزلة الشمس فى الرتبة كان قطب النبوة ولزمهم كلهم اتباعه وان لم يظهر فى المتقدمين عليه بالزمان كما ترتباط الكواكب الستة فى سيرها بها ولكن لا كالقمر فتبعه بالحقيقة محمد صلى الله عليه وسلم واعلم ان الارواح فى عالمها مراتب متعينة

عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره ﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ اى وامر بالوالدين احسانا اى برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما ﴿ اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ﴾ معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك فى آخر العمر كما كنت عندهما فى اول العمر * واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الانسان فى حق الوالدين خمسة اشياء * الاول قوله تعالى ﴿ فلا تقل لهما اف ﴾ وهى كلمة تضجر وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد ونفخت فيه تزيله تقول اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم * والثانى قوله ﴿ ولا تنهرهما ﴾ اى تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التأفيف ابلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد عليهما * الثالث قوله ﴿ وقل لهما قولا كريما ﴾ اى حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا اماه يا ابتاه وقيل لا يكنيهما وقيل هو ان تقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل ﴿ واخفض لهما جناح الذل ﴾ اى الن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شئ احباه ﴿ من الرحمة ﴾ اى من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت فى حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما الخامس * قوله سبحانه وتعالى ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ اى وادع الله لهما ان يرحمهما برحمته الباقية واراد به اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ فى حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل فى معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ فى الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تسوءهما وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

﴿ فصل ﴾ فى ذكر الاحاديث التى وردت فى بر الوالدين (ق) عن ابى هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال امك ثم اباك ثم ادناك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كليهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزى ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد فقال احىّ والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين اخرجه الترمذى مرفوعا وموقوفا قال وهو صحيح عن ابى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله

وصفوف مترتبة واستعدادات متفاوتة متهيئة فى الازل بمحض العناية الاولى والفيض الاقدس فاهل الصف الاول هم السابقون المفردون المقربون المحبوبون المخصوصون بفضل عنايته وسابقة كرامته المتعارفون بنوره المتحابون فيه والباقون يتباينون فى الدرجات وبحسب تقاربها وتباعدها يتعارفون ويتناكرون فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف الى آخر الصفوف فلها مراكز ثابتة واصول راسخة فى العالم العلوى وعند التعلق بالابدان يتفاوت درجات كمالاتها وغاية سعاداتها بحسب ما لها من الاستعداد الاول المخصوص بكل منها من مباديها فى الازل كما قال عليه الصلاة والسلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة حتى انتهت الدرجات فى العلو الى الفناء فى التوحيد الذاتى فبهذا الاعتبار يكون محمد عليه السلام عين آدم بل عين السبعة وكذا باعتبار كونه جامعا لصفاتهم كما قيل انه سئل ابو يزيد رحمة الله عليه

عليه وسلم يقول الوالد اوسط ابواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب اواحفظه اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبدالله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم اى قال برالوالدين قلت ثم اى قال الجهاد في سبيل الله تعالى * قوله سبحانه وتعالى (ربكم اعلم بما في نفوسكم) اى من برالوالدين واعتقاد مايجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) اى ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بمالزمكم من حق الوالدين اوغيرهما اوقيل فرط منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر ومالايخلو منه البشر ممايؤدى الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم (فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى ابويه لايريد بذلك الاالخير فانه لايؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاع الى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ماروى عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذارمضت الفصال اخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وان تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه اخفافها والفصال جمع فصيل وهى اولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذى يصلى بين المغرب والعشاء يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين * قوله سبحانه وتعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم امره الله سبحانه وتعالى ان يؤتى اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد برالوالدين بالقرابة ان يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب ابى حنيفة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه لا تلزم النفقة الاللوالد على ولده اوولد على والديه فحسب وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولاتبذر تبذيرا) اى لاتنفق مالك في المعصية وقيل لوانفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولوانفق درهما اومدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لاخير في السرف فقال لاسرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعنى اولياءهم واصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لا اشر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) اى جحود النعمة فما ينبغى ان يطاع لانه يدعو الى مثل عمله * قوله عز وجل (واما تعرضن عنهم) نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسالون النبى

انت من السبعة فقال انا السبعة وباعتبار علو مرتبته ومكانته وسبقه في القدم وارتفاع درجة كماله وفضيلته كان اقدمهم واولهم وافضلهم كما قال اوّل ماخلق الله نورى وكنت نبيا وآدم بين الماء والطين فهو مقدم عليهم بالرتبة والعلية والشرف والفضيلة متأخر عنهم بالزمان وهو عينهم باعتبار السر والوحدة الذاتية فالحاصل ان احتلافهم وتباينهم روحا وقلبا ونفسا لاينافى اتحادهم في الحقيقة وكذا افتراقهم بالازمنة لاينافى معيتهم في الازل والابد وعين الجمع كما قال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض مع قوله لانفرق بين احد منهم ويجوز ان يكون المراد بأصحاب الكهف روحانيات الانسان التى تبقى بعد خراب البدن وقول من قال ثلاثة اشارة الى الروح والعقل والقلب والكلب هى النفس الملازمة لباب الكهف ومن قال خمسة اشارة الى الروح والقلب والعقل النظرى والعقل العملىّ والقوة القدسية للانبياء التى هى الفكر لغيرهم

صلى الله عليه وسلم فى الاحايين مايحتاجون اليه ولايجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين امرت ان تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) اى انتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) اى لينا جميلا اى عدهم وعدا اطيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو ان يقول رزقنا الله واياكم من فضله * قوله سبحانه وتعالى (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر اتى صبى فقال يارسول الله ان امى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاقميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر كذا بعد الينا وقتا آخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فأذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك اى لاتمسك يدك عن النفقة فى الحق والخير كالمغلولة يده لايقدر على مدها (ولاتبسطها) اى بالعطاء (كل البسط) اى فتعطى جميع ماعندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) اى عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وقيل ملوما عند نفسك واصحابك ايضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم (محسورا) اى منقطعا لاشئ عندك تنفقه وقيل محسورا اى نادما على مافرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضافة بان ذلك ليس لهوان بك عليه ولالبخل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) اى يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) اى يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده ومايصلحهم فالتفاوت فى ارزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد * قوله عزوجل (ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق) اى فاقة وفقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة اويخافون عليهم من النهب والغارات او ان ينكحوهن لغيرا كفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعنى ان الارزاق بيدالله فكما انه فتح ابواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اى اثما كبيرا (ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة) اى قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) اى بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امرأة غيرك او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على انواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلايعرف الرجل ولد من هو ولايقوم احد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم * قوله عزوجل (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الاصل فى القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الاسباب العرضية فقال الا بالحق اى الا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحل دم امرئ

ومن قال سبعة فلك الخمسة مع السر والخفاء والله اعلم (اذاوى الفتية الى الكهف) اى كهف البدن بالتعلق به (فقالوا) بلسان الحال (ربنا آتنا من لدنك) اى من خزائن رحمتك التى هى اسماؤك الحسنى (رحمة) كما لايناسب استعدادنا ويقتضيه (وهيئ لنا من امرنا) الذى نحن فيه من مفارقة العالم العلوى والهبوط الى العالم السفلى للاستكمال (رشدا) استقامة اليك فى سلوك طريقك والتوجه الى جنابك اى طلبوا بالاتصال البدنى والتعلق بالآيات الكمال واسبابه الكمال العلمى والعملى (فضربنا على آذانهم فى الكهف) اى انمناهم نومة الغفلة عن عالمهم وكالهم نومة ثقيلة لاينبههم صفير الخفير ولا دعوة الداعى الخبير . فى كهف البدن (سنين عددا) ذوات عدد اى كثيرة اومعدودة اى قليلة هى مدة انغماسهم فى تدبير البدن وانغمارهم فى بحر الطبيعة مشتغلين بها غافلين عما وراءها من عالمهم الى اوان بلوغ الاشد الحقيقى والموت الارادى اوالطبيعى

مسلم يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة اخرجاه فى الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) اى قوة وولاية على القاتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء اخذ الدية وان شاء عفا (فلا يسرف فى القتل) اى الولى قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل اشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من اقربائه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعنى انه منصور فى الدنيا بايجاب القود على قاتله وفى الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه او الدية وقيل فى قوله فلا يسرف فى القتل اراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتيل منصور من قبلى عليه باستيفاء القصاص منه * قوله سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) اى بالطريقة التى هى احسن وهى تثميره وحفظه عليه (حتى يبلغ اشده) وهو بلوغ النكاح والمراد ببلوغ الاشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والا لم ينفك عنه الحجر (واوفوا بالعهد) اى الاتيان بما امر الله به والانتهاء عما نهى عنه وقيل اراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤلا) اى عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسئل فيقال فيم نقضت كالموؤدة تسئل فيم قتلت * قوله عز وجل (واوفوا الكيل اذا كلتم) المراد منه اتمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان او كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو اكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومى وقيل سريانى والاصح انه عربى مأخوذ من القسط وهو العدل اى وزنوا بالعدل المستقيم واعلم ان التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ فى المنع من التطفيف والنقصان سعيا فى ابقاء الاموال على اربابها (ذلك خير واحسن تأويلا) اى احسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه امره * قوله سبحانه وتعالى (ولا تقف) اى ولا تتبع (ما ليس لك به علم) اى لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم احدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الامور ويتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم فى احد بالظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسئل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة فى اولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله علمنى تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدى ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر فؤادى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيى قال فحفظتها اخرجه ابو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب قوله وشر منيى يعنى ماءه وذكره

كما قال الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (ثم بعثناهم) اى نبهناهم عن نوم الغفلة بقيامهم عن مرقد البدن ومعرفتهم بالله وبنفوسهم المجردة (لنعلم) اى ليظهر علمنا فى مظاهرهم او مظاهر غيرهم من سائر الناس (اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق) المختلفين فى مدة لبثهم وضبط غايته الذين يعينون المدة ام يكلون علمه الى الله فان الناس مختلفون فى زمان الغيبة يقول بعضهم يخرج احدهم على رأس كل الف سنة وهو يوم عند الله لقوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ويقول بعضهم على رأس كل سبعمائة عام او على رأس كل مائة وهو بعض يوم كما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم والمحققون المصيبون هم الذين يكلون علمه الى الله كالذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ولهذا لم يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ظهور المهدى عليه السلام وقال كذب الوقاتون (انهم فتية آمنوا بربهم) ايمانا يقينا علميا على طريق الاستدلال او المكاشفة (وزدناهم

* قوله عز وجل (ولا تمش في الارض مرحا) اى بطرا وكبرا وخيلاء (انك لن تخرق الارض) اى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) اى لاتقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لاينال بكبره وبطره شيا كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لايحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب اخرجه الترمذى فى الشمائل قوله تكفؤا التكفؤ التمايل فى المشى الى قدام وقوله كانما ينحط من صبب هو قريب من التكفؤ اى كانه ينحدر من موضع عال عن ابى هريرة قال مارأيت شيأ احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه ومارأيت احدا اسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه الترمذى قوله لغير مكترث اى شاق والاكتراث الامر الذى يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) اى ماذكر من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك وقوله مكروها على التكرير لا على الصفة اى كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر * قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ماتقدم من الاوامر والنواهى فى هذه الآيات (مما اوحى اليك ربك من الحكمة) اى ان الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية فى جميع الاديان والملل لاتقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت فى الواح موسى عليه السلام اولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبناله فى الالواح من كل شئ موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهى عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب ان يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شئ ثم انه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى ان الشرك يجب ان يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال فى هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه ان يذكر له ان الفعل الذى اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذى لاناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير * قوله سبحانه وتعالى (افأصفاكم ربكم) يعنى افخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ماليس بصفوة (بالبنين) يعنى اختصكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لانهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى

خاصة

ندى) اى هداية موصلة الى عين اليقين ومقام المشاهدة بالتوفيق (وربطنا على قلوبهم) قويناها بالصبر على المجاهدة وشجعناهم على محاربة الشيطان ومخالفة النفس وهجر المألوفات الجسمانية واللذات الحسية والقيام بكلمة التوحيد ونفى الهيبة الهوى وترك عبادة صنم الجسم بين يدى جبار النفس الامارة من غير مبالاة بها حين عاتبتهم على ترك عبادة اله الهوى وصنم البدن واوعدتهم بالعقر والهلاك اذ النفس داعية الى عبادته وموافقته وتهيئة اسباب حظوظه مخيفة للقلب من الخوف والموت او حسرناهم على القيام بكلمة التوحيد واظهار الدين القويم والدعوة الى الحق عند كل جبار هو دقيانوس وقته كنمروذ وفرعون وابى جهل واضرابهم ممن دان بدينهم واستولى عليه النفس الامارة فعبد الهوى او ادعى طغيانه وتمرد انانيته وعدوانه الربوبية من غير مبالاة عند معاتبته اياهم على ترك عبادة الصنم المجعول كما هو عادة بعضهم

خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه انفسهم حيث يجعلون له مايكرهون لانفسهم يعني البنات
* قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني العبر والحكم والامثال والاحكام
والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير (ليذكروا) اى ليتعظوا ويعتبروا
(ومايزيدهم) اى تصريفنا وتذكيرنا (الانفورا) اى تباعدا عن الحق (قل) اى قل يامحمد
لهؤلاء المشركين (لوكان معه آلهة كماتقولون اذالابتغوا) اى لطلبوا يعني هؤلاء الآلهة (الى
ذى العرش سبيلا) اى بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل
معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لتعرفوا اليه فضله فابتغوا مايقربهم اليه والاول اصح ثم نزه نفسه
فقال عزوجل (سبحانه وتعالى عمايقولون علواً كبيرا) معنى وصفه بذلك المبالغة في البراءة
والبعد عمايصفونه به * قوله عزوجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) يعني
الملائكة والانس والجن (وان من شئ الايسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شئ حي الايسبح
بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لاتسبح وقيل ان التراب
يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت
التسبيح وان الورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح ما ادام
جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش
والطير تسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح وقيل وان من شئ جماد اوحي الايسبح
بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشياء تسبح الله حيوانا كان اوجمادا وتسبيحها
سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ماروى عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة
وانتم تعدونها تخويفا كنامع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة
من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك
والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل اخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالي بعثت واني لاعرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح
يده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشئ في هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم
وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى
العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها
بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله
تعالى علما في الجمادات لايقف عليه غيره فينبغي ان نكل علمه اليه * وقوله تعالى (ولكن لاتفقهون
تسبيحهم) اى لاتعلمون ولاتفهمون تسبيحهم ماعدا من يسبح بلغتكم ولسانكم (انه كان حليماً
غفورا) اى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح * قوله عزوجل (واذا
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) اى يحجب قلوبهم عن
فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن اعين الناس فلايرونه كماروى عن سعيد بن جبير انه
قال لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت امرأة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي

اوصنم نفسه كما قال فرعون
اللعين ماعلمت لكم من اله
غيري وانا ربكم الاعلى
(اذقاموا فقالوا ربنا رب
السموات والارض لن
ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهة)
اشارة الى النفس الامارة
وقواها لان لكل قوم الها
تعبده وهو مطلوبها ومرادها
والنفس بعبد الهوى كقوله
افرأيت من اتخذ الهه هواه
اوالى اهل زمان كل
من خرج منهم داعيا
الى الله اذ كل من عكف على
شئ هواه فقد عبده (لولا
يأتون عليهم) اى على
عبادتهم والهيتهم وتأثيرهم
ووجودهم (بسلطان بين)
اى حجة بينة دليل على فساد
التقليد وتبكيت بان اقامة
الحجة على الهية غيرالله
وتأثيره ووجوده محال كما
قال ان هي الااسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ماانزل الله بها
من سلطان اى اسماء بلا
مسميات لكونها ليست بشئ
(فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا واذ اعتزلتموهم) اى
فارقتم نفوسكم وقواها
بالتجرد (ومايعبدون الاالله)
من مراداتها واهوائها

بكر فلم تره فقالت لابى بكر ان صاحبك لقد بلغنى انه هجانى فقال لها ابو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهى تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال ابو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بينى وبينها (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اى اغطية (ان يفقهوه) اى لئلا يفهموه (وفى آذانهم وقرا) اى ثقلا لئلا يسمعوه (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) يعنى اذا قلت لا اله الا الله وانت تتلوا القرآن (ولوا على ادبارهم نفورا) جمع نافر (نحن اعلم بما يستمعون به) اى من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذى يستمعون به وهو التكذيب (اذ يستمعون اليك) اى وانت تقرأ القرآن (واذهم نجوى) اى بما يتناجون به فى امرك وقيل معناه ذو ونجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول ساحر او شاعر (اذ يقول الظالمون) يعنى الوليد بن المغيرة واصحابه (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) اى مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر

ارانا موضعين لامر غيب ❊ ونسحر بالطعام وبالشراب

اى نغذى بهما (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اى الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) اى فى جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) اى الى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما) اى بعد الموت (ورفاتا) اى ترابا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى ردا عليهم (قل) اى قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) اى فى الشدة (او حديدا) اى فى القوة وليس هذا بامر الزام بل هو امر تعجيز اى استشعروا فى قلوبكم انكم حجارة او حديد فى القوة (او خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السماء والارض والجبال لانها اعظم المخلوقات وقيل يعنى به الموت لانه لا شئ فى نفس ابن آدم اكبر من الموت ومعناه او كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولا بعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) اى من يبعثنا بعد الموت (قل الذى فطركم) اى خلقكم (اول مرة) فمن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسينغضون اليك رؤسهم) اى يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعنى البعث والقيامة (قل عسى ان يكون قريبا) اى هو قريب (يوم يدعوكم) اى من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) اى فى الدنيا وقيل فى القبور (الا قليلا) وذلك لان الانسان لو مكث فى الدنيا وفى القبر الوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة ❊ قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادى يقولوا يعنى للكفار التى هى احسن اى لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن فى القتال والجهاد وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا الخلة التى هى احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان

(فأووا الى الكهف) الى البدن لاستعمال الآلات البدنية فى الاستكمال بالعلوم والاعمال وانخزلوا فيه منكسرين مرتاضين كأنهم ميتون بترك الحركات النفسانية والنزوات البهيمية والسطوات السبعية اى موتوا موتا اراديا (ينشر لكم ربكم من رحمته) حياة حقيقية بالعلم والمعرفة (ويهيئ لكم من امركم مرفقا) كما لا ينتفع به بظهور الفضائل وطلوع انوار التجليات فتلتذون بالمشاهدات وتتمتعون بالكمالات كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وقال عليه السلام فى ابى بكر رضى الله عنه من اراد ان ينظر ميتا يمشى على وجه الارض فلينظر ابا بكر اى ميتا عن نفسه يمشى بالله او واذا اعتزلتموهم قومكم ومعبوداتهم غير الله من مطالبهم المختلفة ومقاصدهم المتشتتة واهوائهم المتفننة واصنامهم المتخذة فأووا الى كهوف ابدانكم واقعدوا عن فضول الحركات والخروج فى اثر الشهوات واعكفوا على الرياضات

الشيطان ينزغ بينهم) اى يفسدو يلقى العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) اى ظاهر العداوة * قوله عز وجل (ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم) اى بوفقكم الايمان فتؤمنوا (او ان يشأ يعذبكم) اى يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشأ يرحمكم فينجيكم من اهل مكة او ان يشأ يعذبكم اى يسلطهم عليكم (وما ارسلناك عليهم وكيلا) اى حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال (وربك اعلم بمن فى السموات والارض) يعنى ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعلومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم مايليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم وملهم وادبانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبورا) وهو كتاب انزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا احكام فان قلت لم خص داود فى هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبياء قلت فيه وجوه احدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور فى هذه الآية والمراد به العلم لا الملك والمال الوجه الثانى ان الله سبحانه وتعالى كتب له فى الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت ان لا نبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الآية انكم لن تكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعدان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام * قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) اى الجوع والقحط (ولا تحويلا) اى الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (اولئك الذين يدعون) اى الذين يدعونهم المشركون آلهة (يبتغون الى ربهم الوسيلة) اى القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم اولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وانزل هذه الآية وقوله تعالى (ايهم اقرب) معناه ينظرون ايهم اقرب الى الله فيتوسلون به وقيل ايهم اقرب يبتغى الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (ويرجون رحمته) اى جنته (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون

ينشر لكم ربكم من رحمته زيادة كمال وتقوية ونصرة بالامداد الملكوتية والتاييدات القدسية فيغلبكم عليهم ويهيئ لكم دينا وطريقا ينتفع به وقبولا يهتدى بكم الخلائق ناحين وفى الاوى الى الكهف عند مفارقتهم سر آخر يفهم من دخول المهدى فى الغار اذا خرج ونزل عيسى والله اعلم وفى نشر الرحمة وتهيئة المرفق من امرهم عند الاوى الى الكهف اشارة الى ان الرحمة الكامنة فى استعدادهم انما تنشر بالتعلق البدنى والكمال بتهيآته (وترى الشمس) اى شمس الروح (اذا طلعت) اى ترقت بالتجرد عن غواشى الجسم وظهرت من افقه تميل بهم من جهة البدن وميله ومحبته الى جهة اليمين اى جانب عالم القدس وطريق اعمال البر من الخيرات والفضائل والحسنات والطاعات وسيرة الابرار فان الابرار هم اصحاب اليمين (تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) اى هوت فى الجسم واحتجبت به واختفت فى

ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) اى حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق * قوله سبحانه وتعالى (وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة) اى بالموت والخراب (او معذبوها عذاباً شديدا) اى بالقتل وانواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك فى حق المؤمنين الاماتة وفى حق الكفار العذاب قال عبدالله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا فى قرية اذن الله فى هلاكها (كان ذلك فى الكتاب) اى فى اللوح المحفوظ (مسطورا) اى مكتوبا .عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد اخرجه الترمذى قوله سبحانه وتعالى (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) قال ابن عباس سأل اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وان ينحى الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان استانى بهم فعلت وان شئت ان اوتيهم ماسألوا فعلت فان لم يؤمنوا اهلكتهم كما اهلكت من كان قبلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابل تستأنى بهم فانزل الله عزوجل وما منعنا ان نرسل بالآيات اى التى سالها كفار قومك الا ان كذب بها الاولون اى فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات اهلكناهم لان من سنتنا فى الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) اى بينة وذلك لان آثار اهلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (فظلموا بها) اى جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة (ومانرسل بالآيات) المقترحة (الاتخويفا) اى ومانرسل بالآيات الاتخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه ومانرسل بالآيات يعنى العبر والدلالات الاتخويفا اى انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون * قوله عزوجل (واذقلنالك) اى واذكر يامحمد اذقلنالك (ان ربك احاط بالناس) اى ان قدرته محيطة بهم فهم فى قبضته وقدرته لايقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لايقدرون على امر من الامور الابقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلاتهبهم وامض لما امرك من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك (وماجعلنا الرؤيا التى اريناك الافتنة للناس) الاكثرون من المفسرين على ان المراد منها ماراى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هى رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهى ليلة اسرى به الى بيت المقدس اخرجه البخارى وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعينى رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس انكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم اسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين

ظلماته وغواشيه وحجب نورها تقطعهم وتفارقهم كائنين فى جهة الشمال اى جانب النفس وطريق اعمال السوء فينهمكون فى المعاصى والسيئات والشرور والرذائل وسيرة الفجار الذين هم اصحاب الشمال (وهم فى فجوة منه) اى فى مجال متسع من شمم هو مقام النفس والطبيعة فان فيه متفسحا لايصيبهم فيه نور الروح واعلم ان الوجه الذى يلى الروح من القلب موضع منور بنور الروح يسمى العقل وهو الباعث على الخير والمطرق لالهام الملك والوجه الذى يلى النفس منه مظلم بظلمة صفاتها يسمى الصدر وهو محل وسوسة الشيطان كما قال الذى يوسوس فى صدور الناس فاذا تحرك الروح واقبل القلب بوجهه اليه تنور وتقوى بالقوة العقلية الباعثة المشوقة الى الكمال ومال الى الخير والطاعة واذا تحركت النفس واقبل القلب بوجهه اليها تكدر واحتجب عن نور الروح واظلم العقل ومال الى الشر والمعصية وفى هاتين الحالتين

فى

فى اليقظة ومعراج ورؤيا منام وقيل اراد بهذه الرؤيا ما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فعجل المسير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه فى ذلك العام بعدما اخبر انه يدخلها فتنة لبعضها ثم دخل مكة فى العام المقبل وانزل الله عزوجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم راى فى المنام ان ولد الحكم بن امية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة اجيب بانه لا اشكال فيه فانه لايبعد ان النبى صلى الله عليه وسلم راى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم التى وصفها الله تعالى فى سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون والفتنة فيها ان اباجهل قال ان ابن ابى كبشة يعنى النبى صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبدالله بن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال ابوجهل ياجارية تعالى فزقمينا فأتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا فان هذا مايخوفكم به محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون فى النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى اصل جهنم فى ابعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس فى رواية عنه ان الشجرة الملعونة هى الكشوث الذى يلتوى على الشجر والشوك فيجففه (ونخوفهم فما يزيدهم) اى التخويف (الا طغيانا كبيرا) اى تمردا وعتوا عظيما ✽ قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) اى من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقى (قال) يعنى ابليس (ارايتك) الكاف للمخاطب والمعنى اخبرنى (هذا الذى كرمت على) اى فضلته على (لئن اخرتنى) اى امهلتنى (الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته) اى لاستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (الا قليلا) يعنى المعصومين الذين استثناهم الله تعالى فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) اى امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذى هو ضد المجىء (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) اى جزاؤك وجزاء اتباعك (جزاء موفورا) اى مكملا قوله سبحانه وتعالى (واستفزز) اى استخف واستزل واستجهل وازعج (من استطعت منهم) اى من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) اى اجمع عليهم مكايدك وحبائلك واحثثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال انه له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل او مشى فى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل

تطرق الملك للالهام والشيطان للوسواس وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وفى لآية لطيفة هى انه استعمل فى الميل الى الخير الازورار عن الكهف وفى الميل الى الشر قرضهم اى قطعهم وذلك ان الروح يوافق القلب فى طريق الخير ويأمره ويوافقه معرضا عن جانب البدن وموافقاته ولا يوافقه فى طريق الشر بل يقطعه ويفارقه وهو منغمس فى ظلمات النفس وصفاتها الحاجبة اياه عن النور وهو اشارة الى تلوينهم فى السلوك فان السالك مالم يصل الى مقام التمكين وبقى فى التلوين قد تظهر عليه النفس وصفاته فيحتجب عن نور الروح ثم يرجع ذلك اى طلوع نور الروح واختفاؤه من آيات الله التى يستدل بها ويتوصل منها اليه والى هدايته (ذلك من آيات الله من يهد الله) باصالة الى مقام المشاهدة والتمكين فيها (فهو المهتد) بالحقيقة لاغير (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) بحجبه عن نور روحه فلا هادى له ولا مرشد او من يهد الله اليهم الى حالهم

كما تقول للرجل الجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك ﴿ وشاركهم في الاموال والاولاد ﴾ اما المشاركة في الاموال فكل مال اصيب من حرام او انفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام واما المشاركة في الاولاد فروي عن ابن عباس انها الموؤدة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هي تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان رغبوا اولادهم في الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امرأته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروى في بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن ﴿ وعدهم ﴾ اي منهم الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلابد ان يقرر اولا انه لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عنده بهذا الدعوى انه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا المقام قرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم يقرره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم اي شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الآجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يامر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك * وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ اي يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم اردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ﴿ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ يعني بعباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾ اي حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما امكن ابليس ان يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اي فالله سبحانه وتعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب اخرجتني من الجنة لاجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه الا بك فزدني قال استفزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يارب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفي الخبر ان ابليس قال يارب بعثت انبياء وانزلت

كتبا

بـ[illegible] وان [illegible] عن [illegible] ﴿ وشاركهم [illegible] ﴾ [illegible] واحد [illegible] الاولاد [illegible] ﴿ وعدهم ﴾ [illegible] اي [illegible] وذلك [illegible] جهة [illegible] اخرى ﴿ [illegible] ﴾ اي [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ اي [illegible] قوي [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] هو [illegible] واشرف [illegible] القلب في [illegible] هو [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ اي على [illegible] من [illegible] والهلاك ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] لعدم [illegible] اجرده واحوالها وعدم استعداده [illegible]

كتبا فاقرأ قال فاقرأ تى قال الشعر قال فاكتابتى قال الوشم قال ومن رسلى قال الكهنة قال اى شئ مطعمى قال مالم يذكر عليه اسمى قال فاشرابى قال كل مسكر قال واين مسكنى قال الحمامات قال واين مجلسى قال فى الاسواق قال وماحبائلى قال النساء قال وما اذانى قال المزمار ❊ قوله سبحانه وتعالى (ربكم الذى يزجى) اى يسوق ويجرى (لكم الفلك) اى السفن (فى البحر لتبتغوا من فضله) اى لتطلبوا من رزقه بالارباح فى التجارة وغيرها (انه كان بكم رحيما) اى حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم (واذا مسكم الضر فى البحر) اى الشدة وخوف الغرق فى البحر (ضل من تدعون) اى ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعون فى حوادثكم من الاصنام وغيرها (الا اياه) او الا الله وحده فانكم لاتذكرون سواه ولايخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) اى اجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته واخرجكم (الى البر اعرضتم) اى عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى (وكان الانسان كفورا) اى جحودا (افامنتم) اى بعد انجائكم (ان نخسف بكم جانب البر) اى نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفى قدرته براكان اوبحرا بل ان كان الغرق فى البحر ففى جانب البر ماهو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الغرق يغيب تحت الماء (اوترسل عليكم حاصبا) اى نمطر عليكم حجارة من السماء كما امطرناها على قوم لوط (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) اى مانعا وناصرا (ام امنتم ان نعيدكم فيه) اى فى البحر (تارة) اى مرة (اخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس اى عاصفا وهى الريح الشديدة وقيل هى الريح التى تقصف كل شئ من شجر وغيره (فنغرقكم بما كفرتم) اى بكفرانكم النعمة واعراضكم حين انجيناكم (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) التبيع المطالب والمعنى انا نفعل مانفعل بكم ثم لاتجدون لكم احدا يطالبنا بمافعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا ❊ قوله سبحانه وتعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) قال ابن عبـاس هو انهم يأكلون بالايدى وغير الآدمى يأكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتميز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنسـاء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع مافى الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير امة اخرجت للناس (وحملناهم فى البر) اى على الابل والخيل والبغل والحمير (والبحر) اى وحملناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم (ورزقناهم من الطيبات) يعنى لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق غيرهم ممالايخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولايتغذى الانسان الابالطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولايحصل هذا لغير الانسان (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) واعلم ان الله تعالى قال فى اول الآية ولقد كرمنا بنى آدم فى آخرها وفضلناهم ولابد من الفرق بين التكريم والتفضيل والالزم التكرار والاقرب ان يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثانى

اولو ليث منهم للاسرار عنهم وعن معناه الانهم ليلات الى اللذات الحسية والامور الطبيعية (ولمانك منهم رعبا) من احوالهم ورياضاتهم اولو اطلعت عليهم بعد الوصول الى الكمال وعلى اسرارهم ووقفا ماتهم فى الوحدة لاعرضت عنهم وفررت من احوالهم ولملئت منهم رعبا لما البسهم الله من عظمة كبريائه وان الحدث من العدم وان اسم الوجود الماء (وكذلك بعثناهم) اى مثل ذلك البعث الحقيقى والاحياء المعنوى بعثناهم (ليتساءلوا بينهم) اى ليتباحثوا بينهم عن المعانى المودعة فى استعدادهم الكامنة فى ذواتهم فيطلعوا باظهارها واخراجها الى الفعل وهو اول الانتباه الذى تسمه المعصومة (قال قائل منهم كم لبثتم) من اوليائه والمتقدمين منهم هم الذين (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) هذا هو زمان استبصارهم واستعدادهم واستكمالهم والوقوف هو قادتهم من العلوم الاولية

هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بني آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قال الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لااجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفضيل وهو الاولى والراجح ان خواص بني آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة افضل من عوام البشر من بني آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لان الكفار لاحرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال المؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده * قوله عز وجل (يوم ندعوا كل اناس بامامهم) اي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي انزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا اما الى هدى واما الى ضلال وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع ام يعني بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لايفتضح اولاد الزنا (فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم) فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان اصحاب الشمال يقرؤنه ايضا قلت الفرق ان اصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولى عليهم الخجل والدهشة فلايقدرون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة واصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه احسن قراءة وابينها (ولا يظلمون فتيلا) اي ولا ينقصون من ثواب اعمالهم ادنى شئ (ومن كان في هذه اعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى اي عن هذه النعم التي قد عددها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) اي التي لم تعاين ولم تر (اعمى واضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة اعمى اي اشد عمى واضل سبيلا اي اخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة اعمى لانه في الدنيا تقبل توبته وهو في الاخرة لاتقبل توبته * قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك) قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لاندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث نفسه ما علي ان افعل ذلك والله يعلم اني لها كاره بعد ان يدعوني استلم الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث

التي لاتحتاج الى كسب اذ بها تستفاد الحقائق الذهنية من العلوم الحقيقية والمعارف الالهية والمدينة محل الاجتماع اذ لابد من الصحبة والتربية او مدينة العلم من قوله عليه السلام انا مدينة العلم وعلي بابها وانما بعثوا احدهم لان كمال الكل غير موقوف على التعلم والعلم بل الكمال الاشرف هو العاملي فيكفي تعلم البعض عن كل فرقة وتنبيه الباقين كما قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم (فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه) اي اي اهلها اطيب وافضل علما وانقى من الفضول واللهو والظواهر كعلم الخلاف والجدل والنحو وامثالها التي لاتتقوى ولا تكمل بها النفس كقوله لايسمن ولايغني من جوع اذ العلم غذاء القلب كالطعام للبدن وهو الرزق الحقيقي الالهي (وليتلطف) في اختيار الطعام ومن يشترى منه اي ليختر المحقق لزكى النفس الرشيد السمت الفاضل السيرة التي

خصال قال وماهن قالوا لا نجبي في الصلاة اي لانحني ولا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاخير في دين لاركوع فيه ولاسجود واما ان لاتكسروا اصنامكم بايديكم فذاك لكم واما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يارسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم مالم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى وان كادوا اي هموا ليفتنونك اي ليصرفونك عن الذي اوحينا اليك (لتفتري) اي لتختلق وتبتدع (علينا غيره) اي مالم نقله (واذا) اي لوفعلت مادعوك اليه (لاتخذوك خليلا) اي والوك ووافوك وصافوك (ولولا ان ثبتناك) اي على الحق بعصمتنا اياك (لقد كدت تركن) اي تميل (اليهم شيأ قليلا) اي قربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لاتكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم (اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) اي اوفعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنالك العذاب في الدنيا والآخرة (ثم لاتجدلك علينا نصيرا) اي ناصرا يمنعك من عذابنا * قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فاتوه فقالوا ياابا القاسم لقد علمت ماهذه بارض الانبياء وان ارض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله هذه الآية فالارض هنا ارض المدينة وقيل الارض ارض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا اليق بالآية لان ماقبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وارادوا ان يستفزوه من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما املوه والاستفزاز الازعاج (واذا لايلبثون خلفك الاقليلا) اي لايبقون بعد اخراجك الازمانا قليلا حتى يهلكوا * قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يهلكهم وان لايعذبهم مادام بينهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم (ولاتجدلسنتناتحويلا) اي تبديلا * قوله سبحانه وتعالى (اقم الصلوة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن واكثرالتابعين

السريرة الكامل المكمل دون الفضولي الظاهري الخبيث النفس المتعالم المتصدر لافادة ماليس عنده ليستفيد بصحبته ويظهر كماله بمجالسته ويستبصر بعلمه فيفيدنا او ليتلطف في امره حتى لايشعر بحالكم ودينكم جاهل من غير قصدله (ولا يشعرن بكم احدا) من اهل الظاهر المحجوبين وسكان عالم الطبيعة المنكرين وان اولا اصحاب الكهف بالقوى الروحانية فالمبعوث هو الفكر والمدينة محل اجتماع القوى الروحانية والنفسانية والطبيعية والذي هو اركى طعاما العقل دون الوهم والخيال والحواس لان كل مدرك له طعام والرزق هو العلم النظري على كلا التقديرين ولا يشعرن بكم احدا من القوى النفسانية (انهم ان يظهروا) اي يغلبوا (عليكم يرجموكم) بحجارة لاهواء والدواعي من الغضب والشهوة وطلب اللذة فيقتلوكم بمنعكم عن كمالكم (اويعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا) باستيلاء الوهم وغلبة الشيطان والامالة الى

ومعنى اللفظ يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة المواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر ﴿ الى غسق الليل ﴾ اى ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء ﴿وقرآن الفجر﴾ يعنى صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لاتجوز الابقرآن ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ اى يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزا وتجتمع ملائكة الليل و ملائكة النهار فى صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام فخرالدين الرازى فى تفسيره هذا دليل قاطع قوى على ان التغليس افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من اول الصبح ففى ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة و ظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار اما اذا ابتدا بهذه الصلاة فى وقت الاسفار فهناك لم يبق احد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فى الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة فى اول وقتها افضل * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ اى قم بعد نومك والتهجد لايكون الابعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل الصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الامة فى الابتداء لقوله تعالى ياايها المزمل قم الليل الاقليلا نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا فى حق الامة بالصلوات الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه وبقى الوجوب ثابتا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ اى زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التى فرضها الله عليك روى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا فى حقه كما فى حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت مامعنى التخصيص اذا كان زيادة فى حق المسلمين كما فى حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبى صلى الله عليه وسلم قد غفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة وزيادة فى رفع الدرجات

﴿ فصل ﴾ فى الاحاديث الواردة فى قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهنى قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته اوفسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابى داود (ق) عن ابى سلمة بن عبدالرحمن انه سأل

الهوى وعبادة الاوثان وعلى التأويل الاول ظهور العوام واستيلاء المقلدة والحشوية المحجوبين واهل الباطل المطبوعين ورجمهم اهل الحق ودعوتهم اياهم الى ملتهم ظاهر كما كان فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وكذلك اعثرنا عليهم﴾ اى مثل ذلك البعث والانامة اطلعنا على حالهم المستعدين القابلين لهديهم ومعرفة حقائقهم ﴿ليعلموا﴾ بصحبتهم وهدايتهم ﴿ ان وعدالله ﴾ بالبعث والجزاء ﴿ حق وان الساعة لاريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم ﴾ اى حين يتنازع المستعدون الطالبون بينهم امرهم فى المعاد فمنهم من يقول ان البعث مخصوص بالارواح المجردة دون الاجساد ومنهم من يقول انه بالارواح والاجساد معافعلموا بالاطلاع عليهم ومعرفتهم انه بالارواح والاجساد فعلموا الجسمانى حق ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ﴾ اى فلماتوفوا قالوا ذلك كالخانقاهات والمشاهد والمزارات المبنية على الكمل المقربين من الانبياء والاولياء عليهم الصلاة

عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على اكثر من احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يارسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرا احدكم خمسين آية قبل ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرا سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا بآل عمران ثم قرا سورة النساء اخرجه ابو داود والنسائي * عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة اخرجه الترمذي (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام اوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج * عن انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه اخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيأ ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيأ * وقوله عز وجل ﴿ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شئ ثم احرمه كان ذلك عارا عليه والله اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يعطيه ما اطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيأ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول

والسلام (ربهم اعلم بهم) من كلام اتباعهم من اممهم والمقتدين بهم اى هم اجل واعظم شأنا من ان يعرفهم غيرهم الموجودون الهالكون في الله المتحققون به فهو اعلم بهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري (قال الذين غلبوا على امرهم) من اصحابهم والذين يلون امرهم تبركا بهم ومكانهم (لنتخذن عليهم مسجدا) يصلى فيه (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب) اى الظاهريون من اهل الكتاب والمسلمين الذين لا علم لهم بالحقائق وقوله رجما بالغيب اى رميا بالذى غاب عنهم يعني ظنا خاليا عن اليقين بعد قولهم وتوسيط الواو الدالة على ان الصفة مجامعة للموصوف لا تفارقه وانه لا عدد وراءه بين قوله (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم) وبين ثامنهم كلبهم وقوله (ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا) بعده يدل على ان العدد هو سبعة لا غير فالقليل هم المحققون

لست هناكم فيذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله واعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قدغفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فاستأذن على ربي تعالى فيؤذن لى فاذا انا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله فيقال يامحمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال لى ارفع يامحمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال فلاادرى فى الثالثة اوفى الرابعة قال فاقول يارب مابقى فى النار الامن حبسه القرآن اى من وجب عليه الخلود وفى رواية للبخارى ثم تلا هذه الآية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن ذرة قال يزيد بن زريع فى حديث شعبة ذرة وفى رواية من ايمان مكان خير وفى حديث معبد بن هلال العنزى عن انس فى حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يارب امتى امتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند انس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم اعود فى الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخرله ساجدا فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فاقول يارب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك اوقال ليس ذاك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع اى مجتمع الذهن والرأى * عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر ومامن نبي يومئذ آدم فمن سواه الاتحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون انت ابونا اشفع لنا الى ربك فيقول انى اذنبت ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول انى دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول انى كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنها كذبة الاماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول انى

القائلون به وان اولئك هم بالقوى الروحانية فهم العاقلتان النظرية والعملية والفكر والوهم والتخيل والذكر والحس المشترك المسمى بنطاسيا والكلب النفس والشمس الروح على كلا التأويلين ولهذا روى عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال انهم كانوا سبعة ثلاثة عن يمين الملك وثلاثة عن يساره والسابع هو الراعى صاحب الكلب فان صحت الرواية فالملك هو دقيانوس النفس الامارة والثلاثة الذين كانوا عن يمينه يستشيرهم هم العاقلتان والفكر والثلاثة الذين كانوا عن يساره يستوزرهم هم التخيل والوهم والذكر والراعى هو بنطاسيا صاحب اغنام الحواس والذين قالوا هم ثلاثة ارادوا القلب والعاقلتين والذين قالوا خمسة زادوا عليهم الفكر والوهم وتركوا المدرك للصور والذكر لعدم تصرفهما وكون كل منهما كالخزانة وعلى هذا التأويل فالاطلاع للفئة المحققين من الحضرة الالهية على بقاء النفس بعد خراب البدن والتنازع هو التجاذب

عبدت

عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتونى فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس فكانى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذى قال الله سبحانه وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويرحبون بى فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد اخرجه الترمذى قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التى صدرت منه وقوله فاقعقعها اى احركها حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترس وغيره مماله صوت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا ولواء الحمد يومئذ بيدى وانا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر اخرجه الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى وانا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى يطوف على خدم كأنهن بيض مكنون او لؤلؤ منثور (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع زاد الترمذى قال انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش فليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى • عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينماهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه افضل الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشى حتى ياخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه اهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ماهذا الذى تحدثونا والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذى تقولون قال اتقرا القرآن قلت نعم قال فاقرا ماقبله انه فى الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذاك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ماخرج غير رجل واحد اوكما قال والاحاديث فى الشفاعة كثيرة واول من انكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق اهل السنة وروى ابو وائل عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله واكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى ان يبعثك ربك

والتغالب الواقع بين القوى فى الاستيلاء على البدن الذى يبعثون فيه وهو البنيان المأمور بنائه والآمرون هم الغالبون الذين قالوا لنتخذن عليهم مسجدا يسجد اى ينقاد فيه جميع القوى الحيوانية والطبيعية والنفسانية والمأمورون هم المغلوبون الفاعلون فى البدن المبعوث فيه والله اعلم (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) ادّبه بالتأديب الالهى بعد مانهاه عن المماراة والسؤال فقال لاتقولن الاوقت ان يشاء الله بان يأذن لك فى القول فتكون قائلا به وبمشيئته او الا بمشيئته على انه حال اى ملتبسا بمشيئته يعنى لاتقولن لما عزمت عليه من فعل انى فاعل ذلك فى الزمان المستقبل الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله اى لاتسند الفعل الى ارادتك بل الى ارادة الله فتكون فاعلا به وبمشيئته (واذكر ربك) بالرجوع اليه والحضور (اذا نسيت) بالغفلة عند ظهور النفس والتلوين بظهور صفاتها (وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا) اى من الذكر عند التلوين واسناد

مقـاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبدالله بن سـلام قال يقعد على الكرسى * قوله عزوجل (وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صـدق) المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه ادخلنى مدخل صدق المدينة واخرجنى مخرج صـدق من مكة نزلت حين امر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بالهجرة وقيل معناه اخرجنى من مكة آمنا من المشركين وادخلنى مكة ظاهرا عليهـا بالفتح وقيل ادخلنى فى امرك الذى ارسلتنى به من النبوة مدخل صدق واخرجنى من الدنيا وقد قمت بما وجب على من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه ادخلنى فى طاعتك مدخل صدق واخرجنى من المناهى مخرج صدق وقيل معناه ادخلنى حيثما ادخلتنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين لا يكون آمنا عندالله (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) اى حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرنى به على من عادانى وعزا ظـاهرا اقيم به دينك فوعده الله لينزع ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له واجاب دعاءه فقـال له والله يعصمك من النـاس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية * قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعنى الاسـلام والقرآن (وزهق الباطل) اى الشرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقا) اى مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصولة فى وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال (ق) عن عبدالله بن مسعود قال دخل النبى صلى الله عليه وسـلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان البـاطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ البـاطل وما يعيد * قوله سبحانه وتعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من فى قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذى هو قرآن ماهو شفاء اى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شـفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثانى الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الذات والصفات والنبوات والقضـاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لاجرم كان القرآن شفاء لما فى القلوب من هذا النوع واما النوع الثانى وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت ان القرآن شـفاء من جميع الامراض الباطنة واما كونه شـفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتـاب وما يدريك انها رقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظـالمين الا خسارا) لان الظـالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن احد الاقام عنه بزيادة اونقصان

قضاء

الفعل الى صفاته بالتمكين والشـهود الذاتى المخلص عن حجب الصفات (رشدا) اسـتقامة وهو التمكـين فى الشهود الذاتى (ولبثوا فى كهفهـم ثلثمائة سـنين) من التى تبتنى على دور القمر فتكون كل سنة شهرا ومجموعها خمسة وعشرون سنة وذلك وقت انتباههم وتيقظهم (وازدادوا تسعا) هى مدة الحمـل وروعيت فى الآية نكتة هى انه لم يقل ثلثمائة سـنة وتسع سـنين لاستعمال السنة فى العرف وقت نزول الوحى فى دورة شمسية لا قمرية فأجمل العدد ثم بينه بقوله سنين فاحتمل ان يكون المميز غيرهـا كالشهر مثلا ثم بين ان المدة سـنين مبهمة غير معينـة اذلو قيل ثلثمائة شهر سنين فأبدل سـنين من مجموع حكاية كلام اهل الكتاب تمة سيقولون وقوله قل الله اعلم رد عليهم وفى مصحف العدد كانت العبارة صحيحة والمراد سـنين كذا عددا اى خمسة وعشرين ويؤيده قوله بعـده (قل الله اعـلم بما لبثوا) وقال قتادة هو حكاية كلام اهل الكتاب من تمة سـيقولون وقوله قل الله اعلم رد عليهم وفى مصحف عبدالله وقالوا لبثوا وذلك ان اليقين غير محقق ولا

قضاء الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذا انعمنا على الانسان) اى بالصحة والسعة (اعرض) اىعن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) اى تباعدمنابنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (واذا مسه الشر) اى الشدة والضر (كان يؤسا) اى آيسا قنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينبغى للمومن ان يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة ﴿ قوله عزوجل (قل كل) اى كل احد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة اى على طريقته التى جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة واخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة (فربكم اعلم بمن هواهدى سبيلا) اى اوضح طريقا واحسن مذهبا واتبا عاللحق ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى) (ق)عن عبدالله بن مسعود قال بينما انا امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لاتسألوه يسمعكم ماتكرهون فقاموا اليه وفى رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا اباالقاسم ماالروح فسكت وفى رواية فقالوا احدثنا عن الروح فقام ساعة ينتظر الوحى وعرفت انه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحى قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الاقليلا فقال بعضهم لبعض قدقلنا لكم لاتسألوه وفى رواية وما اوتوا من العلم الاقليلا قال الاعمش هكذا فى قراءتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأفينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقدادعى ماادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة اشياء فان اجاب عن كلها اولم يجب عن شئ منها فليس بنبى وان اجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبى فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ماكان شأنهم فانه كان لهم حديث وعجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ماخبره وعن الروح قال فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاءالله فلبث الوحى قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما واهل مكة يقولون قدوعدنا محمد غدا وقداصبحنا لايخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه مايقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الاان يشاءالله ونزل فى الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسئلونك عن ذى القرنين ونزل فى الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى واختلفوا فى الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه جبريل وعن على انه ملك له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم ايدوارجل ورؤس ليسوا بملائكة ولاناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غيرالعرش لوشاء ان يبتلع السموات والارض ومن

مطرد (له غيب السموات والارض ابصربه واسمع مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك) يجوز ان تكون من لابتداء الغاية والكتاب هو اللوح الاول المشتمل على كل العلوم الذى منه اوحى الى من اوحى اليه وان تكون بيانا لما اوحى والكتاب هو العقل الفرقانى وعلى التقديرين (لامبدل لكلماته) التى هى اصول الدين من التوحيد والعدل وانواعهما (ولن تجدمن دونه ملتحدا) تميل اليه لامتناع وجود ذلك (واصبر نفسك) امر بالصبر مع الله واهله وعدم الالتفات الى غيره وهذا الصبر هو من باب الاستقامة والتمكين لايكون الا باالله (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) اى دائما هم الموحدون من الفقراء المجردين الذين لايطلبون غيرالله ولاحاجة لهم فى الدنيا والآخرة ولا وقوف مع الافعال والصفات (يريدون وجهه) اى ذاته فحسب يدعونه ولا يحتجبون عنه بغيره وقت ظهورها غداة

الفناء ووقت احتجابهم عند البقاء فالصبر معهم هو الصبر مع الله ومجاوزة العين عنهم المنهى عنها هو الالتفات الى الغير (ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين) اى المشركين المحجوبين عن الحق لقوله ان الشرك لظلم عظيم (نارا) عظيمة (احاط بهم سرادقها) من مراتب الاكوان كالطباع العنصرية والصور النوعية المادّية المحيطة بالاشخاص الهيولانية (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) من جنس الغساق والغسلين اى المياه المتعفنة التى تسيل من ابدان اهل النار مسودة فيها دسومات يغاثون بها اوغسالاتهم القذرة اومن جنس الغصص والهموم المحرقة (يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا) بالتوحيد الذاتى لكونهم فى مقابلة المشركين (وعملوا الصالحات) من الاعمال المقصودة لذاتها فى مقام

فيها بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين اواقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب فى الخلق الذى به يحيا الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم فى ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم الاترى ان الانسان اذا مات لايفوت منه شئ الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء الاترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل واقاويل الحكماء والصوفية فى ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها واولى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله عزوجل وهو قول اهل السنة قال عبدالله بن بريدة ان لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولانبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من امر ربى اى من علم ربى الذى استأثر به (وما اوتيتم من العلم) اى من علم ربى (الاقليلا) اى فى جنب علم الله عزوجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون اوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشئ بالقلة مضافا الى مافوقه بالكثرة مضافا الى ماتحته وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح هو ان الله عزوجل استأثر بعلم الروح * قوله عزوجل (ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك) ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك عن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ماتدرى ماالكتاب (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) معناه لاتجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا (الارحمة من ربك) معناه الاان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عزوجل قلت المراد منه محو مافى المصاحف واذهاب مافى الصدور قال عبدالله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع مافى صدورهم فيصبحون لايحفظون شيأ ولايجدون بما فى المصاحف شيأ ثم تفيضون فى الشعر وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال لاتقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب اتلى ولا يعمل بى (ان فضله كان عليك كبيرا) اى بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود * قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله) اى لايقدرون على ذلك (ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) اى عونا نزلت حين قال المشركون لونشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عزوجل فالقرآن معجز فى النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام

فى اعلى

فى اعلى طبقات البلاغة لايشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله * قوله عزوجل (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) اى رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها (فأبى اكثر الناس الا كفورا) اى جحودا * قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لن نؤمن لك) اى لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات اخر و بينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابنى ربيعة واباسفيان بن حرب والنضر بن الحرث وابا البخترى بن هشام والاسود بن عبدالمطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة واباجهل بن هشام وعبدالله بن ابى امية وامية بن خلف والعاص ابن وائل ونبيها ومنبها ابنى الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدالهم فى امره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يامحمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لانعلم رجلا من العرب ادخل على قومه مادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ومابقى من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنالك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى بك رئيا تراه قد غلب عليك لاتستطيع رده بذلنالك اموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابى ماتقولون ماجئتكم بما جئتكم به لطلب اموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وامرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه على اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم فقالوا يامحمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك الذى بعثك فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الانهار كانهار الشأم والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه اصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك ان يبعث ملكا يصدقك واساله ان يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يعينك بها على ماتريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبدالله بن ابى امية وهو ابن عمته عاتكة

الاستقامة (انا لانضيع اجر من احسن عملا) اجرهم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الاجر انما يستحق بالعمل دون العلم اذبه يستحق ارتفاع الدرجة والرتبة (اولئك لهم جنات عدن) من الجنان الثلاث (تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب) اى يزينون فيها بانواع الحلى من حقائق التوحيد الذاتى ومعانى التجليات العينية الاحدية اذالذهبيات من الحلى هى العينيات والفضيات هى الصفاتيات النورانيات كقوله وحلوا اساور من فضة (ويلبسون ثيابا خضرا) يتصفون بصفات بهجة حسنة نضرة موجبة للسرور (من سندس) الاحوال والمواهب لكونها الطف (واستبرق) الاخلاق والمكاسب لكونها اكثف (متكئين فيها على الارائك) ارائك الاسماء الالهية التى هى مبادى افعاله لاتصافهم باوصافه وكون الصفة مع الذات هى الاسم المستند هو عليه فى جنة الصفات والافعال (نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا

بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم امورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما او من لك ابدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها فتأتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت ان لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعنى ارض مكة ينبوعا اى عيونا (اوتكون لك جنة من نخيل وعنب) اى بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) اى تشقيقا (اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) اى قطعا (اوتأتى بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كفيلا اى يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة اى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا (او يكون لك بيت من زخرف) اى من ذهب واصله الزينة (اوترقى) اى تصعد (فى السماء ولن نؤمن لرقيك) اى لاجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) امرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن ابى امية (قل) اى قل يا محمد (سبحان ربى) امره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب (هل كنت الابشرا رسولا) اى كسائر الرسل لانهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو اراد ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما انا الابشر وليس ما سألتم فى طوق البشر واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد اعطى النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وما اشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هى اعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم * قوله عز وجل (وما منع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى) اى الوحى والمعنى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الاشبهة تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الا ان قالوا) اى جهلا منهم (ابعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا فاجابهم الله بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) اى مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اى من جنسهم لان الجنس الى الجنس اميل (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) اى على انى رسوله اليكم وانى قد بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم (انه كان بعباده) يعنى المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) اى عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه) اى يهدونهم وفيه ايضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) عن انس ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون

لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيأ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا اويصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم اشرك بربى احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب

على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى الحدب كل ما ارتفع من الارض (عميا وبكما وصما) اى لايبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمى وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت فيه اوجه احدها قال ابن عباس معناه عميا لايبصرون مايسرهم بكما لاينطقون بحجة صما لايسمعون مايسرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ماوصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لايرون ولاينطقون ولايسمعون (مأواهم جهنم كلما خبت) اى سكن لهيبها وقيل ضعفت وهدأت من غير ان يوجد نقصان فى ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لايفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو (زدناهم سعيرا) اى وقودا وقيل معنا خبت اى نضجت جلودهم واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا) لماذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا) اجابهم الله ورد عليهم بقوله (اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض) اى فى عظمها وشدتها (قادر على ان يخلق مثلهم) اى فى صغرهم وضعفهم (وجعل لهم اجلا)اى وقتا لعذابهم (لاريب فيه) اى لاشك فيه انه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) اى جحودا وعنادا (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى) اى خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزائن لانهاية لها (اذا لامسكتم) اى لبخلتم وحبستم (خشية الانفاق) والفقر والنفاد وهذا مبالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشئ (وكان الانسان قتورا) اى ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل فى الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لابد وان يحب مايدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل ان يحب المدحة اورجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل فى الانسان البخل ❋ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) اى دلالات واضحات قال ابن عباس هى العصا واليد البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع اهله فى الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظى عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب ان يكون الفقيه ثم قال

لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا) فى مقابلة بئس الشراب وساءت مرتفقا (ويوم نسير الجبال) اى نذهب جبال الاعضاء بالتفتيت فنجعلها هباء منثورا (وترى الارض) ارض البدن (بارزة) ظاهرة مستوية مسطحة بسيطة كما كانت لاصورة عليها ولا تركيب فيها ترابا خالصا (وحشرناهم) الضمير اما للقوى المذكورة واما لافراد الناس (فلم نغادر منهم احدا) غير محشور (وعرضوا على ربك) عند البعث (صفا) اى مصطفين مترتبين فى المواقف لايحجب بعضهم بعضا كل فى رتبته (لقد جئتمونا) اى قلنا لهم ذلك اليوم لقد جئتمونا حفاة عراة غرلا فرادى اى (كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم) بانكاركم البعث (الن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز ماوعدتم على

ياغلام اخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هى آيات الكتاب وهى الاحكام يدل عليه ماروى عن صفوان بن غسان ان يهود ياقال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبى فقال الآخر لاتقل نبي فانه لوسمع صارت له اربعة اعين فاتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لاتشركوا بالله شيأ ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولاتأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرىء الى سلطان ليقتله ولاتسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعونى قالوا ان داود دعا ربه ان لايزال فى ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسئل) يامحمد (بنى اسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (اذجاءهم) يعنى جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عندالله عز وجل (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اى مسحورك وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التى تفعلها من سحرك (قال) موسى (لقد علمت) خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند (ماانزل هؤلاء الا رب السموات والارض) يعنى الآيات التسع (بصائر) اى بينات يبصربها (وانى لاظنك يافرعون مثبورا) قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير (فاراد ان يستفزهم من الارض) معناه اراد فرعون ان يخرج موسى وبنى اسرائيل من ارض مصر (فاغرقناه ومن معه جميعا) اى اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) اى من بعد هلاك فرعون (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) يعنى ارض مصر والشام (فاذا جاء وعدالآخرة) يعنى القيامة (جئنابكم لفيفا) اى جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعدالآخرة نزول عيسى من السماء * قوله سبحانه وتعالى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) يعنى ان مااردنا بانزال القرآن الا تقريره للحق فلما اردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا القرآن الا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير (ومآارسلناك الا مبشرا) يعنى بالجنة للمطيعين (ونذيرا) اى مخوفا بالنار للعاصين * قوله عز وجل (وقرآنا فرقناه) اى فصلناه وبيناه وقيل فرقنابه بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) اى تؤدة وترسل فى ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) اى على حسب الحوادث (قل آمنوابه اولا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (ان الذين اوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنوا اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسى وابى ذروغيرهم (اذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (يخرون للاذقان) قال ابن عباس اراد بها الوجوه (سجدا) اى يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) اى تعظيما لربنا لانجازه ماوعد فى الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا

لمفعولا

السنة الانبياء من البعث والنشور (ووضع الكتاب) اى كتاب القالب المطابق لما فى نفوسهم من هيآت الاعمال الراسخة فيهم (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) لعتورهم به على مانسوا (ويقولون ياويلتنا) يدعون الهلكة التى هلكوا بها من اثر العقيدة الفاسدة والاعمال السيئة (مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) لكون آثار حركاتهم واعمالهم كلها باقية فى نفوسهم صغيرة كانت اوكبيرة ثابتة فى الواح النفوس الفلكية ايضا مضبوطة فيها تظهر عليهم على التفصيل فى نشأتهم الثانية لامحيص لهم عنها وهذا معنى قوله (ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك احدا واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) مر معنى سجود الملائكة واباء ابليس وقوله (كان من الجن ففسق) كلام مستأنف كان قائلا قال مابال ابليس لم يسجد قال كان من الجن اى من القوى البدنية المختلمة بالمواد فلذلك فسق (عن امر ربه) اى لاحتجابه

لمفعولا) اى كائنا واقعا (ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) اى خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا اجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذى والنسائى وزاد النسائى فى منخرى مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله اخرجه الترمذى ❊ قوله عزوجل (قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يالله يارحمن فقال ابوجهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين فأنزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم اوبهذا الاسم (اياماتدعوا) ماصلة ومعناه اى هذين الاسمين سميتم وذكرتم اومن جميع اسمائه (فله الاسماء الحسنى) يعنى اذا حسنت اسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معانى التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس فى قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن اصحابك فلاتسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد فى رواية وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية فى الدعاء وهو قول عائشة والنخعى ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولاتخافت بها قالت نزل ذلك فى الدعاء وقيل كان اعراب من بنى تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فأنزل الله عزوجل ولاتجهر بصلاتك اى لاترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولاتخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) اى اطلب (بين ذلك سبيلا) اى طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء عن ابى قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر مررت بك وانت تقرا القرآن وانت تخفض من صوتك فقال انى اسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرا وانت ترفع من صوتك فقال انى اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذى عرفنى انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد افاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عزوجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك فى الملك) والسبب فى اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولى من الذل) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به (وكبره تكبيرا) اى وعظمه عن ان يكون له ولد اوشريك اوولى وقيل اذا كان

بالمادة ولو الحقها (افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركاءى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شئ جدلا ومامنع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين اويأتيهم العذاب قبلا ومانرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسى ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب

منزها عن الوالد والشريك والولى كان مستوجبا لجميع انواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول مايدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمدلله رأس الشكر ماشكر الله عبد لايحمده عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الدعاء الحمدلله وافضل الذكر لااله الاالله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع لااله الاالله والله اكبر وسبحان الله والحمدلله لايضرك بايهن بدأت اخرجه مسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الكهف

وهى مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلماتها الف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل (الحمدلله الذى انزل على عبده الكتاب) اثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهى الاسلام وماانزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) اى لم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس فى قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج قال غير مخلوق (قيما) اى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها (لينذر بأسا شديدا) معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس (من لدنه) اى من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) يعنى الجنة (ماكثين فيه) اى مقيمين فيه (ابدا وينذر الذين قالوا اتخذالله ولدا مالهم به من علم) اى بالولد وباتخاذه يعنى ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخاذالله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون فى نفسه محالا لايستقيم تعلق العلم به (ولا لآبائهم) اى ولا لاسلافهم من قبل (كبرت) اى عظمت (كلمة تخرج من افواههم) اى هذا الذى يقولونه لاتحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان فكانه يجرى على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذبا) اى مايقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذى لايطابق المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولايعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لايطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب * قوله عز وجل (فلعلك

بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا واذ قال موسى لفتاه) ظاهره على ماذكر فى القصص ولاسبيل الى انكار المعجزات واما باطنه فان يقال واذ قال موسى القلب الفتى النفس وقت التعلق بالبدن (لاابرح) اى لاانفك عن السير والمسافرة اولاازال اسير (حتى ابلغ مجمع البحرين) اى ملتقى العالمين عالم الروح وعالم الجسم وهما العذب والاجاج فى صورة الانسانية ومقام القلب (او امضى حقبا) اى اسير مدة طويلة (فلما بلغا مجمع بينهما) فى الصورة الحاضرة الجامعة (نسيا حوتهما) وهو الحوت الذى ابتلع ذا النون عليه السلام بالنوع لا بالشخص لان غداها كان قبل الوصول الى هذه الصورة فى الخارج من ذلك الحوت الذى امر بتزوده فى السفر وقت العزيمة (فاتخذ سبيله فى البحر) فى بحر الجسد حيا كما كان اولا (سربا) نقبا واسعا كما قيل بقى طريقه فى البحر منفرجا لم ينضم عليه البحر (فلما جاوزا)

باخع نفسك) اى قاتل نفسك (على آثارهم) اى من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القرآن (اسفا) اى حزنا وقيل غيظا (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها) اى مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا ومايستحسن منهـا وقيل يعنى النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع مافى الارض هو زينة لها فان قلت اى زينة فى الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع مافى الارض ثلاثة معدن ونبـات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان لايدخل فى هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعـالى (لنبلوهم) فمن يبلو يجب ان لايدخل فى ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم (ايهم احسن عملا) اى اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا وازهد فيها (وانا لجاعلون ماعليها) اى من الزينة (صعيدا جرزا) يعنى مثل ارض لانبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبـة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذى لاينبت فيه شى * قوله سبحانه وتعالى (ام حسبت) اى ظننت يامحمد (ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) اى هم عجب من آياتنـا وقيل معناه انهم ليسـوا باعجب آياتنا فان ماخلقنا من السموات والارض ومافيهن من العجائب اعجب منهم والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه اسماء اصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عبـاس ان الرقيم اسم الوادى الذى فيه اصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التى اخرج منها اصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذى فيه اصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة اصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذ اوى الفتية الى الكهف) اى صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشباب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) اى رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسـانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء (وهيئ لنا) اى اصلح لنا (من امرنا رشدا) اى حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل امرنا رشدا كله

﴿ ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه ﴾

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسـار مرج امر اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية نزلها احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام اويقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه اهل الايمان وهربوا فى كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم فجعل اولئك الشرط يتبعون اهل الايمان فى اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من رغب فى الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك اهل الشدة فى الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ماقطع من اجسادهم على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا

مكان مفارقة الحوت والقى على موسى النصب والجوع ولم ينصب فى السفر ولاجاع قبل ذلك على ماحكى تذكر الحوت والاغتـداء منـه وطلب الغداء من فتاه وانما قال (قال لفتيه آتنا غداءنا) لان حاله ذلك نهارا بالنسبة الى ماقبله فى الرحم (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) هو نصب الولادة ومشقتها (قال ارأيت) ماعرانى (اذاوينا الى الصخرة) اى النحر للارتضـاع (فانى نسيت الحوت) لاستغنائنا عنه (ومانسانيه الا الشيطان ان اذكره) اى ومانسانى ان اذكره الا الشيطان على ابدال ان اذكره من الضمير وذلك لان موسى كان راقدا حين اتخذ الحوت سـبيله فى البحر على ماقيل وفى النفس يقظان فأنسى شيطان الوهم الذى زين الشجرة لآدم وذكر النفس الحوت لموسى لكون الحال حال ذهول والسبيل المتعجب منه هو السرب المذكور (واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك) اى تماص الحوت واتخاذه سبيله الذى كان عليه فى جبانه (ما كنا نبغ) نطلبه لان هنـاك مجمع البحرين

واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عزوجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينماهم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عزوجل فقال لهم الشرط ماخلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم مامنعكم ان تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم اسوة اهل مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لآلهتنا واما ان اقتلكم فقال مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملء السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها ابدا اصنع بنا مابدالك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وانجز لكم ما اوعدتكم من العقوبة ومايمنعني ان اعجل ذلك لكم الا اني اراكم شبانا حديثة اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض اموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكرهم فأتمروا بينهم واتفقوا على ان واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجلوس فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس اتوه فيصنع بهم مايشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ماتريدون مني لاتخشوا مني انا احب احباب الله عزوجل فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عزوجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ ورقه فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو واصحابه بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ماشاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظماء اهلها ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبينماهم على ذلك اذ ضرب الله عزوجل على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه مااصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم

الذي وعد موسى عنده بوجود من هو اعلم منه اذ الترقى الى الكمال بمتابعة العقل القدسي لايكون الا في هذا المقام (فارتدا على آثارهما) في الترقى الى مقام الفطرة الاولى كما كانا اولا يقصان (قصصا فوجدا عبدا من عبادنا) اى يتبعان آثرهما عند الهبوط في الترقى الى الكمال حتى وجدا العقل القدسي وهو عبد من عباد الله مخصوص بمزية عناية ورحمة (آتيناه رحمة من عندنا) اى كمالا معنويا بالتجرد عن المواد والتقدس عن الجهات والنورية المحضة التي هي آثار القرب والعندية (وعلمناه من لدنا علما) من المعارف القدسية والحقائق الكلية اللدنية بلا واسطة تعليم بشرى وقوله (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا) هو ظهور ارادة السلوك والترقى الى الكمال (قال انك لن تستطيع معي صبرا) لكونك غير مطلع على الامور الغيبية والحقائق المعنوية لعدم تجردك واحتجابك بالبدن وغواشيه فلا تطيق مرافقتى وهذا معنى قوله (وكيف

عند روسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا ان بى غضبا عليهم لجهلهم ماجهلوا من امرى ماكنت لاجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا الهتى فقال عظماء المدينة ماانت بحقيق ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قدكنت اجلت لهم اجلا ولوشاؤا لرجعوا فى ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى آبائهم فاتى بهم فقال اخبرونى عن ابنائكم المردة الذين عصونى فقالوا اما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا واهلكوها فى اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل مايدرى مايصنع بالفتية فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفسه ان يامر بسد باب الكهف عليهم واراد الله عزوجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم ان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كماهم فى كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختار وقبرالهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عزوجل ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ماغشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما بيدروس واسم الآخر روناس اهتما ان يكتبا شأن هؤلاء الفتية واسماءهم وانسابهم واخبارهم فى لوحين من رصاص ويجعلاهما فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقى دقيانوس مابقى ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك * وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب فخرجوا فى عيدلهم عظيم فى زى وموكب واخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيدلهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله سبحانه وتعالى الايمان فى قلوبهم فآمنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال فى نفسه اخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنى عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير ان يظهره على امره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ماجمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفش كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذاهم جميعا على الايمان واذا الكهف فى جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم وانسابهم فى لوح فلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شان ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك اهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه فكانوا احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى اهل

تصبر على مالم تحط به خبرا قال ستجدنى ان شاء الله صابرا) لقوة استعدادى وثباتى على الطلب (ولا اعصى لك امرا) لتوجهى نحوك وقبولى امرك لصفائى وصدق ارادتى والمقاولات كلها بلسان الحال قال (فان اتبعتنى) فى سلوك طريق الكمال (فلا تسألنى عن شئ) اى عليك بالاقتداء والمتابعة فى السير بالاعمال والرياضات والاخلاق والمجاهدات ولا تطلب الحقائق والمعانى (حتى) يأتى وقته ف(احدث لك منه) اى من ذلك العلم (ذكرا) واخبرك بالحقائق الغيبية عند تجردك بالمعاملات القالبية والقلبية (فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة) فى سفينة البدن البالغ الى حد الرياضة الصالح للعبودية الى العالم القدسى فى بحر الهيولى للسير الى الله (خرقها) اى نقصها بالرياضة وتقليل الطعام واضعف احكامها واوقع الخلل فى نظامها واوهنها (قال اخرقتها لتغرق اهلها) اى اكسرتها لتغرق القوى الحيوانية والنباتية التى فيها فى بحر الهيولى فتهلك (لقد

الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم أئمة فى الحلق فلم يقبلوا منه، وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ماهم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله سبحانه وتعالى فى نفس رجل من اهل ذلك البلد الذى فيه ذلك الكهف وكان اسمه اولياس ان يهدم ذلك البنيان على فم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب الكهف اذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى فى وجوههم ولا الوانهم شئ ينكرونه وانهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون ان دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم انبئنا بما قال الناس فى شأننا عشية امس عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك فى انفسهم يسير فقال لهم تمليخا قد التمستم فى المدينة وهو يريد ان يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذ دعاكم عدو الله ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذى يذكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك احدا وابتغ لنا طعاما فأتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التى كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى اتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرفه ولا يشعر ان دقيانوس واهله هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما اتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان امر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى اشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذى اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ياليت شعرى ماهذا اما عشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة

جئت شيأ امرا) وهذا الانكار عبارة عن ظهور النفس بصفاتها وميل القلب اليها والتضجر عن حرمان الحظوظ فى الرياضة وعدم القناعة بالحقوق (قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا) تنبيه روحى وتحريض قدسى على ان العزيمة فى السلوك يجب ان تكون اقوى من ذلك (قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا) اعتذار فى مقام النفس اللوامة (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) هو النفس التى تظهر بصفاتها فتحجب القلب فتكون امارة بالسوء. وقتله بامانة الغضب والشهوة وسائر الصفات (قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا) اعتراض لتحنن القلب على النفس و (قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) تذكير وتعيير روحى وقال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) اعتذار واقرار بالذنب واعتراف وكلها من التلوينات عند كون النفس لوامة (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما

في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة امل نائم حالم ثم يرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه
فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي في اسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم
فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران المدينة وهو يقول
في نفسه والله ما ادري ماهذا اماعشية امس فليس كان على الارض من يذكر عيسى بن مريم
الاقتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى بن مريم لايخاف ثم قال في نفسه لعل هذه
ليست بالمدينة التي اعرف والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له
ما اسم هذه المدينة يافتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مساً اوامرا اذهب عقلي
والله يحق لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فأهلك فمضى الى الذين يبتاعون
الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه واعطاها رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق
طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا آخر من
اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم
ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا خبيئا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم تمليخا
يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما
يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فلايعرفونه فقال لهم
وهو شديد الخوف منهم افضلوا على قد اخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلاحاجة لي
به فقالوا له يافتى من انت وماشانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان
تخفيه منا انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه نخفف عليك ماوجدت وانك ان لم تفعل نحملك
الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شئ كنت
احذر منه فقالوا له يافتى انك والله لاتستطيع ان تكتم ماوجدت وجعل تمليخا مايدري
مايقول لهم وخاف حتى لم يحر على لسانه اليهم شئ فلما راوه لايتكلم اخذوا كساءه فطرحوه
في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قداخذ رجل معه
كنز فاجتمع عليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ماهذا الفتى من اهل
هذه المدينة ومارايناه فيها قط ومانعرفه وجعل تمليخا لايدري مايقول لهم وكان متيقنا ان
اباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينماهو قائم كالحيران
ينتظرمتى يأتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة
ومدبريها اللذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس واسم الآخر
طنطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل
يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه
الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض افرغ على اليوم صبرا واولج مني روحا منك
تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون
مالقيت وياليتهم يأتونني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فاناقدكناتواثقنا على الايمان بالله
وان لا نشرك به احدا ابدا ولانفترق في حياة ولاموت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين
اريوس وطنطيوس ورأى انه لم يذهب الى دقيانوس افاق وذهب عنه البكاء واخذاريوس

فوجدا فيها جدارا) هم
القوى البدنية واستطعامهما
منهم هو طلب الغذاء
الروحاني منهم اي بواسطتهم
كانتزاع المعاني الكلية من
مدركاتها الجزئية وانما ابوا
ان يضيفوهما وان اطعموهما
قبل ذلك لان غذاءهما حينئذ
كان من فوقهم من الانوار
القدسية والتجليات الجمالية
والجلالية والمعارف الالهية
والمعاني الغيبية لامن تحت
ارجلهم كما كان قبل خرق
السفينة وقتل الغلام بالرياضة
والقوى والحواس مانعة
من ذلك لامدة بل لانتهيا
الابعد نعاسهم وهدوهم كما
قال موسى لاهله امكثوا .
والجدار الذي (يريدان
ينقض فاقامه) هو النفس
المطمئنة وانما عبر عنها
بالجدار لانها حدثت بعد
قتل النفس الامارة وموتها
بالرياضة فصارت كالجماد غير
متحركة بنفسها وارادتها
ولشدة ضعفها كادت تهلك
فعبر عن حالها بارادة
الانقضاض . واقامته اياها
تعديلها بالكمالات الخلقية
والفضائل الجميلة بنور القوة
النطقية حتى قامت الفضائل
مقام صفاتها من الرذائل
وقول موسى عليه السلام

وطليوس الورق ونظرا اليها وعجبا منهـا وقالا اين الكنز الذي وجدت يافتى فقـال تمليخا ماوجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربهـا ولكن والله ما ادرى ماشأني وما اقول لكم فقال له احدهما من انت فقـال تمليخا اما انا فكنت ارى انى من اهل هذه المدينة فقيل له ومن ابوك ومن يعرفك بهـا فأخبرهم باسم ابيه فلم يوجد من يعرفه ولا اباه فقـال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا مايقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا اتظن انا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها ولهذه الورق اكثر من ثلثمائة سنة وانت غلام شـاب اتظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينـار وانى لاظنني سآمر بك فتعذب عذابا شـديدا ثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقـال لهم تمليخا اخبرونى عما اسألكم عنه فان انتم فعلتم صدقتكم عما عندى فقالوا له سل لانكتمك شيأ فقال فما فعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الاملك هلك في الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا انى اذا لحيران وما يصدقنى احد من الناس فيما اقول لقد كنا فتية على دين واحد وان الملك اكرهنـا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فأتينا الى الكهف الذي في جبل ينجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشترى لاصحابي طعاما واتجسس الاخبار فاذا انا معكم كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف اريكم اصحابي فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحـابه فانطلق اريوس وطليوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف اينظروا اليهم فلما رأى الفتية اصحـاب الكهف تمليخـا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتى فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينماهم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسـل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت اخانا تمليخا فانه الآن بين يدى الجبـار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة اذهم بأريوس واصحابه وقوفا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة لاريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا اريوس فراى تابوتا من نحـاس مختوما بخاتم فضـة فوقف على الباب ودعا جـماعة من جماعة من عظماء اهل المدينة وامر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصـاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشـطونس ويبرونس وديموس ويطبوس وقالوس والكلب اسمه قطمير كانوا

(قال لوشئت لاتخذت عليه اجرا) تلوين قلبي لافـنى وهو طلب الاجر والثواب باكتسـاب الفضـائل واستعمال الرياضة ولهذا اجابه بقوله (قال هذا فراق بيني وبينك) اى هذا هو مفـارقة مقامى ومقامك ومباينتهمـا والفرق بين حالى وحالك فان عمـارة النفس بالرياضة والتخلق بالاخـلاق الحميدة ليست لتوقع الثواب والاجر والا فليست فضائل ولا كمالات لان الفضيـلة هى التخلق بالاخـلاق الالهية بحيث تصدر عن صاحبها الافعال المقصودة لذاتها لا لغرض وماكان لغرض فهو حجاب ورذيلة لافضيلة والمقصود هو طرح الحجاب وانكشاف غطاء صفات النفس والبروز الى عالم النور لتلقى المعـانى الغيبية بل الاتصاف بالصفات الالهية بل التحقق بالله بعد الفناء فيه لاالثواب كما زعمت (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) اى لما اطمأنت النفس واستقرت القوى امكنك قبول المعانى وتلقى الغيب الذى نهيتك عن السؤال عنه حتى احدث لك منه ذكرا فـأذكر لك

فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثربهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى اراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذى اراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس ان عجل اعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة واكثر فلما اتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال احمدك اللهم رب السموات والارض واعبدك واسبحك تطولت على ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح بيدروس الملك ثم اخبر بذلك اهل مدينته فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس فتلقاهم اهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه فى منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر احد ان يدخل عليهم وامر الملك ان يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم احد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا فى الزمان الاول وان اسماءهم مكتوبة على الواح فى خزانته فدعا باللوح ونظر فى اسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر اسماء الآخرين فقال تمليخا هم اصحابى فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى حتى ادخل على اصحابى فابشرهم فانهم ان رأوكم معى ارعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه اثرهم فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ اوى الفتية الى الكهف اى صاروا الى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اى هداية فى الدين وهيء لنا اى يسر لنا من امرنا رشدا اى ما نلتمس منه رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس اى مخرجا من الغار فى سلامة ❁ قوله سبحانه وتعالى (فضربنا على آذانهم) اى القينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (فى الكهف سنين عددا) اى انمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) اى من نومهم (لنعلم) اى علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم

وانبئك بتأويل هذه الامور اذا استعددت لقبول المعانى والمعارف (اما السفينة فكانت لمساكين) فى بحر الهيولى اى القوى البدنية من الحواس الظاهرة والقوى الطبيعية النباتية واعمالها مساكين لدوام سكونها وملازمتها لتراب البدن وضعفها عن ممانعة القلب فى السلوك والاستيلاء عليه كسائر القوى الحيوانية وحكى انهم كانوا عشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر وذلك اشارة الى الحواس الظاهرة والباطنة (يعملون فى البحر فأردت ان اعيبها) بالرياضة لئلا يأخذها ملك النفس الامارة غصبا وهو الملك الذى كان وراءهم اى قدامهم (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) بالاستيلاء عليها واستعمالها فى اهوائه ومطالبه (واما الغلام فكان ابواه) اللذان هما الروح والجسمانية (مؤمنين) مقرين بالتوحيد لانقيادهما فى سلك طاعة الله وامتثالهما لامر الله واذعانهما لما اراد الله منهما (فخشينا ان يرهقهما) اى يغشيهما (طغيانا) عليهما لظهوره بالانانية عند شهود

ليزدادوا ايمانا واعتبارا (اى الحزبين) اى الطائفتين (احصى لما لبثوا امدا) اى احفظ لما مكثوا فى كهفهم نياما وذلك ان اهل المدينة تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف * قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) اى نقرأ عليك خبر اصحاب الكهف بالحق اى بالصدق (انهم فتية) اى شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) اى ايمانا و بصيرة (وربطنا على قلوبهم) اى شددنا قلبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف (اذ قاموا) يعنى بين يدى دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا) اى الفتية (ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها) انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام (لقد قلنا اذا شططا) قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعنى اهل بلدهم (اتخذوا من دونه) اى من دون الله (آلهة) يعنى اصناما يعبدونها (لولا) اى هلا (يأتون عليهم) اى على عبادة الاصنام (بسلطان بين) اى بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) اى وزعم ان له شريكا او ولدا ثم قال بعضهم لبعض (واذ اعتزلتموهم) يعنى قومكم (وما يعبدون الا الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته (فأووا الى الكهف) اى الجؤا اليه (ينشر لكم) اى يبسط لكم (ربكم من رحمته ويهيئ) اى يسهل (لكم من امركم مرفقا) اى ما يعود اليه يسركم ورفقكم * قوله سبحانه وتعالى (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) اى تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) اى جانب اليمين (واذا غربت تقرضهم) اى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) اى متسع من الكهف (ذلك من آيات الله) اى من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة ابدا لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا فى متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله اى ان شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعنى مثل اصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم (ومن يضلل) اى ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا) اى معينا (مرشدا) اى يرشده * قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل احد (ايقاظا) اى منتبهين لان اعينهم مفتحة (وهم رقود) اى نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون فى يوم عاشوراء وقيل كان لهم فى السنة تقليبتان (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلبا اغر وعنه انه كان فوق القلطى ودون الكرزى والقلطى كلب صينى وقيل كان اصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس فى الجنة دواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم (بالوصيد) اى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان

الروح (وكفرا) لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه اوكفرا بالحجاب فيفسد عليهما امرهما ودينهما ويبطل عبوديتهما الله (فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة) كابدلهما بالنفس المطمئنة التى هى خير منه زكاة اى طهارة ونقاء (واقرب رحما) تعطفا ورحمة لكونها اعطف على الروح والبدن وانفع لهما واكثر شفقة ويجوز ان يكون المراد بالابوين الجد والاب فكان كناية عن الروح والقلب وكونه اقرب رحما انسب لهما واشد تعطفا (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) اى العاقلتين النظرية والعملية المنقطعتين عن ابيهما الذى هو روح القدس لاحتجابهما عنه البدنية اوالقلب الذى مات اوقتل قبل الكمال باستيلاء النفس فى مدينة البدن (وكان تحته كنز لهما) اى كنز المعرفة التى لا تحصل الا بهما فى مقام القلب لامكان اجتماع جميع الكليات والجزئيات فيه بالفعل وقت الكمال وهو حال بلوغ الاشد واستخراج ذلك

ينقلب مع اصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليهـا واذا انقلبوا ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها (لو اطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولملئت منهم رعبا) اى خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم مفتحة كالمتيقظ الذى يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقـال ابن عبـاس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم * قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعنى كما انمناهم فى الكهف وحفظنا اجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التى تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) اى ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا (كم لبثتم) اى فى نومكم و ذلك انهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعهم مافاتهم من الصـلاة فقالوا ذلك (قالوا لبثنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقى منها بقية فقالوا (او بعض يوم) فلما نظروا الى طول شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) وقيل ان مكسلمينا لمـا سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بمـا لبثتم (فابعثوا احدكم) يعنى تمليخـا (بورقكم) هى الفضـة مضروبة كانت اوغير مضروبة (هذه الى المدينة) قيل هى طرسـوس وكان اسمها فى الزمن الاول قبل الاسـلام افسوس (فلينظر ايها ازكى طعاما) اى احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل اطيب طعاما واجوده وقيل اكثر طعاما وارخصه (فليأتكم برزق منه) اى قوت وطعام تاكلونه (وليتلطف) اى وليترفق فى الطريق وفى المدينة وليكن فى ستر وكتمان (ولا يشعرن) اى ولا يعلمن (بكم احدا) اى من الناس (انهم ان يظهروا عليكم) اى يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قيل معنـاه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يعذبوكم (او يعيدوكم فى ملتهم) اى الكفر (ولن تفلحوا اذا ابدا) اى ان عدتم اليه * قوله عزوجل (وكذلك اعثرنا عليهم) اى اطلعنا النـاس عليهم (ليعلموا ان وعدالله حق) يعنى قوم بيدروس الذين انكروا البعث (وان الساعة لاريب فيها) اى لاشك فيهـا انها آتية (اذ يتنازعون بينهم امرهم) قال ابن عباس فى البنيان فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون نبنى بنيـانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم فى البعث فقال المسلمون تبعث الاجسـاد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا فى مدة لبثهم وقيل فى عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم) يعنى بيدروس واصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا) * قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى ان السيد والعاقب واصحابهما

الكنز وقال بعض اهـل الظاهر من المفسرين كان الكنز صحفا فيها علم (وكان ابوهما) على كلا التأويلين (صالحا) وقيل كان ابا اعلى لهما حفظهما الله له فعلى هـذا لا يكون الا روح القدس . قصة ذى القرنين مشهورة وكان روميا قريب العهـد والتطبيق ان ذا القرنين فى هـذا الوجود هو القلب الذى ملك قرينة اى خافقيه شرقها وغربها (فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمـة من ربك وما فعلته عن امرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكـم منـه ذكرا انا مكنا له فى الارض) فى ارض البدن بالاقتدار والتمكين على جميع الاحوال من المعانى الكلية والجزئيـة والسير الى اىّ قطر شـاء من المشرق والمغرب (وآتيناه من كل شئ) اراده من الكمالات (سببا) اى طريقا يتوصل به اليه (فاتبع سببا) طريقا بالتعلق البدنى والتوجه الى العالم السفلى (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) اى مكان غروب شـمس الروح

من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون) اى وقال العاقب وكان نسطوريا (خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعدما حكى قول النصارى اولا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب أى ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل ذلك فى السبعة وتخصيص الشئ بالوصف يدل على ان الحال فى الباقى بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى فى كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربى اعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه فى الماضى والمستقبل لايكون الا لله تعالى اومن اخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما انا من اولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس وسارينونس وذونواس و كشفيططونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير (فلا تمار فيهم) اى لاتجادل ولاتقل فى عددهم وشأنهم (الامراء ظاهرا) أى الا بظاهر ماقصصنا عليك فقف عنده ولاتزد عليه (ولاتستفت فيهم) اى فى اصحاب الكهف (منهم) اى من اهل الكتاب (احدا) اى لاترجع الى قول احدمنهم بعد ان اخبرناك قصتهم * قوله سبحانه وتعالى (ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) يعنى اذا عزمت على فعل شئ غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى اياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة فى سورة بنى اسرائيل (واذكر ربك اذانسيت) قال ابن عباس معناه اذانسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن عباس الاستثناء المقطع وان كان بعدسنة وجوزه الحسن مادام فى المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل فى معنى الآية واذكر ربك اذاغضبت قال وهب مكتوب فى التورات والانجيل ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين أغضب وقيل الآية فى الصلاة يدل عليه ماروى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى أقم الصلاة لذكرى متفق عليه زاد مسلم أونام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدى) أى يثبتنى على طريق هو اقرب اليه وارشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى امره ان يذكره اذا نسى شيأ ويسأله ان يذكره اويهديه لما هو خيرله من ان يذكر مانسى وقيل ان القوم لماسألوا عن قصة اصحاب الكهف على وجه العناد امره الله سبحانه وتعالى ان يخبرهم ان الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ماهو ادل لهم من قصة اصحاب الكهف وقدفعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ماهو اوضح واقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل هذا شئ امر الله ان يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسى الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك ان يقول

(وجدها تغرب فى عين حمئة) اى مختلطة بالحمأة وهى المادة البدنية الممتزجة من الاجسام الفاسقة كقوله من نطفة امشاج (ووجد عندها قوما) هم القوى النفسانية البدنية والروحانية (قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب) بالرياضة والقهر والاماتة (واما ان تتخذ فيهم حسنا) بالتعديل وايفاء الحظ (قال اما من ظلم) بالافراط وعدم الاستسلام والانقياد كالشهوة والغضب والوهم والتخيل (فسوف نعذبه) بالرياضة (ثم يرد الى ربه) فى القيامة الصغرى (فيعذبه) بالالقاء فى نار الطبيعة (عذابا نكرا) اى منكرا اشد من عذابى اوفى القيامة الكبرى فيعذبه عذاب القهر والافناء (واما من آمن) بالعلم والمعرفة كالعاقلتين والفكر والحواس الظاهرة (وعمل صالحا) بالسعى فى اكتساب الفضائل والانقياد والطاعة (فله جزاء المثوبة (الحسنى) من جنة الصفات وتجليات انوارها وانهار علومها (وسنقول له من امرنا يسرا) اى قولا ذايسر بحصول الملكات الفاضلة (ثم اتبع

مع قوله ان شاء الله عسى ان يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا قوله عز وجل (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله ردقولهم بقوله (قل الله اعلم بما لبثوا) والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف ويكون معنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا يعنى ان نازعوك فى مدة لبثهم فى الكهف فقل انت الله اعلم بما لبثوا اى هو اعلم منكم وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا يعنى بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لايعلمه الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا اياما اوشهورا اوسنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير للاجل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا اوازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران اما الثلثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية فى كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قمرية (له غيب السموات والارض) يعنى انه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شئ من احوال اهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف (ابصر به واسمع) معناه ما ابصر الله بكل موجود واسمعه بكل مسموع لايغيب عن سمعه وبصره شئ يدرك البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لاتخفى عليه خافية (مالهم) اى مالاهل السموات والارض (من دونه) اى من دون الله (من ولى) اى ناصر (ولايشرك فى حكمه احدا) قيل معناه لايشرك الله فى علم غيبه احدا وقيل فى قضائه ❊ قوله سبحانه وتعالى (واتل) اى واقرأ يامحمد (ماأوحى اليك من كتاب ربك) يعنى القرآن واتبع مافيه واعمل به (لامبدل لكلماته) اى لامغير للقرآن ولايقدر احد على التطرق اليه بتغيير أوتبديل فان قلت موجب هذا ان لايتطرق النسخ اليه قلت النسخ فى الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت فى وقته الى وقت طريان الناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لامغير لما اوعد الله بكلماته اهل معاصيه (ولن تجد من دونه) اى من دون الله ان لم تتبع القرآن (ملتحدا) اى ملجأ وحرزا تعدل اليه ❊ قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت فى عيينة بن حصن الفزارى اتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قدعرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبى صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس ومايمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك اواجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك اى احبس يامحمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) يعنى طرفى النهار (يريدون وجهه) اى يريدون وجه الله لايريدون عرض الدنيا وقيل نزلت فى اصحاب الصفة وكانو سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله

سببا) طريقا هى طريق الترقى والسلوك الى الله بالتجرد والتزكى (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) اى مطلع شمس الروح (وجدها تطلع على قوم) هم العاقلتان والفكر والحدس والقوة القدسية (لم نجعل لهم من دونها سترا) اى حجابا لتنورهم بنورها وادراكهم المعانى الكلية (كذلك) اى امره كما وصفنا (وقد احطنا بما لديه) من العلوم والمعارف والكمالات والفضائل (خبرا) اى علما ومعناه لم يحط به غيرنا لكونه الحضرة الجامعة للعالمين فليس فى الوجود من يقف على معلوماته الا الله ولامر ما سمى عرش الله (ثم اتبع سببا) طريقا بالسير فى الله (حتى اذا بلغ بين السدين) اى الكونين وذلك مرتبته ومقامه الاصلى بين صدفى جبلى الاله والسير فى المشرق والمغرب سفرة تنزلا وترقيا (وجد من دونهما قوما) هم القوى الطبيعية البدنية والحواس الظاهرة (لايكادون يفقهون قولا) لكونها غير مدركة للمعانى ولاناطقة بها (قالوا ياذا القرنين) بلسان الحال

عليه وسلم لايرجعون الى تجارة ولاالى زرع ولاضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى امتى من امرت ان اصبر نفسى معهم (ولاتعد) لاتصرف ولاتجاوز (عيناك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الحيوة الدنيا) اى تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة اهل الدنيا (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) اى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعنى عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف (واتبع هواه) اى فى طلب الشهوات (وكان امره فرطا) ضياعا ضيع امره وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) اى قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الى من ذلك شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ماشئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم اى لست بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعدلكم ربكم نارا وان آمنتم فلكم ماوصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر (انا اعتدنا) اى هيأنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) اى الكافرين (نارا احاط بهم سرادقها) السرادق الحجرة التى تطيف بالفساطيط عن ابى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعون سنة اخرجه الترمذى قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) اى من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه اخرجه الترمذى وقال رشدين احد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب (يشوى الوجوه) اى ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب) اى ذلك الذى يغاثون به (وساءت) اى النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضى الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والافلا ارتفاق لاهل النار ولامتكأ * قوله عزوجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا) اى لانترك اعمالهم تذهب ضيا عا بل نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لانضيع اجر من احسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (اولئك لهم جنات عدن) اى دار اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجرى من تحتهم الانهار) وذلك لان افضل المساكن ماكان يجرى فيه الماء (يحلون فيها من اساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الرقيق (واستبرق) هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين

والملوك

(ان ياجوج) الدواعى والهواجس الوهمية (ومأجوج) الوساوس والدوازع الخيالية (مفسدون فى الارض) فى ارض البدن بالتحريض على الرذائل والشهوات المنافية للنظام والحث على الاعمال الموجبة للخلل فيه وخراب القوانين الخيرية والقواعد الحكمية واحداث النوائب والفتن والاهواء والبدع المنافية للعدالة المقتضية افساد الزرع والنسل (فهل نجعل لك خرجا) بامدادك بكمالاتنا وصور مدركاتنا (على ان تجعل بيننا وبينهم سدا) لايتجاوزونه وحاجزا لايعلونه وذلك هو الحد الشرعى والحجاب القالبى من الحكمة العلمية (قال مامكنى فيه ربى) من المعانى الكلية والجزئية الحاصلة بالتجربة والسير فى المشرق والمغرب (خير فأعينونى بقوة) اى عمل وطاعة (اجعل بينكم وبينهم ردما) هو الحكمة العلمية والقانون الشرعى (آتونى زبر الحديد) من الصورة العلمية واوضاع الاعمال (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بالتعديل

والملوك (فيها) اى فى الجنة (على الارائك) جمع اريكة وهى السرر فى الحجال * ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم الثواب) اى نعم الجزاء (وحسنت) اى الجنات (مرتفقا) اى مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفقا * قوله عزوجل (واضرب لهم مثلا رجلين) قيل نزلت فى اخوين من اهل مكة من بنى مخزوم وهما ابو سلمة عبدالله بن عبدالاسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا واخوه الاسود بن عبدالاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن واصحابه وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بنى اسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا فى قول ابن عباس وقيل يمليخا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى سورة والصافات وكانت قصتهما على ماذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار وانى قد اشتريت منك ارضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة فانفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم انى اخطب اليك امراة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم انى اشترى منك خدما ومتاعا بالف دينار فى الجنة فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبى لعل ينالنى منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ماشانك قال اصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتعيننى بخير قال فما فعلت بمالك وقد قاسمتك مالا واخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيأ فطرده فقضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين وروى انه لما اتاه اخذ بيده وجعل يطوف به ويريه امواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا لاحدهما جنتين) اى بستانين (من اعناب وحففناهما) اى اطفناهما من جوانبهما (بنخل وجعلنا بينهما زرعا) اى وجعلنا بين النخل والاعناب الزرع وقيل بينهما اى بين الجنتين يعنى لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كلتا الجنتين آتت) اى اعطت كل واحدة من الجنتين (اكلها) اى ثمرها تماما (ولم تظلم منه شيا) اى ولم تنقص منه شيأ (وفجرنا خلالهما) شققنا وسطهما (نهرا وكان له) اى لصاحب البستان (ثمر) قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعنى صاحب البستان (لصاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) اى يخاطبه (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) اى عشيرة رهطا وقيل خدما وحشما (ودخل جنته) يعنى الكافر آخذا بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها (وهو ظالم لنفسه) أى بكفره (قال ما اظن ان تبيد) أى تهلك (هذه) يعنى جنته (ابدا) وذلك انه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا يفنى ابدا وانكر البعث فقال (وما اظن الساعة قائمة) اى كائنة (ولئن رددت الى ربى) فان قلت كيف قال لئن رددت الى ربى وهو

والتقدير (قال) للهوى الحيوانية (انفخوا) فى هذه الصور نفخ المعانى الجزئية والهيآت النفسانية من فضائل الاخلاق (حتى اذا جعله نارا) اى علما برأسه من جملة العلوم يحتوى على بيان كيفية الاعمال (قال آتونى افرغ عليه قطرا) النية والقصد الذى يتوسط بين العلم والعمل فيتحد به روح العلم وجسد العمل كالروح الحيوانى المتوسط بين الروح الانسانى والبدن فحصل سد اى قاعدة وبنيان من زبر الاعمال ونفخ العلوم والاخلاق وقطر العزائم والنيات واطمأنت به النفس وتدربت فآمنت (فما اسطاعوا ان يظهروه) ويعلوه لارتفاع شأنه وكونه مشتملا على علوم وحجج لم يمكنهم دفعها والاستيلاء عليها (وما استطاعوا له نقبا) لاستحكامه بالملكات والاعمال والاذكار (قال هذا) السد اى القانون (رحمة من ربى) على عباده يوجب امنهم وبقاءهم (فاذا جاء وعد ربى) بالقيامة الصغرى (جعله دكاء وكان وعد ربى حقا) باطلا منهدما لامتناع العمل به عند

منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربى على ماتزعم من ان الساعة آتية (لاجدن خيرا منها منقلبا) اى يعطينى هنالك خيرا منها لانه لم يعطنى الجنة فى الدنيا الا ليعطينى فى الآخرة افضل منها (قال له صاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب) اى خلق اصلك من تراب لان خلق اصله سبب فى خلقه فكان خلقاله (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) اى عدلك بشرا سويا وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال (لكنا هو الله ربى) مجازه لكن انا هو الله ربى (ولا اشرك بربى احدا ولولا) اى هلا (اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى مارزقك الله منها ماشاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان امرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا (لاقوة الا بالله) اى وقلت لاقوة الا بالله اقرارا بان ماقويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونة الله وتأييده ولا اقدر على حفظ مالى ودفع شئ عنه الا بالله روى عن عروة بن الزبير انه كان اذا راى من ماله شيأ يعجبه او دخل حائطا من حيطانه قال ماشاء الله لاقوة الا بالله الحائط البستان (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا) اى لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فعسى ربى) اى فلعل ربى (ان يؤتين) اى يعطينى (خيرا من جنتك) يعنى فى الآخرة (ويرسل عليها) اى على جنتك (حسبانا) قال ابن عباس نارا وقيل مرامى (من السماء) وهى الصواعق فتهلكها (فتصبح صعيدا زلقا) اى ارضا جرداء ملساء لانبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هائلا (او يصبح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لاتناله الايدى ولا الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) يعنى ان طلبته لم تجده (واحيط بثمره) يعنى احاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى ارسل عليها من السماء نارا فأهلكتها وغار ماؤها (فاصبح) يعنى صاحبها الكافر (يقلب كفيه) يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهر البطن تأسفا وتلهفا (على ماانفق فيها) المعنى فاصبح يندم على ماانفق فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) اى ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض (ويقول ياليتنى لم اشرك بربى احدا) يعنى انه يذكر موعظة اخيه المؤمن فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) اى جماعة (ينصرونه من دون الله) اى يمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) اى ممتنعا لايقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لايقدر على رد ماذهب منه * قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعنى السلطان فى القيامة (لله الحق) وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعنى انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه فى الدنيا (هو خير ثوابا) اى افضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره يثيب (وخير عقبا) يعنى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة * قوله عز وجل (واضرب لهم) اى اضرب يا محمد لقومك (مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء) يعنى المطر (فاختلط به نبات الارض) اى خرج منه كل لون وزهرة (فاصبح) اى عن قريب (هشيما) قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه (وكان الله على كل شئ مقتدرا) اى قادرا * قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعنى التى يفتخر بها عيينة واصحابه الاغنياء (زينة الحيوة الدنيا) يعنى ليست من زاد الآخرة قال على بن ابى طالب

الموت وخراب الآلات البدنية (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) بالاضطراب والاختلاط اى تركناهم يختلطون لاجتماعهم فى الروح مع عدم الحيلولة (ونفخ فى الصور) للبعث فى النشأة الثانية (فجمعناهم جمعا) او بالقيامة الكبرى حال الفناء وظهور الحق جعله دكا لارتفاع العلم والحكمة هناك وظهور معنى الحل والاباحة بتجلى الافعال الالهية وانتفاء الغير وفعله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض حيارى مختلطين شيأ واحدا لاحراقهم ونفخ فى الصور بالايجاد بالوجود الحقانى حال البقاء فجمعناهم جمعا فى التوحيد والاستقامة والتمكين وكونهم بالله لا بانفسهم (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) اى يوم القيامة الصغرى يتعذب المحجوبون عن الحق بانواع العذاب والنيران كما ذكر فى سورة الانعام اوفى ذلك الشهود اى ظهر لصاحب القيامة الكبرى تعذبهم فى نار جهنم (الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى) اى محجوبة

رضى الله

رضي الله تعالى عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الآخرة ويجمعهما لاقوام ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ قال ابن عباس هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله اكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله اخرجه مالك في الموطا موقوفا عليه * وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه انها الاعمال الصالحة ﴿ خير عند ربك ثوابا ﴾ اي جزاء ﴿ وخير املا ﴾ اي مما يؤمله الانسان * قوله سبحانه وتعالى ﴿ ويوم نسير الجبال ﴾ اي نذهب بها وذلك ان تجعل هباء منثورا كما تسير السحاب ﴿ وترى الارض بارزة ﴾ اي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها ﴿ وحشرناهم ﴾ يعني جميعا الى موقف الحساب ﴿ فلم نغادر منهم احدا ﴾ اي لم نترك منهم احدا ﴿ وعرضوا على ربك صفا ﴾ اي صفا صفا وفوجا فوجا لا انهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ﴾ يعني احياء وقيل حفاة عراة غرلا ﴿ بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ﴾ يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الا وانه سيجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يارب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فاقول سحقا سحقا قوله غرلا اي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا اي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء اصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * قوله عز وجل ﴿ ووضع الكتاب ﴾ يعني صحائف اعمال العباد توضع في ايدي الناس في ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى ﴿ فترى المجرمين مشفقين ﴾ اي خائفين ﴿ مما فيه ﴾ يعني من الاعمال السيئة ﴿ ويقولون ﴾ يعني اذا رأوها ﴿ ياويلتنا ﴾ اي ياهلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا

محجوبة عن آياتي وتجليات صفاتي الموجبة لذكرى ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴾ اي تحولا لبلوغهم الكمال الذي يقتضيه استعدادهم فلا شوق لهم الى ما وراءه وان وجد كمال وراء ذلك لعدم ادراكهم له فلا ذوق ولا شوق وكونهم في مقابلة المشركين المحجوبين عن الحق بالغير وكون جناتهم جنات الفردوس يدلان على ان المراد بهم هم الموحدون الكاملون الاستعداد الذين لا كمال فوق كمالهم فلا يبقى شيء وراء مرتبتهم يريدون

بالويل (مال هذا الكتاب لايغادر) اى لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) اى من ذنوبنا (الا احصاها) اى وعدها وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقر الذنوب مثل قوم نزلوا فى بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقير الشئ الصغير التافه وقوله لموبقات اى مهلكات (ووجدوا ماعملوا حاضرا) اى مكتوبا مثبتا فى كتابهم (ولايظلم ربك احدا) اى لاينقص ثواب احد عمل خيرا ولايؤاخذ احدا بجرم لم يعمله ❊ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذى وقال لايصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابى موسى ❊ قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا) اى واذكر يا محمد اذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس وكونه من الملائكة لاينافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل على ان الملك يسمى جنا ويعضده اللغة لان الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج مالولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله افتتخذونه وذريته فاثبت له ذرية والملائكة لاذرية لهم واجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقال تعالى لايسمعون فيها لغوا الا سلاما قيل انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن ❊ وقوله تعالى (ففسق عن امر ربه) اى خرج عن طاعة ربه (افتتخذونه) يعنى يابنى آدم افتتخذون ابليس (وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو) يعنى اعداء روى مجاهد عن الشعبى قال انى لقاعد يوما اذ قيل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ماشهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دونى فعلمت انه لاتكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلب وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجال

التحول اليه (قل لوكان البحر) اى بحر الهيولى القابلة للصور الممدة لها فى الظهور (مدادا لكلمات ربى) من المعانى والحقائق والاعيان والارواح (لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى) لكونها غير متناهية وامتناع وفاء المتناهى بغير المتناهى (ولوجئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) والله اعلم

﴿ سورة مريم ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا) قد تقدم فيما سلف ان كل طالب ينادى ربه ويدعوه انما يستحق الاجابة اذا دعاه بلسان الحال وناداه باسمه الذى هو مصدر مطلوبه بحسب اقتضاء استعداده فى ذلك الحال علم اولم يعلم اذ العطاء والفيض لايكون الابحسب الاستعداد والاستعداد لايطابق الا مقتضى ذلك الاسم فيجيبه بتجلى ذلك الاسم الذى يجبر نقصه ويقضى حاجته بافادة مطلوبه كما ان المريض اذا قال

وعجيزة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى افواه الناس لايجدون لها اصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع مالم يرفع اويحسن موضعه واذا اكل ولم يسم اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم اسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم اعوذ بالله منه روى ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء اخرجه الترمذى (م) عن عثمان بن ابى العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها علىّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجئ احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيأ ثم يجئ احدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه ❊ وقوله ﴿ بئس للظالمين بدلا ﴾ يعنى بئس مااستبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴿ مااشهدتهم ﴾ اى مااحضرتهم يعنى ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة ﴿ خلق السموات والارض ولاخلق انفسهم ﴾ والمعنى مااشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها واشاورهم فيها ﴿ وما كنت متخذ المضلين ﴾ يعنى الشياطين الذين يضلون الناس ﴿ عضدا ﴾ يعنى انصارا واعوانا ❊ قوله عز وجل ﴿ ويوم يقول نادوا ﴾ يعنى يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا ﴿ شركائى ﴾ يعنى الاصنام ﴿ الذين زعمتم ﴾ يعنى انهم شركائى ﴿ فدعوهم ﴾ اى فاستغاثوا بهم ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ اى فلم يجيبوهم ولم ينصروهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ يعنى بين الاصنام وعبدتها وقيل بين اهل الهدى وبين اهل الضلال ﴿ موبقا ﴾ يعنى مهلكا قال ابن عباس هو واد فى النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافتيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق واصله الهلاك ﴿ ورأى المجرمون ﴾ اى المشركون ﴿ النار فظنوا ﴾ اى ايقنوا ﴿ انهم مواقعوها ﴾ اى داخلوها وواقعون فيها ﴿ ولم يجدوا عنها مصرفا ﴾ اى معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد صرفنا ﴾ اى بينا ﴿ فى هذا القرآن للناس من كل مثل ﴾ اى ليتذكروا ويتعظوا ﴿ وكان الانسان اكثر شئ جدلا ﴾ اى خصومة فى الباطل قال ابن عباس اراد النضر بن الحرث وجداله فى القرآن وقيل اراد به ابى بن خلف وقيل اراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال الاتصليان فقلت يارسول الله انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الانسان اكثر شئ جدلا ❊ قوله عز وجل ﴿ ومامنع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى ﴾ يعنى القرآن واحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ويستغفروا ربهم ﴾ والمعنى انه لامانع لهم من الايمان ولامن الاستغفار

يارب فمراده ياشافى اذا لحق يبريه بذلك الاسم عندا جابته وكذا الفقير اذا ناداه اجابه باسمه المغنى اذ هو ربه ❊ فنادى زكريا عليه السلام ربه ليهب له وليا يقوم مقامه فى امر الدين وتوسل اليه بامرين واعتذر اليه ممتثلا بامرين توسل بالضعف والشيخوخة والوهن والعجز عن القيام بامر الدين فى قوله (قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا) فاجابه باسمه الكافى فكفاه ضعفه واعطاه القوة وايده بالولد ثم بعنايته به فدعا بقوله (ولم اكن بدعائك رب شقيا) فاجابه باسمه الهادى وهداه الى مطلوبه بالبشارة والوعد لان العناية المقتضية للسعادة المستلزمة اسباب الشقاوة كما اشار اليها بلازمها عبارة عن علمه تعالى فى الازل بعين فى العدم وتقتضى باستعدادها سعادة تناسبها وهو عين ارادته تعالى ذلك الكمال لها عند وجودها فلابد من هدايته لها اليه والهداية انما تتم بالتوفيق وهو ترتيب الاسباب الموافقة لذلك المطلوب المؤدية اليه ولم يجدها موافقة ووجد خلافها فخاف واعتذر اليه

والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم لم يقدموا على الايمان والاستغفار ﴿ الا ان تأتيهم سنة الاولين ﴾ يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال ﴿ او تأتيهم العذاب قبلا ﴾ قال ابن عباس اى عيانا من المقابلة وقيل فجأة * قوله سبحانه و تعالى ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ﴾ اى بالثواب على الطاعة ﴿ ومنذرين ﴾ بالعقاب لمن عصى ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ هو قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك ﴿ ليدحضوا ﴾ اى ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ ويزيلوه ﴿ واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ﴾ فيه اضمار يعني اتخذ وما انذروا به وهو القرآن استهزاء * قوله عزوجل ﴿ ومن اظلم ممن ذكر ﴾ اى وعظ ﴿ بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ اى تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ﴿ ونسي ماقدمت يداه ﴾ اى ماعمل من المعاصي من قبل ﴿ انا جعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ اى اغطية ﴿ ان يفقهوه ﴾ يريد لئلا يفهموه ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ اى ثقلا وصمما ﴿ وان تدعهم ﴾ يا محمد ﴿ الى الهدى ﴾ اى الدين ﴿ فلن يهتدوا اذا ابدا ﴾ وهذا في اقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون ﴿ وربك الغفور ﴾ اى البليغ المغفرة ﴿ ذو الرحمة ﴾ اى الموصوف بالرحمة ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ اى يعاقب الكفار ﴿ بما كسبوا ﴾ من الذنوب ﴿ لعجل لهم العذاب ﴾ اى في الدنيا ﴿ بل لهم موعد ﴾ يعني البعث والحساب ﴿ لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ اى ملجأ ﴿ وتلك القرى ﴾ يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿ اهلكناهم لما ظلموا ﴾ اى كفروا ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ اى اجلا لاهلاكهم * قوله سبحانه وتعالى ﴿ واذ قال موسى لفتاه ﴾ الآيات اكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز موسى الا اراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة واما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل انه فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفل البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اى الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال فخذ معك حوتا فاجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا

بالخوف من الموالي لعدم صلاحيتهم لذلك فاجابه باسمه الواقي فوقاه شرهم وبامتناع وجود الولي من نسله لعدم الاسباب بقوله ﴿ واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا ﴾ فاجابه باسمه العليم لانه علم عدم الاسباب الذي تعلل به محتجا بها عن المسبب وعلم وجوده مع عدمها وماعلمه لابد من كونه كما قالت الملائكة لامرأة ابراهيم عليه السلام كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ولما بشره بالولد وهداه الى مقتضى العلم تعجب منه لضراوته في عالم الاسباب بالحكمة وكرر التعلل بعدم الاسباب بقوله انى يكون لي غلام الخ لانه كان يطلب ولدا حقيقيا يلي امره ويحذو حذوه ويسلك طريقه في القيام بامر الدين وان لم يكن من نسله لعدم اهلية مواليه لذلك فكرر البشارة وهداه الى سهولة ذلك في قدرته فالتمس علامة تدل عليه فهداه اليها وانجز وعده باسمه الصادق فرحمه بهبة يحيى له فاقتضت الاحوال الاربعة مع حال الوعد والبشارة اجابته

لقدلقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى امره الله به فقال له فتاه ارأيت اذاوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت ومانسانيه الاالشيطان ان اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ماكنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب ابيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بأرضك السلام فقال انا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا ياموسى انى على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه وانت على علم الله علمكه الله لااعلمه فقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتنى فلاتسألنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلماركبا السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قدقلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقدجئت شيأ امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لاتؤاخذنى بمانسيت ولاترهقنى من امرى عسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر مانقص علمى وعلمك من علم الله الامثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينماهما يمشيان على الساحل اذا بصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسازكية بغير نفس لقدجئت شيأنكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال وهذه اشدمن الاولى قال ان سألتك عن شئ بعدها فلاتصاحبنى قدبلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اى مائلا فقال الخضر بيده هكذا فأقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى اوددت انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين وفى رواية عن ابى ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال اى رسول الله هل فى الارض احد اعلم منك قال لافعتب الله عليه اذلم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال اى رب واين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفى رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث يفقد الحوت زاد فى رواية وفى اصل الصخرة عين يقال لها الحياة لايصيب من مائها شئ الاحيي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير * قوله سبحانه وتعالى (لاابرح) اى لاازال اسير (حتى ابلغ مجمع البحرين) قيل اراد بحر فارس والروم ممايلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية (اوامضى حقبا) يعنى او اسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة فى المكتل وهو الزنبيل الذى يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى

بالرحمة عليه بالاسماء الخمسة فعلى هذا يكون (ك) اشارة الى الكافى الذى اقتضاه حال ضعفه وشيخوخته وعجزه و (هـ) اشارة الى الهادى الذى اقتضاه عنايته به وارادة مطلوبه له و (ى) اشارة الى الواقى الذى اقتضاه حال خوفه من الموالى و (ع) اشارة الى العالم اقتضاه اظهاره لعدم الاسباب و (ص) اشارة الى الصادق الذى اقتضاه الوعد ومجموع الاسماء الخمسة هو الرحيم بهبة الولد وافاضة مطلوبه فى هذه الاحوال فذكر هذه الحروف وتعدادها اشارة الى ان ظهور هذه الصفات التى حصل بها هذه الاسماء هو ظهور رحمة عبده زكريا وقت ندائه وذكرها ذكر تلك الرحمة التى هى وجود يحيى عليه السلام ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما (ك) عبارة عن الكافى و (هـ) عن الهدى و (ى) عن الواقى و (ع) عن العالم و (ص) عن الصادق والله اعلم والتطبيق ان يقال نادى زكريا الروح فى مقام استعداد العقل الهيولانى نداء خفيا واشتكى ضعفه

الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لاتصيب شيأ الاحيي فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وهاجت ودخلت في البحر (فلما بلغا) يعني موسى وفتاه (مجمع بينهما) اى بين البحرين (نسيا) اى تركا (حوتهما) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذى نسيه وانما اضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اى نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) اى الحوت (سبيله في البحر سربا) اى مسلكا وروى ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لايمس شيأ من البحر الايبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسى صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لفتاه آتنا غداءنا) اى طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) اى تعبا وشدة وذلك انه القى على موسى الجوع بعدما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه (قال) يعني يوشع (ارايت اذ اوينا الى الصخرة) وهى صخرة كانت بالموضع الموعود (فانى نسيت الحوت) اى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين راى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسى ان يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ❊ ثم قال (وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره) اى وما انسانى ان اذكر لك امر الحوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل اى شئ اعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما اكل بعضه ❊ قوله عزوجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) اى رجعا يقصان الذى جاآ منه ويتبعانه (فوجدا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل كان من بنى اسرائيل وقيل كان من ابناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمى به لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمى خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ماحوله وروينا ان موسى راى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وانى بارضك السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب اى مغطى بثوب وقوله وانى بارضك السلام معناه من اين بارضك التى انت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على طنفسة خضراء على جانب

وتوسل بعنايته واشتكى خوف موالى القوى النفسانية وعقر امرأة النفس ولد القلب (فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب) العقل الفعال (واجعله رب رضيا) موصوفا بالكمالات المرضية (يازكريا انا نبشرك بغلام) القلب (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) لحياته ابدا (قال رب اجعل لى آية) اتوصل بها اليه (قال آيتك الاتكلم الناس ثلاث ليال سويا) ناس الحواس بالشواغل الحسية والمخالطة بالامور الطبيعية (فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا) اى كونوا على عبادتكم المخصوصة بكل واحد منكم بالرياضة وترك الفضول دائما (يايحيى) القلب (خذ الكتاب بقوة) كتاب العلم المسمى العقل الفرقانى (وآتيناه الحكم) اى الحكمة (صبيا) قريب العهد بالولادة المعنوية (وحنانا من لدنا)

البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدا عبدا من عبادنا (آتيناه رحمة) اى نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) اى علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان اعلى شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه قلت لايخلو اما ان يكون الخضر من بنى اسرائيل او من غيرهم فان كان من بنى اسرائيل فهو من امة موسى ولاجائز ان يكون احد الامة افضل من نبيها او اعلى شانا منه وان كان من غير بنى اسرائيل فقد قال الله تعالى لبنى اسرائيل وانى فضلتكم على العالمين اى على عالمى زمانكم (قال له موسى هل اتبعك) معناه جئت لاصحبك واتبعك (على ان تعلمن مما علمت رشدا) اى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علما وببنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرنى بهذا فحينئذ (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معى صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا منكرة ولايجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) اى علما (قال) موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا اعصى لك امرا) اى لا اخالفك فيما تامرنى به (قال فان اتبعتنى) اى فان صحبتنى ولم يقل اتبعنى ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألنى عن شئ) اى مما اعمله مما ينكره ولا تعترض عليه (حتى احدث لك منه ذكرا) معناه حتى ابتدئ بذكره فابين لك شانه * قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) اى يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال اهل السفينة هؤلاء لصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ماهم بلصوص ولكن ارى وجوه الانبياء وروينا عن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اى بغير عوض ولاعطاء فلما لججوا فى البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من الواح السفينة وذلك قوله تعالى (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال) يعنى موسى له (اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيأ امرا) اى اتيت شيأ عظيما منكرا روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما راى ذلك اخذ ثوبه فحشا به الخرق (قال) العالم وهو الخضر (الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال) يعنى موسى (لاتؤاخذنى بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسى شيأ آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقنى) اى لا تغشنى (من امرى عسرا) والمعنى لاتعسر على متابعتك ويسرها بالاغضاء وترك المناقشة وقيل لاتكلفنى مشقة ولاتضيق على امرى (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) فى القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما ظريفا وضئ الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه اخذ راسه فاقتلعه بيده وروى عبدالرزاق هذا الخبر وفيه واشار باصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع راسه وروى انه رضخ راسه بحجر وقيل ضرب راسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث

اى رحمة بكمال تجليات الصفات (وزكاة) اى تقدسا وطهارة بالتجرد (وكان تقيا) مجتنبا صفات النفس (وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا) الروح والنفس (وسلام عليه) اى تنزه وتقدس عن ملابسة المواد (يوم ولد ويوم يموت) بالفناء فى الوحدة (ويوم يبعث) بالبقاء بعد الفناء (حيا) بالله (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا) المكان الشرقى هو مكان العالم القدسى لاتصالها بروح القدس عند تجردها وانتباذها عن مكان الطبيعة ومقر النفس واهلها القوى النفسانية والطبيعية . (فاتخذت من دونهم حجابا) والحجاب الذى اتخذته من دونهم هو حظيرة القدس الممنوع من اهل علم النفس بحجاب الصدر الذى هو غاية مبلغ علم القوى المادية ومدى سيرها ومالم تترق الى العالم القدسى بالتجرد لم يمكن ارسال روح القدس اليها كما أخبر عنه تعالى فى قوله (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن

ولم يكن نبي الله موسى يقول اقتلت نفسازاكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه ابواه (ق) عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ اقتلت نفسازاكية ﴾ اى لم تذنب قط وقرئ زكية وهى التى اذنبت ثم تابت ﴿ بغير نفس ﴾ اى لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل ﴿ لقدجئت شيأ نكرا ﴾ اى منكرا عظيما وقيل النكر اعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر اعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقدجئت شيا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لاسبيل الى تداركه ﴿ قال ﴾ يعني الخضر ﴿ الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ﴾ قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة توكيد للتوبيخ هذا ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني ﴾ قيل ان يوشع كان يقول لموسى يانبي الله اذكر العهد الذى انت عليه قال موسى ان سألتك عن شئ بعد هذه المرة فلا تصاحبني اى فارقني ولا تصاحبني ﴿ قدبلغت من لدني عذرا ﴾ قال ابن عباس اى قد اعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى انه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر احدا من الانبياء بدأ بنفسه لولا انه عجل لرأى العجب ولكنه اخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قدبلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة هو بذال معجمة اى حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذممته ذمامة يعني لته ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك * قوله سبحانه وتعالى ﴿ فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية ﴾ قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد الارض من السماء وقيل هى بلدة بالاندلس ﴿ استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما ﴾ قال ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم اتيا اهل قرية لئاما فطافا فى المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وروى انهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن ابي هريرة قال اطعمتهما امرأة من اهل بربر بعدان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعا لنسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التى لاتضيف الضيف ﴿ فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض ﴾ اى يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لاارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الارادة ﴿ فاقامه ﴾ اى سواه وفى حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه ﴿ قال ﴾ يعني موسى ﴿ لوشئت لاتخذت عليه اجرا ﴾ يعني على اصلاح الجدار جعلا والمعنى انك قدعلمت انا جياع وان اهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك اجرا ﴿ قال ﴾ يعني الخضر ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك اخذ الاجر هو المفرق بيننا ﴿ سأنبئك ﴾ اى سوف اخبرك ﴿ بتأويل مالم تستطع عليه صبرا

منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين) وانما تمثل لها بشرا سوى الخلق حسن الصورة لتتأثر نفسها به وتستأنس فتتحرك على مقتضى الجبلة ويسرى الاثر من الخيال فى الطبيعة فتتحرك شهوتها فتنزل كما يقع فى المنام من الاحتلام وتقذف نطفتها فى الرحم فيتخلق منه الولد وقد مر ان الوحى قريب من المنامات الصادقة لهدء القوة البدنية وتعطلها عن افعالها عنده كما فى النوم فكل مايرى فى الخيال من الاحوال الواردة على النفس الناطقة المسماة فى اصطلاحنا قلبا والاتصالات التى لها بالارواح القدسية يسرى فى النفس الحيوانية والطبيعية وينفعل منه البدن وانما امكن تولد الولد من نطفة واحدة لانه ثبت فى العلوم الطبيعية ان منى الذكر فى تكوّن الولد بمنزلة الانفحة فى الجبن ومنى الانثى بمنزلة اللبن اى العقد من منىّ الذكر والانعقاد

وقيل

وقيل ان موسى اخذ بثوب الخضر وقال اخبرني بمعنى ما عملت قبل ان تفارقني فقال الخضر ﴿ اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر اي يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيأ لا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضر والحاجة اشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة ﴿ فاردت ان اعيبها ﴾ اي اجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ اي امامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول اصح ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ اي كل سفينة صالحة فخرقها وعبتها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال اردت اذا هي مرت به ان يدعها لعيبها فاذا جاوزوا اصلحوها وانتفعوا بها ❊ قوله عز وجل ﴿ واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ﴾ اي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا ﴿ ان يرهقهما ﴾ اي يغشيهما وقيل يكلفهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ قيل معناه فخشينا ان يحملهما حبه على ان يتبعاه على دينه ﴿ فاردنا ان يبدلهما ربهما ﴾ الابدال رفع الشئ ووضع آخر مكانه ﴿ خيرا منه زكاة ﴾ اي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى اقتلت نفسا زاكية فقال الخضر اردنا ان يرزقهما الله خيرا منه زكاة ﴿ واقرب رحما ﴾ اي ويكون المبدل منه اقرب عطفا ورحمة بأبويه بان يبرهما ويشفق عليهما قيل ابدلهما جارية تزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب ❊ قوله سبحانه وتعالى ﴿ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ﴾ قيل كان اسمهما اصرم وصريم ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة اخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن ايقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وقيل الكنز اذا اطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما ﴿ وكان ابوهما صالحا ﴾ قيل كان اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لاصلي فاذكر ولدي فأزيد في صلاتي ﴿ فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ﴾ اي يدركا ويعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة

من مني الانثى لا على معنى ان مني الذكر ينفرد بالقوة العاقدة ومني الانثى بالقوة المنعقدة بل على معنى ان القوة العاقدة في مني الذكر اقوى والمنعقدة في مني الانثى اقوى والا لم يمكن ان يتحدا شيأ واحدا ولم ينعقد مني الذكر حتى يصير جزأ من الولد فعلى هذا اذا كان مزاج الانثى قويا ذكوريا كما تكون امزجة النساء الشريفة النفس القوية القوى وكان مزاج كبدها حارا كان المني المنفصل عن كليتها اليمنى اكثر كثيرا من الذي ينفصل عن كليتها اليسرى فاذا اجتمعا في الرحم وكان مزاج الرحم قويا في الامساك والجذب قام المنفصل من الكلية اليمنى مقام الذكر في شدة قوة العقد والمنفصل من الكلية اليسرى مقام المني الانثى في قوة الانعقاد فيتخلق الولد هذا وخصوصا اذا كانت النفس متأيدة بروح القدس متقوية يسري اثر اتصالها به الى الطبيعة والبدن ويغير المزاج ويمد جميع القوى في افعالها بالمدد الروحاني فيصير اقدر على افعالها بما لا ينضبط بالقياس والله اعلم (ولنجعله

فان قلت كيف قال في الاولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما ذكر العيب اضافه الى نفسه على سبيل الادب تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الابناء وصلاح احوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا الله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى ﴿ ويستخرجا كنزهما ﴾ يعني اذا بلغا وعقلا وقويا ﴿ رحمة من ربك ﴾ اي نعمة من ربك ﴿ وما فعلته عن امري ﴾ اي باختياري ورأيي بل فعلته بامر الله والهامه اياي لان تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لايكون الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن امري على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي وذلك للانبياء والصحيح انه ولي لله وليس بنبي واجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن امري انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ اي لم تطق ان تصبر عليه روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال اوصني قال لاتطلب العلم لتحدث به واطلب العلم لتعمل به واختلف العلماء في ان الخضر احي ام ميت فقيل انه حي وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية واهل الصلاح والمعرفة والحكايات في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاواه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيما حكي انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى واخطأ ذو القرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعدما صلى العشاء ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لايعيش بعده ❁ وقوله عزوجل ﴿ ويسئلونك عن ذي القرنين ﴾ قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الرومي وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره نقل الامام فخر الدين في تفسيره عن ابي الريحان السرروي المنجم في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه ابو كرب سمي بن عير بن افريقيس الحميري وهو الذي افتخر به احد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ❁ ملكا علا في الارض غير مفند ❁ بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب ملك من كريم مرشد ❁ فرأى مآب الشمس عند غروبها ❁ في عين ذي خلب وثاطة حرمد قوله فرأى مآب الشمس اي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب اي حماة والثاطة الحماة

ايه للناس ﴾ دالة على البعث والنشور ﴿ ورحمة منا ﴾ منا عليهم بتكميلهم به بالشرائع والحكم والمعارف وهدايتهم بسبب فعلما ذلك فهو صورة الرحمة الالهية المعنوية ﴿ وكان امرا مقضيا ﴾ في اللوح مقدرا في الازل وعن ابن عباس فاطمأنت اليه بقوله انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فدنا منها فنفخ في جيب الدرع اي البدن وهو سبب ازالها على ما ذكرنا كالغلمة مثلا والمعانقة التي كثيرا ما تصير سببا للانزال وقيل ان الروح المتمثل لها هو روح عيسى عليه السلام عند نزوله واتصاله بها وتعلقه بنطفتها والحقوا به روح القدس لانه كان السبب الفاعلي لوجوده كما قال لاهب لك غلاما زكيا واتصال روح عيسى بالنطفة انما يكون بعد حصول النطفة في الرحم واستقرارها فيه ريثما تمتزج وتتحد وتقبل مزاجا صالحا لقبول الروح ﴿ فحملته فانتبذت به ﴾ اي معه ﴿ مكانا قصيا ﴾ اي بعيدا من المكان الاول الشرقي لانها وقعت به في المكان الغربي الذي هو عالم الطبيعة والافق الجسماني

ايضا والجمع ثأط والحرمد الطين الاسود وقيل سمى ذا القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه راى فى المنام كأنه اخذ بقرنى الشمس وقيل لانه كان له ذوابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وروى عن على انه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله ثم بعثه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله واختلفوا فى نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لايكون الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سئل على عن ذى القرنين اكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله وناصح الله فنا صحه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذى عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبنى السدود ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان الفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذى هو على خلاف العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويسئلونك عن ذى القرنين ﴿ قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ﴾ اى خبرا يتضمن حاله ❁ قوله سبحانه وتعالى ﴿ انا مكناله فى الارض ﴾ اى وطانا له والتمكين تمهيد الاسباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومدله فى الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير فى الارض وذلل له طريقها ﴿ وآتيناه من كل شئ ﴾ مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء ﴿ سببا ﴾ اى علما يتسبب به الى كل مايريد ويسير به فى اقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث اراد وقيل قربنا له اقطار الارض ﴿ فاتبع سببا ﴾ اى سلك طريقا ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ اى ذات حماة وهى الطينة السوداء وقرئ حامية اى حارة وسال معاوية كعبا كيف تجد فى التوراة تغرب الشمس واين تغرب قال نجد فى التوراة انها تغرب فى ماء وطين وقيل يجوز ان يكون معنى فى عين حمئة اى عندها عين حمئة اوفى راى العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب فى وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كانها تغيب فى البحر ﴿ ووجد عندها قوما ﴾ اى عند العين امة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر الف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية حرجسا سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج اهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب اى تغيب ﴿ قلنا ياذا القرنين ﴾ يستدل بهذا من زعم انه كان نبيا فان الله

ولهذا قال (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) نخلة النفس (قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها) اى ناداها جبريل من الجهة السفلية بالنسبة الى مقامها من القلب اى من عالم الطبيعة الذى كان حزنها من جهته وهو الحل الذى هو سبب تشورها واقتضاحها (الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) اى جد ولا من غرائب العلم الطبيعى وعلم توحيد الافعال الذى خصك الله بها واصطفاك كما رأيت من تولد الجنين من نطفتك وحدها (وهزى اليك بجذع النخلة) نخلة نفسك التى يبست فى سماء الروح باتصالك روح القدس واخضرت بالحياة الحقيقية بعد يبسها بالرياضة وجفافها بالحرمان عن ماء الهوى وحياته واثمرت المعارف والمعانى اى حركها بالفكر (تساقط عليك) من ثمرات المعارف والحقائق (رطبا جنيا فكلى) اى من فوقك رطب الحقائق والمعارف الالهية وعلم تجليات الصفات والمواهب والاحوال (واشربى) من تحتك ماء

خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره (اما ان تعذب) يعني تقتل من لم يدخل في الاسلام (واما ان تتخذ فيهم حسنا) يعني تعفو وتصفح وقيل تاسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين (قال اما من ظلم) اى كفر (فسوف نعذبه) اى نقتله (ثم يرد الى ربه) اى في الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) اى منكرا يعني بالنار لانها انكر من القتل (واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) اى جزاء اعماله الصالحة (وسنقول له من امرنا يسرا) اى نلين له القول ونعامله باليسر من امرنا (ثم اتبع سببا) اى سلك طريقا ومنازل (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قيل انهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل انهم كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمني قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج * قوله سبحانه وتعالى (كذلك) اى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الاصح (وقد احطنا بما لديه خبرا) اى علما بما عنده ومن معه من الجند والعدة وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ماعنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بامره * قوله عز وجل (ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) هما هنا جبلان في ناحية الشمال في منقطع ارض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من يثق به من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) اى امام السدين قيل هم الترك (لايكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لايفهمون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا ياذا القرنين) فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم لايفهمون قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لايكادون يفقهون قولا الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس (ان يأجوج ومأجوج) اصلهما من اجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذوا القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة اجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج امة ومأجوج امة وكل امة اربعة آلاف امة لايموت الرجل منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة

العلم الطبيعي وبدائع الصنع وغرائب الافعال الالهية وعلم التوكل وتجليات الافعال والاخلاق والمكاسب كما قال تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم (وقري عينا) بالكمال والولد المبارك الموجود بالقدرة الموهوب بالعناية (فاما ترين من البشر احدا) اى من اهل الظاهر المحجوبين عن الحقائق بظواهر الاسباب وبالصنع والحكمة عن الابداع والقدرة الذين لايفهمون قولك ولا يصدقون بك وبحالك لوقوفهم مع العادة واحتجابهم بالعقول المشوبة بالوهم المحجوبة عن نور الحق (فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة مادمت حيا وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا) اى

ذراع وهؤلاء لايقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى لايمرون بفيل ولا وحش ولا ختزير الااكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وعن على منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط فى الطول وقال كعب هم نادرة فى ولد آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له انى باعثك الى امم مختلفة السنتهم منهم امتان بينهما طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض احداهما فى القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى فى قطر الارض الايسر يقال لها تأويل وامم فى وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين باى قوة اكابدهم وباى جمع اكاثرهم وباى لسان اناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى انى ساقويك وابسط لسانك واشد عضدك فلايهولنك شئ والبسك الهيبة فلا يروعك شئ واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك فالنور يهديك من امامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى اتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لايحصيهم الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم فى مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا فى دعوته فجند من اهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى اتى هاويل ففعل فيهم كفعله فى ناسك ثم مضى حتى اتى منسك ففعل فيهم كفعله فى الامتين وجند منهم جندا عظيما ثم اخذ ناحية اليسرى فأتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التى فى وسط الارض فلما كان فيما يلى منقطع الترك مما يلى المشرق قالت له امة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا اشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذى روح خلق فى الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلاشك انهم سيملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكنى فيه ربى خير وقال اعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى اعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منالهم مخالب واضراس كالسباع ولهم هلب شعر يوارى اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف فى واحدة ويشتى فى واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له الاساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج (مفسدون فى الارض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى ارضهم فلايدعون فيها شيأ اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا حملوه وادخلوه ارضهم فلقوا منهم اذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) اى جعلا واجرا من الاموال (على ان تجعل بيننا وبينهم سدا) اى حاجزا فلايصلون الينا (قال) لهم ذو القرنين (مامكنى فيه ربى خير) اى ماقوانى به ربى خير من جعلكم (فاعينونى بقوة) يعنى لااريد منكم المال بل

لاتكلمهم فى امرك شيأ ولا تماديهم فيما لايمكنهم قبوله حتى ينطق هو بحاله (والسلام علىّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) فى المواطن الثلاثة كما على يحيى لكون ذاتى مجردة مقدسة لاتحتجب بالمواد حتى فى الطفولة اذ معنى السلام التنزه عن العيوب اللاحقة بواسطة تعلق المادة (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) اى كلمة التى هى عبارة عن ذات مجردة ازلية كما مر غير مرة (ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا) لامتناع وجود شئ آخر معه عن ان يوجد معه شئ (فانما يقول له كن فيكون) اى يبدعه بمجرد تعلق ارادته به من غير زمان (وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون واذكر

اعينونى بايد انكم وقوتكم (اجعل بينكم وبينهم ردما) اى سدا قالوا وماتلك القوة قال فعلة
وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وماتلك الآلة قال (آتونى) اى اعطونى وقيل جيئونى
(زبر الحديد) اى قطع الحديد فاتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب
(حتى اذا ساوى بين الصدفين) اى بين طرفى الجبلين (قال انفخوا) يعنى فى النار (حتى اذا
جعله نارا) اى صار نارا (قال آتونى افرغ عليه) اى اصب عليه (قطرا) اى نحاسا مذابا
فجعلت النار تاكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد
كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع
وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى
صارت كالنار لم يقدر احد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكانه تعالى صرف
تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه (فما اسطاعوا
ان يظهروه) اى يعلوا عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) اى من اسفله لشدته
وصلابته (قال) يعنى ذو القرنين (هذا) اى السد (رحمة من ربى) اى نعمة من ربى
(فاذا جاء وعد ربى) قيل يعنى يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) اى ارضا ملساء
وقيل مدكوكا مستويا مع الارض (وكان وعد ربى حقا) (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين
قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس اصبعك السبابة فى وسط
الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الا الخلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فى السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال
فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغوا امدتهم واراد الله تعالى بعثهم على الله تعالى ان يبعثهم على الناس
قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين
تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون الماء وتفر منهم الناس وفى رواية تحصن الناس فى
حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الارض وعلونا
من فى السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا فى رقابهم فيهلكون فوالذى نفس محمد
بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكرا اخرجه الترمذى وقوله قسوة وعتوا
اى غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون فى انوف الابل والغنم وقوله وتسكر يقال
شكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلاء ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ اجسادها لحما وتسمن
(خ) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت
وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج * قوله عز وجل (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض)
قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج اى يدخل بعضهم فى بعض كموج
الماء ويختلط بعضهم فى بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم فى
بعض لكثرتهم ويختلط انسهم بجنهم حيارى (ونفخ فى الصور) فيه دليل على ان خروج
يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) اى فى صعيد واحد (وعرضنا)
اى ابرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) ليشاهدوها عيانا (الذين كانت اعينهم فى غطاء)

فى الكتاب ابراهيم انه كان
صديقا نبيا) فى القيامة
الكبرى بالفناء المطلق
والشهود الذاتى . الصدق
اصل كل فضيلة وملاك كل
كمال وخميرة كل مقام
واستعداد كل موهبة (اذ قال
لابيه ياابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر) مما سوى الله
من الاكوان التى تطلبها
وتنسب التأثير اليها (ولا يغنى
عنك شيأ) فى الحقيقة لعدم
تأثيره (ياابت انى قد جاءنى
من العلم ما لم يأتك فاتبعنى
اهدك صراطا سويا ياابت
لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ياابت انى
اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان
وليا قال اراغب انت عن
آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته
لارجمنك واهجرنى مليا)
اى التوحيد الذاتى (قال
سلام عليك) اى جرد الله
ذاتك عن المواد التى
احتجبت بها (سأستغفر لك
ربى انه كان بى حفيا) سأطلب
منه ستر ذاتك بنوره ومحو
غشاوات صفاتك بصفاته
ودناءة هيئات نفسك بافعاله
ان امكن (واعتزلكم وما
تدعون من دون الله وادعوا
ربى عسى الا اكون بدعاء

اى غشاء وستر (عن ذكرى) اى عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لايستطيعون سمعا) اى سمع قبول للايمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لايستطيعون ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له * قوله تعالى (افحسب) اى افظن (الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء) يعنى اربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم اعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعنى الشياطين اطاعوهم من دون الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيرى اولياء وانى لا اغضب لنفسى فلا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء (انا اعتدنا) اى هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) اى منزلا قال ابن عباس رضى الله عنهما هى مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف * قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا) يعنى الذين اتعبوا انفسهم فى عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم فى الصوامع وقال على بن ابى طالب هم اهل حروراء يعنى الخوارج (الذين ضل سعيهم) اى بطل عملهم واجتهادهم (فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون) اى يظنون (انهم يحسنون صنعا) اى عملا ثم وصفهم فقال تعالى (اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعنى انهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء (فحبطت اعمالهم) اى بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لانقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيآت قال ابو سعيد الخدرى يأتى اناس باعمال يوم القيامة هى عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نزدرى بهم فليس لهم عندنا حظ ولاقدر ولاوزن (ق) عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) اشارة الى ماذكر من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدا فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتى ورسلى هزوا) يعنى سخرية واستهزاء * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال كعب ليس فى الجنات جنة اعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها وارفعها وقيل الفردوس هو البستان الذى فيه الاعناب وقيل هى الجنة الملتفة بالاشجار التى تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو مايهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل فى معنى كانت لهم اى فى علم الله تعالى قبل ان يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) اى لا يطلبون (عنها حولا) اى تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون

ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبناله اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) بالكسر اى مجردا ذاته وعلمه فى السلوك لوجه الله لم يلتفت الى ماسواه من وجهة حتى صفاته تعالى بل نفاها عن ذاته وهو مازاغ البصر وماطغى بقوله ارنى انظر اليك ومخلصا بالفتح اى اخلصه الله عن انانيته وافنى البقية منه فخلاص من الطغيان المذكور بالتجلى الذاتى التام واستقام بتمكين الله اياه كما قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك من ذنب ظهور الانانية (وكان رسولا نبيا) مقام الرسالة دون مقام النبوة لكونها مبنية للاحكام كالحلال والحرام مبنية على الاوضاع كالصلاة والصيام فهى متعلقة ببيان احكام المكلفين واما النبوة فهى عبارة عن الانباء عن المعانى الغيبية كاحوال المعاد والبعث والنشور والمعارف الالهية كتعريف الصفات والاسماء وما

ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى * قوله تعالى (قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم انا وقد اوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الاقليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم الاقليلا قالت اليهود اوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى اى مايستمده الكاتب ويكتب به واصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مداد القلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون (لنفد البحر) اى لنفد ماؤه (قبل ان تنفد كلمات ربى) اى علمه وحكمه (ولو جئنا بمثله مددا) والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات ربى ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرته مددا وزيادة * قوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول انا آدمى مثلكم الا انى خصصت بالوحى واكرمنى الله به وهو قوله تعالى (يوحى الى انما الهكم اله واحد) لاشريك له فى ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) اى يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا) اى من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح (ولايشرك بعبادة ربه احدا) اى لايرائى بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيد ان احدهما ان يراد به الله سبحانه وتعالى والثانى ان يكون مبرا من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبدالله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به قوله من سمع سمع الله به اى من عمل عملا مرا آة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به اى اسمعه المكروه (م) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه برئ هو والذى عمله عن سعيد بن ابى فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله اغنى الشركاء عن الشرك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (م) عن ابى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة مريم عليها السلام

هى مكية وهى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل اسم

يليق بالله من التحميدات والتمجيدات والولاية فوقهما جميعا لكونها عبارة عن الفناء فى ذات الله من غير اعتبار الخلق فهى اشرف المقامات لكونها تتقدم عليهما لانها مالم تحصل اولا لم تمكن النبوة ولا الرسالة لكونها مقومة اياها ولهذا قدم كونه مخلصا فى القرآن بالمدح واخرت النبوة عن الرسالة لكونها اشرف وادل على المدح والتعظيم منها ولم يؤخر الولاية عنهما باعتبار الشرف لانها وان كانت اشرف لكنها باطنة لايعرف شرفها وفضلها الا الافراد من العرفاء المحققين المخصوصين بدقة النظر دون غيرهم فلا يفيد المدح والتعظيم ولا الاقتصار على قوله مخلصا وان كانت اشرف لانها قد توجد بدونهما بخلاف العكس فلايحسن وصفه الاعلى هذا الترتيب (وناديناه من جانب الطور الايمن) اى طور وجوده الذى هو نهاية طور القلب فى مقام السر الذى هو محل المناجاة ولهذا قال (وقربناه نجيا) وسمى كليم الله وانما وصفه بالايمن الذى هو الاشرف

القرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم اقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده (ذكر) اي هذا الذي نتلو عليك ذكر (رحمة ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته (اذ نادى) اي دعا (ربه) في المحراب (نداء خفيا) اي دعاء سرا من قومه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سيان لكن الاخفاء اولى لانه ابعد عن الرياء وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب انى وهن) اي رق وضعف (العظم منى) اي من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشتعل الرأس) اي ابيض الشعر (شيبا) اي شمط (ولم اكن بدعائك رب شقيا) اي عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم اشق بترك الايمان (وانى خفت الموالى من ورائى) اي من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) اي لم تلد (فهب لى من لدنك وليا) اي اعطني من عندك ولدا مرضيا (يرثني ويرث من آل يعقوب) اي وليا ذا رشاد وقيل اراد به يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد به الحبورة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويبعد من زكريا وهو نبي من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا احكامه وذلك لما ان شاهد من بني اسرائيل تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب رضيا) اي برا تقيا مرضيا * قوله تعالى (يازكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يازكريا (انا نبشرك بغلام) اي بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) اي لم يسم احد قبله بيحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه (قال رب انى يكون لى) اي من اين يكون لى (غلام وكانت امرأتى عاقرا) وقد بلغت من الكبر عتيا) اي يأسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) اي يسير (وقد خلقتك من قبل) اي من قبل يحيى (ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية) اي دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) اي علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) اي صحيحا سليما من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه * قوله عزوجل (فخرج على قومه من المحراب) اي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا متغيرا لونه فأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فأوحى) اي فأوما واشار (اليهم) وقيل كتب لهم في الارض (ان سبحوا) اي صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة فلما

والاقوى والاكثر بركة احترازا عن جانبه الايسر الذي هو الصدر لان الوحي انما يأتي من عالم الروح الذي هو الوادي المقدس (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) ان كان بمعنى المكانة فهو قربه من الله ورتبته في مقام الولاية من عين الجمع وان كان بمعنى المكان فهو الفلك الرابع الذي هو مقر عيسى عليه السلام لما ذكر من كونه مركز روحه في الاصل والمبدأ الاول لفيضانه اذا فاض عن محرك فلك الشمس ومعشوقه (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) سمعوا بالنفس من كل آية ظاهرها وبالقلب باطنها وفهموا بالسر حدها وصعدوا بالروح مطلعها

كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة اشارة ❁ قوله عزوجل (يا يحيى) فيه اضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى (خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) اى بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صبيا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى احكم عقله واوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلت لان اصل النبوة مبنى على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبى نبيا وقيل اراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل ان يبلغ فهو ممن اوتى الحكم صبيا (وحنانا من لدنا) اى رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

تحنن على هداك المليك ❁ فان لكل مقام مقالا

اى ترحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحنناه على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاصه (وكان تقيا) اى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط (وبرا بوالديه) اى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى ان لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) قيل هو ابلغ من العاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وامان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وامان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل اوحش مايكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى يحيى فى هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها ❁ قوله عزوجل (واذكر فى الكتاب) اى فى القرآن (مريم اذ انتبذت) اى تنحت واعتزلت (من اهلها) اى من قومها (مكانا شرقيا) اى مكانا فى الدار مما يلى المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست فى مشرقه تفلى راسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) اى فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس اى سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل فى صورة شاب امرد وضيء الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) اى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيأ وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء فى صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رات مريم

فشاهدوا المتكلم موصوفا بالصفة التى تجلى بها فى الآية فخروا سجدا فنوا فى ذلك الاسم الذى تجلى به عند ظهوره بتلك الصفة الكاشفة عنها تلك الآية وبكوا اشتياقا الى مشاهدته بسائر الصفات المشتمل عليه الرحمن او الله وهو بكاء القلب ان لم يكن مستلزما لبقاء النفس من خوف البعد كما قال الشاعر

ويبكى ان نأوا اشوقا اليهم
ويبكى ان دنوا خوف الفراق

(فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات اضاعوا صلاة الحضور لكونهم فى مقام النفس والحضور انما يكون بالقلب ولا صلاة الا به ولذلك الاحتجاب بصفات النفس عن مقام القلب لزم اتباع الشهوات (فسوف يلقون غيا) شرا وضلالا اذ كلما امعنوا فى اتباعها ازداد ضلالهم وارتكبت الذنوب على الذنوب فازدادتورطهم فيها كما قال عليه الصلاة والسلام الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الاول (الا من تاب) عن الذنب الاول فرجع الى مقام القلب (وآمن) باليقين

جبريل عليه السلام بقصد نحوها بادرته من بعيد (قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) اى مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني اى ينبغى ان يكون ايمانك ما نعالك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى ان تكون تقواك مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (انما انا رسول ربك لاهب) اسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه ارسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (انى يكون لى) اى من اين يكون لى (غلام ولم يمسسنى بشر) اى ولم يقربنى زوج (ولم اك بغيا) اى فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح او سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) اى هكذا قال ربك (هو علىّ هين) اى خلق ولدك بلا اب (ولنجعله آية للناس) اى علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) اى ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان امرا مقضيا) اى محكوما مفروغا منه لايرد ولا يبدل ❋ قوله عز وجل (فحملته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب وقيل نفخ فى كمها وقيل فى ذيلها وقيل فى فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام فى الحال (فانتبذت به) اى فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت (مكانا قصيا) اى بعيدا من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادى وهو بيت لحم فرارا من اهلها وقومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة اشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية اشهر وذلك آية اخرى له لانه لايعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة اشهر وهى بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد اشد عبادة واجتهادا منهما واول من علم بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا فى امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا اراد ان يبرئها راى ماظهر منها من الحمل فأول ماتكلم به ان قال انه وقع فى نفسى من امرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرايت ان اتكلم به اشفى لصدرى فقالت قل قولا جميلا قال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر الم تر ان الله انبت الشجرة بالقدرة من غير غيث او تقول ان الله تعالى لايقدر على ان ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لااقول هذا ولكنى اقول ان الله تعالى يقدر على كل شئ يقول له كن فيكون قالت له مريم الم تعلم ان الله خلق آدم وامراته من غير ذكر ولاانثى فعند ذلك زال ماعنده من التهمة وكان

(وعمل صالحا) باكتساب الفضيلة (فاؤلئك يدخلون الجنة) المطلقة بحسب استحقاقهم ودرجتهم فى الايمان والعمل (ولا يظلمون) اى لاينقصون مما اقتضاء حالهم ومقامهم (شيأ جنات عدن) مرتبة بحسب درجاتهم فى مقام النفس والقلب والروح (التى وعد الرحمن) المفيض بجلائل النعم واصولها وعمومها (عباده بالغيب) فى حالة كونهم غائبين عنها (انه كان وعده مأتيا لايسمعون فيها لغوا الا سلاما) اى مايسلمهم من النقائص ويجردهم عن المواد من المعارف والحكم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) اى دائما او بكرة فى جنة وقت ظهور نور شمس الروح وعشيا فى جنة النفس وقت غروبه (تلك الجنة) المطلقة التى تقع على واحدة منها (التى نورث من عبادنا من كان تقيا) مطلقا بحسب تقواه فان اتقى الرذائل والمعاصى نورثه جنة النفس اى جنة الآثار وان اتقى افعاله بالتوكل فله جنة القلب وحضور تجليات الافعال وان اتقى

ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها اوحى الله اليها ان اخرجى من ارض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا ❊ قوله عز وجل (فأجاءها المخاض) اى الجاها وجاء بها والمخاض وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يبست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت ياليتنى مت قبل هذا) تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) يعنى شيأ حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت انها لم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على اكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناداها (ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) اى نهرا قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحنت النخلة اليابسة فأورقت واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اى تحت امرك ان امرته ان يجرى جرى وان امرته بالامساك امسك وقيل معنى سريا اى عيسى وكان عبدا سريا رفيعا (وهزى اليك) اى حركى اليك (بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه قال الربيع بن خيثم مالنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل (فكلى واشربى) اى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر (وقرى عينا) اى طيبى نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقول اقر الله عينك اى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر احدا) معناه يسألك عن ولدك (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) اى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله امرها ان تقول هذا اشارة وقيل امرها ان تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامرين احدهما ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون اقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل اولى الثانى كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب (فلن اكلم اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس ❊ قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله) قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال ياأماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت صالحين (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) اى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع (يااخت هرون) اى ياشبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن

صفاته فى مقام القلب فله جنة الصفات وان ابقى ذاته ووجوده بالفناء فى الله فله جنة الذات (وما نتنزل الا بأمر ربك) تنزل الملائكة واتصال النفس بالملا الاعلى انما يكون بأمرين استعداد اصلى وصفاء فطرى يناسب به جوهر الروح العالم الاعلى واستعداد حالى بالتصفية والتزكية ولا يكفى مجرد حصولها فيه بل المعتبر هو الملائكة الا ترى الى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة كيف رتب التنزل على الاستقامة التى هى التمكين الدال على الملكة والى قوله فى تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم كيف اورد فى حصول استعداد تنزلهم بناء المبالغة الدال على الملكة والدوام فكذا لا تتنزل الملائكة الا على الصديق الخير وهذا الاستعداد الثانى اذا اجتمع مع الاول كان علامة اذن الحق وامره اذ الفيض عام تام غير منقطع فحيث تأخر لما تأخر لعدم الاستعداد فلذا لما استبطأ الوحى وقل صبره نزلت اى وما نتنزل باختيارنا بل باختياره ليس الا (له ما بين

شعبة قال لما قدمت خراسان سألونى فقالوالى انكم تقرؤن ياأخت هرون وموسى قبل عيسى
بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون
باسماء انبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون اخا مريم لابيها وقيل كان من امثل رجل
فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا اخا تميم
وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا اعظم الفسق فشبهوها به (ما كان ابوك) يعنى عمران
(امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت امك) يعنى حنة (بغيا) اى زانية فمن
اين لك هذا الولد (فاشارت اليه) اى اشارت مريم الى عيسى ان كلمهم قال ابن مسعود لما
لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما اشارت اليه غضب القوم وقالوا مع
مافعلت تسخرين بنا (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) قيل اراد بالمهد الحجر وهو حجرها
وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما اشارت اليه
ترك الرضاع واتكأ على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه و (قال انى عبد الله) قال
وهب اتاها زكرياء عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال
عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل يوم ولد انى عبد الله اقر على نفسه بالعبودية
لله تعالى اول ماتكلم لئلا يتخذاله فان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفى
التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت كانه
جعل ازالة التهمة عن الله تعالى من ازالة التهمة عن امه فلهذا اول ماتكلم انما تكلم باعترافه
على نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص بهذه المرتبة العظيمة
من ولد فى زنا والتكلم بازالة التهمة عن امه لايفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان
الاشتغال بذلك اولى (آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتينى الكتاب
وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم متى
كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون انه اوتى الانجيل وهو صغير
وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه الهم التوراة وهو فى بطن امه (وجعلنى مباركا
اينما كنت) معناه انى نفاع اينما توجهت وقيل معلما للخير ادعو الى الله والى توحيده وعبادته
وقيل مباركا على من يتبعنى (واوصانى بالصلوة والزكوة) اى امرنى بهما وكلفنى فعلهما
فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم
عن ثلاث الصبى حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله واوصانى بالصلاة والزكاة لايدل على انه
تعالى اوصاه بادائهما فى الحال بل المراد اوصاه بادائهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ
وقيل ان الله تعالى صيره حين انفصل عن امه بالغا عاقلا وهذا القول اظهر فى سياق قوله
(مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان
فى الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الى الارض بعد رفعه (وبرا بوالدتى) اى وجعلنى
برا بوالدتى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) اى عاصيا لربى متكبرا على الخلق بل انا خاضع
متواضع وروى انه قال قلبى لين وانا صغير فى نفسى قال بعض العلماء لاتجد العاق الا جبارا
شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشقى الذى يذنب ولايتوب (والسلام على يوم ولدت) اى

ايديا) من اطوار الجبروت
التى فوقنا وتتقدم اطوارنا
التى وجوهنا اليها ولايحيط
علمنا بها (وما خلفنا)
من اطوار الملكوت
الارضية التى دون اطوارنا
(وما بين ذلك) من الاطوار
الملكوتية التى نحن فيها
كلهم فى ملكة قهره وتحت
سلطة امره واحاطة علمه
(وما كان ربك نسيا)
ناسى شيأ يستعد لكمال
فيض عليه اوتاركا للمستحق
بدون حقه يحيط بكل
الاستعدادات علما ويفيض
الكمال عليها وينزل مقتضاها
مع الحصول دفعة فان
تأخر الوحى فانما كان
من جهتك لامن جهته هو
(رب السموات والارض
وما بينهما) رب كلا
منهما باسم يخصه ويدبره
ويفيض مايقتضيه حاله عليه
فيرب الكل بجميع اسمائه
(فاعبده) بعبادتك التى
يقتضيها حالك حتى تستعد
لقبول الفيض ونزول الوحى
ولا يكفى وجود العبادة
بتهيئة الاستعداد بالتصفية
مرة اومرتين بل الدوام
على ذلك معتبر فدم على
ذلك الصفاء الموجب للقبول
(واصطبر لعبادته) بالتوجه

السلامة عندالولادة من طعن الشيطان (ويوم اموت) اى عندالموت من الشرك (ويوم ابعث حيا) اى من اهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) اى ذلك الذى قال انى عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) اى هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هوالله (الذى فيه يمترون) اى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان لله ان يتخذ من ولد) اى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغى له ذلك (سبحانه اذا قضى امرا) اى اذا اراد ان يحدث امرا (فانما يقول له كن فيكون) اى لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذى اراده (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى وربكم لارب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) اى هذا الذى اخبرتكم به ان الله امرنى به هو الصراط المستقيم الذى يؤدى الى الجنة (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعنى النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق فى امر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة حتى (اسمع بهم وابصر) اى ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة مالم يسمعوا ويبصروا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) اى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) قيل اراد باليوم الدنيا يعنى انهم فى الدنيا فى خطأ بين وفى الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون فى الآخرة فى ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين * قوله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة) يعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمى بذلك لان المسيء يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا زاد فى الاحسان يدل عليه ماروى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن احد يموت الا ندم قالوا وماندمه يارسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذى قوله ان لا يكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال اكثر المفسرين يعنى يوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش املح فينادى مناد يا اهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى مناد آخر يا اهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون واشار بيده الى الدنيا زاد الترمذى فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال اشرف الى الشيء اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم فى صورة كبش اوغيره فعلى هذا يتأول الحديث

اليه على الدوام (هل تعلم له سميا) مثلا فتلتفت اليه وتقبل بوجهك نحوه فيفيض عليك مطلوبك (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقنا من قبل ولم يك شيأ) فى عالم الشهادة محسوسا اوشيأ يعتدبه كما قال لم يكن شيأ مذكورا الا ان الوجود العينى فى الازل قبل الخلق كلا وجود لانطماسه فى عين الجمع (فوربك لنحشرنهم والشياطين) اى لنحشرن المحجوبين المنكرين للبعث مع الشياطين الذين اغووهم واضلوهم عن الحق لان نفوس المحجوبين تناسب فى الكدورة والبعد عن النور نفوس الشياطين فبالضرورة يحشرون معهم خصوصا اذا اتبعوهم فى الاعتقاد (ثم لنحضرنهم حول جهنم) الطبيعة فى العالم السفلى لاحتجابهم بالغواشى الهيولانية والفواسق الظلمانية فى الهياكل السجنية مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران (جثيا) لاعوجاج هيا كلهم بسبب عوج نفوسهم فلا يستطيعون قياما (ثم لننزعن

على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح يموت ولايبقى برجله حياة ولاوجود وكذلك حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لازوال لهما ولاانتقال (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يجئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناد يا اهل الجنة لاموت ويا اهل النار لاموت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة احد الاأرى مقعده من النار لواساء ليزداد شكرا ولايدخل النار احد الاأرى مقعده من الجنة لواحسن ليكون عليه حسرة اخرجه البخارى * وقوله تعالى (اذقضى الامر) اى فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت (وهم فى غفلة) اى عما يرادبهم فى الآخرة (وهم لايؤمنون) اى لايصدقون (انانحن نرث الارض ومن عليها) اى نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم (والينا يرجعون) فنجزيهم باعمالهم

* قوله عزوجل (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) اى كثير الصدق وهو مبالغة فى كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله فى وحدانيته وصدق انبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبى انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبى العالى فى الرتبة بارسال الله اياه واى رتبة اعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذقال لابيه) يعنى آزر وهو يعبد الاصنام (يا ابت لم تعبد مالايسمع) يعنى صوتا (ولايبصر) ولاينظر شيأ (ولايغنى عنك) اى يكفيك (شيأ) وصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها قادح فى الالهية وذلك ان العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلايستحقها الا من له ولاية الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلايستحق العبادة الا هو (يا ابت انى قدجاءنى من العلم) يعنى بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعنى) اى على دينى (اهدك صراطا سويا) اى مستقيما (يا ابت لاتعبد الشيطان) اى لاتطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) اى عاصيا (يا ابت انى اخاف) اى اعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن ان يؤمن فيكون من اهل الجنة اويصر على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا على مايدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه فى الايمان ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على مالاينبغى بقوله انى اخاف (ان يمسك) اى يصيبك (عذاب من الرحمن) اى ان اقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) اى قرينا فى النار وقيل صديقا له فى النار وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع ابيه لامور احدها لشدة تعلق قلبه بصلاحية ابيه واداء حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبى الهادى الى الحق لابد ان يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالاب اولى (قال) مجيبا له (اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم) اى اتاركها انت

من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اى لنخصن من كل فرقة من هو اشد عتيا على الرحمن بعذاب اشد ما علمنا من حاله فنحن اعلم به منه فنصليه بعذاب هو اولى به (وان منكم الا واردها) اى لابد لكل احد عند البعث والنشور ان يرد عالم الطبيعة لكونها مجاز عالم القدس (كان على ربك حتما مقضيا) اى حكما جزما مقطوعا به ومن بعث برد روحه الى الجسد لايمكنه الجواز على الصراط الا بالجواز على جهنم لان المؤمن لما جاء اطفأ نوره لهبها فلم يشعر بها كما روى انها تقول جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبى ولو سألته بعد دخول الجنة كيف كان حالك فى النار لقال ما احسست بها كما سئل الصادق عليه السلام اتردونها انتم ايضا فقال جزناها وهى خامدة وعن ابن عباس يردونها كأنها اهالة وعن جابر بن عبدالله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا

ان ترد النار فيقال ... وردتموها وهي خامدة وعنه رحمه الله انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لايبقى برّ ولافاجر الادخلها فتكون على المؤمنين برداو سلاما كما كانت على ابراهيم عليه السلام حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها (ثم ننجي الذين اتقوا) لتجردهم بالجواز على الصراط الذي هو سلوك طريق العدالة الى التوحيد كالبرق (ونذر الظالمين) الذين نقصوا انور استعدادهم في الظلمات اووضعوه غير موضعه (فيها جثيا) لاحراك بهم لتوردهم في المواد الظلمانية كما قال عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيامة (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا حتى اذا مارأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو

وثارك عبادتها (لئن لم تنته) اى ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها (لارجمنك) قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرني) اى اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لايصيبنك مني معرة (مليا) اى دهرا طويلا (قال) يعني ابراهيم (سلام عليك) اي سلمت مني لااصيبك بمكروه وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربي) قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله ان يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربي توبة تنال بها المغفرة (انه كان بي حفيا) اى برا لطيفا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي (واعتزلكم وماتدعون من دون الله) اى افارقكم وافارق ماتعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة (وادعو ربي) اى اعبد ربي الذي خلقني وانعم على (عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا) اى ارجوان لا اشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون انتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم * قوله عزوجل (فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) اى ذهب مهاجرا (وهبنا له) اى بعد الهجرة (اسحق ويعقوب) اى آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد اكرم على الله من ابيه (وكلا جعلنا نبيا) اى انعمنا عليهما بالنبوة (ووهبنا لهم من رحمتنا) اى مع ماوهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعني ثناء حسنا رفيعا في اهل كل دين حتى ادعاهم اهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم * قوله عزوجل (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام اى اخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح اى مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس (وناديناه من جانب الطور الايمن) اى من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين ورأى النار فنودي ياموسى اني انا الله رب العالمين (وقربناه) قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته اى وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) اى مناجيا (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا) وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي فاجاب الله دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون اكبر من موسى * قوله عزوجل (واذكر في الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قيل انه لم يعد شيأ الاوفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اى وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا

فكل

مكل الابل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة اخرى (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسمعيل بوادي مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان ابو قبائل اليمن (نبيا) اى مخبرا عن الله تعالى (وكان يأمر اهله) اى قومه وجميع امته (بالصلوة والزكوة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا وقيل كان يبدا باهله في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عند ربه مرضيا) اى قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضى عند الله هو الفائز في كل طاعة باعلى الدرجات * قوله عز وجل (واذكر في الكتاب ادريس) هو جد ابي نوح واسمه اخنوخ سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هي الرفعة بعلو المرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ماروى انس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ماقاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب خلقتني لحر الشمس فما الذى قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يارب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس يساله فكان مماساله ان قال اني اخبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخرا جلي لعلي ازداد شكرا وعبادة فقال الملك لايؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وانا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال له لي اليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر اجله فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن ان احببت اعلمته اجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لااجده يموت الا عند مطلع الشمس قال اني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقدمات فوالله مابقي من عمر ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع اهل الارض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فأبى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استأذنت ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة قال وماهي قال تقبض روحي فأوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ماالفائدة

من هو شر مكانا واضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) اى كايمد اهل الضلالة في ضلالتهم بالخذلان مدا يزداد فيه ضلالهم واحتجابهم كلما امعنوا في جهلهم ورذائلهم كذلك يزيد الله المهتدين بالتوفيق كلما عملوا بما علموا استعدوا لقبول علم آخر فورثوه كما قال عليه السلام من عمل بما علم اورثه الله علم مالم يعلم فيزيدهم عند العمل بمقتضى العلم اليقيني عين اليقين وعند العمل بمقتضاه حق اليقين (والباقيات الصالحات) من العلوم والفضائل (خير عند ربك ثوابا) لادائها الى التجليات الوصفية والجنات القلبية (وخير مردا) بالرجوع الى الذات الاحدية (افرأيت الذى كفروا باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب مايقول ونمدله من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا الم تر انا ارسلنا الشياطين على

الكافرين تؤزهم ازّا) قد مرّ في باب تنزل الملائكة ان النفوس الخيرة تستمد من الملكوت والملائكة السماوية لاتصالها بهم في الصفاء والتجرد والنورية والنفوس الشريرة تستمد من النفوس المظلمة الارضية لمناسبتها اياهم ومجانستها لهم في الظلمة والكدورة والخبث فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة ظلمتهم وتماديهم في الغواية والاحتجاب حيث تنزل عليهم الشياطين دائما فتؤزهم اى تحرصهم وتخذلهم بالقاء الوساوس والهواجس من انواع الشرّ على التوالي (فلا تعجل عليهم انما نعدلهم عدّا) اى انفاسهم المقربة لهم الى المصير الى وبال كفرهم واعمالهم وعذاب هيآتهم وعقائدهم فان لكل اجلا معينا سيصير اليه عن قريب (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) انما ذكر اسم الرحمن لعموم رحمته بحسب مراتب تقواهم كما ذكر في قوله من كان تقيا ولهذا لما سمعها بعض العارفين قال ومن كان مع الرحمن فالى من يحشر فأجابه بعضهم بقوله من اسم الرحمن الى اسم الرحمن

في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فأكون اشد استعدادا له ثم قال له ادريس لي اليك حاجة اخرى قال وماهي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال اريد ان اسأل مالكا ان يرفع ابو ابها فأردها ففعل قال فكما اريتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لاتخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الاواردها فأنا وردتها وقال وماهم منها بمخرجين فلست اخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت باذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السماء ام ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حي واستدل بهذا وقالوا اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض وهما الخضر والالياس واثنان في السماء وهما ادريس وعيسى * قوله عز وجل (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين) اولئك اشارة الى المذكورين في هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعني ادريس ونوحا (وممن حملنا مع نوح) اى ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابرهيم) يعني اسحق واسمعيل ويعقوب (واسرائيل) اى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (وممن هدينا واجتبينا) اى هؤلاء ممن ارشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الآيات ماخصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

﴿ فصل ﴾ وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما ناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذبك ان اكون من المستكبرين عن امرك * قوله تعالى (فخلف من بعدهم) اى من بعد النبيين المذكورين (خلف) اى قوم سوء اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الامة (اضاعوا الصلوة) اى تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهو ان لايصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) اى آثروا شهوات انفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم

على

على بعض فى الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغى واد فى جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعدللزانى المصر عليه ولشارب الخمر المد من له ولآكل الربا الذى لاينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد فى جهنم بعيدقعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد فى جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية * قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يعنى الا من تاب من التقصير فى الصلوات والمعاصى وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيأ) اى لاينقصون شيأ ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) اى بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التى وعدالرحمن عباده بالغيب) اى انهم لايرونها فهى غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده مأتيا) اى آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا اى يأتيه اولياء الله واهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) اى باطلا وفحشا وهو فضول الكلام (الا سلاما) يعنى بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لايسمعون فيها مايؤلمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال اهل التفسير ليس فى الجنة ليل ولانهار حتى يعرف به البكرة والعشى بل هم فى نور ابدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفى النهار كعادتهم فى الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولاتقتير وقيل كانت العرب لاتعرف افضل من الرزق الذى يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك * وقوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا) اى نعطى وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التى كانت لاهل النار لوآمنوا (من كان تقيا) اى المتقين من عباده * قوله عزوجل (وماتتنزل الا بأمر ربك (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل مايمنعك ان تزورنا اكثر مماتزورنا فنزلت وماتتنزل الا بأمر ربك له مابين ايدينا وماخلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن امر الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطأت على حتى ساء ظنى واشتقت اليك فقال له جبريل وانى كنت اشوق اليك ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وماتتنزل الا بأمر ربك وانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى * وقوله (له مابين ايدينا وماخلفنا) اى له علم مابين ايدينا وماخلفنا وقيل اكذلك بقوله له مابين ايدينا وماخلفنا اى هو المدبر لنا فى كل الاوقات الماضى والمستقبل وقيل معناه له مابين ايدينا من امر الآخرة والثواب والعقاب وماخلفنا اى مامضى من الدنيا (ومابين ذلك) اى من هذا الوقت الى ان تقوم الساعة وقيل مابين ذلك اى مابين

وعن اسم القهار الى اسم اللطيف فان المتقى عن المعاصى والرذائل وصفات النفس الذى هو فى اول درجة التقوى قد يحشر الى الرحمن فى جنة الافعال ثم الصفات ثم بعد الوصول الى الله فى جنة الصفات له سير فى الله بحسب تجليات الصفات واذا انتهى السير الى الذات يكون السير سيرالله وفدا مكرمين (ونسوق المجرمين) لاعمالهم الخبيثة (الى جهنم) الطبيعة (وردا) كأنهم ابل عطاش فيوردهم النار (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) هذا العهد هو ماعاهدالله اهل الايمان من الوفاء بالعهد السابق بالتوبة والانابة اليه فى الصفاء الثانى بعد الصفاء الاول وذلك الانسلاخ عن حجب صفات النفس والاتصاف بصفات الرحمن والاتصال بعالم القدس الذى هو حضرة الصفات ولهذا ذكر الرحمن المعطى لاصول النعم وجلائلها المشتمل على سائر الصفات اللطيفة اى لايملك احد ان يشفع له بالامداد الملكوتية والانوار القدسية الا من استعد لقبول الرحمة الرحمانية واتصل بالجناب

ذلك اى مابين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وقيل مابين ايدينا مابقى من الدنيا وماخلفنا مامضى منها ومابين ذلك اى مدة حياتنا (وماكان ربك نسيا) اى ناسيا اى مانسيك ربك وما تركك (رب السموات والارض ومابينهما) اى من يكون كذلك لايجوز عليه النسيان لانه لابد ان يدبر احوالهما كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) اى اصبر على امره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم احدا يسمى الله غير الله * قوله تعالى (ويقول الانسان) اى جنس الانسان والمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو ابى بن خلف الجمحى وكان منكرا للبعث (ائذا مامت لسوف اخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى (اولا يذكر الانسان) اى يتذكر ويتفكر يعنى منكر البعث (انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد فى بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث على هذا الاختصار ماقدروا عليه اذلا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا * ثم اقسم بنفسه فقال تعالى (فوربك) وفيه تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) اى لنجمعنهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) اى مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان فى سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل امة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة فى مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الامور التى لايطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) اى لنخرجن (من كل شيعة) اى من كل امة واهل دين من الكفار (ايهم اشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعنى جرءة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم فى الشرك والمعنى انه يقدم فى ادخال النار الاعتى فالاعتى ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفى بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر فمن كان اشد منهم تمردا فى كفره خص بعذاب اعظم واشد لان عذاب الضال المضل واجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره فى الضلال وفائدة هذا التميز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال فى جميعهم (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) ولا يقال اولى الا مع اشتراك القوم فى العذاب وقيل معنى الآية انهم احق بدخول النار * قوله عز وجل (وان منكم الا واردها) اى ومامنكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر اى والله مامنكم من احد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا فى معنى الورود ههنا وفيما تنصرف اليه الكناية فى قوله واردها فقال ابن عباس والاكثرون معنى الورود ههنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجى الله الذين اتقوا منها يدل عليه ماروى ان نافع بن الازرق سال ابن عباس فى الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم

الالهى بالعهد الحقيقى وعن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ عند كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك انى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لاشريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لااثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) لكونهم فى حيز الامكان ومكمن العدم لاوجود لهم ولا كمال الابه افاض باسم الرحمن وجوداتهم وكمالاتهم فهم انفسهم ليسوا شيأ فلولم يعبدوه حق عبادته باستمدادات اعيانهم فى العدم لما وجدوا ولولم يعبدوه بعد الوجود بالقيام

انتم لها واردون ادخلهـا هؤلاء ام لا ثم قال يانافع والله انا وانت سـنردها واما ارجو ان يخرجنى الله منها وما ارى الله ان يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولاضرر ولاعذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعـالى اخبر عنهم انهم لايحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النـار وعذابهـا قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعـالى يجعل الاجزاء الملاصـقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين برداوسلاما كما كانت فى حق ابراهيم عليه السـلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لايجدون المهـا فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النـار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيهـا ان فيه مزيد غم على اهل النـار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذى على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لايدخل النار مؤمن ابدا لقوله تعـالى ان الذين سبقت لهم منا الحسـنى اولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضـور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الآية فى الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا واردها يعنى القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاول اصح وعليه اهل السنة فانهم جميعا يدخلون النـار ثم يخرج الله منها اهل الايمـان بدليل قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا اى الشرك وهم المؤمنون والنجـاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار الاتحلة القسم وفى رواية فيلج النار الاتحلة القسم اخرجاه فى الصحيحين اراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها (م) عن ام مبشر الانصارية انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من اصحاب الشجرة احد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يارسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعـالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول اهل الجنة الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهى خامدة وفى الحديث تقول النـار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى وروى عن مجاهد فى قوله تعـالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفى الخبر الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشـة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء قوله فيح جهنم اى وهجها وحرها * وقوله تعـالى (كان على ربك حتما مقضيا) اى كان ورود جهنم قضـاء لازما قضاه الله تعالى عليكم واوجبه (ثم ننجى الذين اتقوا) اى الشرك (ونذر الظـالمين فيها جثيا) اى جميعـا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة فى الآية دليل على صحة مذهبهم فى ان صـاحب الكبيرة والفاسق يخلد فى النار بدليل ان الله بين ان الكل يردونها ثم بين صـفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى فى النـار ابدا واجيب عنه بان المتقى هو الذى يتقى

بحقوق نعمه التى انعمهـا عليهم لما كلوافهم مربوبون مجبورون وفى طى قهره وملكته مقهورون (لقد احصاهم) فى الازل بافادة اعيـانهم واستعداداتهم الازلية من فيضه الاقدس وتعيينها بعلمه (وعـدهم عدا) فاهياتهم وحقائقهم انمـاهى صور معـلومات ظهرت فى العـدم بمحض عالميته وبرزت الى الوجود بفيض رحمانيته فكيف تماثله وتنـاسبه (وكلهم آتيه يوم القيامة) الصغرى مفردا مجردا عن الاسـباب والاعوان كما كان فى النشـأة الاولى ويوم القيامة الوسطى (فردا) من العلائق البدنية مجردا عن الصفات النفسانية والقوى الطبيعيـة واما فى القيـامة الكبرى فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (ان الذين آمنوا) الايمان الحقيقى العلمى او العينى (وعمـلوا الصالحـات) من الاعمال المزكية المصفية المعدة لقبول تجليات الصفات بالتجرد عن ملابس صفاتهم (سيجعل لهم الرحمن ودا) فانما يسرناه بلسـانك لتبشر به المتقين وتنـذر به

الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك ان من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان المتق جزء من المتق من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي توهموها دليلا لهم من اقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيأ فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا اراد الله رحمة من اراد من اهل النار امر الله الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم بآثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة رأى نكهتها وبهجتها سكت ماشاء الله تعالى ان يسكت ثم يقول يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله اليس قد اعطيت المواثيق والعهود ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا اكون اشقى خلقك فيقول فما عسيت ان اعطيت ذلك ان لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها ومافيها من النضرة والسرور فيسكت ماشاء الله ان يسكت فيقول يارب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما اغدرك اليس قد اعطيت العهد والميثاق ان لا تسأل غير الذي اعطيت فيقول يارب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت امنيته قال الله تمن كذا وكذا اقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي

قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا) كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وفي الحقيقة هذا الود اثر ونتيجة العناية الاولى المستفادة من قوله يحبهم ويحبونه فاذا احبه قبل الظهور في مكمن الغيب بمحبة الاجتباء الزمه حبه لله عند البروز وحركه الى الوفاء بالعهد السابق فتجدد ذلك العهد بالعهد اللاحق الذي هو العهد مع الله بالوفاء بذلك في متابعة الحبيب المطلق كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وان صحت المتابعة في الاعمال والاحوال احبه الله محبة الاصطفاء فوق المحبة التي هي ثمرة المحبة الاولى لكون الاولى عينية كامنة ولكونها كماية بارزة وقعت محبته في قلوب الخلق وظهر له القبول عند اهل الايمان الفطري وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله اذا احب الله عبدا يقول الله تعالى يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه

هريرة وعشرة امثاله قال ابوهريرة لم احفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال ابوسعيد رضي الله تعالى عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة امثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا اتانا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه * قلت اما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيامة ونتكلم ههنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من اجود مراعي الابل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال اوبقته الذنوب اي اهلكته والمخردل المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا اي احترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في حميل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه وقوله قشبني ريحها اي آذاني والقشب السم فكانه قال قد سمني ريحها قوله واحرقني ذكاؤها اي اشتعالها ولهبها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر اهل النار خروجا منها وآخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها او ان لك مثل عشرة امثال الدنيا فيقول اتسخر بي وانت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك ادنى اهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه وقيل هي آخر الاسنان * عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حمالة السيل اخرجه الترمذي الحمم الفحم والحمالة كل ما جاء به السيل فدلت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى اخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون * قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) اي دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (للذين آمنوا) يعني فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون افخر ثيابهم (اي الفريقين خير مقاما) اي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة (واحسن نديا) اي مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا) اي متاعا واموالا وقيل احسن ثيابا ولباسا (ورئيا) اي منظرا من الروية (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب اي الاسر والقتل في الدنيا (واما الساعة) يعني القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) اي

جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله تعالى قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل عبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وهذا معنى قوله سيجعل لهم الرحمن ودا والله اعلم

﴿ سورة طه ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) الطاء اشارة الى الطاهر والهاء الى الهادي وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم من شدة حنوه وتعطفه على قومه لكونه صورة الرحمة ومظهر المحبة تأسف من عدم تأثير التنزيل في ايمانهم واستشعر البقية كما ذكر في قوله لعلك باخع نفسك على آثارهم وزاد في الرياضة فكان يحيي الليالي بالتهجد و بالغ في القيام حتى تورمت قدماه فاخبر ان عدم ايمانهم ليس من جهتك بل من جهتهم وغلظ حجابهم لعدم استعدادهم لا لبقاء صفات نفسك او بقية انائيتك او وجود نقصك وقصورك في الهداية كما استشعرت فلانت نفسك ونودي با سمين من اسماء الله

عددلك (من هو شرمكانا) اى منزلا ر واضعف جندا) اى اقل ناصرا والمعنى فسيعلمون اهم خير وهم فى النار ام المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ❁ قوله عزوجل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) اى ايمانا وايقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) اى الاذكار والاعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) اى عاقبة ومرجعا ❁ قوله تعالى (افرأيت الذى كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فاتيته اتقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجئته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى اموت وابعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرأيت الذى كفر بآياتنا (وقال لاوتين مالا وولدا) الى قوله ويأتينا فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (اطلع الغيب) قال ابن عباس معناه انظر فى اللوح المحفوظ وقيل اعلم علم الغيب حتى علم اهو فى الجنة ام لا (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة (كلا) رد عليه يعنى لم يفعل ذلك (سنكتب مايقول) اى سنحفظ عليه مايقول فنجازيه به فى الآخرة وقيل يأمر الملائكة حتى يكتبوا مايقول (ونمد له من العذاب مدا) اى نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه مايقول) معناه اى ما عنده من المال والولد باهلاكنا اياه وابطال ملكه وقيل يزول عنه ماعنده من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فردا فذلك قوله (ويأتينا) يعنى يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث فى الآخرة بمال وولد ❁ قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى مشركى قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) اى منعة يعنى يكونوا شفعاء يمنعونهم من العذاب (كلا) اى ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعنى تجحد الاصنام والآلهة التى كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) اى اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل اعداءلهم وكانوا اولياءهم فى الدنيا ❁ قوله عزوجل (الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين) اى سلطناهم عليهم (تؤزهم ازا) اى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تحثهم وتحرضهم على المعاصى تحريضا شديدا وفى الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) اى لا تعجل بطلب عقوبتهم (انما نعدلهم عدا) يعنى الليالى والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التى يتنفسونها فى الدنيا الى الاجل الذى اجل لعذابهم ❁ قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) اى اذكر لهم يا محمد اليوم الذى يجتمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته الى جنته وفدا اى جماعات قال ابن عباس ركبانا قال ابو هريرة على الابل وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه مايحشرون والله على ارجلهم ولكم على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) اى الكافرين (الى جهنم وردا) اى مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل

تعالى دالين على راحته عن الامرين المذكورين وجود البقية او القصور عن الهداية فقيل ياطاهر عن لوث البقية ياهادى (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى) وتتعب بالرياضة لكن لتذكير من يلين قلبه ويستعد لقبوله بعد صفائه وطهارته وقد حصل الامران بحمد الله وانت كامل مكمل وما المقصود بالرياضة الاهذان الامران اللذان طهرا فيك تجليا عليك بالاسمين المذكورين لم تتعب نفسك وانما لم يحصل الاهتداء بهدايتك لقسوة القلوب التى هى ضد الخشية واللين الذى هو شرط فى حصوله لا قصورك ويجوز ان يكون قسما لا ابتداء اى اقسم بالاسمين اللذين بر بهما وتجلى بهما لك لافادة البراءة والطهارة اذ المقصود بالانزال حصول ازهما فيك لا التعب والمشقة وقد حصل فلا تفرط فى الرياضة وبهذا المعنى سمى آل محمد آل طه اى بحصول المعنيين لهم وظهوره سمى الاسمين فيهم (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) معناه انزلناه تنزيلا

يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى * قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا المؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله اى لا يشفع الا للمؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيأ ادا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) اى تخسف بهم (وتخر الجبال هدا) اى تسقط وتنطبق عليهم (ان دعوا) اى من اجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى هذه الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول كدت ان افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى وانى لا اعجل بالعقوبة الثانى ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصوير الاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا) اى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لابد ان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح فى الله تعالى من سروره به واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) اى آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده (لقد احصاهم وعدهم عدا) اى عد انفاسهم وايامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شئ من امورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) اى وحيدا ليس معه من احوال الدنيا شئ * قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اى محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحببهم الى عباده المؤمنين (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وفى رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا جبريل فقال انى احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى

ممن اتصف بجميع الصفات الجمالية والجلالية فكان لذاتك نصيب من جميعها والا لما امكنك قبوله وحمله اذ الاثر الوارد لابد وان يناسب المورود كما ناسب المصدر فلما كان مصدره الذات الموصوفة بجميع الاسماء الحسنى وجب ان يكون مورده الذى هو ذاتك كذلك موصوفة بها فكما خلق السموات العلا والارض اى عالم الارواح وعالم الاجسام الذى هو الجسم المطلق وجعلها حجب جلاله الساترة لجماله كذلك حجبك بسموات طبقات غيوبك من الحجب السبعة المذكورة التى هى روحانيتك ومراتب كمالك وارض شهادتك التى هى بدنك (الرحمن على العرش استوى) اى ربك الجليل المحتجب بحجب المخلوقات لجلاله هو الجميل المتجلى بجمال رحمته على الكل اذ لا يخلو شئ من الرحمة الرحمانية والا لم يوجد ولهذا اختص الرحمن به دون الرحيم لامتناع عموم الفيض للكل الا منه فكما استوى على عرش وجود الكل بظهور الصفة الرحمانية فيه وظهور

السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض واذا ابغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول انى ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضاء فى الارض قال هرم ابن حيان ما اقبل عبد بقلبه الى الله عزوجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب فى التوراة لا محبة لاحد فى الارض حتى يكون ابتداؤها من الله عزوجل ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك فى القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا * قوله تعالى (فانما يسرناه) اى سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعنى المؤمنين (وتنذر به) اى بالقرآن (قوما لدا) اى شدادا فى الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذى لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعى الباطل (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وايقنوا انه لابد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة فى الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصى اقرب ثم اكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) اى هل ترى وقيل هل تجد منهم اى من القرون (من احد او تسمع لهم ركزا) اى صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة طه

وهى مكية وهى مائة واربعة وقيل خمس وثلاثون آية والف وستمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التى فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة النافلة الزيادة وفق الله لفهم ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل (طه) قيل هو قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من اسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يا رجل والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طا الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فأنزل الله تعالى هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما انزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتعنى وتتعب (الا تذكرة لمن يخشى) اى لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) اى من الله الذى خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى لا يقدر على خلقها فى عظمها وعلوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه

اثرها اى الفيض العام منه الى جميع الموجودات فكذا استوى على عرش قلبك بظهور جميع صفاته فيه ووصول اثرها منه الى جميع الخلائق فصرت رحمة للعالمين وصارت نبوتك عامة خاتمة فمعنى الاستواء ظهوره فيه سويا تاما اذ لا يطابق كلها مظهر غيره فلا يستوى ولا يستقيم الاعليه ولذلك لم يكن له عليه السلام ظل اذ لم يبق من ذاته مع صفاته بقية لم تحقق بالحق بالبقاء بعد الفناء التام (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) بيان لشمول قهره وملكته للكل اى كلها تحت ملكته وقهره وسلطته وتأثيره لا توجد ولا تتحرك ولا تسكن ولا تتغير ولا تثبت الا بامره وكذلك فنيت بالكلية مقهورة بوحدانيته وفناء قهاريته لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش ولا تمشى الا به وبامره (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى) بيان لكمال لطفه اى علمه نافذ فى الكل بعلم ظواهرها وبواطنها والسر وسر السر فكذلك ان تجهر وان تخفت فيعلمه بجهر وبخفت ولما

في سورة الاعراف مستوفى (له مافي السموات ومافي الارض وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الثرى) اى انه مالك لجميع مافي الاربعة الاقسام والثرى هو التراب الندى وقيل معناه ماوراء الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر النور والثور على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست * قوله تعالى (وان تجهر بالقول) اى تعلن به (فانه يعلم السر واخفى) قال ابن عباس السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه ان السر ما اسر به ابن آدم في نفسه واخفى ما هو فاعله قبل ان يعلمه وقيل السر ما اسره الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسره في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس واخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى اسرار العباد واخفى هو سره من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت او باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت او باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر والاخفاء على ما فيه ثواب او عقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة * ثم وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذي فضلت به اسماؤه في الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن * قوله عز وجل (وهل اتاك حديث موسى) اى وقد اتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته واخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت ايام الشتاء فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل في شهرها لا يدرى ليلا تضع ام نهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فألجأ المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) اى اقيموا (انى آنست نارا) اى ابصرت نارا (لعلى آتيكم منها بقبس) اى شعلة من نار في طرف عود (او اجد على النار هدى) اى اجد عند النار من يدلني على الطريق (فلما اتاها) اى اتى النار رأى شجرة خضراء من اعلاها الى اسفلها اطافت بها نار بيضاء تتقد كأضوأ ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة سمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال اهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من

ولما كانت الصفات المذكورة هي الامهات التي لا صفة الا تحت شمولها ولا اسم الا كان مندرجا في هذه الاسماء المذكورة ولم تتكثر الذات بها قال (الله) اى ذلك المنزل الموصوف بهذه الصفات هو الله (لا اله الا هو) لم تتكثر ذاته الاحدية وحقيقة هويتها ولم يتعدد فهو هو في الابد كما كان في الازل لا هو الا هو ولا موجود سواه باعتبار واحديته ومصدريته لما ذكر (له الاسماء الحسنى) التي هي ذاته مع اعتبار تعينات الصفات (وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا) هي روح القدس التي ينقدح منها النور في النفوس الانسانية رآها باكتحال عين بصيرته بنور الهداية (فقال لاهله) القوى النفسانية (امكثوا) اسكنوا ولا تتحركوا اذ السير انما يصير الى العالم القدسي ويتصل به عند هدء القوى البشرية من الحواس الظاهرة والباطنة الشاغلة لها (انى آنست نارا) اى رأيت نارا (لعلى آتيكم منها بقبس) اى هيئة نورية اتصالية ينتفع بها كالحكم

نورالرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ماروى عن ابى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لوكشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم قيل ان موسى اخذ شيأ من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة فعند ذلك ﴿ نودى ياموسى انى انا ربك ﴾ قال وهب نودى من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا ومايدرى من دعاه فقال انى اسمع صوتك ولا ارى مكانك فأين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لاينبغى الالله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل اجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا ❁ وقوله ﴿ فاخلع نعليك ﴾ كان السبب فيه ماروى عن ابن مسعود مرفوعا فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وانما امر بخلعهما صيانة للوادى المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من وراء الوادى ﴿ انك بالواد المقدس ﴾ اى المطهر ﴿ طوى ﴾ اسم للوادى الذى حصل فيه وقيل طوى وادمستدير عميق مثل المطوى فى استدارته ﴿ وانا اخترتك ﴾ اصطفيتك برسالاتى وبكلامى ﴿ فاستمع لمايوحى ﴾ فيه نهاية الهيبة والجلال له كانه قال له لقد جاءك امر عظيم فتأهب له ﴿ اننى انا الله لااله الا انا فاعبدنى ﴾ ولاتعبد غيرى ﴿ واقم الصلاة لذكرى ﴾ اى لتذكرنى فيها وقيل لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى وقيل لاخلاص ذكرى وطلب وجهى ولا ترائى فيها ولاتقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها (ق) عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة واقم الصلوة لذكرى وفى رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة اوغفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عزوجل يقول واقم الصلوة لذكرى ﴿ ان الساعة آتية اكاد اخفيها ﴾ قال اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها من نفسى فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا فى الكتمان للشئ يقولون كتمت سرك فى نفسى اى اخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لايخفى عليه شئ والمعنى فى اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء اجله اشتغل بالمعاصى الى ان يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى اويتوب منها فى كل وقت مخافة معاجلة الاجل ❁ قوله تعالى ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ اى بما تعمل من خير وشر ﴿ فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها ﴾ اى فلايصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لايؤمن بها ﴿ واتبع هواه ﴾ اى مراده وخالف امرالله ﴿ فتردى ﴾ اى فتهلك ❁ قوله عزوجل ﴿ وماتلك بيمينك ياموسى ﴾ سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة ﴿ قال هى عصاى ﴾ قيل كان لها

فيه نور وتصير ذاته فصلة ﴿ او اجد على النار هدى ﴾ من يهدينى بالعلم والمعرفة الموجب للهداية الى الحق اى اكتسب بالاتصال بها الهيئة النورية او الصور العلمية ﴿ فلما اتاها ﴾ اى اتصل بها ﴿ نودى ﴾ من وراء الحجب النورية التى هى سرادقات العزة والجلال المحتجبة بها الحضرة الالهية ﴿ ياموسى انى انا ربك ﴾ محتجبا بالصورة النارية التى هى احد استار جلالى متجليا فيها ﴿ فاخلع نعليك ﴾ اى نفسك وبدنك او الكونين لانه اذا تجرد عنهما فقد تجرد عن الكونين اى كما تجردت بروحك وسرك عن صفاتهما وهيئاتهما حتى اتصلت بروح القدس تجرد بقلبك وصدرك عنهما بقطع العلاقة الكلية ومحو الآثار والفناء عن الصفات والافعال وانما سماهما نعلين ولم يسمهما ثوبين لانه لولم يتجرد عن ملابسهما لم يتصل بعالم القدس والحال حال الاتصال وانما امره بالانقطاع اليه بالكلية كما قال وتبتل اليه تبتيلا فكأنه بقيت علاقته معهما والتعلق بهما يسوّغ قدمه التى هى الجهة السفلية من القلب

شعبتان وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (اتوكأ عليها) اى اعتمد عليها اذامشيت واذا عييت وعند الوثبة (واهش بها على غنمى) اى اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولى فيها مآرب اخرى) اى حاجة ومنافع اخرى واراد بالمآرب ماكان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقى بها الماء الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له مايأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر واذا اراد الاستقاء من البئر ادلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كدلو حتى يستقى وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهرله عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (القها يا موسى) اى انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها (فالقاها) اى فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هى حية) صفراء من اعظم مايكون من الحيات (تسعى) اى تمشى بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كانها جان وهى الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر كانها ثعبان وهو اكبر مايكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من اعظم مايكون من الحيات وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى يا موسى اقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) اى بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف مالقى آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمانينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها (سنعيدها سيرتها الاولى) اى الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قدخللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله تعالى ان يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك ارايت لو امر الله بما تحاذره اكانت المدرعة تغنى عنك شيأ قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هى عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذى كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون اراد الله تعالى ان يرى موسى ما اعطاه من الآية التى لايقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون * قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) اى الى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) اى نيرة مشرقة (من غير سوء) اى من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية اخرى) اى لادلة اخرى على صدقك

المسماة بالصدر فهما بعد التوجه الروحى والسرى نحو القدس فامره بالقطع عنهما في مقام الروح ولهذا علل وجوب الخلع بقوله (انك بالواد المقدس طوى) اى عالم الروح المنزه عن آثار التعلق وهيئات اللواحق والعلائق المادية المسمى طوى لطى اطوار الملكوت واجرام السموات والارضين تحته ولقد صدق من قال امر بخلعهما لكونهما من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل لما نودى وسوس اليه الشيطان انك تنادى من شيطان فقال افرق به انى اسمع من جميع الجهات الست بجميع اعضائى ولا يكون ذلك الابتداء الرحمن (وانا اخترتك فاستمع لما يوحى) هذا وعد بالاصطفاء الذى كان بعد التجلى التام الذاتى الذى الذى جعل جبل وجوده دكا بالفناء فيه بالاندكاك وخروره صعقا عند افاقته بالوجود الحقانى كما قال تعالى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى وهذا التجلى هو تجلى

سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى اكبر آياته * قوله عزوجل (اذهب الى فرعون انه طغى) اى جاوز الحد فى العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدى وبصرى وانى البستك جلة من سلطانى تستكمل بها القوة فى امرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وامن مكرى حتى جحد حقى وانكر ربوبيتى وانى اقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يتنفس الا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له اجب ربك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لى صدرى) اى وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسر لى امرى) اى سهل على ما امرتنى به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية ان هذا عدوى واراد ان يقتله فقالت له آسية انه صبى لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ فى حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية ايها الملك انه صبى لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين فى احدهما جمر وفى الآخر جوهر فوضعهما بين يدى موسى فاراد ان يأخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها فى فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا قولى) اى احلل العقدة كى يفهموا قولى (واجعل لى وزيرا من اهلى) اى معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون اخى) وكان هرون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم وكان ابيض اللون وكان موسى آدم اقنى جعدا (اشدد به ازرى) اى قو به ظهرى (واشركه فى امرى) اى فى امر النبوة وتبليغ الرسالة (كى نسبحك كثيرا) اى نصلى لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) اى نحمدك ونثنى عليك بما اوليتنا من جليل نعمك (انك كنت بنا بصيرا) اى خبيرا عليما (قال) الله تعالى (قد اوتيت سؤلك يا موسى) اى اعطيت جميع ما سألته (ولقد مننا عليك مرة اخرى) اى قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى (اذ اوحينا الى امك ما يوحى) اى ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (ان اقذفيه فى التابوت) اى الهمناها ان اجعليه فى التابوت (فاقذفيه فى اليم) يعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعنى شاطئ البحر (يأخذه عدو لى وعدو له) يعنى فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وشقوقه ثم القته فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يجئ به

الصفات قبل تجلى الذات ولهذا ارسله ولم يسبقه بالوحى هنا وامره بالرياضة والحضور والمراقبة ووعده وقوع القيامة الكبرى عن قريب فهذا الاختيار قريب من الاجتباء الاصلى المشار اليه بقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى متوسط بينه وبين الاصطفاء وكرر (انى انا الله) بالتأكيد وتبديل الرب بالله لئلا يقف مع الصفات فى الحضرة الاسمائية فيحتجب عن الذات اذ الرب هو الاسم الذى تجلى له اذ ارباه عند طلب الهداية والقبس الا بذلك الاسم العليم الهادى الذى هو جبريل اى اى الواحد الموصوف بجميع الصفات (لا اله الا انا) لم انكثر ولم يتعدد انانيتى واحديتى بكثرة المظاهر وتعدد الصفات (فاعبدنى) خصص عبادتك بذاتى دون اسمائى وصفاتى بالعبادة الذاتية وتهيئة استعداد فناء الآنية فى حقيقتى والتسبيح المطلق الذاتى (واقم الصلوة لذكرى) اى صلاة الشهود الروحى لذكر ذاتى فوق صلاة الحضور القلبى لذكر صفاتى (ان الساعة) القيامة

الماء فامر الغلمان والجوارى باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبى من احسن الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى ﴿ والقيت عليك محبة منى ﴾ قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه احد الا احبه لملاحة كانت فى عينى موسى ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه ﴿ اذ تمشى اختك ﴾ واسمها مريم متعرفة خبره ﴿ فتقول هل ادلكم على من يكفله ﴾ اى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى ﴿ فرجعناك الى امك كى تقر عينها ﴾ اى بلقائك ورؤيتك ﴿ ولا تحزن ﴾ اى وليذهب عنها الحزن ﴿ وقتلت نفسا ﴾ قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ اى من غم القتل وكربه ﴿ وفتناك فتونا ﴾ قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها اولها ان امه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدى امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا ﴿ فلبثت ﴾ اى مكثت ﴿ سنين فى اهل مدين ﴾ هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها رعى الغنم مهر زوجته صفوراء بنت شعيب وثمان عشرة سنة اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا ﴿ ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ اى جئت على القدر الذى قدرت ان تجيء فيه قيل على رأس اربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبياء فيه ﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾ اى اخترتك واصطفيتك لوحيى ورسالتى لتتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى الذى اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم ﴿ اذهب انت واخوك بآياتى ﴾ اى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام ﴿ ولا تنيا ﴾ اى لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا ﴿ فى ذكرى ﴾ اى لا تقصرا فى ذكرى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها ﴿ اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا ﴾ اى دارياه وارفقا به قال ابن عباس لا تعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولا له يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل اراد بالقول اللين قوله هل لك الى ان تزكى الآية وقيل انما امرهما بالملاطفة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم اخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى ان لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رايه وكان هرون بمصر فامر الله موسى ان يأتى هرون واوحى الله الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحى اليه * وقوله تعالى ﴿ لعله يتذكر او يخشى ﴾ اى يتعظ او يخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر

الكبرى بالفناء المحض فى عين الاحدية ﴿ آتية اكاد اخفيها ﴾ باحتجابى بالصفات لتنفصل المراتب وتظهر النفوس والاعمال ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ بحسب سعيها من الخير والشر ويتميز الكمال والنقصان والسعادة والشقاوة فلا اظهرها الا لافراد خواصى واحدا بعد واحد لانى ان اظهرتها ظهر فناء الكل فلا نفس ولا عمل ولا جزاء ولا غير ذلك ﴿ فلا يصدنك عنها ﴾ فتبقى فى حجاب الصفات ﴿ من لا يؤمن بها ﴾ لقصور استعداده فيقف فى بعض المراتب محجوبا اما بالصفات او الافعال والآثار او الانداد اى الشرك الخفى والجلى ﴿ واتبع هواه فتردى ﴾ فى مقام النفس او القلب فان الهوى باق ببقاء الانائية فتهلك انت كما هلك من صدك ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ اشارة الى نفسه اى التى هى فى يد عقله اذ العقل يمين يأخذ به الانسان العطاء من الله ويضبط به نفسه ﴿ قال هى عصاى أتوكأ عليها ﴾ اى اعتمد فى عالم الشهادة وكسب الكمال والسير

وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر اويخشى خاش اذا رأى برّى والطافى بمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين الجاه الغرق وقرأ رجل عند يحيي بن معاذ الرازى فقولا له قولا لينا الآية فبكى يحيي وقال الهى هذا رفقك بمن يقول انا لا اله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله ﴿ قالا ﴾ يعنى موسى وهرون ﴿ ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ﴾ قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة ﴿ او ان يطغى ﴾ اى يجاوز الحد فى الاساءة الينا ﴿ قال ﴾ الله تعالى ﴿ لاتخافا اننى معكما اسمع وارى ﴾ قال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿ فأتياه فقولا انا رسولا ربك ﴾ اى ارسلنا اليك ربك ﴿ فأرسل معنا بنى اسرائيل ﴾ اى خل عنهم واطلقهم من اعمالك ﴿ ولا تعذبهم ﴾ اى لاتتعبهم فى العمل وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ قال فرعون وماهى فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ ليس المراد منه سلام التحية بل انما معناه سلم من العذاب من اسلم ﴿ انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ﴾ اى انما يعذب الله من كذب بما جئنا به واعرض عنه ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ فمن ربكما ياموسى ﴾ اى فمن الهكما الذى ارسلكما ﴿ قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ اى كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى كل شئ صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شئ صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المراة والبعير الناقة والفرس الرمكة وهى الحجرة والحمار الاتان ثم هدى الهمه كيف ياتى الذكر الانثى ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ فما بال القرون الاولى ﴾ اى ما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى ﴿ قال ﴾ يعنى موسى ﴿ علمها عند ربى ﴾ اى اعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه ﴿ فى كتاب ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿ لايضل ربى ﴾ اى لايخطئ وقيل لايغيب عنه شئ ﴿ ولا ينسى ﴾ اى فيتذكر وقيل لاينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها ﴿ الذى جعل لكم الارض مهادا ﴾ اى فراشا وقيل مهدها لكم ﴿ وسلك لكم فيها سبلا ﴾ اى ادخل فى الارض لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها ﴿ وانزل من السماء ماء ﴾ يعنى المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى ﴿ فاخرجنا به ﴾ اى بذلك الماء ﴿ ازواجا ﴾ اى اصنافا ﴿ من نبات شتى ﴾ اى مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ماهو للناس ومنها ماهو للدواب ﴿ كلوا وارعوا انعامكم ﴾ اى اخرجنا

الى الله والتحاق باحسانه عليها اى لا يمكن هذه الامور الا بها ﴿ واهش بها على غنمى ﴾ اى اخبط اوراق العلوم النافعة والحكم العلمية من شجرة الروح بحركة الفكر بها على غنم القوى الحيوانية ﴿ ولى فيها مآرب اخرى ﴾ من كسب المقامات وطلب الاحوال والمواهب والتجليات وانما سأله تعالى لازالة الهيبة الحاصلة له بتجلى العظمة عنه وتبديلها بالامن وانما اراد الجواب على السؤال لشدة شغفه بالمكالمة واستدامة ذوق الاستئناس ﴿ قال القها ياموسى ﴾ اى خلها عن ضبط العقل ﴿ فالقاها ﴾ اى خلاها وشأنها مرسلة احتطها من انوار تجليات صفات القهر الالهى ﴿ فاذا هى حية تسعى ﴾ اى ثعبان يتحرك من شدة الغضب وكانت نفسه عليه السلام قوية الغضب شديدة الحدة فلما بلغ مقام تجليات الصفات كان من ضرورة الاستعداد حظه من التجلى القهرى اوفر كما ذكر فى الكهف فبدل غضبه عند فنائه فى الصفات بالغضب الالهى والقهر الربانى فصور ثعبانا يتلقف مايجد ﴿ قال

اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعى (ان فى ذلك) اى الذى ذكر (لآيات لاولى النهى) اى لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) اى من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذى يدفن فيه فيذره فى النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) اى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة اخرى) اى يوم القيامة للبعث والحساب * قوله تعالى (ولقد اريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الآيات التسع التى اعطاها الله موسى (فكذب وابى) يعنى فرعون وزعم انها سحر وابى ان يسلم (قال) يعنى فرعون (اجئتنا لتخرجنا من ارضنا) يعنى مصر (بسحرك ياموسى) تريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) اى اضرب اجلا وميقاتا (لا نخلفه) لا نجاوزه (نحن ولا انت مكانا سوى) اى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوى مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعنى موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيدلهم يتزينون فيه ويجتمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) اى وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة (فتولى فرعون فجمع) يعنى فرعون (كيده) يعنى مكره وسحره وحيله (ثم اتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعنى للسحرة التى جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثنى عشر الفا (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) اى فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) اى خسر من ادعى مع الله الها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى * قوله تعالى (فتنازعوا امرهم بينهم) اى تناظروا وتشاوروا يعنى السحرة فى امر موسى سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ماهذا بقول ساحر (واسروا النجوى) اى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) يعنى من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى وهم بنواسرائيل يعنى يريد ان ان يذهبابهم لانفسهما وقيل معنا يذهبا بسنتكم وبدينكم الذى انتم عليه (فاجمعوا كيدكم) اى لاتدعوا شيأ من كيدكم الاجئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم (ثم ائتوا صفا) اى جمعا مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود به (وقد افلح اليوم من استعلى) اى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة (ياموسى اما ان تلقى) اى عصاك (واما ان نكون اول من القى) اى عصينا (قال) يعنى موسى (بل القوا) يعنى انتم اولا (فاذا حبالهم) فيه اضمار اى فالقوا فاذا حبالهم (وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) قيل انهم لما القوا الحبال والعصى اخذوا اعين الناس فراى موسى كان الارض امتلأت حيات وكانت قد اخذت ميلا فى ميل من كل جانب ورآها كانها تسعى (فاوجس) اضمر وقيل وجد (فى نفسه خيفة موسى)

خذها) اى اضبطها بعقلك كما كانت (ولاتخف) من استيلائها عليك وظهورها فيكون ذنب حالك بالتلوين فان غضبك قدفنى فيكون متحركا بامرى وليس هو مستورا بنور القلب فى مقام النفس حتى يظهر بعد خفائه (سنعيدها سيرتها الاولى) اى ميتة فانية صائرة الى رتبة القوة النباتية التى لاشعور لها ولا داعية ولاماتته عليه السلام اياها فى تربية شعيب صلوات الله عليه وجعله اياها كالقوى النباتية سميت عصا ولهذا قيل وهبها له شعيب عليه السلام (واضمم يدك الى جناحك) اى اضمم عقلك الى جانب روحك الذى هو جناحك الايمن لتتنور بنور الهداية الحقانية فان العقل بموافقة النفس وانضمامه اليها والى جانبها الذى هو الجناح الايسر لتدبير المعاش يتكدر ويختلط بالوهم فيصير كدرا جاسيا لايتنور ولا يقبل المواهب الربانية والحقائق الالهية فأمر بضمه الى جانب الروح ليتصفى ويقبل نور القدس (تخرج بيضاء) منورة بنور الهداية الحقانية وشعاع النور القدسى (من غير

قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا فى امره فلا يتبعوه ﴿ قلنا لا تخف ﴾ اى قال الله تعالى لموسى لا تخف ﴿ انك انت الاعلى ﴾ اى الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر ﴿ والق ما فى يمينك ﴾ اى عصاك والمعنى لا يخيفنك كثرة حبالهم وعصيهم فان فى يمينك شيأ اعظم منها كلها ﴿ تلقف ﴾ اى تلتقم وتبتلع ﴿ ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ﴾ اى حيلة ساحر ﴿ ولا يفلح الساحر حيث اتى ﴾ اى من الارض وقال ابن عباس لايسعد حيث كان ﴿ فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى ﴾ قال صاحب الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقاء ين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا اراهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون ﴿ آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم ﴾ اى لرئيسكم وعظيمكم يعنى انه اسحركم واعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم ﴿ الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ﴾ اى اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ ولا صلبنكم فى جذوع النخل ﴾ اى على جذوع النخل ﴿ ولتعلمن اينا اشد عذابا ﴾ اى على ايمانكم به انا اورب موسى على ترك الايمان به ﴿ وابقى ﴾ اى ادوم ﴿ قالوا ﴾ يعنى السحرة ﴿ لن نؤثرك ﴾ اى ان نختارك ﴿ على ماجاءنا من البينات ﴾ يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لوكان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا راوا الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات ﴿ والذى فطرنا ﴾ قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذى فطرنا ﴿ فاقض ما انت قاض ﴾ اى فاصنع ما انت صانع ﴿ انما تقضى هذه الحيوة الدنيا ﴾ اى انما امرك وسلطانك فى الدنيا وسيزول عن قريب ﴿ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر ﴾ فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون اكرههم فى الابتداء على تعلمهم السحر لكى لايذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون اكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون ارنا موسى اذا هو نائم فاراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم فاكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر ﴿ والله خير وابقى ﴾ اى خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك ان اطيع وابقى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك ﴿ فان له جهنم لايموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيى ﴾ حياة ينتفع بها ﴿ ومن يأته مؤمنا ﴾ اى من مات على الايمان ﴿ قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ اى الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله ﴿ جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ اى تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله

سوء ﴾ اى آفة ونقص ومرض من شوب الوهم والخيال ﴿ آية اخرى ﴾ صفة منضمة الى الصفة الاولى ﴿ لنريك من آياتنا ﴾ من آيات تجليات صفاتنا الآية ﴿ الكبرى ﴾ التى هى الفناء فى الوحدة اى لتكون بصيرتك فى مقام تجليات الصفات فنريك من طريقها وجهتها ذاتنا عند التجلى الذاتى فتبصرنا بنا فى القيامة الكبرى ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ بظهور الانانية فاحتجب بها فتعدى عن حد العبودية وذلك يدل على ان النبوة والرسالة غير موقوفة على الفناء الذاتى لان الدخول فى الاربعينية التى تجلى فيها له بالذات كان بعد هلاك فرعون وهذه الرسالة والدعوة انما كانت فى مقام تجلى الصفات ويقوى هذا ماقلنا مرارا ان اكثر سير النبى صلى الله عليه وسلم كان بعد النبوة والوحى والاهتداء بالتنزيل ﴿ قال رب اشرح لى صدرى ﴾ بنور اليقين والتمكين فى مقام تجلى الصفات لئلا يضيق بايذائهم ولا اتاذى ولا تتألم نفسى بطعنهم وسفاهتهم فكيف اتكلم بكلامك معهم اسمع

صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى افق السماء وان ابابكر وعمر منهم وانعما اخرجه الترمذى قوله وانعما يقال احسن فلان الى فلان وانعم اى افضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهما منهم وزاد اوتناهيا الى غايته ❁ قوله تعالى (ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى اى اسر بهم ليلا من ارض مصر (فاضرب لهم طريقا) اى اجعل لهم طريقا (فى البحر) بالضرب بالعصا (يبسا) اى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايبس لهم الطريق فى البحر (لاتخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان يغرقك البحر امامك (فاتبعهم) اى فلحقهم (فرعون بجنوده فغشيهم) اى اصابهم (من اليم ماغشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم مالم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (واضل فرعون قومه وماهدى) اى وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ❁ قوله عزوجل (يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكرهم الله انعمه فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها افاض الله عليهم من سائر نعمه وارزاقه (كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لاتظلموا وقيل لاتكفروا النعمة وتكونوا طاغين وقيل لاتنفقوا بنعمتى على المعاصى وقيل لاتدخروا (فيحل عليكم غضبى) اى يجب عليكم غضبى (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) اى هلك وسقط فى النار (وانى لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) اى وحد الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) اى ادى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة ❁ قوله عزوجل (وما اعجلك) اى وما حملك على العجلة (عن قومك ياموسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما اعجلك عن قومك ياموسى فاجاب ربه (فقال هم اولاء على اثرى) اى هم بالقرب منى يأتون على اثرى من بعدى فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم اولاء على اثرى قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم اعقبه بجواب السؤال فقال (وعجلت اليك رب لترضى) اى لتزداد رضا (قال فانا قد فتنا قومك) ان فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثنى عشر الفا (من بعدك) اى من بعد انطلاقك الى الجبل (واضلهم السامرى) اى دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما اضاف الضلال الى السامرى لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت تضاف الى منشئها فى الظاهر وان كان الموجد لها فى الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا واضلهم السامرى قيل كان السامرى من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها

يسمعك كلامهم واجده كلامك وارى ببصرك ايذاءهم واجده فعلك فلا ارى ولا اسمع مايقابلونى به الا منك فاصبر على بلائك بك ولا تظهر نفسى برؤيتها منهم فتحتجب بصفاتها وصفاتهم عن صفاتك (ويسر لى امرى) اى امر الدعوة بتوفيقهم لقبول دينك وامدادى على المعاندين من نصرك وتأييد قدسك (واحلل عقدة من لسانى) من عقد العقل والفكر المانعين عن اطلاق لسانى بكلامك والجراءة والشجاعة على تصريح الكلام فى تبليغ رسالتك واعلاء كلمتك واظهار دينك على دينهم بالحجة والبينة فى مقابلة حجتهم وفرعهم رعاية لمصلحة خوف السطوة (يفقهوا قولى) لتاييدك قلوبهم والخشوع والخشية فيها وتأييدك اياى من عالم القدس والايد وباقى القصة لاتقبل التأويل فان اردت التطبيق فاعلم ان موسى القلب يسأل الله تعالى بلسان الحال ان يجعل هرون العقل الذى هو أخوه الاكبر من أبيه روح القدس له وزيرا يتقوى به ويستوزره

السامرة وقيل كان من القبط وكان جار موسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر ﴿ فرجع موسى الى قومه غضبان ﴾ اى حزينا جزعا ﴿ قال ياقوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ﴾ اى صدقا انه يعطيكم التوراة ﴿ افطال عليكم العهد ﴾ اى مدة مفارقتى اياكم ﴿ ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ﴾ اى اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه ﴿ فاخلفتم موعدى ﴾ يعنى ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع ﴿ قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ﴾ اى بملك امرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع فى الفتنة لم يملك نفسه ﴿ ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم ﴾ اى حملنا مع انفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الآثام اى حملنا آثاما وذلك ان بنى اسرائيل استعاروا الحليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فاخذها بنو اسرائيل وكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم ﴿ فقذفناها ﴾ اى القيناها قيل ان السامرى قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون امرهم بذلك ففعلوا ﴿ فكذلك التى السامرى ﴾ اى ما كان معه من الحلى فيها قال ابن عباس اوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هرون مر على السامرى وهو يصوغ العجل فقال له ماهذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال هرون اللهم اعطه ما سالك على ما فى نفسه فالقى السامرى ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل فى فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى ﴿ فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار ﴾ اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامرى صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثانى انه صار حيا وخار كما يخور العجل ﴿ فقالوا هذا الهكم واله موسى ﴾ يعنى قال ذلك السامرى ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيأ قط مثله ﴿ فنسى ﴾ قيل هو اخبار عن قول السامرى اى ان موسى نسى الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه فى طريق آخر فاخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكانه اخبر عن السامرى انه نسى الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذى يجب الاستدلال به فقال ﴿ افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ﴾ اى ان العجل لا يردلهم جوابا اذا دعوه ﴿ ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ﴾ هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل * قوله عز وجل ﴿ ولقد قال لهم هرون من قبل ﴾ اى من قبل رجوع موسى ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ اى ابتليتم بالعجل ﴿ وان ربكم الرحمن فاتبعونى ﴾ على دينى فى عبادة الله ﴿ واطيعوا امرى ﴾ اى فى ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة

فى اموره ويعتضد رايه مشاركا ومعاونا له فى آكتساب كمالاته معللا طلبه بقوله ﴿ واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك ﴾ اى بالتجريد عن صفات النفس وهيآتها ﴿ كثيرا ونذكرك ﴾ باكتساب المعارف والحقائق والحضور فى المكاشفات وسقام تجليات الصفات ﴿ كثيرا انك كنت بنا ﴾ اى باستعدادنا للقبول الكمال واهليتنا له ﴿ بصيرا ﴾ فأعنا واجعلنا متعاونين على ماترى منا ونريد ﴿ قال قد اوتيت ﴾ اعطيت ﴿ سؤلك ياموسى ﴾ ووفقت لتحصيل مطلوبك ﴿ ولقد مننا عليك مرة اخرى ﴾ قبل ارادتك وطلبك بمحض عنايتنا ﴿ اذ اوحينا الى امك ﴾ النفس الحيوانية ﴿ ما يوحى ﴾ اى اشرنا اليها ﴿ ان اقذفيه فى التابوت ﴾ فى التابوت البدن او الطبيعة الجسمانية ﴿ فاقذفيه فى اليم ﴾ فى يم الطبيعة الهيولانية ﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ عند ظهور نور التميز والرشد بساحل النجاة ﴿ يأخذه عدو لى وعدوله ﴾ النفس الامارة الجبارة الفرعونية ﴿ والقيت

بقوله

بقوله فاتبعونى ثم دعاهم الى الشرائع بقوله واطيعوا امرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه لابد من اماطة الاذى عن الطريق وهى ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هى الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود (قالوا لن نبرح) اى لن نزال (عليه) اى على عبادة العجل (عاكفين) اى مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كانهم قالوا لن نقبل حجتك ولانقبل الاقول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و (قال) له (ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) اى اشركوا (الا تتبعن) اى تتبع امرى ووصيتى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لوكنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه مامنعك من اللحوق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم زجرالهم عما اتوه (افعصيت امرى) اى خالفت امرى (قال يابن ام لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى) اى بشعر رأسى وكان قداخذ بذؤابتيه (انى خشيت ان تقول) اى لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بنى اسرائيل) اى خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا فيتقاتلون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) اى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) اى فما امرك وشأنك وما الذى حملك على ماصنعت (ياسامرى قال) يعنى السامرى (بصرت بمالم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول) اى من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) اى فقذفتها فى فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعته فى كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لماقضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لمانزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من اصل تربة اثر موطئه فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من اثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها فى عمامته لمايريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سولت) اى زينت (لى نفسى) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعنى الى فعله غيرى واتبعت فيه هواى (قال) يعنى موسى للسامرى (فاذهب فان لك فى الحيوة) اى مادمت حيا (ان تقول لامساس) اى لاتخالط احدا ولايخالطك احد فعوقب فى الدنيا بعقوبة ولاشئ اوحش منها ولااعظم وذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان لايخالطوه ولايقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضى الله عنهما لامساس لك ولولدك فصار السامرى يهيم فى البرية مع الوحش والسباع لايمس احدا ولايمسه احد وقيل كان اذامس احدا اومسه احدحما جميعا فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) اى ياسامرى (موعدا) اى بعذابك فى الآخرة (لن تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك

عليك محبة منى) اى احببتك وجعلتك محبوبا الى القلوب والى كل شئ حتى النفس الامارة والقوى ومن احببته يحبه كل شئ (ولتصنع على عينى) وتربى على كلائتى وحفظى فعلت ذلك (اذ تمشى اختك) العاقلة العملية عند ظهورها وحركتها (فتقول) للنفس الامارة والقوى المنعطفة عليه (هل ادلكم) بالآداب الحسنة والاخلاق الجميلة على أهل بيت من النفس اللوامة وقواها الجزئية بفوات قرة عينها (على من يكفله) لكم بالتربية بالفكر والارضاع بلبان الحكمة العملية والعلوم النافعة وهم له ناصحون معاونون على كسب الكمال مرشدون الى اعمال الصالحة معدون للترقى الى المرتبة الرفيعة (فرجعناك الى امك) المشفقة عليك التى هى النفس اللوامة اللائمة نفسها بتضييع قرة عينها ليحصل اطمئنانها بنور اليقين وتتهذب بالحكمة العملية وترضع منها اللبن المذكور وتتربى فى حجر تربيتها بالمدركات الجزئية والآلات البدنية والاعمال

عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح اى لن تعذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهك) اى الذى تزعم (الذى ظلت عليه عاكفا) اى دمت عليه مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه) اى لنذرينه (فى اليم) اى فى البحر (نسفا) روى ان موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه فى النار ثم ذراه فى البحر وقيل معناه لنحرقنه اى لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها فى البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ماذهب اليه السامرى رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبنى اسرائيل (انما الهكم الله) اى المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) اى وسع علمه كل شئ وقيل يعلم من يعبده * قوله عزوجل (كذلك نقص عليك من انباء) يعنى من اخبار (ماقدسبق) يعنى الامم الخالية وقيل ماسبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من اعرض عنه) اى عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بمافيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) اى حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) اى مقيمين فى عذاب الوزر (وساءلهم يوم القيامة حملا) اى بئس ماحملوا انفسهم من الاثم (يوم ينفخ فى الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر والمراد بهذه النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) اى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) اى يتشاورون (بينهم) و يتكلمون خفية (ان لبثتم) اى مكثتم فى الدنيا (الا عشرا) اى عشر ليال وقيل فى القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ماعاينوا فقال الله تعالى (نحن اعلم بمايقولون) اى يتشاورون فيما بينهم (اذيقول امثلهم طريقة) اى اوفاهم عقلا واعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) قصر ذلك فى اعينهم فى جنب مااستقبلهم من اهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة مادهمهم * قوله عزوجل (ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع اى يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) اى يدع اماكن الجبال من الارض (قاعا صفصفا) اى ارضا ملساء مستوية لانبات فيها (لاترى فيها عوجا ولا امتا) اى لا انخفاضا ولا ارتفاعا اى لاترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعى) اى صوت الداعى يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور فى فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لاعوج له) اى لاعوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحمن) اى سكنت وذلت وخضعت وضعفت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع (فلا تسمع الاهمسا) وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (يومئذ لا تنفع الشفاعة)

الزكية (كى تقر عينها) اى تنور بنورك (ولاتحزن) على فوات قرة عينها ونقصها (وقتلت نفسا) اى الصورة الغضبية المسولة لك بالرياضة والامانة (فنجيناك من الغم) من غم استيلاء النفس الامارة واهلاكها اياك (وفتناك فتونا) ضروبا من الفتن بظهور النفس وصفاتها والرياضة والمجاهدة فى دفعها وقمعها وامانتها وتزكيتها (فلبثت سنين فى اهل مدين) العلم من القوى الروحانية عند شعيب العقل الفعال (ثم جئت على قدر ياموسى) على حد من الكمال المقدر بحسب استعدادك اوعلى شئ مما قدرتك اى بعض ماقدر لك من الكمال التام الذى هو التجلى الذاتى الذى سيوهب لك بعد كمال الصفات (واصطنعتك لنفسى) اى استخلصتك لنفسى وجعلتك من جملة خواصى من بين اهل مدينة البدن ولمافيك من الخصال الشريفة والاهلية للاخلاق (اذهب انت واخوك بآياتى ولاتنيافى ذكرى) الى آخر القصة ان اريد تطبيقها قيل اذهب ياموسى القلب انت

لاحد من الناس (الا من اذن له الرحمن) اى الا من اذن له ان يشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهى لا تحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عندالله مرضيا (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعى اى يعلم الله ماقدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم ما بين ايديهم اى ايدى الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع الى ما اى هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اى ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) اى ذلت وخضعت فى ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه واراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لامن صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر * وقوله تعالى (للحى القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من اشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزاد على سيآته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها * قوله تعالى (وكذلك انزلناه) اى كما بينا فى هذه السورة اوهذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآنا عربيا) اى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) اى كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) اى يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات (او يحدث لهم ذكرا) اى انما انزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين مالا ينبغى ويحدث لهم القرآن ذكرا يرغبهم فى الطاعات وفعل ماينبغى وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الامم السالفة * قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) اى جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به منه (ولا تعجل بالقرآن) اراد النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريده من التلاوة مخافة الانفلات او النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تعجل بالقرآن اى ولا تعجل بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) اى من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لاتقرئه اصحابك ولاتمله عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدنى علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدنى علما الى ما علمت فان لك فى كل شئ علما وحكمة قيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدنى علما وايمانا ويقينا * قوله عزوجل (ولقد عهدنا الى آدم) يعنى امرناه واوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة (من قبل) اى من قبل هؤلاء الذين نقضوا

واخوك العقل بايانى حججى وبيناتى ولا تفترا (اذهبا الى فرعون انه طغى) النفس الامارة الطاغية المجاوزة حدها بالاستمتاع والاستيلاء على جميع القوى الروحانية (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر اويخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم) بالرفق والمداراة فى دعوتها الى الاستسلام لامر الحق والانقياد لحكم الشرع • لعلها تلين فتتعظ وتنقاد • ولما خافا طغيانها ونفرتها عنها لتعودها بالاستعلاء شجعهما الله بالتأييد والاعانة والمحافظة والكلاءة والاحاطة بما يقاسيانه ويكابدانه نهاوامرهما بتبليغ الرسالة فى تطويعها وتسخيرها والزامها الامتناع عن استعباد القوى الحيوانية والكف عن ان تسخيرها يرسلها معهما فى التوجه الى الحضرة الالهية واستفاضة الانوار الروحية القدسية والمعارف الحقيقية ولايعذبها فى تحصيل اللذات الحسية والزخارف

عهدى وتركوا الايمان بى وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى لعلهم يتقون (فنسى) اى فترك ماعهدنا اليه من الاحتراز عن اكل هذه الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان الذى هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) اى صبرا عما نهى عنه وحفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رايا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذى حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح اقرب * قوله عزوجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى) ان يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا) اى ابليس (عدولك ولزوجك) اى حواء وسبب العداوة ماراى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) اسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم مايترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاء فان قلت لم اسند الشقاء الى آدم دون حواء قلت فيه وجهان احدهما ان فى ضمن شقاء الرجل شقاء اهله كما ان فى سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثانى انه اريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعى على زوجته (ان لك الا تجوع فيها) اى فى الجنة (ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها) اى تعطش (ولا تضحى) اى تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه ليس فى الجنة شمس واهلها فى ظل ممدود والمعنى ان الشبع والرى والكسوة والكن هى الامور التى يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء فى الجنة وانه مكفى لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا (فوسوس اليه الشيطان) اى انهى اليه الوسوسة كاسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ماهى فقال (قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) اى على الشجرة التى ان اكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) اى لا يبيد ولا يفنى رغبة فى دوام الراحة فكان الشئ الذى رغب الله فيه آدم رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا الامر عرف انه لادافع لقضاء الله ولا مانع له منه * وقوله تعالى (فاكلا منها) يعنى اكل آدم وحواء من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) اى عريا من الثياب التى كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اى يلزقان بسوآتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) اى باكل الشجرة (فغوى) اى فعل مالم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل مانهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى آدم ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال له آدم انت ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط

الدنيوية (قد جئناك بآية من ربك) ببرهان دال على وجوب متابعتك ايانا (والسلام) اى السلامة من النقائص والنجاة من العلائق والفيض النورى من العالم الروحى (على من اتبع الهدى) البرهان وتمسك بالنور الالهى (انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى) فى جحيم الطبيعة وهاوية الهيولى على من خالفه واعرض عنه (قال فمن ربكما ياموسى) اشارة الى احتجاب النفس من جناب الرب (وقوله قال ربنا الذى اعطى) هدايه لها بالدليل وتبصيرا بالحجة اى اعطاه خلقا على وفق مصالح ذاته وآلات تناسب خواصه ومنافعه ومقاصده وهداه الى تحصيلها (كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى) اشارة الى احتجابها عن المعاد والاحوال الاخروية من السعادة والشقاوة وعن احاطة علم الله تعالى بها ولما كان الواجب الاول معرفة الله تعالى بصفاته وكانت معرفة المعاد موقوفة عليها اجاب باحاطة علمه بها وباحوالها

لك التوراة بيده اتلومنى على امر قدره الله تعالى على قبل ان يخلقنى باربعين عاما فحج آدم موسى وفى رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل تلومنى على ان عملت عملا كتب الله على ان اعمله قبل ان يخلقنى باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

الكلام على معنى الحديث وشرحه

قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اى جادلته فغلبته قال ابو سليمان الخطابى قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء فى هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقى عليهم من وراء علم الله فيهم افعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول فى هذا انهما امران لا ينفك احدهما عن الآخر لان احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى ان الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لنزوله الى الارض التى خلق لها وانما ادلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومنى على امر قدره الله على من قبل ان يخلقنى

فصل فى بيان عصمة الانبياء وما قيل فى ذلك

قال الامام فخر الدين الرازى اختلف الناس فى عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع اقسام اربعة احدها ما يقع فى باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثانى ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والا لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد واجازه بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع فى افعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكبائر الثانى قول من منع الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائى الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس فى وقت العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثانى قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول اكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابى الهذيل وابى على من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه

مع كثرتها وكون ذلك العلم مثبتا فى اللوح المحفوظ باقيا ازلا وابدا لا يجوز عليه الخطأ والنسيان (قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض) ايها القوى البدنية ارض البدن (مهدا وسلك لكم فيها سبلا) من الاعضاء والجوارح كالعين والاذن والانف وغيرها (وانزل من السماء ماء) من سماء الروح ماء الادراك والمدد الروحانى (فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى) اصنافا من الادراكات والافاعيل والخواص والهيئات والملكات المخصوصة بكل قوة منكم (كلوا) اغتذوا وتقووا بما يختص بكم من الاحوال والاخلاق والامداد والمواهب كالرضا والبصر وعلم الاسماء والخواص والاعداد وسائر الادراكات والارادات والمقامات (وارعوا انعامكم) القوى الحيوانية بما يختص بها من الاخلاق والآداب (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى منها خلقناكم) انشأناكم على حسب اختلاف امزجة

وجوه احدها لوصدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية فى الرفعة والشرف الثانى لوصدر منه وجب ان لايكون مقبول الشهادة فكان اقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو ان يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا فانه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لوصدر من النبى ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت ببديهة العقل انه لاشئ اقبح ممن رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفته فى عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لاتفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلولم يطيعوه لدخلوا تحت قوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ماينبغى فعله وترك ماينبغى تركه فثبت ان الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهى وذلك ينافى صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى فى حق موسى انى اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى وقال تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولى الايدى والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التى تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافى صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها ان نقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضى عياض واما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطا فقد اخبرالله تعالى بعذره فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجدله عزما اى نسى عداوة ابليس له وما عهدالله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له انى لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لايحلف بالله كاذبا وقيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجدله عزما اى قصد للمخالفة وقيل بل اكل من الشجرة متأولا وهو لايعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصى فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وماتكرر فى القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ماسلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لاشئ عليه قلت ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته فى عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لايؤاخذ به غيرهم وانهم فى تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها واتوها على وجه التأويل اوالسهو وتزيدوا من امور الدنيا المباحة اوخذوا

الاعضاء التى هى مظاهرها (وفيها نعيدكم) باماتة عند الرياضة حتى يلازم كل محله ويندس فيه لاحراك به ولا يتطلب التجاوز عن حده والاستيلاء على غيره بمحو صفات النفس حتى الفناء (ومنها نخرجكم تارة اخرى) عند البقاء بالحياة الموهوبة الحقيقة فتعدل حركاتها وتفضل ملكاتها (ولقد اريناه آياتنا كلها) من الحجج والبينات الدالة على التجرد عن المواد ووجود الانوار (فكذب) لكونها مادة (وابى) القبول لامتناع ادراكها المجردات وانكر ازعاجها عن وكرها البدنى بقوله (قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولا انت مكانا سوى) ونسب البرهان الى السحر لقصورها عن ادراكه وعجزها عن قبوله واغرى القوى التخيلية والوهمية على المعارضة والمجادلة وقلما اذعنت النفس للبرهان النير والحق البين بدون الرياضة والاماتة وكلما اورد عليها حرضت الوهم

عليها وعوتبوا بسببها اوحذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا ادنى افعالهم واسوا ما يجرى من احوالهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين اى يرونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسيآت وسنذكر فى كل موضع ما يليق به وماقيل فيه ان شاء الله تعالى * قوله عزوجل (ثم اجتباه ربه) اى اختاره واصطفاه (فتاب عليه) اى عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) اى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما اصل البشر فجعلا كأنهما البشر فخوطبا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل فى تقوية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس ويحتمل ان يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما يأتينكم منى هدى) اى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) اى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرا القرآن واتبع مافيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل اى فى الدنيا ولايشقى اى فى الآخرة (ومن اعرض عن ذكرى) يعنى القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وابى هريرة وابى سعيد الخدرى رضى الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد يضغط فى القبر حتى تختلف اضلاعه وفى بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما اعطى العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولى سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لايشبع (ونحشره يوم القيامة اعمى) قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا) اى بصير العين اوبصيرا بالحجة (قال كذلك) اى كما (اتتك آياتنا فنسيتها) اى فتركتها واعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) اى تترك فى النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك نجزى من اسرف) اى كما جزينا من اعرض عن القرآن كذلك نجزى من اسرف اى اشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد) اى مما يعذبهم الله به فى الدنيا والقبر (وابقى) اى وادوم * قوله تعالى (افلم يهد لهم) اى افلم يبين القرآن لكفار مكة (كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) يعنى فى ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) اى لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) اى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما واجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل

والتخيل على التشكيك والقدح والموعد هو وقت تركيب الحجة وترتيب المقامات وذلك وقت زينة النفس الناطقة بالمدركات وحشر القوى العقلية والروحانية لاستحضار المعلومات والمخزونات (قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) اشراق نور شمس العقل الفعال اذهاك تعرض النفس عن قبولها ويجمع كيدها من انواع المغالطات والوهميات ويقمعها القلب باليقينيات واظهارا كاذيبها المفتريات والتنازع الواقع بين القوى النفسانية هو عدم مسالمتها فى طاعة القلب والجذاب كل منها الى لذته متما نعة متخالفة واسرارها النجوى استبطان الكل الدواعى المخالفة للقلب مع

مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على مايقولون) نسختها آية السيف (وسبح بحمد ربك) اى صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) اى صلاة العصر (ومن آناء الليل) اى ومن ساعاته (فسبح) يعنى فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد اول الليل (واطراف النهار) يعنى صلاة الظهر سمى وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) اى ترضى ثوابه فى المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء اى تعطى ثوابه وقيل برضا ربك (ق) عن جرير بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لاتضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لايظلم بعضكم بعضا فى رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام اى لايزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض فى رؤيته والكاف فى قوله كما ترون هذا القمر كاف التشبيه للرؤية للمرئى وهى فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر لاترتابون فيه ولاتشكون * قوله عز وجل (ولاتمدن عينيك) قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق اواسلفنى الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لاابيعه ولا اسلفه الابرهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعنى اواسلفنى لقضيته وانى لامين فى السماء وامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولاتمدن عينيك اى لاتنظر نظرا تكاد تردده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له (الى مامتعنا به) اى اعطينا (ازواجا) اى اصنافا (منهم زهرة الحيوة الدنيا) اى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) اى لنجعل ذلك فتنة لهم بان نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا (ورزق ربك) اى فى المعاد فى الجنة (خير وابقى) اى ادوم وقال ابى بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن اتبع بصره مافى ايدى الناس بطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله عليه فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه * قوله تعالى (وأمر اهلك) اى قومك وقيل من كان على دينك (بالصلوة) اى بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) اى اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول (لانسئلك رزقا) اى لانكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل نكلفك عملا (نحن نرزقك) اى بل نحن نرزقك ونرزق اهلك (والعاقبة للتقوى) اى الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفى بعض المسانيد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية * قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) اى بالآية المقترحة فانه كان قد اتاهم بآيات كثيرة (اولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى) اى بيان مافيها

مخالفها فى انفسها ونسبتها الى السحر اشارة الى عجزها عن ادراك معانيها وخفاء براهينها عليها والطريق المثلى اى الفضلى عندهم هى تحصيل اللذات الحسية والانهماك فى الشهوات البدنية والقاؤها اولا اشارة الى تقدم الوهميات والخياليات فى الوجود الانسانى على العقليات واليقينيات عند السلوك والاما احتيج الى الى البرهان القاطع والدليل الواضح والى ان الواجب على الداعى الى الحق اولا نقض الباطل ودفع الشبهة بالحجة ليزول الاعتقاد الفاسد ويتمكن استقرار الحق والحبال والعصى هى المغالطات والسفسطات من الشبهة الجدلية التى تكاد تمشى وتغلب على القلب لولا تأييد الحق بنور الروح والعقل وهو معنى قوله لاتخف انك انت الاعلى والق مافى يمينك العاقلة الغالبة من البرهان المعتمد عليه يلقف مصنوعا تهم المزخرفة واباطيلهم المموهة فتضمحل وتتلاشى انما صنعوا كيد تزوير ومكر لاحقيقة له لامصنعت كما زعموا فالقى السحرة سجدا

وهو

وهو القرآن لانه اقوى دلالة واوضح آية وقيل معنى مافى الصحف مافى التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الآيات فلما اتتهم لم يؤمنوا بها فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان اتتهم الآية ان يكون حالهم كحال اولئك وقيل بينة مافى الصحف الاولى هى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله) اى من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا) اى لقالوا يوم القيامة لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا (فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متربص) اى منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) اى فانتظروا (فستعلمون) اى اذا جاء امر الله وقامت القيامة (من اصحاب الصراط السوى) اى المستقيم (ومن اهتدى) اى من الضلالة نحن ام انتم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وهى مكية وعدد آياتها مائة واثنا عشرة آية والف ومائة وثمان وستون كلمة واربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل (اقترب للناس حسابهم) اى وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم يوم القيامة نزلت فى منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم فى غفلة معرضون) اى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون فى عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لابد من جزاء المحسن والمسئ ثم اذا نبهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا عنه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى ما يحدث الله من تنزيل شئ من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذكر المحدث ماقاله النبى صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى مافى القرآن واضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (الا استمعوه وهم يلعبون) اى لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية قلوبهم) اى ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (واسروا النجوى الذين ظلموا) اى بالغوا فى اخفاء التناجى وهم الذين اشركوا ثم بين سرهم الذى تناجوا به فقال تعالى مخبرا عنهم (هل هذا الا بشر مثلكم) يعنى انهم انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من اشكاله اقرب (افتأتون السحر) اى اتحضرون السحر وتقبلونه (وانتم تبصرون) اى تعلمون انه سحر (قل) لهم يا محمد (ربى يعلم القول فى السماء والارض) اى لا يخفى عليه شئ (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) بافعالهم * قوله عز وجل (بل قالوا اضغاث احلام) يعنى اباطيل واهاويل رآها فى النوم (بل افتراه)

فانقادت حينئذ القوى الوهمية والخيالية والتخييلية والحسية عند ظهور عجزها والنفس الامارة ثابتة فى نفرتها عنها وعتوها لعدم ارتياضها واعتيادها بمألوفاتها وترأسها على القوى وتجبرها باقية على عنادها وشدة شكيمتها ولا فطمن اشارة الى ابعادها وتخويفها للقوى عند اذعانها بمنع تصرفاتها فى المعايش وترك سعيها فى تحصيل الملاذ والمشتهيات الجسمانية من جهة مخالفتها اياها بموافقة القلب وصلبها فى جذوع النخل ابقافها بالاماتة عند الرياضة فى حد القوى النباتية واثباتها فى مقارها ومبادى نشأتها من اعالى مراتب القوى النباتية دون التصرف فى سائر المراتب والاستعلاء على المناصب والاستيلاء فى المكاسب او من الاعضاء التى هى معادنها ومظاهرها وهذا التخويف على هذا التأويل من قبيل احاديث النفس وهواجسها بسبب اللمات الشيطانية المثبطة عن المجاهدة لقوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه ليفيد اعراضها عن مطاوعة القلب وقيامها بخدمتها

اى اختلقه (بل هو شاعر) وذلك ان المشركين اقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (بآية) اى بحجة ان كان صادقا (كما ارسل الاولون) اى من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) اى قبل مشركى مكة (من قرية) اى من اهل قرية اتتهم الآيات (اهلكناها) اى بالتكذيب (افهم يؤمنون) اى ان جاءتهم آية والمعنى ان اولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم افيؤمن هؤلاء ❁ قوله تعالى (وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى انا لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك (فاسئلوا اهل الذكر) يعنى اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر الله المشركين بسؤال اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القرآن اى فاسألوا المؤمنين العالمين من اهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون) ❁ قوله عز وجل (وما جعلناهم) اى الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) اى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) اى الذى وعدناهم باهلاك اعدائهم (فانجيناهم ومن نشاء) اى من المؤمنين الذين صدقوهم (واهلكنا المسرفين) اى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه ❁ قوله عز وجل (لقد انزلنا اليكم) اى يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) اى شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (افلا تعقلون) فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقل ❁ قوله تعالى (وكم قصمنا) اى اهلكنا (من قرية كانت ظالمة) اى كافرة والمراد اهل القرية (وانشأنا بعدها) اى احدثنا بعد هلاك اهلها (قوما آخرين فلما احسوا بأسنا) اى عذابنا بحاسة البصر (اذاهم منها يركضون) اى يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب (لا تركضوا) اى قيل لهم لا تهربوا (وارجعوا الى ما اترفتم فيه) اى نعمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية فى اهل حضور قرية باليمن وكان اهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا اى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسئلون شيأ من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر واخذتهم السيوف ونادى منادمن جو السماء يالثارات الانبياء فلما رأوا ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا ياويلنا اناكنا ظالمين) اى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) اى تلك الكلمة وهى قولهم ياويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) اى بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) اى ميتين ❁ قوله عز وجل (وما خلقنا

ونسخرها لها ولو حمل على المباحثة الظاهرة المستفادة من قوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن بعد التصديق بالظاهر والايمان بالاعجاز الباهر لا جرى قوله اذهب انت واخوك على ظاهره الى قوله فتنازعوا امرهم بينهم اى تباحثوا فيما بينهم فى السر متنازعين فيما يعارضونه به من ضروب الجدل وقيل فى قوله ان هذان لساحران مطلقا فى البيان والفصاحة والا حتجاج لا يكاد يعارضهما احد فيحجهما (فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى) اى اتفقوا فيما تبارزونه به فتكونوا متفقى الكلمة متعاضدين (قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم) اى تخيلاتهم ووهمياتهم (يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) فى التركيب والبلاغة وحسن التقرير وتمشية المغالطة والسفسطة وهيئة ترتيب القياس الجدلى كانها تسعى اى تمشى (فاوجس فى نفسه خيفة موسى) عن غلبة الجهال ودولة الضلال كما قال امير المؤمنين على عليه

السماء والارض ومابينهما لاعبين) معناه ماسويناهذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع ومابينهما من العجائب للعب واللهو وانما سويناهما لفوائد منها التفكر فى خلقهما ومافيهما من العجائب والمنافع التى لاتعد ولاتحصى (لواردنا ان نتخذ لهوا) قال ابن عباس اللهو المرأة وعنه انه الولد (لاتخذناه من لدنا) اى من عندنا من الحور العين لامن عندكم من اهل الارض وقيل معناه لوكان ذلك جائزا فى حقنالم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لاتطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا فى المسيح وامه ماقالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره (ان كنا فاعلين) اى ما كنا فاعلين وقيل ماكنا ممن يفعل ذلك لانه لايليق بالربوبية (بل) اى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) اى نرمى ونسلط (بالحق) اى بالايمان (على الباطل) اى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لاولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) اى ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يامعشر الكفار (مماتصفون) الله بمالايليق به من الصاحبة والولد (وله من فى السموات والارض) اى عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم (ومن عنده) يعنى الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين فى جملة من فى السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم (لايستكبرون عن عبادته) اى لايتكبرون ولايتعظمون عنها (ولايستحسرون) اى لايعيون ولايتعبون وقيل لاينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لايفترون) اى لايضعفون ولايسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لايفتر فى جميع اوقاتهم لاتتخلله فترة بفراغ اوشغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم (ام اتخذوا آلهة من الارض) يعنى الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهى من الارض (هم ينشرون) اى يحيون الاموات اذ لايستحق الالهية الامن يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عزوجل (لوكان فيهما) اى فى السماء والارض (آلهة الاالله) اى غيرالله (لفسدتا) اى لخربتا وهلك من فيهما الوجود التمانع من الآلهة لان كل امر مصدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام قال الامام فخر الدين الرازى قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضى الى المحال فوجب ان يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضى الى المحال لانا لوفرضنا وجود الهين فلابد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولوكان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا ان احدهما اراد تحريكه واراد الآخر تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين اولايقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال اويقع مراد احدهما دون الثانى وذلك ايضا محال لوجهين احدهما انه لوكان كل واحد منهما قادرا على مالانهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الآخر بل لابد وان يستويا فى القدرة واذا استويا فى القدرة استحال ان يصير مراد احدهما اولى بالوقوع من مراد الثانى

السلام لم يوجس موسى خيفة على نفسه انما خاف من غلبة الجهال ودولة الضلال (قلنا لاتخف انك انت الاعلى) شجعناه وايدناه بروح القدس (والق مافى يمينك) اى مافى ضبط عقلك من النفس المؤتلفة بشعاع القدس المضيئة بنور الحق (تلقف ماصنعوا) مازخرفوا وزوّروا من الشبهات والتمويهات الباطلة والاباطيل المزخرفة بالحجج النيرة والبراهين الواضحة (انما صنعوا) وتلقفوا (كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث اتى) اى تمويه وتزوير (فالقى السحرة سجدا) منصفين مذعنين مقرين بكونه على الحق لما عرفوا من صدق البينة وظهور المعجزة وقيام الحجة وجلية البرهان (قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى) الايمان اليقينى لانهم كوشفوا بالحق فعرفوا ربوبيته للكل وانما اضافوا

والالزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد احدهما دون الآخر فالذى وقع مراده يكون قادرا والذى لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين اكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضى الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة فى مسئلة التوحيد فقول القول بوجود الهين يفضى الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب ان لايقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا اونقول لوقدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشئ الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما اويقع احدهما دون الثانى والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع مافى العالم العلوى والسفلى من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة فى القرآن واعلم ان كل من طعن فى دلالة التمانع فسر الآية بان المراد لوكان فى السماء والارض آلهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لاتقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم فى قوله ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به ❋ واما قوله ﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد ﴿ لايسئل عما يفعل ﴾ اى لايسئل الله عما يفعله ويقضيه فى خلقه ﴿ وهم يسئلون ﴾ اى والناس يسئلون عن اعمالهم والمعنى انه لايسئل عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له لشئ فعله لم فعلته ❋ قوله عز وجل ﴿ ام اتخذوا من دونه آلهة ﴾ لما ابطل الله تعالى ان تكون آلهة سواه بقوله لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال ام اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ اى حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا ﴿ هذا ﴾ يعنى القرآن ﴿ ذكر من معى ﴾ اى فيه خبر من معى على دينى ومن يتبعنى الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ وذكر ﴾ اى خبر ﴿ من قبلى ﴾ اى من الامم السالفة ومافعل بهم فى الدنيا ومايفعل بهم فى الآخرة وقال ابن عباس ذكر من معى القرآن وذكر من قبلى التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا اوكان معه آلهة ﴿ بل اكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون ﴾ ❋ قوله عز وجل ﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول الانوحى اليه انه لااله الا انا فاعبدون ﴾ اى فوحدونى وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اى عن التأمل

والتفكر

الرب اليهما مع تعميم الاضافة الى العالمين لزيادة اختصاصهما به وفضل ربوبيته اياهما فانه رب كل شئ باسم يناسبه ويقتضيه استعداده وربهما باكبر اسمائه الحسنى على حسب كمال استعدادها ولظهوره فيهما بكمالات صفاته وتجليه عليهم فيهما بآياته فعلموا انهم من شكوتهما عرفوا ماعرفوا وبوسيلتهما وصلوا الى ماوصلوا وبتبعيتهما وحدوا ماوحدوا لاعلى سبيل الاستقلال واعلم ان الساحر اقرب الناس استعدادا من النبى لان مبادى خوارق العادات امور ثلاثة اما خواص التركيب وتمزجات المواد العنصرية والصور وجمع الاخلاط المختلفة المزاج والجوهر وهو من باب النيرنجات واما جمع القوى السماوية والارضية باعداد الصور السفلية والمواد العنصرية لاستجلاب فيض النفوس السماوية واتصالها بقوى الاجرام الارضية وهو من باب الطلسمات واما تأثير النفوس وهيئاتها المستفادة من العالم العلوى وهو من الكامل المبعوث

والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو * قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) اى هم عباد يعنى الملائكة (مكرمون) اى اكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) اى لا يتقدمونه (بالقول) اى لا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بامره يعملون) المعنى انهم لا يخالفونه قولا وعملا (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) اى ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل الا لمن رضى الله تعالى عنه (وهم من خشيته مشفقون) اى خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم انى اله من دونه) قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل انى اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) اى الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها * قوله عز وجل (اولم ير الذين كفروا) اى الم يعلم الذين كفروا (ان السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيأ واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) اى فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شئ حى) اى واحيينا بالماء الذى ينزل من السماء كل شئ من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شئ وقال المفسرون معناه ان كل شئ حى فهو مخلوق من الماء وقيل يعنى النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعنى ان اكثر يعنى ما على وجه الارض مخلوق من الماء او بقاؤه بالماء (افلا يؤمنون) اى افلا يصدقون (وجعلنا فى الارض رواسى) اى جبالا ثوابت (ان تميد بهم) اى لئلا تميد بهم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة فى الماء فارساها الله واثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) اى فى الرواسى (فجاجا) اى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلا) هو تفسير الفجاج (لعلهم يهتدون) اى الى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) اى من ان يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب (وهم) يعنى الكفار (عن آياتها معرضون) اى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها فى افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون) اى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذى يضمها وهو فى كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد ان الذى تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحى وقيل الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء

للنبوة القائم بالدعوة المعجز ومن الواصل المحقق المترقى الى ذروة الولاية غير المبعوث للنبوة كرامة والفرق بينهما ان الاعجاز مقارن للتحدى والمعارضة دون الكرامة ومن المقبل على الدنيا المعرض عن العالم الاعلى سحر فكانت نفس الساحر فى بدء فطرتها قوية مخصوصة بهيئات مؤثرة فى هذا العالم واجرامه الا انها اعرضت عن مبدئها بالركون الى العالم السفلى وانقطعت عن اصل القوى والقدر ومنبع التأثير والقهر بالميل الى عالم الطبع فلا تزال يضعف ما فيها من الهيئة النورية والشعاع القدسى كما لا يزداد فى نفس النبى والولى بالاقبال على الحق والائتلاف بنور القدس والتأييد بالقوة الملكوتية والتوجه الى الحضرة الالهية ولا جرم ينكسر من النبى حين عارضه وينقمع بنفسه اذا قابله فهو اعرف الناس بالنبى عند عجزه وانكساره واقبل الخلق لدعوته وانواره واسبقهم الى الاقرار به لكونه اقربهم فى الاستعداد اليه ما لم يبطل استعداده الاول بالكلية ولم يغلب عليه

يجرى فيه الشمس والقمر والنجوم وقال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لاثقيلة ولاخفيفة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول والحق انه لاسبيل الى معرفة صفة السموات الا باخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية * قوله عزوجل ﴿ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا ﴿ افان مت فهم الخالدون ﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون نشمت بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد فى الدنيا بشر الا انت ولاهم فان مت انت افيبقى هؤلاء وفى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فان الله تعالى حى لايموت ولايجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله ﴿ ونبلوكم ﴾ اى نختبركم ﴿ بالشر والخير ﴾ اى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وماتكرهون ﴿ فتنة ﴾ اى ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون ﴿ والينا ترجعون ﴾ اى للحساب والجزاء * قوله عزوجل ﴿ واذارآك الذين كفروا ان ﴾ اى ما ﴿ يتخذونك الاهزوا ﴾ اى سخريا قيل نزلت فى ابى جهل مربه النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف ﴿ اهذا الذى يذكر آلهتكم ﴾ اى يقول بعضهم لبعض هذا الذى يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة ﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾ وذلك انهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن الارحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب * قوله تعالى ﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح فى راس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل فى خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شئ فى آخر النهار يوم الجمعة فاسرع فى خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوار اطورا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى من طين قال الشاعر • والنخل ينبت بين الماء والعجل • اى بين الماء والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانسانى يدل عليه قوله ﴿ سأريكم آياتى فلاتستعجلون ﴾ وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت فى النضر بن الحرث ومعنى سأريكم يأتى اى مواعيدى فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى ﴿ ويقولون ﴾ يعنى المشركين ﴿ متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى انهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين مالهؤلاء المستهزئين فقال تعالى ﴿ لويعلم الذين كفروا حين لايكفون ﴾ اى لا يدفعون ﴿ عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم ﴾ قيل السياط ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ اى لايمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما

دين الطبيعة السفلية ﴿ قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ماانت قاض ﴾ كلام صادر من عظم الهمة الحاصلة للنفس بقوة اليقين اذقوة اليقين فى القلب تورث النفس عظم الهمة وهو عدم مبالاتها بالسعادة الدنيوية والشقاوة البدنية واللذات العاجلة الفانية والآلام الحسية فى جنب السعادة الاخروية واللذة الباقية العقلية ولهذا استخفوا بها واستحقروها بقولهم ﴿ انما تقضى هذه الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفرلنا خطايانا ﴾ اى يستر بنور الهيئات المظلمة والصفات الرديئة التى عرضت لنفوسنا بسبب الميل الى اللذات الطبيعية ومحبة الزخارف الدنيوية ﴿ وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى ﴾ اى معارضة موسى لانهم لما عرفوه بنور استعدادهم وعلموا كونه على الحق فاستعفوا عن معارضته فاكرههم اللعين ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ فى القيامة الصغرى مجرما مثقلا بالهيئات البدنية المميلة الى الاجرام الطبيعية

اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيهم) يعنى الساعة (بغتة) اى فجأة (فتبهتهم) اى تحيرهم (فلايستطيعون ردها) اى صرفها ودفعها عنهم (ولاهم ينظرون) اى لايمهلون لتوبة والمعذرة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) اى يا محمد كما استهزابك قومك (فحاق) اى نزل واحاط (بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزؤن) اى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم اى فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم * قوله تعالى (قل من يكلؤكم) اى يحفظكم (بالليل) اذا نمتم (والنهار) اذا انصرفتم فى معايشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) اى عن القرآن ومواعظه (معرضون) اى لايتأملون فى شئ منها (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه الهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال (لايستطيعون نصر انفسهم) اى لايقدرون على نصر انفسهم فكيف ينصرون من عبدهم (ولاهم منا يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) يعنى الكفار (وآباءهم) اى فى الدنيا بأن انعمنا عليهم وامهلناهم (حتى طال عليهم العمر) اى امتد بهم الزمان فاغتروا (افلا يرون) يعنى هؤلاء المشركين (انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها) يعنى ننقص من اطراف المشركين ونزيد فى اطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار الشرك ارضا فارضا وقرية فقرية والمعنى افلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا فى اتيان الارض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها فى ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعمين بالدنيا اما كان لهم عبرة فى ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لايقدرون على الامتناع منا ومن ارادتنا فيهم ثم قال (افهم الغالبون) استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يامحمد (انما انذركم بالوحى) اى اخوفكم بالقرآن (ولايسمع الصم الدعاء اذا ماينذرون) اى يخوفون (ولئن مستهم) اى اصابتهم (نفحة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شئ قليل (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) دعوا على انفسهم بالويل بعد ما اقروا على انفسهم بالظلم والشرك * قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) اى ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين ان تلك الموازين تجرى على حد العدل ومعنى وضعها احضارها (ليوم القيامة) اى لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم فى الاعمال فمن احاطت حسناته بسيآته فازونجا ومن احاطت ... بالعكس ذل وخسر والصحيح الذى عليه ائمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها اعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان واكثر الاقوال انه ميزان واحد وانما جمع لاعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل ان يريه الميزان فاراه كل كفة مابين المشرق والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم افاق فقال الهى من الذى يقدر ان يملأ كفته حسنات قال ياداود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فعلى هذا ففى كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض

(فان له جهنم لايموت فيها) بالموت الطبيعى فلا يشعر بالآلام (ولايحيى) بالحياة الحقيقية فينجو من تبعات الآثام (ومن يأته مؤمنا) بالايمان اليقينى (قد عمل الصالحات) من الفضائل النفسانية المزكية للنفوس (فاولئك لهم الدرجات العلى) من جنات الصفات بحسب درجات ترقيهم فى الكمالات (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى) فى ظلمة صفات النفوس وليل الجسمانية (فاضرب لهم طريقا فى البحر) من التجريد فى بحر عالم الهيولى (يبسا) لاتصل اليه نداوة الهيئات الهيولانية ورطوبة المواد الجسمانية (لاتخاف دركا) لحوقا من البدنيين المنغمسين فى غواشى الطبيعية الظلمانية (ولاتخشى) غلبتهم عليكم واستيلاءهم فانهم مقيدون محبوسون فيها قاصرون عن شأنكم (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم واضل فرعون قومه وما هدى) لاحلاكهم دينهم

طريقان احدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيآت فى كفة والثانى ان يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذه فى حق الكفار لانهم ليس لهم اعمال توزن مع الكفر * وقوله تعالى ﴿ فلا تظلم نفس شيأ ﴾ اى لاتبخس مالها وماعليها من خير وشر شيأ ﴿ وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ﴾ معناه انه لاينقص من احسان محسن ولايزاد فى اساءة مسئ واراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى اتينا بها اى احضرناها لنجازى بها عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من امتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشرله تسعة وتسعين سجلا كل سجل مدالبصر ثم يقول اتنكر من هذا شيأ اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لااله الاالله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لاتظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ اخرجه الترمذى السجل الكتاب الكبير واصله من المسجل لانه يجمع احكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت فى الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هى التى توزن لاان الاعمال تجسد جواهر فتوزن والله اعلم * قوله تعالى ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيأ فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان فى العلم بحيث لايمكن ان يشتبه عليه شئ وفى القدرة بحيث لايعجز عن شئ لحقيق بالعاقل ان يكون باشد الخوف منه ويروى عن الشبلى انه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال

حاسبونا فدققوا * ثم منوا فاعتقوا هكذا سيمة الملوك * بالمماليك يرفقوا

* قوله عز وجل ﴿ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ﴾ يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون ﴿ وضياء ﴾ يعنى التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة فى وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء ﴿ وذكرا للمتقين ﴾ يعنى يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ اى يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه فى الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس ﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ اى خائفون ﴿ وهذا ذكر مبارك انزلناه ﴾ اى كما آتينا موسى التوراة فكذلك انزلنا القرآن ذكرا مباركا اى هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير ﴿ افانتم ﴾ يااهل مكة ﴿ له منكرون ﴾ اى جاحدون * قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده ﴾ اى صلاحه وهداه ﴿ من قبل ﴾ اى من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير ﴿ وكنا به عالمين ﴾ اى انه من اهل الهداية والنبوة ﴿ اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل ﴾ يعنى الصور والاصنام ﴿ التى انتم لها عاكفون ﴾ اى مقيمون على عبادتها ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ اى فاقتدينا بهم ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ لقد كنتم انتم وآباؤكم

بالانغماس فى الطبيعيات فغشيهم من يم القطران ماغشيهم من الهلاك السرمدى والعذاب الابدى والتطبيق قدمر غيرمرة ﴿ يابنى اسرائيل قدانجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور ﴾ طور القلب ﴿ الايمن ﴾ الذى يلى روح القدس وهو محل الوحى الذى يسمونه الروع والفؤاد ﴿ ونزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ من الاحوال والمذاهب من الذوقيات وسلوى العلوم والمعارف من اليقينيات ﴿ كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ اى تغذوا تلك المعارف الطيبة وتقبلوها بقلوبكم فانها سبب حياتها ﴿ ولاتطغوا فيه ﴾ بظهور النفس واعجابها بنفسها عند استشرافها ورؤيتها بهجتها وكمالها وزينتها ﴿ فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى ﴾ غضب الحرمان وآفة الخذلان ﴿ فقد هوى ﴾ سقط عن مقام القرب فى جحيم النفس واحتجب عن نور تجلى صفات الجمال فى ظلمات الاستتار واستار الجلال ﴿ وانى لغفار ﴾ لستار صفات النفس الطاغية

وآباؤكم فى ضلال مبين) اى فى خطابين بعبادتكم اياها (قالوا اجئتنا بالحق) اى بالصدق (ام انت من اللاعبين) يعنون اجاد انت فيما تقول ام انت لاعب (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اى خلقهن (وانا على ذلكم من الشاهدين) اى على انه الاله الذى يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض (وتالله لأكيدن اصنامكم) اى لامكرن بها (بعد ان تولوا مدبرين) اى منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا فى نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه الى الارض وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتركوه ومضوا فنادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء النـاس تالله لأكيدن اصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن فى بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم اصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذى يليه اصغر منه وهكذا الى باب البهو واذاهم قد جعلوا طعاما بين يدى الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه اكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى مابين ايديهم من الطعـام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم يجيبوه قال مالكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى اذا لم يبق الا الصنم العظيم علق الفـأس فى عنقه وقيل فى يده ثم خرج فذلك (فجعلهم جذاذا) اى كسرا وقطعا (الا كبيرا لهم) اى تركه ولم يكسره ووضع الفأس فى عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصـاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان تتقدان * وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه ومايدعوهم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسـألونه مالهؤلاء تكسروا وانت صحيح والفأس فى عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم راوا اصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) اى فى تكسيرها واجترائه عليها (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) اى يسبهم ويعيبهم (يقال له ابرهيم) اى هو الذى نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه (قالوا فأتوا به على اعين الناس) اى جيؤا به ظاهرا بمرأى من النـاس وانما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) اى عليه بانه الذى فعل ذلك كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه ومايصنع به فلما اتوابه (قالوا) له (أ انت فعلت هذا بآلهتنـا يا ابرهيم قال) يعنى ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسئلوهم ان كانوا ينطقون) اى حتى يخبروا عن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفى ضمنه انا فعلت ذلك (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين

الظاهرة بتزيناتها واستغنائها بأنوار صفاتى (لمن تاب) عن تظاهرها واستيلائها واستغفر بانكسـارها وانقماعها ولزومها ذل فاقتها وافتقارها (وآمن) بانوار الصفـات القلبيـة وتجليات الانوار الالهية (وعمل صالحا) فى اكتساب المقـامات كالتوكل والرضا والملكات المانعة من التلوينات بالحضور والصفاء (ثم اهتدى) الى نور الذات وحال الفناء (وما اعجلك عن قومك ياموسى قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبـان اسفا قال ياقوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى) معنـاه على التحقيق ان موسى عليـه السـلام لما شرف بمقـام المكالمة واوتى كشف الصفات وبعث لانقاذ بنى اسرائيل وارشادهم الى الحق وعد شريعة يسوس بها قومه فاستخلف هرون على قومه وتخلى للمراقبـة

منهن فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختى لفظ الترمذى قيل فى قوله انى سقيم اى ساسهم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم واما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه اختى اى فى الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبى صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات لنفى الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز ان يكون الله اذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حين امر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه انه لو جاز ان يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز هذا الاحتمال فى كل ما اخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها والحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب ✱ وقوله ﴿ فرجعوا الى انفسهم ﴾ اى تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم ﴿ فقالوا ﴾ ما نراه الا كما قال ﴿ انكم انتم الظالمون ﴾ يعنى بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ قال اهل التفسير اجرى الله الحق على السنتهم فى القول الاول وهو اقرارهم على انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم اى ردوا الى الكفر قالوا ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ اى فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ﴾ اى ان عبدتموه ﴿ ولا يضركم ﴾ اى ان تركتم عبادته ﴿ اف لكم ﴾ اى تبا لكم ﴿ ولما تعبدون من دون الله ﴾ والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم ﴿ افلا تعقلون ﴾ اى اليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ﴾ يعنى انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن فيها ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ اى ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذى قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب نمرود بن كوش بن حام بن نوح

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب لئن اصابته لتحطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب من ماله لابراهيم فلما جمعوا ما ارادوا واشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها

قبل تثبتهم على الايمان وتقريرهم على الحق بالايقان فتوقف على تلك العجلة وان كانت من غاية الشوق الى المشاهدة واقتضاء المقام عدم التفرغ الى تكميل الغير لان فى تكميلهم بالمعرفة اليقينية والكمال العلمى ثبات قدمه فى الطاعة وامتثال الامر المستلزم للترقى فى الحال فاعتذر بكونهم على متابعته فى الدين وان لم تبن معاملاتهم على اساس اليقين والتعجيل اعابد منه اطلب مقام الرضا الذى هو كمال الفناء فى الصفات وهو استحكام مقام التجلى الصفاتى الذى منه المكالمة وابتلاهم الله السامرى ليتميز المستعد القابل للكمال بالتجريد من القاصر الاستعداد المنغمس فى المواد الذى لا يدرك الا المحسوس ولا يتنبه للمجرد المعقول ولهذا (قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) اى بان ملكنا امرنا وخلينا ورأينا فانهم عبيد بالطبع لا رأى لهم ولا ملكة وليسوا مختارين بل مطبوعون موسوسون مقودون بدنيون لا طريق لهم الا التقليد والعمل

سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى ارضك احد يعبدك غيره فأئذن لنا فى نصرته فقال اب تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيرى فان استغاث باحد منكم اودعاه فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينى وبينه فلما ارادوا القاءه فى النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن ابى بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموابه فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابرهيم الك حاجة فقال اما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار (ق) عن ام شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ زاد البخارى وقال كان ينفخ على ابراهيم (قلنا) اى قال الله عزوجل (يانار كونى بردا وسلاما على ابرهيم) قال ابن عباس لولم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفى بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت فلم ينتفع فى ذلك اليوم بنار فى العالم ولولم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم فى ذلك الموضع سبعة ايام قاله المنهال بن عمرو وقال ابراهيم ما كنت اياما قط انعم منى من الايام التى كنت فى النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عزوجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائى ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان اقمت ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيته معك مثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له اربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها له فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عزوجل منه * قوله عزوجل (وارادوا به

لا التحقيق والعلم وانما استعبدهم بالطاسم المفرغ من الحلى لرسوخ محبة الذهب فى طباعهم لكون نفوسهم سفلية منجذبة الى الطبيعة الذهبية وتجلى تلك الصورة النوعية فيها للتناسب الطبيعى وكان ذلك من باب مزج القوى السماوية بالقوى الارضية ولذلك قال (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امرى قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامرى قال

كيدا) اى ارادوا ان يكيدوه (فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا السعى والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى ارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى دماغه بعوضة فاهلكته * قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) يعنى من نمرود وقومه (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) يعنى الى ارض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال ابى بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس وقيل لان اكثر الانبياء منها (ق) عن ابى قتادة ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب انى وجدت فى كتاب الله المنزل يا امير المؤمنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم اخرجه ابوداود اراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب فى المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك يارسول الله قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذى * عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يارسول الله اين تأمرنى قال ههنا ونحا بيده نحو الشام اخرجه الترمذى قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الاكبر عمه وتبعه لوط وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران وهو اخو ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم اولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهى على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها وماقرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين * قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) اى عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى اعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لى من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعنى ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم ائمة) اى قدوة يقتدى بهم فى الخير (يهدون بامرنا) اى يدعون الناس الى ديننا بامرنا (واوحينا اليهم فعل الخيرات) اى العمل بالشرائع (واقام الصلوة) اى المحافظة عليها (وايتاء الزكوة) اى الواجبة وخصهما لان الصلاة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) اى موحدين * قوله عزوجل (ولوطا آتيناه حكما) اى الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد الحكمة والنبوة (وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث) يعنى قرية سدوم واراد اهلها واراد بالخبائث اتيان الذكور فى ادبارهم وكانوا يتضارطون فى مجالسهم مع اشياء اخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين

بصرت بما لم يبصروا به) من العلم الطبيعى والرياضى الذين يبتنى عليهما علم الطلسمات والسيميات (فقبضت قبضة من اثر الرسول) وهى على ماقيل تراب موطئ حافر الحيزوم الذى هو فرس الحياة مركب جبرائيل اى مما اتصل به اثر النفس الحيوانية الكلية السماوية المسخرة للعقل الفعال المتأثرة منه الحاملة لصفاته التى هى بمثابة مركبه لاستعلائه عليها ووصول تأثيره الى الطبائع العنصرية والاجرام السفلية بواسطتها من الاوضاع التى تفيض بسببها الآثار على المواد فتنفعل منها بحسب الاستعداد وتقبل الاحوال الغريبة التى هى بمثابة تراب موطئ مركبه (فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى) فطرحتها على الجرم المذاب عند الافراغ فى صورة العجل وذلك من تسويل النفس الشيطانية الشريرة وقوله (قال فاذهب فان لك فى الحياة ان تقول لامساس) صادر عن غضبه عليه السلام وطرده اياه وانما يجب حلول العذاب من غضب الانبياء والاولياء لانهم مظاهر

وادخلناه فى رحمتنا) قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل اراد بها الثواب (انه من الصالحين) يعنى الانبياء * قوله تعالى (ونوحا اذنادى من قبل) اى من قبل ابراهيم ولوط (فاستجبناله) اى اجبنا دعاءه (فنجيناه واهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء والكرب اشدالغم (ونصرناه) اى منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين) * قوله عزوجل (وداود وسليمان اذيحكمان فى الحرث) قال ابن عباس واكثر المفسرين كان الحرث كرما قدتدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو اشبه بالعرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) اى رعته ليلا فافسدته وكانت بلاراع (وكنا لحكمهم شاهدين) اى كان ذلك بعلمنا ومرأى منالايخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بان اقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلا فوقعت فيه فافسدته فلم تبق منه شيأ فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لووليت امركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى وروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتنى بالذى هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام فى هذه المسئلة ان ماافسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلاضمان على ربها وماافسدته بالليل ضمنه ربها لان فى عرف الناس ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشى تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ماروى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشى حفظها بالليل زاد فى رواية وان على اهل الماشية مااصابت ماشيتهم بالليل اخرجه ابوداود مرسلا وذهب اصحاب الرأى ان المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان اونهارا فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان) اى علمناه والهمناه حكم القضية (وكلا) يعنى داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) اى بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرايت الحكام قدهلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء فى ان حكم داود كان باجتهاده ام بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد فى الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب اوسنة واذا اخطؤا فلااثم عليهم (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله اجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحى فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لايجوز للانبياء

صفات الله تعالى فكل من غضبوا عليه وقع فى قهره تعالى وشقى فى الدنيا والآخرة وعذب بعذاب الابد وذاق وبال العمل وكانت صورة عذابه فى التجرد عن المماسة نتيجة بعده عن الحق فى الدعوة الى الباطل واثر لعن موسى عليه السلام اياه عند ابطال كيده وازالة مكره وعلى التطبيق ان القلب اذا سبق له كشف وجذبه الاجتهاد والسلوك وحصل عنده الكمال العلمى الكشفى دون العلمى الكسبى يكون فى معرض عتاب الحق عند التعجل الى الشهود والحضور ذاهلا عن امر الشريعة والمجاهدة ويجب ان يرد الى العمل والرياضة لسياسة القوى واكتساب مقام الاستقامة اذلايقوى هرون العقل الذى هو خليفته على قومه القوى الروحانية والجسمانية على تدبيرهم وتقويمهم وتسديدهم بدون الرياضة والمجاهدة والمواظبة على الطاعة والمعاملة فينبعث سامرى القوى النفسانية من الحواس ويوقد عليها نارحب الشهوات ويطرح

الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحى واحتج من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهرة هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطا وهو قول اصحاب الراى وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لابعينه ولوكان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فاخطافله اجر لم يرد به انه يؤجر على الخطابل يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطاعنه موضوع اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد فى هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر فى الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب فى ذلك الضرر فى الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى المجنى عليه واما سليمان فان اجتهاده ادى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم فى تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن احكام داود وسليمان عليهما السلام ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امر اتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احدا هما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتونى بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لاتفعل يرحمك الله هوابنها فقضى به للصغرى اخرجاه فى الصحيحين * قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) اى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشتاق اليه (وكنا فاعلين) يعنى ماذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) اى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل اول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله الان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كأنه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لتحصنكم) اى تمنعكم (من باسكم) اى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به (فهل انتم شاكرون) اى يقول ذلك لداود واهل بيته * قوله عز وجل (ولسليمان الريح) اى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف ممتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه (عاصفة) اى شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت (تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها) يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان واصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكنا بكل شئ عالمين) اى بصحة التدبير فيه وعلمنا ان مايعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه حلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولايسمع فى ناحية من الارض بملك الااتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس

عليها شيأ من امداد الطالع بحسب الاوضاع المخصوصة اى التى تأثرت من تأثير النفس الحيوانية التى هى فرس الحياة فيتمثل الطبيعة بصورة العجل المفرغ فى قالب المواد الذى همه الاكل والشرب ودأبه اللذة والشهوة دون العمل والسعى بالاثارة والتعب كما اشير اليه وينتفخ فيه روح الهوى فيحيا ويتقوى ويصبح ذاخوار فيعبده جميع القوى وتتخذه الها وكما نبهها العقل المؤيد بنور القلب على ضلالها وفتنتها ودعاها الى الحق ومتابعة الرأى العقلى وطاعته خالفته حتى يرجع اليها القلب المنور بنور الحق بتأييد القدس غضبان لله تعالى اسفا على ضلالها وتفرقها فى الدين ويعيرها ويعنفها بلسان النفس اللوامة ويأخذها بالوعد والوعيد ويذكرها طول العهد من قرب الرب بمقتضى الخلقة والنشأة والسقوط عن الفطرة وتحوّفها باستحقاق الغضب والسخطة عن نسيان العهد واخلاف الوعد حين الاقرار بالربوبية عند ميثاق الفطرة فلاتجع فيها القول

والدواب

والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه مايريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء فمرت به شهرا فى روحته وشهرا فى غدوته الى حيث اراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكر لى ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس او من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبى الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجرى بامره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفى ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له ✽ قم فى البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن انى قد اذنت لهم ✽ يبنون تدمر بالصفاح والعمد

✽ قوله عز وجل ﴿ ومن الشياطين ﴾ اى وسخرنا له من الشياطين ﴿ من يغوصون له ﴾ اى يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ﴿ ويعملون عملا دون ذلك ﴾ اى دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية ويتجاوزون فى ذلك الى اعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ اى حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا فى النهار وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه قبل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه ✽ قوله تعالى ﴿ وايوب اذ نادى ربه ﴾ اى دعا ربه

﴿ ذكر قصة ايوب عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من ارض البلقاء من اعمال حوارزم مع ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل افضل منه فى العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة

اذا صارت مأسورة فى اسر الهوى منقادة لسلطان التخيل مستسلمة للردى ولا طريق الا خرق الطبيعة الجسدانية ببرد المجاهدة واحراقها بنار الرياضة ونسفها برياح نفحات الرحمة الالهية التى اذا هبت بها لاشت فى يم الهيولى الجرمية لا حياة بها ولا حراك بعد تغير القوة العاقلة بعد متابعتها للقلب ومشايعتها للسر فى التوجه ووجود موافقتها للقوى فى الميل الى الطبيعة والاخذ برأسها الى جهتها العادية التى تلى الروح بتأثير النور فيه حتى تفعل وتتأثر بشعاع القدس ونور الهداية الحقانية ولحيتها التى هى الهيئة الذكورية وصورة التأثير فيما تحت اى جهتها السفلية التى تلى القوى النفسانية وجرها اليه اى الجهة العلوية وجناب الحق وعالم القدس الذى هو فيه فيتقوى بالايد الالهى والقدرة الربانية وجولانها فؤثر فيها وتطوعها بامر الحق لها وللقلب ويستخلصها من قهر التخيل والوهم واعتذار هرون اشارة الى ان العقل غير المتنور بنور الهداية المتأيد بامر الشريعة

وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان اتان لكل اتان من الولد اثنان او ثلاثة او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له اليفز وقيل نغير ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لايحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما اراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغى فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت فى امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال ايوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لاتصبر عليها الرجال قال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتى عليه قال ابليس اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيم ممن كانوا عليها على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلى فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك واحرقتها ومن فيها غيرى فقال ايوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها وانها مال الله اعارنيها وهو اولى بها اذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيا وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغى لك ان تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه خاسئا ذليلا فقال ماعندكم من القوة فانى لم اكلم قلبه قال عفريت من الجن عندى من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لايسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فجثمت امواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب فوجده يصلى فقال له مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى اصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا

لايقدر ان يحافظ القوى ويعاند التخيل والهوى ولا يزيدها الا التفرقة الموقعة فى الردى وعند استيلاء نور القلب والعقل وقهر الطبيعة بالكلية وحصول الاستقامة فى الطريقة يخرل التخيل وينعزل ولايقدر ان يماس شيأ من القوى بتخييله ولايقاربه قوة منها بقبول تسويله فيصير ملعونا مطرودا فيقول لامساس وله موعد اى حد ورتبة لايجد خلفا فيه ولا يتجاوز فيترأس ويستولى ويروج اكاذيبه وغلطه بالمعقولات وينفقه فى المرادات وذلك مقام الاستقامة الى الله والقيام بحقائق العبودية لله ولاتجلى ناصية التوحيد ولايحصل مقام التجرد والتفريد الا به ولذلك عقبه بقوله (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لااله الا هو) اذ يكون السالك قبل ذلك مصليا الى قبلتين مترددا فى العبادة بين جهتين متخذ الالهين (وسع كل شئ علما) اى يتحقق هناك التوحيد بالعقل وتظهر

عاصفة

عاصفة تنسف كل شئ تأتى عليه قال فات الفدادين فى الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون فى الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمانهم الى ايوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى الى هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس انه قد افنى ماله ولم ينجح منه بشئ صعد سريعا حتى وقف فى الموقف الذى يقف فيه وقال الهى ان ايوب يرى انك ما متعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطى على ولده فانها المصيبة التى لاتقوم لها قلوب الرجال قال الله عزوجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى اتى بنى ايوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لورايت بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وادمغتهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على راسه وقال ياليت امى لم تلدنى فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع ايوب مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو اعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هون على ايوب المال والولد انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطى على جسده فقال الله عزوجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتاسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا اليه فوجد ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهى رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما راى الثلاثة من اصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه اصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم ايها الكهول وانتم احق بالكلام منى لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو احسن من الذى قلتم ومن الراى اصوب من الذى رايتم ومن الامر اجمل من الذى اتيتم وقد

احاطة علمه بكل شئ وحدوده وغاياته فتقف كل قوة بنور الحق وقدرته على حدها فى عبادته وطاعته عائذة به عن حولها وقوتها عابدة له بحسب وسع طاقتها شاهدة اياه مقرة بربوبيته بقدر ما اعطاها من معرفته . مثل ذلك القصص (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق) من احوال السالكين الذين سبقوا ومقاماتهم لتثبيت فؤادك وتمكينك فى مقام الاستقامة كما امرت (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) اى ذكرا ما اعظمه وهو ذكر الذات الذى يشمل مراتب التوحيد (من اعرض عنه) بالتوجه الى جانب الرجس وحيز الطبع والنفس (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) العظمى وزر الهيآت المثقلة الجرمانية وانواع تعلقات المواد الهيولانية (خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ) الحياة (فى الصور) الجسمانية برد الارواح الى الاجساد (ونحشر المجرمين يومئذ) الملازمين للاجرام (زرقا) تحافتون) عميا بيض سواد العيون اوشوها فى غاية قبح المناظر يحسن عندها القردة

والخنازير يسرون الكلام لشدة الخوف او عدم القدرة على النطق • يستقصرون مدة اللبث فى الحياة الدنيوية لسرعة انقضائها وكل من كان ارجح عقلا منهم كان اشد استقصارا اياها (بينهم ان لبثتم الاعشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال) اى وجودات الابدان (فقل ينسفها ربى نسفا) برياح الحوادث .بما ورفاتا ثم هباء منثورا فيسوّيها بالارض لابقية بها ولاآثار او حوادث الاشياء فقل ينسفها ربى برياح النفحات الالهية الناشئة عن معدن الاحدية (فيذرها) فى القيامة الكبرى (قاعا صفصفا) وجودا حديا صرفا (لاترى فيها عوجا ولا امتا) اثنينية ولاغيرية فيقدح فى استوائها(يومئذ) يوم ادقامت القيامة الكبرى (يتبعون الداعى) الذى هو الحق لاحراك بهم ولاحياة لهم الابه (لاعوج له) اى لاانحراف عنه ولا زيغ عن سمته اذهو آخذ بناصيتهم وهو على صراط مستقيم فهم يسيرون بسيرة الحق على مقتضى ارادته (وخشعت

كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذى وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم الم تعلموا ان ايوب نبى الله وصفوته وخسيرته من اهل الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيأ من امره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيأ من الكرامة التى اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق فى طول ماصحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهو انهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه اخ اجتبوه على وجه الصحبة لكان لايجمل بالحليم ان يعذل اخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولايعيبه بما لايعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى ويستغفرله ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان الله عبادا اسكتتهم الخشية من غير عى ولابكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكر واعظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا اشتافوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس اقوياء قال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فاذا نبتت فى القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم اقبل ايوب على الثلاثة وقال اتيتمونى غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بى لو قلت تصدقوا عنى بأموا لكم لعل الله ان يخلصنى اوقربوا عنى قربانا لعل الله ان يقبله ويرضى عنى وانكم قد اعجبتكم انفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم اوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله تعالى بالعافية التى البسكم وقد كنتم فيما خلا توقروننى وانا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى راى ولا كلام معكم فأنتم كنتم اشد على من مصيبتى ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يارب لاى شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى عرفت الذنب الذى اذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى اوكنت امتنى فالحقتنى بآبائى فالموت كان اجمل بى الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهى انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقدوقع على من البلاء مالو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى وان قضاءك هو الذى اذلنى وان سلطانك هو الذى اسقمنى وانحل جسمى ولو ان ربى نزع الهيبة التى فى صدرى واطلق لسانى حتى اتكلم بملء فى فأدلى بعذرى واتكلم ببراءتى وخاصم عن نفسى لرجوت

ان

ان يعافينى عنددلك مما بى ولكنه القانى وتعالى عنى فهو يرانى ولااراه ويسمعنى ولا اسمعه فلما
قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودى يا ايوب ان الله
يقول ها انا قددنوت منك ولم ازل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن
نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغى ان يخاصمنى
الاجبار مثلى لقدمنتك نفسك يا ايوب امراما يبلغ لمثله مثلك اين انت منى يوم خلقت الارض
فوضعتها على اساسها هل كنت معى تمدباطرا فها هل علمت باى مقدار قدرتها ام على اى شئ
وضعت اكنافها ابطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض للماء غطاء اين كنت
منى يوم رفعت السماء سقفا فى الهوى لاتعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من
حكمتك ان تجرى نورها او تسير نجومها او يختلف بأمرك ليلها ونهارها اين كنت منى يوم
انبعث الانهار وسكبت البحار ابسلطانك حبست امواج البحار على حدودها ام بقدرتك فتحت
الارحام حين بلغت مدتها اين كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل
تدرى على اى شئ ارسيتها ام باى مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع تطيق حملها ام هل تدرى
من اين الماء الذى انزلت من السماء ام هل تدرى من اى شئ انشأت السحاب ام هل تدرى اين
خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة
الريح وباى لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول فى اجواف الرجال وشق الاسماع والابصار
ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته فى كلام كثير يدل
على آثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شأنى وكل لسانى وعقلى ورأيى وضعفت
قوتى عن هذا الامر الذى يعرض على الهى قد علمت ان كل الذى قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك
واعظم من ذلك واعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شئ ولا يخفى عليك خافية الهى اوثقنى البلاء
فتكلمت ولم املك نفسى فكان البلاء هو الذى انطقنى ليت الارض انشقت بى فذهبت فيها
ولم اتكلم بشئ يسخطك ربى وليتنى مت بغمى فى اشد بلائى قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت
بعذرى وسكت حين سكت لترحمنى كلمة زلت منى فلن اعود وقد وضعت يدى على فمى
وعضضت على لسانى والصقت بالتراب خدى اعوذبك اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء
فاجرنى واستغيث بك من عقابك فاغثنى واستعينك على امرى فاعنى واتوكل عليك فاكفنى
واعتصم بك فاعصمنى واستغفرك فاغفرلى فلن اعود لشئ تكرهه منى قال الله تعالى يا ايوب
نفذ فيك علمى وسبقت رحمتى غضبى فقد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم
لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن اصحابك قربانا واستغفرلهم فانهم قد عصونى فيك روى عن
انس رضى الله عنه ان ايوب لبث ببلائه ثمانى عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب
سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبنى اسرائيل سبع سنين واشهرا
يختلف فيه الدود لايقربه احد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله
معه اذا حمد وايوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة
جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما احزنك قال اعيانى هذا العبد

الاصوات للرحمن) انخفضت
كلها لان الصوت صوته
فحسب (فلا تسمع الاهمسا)
خفيا باعتبار الاضافة الى
المظاهر او يوم اذ قامت
القيامة الصغرى يتبعون
الداعى الذى هو اسرافيل
الملك الرابع المفيض للحياة
لاعوج عنه مدعو الى
خلاف ما اقتضته الحكمة
الالهية من التعلق به
وخشعت الاصوات فى الدعاء
الى غير ما دعا اليه الرحمن فلا
تسمع الاهمس الهواجس
والتمنيات الفاسدة و(يومئذ
لاتنفع الشفاعة) اى شفاعة
من تولاه واحبه فى الحياة
الدنيا ممن اقتدى به وتمسك
بهدايته (الامن اذن له الرحمن)
باستعداد قبولها فان فيض
النفوس الكاملة التى تتوجه
اليها النفوس الناقصة
بالارادة والرغبة موقوفة
على استعدادها لقبوله
بالصفاء وذلك هو الاذن
(ورضى له قولا) اى رضى له
تأثيرا يناسب المشفوع له
فتتوقف الشفاعة على امرين
قدرة الشفيع على التأثير
وقوة المشفوع له للقبول
والتأثر وهو (يعلم) الجهتين
(ما بين ايديهم) من قوة
القبول بالاستعداد الاصلى

الذى لم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لاتقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له فاين مكرك الذى اهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى ايوب فاشيروا على قالوا من اين اتيت آدم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بايوب من قبل امرأته فانه لايستطيع ان يعصيها وليس يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امرأة ايوب وهى تصدق فتمثل لها فى صورة رجل وقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الدود ان فى جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لاينقطع عنه ابدا فصرخت فعلم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لى هذه ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ماتبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذكم ابتلانا قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ماانصفت ربك الا صبرت فى البلاء ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام ان اذوق منه شيأ اعزبى عنى فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شئ ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ماكان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان عليه وما كان له من اهل ومال الا وقد ضعفه الله وذكر لنا ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت ارأيت ان كان طردنى الى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التى كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعينى ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عن ايوب فدعاها وقال ماتريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لاادرى اضاع ام مافعل به فقال ايوب ماكان منك فبكت وقالت بعلى فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانى انا ايوب الذى امرتنى ان اذبح سخلة لابليس وانى اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ماترين وقال وهب لبث ايوب فى البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفينى قالت لا قال

وتأثير الشفيع بالتنوير (وما خلفهم ولايحيطون به علما) من الموانع العاضة من جهة البدن وقواه والهيئات الفاسقة المزاحمة للقبول الاصلى او المددات الحاصلة من جهتها بالتزكية على وفق العقل العملى (وعنت الوجوه) اى الذوات الموجودات باسرها) للحى القيوم) وكلها فى اسر مملكته وذل قهره وقدرته لاتحيا ولاتقوم الابه لابأنفسها ولابشئ غيره (وقد خاب من حمل ظلما) عن نور رحمته وشفاعة الشافعين من ظلم نفسه بنقص استعداده وتكدير صفاء فطرته فزال قبوله للتنوير باسوداد وجهه وظلمته (ومن يعمل من الصالحات) بالتزكية والتحلية (وهو مؤمن) بالايمان التحقيقى (فلايخاف ظلما ولاهضما) ان ينقص شئ من كمالاته الحاصلة ولا ان يكسر من حقه الذى يقتضيه استعداده الاصلى فى المرتبة (وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون) بالتزكية (او يحدث لهم ذكرا) بالتحلية (فتعالى الله الملك الحق) تناهى فى العلو

انا الله الارض وانا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركنى فاغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندى ثم اراها اياه ببطن الوادى الذى لقيها فيه وفى بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدى لى سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافى زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها واياى الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسنى الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشى ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها ما قيل فى حقه لو كان لك عند الله منزلة ما اصابك هذا والثانى ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها فأتته بطعام والثالث قول ابليس انى اداويه على ان يقول انت شفيتنى وقيل مسنى الضر اى من شماتة الاعداء حتى روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان اشد عليك فى بلائك قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى والجزع بقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما اشكو بثى وحزنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه فقال كيف تجدك قال اجدنى مغموما واجدنى مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل انا وارأساه * قوله تعالى (فاستجبنا له) اى اجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان (وآتيناه اهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية اخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس رفعه انه كان له اندر ان اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاضا وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك ما يكفيك ما فى اندرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا اشبع من بركاته (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثى فى ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكنى لا غنى لى عن بركتك وقيل

والعظمة بحيث لا يقدر قدره ولا يقدر امره فى ملكه الذى يملو كل شئ ويصرفه بمقتضى ارادته وقدرته وفى عدله الذى يوفى كل احد حقه بموجب حكمته (ولا تعجل بالقرآن) عند هيجان الشوق لغاية الذوق بتلقى العلم اللدنى عن مكمن الجمع (من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما) ان يحكم بوروده عليك ووصوله اليك فان نزول العلم والحكمة مترتب بحسب ترتب مراتب ترقيك فى القبول ولا تفتر عن الطلب والاستفاضة فانه غير متناه واطلب الزيادة فيه بزيادة التصفية والترقى والتحلية اذ الاستزادة انما تكون بدعاء الحال ولسان الاستعداد لا باستعجيل الطلب والسؤال قبل امكان القبول وكلما علمت شيأ زاد قبولك لما هو اعلى منه واخفى وقصة آدم وتأويلها مرت غير مرة ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

آتى الله ايوب مثل اهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان اهلك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآتيناك مثلهم فى الدنيا فقال بل يكونون لى فى الآخرة واوتى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه اهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا واراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) اى نعمة (وذكرى للعابدين) اى عظة وعبرة لهم * قوله عز وجل (واسمعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم (وادريس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله امر ايوب وصبره على البلاء اتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة ايضا اما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد الى الذبح واما ادريس فقد تقدمت قصته واما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من بنى اسرائيل وكان ملكا اوحى الله اليه انى اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فمن تكفل انه يصلى الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال انى استخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فائتنى حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال واخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له الم اقل اذا قعدت فائتنى قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا جلست فائتنى وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم آمرك قال اما من قبلى فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه فى البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتنى وفعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف فى نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وادخلناهم فى رحمتنا) يعنى ما انعم به عليهم من النبوة وصبرهم اليه فى الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) * قوله عز وجل (وذا النون) اى واذكر صاحب الحوت اضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن

ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى) اذ فى التجرد عن ملابسة المواد فى العالم الروحانى لا يمكن تزاحم الاضداد ولا يكون التحيل المؤدى الى الفساد بل تأمن النفس بحصول المراد آمنة من الفناء والفساد (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) بالتوجه الى العالم السفلى بالميل النفسى ضاقت معيشته لغلبة شحه وشدة بخله فان المعرض عن جناب الحق ركدت نفسه وانجذبت الى الزخارف الدنيوية والمقتنيات المادية لمناسبتها اياها واشتد حرصه وكلبه عليها ونهمه وشغفه بها لقوة محبته اياها للجنسية والاشتراك فى الظلمة والميل

عباس فی روایة عنه کان یونس وقومه یسکنون فلسطین فغزاهم ملك فسبی منهم تسعة اسباط ونصفا وبقی منهم سبطان ونصف فاوحی الله الی شعیاء النبی ان سر الی حزقیل الملك وقل له یوجه نبیا قویا امینا فانی القی فی قلوب اولئك حتی یرسلوا معه بنی اسرائیل فقال له الملك فمن تری وکان فی مملکته خمسة من الانبیاء قال یونس انه قوی امین فدعا الملك یونس وأمره ان یخرج فقال یونس هل الله امرك باخراجی قال لا قال فهل سمانی الله لك قال لا قال فههنا غیری انبیاء اقویاء فالحوا علیه فخرج مغاضبا للنبی وللملك وقومه واتی بحر الروم فرکب وقیل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما کشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم وکره ان یکون بین اظهر قوم جربوا علیه الخلف فیما اوعدهم واستحیا منهم ولم یعلم السبب الذی رفع العذاب عنهم به فکان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه یسمی کذابا لا کراهیة لحکم الله وفی بعض الاخبار انه کان من عادة قومه انهم یقتلون من جربوا علیه الکذب فخشی ان یقتلوه مالم یاتهم العذاب للمیعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس اتی جبریل یونس فقال انطلق الی اهل نینوی فانذرهم فقال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الی السفینة وقال وهب ان یونس کان عبدا صالحا وکان فی خلقه ضیق فلما حمل اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقیل فقذفها من یده وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولی العزم من الرسل وقال لنبیه محمد صلی الله علیه وسلم فاصبر کما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ولا تکن کصاحب الحوت وقوله (فظن ان لن نقدر علیه) ای ان لن نقضی علیه العقوبة قاله ابن عباس فی روایة عنه وقیل معناه فظن ان لن نضیق علیه الحبس وقیل معناه فظن انه یعجز ربه فلا یقدر علیه قیل لما انطلق یونس مغاضبا لربه واستذله الشیطان حتی ظن ان لن یقدر علیه وکان له سلف وعبادة ابی الله ان یدعه للشیطان فقذفه فی بطن الحوت فمکث فیه اربعین مابین یوم ولیلة وقیل سبعة ایام وقیل ثلاثة وقیل ان الحوت ذهب به حتی بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الی ربه وراجع نفسه فی بطن الحوت (فنادی فی الظلمات) ای ظلمة اللیل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (ان لا اله الا انت سبحانك انی کنت من الظالمین) ای حیث عصیتك وما صنعت من شیء فلم اعبد غیرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروی ابو هریرة مرفوعا قال اوحی الله تعالی الی الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تکسر له عظما فاخذه ثم اهوی به الی مسکنه فی البحر فلما انتهی به الی اسفل البحر سمع یونس حسا فقال فی نفسه ماهذا فاوحی الله الیه هذا تسبیح دواب البحر قال فسبح هو فی بطن الحوت فسمعت الملائکة تسبیحه فقالوا یاربنا نسمع صوتا ضعیفا بارض غریبة وفی روایة صوتا معروفا من مکان مجهول فقال ذلك عبدی یونس عصانی فحبسته فی بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذی کان یصعد الیك منه فی کل یوم ولیلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه فی الساحل فذلك قوله تعالی (فاستجبنا له ونجیناه من الغم) ای من تلك الظلمات (وکذلك ننجی المؤمنین) ای من الکروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من اجاز وقوع الذنب من الانبیاء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن ان لن نقدر علیه ومنها قوله انی کنت من الظالمین قلت اما الجواب الکلی فقد اختلفوا فی هذه الواقعة هل کانت قبل الرسالة ام لا فقال ابن عباس کانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت بدلیل قوله تعالی فی الصافات بعد ذکر خروجه وارسلناه

الی الجهة السفلیة فیشح بها عن نفسه وغیره وکلما استکثر منها ازداد حرصه علیها وشحه بها وذلك هو الضنك فی المعیشة ولهذا قال بعض الصوفیة لا یعرض احد عن ذکر ربه الا اظلم علیه وتشوش علیه رزقه بخلاف الذاکر المتوجه الیه فانه ذو یقین منه وتوکل علیه فی سعة من عیشه ورغد ینفق ما یجد ویستغنی بربه عما یفقد (ونحشره یوم القیامة اعمی قال رب لم حشرتنی اعمی وقد کنت بصیرا قال کذلك اتتك آیاتنا فنسیتها وکذلك الیوم تنسی) الصغری علی عماه من نور الحق کقوله ومن کان فی هذه اعمی فهو فی الآخرة اعمی وانما عماه انما یکون بانطماس الاستعداد الاصلی والنور الفطری المنافی لعماه من رسوخ هیئة الحب السفلی والعشق النفسی بالفسق الجرمی ونسیان الآیات البینات والانوار المشرقات الموجب لاعراضه تعالی عنه وترکه فیما هو فیه (وکذلك نجزی من اسرف ولم یؤمن بآیات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقی) من ضنك العیش فی الدنیا لکونه روحانیا دائما

الى مائة الف اويزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعدالنبوة وهو الصحيح واما الجواب التفصيلى لقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله على انه لقومه اوللملك اولى بحال الانبياء واماقوله فظن انلن نقدر عليه فقد تقدم معناه اى لن نضيق عليه وذلك انيونس ظن انه مخيران شاء اقام وانشاء خرج وان الله تعالى لايضيق عليه فى اختياره وقيل هو من القدر لامن القدرة واماقوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغيراذن ربه اولضعفه عماحمله اولدعائه بالعذاب على قومه وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ماتقدم من التفصيل والله اعلم ❊ قوله عزوجل ﴿ وزكريا اذنادى ربه ﴾ اى دعا ربه فقال ﴿ رب لاتذرنى فردا ﴾ اى وحيدا لاولدلى يساعدنى وارزقنى وارثا ﴿ وانت خير الوارثين ﴾ هو ثناء على الله بانه الباقى بعدفناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الرازقين ﴿ فاستجبناله ووهبناله يحيى ﴾ اى ولدا ﴿ واصلحنا له زوجه ﴾ اى جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق ﴿ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ﴾ يعنى الانبياء المذكورين فى هذه السورة وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة فى الخيرات من اكبر مايمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم فى طاعة الله عزوجل ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ يعنى انهم ضموا الى فعل الطاعة امرين احدهما الفزع الى الله لمكان الرغبة فى ثوابه والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لاينبسط فى الامور خوفا من الوقوع فى الاثم ❊ قوله تعالى ﴿ والتى احصنت فرجها ﴾ اى احصنته كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسنى بشرولم اك بغيا وهى مريم بنت عمران ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ امرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله ﴿ وجعلناها وابنها آية ﴾ اى دلالة ﴿ للعالمين ﴾ على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وامرهما آية واحدة اى ولادتها اياه من غير أب آية ❊ قوله تعالى ﴿ ان هذه امتكم ﴾ اى ملتكم ودينكم ﴿ امة واحدة ﴾ اى دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ماسوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التى هى على مقصد واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد واحد ﴿ وانا ربكم فاعبدون ﴾ اى لادين سوى دينى ولارب لكم غيرى فاعبدونى اى وحدونى ﴿ وتقطعوا امرهم بينهم ﴾ اى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض ﴿ كل الينا راجعون ﴾ فنجزيهم باعمالهم ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلاكفران لسعيه ﴾ اى لانجحد ولانبطل سعيه بل نشكر ونثاب عليه ﴿ وانا له كاتبون ﴾ اى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ❊ قوله عزوجل ﴿ وحرام على قرية اهلكناها انهم لايرجعون ﴾ قال ابن

﴿ افلم يهدلهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى ﴾ اى قضاء سابق ان لا يستأصل هذه الامة بالدمار والعذاب فى الدنيا لكون نبيهم نبى الرحمة وقوله وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم لكان الاهلاك لازمالهم (فاصبر) بالله (على مايقولون) فانك تراهم جارين على ماقضى الله عليهم مأسورين فى اسر قهره ومكره بهم ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ اى نزه ذاتك بتجريدها عن صفاتها متلبسا بصفات ربك فان ظهورها عليك هو الحمد الحقيقى ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ شمس الذات حال الفناء ﴿ وقبل غروبها ﴾ باستتارها عند ظهور صفات النفس اى فى مقام القلب حال تجلى الصفات فان تسبيح الله هناك محو صفات القلب ﴿ ومن آناء الليل ﴾ اى اوقات غلبات صفات النفس المظلمة والتلوينات الحاجبة ﴿ فسبح ﴾ بالتزكية ﴿ واطراف النهار ﴾ نهار اشراق الروح على القلب

عباس معناه وحرام على اهل قرية اهلكناهم ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان نقبل اعمالهم لانهم لايتوبون * قوله عزوجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه اخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة اعشار بني آدم (وهم من كل حدب ينسلون) اى يسرعون النزول من الآكام والتلال وفى هذه الكناية وجهان احدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ماروى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفنى عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كانى اشبهه بعبدالعزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لااقدروا له قدره قلنا يارسول الله ومااسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئ من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هوكذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهى الى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هوكذلك اذ اوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد اخرجت عبادا لى لايدان لاحد ان يقاتلهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون فى الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل حتى ان اللقحة

بالتصفية (لعلك ترضى) تصل الى مقام الرضا الذى هو كمال مقام تجلى الصفات وغايته (ولا تمدن عينيك الى متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) فى التلوينات النفسية وظهور النفس بالميل الى الزخارف الدنيوية فانها صور ابتلاء اهل الدنيا (ورزق ربك) من الحقائق والمعارف الاخروية والانوار الروحانية (خير وابقى) افضل وادوم (وأمر اهلك بالصلوة) القوى الروحانية والنفسانية بصلاة الحضور والمراقبة والانقياد والمطاوعة (واصطبر عليها) على تلك الحالة بالمجاهدة والمكاشفة (لانسألك) لانطلب منك (رزقا) من الجهة السفلية كالكمالات الحسية والمدركات النفسية (نحن نرزقك) من الجهة العلوية المعارف الروحانية والحقائق القدسية (والعاقبة للتقوى) التى تعتبر وتستأهل ان تسمى عاقبة للتجرد عن الملابس البدنية والهيئات النفسانية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم

من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فأخذتهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم ﴿ شرح غريب الفاظ الحديث ﴾ قوله حتى ظنناه في طائفة النخل اي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله فخفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفعه من شدة ماتكلم به في امره وقيل انه خفض من امره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره قوله انه شاب قطط اي جعد الشعر وقوله طافئة اي خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة اي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول في الشيء قوله فعاث اي افسد قوله اقدروا له قدره اي قدروا واقدروا يوم من ايامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر اوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم اي مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين اي مقحطين قد اجدبت ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض اي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين وقيل المهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لايدان لاحد بقتالهم اي لاقدرة ولاقوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون في انوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم اي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة اي كالمرآة وجمعها زلف وروى بالقاف واراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصابة اي الجماعة قيل يبلغون اربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اي يختلفون والتهارج الاختلاف واصله القتل ﴿ الوجه الثاني ﴾ في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذاكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم * قوله عزوجل (واقترب الوعد الحق) اي القيامة قال حذيفة لوان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر (فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولاتكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) اي في وضعنا العبادة في غير موضعها * قوله عزوجل (انكم) الخطاب للمشركين (وماتعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) اي حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم في النار كما يرمى بالحصباء واصل الحصب الرمي (انتم لها واردون) اي فيها داخلون (لوكان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) اي على الحقيقة (ماوردوها) اي مادخل الاصنام النار

بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) من الحقائق والحكم والمعارف اليقينية الثابتة في الالواح السماوية والارواح العلوية والله تعالى اعلم

﴿ سورة الانبياء ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم) في القيامة الصغرى بل لو عرفوا القيامة لعاينوا حسابهم الآن (وهم في غفلة معرضون ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون وماارسلنا قبلك الارجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وما جعلناهم

وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان يملاء الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ماينالهم من العذاب (وهم فيها لايسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخر ثم تلك التوابيت في توابيت اخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولايرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره * قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان هنا بمعنى الا اى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (اولئك عنها) اى عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال اكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبدالله بن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى انت قلت انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وماتعبدون من دون الله ولو اراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان لان من لمن يعقل وما لمن لايعقل (لايسمعون حسيسها) يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما اشتهت انفسهم) اى من النعيم والكرامة (خالدون) اى مقيمون * قوله تعالى (لايحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا اهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) اى تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنئونهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) اى في الدنيا * قوله عزوجل (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لايحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم (كما بدأنا اول خلق نعيده) اى كما بدأناهم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده قوله غرلا اى قلفا * وقوله تعالى (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعني الاعادة والبعث بعد الموت * قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور

جسدا لايأكلوا الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلاتعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين فلما احسوا بأسنا اذاهم منها يركضون لاتركضوا وارجعوا الى مااترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين لواردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين) اى لواردنا ان نتخذ موجودات تحدث وتفنى كما قيل نموت ونحيي ومايهلكنا الا الدهر لامكنا من جهة القدرة لكنه ينافي الحكمة والحقيقة فلانتخذها (بل نقذف بالحق على الباطل) باليقين البرهاني والكشفي على الاعتقاد الباطل (فيدمغه) فيقمعه (فاذا هو زاهق) زائل (ولكم الويل) الهلاك (مما تصفون) من عدم الحشر او نقذف بالتجلي الذاتي في القيامة الكبرى

من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو ام الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر اى بعدما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعدها بمعنى قبل (ان الارض يرثها عبادى الصالحون) يعنى ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب فى اللوح المحفوظ فى كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان اراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان فى هذا) اى فى القرآن (لبلاغا) اى وصولا الى البغية يعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى مايرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية اى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) اى مؤمنين لايعبدون احدا من دون الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العاملون العاملون * قوله عزوجل (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والاخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون) اى منقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر اى اسلموا (فان تولوا) اى اعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) اى اعلمتكم بالحرب وان لاصلح بيننا (على سواء) اى انذارا بينا نستوى فى علمه لااستبدادا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه نستوى نحن وانتم فى العلم به وقيل معناه استووا فى الايمان به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان ادرى) اى وما اعلم (اقريب ام بعيد ماتوعدون) يعنى يوم القيامة لايعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون) اى لايغيب عن علمه شئ منكم فى علانيتكم وسركم (وان ادرى لعله فتنة لكم) اى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم بكم (ومتاع الى حين) اى تتمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) اى افصل بينى وبين من كذبنى (بالحق) اى بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرنى عليهم والله يحكم بالحق طلب اولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) اى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون والله اعلم بمراده واسرار كتابه

الذى هو الحق الثابت الغير المتغير على باطل هذه الموجودات الفانية فيقهره ويجعله لاشيأ محضا فاذا هو فانٍ صرف فيظهر ان الكل حق وامره جدلا باطل ولالهو وكم الهلاك والفناء الصرف مما تصفون من اثبات وجود الغير واتصافه بصفة وفعل وتأثير (وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبحون الليل والنهار لايفترون ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لوكان فيهما آلهة الاالله لفسدتا) لان الوحدة موجبة لبقاء الاشياء والكثرة موجبة لفسادها الاترى ان كل شئ له خاصية واحدة يمتازبها عن غيره هو بها هو ولولم تكن لم يوجد ذلك الشئ وهى الشاهدة بوحدانيته تعالى كما قيل ففى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد والعدل الذى قامت به السموات والارض هو ظل الوحدة فى عالم الكثرة ولولم يوجد هيئة وحدانية فى المركبات كاعتدال المزاج للموجدت ولو زالت تلك الهيئة لفسدت

تفسير سورة الحج

وهى مكية غير ست آيات من قوله عزوجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (يا ايها الناس اتقوا ربكم) اى احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شئ اعظم مما عظمه الله تعالى قيل هى من اشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) اى الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما ارضعت) اى كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) اى تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة فى الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة فى القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول اصابنا امر يشيب فيه الوليد تريد به شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وماهم بسكارى) على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذى اذهب عقولهم وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله تعالى يأمرك ان تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد فى رواية قالوا يارسول الله اينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض اوكالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا لفظ البخارى وفى حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم يرأ كثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث ابى سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من امتى سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا * وقوله عزوجل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث كان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين وكان ينكر البعث

فى الحال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) اى نزه للفيض على الكل بربوبيته للعرش الذى ينزل منه الفيض على جميع الموجودات عما تصفونه من امكان التعدد (يعلم ما بين ايديهم) اى ما تقدمهم من العلم الكلى الثابت فى ام الكتاب المشتمل على جميع علوم الذوات المجردة من اهل الجبروت والملكوت (وما خلفهم) من علوم الكائنات والحوادث الجزئية الثابتة فى السماء الدنيا فكيف يخرج علمهم عن احاطة علمه ويسبق فعلهم امره وقولهم قولا (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) علمه اهلا للشفاعة بقبوله لصفاء استعداده ومناسبته نفسه

واحياه من صار ترابا (ويتبع) اى فى جداله فى الله بغير علم (كل شيطان مريد) اى المتمرد المستمر فى الشر وفيه وجهان احدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثانى انه ابليس وجنوده (كتب عليه) اى قضى على الشيطان (انه من تولاه) اى اتبعه (فانه) يعنى الشيطان (يضله) اى يضله من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو فى ضلال ثم الزم الحجة منكرى البعث فقال (يا ايها الناس ان كنتم فى ريب) اى شك (من البعث) اى بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعنى اباكم آدم الذى هو اصل النسل (ثم من نطفة) يعنى ذريته من المنى واصلها الماء القليل (ثم من علقة) اى من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا (ثم من مضغة) وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس اى تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذى تاتى به المراة لوقته وغير المخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثانى هو الناقص عن هذه الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت فى الرحم اخذها ملك بكفه وقال اى رب مخلقة اوغير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها فى الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اى رب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق باى ارض يموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها فى ام الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى ياتى على آخر صفته والذى اخرجاه فى الصحيحين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقى اوسعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ❊ وقوله (لنبين لكم) اى كمال قدرتنا وحكمتنا فى تصريف خلقكم وتستدلوا بقدرته فى ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ماتاتون وما تذرون وماتحتاجون اليه فى العبادة وقيل لنبين لكم ان تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونقر فى الارحام مانشاء) اى لاتسقطه ولاتمجه (الى اجل مسمى) اى وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) اى وقت الولادة من بطون امهاتكم (طفلا) اى صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا اشدكم) اى كمال القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) اى قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) اى الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) اى يبلغ من السن مايتغير به عقله فلا يعقل شيأ فيصير كما كان فى اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ❊ ثم ذكر دليلا آخر

على

للنور الملكوتى (وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) فى الخشية من سبحات وجهه والخشوع والاشفاق والانقهار تحت انوار عظمته (اولم ير الذين كفروا) المحجوبون عن الحق (ان السموات والارض (كانتا رتقا) مرتوقتين من هيولى واحدة ومادة جسمانية (ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى افلا يؤمنون) بتباين الصور اوان سموات الارواح وارض الجسد كانتا مرتوقتين فى صورة نطفة واحدة ففتقناهما بتباين الاعضاء والارواح (وجعلنا فى الارض) اى خلقنا من النطفة كل حيوان فى ارض الجسد (رواسى ان تميد بكم) العظام كراهة ان تضطرب وتجئ وتذهب وتخاف بهم فلا تقوم بهم وتستقل (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) مجارى طرقا للحواس وجميع القوى (لعلهم يهتدون) بتلك الحواس والطرق الى آيات الله فيعرفوه (وجعلنا السماء) سماء العقل (سقفا)

على البعث فقال تعالى (وترى الارض هامدة) اى يابسة لانبات فيها (فاذا انزلنا عليها الماء) يعنى المطر (اهتزت) اى تحركت بالنبات (وربت) اى ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات (وانبتت) هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعا (من كل زوج بهيج) اى من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشئ المشرق الجميل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ماهو المطلوب فقال تعالى (ذلك) اى ذكرنا ذلك لتعلموا (بان الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وانه يحيي الموتى) اى انه اذا لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات (وانه على كل شئ قدير) اى من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات (وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور) اى ماذكر من الدلائل لتعلموا ان الساعة كائنة لاشك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق * قوله تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) يعنى النضر بن الحرث (ولا هدى) اى ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) اى ولا كتاب من الله له نور (ثانى عطفه) اى لاوى جنبه وعنقه متبخترا لتكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) اى عن دين الله (له فى الدنيا خزى) اى عذاب وهوان وهو انه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابى معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) اى يقال له ذلك (بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد) اى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على اى وجه اراد يتصرف فى عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم * قوله عزوجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت فى قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمأن له وان اصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت فى هذا الدين الاشرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على شك واصله من حرف الشئ وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذى غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لاعلى سكينة وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه (فان اصابه خير) اى صحة فى جسمه وسعة فى معيشته (اطمأن به) اى رضى به وسكن اليه (وان اصابته فتنة) اى بلاء فى جسمه وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) اى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذى كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) اى خسر فى الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر فى الدنيا ماكان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود فى النار (ذلك هو الخسران المبين) اى الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) ان عصاه ولم يعبده (ومالا ينفعه) اى ان اطاعه وعبده (ذلك هو الضلال البعيد) اى عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره اقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى فى الآية الاولى يدعو

مرتفعا فوقهم (محفوظا) من الغير والسهو والخطا (وهم عن آياتها) عن حججها وبراهينها (معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر) ليل النفس ونهار العقل الذى هو نور شمس الروح وقمر القلب (كل فى فلك يسبحون) اى مقر علوى وحد ومرتبة من سموات الروحانيات يسيرون الى الله (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون) اذ النفس التى هى اصل الخلقة دائمة الطيش والاضطراب لاتثبت على حال فهو مجبول على العجل ولو لم يكن كذلك لم يكن له السير والترقى من حال الى حال اذ الروح دائم الثبات وبتعلقه بالنفس يحصل وجود القلب ويعتدل بهما فى السير فما دام الانسان فى مقام النفس ولم يغلب

من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه وقال فى هذه الآية يدعو لمن ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال فى الآية الاولى مالا يضره اى لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اى ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جمادا لايضر ولاينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية فى الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا ووجه هذا القول ان الله تعالى بين فى الآية الاولى ان الاوثان لاتضر ولاتنفع وهذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلوكان المذكور فى هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) اى الناصر والمصاحب المعاشر * قوله عزوجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل مايريد) اى باوليائه واهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان * قوله تعالى (من كان يظن ان لن ينصره الله) يعنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (فى الدنيا) اى باعلاء كلمته واظهار دينه (والآخرة) اى وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه (فليمدد بسبب) اى بحبل (الى السماء) اى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشدد حبلا فى سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) اى الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهبن كيده) اى صنيعه وحيلته (مايغيظ) اى فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيد فى امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله فى السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفى الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لافائدة فيه وروى ان الآية نزلت فى قوم من اسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود محالفة فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لاينصر محمد ولايظهر امره فتنقطع المحالفة بيننا وبين اليهود فلايميرونا ولايؤونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لايجعل مرزوقا تقول العرب من ينصرنى نصره الله اى من يعطنى اعطاه الله (وكذلك انزلناه) يعنى القرآن (آيات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا) يعنى عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشياطين وهو ماعدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) اى يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلايجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولايجمعهم فى موطن واحد (ان الله على كل شئ شهيد) اى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلايجرى فى ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير سورة البقرة * قوله

عزوجل

عليه نور الروح والقلب المفيد للسكينة والطمانينة يلزمه العجلة بمقتضى الجبلة (لو يعلم) المحجوبون عن الرحمن العام الفيض وعن المعاد الشامل للكل وقت احاطة العذاب بهم جميع الجهات بامر الرحمن المحيط العلم الوحدانى الامر فلا يقدرون ان يمنعوه عما قدامهم من الجهة التى تلى الروح المعذبة بنار القهر الالهى والحرمان الكلى من الانوار الروحانية والكمالات الانسانية ولا عما خلفهم من الجهة التى تلى الجسد المعذبة بنار الهيئات الجسمانية والعقارب والحيات النفسانية والاقذار الهيولانية والآلام الجسدانية (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) من الامداد الروحانية لكثافة حجابهم وشدة ارتيابهم لما استعجلوا (بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلايستطيعون ردها ولاهم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به

عزوجل (الم تر) اى الم تعلم وقيل الم ترقلبك (ان الله يسجدله من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل سجود هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل مافى السماء نجم ولاشمس ولاقمر الايقع ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه مامن جماد الاوهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التى خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت بطاوعتها افعال المكلف وهو السجود الذى كل خضوع دونه فان قلت هذا التأويل يبطله قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذى ذكر عام فى الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذى ذكرته وان كان عاما فى حق الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود فى الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره واما المؤمن فانه ساجد بذاته وبظاهره ايضا فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثانى بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من فى السموات ومن فى الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لواقتصر على ماتقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار اى حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلالهم لله عزوجل (ومن يهن الله فماله من مكرم) اى من يذله الله فلا يكرمه احد (ان الله يفعل مايشاء) اى يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذى يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

﴿ فصل ﴾ هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها اوسماع تلاوتها * قوله عزوجل (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) اى جادلوا فى دينه وامره واختلفوا فى هذين الخصمين فروى عن قيس بن عبادة قال سمعت اباذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة اخرجاه فى الصحيحين (خ) عن على بن ابى طالب قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدى الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عبادة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا فى ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما عفراء وعبدالله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يامحمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم ياعبيدة بن الحرث وياحمزة بن عبدالمطلب وياعلى بن ابى طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم فذكروا انفسهم قالوا انتم اكفاء

يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر انفسهم ولاهم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون) اتمادت غفلتهم فلا يرون (انا نأتى الارض) ارض البدن بالشيخوخة (ننقصها من اطرافها) كالسمع والبصر وسائر القوى او ارض النفس المتيقظة المتوجهة الى الحق الذاكرة بانوار الصفات ننقصها من صفاتها وقواها (افهم الغالبون) ام نحن (قل انما انذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ماينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك) من النفحات الربانية فى صورة العذاب اى من الالطاف الخفية كما قال امير المؤمنين عليه السلام سبحان من اشتدت نقمته اعدائه فى سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته فكشف عنهم حجاب الغفلة المتراكمة من طول التمتيع الذى هو النقمة فى صورة الرحمة والقهر

كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر حمزة وعلى باسيا فهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست شهيدا يارسول الله قال بلى فقال عبيدة لوكان ابوطالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول

ونسلمه حتى نصرع حوله ❋ ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية فى المسلمين واهل الكتاب قال اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن احق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم فى ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من اى ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن ابى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالى لايدخلنى الا الضعفاء الناس وسقطهم زاد فى رواية وغرتهم فقال الله عزوجل للجنة انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار انما انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولايظلم ربك من خلقه احدا واما الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا وللبخارى اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى اولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره اولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم ذكره وهو اهل الاديان الستة وايضا فانه ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته وذكر مآل الخصمين فقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شئ اذا حمى اشد حرا منه وسمى باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس اهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) اى الماء الحار الذى انتهت حرارته (يصهر به) اى يذاب بالحميم الذى يصب من فوق رؤسهم (ما فى بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف احدهم فيسلت مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) اى سياط من حديد وهى الجرز من الحديد وفى الخبر لو وقع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الارض (كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم) اى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بانفاسهم (اعيدوا فيها) اى ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى اعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) اى تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال احد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى فى وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين

آمنوا

الخفى ليستيقظن ويتنبهن لظلمهم فى اعراضهم عن الحق وانهما كهم فى الباطل (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) ميزان الله تعالى هو عدله الذى هو ظل وحدته وصفته اللازمة لهابه قامت سموات الارواح وارض الاجساد واستقامت ولولاه لما استقر امر الوجود على النسق المحدود ولما شمل الكل اصاب كل موجود قسطه منه بحسب حاله وقدر احتماله فصار بالنسبة الى كل احد بل كل شئ ميزانا خاصا وتعددت الموازين على حسب تعدد الاشياء وهى جزئيات الميزان المطلق ولذلك ابدل القسط المطلق منها اووصفها به فانها كلها هى العدل المطلق الواحد ولاتتعدد الحقيقة بتعدد المظاهر ووضعها عبارة عن ظهور مقتضاها وذلك انما يكون يوم القيامة الصغرى بالنسبة الى المحجوب ويوم القيامة الكبرى بالنسبة الى اهلها (فلاتظلم نفس شيأ) لان كل ماعملت من خير وجد حالة عمله فى كفة الحسنات التى

آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الابريسم الذى حرم لبسه على الرجال فى الدنيا عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (ق) عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان ادنى لؤلؤة منها اضىء مابين المشرق والمغرب اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة * قوله تعالى (وهدوا) من الهداية اى ارشدوا (الى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول اهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده (وهدوا الى صراط الحميد) اى الى دين الله وهو الاسلام والحميد هو الله المحمود فى افعاله * قوله عزوجل (ان الذين كفروا) اى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) اى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام (والمسجد الحرام) اى ويصدون عن المسجد الحرام (الذى جعلناه للناس) اى قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا (سواء العاكف) اى المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاوز واقام به ولزم التعبد فيه (والباد) اى الطارىء المنتاب اليه من غيره واختلفوا فى معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادى فى تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا بنى عبد مناف لاتمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى اية ساعة شاء من ليل اونهار اخرجه الترمذى وابو داود والنسائى وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سواء فى النزول به ليس احدهما احق بالمنزل من الآخر غير انه لايزعج احد احدا اذا كان قد سبق الى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت والمنازل قال عبدالرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس ان يغلقوا ابوابهم فى الموسم فعلى هذا القول لايجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان ارض مكة لاتملك لانها لوملكت لم يستو العاكف فيها والبادى فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرام وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعى احتج الشافعى فى ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اضاف الديار الى مالكيها وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار ابى سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن

هى جهة الروح من القلب وكل ماعملت من سوء وضع فى كفة السيئات التى هى جهة النفس منه والقلب هو لسان الميزان ولهذا قيل يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سود مظلمة الا ان الثقل هناك يوجب الصعود والميل الى العلو والخفة توجب النزول والميل الى السفل بخلاف الميزان الجسمانية اذ الثقيل ثمة هو الراجح المعتبر الباقى عند الله والخفيف هو المرجوح الفانى الذى لاوزن له عند الله ولا اعتبار فلاينقص مما عملت نفس شيأ (وان كان مثقال حبة من خردل) ومن هذا يعلم ماقيل ان الله تعالى يحاسب الخلائق فى اسرع من فواق شاة (اتينابها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى) القلب (وهرون) العقل اوعلى ظاهرها (الفرقان) اى العلم التفصيلى الكشفى المسمى بالعقل الفرقانى (وضياء) اى نورا تاما من المشاهدات الروحانية (وذكرى) اى تذكيرا وموعظة (للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب)

بأربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها * وقوله تعالى (ومن يرد فيه) اى فى المسجد الحرام (بالحاد بظلم) اى بميل الى الظلم قيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غيرالله وقيل هو كل شئ كان منهيا عنه من قول اوفعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام اوارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لايقتلك اوتظلم فيه من لايظلمك وقال مجاهد تضاعف السيآت بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ماروى يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام فى الحرم الحاد فيه اخرجه ابو داود وقال عبدالله بن مسعود فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم (نذقه من عذاب اليم) قال لو ان رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن ابين او ببلد آخر اذاقه الله من عذاب اليم قال السدى الاان يتوب وروى عن عن عبدالله بن عمرو انه كان له فسطاطان احدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم فى الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله * قوله تعالى (واذبوأنا لابرهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا واعلمنا مكان البيت لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما امرالله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر اى جهة يبنى فبعث الله تعالى ريحا خجوجا فكنست له ماحول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم ياابراهيم ابن على قدرى فبنى عليه (ان لاتشرك بى شيأ) اى عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لاتشرك بى شيأ (وطهر بيتى) اى من الشرك والاوثان والاقذار (للطائفين) اى الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) اى المقيمين فيه (والركع السجود) اى المصلين * قوله عزوجل (واذن) اى اعلم وناد والاذان فى اللغة الاعلام (فى الناس) قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة (بالحج) فقال ابراهيم عليه السلام ومايبلغ صوتى فقال الله عليك الاذان وعلينا الابلاغ فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه فى اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال ياايها الناس الا ان ربكم قدبنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وروى ان ابراهيم صعد اباقبيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك فى حجة الوداع (م) عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يأتوك رجالا) اى مشاة على ارجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) اى ركبانا على الابل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر المشاة تشريفا لهم (يأتين) اى جماعة الابل (من كل فج عميق) اى من كل طريق بعيد فمن اتى مكة حاجا وكانه قداتى ابراهيم لانه يجيب نداءه * قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل مارضى به الله من امر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات) يعنى عشر ذى الحجة فى قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من اجل وقت الحج فى آخرها

تركت نفوسهم من الرذائل والصفات الحاجبة فاشرقت انوار طيبات المعظمة من قلوبهم على نفوسهم لصفائها وزكائها فاورثت الخشية فى حال الغيبة قبل الوصول الى مقام الحضور القلبى (وهم من الساعة مشفقون) اى القيامة الكبرى على اشفاق وتوقع لوقوعها لقوة يقينهم اذ لااشفاق انما عند لتوقع لشئ مترقب الوقوع اى آتيا هافى مقام القلب العلم الذى به يفرق بين الحق والباطل من الحقائق والمعارف الكلية وفى مقام الروح ومرتبته النور المشاهد الباهر على كل نور وفى مقام النفس ورتبة الصدر التذكير بالمواعظ والنصائح والشرائع من العلوم الجزئية النافعة للمستعدين القابلين السالكين (وهذا ذكر مبارك انزلناه افأنتم له منكرون) غزير الخير والبركة شامل للامور الثلاثة زائد عليها بالكشف الذاتى والشهود الحقى فى مقام الهوية وعين جمع الاحدية جامع لجوامع الكلم حاف بجميع المشاهدات والحكم اذ فى البركة معنى

وعن ابن عباس انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده
(على مارزقهم من بهيمة الانعام) يعنى الهدايا والضحايا تكون من النعم وهى الابل والبقر والغنم
وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وايام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند
نحرها ونحر الهدايا يكون فى هذه الايام (فكلوا منها) امر اباحة ليس بواجب وذلك ان اهل
الجاهلية كانوا لايأكلون من لحوم هداياهم شيأ فامر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على ان الهدى
اذا كان تطوعا يجوز للمهدى ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبدالله
فى قصة حجة الوداع قال وقدم على ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة
بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ماغبر واشركه فى بدنه
ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر وطبخت فاكل من لحمها وشرب من مرقها اخرجه
مسلم قوله ماغبر اى مابقى قوله ببضعة اى بقطعة واختلف العلماء فى الهدى الواجب بالشرع
مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدى ان
يأكل منه شيأ قال الشافعى لايأكل منه شيأ وكذلك ما اوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر
لايأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحق وقال مالك يأكل
من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند
اصحاب الرأى انه يأكل من دم التمتع والقرآن ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى
(واطعموا البائس الفقير) يعنى الزمن الذى لاشئ له * قوله تعالى (ثم ليقضوا تفثهم) اى
ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف
الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج اشعث اغبر اذا لم يزل هذه الاوساخ
وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) اراد نذر الحج
والهدى ومايذر الانسان من شئ يكون فى الحج اى ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما
نذر وهو على ظاهره وقيل اراد به الخروج عما وجب عليه نذره اولم ينذره (وليطوفوا بالبيت
العتيق) اراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمى والحلق والطواف
ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان
ينتهى اليه ويمشى اربعا وهذا الطواف سنة لاشئ على تركه (ق) عن عائشة ان اول شئ
بدأ به حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم انه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج ابوبكر وعمر
مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب
ثلاثا ومشى اربعا زاد فى رواية ثم يصلى ركعتين يعنى بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا
والمروة ولفظ ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف فى الحج او العمرة اول
مايقدم فانه يسعى ثلاثة اشواط ويمشى اربعا ثم يصلى سجدتين والطواف الثانى هو طواف
الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمى والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر
لت ماارانى الاحابستكم قال النبى صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم
فانفرى قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله اى اصابها بالعقر وبوجع فى حلقها وقيل معناه
ؤمة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شئ يجرى على السنة العرب كقولهم لاام لك

معنى النماء والزيادة (ولقد آتينا ابراهيم) الروح (رشده) المخصوص به الذى يليق بمثله وهو الاهتداء الى التوحيد الذاتى ومقام المشاهدة والخلة (من قبل) اى قبل مرتبة القلب والعقل متقدما عليهما فى الشرف والعز (وكنا به عالمين) اى لايعلم كماله وفضيلته غيرنا لعلو شأنه (اذقال لابيه) النفس الكلية (وقومه) من النفوس الناطقة السماوية وغيرها (ماهذه التماثيل) اى الصور المعقولة من حقائق العقول والاشياء وماهيات الموجودات المنتقشة فيها (التى انتم لها عاكفون) مقيمون على تمثلها وتصورها وذلك عند عروجه من مقام الروح المقدسة وبروزه عن الحجب النورية الى فضاء التوحيد الذاتى كما قال عليه السلام انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا ومن هذا المقام قوله لجبريل عليه السلام اما اليك فلا (قالوا وجدنا آباءنا) علانا من العوالم السابقة على النفوس كلها من اهل

وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له ان ينفر الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال امر الناس ان يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا انه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لان الله اعتقه من ايدي الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه اول بيت وضع للناس وقيل لان الله اعتقه من الغرق فانه رفع ايام الطوفان وقيل لانه لم يملك * قوله عز وجل (ذلك) اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) اي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها (فهو خير له عند ربه) اي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (واحلت لكم الانعام) اي ان تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم (الا ما يتلى عليكم) اي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) اي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) اي الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور وروى عن ايمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لايمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم واخرجه ابو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك * قوله تعالى (حنفاء لله) اي مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على ان المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الاخلاص لله بها لا لغيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به اي حجوا لله مسلمين موحدين ومن اشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما خر) اي سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) اي تسلبه وتذهب به (او تهوي به الريح) اي تميل وتذهب به (في مكان سحيق) اي بعيد ومعنى الآية ان من اشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير او هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه او بسقوطه في المكان السحيق وقيل معنى الآية من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت اجزاءه في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك

الجبروت (لها عابدين) باستحصارهم اياها في ذواتهم لا يذهبون عنها (قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين) في حجب عن الحق نوري وظلماني اي عبدة صفات ما كانين في برازخ الصفات لا تهتدون الى حقيقة الاحدية والغرق في بحر الهوية (قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين) اي احدث مجيئك الينا من هذا الوجه بالحق فيكون القائل هو الحق عز سلطانه ام استمر بنفسك كما كان فتكون انت القائل فيكون قولك لعبا لا حقيقة له فان كنت قائما بالحق ساترا بسيره فالاته صدقت وقولك الحق وتفوقت علينا وتخاف اعنك وان كنت بنفسك فبالعكس (قال بل ربكم) الجاني والقائل ربكم الذي يربكم بالايجاد والتقويم والاحياء والتجريد والابقاء والتعليم رب الكل الذي اوجده (رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم) الحكم بان القائل هو الحق الموصوف بربوبية الكل (من الشاهدين) وهذا الشهود هو شهود

البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التي توزع افكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة * قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) اي تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدي واصلها من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها انها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) اي في البدن (منافع) قيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها (الى اجل مسمى) اي الى ان يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركبوها وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعني الى ان تنحروها وهو قول عطاء واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي واحمد واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك في الثانية او الثالثة اخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب من لبنها بعدما يفضل عن ري ولدها وقال اصحاب الرأي لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل اراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة لكم فيها منافع اي بالتجارة والاسواق الى اجل مسمى اي الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع اي بالاجر والثواب في قضاء المناسك الى انقضاء ايام الحج (ثم محلها الى البيت العتيق) اي منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع ارض الحرم روي عن جابر في حديث حجة الوداع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة * قوله تعالى (ولكل امة) اي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين اي مذبحا وهو موضع القربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) اي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز اكله * قوله عز وجل (فالهكم اله واحد) اي سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد (فله اسلموا) اي اخلصوا وانقادوا واطيعوا (وبشر المخبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما اصابهم) اي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه (والمقيمي الصلاة) اي في اوقاتها محافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) اي يتصدقون * قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد

الربوبية والايجاد والالم يقل اما وعلى الشهود الذاتي هو الفناء المحض الذي لا انانية فيه ولا اثنينية وتلك الانانية بعد الافصاح بان الجاني والقائل هو الحق الذي اوجد الكل مشعرة بمقام الكل المنخفض عن مقام (وتالله لأكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين) لامحون صور الاشياء واعيان الموجودات التي عكفتم على ايجادها وحفظها وتدبيرها والقيام على اثباتها بعد ان تعرضوا عن عين الاحدية الذاتية بالاقبال الى الكثرة الصفاتية بنور التوحيد (فجعلهم) بفأس القهر الذاتي والشهود العيني (جذاذا) قطعا متلاشية فانية (الا كبيرا لهم) هو عينه الباقي على اليقين الاول الذي به سمي الخليل خليلا (لعلهم اليه يرجعون) يقبلون منه الفيض ويستفيضون منه النور والعلم كما استفاض هو منه اولا (قالوا) اي قالت النفوس الماشية بالعقول (من فعل هذا) الاستخفاف والتحقير (بآلهتنا) التي هي معشوقاتنا ومعبوداتنا نسبتها الى الاحتجاب

الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله اى من اعلام دينه قيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة فى سنامها فيعلم بذلك انها هدى (لكم فيها خير) اى نفع فى الدنيا وثواب فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) اى عند نحرها (صواف) اى قياما على ثلاث قوا ثم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ بدنة ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذا وجبت جنوبها) اى سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الارض (فكلوا منها) امر اباحة (واطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذى يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذى لا يسال ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسأل والمعتر هو الذى يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذى ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجئ الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم (كذلك) اى مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) اى لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) اى انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها اى لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) اى ولكن ترفع اليه اعمال الصالحة والاخلاص وهو ما اريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) يعنى البدن (لتكبروا الله على ما هداكم) وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين * قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم (ان الله لا يحب كل خوان كفور) اى خو ان فى امانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور * قوله عز وجل (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) اى اذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو اهل مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيؤن من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وهى اول آية اذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية فى قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلموا اى بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء (وان الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) يعنى انهم اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) اى بالجهاد واقامة الحدود (لهدمت صوامع) هى معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء (وبيع) هى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى (وصلوات) هى

والنظر اليها بعين الفناء وجعلها بقوة الظهر كالهباء مستعظمين متعجبين منه معظمين له لامره (انه لمن الظالمين) الناقصين حقوق المعبودات المجردة وجميع الموجودات من الوجودات والكمالات بنفيها عنهم واثباتها للحق او الناقصين حق نفسهم باقنائها وقهرها (قالوا سمعنا فتى) كاملا فى الفتوة والشجاعة على قهر ماسوى الله من الاغيار والسخاوة ببذل النفس والمال (يذكرهم يقال له ابرهيم) بنفى القدرة والكمال عنهم ونسبة العدم والفناء اليهم (قالوا فأتوا به على اعين الناس) اى استحضروه واحضروه معاينا لجميع النفوس (لعلهم يشهدون) كماله وفضيلته فيستفيدون منه (قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم) صورة انكار لما لم يعرفوا من كماله اذ كل ما يمكن للنفوس معرفته فهو دون كمال العقول التى هى معشوقاتها وهى محجوبة عن كماله الالهى الذى هو به اشرف منها (قال بل فعله كبيرهم هذا) اى ما فعلته بانانيتى التى انا بها احسن منها

كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوثا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) اي ينصر دينه ونبيه (ان الله لقوي) اي على نصر من ينصر دينه (عزيز) اي لايضام ولا يمنع مما يريده * قوله عزوجل (الذين ان مكناهم في الارض) اي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الامور) اي آخر امور الخلق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع * قوله تعالى (وان يكذبوك) فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كأنه قيل بعد ماذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره (فأمليت للكافرين) اي امهلتهم واخرت العقوبة عنهم (ثم اخذتهم) اي عاقبتهم (فكيف كان نكير) اي انكاري عليهم ماعملوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه * قوله عزوجل (فكأين من قرية اهلكتها) وقرئ اهلكناها على التعظيم (وهي ظالمة) اي واهلها ظالمون (فهي خاوية) اي ساقطة (على عروشها) اي على سقوفها (وبئر معطلة) اي وكم من بئر معطلة اي متروكة مخلاة عن اهلها (وقصر مشيد) اي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان اربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم * قوله تعالى (افلم يسيروا في الارض) يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) اي يعلمون بها (او آذان يسمعون بها) يعني مايذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) المعنى ان عمى القلب هو الضار في امر الدين لاعمى البصر لان البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلوب

بل بحقيقتي وهو فوق التي هي اشرف واكبر منها (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) بالاستقلال اي لانطق لهم ولاعلم ولا وجود بانفسهم بل بالله الذي لااله الا هو (فرجعوا الى انفسهم) بالاقرار والاذعان معترفين بان الممكن لاوجود له بنفسه فكيف كماله (فقالوا انكم انتم الظالمون) بنسبة الوجود والكمال الى الغير لاهو (ثم نكسوا على رؤسهم) حياء من كماله ونقصهم وخضوعا وانفعالا منه (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) بالعلم الاني الحقاني فناءهم فنفيت النطق عنهم واما نحن فلا نعلم الا ماعلمنا الله فاعترفوا بنقصهم كما اعترفوا به عند معرفتهم لآدم بعد الانكار فقالوا لاعلم لنا الا ماعلمتنا (قال افتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيأ ولايضركم) وتعظمون غيره مما لاينفع ولايضر اذ هو النافع الضار لاغير (اف لكم ولما تعبدون من دون الله) اتضجر بوجودكم ووجود معبوداتكم ووجود كل ماسواه تعالى (افلاتعقلون) اذ لامؤثر ولامعبود الا الله

هو البصر النافع (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت فى النضر بن الحرث (ولن يخلف الله وعده) اى انه انجز ذلك يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعنى يوما من الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من ايام الآخرة يدل عليه ماروى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة اخرجه ابو داود بزيادة فيه واخرج الترمذى نحوه ومعنى الآية انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام عذابهم فى الآخرة كألف سنة وقيل ان يوما من ايام العذاب فى الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده والف سنة فى الامهال سواء لانه قادر متى شاء اخذهم لايفوته شئ بالتأخير فيستوى فى قدرته وقوع مايستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس (وكأين من قرية امليت لها) اى امهلتها (وهى ظالمة) اى مع استمرار اهلها على الظلم (ثم اخذتها) اى انزلت بهم العذاب (والى المصير) يعنى مصيرهم الى فى الآخرة ففيه وعيد وتهديد * قوله عزوجل (قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين) امر الله رسوله ان يديم لهم التخويف والانذار وان يقول لهم انما بعثت لكم منذرا (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما امر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول انما انا نذير مبين اردف ذلك بأن امره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة اى ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر ايضا مع التوبة ورزق كريم اى لاينقطع ابدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) اى عملوا فى ابطال آياتنا (معجزين) اى مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين اى معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا فلانقدر عليهم بزعمهم ان لابعث ولانشور ولاجنة ولانار (اولئك اصحاب الجحيم) * قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه مارأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى فى نفسه ان يأتيه من الله مايقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما فى مجلس لقريش فانزل الله عزوجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه ماكان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الاسجد غير الوليد بن المغيرة وابى احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ماسمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيى ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال

(قالوا حرقوه) اى اتركوه يحترق بنار العشق التى اتم اوقدتموها اولا بالقاء الحقائق والمعارف التى هى حطب تلك النار عند رؤيته ملكوت السموات والارض باراءة الله اياه كما قال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض واشراق الانوار الصفاتية والاسمائية عند تجليات الجمال والجلال عليه من وراء استار اعيانكم التى هى منشأ اتقاد تلك النار (وانصروا آلهتكم) اى معشوقاتكم ومعبوداتكم فى الامداد بتلك الانوار وايقاد تلك النار (ان كنتم فاعلين) بامر الحق (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) بالوصول حال الفناء فان لذة الوصول تفيد الروح الكامل والسلامة عن نقص الحدثان وآفة النقصان والامكان فى عين نار العشق (وارادوا به كيدا) باقائه واحراقه (فجعلناهم الاخسرين) الانقصين منه كالاورثبة (ونجيناه ولوطا الى الارض) ولوط العقل بالبقاء بعد الفناء بالوجود الحقانى الموهوب الى ارض الطبيعة البدنية (التى باركنا

يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس مالم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي كانوا حدثوا به من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ماذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من اسلم وقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي النبي هو الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا تمنى اي احب شيأ واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به القى الشيطان في امنيته اي في مراده وقال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان في حديثه ووجداليه سبيلا والمعنى مامن نبي الاتمنى ان يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا القى الشيطان عليه مايرضى قومه فينسخ الله مايلقي الشيطان وقال اكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته قال حسان في عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله اول ليلة ✽ وآخرها لاقى حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ماهو به لاقصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال اجوبة احدها توهين اصل هذه القصة وذلك انه لم يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها ثقة بسند صحيح اوسليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر يقول قراها وهو في نادي قومه وآخر يقول قراها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ماهكذا اقرأتك الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا اخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو ان الحجة قد قامت

فيها بالكمالات العملية المثمرة والآداب الحسنة المفيدة والشرائع والملكات الفاضلة (للعالمين) اى المستعدين لقبول فيضه وتربيته وهدايته (ووهبناله اسحق) القلب للرد الى مقامه بتكميل الخلق حال الرجوع عن الحق (ويعقوب) النفس المرتاضة الممتحنة بالبلاء المطمئنة باليقين والصفاء (نافلة) منورة بنور القلب متولدة منه (وكلا جعلنا صالحين) بالاستقامة والتمكين في الهداية (وجعلناهم ائمة) لسائر القوى والنفوس الناقصة المستعدة (يهدون بامرنا) اما الروح فبالاحوال والمشاهدات والانوار واما القلب فبالمعارف والمكاشفات والاسرار واما النفس فبالاخلاق والمعاملات والآداب وهي المرادة بقوله (واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين) بالتوحيد والعبودية الحقة في مقام التجريد والتفريد وهذا هو تطبيق ظاهر ابراهيم على باطنه وقد يمكن ان يؤول بضرب آخر من التأويل

بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وتزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه ان ينزل عليه مدح آلهة غير الله اوان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ماليس منه حتى نبهه جبريل عن ذلك فهذا كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا كما صح عنه في قراءته فيحتمل ان الشيطان ترصد تلك السكتات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا صوت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فاما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها الله عزوجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى اى خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى اى تلا وهو مايقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية اوآيات اوكلمة اونحو ذلك ولكنه لايقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد اذكرني كذا كذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطا في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى اعلم * قوله عزوجل (فينسخ الله مايلقي الشيطان) اى يبطله ويذهبه (ثم يحكم الله آياته) اى يثبتها (والله عليم حكيم) * قوله عزوجل (ليجعل مايلقي الشيطان فتنة) اى محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء (للذين في قلوبهم مرض) اى شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) اى الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين لفي شقاق بعيد) اى في خلاف شديد (وليعلم الذين اوتوا العلم) اى التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (انه الحق من ربك) اى الذى احكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) اى يعتقدوا انه من الله عزوجل (فتخبت له قلوبهم) اى تسكن اليه (وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) اى الى طريق قويم وهو الاسلام * قوله عزوجل (ولايزال الذين كفروا في مرية منه) اى في شك من القرآن وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) اى فجاة وقيل اراد بالساعة الموت (اويأتيهم عذاب يوم عقيم) اى عذاب يوم لاليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتى بخير وقيل لانه لامثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه (الملك يومئذ) يعنى يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولامشارك فيه (يحكم) اى يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) * قوله تعالى (والذين

مناسب لماقال النبي عليه السلام كنت انا وعلى نورين نسبح الله تعالى ونحمده ونهلله وسبحته الملائكة بتسبيحنا وحمدته بتحميدنا وهللته بتهليلنا فلما خلق آدم عليه السلام انتقلنا الى جبهته ومن جبهته الى صلبه ثم الى شيث الى آخر الحديث وهو ان الروح الابراهيمي قدسه الله تعالى كان كاملا في اول مراتب صفوف الارواح مفيضا على اطوار الملكوت كالاتهم جار القصهم كاسر الاصنام اعيان الموجودات وآلهة الذوات الممكنات من المادية والمجردات بنور التوحيد طاويا لمراتب الكمالات ذاويا للواقفين مع الصفات والمحجوبين بالغير عن الذات فوضعه نمروذ النفس الطاغية العاصية وقواها التي هى قومه في منجنيق الذكر والقوة في نار حرارة طبيعة الرحم فجعلها الله عليه بردا وسلاما اى روحا وراحة من الآفات اى وضع وادرة وجوده التي هى مظهر روحه ونجيناه الى ارض البدن التي باركنا فيها للعالمين بهدايته اياهم وتكميله وتربيته لهم

هاجروا فى سبيل الله) اى فارقوا اوطانهم وعشائرهم فى طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا اوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) اى لاينقطع ابدا وهو رزق الجنة لان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين (وان الله لهو خير الرازقين) فان قلت الرازق فى الحقيقة هو الله عزوجل لارازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاركة وله رزق السلطان الجند اى اعطاهم ارزاقهم وان الرازق فى الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من الرزق مالا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعنى الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالعفو عنهم * قوله عزوجل (ذلك) اى امر ذلك الذى قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) اى جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعنى قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغى عليه) اى ظلم باخراجه من منزله يعنى مااتاه المشركون من البغى على المسلمين حتى احوجوهم الى مفارقة اوطانهم نزلت فى قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا فى المحرم فكره المسلمون قتالهم وسالوهم ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله ان الله لعفو) اى عن مساوى (غفور) يعنى لذنوبهم (ذلك) اى ذلك النصر (بان الله) القادر على مايشاء فمن قدرته انه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) فى معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس القول الثانى هو مايزيد فى احدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لايقدر عليه الا الله تعالى (وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق) اى ذو الحق فى قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان مايدعون) يعنى المشركين (من دونه هو الباطل) يعنى الاصنام التى ليس عندها ضر ولانفع (وان الله هو العلى) اى العالى على كل شئ (الكبير) اى العظيم فى قدرته وسلطانه * قوله عزوجل (الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) اى بالنبات (ان الله لطيف) اى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان (خبير) اى بما فى قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له مافى السموات وما فى الارض) اى عبيدا وملكا (وان الله لهو الغنى الحميد) يعنى الغنى عن عباده الحميد فى افعاله (الم تر ان الله سخر لكم مافى الارض) اى الدواب التى تركب فى البر (والفلك) اى وسخر لكم السفن (تجرى فى البحر بأمره) يعنى سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ماجرت (ويمسك السماء ان تقع) اى لكيلا تسقط (على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعنى انه انعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية فى الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم (وهو الذى احياكم) اى انشاكم ولم تكونوا شيأ (ثم يميتكم) اى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) اى يوم البعث للثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) اى لجحود لنعم الله عزوجل * قوله تعالى (لكل امة جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعنك فى الامر) اى فى امر

فيها بالعلوم والاعمال التى هى ارزاقهم الحقيقة واوصافهم الكمالية (ولوطا) واذكر لوط القلب (آتيناه) حكمة (وعلما ونجيناه من القرية) اهل قرية البدن (التى كانت تعمل الخبائث) خبائث الشهوات الفاسدة (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) مايأتيهم الامور لامن جهتنا المأمور بها ومباشرتهم الاعمال لاعلى ماينبغى من وجه الشرع والعقل (وادخلناه فى رحمتنا) الرحيمية ومقام تجلى الصفات (انه من الصالحين) العاملين بالعلم الثابتين على الاستقامة (ونوحا) ونوح العقل (اذنادى من قبل) من جهة قدم القلب واستدعى الله الكمال اللاحق (فاستجبناله واهله) فنجينا القوى القدسية والفكرية والحدسية وسائر القوى العقلية (من الكرب العظيم) الذى هو كون كمالاتها بالقوة اذكل ماهو كامن فى الشئ بالقوة كرب له يطلب التنفيس بالظهور والبروز الى الفعل وكلما كان الاستعداد اقوى والكمال الممكن له الكامن فيه اتم

الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا الاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما تقتلون بايديكم ولا تأكلون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم انت ❁ قوله تعالى (وادع الى ربك) اى الى الايمان به والى دينه (انك لعلى هدى مستقيم) اى على دين واضح قويم (وان جادلوك) اى خاصموك في امر الذبح وغيره (فقل الله اعلم بما تعملون) اى من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) اى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وابى ❁ قوله عزوجل (الم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب) اى في اللوح المحفوظ (ان ذلك) اى علمه بجميعه (على الله يسير) اى هين وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) اى حجة ظاهرة من دليل سمعى (وماليس لهم به علم) اى انهم فعلوا مافعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلى (وما للظالمين) اى المشركين (من نصير) اى مانع يمنعهم من العذاب (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) اى الانكار والكراهة يتبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) اى يقعون ويبسطون اليكم ايديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) اى بمحمد واصحابه من شدة الغيظ (قل) اى قل لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) اى بشر لكم واكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون (النار) اى هى النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) ❁ قوله تعالى (يا ايها الناس ضرب مثل) فان قلت الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال في الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) اى تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع والمعنى جعل لى شبيه وشبه بى الاوثان اى جعل المشركون الاصنام شركائى يعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (لن يخلقوا ذبابا) اى واحدا في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) اى لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له (وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين ايدى الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب مايسلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب اى لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ماقدروا الله حق قدره) اى ماعظموه حق عظمته وماعرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث اشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز) اى غالب لا يقهر ❁ قوله عزوجل (الله يصطفى

كان الكرب اعظم (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) اى القوى النفسانية والبدنية المكذبين بآيات المعقولات والمحرمات (انهم كانوا قوم سوء) يمنعونه من الكمال والتجريد ويحجبونه عن الانوار بالتكذيب (فأغرقناهم) فى يم القطران الهيولانى والبحر العميق الجسمانى (اجمعين وداود) العقل النظرى الذى هو فى مقام السر (وسليمان) العقل العلمى الذى هو فى مقام الصدر (اذ يحكمان فى الحرث) اى فيما فى ارض الاستعداد من الكمالات المودعة فيه المخزونة فى الازل والمغروزة فى الفطرة الناشئة عند التوجه الى الظهور والبروز يحكمان فيه بالعلم والعمل والفكر والرياضة وتميزها وابتناعها وادراكها (اذ نفشت فيه) انتشرت فيه بالافساد فى ظلمة ليل غلبة الطبيعة البدنية والصفات النفسانية (غنم القوم) اى القوى البهيمية الشهوانية (وكنا لحكمهم شاهدين) على مقتضى احوالهم حاضرين اذ كان الحكم بامرنا وعلى

من الملائكة) اى يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) اى ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم اجمعين نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (ان الله سميع) اى لاقوالهم (بصير) اى لافعالهم لاتخفى عليه خافية * قوله تعالى (يعلم مابين ايديهم) قال ابن عباس ماقدموا (وماخلفهم) اى ماخلفوا وقيل يعلم ماعملوا وماهم عاملون وقيل يعلم مابين ايدى ملائكته ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ماهو كائن بعد فنائهم (والى الله ترجع الامور) اى فى الآخرة * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) اى صلوا لان الصلاة لاتكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) اى وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر (لعلكم تفلحون) اى لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة

﴿ فصل فى حكم سجود التلاوة هنا ﴾ لم يختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة اختلفوا فى السجدة الثانية فروى عن عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابى الدرداء وابى موسى انهم قالوا فى الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعى واحمد واسحق يدل عليه ماروى عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله افى الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلايقرأهما اخرجه الترمذى وابوداود وعن عمر بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين اخرجه مالك فى الموطأ وذهب قوم الى ان فى الحج سجدة واحدة وهى الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثورى وابى حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لاسجدة تلاوة واختلف العلماء فى عدة سجود التلاوة فذهب الشافعى واحمد واكثر اهل العلم الى انها اربع عشرة سجدة لكن الشافعى قال فى الحج سجدتان واسقط سجدة ص وقال ابو حنيفة فى الحج سجدة واثبت سجدة ص وبه قال احمد فى احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن ابى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة يدل عليه ماروى عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن احدى عشرة سجدة اخرجه ابو داود وقال اسناده واه ودليل من قال فى القرآن خمس عشرة سجدة ماروى عن عمرو بن العاص قال اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان اخرجه ابو داود وصح من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ واذا السماء انشقت اخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة هو واجب * قوله عزوجل (وجاهدوا فى الله حق جهاده) اى جاهدوا فى سبيل الله اعداء الله ومعنى

اعيننا ومقتضى ارادتنا فحكم داود السر على مقتضى الذوق بتسليم غنم القوى الحيوانية البهيمية الى اصحاب الحرث من القوى الروحانية بالملكية ليذبحوها ويميتوها بالاستيلاء والقهر والغلبة وينتفعوا بها وحكم سليمان العقل السامى على مقتضى العلم بتسليط القوى الروحانية عليها لينتفعوا بألبانها من العلوم النافعة والادراكات الجزئية والاخلاق والملكات الفاضلة ويروضوها بالتهذيب والتأديب واقامة اصحاب الغنم من النفس وقواها الحيوانية كالغضبية والمتحركة والمتخيلة والوهمية وامثالها بعمارة الحرث واصلاح مافى ارض الاستعداد بالطاعات والعبادات والرياضات من باب الشرائع والاخلاق والآداب وسائر الاعمال الصالحات حتى يعود الحرث ناضرا بالغا الى حد الكمال لترد الغنم الى اصحابها عند حصول الكمال فتصير محفوظة مرعية مسوسة مهذبة فى الاعمال البهيمية بفضيلة العفة ويرد الحرث الى اربابه من الروح وقواه

حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه انه قال لاتخافوا فى الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون فى سبيل الله ولاتخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال اكثر المفسرين حق الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هى العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله اخرجاه فى الصحيحين من حديث ابى موسى الاشعرى وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوى بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس (هو اجتباكم) اى اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاى رتبة اعلى من هذا واى سعادة فوق هذا (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) اى ضيق وشدة وهو ان المؤمن لايبتلى بشئ من الذنوب الاجعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام مالايجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق فى اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر فى السفر والتيمم عند عدم الماء واكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التى رخص الله لعباده قيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما احدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وماجعل عليهم فى الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ماكان على بنى اسرائيل من الآصار التى كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة ابيكم ابراهيم) لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم أبا للامة كلها فكيف سماه أبا فى قوله ملة ابيكم ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو ابو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وازواجه امهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انالكم كالوالد وفى قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولان احدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعنى ان الله سماكم المسلمين فى الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثانى ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعنى ان ابراهيم سماكم المسلمين فى ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا (وفى هذا) اى وفى القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يعنى يوم القيامة ان قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) يعنى تشهدون يوم القيامة على امم ان رسلهم قد بلغتهم (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) اى ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل مايكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) اى وليكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) اى الناصر لكم والله تعالى اعلم

يا لها مثمرا بالعلوم والحكم متزينا بازهار المعارف والحقائق وانوار التجليات والمشاهدات ولهذا قال (ففهمناها سليمان) فان العمل بالتقوى والرياضة على وفق الشرع والحكمة العملية امام فى تحصيل الكمال وابرازه الى الفعل من العلم الكلى والفكر والنظر والشوق والكشف (وكلا آتينا حكما وعلما) اذكل منهما على الصواب فى رأيه والحكمة النظرية والعملية والمكاشفة والمعاملة كلتاهما متعاضدتان فى طلب الكمال متوافقتان فى تحصيل كرم الخصال بهما (وسخرنا مع داود الجبال) الفؤاد جبال الاعضاء (يسبحن والطير) بالسنة خواصها التى امرن بها ويسرن معه بسيرتها المخصوصة بها فلا تعصى ولاتمتنع عليه فتكل وتثقل وتأبى امره بل تسير معه مأمورة بامره منقادة مطواعة لتأدبها وارتياضها ولتعودها بامره وتمرنها فى الطاعات والعبادات وطير القوى الروحانية يسبحن بالاذكار والافكار والطيران فى فضاء ارواح الانوار

تفسير سورة المؤمنين وهى مكية

وهى مائة وثمان عشرة آية والف وثمانمائة واربعون كلمة واربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فانزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سرى عنه فقرا قد افلح المؤمنون الى عشر آيات من اولها وقال من اقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذى * قوله عز وجل (قد افلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا فى الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم فى صلوتهم خاشعون) قال ابن عباس مخبتون اذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لابد من الجمع بين افعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع فى صلاته لابد وان يحصل له الخشوع فى جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شئ سوى ذلك التعظيم واما ما يتعلق بالجوارح فهو ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو فى صلاته مالم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفى رواية اعرض عنه اخرجه ابو داود والنسائى وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابال اقوام يرفعون ابصارهم الى السماء فى صلاتهم فاشتد قوله فى ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء فى الصلاة فلما نزل الذين هم فى صلاتهم خاشعون رمقوا بابصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشئ من جسده فى الصلاة لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ذكره البغوى بغير سند عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصى فان الرحمة تواجهه اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى وقيل الخشوع فى الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجرى على لسانه من القراءة والذكر * قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصى وقيل هو كل باطل ولهو ومالا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب (والذين هم للزكوة فاعلون) اى الزكاة الواجبة مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكاة ههنا

(وكنا فاعلين) قادرين على ذلك التسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) من الورع والتقوى ونعم الدرع الحصين الورع (لتحصنكم من بأسكم) بأس القوى الغضبية السبعية واستيلاء الحرص والدواعى الطبيعية والقوى الوهمية الشيطانية (فهل انتم شاكرون) حق هذه النعمة بالتوجه الى الحضرة الربانية بالكلية (ولسليمان الريح) اى سخرنا لسليمان العقل العملى المتمكن على عرش النفس فى الصدر ريح الهوى (عاصفة) فى هبوبها (تجرى بامره) مطيعة له الى ارض البدن المتدرب بالطاعة والادب (الى الارض التى باركنا) فيها بتنمية الاخلاق والملكات الفاضلة والاعمال الصالحة (وكنا بكل شئ) من اسباب الكمال (عالمين ومن الشياطين) شياطين الوهم والتخييل (من يغوصون له) فى بحر الهيولى الجسمانية يستخرجون درر المعانى الجزئية (ويعملون عملا دون ذلك) من التركيب والتفصيل والمصنوعات وتهييج الدواعى المكسوبات وامثالها (وكنا لهم حافظين) عن الزيغ والخطا والتسويل

هى العمل الصالح والاول اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (الا على ازواجهم) على بمعنى من (اوماملكت ايمانهم) يعنى الاماء والجوارى والآية فى الرجال خاصة لان المرأة لايجوزلها ان تستمع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعنى بعدم حفظ فرجه من امرأته وامته فانه لايلام على ذلك وانما لايلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المأتى وفى حال الحيض والنفاس فانه محظور فلايجوز ومن فعله فانه ملوم (فمن ابتغى وراء ذلك) اى التمس وطلب سوى الازواج والولائد وهن الجوارى المملوكة (فأولئك هم العادون) اى الظالمون المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول اكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم * قوله عزوجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) اى حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التى عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فمنها مايكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التى اوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها مايكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به ايضا (والذين هم على صلواتهم يحافظون) اى يداومون ويراعون اوقاتها واتمام اركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس تكرار اوصفهم اولا بالخشوع فى الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها * قوله عزوجل (اولئك) يعنى اهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعنى يرثون منازل اهل النار من الجنة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد الاوله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فمن مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون ذكره البغوى بغير سند وقيل معنى الوراثة هو ان يؤل امرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل امر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو اعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة مابين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اخرجه الترمذى (هم فيها خالدون) اى لايخرجون منها ولايموتون * قوله عزوجل (ولقد خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم لان الانسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هى المنى لان النطفة تسل من الظهر من طين يعنى طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلالة اى سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعنى الذى هو الانسان جعلناه نطفة (فى قرار مكين) اى حريز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفة علقة) اى صيرنا النطفة قطعة دم جامد (فخلقنا العلقة مضغة) اى جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل ان بين كل خلق وخلق اربعين يوما (ثم انشأناه خلقا آخر) اى مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه

الباطل والكذب (وارب) النفس المطمئنة الممتحنة بانواع البلاء فى الرياضة البالغة كمال الزكاء فى المجاهدة (اذنادى ربه) عند شدة الكرب فى الكد وبلوغ الطاقة والوسع فى الجد والجهد (انى مسنى الضر) من الضعف والانكسار والعجز (وانت ارحم الراحمين) بالتوسعة والروح (فاستجبنا له) بروح الاحوال عن كد الاعمال عند كمال الطمأنينة ونزول السكينة (فكشفنا مابه من ضر) الرياضة بنور الهداية ونفسنا عنه ظلمة الكرب باشراق نور القلب (وآتيناه اهله) القوى النفسانية التى ملكناها وامتناها بالرياضة باحيائها بالحياة الحقيقية (ومثلهم معهم) من امداد القوى الروحانية وانوار الصفات القلبية ووفرنا عليهم اسباب الفضائل الخلقية واحوال العلوم النافعة الجزئية (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون) اى الروح الفير الواصل

وقيل جعله حيوانا بعدما كان جمادا و ناطقا بعدما كان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشي الى الفطام الى ان يأكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها (فتبارك الله) اى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (احسن الخالقين) اى المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر

ولانت تفري ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفري

معناه انت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله احسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسـه خالقا بقوله انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك الله احسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) اى بعدما ذكر من تمام الخلق (لميتون) اى عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) اى للحساب والجزاء * قوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) اى سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) اى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم سدى بغير امر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنـا عن الخلق غافلين اى عن اعمالهم واقوالهم وضمائرهم لا تخفى علينا خافية (وانزلنا من السماء ماء بقدر) اى يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعة (فاسكناه في الارض) يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل اسكناه في الارض ثم اخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء في الارض من السماء (وانا على ذهاب به لقادرون) وصح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعـالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوى في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سـعيد بن سابق الاسكندرى عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس

الى رتبة الكمال (اذ ذهب) بالمفـارقة عن البـدنيـة (مغاضبا) عن قومه القوى النفسـانيـة لاحتجابهـا واصرارها على مخـالفته وابائها واستكبارها عن طاعته (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نستعمل قدرتنا فيه بالابتلاء بمثل ما ابتلى به او لن نضيق عليه فالتقمه حوت الرحمة لوجوب تعلقه بالبدن في حكمتنا للاستعمال (فنـادى في الظلمـات) في ظلمات المراتب الثلاث من الطبيعـة الجسمانيـة والنفس النباتية والحيوانية بلسان الاستعداد (ان لا اله الا انت) فأقر بالتوحيـد الذاتي المركوز فيه عنـد العهـد السابق وميثـاق الفطرة والتنزيه المستـفاد من التجرد الاول في الازل بقوله (سبحانك) واعترف بنقصانه وعـدم استعمال العـدالة في قومه فقـال (اني كنت من الظـالمين فاسـتجبناله) بالتوفيـق بالسـلوك والتبصير بنور الهـداية الى الوصـول (ونجيناه من الغم) من غم النقصان والاحتجاب بنور التجلي ورفع الحـجاب (وكذلك ننجي المؤمنين)

* ثم ذكر ما انبت بالماء فقال تعالى (فانشأنا لكم به) اى بالماء (جنات) اى بساتين (من نخيل واعناب) انما افردهما بالذكر لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) اى فى الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) اى شتاء وصيفا (وشجرة) اى وانشأنا لكم شجرة وهى الزيتون (تخرج من طور سيناء) اى من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذى منه نودى موسى بين مصر وايلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذى فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) اى تنبت وفيها الدهن و قيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الادام الذى يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى فى هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان اول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى فى الارض نحو ثلاثة آلاف سنة * قوله عز وجل (وان لكم فى الانعام لعبرة) اى آية تعتبرون بها (نسقيكم مما فى بطونها) اى البانها و وجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه منهما شئ فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية فى سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) يعنى كما تنتفعون بها وهى حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل (وعليها) اى وعلى الابل (وعلى الفلك تحملون) اى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر * قوله تعالى (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) اى مالكم معبود سواه (افلا تتقون) اى افلا تخافون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملاء الذين كفروا من قومه ماهذا الابشر مثلكم) اى آدمى مثلكم مشارك لكم فى جميع الامور (يريد ان يتفضل عليكم) اى انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وانتم له تبع (ولو شاء الله لانزل ملائكة) يعنى بابلاغ الوحى (ماسمعنا بهذا) اى الذى يدعونا اليه نوح (فى آبائنا الاولين ان هو الارجل به جنة) اى جنون (فتربصوا به حتى حين) اى الى الموت فتستريحوا منه (قال رب انصرنى بما كذبون) اى اعنى باهلاكهم بتكذيبهم اياى (فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا) اى بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظا لئلا يتعرض له احد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (فاذا جاء امرنا) اى عذابنا (وفار التنور) قيل هو التنور الذى يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور (فاسلك فيها) اى فادخل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) اى من كل حيوان ذكر وانثى (واهلك) اى وسائر من آمن بك (الامن سبق عليه القول) اى وجب عليه العذاب (منهم) يعنى الكفار وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذى سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم

بالايمان التحقيق الموقنين (وزكريا) الروح الساذج عن العلوم (اذنادى ربه) فى استدعاء الكمال بلسان الاستعداد واستوهب يحيى القلب لتنتعش فيه العلوم وشكا انفراده عن معاضدة القلب فى قبول العلم وحيازة ميراثه مع علمه بان الفناء فى الله خير من الكمال العملى حيث قال (رب لاتذرنى فردا وانت خير الوارثين) من القلب وغيره (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه) القلب باصلاح زوجه النفس العاقر لسوء الخلق وغلبة ظلمة الطبع تحسين اخلاقها وازالة الظلمة الموجبة للعقر عنها (انهم) ان اولئك الكمل من الانبياء (كانوا يسارعون فى الخيرات) اى يسابقون الى المشاهدات التى هى الخيرات المحضة بالارواح (ويدعوننا) لطلب المكاشفات بالقلوب (رغبا) الى الكمال (ورهبا) من النقصان او رغبا الى اللطف والرحموت فى مقام تجليات الصفات ورهبا من القهر والعظموت (وكانوا لنا خاشعين) بالنفوس (والتى احصنت)

مغرقون) * قوله عز وجل (فاذا استويت) اى اعتدلت (انت ومن معك على الفلك) اى فى السفينة (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) اى الكافرين (وقل رب انزلنى منزلا مباركا) قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة واراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء (وانت خير المنزلين) معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وانت خير المنزلين لانه يحفظ من انزله ويكلؤه فى سائر احواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لايقدر على ذلك (ان فى ذلك) اى الذى ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعداء الله (لآيات) اى دلالات على قدرتنا (وان كنا) اى وماكنا (لمبتلين) اى لمختبرين اياهم بارسال نوح ووعظة وتذكيره لننظر ماهم عاملون قبل نزول العذاب بهم * قوله تعالى (ثم انشأنا من بعدهم) اى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) يعنى عادا (فارسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا قاله اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول اصح (ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون) اى هذه الطريقة التى انتم عليها مخافة العذاب (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) اى بالمصير اليها (واترفناهم) اى نعمناهم ووسعنا عليهم (فى الحيوة الدنيا ماهذا الابشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مماتشربون) اى من مشربكم (ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) اى لمغبونون (ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) اى من قبوركم احياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس اى بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر فى بدء امرهم وقدرة الله على ايجادهم وارادوا بهذا الاستبعاد انه لايكون ابدا (ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (وما نحن بمبعوثين) اى بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم (الارجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) اى بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) اى ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعنى صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك (فجعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض (فبعدا) اى الزمنا بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) * قوله عز وجل (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين) اى اقواما آخرين (ماتسبق من امة اجلها) اى وقت هلاكها (وما يستأخرون) اى عن وقت هلاكهم (ثم ارسلنا رسلنا تترى) اى مترادفين يتبع بعضهم بعضا متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا (كلماجاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) اى بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى اثر بعض (وجعلناهم احاديث) اى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بامرهم وشأنهم (فبعدا لقوم لايؤمنون) * قوله تعالى (ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) اى حجة بينة كالعصا واليد وغيرهما (الى فرعون وملئه فاستكبروا) اى تعظموا

اى النفس الزكية الصافية المستعدة العابدة التى احصنت فرج استعدادها ومحل تأثير الروح من باطنها بحفظه من مسافحى القوى البدنية فيها (فنفخنا فيها من روحنا) من تأثير روح القدس بنفخ الحياة الحقيقية فولدت عيسى القلب (وجعلناها وابنها آية) مع القلب علامة ظاهرة وهداية واضحة (للعالمين) من القوى الروحانية والنفوس المستعدة المستبصرة بهديهم الى الحق والى طريق مستقيم (ان هذه امتكم) الطريقة الموصلة الى الحقيقة وهى طريقة التوحيد المخصوصة بالانبياء المذكورين طريقتكم ايها المحققون السالكون طريقة (امة واحدة) لا اعوجاج ولا زيغ ولا انحراف عن الحق الى الغير ولاميل (وانا) وحدى (ربكم فاعبدون) فخصصونى بالعبادة والتوجه ولاتلتفتوا الى غيرى (وتقطعوا امرهم) اى تفرق المحجوبون الغائبون عن الحق الغافلون فى امر الدين وجعلوا امر دينهم قطعا يتقسمونه (بينهم) ويختارون السبل

من الايمان (وكانوا قوما عالين) اى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (انؤمن لبشرين مثلنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) اى مطيعون متذللون (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) اى بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلهم يهتدون) اى لكى يهتدى به قومه * قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وامه آية) اى دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وانطقه فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شانهما آية لان عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة (وآويناهما الى ربوة) اى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل ارض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الايواء انها فرت بابنها اليها * وقوله (ذات قرار) اى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون * قوله تعالى (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) قيل اراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد به عيسى عليه السلام وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) اى استقيموا على ما يوجبه الشرع (انى بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو شانهم كذلك فلان يكون تحذيرا لغيرهم اولى لما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك اخرجه مسلم * قوله عز وجل (وان هذه امتكم) اى ملتكم وشريعتكم التى انتم عليها (امة واحدة) اى ملة واحدة وهى الاسلام (وانا ربكم فاتقون) اى فاحذرون وقيل معناه امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون (فتقطعوا) اى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (امرهم) اى دينهم (بينهم زبرا) اى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا اى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) اى مسرورون معجبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلالتهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم (حتى حين) اى الى ان يموتوا (ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين) اى مانعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) اى نعجل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم (بل لايشعرون) اى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) اى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) اى يصدقون (والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما آتوا) اى يعطون

ما اعطوا

المتفرقة بالاهواء المختلفة (كل الينا راجعون) على اى مقصد واية طريقة واية وجهة كانوا فنجازيهم بحسب اعمالهم وطرائقهم (فمن يعمل من الصالحات) يتصف بالكمالات العلمية (وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) عالم موقن فسعيه مشكور غير مكفور فى القيامة الوسطى والوصول الى مقام الفطرة الاولى (وانا له كاتبون) لصورة ذلك السعى لكاتبون فى صحيفة قلبه فيظهر عليه عند التجرد انوار الصفات (وحرام) وممتنع (على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) حكمنا باهلاكها وشقاوتها فى الازل رجوعهم الى الفطرة من الاحتجاب بصفات النفس فى النشأة (حتى اذا فتحت يأجوج) القوى النفسانية (ومأجوج) القوى البدنية بانحراف المزاج وانحلال التركيب (وهم من كل حدب) من اعضاء البدن التى هى محالها ومقارها (ينسلون) بالذهاب و لزوال (واقترب الوعد الحق) من وقوع القيامة الصغرى فحينئذ شخصت ابصار

ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ماعملوا من اعمال البر (وقلوبهم وجلة) اى خائفة انذلك لاينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم لاتقبل منهم (انهم الى ربهم راجعون) اى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يارسول الله والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لايابنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون انلايقبل منهم اولئك يسارعون فى الخيرات اخرجه الترمذى * وقوله (اولئك يسارعون فى الخيرات) اى يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) اى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات * قوله عز وجل (ولا نكلف نفسا الا وسعها) اى طاقتها من الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) اى يبين الصدق والمعنى قد اثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب اعمال العباد التى تكتبها الحفظة (وهم لايظلمون) اى لاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيآتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم فى غمرة) اى غفلة وجهالة (من هذا) اى القرآن (ولهم اعمال) اى للكفار اعمال خبيثة من المعاصى والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك) يعنى من دون اعمال المؤمنين التى ذكرها الله فى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعنى الكفار (لها) اى لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) اى لابد لهم من ان يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم فى الازل من الشقاوة (حتى اذا اخذنا مترفيهم) اى رؤساءهم واغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف (اذا هم يجأرون) اى يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لاتجأروا اليوم) اى لاتجزعوا ولاتضجوا اليوم (انكم منا لاتنصرون) اى لاتمنعون منا ولاينفعكم تضرعكم (قد كانت آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن (فكنتم على اعقابكم تنكصون) اى ترجعون القهقرى وتتأخرون عن الايمان (مستكبرين به) قال ابن عباس اى بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور اى مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلايظهر علينا احد ولانخاف احدا فيأمنون فيه وسائر الناس فى الخوف وقيل مستكبرين به اى بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول اظهر (سامرا) يعنى انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الاهجار وهو الافحاش فى القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح اى تهذون وتقولون مالاتعلمون (افلم يدبروا القول) يعنى افلم يتدبروا ماجاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) يعنى فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا رسول الله صلى الله

المحجوبين لشدة الهول والفزع داعين بالويل والثبور معترفين بالظلم والقصور (فاذاهى شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قدكنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) اى كل عابد منكم لشئ سوى الله محجوب به عن الحق مرمى مع معبوده الذى وقف معه فى طبقة من طبقات جهنم البعد والحرمان على حسب مرتبة معبوده (لهم فيها زفير) من الم الاحتجاب وشدة العذاب واستيلاء نيران الاشواق وطول مدة الحرمان والفراق (لوكان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون) كلام الحق والملائكة لتكاثف الحجاب وشدة طرق مسامع القلب لقوة الجهل كمالايبصرون الانوار لشدة انطباق الظلمة وعمى البصيرة (ان الذين سبقت لهم منا) السعادة (الحسنى) وحكمنا بسعادتهم فى القضاء السابق (اولئك عنها مبعدون) لتجردهم عن الملابس الغاشية

عليه وسلم (ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس ليس قد عرفوا محمدا
صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على
سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والامانة (ام يقولون به جنة)
اى جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) اى بالصدق والقول الذى لا تخفى صحته
وحسنه على عاقل (واكثرهم للحق كارهون) * قوله عز وجل (ولو اتبع الحق اهواءهم)
قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمى لنفسه شريكا
وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن اى لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت
السموات والارض ومن فيهن) اى لفسد العالم (بل اتيناهم بذكرهم) قال ابن عباس بما
فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن (فهم عن ذكرهم) اى شرفهم (معرضون ام تسألهم)
اى على ما جئتهم به (خرجا) اى اجرا وجعلا (فخراج ربك خير) اى ما يعطيك الله من
رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) تقدم تفسيره (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم)
اى الى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) اى عن دين الحق
(لناكبون) اى لعادلون عنه ومائلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) اى قحط
وجدوبة (للجوا) اى لتمادوا (فى طغيانهم يعمهون) اى لم ينزعوا عنه (ولقد اخذناهم
بالعذاب) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم سنين كسنى
يوسف فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد اكلوا القد والعظام وشكا اليه الضر فادع الله
ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) اى
ما خضعوا وما ذلوا لربهم (وما يتضرعون) اى لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم
(حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو
الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) اى آيسون من كل خير * قوله عز وجل
(وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة) اى لتسمعوا بها وتبصروا وتعقلوا (قليلا
ما تشكرون) اى لم تشكروا هذه النعم (وهو الذى ذرأكم فى الارض) اى خلقكم (واليه
تحشرون) اى تبعثون (وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) اى تدبير الليل
والنهار فى الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان فى السواد والبياض
(افلا تعقلون) اى ما ترون من صنعه فتعتبروا (بل قالوا مثل ما قال الاولون) اى كذبوا
كما كذب الاولون وقيل معناه انكروا البعث مثل ما انكر الاولون مع وضوح الادلة (قالوا
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) اى لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب
(لقد وعدنا نحن) اى هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) اى وعد آباءنا قوم ذكروا
انهم رسل الله فلم نر له حقيقة (ان هذا الا اساطير الاولين) اى اكاذيب الاولين * قوله تعالى
(قل) اى يا محمد لاهل مكة (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) اى
خالقها ومالكها (سيقولون لله) اى لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله (قل) اى
قل لهم يا محمد اذا اقروا بذلك (افلا تذكرون) اى فتعلموا ان من قدر على خلق الارض

النفسانية والغشاوات
الطبيعية (لا يسمعون
حسيسها) لبعدهم عنها
فى الرتبة (وهم فيما اشتهت
انفسهم) ذواتهم من الجنات
الثلاث وخصوصا
المشاهدات فى جنة الذات
(خالدون لا يحزنهم الفزع
الاكبر) بالموت فى القيامة
الصغرى ولا بتجلى العظمة
والجلال فى القيامة الكبرى
(وتتلقاهم الملائكة هذا
يومكم الذى كنتم توعدون)
عند الموت بالبشارة او عند
البعث النفسانى بالسلامة
والنجاة او فى القيامة
الوسطى والبعث الحقيقى
بالرضوان او عند الرجوع
الى البقاء بعد الفناء حال
الاستقامة بالسعادة التامة
(يوم نطوى السماء) اى
لا يحزنهم يوم نطوى سماء
النفس بما فيها من صور
الاعمال وهيئات الاخلاق
فى الصغرى (كطى السجل
للكتب) الصحيفة
للمكتوبات التى فيها اى كما
تطوى ليبقى ما فيها محفوظا
او سماء القلب بما فيها من
العلوم والصفات والمعارف
والمعقولات فى الوسطى
او سماء الروح بما فيها من
العلوم من المشاهدات
والتجليات فى الكبرى (كما
بدأنا اول خلق نعيده)
بالبعث فى النشأة الثانية على

فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعدالموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون) اى عبادة غيره وقيل معناه افلا تحذرون عقابه (قل من بيده ملكوت كل شئ) اى ملك كل شئ (وهو يجير) اى يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) اى لايؤمن من اخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من اراده بسوء (ان كنتم تعلمون) اى فاجيبوا (سيقولون لله قل فانى تسحرون) اى فانى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا (بل آتيناهم بالحق) اى بالصدق (وانهم لكاذبون) اى فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذالله من ولد وما كان معه من اله) اى من شريك (اذالذهب كل اله بما خلق) اى لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه ولم يرض ان يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن الاستيلاء على ماخلقه هو (ولعلا بعضهم على بعض) اى طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شئ ويقدر على كل شئ ثم نزه نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) اى من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) اى تعظم من ان يوصف بما لايليق به * قوله عزوجل (قل رب) اى يارب (اما ترينى مايوعدون) اى ماوعدتهم من العذاب (رب) اى يارب (فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) اى لا تهلكنى بهلاكهم (وانا على ان نريك مانعدهم) اى من العذاب (لقادرون ادفع بالتى هى احسن) اى بالخلة التى هى احسن وهى الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعنى اذاهم امر بالصبر على اذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن اعلم بما يصفون) اى يكذبون ويقولون من الشرك * قوله عزوجل (وقل رب اعوذ بك) اى امتنع واعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصى (واعوذ بك رب ان يحضرون) اى فى شئ من امورى وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذاحضره يوسوسه * عن جبير بن مطعم انه راى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمرو لاادرى اى صلاة هى قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمدلله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ فى متن الحديث ونزيده ايضاحا قوله نفثه الشعر اى لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزه الموتة الموتة الجنون لان الجنون ينخسه الشيطان ثم اخبر الله عزوجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله اولا ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعلى اعمل

الاول او بالرجوع الى الفطرة الاولى على الثانى او بالبقاء بعد الفناء على الثالث (وعداً علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا فى الزبور) زبور القلب (من بعد الذكر) فى اللوح ان ارض البدن يرثها القوى الصالحة المنورة بنور السكينة بعد اهلاك الفواسق بالرياضة او ولقد كتبنا فى زبور اللوح المحفوظ من بعد الذكر فى ام الكتاب (ان الارض يرثها عبادى الصالحون) من الروح والسر والقلب والعقل والنفس وسائر القوى بالاستقامة بعد اهلاك الصالحين بالفناء فى الوحدة (ان فى هذا لبلاغا) لكفاية (لقوم عابدين) عبدوا الله بالسلوك فيه (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) عظيمة مشتملة على الرحيمية بهدايتهم الى الكمال المطلق والرحمانية بامانهم من العذاب المستأصل فى زمانه لغلبة رحمته على غضبه (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادرى اقريب ام بعيد ماتوعدون

صالحا فيما تركت) اى ضيعت وقيل تركت اى منعت وقيل خلفت من التركة اوالمعنى اقول لااله الا الله واعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ماتمنى ان يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر اى لايرجع اليها (انها) يعنى مسألته الرجعة (كلمة هوقائلها) اى لاينالها (ومن ورائهم برزخ) اى امامهم ومن بين ايديهم حاجز (الى يوم يبعثون) معناه ان بينهم و بين الرجعة حجابا ومانعا من الرجوع وهوالموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلى لما علم انه لارجعة يوم البعث الا الى الآخرة * قوله تعالى (فاذا نفخ فى الصور فلاانساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض فلاانساب بينهم (يومئذ ولايتساءلون) ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فيصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده اوولده اوزوجته اواخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلاانساب بينهم يومئذ ولايتساءلون وفى رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلاانساب بينهم اى لايتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون فى الدنيا ولايتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا من انت ومن اى قبيلة انت ولم يرد ان الانساب تنقطع فان قلت قدقال ههنا ولايتساءلون وقال فى موضع آخر واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامة احوالا ومواطن ففى موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفى موطن يفيقون افاقة فيتساءلون * قوله عزوجل (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا) اى غبنوا (انفسهم فى جهنم خالدون تلفح) اى تسفع وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) اى عابسون وقدبدت اسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوى على النار ٭ عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب * قوله تعالى (الم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) اى التى كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) اى عن الهدى (ربنا اخرجنا منها) اى من النار (فان عدنا) اى لما تكره (فانا ظالمون قال اخسؤا فيها) اى ابعدوا فيها كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) اى فى رفع العذاب فانى لاارفعه عنكم فعند ذلك ايس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به اهل النار ثم لايتكلمون بعد ذلك ماهو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لايفهمون ولايفهمون وروى عن عبدالله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا

انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون

﴿ سورة الحج ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا ايها الناس اتقوا ربكم) احذروا عقابه بالتجرد عن الغواشى الهيولانية والصفات النفسانية (ان زلزلة الساعة) اضطراب ارض البدن فى القيامة الصغرى للمنقسمين فيها (شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت) اى غاذية مرضعة للاعضاء عن ارضاعها (وتضع كل ذات حمل) من القوى الحافظة لمدركاتها كالخيال والوهم كالذاكرة والعاقلة (حملها) من المدركات لسكرها وذهولها وحيرتها وبهتها اوكل قوة حاملة للاعضاء حملها وتحريكها واستقلال لها بالضعف اوكل عضو حامل لما فيه من القوة حملها بالتخلى عنها اوكل ما يمكن فيها من الكمالات بالقوة حملها بفسادها واسقاطها اوكل نفس حاملة لما فيها من الهيئات

تكلمون فما يئس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الزفير والشهيق ذكره البغوى بغير سند واخرجه الترمذى بمعناه عن ابى الدرداء قوله فما يئس القوم بعد ذلك بكلمة اى سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح فى وجه بعض واطبقت عليهم جهنم (انه كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين (يقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) اى تسخرون منهم وتستهزؤن بهم (حتى انسوكم ذكرى) اى انساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) نزل فى كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) اى على اذاكم واستهزائكم فى الدنيا (انهم هم الفائزون) اى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعنى ان الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم فى الارض) اى فى الدنيا وفى القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) معناه انهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لعظم ماهم بصدده من العذاب (فاسئل العادين) يعنى الملائكة الذين يحفظون اعمال بنى آدم ويحصونها عليهم (قال ان لبثتم) اى مالبثتم فى الدنيا (الا قليلا) سماه قليلا لان المرء وان طال لبثه فى الدنيا فانه يكون قليلا فى جنب مايلبث فى الآخرة (لو انكم كنتم تعلمون) اى قدر لبثكم فى الدنيا * قوله عزوجل (افحسبتم انما خلقناكم عبثا) اى لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله عزوجل (وانكم الينا لا ترجعون) اى فى دار الآخرة للجزاء روى البغوى بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه فى اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت فى اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو ان رجلا موقنا قرأها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عزوجل (فتعالى الله الملك الحق) اى هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) اى الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) اى لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة فى دعوى الشرك (فانما حسابه) اى جزاؤه (عند ربه) اى هو مجازيه بعمله (انه لا يفلح الكافرون) اى لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين)

﴿ تفسير سورة النور وهى مدنية وهى اثنتان وقيل اربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (سورة انزلناها وفرضناها) اى اوجبنا مافيها من الاحكام والزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا مافيها من الحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (وانزلنا فيها آيات بينات) اى واضحات (لعلكم تذكرون) اى تتعظون

والصفات من الفضائل والرذائل بإظهارها وابرازها (وترى الناس سكارى) من سكرات الموت ذاهلين مغشيا عليهم (وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فى الحقيقة من الشراب ولكن من شدة العذاب (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض) ارض النفس (هامدة) ميتة بالجهل لا انبات فيها من الفضائل والكمالات (فاذا انزلنا عليها الماء) ماء العلم من سماء الروح (اهتزت) بالحياة الحقيقية (وربت) بالترقى فى المقامات والمراتب (وانبتت من كل زوج) صنف (بهيج) من الكمالات

﴿ قوله تعالى ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة فى وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان فى الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا اى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما اى الزانية والزانى مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة التغريب الى راى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب وان كان الزانى محصنا فعليه الرجم ﴿ ولا تأخذكم بهما رافة ﴾ اى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولاتقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى وقيل معنى الرافة ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهرى يجتهد فى حد الزنا والفرية اى القذف ويخفف فى حد الشرب وقيل يجتهد فى حد الزنا ويخفف دون ذلك فى حد الفرية ويخفف دون ذلك فى حد الشرب ﴿ فى دين الله ﴾ اى فى حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولاتأخذكم بهما رافة فى دين الله فقال يا بنى ان الله لم يأمرنى بقتلها وقد ضربت فاوجعت ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ معناه ان المؤمن لاتأخذه الرافة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب التغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود ﴿ وليشهد ﴾ اى وليحضر ﴿ عذابهما ﴾ اى حدهما اذا اقيم عليهما ﴿ طائفة ﴾ اى نفر ﴿ من المؤمنين ﴾ قيل اقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل اربعة بعدد شهود الزنا ﴿ قوله عزوجل ﴿ الزانى لاينكح الازانية اومشركة والزانية لاينكحها الازان اومشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لامال لهم ولاعشائر وفى المدينة نساء بغايا هن اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين فى نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبى ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت فى نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السائب ابن ابى السائب المخزومى وكان فى الجاهلية ينكح الزانية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله عزوجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابى مرثد الغنوى وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة وكانت بمكة بغى يقال لها عناق وكانت صديقة له فى الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحنى فقال حتى اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيأ فنزلت الزانى لاينكح الازانية اومشركة

والفضائل المزينة لها (ذلك) بسبب ﴿ ان الله هو الحق ﴾ الثابت الباقى وما سواه هو المتغير الفانى ﴿ وانه يحيى الموتى ﴾ موتى الجهل بفيض العلم فى القيامة الوسطى كما يحيى موتى الطبع فى القيامة الصغرى ﴿ وانه على كل شئ قدير وان الساعة ﴾ بالمعنيين ﴿ آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور ﴾ اى قبر البدن من موتى الجهل فى الساعة الوسطى بالقيام فى موضع القلب والعود الى الفطرة وحياة العلم كما يبعث موتى الطبع فى النشأة الثانية والقيامة الصغرى ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ﴾ اى استدلال ﴿ ولا هدى ﴾ ولا كشف ووجدان ﴿ ولا كتاب منير ﴾ ولا وحى وفرقان ﴿ ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعوا

والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعانى فقراها على وقال لا تنكحها اخرجه الترمذى والنسائى وابو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا فى حق اولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزانى لايزنى الا بزانية اومشركة والزانية لا تزنى الا بزان اومشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزانى الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية فى هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امرأتى لا تمنع يد لامس فقال طلقها قال انى احبها وهى جميلة قال استمتع بها وفى رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث ابو داود والنسائى عن ابن عباس قال النسائى رفعه احد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة فى زنا وحرص على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل فى معنى الآية ان الفاجر الخبيث لايرغب فى نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب فى نكاح فاجرة خبيثة مثله اومشركة والفاسقة الخبيثة لاترغب فى نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب فى نكاح فاسق خبيث مثلها اومشرك وحرم ذلك على المؤمنين اى صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزوانى وترك الرغبة فى الصالحات العفائف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية * قوله تعالى (والذين يرمون) اى يقذفون بالزنا (المحصنات) يعنى المسلمات الحرائر العفائف (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) اى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية ان من قذف محصنا اومحصنة بالزنا فقال له يازانى او يازانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى فى عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلاحد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا او اقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكنايات مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر اوياخبيث اويا مؤاجرا وقال امرأتى لاترد يد لامس فهذا ونحوه لايكون قذفا الا ان يريد ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما انا فمازنيت اوليست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعى وابى حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد هو قذف فى حال الغضب دون حال الرضا * وقوله تعالى (ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لايقع الا على صاحب كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفى حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ماقال وحسنت حالته

من دون الله) ما سوى الله (مالايضره ومالاينفعه) كائناما كان فان الاحتجاب الغيرى (ذلك هو الضلال البعيد) عن الحق وانما كان ضره اقرب من نفعه لانّ دعوته والوقوف معه يحجبه عن الحق (يدعوا لمن ضرّه اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل مايريد من كان يظنّ ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) من الملكوت السماوية والارضية وغيرهم مماعدّ

بعدالتوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه اوقبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبدالعزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى ان شهادة المحدود في القذف لاتقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح واصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لاترد شهادته مالم يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها في احسن حاليه وتقبلونها في شر حاليه وذهب الشافعي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لايسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ابدا قلت معنى ابدا مادام مصرا على القذف لان ابد كل انسان مدته على مايليق به كما يقال شهادة الكافر لاتقبل ابدا يراد بذلك مادام على كفره فاذا اسلم قبلت شهادته ۞ قوله عز وجل (والذين يرمون) اي يقذفون (ازواجهم ولم يكن لهم شهداء) اي يشهدون على صحة ماقالوا (الا انفسهم) اي غير انفسهم (فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ماروى عن سهل بن سعد الساعدي ان عويمرا العجلاني جاء الى عاصم بن عدي فقال العاصم أرأيت لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ماسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى اهله جاء عويمر فقال ياعاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التي سألت عنها فقال عويمر والله لاانتهي حتى اسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يارسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يارسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا ان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا احسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه قوله اسحم اي اسود والادعج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين اي ممتلئ الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة تلصق بالارض واراد بها في الحديث المبالغة في قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله

ومالم يعد من الاشياء بالانقياد والطاعة والامتثال لما اراد الله منها من الافعال والخواص واجرى عليها شبه تسخيرها لامره وامتناع عصيانها لمراده وانقهارها تحت قدرته بالسجود الذي هو غاية الخضوع ولما لم يمكن لشئ منها الا للانسان التابع للشيطان في ظاهر امره دون باطنه خص عموم كثير من الناس الذي حق عليهم العذاب وحكم بشقاوتهم في الازل وهم الذين غلبت عليهم الشيطنة ولزمتهم الزلة والشقوة (ومن يهن الله) بان يجعل اهله قهره وسخطه ومحل عقابه وغضبه (فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) جعلت لهم ملابس من نار غضب الله وقهره وهي هيئات واجرام مطابقة لصفات نفوسهم المكوسة معذبة لها غاية التعذيب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حميم الهوى وحب الدنيا الغالب عليهم او حميم الجهل المركب والاعتقاد الفاسد المستعلي على جبهتهم

عليه وسلم البينة او حد فى ظهرك فقال يارسول الله اذا راى احدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس
البينة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد فى ظهرك فقال هلال بن امية والذى
بعثك بالحق انى لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل
عليه والذين يرمون ازواجهم فقرأ حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبى صلى الله
عليه وسلم فارسل اليهما فجاآ فقام هلال بن امية فشهد والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم
ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة
قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومى سائر اليوم فمضت
فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين
فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله
لكان لى ولها شأن وفى رواية غير البخارى عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات
الآية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لى ان اهيجه حتى آتى باربعة
شهداء فوالله ما كنت لآتى باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان
فى ظهرى لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول
سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة له واجترأ رجل
منا ان يتزوجها فقال سعد يارسول الله بابى انت وامى والله انى لاعرف انها من الله وانها حق
ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذلك فقال صدق
الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له فرأى
رجلا مع امرأته يزنى بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس مع اصحابه فقال يارسول الله انى جئت الى اهلى عشاء فوجدت مع امرأتى رجلا
رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتاه به وثقل عليه حتى عرف
ذلك فى وجهه فقال هلال والله يارسول الله انى لارى الكراهة فى وجهك مما اتيتك به والله يعلم
انى لصادق وما قلت الا حقا وانى لارجو ان يجعل الله لى فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فبينما هم
كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحى فامسك اصحابه
عن كلامه حين عرفوا ان الوحى قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون ازواجهم الى آخر
الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال
قد كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم
ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يارسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن
الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة وان
عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هى الموجبة التى توجب عليك العذاب
فقال هلال والله لا يعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد

العلوية التى تلى الروح
فى صورة القهر الالهى مع
الحرمان عن المراد المحبوب
المنقد فيه (يصهر به) اى
يذاب به ويضمحل (ما فى
بطونهم والجلود) بطون
استعدادهم من المعانى
القوية وما فى ظاهرهم
من الصفات الانسانية
والهيئات البشرية فتتبدل
معانيهم وصورهم كلما
نضجت جلودهم بدلوا
جلودا غيرها (ولهم مقامع)
اى من سياط (من حديد)
الاثيرات الملكوتية بايدى
زبانية الاجرام السماوية
المؤثرة فى النفوس المادية
تقمعهم بها وتدروهم من
جناب القدس الى مهاوى
الرجس (كلما ارادوا)
بدواعى الفطرة الانسانية
وتقاضى الاستعداد الاولى
(ان يخرجوا منها) من تلك
النيران الى فضاء مراتب
الانسان (من غم اعيدوا
فيها) تلك الهيئات السواد
المظلمة وكرب تلك
الدركات الموجبة ضربوا
بتلك المقامع المؤلمة واعيدوا
الى اسافل الوهدات المهلكة
(و) قيل لهم (ذوقوا عذاب
الحريق ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات

جنات) القلوب (تجرى من تحتها الانهـار) تحتهم انهار العلوم (يحلون فيها من اسـاور) الاخـلاق والفضـائل المصـوغـة (من ذهب) العلوم العقلية والحكمة العملية (ولؤلؤا) المعارف القلبية والحقائق الكشفية (ولباسـهم فيها حرير) شعاعا وار الصفات الالهية والتجليات اللطفية (وهدوا) وهداهم (الى الطيب من القول) ذكر الصفات فى مقـام القلب (وهدوا الى صراط العزيز الحميد) ذى الصفات اى توحيـد الذات الحميـدة باتصافهـا بتلك الصفـات وتلك بعينها صراط الذات وسلم الوصول اليها بالفناء (ان الذين كفروا) حجبوا بالغواشى الطبيعة (ويصدون عن سبيل والمسجد الحرام) الذى هو صدر فنـاء كعبة القلب (الذى جعلناه للناس) الناس القوى الانسانيـة مطلقا (سواء العاكف فيه والباد) المقيم فيه من القوى العقلية الروحانيـة وبادى القوى النفسانيـة لامكان وصولها اليه وطوافهـا فيه عند ترقى القلب الى مقام السر (ومن يرد فيـه)

(والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدى اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقى الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكأت سـاعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لاافضح قومى فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بينهما وقضى ان الولد لها ولايدعى لاب ولايرمى ولدها ثم قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذى قيل فيه فجاءت به غلاما كأنه جمل اورق على الشبه المكروه وكان اميرا بمصر لايدرى من ابوه الاورق هو الابيض وروى ابن عباس ان عويمر المالا عن زوجته خولة امر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم حتى نودى الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشـهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثـانية اشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة اشهد بالله انهـا لحبلى من غيرى وانى لمن الصـادقين ثم قال فى الرابعة اشهد بالله انى ماقربتها منذ اربعة اشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود فقعد ثم قال لخولة قومى فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت فى الثـانية اشهد بالله انه مارأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الثالثة اشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الرابعة اشهد بالله انه مارآنى قط على فاحشـة وانه لمن الكاذبين ثم قالت فى الخامسة غضب الله على خولة تعنى نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسـول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لى فى امرهما راى ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السـواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج السـاقين فهو لغير الذى رميت به قال ابن عبـاس فجاءت باشـبه خلق بشريك * بيـان حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية فى وجوب الحد عليه ان كانت محصنة اوالتعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا او اجنبية يقـام عليه الحد الا ان يأتى بأربعة يشـهدون بالزنا اويقر المقذوف بالزنا فيسـقط عنه الحد وفى الزوجة اذا وجد احد هذين اولا عن سقط عنه الحد فاللعان فى قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا راى مع امرأته رجلا ربما لايمكنه اقامة البينة ولايمكنه الصـبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقـال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة على زناها او اعترفت هى بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل اشهد بالله انى لمن الصادقين فيما رميت به زوجتى فلانة من الزنا وان كان قدرماها برجل بعينه سماه فى اللعـان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد اوحمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد اوهذا الحمل لمن الزنا ماهو منى ويقول فى الخامسـة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات اللعـان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ

الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المراة حدالزنا فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج ❁ قوله عزوجل (ويدرا) اى يدفع (عنها العذاب) اى الحد (ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج اذالاعن وجب على المرة حدالزنا فان ارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول فى الخامسة على غضب الله ان كان زوجى من الصادقين فيما رمانى به ولا يتعلق بلعانها الاهذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند اصحاب الراى لاحد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذالاعن الزوج وامتنعت المراة من اللعان حبست حتى تلاعن وعندالاخرين اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبى اذا قعد عن اقامة البينة وعند ابى حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفى النسب وهما لايحصلان الابلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عندالاكثرين وبه قال الشافعى وتلك الفرقة متأبدة حتى لواكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لافيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لايرتفع تأبيد التحريم وعند ابى حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا اكذب نفسه جازله ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات اللعان لايتعلق به الحكم وعند ابى حنيفة اذا اتى باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حراكان او عبدا مسلما كان او ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثورى والشافعى واكثر اهل العلم وقال الزهرى والاوزاعى اصحاب الراى لايجرى اللعان الابين مسلمين حرين غير محدودين فان كان احد الزوجين رقيقا اوذميا اومحدودا فى قذف فلالعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجرى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولايصح اللعان الاعندالحاكم اونائبه ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب ولايجوز الاخلال بشئ منها واما المكان فهو ان يلاعن فى اشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى سائر البلاد فى الجامع عندالمنبر واما الزمان فهو ان يكون بعدالعصر واما الجمع فاقله اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفى التغليظ بالزمان والمكان قولان ❁ قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) اى لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وان الله تواب) اى يعود على من يرجع عن المعاصى بالرحمة (حكيم) اى فيما فرضه من الحدود ❁ قوله عزوجل (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الآيات سبب نزولها ماروى عن ابن شهاب قال حدثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ماقالوا وكلهم حدثنى طائفة من حديثها وبعضهم كان

من الواصلين اليه مرادا (بالحاد) ميل الى الطبيعة والهوى (بظلم) وضع شئ من العلوم والعبادات القلبية مكان النفسية كما تعمالها للاغراض الدنيوية واظهارها لتحصيل اللذات البدنية من طلب السمعة والجاه او بالعكس كمباشرة الشهوات الحسية واللذات النفسية بتوهم كونها مصالح الدارين او بغير عن وجههما كالريا والنفاق او ملحدا ظالما (نذقه من عذاب اليم) فى جحيم الطبيعة (واذبوأنا) اى جعلنا (لابرهيم مكان البيت) الروح مكان بيت القلب وهو المصدر مباءة رجع اليها فى الاعمال والاخلاق وقيل اعلم الله ابراهيم مكانه بعد مارفع الى السماء ايام الطوفان بريح ارسلها فكشف ماحولها فبناه على اسه القديم اى هداه الى مكانه بعد رفعه الى السماء وايام طوفان الجهل وامواج غلبات الطبع رياح نفحات الرحمة فكشف ما حوله من الهيئات النفسانية والالوان الطبعية والغبارات الهيولانية فبناه على اسه القديم من الفطرة

اوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه فايها خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة اقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما انزل الحجاب فكنت احمل فى هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شانى اقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع اظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت اركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينا انا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلى فراى سواد انسان نائم فاتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل ان يضرب الحجاب على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفى رواية موغرين فى نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله ابن ابى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول اصحاب الافك ولا اشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا ارى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت ارى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لانخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول فى التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهى ابنة ابى رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابى بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نمشى فعثرت ام مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ماقلت اتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت يا هنتاه اولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم قلت له اتأذن لى ان آتى ابوى قالت وانا حينئذ اريد ان اتيقن الخبر من قبلهما فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت ابوى فقلت لامى يا امتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هونى نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة

الانسانية (ان لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى) اى جعلناه مرجعا فى بناء البيت باحجار الاعمال وطين الحكم وجص الاخلاق وقلنا لاتشرك اى امرناه بالتوحيد ثم تطهير بيت القلب عن الالواث المذكورة (للطائفين) من القوى النفسانية التى تطوف حوله للتنور واكتساب الفضائل الخلقية (والقائمين) من القوى الروحانية التى تقوم عليه بالقاء المعارف والمعانى الحكمية (والركع السجود) من القوى البدنية التى تستفيد منه صور العبادات والآداب الشرعية والعقلية او لهداية الطالبين من المستبصرين المتعلمين والمجاهدين السالكين والمتعبدين الخاضعين (واذن فى الناس بالحج) بالدعوة الى مقام القلب وزيارته (يأتوك رجالا) مجردين عن صفات النفوس (وعلى كل ضامر) نفس ضامرة بطول الرياضة والمجاهدة (يأتين من كل فج عميق) طريقة بعيدة العمق فى قهر الطبيعة (ليشهدوا منافع لهم) من الفوائد العلمية والعملية المستفادة

حتى اصبحت لايرقألي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكى قالت ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على بن ابى طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله قالت
فاما اسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة اهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال اسامة هم
اهلك يارسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما على بن ابى طالب فقال يارسول الله لم يضيق الله
عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بريرة فقال اى بريرة هل رأيت من شئ يريبك من عائشة قالت له بريرة لا والذى
بعثك بالحق ان رأيت منها امرا قط اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين
اهلها فيأتى الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله
بن ابى ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرنى من رجل قد بلغنى
اذاه فى اهلى وفى رواية فى اهل بيتى فوالله ماعلمت على اهلى الاخيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت
عليه الاخيرا وما كان يدخل على اهلى الامعى قالت فقام سعد بن معاذ احد بنى عبد الاشهل فقال
انا اعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا
ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا
صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن
حضير وهو ابن عم سعد يعنى ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل
عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت
يومى ذلك لايرقألى دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لايرقالى دمع ولا اكتحل بنوم
فاصبح عندى ابواى وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدى قالت فبينماهما
جالسان عندى وانا ابكى اذ استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى فبينا
نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى من يوم
قيل لى ماقيل قبلها وقد مكث شهرا لايوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد ياعائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك
الله وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الله
عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى مااحس منه قطرة وقلت
لابى اجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ماادرى مااقول لرسول الله
فقلت لامى اجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ماادرى مااقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لااقرأ كثيرا من القرآن انى والله
لقد علمت انكم سمعتم ماتحدث به الناس حتى استقر فى انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى
بريئة والله يعلم انى بريئة لاتصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى منه بريئة
لتصدقنى فوالله مااجد لى ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون
ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وانا والله حينئذ اعلم انى بريئة وان الله مبرئى ببراءتى ولكن
والله ماكنت اظن ان ينزل الله فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان احقر من ان يتكلم الله

من مقام القلب (ويذكروا اسم الله) بالاتصاف بصفاته (فى ايام معلومات) من انوار التجليات والمكاشفات (على مارزقهم من بهيمة الانعام) اى النفوس المذبوحة تقربا الى الله تعالى بحراب المخالفات وسكاكين المجاهدات (فكلوا منها) استفيدوا من لحوم اخلاقها وما كانها المعينة المقوية فى السلوك (واطعموا) اى افيدوا (البائس الفقير) الطالب القوى النفس الذى اصابه شدة من غلبة صفاتها واستيلاء هيئاتها للتهذيب والتأديب والفقير الضعيف النفس القديم العلم الذى اضعفه عدم التعلم والتربية المحتاج اليها (ثم ليقضوا تفثهم) ومسح الفضول وفضلات الوات الهيئات كقص شارب الحرص وقلم اظفار الغضب والحقد وفى الجملة بقايا تلوينات النفس (وليوفوا نذورهم) بالقيام بابراز ماقبلوه فى العهد الاول من المعانى والكمالات المودعة فيهم الى الفعل بقضاء التفث التزكية وازالة الموانع والايفاء بالنذور والتحلية وتحصيل المعارف (وليطوفوا بالبيت العتيق)

فى بأمر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولاخرج احد من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى انزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال لى ياعائشة احمدى الله وفى رواية قال ابشرى يا عائشة اما الله فقد برأك فقالت لى امى قومى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لااقوم اليه ولااحمد الاالله هو الذى انزل براءتى قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات فانزل الله عز وجل هذه الآيات فى براءتى قالت فقال ابو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لاانفق عليه شيئا ابدا بعد الذى قال لعائشة فانزل الله ولايأتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح الذى كان يجرى عليه وقال والله لاانزعها منه ابدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب بنت جحش عن امرى فقال يازينب ماعلمت اومارأيت فقالت يارسول الله احمى سمعى وبصرى والله ماعلمت عليها الاخيرا قالت عائشة وهى التى كانت تساميني من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذى من حديث هؤلاء الرهط زاد فى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل له ماقيل ليقول سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف انثى قط قالت ثم قتل بعد فى سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته اخرجاه فى الصحيحين زاد البخارى فى رواية عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبد الله بن ابى ابن سلول وقال عروة اخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويستمعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لى من اهل الافك الاحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش فى ناس آخرين لاعلم لى بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان ابى ووالدتى وعرضى ❊ لعرض محمد منكم وقاء

اخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشدها شعرا بيت من ابياته فقال

حصان رزان ماتزن بريبة ❊ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتأذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واى عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح او يهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ حل غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثنى طائفة اى قطعة من حديثها قوله كان اوعى اى احفظ له قولها آذن اى اعلم بالرحيل قولها فاذا عقد لى من جزع ظفار هو نوع من الخرز وهو الجزع اليمانى المعروف قولها لم يهبلن اى يكثر عليهن من السمن فيثقلن قولها انما يأكلن العلقة من الطعام هو بضم العين اى البلغة من الطعام وهو قدر مايمسك الرمق قولها وليس بها منهم داع ولامجيب اى ليس بها احد لامن يدعو ولامن يرجو بما قولها فتيممت اى قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر

بالانخراط فى سلك الملكوت الاعلى حول عرش الله المجيد البيت القديم (ذلك) اى الامر ذلك (ومن يعظم حرمات الله) وهى مالا يحل هتكه وتطهيره والقربان بالنفس وجميع ماذكر من المناسك كالتحلى بالفضائل واجتناب الرذائل والتعرض للانوار فى التجليات والاتصاف بالصفات والترقى فى المقامات (فهو خير له) فى حضرة ربه ومقعد قربه (واحلت لكم الانعام) انعام النفوس السايمة الانتفاع باخلاقها واعمالها فى الطريقة والتمتع بالحقوق دون الحظوظ (الامايتلى عليكم) فى صورة المائدة من الرذائل المشتبهة بالفضائل وهى التى صدرت من النفس لاعلى وجهها ولاعلى ماينبغى من امرها بالرذائل المحضة فانها محرمة فى سبيل الله على السالكين (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) اوثان الشهوات المتعبدة والاهواء المتبعة كقوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه (واجتنبوا قول الزور) من العلوم المزخرفة والشبهات المموهة

فى آخر الليل الراحة والادلاج بالتشديد اخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله قولها باسترجاعه هو قوله انا لله وانا اليه راجعون قولها فخمرت اى غطيت وجهى بجلبابى اى ازارى قولها موغرين فى نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة اى اولها قولها والناس يفيضون اى يخوضون ويتحدثون قولها وهو يريبنى يقال رابنى الشئ يريبنى اى شككت فيه قولها ولا ارى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف اى الرفق بها واللطف فى الافعال الرفق وفى الاقوال لين الكلام قولها حتى نقهت اى افقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول واصله المكان الواسع الخالى والمرط كساء من صوف اوخز قولها تعس مسطح اى عثر وهو من الدعاء على الانسان اى سقط لوجهه قولها ياهنتاه اى بلهاء كانها تنسبها الى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقأ لى دمع اى لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت بمعنى النفى اى مارايت منها امرا اغمصه بالصاد المهملة اى اعيبه والداجن الشاة التى تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى اى من يقوم بعذرى ان انا كافاته على سوء صنيعه ان عاتبت او عاقبت فلا تلومونى على ذلك قولها وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه اى من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية اى حمله الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة قولها فتثاور الحيان اى ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم اى يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت قيل هو من اللمم وهو صغائر الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعى اى انقطع جريانه قولها ما رام اى ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسرى عنه اى كشف عنه وقول زينب احمى سمعى وبصرى اى امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع وهى التى كانت تسامينى من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله اى منعها من الوقوع فى الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف اى من ستر انثى قوله ويستوشيه اى يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان فى عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان اى متعففة رزان اى ثابتة ما تزن اى ترمى ولا تتهم بريبة اى بأمر يريب الناس حية وتصبح غرثى اى جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة فى حسان انه كان ينافح اى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله واما التفسير فقوله عزوجل ان الذين جاؤا بالافك اى بالكذب والافك اسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصبة اى جماعة منكم اى عبد الله بن ابى ابن سلول ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن ابى ابن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب الى الايمان فى الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا امن المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شرا لكم) يعنى الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولابويها وللنبى صلى الله عليه وسلم ولصفوان (بل هو خير لكم) يعنى ان الله اجركم على ذلك واظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة واوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) اى من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) اى جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذى تولى كبره)

من التخيلات والموهومات المستعملة فى الجدل والخلاف والمغالطة (حنفاء لله) مائلين عن الطرق الفاسدة والعلوم الباطلة معرضين عن كل ما يغيره من الكمالات والاعمال ولو لنفس الكمال والتزين به فانه حجاب (حنفاء لله غير مشركين به) بالنظر الى ماسواه والالتفات فى طريقه الى ماعداه (ومن يشرك بالله) بالوقوف مع شئ والميل اليه (فكانما خر من السماء) سماء الروح (فتخطفه الطير) طير الدواعى النفسانية والاهواء الشيطانية فتمزقه قطعا جذاذا (او تهوى به الريح) ريح هوى النفس (فى مكان سحيق) بعيد من الحق ومهلكة عمياء متلفة (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) من النفوس المستعدة المسوقة نسائق التوفيق فى سبيل الله ليهدى بها لوجه الله فان تعظيمها تحصيل كمالها من افعال ذوى القلوب المتقية المجردة عن الصفات النفسانية والهيئات الظلمانية (لكم فيها منافع) من الاعمال والاخلاق والكمالات العلمية والعملية (الى اجل مسمى) هو الفناء

اى تحمل معظمه وبدا بالخوض فيه وقال باشاعته وهو عبدالله بن ابى ابن سلول (منهم) من العصبة (له عذاب عظيم) يعنى عذاب النار فى الآخرة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين * قوله عز وجل (لولا اذ سمعتموه) اى الحديث الكذب وهو قول اهل الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم واهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين (وقالوا هذا افك مبين) اى كذب بين لا حقيقة له (لولا) اى هلا (جاؤا عليه) اى على مازعموا (بأربعة شهداء) اى يشهدون بذلك (فاذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله) اى فى حكم الله (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواجر فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء اتى بالشهداء اولم يأت قلت قيل هذا فى حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى وقيل معناه فأولئك عند الله فى حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يأت بالشهود يجب زجره * قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب (اذ تلقونه بألسنتكم) اى يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم) اى من غير ان تعلموا انه حق (وتحسبونه هينا) اى وتظنون انه سهل لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) اى فى الوزر (ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك) قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه (هذا بهتان عظيم) اى كذب عظيم يبهت ويحير من عظمه روى ان ام ايوب الانصارى قالت لابى ايوب الانصارى مابلغك مايقول الناس فى عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله (ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) اى فى الامر والنهى (والله عليم) اى بأمر عائشة وصفوان (حكيم) اى حكم ببراءتهما * قوله عز وجل (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة) اى يظهر الزنا ويذيع (فى الذين آمنوا) قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من احب ان تشيع الفاحشة او تظهر على احد فهو داخل فى حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (لهم عذاب اليم فى الدنيا) يعنى الحد والذم على فعله (والآخرة) اى وفى الآخرة لهم النار (والله يعلم) اى كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وانتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم مافى قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) اى لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحمنة (وان الله رؤف رحيم) قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) اى آثاره ومسالكه

(ومن)

الى الله بالحقيقة (ثم محلها الى البيت العتيق) حد سوقها وموضع وجوب نحرها بالوصول الى حرم الصدر عند كعبة القلب الى مقام السر وترقى النفس الى مقامه فانية عن حياتها وصفاتها (ولكل امة) من القوى (جعلنا منسكا) عبادة مخصوصة بها (ليذكروا اسم الله) بالاتصاف بصفاته التى هى مظاهرها فى التوجه الى التوحيد (على مارزقهم) من الكمال بواسطة (بهيمة) النفس التى هى من جملة (الانعام) اى النفوس السليمة (فالهكم اله واحد) فوحدوه بالتوجه نحوه من غير التفات الى غيره وخصصوه بالانقياد والطاعة ولا تنقادوا الاله (فله اسلموا وبشر المخبتين) المنكسرين المتذللين القابلين لفيضه (الذين اذا ذكر الله) بالحضور (وجلت قلوبهم) انفعلت لقبول فيضه (والصابرين) الثابتين (على ما اصابهم) من آلام لفتات والمجاهدات (والمقيمى الصلوة) صلاة المشاهدة (ومما رزقناهم) من الفضائل والكمالات (ينفقون) بالفناء فى الله والافاضة

(ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) اى بالقبائح من الاقوال والافعال وكل مايكرهه الله عزوجل والآية عامة فى حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا) اى ماطهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ماصلح منكم احد وقيل الخطاب للذين خاضوا فى الافك ومعناه ماطهر من هذا الذنب ولاصلح امره بعد الذى فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ماقبل توبة احد منكم ابدا (ولكن الله يزكى) اى يطهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) اى لاقوالكم (عليم) اى بما فى قلوبكم * قوله عزوجل (ولا يأتل) اى ولا يحلف من الالية وهى القسم (اولوا الفضل منكم والسعة) يعنى الغنى يعنى ابابكر الصديق (ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) يعنى مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة ابى بكر الصديق حلف ابوبكر ان لاينفق عليه فانزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) اى عن خوض مسطح فى امر عائشة (الا تحبون) يخاطب ابابكر (ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابى بكر قال بلى انا احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال والله لاانزعها منه ابدا وفى الآية ادلة على فضل ابى بكر الصديق لان الفضل المذكور فى الآية ذكره تعالى فى معرض المدح وذكره بلفظ الجمع فى قوله اولوا الفضل وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته منها انه احتمل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من اشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال فى حق ابى بكر وليعفوا وليصفحوا فدل ان ابابكر كان ثانى اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع الاخلاق وفى الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير ويكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه * قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) اى العفائف (الغافلات) اى عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هى التى لايقع فى قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) اى عذبوا (فى الدنيا) بالحد (والآخرة) اى وفى الاخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا فى حق عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله فى الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وازواج النبى صلى الله وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس فى ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة ايضا للآية (يوم تشهد عليهم السنتهم) هذا قبل ان يختم على افواههم (وايديهم وارجلهم) يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدى والارجل بما عملت فى الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) اى جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) اى الموجود الظاهر الذى بقدرته وجود كل شئ وقيل معناه يبين لهم حقية ما كان يعدهم فى الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابى ابن سلول كان يشك فى الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين * قوله عزوجل (الخبيثات للخبيثين) قال اكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات

على المستعدين (والبدن) اى النفوس الشريفة العظيمة القدر (جعلناها لكم من شعائر الله) من الهدايا المعلقة لله (لكم فيها خير) سعادة وكمال (فاذكروا اسم الله عليها) بالاتصاف بصفاته وافناء صفاتكم فيه وذلك هو النحر فى سبيل الله (صواف) قائمات بما فرض الله عليها مقيدات بقيود الشريعة وآداب الطريقة واقفات عن حركاتها واضطراباتها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت عن هواها الذى هو حياتها وقوتها التى بها تستقل وتضطرب بقتلها فى الله (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) استفيدوا من فضائلها وافيدوا المستعدين والطالبين المتعرضين للطلب من المريدين (كذلك سخرناها لكم) بالرياضة (لعلكم تشكرون) نعمة الاستعداد والتوفيق باستعمالها فى سبيل الله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) لحوم فضائلها وكمالاتها ولا افناؤها بازالة اهوائها التى هى دماؤها (ولكن يناله التقوى) التجرد (منكم) عنها وعن صفاتها

والقول للخبيثين من الناس ومثله (والخبيثون) اى من الناس (للخبيثات) من القول (والطيبات) اى من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لايليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لايليق الا بالطيب من الناس وعائشة لايليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح ومايليق بها وقيل معناه لايتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برؤها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء امثال عبدالله ابن ابيّ المنافق والشاكين فى الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم (اولئك مبرؤن) يعنى عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون (مما يقولون) يعنى اصحاب الافك (لهم مغفرة) اى عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى الجنة روى ان عائشة كانت تفخر باشياء اعطيتها لم تعطها امراة غيرها منها ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروى انه اتى بصورتها فى راحته ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحى وهى معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة من السماء

* قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) اى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفى هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس فى اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل فى البيت انسان فيؤذنه انى داخل وقيل هو من آنست اى ابصرت قيل هو ان يتكلم بتسبيحة او يتنحنح حتى يعرف اهل البيت (وتسلموا على اهلها) بيان حكم الآية انه لايدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا فى ايهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول ادخل سلام عليكم كما فى الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أادخل وتقدير الآية حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وكذا هو فى مصحف ابن مسعود روى عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استأذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أادخل اخرجه ابوداود والترمذى وعن ربعى بن حراش قال جاء رجل من بنى عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى البيت فقال الج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أادخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابوداود (ق) عن ابى سعيد وابى بن كعب عن ابى موسى قال ابو سعيد كنت فى مجلس من مجالس الانصار اذ جاء ابوموسى كانه مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت قال مامنعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن

(ذات)

فان سبب الوصول هو التجرد والفناء فى الله لاحصول الفضائل مكان الرذائل مثل ذلك التسخير بالرياضة (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم) بالفناء فيه عنها وعن كل شئ على العلو الذى هداكم اليه بالتجريد والتفريد والسلوك فى الطريقة الى الحقيقة (وبشر المحسنين) الشاهدين فى العبودية عن البقاء والفناء حال الاستقامة والتمكين (ان الله يدافع) ظلمة القوى النفسانية بالتوفيق (عن الذين آمنوا) من القوى الروحانية (ان الله لايحب كل خوّان) من القوى التى لم تؤد امانة الله من كمالها المودع فيها بالطاعة فيها وخانت القلب بالغدر وعدم الوفاء بالعهد (كفور) باستعمال نعمة الله فى معصيته (اذن للذين يقاتلون) الوهم والخيال وغيرهما من القوى الروحانية المجاهدين مع القوى النفسانية (ب) سبب (انهم ظلموا) باستيلاء صفات النفس واستعلائها (وان الله على نصرهم لقدير الذين) اى المظلومين الذين (اخرجوا من ديارهم) من مقارهم ومناصبهم باستخدامها

عليه بينة امنكم احد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابى بن كعب فوالله لايقوم معك الا اصغر القوم فكنت فقمت معه فأخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثانى مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع * عن عبدالله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن اوالايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور اخرجه ابوداود وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن اخرجه ابوداود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والاقدم الاستئذان ثم يسلم وقال ابوموسى الاشعرى وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ماروى عن عطاء بن يسار ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على امى قال نعم فقال الرجل انى معها فى البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل انى خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها اخرجه مالك فى الموطا مرسلا * وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) اى فعل الاستئذان خير لكم واولى بكم من التهجم بغير اذن (لعلكم تذكرون) اى هذه الآداب فتعملوا بها * قوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) اى فى البيوت (احدا) اى يأذن لكم فى دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) اى فى الدخول (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعنى اذا كان فى البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولايقف على الباب ملازما (هو ازكى لكم) اى الرجوع هو الطهر واصلح لكم فان للناس احوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم فى تلك الاحوال واذا حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتى دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولايستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال ياابن عم رسول الله لواخبرتنى بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من جحر فى باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل وفى رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوعلمت انك تنظر لطعنت به فى عينك انما جعل الاذن من اجل البصر (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفى رواية للنسائى قال لو ان امرا اطلع عليك بغير اذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة اخرى جناح (والله بما تعملون عليم) اى من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشأم على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) اى اثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) اى بغير استئذان (فيها متاع لكم) اى منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هى الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤووا امتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم فى الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هى جميع البيوت التى لاساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك

واستبعادها فى طلب الشهوات واللذات البدنية (بغير حق) لهم عليهم موجب لذلك الا التوحيد الموجب للتعظيم والتمكين والتوجه الى الحق والاعراض عن الباطل (الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس) ناس القوى النفسانية (بعضهم ببعض) كدفع الشهوانية بالغضبية وبالعكس اوناس القوى مطلقا كدفع النفسانية بالروحانية ودفع الوهمية بالعقلية والنفسانية بعضها ببعض كما ذكر (لهدمت صوامع) رهبان السرو خلواتهم (وبيع) نصارى القلب ومحال تجلياتهم (وصلوات) يهود الصدر ومتعبداتهم (ومساجد) مؤمنى الروح ومقامات مشاهداتهم وفنائهم فى الله (يذكر فيها اسم الله كثيرا) الاعظم بالتخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته والتحقق باسراره والفناء فى ذاته (ولينصرن الله من ينصره) بقهر بنوره من بارزه بوجوده وظهوره (ان الله لقوى عزيز) يغلب من ماثله باستعلائه وجبروته (الذين ان مكناهم فى الارض) بالاستقامة

جازله الدخول بغير استئذان (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) * قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) اى عما لايحل النظر اليه قيل معناه يغضوا ابصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لايجب الغض عما يحل اليه النظر وانما امروا ان يغضوا عما لايحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ياعلى لاتتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه ابوداود والترمذى (م) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولايفضى الرجل الى الرجل فى ثوب واحد ولاتفضى المرأة الى المرأة فى ثوب واحد * وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) اى عما لايحل قال ابوالعالية كل مافى القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا الا فى هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لايقع بصر الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لابأس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن واقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات فى البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجوهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر الفروج فضيق وكفاك ان ابيح النظر الا مااستثنى منه وحظر الجماع الا مااستثنى منه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد ولايكاد احد يقدر على الاحتراس منه (ذلك ازكى لهم) اى غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) اى انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم * قوله عزوجل (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن) اى عما لايحل لهن روى عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذا اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يارسول الله اليس اعمى لايبصرنا ولايعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعميا وان انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذى وابوداود * قوله تعالى (ولايبدين) اى لايظهرن (زينتهن) اى لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب فى الرجل والسوار فى المعصم والقرط فى الاذن والقلائد فى العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولايجوز للاجنبى النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن (الا ماظهر منها) اى من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعى الوجه والكفان وقال ابن مسعود هى الثياب وقال ابن عباس هى الكحل والخاتم والخضاب فى الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبى النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيأ من ذلك غض البصر وانما رخص فى هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه فى الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) اى ليلقين مقانعهن (على جيوبهن) اى موضع الجيب وهو النحر والصدر اى ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن واقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من

بالوجود الحقانى (اقاموا الصلوة) صلاة المراقبة والمشاهدة (وآتوا الزكوة) زكاة العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية من نصاب المكاشفة مستحقيها من الطلبة (وأمروا) القوى النفسانية والنفوس الناقصة (بالمعروف ونهوا) من الاعمال الشرعية والاخلاق المرضية فى مقام المشاهدة ونهوهم (عن المنكر) من الشهوات البدنية واللذات الحسية والرذائل المردية والمعاملة (ولله عاقبة الامور) بالرجوع اليه (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها اواذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده

صوف اوشعر وكتان وقيل هو الازار وقيل الدرع (ولا يبدين زينتهن) يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ماعدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن (اوآبائهن اوآباء بعولتهن اوابنائهن اوابناء بعولتهن اواخوانهن اوبني اخوانهن اوبني اخواتهن) فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى مابين السرة والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غيرانه يكره له النظر الى فرجها (اونسائهن) اي المؤمنات من اهل دينهن اراد به انه يجوز للمرأة ان تنظر الى بدن المرأة الا مابين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية او الكافرة لان الله تعالى قال اونسائهن والذمية اوالكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية في الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء (اوماملكت ايمانهن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا مابين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن روي ذلك عن عائشة وام سلمة وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى الى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (اوالتابعين غير اولي الاربة من الرجال) قرئ غير بنصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا الاربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير اولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة في النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ارى هذا يعرف ماههنا لا يدخل عليكن فحجبوه زاد ابو داود في رواية واخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله اقبلت باربع اي ان لها في بطنها اربع عكن فهي تقبل بهن اذا اقبلت واراد بالثمان اطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن (اوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) اي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا امر النساء وقيل لم يبلغوا احد الشهوة وقيل الطفل اسم للصبي مالم يحتلم (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها اويتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله نهي عنه ان يعلم به ماعليهن من الحلي وغيره (وتوبوا الى الله جميعا) اي من التقصير الواقع في امره

وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الفرق بين النبي والرسول ان النبي هو الواصل بالفناء في مقام الولاية الراجع بالوجود الموهوب الى مقام الاستقامة متحققا بالحق عارفا به منبئا عنه وعن ذاته وصفاته وافعاله واحكامه بامره مبعوثا للدعوة اليه على شريعة المرسل الذي تقدمه غير مشرع لشريعة ولا واضع لحكم وملة مظهرا للمعجزات منذرا ومبشرا للناس كأنبياء بني اسرائيل اذ كلهم كانوا داعين الى دين موسى عليه السلام كان كتابه حاويا للمعارف والحقائق والمواعظ والنصائح دون الاحكام والشرائع ولهذا قال عليه السلام علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وهم الاولياء العارفون المتمكنون

ونهيه وراجعوا طاعته فيما امركم به ونهاكم من الآداب المذكورة فى هذه السورة قيل ان اوامر الله ونواهيه فى كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى (ايه المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الاغر اغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة فى مرة اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفرلى وتب على انك انت التواب الرحيم مائة مرة اخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشى (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه * قوله عز وجل (وانكحوا الايامى منكم) جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) اى من عبيدكم (وامائكم) بيان حكم الآية الامر المذكور فى الآية امر ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء بكسر الواو رض الانثيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم فى قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائى (ق) عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة اما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة افضل له من النكاح عند الشافعى وعند اصحاب الرأى النكاح افضل قال الشافعى قد ذكر الله عبدا اكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذى لا يأتى النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفى الآية دليل على ان تزويج الايامى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول اكثر اهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعى وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثورى والاوزاعى وعبد الله بن المبارك والشافعى واحمد واسحق وجوز اصحاب الرأى للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولى شرط فى النكاح ما روى عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولى اخرجه ابو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له * قوله تعالى (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا

(فقراء)

والرسول هو الذى يكون له مع ذلك كله وضع شريعة وتقنين فالنبى متوسط بين الولى والرسول (الا اذا تمنى) ظهرت نفسه بالتمنى فى مقام التلوين (القى الشيطان) فى وطاء (امنيته) ما يناسبها لان ظهور النفس يحدث ظلمة وسوادا فى القلب يحتجب بها الشيطان ويتخذها محل وسوسته والقائه بالتناسب (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) باشراق نور الروح على القلب بالتأييد القدسى وازالة ظلمة ظهور النفس وقمعها ليظهر فساد ما يلقيه ويتميز منه الالقاء الملكى فيضمحل ويستقر الملكى (ثم يحكم الله آياته) بالتمكين (والله عليم) بعلم الالقاآت الشيطانية وطريق نسخها من بين وحيه (حكيم) يحكم آياته بحكمته ومن مقتضيات حكمته انه يجعل الالقاء الشيطانى فتنة للشاكين المنافقين المحجوبين القاسية قلوبهم عن قبول الحق وابتلاء لهم لازدياد شكهم وحجابهم به فانهم بمناسبة نفوسهم الظلمانية وقلوبهم المسودة القاسية لا يقبلون الا ما يلقى الشيطان كما قال تعالى هل أنبئكم على من تنزل

فقراء لا يغنهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته (والله واسع) اى انه ذو الافضال والجود (عليم) اى بما يصلح خلقه من الرزق * قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) اى ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) اى يوسع عليهم من رزقه (والذين يبتغون الكتاب) اى يطلبون المكاتبة (مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه ان يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين فى الحرب * بيان حكم الآية وكيفية المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك فى نجمين او فى نجوم معلومة فى كل نجم كذا فاذا اديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا ادى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد احق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل فى يده من المال فهو له ويتبعه اولاده الذين حصلوا فى الكتابة فى العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما فى يده من المال فهو لسيده لما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم اخرجه ابو داود وذهب بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذى علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته وان سأل على اقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين ابا محمد بن سيرين سأل انس بن مالك ان يكاتبه وكان كثير المال فابى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم (ان علمتم فيهم خيرا) فكاتبه وذهب اكثر اهل العلم الى انه امر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعى لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال عليه الى اجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوّز ابو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا فى معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوّة على الكسب وهو قول مالك والثورى وقيل مالا روى ان عبد السلمان الفارسى قال له كاتبنى قال الك مال قال لا قال تريد ان تطعمنى اوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو اراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة وقال الشافعى اظهر معانى الخير فى العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا يمنع من المكاتبة اذا كان هكذا وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله اخرجه الترمذى والنسائى وقيل معنى الخير ان يكون العبد عاقلا بالغا فاما الصبى والمجنون فلا تصح وجوّز كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوّز ابو حنيفة كتابة الصبى المراهق * وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) قيل هو خطاب للموالى فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيأ وهو قول عثمان وعلى والزبير وجماعة وبه قال الشافعى ثم اختلفوا فى قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول على ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعى قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على

الشياطين تنزل على كل افاك اثيم (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد) وانهم لفى خلاف بعيد عن الحق فكيف يقبلونه (وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك) من اهل اليقين والمحققين ان تمكن الشيطان من الالقاء هو الحكمة والحق من ربك على قضية العدل والمناسبة (فيؤمنوا به فتخبت) بان يروا الكل من الله فتطمئن (له قلوبهم) بنور السكينة والاستقامة الموجبة لتمييز الالقاء الشيطانى من الرحمانى (وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) لا يدعهم الى طريق الحق والاستقامة فلا تزل اقدامهم بقبول ما يلقى الشيطان ولا تقبل قلوبهم الا ما يلقى الرحمن لصفائها وشدة نوريتها وضيائها (ولا يزال الذين كفروا) المحجوبون (فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة) تقوم عليهم القيامة الصغرى (او يأتيهم عذاب يوم عقيم) وقت هائل لا يعلم كنهه ولا يمكن وصفه من الشدة او وقت لا مثل له فى الشدة

اولا خير فيه (الملك يومئذ) اذ وقع العذاب وقامت القيامة (لله) لا يمنعهم منه احد اذ لا قوة ولا قدرة ولا حكم لغيره بفصل (يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالموقنون العاملون بالاستقامة والعدالة (في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) الصفات يتنعمون والمحجوبون عن الذات والمكذبون بالصفات بنسبتها الى الغير في عذاب مهين من صفات النفوس والهيئات لاحتجابهم عن عزة الله وكبريائه وصيرورتهم في ذل قهره (والذين هاجروا) عن مواطن النفوس ومقارها السفلية (في سبيل الله ثم قتلوا) بسيف الرياضة والشوق (او ماتوا) بالارادة والذوق (ليرزقنهم الله) من علوم المكاشفات وفوائد التجليات (رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه) وليدخلنهم مقام الرضا (وان الله لعليم) بدرجات استعداداتهم واستحقاقاتهم وما يجب ان يفيض عليهم من كمالاتهم

خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم اخرجه مالك في الموطا وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما احب وقال بعضهم هو امر استحباب والوجوب اظهر وقيل اراد بقوله وآتوهم من مال الله اي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب اراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا او لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه ذهب الشافعي واحمد وقال قوم ان ترك وفاء بما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتتبعه اولاده واكسابه كما في الكتابة الصحيحة لان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن اداء النجوم * وقوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم) اي اماءكم (على البغاء) اي الزنا (ان اردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن ابي ابن سلول يقول لجارية له اذهبي فابغينا شيأ قال فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفي رواية اخرى ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون انزلت في عبد الله بن ابي ابن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الآية وروي ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله ان اردن تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الآية فخرج النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثاني انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا الثالث ان ان بمعنى اذا اي اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذا كنتم مؤمنين القول الرابع ان في هذه الآية تقديما وتأخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء (لتبتغوا) اي لتطلبوا (عرض الحيوة الدنيا) اي من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن (ومن يكرههن) يعني على الزنا (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله * قوله تعالى (ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات) اي من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) اي شبها من حالكم بحالهم ايها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من

(المكذبين)

المكذبين(وموعظة للمتقين) اى المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر * قوله عزوجل (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبدالله من مرو ليلة * فقد سار عنها نورها وجمالها

(مثل نوره) اى مثل نور الله عزوجل فى قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذى اعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن اى مثل نور قلب المؤمن وقيل اراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا (كمشكوة) هى الكوة التى لا منفذ لها قيل هى بلغة الحبشة (فيها مصباح) اى سراج واصله من الضوء (المصباح فى زجاجة) يعنى القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها ابين من كل شئ وضوءه يزيد فى الزجاج * ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب درى) من درء الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره فى تلك الحال وفى ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل درى اى شديد الانارة نسب الى الدر فى صفائه وحسنه وان كان الكوكب اضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدرى احد الكواكب الخمسة السيارة التى هى زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد قيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (توقد) اى اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) اى من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو اصفى الادهان واضوؤها قيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشأم لانها هى الارض المباركة وهى شجرة لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت او ابى اسيد الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة اخرجه الترمذى * وقوله (لا شرقية ولا غربية) اى ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست فى مقنأة لا تصيبها الشمس ولا فى مضحاة لا يصيبها الظل فهى لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست فى شرق يضرها الحر ولا فى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامية لان الشأم وسط الارض لا شرقى ولا غربى وقيل ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت فى الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها يضئ) اى من صفائه (ولو لم تمسسه نار) اى قبل ان تمسه النار (نور على نور) اى نور المصباح على نور الزجاجة

(حليم) لا يعاجلهم بالعقوبة فى فرطاتهم فى التلوينات وتفريطاتهم فى المجاهدات فيمتعهم بما تقتضيه احوالهم ليمكنهم قبولهم ذلك * من راعى طريق العدالة فى المكافاة بالعقوبة ثم مال الى الانظلام لا الى الظلم لوجب فى حكمة الله تأييده بالامداد الملكوتية ونصرته بالانوار الجبروتية فان الاحتياط فى باب العدالة هو الميل الى الانظلام لا الى الظلم قال النبى عليه السلام كن عبدالله المظلوم ولا تكن عبدالله الظالم (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله وان الله لعفو) يأمر بالعفو وترك المعاقبة (غفور) يغفر لمن لا يقدر على العفو (ذلك) الغفران عند ظهور النفس فى المعاقبة او التأييد والنصر عند رعاية العدالة فيها مع الانظلام فى الكرة الثانية (ب) سبب (ان الله يولج الليل فى النهار) ليل ظلمة النفس فى نور نهار القلب بحركتها واستيلائها عليه فينبعث الى المعاقبة (ويولج النهار فى الليل) نور نهار القلب فى ظلمة النفس فيعفو وكل بتقديره وتصريف قدرته

* فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) * اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفائه وصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوّة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوّة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وامره يتبين للناس ولو لم يتكلم به انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال ابي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس ان يصيبه شيء من الفتن فهو بين اربع خلال ان اعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء اي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال ابي فهو يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء اي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل تكاد حجة القرآن يتضح وان لم يقرأ نورا على نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور وقوله تعالى (يهدى الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) اي يبين الله الاشياء للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك (والله بكل شيء عليم) * قوله عز وجل (في بيوت) اي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء

(وان الله سميع) لنياتهم (بصير) باعمالهم بما لهم على حسب احوالهم (ذلك بان الله هو الحق وانما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الإنسان لكفور لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف

لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء اسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا (اذن الله ان ترفع) اى تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) اى يصلى له فيها (بالغدو والآصال) اى بالغداة والعشى قال اهل التفسير اراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتى تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة اراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان اجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لايعنيه الاذاك كان اجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لالغو بينهما كتاب فى عليين اخرجه ابوداود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر فى هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لاتلهيهم) اى لاتشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم مايشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات واراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ماباعه الرجل على يده (ولا بيع) اى ولايشغلهم بيع (عن ذكر الله) اى حضور المساجد لاقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعنى اقامة الصلاة فى وقتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لايكون من مقيمى الصلاة روى سالم عن ابن عمر انه كان فى السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة (وايتاء الزكاة) يعنى المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت اداء الزكاة لايحبسونها (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ماعبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اى ناحية يؤخذبهم امن ذات اليمين ام من ذات الشمال ومن اين يؤتون كتبهم امن قبل اليمين ام من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب فى الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولايخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته (ليجزيهم الله احسن ماعملوا) يعنى اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله احسن ماعملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لايجازيهم على مساوى اعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء احسن من اعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعنى انه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن اعمالهم

فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره) اى ماعرفوه حق معرفته اذ نسبوا التأثير الى غيره واثبتوا وجود الغير اذ كل عارف به لايعرف منه الا ماوجد فى نفسه من صفاته ولو عرفوه حق معرفته لكانوا فانين فيه شاهدين لذاته وصفاته عالمين ان ماعداه ممكن موجود بوجوده قادر بقدرته لابنفسه فكيف له وجود وتأثير (ان الله لقوى) يقهر ماعداه بقوة قهره فيفنيه فلا وجود ولاقوة له (عزيز) يغلب كل شئ فلاقدرة له (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم مابين ايديهم وماخلفهم والى الله ترجع

ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة حسناته وفضله * قوله تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلا لحال المؤمن وانه في الدنيا والآخرة في نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ما يرى نصف النهار عند شدة الحر في البرارى يظنه من رآه فاذا قرب منه لم يرشيأ والقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب (يحسبه) اى يتوهمه (الظمآن) اى العطشان (ماء حتى اذا جاءه) اى جاء ما قدرانه ماء وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجده شيأ) اى لم يجده على ما قدر وظنه ووجه التشبيه ان الذى يأتى به الكافر من اعمال البر يعتقد ان له ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيأ فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافعة فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى شيأ ولا نفعه (ووجد الله عنده) اى وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) اى جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى (اوكظلمات) اعلم الله سبحانه وتعالى ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهى كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهى كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (في بحر لجى) اى عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (يغشاه) اى يعلوه (موج من فوقه موج) اى متراكم (من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه ان البحر اللجى يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى (اذا اخرج لم يكد يراها) اى لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الابعد الجهد وقيل لما كانت اليه من اقرب شئ يراه الانسان قال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجى قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابى بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادى له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار * قوله عز وجل (الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) اى باسطات اجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قيل الصلاة لبنى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاته نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض) اى ان جميع الموجودات ملكه وفى تصرفه

الامور يا ايها الذين آمنوا) لايمان اليقينى (اركعوا) فناء الصفات (واسجدوا) فناء الذات (واعبدوا ربكم) فى مقام الاستقامة الوجود الموهوب فان من بقى منه بقية لم يمكنه ان يعبد الله حق عبادته اذ العبادة انما تكون بقدر المعرفة (وافعلوا الخير) بالتكميل والارشاد (لعلكم تفلحون) بالنجاة من وجود البقية والتلوين (وجاهدوا فى الله حق جهاده) اى بالغوا فى العبودية حتى لا تكون بانفسكم وانانيتكم وهو المبالغة فى التحذير من وجود التلوين لان من نبض منه عرق الانانية لم يجاهد فى الله حق جهاده اذ حق الجهاد فيه هو الفناء بالكلية بحيث لا عين له ولا اثر وذلك هو الاجتهاد فى ذاته (هو اجتباكم) بالوجود الحقانى لا لغيره فلا تلتفتوا الى غيره بظهور انانيتكم (وما جعل عليكم فى الدين) دينه (من حرج) من كلفة ومشقة فى العبادة فانه ما دامت النفس باقية او يجد العابد من القلب والروح بقية ولم يستقر بنور التوحيد ولم يستحكم

ومنه نشأت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه (والى الله المصير) اى والى الله مرجع العباد بعد الموت * قوله تعالى (الم تر ان الله يزجى) اى يسوق (سحابا) بامره الى حيث يشاء من ارضه بلاده (ثم يؤلف بينه) اى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) اى متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) اى المطر (يخرج من خلاله) اى من وسطه وهو مخارج القطر (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر الله ان فى السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال فى الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ماينزله الله بعض تلك الجبال التى فى السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) اى البرد (من يشاء) فيهلكه وامواله (ويصرفه عمن يشاء) اى فلا يضره (يكاد سنا برقه) اى ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) اى من شدة ضوئه وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) اى يصرفهما فى اختلاف تعاقبهما فيأتى بالليل ويذهب بالنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد اصابنا الدهر ويذمونه فى اشعارهم فقيل لهم لاتسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عزوجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم * وقوله تعالى (ان فى ذلك) اى الذى ذكر من هذه الاشياء (لعبرة لاولى الابصار) اى دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده * قوله عزوجل (والله خلق كل دابة من ماء) اى من نطفة واراد به كل حيوان يشاهد فى الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لانشاهدهم وقيل ان اصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) اى كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعنى مثل بنى آدم والطير (ومنهم من يمشى على اربع) يعنى كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك المخلوق من غير نطفة لابد ان يتكون من شئ وذلك الشئ اصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم استعمل فى غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى مالا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا اولى فان قلت لم قدم مايمشى على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرف فى القدرة وهو الماشى بغير آلة المشى وهى الارجل والقوائم ثم ذكر مايمشى على اربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفى الحيوانات مايمشى على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا ومله اربع واربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على اربع فى المشى والباقى تبع لها (يخلق الله مايشاء) اى مما لايعقل ولا يعلم (ان الله على كل شئ قدير) اى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلق على الكل يخلق مايشاء لايمنعه مانع ولا دافع (لقد انزلنا آيات مبينات) يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام

مقام التفريد لم يكن فى العبادة روح تام وذوق عام ولا يخلو من حرج وضيق وكلفة ومشقة واما اذا تمكن فى الاستقامة وتصفى فى المحبة التامة وجد السعة والروح (ملة) اى اعنى واخص ملة (ابيكم) الحقيق (ابرهيم) التى هى التوحيد المحض ومعنى ابوته كونه مقدما فى التوحيد مفيضا على كل موحد فكلهم من اولاده (هو) اى ابراهيم او الله تعالى (سماكم المسلمين) الذين اسلموا ذواتهم الى الله بالفناء فيه وجعلكم علماء فى الاسلام اولا وآخرا وهو معنى قوله (من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتوحيد رقيبا يحفظكم فى مقامه بالتأييد حتى لاتظهر منكم بقية (وتكونوا شهداء على الناس) بتكميلهم مطلعين على مقاماتهم ومراتبهم تفيضون عليهم انوار التوحيد ان قبلوا (فاقيموا الصلوة) صلاة الشهود الذاتى فانكم على خطر لشرف مقامكم وعز مرامكم (وآتوا الزكوة) بافاضة الفيض على المستعدين وتربية الطالبين المستبصرين فانه شكر حالكم وعبادة

والحلال والحرام (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته * قوله تعالى (ويقولون) يعنى المنافقين (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) اى يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم)اى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) اى من بعد قولهم آمنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما اولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى ارض فقال اليهودى نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الآية (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) اى الرسول يحكم بحكم الله بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعنى عن الحكم وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) اى مطيعين منقادين لحكمه اى اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا (افى قلوبهم مرض) اى كفر ونفاق (ام ارتابوا) اى شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) اى يظلم (بل اولئك هم الظالمون) اى لانفسهم باعراضهم عن الحق * قوله عز وجل (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) اى الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم ادب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغى ان يكونوا وهو (ان يقولوا سمعنا) اى الدعاء (واطعنا) اى بالاجابة (واولئك) اى من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) اى ما عمل من الذنوب (ويتقه) اى فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) اى الناجون * قوله تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم) قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيأ (لئن امرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن قمت قمنا ولئن امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم والله لو امرتنا نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لهم (لا تقسموا) اى لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) اى هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهى معروفة اى امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل (ان الله خبير بما تعملون) اى من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) يعنى بقلوبكم وصدق نياتكم (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) اى على الرسول (ما حمل) اى ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) اى ما كلفتم من الاجابة والطاعة (ان تطيعوه تهتدوا) اى تصيبوا الحق والرشد فى طاعته (وما على الرسول الا البلاغ المبين) اى التبليغ الواضح البين * قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) قيل مكث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحى عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم اما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم

مقامكم (واعتصموا) فى ذلك الارشاد (بالله) بان لا تروه من انفسكم وتكونوا به متخلقين باخلاقه (هو مولاكم) فى مقام الاستقامة بالحقيقة وناصركم فى الارشاد بدوام الامداد (فنعم المولى ونعم النصير) وهو الموفق

(سورة المؤمنون)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد افلح المؤمنون) دخل فى الفوز الاعظم الموقنون (الذين هم فى صلوتهم) فى صلاة حضور القلب (خاشعون) باستيلاء الخشية والهيبة عليهم لتجلى نور العظمة لهم (والذين هم عن اللغو) اى الفضول (معرضون) لاشتغالهم بالحق (والذين هم للزكاة فاعلون) بالتجرد عن صفاتهم (والذين هم لفروجهم) واسباب لذاتهم وشهواتهم (حافظون) بترك الحظوظ والاقتصار على الحقوق على ازواجهم اوماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين (فمن ابتغى وراء ذلك) بالميل الى الحظوظ (فاولئك هم العادون) المتكبون العدوان على انفسهم (والذين هم

والله ليورثهم ارض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) اى كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بنى اسرائيل واهلك الجبابرة بمصر والشأم واورثهم ارضهم وديارهم (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى) اى اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم فى البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان (وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى) آمنين (لايشركون بى شيأ) فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياءه وابدلهم بعد الخوف امنا وبسطا فى الارض (خ) عن عدى بن حاتم قال بينا انا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة قلت لم ارها ولقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف احدا الاالله قلت فيما بينى وبين نفسى فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد واتن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب اوفضة يطلب من يقبله منه فلايجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الاجهنم قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة ماقال ابوالقاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ وفى الآية دليل على صحة خلافة ابى بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان فى ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين * عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة وعلى ستا قال على قلت لحماد القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم اخرجه ابوداود والترمذى بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة ابى بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة كما ذكر فى الحديث وخلافة على اربع سنين وتسعة اشهر ولهذا جاء فى بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة اشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله اعلم * وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) اراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) اى العاصون قال اهل التفسير اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله مابهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا * عن ابن اخى عبدالله بن سلام قال لما اريد قتل عثمان جاء عبدالله بن سلام فقال عثمان ما جاءبك قال جئت فى نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خيرلى منك داخلا فخرج عبدالله

لامانا تهم) من اسراره التى اودعهم الله اياها فى سرهم (وعهدهم) الذى عاهدهم الله عليه فى بدء الفطرة (راعون) بالاداء اليه والاحياء به (والذين هم على صلواتهم) صلاة مشاهدة ارواحهم (يحافظون اولئك) الموصوفون بهذه الصفات (هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) فردوس جنة الروح فى حظيرة القدس (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) غير هذا المتقلب فى اطوار الخلقة بنفخ روحنا فيه وتصويره بصورتنا فهو فى الحقيقة خلق وليس بخلق (ثم انكم بعد ذلك لميتون) بالطبيعة (ثم انكم يوم القيامة) الصغرى (تبعثون) فى النشأة الثانية اوميتون بالارادة ويوم القيامة الوسطى

الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله فى هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان اخرجه الترمذى زاد فى رواية غير الترمذى فما قتل نبى قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا * قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) اى افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة (ولا تحسبن الذين كفروا معجزين) اى فائتين عنا (فى الارض ومأواهم النار ولبئس المصير * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى اسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فأنزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم واللام لام الامر وفيه قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثانى انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت ايمانكم يعنى العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعنى الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا امر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التميز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعى وابو يوسف ومحمد واحد فى الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجرى عليه الاحكام وان لم يحتلم (ثلاث مرات) اى ليستأذنوا فى ثلاثة اوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) اى وقت المقيل (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فأمرهم بالاستئذان فى هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن فى جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعنى العبيد والخدم والصبيان (جناح) اى حرج فى الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) اى بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) اى العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون فى اشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) اى يطوف بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى فى هذه الآية التى امرنا بها ولا يعمل بها احد قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد او يتيم الرجل والرجل على اهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم ار احدا

تبعثون بالحقيقة اوميتون بالفناء ويوم القيامة الكبرى تبعثون بالبقاء (ولقد خلقنا فوقكم) اى فوق صوركم واجسامكم (سبع طرائق) من الغيوب السبعة المذكورة (وما كنا عن الخلق) عن خلقها (غافلين) فان الغيب لنا شهادة (وانزلنا من السماء ماء بقدر) من سماء الروح ماء العلم اليقينى (فأسكناه فى الارض) فجعلناه سكينة فى النفس (وانا على ذهاب به لقادرون) بالاحتجاب والاستتار (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب) من نخيل الاحوال والمواهب واعناب الاخلاق والمكاسب (لكم فيها فواكه كثيرة) من ثمرات لذات النفوس والقلوب والارواح (ومنها تأكلون) تقوتون وبها تتقون (وشجرة) التفكر (تخرج من طور سيناء) الدماغ اوطور القلب الحقيق بقوة العقل (تنبت بالدهن) ماتنبت من المطالب ملتبسا بدهن استعداد الاشتعال بنور نار العقل الفعال (وصبغ للآكلين) لون نورى اوذوق حالى للمستبصرين المتعلمين المستطعمين للمعانى (وان

يعمل بذلك بعد اخرجه ابوداود وفى رواية عنه نحوه وزاده فرايى انذلك اغنى عن الاستئذان فى تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى ابن ابى عائشة قال سألت الشعبى عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم امنسوخة هى قال لا والله قلت ان الناس لايعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير فى هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله مانسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم والناس يقولون اعظمكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية ❁ وقوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) اى الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) اى يستأذنوا فى جميع الاوقات فى الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) اى الاحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم اياته) اى دلالته وقيل احكامه (والله عليم) اى بامور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على امه فانما انزلت هذه الآية فى ذلك وسئل حذيفة ايستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ماتكره ❁ قوله (والقواعد من النساء) يعنى اللاتى قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلايلدن ولايحضن (اللاتى لايرجون نكاحا) اى لايردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتى اذا رآهن الرجال استقذروهن فأما من كانت فيها بقية جمال وهى محل الشهوة فلاتدخل فى حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) اى عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذى فوق الثياب والقناع الذى فوق الخمار فاما الخمار فلايجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) اى من غير ان يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو ان تظهر المرأة من محاسنها مايجب عليها ان تستره (وان يستعففن) اى فلايلقين الجلباب ولاالرداء (خير لهن والله سميع عليم) ❁ قوله عز وجل (ليس على الاعمى حرج) اختلف العلماء فى هذه الآية فقال ابن عباس لما انزل الله ياايها الذين آمنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل الاموال بالباطل والاعمى لايبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لايتمكن من الجلوس ولايستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلايستوفى من الطعام حقه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على بمعنى فى اى ليس فى الاعمى والمعنى ليس عليكم فى مؤاكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمى يقول ربما آكل اكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمى ربما اجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصا لهؤلاء فى الاكل من بيوت من سماهم الله فى باقى الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل فى طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شئ ذهب بهم الى بيت ابيه او بيت امه او بعض من سمى الله تعالى فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لاندخلها واصحابها غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء فى التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج)

لكم فى الانعام) انعام القوى الحيوانية (لعبرة) تعتبرون بها من الدنيا الى الآخرة (نسقيكم مما فى بطونها) من المدركات والعلوم النافعة (ولكم فيها منافع كثيرة) فى السلوك (ومنها تأكلون) تتقوتون بالاخلاق (وعليها وعلى الفلك) فلك الشريعة الحاملة اياكم فى البحر الهيولانى (تحملون) الى عالم القدس بقوة التوفيق (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا الابشر منكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الارجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه ان اصنع الفلك فلك الحكمة العملية والشريعة النبوية (باعيننا) على محافظتنا اياك عن الزلل فى العمل (ووحينا) بالعلم والالهام (فاذا جاء امرنا) باهلاك القوى البدنية والنفوس المنغمسة المادية وفار التنور) تنور البدن

وقوله تعالى (ولا على انفسكم) كلام مستأنف قيل لما نزلت ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان يأكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم (ان تأكلوا من بيوتكم) اى لا حرج عليكم ان تأكلوا من بيوتكم قيل اراد من اموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل اراد بيوت اولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الآباء لما جاء فى الحديث انت ومالك لابيك (او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه) قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته لا بأس عليه ان يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعنى بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزائن ويجوز ان يكون المفتاح الذى يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس ان يأكل الشئ اليسير وقيل ما ملكتم مفاتحه اى ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه (او صديقكم) الصديق هو الذى صدقك فى المودة قال ابن عباس نزلت فى الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله من حاله فقال تحرجت ان آكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح ان تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا) نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يأتى من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقال ابن عباس كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح اى اتحرج ان آكل معك وانا غنى وانت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤا جميعا اى مجتمعين او اشتاتا اى متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم) اى ليسلم بعضكم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن فى بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن فى البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) اى عن الله امره ونهيه وآدابه ۞ قوله عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) اى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على امر جامع) اى يجمعهم من حرب او صلاة حضرت او جمعة او عيد او جماعة او تشاور فى امر نزل (لم يذهبوا) اى لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنوه) قال المفسرون كان رسول الله

باستيلاء المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة (فاسلك فيها من كل زوجين) اى من كل شئ صنفين من الصور الكلية والجزئية اعنى صورتين اثنتين احداهما كلية نوعية والاخرى جزئية شخصية (واهلك) من القوى الروحانية والنفوس المجردة الانسانية ممن تشرع بشريعتك (الا من سبق عليه القول) باهلاكه من زوجتك النفس الحيوانية والطبيعة الجسمانية (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) من القوى النفسانية والنفوس المنغمسة الهيولانية بالاستيلاء على القوى الروحانية والنفوس المجرد الانسانية وغصب مناصبهم (انهم مغرقون) فى البحر الهيولانى (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) بالاستقامة فى السير الى الله فاتصف بصفات الله التى هى الحمد القلبى على نعمة الانجاء من ظلمة الجنود الشيطانية (وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين) هو مقام القلب الذى بارك الله فيه بالجمع بين العالمين

صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة اوعذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لايخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن واذا استأذن الامام ان شاء اذن له وان لم يشأ مااذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا فى المسجد فتحيض امرأة منهم اويجنب رجل اويعرض له مرض فلايحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) اى امرهم (فاذن لمن شئت منهم) اى فى الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلاتأذن (واستغفر لهم الله) اى ان رأيت لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة (ان الله غفور رحيم) * قوله عزوجل (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لاتدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يامحمد ياعبدالله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقالوا يانبى الله يارسول الله فى لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) اى يخرجون (منكم لواذا) اى يستتر بعضهم ببعض ويروغ فى خفية فيذهب قيل كانوا فى حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا اى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن امره) اى يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه (ان تصيبهم فتنة) اى لئلا تصيبهم فتنة اى بلاء فى الدنيا (او يصيبهم عذاب اليم) اى وجيع فى الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (الا ان لله ما فى السموات والارض) اى ملكا وعبيدا (قد يعلم ما انتم عليه) اى من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) اى من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنزلوا النساء الغرف ولاتعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبدالله بن السبع فى صحيحه والله سبحانه وتعالى اعلم

* (تفسير سورة الفرقان وهى مكية وسبع وسبعون آية وثمانمائة واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عزوجل (تبارك) تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم (الذى نزل الفرقان) اى القرآن سماه فرقانا لانه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا فى اوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق (على عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) اى للانس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذى له ملك السموات والارض) اى هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) اى هو الفرد فى وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) اى هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد

وادراك المعانى الكلية والجزئية وامنه من طوفان بحر الهيولى وطغيان مائه (ان فى ذلك لآيات) دلائل ومشاهدات لاولى الالباب (وان كنا لمبتلين) ممتحنين اياهم ببليات صفات النفوس والتجريد عنها بالرياضة اوممتحنين العقلاء بالاعتبار باحوالهم عند الكشف عن حالاتهم وحكاياتهم (ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلاتتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم فى الحيوة الدنيا ماهذا الابشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى ومانحن بمبعوثين ان هو الارجل افترى بعدهم على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فاخذتهم

الاصنام (وخلق كل شئ) مما تطلق عليه صفة المخلوق (فقدره تقديرا) اى سواه وهيأه لما يصلح له لاخلل فيه ولاتفاوت وقيل قدر كل شئ تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ماخلق * قوله تعالى (واتخذوا) يعنى عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (لايخلقون شيأ وهم يخلقون ولايملكون لانفسهم ضرا ولانفعا) اى دفع ضر ولاجر نفع (ولايملكون موتا) اى اماتة (ولاحياة) اى احياء (ولانشورا) اى بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعنى النضر بن الحرث واصحابه (ان هذا) اى ماهذا القرآن (الاافك) اى كذب (افتراه) اى اختلقه محمدا صلى الله عليه وسلم (واعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الحضر الحبشى الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعنى قائلى هذه المقالة (ظلما وزورا) اى بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا اساطير الاولين اكتتبها) يعنى النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان تكتب له لانه كان لايكتب (فهى تملى عليه) اى تقرأ عليه ليحفظها لانه لايكتب (بكرة واصيلا) يعنى غدوة وعشية قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يامحمد (انزله) يعنى القرآن (الذى يعلم السر) اى الغيب (فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما) اى لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يأكل الطعام) اى كما نأكل نحن (ويمشى فى الاسواق) اى يلتمس المعاش كما نمشى نحن واذا كان كذلك فمن اين له الفضل علينا ولايجوز ان يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لايأكل ولايملك لان الملك لايتسوق وانت تتسوق وتبتذل وماقالوه فاسد لان اكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن صخابا فى الاسواق وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك (لولا انزل اليه ملك) اى يصدقه ويشهد له (فيكون معه نذيرا) اى داعيا (اويلقى اليه كنز) اى ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلايحتاج الى التصرف فى طلب المعاش (اوتكون له جنة) اى بستان (يأكل منها) اى هو فلا اقل من ذلك ان لم يكن له كنز (وقال الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا) اى مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق (انظر) يامحمد (كيف ضربوا لك الامثال) اى الاشباه التى لافائدة لها فقالوا مسحور محتاج (فضلوا) اى عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى ومخرجا عن الضلالة * قوله تعالى (تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) اى من الذى قالوا وافضل من البستان الذى ذكروا وقال ابن عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) اى بيوتا مشيدة عن ابى امامة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لايارب ولكن اشبع يوما واجوع يوما اوقال ثلاثا اونحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوشئت لسارت معى جبال مكة ذهبا جاءنى ملك ان حجزته لتساوى الكعبة

الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين) فى النشأة الثانية (ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين ماتسبق من امة اجلها وما يستأخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لايؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم) القلب (وامه) النفس المطمئنة (آية) واحدة باتحاد همافى التوجه والسير الى الله وحدوث القلب منها عند الترقى (وآويناهما الى ربوة) مكان مرتفع بترقى القلب الى مقام الروح وترقى النفس الى مقام القلب (ذات قرار) استقرار وثبات وتمكن يستقر فيها لخصبها (ومعين) وعلم يقين مكشوف ظاهر (ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعلوا

فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الى ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأ كل متكئا يقول انا عبد آكل كما يأ كل العبد واجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوى بسنده * قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) اى القيامة (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) اى نارا مسعرة (اذا رأتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف تصور الرؤية من النار وهو قوله اذا رأتهم قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها (سمعوا لها تغيظا) اى غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) اى صوتا فان قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

اى وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا خر لوجهه (واذا القوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح (مقرنين) اى مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفى الحديث ان اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار فينادى ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوى بغير سند وقيل معناه هلا ككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة * قوله عز وجل (قل اذلك خير) اى الذى ذكرت من صفة النار واهلها (ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) اى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤن) اى ان جميع المرادات لا تحصل الا فى الجنة لا فى غيرها فان قلت قد يشتهى الانسان شيأ وهو لا يحصل فى الجنة كان يشتهى الولد ونحوه وليس هو فى الجنة قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن اهل الجنة بل كل واحد من اهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره (خالدين) اى فى نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الم وانشد فى المعنى

اشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(كان على ربك وعدا مسؤلا) اى مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألوا ربهم فى الدنيا حين قالوا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم * قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعنى من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعنى الاصنام ثم يخاطبهم (فيقول أانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) اى اخطؤا الطريق (قالوا) يعنى المعبودين (سبحانك) نزهوا الله سبحانه وتعالى من ان يكون معه آلهة (ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء) يعنى ما كان ينبغى لنا ان نوالى اعداءك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان

صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) اى ليس التمتيع باللذات الدنيوية والامداد بالحظوظ الفانية هو ما رعتنا لهم فى الخيرات كما حسبوا انما المسارعة فيها هو التوفيق لهذه الخيرات الباقية وهى الاشفاق بالانفعال والقبول من شدة الخشية عند تجلى العظمة والايقان العينى بآيات تجلى الصفات الربانية والتوحيد الذاتى بالفناء فى الحق والقيام بهداية الخلق واعطاء كمالاتهم فى مقام البقاء مع الخشية من ظهور البقية فى الرجوع الى عالم الربوبية من الذات الاحدية وهو السبق فى الخيرات واليها ولها (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة

نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك (ولكن متعتهم وآباءهم) اى بطول العمر والصحة والنعمة فى الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) معناه هلكى اى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين اى كذبكم المعبودون (بما تقولون) اى انهم آلهة (فما تستطيعون) اى الآلهة (صرفا) اى صرف العذاب عن انفسهم (ولانصرا) اى ولانصر انفسهم وقيل لاينصرونكم ايها العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) اى يشرك (نذقه عذابا كبيرا) * قوله عزوجل (وماارسلنا قبلك) اى يامحمد (من المرسلين الاانهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) قال ابن عباس لماعير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق انزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلاوجه لهذا الطعن وماانا الارسول وماكنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلى يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) اى بلية قال ابن عباس اى جعلنا بعضكم بلاء بعض لتصبروا على ماتسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا انتم الهدى قيل نزلت فى ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذااراد ان يسلم رأى الوضيع قد اسلم قبله فأنف وقال اسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت فى ابى جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمى والنضر بن الحرث وذلك انهم رأوا اباذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قد اسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا واراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين (اتصبرون) اى على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغنى فتنة الفقير يقول مالى لم اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع (وكان ربك بصيرا) اى بمن صبر وبمن جزع (ق) عن ابى هريرة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر من هو دونه فى المال والجسم لفظ البخارى ولمسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولاتنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لاتزدروا نعمة الله عليكم * قوله تعالى (وقال الذين لايرجون لقاءنا) اى لايخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا انزل علينا الملائكة) فتخبرنا ان محمدا صادق (اونرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقداستكبروا) اى تعظموا (فى انفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) اى طغوا وقيل عتوا فى القول وهو اشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به * قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) اى عند الموت وقيل يوم القيامة (لابشرى يومئذ للمجرمين) وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لابشرى لكم وقيل لابشارة لهم بالجنة كمايبشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الامن قال لااله الاالله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذانزلت بهم شدة ورأوا مايكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذاعاينوا الملائكة * قوله عزوجل (وقدمنا الى ماعملوا من

انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لهاسابقون (ولانكلف نفسا الاوسعها) اى لانكلف كل احد بمقامات السابقين فانها مقامات لايبلغها الا الافراد كماقيل جل جناب الحق ان يكون شريعة لكل وارد اويطلع عليه الاواحد بعد واحد بل كل مكلف بمايقتضيه استعداده بهويته من كماله اللائق به وهو غاية وسعه (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ اوام الكتاب (ينطق بالحق) بمراتب استعداد كل نفس وحدود كمالاتها وغاياتها وماهو حق كل منها (وهم لايظلمون) بمنعهم عدم حرمانهم اذاجاهدوا فيه وسعوا فى طلبه بالرياضة بل يعطى كل ماامكنه الوصول اليه ومايشتاقه فى السلوك اليه (بل قلوبهم) قلوب المحجوبين (فى غمرة) غشاوات الهيولى وغفلة غامرة (من هذا) السبق وطلب الحق (ولهم اعمال من دون ذلك) على خلاف ذلك موجبة للبعد عن هذا الباب وتكاثف الحجاب اى كالاعمال السابقين

عمل) يعني من اعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) اي باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار * قوله تعالى (اصحاب الجنة يومئذ) اي يوم القيامة (خير مستقرا) اي من هؤلاء المشركين المستكبرين (واحسن مقيلا) اي موضع القائلة وذلك ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة الا قدر من اول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في اوله وروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس * قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) اي عن الغمام وهو غمام ابيض مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تشقق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على اهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) اي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد ان يوم القيامة لا ملك يقضي غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) اي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا اي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا * قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) اراد بالظالم عقبة بن ابي معيط وذلك انه لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بآكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اخبر ابي بن خلف قال له يا عقبة صبأت قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فابى ان يأكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا الذي ارضى عنك ابدا الا ان تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا اراك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن ابي معيط خليل امية بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعني عقبة بن ابي معيط بن امية

موجبة الزلفى في النبوة و كشف الغطاء والوصول الى الحق فاعمالهم موجبة للتسفل والتكدر وغلظ الحجاب والطرد عن باب الحق لكونها في طلب الدنيا وشهواتها وهوى النفس ولذاتها (هم لها عاملون) دائبون عليها مواظبون (حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذاهم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون) وكلما سمعوا ذكر الآيات والكمالات ازدادوا عتوا وانهماكا في الغي واستكبارا وتعمقا في الباطل وهو النكوص على الاعقاب الى مهاوي جسم الطبيعة * ولما ابطلوا استعداداتهم واطفؤا انوارها بالرين والطبع على مقتضى قوى النفس والطبع واشتد احتجابهم بالغواشي الهيولانية والهيئات الظلمانية عن نور

بن عبد مناف على يديه اى ندما واسفا على مافرط فى جنب الله ولوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده اكلها على مافعل تحسرا وندامة (يقول ياليتنى اتخذت) اى فى الدنيا (مع الرسول سبيلا) اى ليتنى اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا الى الهداية (ياويلتى) دعا على نفسه بالويل (ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) قيل يعنى ابى بن خلف (لقد اضلنى عن الذكر) اى عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءنى) يعنى الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولا) اى كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن ابى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابوداود والترمذى ولهما عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصاحب الامؤمنا ولايأكل طعامك الاتقى * قوله عز وجل (وقال الرسول) يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) اى متروكا واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكوا قومه الى الله عز وجل يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) اى وكما جعلت لك اعداء من مشركى مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبى عدوّا من المجرمين) اى المشركين والمعنى لايكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر انت كما صبروا فانى ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) اى كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم اجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لنثبت به فؤادك) اى انزلناه مفرقا لنقوّى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على انبياء يكتبون ويقرؤن وانزلنا القرآن على نبى امى لايكتب ولايقرأ ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ماهو جواب لمن سأل عن امور تحدث فى اوقات مختلفة ففرقناه ليكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس وبيناه بيانا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية (ولايأتونك) يعنى يامحمد هؤلاء المشركين (بمثل) اى يضربونه لك فى ابطال امرك (الا جئناك بالحق) اى بما نرد به ماجاؤا به من المثل ونبطله فسمى مايوردون من الشبه مثلا وسمى مايدفع به الشبه حقا (واحسن تفسيرا) اى احسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) اى هم الذين (يحشرون) اى يساقون ويجرون (على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا) اى منزلا ومصيرا (واضل سبيلا) اى اخطأ طريقا * قوله تعالى

(ولقد)

الهدى والعقل لم يمكنهم تدبر القوى ولم يفهموا حقائق التوحيد والعدل فنسبوه الى الجنة ولم يعرفوه لتقابل بين النور والظلمة والتضاد بين الباطل والحق وانكروه وكرهوا الحق الذى جاء به (ولو اتبع الحق) الذى هو التوحيد والعدل اى الدعوة الى الذات والصفات (اهواءهم) المتفرقة فى الباطل الناشئة من النفوس الظالمة المظلمة المحتجبة بالكثرة عن الوحدة لصار باطلا لانعدام العدل الذى قامت به السموات والارض والتوحيد الذى قامت به الذوات المجردة اذ بالوحدة بقاء حقائق الاشياء وبظلها الذى هو العدل ونظام الكثرات قوام الارض والسماء فلزم فساد الكل (لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) الصراط المستقيم الذى يدعوهم اليه هو طريق التوحيد المستلزم لحصول العدالة فى النفس ووجود المحبة فى القلب

(ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا) اى معينا وظهيرا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى القبط (فدمرناهم) فيه اضمار اى فكذبوهما فدمرناهم (تدميرا) اى اهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) اى رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع (اغرقناهم وجعلناهم للناس آية) اى عبرة لمن بعدهم (واعتدنا للظالمين) فى الآخرة (عذابا اليما) اى سوى ماحل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا (وعادا وثمود) اى اهلكنا عادا وثمود (واصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان اهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا اصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وآذوا شعيبا فبينما هم حول البئر فى منازلهم انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبى يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا بين ذلك كثيرا) اى واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود واصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) اى فى الاشباه فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تتبيرا) اى اهلكناهم اهلاكا * قوله تعالى (ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء) يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى خمس قرى اهلك الله منها اربعا ونجت واحدة وهى اصغرها وكان اهلها لايعملون العمل الخبيث (افلم يكونوا يرونها) يعنى اذا مروا بها فى اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشأم (بل كانوا لايرجون نشورا) اى لايخافون بعثا * قوله تعالى (واذا رأوك ان يتخذونك الاهزوا) نزلت فى ابى جهل كان اذا مر مع اصحابه قال مستهزئا (اهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) اى قد قارب ان يضلنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا ان صبرنا عليها) عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) اى فى الآخرة عيانا (من اضل سبيلا) اى اخطأ طريقا (ارأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس ارأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ماحاله عندى وقيل الهوى اله يعبد (افانت تكون عليه وكيلا) اى حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة مايهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبى نسختها آية القتال (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون) اى ماتقول سماع طالب الافهام (او يعقلون) اى مايعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التى تقدمت لانهم لشدة عنادهم لايسمعون القول واذا سمعوه لايتفكرون فيه فكأنهم لاسمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (ان هم) اى ماهم (الا كالانعام) اى فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اهتدائهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى (بل هم اضل سبيلا) لان البهائم تهتدى لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين يتعاهدونها هؤلاء الكفار لايعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لايفعلون ذلك * قوله تعالى (الم تر الى ربك كيف مد الظل) هو مابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا

وشهود الوحدة فى الروح (وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وهو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلاتعقلون بل قالوا مثل ماقال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) والذين يحتجبون عن عالم النور بالظلمات وعن الغسل بالحس وعن القدس بالرجس انما هم منهمكون في الظلم والبغضاء والعداوة والركون الى الكثرة فلا جرم انهم عن الصراط ناكبون منصرفون الى ضده فهو في واد وهم في واد (ادفع بالتي هي احسن السيئة) اى اذا قابلك احد بسيئة فتثبت في مقام القلب وانظر اى الحسنات احسن في مقابلتها لتنقمع بها نفس صاحبك وتنكسر فترجع عن السيئة وتندم ولا تدع نفسك تظهر وتقابله بمثلها فتزداد حدة نفسه وسورتها وتزيد في السيئة فانك ان قابلته بحسن الحسنات ملكت نفسك وغلبت شيطانك وثبت قلبك واستقمت على ما امرك الله به وحصلت على فضيلة الحلم وتمكنت

لانه ظل لا شمس معه (ولوشاء لجعله ساكنا) اى دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها (ثم قبضناه) يعنى الظل (الينا قبضا يسيرا) اى بالشمس التى تاتى عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ جزأ قبضا خفيفا (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) اى سترا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شئ كاللباس الذى يشتمل على لابسه (والنوم سباتا) اى راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم (وجعل النهار نشورا) اى يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) يعنى المطر (وانزلنا من السماء ماء طهورا) الطهور هو الطاهر فى نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابوداود والترمذى والنسائى واراد به المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب اصحاب الراى الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء اذا توضئ به مرة وان وقع فى الماء شئ غير طعمه اولونه اوريحه هل تزول طهوريته نظران كان الواقع شيأ لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب واوراق الاشجار فيجوز الطهارة به كما لوتغير بطول المكث فى قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيأ يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير احد اوصافه نظران كان الواقع شيأ طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا اوكثيرا وان كان الواقع شيأ نجسا نظر فيه فان كان الماء اقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادى يدل على ماروى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون فى الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث اخرجه ابوداود والترمذى وهذا قول الشافعى واحمد واسحق وجماعة من اهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير احد اوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه اولونه اوريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعى والزهرى واحتجوا بما روى عن ابى سعيد الخدرى قال قيل يارسول الله انه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شئ وفى رواية قال قلت يارسول الله انتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شئ * وقوله تعالى (لنحيى به) اى بالمطر (بلدة ميتا) قيل اراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) اى نسقى من ذلك الماء (انعاما واناسى كثيرا) اى بشرا كثيرا والاناسى جمع انسى وقيل جمع انسان * قوله عزوجل (ولقد صرفناه بينهم) يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة اخرى وقال ابن عباس ما عام بامطر

من علم ولكن الله يصرفه فى الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا مامن ساعة من ليل ولانهار الا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من سنة اخرى ولكن الله عزوجل قسم هذه الارزاق فجعلها فى هذه السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافى والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليذكروا) اى ليتذكروا ويتفكروا فى قدرة الله تعالى (فأبى اكثر الناس الا كفورا) اى جحودا وكفرهم هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهنى انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فامن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب * قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) اى رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما اعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم (وجاهدهم به) اى بالقرآن (جهادا كبيرا) اى شديدا * قوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين) اى خلطهما وافاض احدهما على الآخر وقيل ارسلهما فى مجاريهما (هذا عذب فرات) اى شديد العذوبة يميل الى الحلاوة (وهذا ملح اجاج) اى شديد الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخا) اى حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) اى سترا ممنوعا فلا يبغى احدهما على الاخر ولا يفسد الملح العذب * قوله تعالى (وهو الذى خلق من الماء) اى من النطفة (بشرا فجعله نسبا وصهرا) اى جعله ذا نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التى تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعهما قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه فى تفسير سورة النساء (وكان ربك قديرا) على ما اراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى (ويعبدون من دون الله) يعنى هؤلاء المشركين (ما لا ينفعهم) اى ان عبدوه (ولا يضرهم) اى ان تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) اى معينا اعان الشيطان على ربه بالمعاصى لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم يلتفت اليه وقيل اراد بالكافر اباجهل والاصح انه عام فى كل كافر * قوله تعالى (وما ارسلناك الا مبشرا) اى بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيرا) منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد (ما اسئلكم عليه) اى على تبليغ الوحى (من اجر) فتقولوا انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه (الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعل هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسى اجرا ولكن امنع من انفاق المال الا فى طلب مرضات الله واتخاذ السبيل الى جنته * قوله عزوجل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) معناه

على مقتضى العلم واستقررت فى طاعة الرحمن ومعصية الشيطان واضفت الى حسنتك اصلاح نفس صاحبك وملكتها ان كان فيه ادنى مسكة وقوتها وشددتها وتلك حسنة اخرى لك فكنت حائزا للحسنيين وان عكست كنت جامعا للسوأيين (نحن اعلم بما يصفون) اى كل المسئ الى علم الله واعلم ان الله عالم به فيجازيه عنك ان كان مستحقا للعقوبة وهو اقدر منك عليه او يعفو عنه ان امكن رجوعه وعلم صلاحه بالعفو عنه * واستعذ بالله من سورة الغضب وظهور النفس بنخس الشيطان وهمزه اياها ومن حضوره وقربه اى توجه الى ربك مستعيذا به قائلا (وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون) منخرطا فى سلك التوجه الى جنابه بالقلب واللسان والاركان لائذا بابه من تحريضات العين ودواعيه وحضوره فيصير مقهورا مرجوما مطرودا * والموصوف بالسيئة الواصف لك بها الذاكر لك بالسوء ان بقى على حاله

انه سبحانه وتعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لا يطلب منهم اجرا البتة امره ان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بموته واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة (وسبح بحمده) اى صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة * قوله عز وجل (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) اى فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه ايها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) اى ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (انسجد لما تأمرنا) انت يا محمد (وزادهم) اى قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) اى من الايمان والسجود

* (فصل) * وهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراءتها * قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس (وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) قال ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (لمن اراد ان يذكر) اى يتذكر ويتعظ (او اراد شكورا) يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما * قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء اصحاب وقار وعفة (واذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهونه (قالوا سلاما) اى سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخها آية القتال ويروى عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين او اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله

حتى اذا احتضر وشاهد امارات العذاب وعاين وحشة هيئات السيئات تمنى الرجوع واظهر الندامة ونذر العمل الصالح في الايمان الذي ترك ولم يحصل الا على الحسرة والندامة والتلفظ بالفاظ التحسر والتندم والدعوة دون المنفعة والفائدة والاجابة (حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور) اى امام رجوعهم حائل من هيئات جرمانية ظلمانية مناسبة لهيئات سيئاتهم من الصور المعلقة مانعة من الرجوع الى الحق والى الدنيا وهو البرزخ بين مجرى النور والظلمة وعالم الارواح المجردة والاجساد المركبة يعذبون فيه باشد انواع العذاب وافحش اصناف العقاب الى وقت البعث في الصورة الكثيفة عند النفخ في الصور ووقوع القيامة وحشر الاجساد وحينئذ (فلا انساب بينهم) الاحتجاب بعضهم عن بعض بالهياكل المناسبة لاخلاقهم واعمالهم وهيئاتهم الراسخة

صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليله * قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) اي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (انها) يعني جهنم (ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) اي موضع قرار واقامة (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يجيع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف (وكان بين ذلك قواما) اي قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية نزلت في صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويقيهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا ان لا يشتهي شيأ الا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) (ق) عن ابن عباس ان اناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق اثاما) اي ومن يفعل شيئا من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام واد في جهنم وروي في الحديث ان الغي والاثام بئران في جهنم يسيل فيها صديد اهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويخلد فيه مهانا) اي ذليلا * قوله تعالى (الا من تاب) اي عن ذنبه (وآمن) اي بربه (وعمل عملا صالحا) اي فيما بينه وبين ربه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الا من تاب فما رايت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء قط مثل ما فرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيآتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخر اهل الجنة دخولا الجنة وآخر اهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه

في نفوسهم المكتوبة عليهم فلا يتعارفون (يومئذ ولا يتساءلون) لشدة ما بهم من الاهوال وذهولهم عما كان بينهم من الاحوال وتنقطع العلائق والوصل التي كانت بينهم لتفرقهم بانواع العذاب واسباب الحجاب وتغير صورهم وجلودهم وتبدل اشكالهم ووجوههم على حسب اقتضاء معايبهم وصفات نفوسهم وهو معنى قوله (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) وذلك غلبة الشقوة وسورة العاقبة الموجبة للخسء والطرد والبعد واللعن كخسء الكلاب (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى

صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت اشياء لا اراها ههنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يمحو بالندم جميع السيآت ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا في التوبة من غير ماسبق ذكره في الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني ادى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب الى الله) اي يعود اليه بعد الموت (متابا) اي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع من الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة وقيل هذه الآية ايضا في التوبة عن جميع السيآت ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر اي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى ۞ قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن ابي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وقيل لا يشهدون الزور يعني اعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع واصل الزور حقيقة تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق (واذا مروا باللغو) هو كل ما يجب ان يلغى ويترك (مروا كراما) يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما اي مسرعين معرضين وهوان ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه انه ليس فيه نفي الخرور انما هو اثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها بآذان واعية واقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة راعية وقيل معناه لم يخروا اي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كانهم بآذانهم صمم وباعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه ۞ قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين) اي ابرارا اتقياء صالحين فيقرون اعيننا بذلك قيل ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يحلوا معه في الجنة فيتم سروره تقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين اماما) اي ائمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ائمة هدى وقيل معناه انهم سألوا الله ان يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب

انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين) قال ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين الاحتجاب في البرزخ المذكور انساهم مدة اللبث وانما استقصروها لانقضائها وكل منقض فهو ليس بشيء ولهذا صدقهم بقوله (قال ان لبثتم الا قليلا) ومعنى (لو انكم كنتم تعلمون) انكم حسبتموها كثيرا فاغتررتم بها وفتنتم بلذاتها وشهواتها ولو علمتموها قليلا لتزودتم وتجردتم عن تعلقاتها (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر) هيئات المعلقات (وارحم) بافاضة الكمالات (وانت خير الراحمين)

(سورة النور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات

هنا واجعل للمتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم (اولئك يجزون) اى يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة فى الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت فى الجنة (بما صبروا) اى على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات (ويلقون فيها تحية) اى ملكا وقيل بقاء دائما (سلاما) اى يسلم بعضهم على بعض او يرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما اى سلامة من الآفات ❁ قوله تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) اى موضع قرار واقامة ❁ قوله تعالى (قل ما يعبأ بكم ربى) اى ما يصنع وما يفعل بكم فوجوده وعدمكم سواء وقيل معناه اى وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) اياه قيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا دعاؤه اياكم الى الايمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبأ بخلقكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبأ اى ما يبالى بمغفرتكم ربى لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه خلقتكم ولى اليكم حاجة الا ان تسألونى فأعطيكم وتستغفرونى فاغفر لكم (فقد كذبتم) ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعنى ان الله دعاكم الى توحيده وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم اى يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وابى بن كعب يعنى انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفى رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى اعلم

• (تفسير سورة الشعراء) •

وهى مكية الا اربع ايات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهى مائتان وسبع وعشرون آية والف مائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة واربعون حرفا روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه الصلاة والسلام

• (بسم الله الرحمن الرحيم) •

❁ قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن تفسيرها وفى رواية اخرى عنه انه قسم وهو من اسماء الله تعالى وقيل اسم من اسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل اقسم بطوله وسنائه وملكه (تلك آيات) اى هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام اجمع ثبت بذلك ان آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام (لعلك باخع نفسك) اى قاتل نفسك (ان لا يكونوا مؤمنين) اى لم يؤمنوا وذلك حين كذبه اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين) اى لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوى احد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم امرا لا يعمل احد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح مجئ

والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية اومشركة والزانية لا ينكحها الا زان اومشرك وحرم ذالك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم

خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله اولما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم اى فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس اى جماعة * قوله تعالى (ومايأتيهم من ذكر من الرحمن) اى وعظ وتذكير (محدث) اى محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شئ من القرآن بعد شئ فهو احدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) اى عن الايمان به (فقد كذبوا فسيأتيهم) اى فسوف يأتيهم (أنباء) اى اخبار وعواقب (ماكانوا به يستهزؤن اولم يروا الى الارض) يعنى المشركين (كم انبتنا فيها) اى بعد ان لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) اى جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام وقال الشعبى الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (ان فى ذلك) اى الذى ذكر (لآية) تدل على انه واحد اى دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وماكان اكثرهم مؤمنين) اى سبق علمى فيهم ان اكثرهم لايؤمنون ولايصدقون (وان ربك لهو العزيز) اى المنتقم من اعدائه (الرحيم) ذوالرحمة لاوليائه * قوله تعالى (واذ نادى) اى واذكر يامحمد اذ نادى (ربك موسى) اى حين رأى الشجرة والنار (ان ائت القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى وظلموا بنى اسرائل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون) يعنى القبط (الايتقون) اى يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به (قال) يعنى موسى (رب) اى يارب (انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى) اى بتكذيبهم اياى (ولا ينطلق لسانى) اى للعقدة التى كانت على لسانه (فارسل الى هرون) ليوازرنى ويعيننى على تبليغ الرسالة (ولهم على ذنب) اى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فاخاف ان يقتلون) اى به (قال) الله تعالى (كلا) اى لن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون) اى سامعون ماتقولون ومايقال لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع فى قوله معكم وهما اثنان قلت اجراهما مجرى الجماعة وهو جائز فى لغة العرب (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) فان قلت هلا ثنى الرسول كما فى قوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوا رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بشئ ولاارسلتهم برسول

اى برسالة وقيل انهما لاتفاقهما فى الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كانهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (ان ارسل معنا بنى اسرائيل) اى خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولاتستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثين الفا فانطلق موسى برسالة ربه الى مصر وهرون بها فاخبره بذلك وفى القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفى يده عصاه والمكتل معلق فى رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هرون ان الله قد ارسلنى الى فرعون وارسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما اليه

له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذلم يأتوا بالشهداء فاولئك عندالله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذتلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عندالله عظيم ولولا اذسمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لاتعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم يا ايها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله

[illegible] وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال انا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته (فقال) له (الم نربك فينا وليدا) اى صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) اى ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتلت القبطى (وانت من الكافرين) قال اكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتى وحق تربيتى يقول ربيناك فينا فكافأتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا وهى رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لاقبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين بفرعون والهيته (قال) يعنى موسى (فعلتها اذا وانا من الضالين) اى من الجاهلين بان ذلك يؤدى الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين (ففررت منكم) اى الى مدين (لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) يعنى النبوة وقيل العلم والفهم (وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) اى اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بنى اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية اوتلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم انس يوم الرحيل وقفتها * وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة * تتركنى هكذا وتنطلق

اى اتتركنى والمعنى اتمن على ان ربيتنى وتنسى جنايتك على بنى اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة اى يريد كيف تمن على بالتربية وقد استعبدت قومى ومن اهين قومه فقد ذل فتعبد اسرائيل قد احبط حسناتك الى ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لم ارفع اليك حتى تربينى وتكفلنى ولكان لى من اهلى من يربينى ولم يلقونى فى اليم (قال فرعون وما رب العالمين) يقول اى شئ رب العالمين الذى تزعم انك رسوله اى يستوصف الهه الذى ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشئ والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله وآثار قدرته التى تعجز الخلائق عن الاتيان بمثلها (قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) [illegible] فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا [illegible] عن هذا السؤال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعانى اى كما توقنون هذه الاشياء التى تشاهدونها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذى خلقها واوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون فى جواب موسى (قال لمن حوله) اى من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة [illegible] (الا تستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى [illegible] وقيل انهم كانوا يعتقدون

سميع عليم ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) انما عظم امر الافك وغلظ فى الوعيد عليه بما لم يغلظ فى غيره من المعاصى وبالغ فى العقاب عليه بما لم يبالغه فى باب الزنا وقتل النفس المحرمة لان عظم الرذيلة وكبر المعصية انما يكون على حسب القوة التى هى مصدرها فتتفاوت حال الرذائل فى بعد صاحبها من الحضرة الالهية والانوار القدسية وتوريطه فى المهالك الهيولانية والمهاوى الظلمانية على حسب تفاوت مباديها فكلما كانت القوة

ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى فى البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعنى ان موسى ذكر ماهو اقرب اليهم فقال ربكم يعنى انه خالقكم وخالق آبائكم الاولين (قال) يعنى فرعون (ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون) يعنى المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لايفيد البتة فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لايفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه ويتكلم بكلام لانقبله ولانعرف صحته وكان عندهم ان من لايعتقد مايعتقدون ليس بعاقل فزاد فى البيان (قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون) فعدل الى طريق ثالث اوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم انه لاجواب عن سؤالك الا ماذكرت (قال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى مكان يهوى فيه الى الارض وحده فردا لايسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين توعده بالسجن (اولو جئتك بشئ مبين) اى بآية بينة والمعنى اتفعل ذلك ولو جئتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان (قال) يعنى فرعون (فأت به) اى انا لن نسجنك حينئذ (ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) قيل انها لما صارت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذى ارسلك الا اخذتها فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم ادخلها فى جيبه ثم اخرجها فاذا هى بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملأ حوله ان هذا) يعنى موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر فلهذا روّج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى (فماذا تأمرون) يعنى ما رأيكم فيه وما الذى اعمله فعند ذلك (قالوا ارجه واخاه) اى اخره واخاه (وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) قيل ان فرعون اراد قتل موسى فقالوا لاتفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة فى امره ولكن اخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولاتثبت له عليك حجة ✽ قوله تعالى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل انتم مجتمعون) اى انتظروا مايفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى قيل اراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله واكده بقوله (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون) اى بعظمة فرعون (انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون) اى مايقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل مارموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى فاذا هى كما كانت اول مرة (فألقى السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا

التى هى مصدرها ومبدؤها اشرف كانت الرذيلة الصادرة منها اردأ وبالعكس لان الرذيلة ماتقابل الفضيلة فلما كانت الفضيلة اشرف كان مقابلها من ذالرذيلة اخس والافك رذيلة القوة الناطقة التى هى اشرف القوى الانسانية والزنا رذيلة القوة الشهوانية والقتل رذيلة القوة الغضبية فحسب شرف الاولى على الباقيتين تزداد رداءة رذيلتها وذلك ان الانسان انما يكون بالاولى انسانا وترقيه الى العالم العلوى وتوجهه الى الجناب الآلهى وتحصيله المعارف والكمالات واكتسابه الخيرات والسعادات انما يكون بها فاذا فسدت بغلبة الشيطنة عليها واحتجب عن النور باستيلاء الظلمة حصلت الشقاوة العظمى وحقت العقوبة بالنار وهو الرين والحجاب الكلى كلابل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولهذا وجب خلود العقاب ودوام العذاب بفساد الاعتقاد دون فساد الاعمال ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء واما الباقيتان

(مابادر)

ملباوز حدالسحر علوا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون) اى لاضرر علينا فيما ينالنا فى الدنيا لانا لانقلب ونصير الى ربنا فى الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا) اى الكفر والسحر (ان) اى لان (كنا اول المؤمنين) اى من اهل زماننا وقيل اول المؤمنين اى من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع * قوله تعالى (واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون) اى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل اوحى الله الى موسى ان اجمع بنى اسرائيل كل اهل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا اولاد الضأن فاضربوا بدمائها على ابوابكم فانى سآمر الملائكة فتقتل ابكار آل فرعون من انفسهم وآمرهم ان لايدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك امرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا ابكارنا من انفسنا واخذوا اموالنا (فارسل فرعون فى المدائن حاشرين) يعنى الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن الف مدينة واثنى عشر الف قرية فارسل فرعون فى اثر موسى وقومه الف الف وخمسمائة الف وخرج فرعون فى الكرسى العظيم فى مائتى الف ملك مسورين مع كل ملك الف فلذلك قال (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) قال اهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة الف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة الف وسبعين الفا ولايحصى عدد اصحاب فرعون (وانهم لنا لغائظون) الغيظ الغضب يعنى انهم اغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا التى استعاروها وخروجهم من ارضنا بغير اذن منا (وانا لجميع حذرون) اى خائفون من شرهم وقرئ حاذرون اى ذوو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحذر الذى يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذى لاتلقاه الاخائفا (فاخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة فى حافتى النيل فيها عيون وانهار جارية (وكنوز) يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة الف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) اى مجلس حسن قيل اراد مجالس الامراء والرؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم اقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التى فيها العيون واموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) اى كما وصفنا (بنى اسرائيل) وذلك ان الله عزوجل رد بنى اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال

فرذيلة كل منهما انما تعود بظهورها على النطقية الملكية ثم ربما محيت بانقهارها وتسخرها لها عند سكون هيجانها وفتور سلطانها باستيلاء غلبة النور وتسلطها عليها بالطبع كحال النفس اللوامة عند التوبة والندامة وربما بقيت بالاصرار وترك الاستغفار وفى الحالين لاتبلغ رذيلتهما مقام السر ومحل الحضور ومناجاة الرب ولاتجاوز حد الصدر ولاتصير الفطرة بها محجوبة الحقيقة منكوسة بخلاف تلك الاترى ان الشيطنة المغوية للآدمى ابعد من الحضرة الالهية من السبعية والبهيمية وابعد بما لايقدره فالانسان برسوخ رذيلة النطقية يصير شيطانا وبرسوخ الرذيلتين الاخريين يصير حيوانا كالبهيمة اوالسبع وكل حيوان ارجى صلاحا واقرب فلاحا من الشيطان ولهذا قال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ونهى ههنا عن اتباع خطوات الشيطان فان ارتكاب مثل هذه الفواحش لايكون الا بمتابعته ومطاوعته وصاحبه يكون من جنوده واتباعه فيكون اخس منه واذل محروما

والاماكن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) اى لحق فرعون وقومه موسى واصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فلما تراءى الجمعان) اى تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال اصحاب موسى انا لمدركون) اى سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) موسى لثقته بوعدالله تعالى اياه (كلا) اى لن يدركونا (ان معى ربى سيهدين) اى يدلنى على طريق النجاة (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق) اى فضربه فانشق (فكان كل فرق) اى قطعة من الماء (كالطود) اى الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمى بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لايوارى حافر دابته وقال الذى يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحمه البحر فارتسب فى الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لايدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده (وازلفنا ثم الآخرين) اى قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم اولكم ويقول للقبط رويدا ليلحق آخركم اولكم فكان بنو اسرائيل يقولون مارأينا احسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارأينا احسن دعة من هذا الرجل (وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين) يعنى انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه واغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا فى البحر انطبق عليهم فاغرقهم (ان فى ذلك لآية) يعنى ماحدث فى البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام (وماكان اكثرهم مؤمنين) يعنى اهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم ابنة ماموشا التى دلت على قبر يوسف حين اخرجه موسى من البحر (وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون) اى اى شئ تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة للاصنام ليريهم ان مايعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ (قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين) اى نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) اى يسمعون دعاءكم (اذ تدعون او ينفعونكم) يعنى بالرزق (او يضرون) اى ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلا زموهم الحجة القاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انها لاتسمع قولا ولاتجلب نفعا ولاتدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا فى ذلك وفى الآية دليل على ابطال التقليد فى الدين ومدح الاخذ بالاستدلال (قال افرأيتم ماكنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) [illegible] (فانهم عدو لى) اى اعداء لى وانما وحده على ارادة [illegible] كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لاتعقل [illegible] ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء [illegible] من المغلوب اراد فانى عدو لهم [illegible]

من فضل الله الذى هو نور هدايته محجوبا من رحمته التى هى افاضة كمال وسعادة ملعونا فى الدنيا والآخرة ممقوتا من الله والملائكة تشهد عليه جوارحه بتبدل صورها وتشوه منظرها خبيث الذات والنفس متورطا فى الرجس فان مثل هذه الخبائث لاتصدر الا من الخبيثين كما قال تعالى واما الطيبون المتنزهون من الرذائل فانما تصدر عنهم الطيبات والفضائل بستر الانوار الالهية صفات نفوسهم من المعانى والمعارف الواردة على قلوبهم (يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ماتبدون وماتكتمون قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات

العالمين فانه ربى ووليي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ما تعبدون اعداء لى الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذى يستحق العبادة فقال (الذى خلقنى فهو يهدين) الى طريق النجاة (والذى هو يطعمنى ويسقين) اى يرزقنى ويغذينى بالطعام والشراب (واذا مرضت) اصابنى مرض اضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) اى يبرئنى ويعافينى من المرض (والذى يميتنى ثم يحيين) اى يميتنى فى الدنيا ثم يحيينى فى الآخرة (والذى اطمع) اى ارجو (ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين اكان ذلك نافعا له قال لاينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه لايصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لى حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقيل العلم والفهم (والحقنى بالصالحين) اى بمن سلف قبلى من الانبياء فى المنزلة والدرجة العلية (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) اى ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما فى الامم التى تجئ بعدى فأعطاه الله ذلك وجعل كل اهل الاديان يتولونه ويثنون عليه (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) اى ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابى انه كان من الضالين) قيل دعا لابيه على رجاء ان يسلم فيغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه (ولا تخزنى) اى ولا تفضحنى (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) اى خالص من الشك والشرك فأما الذنوب فلا يسلم منها احد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالى من البدعة المطمئن الى السنة (وازلفت الجنة) اى قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) اى اظهرت (للغاوين) اى للكافرين (وقيل لهم) يعنى يوم القيامة (اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) اى يمنعونكم من عذاب الله (او ينتصرون) لانفسهم (فكبكبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل القوا على رؤسهم (فيها) اى فى جهنم (هم والغاوون) يعنى الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس اجمعون) يعنى اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعنى العابدين والمعبودين (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم) اى نعدلكم (برب العالمين) فنعبدكم (وما اضلنا) يعنى دعانا الى الضلال (الا المجرمون) يعنى من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعنى ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وانواع المعاصى (فما لنا من شافعين) يعنى من يشفع لنا يعنى كان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولا صديق حميم) اى قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق فى المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول فى الجنة ما فعل بصديق فلان وصديقه فى الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوى باسناد الثعلبى وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم

يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين

القيامة (فلو ان لنا كرة) اى رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) اى انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) اى مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) اى المنتقم الذى لا يغلب وهو فى وصف عزته رحيم * قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) اى كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقى القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم اخوهم نوح) اى اخوهم فى النسب لا فى الدين (الا تتقون) اى الا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصى (انى لكم رسول امين) اى على الوحى وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) اى بطاعته وعبادته (واطيعون) اى فيما امرتكم به من الايمان والتوحيد (وما اسئلكم عليه من اجر) اى من جعل وجزاء (ان اجرى) اى ثوابى (الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) قيل كرره ليؤكده عليهم ويقره فى نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الا تتقون الله فى مخالفتى وانا رسول الله ومعنى الثانى الا تتقون الله فى مخالفتى وانى لست آخذ منكم اجرا (قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون) اى السفلة قال ابن عباس يعنى القافة وقيل هم الحاكة والاساكفة (قال) يعنى نوحا (وما علمى بما كانوا يعملون) اى وما اعلم اعمالهم وصنائعهم وليس على من دناءة مكاسبهم واحوالهم شئ انما كلفت ان ادعوهم الى الله تعالى ومالى الا ظواهر امرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر فى الديانات وقيل معناه انى لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم (ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون) اى لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم (وما انا بطارد المؤمنين) اى عنى وقد آمنوا (ان انا الا نذير مبين) معناه اخوف من كذبنى فمن آمن فهو القريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى (قالوا لئن لم تنته يا نوح) اى عما تقول (لتكونن من المرجومين) اى من المقتولين بالحجارة وهو اسوأ القتل وقيل من المشتومين (قال رب ان قومى كذبون فافتح) اى احكم (بينى وبينهم فتحا) اى حكما (ونجنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) اى الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم اغرقنا بعد الباقين) اى بعد انجاء نوح ومن معه (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين) اى امين على الرسالة فكيف تتهموننى اليوم (فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع) قال ابن عباس اى بكل شرف وفى رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع (آية) اى علامة وهى العلم (تعبثون) اى بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام فانكر عليهم هود باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس ابنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل مآخذ الماء يعنى الحياض (لعلكم تخلدون) اى كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون (واذا بطشتم) اى واذا اخذتم وسطوتم (بطشتم جبارين) اى قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم فى وصف البشر (فاتقوا الله واطيعون) فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف

خلوا من قبلكم موعظة للمتقين الله نور السموات والارض) النور هو الذى يظهر بذاته وتظهر الاشياء به وهو مطلقا اسم من اسماء الله تعالى باعتبار شدة ظهوره وظهور الاشياء به كما قيل خفى لافراط الظهور تعرضت لادراكه ابصار قوم اخافش وحظ العيون الزرق من نور وجهه كشدة حظ العيون العوامش ولما وجد بوجوده وظهر بظهوره كان نور السموات والارض اى مظهر سموات الارواح وارض الاجساد وهو الوجود المطلق الذى وجد به ما وجد من الموجودات والاضاءة (مثل نوره) صفة وجوده وظهوره فى العالمين بظهوره به (كمشكاة) مثل (مشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) وهى اشارة الى الجسد لظلمته فى نفسه وتنوره بنور الروح الذى اشير اليه بالمصباح وتشبكه بشباك الحواس وتلألؤ النور من خلالها كحال المشكاة مع المصباح والزجاجة اشارة الى القلب المتنور بالروح المنور لما

والفاجر (واتقوا الذى امدكم بما تعلمون) اى اعطاكم من الخير ماتعلمون ثم ذكر مااعطاهم فقال (امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون) فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (انى اخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتمونى (عذاب يوم عظيم) وكان جوابهم ان (قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين) اى انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد (ان هذا الا خلق الاولين) قرئ بفتح الخاء اى اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام اى عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ماعاشوا ثم يموتون ولابعث ولاحساب وقولهم (ومانحن بمعذبين) اى انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد (فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وماكان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله تعالى (كذبت ثمود المرسلين اذقال لهم اخوهم صالح الاتتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وماأسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين) اى فى الدنيا من العذاب (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) اى ثمرها الذى يطلع منها (هضيم) قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت اذامس وقيل الهضيم هو الذى دخل بعضه فى بعض من النضيج اوالنعومة وقيل هو المدرك (وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين) وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعكم (فاتقوا الله واطيعون ولاتطيعوا امر المسرفين) قال ابن عباس اى المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون فى الارض) اى بالمعاصى (ولايصلحون) اى لايطيعون الله فيما امرهم (قالوا انما انت من المسحرين) اى من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ماانت الا بشر مثلنا) والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك (فأت بآية) يعنى على صحة ماتقول (ان كنت من الصادقين) يعنى انك رسول الينا (قال هذه ناقة لها شرب) اى حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولاتمسوها بسوء) اى بعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين) اى على عقرها لما رأوا العذاب (فاخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وماكان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين اذقال لهم اخوهم لوط الاتتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وماأسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين) يعنى نكاح الرجال من بنى آدم (وتذرون ماخلق لكم ربكم من ازواجكم) يعنى اتتركون العضو المباح من النساء وتميلون الى ادبار الرجال (بل انتم قوم عادون) اى معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين) اى من قريتنا (قال انى لعملكم من القالين) اى من التاركين المبغضين (رب نجنى واهلى مما يعملون) اى من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا) اى امرأته (فى الغابرين) اى بقيت فى المهلكين (ثم دمرنا الآخرين) اى اهلكناهم (وامطرنا عليهم مطرا) يعنى الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وماكان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) * قوله عز وجل (كذب

عداء بالاشراف عليه تنور القنديل كله بالشعلة وتنويره لغيره وشبه الزجاجة بالكوكب الدرى لبساطتها وفرط نوريتها وعلو مكانها وكثرة شعاعها كما هو الحال فى القلب والشجرة التى توقد منها هذه الزجاجة هى النفس القدسية المزكاة الصافية شبهت لتشعب فروعها وتفنن قواها نابتة من ارض الجسد ومتعالية اغصانها فى فضاء القلب الى سماء الروح وصفت بالبركة لكثرة فوائدها ومنافعها من ثمرات الاخلاق والاعمال والمدركات وشدة نمائها بالترقى فى الكمالات وحصول سعادة الدارين وكمال العالمين بها وتوقف ظهور الانوار والاسرار والمعارف والحقائق والمقامات والمكاسب والاحوال والمواهب عليها وخصت بالزيتونة لكون مدركاتها جزئية مقارنة للواحق المادية كالزيتون فانه ليس كله لبا ولوفور قلة استعدادها للاشتعال والاستضاءة بنور نار العقل الفعال الواصل اليها بواسطة الروح والقلب كوفور الدهنية القابلة لاشتعال الزيتون ومعنى كونها لاشرقية

اصحاب الايكة المرسلين) اى الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد (اذ قال لهم شعيب) لم يقل لهم اخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وارسل اليهم (الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين) انما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص فى العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة (اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين) اى الناقصين لحقوق الناس فى الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) اى بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) يعنى الخليقة والامم المتقدمة (قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا) اى قطعا (من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى اعلم بما تعملون) اى من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الى وما على الا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) وذلك انهم اصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها احر من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله اعلم بمراده * قوله عز وجل (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعنى ان فيه من اخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين (نزل به الروح الامين) يعنى جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه امينا لانه مؤتمن على وحيه لانبيائه (على قلبك) يعنى على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب فى الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب اخرجاه فى الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب او حزن يتغير حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم * وقوله تعالى (لتكون من المنذرين) اى المخوفين (بلسان عربى مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه (وانه) يعنى القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته (لفى زبر الاولين) اى كتب الاولين (اولم يكن لهم آية) يعنى اولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه) يعنى يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم (علماء بنى اسرائيل) قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد فى التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد * قوله تعالى (ولو نزلناه) يعنى القرآن (على بعض الاعجمين) جمع اعجمى وهو الذى لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا فى النسب ومعنى الآية لو انزلنا القرآن على رجل ليس بعربى اللسان (فقرأه عليهم) يعنى القرآن (ما كانوا به مؤمنين)

ولا غربية انها متوسطة بين غرب عالم الاجساد الذى هو موضع غروب النور الالهى وتستره بالحجاب الظلمانى وبين شرق عالم الارواح الذى هو موضع طلوع النور وبروزه عن الحجاب النورانى لكونها الطف وانور من الجسد واكثف من الروح (يكاد زيتها يضئ) زيت استعدادها من النور القدسى الفطرى الكامن فيها يضئ بالخروج الى الفعل والوصول الى الكمال بنفسه فتشرق (ولو لم تمسسه نار) العقل الفعال ولم يتصل به نور روح القدس لقوة استعداده وفرط صفائه (نور على نور) اى هذا المشرق بالاضاءة من الكمال الحاصل نور زائد على نور الاستعداد الثابت المشرق فى الاصل كانه نور متضاعف (يهدى الله لنوره) الظاهر بذاته المظهر لغيره بالتوفيق والهداية (من يشاء) من اهل العناية ليفوز بالسعادة (ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم) يعلم الامثال وتطبيقها ويكشف لاوليائه تحقيقها (فى بيوت) اى يهدى الله

اى قالوا لانفقه قولك وقيل معنـاه لما آمنوا به انفة من اتبـاع من ليس من العرب (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعنى ادخلنا الشرك والتكذيب (فى قلوب المجرمين لايؤمنون به) اى القرآن (حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) اى لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولارجعة لهم (افبعذابنا يستعجلون) قيل لما وعدهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هـذا العذاب فانزل الله افبعذابنا يستعجلون (افرأيت ان متعناهم سنين) اى كفار مكة فى الدنيا ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعنى العذاب (ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) اى فى تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكونوا فى نعيم قط (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) اى رسل ينذرونهم (ذكرى) اى تذكرة (وما كنا ظالمين) اى فى تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم (وما تنزلت به الشياطين) يعنى ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغى لهم) ان ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) اى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (انهم عن السمع لمعزولون) اى محجوبون بالرمى بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق على ولو اتخذت الها غيرى لعذبتك * قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعلى ان الله امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت انى متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يامحمد ان لاتفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرنى به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحوا اربعين رجلا يزيدون رجلا اوينقصونه فيهم اعمامه ابوطالب وحمزة والعباس وابولهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها فى نواحى الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابولهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد ياعلى ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فاعدد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقد امرنى الله عزوجل ان ادعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا ويكون اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا يارسول الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتى ثم قال هذا اخى ووصيى وخليفتى

لنوره من يشاء فى مقامات (اذن الله ان ترفع) ان يرفع بناؤها وتعلى درجاتها (ويذكر فيها اسمه) باللسان والمجاهدة والتخلق بالاخلاق فى مقام النفس والحضور والمراقبة والاتصاف بالاوصاف فى مقام القلب والمناجات والمكالمة والتحقيق بالاسرار فى مقام السر والمناغاة بالمشاهدة والتحير فى الانوار فى مقام الروح والاستغراق والانطماس والفناء فى مقام الذات (يسبح له فيها بالغدو والآصال) بالتزكية والتنزيه والتوحيد والتجريد والتفريد بغدو التجلى وآصال الاستتار (رجال) اى رجال افراد سابقون مجردون مفردون قائمون بالحق (لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) باستبدال متاع العقبى بالدنيا فى زهدهم ولا بيع انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فى جهادهم عن ذكر الذات (واقام الصلوة) صلاة الشهود فى الفناء (وايتاء الزكوة) زكاة الارشاد والتكميل حال البقاء (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب) الى الاسرار (والابصار) الى البصائر بل تتقلب حقايقها بان تفنى

فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيعه
(ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه
وسلم على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي
لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ماهو فجاء ابولهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم
ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد فقال ابولهب تبالك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب
ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين
ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه
فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين انزل الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش اوكلمة نحوها اشتروا
انفسكم لا اغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب
لا اغني عنك من الله شيأ وياصفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيأ ويا فاطمة بنت رسول
الله سليني ماشئت من مالي لا اغني عنك من الله شيأ (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قالا
لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا اعلاها حجرا ثم
نادى يابني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يربد اهله فخشي
ان يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدا بنفسه اولا وبالاقرب فالاقرب
من اهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع (واخفض) اي الن (جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين) فان قلت مامعنى التبعيض في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك
من المؤمنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون (فان عصوك) اي فيما
تأمرهم به (فقل اني بريء مما تعملون) اي من الكفر والمخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل
عبارة عن تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز
الذي يقهر اعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته (الذي يراك حين تقوم) الى صلاتك
وقيل يراك اينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك (وتقلبك في الساجدين) قال ابن عباس
ويرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين
في الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فانه
كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله مايخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم
من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك في اصحابك المؤمنين وقيل تصرفك
في احوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي
حتى اخرجك في هذه الامة (انه هو السميع) اي لقولك ودعائك (العليم) اي بنيتك وعملك
قل يا محمد (هل انبئكم) اي اخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه
شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل افاك) اي كذاب (اثيم) اي
فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يلقون ذلك الى اوليائهم من الانس

(وهو

وتوجد بالحق كما قال كنت
سمعه وبصره من ظهور
البقية وبقاء الانية (ليجزيهم
الله) بالوجود الحقاني
(احسن ماعملوا) من
جنات الافعال والنفوس
والاعمال (ويزيدهم من
فضله) من جناب القلوب
والصفات (والله يرزق
من يشاء) من جنات
الارواح والمشاهدات
(بغير حساب) لكونه
اكثر من ان يحصى ويقاس
(والذين كفروا) حجبوا
من الذين (اعمالهم) التي
يعملونها رجاء الثواب
(كسراب بقيعة) لكونها
صادرة عن هيئات خيالية
قائمة بساهرة نفس حيوانية
(يحسبه الظمآن ماء)
اي يتوهمها صاحبها
المؤمل لثوبها امورا باقية
لذيذة دائمة مطابقة لما
توهمه (حتى اذا جاءه)
في القيامة الصغرى (لم يجده
شيأ) موجودا بل خاليا
فاسدا وظلما كاذبا كما قال
تعالى وقدمنا الى ماعملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا
(ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع
الحساب) اي وجد ملائكة
الله من زبانية القوى
والنفوس السماوية

وهوقوله تعالى (يلقون السمع) اى مايسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (واكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبدالله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن ابى وهب المخزومى ومسافع بن عبدمناف وابو عمرو بن عبدالله الجمحى وامية بن ابى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا يروون منهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفى رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (الم تر انهم فى كل واد) من اودية الكلام (يهيمون) يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين والهائم الذاهب على وجهه لامقصدله وقال ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشئ ثم يذمونه لايطلبون الحق والصدق فالوادى مثل لفنون الكلام والغوص فى المعانى والقوافى (وانهم يقولون مالايفعلون) اى انهم يكذبون فى شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لايفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شئ صدر منهم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خيرله من ان يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويهجون وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل فى الشعر ما انزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكان ماترمونهم به نضح النبل * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى اسرع فيهم من نضح النبل اخرجه الترمذى والنسائى وقال الترمذى وقدروى فى غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبدالله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح او فاخر

والارضية عند ذلك التخيل الموهوم يقودونه الى نيران الحرمان وخزى الخسران ويوفونه ماناسب اعتقاده الفاسد وعمله الباطل من حميم الجهل وغساق الظلمة (اوكظلمات فى بحر لجى) فى بحر الهيولى اللجى العميق الغامر الجثة كل نفس جاهلة محجوبة بهيئات بدنية الغامس لكل مايتعلق به من القوى النفسانية (يغشاه موج) موج الطبيعة الجسمانية (من فوقه موج) موج النفس النباتية (من فوقه سحاب) سحاب النفس الحيوانية وهيئاتها الظلمانية (ظلمات) متراكمة (بعضها فوق بعض اذا اخرج) المحجوب بها المنغمس المحبوس فيها (يده) القوة العاقلة النظرية بالفكر (لم يكد يراها) لظلمتها وعمى بصيرة صاحبها وعدم اهتدائه الى شئ وكيف يرى الاعمى الشئ الاسود فى الليل البهيم (ومن لم يجعل الله له نورا) باشراق انوار الروح عليه من التأييد القدسى والمدد العقلى (فماله من نور الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض) عالم سموات الارواح بالتقديس

عن رسول الله (م) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فأرسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لافرينهم بلسانى فرى الاديم فقال صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابابكر اعلم قريش بانسابها وان لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبى فاتاه حسان ثم رجع فقال يارسول الله قد خلص لى نسبك والذى بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك مانا فحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء * هجوت محمدا برا تقيا
رسول الله شيمته الوفاء * فان ابى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع من طرفى كداء * يبارين الاعنة مصعدات
على اكتافها الاسل الظماء * تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتم عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء * والا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد ارسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء * لنا فى كل يوم من معد
سباب أو قتال او هجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس له كفاء

* (فصل فى مدح الشعر) * (خ) عن ابى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما اخرجه ابوداود (م) عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت وراء النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابى الصلت شئ قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت زاد فى رواية لقد كاد يسلم فى شعره * عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبى كان ابوبكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على اشعر منهما وروى عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشده فى المسجد فيروى انه دعا عمر بن ربيعة المخزومى فاستنشده القصيدة التى قالها فقال

امن آل نعمى انت غاد فبكر * غداة غد ام رائح فمهجر

فانشده القصيدة الى آخرها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة * قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) اى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (وانتصروا من بعد ما ظلموا) اى انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم اوعد شعراء

واظهار صفاته الجمالية (ومن فى الارض) عالم اراضى الاجساد بالتحميد والتعظيم واظهار صفاته الجلالية وطير القوى القلبية والسرية بالامرين (والطير صافات) مترتبات فى مراتبها من فضاء السر مستقيمات بنور السكينة لا تتجاوز واحدة منها حدها كما قال ومامنا الاله مقام معلوم (كل قد علم صلاته) طاعته المخصوصة به من انقهاره وتسخره تحت قهره وسلطنته علية كانت او علية ومن محافظته لتربيته وحضوره لوجهه تعالى فيما امره به (وتسبيحه) اظهار خاصيته التى ينفرد بها الشاهدة على وحدانيته (والله عليم بما يفعلون) بافعالهم وطاعاتهم (ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجى سحابا) برياح النفحات والارادات سحاب العقل فروعا منتزعة من الصور الجزئية ثم يؤلف فيه على ضروب المتألفات المنتجة (ثم يجعله ركاما) حججا وبراهين (فترى الودق) ودق النتائج والعلوم اليقينية (يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال) سماء الروح من جبال انوار

المشركين فقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا) اى اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المطهر من الهجاء (اى منقلب ينقلبون) اى اى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة النمل وهى مائتان وثلاثون وست آيات والف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة واربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

❁ قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) اى هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) اى وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) اى هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلوة) اى الخمس بشرائطها (ويؤتون الزكوة) اذا وجبت عليهم طيبة بها انفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعنى ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم) اى القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم فى القلب بما فيه المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات (فهم يعمهون) اى يترددون فيها متحيرين (اولئك الذين لهم سوء العذاب) اى اشده وهو القتل والاسر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) اى انهم خسروا انفسهم واهليهم وساروا الى النار ❁ قوله تعالى (وانك لتلقى القرآن) اى تؤتاه وتلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) اى حكيم عليم بما انزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هى العلم بالامور العلمية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عملا وقد يكون نظرا والعلوم النظرية اشرف (اذ قال) اى واذكر يا محمد اذ قال (موسى لاهله) اى مسيره باهله من مدين الى مصر (انى آنست) اى ابصرت (نارا سآتيكم منها بخبر) اى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (او آتيكم بشهاب قبس) الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذى فى احد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) اى تستدفئون من البرد وكان فى شدة الشتاء (فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار) اى بورك على من فى النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة وذلك ان النور الذى رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك من فى النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس فى قوله بورك من فى النار يعنى قدس من فى النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها كما روى انه مكتوب فى التوراة جاء الله من سيناء واشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح فى الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه

السكينة واليقين الموجبة للوقار والطمأنينة والاستقرار (فيها من برد) اى فى تلك الجبال من برد الحقائق والمعارف الكشفية والمعانى الذوقية او من جبال فى السماء وهى معادن العلوم والكشوف وانواعها فان لكل علم وصنعة معدنا فى الروح ثابتا فيه بحسب الفطرة يفيض منه ذلك العلم ولهذا يتأتى لبعضهم بعض العلوم بالسهولة دون بعض ويتأتى لبعضهم اكثرها ولا يتأتى لبعضهم شئ منها وكل ميسر لما خلق له اى ينزل من سماء الروح من الجبال التى فيها برد المعارف والحقائق (فيصيب به من يشاء) من القوى الروحانية (ويصرفه عمن يشاء) من القوى النفسانية والنفوس المحجوبة (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار) اى بوارق ذلك البرد وهو ما يقدمه من الانوار اللمعة التى لا تلبث ولا تستقر بل تلمع وتخفى الى ان تصير متمكنة تذهب بابصار البصائر حيرة ودهشا وكلما زاد ازدادت تحيرا ولهذا قال عليه السلام رب زدنى تحيرا اى علما ونورا (يقلب الله الليل والنهار) ليل ظلمة

من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله (ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) قيل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يده من المعجزات والمعنى انا القوى القادر على مايبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (والق عصاك) تقديره فالقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز) اى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها (ولى مدبرا) اى هرب من الخوف (ولم يعقب) اى لم يرجع ولم يلتفت * قال الله تعالى (ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون) يريد اذا امنتهم لايخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبى صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) قيل هو مايصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل ان يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى انى ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفرله قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انما اخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لايخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدا الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفى الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لايجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لايخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم اى اغفرله وازيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا معناه ولايخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فانى غفور رحيم ثم ان الله تعالى اراه آية اخرى فقال تعالى (وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لاكم لها ولا ازار فأدخل يده فى جيبها واخرجها فاذا هى تبرق مثل شعاع الشمس او البرق (من غير سوء) اى من غير برص (فى تسع آيات) اى آية مع تسع آيات انت مرسل بهن فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والطمس والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وقيل فى بمعنى من أى من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أى بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أى الذى نراه (سحر مبين) اى ظاهر (وجحدوا بها) أى أنكروا الآيات ولم يقروا انها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) اى علموا انها من عند الله والمعنى انهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلما وعلوا) اى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى الغرق * قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) اى علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) اى بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) اراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما اولم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل

النفس ونهار نور الروح فان يغلب تارة نور الروح فينور القلب والنفس ويعقبه اخرى ظلمة النفس فالظهور بتكدر وتكدر القلب فى التلوينات (ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار) يعتبرها اولوا الابصار القلبية اوذو والبصائر فيلتجؤن الى الله فى التلوينات وظلم النفس ويلوذون بجناب الحق ومعدن النور ويعبرون الى مقام السر والروح فينكشف عنهم الحجاب (والله خلق كل دابة) من اصناف دواب الدواعى التى تدب فى اراضى النفوس وتبعثها الى الاعمال (من ماء) مخصوص اى علم مناسب لتلك الداعية المتولدة منه فان منشأ كل داعية ادراك مخصوص (فمنهم من يمشى على بطنه) ويزحف فى الطبيعة ويحدث الاعمال البدنية الطبيعية (ومنهم من يمشى على رجلين) من الدواعى الانسانية فتحدث الاعمال الانسانية والكمالات العملية (ومنهم من يمشى على اربع) من الدواعى الحيوانية فيبعث على الاعمال السبعية والبهيمية (يخلق الله مايشاء ان الله على كل شئ قدير) من هذه

انما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع * قوله تعالى (وورث سليمان داود) يعني نبوته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطى سليمان ما اعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وافضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا ايها الناس علمنا منطق الطير) سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون مايقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ماتقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال اتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون مايقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون مايقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال اتدرون ماتقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال اتدرون ماتقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري قال اتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون مايقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه اعلم قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة اشياء ان اخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا اخبرنا ماتقول القنبرة في صفيرها والديك في صعيقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين واما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار واما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار واما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح واما الزرزور فانه يقول اللهم اني اسألك قوت يوم بيوم يا رزاق واما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ماشئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغضي محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد القارئ * وقوله تعالى (واوتينا من كل شيء) اي يؤتى الانبياء والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا لهو الفضل المبين) اي الزيادة الظاهرة على ما اعطى غيرنا وروى ان سليمان اعطى مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس

الدواعي من منشا قدرته الباهرة الكاملة في انشاء الاعمال ويهدي من يشاء بالآيات السابقة المذكورة من الحكم والمعاني والمعارف والحقائق من منشا حكمته البالغة التامة في اظهار العلوم والاحوال الى صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة اليه (لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول) اي يدومون التوحيد جمعا وتفصيلا والعمل بمقتضاه (ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك) بترك العمل بمقتضى الجمع والتفصيل بارتكاب الاباحة والتزندق (وما اولئك بالمؤمنين) الايمان الذي عرفته وادعوه من العلم بالله جمعا وتفصيلا (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن

والشياطين والطير والدواب والسباع واعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفى زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) اى جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن المختلفة فى مسيرله (فهم يوزعون) اى يحبسون حتى يرد اولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد اولها على آخرها لئلا يتقدموا فى المسير قال محمد بن كعب القرظى كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثناعشر الف خطوة فالبريد ثمانية واربعون الف خطوة لانه اربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسيه فى وسطه فيقعد وحوله كراسى الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعنى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الرخاء فتسيربه واوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لايتكلم احد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح واخبرتك به * قوله عز وجل (حتى اذا اتوا على وادى النمل) اى اشرفوا على وادى النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يكون فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت اصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فاوحى الله اليه مايبكيك قال يارب ابكانى هذا نبى من انبيائك ومعه قوم من اوليائك مروا على ولم يهبطوا ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى من دونك فاوحى الله اليه لاتبك فانى سوف املؤك وجوها سجدا وانزل فيك قرآنا جديدا وابعث منك نبيا فى اخر الزمان احب انبيائى الى واجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى وافرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسر الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادى السدير واد من الطائف فاتى على وادى النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشأم وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل ان ذلك النمل امثال الذباب وقيل كالبخاتى والمشهور انه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمى (ياايها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين فخوطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد ان يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك (لايحطمنكم) اى لايكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لايشعرون) قال اهل التفسير علمت النملة ان سليمان نبى ليس فيه جبروتية ولاظلم ومعنى الآية انكم لولم تدخلوا وطؤكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال وكان لايتكلم احد بشئ الا حملته الريح حتى تلقيه الى مسامع سليمان فلما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان

(وجنوده)

يطع الله) بالمنا بشهود الجمع (ورسوله) ظاهرا بحكم التفصيل (ويخش الله) بالقلب بمراقبة تجليات الصفات (ويتقه) بالروح من ظهور انانيته فى شهود الذات (فاولئك هم الفائزون) بالفوز العظيم (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لاتقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم) باليقين (وعملوا الصالحات) باكتساب الفضائل (ليستخلفنهم فى الارض)واقسم ليجعلنهم خلفاء فى ارض النفس اذ جاهدوا فى الله حق جهاده (كما استخلف الذين من قبلهم) سبقوهم الى مقام الفناء فى التوحيد من اوليائه (وليمكنن لهم) بالبقاء بعد الفناء (دينهم الذى ارتضى لهم) طريق الاستقامة فيه المرضية (وليبدلنهم من بعد خوفهم) فى مقام النفس (امنا) بالوصول والاستقامة (يعبدوننى لايشركون بى

وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح قلت كانهم ارادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم مادامت الريح تحملهم لايخاف حطمهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل اكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان اوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت مارأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم * عن عبدالله بن الحرث بن جزء قال مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه الترمذي فان قلت ماكان سبب ضحك سليمان قلت شيئان احدهما مادل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا مايفعلون الثاني سروره بما آتاه الله ممالم يؤت احدا من ادراك سمعه ماقالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى او سمع مالاعهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم به عليه (وقال رب اوزعني) اي الهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) اي ادخلني في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين * قوله عزوجل (وتفقد الطير) اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب مافقد من الطير (فقال مالي لاارى الهدهد) وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق ياوصاف انظر ماتقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثوا عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لايبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالي لاارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لايراه ثم انه ادركه الشك فقال (ام كان من الغائبين) اي أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم اوعده على غيبته فقال (لاعذبنه عذابا شديدا) قيل هو ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لايمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه (اولاذبحنه اوليأتيني بسلطان مبين) اي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ماذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام ماشاء الله ان يقيم وكان في كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن يحضر من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لاتأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين يانبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يانبي الله قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد

شيأ) اي يوحدونني من غير التفات الى غيري وآياته (ومن كفر بعد ذلك) بالطغيان بظهور الانانية والخروج عن الاستقامة والتمكين بالتلوين (فاولئك هم الفاسقون) الخارجون عن دين التوحيد (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير

لمن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم اوبيوت آبائكم اوبيوت امهاتكم اوبيوت اخوانكم اوبيوت اخواتكم اوبيوت اعمامكم اوبيوت عماتكم اوبيوت اخوالكم اوبيوت خالاتكم اوماملكتم مفاتحه اوصديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا اواشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عندالله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قديعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة اويصيبهم عذاب اليم الا ان لله مافى السموات والارض قديعلم

الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالا اى وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلى ويتغدى فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير ليعفور قال يعفير ليعفور من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن اين انت يايعفير قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها اربعمائة ملك كل ملك على كوره مع كل ملك اربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثناعشر الف قائد مع كل قائد اثناعشر الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يفقدني سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد اصلح الله الملك ماادري اين هو وماارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو اشد الطير فقال له على بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب فى الهواء حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذى قواك واقدرك على الا مارحمتني ولم تتعرض لى بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك امك ان نبي الله قدحلف ان يعذبك اوان يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك اين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه بما قال سليمان الهدهد اوما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال اوليأتيني بسلطان مبين قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قداتيتك به يانبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وارخى وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنامنه اخذ برأسه فمداليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يانبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفاعنه ثم قال ماالذى ابطاك عنى فقال الهدهد مااخبر الله عنه بقوله تعالى (فمكث غير بعيد) معناه اى غير طويل (فقال احطت بمالم تحط به) اى علمت مالم تعلم وبلغت مالم تبلغ انت ولاجنودك الهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان ادنى خلق الله قداحاط علما بمالم يحط به ليكون لطفا له فى ترك الاعجاب والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لايخفى عليه منه معلوم (وجئتك من سبا) قيل هو اسم البلد وهي مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء فى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة (بنبا) اى بخبر (يقين) فقال سليمان وماذاك فقال (اني) اى الهدهد (وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قدولد له اربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول فى ملوك

الاطراف ليس احد منهم كفؤا لي وابى ان يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت واطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه قال لا تخف انا الحية البيضاء التى احييتنى والاسود الذى قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لى به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء فى الحديث ان احد ابوى بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت فى الملك وطلبت قومها ان يبايعوها فأطاعها قوم وابى آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال له ابن اخى الملك وكان خبيثا سيئ السيرة فى اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فأرسلت اليه فعرضت نفسها عليه فأجابها الملك وقال ما منعنى ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجال اهلى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت فى فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت فى ملأ كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما اصبحت ارسلت الى وزرائه واحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يأنف لكريمته او كرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح مكرا وخديعة منها (خ) عن ابى بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة * قوله تعالى (واوتيت من كل شئ) يعنى ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) اى سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله ثمانين فى ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا * قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان اعمالهم) المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) اى عن طريق الحق الذى هو دين الاسلام (فهم لا يهتدون) اى الى الصواب (الا يسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الا يا ايها الناس اسجدوا وهو امر من الله مستانف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا (لله الذى يخرج الخبء) يعنى الخفى المخبأ (فى السموات والارض) قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على

ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم

* (سورة الفرقان) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى) اى تكاثر خير الذى (نزل الفرقان على عبده) وتزايد لان انزال الفرقان هو اظهار العقل الفرقانى المخصوص بعبده المخصوص به بانفراده من جملة العالمين بالاستعداد الكامل الذى لم يكن لاحد مثله فيكون عقله الفرقانى هو العقل المحيط المسمى عقل الكل الجامع لكمالات جميع العقول وذلك انما يكون بظهوره تعالى فى مظهره المحمدى بجميع صفاته المفيض بها على جميع الخلائق على اختلاف استعداداتهم وذلك الظهور هو تكثر الخير وتزايده الذى لم يمكن ازيد ولا اكثر منه ولذلك قال (ليكون للعالمين نذيرا) اى على العموم فان كل نبى غيره كانت رسالته مخصوصة بمن ناسب استعداده من الخلائق ورسالته عليه السلام عامة للكل وهو بعينه معنى ختم النبوة ومن هذا تبين كون امته خير الامم (الذى له ملك السموات والارض

ولم يتخذ ولدا) يقهرهما تحت ملكوته اوجد كل شئ موسوما بعين بسمة الامكان ويشهد عليه بالعدم (ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا) على قدر قبول بعض صفاته ومظهرية بعض كمالاته دون بعض اى هيأ استعداداتهم لماراه من كمالاتهم التى هى صفاته (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذى يعلم السر فى السموات (والارض) الغيب المخفى عن المحجوبين فى العالمين (انه كان غفورا) يستر صفات النفوس الحاجبة للغيوب بانوار صفاته (رحيما) يفيض الكمالات على القلوب عند صفائها بحسب الاستعدادات ومن غفرانه ورحمته هذا الانزال الذى تشكون فيه ايها

من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من فى السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) اى هو العرش المستحق للعبادة والسجود لا غيره

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتهما فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك الدنيا واما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان (سننظر اصدقت) اى فيما اخبرت (ام كنت من الكاذبين) ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد ان لا تعلوا علىّ واتونى مسلمين قيل لم يزد على مانص الله فى كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم) انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) اى تنح عنهم فقف قريبا (فانظر ماذا يرجعون) اى يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اى انصرف الىّ فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فأتى الهدهد والقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس راسها فألقى الكتاب فى حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد وجاءت هى حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملاء من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة الف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا واخذوا مجالسهم (قالت) لهم بلقيس (يا ايها الملاء انى القى الى كتاب كريم) قيل سمته كريما لانه كان مختوما روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم اى شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت (انه من سليمان) ثم بينت المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدا سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت مافى الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم (الا تعلوا على) قال ابن عباس

لاتتكبروا على والمعنى لاتمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (واتونى مسلمين) اى طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت ياايها الملاء افتونى فى امرى) اى اشيروا على فيما عرض لى (ماكنت قاطعة امرا) اى قاضية وفاصلة (حتى تشهدون)اى تحضرون (قالوا) يعنى الملاء مجيبين لها (نحن اولوقوة) اى فى الجسم على القتال (واولوا بأس شديد) اى عند الحرب وقيل ارادبالقوة كثرة العددوالبأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال اى ان امرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) ايتها الملكة اى فى القتال وتركه (فانظرى ماذاتأمرين) اى تجدينا مطيعين لامرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤل اليه امره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) اى عنوة (افسدوها) اى خربوها (وجعلوا اعزة اهلها اذلة) اى اهانوا اشرافها وكبراءها كى يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) اى كما قالت هى يفعلون وقيل هو من قولها وهو لتأكيد لما قالت ثم قالت (وانى مرسلة اليهم بهدية) اى الى سليمان وقومه اصانعه بها على ملكى واختبره بها املك هو ام نبى فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه فى دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك ان بلقيس كانت امراة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت فى ايديهم اساور الذهب وفى اعناقهم الاطواق الذهب وفى آذانهم اقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر واغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب والبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وارسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب عقل وراى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف واخبرنا بما فى الحق قبل ان تفتحه واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل فى الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجوارى ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك امره ومنظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا اللبن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار تلك اللبنات التى معهم وان يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اى دواب البر والبحر احسن فقالوا يانبى الله ماراينا احسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة الوانها

المحجوبون (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا اويلقى اليه كنز اوتكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الارجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) بالقيامة الكبرى وذلك التكذيب انما يكون لفرط الاحتجاب اونقصان الاستعداد وكلاهما يوجب التعذيب بالعذاب لاستيلاء نيران الطبيعة الجسمانية والهيئات الهيولانية على النفوس الظلمانية بالضرورة وتأثير زبانية النفوس السماوية والارضية فيها التى اذا قابلتهم باستعداد قبول تأثيرها وقهرها من بعيد لكونها تكون فى الجهة السفلية ظهر لهم آثار قهرها وتسلط غضب تأثيرها (اذارأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها) من جملة اما كن نارالطبيعة الحرمانية

لها اجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فأتوا بها قال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسى على يمين الميدان وعلى شماله وامر الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان راوا اول الامر الدواب التى لا يرى مثلها تروث فى لبنات الذهب والفضة فلما راوا ذلك تقاصرت انفسهم وخبؤا اماءهم من الهدايا وقيل ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن فى ذلك الموضع فلما راى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن فى ذلك الموضع ولما راوا الشياطين هالهم ماراوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا ولا بأس عليكم فكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه واعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق فاتى به فحركه فجاء جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط فى الجزعة فقال سليمان من لى بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاء الارضة اخذت شعرة فى فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقى الشجر فقال لك ثم قال من لى بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء انا لها يا نبى الله فاخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقى فى الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجوارى بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيده ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان والجوارى ثم رد سليمن الهدية كما اخبر الله تعالى فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال اتمدوننى بمال فما آتانى الله) اى ما اعطانى من الدين والنبوة والحكمة والملك (خير) اى افضل (مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) معناه انتم اهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى بعض واما انا فلا افرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتى لان الله قد اعطانى منها مالم يعط احد اومع ذلك اكرمنى بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد (ارجع اليهم) اى بالهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل) اى لا طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) اى من ارض سبا (اذلة وهم صاغرون) اى ان لم يأتونى مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها اى من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى انظر ما امرك وما الذى تدعوا اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته فى آخر سبعة ابيات بعضها داخل بعض ثم اغلقت عليه سبعة ابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى لا يخلص اليه احد ثم امرت منادا ينادى فى اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان فى اثنى

(مكانا ضيقا) يحبسها فى برزخ يناسب هيئاتها مقدر بقدر استعدادها (مقرنين) بسلاسل محبة السفلانيات وهوى الشهوات تمنعها عن الحركة فى تحصيل المرادات واغلال صور هيولانية مانعة لاطرافها وآلاتها عن مباشرة الحركات فى طلب الشهوات ومقرنين بما يجانسهم من الشياطين المغوية اياهم عن سبيل الرشاد والداعية لهم الى الضلال (دعوا هنالك ثبورا) بتمنى الموت والتحسر على الفوت لكونهم من الشدة فيما تمنى فيه الموت (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) عالم القدس الموعودة للمجردين عن ملابس الابدان وصفات النفوس (لهم فيها ما يشاؤن خالدين) من اللذات الروحانية ابدا سرمدا (كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) عام لكل معبود سوى الله والقول انما يكون بلسان الحال

عشر الف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده (قال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين) قال ابن عباس يعنى طائعين وقيل مؤمنين قيل غرض سليمان فى احضار عرشها ليريها قدرة الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل اراد ان ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فأراد ان يأخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد وقيل اراد ان يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوى وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) اى مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له فى الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه (وانى عليه) اى على حمله (لقوى امين) اى على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد اسرع من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك ايد الله به سليمان وقيل هو آصف ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه اعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذى كلمه فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا حى يا قيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت ائتنى بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدى سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسى سليمان فقال ما قال (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) قال سليمان هات قال انت النبى ابن النبى وليس احد عند الله اوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجئ بالعرش فى الوقت (فلما رآه) يعنى رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) اى محمولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربى ليبلونى) يعنى التمكن من حصول المراد (أأشكر) اى نعمته على (ام اكفر) فلا اشكرها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) اى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فان ربى غنى) اى عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) اى بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال نكروا لها عرشها) يعنى غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل هو ان يزاد فيه او ينقص منه وقيل انما جعل اسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر وكان الاخضر احمر (ننظر أتهتدى) الى معرفة عرشها (ام تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب

لان كل شئ سوى الانسان المحجوب شاهد بوجوده ووجده بالله تعالى ووحدانيته مسبح له باظهار خاصيته وكماله مطيع له فيما اراد الله من افعاله وذلك معنى قوله (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء) فسألهم نا لمقابلة فى الضلال عن نفسهم فى اثبات الضلال للواقفين معهم المحجوبين بهم بسبب الانهماك فى اللذات الحسية والاشتغال بالطيبات الدنيوية الموجبة للغفلة ونسيان الذكر والبور الهلكى (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) لان ذلك اليوم هو وقت وقوع القيامة الصغرى واخراب البدن الذى به تؤثرفيهم

ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفضي اليه باسرار [illegible] لان امها كانت
جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه
فيها وقالوا ان في عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها
بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح (فلما جاءت قيل) لها (اهكذا عرشك قالت كأنه هو)
قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب
ولا قالت لا خوفا من ايضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه
عليها امر العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فقيل لها فانه عرشك فما اغنى
عنك اغلاق الابواب ثم قالت (واوتينا العلم من قبلها) اي من قبل الآية في العرش (وكنا مسلمين)
اي منقادين مطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى واوتينا العلم اي بالله وبصحة نبوة
سليمان بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبلها اي من قبل الآية في العرش وكنا مسلمين
او معناه واوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا
شكر نعمة الله عليه ان خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها وبمجيئها طائعة
من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اي منعتها عبادة
الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال
بينها وبينه (انها كانت من قوم كافرين) اخبر الله انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت
بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير
العرش واراد ان ينظر الى قدميها من غير ان يسألها كشفهما لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر
حمار وهي شعراء الساقين امر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح
صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع
سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر فهمها كما فعلت هي بالوصفاء
والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رأته
حسبته لجة) اي ماء عظيما (وكشفت عن ساقيها) لتخوض الماء الى سليمان فاذا هي احسن
النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال
انه صرح ممرد) اي مملس (من قوارير) من زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت
من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت
رب اني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) اي [illegible]
التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته [illegible] قالت [illegible]
[illegible] وكان القتل اهون من هذا [illegible] [illegible]
الظن واختلفوا في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى [illegible]
ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في [illegible]
وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس [illegible]
لم يمسسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها [illegible]
الشياطين فقالوا [illegible]

الروحانيات السماوية
والارضية بالقهر والتعذيب
وآلام الهيئات البرزخية
المنافية لطباع ارواحهم
في الاصل وان كانت مناسبة
لها في الحال (ويقولون
حجرا محجورا) يتمنون ان
يمنع الله عنهم ذلك ويعيذه
(وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا) وانما
جعلت اعمالهم هباء لكونها
غير مبنية على عقائد صحيحة
والاصل في العمل الايمان
اللازم لسلامة الفطرة واذا
لم يكن كان كل حسنة سيئة
لمقارنتها النية الفاسدة
والتوجه بها الى غير وجه الله
(اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا واحسن مقيلا
ويوم تشقق السماء بالغمام)
سماء الروح الحيواني بغمام
الروح الانساني بانفتاحها
عنه ولهذا قيل في التفسير
الغمام ابيض دقيق وانما
شبهه بالغمام لاكتسابه
الهيئة البدنية والصورة
اللطيفة الغشائية من البدن
واحتجابه بها وكونه منشأ
العلم كالغمام للماء وفي تلك
الصورة الثواب والعقاب
قبل البعث الجسداني (ونزل
الملائكة تنزيلا) بايصالها
الثواب واما العقاب لانها
مظاهر اللطف وانما

واسلمت من قومها * تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها في ارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولدا ذكرا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله قالت ان كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همذان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذي تبع وملك بلقيس وبقي الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * قوله عز وجل (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله) اى وحدوه ولا تشركوا به شيأ (فاذاهم فريقان) اى مؤمن وكافر (يختصمون) اى في الدين كل فريق يقول الحق معنا (قال) يعني صالحا للفريق المكذب (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) اى بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) اى العافية والرحمة (لولا) اى هلا (تستغفرون الله) اى بالتوبة اليه من الكفر (لعلكم ترحمون) اى لا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) اى تشاءمنا (بك وبمن معك) قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم اصحابك (قال طائركم عند الله) اى ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمي طائرا لانه لا شيء اسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم اى عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الى السماء (بل انتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون * قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) يعني من ابناء اشرافهم (يفسدون في الارض) اى بالمعاصي (ولا يصلحون) اى لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة وراسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم (لنبيتنه) اى لنقتلنه ليلا (واهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لنقولن لوليه) اى لولي دمه (ما شهدنا) اى ما حضرنا (مهلك اهله) اى ما ندري من قتله ولا هلاك اهله (وانا لصادقون) اى في قولنا ما شاهدنا ذلك (ومكروا مكرا) اى غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح واهله (ومكرنا مكرا) اى جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم) اى اهلكناهم اى التسعة قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم [illegible] وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم واهلك الله جميع القوم [illegible] (ان في ذلك لآية)

مظاهر القهر (الملك يومئذ الحق) اى الثابت الذي لا يتغير (للرحمن) الموصوف بجميع صفات اللطف والقهر المفيض على كل ما يستحق لزوال كل ملك بالكلية ولا قدرة حينئذ لاحد على انجاء المعذبين منه ولا يمكنهم الالتجاء بغيره لبطلان التعلقات والاضافات وظهور ملك الرحمن على الاطلاق او يوم تشقق سماء القلب بغمام نور السكينة وتنزل ملائكة القوى الروحانية بالامدادات الالهية والانوار الصفاتية في القيامة الوسطى تكون تلك السلطنة على القلب للرحمن المستوي على عرشه المتجلي له بجميع صفاته (و) على كلا التقديرين (كان يوما على الكافرين عسيرا) اما على الاول فلتعذيبهم بتخريب البدن بالهيئات المظلمة وقهر القوى السماوية واما على الثاني فلظهور تعذيبهم في شهود صاحب هذه القيامة والملاءمة ولم يوجد موجودا مستقلا في التأثير فيناسبه ولم يكن كأمره فيشاركه على حالهم او لبناء على تأويلهم بالقوى النفسانية المقهورة هناك المعذبة بالرياضة والله اعلم (ويوم يعض

اى لعبرة (لقوم يعلمون) اى قدرتنا (وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا اربعة آلاف * قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة) اى الفعلة القبيحة (وانتم تبصرون) اى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم (ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون) فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون) يعنى من ادبار الرجال (فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) اى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين فى العذاب (وامطرنا عليهم مطرا) اى الحجارة (فساء) اى فبئس (مطر المنذرين) * قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آلله خير اما يشركون) فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير ان عبده ام الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لاغنائه عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيأ عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر انواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته * فالنوع الاول قوله تعالى (امن خلق السموات والارض) ذكر اعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى الاصنام خير ام الذى خلق السموات والارض * ثم ذكر نعمه فقال (وانزل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فانبتنا به حدائق) اى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) اى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من رآه (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) يعنى ما ينبغى لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول انا المنبت للشجرة بان اغرسها واسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء واحد لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يتأتى لاحد وان تأتى ذلك لغيره محال (ءاله مع الله) يعنى هل معه معبود اعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل * النوع الثانى قوله عز وجل (امن جعل الارض قرارا) اى دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لا تميد باهلها (وجعل خلالها انهارا) اى وسطها بانهار تطرد بالمياه (وجعل لها رواسى) اى جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) يعنى العذب والملح (حاجزا) اى مانعا لا يختلط احدهما بالآخر (ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون) اى توحيد ربهم وقدرته وسلطانه * النوع الثالث قوله تعالى (امن يجيب المضطر) اى المكروب المجهود وقيل المضطر ذو الحاجة المحوجة من مرض او نازلة من نوازل الدهر يعنى اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر (اذا دعاه) يعنى فيكشف ضره (ويكشف السوء) اى الضر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض الى

الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك) تثبيت فؤاده عليه السلام بالقرآن هو انه لما رد فى مقام البقاء بعد الفناء الى حجاب القلب لهداية الخلق كان قد يظهر نفسه وتغلب وقتا على قلبه بصفاتها ويحدث له التلوين بسببها كما ذكر فى قوله وما ارسلنا من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته وفى قوله عبس وتولى فكان يتداركه الله تعالى بانزال الوحى والجذبة ويؤدبه ويعاتبه فيرجع اليه فى كل حال ويتوب كما قال عليه السلام ادبنى ربى فاحسن تأديبى وقال انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة حتى يتمكن ويستقيم

للقوم من ضيق الى سعة الا القادر الذى لا يعجز والقاهر الذى لا يغلب ولا ينازع (ويجعلكم خلفاء الارض) اى سكانها وذلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن فى الارض (ءاله مع الله قليلا ماتذكرون) اى تتعظون ❁ النوع الرابع قوله عزوجل (امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) اى يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين فى البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته) اى قدام المطر (ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون) ❁ النوع الخامس قوله تعالى (امن يبدأ الخلق) اى نطفا فى الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) اى من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم) اى حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر (ان كنتم صادقين) ❁ قوله تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذى يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة (ومايشعرون ايان يبعثون) يعنى ان من فى السموات وهم الملائكة ومن فى الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادارك علمهم) اى بلغ ولحق علمهم (فى الآخرة) هو ماجهلوه فى الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا فى الآخرة حين عاينوها ماشكوا فيه وعموا عنه فى الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم فى شك منها) اى هم اليوم فى شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو اعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله اخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوى علمهم فى الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة فى الدنيا ❁ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) اى مشركوا مكة (أئذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون) اى من قبورنا احياء (لقد وعدنا هذا) اى هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشئ (ان هذا) اى ماهذا (الا اساطير الاولين) اى احاديثهم واكاذيبهم التى كتبوها (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) اى بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) نزلت فى المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف) اى دنا وقرب (لكم) وقيل معناه ردفكم (بعض الذى تستعجلون) اى من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر ❁ قوله عزوجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعنى على اهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب (ولكن اكثرهم لا يشكرون) اى ذلك (وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم) اى تخفى (ومايعلنون) اى من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومامن غائبة) اى جملة غائبة من مكتوم سر وخفى امر وشئ غائب (فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) يعنى فى اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) اى يبين لهم (اكثر الذى هم فيه يختلفون) اى من امر الدين وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان مااختلفوا فيه (وانه) يعنى القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم) اى يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين فى الدين يوم القيامة (بحكمه) اى الحق (وهو العزيز) الممتنع الذى لا يرد له امر (العليم) اى بأحوالهم فلا يخفى عليه شئ منها (فتوكل على الله) اى ثق به (انك على الحق المبين) اى البين (انك

وكان سبب ظهور ابتلاء الله تعالى اياه بالدعوة لايذاء الناس اياه وعداوتهم ومنا صبتهم له والحكمة فى الابتلاء امران احدهما راجع اليه وهو ان يظهر نفسه بجميع صفاتها فى مقابلة استيلاء الاعداء المختلفين فى النفوس وصفاتها واستعداداتها ومراتبها فيؤيد به الله بحكمة وجود كل صفة وفضيلة كل قوة فيحصل له جميع مكارم الاخلاق وكمالات جميع الانبياء كما قال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق واوتيت جوامع الكلم فان ظهوره بكل صفة هو ظرف قبوله لفضيلتها وحكمتها اذ لولا الجهات المختلفة فى القلب بواسطة صفات النفس لما استعد لقبول الحكم المتفننة والفضائل بتخصص توجهه لكل واحدة منها والثانى راجع الى الامة فانه رسول الى الكل واستعداداتهم متباينة ونفوسهم فى الصفات متفاوتة فيجب ان يكون ذا جوامع الحكم والكلم والفضائل والاخلاق ليهدى كلا منهم بما يناسبه من الحكمة ويزكيه بما يليق به

لاتسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) [illegible]
معرضين فان قلت مامعنى مدبرين والاصم لايسمع سواء اقبل اوادبر قلت هو تأكيد
ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت او يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم
ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذى لاسبيل الى اسماعه وكالاصم الذى
لايسمع ولايفهم (وماانت بهادى العمى عن ضلالتهم) معناه ماانت بمرشد من اعماه الله عن الهدى
واعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) الا من يصدق بالقرآن انه من الله (فهم
مسلمون) اى مخلصون * قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب
وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا
عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك فى آخر الزمان قبل قيام الساعة (اخرجنا لهم دابة
من الارض (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست
طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة (م) عن
عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الآيات خروجا
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى
على اثرها قريبا عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم
سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الحق ليجتمعون
فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا ياكافر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وروى البغوى
باسناده عن الثعلبى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج
خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لايدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا
ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة
ثم بينا الناس يوما فى اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم
الا وهي فى ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ومابين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم
عن يمين الخارج فى وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا انهم
لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها
كانها الكواكب الدرية ثم ولت فى الارض لايدركها طالب ولايعجزها هارب حتى ان الرجل
ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يافلان الآن تصلى فيقبل عليها بوجهه
فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى اسفارهم ويشتركون فى الاموال يعرف
الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يامؤمن وللكافر ياكافر وباسناد الثعلبى عن حذيفة قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يارسول الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد
حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم [illegible]
ما يلى المسعى وتخرج الدابة من الصفا اول مايخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر [illegible]
الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا [illegible]
وتكتب بين عينيه مؤمن واما الكافر فتكتب [illegible]

من الخلق ويعلمه ماينتفع به
من العلم على حسب
استعداداتهم وصفاتهم والا
لم يمكنه دعاء الكل فعلى هذا
كون التنزيل مفرقا منجما
انما يكون بحسب اختلاف
صفات نفسه فى الظهور
منها على اوقاته موجبا
لتثبت قلبه فى الاستقامة
فى السلوك الى الله وفى الله
عند الاتصاف بصفاته
ومن الله فى هداية الخلق
وتلك هى الاستقامة التامة
المطلقة فليقتد به السالكون
والواصلون والكاملون
المكملون فى سلوكهم
وكونهم مع الحق وتكميلهم
(ورتلناه ترتيلا) والترتيل
هو ان يتخلل بين كل نجم
وآخر مدة يمكن فيها رسوخه
فى قلبه ويترسخ ويصير
ملكة لا حالا ومن هذا تبين
معنى قوله (ولايأتونك
بمثل) اى صفة عجيبة
(الا جئناك بالحق) الذى
يمحو بالحق تلك الصفة كما
قال بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمغه وهو الفضيلة
المقابلة لتلك الرذيلة (واحسن
تفسيرا) اى كشفا باظهار
صفة الهية تجلى بها ما
تقوم مقامها فتكشفها
وبالحقيقة تلك الصفة الالهية
الكاشفة اياها هى تفسير

[illegible] ان تخرج الدابة [illegible] والناس يسيرون الى منى وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يارسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس ثور وعيناها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل اثنا عشر ذراعا وعن عبدالله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب اجياد فتمس راسها السحاب ورجلاها فى الارض وروى عن على قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون (تكلمهم) اى بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما اخبر الله تعالى (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن اهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزى سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر ﴿ قوله تعالى (ويوم نحشر من كل امة فوجا) اى نحشر من كل قرن جماعة (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) اى يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار (حتى اذا جاؤا) يعنى يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (اكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) اى ولم تعرفوها حق معرفتها (اماذا كنتم تعملون) اى حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى الآية اكذبتم بآياتى غير عالمين بها ولم تتفكروا فى صحتها بل كنتم بها جاهلين (ووقع القول) اى وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) اى بما اشركوا (فهم لا ينطقون) اى بحجة وقيل ان افواههم مختومة (الم يروا انا جعلنا) اى انا خلقنا (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) اى مضيئا يبصر فيه وفى الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) اى يصدقون فيعتبرون ﴿ قوله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع فى القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيا بها الاجساد (ففزع) اى فصعق (من فى السموات ومن فى الارض) اى ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (الا من شاء الله) روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن قوله تعالى الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة وروى [illegible] ملك الموت اقبض نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقى يا ملك الموت [illegible] تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم بقى جبريل [illegible] فيقول اقبض نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم [illegible] جبريل وملك الموت فيقول مت [illegible] وتعاليت ياذا الجلال والاكرام

الصفة الباطلة ومعناها ان كل صفة نفسانية ظل للمعانى لصفة الهية نورانية تنزلت فى مراتب التنزلات واحتجبت وتضاءلت وتكدرت كالشهوة للمحبة والغضب للقهر وامثالها (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) لشدة ميل نفوسهم الى الجهة السفلية فتنكست فطرتهم فبعثوا على صور وجوهها الى الارض يسحبون الى نار الطبع (اولئك شر مكانا) من ان يقبلوا الحق الدامغ لباطل صفاتهم (واضل سبيلا) من ان يهتدوا الى صفات الله تعالى التى هى تفسير صفاتهم وكشفها (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون

بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفاني فيقول الله يا جبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظرب ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ارواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق احد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم يقول الله انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري اكان ممن استثنى الله عز وجل ام رفع راسه قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية ﴿وقوله تعالى (وكل) اي وكل الذين احيوا بعد الموت (اتوه) اي جاؤه (داخرين) اي صاغرين ﴿ قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) اي قائمة واقفة (وهي تمر مر السحاب) اي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها وذلك ان كل شئ عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين اطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذي اتقن كل شئ) يعني انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التي اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصواب (انه خبير بما تفعلون) ﴿ قوله تعالى (من جاء بالحسنة) اي بكلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل (فله خير منها) يصل الى الخير بمعنى ان له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب اما ان يكون له شئ خير من الايمان فلا لانه لا شئ خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله رضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشر اضعافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد الاحسان بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن وصول ذلك الضر اليه فاما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه احد (ومن جاء بالسيئة) يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) اي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك ﴿ قوله تعالى (انما امرت) يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما امرت (ان اعبد رب هذه البلدة) يعني امرت ان اخص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه (الذي حرمها)

تشوزا واذاراوك ان يتخذونك الاهزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه) كل محجوب بشئ واقف معه فهو محب له مجانس لذلك الشئ فهو في الحقيقة ما يدله هواه بعبادته لذلك المحبوب والباعث لهواه على محبة غير الله هو الشيطان فيحب كل شئ غير الله لا لله وبغير محبة الله فابدله ولهواه وللشيطان متعدد المعبود متفرق الوجهة ابعد ذلك (افانت تكون عليه وكيلا) بدعوته الى التوحيد وقد كان في غاية البعد محجوبا بظل ظلاله (أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا الم تر الى ربك كيف مد الظل) بالوجود الاضافي اعلم ان ماهيات الاشياء وحقائق الاعيان هي ظل الحق وصفة عالمية الوجود المطلق اذ بها اظهارها باسمه النور الذي هو الوجود الظاهر الخارجي الذي يظهر به

اى جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يختليها الا محرم وانما ذكر انه هو الذى حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله لا من الاصنام (وله كل شئ) اى خلقا وملكا (وامرت ان اكون من المسلمين) لله المطيعين له (وان اتلوا القرآن) اى امرت ان اتلوا القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما امر به اتم قيام على ما امر به (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) اى نفع اهتدائه يرجع اليه (ومن ضل) اى عن الايمان واخطأ طريق الهدى (فقل انما انا من المنذرين) اى من المخوفين وما على الا البلاغ نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) اى على جميع نعمه وقيل على ما وفقنى من القيام باداء الرسالة والانذار (سيريكم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما اراهم من القتل والسبى وضرب الملائكة وجوههم وادبارهم وقيل آياته فى السموات والارض وفى انفسكم (فتعرفونها) اى فتعرفون الآيات والدلالات (وما ربك بغافل عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على اعمالهم والله سبحانه وتعالى اعلم

* (تفسير سورة القصص) *

وهى مكية الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهى ثمان وثمانون آية واربعمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عز وجل (طسم تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذى انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام (نتلوا عليك من نبأ) اى خبر (موسى وفرعون بالحق) اى بالصدق (لقوم يؤمنون) اى يصدقون بالقران (ان فرعون علا) اى تجبر وتكبر (فى الارض) اى ارض مصر (وجعل اهلها شيعا) اى فرقا انواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعنى بنى اسرائيل (يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم) سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن انفسهم (انه كان من المفسدين) اى بالقتل والتجبر فى الارض (ونريد ان نمن) اى ننعم (على الذين استضعفوا فى الارض) يعنى بنى اسرائيل (ونجعلهم ائمة) اى قادة فى الخير يقتدى بهم وقيل ولاة وملوكا (ونجعلهم الوارثين) يعنى املاك فرعون وقومه بان نجعلهم فى مساكنهم (ونمكن لهم فى الارض) اى نوطن لهم ارض مصر والشام ونجعلها لهم سكنا (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) اى يخافون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بنى اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون * قوله تعالى (واوحينا الى ام موسى) هو وحى الهام وذلك بان قذف فى قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوى بن يعقوب (ان ارضعيه) قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكى ولا يتحرك فى حجرها (فاذا خفت عليه) اى الذبح (فالقيه فى اليم) اى فى البحر واراد به نيل مصر (ولا تخافى) اى عليه من الغرق وقيل الضيعة (ولا تحزنى) اى على فراقه (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بنى

بكل شئ ويبرزكم العدم الى فضاء الوجود اى الاضافى (ولو شاء لجعله ساكنا) اى ثابتا فى العدم الذى هو خزانة وجوده اى ام الكتاب واللوح المحفوظ الثابت وجود كل شئ فيهما فى الباطن وحقيقته لا العدم الصرف بمعنى اللاشئ فانه لا يقبل الوجود اصلا وما ليس له وجود فى الباطن وخزانة علم الحق وغيبه لم يمكن وجوده اصلا فى الظاهر والايجاد والاعدام ليس الا اظهار ماهو ثابت فى الغيب واخفاؤه فحسب وهو الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم (ثم جعلنا الشمس) شمس العقل (عليه) اى الظل (دليلا) يهدى الى ان حقيقته غير وجوده والا فلا مغايرة بينهما فى الخارج فلا وجود الا الوجود فحسب اذ لو لم يمكن وجوده لما كان شيأ فلا بد على كونه شيأ غير الوجود الا العقل (ثم قبضناه الينا) بافنائه (قبضا يسيرا) لان كل ما يفنى من الموجودات فى كل وقت فهو يسير بالقياس الى ما سبق وسيظهر كل مقبوض عما

اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان انجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام * (ذكر القصة فى ذلك) * قال ابن عباس ان ام موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها وقالت لها قد نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عينى موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتنى الا ومرادى قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فانى اراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجؤا الى بابها ليدخلوا الى ام موسى فقالت اخته ياماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة والقته فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا ام موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما ادخل القابلة قالت هى مصافة لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فأين الصبى فقالت لا ادرى فسمعت بكاء الصبى فى التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله فى قلبها ان تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت فى النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لى اخبؤه فى التابوت وكرهت الكذب قال ولم قالت اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلما هم بالكلام امسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه واخرجوه وبقى حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلنى على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله تعالى وذلك شئ ستره الله تعالى لما اراد ان يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين ففتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم فكتمته ثلاثة اشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم القته فى اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا فى امرها فقالوا ايها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية

قليل فى مظهر آخر والقبض دليل على ان الافناء ليس اعداما محضا بل هو منع عن الانتشار فى قبضته التى هى العقل الحافظ لصورته وحقيقته ازلا وابدا (وهو الذى جعل لكم الليل) ليل ظلمة النفس (لباسا) يغشاكم بالاستيلاء عن مشاهدة الحق وصفاته والذات وظلالها فتحجبون ونوم الغفلة فى الحياة الدنيا (والنوم سباتا) تسبتون بها عن الحياة الحقيقية السرمدية كما قال عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (وجعل النهار) نهار نور الروح (نشورا) تحيا قلوبكم به فتنشرون فى فضاء القدس بعد نوم الحس (وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) رياح النفحات الربانية ناشرة محيية او مبشرة بين يدى رحمة الكمال بتجلى الصفات (وانزلنا من السماء) من سماء الروح (ماء) العلم (طهورا) مطهرا يطهركم عن لوث الرذائل ورجس الطبائع والعقائد الفاسدة والجهالات المفسدة (لنحيى به بلدة ميتا) اى قلبا ميتا بالجهل (ونسقيه مما خلقنا انعاما) من القوى النفسانيه

بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذا اقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ فى البحر قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدر واعليه وعالجوا كسره فلم يقدر واعليه فدنت آسية فرات فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبى صغير فى التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منه لبنا فالقى الله محبته فى قلب آسية واحبه فرعون وعطف عليه واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبى من التابوت عمدت الى مايسيل من اشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرات فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى ان ينفعنا اى فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لاتلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر لان مو هو الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشئ من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) اى عاقبة امرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) اى آثمين وقيل هو من الخطاء ومعناه انهم لم يشعروا انه الذى يذهب بملكهم (وقالت امرات فرعون قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لايشعرون) قال وهب لما نظر اليه فرعون قال اعبرانى من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امراة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانت امرت ان تذبح من ولدان هذه السنة فدعه يكون عندى وقيل انها قالت انه اتانا من ارض اخرى وليس هو من بنى اسرائيل فاستحياه فرعون والقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو ان عدو الله قال فى موسى كما قالت آسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله ولكنه ابى للشقاء الذى كتبه الله عليه * قوله تعالى (واصبح فؤاد ام موسى فارغا) اى خاليا من كل شئ الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحى الذى اوحى الله عز وجل اليها حين امرها ان تلقيه فى اليم ولاتخاف ولاتحزن والعهد الذى عهد اليها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله والقيته فى البحر واغرقته ولما اتاها الخبر بأن فرعون اصابه فى النيل قالت انه قد وقع فى يد عدوه الذى فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدى به) اى لتصرح بأنه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول واابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه اخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابنى وقيل كادت تبدى بالوحى الذى اوحى الله اليها ان يرده عليها (لولا ان ربطنا على قلبها) اى بالعصمة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) اى من المصدقين بوعد الله اياها (وقالت لاخته) اى لمريم اخت موسى (قصيه) اى اتبعى اثره حتى تعلمى خبره (فبصرت به عن جنب) اى عن بعد وقيل

بالعلوم النافعة العملية (وناسى) من القوى الروحانية (كثيرا) بالعلوم النظرية (ولقد صرفناه بينهم) هذا العلم المنزل على صور وامثال مختلفة (ليذكروا) حقائقهم واوطانهم الحقيقية وما نسوا من العهد والوصل وطيب الاصل (فابى اكثر الناس الا كفورا) لنعمة الهداية الحقانية وغمطا للرحمة الرحيمية للاحتجاب بصور الرحمة فى ستور الجلال من الغواشى الهيولانية (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) اى فرقنا كالك المطلق الذى تدعونه جميع الخلق الى الحق على اشخاص ووزعناه بحسب اصناف الناس على اختلاف استعداداتهم على الانبياء كما قال ولكل قوم هاد فبعثنا فى كل صنف نبيا يناسبهم كما كان قبل بعثة محمد من اختصاص موسى ببنى اسرائيل واختصاص شعيب باهل مدين واصحاب الايكة وغير ذلك وخففنا عنك الجهاد اذ الجهاد انما يكون بحسب الكمال وكلما كان الكمال اعظم كان الجهاد اكبر لان الله تعالى رب كل طائفة باسم

كانت تمشي جانبا وتنظره اختلاسا ترى انها لا تنظره (وهم لا يشعرون) انها اخته وانها ترقبه (وحرمنا عليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من ترضعه كلما اتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) اى قبل مجئ ام موسى وذلك لما راته اخت موسى التي ارسلتها امه في طلب ذلك (فقالت) يعنى اخت موسى (هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) اى يضمونه ويرضعونه وهي امراة قتل ولدها فاحب ما تدعى اليه ان تجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) اى لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله قالت ما اعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا من هم قالت أمي قالوا أولامك ولد قالت نعم هرون وكان هرون ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا اصدقت فأتينا بها فانطلقت اليها واخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه يا قيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه الى امه كي تقر عينها) اى بردموسى اليها (ولا تحزن) اى ولئلا تحزن (ولتعلم ان وعد الله حق) اى برده اليها (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها ان يرده اليها (ولما بلغ اشده) قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) اى بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) اى عقلا وفهما في الدين فعلم وحكم موسى قبل ان يبعث نبيا (وكذلك نجزى المحسنين) * قوله تعالى (ودخل المدينة) يعنى موسى والمدينة قيل هى منف من اعمال مصر وقيل هى قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين شمس (على حين غفلة من اهلها) قيل هى نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخول المدينة في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها وليس في طرافها احد وقيل كان لموسى شيعة من بنى اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى انكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من اهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وامر باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ اشده فدخل على حين غفلة من اهلها يعنى عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به وعن على انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان) اى يتخاصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) اى من بنى اسرائيل (وهذا من عدوه) اى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطى يريد ان يأخذ الاسرائيلى يحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من آل فرعون يخلص الى احد من بنى اسرائيل بظلم

من اسمائه فاذا كان الكامل مظهر بجميع صفاته متحققا بجميع اسمائه وجب عليه الجهاد مع جميع طوائف الامم بجميع الصفات ولكن ما فعلنا ذلك لعظم قدرك وكونك الكامل المطلق والقطب الاعظم والخاتم على ما ذكر في تأويل قوله كذلك لنثبت به فؤادك (فلا تطع الكافرين) المحجوبين بموافقتهم في الوقوف مع بعض الحجب ونقصان بعض الصفات (وجاهدهم به) لكونك مبعوثا الى الكل (جهادا كبيرا) هو اكبر الجهادات كما قال ما اوذى نبي مثل ما اوذيت اى ما كل نبي مثل كمالى (وهو الذى مرج البحرين) اى خلط بحر الجسم والروح في الايجاد (هذا) الذى هو بحر الروح (عذب فرات) اى صاف لذيذ (وهذا) الذى هو بحر الجسم (ملح اجاج) اى متغير متكدر غير لذيذ (وجعل بينهما برزخا) هو النفس الحيوانية الحائلة بينهما من الامتزاج وتكدر الروح بالجسم وتكثفه وتنور الجسم بالروح وتجرده

حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان احدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط (فاستغاثه الذى من شيعته) يعنى الاسرائيلى (على الذى من عدوه) يعنى الفرعونى والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله ان يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه اخذه وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فنازعه فقال الفرعونى لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فوكزه موسى) اى ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب فى الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) اى قتله وفرغ من امره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل (قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) اى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعنى انه من جند الشيطان وحزبه (قال رب انى ظلمت نفسى) اى بقتل القبطى من غير امر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب * وقوله (فاغفرلى) اى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل ان يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفرلى اى فاستره علىّ ولا توصل خبره الى فرعون (فغفر له) اى فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) اى بالمغفرة والستر الذى (انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين) معناه فانا لا اكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلى الذى اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلى فى اليوم الثانى اى لم يقل فلا اكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين (فاصبح فى المدينة) اى التى قتل فيها القبطى (خائفا يترقب) اى ينتظر سوأ والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) اى يستغيث به من بعد قال ابن عباس اتى فرعون فقيل له بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبيناهم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى (قال له موسى) للاسرائيلى (انك لغوى مبين) اى ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثنى عليه (فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما) وذلك ان موسى اخذته الغيرة والرقة للاسرائيلى فمديده ليبطش بالقبطى فظن الاسرائيلى انه يريد ان يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوى مبين (قال ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) معناه انه لم يكن علم احد من قوم فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى حتى افشى عليه الاسرائيلى ذلك فسمعه القبطى فاتى فرعون فاخبره بذلك (ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض) اى بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذى يقتل ويضرب ولا ينظر فى العواقب وقيل هو الذى يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى

(وجرا محجورا) حيث اذا يتعوذ به كل منهما من بغى الآخر ومانعا يمنع ذلك (وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحى الذى لا يموت) اى شاهد موت الكل وعدم حراكهم بذواتهم كما قال انك ميت وانهم ميتون فانهم لا يتحركون كون الابدواع اوجدها الله فيهم بفناء افعالك وافعال الكل فى افعال الحق ورفع حجبها عن افعاله اذ مقام التوكل هو الفناء فى الافعال وبين بقوله على الحى الذى لا يموت ان منشأ التوكل شهود صفة حياته التى بها يحيا كل حى لان من يموت لا يكون حيا بالذات وبالترقى من مقام فناء الافعال الى الفناء فى صفة الحياة يصح مقام التوكل كما قالت المتصوفة لا يمكن تصحيح كل مقام الا بالترقى الى المقام الذى فوقه واذا كان كل حىّ يموت انما

(وماتريدان تكون من المصلحين) ولما فشا ان موسى قتل القبطى امر فرعون بقتله فخرجوا فى طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال انه مؤمن من آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهوقوله تعالى (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) اى يسرع فى مشيه واخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى واخبره وانذره بماسمع (قالوا ياموسى ان الملأ يأتمرون بك) اى يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) اى من المدينة (انى لك من الناصحين) اى فى الامر بالخروج (فخرج منها) يعنى موسى (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) اى ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى لعلمه انه لاملجأ الااليه (قال رب نجنى من القوم الظالمين) اى الكافرين * قوله تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) اى قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع فى نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان اهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج موسى حافيا بلا ظهر ولازاد ولا احد ولم يكن له طعام الاورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته فى بطنه وماوصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعنى موسى (عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل) اى قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لمادعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين * قوله عزوجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) اى على الماء (امة) اى جماعة (من الناس يسقون) اى مواشيهم (ووجد من دونهم) اى سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تذودان) اى تحبسان وتمنعان اغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلولهما البئر وقيل تكفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس وقيل تمنعان اغنامهما عن ان تند وتذهب والقول الاول اولى لمابعده وهوقوله (قال) يعنى موسى للمرأتين (ماخطبكما) اى ماشأنكما لاتسقيان مواشيكما مع الناس (قالتا لانسقى) اى اغنامنا (حتى يصدر الرعاء) اى حتى يرجع الرعاء من الماء والمعنى انا امرأتان لانستطيع ان نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا نحن مواشينا فضل مابقى منهم فى الحوض (وابوناشيخ كبير) اى لايقدر ان يسقى مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقى الغنم قيل ابوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وكان شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون ابن اخى شعيب وكان شعيب قدمات بعد ماكف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر اخرى كانت بقربهما لايطيق رفعها الاجماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لمافرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لايرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) اى عدل الى اصل شجرة فجلس فى ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير) معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتاجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب انى لما انزلت الى من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ماسأل الا الخبز فلما رجعتا

يحيا بحى الذات الذى حياته عين ذاته فبه يتحرك فلا تبال بافعالهم فانهم لو اجتمعوا باسرهم على ان يضروك بشئ لم يضروك الابما كتب الله عليك على ماورد فى الحديث (وسبح بحمده) ونزهه بتجردك عن صفاتك ومحوها فى صفاته عن ان تكون لغيره صفة مستقلة تكون مصدر الفعله ملتبسا بحمده اى متصفا بصفاته فان الحمد الحقيق هو الاتصاف بصفاته الكمالية التى هو بها حيد وذلك هو تصحيح مقام التوكل وتحقيقه بنفى الصفات التى هى مبادى الافعال من الغير واذا تجردت عن صفاتك بالاتصاف بصفاته شاهدت احاطة علمه بالكل فاكتفيت به عن سؤاله فى دفع جناياتهم عنك وجزاء ايذائهم لك وشاهدت قدرته على مجازاتهم كما قال ابراهيم عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى وذلك معنى قوله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذى خلق السموات والارض) اى احتجب بسموات الارواح وارض الاجسام (ومابينهما فى ستة ايام) من القوى فى الايام الستة التى هى

الى ابيهما سريعا قبل الناس ولغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا اغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى قال الله تعالى (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) قيل هى الكبرى واسمها صفوراء وقيل صفراء وقيل بل هى الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافئه وقيل لانها رسول ابيها (قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى ذلك كره ان يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق اذا اخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يافتى فتعش فقال موسى اعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألست بجائع قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا اهل بيت لانطلب على عمل من اعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يافتى ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس واكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) اى موسى (وقص عليه القصص) اى اخبره بامره اجمع من خبر ولادته وقتله القبطى وقصد فرعون قتله (قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين) يعنى من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت احداهما ياأبت استأجره) اى اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا (ان خير من استأجرت القوى الامين) يعنى ان خير من استعملت من قوى على العمل وادى الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل اربعون رجلا واما امانته فانه قال لى امشى خلفى حتى لاتصف الريح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (انى اريد ان انكحك) اى ازوجك (احدى ابنتى هاتين) قيل زوجه الكبرى، وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهى التى ذهبت فى طلب موسى (على ان تاجرنى ثمانى حجج) اى تكون لى اجيرا ثمانى سنين (فان اتممت عشرا فمن عندك) اى فان اتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك (وما اريد ان اشق عليك) اى الزمك تمام العشر الا ان تتبرع (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) اى فى حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته (قال) يعنى موسى (ذلك بينى وبينك) أى ما شرطت على فلك وما شرطت من تزويج احداهما فلى والامر بيننا على ذلك (أيما الاجلين قضيت) أى أى الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان على) أى لاظلم على بأن أطالب باكثر منه (والله على مانقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بينى وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألنى يهودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى قلت لاأدرى حتى أقدم على حبر العرب فاسأله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى أكثرهما واطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل وروى عن ابى ذر مرفوعا اذا سئلت اى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت اى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت ياابت استأجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروى شداد بن اوس

الآلاف الستة من ابتداء زمان آدم الى محمد عليهما السلام لان الخلق ليس الاحتجاب الحق بالاشياء والايام هى ايام الآخرة لاايام الدنيا اذ لم تكن الدنيا ثمة ولا الشمس والنهار وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم استوى على العرش الرحمن) عرش القلب المحمدى فى السابع الذى هو يوم الجمعة اى يوم اجتماع جميع الاوصاف والاسماء فيه وذلك هو معنى الاستواء فى الاستقامة بالظهور التام والفيض العام الذى هو الرحمة الرحمانية ولهذا جعل فاعل الاستواء اسم الرحمن دون اسم آخر اذ لايكون الاستواء بمعنى الظهور التام الابه ويمكن ان تؤول الايام بالشهور الستة التى يتم فيها خلق سموات ارواح الجنين وارض جسده ومابينهما من القوى والاستواء بالظهور التام على عرش قلبه الذى كان على ماء النطفة قبل خلقه ما خلق فى الشهر السابع الذى انشأ فيه خلقا آخر بحصوله انسانا والرحانية بعموم فيضه المعنوى والصورى من قلبه الى جميع اجزاء وجوده (فاسئل

مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ماهذا البكاء اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار فقال لا يارب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيأ لك لقائى ياشعيب لذلك اخدمتك كليمى موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غير نبي الا اكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من ابيك ان يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من ابيها ذلك فقال لكما كل ماولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيبا اراد ان يجازى موسى على حسن رعيه اكراما له وصلة لابنته فقال له انى قد وهبت لك من ولد اغنامى كل ابلق وبلقاء فى هذه السنة فأوحى الله تعالى الى موسى فى النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما اخطأت واحدة الا وضعت حملها مابين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام * قوله عزوجل (فلما قضى موسى الاجل) اى اتمه وفرغ منه (وسار بأهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين اخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر فأذن له فسار بأهله اى بزوجته قاصدا الى مصر (آنس) اى ابصر (من جانب الطور نارا) وذلك انه كان فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) اى من الطريق لانه كان قد اخطأ الطريق (او جذوة من النار) اى قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذى اشتعل بعضه (لعلكم تصطلون) اى تستدفؤن (فلما اتاها نودى من شاطئ الواد الايمن) يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى (فى البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) اى من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء ترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب (ان ياموسى انى انا الله رب العالمين) قيل ان موسى لما رأى النار فى الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق فى نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال انى سمعته بجميع اجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه احد الا الله تعالى (وان الق عصاك) اى فالقاها (فلما رآها تهتز) اى تتحرك (كأنها جان) هى الحية الصغيرة والمعنى انها فى سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة (ولى مدبرا) اى هاربا منها (ولم يعقب) اى ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى ان موسى سمع صرير اسنانها وقعقعة الشجرة والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودى عند ذلك (ياموسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين) * قوله عزوجل (اسلك يدك) اى ادخل يدك (فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) اى برص والمعنى انه ادخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) اى من الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس امر الله موسى ان يضم

به خبيرا) اسأل عارفا به يخبرك بحاله واساله فى حالة كونه عالما بكل شئ (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) اى اذا امرتهم بالفناء فى جميع صفاته وطاعته بها انكروا ولم يمتثلوا امرك لقصور استعدادهم عن قبول هذا الفيض وعدم معرفتهم لهذا الاسم لعدم احتظائهم من جميع الصفات اووجود احتجابهم عنها (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) سماء النفس بروج الحواس (وجعل فيها سراجا وقمرا) سراج شمس الروح وقمر القلب (منيرا) بنور الروح (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) ليل ظلمة النفس ونهار نور القلب يعتقبان (لمن اراد ان يذكر) فى نهار نور القلب العهد المنسى وينظر فى المعانى والمعارف ويعتبر (او اراد) فى ليل ظلمة النفس (شكورا) باعمال الطاعات واكتساب الاخلاق والملكات (وعباد الرحمن) اى المخصوصون بقبول فيض هذا الاسم لسعة الاستعداد (الذين يمشون على الارض هونا) اى الذين اطمأنت نفوسهم

يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون اى سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شان الخائف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده فى كمه (فذانك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) اى آيتان (من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) اى خارجين عن الحق (قال رب انى قتلت منهم نفسا) يعنى القبطى (فأخاف ان يقتلون) اى به (واخى هرون هو افصح منى لسانا) اى بيانا وانما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجمرة فى فيه (فأرسله معى ردا) اى عونا (يصدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (انى اخاف ان يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) اى سنقويك به وكان هرون بمصر (ونجعل لكما سلطانا) اى حجة وبرهانا (فلا يصلون اليكما) اى بقتل ولا سوء (بآياتنا) قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما (انتما ومن اتبعكما الغالبون) اى لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) اى مختلق (وما سمعنا بهذا) اى بالذى تدعونا اليه (فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده) اى انه يعلم المحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) اى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) اى الكافرون (وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) فيه انكار لما جاءه به موسى من توحيد الله وعبادته (فأوقد لى يا هامان على الطين) اى اطبخ لى الآجر قيل انه اول من اتخذ آجرا وبنى به (فاجعل لى صرحا) اى قصرا عاليا وقيل منارة قال اهل السير لما امر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وامر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من الخلق واراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق احد عمل شيأ فيه الا هلك فذلك قوله (لعلى اطلع الى اله موسى) اى انظر اليه واقف على حاله (وانى لاظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) اى فى زعمه ان للارض والخلق الها غيرى وانه ارسله (واستكبر هو وجنوده فى الارض) اى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون) اى للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) اى فألقيناهم فى البحر القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعنى حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم ائمة) اى قادة ورؤساء (يدعون الى النار) اى الكفر والمعاصى التى يستحقون بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) اى لا يمنعون من العذاب (واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) اى خزيا وبعدا وعذابا (ويوم القيمة هم من المقبوحين) اى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين

بنور السكينة وامتنعت عن الطيش بمقتضى الطبيعة فهم هينون فى الحركات البدنية لتمرن اعضائهم بهيئة الطمأنينة (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) اهل السفاهة يسلمون مقالهم ولا يعارضونهم لامتلائهم بالرحمة وبعد حالهم عن ظهور النفس بالسفاهة وتكبر نفوسهم بالتقوى بنور القلب من ان تتأثر بالايذاء وتضطرب (والذين يبيتون لربهم) اى الذين هم فى مقام النفس يبيتون بالارادة (سجدا وقياما) فانين بالرياضة قائمين بصفات القلب احياء بحياته لله قائلين بلسان الحال الذى لا تتخلف عن دعائه الاجابة (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ولما وصفهم بالتزكية التامة والفناء عن جميع صفات النفس من الرذائل المذيقة المورطة فى عذاب جهنم الطبيعة ومستقر السوء والعاقبة الوخيمة عقب وصفهم بالتحلية التامة من الاتصاف بجميع اجناس الفضائل الاربع وذلك هو حياتهم بالقلب

بسوادالوجوه وزرقة العيون ❁ قوله عزوجل (ولقدآتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (من بعدما اهلكنا القرون الاولى) يعنى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصائر للناس) اى ليبصروا ذلك فيهتدوا به (وهدى) اى من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) اى لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) اى بما فيه من المواعظ (وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى وما كنت يا محمد (بجانب الغربى) اى بجانب الجبل الغربى قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه (اذقضينا الى موسى الامر) اى عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) اى الحاضرين ذلك المقام الذى اوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك (ولكنا انشأنا قرونا) اى خلقنا بعد موسى امما (فتطاول عليهم العمر) اى طالت عليهم المدة فنسوا عهدالله وتركوا امره وذلك ان الله عهدالى موسى وقومه عهودا فى محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعدالقرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاءبها (وما كنت ثاويا) اى مقيما (فى اهل مدين) اى كمقام موسى وشعيب فيهم (تتلوا عليهم آياتنا) اى تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهداهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين) يعنى ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) اى بناحية الجبل الذى كلم الله موسى عليه (اذناديناه) يعنى موسى خذالكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب ارنى محمدا وامته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب الآباء والارحام اى ارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك قال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قداعطيتكم قبل ان تسألونى وقد اجبتكم قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم قبل ان تستغفرونى ومن جاءنى يوم القيامة بشهادة ان لااله الاالله وان محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) اى رحمناك رحمة بارسالك والوحى اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) يعنى اهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم ان الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم بجمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التى اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذقضينا الى موسى الامر هو انزل التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وماكنت ثاويا فى اهل مدين اول امر موسى والمراد بقوله اذناديناه ليلة المناجاة فهذه اعظم احوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن فى هذه الاحوال حاضرا بين الله انه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كانه قال فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك ❁ قوله تعالى (ولولا ان تصيبهم مصيبة) اى عقوبة ونقمة (بما قدمت ايديهم) يعنى من الكفر والمعاصى (فيقولوا ربنا لولا) اى هلا (ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (قالوا)

بعد موتهم عن النفس كما قيل مت بالارادة تحيا بالطبيعة فالقوام بين الاسراف والاقتار فى الانفاق هو العدل والتوحيد المشار اليه بقوله (والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون) هو اساس فضيلة الحكمة الذى الذى اذا حصل وقع ظله الذى هو العدل فى النفس فاتصفت بجميع انواع الفضائل والامتناع عن قتل النفس المحرمة اشارة الى فضيلة الشجاعة والامتناع عن الزنا فضيلة العفة ثم ذكر من فى مقابلتهم من المحجوبين من فيض الرحمة الرحيمية التى فى ضمن الرحمانية الذى لايستعدون لقبول عموم فيضه فلا يختصون به وان كانوا لايخلون من فيضه الظاهر الشامل لكل فقال (ومن يفعل ذلك) اى يرتكب جميع اجناس الرذائل حتى الشرك بالله (يلق آثاما) جزاء الاثم الكبير المطلق وهو مضاعفة العذاب الروحانى والجسمانى بالاحتجاب الكلى وهيئات الهيكل السفلى (يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) الصغرى

يعني كفار مكة (لولا) اى هلا (اوتى) محمد (مثل ما اوتى موسى) يعني من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل اوتى كتابا جملة واحدة كما اوتى موسى التوراة قال الله تعالى (اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) قيل ان اليهود ارسلوا الى قريش ان يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتى موسى فقال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهرا) يعني التوراة والقرآن يقوى كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعني محمدا وموسى وقيل ان مشركي مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا انا بكل كافرون) يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما) يعني بالتوراة والقرآن (اتبعه) يعني الكتاب الذى تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم من الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) اى فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم انما يتبعون اهواءهم) يعني ان ماركبوه من الكفر لاحجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ماهم عليه من الهوى (ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين) * قوله عز وجل (ولقد وصلنا لهم القول) قال ابن عباس بينا وقيل انزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة حتى كانهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابى طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يارسول الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشأم * ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذا يتلى عليهم) يعني القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) اى من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق (اولئك يؤتون اجرهم مرتين) يعني بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (بما صبروا) اى على دينهم وعلى اذى المشركين (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها ثم تزوجها فله اجران (ويدرؤن بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ماسمعوا من اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) اى

والخلود فيه على غاية الهوان (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) رجع الى الله وتنصل عن المعاصى فبدل الشرك بالايمان واستبدل الرذائل بالفضائل (فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) بمحو الهيئات عن نفوسهم واثبات هذه (وكان الله غفورا) يستر صفات نفوسهم بنوره (رحيما) يفيض عليهم الكمالات بجوده وهذه هى التوبة بالحقيقة ثم بين بعد ذكر التوبة الحقيقية حال اهل السلوك فقال (ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لايشهدون الزور) اى لايحضرون اهل الزور المشتغلين بمتاع الغرور فان اهل الدنيا اهل الزور يحسبون الفانى باقيا والقبيح حسنا ويعدون المعدوم موجودا والشر خيرا فهم الكذابون المبطلون الحالثون اى يعتزلونهم بملازمة الخلوات وايثار الطاعات واقام الصلاة (واذا مروا باللغو) اى الفضول غير الضرورية تركوها واعرضوا عنها (مروا كراما) بها مكرمين انفسهم عن مباشرتها قانعين بالحقوق عن الحظوظ وهم الزاهدون بالحقيقة التاركون المجردون

فى الطاعة (واذا سمعوا اللغو) اى القول القبيح (اعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى اهل مكة ويقولون تبالكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) اى لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لانعارضكم بالشتم (لانبتغى الجاهلين) يعنى لانحب دينكم الذى انتم عليه وقيل لانريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال ❊ قوله تعالى (انك لاتهدى من احببت) اى هدايته وقيل احببته لقرابته (ولكن الله يهدى من يشاء) وذلك ان الله تعالى يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان (وهو اعلم بالمهتدين) اى بمن قدر له الهدى (م) عن ابى هريرة قال انك لاتهتدى من احببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راودعمه ابا طالب على الاسلام وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب عند الموت ياعم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة قال لولا ان تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد

ولقد علمت بان دين محمد ❊ من خير اديان البرية دينا

لولا الملامة اوحذار مسبة ❊ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ عبدالمطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الآية (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) يعنى مكة نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذى تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارض مكة قال الله تعالى (اولم نمكن لهم حرما آمنا) وذلك ان العرب كانت فى الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة (يجبى اليه) اى يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون) يعنى ان أكثر أهل مكة لايعلمون ذلك ❊ قوله عزوجل (وكم أهلكنا من قرية) أى من أهل قرية (بطرت معيشتها) اى أشرت وطغت وقيل عاشوا فى البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل لم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب (وكنا نحن الوارثين) يعنى لم يخلفهم فيها احد بعد هلاكهم وصار امرها الى الله تعالى لانه الباقى بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعنى الكافرة اهلها (حتى يبعث فى امها رسولا) اى فى اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث فى ام القرى وهى مكة رسولا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعنى انه يؤدى اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) اى مشركون ❊ قوله عزوجل (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) اى تتمتعون بها ايام حياتكم ثم هى الى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وابقى) لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهى دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا

ثم لما بين الزهد الحقيقى والتجريد قرن به العبادة الحقيقية والتحقيق بقوله (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) اى كوشفوا المعارف والحقائق وتجليات الصفات والمشاهدات (لم يخروا عليها) على العلم بتلك الآيات من المعارف والحقائق (صما) بل تلقوها بآذان واعية هى آذان القلوب لا النفوس وعلى مشاهدتها (و) تجليات (عميانا) بل احدقوا نحوها ببصائر حديدة مكحلة بنور الهداية ثم وصف طلبهم للترقى عن مقام القلب الى مرتبة السابقين والاستعانة بالله عن تلوين النفس وصفاتها لينخرطوا فى سلك المقربين بقوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين) ازواج نفوسنا وذريات قوانا ماتقربه اعيننا من طاعاتهم وانقيادهم خاضعين وتنورهم بنور القلب مخبتين غير طالبين للاستعلاء والترفع والاستكبار والتجبر (واجعلنا للمتقين) اى المجردين (اماما) بالوصول الى مقام السابقين (اولئك

(كالذرة)

كالذرة بالقياس الى البحر العظيم (افلاتعقلون) اى ان الباقى خير من الفانى وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعى من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس من أعطى القليل واخذ الكثير وماهم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى (افمن وعدناه وعدا حسنا) يعنى الجنة (فهو لاقيه) اى مصيبه وصائر اليه (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) اى وتزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) اى فى النار قيل هذا فى المؤمن والكافر وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وابى جهل وقيل فى على وحمزة وابى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة * قوله عزوجل (ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون) اى فى الدنيا انهم شركائى (قال الذين حق عليهم القول) اى وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) اى دعوناهم الى الغى وهم الاتباع (اغويناهم كما غوينا) اى اضللناهم كما ضللنا (تبرأنا اليك ماكانوا ايانا يعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا اعداء (وقيل) يعنى للكفار (ادعوا شركاءكم) اى الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) اى لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون) معناه لو انهم كانوا يهتدون فى الدنيا مارأوا العذاب فى الآخرة (ويوم يناديهم) اى يسأل الكفار (فيقول ماذا اجبتم المرسلين) اى ماكان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم) اى خفيت واشتبهت عليهم (الانباء) يعنى الاخبار والاعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولاحجة (فهم لايتساءلون) اى لايجيبون ولايحتجون وقيل يسكتون فلايسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين) اى من السعداء الناجين وعسى من الله واجب * وقوله تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة اوعروة بن مسعود الثقفى اخبر الله تعالى انه لايبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله ان يخص من يشاء بمايشاء الاعتراض عليه البتة (ماكان لهم الخيرة) اى ليس لهم الاختيار اوليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ماكان هو الاصلح والخير لهم فيه * ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ماتكن) اى تخفى (صدورهم ومايعلنون) اى يظهرون (وهو الله لااله الاهو له الحمد فى الاولى والآخرة) اى يحمده اولياؤه فى الدنيا ويحمدونه فى الآخرة فى الجنة (وله الحكم) اى فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة (واليه ترجعون) * قوله عزوجل (قل) اى قل يامحمد لاهل مكة (ارأيتم) اى اخبرونى (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) اى دائما (الى يوم القيامة) لانهار فيه (من اله غير الله يأتيكم بضياء) اى بنهار تطلبون فيه المعيشة (افلاتسمعون) اى سماع فهم وقبول (قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) اى لاليل فيه (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلاتبصرون) اى ماانتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء فى حال الدنيا وفى حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل مايحتاج اليه ولايتم له ذلك لولاضوء النهار ولاجله يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك

يجزون الغرفة بماصبروا) غرفة الفردوس وجنة الروح بصبرهم مع الله وفى الله عن غيره ويلقون فيها تحية) خلود حياة (وسلاما) سلامة وبراءة عن الآفات اى يحييهم الله ببقائهم سرمدا ببقائه ويسلمهم باثباتهم كماله كما قيل تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل مايعبؤبكم ربى لولادعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما اى الولم يكن طلبكم لله وارادتكم لكنتم شيأ غير ملتفت اليه ولامعبوأبه كالحشرات والهوام فان الانسان انما يكون انسانا وشيأ معتدابه اذا كان من اصحاب الارادة والطلب والله تعالى اعلم

* (سورة الشعراء) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الايكونوا مؤمنين (ط) اشارة الى الطاهر (س) الى السلام و (م) الى المحيط بالاشياء بالعلم * والكتاب المبين الذى هو الاسماء والصفات آياته

لايتم الا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما فاما فى الجنة فلا نصب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء ابدا فبين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) اى تعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) اى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) اى بالنهار (ولعلكم تشكرون) اى نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون) كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ (ونزعنا) اى اخرجنا وقيل ميزنا (من كل امة شهيدا) يعنى رسولهم يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) اى للامم المكذبة لرسلهم (هاتوا برهانكم) اى حجتكم بان معى شريكا (فعلموا ان الحق لله) اى التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) اى يختلفون فى الدنيا من الكذب على الله * قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن فى بنى اسرائيل اقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد فى طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثيابه خيلاء اخرجاه فى الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلوم (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) جمع مفتح وهو الذى يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعنى خزائنه (لتنوء بالعصبة اولى القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا اقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا (اذ قال له قومه لا تفرح) اى لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح (ان الله لا يحب الفرحين) اى الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا قريب لم يفرح ولقد احسن من قال

اشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) اى اطلب فيما اعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما انعم عليك وتنفقه فى رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) اى لا تترك ان تعمل فى الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة * عن عمرو بن ميمون الاودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم (واحسن كما احسن الله اليك) اى احسن بطاعة الله كما احسن اليك بنعمته وقيل احسن الى الناس (ولا تبغ) اى ولا تطلب (الفساد فى الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعنى قارون (انما اوتيته على علم عندى) اى على فضل وخير علمه الله عندى

هو الوجود الصمدى الكامل ذو البيان والحكمة كما قال امير المؤمنين عليه السلام * وفيك الكتاب المبين الذى * باحرفه يظهر المضمر * فيكون معناه على ما ذكر فى طه انه عليه السلام لما رأى عدم اهتدائهم بنوره وقبولهم لدعوته استشعر انه من جهته لا من جهتهم فزاد فى الرياضة والمجاهدة والفناء فى المشاهدة فاوحى اليه بان هذه الصفات التى هى الطهارة من لوث البقية المانع من التأثير فى النفوس وسلامة الاستعداد عن النقص فى الامثل والكمال الشامل لجميع المراتب بالعلم هى صفات كتاب ذاتك المبين لكل كمال ومرتبة باتصافها بجميع الصفات الالهية واشتمالها على معانى جميع اسمائه فلا تبخع نفسك اى لا تهلكها على آثارهم بشدة الرياضة لعدم ايمانهم وامتناعهم فانه من جهتهم اما الوجود المانع بشدة الحجاب واما العدم الاستعداد فمعنى لعل فى لعلك باخع الاشفاق اى اشفق على نفسك ان تهلكها بالرياضة لعدم ايمانهم وفواته (ان نشأ ننزل عليهم من

لرأى اهلا لذلك ففضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلم علم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة امواله وقيل كان علمه حسن التصرف فى التجارات والزراعات وانواع المكاسب * قال الله عز وجل (اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا) اى للاموال (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه ان الله تعالى اذا اراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم * قوله عز وجل (فخرج على قومه فى زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه اربعة آلاف ورس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلل والثياب الحمر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم) اى من المال (وقال الذين اوتوا العلم) اى بما وعد الله فى الآخرة وقال ابن عباس يعنى الاحبار من بنى اسرائيل للذين تمنوا مثل ما اوتى قارون (ويلكم ثواب الله) اى ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن) اى صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) اى ذلك خير مما اوتى قارون فى الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) اى لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهى قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون اى على طاعة الله وعن زينة الدنيا * قوله تعالى (فخسفنا به وبداره الارض)

(ذكر قصة قارون)

قال اهل العلم بالاخبار والسير كان قارون اعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون واقرأهم للتوراة واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا فى ارديتهم خيوطا اربعة فى كل طرف خيطا اخضر كلون السماء يذكرونى به اذا نظروا الى السماء ويعلمون انى منزل منها كلامى فقال موسى يارب افلا تأمرهم ان يجعلوا ارديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه ياموسى ان الصغير من امرى ليس بصغير فاذا لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا فى ارديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكى تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما امرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون وهى رآسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقربانهم الى هرون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك فى نفسه فاتى الى موسى فقال له ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ من ذلك وانا اقرأ التوراة لا صبر لى على هذا فقال اما انا ما جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له

السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين) من العالم العلوى بتأييد ذلك قهرا فتخضع اعناقهم له منقادين مسلمين مستسلمين ظاهرا وان لم يدخل الايمان فى قلوبهم كما كان يوم الفتح اى (فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى) القلب المهذب بالحكمة العملية المدرب بالعلوم العقلية المشوق بذكر الانوار القدسية والكمالات الانسية ووصف المفارقات والمجردات الى الحضرة الالهية الغالب على القوة الشهوانية بالسعى فى طلب الارزاق الروحانية من المعارف اليقينية والمعانى الحقيقية بعد قتل جبار الشهوة الذى كان يجبر لفرعون النفس الامارة وفراره من استيلائها الى مدين مدينة العلم من الافق الروحانى ووصوله الى خدمة شعيب الروح فى مقام السر الذى هو محل المكالمة والمناجاة بالسير

قارون والله لاصدقك حتى تريني بآيه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها والقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزلها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا فقال له قارون والله ماهذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الاعتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى اتاه قارون فصالحه على كل الف دينار عنها دينار وعلى كل الف درهم عنها درهم وكل الف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه وهو يريد يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم ان تجيئوا فلانة البغي وتجعلوا عليكم لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنواسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها قارون الف دينار والف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون انزلك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنواسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم فقال يابني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه الى ان يموت فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة الاصدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها احدث توبة افضل من ان اوذي رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه اني امرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يابني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى ياارض خذيهم فاخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال ياارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال ياارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال ياارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق واصحابه في ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده اربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لايلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال ياارض خذيهم فانطبقت عليهم الارض فاوحى الله الى موسى ماأغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه اما وعزتي وجلالي لو استغاثني مرة لاغثته وفي بعض الآثار لااجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لايبلغ قرارها الى يوم القيامة واصبح بنواسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعا الله موسى حتى

العقلي بطريق الحكمة واكتساب الاخلاق بالتعديل قبل السلوك في الله التوحيد والرياضة بالترك والتجريد مع بقاء النفس المتقوية بالعلم والمعرفة المتزينة بالفضيلة والمتبجحة بزينتها وكمالها الطاغية بظهورها على اشرف احوالها المنازعة ربها صفة العظمة والكبرياء المحتجبة بالبهجة والبهاء لاحتجابها بانانيتها وانتحالها كمال الحق برؤيته لها فكانت شر الناس كما قال عليه الصلاة والسلام شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حي ولوماتت ثم قامت القيامة عليها لكانت خير الناس (ان ائت القوم الظالمين) من القوى النفسانية الفرعونية العاتية لفرعون النفس الامارة المتخذة لها ربا الواضعة كمال الحق موضع كمالها وهو افحش الظلم (قوم فرعون الايتقون) قهري وباسي بتدميرهم وافنائهم (قال رب اني اخاف ان يكذبون في دعوتي الى التوحيد ولم يطيعوني في الرياضة والترك والتجريد (ويضيق صدري) لعدم اقتداري على قهرهم وعلى بامتناعهم عن قبول الاوامر الشرعية

بخسف بداره وكنوده وامواله الارض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) اى جماعة (ينصرونه من دون الله) اى يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من الممتنعين مما نزل به من الخسف (واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) اى صار اولئك الذين تمنوا مارزقه الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمني (يقولون ويكان الله) المتلم وقيل الم تر وقيل هي كلمة تقرير معناها اما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك اعلم ان الله وروى ان وى مفصولة من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا متندمين على ماسلف منهم وى وكان معناها اظن واقدر ان الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن عباس اى يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا ان من الله علينا) اى بالايمان (لخسف بنا ويكانه لايفلح الكافرون) ※ قوله عزوجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض) اى استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذى سلطان وعن على انها نزلت فى اهل التواضع من الولاة واهل المقدرة (ولافسادا) قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل اخذ اموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصى (والعاقبة للمتقين) اى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلايجزى الذين عملوا السيآت الاما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ※ قوله تعالى (ان الذى فرض عليك القرآن) اى انزل عليك القرآن وقيل معناه اوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك الى معاد) قال ابن عباس الى مكة اخرجه البخارى عنه قال القتيبى معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام وقال له اتشتاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولامدنية وقال ابن عباس ايضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك فى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربى اعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو اعلم بالفريقين قوله عزوجل (وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب) اى يوحى اليك القران (الارحمة من ربك) فأعطاك القرآن (فلاتكونن ظهيرا) اى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين ابائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ماهم عليه (ولايصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولاتكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اى ولاتظاهر الكفار ولاتوافقهم (ولاتدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل الاانه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما من ان يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهى قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لاتتخذ غيره وكيلا على امورك كلها ولاتعتمد على غيره (لا اله الا هو

والاسرار الوحية ومايكون خارجا عن طور الفكر والعقل لتدرجهم بذلك وتفرعنهم باستبدادهم (ولاينطلق لسانى) معهم فى هذه المعانى لكونها على خلاف ماتعودوا به ونشؤا عليه من الحكم العملية الداعية الى مراعاة التعديل فى الاخلاق دون الفناء بالاطلاق (فارسل الى هرون) العقل ليؤديهم بالمعقول ويسوسهم بما يسهل قبولهم له من رعاية مسلحة الدارين واختيار سعادة المنزلين فتلين عريكتهم وتضعف شكيمتهم بمداراته ورفقه وموافقته لهم بعلمه وحلمه (ولهم على ذنب) بقتلى جبار الشهوة (فاخاف) ان دعوتهم الى التوحيد وامرتهم بالتجريد وترك الحظوظ والاقتصار على الحقوق (ان يقتلون) بالاستيلاء والغلبة وهذا صورة حال من احتجبت نفسه بالحكمة ولم يتألف بها بطريق الوحدة مع قوة استعداده وعدم وقوفه مع مانال من كمال فقلما تقبل نفسه خلاف مايعتقد وتنقاد فى متابعة الشريعة وتقيد الامن تداركه سبق

كل شئ هالك) اى فان (الا وجهه) اى الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الا ما اريد به وجهه لان عمل كل شئ اريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) اى فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) اى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم والله اعلم بمراده

(تفسير سورة العنكبوت)

وهى مكية وآياتها تسع وستون آية وكلمها تسعمائة وثمانون كلمة
وحروفها اربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (الم احسب الناس) اى اظن الناس (ان يتركوا) اى بغير اختبار وابتلاء (ان) اى بأن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) اى لا يبتلون فى اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية فى اناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس اراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل فى عمار كان يعذب الله تعالى وقيل فى مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان اول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامرأته فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعنى الانبياء فنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب *(فليعلمن الله الذين صدقوا)* اى فى قولهم *(وليعلمن الكاذبين)* والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل ان آثار افعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع * قوله تعالى *(ام حسب الذين يعملون السيئات)* يعنى الشرك *(ان يسبقونا)* اى يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم *(ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله)* قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع فى ثواب *(فان اجل الله لآت)* يعنى ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فليستعدله وليعمل لذلك اليوم *(وهو السميع العليم)* اى يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم او يعاقبهم او يعفو * قوله تعالى *(ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه)* اى له ثوابه وهذا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون فى الحرب وقد يكون على مخالفة النفس *(ان الله لغنى عن العالمين)* اى عن اعمالهم وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف اما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد من عبيده لا شئ عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام واما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعذابه فلا شئ عليه لاستغنائه عنهم *(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم)* اى لنبطلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة *(ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون)* اى باحسن اعمالهم وهو الطاعة يعطيهم اكثر مما عملوا * قوله عز

العناية وساعده التوفيق بالجذبة و (قال كلا) ردع له من الخوف بالتشجيع والتأييد (فاذهبا) امر باستصحاب العقل للمناسبة والجنسية وتقرير التوحيد بطريق البرهان القامع للتفرعن والطغيان (بآياتنا انا معكم مستمعون) وعد بالكلاءة والحفظ وتقوية اليقين فان من كان الحق معه لا يغلبه احد (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بنى اسرائيل) القوى الروحانية المستضعفة المستخدمة فى تحصيل اللذات الجسمانية (قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) وتربيته اياه وليدا ولبثه فيهم سنين صورة حال الطفولية والصبوية الى اوان التجرد وطلب الكمال الذى اشده بلوغ الاربعين فان القلب فى هذا الزمان فى تربية النفس والولاية لها لحكمة عادية الآلة (فعلت فعلتك التى فعلت) والفعلة هى الحركة المذمومة عند التفس من الاستيلاء على الشهوة والكفر الذى نسبه اليه هو اضاعة حق التربية (وانت من الكافرين قال

وجل *(ووصينا الانسان بوالديه حسنا) معناه برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بهما ما يحسن نزلت هذه الآية والتى فى سورة لقمان والاحقاف فى سعد بن ابى وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهرى وامه حمنة بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بابيه قالت له امه ماهذا الذى احدثت والله ما آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال ياقاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها فقال يااماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى فكلى ان شئت وان شئت فلا تأكلى فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وامره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما فى الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما) وفى الحديث لاطاعة لمخلوق فى معصية الله ثم اوعد بالمصير اليه فقال تعالى (الى مرجعكم فانبئكم) اى فاخبركم (بما كنتم تعملون) اى بصالح اعمالكم وسيآتها اى فاجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) اى فى زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل فى مدخل الصالحين وهو الجنة * قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى) يعنى اصابه بلاء من الناس افتتن (فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) اى جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله فى الآخرة والمعنى انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا اوذى فى الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) اى فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) اى هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) اى على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ماقلنا فاكذبهم الله تعالى فقال *(اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين)* اى من الايمان والنفاق *(وليعلمن الله الذين آمنوا)* اى صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء *(وليعلمن المنافقين)* اى بترك الاسلام عند البلاء قيل نزلت هذه الآية فى اناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الناس او مصيبة فى انفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت فى الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم وقيل هذه الآيات العشر من اول السورة الى ههنا مدنية وباقى السورة مكى *(وقال الذين كفروا)* يعنى من اهل مكة قيل قاله ابو سفيان (للذين آمنوا) اى من قريش *(اتبعوا سبيلنا)* يعنى ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله *(ولنحمل خطاياكم)* اى اوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عزوجل بقوله *(وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون)* فى قولهم نحمل خطاياكم *(وليحملن اثقالهم)* اى اوزار اعمالهم التى عملوها بانفسهم *(واثقالا مع اثقالهم)* اى اوزار من اضلوا وصدوا عن سبيل الله مع اوزار انفسهم فان قلت قد قال اولا وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ وقال ههنا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن

فعلتها اذا وانا من الضالين) اى لست من الكافرين لكون الصلاح فى ذلك بل من الذين لا يهتدون الى طريق الوحدة (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) اى حكمة متعالية عن طريق البرهان وراء طور الكسب والعقل (وجعلنى من المرسلين) اليكم بها (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائل) واما تعبيد بنى اسرائل القوى التى هى قومى فليس بمنة تمنها على بل عدوان وطغيان اذ لو لم تعبد هم لما القتنى اى الطبيعة البدنية فى يم الهيولى فى تابوت الجسد واقسام بتربيتى اهلى وقومى من القوى الروحانية (قال فرعون ومارب العالمين) قيل فى القصة ان فرعون كان منطقيا مباحثا سأل بما هو عن حقيقته تعالى فلما اجابه موسى عليه السلام بقوله (قال رب السموات والارض ومابينهما) وبين ان حقيقته لاتعرف بالحد لبساطتها غير معلومة للعقل لشدة نوريتها ولطافتها بل عرفها بالصفة الاضافية والخاصة اللازمة وعرض به فى تجهيله ونفى الايقان عنه بقوله

في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء رواه مسلم *(وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون)* اى سؤال توبيخ وتقريع لانه تعالى عالم باعمالهم وافترائهم * قوله تعالى *(ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث)* اى اقام *(فيهم)* يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده *(الف سنة الا خمسين عاما)* فان قلت مافائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان احداهما ان الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل انه يقول مائة سنة تقريبا لاتحقيقا فان قال مائة سنة الا شهرا اوالا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا واعلى مراتب العدد الف سنة وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد الالف لانه اعظم وافخم هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وان نوحا لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم فصبر في الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره الفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك * قوله تعالى *(فاخذهم الطوفان)* اى فاغرقهم *(وهم ظالمون)* قال ابن عباس مشركون *(فانجيناه واصحاب السفينة)* يعني من الغرق *(وجعلناها)* يعني السفينة *(آية)* اى عبرة *(للعالمين)* قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة * قوله تعالى (وابرهيم) اى وارسلنا ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) اى اطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) اى ماهو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لاتعلمون (انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا) اى تقولون كذبا وقيل تصنعون اصناما بايديكم وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) اى لايقدرون ان يرزقوكم (فابتغوا) اى فاطلبوا (عند الله الرزق) فانه القادر على ذلك (واعبدوه) اى وحدوه (واشكروا له) لان النعم عليكم بالرزق (اليه ترجعون) اى في الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم) اى مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله (وما على الرسول الا البلاغ المبين) * قوله تعالى (اولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل ان تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابراهيم هي في تذكير اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا أو لم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) اى يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة (ثم يعيده) اى في الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) اى الخلق الاول والخلق الثاني (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) اى انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) اى ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه احداثهم مبدئا كذلك لايتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا (ان الله على كل شيء قدير) اى من البداءة والاعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (ويرحم من يشاء) تفضلا (واليه تقلبون) اى تردون (وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) قيل معناه ولا من في السماء بمعجز والمعنى انه لايعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل السماء في

(السماء)

ان كنتم موقنين) اى لو كنتم من اهل الايقان لعلمتم ان لاطريق للعقل الى معرفته الا الاستدلال على وجوده بافعاله الخاصة به واما حقيقته فلا يعرفها الا هو وحده وماسألتم عنه عما لايصل اليه نظر العقل (قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون) استخفه ونبه قومه على خفة عقله وكون جوابه غير مطابق للسؤال تعجبا منه لقومه وتسفيها له فاتى قوله بمثل ماقال اولا من اراد خاصة اخرى جننه ثلث بقوله) قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون) اى ان جننت فاين عقلكم حتى يعرف طور هولم يتجاوز حده وهذه المقالة اشارة الى ان النفس المحجوبة بعقولها لاتهتدى الى معرفة الحق وحكمة الرسالة والشرع ولاتذعن للمتابعة ولاتنقاد للمطاوعة بل تظهر بالانانية وطلب العلوم والربوبية والتغلب على الرسالة الالهية وهو معنى قوله (قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك

السماء وقيل معنى قوله ولا فى السماء اى لو كنتم فيها (ومالكم من دون الله من ولى) اى يمنعكم منى (ولانصير) اى ينصركم من عدابى (والذين كفروا بآيات الله) يعنى بالقرآن (ولقائه) اى البعث *(أولئك يئسوا من رحمتى)* يعنى الجنة *(وأولئك لهم عذاب اليم)* فهذا آخر الآيات فى تذكير اهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى *(فما كان جواب قومه الاان قالوا اقتلوه أوحرقوه)* قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه اوحرقوه *(فأنجاه الله من النار)* اى بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار *(ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)* يصدقون (وقال) يعنى ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا) اى ثم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها فى الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) يعنى العابدين والمعبودين جميعا (ومالكم من ناصرين) اى مانعين من عذابه (فآمن له لوط) اى صدقه برسالته لما راى معجزاته وهو اول من صدق ابراهيم وامافى اصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لايتصور فيهم الكفر *(وقال)* يعنى ابراهيم (انى مهاجر الى ربى)* الى حيث امرنى ربى فهاجر من كوثى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشأم ومعه لوط وامرأته سارة وهو اول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة *(انه هو العزيز)* اى الذى لايغلب والذى يمنعنى من اعدائى *(الحكيم)* الذى لايأمرنى الا بما يصلحنى * قوله تعالى *(ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب)* يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الامن نسله *(وآتيناه اجره فى الدنيا)* هو الثناء الحسن فكل اهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له فى الدنيا *(وانه فى الآخرة لمن الصالحين)* اى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح * قوله عزوجل *(ولوطا اذقال لقومه انكم لتأتون الفاحشة)* اى الفعلة القبيحة *(ماسبقكم بها من احد من العالمين)* اى لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال *(أئنكم لتأتون الرجال)* يعنى انكم تقضون الشهوة من الرجال *(وتقطعون السبيل)* وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مربهم من المسافرين فترك الناس المر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء *(وتأتون فى ناديكم المنكر)* اى مجالسكم والنادى مجلس القوم ومتحدثهم عن ام هانئ بنت ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب الحذف هو رمى الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مربهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه قال انا اولى به وقيل انه كان يأخذ مامعه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا فى مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم وعن عبدالله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والحذف والرمى بالجلاهق واللوطية *(فما كان جواب قومه)* اى لما انكر عليهم لوط مايأتونه من القبائح *(الاان قالوا)* يعنى استهزاء *(ائتنا بعذاب الله ان كنت

بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين قال للملأ حوله ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف مايأفكون فالقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين) والشئ المبين الذى يمنعه عن الاستيلاء ويردعه عن الغلبة والاستعلاء

من الصادقين) اى ان العذاب نازل بنا فعند ذلك *(قال رب انصرنى على القوم المفسدين)* اى بتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم * قوله عز وجل *(ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى)* يعنى من الله باسحق ويعقوب *(قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية)* يعنى قوم لوط والقرية سدوم *(ان اهلها كانوا ظالمين قال)* يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله *(ان فيها لوطا قالوا)* اى قالت الملائكة *(نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين)* اى من الباقين فى العذاب *(ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم)* اى ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ماساءه *(وضاق بهم ذرعا)* اى عجز عن تدبير امرهم فحزن لذلك *(وقالوا لا تخف)* اى من قومك *(ولا تحزن)* علينا *(انا منجوك واهلك)* اى انا مهلكوهم ومنجوك واهلك *(الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا)* اى عذابا *(من السماء)* قيل هو الخسف والحصب بالحجارة *(بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها)* اى من قريات لوط *(آية بينة)* اى عبرة ظاهرة *(لقوم يعقلون)* يعنى افلا يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة التى اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها اوائل هذه الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض * قوله تعالى *(والى مدين)* اى وارسلنا الى مدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين واولاده وعلى القول وارسلنا الى اهل مدين *(اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر)* اى افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه *(ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة)* اى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة *(فأصبحوا فى دارهم جاثمين)* اى باركين على الركب ميتين *(وعادا وثمودا)* اى واهلكنا عادا وثمود *(وقد تبين لكم)* اى من منازلهم بالحجر واليمن *(وزين لهم الشيطان اعمالهم)* اى عبادتهم لغير الله *(فصدهم عن السبيل)* اى عن سبيل الحق *(وكانوا مستبصرين)* اى عقلاء ذوى بصائر وقيل كانوا معجبين فى دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين *(وقارون وفرعون وهامان)* اى اهلكنا هؤلاء *(ولقد جاءهم موسى بالبينات)* اى بالدلالات الواضحات *(فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين)* اى فائتين من عذابنا اى فائتين من عذابنا *(فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا)* وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهى الحصى الصغار *(ومنهم من اخذته الصيحة)* يعنى ثمود *(ومنهم من خسفنا به الارض)* يعنى قارون واصحابه *(ومنهم من اغرقنا)* يعنى قوم نوح وفرعون وقومه *(وما كان الله ليظلمهم)* اى بالهلاك *(ولكن كانوا انفسهم يظلمون)* اى بالاشراك * قوله تعالى *(مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء)* يعنى الاصنام يرجون نصرها ونفعها *(كمثل العنكبوت اتخذت بيتا)* لنفسها تأوى اليه وان بيتها فى غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذى يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص او نحته من صخر فكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا استقريتها

هو النور البارق القدسى والبرهان النير العرشى الذى أتلف به القلب فى الافق الروحى المعجز للنفس والقوى الدالة على صدقه فى الدعوى المفيد لقوتية العاقلتين النظرية والعلية الهيئة النورية والقوة القهرية حتى صارت الاولى قوة قدسية متأيدة بالحكمة البالغة يعتمد عليها فى قمع العدو عند المجادلة ودفع الخصم عند المغالطة والثانية قوة ملكية متأيدة بالقدرة الكاملة يعجزبها من غالبه فى القوة وعارضة بالقدرة فاذا القى عصى القوة القدسية بالذكر القلبى صار ثعبانا ظاهر الثعبانية فى الغلبة القوية واذا نزع يد الملكية من جيب الصدر حير الناظر بالاشراق والنورية ولما تحيرت النفس الفرعونية وقواها وعجزت وخافت ان يخرجها من ارض البدن ويدفع شر فسادها ورياستها فيها ويمنع تسلطها واستيلاءها بعثوا لدواعى الشيطانية واستنهضوا البواعث النفسانية الى مدائن محال القوى الوهمية والتخيلية واحضروا سحرتها لالقاء الوساوس والهواجس

لمبادئنا عبادة الاوثان لانها لاتضر ولاتنفع *(وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت)* اشار الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه اولمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم اوهن الاديان *(لو كانوا يعلمون)* اى ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن *(ان الله يعلم مايدعون من دونه من شئ)* هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعنى ان الذى يدعون من دونه ليس بشئ *(وهو العزيز الحكيم)* معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شئ ويشتغل بعبادة من ليس بشئ اصلا *(وتلك الامثال) اى الاشباه يعنى امثال القرآن التى شبه بها احوال الكفار من هذه الامة بأحوال كفار الامم السابقة (نضربها) اى نبينها (للناس) اى لكفار مكة (ومايعقلها الا العالمون) يعنى مايعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عزوجل روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبدالله ان النبى صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) اى للحق واظهار الحق (ان فى ذلك لآية) اى دلالة (للمؤمنين)على قدرته وتوحيده*وقوله تعالى(اتل مااوحى اليك من الكتاب) يعنى القرآن (واقم الصلوة)فان قلت لم بهذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهى الاعتقاد الحق ولسانية وهى الذكر الحسن وبدنية وهى العمل الصالح لكن الاعتقاد لايتكرر فان من اعتقد شيأ لايمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما ممكنا التكرار فلذلك امر بهما (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) اى ماقبح من الاعمال (والمنكر) اى مالايعرف فى الشرع قال ابن مسعود وابن عباس فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصى والسيئات كما روى عن انس قال كان فتى من الانصار يصلى الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيأ الاركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه مادام فى صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان فى الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا اصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفى رواية انه قيل يارسول الله ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعى للصلاة لابد وان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لايراعيها (ولذكر الله اكبر) اى انه افضل الطاعات عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاانبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قد يارسول الله قال ذكر الله اخرجه الترمذى وله عن ابى سعيد الخدرى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله

بالآلات المغالطات والتشكيكات وجعوها لوقت الحضور وجعية جميع القوى النفسانية والبدنية والروحانية فى توجه السر الى حضرة القدس فالقوا حبال التخيلات والوهميات وعصى الهواجس والوساوس لتوهم الغلبة بعزة فرعون النفس الامارة وقوته ورجاء التعظيم والمنزلة والتقريب فى صدر الرياسة والسلطنة فتلقفها ثعبان القوة القدسية بقوة التوحيد وابتلع ماأفكوا بنور التحقيق فانقادت سحرة الوهم والخيال والتخيل اذفقدت آلاتها وآمنت بنور اليقين فى متابعة موسى القلب وهرون العقل بربهما فبقيت مقطوعة الارجل والايدى عن السعى فى ارض البدن بانواع الحيل والكيد والمكر وطلب المعاش وتحصيل اللذات والشهوات والتصرف فى املاك القوى البدنية بالرياسة والسلطنة من جهة مخالفة النفس وموافقة القلب مصلوبة على جذوع النفس النباتية ممنوعة عن حركاتها بالرياضة والقهر والسياسة منقلبة الى ربهم فى متابعة القلب

كثيرا قالوا يارسول الله والغازى فى سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب فى سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد اتم يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا للامر والنهى وقيل هم المتخلفون من الناس بذكر الله لايخلطون به غيره (خ) عن ابى هريرة وابى سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لايقعد قوم يذكرون الله الاحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان اعرابيا قال يارسول الله اى الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله اكبر اى لن تبقى معه معصية (والله يعلم ماتصنعون) اى لايخفى عليه شئ من امركم * قوله عز وجل (ولاتجادلوا اهل الكتاب) اى ولاتخاصموهم (الا بالتى هى احسن) اى القرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه واراد بهم من قبل الجزية منهم (الا الذين ظلموا منهم) اى ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا اويعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لاعهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) اى للذين قبلوا الجزية اذا احدثوكم بشئ مما فى كتبكم (آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) (خ) عن ابى هريرة قال كان الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالله وماانزل الينا الآية * قوله عز وجل (وكذلك) اى كما انزلنا اليهم الكتاب (انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعنى مؤمنى اهل الكتاب كعبدالله بن سلام واصحابه (ومن هؤلاء) يعنى اهل مكة (من يؤمن به ومايجحد بآياتنا الا الكافرون) وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلوا) يامحمد (من قبله من كتاب) معناه من كتب اى من قبل ماانزلنا اليك الكتاب (ولاتخطه بيمينك) اى ولاتكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحى (اذا لارتاب المبطلون) معناه لوكنت تكتب اوتقرأ قبل الوحى اليك لارتاب المشركون من اهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين اوينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه انهم اذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذى نجد نعته فى التوراة لايقرأ ولايكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعنى القرآن (فى صدور الذين اوتوا العلم) يعنى المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدون نعته وصفته فى كتبهم (ومايجحد بآياتنا الا الظالمون) يعنى اليهود (وقالوا) يعنى كفار مكة (لولا انزل عليه آية من ربه) اى كما انزل على الانبياء من قبل وقيل اراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح

ومشايعة السر عند التوجه الى الحق مغفورة خطاياهم من التزويرات والمفتريات بنور القدس واوحى الى موسى القلب اسراء القوى الروحانية فى ليل هدو الحواس وسكون القوى النفسانية الى الحضرة الوحدانية والعبور من بحر المادة الهيولانية فلما اتبعهم فرعون النفس فى التلوينات حاشرا جنوده من مدائن طبائع الاعضاء حاذرا من ذهاب رياسته وملكه ممتلئا من غيظ تسلط القلب واتباعه واستيلائه على مملكته واعوانه فكادوا ان يظهروا بهم ضرب موسى القلب بامر الحق عند تقابلهما وتعارضهما بعصا القوة القدسية البحر الهيولانى فانفلق الى الحقوق والحظوظ ونجا موسى وقومه بطريق التجريد واخرج اعداءهم بالمنع عن الحظوظ والاجبار على الحقوق من جنات اللذات النفسانية وعيون اذواقها واهوائها وكنوز مدخراتها واسبابها ومقام كون الى مشتهياتها الى ان خرج موسى واهله من البحر بالمفارقة وغرق فرعون النفس وقومه

مائدة وعيسى ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) اى هو القادر على انزالها ان شاء انزلها (وانما انا نذير مبين) اى انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدى (اولم يكفهم انا انزلنا) هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه آية من ربه قال اولم يكفهم انا انزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لاتضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان فى ذلك) يعنى القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) اى تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لى انى رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما فى السموات والارض) اى هو المطلع على امرى وامركم ويعلم حق وباطلكم لاتخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل (وكفروا بالله) فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثانى لبيان قبح الاول فهو كقول القائل اتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (اولئك هم الخاسرون) اى المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان * قوله عز وجل (ويستعجلونك بالعذاب) نزلت فى النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء (ولولا اجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتك انى لا اعذب قومك ولا استأصلهم واؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعنى العذاب وقيل الاجل (بغتة وهم لايشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب) اعاده تأكيدا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) اى جامعة لهم لايبقى منهم احد الادخلها (يوم يغشاهم العذاب) اى يصيبهم (من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) اى جزاء ما كنتم تعملون * قوله تعالى (ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون) قيل نزلت فى ضعفاء مسلمى اهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم فى ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى ارض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها اى لجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير اذا عملوا فى الارض بالمعاصى فاهربوا منها فان ارضى واسعة وقيل اذا امرتم بالمعاصى فاهربوا فان ارضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان فى بلد يعمل فيه بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد تتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى ان ارضى واسعة اى رزقى لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) اى كل احد ميت خوفهم بالموت لتهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم الينا ترجعون) فيجزيكم باعمالكم * قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) اى علي جمع غرفة وهى العلية (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين) اى لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى (وعلى ربهم يتوكلون) اى يعتمدون على الله فى جميع امورهم * قوله عز وجل

اجمعون (قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون فارسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون اوينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال

(وكأين من دابة لاتحمل رزقها) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المؤمنين الذين كانوا بمكة وقدآذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا لا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكأين من دابة لاتحمل رزقها اى لاترفع رزقها معها لضعفها ولاتدخر شيأ لغد مثل البهائم والطير (الله يرزقها واياكم) حيث كنتم (وهو السميع) اى لاقوالكم (العليم) بما فى قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لوانكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوخماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول النهار جياعا ضامرة البطون وتروح آخر النهار الى اوكارها شباعا ممتلئة البطون ولاتدخر شيأ قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنملة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ليس من شئ يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار الاوقد امرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الاوقد نهيتكم عنه الاوان الروح الامين نفث فى روعى الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولايحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصى الله عزوجل فانه لايدرك ماعند الله الابطاعته ❊ قوله عزوجل (ولئن سألتهم) يعنى كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر امرين احدهما اشارة الى اتحاد الذات والثانى اشارة الى اتحاد الصفات وهى الحركة فى الشمس والقمر (ليقولن الله فانى يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خلق السموات والارض (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (ويقدر له) اى يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شئ عليم) اى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) اى على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالق لهم (بل اكثرهم لايعقلون) اى انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء ❊ قوله تعالى (وماهذه الحياة الدنيا الالهو ولعب) اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لايعنيه ومالايهمه واللعب هو العبث وفى هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) اى الحياة الدائمة الخالدة التى لاموت فيها (لوكانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا الفانى على الباقى ❊ قوله عزوجل (فاذاركبوا فى الفلك) معناه هم على ماوصفوا به من الشرك والعناد فاذاركبوا فى الفلك وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) اى تركوا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم الى البراذاهم يشركون) اى عادوا الى ماكانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان اهل الجاهلية اذاركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح القوها فى البحر وقالوا يارب يارب (ليكفروا بما آتيناهم)

افرأيتم ماكنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولى الارب العالمين كل من عكف على شئ بهواه ويحبه ويتولاه فهو عابد له محجوب به عن ربه موقوف معه عن كماله وذلك عدو والموحد اذا الفسير لايوجد عنده الافى التوهم فالباعث على عبادته الشيطان والغالب على عابده الظلم والعدوان ولايضر غير الحق فى شهوده ولاينفع ولايبصر بنفسه ولايسمع لانه يشهد الحق قائما على كل نفس بما تفعل وابدى الافعال كلها فى حضرة اسمائه منه تصدر كما قال عليه السلام (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين) فهو الخالق والهادى والمطعم والساقى والممرض والشافى والمميت والمحيى ويقرر هذا المعنى قوله انما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم اوينتصرون الى قوله فمالنا من شافعين ولاصديق حميم ولما كان هذا المقام مقام الفناء وذنبه لايكون الابوجود البقية خاف ذنب حاله

اى ليحصدوا نعمة الله فى اجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معنـاه لا فائدة لهم فى الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به فى العـاجلة ولا نصيب لهم فى الآخرة (فسـوف يعلمون) يعنى عاقبة امرهم ففيه تهديد ووعيد * قوله عزوجل (اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعنى العرب يسبى بعضهم بعضـا واهـل مكة آمنون (افبالبـاطل) يعنى الشيطان والاصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسـلام يكفرون (ومن اظلم ممن افـترى على الله كذبا) اى فزعم ان له شريكا فانه منزه عن الشركاء (اوكذب بالحـق) اى بمحمد صـلى الله عليه وسلم والقرآن (لمـا جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين) معناه اما لهذا الكافر المكذب مأوى فى جهنم * قوله عزوجل (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا (لنهدينهم سبلنا) لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيـل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وهى التى توصـل الى رضا الله تعـالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهـل الثغور فان الله تعـالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا باقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا فى طاعتنـا لنهدينهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسـنين) اى بالنصرة والمعونة فى دنيـاهم والمغفرة فى عقبـاهم فى الآخرة وثوابهم الجنة والله اعلم

* (تفسير سورة الروم وهى مكية) *

وستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة وثلاثون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

* قوله عزوجل (الم غلبت الروم فى ادنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارسا كانوا مجوسـا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصر رجالا وجيشا وامر عليهم رجلا يدعى بحنين فالتقيا باذرعات وبصرى وهى ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابى بن خلف الجمحى فقال كذبت فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة اى اراهنك على عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فاذا ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع

ورجا غفرانه منـه بنور ذاته فقال (والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى القيامة الكبرى ولا يجازينى من ظهور البقية بالحرمان ثم سأل الاستقامة فى التحقق به فى مقام البقاء بقوله (رب هب لى حكما والحقنى بالصـالحين) اى حكمة وحكمـا بالحـق لا كون من الذين جعلتهم مبادئ الصلاح العالم وكمال الخلق واجعلنى محبوبا لك فتحبنى بحبك خلقك ابدا فيحصـل لى (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) اذ لا بد لمن يحب شيأ من كثرة ذكره بالخير ذكره اللازم مكان الملزوم (واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) اى الاحال من اتى الله وسلامة القلب بامرين براءته عن نقص الاستعداد فى الفطرة ونزاهته عن حجب صفات النفس فى النشأة (وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون

فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فخرج ابو بكر فلق ابيا فقال لعلك ندمت فقال لاتعال ازايدك فى الخطر واماددك فى الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشى ابى بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال انى اخاف ان تخرج من مكة فاقم لى ضامنا كفيلا فكفله ابنه عبدالله بن ابى بكر فلما اراد ابى بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبدالله بن ابى بكر فلزمه وقال والله لاادعك حتى تعطينى كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد قال ثم رجع ابى بن خاف الى مكة ومات بها من جراحته التى جرحه النبى صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجاء به النبى صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبى صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارسا على ماقال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا اخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لاصحابه لقد رأيت كانى جالس على سرير كسرى فبلغت كلمه كسرى فكتب الى شهرمان اذا اتاك كتابى فابعث الى برأس اخيك فرحان فكتب اليه ايها الملك انك لم تجد مثل فرحان ان له لنكاية وصولة فى العدو فلا تفعل فكتب اليه ان فى رجال فارس خلفا عنه فعجل الى برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى اهل فارس انى قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وامره فيها بقتل شهرمان وقال اذا ولى فرحان الملك وانقاد له اخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة الى فرحان فلما قرأها استدعى باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لاتعجل حتى اكتب وصيتى قال نعم فدعا بسفط ففتحه واعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وانت تريد قتلى بكتاب واحد فرد فرحان الملك الى اخيه شهرمان فكتب الى قيصر ملك الروم اما بعد ان لى اليك حاجة لاتحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقنى فى خمسين روميا حتى القاك فى خمسين فارسيا فاقبل قيصر فى خمسمائة الف رومى وجعل يضع العيون بين يديه فى الطرق مخافة ان يريد أن يمكر به حتى اتاه عيونه فاخبروا انه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان ان الذى خرب بلادك انا واخى بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا واراد ان يقتل اخى فابيت عليه ثم امر اخى بقتلى فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد اصبتما واشار احدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فاديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم فى ادنى الارض يعنى قرب ارض الشام الى فارس وقيل هى اذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) اى فارس لهم (سيغلبون) اى الروم لفارس (فى بضع سنين) البضع مابين الثلاثة

فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح) يمكن ان يؤول كل نبى مذكور فيها بالروح او القلب وتكذيب قومه المرسلين بامتناع القوى النفسانية عن قبول التأدب بآداب الروحانيين والتخلق باخلاق الكاملين وقول النبى (الا تتقون) معناه تجتنبون الرذائل (انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يانوح

الى السبع وقيل الى التسع وقيل مادون العشرة (لله الامر من قبل ومن بعد) اى من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بامر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) اى للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب على اهل الشرك (ينصر من يشاء) اى بيده النصر ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) اى بالمؤمنين * قوله تعالى (وعد الله) اى وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لايخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لايعلمون) اى ان الله لايخلف وعده ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) يعنى امر معاشهم كيف يكسلون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لايخطئ وهو لايحسن يصلى وقيل لايعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولايعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) اى ساهون عنها لايتفكرون فيها ولا يعلمون بها * قوله عز وجل (اولم يتفكروا فى انفسهم ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعنى لاقامة الحق (واجل مسمى) اى لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا فى الارض) اى يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اى ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض) اى حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعنى الامم الخالية (اكثر مما عمروها) يعنى اهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) اى فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) اى بنقص حقوقهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) اى ببخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين اساؤا) اى اساؤا العمل فاستحقوا (السوأى) يعنى الخلة التى تسوءهم وهى النار وقيل السواء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار (ان كذبوا) اى لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيآت على ان كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) * قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) اى خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء (ثم اليه ترجعون) اى فيجزيهم باعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه انهم ييأسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعنى اصنامهم التى عبدوها (شفعؤا) اى يشفعون لهم (وكانوا بشركائهم كافرين) اى جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) اى يتميز اهل الجنة من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار فلا يجتمعون ابدا فهو قوله تعالى (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) اى فى جنة وقيل الروضة البستان الذى هو غاية النضارة (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل فى معنى يحبرون هو السماع فى الجنة قال الاوزاعى ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ فى السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا اخذ فى السماع فلا يبقى فى الجنة شجرة الاوردته وسأل اباهريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة

تكونن من المرجومين
قال رب ان قومى كذبون
فافتح بينى وبينهم فتحا
ونجنى ومن معى من المؤمنين
فانجيناه ومن معه فى الفلك
المشحون ثم اغرقنا بعد
الباقين ان فى ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت عاد المرسلين اذ قال
لهم اخوهم هود الا تتقون
انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجرى الا على رب العالمين
اتبنون بكل ريع آية
تعبثون وتتخذون مصانع
لعلكم تخلدون واذا بطشتم
بطشتم جبارين فاتقوا الله
واطيعون واتقوا الذى
امدكم بما تعلمون امدكم بانعام
وبنين وجنات وعيون انى
اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم قالوا سواء علينا
او عظت ام لم تكن من
الواعظين ان هذا الا خلق
الاولين ومانحن بمعذبين
فكذبوه فاهلكناهم ان
فى ذلك لآية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت
ثمود المرسلين اذ قال لهم
اخوهم صالح الا تتقون انى
لكم رسول امين فاتقوا الله

اصلها من ذهب واغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيجاوب بعضها بعضا لم يسمع احد احسن منه (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اى البعث يوم القيامة (فاولئك فى العذاب محضرون) ❊ قوله تعالى (فسبحان الله) يعنى فسبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) اى تدخلون فى المساء وهى صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) اى تدخلون فى الصباح وهى صلاة الصبح (وله الحمد فى السموات والارض) قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له (وعشيا) اى وصلوا لله عشيا يعنى صلاة العصر (وحين تظهرون) اى تدخلون فى الظهيرة وهى صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان افضل الاعمال ادومها والانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة فى غالب الاوقات وامر بها فى اول النهار ووسطه وآخره وفى اول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتى الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقى الركعات وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتى الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس فى اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات فى جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته فى التسبيح والعبادة

❊ (فصل فى فضل التسبيح) ❊ عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال اوزاد عليه اخرجهما الترمذى وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث اخرجه فى صحيح البخارى (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهى فى مسجدها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال مازلت فى مجلسك هذا مذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن ابى وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب كل يوم الف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتسب الف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف خطيئة وفى رواية غير مسلم يحط عنه اربعين الفا ❊ قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) اى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيى الارض بعد موتها) اى بالمطر واخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) اى مثل اخراج النبات

والمطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) اؤدى اليكم ما تلقفت من الحق من الحكم والمعانى اليقينية غير مخلوطة بالوهميات والتخيلات (فاتقوا الله) فى التجريد والتزكية (واطيعون) فى التنور والتحلية (ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الابشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر) مما عندكم من اللذات والمدركات الجزئية فانى غنى عنها

من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته ان خلقكم من تراب) اى خلق اصلكم وهو آدم من تراب (ثم اذا انتم بشر تنتشرون) اى تنبسطون فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا) اى جنسكم من بنى آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا اليها) اى لتميلوا للازواج وتألفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) اى جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وماشئ احب الى احدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) اى فى عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) اى اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس النطق واشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت احد صوت الآخر (والوانكم) اى اسود وابيض واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد ومن اصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف اى ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس وتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفى ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) اى لعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) اى منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب اسباب المعيشة بالنهار (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) اى سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) اى للمسافر ليستعد للمطر (وطمعا) اى للمقيم ليستعد المحتاج اليه من اجل الزرع وتسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) اى قدرة الله وانه القادر عليه (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل بدوم قيامهما بامره (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا انتم تخرجون) اى منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون من الارض (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) اى مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون فى الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا فى العادة (وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده) اى يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو اهون عليه) اى هو هين عليه وما من شئ عليه بعزيز وقيل معناه وهو ايسر عليه فان الذى يقع فى عقول الناس ان الاعادة تكون اهون من الانشاء وقيل هو اهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) اى الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثله شئ وقيل هو الذى لا اله الا هو (فى السموات والارض وهو) اى فى ملكه (العزيز الحكيم) اى فى خلقه * قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) اى بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل (من انفسكم)

(ان اجرى الا على رب العالمين) بالقاء المعانى والحكم الكلية واشراق الانوار القدسية (اتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين رب نجنى واهلى مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء

ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكت ايمانكم) اى عبيدكم واماءكم (من شركاء فيما رزقناكم) اى من المال (فانتم فيه سواء) اى هل يشارككم عبيدكم فى اموالكم التى اعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم انفسكم) اى تخافون ان يشاركوكم فى اموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر فى المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامره دون شريكه ويخاف الرجل شريكه فى الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضوه لانفسكم فكيف ترضون ان تكون آلهتكم التى يعبدونها شركائى وهم عبيدى (كذلك نفصل الآيات) اى الدلالات والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) اى ينظرون فى هذه الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعنى اشركوا بالله (اهواءهم) اى فى الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم فمن يهدى من اضل الله) اى عن طريق الهدى (ومالهم من ناصرين) اى مانعين يمنعونهم من عذاب الله * قوله تعالى (فاقم وجهك للدين) يعنى اخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه مايتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده * قوله تعالى (حنيفا) اى مائلا اليه مستقيما عليه (فطرت الله) اى دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التى فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخارى فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة اقرؤا فطرت الله الآية ولهما فى رواية قالوا يارسول الله افرأيت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله مامن مولود يولد الا على الفطرة يعنى على العهد الذى اخذ الله عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى فكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى الى قوله فابواه يهودانه او ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطرى فانه محكوم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر يقول الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال فى معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اى خلقته التى خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى مافطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود فى مبدا الخلقة على الفطرة اى على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لاولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل الى اديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء اى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ وقوله هل تحسون

(فيها)

ان كنت من الصادقين قال ربى اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون مااغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) لان تنزلهم لا يكون الا عند استعداد قبول النفوس لنزولها بالمناسبة فى الخبث والكيد والمكر والغدر

فيها من جدعاء يعني هل تشعرون او تعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الاذن اوالانف * قوله عزوجل (لاتبديل لخلق الله) اى لاتبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولاتبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لاتبديل لخلق الله هو ماجبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلايصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل الآية في تحريم اخصاء البهائم (ذلك الدين القيم) اى المستقيم (ولكن اكثر الناس لايعلمون) * قوله عزوجل (منيبين اليه) اى فاقم وجهك انت وامتك منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة (واتقوه) اى ومع ذلك خافوه (واقيموا الصلاة) اى داوموا على ادائها في اوقاتها (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) اى صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم اهل البدع من هذه الامة (كل حزب بما لديهم فرحون) اى راضون بما عندهم * قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) اى قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين اليه) اى مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا اذاقهم منه رحمة) اى خصبا ونعمة (اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) اى ليجحدوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) اى حالكم في هذه الآخرة (ام انزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا (فهو يتكلم) اى ينطق (بما كانوا به يشركون) اى بشركهم ويأمرهم به (واذا اذقنا الناس رحمة) اى الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) اى فرحوا وبطروا (وان تصبهم سيئة) اى جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت ايديهم) من السيآت (اذاهم يقنطون) اى ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره * قوله عزوجل (فآت ذا القربى حقه) اى من البر والصلة (والمسكين) اى حقه وهو التصدق عليه (وابن السبيل) اى المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) اى يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (واولئك هم المفلحون) * قوله عزوجل (وما آتيتم) اى اعطيتم (من ربا ليربو في اموال الناس) اى في اجتلاب اموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه اكثر منها فهو جائز حلال ولكن لايثاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلا يربو عند الله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى ولاتمنن تستكثر اى لاتعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه اوقريبه ليكثر ماله لايريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيحصل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يربوا عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتم من زكوة) اى اعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله) اى بتلك الصدقة (فاولئك هم المضعفون) اى يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات * قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) اى

والخيانة وسائر الرذائل فان مدركات الشياطين من قبيل الوهميات والخياليات فمن تجرد صفات النفس وترقى عن افق الوهم الى جناب القدس وتنورت نفسه بالانوار الروحية اومصابيح الشهب السبوحية واشرق عقله لاتصال بالعقل الفعال وتلقى المعارف والحقائق في العالم الاعلى ماينبغي و لايمكن للشياطين ولا ان يتلقفوا المعارف والحقائق والمعاني الكلية و الشرائع فانهم معزولون عن جناب سماء الروح واستماع كلام الملكوت الاعلى مرجومون بشهب الانوار القدسية والبراهين العقلية لان طور الوهم لايترقى عن افق القلب ومقام الصدر ولايتجاوز الى السر فكيف الى حد من هو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى (فلاتدع مع الله الها آخر) اى لاتلتفت الى وجود الغير بظهور النفس ولاتحجب في الدعوة بالكثرة عن الوحدة (فتكون من المعذبين) بالقاء الشياطين وان امتنع تنزلهم بالموافقة والمراقبة كقوله القى الشيطان في امنيته فانه

بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمى المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلو اجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح افواهها فما وقع فيها المطر صار لؤلؤا (بما كسبت ايدي الناس) اى بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل احد بني آدم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لاياتي ابن آدم شجرة الاوجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لايقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) اى عقوبة الذي عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) اى عن الكفر واعمالهم الخبيثة (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) اى لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية (كان اكثرهم مشركين) اى فاهلكوا بكفرهم * قوله عزوجل (فاقم وجهك للدين القيم) اى لدين الاسلام (من قبل ان يأتي يوم لامرد له من الله) يعني يوم القيامة لايقدر احد على رده من الخالق (يومئذ يصدعون) اى يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) اى وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) اى يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا اكثر من اعمالهم (انه لايحب الكافرين) فيه تهديد ووعيد لهم * قوله تعالى (ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات) اى تبشر بالمطر (وليذيقكم من رحمته) اى بالمطر وهو الخصب (ولتجري الفلك) اى بهذه الرياح (بامره ولتبتغوا من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) اى هذه النعم * قوله تعالى (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) اى بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانتقمنا من الذين اجرموا) يعني اهلكنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اى مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء * عن ابي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن مسلم يرد عن عرض اخيه الاكان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن * قوله عزوجل (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) اى تنشره (فيبسطه في السماء كيف يشاء) يعني مسيرة يوم او يومين او اكثر على مايشاء (ويجعله كسفا) اى قطعا متفرقة (فترى الودق) اى المطر (يخرج من خلاله) اى من وسطه (فاذا اصاب به) اى بالودق (من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون) اى يفرحون بالمطر (وان كانوا) اى وقد كانوا (من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين) اى آيسين (فانظر الى آثار رحمت الله) اى المطر والمعنى انظر الى حسن

لايأمن في الانذار والنزول الى مبالغ عقول المنذرين ونفوسهم القاهم وان امن تنزلهم ومصاحبتهم واغواءهم عند التلاق (وانذر عشيرتك الاقربين) من الذين يقارب استعدادهم استعدادك ويناسب حالهم بحسب الفطرة حالك اذ القبول لايكون الا بجنسية ما في النفس وقرب في الروح (واخفض جناحك لمن) لمن بالنزول الى مرتبة من (اتبعك من المؤمنين) لتخاطبه بلسانه ليفهم وترقيه عن مقامه فيصعدوا الا لم يمكنهم متابعتك (فان عصوك فقل اني برئ مما تعملون) لاستحكام الرين وتكاثف الحجاب تبرأ عن حولهم وقوتهم وحولك وقوتك بالتوكل والفناء في افعاله تعالى فانهم واياك لايقتدرون على مالم يشاالله ولايكون الاما يريد وشاهد في توكلك وفنائك عن افعالك مصادر افعاله عن العزة التي يقهربها من يشاء من العصاة فيحجبهم ويمنعهم من الايمان والرحمة التي يرحم بها ويفيض النور على من يشاء من اهل الهداية فانه يحجب المحجوبين بقهره وجلاله

تأثيره فى الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى) يعنى ان الذى احيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى (وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا) اى الزرع بعد الخضرة (لظلوا من بعده) اى من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) اى يجحدون ماسلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتى (فانك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) تقدم تفسيره قوله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف) اى بدأكم وانشأكم على ضعف وقيل من ماء ذى ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه احوال غاية الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) اى من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) اى هرما (وشيبة) وهو تمام النقصان (يخلق مايشاء) اى من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من افعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على مايشاء * قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) اى يحلف المشركون (مالبثوا) اى فى الدنيا (غير ساعة) معناه انهم استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه مالبثوا فى قبورهم غير ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) اى يصرفون عن الحق فى الدنيا وذلك انهم كذبوا فى قولهم مالبثوا غير ساعة كما كذبوا فى الدنيا ان لا يبعثوا والمعنى ان الله اراد ان يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره * ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث) اى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه من اللبث فى القبور وقيل معنى الآية وقال الذين اوتوا العلم فى كتاب الله والايمان يعنى الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث اى فى قبوركم (فهذا يوم البعث) اى الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا (ولكنكم كنتم لاتعلمون) اى بوقوعه فى الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون) اى لاتطلب منهم العتبى والرجوع فى الآخرة وقيل لاتطلب منهم التوبة التى تزيل الجريمة لانها لاتقبل منهم * قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الامبطلون) يعنى ماانتم الاعلى باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت مامعنى توحيد الخطاب فى قوله ولئن جئتهم والجمع فى قوله ان انتم الامبطلون قلت فيه لطيفة وهى ان الله تعالى قال ولئن جئتهم كل آية جاءت بها الرسل ويمكن ان يقال معناه انكم كلكم ايها الرسل مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) اى توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) اى فى نصرك واظهارك على عدوك (ولايستخفنك) اى لايحملنك على الجهل وقيل لايستخفن رأيك (الذين لايوقنون) اى بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

(تفسير سورة لقمان وهى مكية)

واربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة احرف

ويهدى المهتدين بلطفه وجماله وليس لك من الامر شيء انك لاتهتدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء (وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك) ويحضرك ويحفظك (حين تقوم) فى النشأة فى القيامة الصغرى والفطرة فى الوسطى بالوحدة حين الاستقامة فى الكبرى (وتقلبك فى الساجدين) انقلابك وانتقالك فى الطوار القانتين فى افعاله تعالى وصفاته وذاته بالنفس والقلب والروح فى زمرتهم وقبل النشأة الاولى فى اصلاب آبائك الانبياء القانتين فى الله منها (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) لما تعلمه فيعلم انه ليس من كلام الشياطين والقائهم (هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالايفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) تقرير لقوله تعالى وماينبغى لهم ومايستطيعون لان الافك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عزوجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) اى الذين يعلمون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) * قوله تعالى (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) الآية قيل نزلت فى النضر بن الحرث بن كلدة وكان يتجر فيأتى الحيرة ويشترى اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنين ومعنى الآية ومن الناس من يشترى ذات لهو اوذا لهو الحديث وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفى مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ومامن رجل يرفع صوته بالغناء الابعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذى يسكت أخرجه الترمذى وهذا لفظه عن ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام وفى مثل هذا نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال ابو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعى الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) اى دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) اى يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) اى يتخذ آيات الله مزحا (أولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) اى لا يعبأ بها ولا يرفع لها رأسا (كأن لم يسمعها) اى يشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن فى أذنيه وقرا) اى ثقلا ولا وقر فيهما (فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا) يعنى وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد (وهو العزيز الحكيم) * قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصفحة مستوية وهو قول المفسرين وهى فى الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء فى بعضه دون بعض ليس ذلك الابقدرة قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) اى ليس لها شئ يمنعها الزوال من موضعها وهى ثابتة لا تزول وليس ذلك الابقدرة الله تعالى وفى قوله ترونها وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أى ليست هى بعمد وانتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثانى انه راجع الى العمد ومعناه

والاثم من لوازم النفوس الكدرة الخبيثة المظلمة السفلية المستمدة من الشياطين بالمناسبة المستدعية لالقائهم وتنزلهم بحسب الجنسية ومن جملتهم الشعراء الذين يركبون الخيلات والمزخرفات من القياسات الشعرية والاكاذيب الباطلة سواء كانت موزونة ام لا فيتبعهم الغاوون الضالون فى ذلك ويأخذون منهم التزويرات والمفتريات دون الذين ينظمون المعارف والحقائق والآداب والمواعظ والاخلاق والفضائل وما ينفع الناس ويفيد ويهيج اشواقهم فى الطلب ويزيد والله اعلم

* (سورة النمل) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس) اى تلك الصفات العظيمة المذكورة فى طسم التى اصلها الطهارة من صفات النفس وسلامة الاستعداد فى الاصل من النقص هى (آيات القرآن وكتاب مبين) اى العقل القرآنى وهو الاستعداد المحدى الجامع لجميع الكمالات بالمنافاذا ظهرت وبرزت الى الفعل فى القيامة الكبرى كانت فرقانا وقوله (هدى وبشرى) قائم مقام (م) فى طسم لان

بغيرعمد مرئية (والقى فى الارض روسى ان تميد بكم) اى لئلا تتحرك بكم (وبث فيها) اى فى الارض (من كل دابة) اى يسكنون فيها (وانزلنا من السماء ماء) يعنى المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) اى من كل صنف حسن (هذا) يعنى الذى ذكرت مما تعاينون (خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه) اى آلهتكم التى تعبدونها (بل الظالمون فى ضلال مبين) * قوله عزوجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعوراء بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت ايوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا فى بنى اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الاعكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف الليل فنودى يالقمان هل لك ان يجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة وانى أعلم ان الله ان فعل بى ذلك اعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يالقمان قال ان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالحرى ان ينجو وان اخطأ الطريق اخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى فى الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود بحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلانا الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنينى وقيل كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشى رابعهم اوتى الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة فى الامور وقيل الحكمة شئ يجعله الله فى القلب ينوره كما نور البصر فيدرك المبصر * وقوله (ان اشكر لله) وذلك لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) اى عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فان الله غنى) اى غير محتاج الى شكر الشاكرين (حميد) اى هو حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد * قوله تعالى (واذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه انعم وقيل اشكم (وهو يعظه) وذلك لان اعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله اشارة الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ فى وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة فى غير موضعها * قوله عزوجل (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف (وفصاله فى عامين) اى

الهداية الى الحق والبشارة بالوصول لا يكونان الا بعد الكمال العلمى اذ الهداية للغير التى هى التكميل ملزومة العلم الذى هو الكمال فحصل الاكتفاء بها عنه وهما حالان معمولان لتلك المشار بها الى الصفات المذكورة فى طسم كما ذكر اى هاديا ومبشرا (للمؤمنين) اى الموقنين بعلم التوحيد (الذين يقيمون الصلوة) صلاة الحضور والمراقبة (ويؤتون الزكوة) عن صفات النفوس اى يزكون بالتجريد والمجاهد (وهم بالآخرة) اى مقام المشاهدة (هم يوقنون) يعنى فى حال المكاشفة يوقنون بالمعاينة والرسول يهديهم اليها ويبشرهم بجنة الذات والفوز الاعظم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم) من المحجوبين تزين نفوسهم بكمالاتها وهيآت اعمالها (فهم يعمهون) بصائرهم عن ادراك صفات الحق وتجليات انوارها والا لم يحجبوا بصفاتهم وافعالهم بل فنوا عنها (اولئك الذين لهم سوء العذاب) بنيران الحجاب والحرمان عن لذات تجليات الصفات

فطامه فى سنتين (ان اشكرلى ولوالديك الى المصير) لما جعل الله بفضله الوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربى فى الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكرلى ولوالديك ثم فرق فقال الى المصير يعنى ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتى عليك فى الدنيا والآخرة وقيل للامر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الى قال سفيان بن عيينة فى هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى ادبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما) قال النخعى يعنى ان طاعتهما واجبة فان افضى ذلك الى الاشراك بى فلا تطعهما فى ذلك لانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) اى بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من اناب الى) اى اتبع دين من اقبل الى طاعتى وهو النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من اناب الى يعنى ابابكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبدالرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابى بكر (ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل) وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى احد كيف يعلمها الله قال يابنى انها اى الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل اى فى الصغر (فتكن) اى مع صغرها (فى صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهى التى يكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت فى الماء والماء على صفاة والصفاة على ظهر ثور وهو على صخرة وهى التى ذكر لقمان ليست فى الارض ولا فى السماء فلذلك قال (او فى السموات او فى الارض) والصخرة على متن الريح والريح على القدرة (يأت بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله (ان الله لطيف) اى باستخراجها (خبير) اى بمكانها ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات (يابنى اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك) من الاذى (ان ذلك من عزم الامور) يعنى اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التى امر الله بها (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خدك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذى اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن الفقير والغنى عندك سواء (ولا تمش فى الارض مرحا) اى خيلا (ان الله لا يحب كل مختال) فى مشيه (فخور) اى على الناس (واقصد فى مشيك) اى ليكن فى مشيتك قصد بين الاسراع والتأنى اما الاسراع فهو من الخيلاء واما التأنى فهو ان يرى فى نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار (واغضض) اى اخفض وقيل انقص (من صوتك ان انكر) اى اقبح (الاصوات لصوت الحمير) لان اوله زفير وآخره شهيق وهما صوت اهل النار وعن الثورى فى هذه الاية قال صياح كل شئ تسبيح الا الحمار وقيل معنى

(وهم فى الآخره) ومقام كشف الذات فى القيامة الكبرى (هم الاخسرون) لتكاثف حجابهم بصفاتهم وذواتهم فلا خلاق لهم من الجهتين وذاتهما (وانك لتلقى القرآن) اى العقل القرآنى (من لدن) اى من عين جمع الوحدة فى الصفات الاول الذى لا حجاب بينه وبين الحضرة الاحدية بل هو نفسه الحجاب الاقدس المفيض لكل الاستعدادات من العقول الفرقانية على اربابها من الاعيان الثابتة الانسانية (حكيم عليم) ذى حكمة بالغة تامة وعلم محيط شامل (اذ قال موسى) اذكر من جملة علوم الحق وحكمه وقت قول موسى القلب (لاهله) من النفس والحواس الظاهرة والباطنة (امكثوا) واثبتوا ولا تشوشوا وقتى بالحركات (انى آنست) بعين البصيرة (نارا) اى نار وما اعظمها هى نار العقل الفعال (سآتيكم منها بخبر) اى علم بالطريقة الى الله وكان حاله انه ضل الطريقة الى الله برعاية اغنام القوى البهيمية وزوجه النفس الحيوانية (او آتيكم بشهاب

الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر الف باب من الحكمة ادخلها الناس فى كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتنى بأطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه اخرى وقال له اذبحها وائتنى باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فساله مولاه فقال ليس شئ اطيب منهما اذا خبثا قال اذا طابا ولا اخبث منهما لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان اى الناس شر قال الذى لا يبالى ان يراه الناس مسيأ * قوله عز وجل (الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض واسبغ) اى اتم واكمل (عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وامية بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وفى صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) قال الله تعالى (او لو كان الشيطان يدعوهم) معناه افيتبعونهم ان كان الشيطان يدعوهم (الى عذاب السعير) * قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه الى الله) اى يخلص لله دينه ويفوض اليه امره (وهو محسن) اى فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخاف هدمه ولا يخاف انقطاعه ويرتقى بسببه الى اعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) اى مصير جميع الاشياء اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) اى لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم * قوله تعالى (نمتعهم قليلا) اى نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم (ثم نضطرهم) اى نلجئهم ونردهم (الى عذاب غليظ) الى النار فى الآخرة (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله مافى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد) تقدم تفسيره * قوله تعالى (ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسئلونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا اتعنينا ام قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة فيها علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى علم الله قليل وقد اتاكم الله بما ان عملتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فانزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود امروا وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتى به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله تعالى ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام اى بريت اقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم (والبحر يمده) اى يزيده وينصب اليه (من بعده سبعة ابحر) اى مدادا والخلائق يكتبون به كلام الله (ما نفدت كلمات الله) لانها لا نهاية

قبس) اى بشعلة نورية تشرق عليكم حين اتصالى بالنار وتورى بها (لعلكم تصطلون) عن برد الركون الى البدن والسكون اليه وهوى لذاته فتشتاقوا بحركة تلك النار الى جناتى وتسيرون بصحبتى الى مقام الصدر (فلما جاءها نودى ان بورك) اى كثر خير (من فى النار) اى هو موسى القلب الواصل الى النار بتجليات الصفات الالهية ووجدان الكمالات الحقيقية ومقام المكالمة عن النبوة (ومن حولها) من القوى الروحانية والملائكة السماوية بانوار المكاشفة واسرار العلوم والحكم والتأييدات القدسية والاحوال السرية والذوقية (وسبحان الله رب العالمين) ونزه ذات الله بتجردك عن الصفات النفسانية والغواشى الجسدانية والنقائص والمعائب (ياموسى انه انا الله العزيز) القوى الذى قهر نفسك وكل شئ بالفناء فيه (الحكيم) الذى علمك الحكمة وهداك بها الى مقام المكالمة (والق عصاك) عصا نفسك القدسية المؤتلفة بشعاع القدس اى خلفا عن الضبط بالرياضة

لهــا (ان الله عزيز حكيم) * قوله تعالى (ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة) اى الا كخلق نفس واحدة وبعثها لايتعذر عليه شئ (ان الله سميع) اى لاقوالكم (بصير) باعمالكم (الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) اى ذلك الذى هو قادر على هذه الاشياء التى ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وان مايدعون من دونه الباطل) اى لايستحق العبادة (وان الله هو العلى) اى فى صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) فى ذاته لانه اكبر من كل كبير * قوله تعالى (الم تر ان الفلك) اى السفن والمراكب (تجرى فى البحر بنعمت الله) اى ذلك من نعمة الله عليكم (ليريكم من آياته) اى من عجائب صنعه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) اى على ماامر الله (شكور) لانعامه (واذا غشيهم موج كالظلل) اى كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج فى كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع فى شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ماسواه فاذا نجا من تلك الشدة فنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم الى البر فنهم مقتصد) اى عدل موف فى البر بما عاهد عليه الله فى البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت فى عكرمة بن ابى جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن انجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يده فى يدى فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (ومايجحد بآياتنا الا كل ختار) اى غدار (كفور) اى جحود لانعمنا عليه * قوله تعالى (ياايها الناس اتقوا ربكم) اى خافوا ربكم (واخشوا) اى وخافوا (يوما لايجزى) اى لايقضى ولايغنى (والد عن ولده ولامولود هو جازعن والده شيأ) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين فى غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزى عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزى عن والده لما له من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسى نفسى ولايهتم بقريب ولابعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لايجزى والد عن ولده فى ذلك اليوم والقول الاول أحسن واظهر (فلاتغرنكم الحيوة الدنيا) اى لانها فانية (ولايغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويتمنى المغفرة * قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت فى الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من اهل البادية اتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا اجدبت فقل لى متى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبلى فتى تلد ولقد علمت اين ولدت فبأى ارض اموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى ارض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلايدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى اى سنة اواى يوم ليلا

وارسلها ولاتمنعها من الحركة فانها تنورت (فلما رآها تهتز) تضطرب وتتحرك (كانها جان) حية غالبة بالظهور (ولى) الى جناب الحق (مدبرا) خوف ظهور النفس (ولم يعقب ياموسى) اى لم يرجع وبقى مشتغلا بتدارك العقبة (لاتخف) من استيلاء النفس وظهور الحجاب فان النفس اذا حييت بعد موتها بالارادة وفنائها بالرياضة ان استقلت بنفسها واستبدت بامر كانت حجابا وابتلاء واذا تحركت بامرى حية بنور الروح والصفة الحقانية لابهواها لم تكن حجابا (انى لايخاف لدى المرسلون) الذين ارسلتهم بالبقاء بعد الفناء واحييت نفوسهم بحياتى (الا من ظلم) بظهور النفس قبل وقت الاستقامة واستحكام مقام البقاء فانه ذنب حاله تجب عنه التوبة بالاستغفار والخوف بالابتلاء (ثم بدل حسنا) بالخوف والتدارك بقمعها والالتجاء الى جناب الحق من شرها (بعد سوء) آية صفة ظهرت بها من صفاتها (فانى غفور) استر بنورى ظلمتها (رحيم) ارحم بعد الغفران بصفتى

اونهارا (وينزل الغيث) فلا يعلم احد متى ينزل الغيث ليلا اونهارا الا الله (ويعلم مافى الارحام) اذكر ام انثى احمر ام اسود تام الخلقة ام ناقص (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير اوشر (وماتدرى نفس باى ارض تموت) اى ليس احد من الناس يعلم اين مضجعه من الارض فى بر او بحر فى سهل اوجبل (ان الله عليم) اى بهذه الاشياء وبغيرها (خبير) اى ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لايعلمها ملك مقرب ولانبى مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيأ من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة السجدة وهى مكية)

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله افمن كان مؤمنا وهى تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لاريب فيه) اى لاشك فيه انه (من رب العالمين ام يقولون) اى بل يقولون يعنى المشركين (افتراه) يعنى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) اى القرآن (من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) يعنى العرب كانوا امة امية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التى لايدرك علمها الامن جهة الرسل فلا واما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعم لان معهم ادلة العقل الموصلة الى ذلك فى كل زمان (لعلهم يهتدون) يعنى تنذرهم راجيا اهتداءهم (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع افلاتتذكرون) تقدم تفسيره * قوله تعالى (يدبر الامر) اى يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يعرج) اى يصعد (اليه) جبريل بالامر (فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) يعنى مسافة مابين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء فى مقدار الف سنة لوساره احد من بنى آدم وجبريل ينزل ويصعد فى مقدار يوم من ايام الدنيا واقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم اجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة ايام الدنيا ثم يعرج اليه اى يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع امر الآمر وحكم الحاكم فى يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال فى موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فكيف الجمع بينهما قلت اراد بقوله خمسين الف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التى هى مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة فى يوم واحد من ايام الدنيا وقيل كلها فى القيامة فيكون على بعضهم مثل الف سنة وعلى بعضهم خمسين الف سنة وهذا فى حال الكفار واما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء فى الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا قال ابراهيم

القائمة صفتها الظاهرة هى بها (وادخل يدك) العاقلة العلية (فى جيبك) تحت لباس النفس متصلة بالقلب فى ابطك الايسر موضع الصدر (تخرج بيضاء) نورانية ذات قدرة (من غير سوء) اى التلون والظهور بصفة من صفاتها بل بالتنور بالنور (فى تسع آيات) اى اذهب بها بين الآيتين بين النفس القدسية والعاقلة العلية الحية احداهما بحياة القلب والمتنورة ثانيهما بنوره فى جملة تسع آيات هما ثنتان منها والباقية هى السبع المشار اليها فى قول المتكلمين بالقدماء السبعة وهى الصفات الالهية التى تجلى بها الحق تعالى على القلب فقامت مقام صفاته وهى الحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والتكلم الى فرعون) النفس الامارة بالسوء المحجوبة بالانانية (وقومه) من قواها كلما ظهرت بتفرعنها على اية صفة فى اى مظهر ظهرت وايما وجدت اذهب بهذه الصفات (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن دين الحق وطاعته بدين الهوى مكربين

التى لايكون على المؤمنين الا كما يكون مابين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن ابى مليكة دخلت انا وعبدالله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فساله ابن فيروز عن هذه الاية وعن مقدار خمسين الف سنة فقال ابن عباس رضى الله عنهما ايام سماها الله تعالى لاادرى ماهى واكره ان اقول فى كتاب الله مالا اعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعنى الذى صنع ماذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة اى ماغاب عن خلقه لاتخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ماحضر وظهر (العزيز) اى الممتنع المنتقم من اعدائه (الرحيم) باوليائه واهل طاعته * قوله تعالى (الذى احسن كل شئ خلقه) قال ابن عباس اتقنه واحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شئ وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل فى صورته حسن فى شكله وكل عضو من اعضائه مقدر على مايصلح به معاشه وقيل معناه الهم خلقه مايحتاجون اليه وعلمهم اياه وقيل معناه احسن الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعنى آدم (ثم جعل نسله) يعنى ذريته (من سلالة) اى من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) اى ضعيف (ثم سواه) اى سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) اضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر مايترتب على نفخ الروح فى الجسد فقال (وجعل لكم) اى خلق بعد ان كنتم نطفا مواتا (السمع والابصار والافئدة) قيل قدم السمع لان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه فى ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام من اى جهة كان (قليلا ماتشكرون) يعنى انكم لاتشكرون رب هذه النعمة فتوحدوه الا قليلا * قوله تعالى (وقالوا) يعنى منكرى البعث (أئذا ضللنا) هلكنا (فى الارض) والمعنى صرنا ترابا (أئنا لفى خلق جديد) استفهام انكارى قال الله تعالى (بل هم بلقاء ربهم كافرون) اى بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) اى يقبض ارواحكم حتى لايبقى احد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذى وكل بكم) اى انه لايغفل عنكم واذا جاء اجل احدكم لايؤخر ساعة ولاشغل له الاذلك روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ماأحب من غير مشوقة فهو يقبض ارواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت مابين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ مابين المشرق والمغرب وهى تصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى اجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله (ثم الى ربكم ترجعون) اى تصيرون الى ربكم احياء فيجزيكم باعمالكم * قوله عزوجل (ولو ترى اذ المجرمون) اى المشركون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) اى يطأطؤنها حياء من ربهم وندما على مافعلوا عند ربهم يقولون (ربنا ابصرنا) اى ماكنا به مكذبين (وسمعنا) يعنى منك تصديق ما أتيناه رسلك وقيل ابصرنا معاصينا

توحيد بظهورهم (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين) منه نورانية غيروا فيها (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم) ظهورهم بصفاتها ومخالفتها ظلما وعلوا) وان استيقنتها انفسهم من طريق العلم العقل لتفرعنها وتعودها الاستعلاء وعدم ملكية العدل (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) عاقبتهم من الغرق فى يم القطران فسادهم فى ارض البدن بالطغيان (ولقد آتينا داود الروح (وسليمان) القلب علما) واتصفا بالصفات الربانية العامة وذلك قولهما (وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان) القلب (داود) الروح الملك بالسياسة والنبوة بالهداية (وقال يا أيها الناس) اى نادى القوى البدنية وقت الرياسة عليها وقال (علمنا منطق الطير) القوى الروحانية (واوتينا من كل شئ) من المدركات الكلية والجزئية والكمالات الكسبية والعطائية (ان هذا لهو الفضل المبين) اى الكمال الظاهر الراجح صاحبه على غيره (وحشر

وسمعنا ماقيل فيها (فارجعنا) اى فارددنا الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) اى فى الحال آمنا ولكن لاينفع ذلك الايمان (ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها) اى رشدها وتوفيقها للايمان (ولكن حق القول منى) اى وجب القول منى (لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) اى من كفار الجن والانس (فذوقوا) اى فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) اى تركتم الايمان فى الدنيا (هذا انانسيناكم) اى تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناسى قطعا لرجائكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) اى من الكفر والتكذيب * قوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) اى وعظوا بها (خروا سجدا) اى سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) اى صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لايستكبرون) اى عن الايمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التى فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى مايجد احدنا مكانا لوضع جبهته فى غير وقت الصلاة (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلتا امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فابيت فلى النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ والمستمع * قوله تعالى (تتجافى جنوبهم) اى ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذى يضطجع عليه يعنى الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلى المغرب فلانرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح وفى رواية ابى داود عنه قال كانوا يتنفلون مابين المغرب والعشاء اى يصلون وهو قول ابى حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هى صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لاينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر فى جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله اخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لويعلمون مافى العتمة والصبح لاتوهما ولوحبوا واشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعى وجماعة

* (فصل فى فضل قيام الليل والحث عليه) * عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة فاصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يارسول الله اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبدالله ولاتشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة

لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من جن القوى الوهمية والخيالية ودواعيها وانس الحواس الظاهرة وطير القوى الروحانية بتسخيره ريح الهوى وتسليطه عليها بحكم العقل العملى جالسا على كرسى الصدر موضوعا على رفرف المزاج المعتدل (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم ويوقفون على مقتضى الرأى العقلى لايتقدم بعضهم بالافراط ولايتأخر البعض بالتفريط (حتى اذا اتوا على وادى النمل) اى نمل الحرص فى جمع المال والاسباب فى السير على طريق الحكمة العملية وقطع الملكات الردية (قالت نملة) هى ملكة الشره ملكة دواعى الحرص وكانت على ماقيل عرجاء لكسر العاقلة رجلها ومنعها بمخالفة طبعها عن مقتضاه من سرعة سيرها (ياأيها النمل) اى الدواعى الحرصية الفائتة الحصر (ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون) اى اختبؤا فى مقاركم ومحالكم ومباديكم لايكسرنكم القلب والقوى الروحانية بالاماتة والافناء

وهذا هو السير الحكمى باكتساب الملكات الفاضلة وتعديل الاخلاق والالما بقيت للغلة الكبرى ولصغارها عين ولااثر فى الفناء بتجليات الصفات (فتبسم ضاحكا من قولها) اى استبشر بزوال الملكات الرديئة وحصول الملكات الفاضلة ودعا ربه بالتوفيق لشكر هذه النعمة التى انعم بها عليه بالاتصاف بصفاته وافعاله والفناء عن افعال نفسه وصفاتها وعلى والديه اى الروح والنفس بكمال الاول وتنوره وقبول الثانية وتأثرها بقوله (قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه) بالاستقامة فى القيام بحقوق تجليات صفاتك والعبادات القلبية لوجهك ونور ذاتك (وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) اى بكمال ذاتك فى زمرة الكمل الذين هم سبب صلاح العالم وكمال الخلق (وتفقد الطير) حال طير القوى الروحانية ففقد هدهد القوة المفكرة اذا كانت فى طاعة الوهم كانت مخيلة والمفكرة غائبة بل معدومة ولاتكون مفكرة الااذا

سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك امك يامعاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم اوقال على مناخرهم الاحصائد السنتهم اخرجه الترمذى عن ابى امامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيآت ومنهاة عن الآثام ومطردة الداء عن الجسد اخرجه الترمذى ✽ عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن اوطائه ولحافه من بين جنبيه واهله الى صلاته فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدى ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه واهله الى صلاته رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى ورجل غزا فى سبيل الله وانهزم مع اصحابه فعلم ماعليه فى الانهزام وماله فى الرجوع فرجع حتى اهريق دمه فيقول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبدى رجع رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى حتى اهريق دمه اخرجه الترمذى بمعناه (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال افلا اكون عبدا شكورا عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى بطونها من ظاهرها وظاهرها من باطنها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام اخرجه الترمذى (خ) عن الهيثم بن ابى سنان انه سمع اباهريرة رضى الله عنه فى قصة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان اخا لكم لايقول الرفث يعنى بذلك ابن رواحة قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه ✽ اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ✽ به موقنات ماقال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ✽ اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

اخرجه البخارى وليس للهيثم بن سنان عن ابى هريرة فى الصحيحين غير هذا الحديث ✽ وقوله تعالى (يدعون ربهم خوفا وطمعا) قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا فى الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل اراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام فى الواجب والتطوع ✽ قوله عز وجل (فلا تعلم نفس مااخفى لهم من قرة أعين) اى مما تقربه اعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لاتفسير له وقيل اخفوا اعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) اى من الطاعات فى دار الدنيا (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس مااخفى لهم من قرة اعين ✽ قوله تعالى (افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون) نزلت فى على بن ابى طالب والوليد بن عقبة بن ابى معيط كان بينهما تنازع وكلام فى شئ فقال الوليد لعلى اسكت فانك صبى وانا شيخ والله انى ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فأنزل الله هذه الآية وقوله لايستوون اراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا

ولا فاسقا واحدا (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) اى التى يأوى اليها المؤمنون (نزلا) هو مايهيأ للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعنى من الطاعات فى دار الدنيا (واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) * قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) اى سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) اى الى الايمان يعنى من بقى منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن اظلم) اى لا احد اظلم (ممن ذكر بآيات ربه) اى بدلائل وحدانيته وانعامه عليه (ثم اعرض عنها) اى ترك الايمان بها (انا من المجرمين) يعنى المشركين (منتقمون) معناه انهم لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الاكبر * قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فلا تكن فى مرية) اى فى شك (من لقائه) اى من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات أراهن الله اياه فلا تكن فى مرية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة اسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره فان قلت قد صح فى حديث المعراج انه رآه فى السماء السادسة عند مراجعته فى الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل ان تكون رؤيته فى قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك فى طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شئ قدير فان قلت كيف تصح منه الصلاة فى قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو فى دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت يجاب عنه باجوبة احدها ان الانبياء كالشهداء بل هم افضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح فى الحديث وان يتقربوا الى الله بما استطاعوا لانهم وان كانوا قد ماتوا فانهم بمنزلة الاحياء فى هذه الدار التى هى دار العمل الى ان تفنى ثم يرحلون الى دار الجزاء التى هى الجنة الجواب الثانى انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذى كانوا عليه فى حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم فى الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه فى الجنة اكثر مما كان يعبده فى الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل فى قوله فلا تكن فى مرية من لقائه اى من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعنى الكتاب (هدى لبنى اسرائيل وجعلنا

كانت مطيعة للعقل (فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا) بالرياضة القوية ومنعها عن طاعة الوهمية وتطويعها للعاقلة (او لأذبحنه) بالاماتة (اوليأتينى بسلطان مبين) او تصير مطواعة للعقل لصفاء جوهرها ونورية ذاتها فتأتى بالحجة البينة فى حركتها (فمكث غير بعيد) اى لم يطل زمان رياضتها لقدسيتها وما احتاجت الى الاماتة لطهارتها حتى رجعت بسلطان مبين وتمرنت فى تركيب الحجج على اصح المناهج (فقال احطت بما لم تحط به) من احوال مدينة البدن وادراك الجزئيات وتركيبها مع الكليات فان القلب لا يدرك بذاته الا الكليات ولا يضمها الى الجزئيات فى تركيب القياس واستنتاج واستنباط الرأى الا الفكر وبواسطته يحيط باحوال العالمين ويجمع بين خيرات الدارين (وجئتك من سبا) مدينة الجسد (بنبا يقين) عيانى مشاهد بالحس (انى وجدت امرأة تملكهم) هى الروح الحيوانية المسماة باصطلاح القوم النفس

منهم) اى من بنى اسرائيل (ائمة) اى قادة للخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء (يهدون بأمرنا) اى يدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) اى على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون) اى انها من الله تعالى (ان ربك هو يفصل) اى يقضى ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل هم الانبياء واممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون * قوله تعالى (اولم يهدلهم) اى نبين لهم (كم أهلكنا) اى كثرة من اهلكنا (من قبلهم من القرون) اى الامم الخالية (يمشون فى مساكنهم) يعنى اهل مكة يسيرون فى بلادهم ومنازلهم اذا سافروا (ان فى ذلك لآيات افلا يسمعون) اى آيات الله ومواعظه فيتعظون بها * قوله عزوجل (اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) اى الارض اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها قال ابن عباس هى ارض باليمن وقيل هى ابين (فنخرج به) اى بذلك الماء (زرعاً تأكل منه انعامهم) اى العشب والتبن (وانفسهم) اى من الحبوب والاقوات (افلا يبصرون) اى فيعتبروا * قوله تعالى (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل اراد بيوم الفتح يوم القيامة الذى فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح اى القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعنى يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) اى لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة او القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولاهم ينظرون) اى يمهلون ليتوبوا ويعتذروا (فاعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر) اى موعدى لك بالنصر عليهم (انهم منتظرون) اى بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل اتى على الانسان عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذى بيده الملك اخرجه الترمذى وقال طاوس تفضلان عن كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة اخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة الاحزاب وهى مدنية)

وثلاث وسبعون آية والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عزوجل (يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت فى ابى سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابى ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعيد بن ابى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك

(واوتيت من كل شئ) من الاسباب التى يدبرها البدن ويتم بها تملكه (ولها عرش عظيم) هو الطبيعة البدنية التى هى متكؤها بهيئة ارتفاعها من طبائع البسائط العنصرية التى هى المزاج المعتدل اوتؤول مدينة بالعالم الجسمانى والعرش بالبدن (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) لشمس العقل المعاش المحجوب عن الحق بانقيادها له واذعانها لحكمه دون الانقياد لحكم الروح والانخراط فى سلك التوحيد والاذعان لامر الحق وطاعته (وزين لهم الشيطان) شيطان الوهم (اعمالهم) من تحصيل الشهوات واللذات البدنية والكمالات الجسمانيه (فصدهم عن السبيل) الحق وسلوك طريق الفضيلة بالعدل (فهم لا يهتدون) الى التوحيد والصراط المستقيم (الا يسجدوا لله) اى فصدهم عن السبيل لئلا ينقادوا ويذعنوا فى اخراج كمالاتهم الى العقل (الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) اى المخبوء من الكمالات الممكنة فى سموات الارواح وارض الجسم

وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله ائذن لى فى قتلهم فقال انى اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمران يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله اى دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذى بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امة ولا تطع الكافرين يعنى من اهل مكة يعنى اباسفيان وعكرمة وأبا الاعور والمنافقين يعنى من اهل المدينة عبدالله بن ابى وعبدالله بن سعد وطعمة (ان الله كان عليما) اى بخلقه قبل ان يخلقهم (حكيما) اى فيما دبره لهم (واتبع مايوحى اليك من ربك) اى من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله) اى ثق بالله وكل امرك اليه (وكفى بالله وكيلا) اى حافظا لك وقيل كفيلا برزقك * قوله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) نزلت فى أبى معمر حميد بن الفهرى وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ماحفظ ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لى قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله فقال له يا أبامعمر ماحال الناس فقال انهزموا فقال له فما بال احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال أبو معمر ماشعرت الا انهما فى رجلى فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده وعن أبى ظبيان قال قلنا لابن عباس ارايت قول الله ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ماعنى بذلك قال قام نبى الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه الا تروا ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التى تحصل للانسان فى صلاته وقيل فى معنى الآية انه لما قال الله تعالى يا أيها النبى اتق الله فكان ذلك امرا بالتقوى فكأنه قال ومن حقها ان لا يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى الله باحدهما وبالآخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبنى ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلوا ما ان يفعل باحدهما ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا ما لا يفعل بذاك فذلك يؤدى الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا فى حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لا يكون امرأة المظاهر امه حتى يكون له امان ولا يكون والد واحد ابن رجلين * قوله تعالى (وماجعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم) وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى يقول الله وماجعل نساءكم التى تقولون لهن هذا فى التحريم كامهاتكم ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفارة وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله فى سورة المجادلة * قوله تعالى (وماجعل ادعياءكم) يعنى الذين تتبنونهم (ابناءكم) وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان فى الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى وتبناه قبل الوحى وآخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك

(ويعلم ماتخفون) مما فيهم بالقوة من الكمالات بالاعمال الحاجبة والمانعة لخروج مافى الاستعداد الى العقل (وماتعلنون) من الهيئات المظلمة والاخلاق المردية (الله لا اله الا هو) فلا يجوز التعبد والانقياد الا له (رب العرش العظيم) المحيط بكل شئ فما اصغر عرش بلقيس النفس فى جنب عظمته فكيف لا تطيعه وتحتجب بمحبة عرشها عن طاعته (قال سننظر اصدقت) فى تضليلهم والاحاطة باحوالهم بالطريق العقلى (ام كنت من الكاذبين) بموافقة الوهم وتركيب التخيلات الفاسدة (اذهب بكتابى هذا) اى الحكمة العملية والشريعة الالهية (فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) ايقبلون الطاعة والانقياد امي يأبون (قالت يا أيها الملأ انى القى الى كتاب كريم انه من سليمان) لصدوره من القلب بواسطة الفكر الى النفس (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) اى باسم الذات الموصوفة بافاضة الاستعداد ومايخرج به مافيه الى العقل من الآلات وافاضة الكمال المناسب له

فانزل الله هذه الآية ونسخ بها التبنى (ذلكم قولكم بافواهكم) اى لاحقيقة له يعنى قولهم زيد بن محمد دوا دعاء النسب لاحقيقة له (والله يقول الحق) اى قوله الحق (وهو يهدى السبيل) اى يرشد الى سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) اى الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة (هو اقسط عندالله) اى اعدل عندالله (ق) عن ابن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الازيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عندالله الآية (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين) اى فهم اخوانكم (ومواليكم) اى كانوا محررين وليسوا ببنيكم اى فسموهم باسماء اخوانكم فى الدين وقيل معنى مواليكم اولياؤكم فى الدين (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به) اى قبل النهى فنسبتموه الى غير ابيه (ولكن ماتعمدت قلوبكم) اى من دعائهم الى غير آبائهم بعد النهى وقيل فيما اخطأتم به ان تدعوه الى غير ابيه وهو يظن انه كذلك (وكان الله غفورا رحيما) (ق) عن سعد بن ابى وقاص وابى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام * قوله عزوجل (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شئ كانت طاعة النبى صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وهذا صحيح لان انفسهم تدعوهم الى مافيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى مافيه نجاتهم وقيل هو اولى بهم فى الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وامهاتنا فنزلت الآية (ق) عن ابى هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن مؤمن الا وأنا اولى الناس به فى الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا اوضياعا فليأتنى فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله اوضياعا اى عيالا واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع * وقوله تعالى (وازواجه امهاتهم) يعنى امهات المؤمنين فى تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لافى النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام فى حقهن كما فى حق الاجانب ولايقال لبناتهن هن اخوات المؤمنين ولا لاخوانهن واخواتهن هن اخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعى تزوج الزبير اسماء بنت ابى بكر وهى اخت عائشة ام المؤمنين ولم يقل هى خالة المؤمنين وقيل ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم كن امهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن امهات الرجال دون النساء بدليل ماروى عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة ياامه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) يعنى فى الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخى بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل فى معنى الآية لاتوارث بين المسلم والكافر ولابين المهاجر وغير المهاجر (فى كتاب الله) اى فى حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعنى

من الاخلاق والصفات (الاتعلوا على) ان لاتغلبوا ولا تستعلوا (واتونى مسلمين) منقادين مستسلمين وقولها (قالت ياايها الملأ افتونى فى امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون) اشارة الى قابلية النفس ونجابة جوهرها ومخالفتها لامر قواها فى الاستعلاء والغرور بهيئة الشوكة والاستيلاء وان لم يمكنها القبول الا بمظاهرتهم ومشاورتهم (قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) وافساد القرية واذلال اعزتها اشارة الى منعها عن الحظوظ واللذات وقمع مايغلب ويستولى على القوى بالرياضات (وانى مرسلة اليهم بهدية) من اموال المدركات الحسية والشهوات النفسية واللذات الوهمية والخيالية وامداد المواد الهيولانية بتزيينها عليهم وتسويلها لهم على ايدى الهواجس والدواعى والبواعث (فناظرة بم يرجع المرسلون) هل يقبلها

ان تحوى القرابات اولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا) يعنى الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة اباح ان يوصى لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل اراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا ان توصوا الى قرابتكم بشئ وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة (كان ذلك) اى الذى ذكر من ان اولى الارحام بعضهم اولى ببعض (فى الكتاب) اى فى اللوح المحفوظ وقيل التوراة (مسطورا) اى مكتوبا مثبتا * قوله تعالى (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم (ومنك) يعنى يا محمد (ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرائع واولوا العزم من الرسل وقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث قال قتادة وذلك قول الله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) اى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعنى اخذ ميثاقهم لكى يسأل الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بافواههم عن صدقهم فى قلوبهم (واعد للكافرين عذابا اليما) * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ايام الخندق (اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فارسلنا عليهم ريحا) يعنى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لاتسرى بالليل فكانت الريح التى ارسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ماهبت على محزون الاذهب حزنه * قوله تعالى (وجنودا لم تروها) يعنى الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها فى بعض وكثر تكبير الملائكة بجوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يابنى فلان النجاء النجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما تعملون بصيرا)

(ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب)

قال البخارى قال موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة اربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم فى بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش

فيلين ويميل الى النفس اويردها فيتصلب فى الميل الى الحق (فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما آتانى الله) من المعارف اليقينية والحقائق القدسية واللذات العقلية والمشاهدات النورية (خير مما آتاكم) من المزخرفات الحسية والخيالية والوهمية (بل انتم بهديتكم تفرحون) لانحن واتباعى حنانا بما هو من عند الله لا بما ذكر (ارجع اليهم) خطاب للمتخيل الرسول العارض للهدايا عليهم بالتسويل (فلنأتينهم بجنود) من القوى الروحانية وامداد الانوار الالهية (لاقبل) طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) بالقهر والاستيلاء والقمع (اذلة وهم صاغرون) اذلاء بالطبع والرتبة لدنو مرتبتهم فى الاصل والطينة وتنورها بالآداب (قال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين) اى قبل قرب النفس وقواها بالاخلاق والطاعة فان تسخير القوى الطبيعية بالاعمال والآداب اسهل واقرب من تسخير النفس الحيوانية وقواها بالاخلاق والملكات (قال عفريت من

الجن انا آتيك به) والعفريت هو الوهم لانه يحضرها بالخوف والرجاء ويبعثها على الاعمال بالدواعى الوهمية والامانى الموافقة (قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين) اى مادمت فى مقام الصدر قبل الترقى الى مقام السر فان الوهم حينئذ ينعزل عن فعله بالهداية والمتابعة والذى عنده علم من الكتاب هو العقل العملى الذى عنده بعض العلم وهو الحكمة العملية والشريعة من كتاب اللوح المحفوظ يحضرها ويقربها ويبعثها على الطاعات بتحبيب الكمال وحصول الشرف والذكر الجميل والكرامة اليها (قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) اى نظرك الى ذاتك وما ينبغى لها من الترقى الى عالمك فى عالم القدس لادراك الحقائق والمعارف الكلية والمشاهدات الحقة العينية فان الكمال العملى مقدم على الكمال الذوقى والكشفى (فلما رآه مستقرا عنده) ثابتا على حالة اتصاله به مقترنا فى الطاعة غير متغير بالدواعى الشهوانية والنوازغ الشيطانية (قال

بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان وقيسا وغيلان فاجتمعوا على ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم وخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحرث بن عوف بن ابى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذى اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسى وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بخبر هذه الصخرة فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يأمرنا فيها بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق واخذ عليه السلام المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها يعنى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى اضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد سلمان ورقى فقال بابى انت وامى يا رسول الله لقد رأيت شيأ ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال ارأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتى الاولى فبرق البرق الذى رأيتم فاضاءلى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثانية فبرق البرق الذى رأيتم اضاءلى

منها قصور قيصر من ارض الروم كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم اضاءلى منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون ان تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا وانزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما حيينا ابدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا * اذا ارادوا فتنة ابينا

ويرفع بها صوته وفى رواية قد وارى التراب بياض ابطيه رجعنا الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة فى عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نعمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حيى بن اخطب من بنى النضير حتى اتى كعب بن اسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن اخطب اغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيى يا كعب افتح لنا فقال ويحك ياحيى انك امرؤ مشؤم انى قد عاهدت محمدا فلست بناقض مابينى وبينه ولم ارمنه الاوفاء وصدقا فقال ويحك افتح اكلك قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دونى الاخوفا ان آكل معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب نعمى الى جانب احد قد عاهدونى وعاقدونى ان لايبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هرق ماؤه ويرعد ويبرق ليس فيه شئ دعنى ومحمدا وما انا عليه فانى لم ار من محمد الاصدقا ووفاء فلم يزل حيى بن اخطب بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما اصابك فنقض كعب بن اسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله

هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر) بالطاعة والعمل بالشريعة (ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم) بالمعصية ومخالفة الشريعة او اشكر عند التوفيق للطاعة بالسلوك فى الطريقة والاقبال على الحضرة وتبديل الصفات ومراقبة التجليات ام اكفر بالاحتجاب برؤية الاعمال والادبار عن الحق بالغرور والعجب والوقوف مع المعقول والعقل (قال نكروا لها عرشها) بتغيير العادات وترك المذمومات ونهك القوى الطبيعية بالرياضات وتنكيسه بجعل ماكان اعلى رتبة منه عندها وهى الهيئات البدنية وراحات البدن ولذاته وماكان فى جهة الافراط من الاكل والشرب والنوم وامثالها والقوى الطبيعية المستعلية اسفل وماكان اسفل من انواع التعب والرياضة والتقليل والسهر وكل ما مال الى التفريط من الامور البدنية والقوى الروحانية المستضعفة اعلى (ننظر اتهتدى) الى الفضائل وطرق الكمالات بالرياضة لنجاة جوهرها وشرف اصلها وحسن استعدادها

صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بنى عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة
احد بنى ساعدة وهو يومئذ سيد بنى الخزرج ومعهما عبدالله بن رواحة اخو الحرث بن الخزرج
وخوات بن جبير اخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم
احق ام لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا اعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما
بيننا وبينهم فاجروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم ونالوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه
وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم
اقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة اى كغدر
عضل القارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب الرجيع خبيب بن عدى واصحابه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد
الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق
من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير اخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز
كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال اوس
بن قيظى احد بنى حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملاء من رجال قومه
فأذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام
المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل
والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى
الحرث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة
فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله
اشئ امرك الله به لا بد لنا من العمل به ام امر تحبه فتصنعه ام شئ تصنعه لنا قال بل شئ اصنعه لكم
والله ما اصنع ذلك الا انى قد رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب
فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم
على شرك بالله وعبادة الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة واحدة
الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله
ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت وذاك فتناول
سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو بن عبدود اخو بنى عامر
بن لؤى وعكرمة بن ابى جهل وهبيرة بن ابى وهب المخزوميان ونوفل بن عبدالله بن ضرار بن
الخطاب ومرداس اخو بنى محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بنى
كنانة فقالوا تهيؤا للحرب يا بنى كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى
وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق

وقولها (ام تكون من الذين
لا يهتدون) اليها لعكس
ما ذكر (فلجاءت) مترقية
الى مقام القلب متنورة
بانواره متخلقة باخلاقه
منقادة مستسلمة بجنودها
(قيل اهكذا عرشك) اى
على هذه الصورة المغيرة
عرشك ام على الصورة
الاولى اى اهذا صورته
المستوية التى ينبغى ان يكون
عليها ام تلك وتلك منكوسة
ام هذه (قالت كأنه هو)
اى كان هذا بالنسبة الى
حالى هو بالنسبة الى الحالة
الاولى اى اذا كنت متوجهة
الى جهة السفل كان عرشى
على تلك الصورة مطابقا لحالى
واذا توجهت الى جهة العلو
كان على هذه الصورة
مستويا موافقا لحالى (واوتينا
العلم من قبلها) من قبل
هذه الحالة اى اوتيناه
فى الازل عند ميثاق الفطرة
(وكنا مسلمين) منقادين
قبل هذه النشأة الا انا
نسينا فتذكرنا الساعة
(وصدها ما كانت تعبد
من دون الله) من شمس
عقل المعاش بصرفها
الى التوحيد (انها كانت
من قوم كافرين) محجوبين
عن الحق (قيل لها ادخلى
الصرح) اى مقام الصدر

طيفا ضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبدود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا اخذت منه احداهما قال اجل قال له علي فاني ادعوك الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى النزال قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال علي لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره اوضرب وجهه ثم اقبل على علي فتناولا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبدالدار اصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمنه فشانكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة ام المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من احرز حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول * لابأس بالموت اذا حان الاجل * فقالت له الحق يا بني فقد والله اخرت قالت عائشة فقلت يا ام سعد والله لوددت ان درع سعد كانت اسبغ مما هي وخفت عليه حيث اصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه خباب بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لؤي فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيأ فابقني لها فانه لاقوم احب الي ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبدالمطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبدالمطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ارعنده شيأ اعتجرت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال مالي بسلبه حاجة يا بنت عبد عبدالمطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان

الذي هو صرح ممرد مملس عن تقابل الاضداد وتخالف الطباع مستو بالتجرد عن المواد من قوارير انوار القلب الصافي المشبه الزجاجة في الصفاء والتنور (فلما رأته حسبته لجة) بحر الوحدة لكونه غاية رتبتها في التجرد والترقي ونهاية كمالها في التذاتي والتلق ولا يتجاوز نظرها الى اعلى منه وكل مالا يمكن فوقه من الكمال لشئ فيه نهايته في التوحيد ومعظم ما يستغرق فيه من جمال المعبود والمطلوب (وكشفت عن ساقيها) بمعنى جردت جهتها السفلية التي تلي البدن وتسمى بها فيه المنقسمة الى القوة الغضبية والشهوية عن الغواشي البدنية والملابس الهيولانية بقطع التعلقات لكن كان عليها شعر الهيئات الباقية من اعمالها والآثار المسودة من كدوراتها ومن هذا قيل يدخل سليمان الجنة بعد الانبياء بخمسمائة خريف ويحبو حبو (قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي) بالاحتجاب واتخاذ العقل المشوب بالوهم المشرب بالهوى الها ومعبودا (واسلمت)

اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فامرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة مابينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم واولادكم ونساؤكم لاتقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم ونساؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لاطاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت برأى ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى اياكم وفراق محمدا فقد بلغنى امر رأيت حقا على ان ابلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يامعشر غطفان انتم اهلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا اراكم تتهموننى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لانعمل فيه شيأ وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لاندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق مايريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عزوجل بينهم وبعث عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مااختلف من امرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر مافعل القوم ليلا وروى

بالانقياد لامر الحق والانخراط فى سلك التوحيد (مع سليمان لله رب العالمين) وعلى تأويل العرش بالبدن يستقيم هذا ايضا ويتجه وجه آخر وهو ان يراد انها كانت محجوبة بعقولها مابقى عرشها ومانقادت لسليمان القلب الا فى النشأة الثانية فعلى هذا يكون الذى عنده علم من الكتاب هو العقل الفعال واتيانه به قبل ارتداد الطرف ايجاد البدن الثانى فى آن واحد ومعنى قبل ان يأتونى مسلمين تقدم مادة البدن على تعلق النفس به وقال ابن الاعرابى رحمه الله ان الاتيان كان بافنائه ثمة وايجاده بحضرة سليمان والتنكير تغيير الصورة ومعنى كأنه يشابه صورته والصرح هو مادة البدن الثانى فيكون دخول الصرح على هذا مقدما على تنكير الصورة وكشف الساقين قطع تعلق البدن الاول دون زوال الهيئات البدنية التى هى بمثابة الشعر وهذا بناء على ان النفوس المحجوبة الناقصة لابد لها من التعلق والله اعلم (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله) اى

محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وروى غيره عن ابراهيم التيمى عن ابيه قالا قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا ابا عبدالله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخى قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو ادركناه ماتركناه يمشى على الارض ولحملناه على اعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه مافعلنا فقال حذيفة يا ابن اخى والله لقد رأيتنى ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم على ان يكون رفيقى فى الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لى بد من القيام حين دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتى اتيته فاخذ بيدى ومسح رأسى ووجهى ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتينى بخبرهم ولا تحدثن شيأ حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمى وشددت على اسلابى ثم انطلقت امشى نحوهم كانما امشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قال وابو سفيان قاعد يصطلى فاخذت سهما فوضعته فى كبد قوسى فاردت ان ارميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى فلما رأى ابو سفيان ماتفعل الريح وجنود الله بهم لاتقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يامعشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسى فقلت من انت فقال سبحان الله اما تعرفنى انا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال ابو سفيان يامعشر قريش انكم والله مااصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخلف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعل قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانى امشى فى حمام فاتيته وهو قائم يصلى فلما سلم اخبرته فضحك حتى بدت انيابه فى سواد الليل فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفاء فادنانى النبى صلى الله عليه وسلم فانامنى عند رجليه والقى على طرف ثوبه والصق صدرى ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت فلما اصبحت قال قم يانومان فذلك قوله عزوجل (اذ جاؤكم من فوقكم) اى من فوق الوادى من قبل المشرق وهم اسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصرى وعيينة بن حصن الفزارى فى الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدى فى بنى اسد وحيى بن اخطب فى يهود قريظة (ومن اسفل منكم) يعنى من بطن الوادى من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وابو الاعور عمرو بن سفيان السلمى من قبل الخندق وكان الذى جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير من ديارهم (واذ زاغت الابصار) اى مالت وشخصت من

اهل الماء القليل الذى هو المعاش صالح القلب بالدعوة الى التوحيد (فاذاهم فريقان) فريق القوى الروحانية وفريق القوى النفسانية (يختصمون) تقول الاولى ماجاء به صالح حق وتقول الثانية بل باطل ومانحن عليه حق (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) اى الاستيلاء على القلب بالرذيلة (قبل الحسنة) الاتيان بالفضيلة (لولا تستغفرون الله) بالتنور بنور التوحيد والتنصل عن الهيئات البدنية المظلمة (لعلكم ترحمون) بافاضة الكمال (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) لمنعك ايانا من الحظوظ والترفه (قال طائركم عند الله) سبب خيركم وشركم من الله (بل انتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون) والرهط المفسدون الحواس الغضب والشهوة والوهم والتخيل وتبييته اهلاكه فى ظلمة ليل النفس والولى الروح ومكر الله بهم اهلاكهم بهدّ جبال الاعضاء عليهم وتدميرهم فى غار محالهم وتدمير قومهم بالصيحة التى هى النفخة الاولى والفاحشة

الرعب وقيل مالت عن كل شئ فلم تنظر الى عدوها (وبلغت القلوب الحناجر) اى زالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته واذا انتفخت رئته رفعت القلب الى الحنجرة فلهذا يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) اى اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد واصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى المؤمنون) اى عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين (وزلزلوا زلزالا شديدا) اى حركوا حركة شديدة (واذ يقول المنافقون) يعنى معتب بن قشير وقيل عبدالله بن ابى واصحابه (والذين فى قلوبهم مرض) اى شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) هو قول اهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز رحله هذا هو الغرور * قوله تعالى (واذ قالت طائفة منهم) اى من المنافقين وهم اوس بن قيظى واصحابه (يا اهل يثرب) يعنى يا اهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها فى قديم الزمان وفى بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هى طيبة كانه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ (لا مقام لكم) اى لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) اى الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبى) يعنى بنى حارثة وبنى سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) اى خالية ضائعة وهى مما يلى العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا) اى انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم من اقطارها) يعنى لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحى المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) اى الشرك (لآتوها) اى لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام (وما تلبثوا بها) اى ما احتبسوا عن الفتنة (الا يسيرا) اى لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا * قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) اى من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) اى لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقيل هم اناس غابوا عن وقعة بدر فلما رأوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) اى عنه فى الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل) يعنى الذى كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل لابد من ذلك (واذا لا تمتعون) اى بعد الفرار (الا قليلا) اى مدة آجالكم وهى قليل (قل من ذا الذى يعصمكم) اى يمنعكم (من الله ان اراد بكم سوأ) اى هزيمة (او اراد بكم رحمة) اى نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) اى ناصرا يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) اى المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) اى ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه

قوم لوط فى هذا التطبيق وهى اتيان الذكور اتيان القوى النفسانية ادبار القوى الروحانية واستنزالها من رتبة التأثير بتأثرهم من تأثير هذه من الجهة السفلية واستيلاؤها عليهم فى تحصيل اللذات والشهوات البدنية بهم قالوا (تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله) بظهور كمالاته وتجليات صفاته على مظاهر مخلوقاته (وسلام على عباده الذين اصطفى)

الحزب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم اناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم اى ابتلعهم ابوسفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت فى المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت اليهم ما الذى يحملكم على قتل انفسكم بيد ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم فى هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان ومن معه قالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم احدا اما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا * وقوله تعالى (ولا يأتون البأس) يعنى الحرب (الا قليلا) اى رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (اشحة عليكم) اى بخلاء بالنفقة فى سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم) اى فى رؤسهم من الخوف والجبن (كالذى يغشى عليه من الموت) اى كدوران عين الذى قرب من الموت وغشيه اسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) اى زال (سلقوكم) اى آذوكم ورموكم فى حالة الامن (بالسنة حداد) اى ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشجع قوم وعند الحرب اجبن قوم (اشحة على الخير) اى يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (اولئك لم يؤمنوا) اى لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان اظهروا الايمان لفظا (فاحبط الله اعمالهم) اى التى كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هى الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) اى احباط اعمالهم مع ان كل شئ على الله يسير * قوله تعالى (يحسبون) يعنى هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعنى قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) اى لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم (وان يأت الاحزاب) اى يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو انهم بادون فى الاعراب) اى يتمنون لو انهم كانوا فى بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يسئلون عن انبائكم) اى عن اخباركم وما آل اليه امركم (ولو كانوا فيكم) يعنى هؤلاء المنافقين (ما قاتلوا الا قليلا) يعنى يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمى بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب * قوله عز وجل (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) اى قدوة صالحة اى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذى بضروب الاذى فصبروا واساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعنى ويخشى يوم البعث الذى فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) اى فى جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب

بصفاء استعداداتهم وبراءتهم من النقص والآفة فالحمد مطلقا مخصوص به لكون جميع الكمالات الظاهرة على مظاهر الاكوان صفاته الجمالية والجلالية ليس لغيره فيها نصيب وصفاء ذوات المصطفين من عباده ونزاهة اعيانهم عن نقص الاستعداد وآفة الحجاب سلامة عليهم وحصول الامرين للمظهر التام النبوى بالفعل هو قوله ذلك مأمور به من عين الجمع فى مقام التفصيل منتقلا من مقام التفصيل لعين الجمع مبتدئا منه وراجعا اليه (آلله خير) الذى له الحمد المطلق والسلام المطلق محض فى ذاته (اما يشركون) من الاكوان التى اثبتوا لها وجودا وتأثيرا اذ لا يبقى بعد الكمال المطلق والقبول المطلق الذى هو اسم السلام المطلق باعتبار الفيض الاقدس الا العدم البحت والشر الصرف المطلق الذى يقابل الخير المحض المطلق فكيف يكون خيرا (امن خلق السموات والارض) اى المؤثر المطلق الموجد لكل من الاعيان الممكنة وصفاتها

فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) اى قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا بوعده (وصدق الله ورسوله) اى فيما وعدا وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة فى جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الاحزاب وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم الا ايمانا) اى تصديقا لله (وتسليما) اى لامره * قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) اى قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) اى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعنى اجله فقتل على الوفاء يعنى حمزة واصحابه وقيل قضى نحبه اى بذل جهده فى الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر واحد (ومنهم من ينتظر) يعنى من بقى بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون احد الامرين اما الشهادة او النصر على الاعداء (وما بدلوا) يعنى عهدهم (تبديلا) (ق) عن انس قال غاب عمى انس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى اصحابه وابرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر انى اجد ريحها من دون احد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه احد الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفى اشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من اجره شيأ منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة وكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطى رأسه ونجعل على رجليه من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كساء ملون من صوف وقوله ومنا من اينعت اى ادركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها اى يجنيها ويقطفها * عن ابى موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال الا ابشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن ابى حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد * قوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) اى جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم) اى فيهديهم الى الايمان ويشرح له صدورهم (ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا) اى من قريش وغطفان (بغيظهم) اى لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا (لم ينالوا خيرا) اى ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) اى بالملائكة والريح (وكان الله قويا) اى فى ملكه (عزيزا) اى فى انتقامه * قوله تعالى

خير فى التأثير والايجاد ام ما لا وجود له فكيف بالتأثير والايجاد (وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه مع الله) فى التأثير والايجاد (بل هم قوم يعدلون) عن الحق فيثبتون الباطل بالتوهم (امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض االه مع الله قليلا ما تذكرون امن يهديكم) الى نور ذاته (فى ظلمات البر والبحر) اى حجب الصفات (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته االه مع الله تعالى الله عما يشركون) رياح المنفحات محيية للقلوب من يدى رحمة التجليات (امن يبدأ الخلق) باختفائه باعيانهم واحتجابه بذواتهم (ثم يعيده) بافنائهم فى عين الجمع واهلاكهم فى ذاته بالطمس او باظهارهم فى النشأة واعادتهم الى الفطرة (ومن يرزقكم من السماء) الغذاء الروحانى (و) من (الارض) الجسمانى

(وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب) اى عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيهم) اى من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية (وقذف فى قلوبهم الرعب) اى الخوف (فريقا تقتلون) يعنى الرجال يقال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرارى يقال كانوا سبعمائة وخمسين (واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها) يعنى بعد قيل هى خيبر ويقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هى كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا)

* (ذكر غزوة بنى قريظة) *

قيل كانت فى آخر ذى القعدة سنة خمس وعلى قول البخارى المتقدم فى غزوة الخندق عن موسى بن عقبة انها كانت فى سنة اربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليل التى انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالمسير الى بنى قريظة فانهد اليهم فانى قد قطعت اوتارهم وفتحت ابوابهم وتركتهم فى زلزال وبلبال فامر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب برايته اليهم وابتدرها الناس وسار على حتى اذا دنا من الحصون وسمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال اظنك سمعت لى منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد راونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة قد اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بنى قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية اموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبى صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخيرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن اخطب دخل على بنى قريظة حصنهم

اذ من السماء المعارف والحقائق ومن الارض الحكم والاخلاق (اله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل

على الله انك على الحق المبين انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذاولوا مدبرين وماانت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم) اى واذا تحقق وقوع ماسبق فى القضاء حكمنابه من الشقاوة الابدية عليهم اخرجنالهم دابة من الارض) من صورة نفس كل شقى مختلفة الهيئات والاشكال هائلة بعيدة النسبة بين اطرافها وجوارحها على ماذكر من قصتها بحسب تفاوت اخلاقها وملكاتها من ارض البدن قدام القيامة الصغرى التى هى من اشراطها (تكلمهم) بلسان حياتها وصفاتها (ان الناس كانوا بآياتنا) قدرتنا على البعث (لايوقنون ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذاجاؤا قال اكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ فى الصور) النفخة الاولى

حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يامعشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ماترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وماهن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله قد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دياركم واموالكم وابنائكم ونسائكم فقالوا لانفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولانترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما فى العيش بعدهم خير قال فان ابيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن احدث فيه من قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ مالم يخف عليك قال مابات رجل منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث لنا ابالبابة بن عبدالمنذر اخابنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره فى امرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم فقالوا ياابالبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله مازالت قدماى حتى عرفت انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يأت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ربط فى المسجد الى عمود من عمده وقال والله لاابرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله لا يطأ ارض بنى قريظة ابدا ولا يرانى الله فى بلد قد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال اما لوقد جاءنى لاستغفرت له فاما اذ فعل فما انا بالذى اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله انزل توبة ابى لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقالت مم ضحكت يارسول الله اضحك الله سنك قال تيب على ابى لبابة فقلت الا ابشره بذلك يارسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت ياابالبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوها فقال لاوالله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه قال ثم ان ثعلبة ابن سعيد واسيد بن عبيد وهم نفر من بنى هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمرو قد ابى ان يدخل من بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا اغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم ابدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لاتحرمنى من عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلايدرى اين ذهب من ارض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله

بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة ولا يدرى اين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يارسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالى الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبدالله بن ابى بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يامعشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة آتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤا له وسادة من آدم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون ياابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال قد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى الاشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل ان يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهدالله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا في الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فانى احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضربت اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدوالله ورسوله حيى بن اخطب وكعب بن سد رأس القوم وهم ستمائة اوسبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ماترى مايصنع بنا قال أفي كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعى لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم النبى صلى الله عليه وسلم واتى بحيى بن أخطب عدوالله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسى في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا بأس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بنى قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى

نفخة الاماتة في القيامة الصغرى (ففزع من في السموات ومن في الأرض) من العقلاء المجردين والجهال البدنيين اومن القوى الروحانية والجسمانية (الا من شاء الله) من الموحدين الفانين في الله والشهداء القائمين بالله (وكل اتوه داخرين) الى المحشر للبعث صاغرين اذلاء لا قدرة لهم ولا اختيار اواتوه منقادين قابلين لحكمه بالموت (وترى الجبال) جبال الابدان (تحسبها جامدة) ثابتة في مكانها (وهى تمر مر السحاب) وتذهب وتتلاشى بالتحليل كالسحاب تجتمع اجزاؤها عند البعث في اليوم الطويل (صنع الله الذى اتقن كل شئ) اى صنع هذا النفخ والاماتة والاحياء لمجازاة العباد بالاعمال صنعا متقنا يليق به (انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) اى بمحو صفة من صفات نفسه بالتوبة الى الله عنها ومن قيام صفة الهية مقامها (ومن جاء بالسيئة) باحتجابه بصفة من صفات نفسه (فكبت وجوههم في النار) بتنكيس

تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت انا والله قلت ويلك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت حدثا احدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ماانسي عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان اعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني اريد ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم اتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد كان للزبير عندي يد وله علي منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اهله واولاده فقال هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امرأتك وولدك فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله يارسول الله قال هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك فقال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فاني اسألك بيدي عندك ياثابت الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبابكر الصديق قوله حتى يلقى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال فكان للفارس ثلاثة اسهم سهمان للفرس وللفارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان اول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يارسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من امرها فبينما هو بين اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا الثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يارسول الله قد اسلمت ريحانة فسره

بانهم لشدة ميلهم الى الجهة السفلية في نار الطبيعة (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) الا بصور اعمالكم وجعل هيئاتها صوركم (انما امرت ان) لا التفت الى غير الحق و (اعبد رب هذه البلدة) اي القلب (الذي حرمها) حماها عن استيلاء صفات النفس ومنعها من دخول اهل الرجس وآمنها وآمن من فيها لتلا ينكب وجوهم في نار الطبيعة (وله كل شيء) اي تحت ملكوته وربوبيته يعطي عابده ماشاء ان يعطيه ويمنعه ويدفع من غالبه (وامرت ان اكون من المسلمين) الذين اسلموا وجوههم بالفناء فيه (وان اتلوا القرآن) افصل الكمالات المجموعة في ابرازها واخراجها الى الفعل في مقام البقاء (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله) بالاتصاف بصفاته الحميدة (سيريكم آياته) صفاته في مقام القلب (فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) او آيات افعاله وآثارها بالقهر في مقام النفس فتعرفونها عند التعذب بها او يوم ينفخ

ذلك فلما قضى شأن بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه دعا بعد ان حكم فى بنى قريظة ماحكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الى ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فابقنى له وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى اليك فانفجر كله فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التى ضربت عليه فى المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذى نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء ابى بكر وانى لفى حجرتى قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رحماء بينهم (خ) عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له اعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شئ بعده * قوله تعالى (يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن) اى متعة الطلاق (واسرحكن سراحا جميلا) اى من غير ضرر (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيأ وطلبن منه زيادة فى النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اطلقتهن قال لا قلت يارسول الله انى دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتى لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت هذا الامر وانزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة واربع غير قرشيات وهى زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيى بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحرث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فاذن لابى بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستأذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال لاقولن شيأ اضحك به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام ابو بكر الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر الى حفصة فوجأ عنقها

فى الصور بتجلى الذات فى القيامة الكبرى ففزع من السموات ومن فى الارض بصعقة الفناء والقهر الكلى الا من شاء الله من اهل البقاء الذين احيوا الحياة واقاقوا بعد صعقة الفناء وكل اتوه داخرين ساقطين عن درجة الحياة والوجود مقهورين وترى جبال الوجودات تحسبها جامدة ثابتة على حالها ظاهرا وهى تمر مر السحاب فى الحقيقة زائلة

* (سورة القصص) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض) النفس الامارة استعلى وطغى فى ارض البدن (وجعل اهلها شيعا) فرقا مختلفة متخالفة متعادية لاتباعهم السبل المتفرقة وتجافيهم عن طريق العدل والتوحيد والصراط المستقيم (يستضعف طائفة منهم) هم اهل القوى الروحانية (يذبح ابناءهم) من ناسب الروح فى التأثير والتعلى من نتائجها باماتته وعدم امتثال داعيته وقهره (ويستحيى نساءهم انه كان

كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده فقلن والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية ياايها النبي قل لازواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال ياعائشة انى اريد اعرض عليك امرا احب ان لاتعجلى فيه حتى تستشيرى ابويك قالت وماهو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت افيك يارسول الله استشير ابوى بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة واسألك ان لاتخبر امرأة من نسائك بالذى قلت قال لاتسألنى امرأة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا قوله واجما اى مهتما والواجم الذى اسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها اى دققته وقوله لم يبعثنى معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهرى ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لايدخل على ازواجه شهرا قال الزهرى فاخبرنى عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة اعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأبى فقلت يارسول الله اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون

(فصل فى حكم الآية) اختلف العلماء فى هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لافذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لاتعجلى حتى تستشيرى ابويك وفى تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا * التفريع على حكم الآية اختلف اهل العلم فى حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس واذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لايقع شئ وان اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابى ليلى وسفيان والشافعى واصحاب الرأى الا ان عند اصحاب الرأى يقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن على انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لايقع شئ (ق) عن مسروق قال مابالى خيرت امرأتى واحدة او مائة او الفا بعد ان تختارنى ولقد سألت عائشة رضى الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفى رواية فاخترناه فلم يعدد ذلك شيأ * قوله تعالى (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) اى بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا ان منهن من اتت بفاحشة فان الله تعالى صان ازواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) اى مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة عن الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بالمؤمنين من انفسهم فكذلك ازواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحرة الى الامة (وكان ذلك على الله يسيرا) اى عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) اى تطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين)

من المفسدين) مانا سب النفس فى التأثر والتسفل بعقوبته والملائه فى فعله (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض) بالاذلال والاهانة والاستعمال فى الاعمال الطبيعية والاستخدام فى تحصيل اللذات البهيمية والسبعية وذبح الابناء واستحياء النساء فنجيهم من العذاب (ونجعلهم ائمة) رؤساء مقدمين (ونجعلهم الوارثين) وراث الارض وملوكها بافناء فرعون وقومه (ونمكن لهم فى الارض) بالتأييد (ونرى فرعون) النفس الامارة (وهامان) العقل المشوب بالوهم المسمى عقل المعاش (وجنودهما) من القوى النفسانية منهم (ما كانوا يحذرون) من ظهور موسى القلب وزوال ملكهم ورياستهم على يده (واوحينا الى ام موسى) اى النفس الساذجة السليمة الباقية على فطرتها وهى اللوامة (ان ارضعيه) بلبان الادراكات الجزئية والعلوم النافعة الاولية (فاذا خفت عليه) من استيلاء النفس الامارة واعوانها

الى مثلى اجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف نساء العالمين (واعتدنا لها رزقا كريما) يعنى الجنة * قوله تعالى (يانساء النبى لستن كاحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم على وثوابكن اعظم لدى (ان اتقيتن) يعنى الله فاطعتنه فان الاكرم عندالله هوالاتقى (فلا تخضعن بالقول) اى لاتلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام (فيطمع الذى فى قلبه مرض) اى فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لاتقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة فى المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولا معروفا) اى يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى * قوله عز وجل (وقرن فى بيوتكن) اى الزمن بيوتكن وقيل هو امر من الوقار اى كن اهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو مابين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها منه وقيل كان فى زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشى به وسط الطريق ليس عليها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى مابين نوح وادريس وكانت الف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان احدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل واجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ماقبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم فى آخر الزمان وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها اخرى (واقمن الصلوة) اى الواجبة (وآتين الزكوة) اى المفروضة (واطعن الله ورسوله) اى فيما امر وفيما نهى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اى الاثم الذى نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وماليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء (اهل البيت ويطهركم تطهيرا) هم نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى انهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم يدل على ماروى عن عائشة ام المؤمنين قالت خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط رجل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا

(فالقيه فى اليم) فى يم العقل الهيولانى والاستعداد الاصلى او فى يم الطبيعة البدنية بالاخفاء (ولا تخافى) من هلاكه (ولا تحزنى) من فراقه (انا رادوه اليك) بعد ظهور التميز ونور الرشد (وجاعلوه من المرسلين) الى بنى اسرائيل (فالتقطه آل فرعون) من القوى النفسانية الظاهرة عليه الغالبة على امره فانه لايصل الى التميز والرشد ولايتوقف الا بمعاونة التخيل والوهم وسائر المدركات الظاهرة والباطنة وامدادها (ليكون لهم عدوا وحزنا) فى العاقبة ويعلم ان اعدى عدوه النفس التى بين جنبيه فيقهرها واعوانها بالرياضة ويفنيها بالقمع والكسر والاماتة (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون) اى النفس المطمئنة العارفة بنور اليقين والسكينة حالة المحبة لصفائها التى تستولى عليها الامارة وتؤثر فيها بالتلوين (قرة عين لى) بالطبع للتناسب (ولك) بالتوسط ورابطة الزوجية والتواصل وقيل قال فرعون لك لالى وعالجوا التابوت فلم ينفتح

اخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال عن ام سلمة قالت ان هذه الآية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وانا جالسة عند الباب فقلت يارسول الله الست من اهل البيت فقال انك الى خير انت من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يااهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن ارقم اهل البيت. من حرم الصدقة بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس * قوله تعالى (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله) يعني القرآن (والحكمة) قيل هي السنة وقيل هي احكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا) اى باوليائه واهل طاعته (خبيرا) اى بجميع خلقه * قوله عز وجل (ان المسلمين والمسلمات) الآية وذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لاتقبل منا طاعة فانزل الله هذه الآية عن ام عمارة الانصارية قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت مالى ارى كل شئ الى الرجال وما ارى النساء يذكرن بشئ فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ان ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم مابال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شئ من كتابه ونخشى ان لايكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى انه اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شئ من القرآن قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يراد به امر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله والقانتين والقانتات) الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما امر الله وفيما ساء وسر وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع في الصلاة وهو ان لايلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمين والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهم) يعني عما لايحل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لايكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن ابي رباح من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن

فنفخته آسية بعدما رأت نورا في جوفه فاحبته (لاتقتلوه عسى ان ينفعنا) في تحصيل اسباب المعاش ورعاية المصالح وتدبير الامور بالرأى (او نتخذه ولدا) بان يناسب النفس دون الروح ويتبع الهوى ويخدم البدن بالاصلاح فيقوينا (وهم لايشعرون) على ان الامر على خلاف ذلك (واصبح فؤاد ام موسى) اى النفس الساذجة اللوامة (فارغا) عن العقل من استيلاء فرعون عليها وخوفها منه لقهوريته اله (ان كادت لتبدى به) اى كادت تطيع النفس الامارة باطنا وظاهرا فلاتخالفها بسرها وما اضمرته من نور الاستعداد وحال موسى الخفى لكونه بالقوة بعد (لولا ان ربطنا على قلبها) اى صبرناها وقويناها بالتأييد الروحى والالهام الملكى (لتكون من المؤمنين) بالغيب لصفاء الاستعداد (وقالت لاخته) القوة المفكرة (قصيه) اى اتبعيه وتفقدى حاله بالحركة في تصفح معانيه المعقولة وكمالاته العلية والعملية (فبصرت به عن جنب) ادركت حاله عن بعد لانها

اطاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل فى قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل فى قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه ومن شماله فهو داخل فى قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق فى كل اسبوع بدرهم فهو داخل فى قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام فى كل شهر ايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل فى قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل فى قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (اعد الله لهم مغفرة) اى بمحو ذنوبهم (واجرا عظيما) يعنى الجنة * قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) نزلت هذه الآية فى زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبدالله بن جحش وامها اميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا فى الجاهلية بعكاظ واعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد بن حارثة ابت وقالت انا ابنة عمك يارسول الله فلا ارضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعنى عبدالله بن جحش ولا مؤمنة يعنى اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا يعنى نكاح زيد لزينب ان تكون لهم الخيرة من امرهم اى الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما اراد الله او يمتنع مما امر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) اى اخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب واخوها رضيا وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر * قوله عزوجل (واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك) الآية نزلت فى زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة فابصر زينب فى درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش وقعت فى نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد والقى فى نفسه كراهيتها فى الوقت واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اريد ان افارق صاحبتى فقال له مالك ارابك منها شئ قال لا والله يارسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذينى بلسانها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله فى امرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عزوجل واذ تقول للذى انعم الله عليه اى بالاسلام وانعمت عليه اى بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه امسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش (واتق الله) اى فيها ولا تفارقها (وتخفى فى نفسك) اى تسر وتضمر فى نفسك (ما الله مبديه) اى مظهره قيل كان فى قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس حبها وقيل وده انه طلقها (وتخشى الناس) قال ابن عباس تستحييهم وقيل

لا ترتقى الى حاله ولا تطلع عن مكاشفته واسراره وما يحصل له من انوار صفاته (وهم لا يشعرون) اى لا يطلعون على اطلاع اخته عليه لقصور جميع القوى النفسانية عن حد الفكرة وبلوغ شأوه (وحرمنا عليه المراضع) منعناه من التقوى والتغذى بلذات القوى النفسانية وشهواتها وقبول اهوائها واعدادها (من قبل) اى قبل استعمال الفكر بنور الاستعداد وصفاء الفطرة (فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) بالقيام بتربيته بالاخلاق والآداب ويرضعونه بلبان المبادى من المشاهدات والوجدانيات والتجربيات وما طريقه الحس والحدس من العلوم (وهم له ناصحون) يشدونه بالحكم العملية والاعمال الصالحة ويهذبونه ولا يغوونه بالوهميات والمغالطات ويفسدونه بالرذائل والقبائح (فرددناه الى امه) النفس اللوامة بالميل نحوها والاقبال (كى تقر عينها) بالتنور بنوره (ولا تحزن) بفوات قرة عينها وبهائها وتقويتها به (ولتعلم) بحصول اليقين بنوره (ان وعد الله)

تخف لا تمتم ان يقولوا امر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله احق ان تخشاه) قال عمر وابن مسعود وعائشة مانزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي اشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكتم هذه الآية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(فصل) فان قلت ماذكروه في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما رآها وارادته طلاق زيد لها فيه اعظم الحرج ومالا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مد عينيه لمانهي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح مافي هذا الباب ماروي عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال مايقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني اريد ان اطلق زينب اعجبه ذلك وقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك كان الله عز وجل قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والبق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر مااخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها اوارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لايجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء مااعلمه الله انها ستكون زوجته وانما اخفى ذلك استحياء ان يخبر زيدا ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فان قلت فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها قلت هو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها واخفى في نفسه مااعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان في امره بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه اخفى محبتها اونكاحها لوطلقها زيد ومثل ذلك لايقدح في حال الانبياء من ان العبد غير ملوم على مايقع في قلبه مثل هذه الاشياء وانه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذه لانكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة

بايصال كل مستعد الى كماله المودع فيه واعادة كل حقيقة الى اصلها (ولكن اكثرهم لايعلمون) ذلك فلا يطلبون الكمال المودع فيهم لوجود الحجاب وطريان الشك والارتياب (ولما بلغ اشده) اى مقام الفتوة وكمال الفطرة (واستوى) استقام بحصول كماله ثم بتجرده عن النفس وصفاته (آتيناه حكما وعلما) اى حكمة نظرية وعملية (وكذلك نجزى المحسنين) المتصفين بالفضائل السائرين في طريق العدالة (ودخل المدينة) مدينة البدن (على حين غفلة من اهلها) اى في حال هدو القوى النفسانية وسكونها حذرا من استيلائها عليه وعلوها (فوجد فيها رجلين يقتتلان) اى العقل والهوى (هذا) اى العقل (من شيعته وهذا) اى الهوى (من عدوه) من جملة اتباع شيطان الوهم وفرعون النفس الامارة (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) العقل واستنصره على الهوى (فوكزه موسى فقضى عليه) ضربه بهيئة من هيئات الحكمة العملية

القبلة معفو عنها مالم يقصد مأثمالان الودوميل النفس من طبع البشر والله اعلم وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو حسن لااثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية فى عموم الاحوال فى جميع الاشياء ❊ قوله عزوجل (فلما قضى زيد منها وطرا) اى حاجته منها ولم يبق له فيها ارب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها (زوجناكها) قال انس كانت زينب تفتخر على ازواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن آباؤكن وزوّجنى الله من فوق سبع سموات وقال الشعبى كانت زينب تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث مامن امرأة من نسائك تدل بهن جدى وجدك واحد وانى انكحنيك الله فى السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى اتاها وهى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى فقلت يازينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى اناس يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يارسول الله كيف وجدت اهلك قال فما ادرى انا اخبرته ان القوم قد خرجوا ام غيرى قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب (ق) عن انس قال ما اولم النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من نسائه ما اولم على زينب اولم بشاة وفى رواية اكثروا فضل ما اولم على زينب قال ثابت بم اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه ❊ قوله عزوجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) اى اثم (فى ازواج ادعيائهم) جمع الدعى وهو المتبنى (اذا قضوا منهن وطرا) يقول زوّجناك زينب وهى امراة زيد الذى كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لاتحل للاب (وكان امر الله مفعولا) اى قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى فى زينب ان يتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ قوله تعالى (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) اى فيما فرض الله) اى فيما احل الله له من النكاح وغيره (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) معناه من الله سنة فى الانبياء وهو ان لاحرج عليهم فى الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره فانه كان لهم الحرائر والسرارى فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) اى قضاء مقضيا ان لاحرج على احد فيما احل له ثم اثنى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) اى فرائض الله وسننه واوامره ونواهيه الى من ارسلوا اليهم (ويخشونه) اى يخافونه (ولا يخشون احدا الا الله) اى لا يخافون

بقوة من التأييدات ملكية بيد العاقلة العملية فقتله (قال هذا) الاستيلاء والاقتتال (من عمل الشيطان) الباعث للهوى على التعدى والعدوان (انه عدو مضل مبين) او هذا القتل من عمل الشيطان لان علاج الاستيلاء بالافراط لا يكون بالفضيلة التى هى العدالة الفائضة من الرحمن بل انما يكون بالرذيلة التى يقابلها من جانب التفريط كعلاج الشره بالخمود وعلاج البخل بالتبذير والاسراف بالتقتير وكلاهما من الشيطان (قال رب انى ظلمت نفسى) بالافراط والتفريط (فاغفر لى) استر لى رذيلة ظلمى بنور عدلك (فغفر له) صفات نفسه المائلة الى الافراط والتفريط بنوره فحصلت له العدالة (انه هو الغفور) الساتر هيئات النفس بنوره (الرحيم) بافاضة الكمال عند زكاء النفس عن الرذائل (قال رب بما انعمت على) اى اعصمنى بما انعمت على من العلم والعمل (فلن اكون ظهيرا) معاونا (للمجرمين) المرتكبين الرذائل من القوى النفسانية (فاصبح فى المدينة) فى مدينة

قالة الناس ولا تمنعهم فيما احل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) اى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم * قوله عز وجل (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعنى زيد بن حارثة والمعنى لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح فان قلت قد كان له ابناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال للحسن ان ابنى هذا سيد قلت قد اخرجوا من حكم النفى بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل اراد بالرجال الذين لم يلدهم (ولكن رسول الله) اى ان كل رسول هو ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده اى ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبى بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا (وكان الله بكل شئ عليما) اى دخل فى علمه انه لا نبى بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان بعده وهو نبى قلت ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل فى آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض امته (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زوايا فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبى وقد سماه الله رؤفا رحيما (م) عن ابى موسى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفى وانا الماحى ونبى التوبة ونبى الرحمة المقفى هو المولى الذاهب يعنى آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبى بعده * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر احدا فى تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به فى الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا اى بالليل والنهار فى البر والبحر وفى الصحة والسقم وفى السر والعلانية وقيل الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا (وسبحوه) معناه اذا ذكرتموه ينبغى لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء (بكرة واصيلا) فيه اشارة الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط ايضا وقيل معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح واصيلا يعنى صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد فى نسخة العلى العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هى

البدن خائفا يترقب) من استيلاء القوى النفسانية باثارة الدواعى والهواجس والقاء احاديث النفس والوساوس فى مقام المراقبة (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين) اى يستنصره العقل على اخرى من قوى النفس وهى الوهم والتخيل لانهما يفسدان فى مقام الترقب ويثيران الوساوس والهواجس ويهيجان النوازع والدواعى ولا ينكسران ولا يفتران فى حال ما من احوال وجود القلب الا عند الفناء فى الله الا ترى الى معارضته ومماراته له فى قوله (فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين) وانما نسب صاحبه الذى هو العقل بقوله انك لغوى لافتتانه بالوهم وعجزه عن دفعه واحتياجه فى معارضته الى القلب وانما اراد ان يبطش ولم يتيسر له البطش ومانعه وانكر فعله بقوله ان تريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا

اشاعة الذكر الجميل له في عباد والثناء عليه قال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله هذه الآية (ليخرجكم من الظلمات الى النور) يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين (تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) اى يرون الله يوم القيامة (سلام) اى يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم (واعد لهم اجرا كريما) يعني الجنة * قوله عز وجل (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا) اى للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) اى لمن آمن بالجنة (ونذيرا) اى لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) اى الى توحيده وطاعته (باذنه) اى بامره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضئ * فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من السراج وانور قلت نور الشمس لا يمكن ان يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار كثيرة (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) اى ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم) قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) اى حافظا * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) اى تجامعوهن ففي الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة اجنبية اذا نكحتك فانت طالق او قال كل امرأة انكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي واصحاب الرأى وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة وقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك اخرجه ابو داود والترمذي بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) اى تحصونها بالاقراء

بالامس لان القلب ما لم يصل الى مقام الروح ولم يفن في مقام الولاية ولم يتصف بالصفات الالهية لم يذعن له شيطان الوهم لانه في القيامة الكبرى فما دام القلب في مقام الفتوة متصفا بكمالاته في القيامة الوسطى يطمع هو في اغوائه ولا ينقهر ولا يمتنع بمجرد الكمال العلمي والعملي عن استملائه (وجاء رجل من اقصى المدينة) هو الحب الباعث على السلوك في الله الذي يسمونه الارادة واتيانه من اقصى المدينة انبعاثه من مكمن الاستعداد عند قتل هوى النفس (يسعى) اذ لا حركة اسرع من حركته يحذره عن استيلائهم عليه وينبه على تشاورهم وتظاهرهم عند ظهور سلطان الوهم عليه ومقابلته وعماراته ومجادلته له على هلاكه بالاضلال (قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج) عن مدينتهم حدود سلطنتهم الى مقام الروح (انى لك من الناصحين فخرج منها) بالاخذ في المجاهد في الله ودوام الحضور والمراقبة (خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين)

والاشهر اجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق (فمتعوهن) اى اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) اى خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن * قوله عز وجل (يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن) اى مهورهن (وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك) اى من السبي فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعنى نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى نساء بنى زهرة (اللاتى هاجرن معك) الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن ام هانئ بنت ابى طالب قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الآية قالت فلم اكن احل له لانى لم اهاجر كنت من الطلقاء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة فى التحليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) اى احللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب جماعة الى انها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان النكاح ينعقد فى حقه بمعنى الهبة من غير ولى ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على اربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة فذهب اكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعى وقال ابراهيم النخعى واهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا فى نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج كما فى حق سائر الامة لقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها وكان اختصاصه فى ترك المهر لا فى لفظ النكاح واختلفوا فى التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح او بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبى هى زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية ام المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحرث وقال على بن الحسين والضحاك ومقاتل هى ام شريك بنت جابر من بنى اسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم * وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) اى اوجبنا على المؤمنين (فى ازواجهم) اى من الاحكام وهو ان لا يتزوّجوا اكثر من اربع ولا يتزوّجوا الا بولى وشهود ومهر (وما ملكت ايمانهم) اى ما اوجبنا من الاحكام فى ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج)

من غلبتهم ملتجئا الى الله فى طلب النجاة من ظلمهم (ولما توجه تلقاء مدين) مقام الروح غلب رجاؤه على الخوف لقوة الارادة وطلب الهداية الحقانية بالانوار الروحية والتجليات الصفاتية الى سواء سبيل التوحيد وطريقة السير فى الله (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين) اى مورد علم المكاشفة ومنهل علم السر والمكالمة (وجد عليه امة من الناس) من الاولياء والسالكين فى الله المتوسطين الذين مشربهم من منهل المكاشفة (يسقون) قواهم ومريديهم منه والعقول المقدسة والارواح المجردة من اهل الجبروت فانهما فى الحقيقة اهل ذلك المنهل يسقون منه اغنام النفوس السماوية والانسية وملكوت السموات والارض (ووجد من دونهم) من مرتبة اسفل من مرتبتهم (امرأتين) هما العاقلتان النظرية والعملية (تذودان) اغنام القوى عنه لكون مشربها من العلوم العقلية والحكمة العملية قبل وصول موسى القلب الى المناهل الكشفية

ونصفها يرجع الى اول الآية معناه احللنالك ازواجك وماملكت يمينك والموهوبة لكي لايكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) اى للواقع فى الحرج (رحيما) اى بالتوسعة على عباده * قوله تعالى (ترجى) اى تؤخر (من تشاء منهن وتؤوى اليك) اى تضم اليك (من تشاء) قيل هذا القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن فى القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض امهات المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المؤمنين لاينكحن ابدا وعلى انه يؤوى اليه من يشاء منهن ويرجى من يشاء فيرضين به قسم لهن اولم يقسم اوقسم لبعضهن دون بعض اوفضل بعضهن فى النفقة والكسوة فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا فى انه هل اخرج احدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج بعضهن روى عن ابى رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يانبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا فارجى صلى الله عليه وسلم بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وارجى منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وصفية لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن انفسهن فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلاتقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن انفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحى المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن رسول الله ماارى ربك الا يسارع فى هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) اى طلبت ان تؤوى اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة (فلاجناح عليك) اى لااثم عليك فاباح الله ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن فى نوبتها ويطأ من يشاء منهن فى غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال (ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولايحزن) اى ذلك التخيير الذى خيرتك فى صحبتهن اقرب الى رضاهن والطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتيتهن) اى اعطيتهن (كلهن) من تقريب وارجاء وعزل وايواء (والله يعلم مافى قلوبكم) اى من امر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليما) اى بما فى ضمائركم (حليما) اى عنكم * قوله تعالى (لايحل لك النساء من بعد) اى من بعد هؤلاء التسع اللاتى اخترنك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل ابيح له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء اخرجه الترمذى وقال حديث

والموارد الذوقية ولانصيب لها من علوم المكاشفة (لانسقى حتى يصدر الرعاء) اى شربنا من فضلة رعاء الارواح والعقول المقدسة عند صدورها عن المنهل متوجهة الينا مفيضة علينا فضلة الماء (وابونا) الروح (شيخ كبير) اكبر من ان يقوم بالسقى (فسقى لهما) من مشرب ذوقه ومنهل كشفه بالافاضة على جميع القوى من فيضه لان القلب اذا ورد منهلا ارتوى من فيضه فى تلك الحالة جميع القوى وتنورت بنوره (ثم تولى) من مقامه (الى الظل) اى ظل النفس فى مقام الصدر مستغفرا لعله المعقول بالنسبة الى العلوم الكشفية مستمدا من فضل الحق ومقامه القدسى والعلم اللدنى الكشفى (فقال رب انى لما انزلت الىّ من خير فقير) اى محتاج سائل لما انزلت الىّ من الخير العظيم الذى هو العلم الكشفى وهو مقام الوجد والشوق اى الحال السريع الزوال وطلبه حتى يصير ملكا (فجاءته احداهما) هى النظرية المتنورة بنور القدس التى تسمى حينئذ القوة القدسية

حسن صحيح والنسائى عنها حتى احل له ان يتزوج من النساء ماشاء وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابى بن كعب لومات نساء النبى صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لايحل لك النساء من بعد قال انما احل له ضربا من النساء فقال تعالى يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك الآية ثم قال لاتحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لاتحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا ان تبدل بهن من ازواج) اى بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لاتكون ام المؤمنين يهودية ولانصرانية الا ماملكت يمينك اى من الكتابيات فتسرى بهن وقيل فى قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل انزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج اى تبدل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك الا ماملكت يمينك اى لابأس ان تبادل بجاريتك ماشئت فاما الحرائر فلا (ولو اعجبك حسنهن) يعنى ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح بدلها اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس نعنى اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابى طالب لما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهى عن ذلك (الا ماملكت يمينك) قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شئ رقيبا) اى حافظا وفى الآية دليل على جواز النظر الى من يريد انكاحها من النساء ويدل عليه ماروى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى مايدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود (م) عن ابى هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان فى اعين الانصار شيأ قال الحميدى يعنى هو الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم) الآية قال اكثر المفسرين نزلت هذه الآية فى شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فكانت امهاتى تواظبنى على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت اعلم الناس بشأن الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل فى مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبى صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبى صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبى صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذاهم قد خرجوا فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينه بالستر وانزل الحجاب زاد فى رواية قال دخل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقول يا ايها الذين

(آمنوا)

(تمشى على استحياء) لتأثرها منه وانفعالها بنوره (ان ابى يدعوك) اشاره الى الجذبة الروحية بنور القوة القدسية واللمة الملكية (ليجزيك اجر ماسقيت لنا) اى ثواب ارتواء القوى الشاغلة الجاجبة من استفاضتك وتنورها بنورك فانها اذا انفعلت بالبارق القدسى وارتوت بالفيض السرى سهل الترقى الى جناب القدس وقوى استعداد القلب للاتصال بالروح لزوال الحجب او زوال ظلمتها وكثافتها (فلما جاءه) واتصل به وترقى الى مقامه واطلع الروح على حاله (قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين) وهو صورة حاله (قالت احدهما يا ابت استأجره) اى استعمله بالمجاهدة فى الله والمراقبة لحاله فى رعاية اغنام القوى حتى لاتنتشر فتفسد جمعيتنا وتشوش فرقتنا وبالذكر القلبى فى مقام تجليات الصفات والسير فيها باجرة ثواب التجليات وعلوم المكاشفات (ان خير من استأجرت) لهذا العمل (القوى) على كسب الكمال (الامين)

آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الاان يؤذن لكم الى قوله والله لايستحيي من الحق (ق) عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك ياسودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول اوالغائط والصعيد وجه الارض والافيح الواسع (ق) عن انس وابن عمر ان عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يارسول الله لواتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل ان يدرك ثم يأكلون ولايخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الايؤذن لكم يعني الاان تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلون (غير ناظرين اناه) يعني منتظرين نضجه ووقت ادراكه (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) اى اكلتم الطعام (فانتشروا) اى فاخرجوا من منزله وتفرقوا (ولامستأنسين لحديث) اى لاتطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم) اى فيستحيي من اخراجكم (والله لايستحيي من الحق) اى لايترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قال لايستحيي من الحق بمعنى لايمتنع منه ولايتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وقيل بحسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم (واذا سألتموهن متاعا) اى واذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلوهن من وراء حجاب) اى من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت اوغير متنقبة (ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) اى من الريب (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) اى ليس لكم اذاه في شئ من الاشياء (ولاان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) اى ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغرق شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده (ان تبدوا شيأ) اى من امر نكاحهن على السنتكم (او تخفوه) اى في صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) اى يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن اضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة مابالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله ونحن ايضا يارسول الله نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله

لـذي لايخون عهد الله بالوفاء بابرازها في الاستعداد من وديعته اولايخون لروح بالميل الى بناته فحجب بالمعقول وقد قيل ان الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لايقله الاسبعة رجال وقيل عشرة فاقله وحده وذلك قوته وفيها اشارة الى ان العلم الادنى لايحصل الابالاتصاف بالصفات السبع الالهية اوالعشر (قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين) اى اجعلها تحتك تحظى عندك بنور القدس وعلوم الكشف وتكون بحكمك وأمرك لاتحتجب عنك بقولها (على ان تأجرني ثماني حجج) اى تعمل لاجلي بالمجاهدة حتى تأتى عليك ثمانية اطوار هي اطوار الصفات السبعة الالهية بالفناء عن صفاته في صفات الله التي آخرها مقام المكالمة مع طور المشاهدة التي يتم بها الوصول المطلوبة بقوله رب ارني انظر اليك (فان اتممت عشرا) بالترقي في طورين آخرين هما الفناء في الذات والبقاء بعده بالتحقق (فمن عندك) فمن كمال استعدادك وقوته وخصوصيته عينك

عزوجل (لاجناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولااخوانهن ولاابناء اخوانهن ولاابناء اخواتهن)
اى لااثم عليهن فى ترك الحجاب من هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولانسائهن) قيل اراد به
النساء المسلمات حتى لايجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل هو عام فى المسلمات والكتابيات وانما قال ولانسائهن لانهن من اجناسهن (ولاماملكت
ايمانهن) اختلفوا فى ان عبد المرأة هل يكون محرما لها ام لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله
تعالى ولاماملكت ايمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد
(واتقين الله) اى ان يراكن احد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شئ) اى من اعمال العباد
(شهيدا) * قوله عزوجل (ان الله وملائكته يصلون على النبى) قال ابن عباس
اراد ان الله يرحم النبى والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله
الرحمة ومن الملائكة استغفار فصلاة الله ثناؤه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا ايها الذين
آمنوا صلوا عليه) اى ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) اى حيوه بتحية الاسلام

* (فصل فى صفة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفضلها) * اتفق العلماء على وجوب الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب فى العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب فى كل
صلاة فى التشهد الاخير وهو مذهب الشافعى واحدى الروايتين عن احمد وقيل تجب كلما ذكر
واختاره الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة
(ق) عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال لقينى كعب بن عجرة فقال الا اهدى لك هدية ان النبى
صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (ق) عن
ابى حميد الساعدى قال قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
ازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد (م) عن ابى مسعود البدرى قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلى عليك يارسول الله فكيف نصلى
عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا * عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيئات
ورفعت له عشر درجات اخرجه الترمذى وله عن ابى طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشر فى وجهه فقلت انا لنرى البشر فى وجهك قال انه اتانى الملك فقال يا محمد ان ربك
يقول اما يرضيك انه لايصلى عليك احد الا صليت عليه عشرا ولايسلم عليك احد الا سلمت عليه
عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين فى الارض
يبلغونى من امتى السلام * عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولى الناس

الاقتضاء هو بك وهى
الكمالات العشر التى ابتلى
بها ابراهيم ربه فأتمهن بفضله
اماما للناس فى مقام التوحيد
والله اعلم (وما اريد ان اشق
عليك) احمل عليك فوق
طاقتك وما لا يفى به وسع
استعدادك (ستجدنى
ان شاء الله من الصالحين)
المربين بما يصلح للوصول
من الافاضات والعلوم
الهادين الى ما فى اصل
الاستعداد من الكمال
المودع فى عين الذات بالانوار
غير مكلفين مالم يكن فى وسعك
(ذلك بينى وبينك) ذلك
الامر الذى عاهدتنى عليه
قائم بينى وبينك يتعلق
قوتنا واستعدادنا وسعينا
لا مدخل لغير فيه (ايما
الاجلين قضيت فلا عدوان
على) اى النهايتين بلغت
فلا اثم على اذ لا على الا السعى
واما البلوغ فهو بحسب
ما اوتيت من الاستعداد
فى الازل وانما تقدر فوق
فى السعى بحسب ذلك (والله
على ما نقول وكيل)والله
هو الذى وكل اليه امرنا
وفى ذلك شاهد عليه اى
ما اوتيناه من الكمال المقدر لنا
امر تولاه الله بنفسه وعينه
من فيضه الاقدس لايمكن
لاحد تغييره ولا يطلع عليه

بى يوم القيامة اكثرهم على صلاة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى الامى وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اخرجه ابو داود * قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه كان من عادة العرب فى الجاهلية ان يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذى يصيبهم من افعال الدهر فقال الله تعالى انا الدهر اى انا الذى احل بهم النوازل وانا الفاعل لذلك الذى تنسبونه الى الدهر فى زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون فى اسمائه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير (ق) عن ابى هريرة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة او شعيرة وقيل يؤذون الله اى يؤذون اولياء الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى من احد واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) اى من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) قيل انها نزلت فى على بن ابى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت فى شأن عائشة وقيل نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكتت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة فى درع وخمار فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى (يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين) اى يرخين ويغطين (عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يتستر به من كساء وغيره قال ابن عباس امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤسهن

احد غيره ولا يبطل قبل الوصول قدر الكمال المودع فى الاستعداد وهو من غيب الغيوب الذى استأثر به الله لذاته (فلما قضى موسى الاجل) اى بلغ حد الكمال الذى هو اقصر الاجلين (وسار باهله) من القوى باسراها الى جانب القدس مستصحبا للجميع بحيث لم يمانعه ولم يتخلف عنه واحدة منها وحصل له ملكة الاتصال للتدرب فى المجاهدة والمراقبة بلا كلفة (آنس من جانب الطور نارا) طور السر الذى هو كمال القلب فى الارتقاء نار روح القدس وهو الافق المبين الذى اوحى منه الى من اوحى اليه من الانبياء (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة) اى مقام كمال القلب المسمى سرا من شجرة نفسه القدسية (ان يا موسى انى انا الله رب العالمين) وهو مقام المكالمة والفناء فى الصفات فيكون القائل والسامع

ووجوههن بالجلابيب الاعينا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين) اى لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) اى لما سلف منهن قال انس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يالكاع اتتشبهين بالحرائر الق القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك ياخسيس * قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) اى عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) اى فجورهم الزنا (والمرجفون فى المدينة) اى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وتفشو الاخبار (لنغرينك بهم) اى لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) اى لا يساكنونك فى المدينة الا قليلا اى حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة (ملعونين) اى مطرودين (اينما ثقفوا) اى وجدوا وادركوا (اخذوا وقتلوا تقتيلا) اى الحكم فيهم هذا على الامر به (سنة الله) اى كسنة الله (فى الذين خلوا من قبل) اى فى المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء ان يقتلوا حيثما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) * قوله عز وجل (يسئلك الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها فى التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله (قل انما علمها عند الله) يعنى ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك) اى اى شئ يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) اى انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين (ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار) اى تنقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) اى فى الدنيا (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنى رؤس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا السبيلا) يعنى عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعنى ضعفى عذاب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) اى لعنا متتابعا * قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) اى فطهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) اى كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل الله شيأ الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما اوذى به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى باثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة من ضرب موسى الحجر اخرجه البخارى ومسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شئ

هو الله كما قال كنت سمعه الذى به يسمع ولسانه الذى به يتكلم والقاء العصا والادبار واظهار اليد البيضاء مرتأويله فى العمل (والق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب) اى لا تخف من الاحتجاب والتلوين بعد الرجوع من الله واربط جاشك بتأييدى آمنا متحققا بالله وقد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد قدس الله روحه العزيز فى شهود الوحدة ومقام الفناء عن ابيه انه كان بعض الفقراء فى خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردى فى شهود الوحدة ومقام الفناء ذا ذوق عظيم فاذا هو فى بعض الايام يبكى ويتأسف فسأله الشيخ عن حاله فقال انى حجبت عن الوحدة بالكثرة ورددت فلا اجد حالى فنبهه الشيخ على انه بداية مقام البقاء وان حاله اعلى وارفع من الحال الاولى وامنه (فذانك برهانان من ربك) من التمتع

من جسده استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل ورأوه عريانا احسن ماخلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح اى اسرع وقوله ثوبى حجر اى دع ثوبى يا حجر قوله وطفق اى جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل فى معنى الاية ان آذاهم اياه انه لما مات هرون فى التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بنى اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك واهلك قارون (ق) عن عبدالله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا فى القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب وآثرهم فى القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ماعدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد اوذى باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم * قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله (يصلح لكم اعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) اى ظفر بالخير العظيم * قوله عز وجل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) الآية قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرائض التى فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا ادوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل فى المكيال والميزان واشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمروا به ونهوا عنه وقيل هى الصوم وغسل الجنابة ومايخفى من الشرائع وقال عبدالله بن عمرو بن العاص اول ماخلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفى رواية عن ابن عباس هى امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لايغش مؤمنا ولا معاهدا فى شئ لا فى قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف فقال لهن اتحملن هذه الامانة بمافيها قلن ومافيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لانريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لايقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض

المذكور (الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هرون) العقل (هو افصح منى لسانا) لان العقل بمثابة لسان القلب ولولاه لم يفهم احوال القلب اذ الذوقيات مالم تدرج فى صورة المعقول وتنزل فى هيئة العلم والمعلوم وتقرب بالتمثيل والتأويل الى مبالغ فهوم العقول والنفوس لم يمكن فهمها (فارسله معى ردأ يصدقنى) عونا يقرر معناى فى صورة العلم بمصداق البرهان (انى اخاف ان يكذبون) لبعد حالى عن افهامهم عن مقامى وحالى فلا بد من متوسط (قال سنشد عضدك باخيك) نقويك بمعاضدته (ونجعل لكما سلطانا) غلبة بتأثيرك فيهم بالقدرة الملكوتية وبتأييدك العقل بالقوة القدسية واظهار العقل كمالك فى الصورة العملية والحجة القياسية (فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر

عليهن تخييرا لا الزاما ولو ازمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاشعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على اهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول العلماء (فابين ان يحملنها واشفقن منها) اى خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب (وحملها الانسان) يعنى آدم قال الله عز وجل لآدم انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها آدم فقال بين اذنى وعاتقى قال الله اما اذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الى ما لا يحل فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت فاغلقه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمة وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يحتمله ويستقل به فأبى حمله واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وضعف قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا اى لا يدرى ما العقاب فى ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل فى تفسير الآية اقوال اخر وهو ان الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال على كل شئ وائتمن آدم واولاده على شئ فالامانة فى حق الاجرام العظام هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فأبين ان يحملنها اى ادين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة فى حق بنى آدم فهى ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الانسان اى خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانه فيها والقول الاول هو قول السلف وهو الاولى

(فصل) فى الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت احدهما وانا انتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ ثم اخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد احد يؤدى الامانة حتى يقال ان فى بنى فلان رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد اتى على زمان وما ابالى ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما اليوم فما كنت لابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة فى جذر قلوب الرجال جذر الشئ اصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هو النفطات فى الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شئ (خ) عن ابى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره

مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى ياهامان على الطين) نار الهوى على طين الحكمة الممتزجة من ماء العلم وتراب الهيئات المادية (فاجعل لى صرحا) مرتبة عالية من الكمال من صعد اليها كان عارفا وهو اشارة الى احتجابه بنفسه وعدم تجرد عقله من الهيئات المادية لشوب الوهم اى حاولت النفس المحجوبة بانائيته من عقل المعاش المحجوب بعقوله ان يبنى بنيانا من العلم والعمل المشوبين بالوهميات ومقاما عاليا من الكمال الحاصل بالدراسة والتعلم لا بالوراثة والتلقى من استعلى عليه توهم كونه عارفا بالغا حد الكمال كما ذكر فى الشعراء انهم كانوا قوما محجوبين بالمعقول عن الشريعة والنبوة متدربين بالمنطق والحكمة معتنين بهما معتقدين الفلسفة غاية الكمال منكرين العرفان والسلوك والوصال (لعلى

يقال بعضهم لم يجبهم حتى اذاقضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها أنايارسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يارسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ادالامانة الى من ائتمنك ولاتخن من خانك اخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث حسن غريب * قوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) اى بما خانوا الامانة ونقضوا العهد (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) اى يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذ بهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه اى يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيما) والله اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة سبا وهي مكية)

(واربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلة والف وخمسمائة واثناعشر حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عزوجل (الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من اجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذى له مافى السموات ومافى الارض اى ملكا وخلقا (وله الحمد فى الآخرة) اى كما هو له فى الدنيا لان الم فى الدارين منه فكما انه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد فى الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) اى الذى احكم امور الدارين (الخبير) اى بكل ماكان ومايكون (يعلم مايلج فى الارض) اى من المطر والكنوز والاموات (ومايخرج منها) اى من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا (وماينزل من السماء) اى من المطر والثلج والبرد وانواع البركات والملائكة (ومايعرج فيها) اى فى السماء من الملائكة واعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) اى للمفرطين فى اداء ماوجب عليهم من شكر نعمه * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطؤا ماوعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية (قل بلى وربى لتأتينكم) يعنى الساعة (عالم الغيب) اى لايفوت علمه شئ من الخفيات واذا كان كذلك اندرج فى علمه وقت قيام الساعة وانها آتية (لايعزب عنه) اى لايغيب عنه (مثقال ذرة) اى وزن ذرة (فى السموات ولافى الارض ولااصغر من ذلك) اى من الذرة (ولاأكبر الافى كتاب مبين) اى فى اللوح المحفوظ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة) اى لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) اى فى ابطال ادلتنا (معجزين) اى يحسبون انهم يفوتوننا (اولئك لهم عذاب من رجز اليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى الذين أوتوا العلم) يعنى مؤمنى اهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (الذى انزل اليك من ربك) يعنى القرآن (هو الحق) يعنى انه من عند الله (ويهدى) يعنى القرآن (الى صراط العزيز الحميد) اى الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) يعنى المنكرين للبعث المتعجبين منه (هل ندلكم) اى قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينبئكم) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب وهى انكم

المطلع الى اله موسى) بطريق التفلسف وانما ظنه من الكاذبين لقصوره عن درجة العرفان والتوحيد واحتجابه بصفة الانانية والطغيان والتفرعن بغير الحق من غير ان يتصفوا بصفة الكبرياء عند الفناء فيكون تكبرهم بالحق لابالباطل عن صفات نفوسهم (وانى لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لايرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد مااهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وماكنت بجانب الغربى) اى جانب غروب شمس الذات الاحدية فى عين موسى واحتجابها بعينه فى مقام المكالمة لانه سمع النداء من شجرة نفسه ولهذا كانت قبلته جهة المغرب ودعوته

(اذا مزقتم كل ممزق) اى قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا (انكم لفى خلق جديد) اى يقول انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا (افترى على الله كذبا) اى اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (ام به جنة) اى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون فى شئ وهو مبرأ منهما (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى منكرى البعث (فى العذاب والضلال البعيد) اى عن الحق فى الدنيا (افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض) اى فيعلموا انهم حيث كانوا فى ارضى وتحت سمائى فان ارضى وسمائى محيطتهم لا يخرجون من اقطارها وانا قادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) اى كما خسفنا بقارون (او نسقط عليهم كسفا من السماء) اى كما فعلنا باصحاب الايكة (ان فى ذلك) اى فيما ترون من السماء والارض (لآية) اى تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) اى تائب راجع الى الله بقلبه * قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعنى النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما اوتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (يا جبال اوّبى معه) اى وقلنا يا جبال سبحى معه اذا سبح وقيل رجعى معه اذا رجع ونوحى معه اذا ناح (والطير) اى وأمرنا الطير ان تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح او بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل او فتور اسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (والناله الحديد) يعنى كان الحديد فى يده كالشمع او كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته ان يخرج الى الناس متنكر افاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ما تقول فى داود واليكم هذا اى رجل هو فيثنون عليه ويقول خيرا فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ماهى يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع باربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (ان اعمل سابغات) اى دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب فى الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر فى السرد) اى ضيق فى نسج الدرع وقيل قدر المسامير فى حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتقلقل ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر فى السرد أى اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (انى بما تعملون بصير) * قوله تعالى (ولسليمان الريح) اى وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه ان مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به فى كل يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب

الى الظواهر التى هى مغارب شمس الحقيقة بخلاف عيسى عليه السلام (اذ قضينا الى موسى الامر) اوحينا ليه بطريق المكالمة (وما كنت من الشاهدين) مقامه فى مرتبة نقبائه واولياء زمانه الذين شهدوا مقامه ولكن بعد قرنك من قرنه بانشاء قرون كثيرة بينهما فنسوا فاطلعناك على مقامه وحاله فى معراجك وطريق صراطك ليتذكروا (ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا) مقيما (فى اهل مدين) مقام الروح (تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين) علوم صفاتنا ومشاهداتنا بل كانت فى طريقك اذ ترقيت من الافق الاعلى فدنوت من الحضرة الاحدية الى مقام قاب قوسين او ادنى فاخبرتهم بذلك عند ارسالنا اياك بالرجوع الى مقام القلب بعد الفناء فى الحق (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) مقام السر واقفا (ولكن رحمة) تامة واسعة شاملة (من ربك) تداركتك ورقتك الى مقام الفناء فى الوحدة الذى تندرج فيه مقامات جميع الانبياء وصارت وصفك

المسرع وقيل انه كان يغدى بالرى ويتعشى بسمرقند (واسلنا له عين القطر) اى اذبنا له عين النحاس قال اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن تجرى الماء وكان بأرض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) اى بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وامرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يزغ) اى يعدل (منهم) من الجن (عن امرنا) اى الذى امرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا فى الآخرة وقيل فى الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة احرقته (يعملون له مايشاء من محاريب) اى مساجد وقيل هى الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك ان داود عليه الصلاة والسلام ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه ولم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اقضى اتمامه على يديه فلما توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام احب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فارسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وامر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا وانزل على كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافى من اماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من اماكنها فاتى من ذلك بشئ كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلئ فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافى وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد فكان يضئ فى الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بنى اسرائيل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شئ فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكما يوافق حكمه فاوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا اخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اخرجه النسائى ولغير النسائى سألوه به ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وذكر نحو قوله لا ينهزه اى لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر انواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر * وقوله عز وجل (وتماثيل) اى ويعملون له تماثيل اى صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا فى شريعتهم

وصورة ذاتك عند التحقق به فى مقام البقاء والارسال لتتم نبوتك بختم النبوات و(لتنذر قوما) بلغت استعداداتهم فى القبول حدا من الكمال ما بلغ استعدادات آبائهم الذين كانوا فى زمن الانبياء المتقدمين وتدعوهم الى كمال مقام المحبوبين الذى لم يدع اليه احد منهم امته (فما آتاهم من نذير من قبلك) يدعوهم الى مادعوت اليه (لعلهم يتذكرون) بالوصول الى كمال المحبة (ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب)

وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما يقبح في كل الشرائع قيل عملوا له اسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس اظله النسران باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو منه (وجفان) اى قصاع (كالجواب) اى كالحياض التي يجبى فيها الماء اى يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الوحدة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) اى ثابتات على أثافيها لاتحرك ولاتنزل عن اماكنها لعظمهن و كان يصعد اليها بالسلالم و كانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) اى وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل او نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) اى قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي * قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) اى على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لايصبح يوما الا وقد نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حائطه ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لايعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيأ ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولاينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (مادلهم على موته الا دابة الارض) يعني الارضة (تأكل منسأته) قال البخاري يعني عصاه (فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) معناه علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا اراد الله تعالى بذلك ان يعلم الجن انهم لايعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الآية انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم لايعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين * قوله عز وجل (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) عن فروة بن مسيك المرادي قال لما انزل في سبأ ما انزل قال رجل يارسول الله وما سبأ ارض

العقل القرآني والفرقاني (من قبله هم به يؤمنون) لكمال استعدادهم دون غيرهم (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) وجوهنا لله بالتوحيد منقادين لامره (اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا) اولا في القيامة الوسطى من جانب الافعال والصفات قبل الفناء في الذات وثانيا في القيامة الكبرى عند البقاء بعد الفناء من الجنات الثلاث (ويدرؤن بالحسنة) المطلقة من شهود افعال الحق والصفات والذات (السيئة) المطلقة من افعالهم وصفاتهم وذواتهم (ومما رزقناهم ينفقون) بالتكميل وافاضة الكمالات على المستعدين القابلين (واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه) لتنزههم عن فضول المانع من القبول لم يلحوا واعرضوا لكونهم اولياء موحدين لا انبياء (وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم) سلمكم الله من الآفات المانعة عن قبول الحق (لانبتغي) صحبة (الجاهلين) المفقودين بالسفاهة والجهل المركب فانهم لاينتفعون بصحبتنا

او امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يارسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة أخرجه الترمذى مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان فى مسكنهم اى بمأرب من ارض اليمن آية اى دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) اى بستانان (عن يمين وشمال) اى عن يمين الوادى وشماله وقيل عن يمين من اتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد احاطت به الجنتان (كلوا) اى قيل لهم كلوا (من رزق ربكم) اى من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فتمتلئ المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيأ (واشكروا له) اى على مارزقكم من النعمة واعملوا بطاعته (بلدة طيبة) اى ارض مارب وهى سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى فى بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفى ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب اى وربكم ان شكرتم على مارزقكم رب غفور لمن شكره * قوله عزوجل (فاعرضوا) قال وهب ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم (فارسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذى لا يطاق قيل كان ماء أحمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم المسكر الذى يحبس الماء وقيل العرم الوادى قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الماء جنانهم واخرب ارضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون علمهم ان الذى يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمان ما اراد الله تعالى بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد وحفرت حتى اوهنت السيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا ايدى سبا وتفرقوا ايادى سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط) قيل هو شجر الاراك وثمره البربر وقيل كل نبت اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به (واثل)

ولا يقبلون هدايتنا (انك لا تهدى من احببت) هدايته لاهتمامك بحاله غير مطلع على استعداده بمجرد الجنسية النفسية او للقرابة البدنية دون الاصلية او الصحبة العارضية دون الحقيقية الروحية (ولكن الله يهدى من يشاء) من اهل عنايته (وهو اعلم بالمهتدين) القابلين للهداية لاطلاعه على استعدادهم وكونهم غير مطبوع على قلوبهم (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون وما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين

قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا انه اعظم منه (وشئ من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه فى الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذى بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لايصلح لشئ قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) اى ذلك الذى فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل نجازى الا الكفور) اى هل يكافأ بعمله الا الكفور لله فى نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يكافأ بسيئاته (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) اى الماء والشجر وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) اى متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام (وقدرنا فيها السير) اى قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم فى الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان مابين اليمن والشام كذلك (سيروا) اى وقلنا لهم سيروا (فيها ليالى واياما) اى فى اى وقت شئتم (آمنين) اى لاتخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا ابعد مما هى كان اجدر ان نشتهيها وطلبوا الكد والتعب فى الاسفار (فقالوا ربنا بعد بين اسفارنا) وقرئ باعد بين اسفارنا اى اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الاجابة (وظلموا انفسهم) اى بالبطر والطغيان (فجعلناهم احاديث) اى عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) اى فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل التفريق قيل لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق (ان فى ذلك لآيات) اى لعبرا ودلالات (لكل صبار) اى عن المعاصى (شكور) اى لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر لنعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر * قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه اصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق ماظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا (وما كان له عليهم من سلطان) اى ما كان تسليطنا اياه عليهم (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) اى لنرى ونميز المؤمن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب (وربك على كل شئ حفيظ) اى رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ * قوله تعالى (قل) اى قل يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) اى انهم آلهة اى (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) يعنى من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) اى للآلهة (فيهما) اى فى السموات والارض

ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ) اى خفيت عليهم الحقائق والتبست فى القيامة الصغرى لكونهم محجوبين واقفين مع الاغيار كالعمى وقد رسخ جهلهم الشامل اوقات النشأتين كقوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى (فهم لايتساءلون) لعجزهم عن النطق وكونهم مختوما على افواههم (فاما من تاب وآمن) تنصل عما غطى بصيرته وغشى قلبه واستعداده من صفات النفس وآمن بالغيب بطريق السر (وعمل) فى الطلب واكتساب الخيرات والصفات (عملا صالحا فعسى ان يكون من المفلحين) الفائزين بالتجرد عن مقام النفس بمقام القلب والرجوع الى الفطرة من جانب النشأة (وربك يخلق مايشاء) من المحجوبين

(من شرك) اى من شركة (وماله) اى لله (منهم) اى من الآلهة (من ظهير) عوين (ولاتنفع الشفاعة عنده الالمن أذن له) اى اذن الله له فى الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عندالله وقيل يجوز ان يكون المعنى الالمن أذن الله فى ان يشفع له (حتى اذا فزع عن قلوبهم) معناه كشف الفزع واخرج من قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذاقضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذافزع عن قلوبهم (قالواماذا قال ربكم قالوا) الذى قال (الحق وهو العلى الكبير) وللترمذى اذاقضى الله فى السماء امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذافزع عن قلوبهم قالواماذاقال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال الترمذى حديث حسن صحيح قوله خضعا جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذاتكلم الله بالوحى سمع اهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون فلايزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذاجاء فزع عن قلوبهم فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق اخرجه ابوداود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرامن قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة اوستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذاقال ربكم قالواقال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذاقال ربكم فى الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروابه حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلى الكبير اى ذوالعلو والكبرياء *قوله عزوجل (قل من يرزقكم من السموات والارض) يعنى المطر والنبات (قل الله) يعنى ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل أنت ان رازقكم هو الله (وانا اواياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين) معناه مانحن وانتم على امر واحد بل احد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف فى الحجاج كما يقول القائل احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبى صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خلفه فى ضلال فكذبهم من غيران يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان اتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
وقيل او بمعنى الواو ومعنى الآية انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين (قل لاتسئلون عما اجرمنا) اى لاتؤاخذون به (ولانسئل عما تعملون) اى من الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام الصغائر والزلات التى لايخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعنى يوم القيامة (ثم يفتح) اى يقضى ويحكم (بيننا بالحق) اى بالعدل (وهو الفتاح) اى القاضى (العليم) اى بما يقضى (قل اروني) اعلمونى (الذين الحقتم به) اى بالله (شركاء) اى الاصنام التى اشركوها معه فى العبادة هل يخلقون اويرزقون واراد بذلك ان يريهم انه خطأ

والمكاشفين (ويختار) بمقتضى مشيته وعنايته لهم مايريد (ما كان لهم الخيرة) فى ذلك (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون) نزهه عن ان يكون لغيره اختيار مع اختياره فيكون شريكه (وهو الله لا اله الا هو) لاشريك له فى الوجود (له الحمد فى الاولى والآخرة) المطلق لثبوت جميع الكمالات الظاهرة على مظاهر الاكوان والباطنة وعنه اله فيكون كل جميل غنى قوى عزيز فى الدنيا بجماله وغناه وقوته وعزته جميلا غنيا قويا عزيزا وكل كامل عالم عارف به فى الآخرة بكماله وعلمه ومعرفته كاملا عالما عارفا (وله الحكم) يقهر كل شئ على مقتضى مشيئته ويحكم عليه بموجب ارادته فيكون كل قبيح فقير ذليل ضعيف فى الدنيا بحكمه وتحت قهره كذلك وكل محجوب مخذول اسير مردود فى الآخرة فى قهره وتحت حكمه مخذولا محجوبا اسيرا مردودا (واليه ترجعون) بالفناء فى وجوده اوافعاله وصفاته اوذاته (قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل) ليل ظلمة

العظيم في الحاق الشركاء بالله (كلا) كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) اى الغالب على امره (الحكيم) اى في تدبير خلقه فانى يكون له شريك في ملكه * قوله عز وجل (وما ارسلناك الا كافة للناس) اى الناس كلهم عامة احمرهم واسودهم عربيهم وعجميهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه اولى اهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة اى كافا تكفهم عما هم عليهم من الكفر فتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) اى لمن آمن بالجنة (ونذيرا) اى لمن كفر بالنار (ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنى يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بان يزاد في آجالهم او ينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) يعنى التوراة والانجيل (ولو ترى) اى يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتحاورون المراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والاشراف (لولا انتم لكنا مؤمنين) يعنى انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) اى اجاب المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا انحن صددناكم) اى منعناكم (عن الهدى) اى عن الايمان (بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) اى بترك الايمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اى مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار وهو طول السلامة في الدنيا وطول الامل فيها (اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) اى هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار ان تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (واسروا الندامة) اى اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا) اى في النار الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) اى من الكفر والمعاصى في الدنيا * قوله عز وجل (وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها) اى رؤساؤها واغنياؤها (انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا) يعنى المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن اكثر اموالا واولادا) يعنى لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا اموالا ولا اولادا (وما نحن بمعذبين) اى ان الله قد احسن الينا في الدنيا بالمال والولد

النفس (سرمدا الى يوم القيامة) الصغرى (من اله غير الله يأتيكم بضياء) من نور الروح (افلا تسمعون) حال كونكم في الحجاب فتفهمون المعانى والحكم فتؤمنون بالغيب (قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) نهار نور الروح سرمدا بالتجلى الدائم دون الاستتار (الى يوم القيامة) الصغرى (من اله غير الله يأتيكم بليل) من اوقات الغفلات وغلبات صفات النفس وغشاوات الطبع (تسكنون فيه) الى حقوق نفوسكم وراحات ابدانكم (افلا تبصرون) بنور روح تجليات الحق (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) بالغفلة والحضور في مقام القلب والاستتار والتجلى في مقام الروح (لتسكنوا فيه) في ظلمة النفس الى نور البدن وترتيب المعاش (ولتبتغوا من فضله) من فضل مكاشفاته وتجليات صفاته ومشاهداته (لعلكم تشكرون) نعمه الظاهرة والباطنة والجسمانية والروحانية في اولاكم وآخراكم باستعمالها لوجه الله فيما وجب عليكم من طاعته

فلايعذبنا فى الآخرة (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولايدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه (ولكن اكثر الناس لايعلمون) اى انها كذلك (وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) اى بالتى تقربكم عندنا تقريبا (الا) اى لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه منى (فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) اى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة (وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا) اى يعملون فى ابطال حججنا (معجزين) اى معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك فى العذاب محضرون) قوله عزوجل (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شئ فهو يخلفه) اى يعطى خلفه اذا كان فى غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لامعوض سواه اما عاجلا بالمال اوبالقناعة التى هى كنز لاينفد واما بالثواب فى الآخرة الذى كل خلف دونه وقيل ماتصدقتم من صدقة وانفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال مايقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ماقسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع مافى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولايتاولن وما انفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم أنفق انفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبدا بعفو الا عزا وماتواضع احد لله الارفعه الله (وهو خير الرازقين) اى خير من يعطى ويرزق لان كل مارزق غيره من سلطان يرزق جنده أوسيد يرزق مملوكه أورجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه الله على ايدى هؤلاء وهو الرزاق الحقيقى الذى لارازق سواه * قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى هؤلاء الكفار (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) اى فى الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك * وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) اى تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) اى نحن نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعنى الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت اراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم فى ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (اكثرهم بهم مؤمنون) اى مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا) اى شفاعة (ولاضرا) اى بالعذاب يريد انهم عاجزون لانفع عندهم ولاضر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا الارجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا الا افك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم) يعنى هؤلاء المشركين

فى كل مقام به وفيه وله (ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا) اى نخرج يوم القيامة عند خروج المهدى من كل امة نبيهم وهو اعرفهم بالحق (فقلنا) على لسان الشهيد الذى يشهد الحق بشهود الكل ولا يحتجب بهم عنه (هاتوا برهانكم) على ما انتم عليه احق هو ام لا فعجزوا عن آخرهم وظهر برهان النبى (فعلموا ان الحق لله) اظهره مظهر الشهيد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) مفترياتهم من المذاهب المختلفة والطرق المتشعبة المتفرقة اوقلنا للشهداء هاتوا برهانكم باظهار التوحيد فاظهروا فعلموا ان الحق لله (ان قارون كان من قوم موسى) طالما كبلعم بن باعوراء (فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولاتبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندى اولم يعلم

(من كتب يدرسونها) اى يقرؤنها (وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير) اى لم يأت العرب قبلك نبي ولا انزل اليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) اى من الامم السالفة رسلنا (وما بلغوا) يعنى هؤلاء المشركين (معشار) اى عشر (ما آتيناهم) اى اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية * قوله عز وجل (قل انما اعظكم) اى آمركم واوصيكم (بواحدة) اى بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى (ان تقوموا لله) اى لاجل الله (مثنى) اى اثنين اثنين (وفرادى) اى واحدا واحدا (ثم تتفكروا) اى تجتمعوا جميعا فتنظروا وتتحاوروا وتتفكروا فى حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ان (ما بصاحبكم من جنة) ومعنى الآية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهى ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب فى الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى واما الفرد فيفكر فى نفسه ايضا بعدل ونصفة هل رأينا فى هذا الرجل جنونا قط اوجربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مابه من جنة بل قد علمتم انه من ارجح قريش عقلا واوزنهم حلما واحدهم ذهنا وارصنهم رأيا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين انه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اى فى السموات والارض فتعلموا ان خالقهما واحد لا شريك له ثم ابتدا فقال ما بصاحبكم من جنة (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ما سألتكم) اى على تبليغ الرسالة (من اجر) اى جعل (فهو لكم) اى لم اسألكم شيأ (ان أجرى) اى ثوابى (الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق) اى يأتى بالوحى من السماء ليقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) اى خفيات الامور (قل جاء الحق) اى القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) اى ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدئ شيأ اوتعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس احدا ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فانما اضل على نفسى) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما اضل على نفسى اى اثم ضلالتى على نفسى (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) اى من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) * قوله عز وجل (ولو ترى) اى يا محمد (اذ فزعوا) اى عند البعث اى حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فوت) اى لا يفوتوننا ولا نجاة لهم (واخذوا من مكان قريب) قيل من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعنى عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذ فزعوا لرأيت امرا تعتبر به (وقالوا آمنا به) اى حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (وانى لهم التناوش) اى التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا

ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) لاحتجابه بنفسه وعلمه بالتكبر والاستطالة عليهم فغلب عليه الحرص ومحبة الدنيا ابتلاء من الله لغروره واحتجابه برؤيته زينة نفسه بكمالها فمال هواه الى الجهة السفلية فخسف به فيها محجوبا ممقوتا (تلك الدار الآخرة) من العالم القدسى الباقى (نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا) لا يحجبون بنفوسهم وصفاتها فتصير فيهم الارادة

فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) اى من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) اى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب واهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم مايقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لايعلمون من حيث لايعلمون وهو قولهم انه شاعر ساحر كاهن لاعلم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لابعث ولاجنة ولانار (وحيل بينهم وبين مايشتهون) يعنى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كما فعل باشياعهم) اى بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) اى لم تقبل منهم التوبة والايمان فى وقت اليأس (انهم كانوا فى شك) اى من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) اى موقع الريبة والتهمة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة)

وهى مكية وخمس واربعون آية تسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله عزوجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) اى خالقها ومبتدعها على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) اى الى الانبياء (اولى اجنحة) اى ذوى اجنحة (مثنى وثلاث ورباع) اى بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة (يزيد فى الخلق مايشاء) اى يزيد فى خلق الاجنحة مايشاء قال عبد الله بن مسعود فى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح وقيل فى قوله يزيد فى الخلق مايشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة فى العينين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شئ قدير) اى مما يريد ان يخلقه * قوله تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير ورزق (فلا ممسك لها) اى لايستطيع احد حبسها (ومايمسك فلا مرسل له من بعده) اى لايقدر احد على فتح ماامسك (وهو العزيز) اى فيما امسك (الحكيم) اى فيما ارسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لامانع لما اعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت اى لاينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك * قوله عزوجل (ياأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) اى لاخالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ (يرزقكم من السماء) يعنى المطر (والارض) اى النبات (لا اله الا هو فانى تؤفكون) اى من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وانتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) اى فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه * قوله تعالى (ياأيها الناس ان وعد الله حق) يعنى وعد القيامة (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) اى لاتخدعنكم بلذاتها ومافيها

الفطرية الطالبة للترقى والعلو فى سماء الروح هوى نفسانية تطلب الاستعلاء والاستطالة والتكبر على الناس فى الارض ويصير صلاحهم بطلب المعارف واكتساب الفضائل والمعالى فسادا يوجب جمع الاسباب والاموال واخذ حقوق الخلق بالباطل (والعاقبة للمتقين) للمجردين الذين تركت نفوسهم عن الرذائل المردية والاهواء المغوية (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الاما كانوا يعملون ان الذى فرض عليك القرآن) اوجبك فى الازل عند البداية والاستعداد الكامل الذى هو العقل القرآن الجامع لجميع الكمالات وجوامع الكلم والحكم (لرادك الى معاد) ماعظمه لايبلغ كنهه ولايقدر قدره هو الفناء فى الله فى احدية الذات والبقاء بالتحقق به بجميع الصفات (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) اى لايعلم حالى وكنه هدايتى وماأوتيت من العلم اللدنى المخصوص به الاربى لا انا ولا غيرى لفنائى فيه عن نفسى واحتجاب غيرى عن

عن عمل الآخرة وسلب ماعندالله (ولايغرنكم بالله الغرور) اى لايقل لكم اعملوا ماشئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) اى عادوه بطاعة الله ولاتطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصى (انما يدعو حزبه) اى اشياعه واولياءه (ليكونوا من اصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير) * قوله عزوجل (افمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت فى ابى جهل ومشركى مكة وقيل نزلت فى اصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم وليس اصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم لايستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله (فرآه حسنا) وفى الآية حذف مجازه افمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وقيل مجاز الآية افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والحسرة شدة الحزن على مافات والمعنى لاتغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا) اى تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجئ به (فسقناه) اى فنسوقه (الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) اى مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بواد اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه * قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء الى طاعة من له العزة اى فليطلب العزة من عندالله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله ان لاعزة الا لله ولرسوله ولاوليائه المؤمنين (اليه) اى الى الله (يصعد الكلم الطيب) قيل هو قول لااله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله اكبر روى البغوى باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انبأتكم بمصداقه من كتاب الله عزوجل مامن عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجئ بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفى اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد اى يقبل الله الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه) قال ابن عباس اى يرفع العمل الصالح الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمنى وليس بالتحلى ولكن ماوقر فى القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رده الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء فى الحديث لايقبل الله قولا الا بعمل ولاقولا ولا عملا

حالى (ومن هو فى ضلال مبين) من هو محجوب عن الحق لعدم الاستعداد وكثافة الحجاب لكون غيرى محجوبا عن حال استعدادى فاعلمه بل هو العالم به لاانا الفانى فيه وتحقق به (وماكنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب) كتاب العقل الفرقانى بتفصيل ماجمع فيك لكونك فى جب النشأة مغمورا وعما اودع فيك محجوبا (الارحمة) اى لكن القى اليك لتجلى صفة الرحمة الرحيمية (من ربك) وظهور فيضها فيك شيأ فشيأ حتى صارت وصفك (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) المحجوبين باحتجابك بها عن الفناء فى الذات فتظهر انائيتك برؤية كمالها (ولايصدنك عن آيات الله) وتجليات صفته فتقف مع انائيتك كوقوفهم مع الغير فتكون من المشركين بالنظر الى نفسك واشراكها بالله فى الوجود (وادع الى ربك) به لاالى نفسك به فانك الحبيب والحبيب لايدعو الى نفسه ولايكون بنفسه بل الى حبيبه بحبيبه (لااله الاهو) فلاتدع معه

الابنية وقيل الهاء فى يرفعه راجعة الى العمل الصالح اى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال (والذين يمكرون السيئات) اى يعملون السيئات اى الشرك وقيل يعنى الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وقيل هم اصحاب الرياء (لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور) اى يبطل ويهلك فى الآخرة * قوله عزوجل (والله خلقكم من تراب) يعنى آدم (ثم من نطفة) يعنى ذريته (ثم جعلكم ازواجا) يعنى اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم بعضا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) اى لا يطول عمر احد (ولا ينقص من عمره) اى عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب فى ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا ينقص الا فى كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه ان يؤخر اجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز ان يزاد ذلك وقرأ هذه الآية (الا فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) اى كتابة الآجال والاعمال على الله هين * قوله تعالى (وما يستوى البحران) يعنى العذب والمالح ثم وصفهما فقال (هذا عذب فرات) اى طيب يكسر العطش (سائغ شرابه) اى سهل فى الحلق هنئ مرئ (وهذا ملح اجاج) اى شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر (ومن كل) يعنى من البحرين (تأكلون لحما طريا) السمك (وتستخرجون) أى من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون فى البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه مواخر) أى جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) أى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) أى تشكرون الله على نعمه (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعنى الاصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (ان تدعوهم) يعنى الاصنام (لا يسمعوا دعاءكم) يعنى انهم جماد (ولو سمعوا) أى على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يتبرؤن منكم اياها (ولا ينبئك مثل خبير) يعنى نفسه اى لا ينبئك أحد مثلى لانى عالم بالاشياء * قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أى الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغنى) عن خلقه لا يحتاج اليهم (الحميد) أى المحمود فى احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أى لاتخاذكم أندادا وكفركم بآياته (ويأت بخلق جديد) أى بخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيأ (وما ذلك على الله بعزيز) أى بممتنع (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الاوزار الذى اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم قلت هذه الآية

غير الانفسك ولا غيرها فمن امتثال قوله وادع الى ربك حصل له وصف ما طغى ومن قوله لا تدع مع الله ما زاغ البصر (كل شئ هالك الا وجهه) اى ذاته اذ لا موجود سواه (له الحكم) بقهره كل ما سواه تحت صفاته (واليه ترجعون) بالفناء فى ذاته

(سورة العنكبوت)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) اى الذات الالهية والصفات الحقيقية التى اصلها واولها باعتبار النسبة الى الغير العلم والاضافية التى اولها ومنشؤها المبدئية اقتضت ان لا يترك الناس على نقصانهم وغفلتهم واحتجابهم بمجرد اقوالهم المطابقة للحق وظواهر اعمالهم بل يفتنوا بانواع البليات ويمتحنوا بالشدائد والرياضات حتى يظهر ما كمن فى استعداداتهم واودع فى غرائزهم فان الذات الالهية احبت ان تظهر كمالاتها المخزونة فى عين الجمع فاودعها معادن اعيان الناس واوجدها فى عالم الشهادة كما قال تعالى كنت كنزا مخفيا الحديث فحبب اليهم بالابتلاء بالالم والنعم ليعرفوه عند ظهور

في الضالين وثلث في المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حملها) معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها (لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى) اى ولو كان المدعو ذا قرابة كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يعلق الاب والام بالابن فيقول يابني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي (انما تنذر الذين يخشون ربهم) اى يخافون ربهم (بالغيب) اى لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب (واقاموا الصلوة ومن تزكى) اى اصلح وعمل خيرا (فانما يتزكى لنفسه) اى لها ثوابه (والى الله المصير ومايستوي الاعمى والبصير) اى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعني الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (ومايستوي الاحياء ولا الاموات) يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعني حتى يتعظ ويجيب (وما انت بمسمع من في القبور) يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) اى ما انت الا منذر تخوفهم بالنار (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) اى بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر (وان من أمة) اى من جماعة كثيرة فيما مضى (الا خلا) اى سلف (فيها نذير) اى نبي منذر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا ان تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيمة لانه لا نبي بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) اى بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) اى الصحف (وبالكتاب المنير) اى الواضح قيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تاكيدا (ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر ان الله انزل من السماء ماء) يعني المطر (فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) يعني اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني الوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وحمر) يعني الخطط والطرق في الجبال (مختلف الوانها) يعني منها ما هو ابيض ومنها ما هو احمر ومنها ما هو أصفر (وغرابيب سود) اى شديدة السواد كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه) اى خلق مختلف الوانه (كذلك) اى كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشئ اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اى لم يشدد فيه قولها فتنزه عنه اقوام اى تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل

صفاته عليهم فيصيروا مظاهر له في الانتهاء اليه كما كانوا معادن وخزائن عند الابتداء منه فان كونه منتهى من لوازم كونه مبتدأ (ولقد فتنا الذين من قبلهم) من اهل الاستبصار والاستعداد بانواع المصائب والمحن والرياضات والفتن حتى يتميز الصادق في الطلب القابل للكمال بظهور كماله من الكاذب المهوس الضعيف الاستعداد (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله) في احد المواطن سواء كان موطن الثواب والآثار او موطن الافعال او موطن الاخلاق او موطن الصفات او موطن الذات (فان اجل الله) في احدى القيامات الثلاث (لآت وهو السميع العليم) اى فليتيقن وقوع اللقاء بحسب حاله ورجائه عند الاجل المعلوم وليعمل الحسنات ليجد الكرامة في جنة النفس من باب الآثار والافعال عند الموت الطبيعي او ليجتهد في المحو بالرياضات والمراقبات

اشد الناس خشية لله اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عزيز) اى فى ملكه (غفور) اى لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو أحق ان يخشى ويتقى * قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) اى يداومون على قراءته ويعلمون مافيه ويعملون به (واقاموا الصلوة) اى ويقيمون الصلاة فى اوقاتها (وانفقوا مما رزقناهم) اى فى سبيل الله (سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) اى لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ماوعد الله من الثواب (ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس سوى الثواب يعنى ممالم ترعين ولم تسمع اذن (انه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم (والذى اوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) اى من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) * قوله تعالى (ثم اورثنا الكتاب) اى اوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم اورثناه يعنى حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه بمعنى نورثه (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بأن جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوى بغير سند وعن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فان هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم فى الجنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال ابو قلابة احد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه اخرجه البغوى بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتى وآنس وحشتى وسق الى جليسا صالحا فقال ابو الدرداء لئن كنت صادقا لانا اسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يابنى كلهم فى الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما المقتصد فمن تبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم لنفسه فمثلى ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيآته والمقتصد من استوت سيآته وحسناته والظالم من رجحت سيآته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره

ليشاهد فى جنة القلب من تجليات الصفات ومقامات الاخلاق مايشتهيه ويدعيه عند الموت الارادى او ليجاهد فى الله حق جهاده بالفناء فيه ليجد روح الشهود وذوق الجمال جنة الروح عند الموت الاكبر والطامة الكبرى (ومن جاهد) فى اى مقام كان لاى موطن اراد (فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين والذين آمنوا) كل واحد من انواع الايمان المذكورة (وعملوا الصالحات) بحسب ايمانهم (لنكفرن عنهم) سيآت اعمالهم او اخلاقهم او صفاتهم او ذواتهم بانوار ذاته (ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون) من اعمالنا الصادرة عن صفاتنا بدل اعمالهم (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما

خيرا من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارئ له العامل بما فيه وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدا بالظالمين اخبارا بانه لايتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لايؤثر فى الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن احد مكره وكلهم فى الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل فى عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخرهم ومعنى سابق بالخيرات اى بالاعمال الصالحة الى الجنة اوالى رحمة الله (باذن الله) اى بأمر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى ايراثهم الكتاب واصطفاءهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعنى الاصناف الثلاثة (يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وانهم لايدرون مايصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال يوم القيامة وهموم الحصر والمعيشة فى الدنيا وقيل ذهب عن اهل الجنة كل حزن كان لمعاش اومعاد روى البغوى بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولافى نشورهم وكانى باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن (ان ربنا لغفور شكور) يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذى احلنا) اى انزلنا (دار المقامة) اى الاقامة (من فضله) اى لاباعمالنا (لايمسنا فيها نصب) اى لايصيبنا فيها عناء ولامشقة (ولايمسنا فيها لغوب) اى اعياء من التعب * قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا) اى فيستريحوا مما هم فيه (ولايخفف عنهم من عذابها) اى من عذاب النار (كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون) اى يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) اى من النار (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) اى فى الدنيا من الشرك والسيآت فيقول الله تعالى توبيخا لهم (اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل اربعون سنة قال ابن عباس ستون سنة يروى ذلك عن على وهو العمر الذى اعذر الله تعالى لابن ادم (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى كل امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتى مابين الستين الى السبعين (وجاءكم النذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفى الاثر مامن شعرة تبيض الاقالت لاختها استعدى فقد قرب الموت (فذوقوا) اى يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) اى مالهم من مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور)

فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون

يعنى انه اذا علم ذلك وهو اخفى مايكون فقد علم غيب كل شيء في العالم * قوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف في الارض) اى يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت من قبلها من الامم ورأت مافيه ماينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء في ارضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) اى جحد هذه النعمة وغمطها (فعليه كفره) اى وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) اى غضبا وقيل المقت اشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) اى في الآخرة (قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم (اروني ماذا خلقوا من الارض) يعنى اى جزء استبدوا بخلقه من الارض (ام لهم شرك في السموات) اى خلق في السموات والارض (ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) اى على حجة وبرهان من ذلك (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا) يعنى الرؤساء (بعضا الا غرورا) يعنى قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله * قوله عز وجل (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) اى لكى لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بان تزولا وتهدا هدا لعظم كلمة الشرك (ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده) اى ليس يمسكهما احد سواه (انه كان حليما غفورا) اى غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (واقسموا بالله جهد ايمانهم) يعنى كفار مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم (لئن جاءهم نذير) اى رسول (ليكونن اهدى من احدى الامم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مازادهم) مجيئه (الا نفورا) اى تباعدا عن الهدى (استكبارا في الارض) يعنى عتوا وتكبرا عن الايمان به (ومكر السيء) يعنى عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحيق المكر السيء الا باهله) اى لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن اشرك (فهل ينظرون) اى ينتظرون (الا سنت الاولين) يعنى ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجد لسنت الله تبديلا) اى تغييرا (ولن تجد لسنت الله تحويلا) اى تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم (وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) اى ليفوت عنه (من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) اى من الجرائم (ما ترك على ظهرها) اى ظهر الارض (من دابة) اى من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) يعنى يوم القيامة (فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع اوله سورة يس)

وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم) جعل اول مكارم الاخلاق احسان الوالدين اذهما مظهرا صفتي الايجاد والربوبية فكان حقهما يلي حق الله يقرن طاعتهما بطاعته لان العدل ظل التوحيد فمن وحد الله لزمه العدل واول العدل مراعاة حقوقهما لانهما اولى الناس فوجب تقديم حقوقهما على حق كل احد الا على حقه تعالى ولهذا وجبت طاعتهما في كل شيء الا في الشرك بالله (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم) شيأ عبدتموه مودودا فيما بينكم (في الحيوة الدنيا) او ان كل ما اتخذتم من دون الله شيأ مودودا فيما بينكم في الحياة الدنيا او ان كل ما اتخذتم اوثانا مودود في هذه الحياة او المودة بينكم في هذه على القراءتين والمعنى ان المودة

فهمان مودة دنيوية ومودة اخروية والدنيوية منشؤها النفس من الجهة السفلية والأخروية منشؤها الروح من الجهة العلوية فكل ما يحب ويود من دون الله لا لله ولا بمحبة الله فهو محبوب بالمودة النفسية وهي هوى زائل كلما انقطعت الوصلة البدنية زالت ولم تصل الى احدى القيامات فانها نشأت من تركيب البدن واعتدال المزاج فاذا انحل التركيب وانحرف المزاج تلاشت وبقي التضاد والتعاند بمقتضى الطبائع كقوله تعالى (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين اخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) ولهذا شبهها ببيت العنكبوت فى الوهن فى قوله (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين) واما الاخروية فمنشؤها الذات الاحدية والمحبة الالهية وتلك المودة هى التى تكون بين الاصفياء والاولياء لتناسب الصفات وتجانس الذوات لا تنصفى غاية الصفاء ولا تتجرد عن الغطاء الا عند زوال التركيب والبروز عن حجب النفس والبدن فى مقام القلب والروح لقربها من منبعها هناك فتصير يوم القيامة محبة صرفة صافية الهيئة بخلاف تلك (اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلوة) اى فصل ما اجمل فيك من كتاب العقل القرآنى بسبب الوحى ونزول كتاب العلم الفرقانى واقم الصلاة المطلقة على ترتيب تفاصيل التلاوة والعلوم ومعناه اجمع بين الكمال العلمى والعمل المطلق فان لك بحسب كل علم صلاة وكما ان العلوم اما نافعة تتعلق بالآداب والاعمال واصلاح المعاش وهى علوم القوى من غيب الملكوت الارضية واما شريفة تتعلق بالاخلاق والفضائل واصلاح المعاد وهى علوم النفس من غيب الصدر والعقل العلمى واما كلية يقينية تتعلق بالصفات وهى على نوعين عقلية نظرية وكشفية سرية وكلاهما من غيب القلب والسر واما حقيقية تتعلق بالتجليات والمشاهدات وهى من غيب الروح واما ذوقية لدنية تتعلق بالعشقيات والمواصلات وهى من غيب الخفاء واما حقية من غيب الغيوب وبحسب كل علم صلاة فالاولى هى الصلاة البدنية باقامة الاوضاع واداء الاركان والثانية صلاة النفس بالخضوع والخشوع والانقياد والطمأنينة بين الخوف والرجاء والثالثة صلاة القلب بالحضور والمراقبة صلاة السر بالمناجاة والمكالمة والخامسة صلاة الروح بالمشاهدة والمعاينة والسادسة صلاة الخفاء بالمناغاة والملاطفة ولا صلاة فى المقام السابع لانه مقام الفناء والمحبة الصرفة الفناء فى عين الوحدة وكما كان نهاية الصلاة الظاهرة وانقطاعها بظهور الموت الذى هو ظاهر اليقين وصورته كما قيل فى تفسير قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فكذلك انتهاء الصلاة الحقيقية بالفناء المطلق الذى هو حق اليقين واما فى مقام البقاء بعد الفناء فيتجدد جميع الصلوات الست مع سابعة وهى صلاة الحق بالمحبة والتفريد (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فالصلاة البدنية تنهى عن المعاصى والسيئات الشرعية وصلاة النفس عن

(الرذائل)

الرذائل والاخلاق الرديئة والهيئات المظلمة وصلاة القلب تنهى عن الفضول والغفلة وصلاة السر تنهى عن الالتفات الى الغير والغيبة كما قال عليه السلام لو علم المصلى من يناجى ماالتفت وصلاة الروح عن الطغيان بظهور القلب بالصفات تنهى صلاة القلب عن ظهور النفس بها وصلاة الخفاء عن الانانية وظهور الانانية وصلاة الذات تنهى عن ظهور البقية بالتلوين وحصول المخالفة فى التوحيد (ولذكر الله اكبر) الذى هو ذكر الذات فى مقام الفناء المحض وصلاة الحق عند التمكين فى مقام البقاء اكبر من جميع الاذكار والصلوات (والله يعلم ماتصنعون) فى جميع المقامات والاحوال والصلوات (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن) انما منع المجادلة مع اهل الكتاب الا بالطريقة التى هى احسن لانهم ليسوا محجوبين عن الحق بل عن الدين فهم اهل استعداد ولطف لا اهل خذلان وقهر وانما ضلوا عن مقصدهم الذى هو الحق فى الطريق لموانع وعادات وظواهر فوجب فى الحكمة مرافقتهم فى المقصد الذى هو التوحيد كما قال (الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد) ومرافقتهم فى الطريق مااستقام منها ووافق طريق الحق لا ما اعوج وانحرف عن المقصد كالانقياد والاستسلام للمعبود بالحق الواحد المطلق كما قال (ونحن له مسلمون) ليتحقق عندهم انهم على الحق متوجهون الى مقصدهم سالكون لسبيله فتطمئن قلوبهم وملاطفتهم فى بيان كيفية سلوك الطريق بتصويب ماهو حق مما هم عليه وتبصير ماهو باطل لاحتجابهم عنه بالعادة كقوله آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم لمناسبتهم ومشاركتهم اياهم فى اللطف فيستأنسوا بهم ويقبلوا اقوالهم ويهتدوا بهداهم الا الذين ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون فبطل استعدادهم وحجبوا عن الدين ظلموا منهم على انفسهم بابطال استعداداتهم ونقص حقوقها من كمالاتها بتكديرها وتسويدها ومنعها عن القبول بكثرة ارتكاب الفضول فانهم اهل القهر لايؤثر فيهم الا القهر ولا تنجع فيهم الملاطفة للمضادة بين الوصفين (وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هولاء من يؤمن به ومايجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم ومايجحد بآياتنا الا الظالمون) اى القرآن علوم حقيقية ذوقية بينة محلها صدور العلماء المحققين وهى المعانى النازلة من غيب الغيوب الى الصدر لا الالفاظ والحروف الواقعة على اللسان والذكر ومايجحد بها الا الكافرون المحجوبون لعدم الاستعداد او الظالمون الذين ابطلوا استعدادهم بالرذائل والوقوف مع الاضداد (وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم مافى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) المحجوبين عن الحق لكونهم مغمورين فى الغواشى الطبيعية والحجب الهيولانية بحيث لم يبق فيهم فرجة الى عالم النور فيستبصروا ويستضيؤا بها ويتنفسوا منها فيتروحوا فيها (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم) لحرمانهم عن الحق واحتجابهم عن النور واحتراقهم تحت القهر (ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ماكنتم تعملون) لحرمانهم اللذات والشهوات واحتجابهم عنها بفقد الاسباب والآلات وتعذيبهم بايلام الهيئات ونيران الآثار وهم بين مبتلين شديدين ومشوقين قويين الى الجهة العلوية بمقتضى الفطرة الاصلية والى السفلية باقتضاء رسوخ الهيئة العارضية مع الحرمان عنهما واحتباسهم فى برزخ بينهما نعوذ بالله منه (ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لايعقلون وماهذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين

له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوكذب بالحق لما جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا) من اهل الطريقة (فينا) بالسير فى صفاتنا وهو السير القلبى لان المبتدى الذى هو فى مقام النفس سيره بالجهاد الى الله والمجاهدة فى هذا السير بالحضور والمراقبة والاستقامة الى الله فى الثبات على حكم التجليات (لنهدينهم سبلنا) الى طرق الوصول الى الذات وهى الصفات لانها حجب الذات فالسلوك فيها بالاتصاف بها موصل الى حقيقة الاسم الثابت له تعالى بحسب الصفة الموصوف هو بها وهو عين الذات الواحدية وهى باب الحضرة الاحدية (وان الله لمع المحسنين) الذين يعبدون الله على المشاهدة كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فالمحسنون السالكون فى الصفات والمتصفون بها لانهم يعبدون بالمراقبة والمشاهدة وانما قال كأنك تراه لان الرؤية والشهود العينى لايكون الابالفناء فى الذات بعد الصفات

* (سورة الروم) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم غلبت الروم فى ادنى الارض) الذات الاحدية مع صفتى العلم والمبدئية كما ذكر اقتضت ان روم القوى الروحانية تكون مغلوبة فى اقرب موضع من ارض النفس الذى هو الصدر لان فيض المبدا يوجب اظهار الخلق واحتجاب الحق به فكل ماكان اقرب الى الحق كان مغلوبا بالذى هو اقرب الى الخلق وذلك حكم الاسم المبدى فى مظهر النشأة وتجليه تعالى به واسمه الظاهر واسمه الخالق وفى الجملة بما فى حضرته المبدئية من الاسماء (وهم من بعد غلبهم) كونهم مغلوبين (سيغلبون) على فارس القوى النفسانية الاعجمية المحجوبة بالرجوع الى الله وظهور القلب (فى بضع سنين) من الاطوار التى يكون فيها الترقى الى الكمال واوقات الحضور والمقامات والتجليات (لله الامر من قبل) بحكم اسمه المبدئ (ومن بعد) بحكم اسمه المعيد يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه (يومئذ) اى يوم غلبة روم الروحانيات على النفسانيات (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتأيده من الملكوت السماوية وامدادهم بالامداد القدسية (ينصر من يشاء) من اهل عنايته المستعدين بها (وهو العزيز) القوى الغالب على قهر الفارسيين المحجوبين (الرحيم) بافاضة الامداد الكمالية والانوار التأييدية القدسية على الروميين الغالبين (وعد الله) فى تكميل المستعدين من اهل عنايته (لايخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لايعلمون) لاحتجابهم يحسبون ان هذه الغلبة بقوتهم وكسبهم وانه قد يمكن انه لايبلغ المعنى به السعى الى الكمال لعدم السعى ولايعرفون ان ذلك المستعد ايضا من توفيقه وعلامة عنايته تعالى به وعدم السعى من خذلانه وآية كونه غير معنى به فان اعمالنا معرفات لاموجبات (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) وان وجوه المكاسب منوطة بسعى العباد وتدبيرهم (وهم من الآخرة) عن الباطل واحوال العالم الروحانى (هم غافلون) لايفطنون ان وراء هذه الحياة المنقطعة حياة سرمدية كما قال وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون وان وراء تدبير العباد وسعيهم لله تعالى تقديرا وحكما (اولم يتفكروا فى انفسهم ماخلق الله السموات والارض) سموات الغيوب السبعة وارض البدن (ومابينهما) من القوى الطبيعية والملكوت الارضية والروحانية والملكوت السماوية والصفات والاخلاق وغيرها الا بالحكمة والعدل وظهور الحق فى مظاهرهم بالصفات على حسب استعداد قبولها لتجليه (واجل مسمى) هو غاية كمال كل منهم وفنائه فى الله بمقتضى هوية استعداده الاول حتى يشهدوا بقدر استعدادهم والقاء الله فيهم بصفاته وذاته (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) لاحتجابهم عنه فيتوهمون انه لايكون الا بالمقابلة الصورية فى عالم آخر باندراج الهوية فى الهوية (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤا الخلق) باظهار الفرس على الروم (ثم يعيده) باظهار الروم على الفرس (ثم اليه ترجعون) بالفناء فيه (ويوم تقوم الساعة)

الساعة) بوقوع القيامة الصغرى (يبلس المجرمون) عن رحمة الله وتحيرهم فى العذاب غير قابلين للرحمة او القيامة الكبرى بظهور المهدى وقهرهم تحت سطوته وحرمانهم من رحمته وحينئذ يتفرق النـاس بتميز المؤمن عن الكافر (ولم يكن لهم من شركائهم شفعواء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله) ان يكون غيره فى الوجود والصفة والفعل والتأثير (حين تمسون) بغلبة ظلمة الفرس على نور الروم (وحين تصبحون) عند ظهور نورهم على ظلمة الفرس (وله الحمد فى السموات والارض) بظهور صفات كماله وتجليات جماله فى سموات الغيوب السبعة وقت اصباح غلبة نور الروحانيات على ظلمات النفسانيات وقرب طلوع شمس الروح وبظهور صفات جلاله فى ارض البدن عند امساء غلبة ظلمة النفسانيات على نور الروحانيات (وعشيا) وقت فنائهم وغيبة شمس الروح فى الذات (وحين تظهرون) فى البقاء بعد الفناء عند الاستقامة والاستواء (يخرج الحى) حى القلب من ميت النفس بالاعادة وقت الاصباح (ويخرج الميت) ميت النفس من حى القلب فى الابداء عند الامساء (ويحيى الارض بعد موتها) ارض البدن حينئذ (وكذلك تخرجون) فى النشأة الثانية (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته) اى من افعاله وصفاته التى يتوصـل بهـا الى ذاته معرفة وسلوكا (ان خلق لكم من انفسكم ازواجا) اى خلق لكم من النفوس ازواجا للارواح (لتسكنوا اليها) وتركنوا وتميلوا نحوها بالمودة والتأثير والتأثر (وجعل بينكم مودة ورحمة) من الجانبين المودة والرحـمة فتود النفس نور الروح وتأثيره بالقبول والتـأثر فتسكن عن الطيش وتتعسف فيرحمها الله بولادة القلب فى مشيمة الاستعداد برآيها فتهدى ببركته وتخلق باخلاقه فتفلح وتود الروح النفس بالتأثير فيها والافاضة النور عليها فيرحـمه الله بالولد المبارك براءطوفا فيرتقى ببركتـه ويظهر به كماله (ان فى ذلك لآيات) صفات وكمالات (لقوم يتفكرون) فى انفسهم وذواتهم وماجبلت عليها واودعت فيها (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) من لسـان النفس والقلب والسر والروح والخفاء بكل مقـال فى كل مقـام فانه لا ينحصر وجوه اختلافات هذه الالسن (والوانكم) تلونـاتكم وتلويناتكم فى السموات والارض (ان فى ذلك لآيات للعالمين) من تجليات الصفات والافعال للعلماء العارفين فى مراتب علومهم (ومن آياته منامكم بالليـل والنهار) غفلتكم فى ليل النفس ونهـار القلب بظهور صفاتها (وابتغاؤكم من فضله) بالترقى فى الكمالات واكتساب الاخلاق والمقـامات (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) كلام الحق بسمع القلب فيفهمون معناه بحسب مقاماتهم فى الاطوار (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها) برق اللوامع والطوالع فى البدايات خائفين من انقضـاضهـا وخفوقهـا وبقائكم فى الظلمة بفواتها وطامعين فى رجوعها ومزيدكم بهـا وينزل مياه الواردات والمكاشفات بعدهـا من سماء الروح وسحاب السكينة فيحيى بها اراضى النفوس والاستعدادات الهامدة بعد موتهـا بالجهل (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) بمطاوعة تتوسيهم للدواعى العقلية معانى الواردات ومايصلحهم من الحكم والمعقولات (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من فى السموات والارض كل له قانتون وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) اى الوصف الاعلى بالفردانية فى الوجود والوحدة الذاتية وما احسن قول مجاهد فى معناه انه لا اله الا هو (ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسـكم كذلك نفصـل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدى من اضل الله ومالهم من ناصرين فأقم وجهك للدين) لدين التوحيد وهو طريق الحق تعالى ولذلك اطلق من غير اضافة اى هو الدين مطلقا وما سواه ليس بدين لانقطاعه دون الوصول الى المطلوب والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها واقامته للدين تجريده عن كل ماسوى الحق قائما بالتوحيد والوقوف مع الحق غير ملتفت الى نفسه ولا الى غيره فيكون سيره حينئذ سير الله ودينه وطريقته الذان هو عليهمـا دين الله وطريقتـه اذ لا يرى غيره موجودا (حنيفا) مائلا منحرفا عن الاديان الباطلة التى هى طرق الاغيار والانداد لمن اثبت غيره فاشركه بالله (فطرت الله)

فطر الناس عليها) اى الزموا فطرة الله وهى الحالة التى فطرت الحقيقة الانسانية عليها من الصفاء والتجرد فى الازل وهى الدين القيم ازلا وابدا لا يتغير ولا يتبدل من الصفاء الاول ومحض التوحيد الفطرى وتلك الفطرة الاولى بحسب الامن الفيض الاقدس الذى هو عين الذات من بقى عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق استطيع الانحراف والاحتجاب من غواشى النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلقة او التربية والعادة اما الاول فلقوله عليه السلام فى الحديث الربانى كل عبادى خلقت حنفاء فاحتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى واما الثانى فلقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا ان تتغير تلك الحقيقة فى نفسها عن الحالة الثانية فانه محال وذلك معنى قوله (لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) تلك الحقيقة (منيبين اليه) حال من الضمير المتصل فى الزموا المقدر اى الزموا تلك الفطرة المخصوصة بالله منيبين اليه من جميع الاغيار المتوهم وجودها من قبل شياطين الوهم والخيال واديانها الباطلة بالتجرد عن الغواشى الجبلية والعوارض البدنية والهيئات الطبيعية والصفات النفسانية الى الحق ودينه (واتقوه) بعد الانابة اليه بتجريد الفطرة بالفناء فيه (واقيموا الصلوة) الشهود الذاتى (ولا تكونوا من المشركين) ببقية الفطرة وظهور الانائية فى مقامها (من الذين فرقوا دينهم) فرقوا دينهم الحقيقى بسقوطهم عن الفطرة واحتجابهم بحجب النشأة والعادة (وكانوا شيعا) فرقا مختلفة لوقوف كل احد مع حجابه واختلاف حجبهم وتفريق الشيطان اياهم فى اودية صفات النفس فبعضهم على دين البهائم وبعضهم على دين السباع وبعضهم على دين الهوى وبعضهم على دين الشيطان خاصة وانواع الشياطين لا تنحصر فكذا الاديان (كل حزب بما لديهم فرحون) اى من المفارقين الدين الحقيقى المتفرقين شيعا مختلفة كل حزب عند تكدر الفطرة وتكاثف الحجاب يفرح بما يقتضيه استعداده من الحجاب لكونه مقتضى طبيعة حجابه فيناسب حاله من الاستعداد الغالب والفرح انما يكون بادراك الملائم من حيث هو ملائم وذلك ملائم فى الحال بحسب الاستعداد العارضى وان لم يلائم فى الحقيقة بحسب الاستعداد الاصلى ولهذا يجب به التعذيب عند زوال العارض (واذا مس الناس ضرّ دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدّمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد فى البرّ والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتى يوم لا مردله من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها انّ ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرّا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم

(كنتم

كنتم الا مبطلون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كأن فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله) اى وجوده الى الله بالفناء فى افعاله او صفاته او ذاته (وهو محسن) عابد له على مشاهدته بحسب مقامه يعمل فى الاول باعمال التوكل على مشاهدة افعاله تعالى وفى الثانى باعمال مقام الرضا على مشاهدة صفاته وفى الثالث بالاستقامة فى التحقق به على شهود ذاته (فقد استمسك بالعروة الوثقى) بدين التوحيد الذى هو اوثق العرى (والى الله عاقبة الامور) بالفناء فيه واليه انتهاء الكل (ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير الم تر ان الله يولج فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير الم تر ان الفلك تجرى فى البحر) ان فلك البدن تجرى فى بحر الهيولى بافاضة آثار صفاته من الحياة والقدرة والادراك عليه واعداده بالآلات (بنعمة الله) اى لقبول الكمالات عليه (ليريكم من آياته) بهذا الجرى واستعداد من آيات تجليات افعاله وصفاته (ان فى ذلك لآيات) من تجليات افعاله وصفاته (ان فى ذلك لآيات) من تجليات افعاله وصفاته اذ لا مظهر الاعلى هذا المظهر (لكل صبار) يصبر مع الله بالمجاهدة عن ظهور افعال نفسه وصفاتها لاحكام مقام التوكل والرضا (شكور) يشكر نعم التجليات بالقيام بحقها والعمل بأحكام مقام التوكل فى تجليات الافعال واحكام مقام الرضا فى تجليات الصفات ليكون على مزيد من جلاله (واذا غشيهم موج) من غلبات صفات النفس ومقتضيات الطبع (كالظلل) كالحجب الساترة لانوار التجليات (دعوا الله مخلصين له الدين) لتجرد الطريقة بالاخلاص والقيام بحقه فى مقامهم لتنكشف الحجب ببركة الثبات على العمل بالاخلاص فان السالك اذا حجب

بالتلوين عن المقام الاعلى وجب عليه التثبت فى مقام الذى دونه مما هو ملائمه كالاخلاص بالنسبة الى التوكل (فلما نجاهم الى البر) بالتجلى الفعلى الى برّ مقام التوكل والامن من الغرق فى بحر الهيولى بغلبات النفس (فمنهم مقتصد) ثابت على الاعتدال فى القيام بحقوق التوكل والسير فى افعاله تعالى على التمكين (وما يجحد بآياتنا) باضاعة حقوق مقامه فى التجليات واحتجابه فى التلوينات (الا كل ختار) يغدر فى الوفاء بعقد العزيمة وعهد الفطرة مع الله عند الابتلاء بالفترة (كفور) لايستعمل نعم الله فى مراضيه ولا يقضى حقوق مقامه فى التجليات ولا يعمل باعمال اهل التوكل والرضا عند ظهور انوار الافعال والصفات اوتلك الشريعة تجرى مراكبها فى هذا البحر الى ساحل برّ النجاة وجنة الآثار ليريكم من آيات تجليات الافعال (يا ايها الناس اتقوا ربكم) احذروه فى الظهور بأفعالكم وصفاتكم وذواتكم بالفناء فيه عنها (واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده) لانقطاع الوصل عند بروزكم لله المتجلى بالوحدة والقهر ولا يبقى وجود للوالد والولد فلا يجزى بعضهم عن بعض شيأ (ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) من الحياة القلبية التى هى اقرب اليكم بأنها حقيقية دائمة فانه لاحياة لاحد حينئذ (ولا يغرنكم بالله الغرور) فتظهروا بالانانية وتحتجبوا بوسوسته فتقعوا فى الطغيان (ان الله عنده علم الساعة) الكبرى لفناء الكل فيه حينئذ فكيف بعلومهم (وينزل الغيث) غيث ذلك بحسب الاستعدادات قبل الفناء (ويعلم ما فى الارحام) ارحام الاستعداد من الكمالات اهى تامة املا اوفى ارحام النفوس من اولاد القلوب اهى رشيدة كاملة املا (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) من العلوم والمقامات فى الزمان المستقبل لاحتجابها عما فى استعدادها (وما تدرى نفس باىّ ارض) من اراضى المقامات (تموت ان الله عليم خبير) ويفنى استعدادها لانقضاء مافيها من الكمالات لان علم الاستعدادات وحدودها مما استأثر به الله تعالى لذاته فى غيب الغيب والله تعالى اعلم

* (سوره السجدة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) اى ظهور الذات الاحدية والصفات والحضرات الاسمائية هو (تنزيل الكتاب لاريب فيه) كتاب العقل الفرقانى المطلق على الوجود المحمدى (من رب العالمين) بظهوره فى مظهره بصورة الرحمة التامة (ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام) باحتجابه بهما فى الايام الستة الالهية التى هى مدة دور الخفاء من لدن آدم عليه السلام الى دور محمد عليه الصلاة والسلام (ثم استوى على العرش) على عرش القلب المحمدى ظهور فى هذا اليوم الاخير الذى هو جمعة تلك الايام بالتجلى بجميع صفاته فان استواء الشمس هو كمال ظهورها فى الاشراق ونشر الشعاع ولهذا قال عليه السلام بعثت فى نسم الساعة فان وقت بعثته طلوع صبح الساعة ووسط نهار هذا اليوم وقت ظهور المهدىّ عليه السلام ولامر مااستحب قراءة هذه السورة فى صبح يوم الجمعة (مالكم من دونه) عند ظهوره (من ولى ولاشفيع) لفناء الكل فيه (افلا تتذكرون) العهد الاوّل من ميثاق الفطرة عند ظهور الوحدة (يدبر الامر من السماء الى الارض) بالاخفاء والخلافية من سماء ظهور الوحدة الى ارض خفائها وغروبها فى الايام الستة (ثم يعرج اليه فى يوم كان) بالظهور فى هذا اليوم السابع الذى كان (مقداره الف سنة مماتعدون ذلك) المدبر (عالم الغيب) وحكمة الخفاء فى الستة (والشهادة) اى الظهور فى هذا اليوم (العزيز) المنيع بستور الجلال فى الاحتجاب (الرحيم) بكشفها واظهار الجمال (الذى احسن كل شئ خلقه) بأن جعله مظاهر صفاته فان الحسن مختص بالصفات والاكوان كلها مظاهر صفاته الا الانسان الكامل فانه مختص بجمال الذات ولهذا خصه بالتسوية اى التعديل بأعدال الامزجة واحسن التقويم ليستعد بذلك لقبول الروح المخصوص به تعالى (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه) وبهذا النوع انتهى الخلق وظهر الحق (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وقالوا أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) اى النفس الانسانية الكلية التى هى معاد النفوس الجزئية مالم تسقط عن الفطرة بالكلية وان احتجبت الهيآت الظلمانية والصفات

النفسانية فانها مالم تبلغ الى حد الرين وانغلاق باب المغفرة تنوقاها النفس التى هى بمثابة القلب لعالم وان بلغت فرقتها ملائكة العذاب بحسب ولما لم يبلغوا الى هذا الحد وان احتجبوا عن لقاء الرب وصفهم مع ميلهم الى الجهة السفلية المنكسة لرؤسهم بسبب رسوخ هيآت الاجرام بالبصر والسمع وتمنى الرجوع اذ لولم يبق فيهم نور الفطرة وطمسوا بالكلية لم يقولوا (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا) ولم يتمنوا الرجوع وهؤلاء هم الذين لا يخلدون فى النار بل يعدلون بحسب رسوخ الهيآت ثم يرجعون (لآتينا كل نفس هداها) بالتوفيق للسلوك مع المساواة فى الاستعداد ولكنه ينافى الحكمة لبقائهم حينئذ على طبيعة واحدة وبقاء سائر الطبقات الممكنة فى حيز الامكان مع عدم الظهور ابدا وخلو اكثر مراتب هذا العالم عن اربابها فلا تمشى الامور الخسيسة والدنيئة المحتاج اليها فى العالم التى تقوم بها اهل الحجاب والذلة والقسوة والظلمة البعداء عن المحبة والرحمة والنور والعزة فلا ينضبط نظام العالم ولا يتم صلاح المهتدين ايضا لوجوب الاحتياج الى سائر الطبقات فان النظام ينصلح بالمنافى وبالمظاهر كلهم انبياء وسعداء لاختل بعدم النفوس الثلاث وشياطين الانس القائمين بعمارة العالم الا ترى الى قوله تعالى انى جعلت معصية آدم سببا لعمارة العالم فوجب فى الحكمة الحقة التفاوت فى الاستعدادات بالقوة والضعف والصفاء والكدورة والحكم بوجود السعداء والاشقياء فى القضاء ليتجلى بجميع الصفات فى جميع المراتب وهذا معنى قوله (ولكن حق القول منى) اى فى القضاء السابق (لأملأن جهنم) الطبيعة (من الجنة) اى النفوس الارضية الخفية عن البصر (والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) لاحتجابكم بالغشاوات الطبيعية والملابس البدنية (انا نسيناكم) بالخذلان عن الرحمة لعدم قبولكم اياها وادباركم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) بسبب اعمالكم فعلى هذا التأويل المذكور تكون الخلد مجازا وعبارة عن الزمان الطويل او يكون الخطاب بذوقوا لمن حق عليهم القول فى القضاء السابق من الجنة والناس (انما يؤمن بآياتنا) على التحقيق بآيات صفاتنا (الذين اذا ذكروا بها خروا) لسرعة قبولهم لها بصفاء فطرتهم (سجدا) فانين فيها (وسبحوا بحمد ربهم) اى جردوا ذواتهم متصفين بصفات ربهم فذلك هو تسبيحهم وحمدهم له بالحقيقة (وهم لا يستكبرون) بظهور صفات النفس والانائية (تتجافى جنوبهم) بالتجرد عن الغواشى الطبيعية والقيام (عن المضاجع) البدنية والخروج عن الجهات بمحو الهيآت (يدعون ربهم) بالتوجه الى التوحيد فى مقام القلب (خوفا) من الاحتجاب بصفات النفس بالتلوين (وطمعا) فى لقاء الذات (ومما رزقناهم) من المعارف والحقائق (ينفقون) على اهل الاستعداد (فلا تعلم نفس) شريفة منهم (ما اخفى لهم من قرة أعين) من جمال الذات ولقاء نور الانوار الذى تقر به أعينهم فيجدون من اللذة والسرور ما لا يبلغ كنهه ولا يمكن وصفه (جزاء بما كانوا يعملون) من التجريد والمحو فى الصفاء والعمل بأحكام التجليات (أفمن كان مؤمنا) بالتوحيد على دين الفطرة (كمن كان فاسقا لا يستوون) بخروجه عن ذلك الدين القيم بحكم دواعى النشأة (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) بحسب مقاماتهم من الجنان الثلاث (نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها) بالميل الفطرى (اعيدوا فيها) لاستيلاء الميل السفلى وقهر الملكوت الارضية بسبب رسوخ الهيئات الطبيعية (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى) الذى هو عذاب الآثار ونيران مخالفات النفوس والطباع فى البليات والشدائد والاهوال دون العذاب الاكبر) الذى هو الاحتجاب بالظلمات عن انوار الصفات والذات (لعلهم يرجعون) الى الله عند تصفية فطرتهم بشدة العذاب الادنى قبل الرين بكثافة الحجاب (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب) كتاب العقل الفرقانى (فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) من لقاء موسى عند بلوغك الى مرتبته فى معراجك كما ذكر فى قصة المعراج انه لقيه فى السماء الخامسة وهو عند ترقيه عن مقام السر الذى هو مقام المناجاة الى مقام الروح الذى هو الوادى المقدس (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا

تأثر كل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون) الفتح المطلق يوم القيامة الكبرى بظهور المهدى لا ينفع ايمان المحجوبين حينئذ لانه لا يكون الا باللسان ولا يغنى عنهم العذاب والله تعالى اعلم

* (سورة الاحزاب) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يا أيها النبي اتق الله) بالفناء عن ذاتك بالكلية دون بقاء البقية (ولا تطع الكافرين) بموافقتهم فى بعض الحجب لظهور الانائية (والمنافقين) بالنظر الى الغير فتكون ذا وجهين وبالانتهاء بحكم هذا النهى وصف بقوله مازاغ البصر وماطغى (ان الله كان عليما) يعلم ذنوب الاحوال (حكيما) فى ابتلائك بالتلوينات فانها تنفع فى الدعوة واصلاح امر الامة اذ لو لم يكن له تلوين لم يعرف ذلك من امته فلا يمكنه القيام بهدايتهم (واتبع) فى ظهور التلوينات (ما يوحى اليك من ربك) من التأديبات وانواع العتاب والتشديدات بحسب المقامات كما ذكر غير مرة فى قوله ولولا ان ثبتناك وامثاله (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعلم مصادر الاعمال وانها من اى الصفات تصدر من الصفات النفسانية او الشيطانية او الرحمانية فيهديك اليها ويزكيك منها ويعلمك سبيل التزكية والحكمة فى ذلك (وتوكل على الله) فى دفع تلك التلوينات ورفع تلك الحجب والغشاوات (وكفى بالله وكيلا) فانها لا ترتفع ولا تنكشف الا بيده لا بنفسك وعلمك وفعلك اى لا تحتجب برؤية الفناء فى الفناء فانه ليس من فعلك سواء كان فى الافعال او الصفات او الذات او ازالة التلوينات فانها كلها بفعل الله لا مدخل لك فيها والا لما كنت فانيا (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) لانه مبدأ كما لاتهم ومنشأ الفيضين الاقدس الاستعدادى اولا والمقدس الكمالى ثانيا فهو الاب الحقيقى لهم ولذلك كانت ازواجه امهاتهم فى التحريم ومحافظة الحرمة مراعاة لجانب الحقيقة وهو الواسطة بينهم وبين الحق فى مبدا فطرتهم فهو المرجع فى كمالاتهم ولا يصل اليهم فيض الحق بدونه لانه الحجاب الاقدس واليقين الاول كما قال اول ما خلق الله نورى فلو لم يكن احب اليهم من انفسهم لكانوا محجوبين بانفسهم عنه فلم يكونوا ناجين اذ نجاتهم انما هى بالفناء فيه لانه المظهر الاعظم (وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) بعضهم اولى ببعض من غيرهم للاتصال الروحانى والجسمانى والاخوة الدينية والقرابة الصورية ولا تخلو القرابة من تناسب ما فى الحقيقة لاتصال الفيض الروحانى بحسب الاستعداد المزاجى فكما تناسب امزجة اولى الارحام وهياكلهم الصورية فكذلك ارواحهم واحوالهم المعنوية (الا ان تفعلوا الى اوليائكم) المحبوبين فى الله للتناسب الروحى والتقارب الذاتى (معروفا) احسانا بمقتضى المحبة والاشتراك فى الفضيلة زائدا عما بين الاقارب (كان ذلك فى الكتاب) اى اللوح المحفوظ (مسطورا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا) وخصوصا الخمسة المذكورة لاختصاصهم بمزيد المرتبة والفضيلة ميثاق التوحيد والتكميل والهداية بالتبليغ عند الفطرة وهو الميثاق الغليظ المضاعف بالكمال والتكميل ولذلك اضافه اليهم بقوله ميثاقهم اى الميثاق الذى ينبغى لهم ويختص بهم وقدم فى الاختصاص بالذكر نبينا عليه السلام بقوله منك لتقدمه على الباقين فى الرتبة والشرف (ليسئل) الله بسبب عهدهم وميثاقهم وبواسطة هدايتهم (الصادقين) الذين صدقوا العهد الاول والميثاق الفطرى فى قوله الست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) بالوفاء والوصول الى الحق باخراج ما فى استعدادهم من الكمال بحضور الانبياء كما قال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالسؤال انما كان مسببا عن ميثاق الانبياء لانه يسألهم على السنتهم وهم الشاهدون لهم آخرا كما كانوا شاهدين عليهم اولا (واعد للكافرين عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا

(ويستأذن)

ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت اوالقتل واذا لاتمتعون الاقليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوأ اواراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياولانصيرا قديعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولايأتون البأس الاقليلا اشحة عليكم فاذاجاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون فى الاعراب يسئلون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الاقليلا لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وجب على كل مؤمن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلقا حتى يتحقق رجاؤه ويتم عمله لكونه الواسطة فى وصولهم والوسيلة فى سلوكهم للرابطة النفيسة بينه وبينهم بحكم الجنسية (وذكر الله كثيرا) ودكر الرجاء اللازم للايمان بالغيب فى مقام النفس وقرن به الذكر الكثير الذى هو عمل ذلك المقام ليعلم ان من كان فى بدايته يلزمه متابعته فى الاعمال والاخلاق والمجاهدة والمواساة بالنفس والمال اذ لولم يحكم البداية لم يفلح بالنهاية ثم اذا تجرد وتزكى عن صفات نفسه فليتابعه فى موارد القلب اى الصدق والاخلاص والتسليم والتوكل كما تابعه فى منازل النفس ليحتظى ببركة متابعته بالمواهب والاحوال وتجليات الصفات فى مقامه كما احتظى بالمكاسب والمقامات وتجليات الافعال فى مقام النفس وكذا فى مقام السر والروح حتى الفناء ومن صحة المتابعة تصديقه فى كل مااخبر به بحيث لايعتوره الشك فى شئ من اخباره والافترت العزيمة وبطلت المتابعة فان الاصل والعمدة فى العمل الاعتقاد الجازم ولهذا مدحهم بقوله (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) اذ وعدهم الابتلاء والزلزال حتى يخلعوا عن ابدانهم ويتجردوا فى التوجه اليه عن نفوسهم فى قوله ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله (ومازادهم) اى وقوع البلاء بالاحزاب (الاايمانا وتسليما) لقوة اعتقادهم فى البداية وصحة متابعتهم فى التسليم ففازوا بمقام الفتوة والانخلاع بالبلاء وعن قيود النفس لسلامة الفطرة فوصفهم بالوفاء الذى هو كمال مقام الفتوة وسماهم رجالا على الحقيقة بقوله (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) اى رجال اى رجال مااعظم قدرهم لكونهم صادقين فى العهد الاول الذى عاهدوا الله فى الفطرة الاولى بقوة اليقين وعدم الاضطراب عند ظهور الاحزاب فلم يتضعضعوا بكثرتهم وقوتهم عن التوحيد وشهود تجلى الافعال فيقعوا فى الارتياب ويخافوا سطوتهم وشوكتهم (فمنهم من قضى نحبه) بالوفاء بعهده والبلوغ الى كمال فطرته (ومنهم من ينتظر) فى سلوكه بقوة عزيمته (ومابدلوا تبديلا) بالاحتجاب بغواشى النشأة وارتكاب مخالفات الفطرة بمحبة النفس والبدن ولذاتهما والميل الى الجهة السفلية وشهواتها فيكونوا كاذبين فى العهد غادرين (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) جنات الصفات (ويعذب المنافقين) الذين وافقوا المؤمنين بنور الفطرة واحبوهم بالميل الفطرى الى الوحدة واحبوا الكافرين بسبب غواشى النشأة والانهماك فى الشهوة فهم متذبذبون بين الجهتين لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء وبهيآت نفوسهم المظلمة (ان شاء) لرسوخها (أويتوب عليهم) لعروضها وعدم رسوخها (ان الله كان غفورا) يستر هيآت النفوس بنوره (رحيما) يفيض الكمال عندامكان قبوله (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما يانساء النبى لستن كاحد من النساء

ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما) اختيار النساء هو احدى خصال التجريد واقدام الفتوة التى يجب متابعته فيها فانه عليه السلام مع ميله اليهن لقوله حبب الى من دنياكم ثلاث لاذشوشن وقته بميلهن الى الحياة الدنيا وزينتها خيرهن وجرد نفسه عنهن وحكمهن بين اختيار الدنيا ونفسه فان اخترنه لقوة ايمانهن بقين معه بلا تفريق معه بلا تفريق لجمعيته وتشويش لوقته بطلب الزينة والميل اليها بل على التجرد والتوجه الى الحق كقوى نفسه وان اخترن الدنيا وزينتها متعهن وسرحهن وفرغ قلبه عنهن بمثابة امانة القوى المستولية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل) من جملة الخصال التى يجب طاعته ومتابعته فيها وهو مقام الرضا والفناء فى الارادة لكونه عليه السلام اذا فنى بذاته وصفاته فى ذات الله وصفاته تعالى اعطى صفات الحق بدل صفاته عند تحققه بالحق فى مقام البقاء بالوجود الموهوب وكان حكمه وارادته حكم الله وارادته تعالى كسائر صفاته الا ترى الى قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فمن لوازم متابعته الفناء فى ارادة الحق فارادته ارادة الحق فيجب الفناء فى ارادته وترك الاختيار مع اختياره والا لكان عصيانا و (ضلالا مبينا) لكونه مخالفة صريحة للحق (واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما) احد التأديبات الالهية النازلة فى تلوينه عند ظهور نفسه للتأديب وتلك التلوينات هى موارد التأديبات ولهذا كان خلقه القرآن (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) باللسان فى مقام النفس والحضور فى مقام القلب والمناجاة فى مقام السر والمشاهدة فى مقام الروح والمواصلة فى مقام الخفاء والفناء فى مقام الذات (وسبحوه) بالتجريد عن الافعال والصفات والذات (بكرة واصيلا) وقت طلوع فجر نور القلب وادبار ظلمة النفس وليل غروب شمس الروح بالفناء فى الذات اى دائما من ذلك الوقت الى الفناء السرمدى (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) بحسب تسبيحكم بتجليات الافعال والصفات دون الذات لاحتراقهم هناك بالسبحات كما قال جبريل عليه السلام لودنوت انملة لاحترقت (ليخرجكم من الظلمات الى النور) بالامداد الملكوتى والتجلى الاسمائى من ظلمة افعال النفوس الى نور تجليات افعاله فى مقام التوكل ومن ظلمة صفات النفوس الى نور تجليات صفاته ومن ظلمة الانائية الى نور الذات (وكان بالمؤمنين رحيما) يرحمهم بما يستدعيه حالهم ويقتضيه استعدادهم من الكمالات (تحيتهم يوم يلقونه سلام) اى تحية الله اياهم وقت اللقاء بالفناء فيه تكميلهم وتسليمهم عن النقص بجبر كسرهم بافعاله وصفاته وذاته او تحيتهم باناضة هذه الكمالات وقت لقائهم اياه بالمحو والفناء هى سلامتهم عن آفات صفاتهم وافعالهم وذواتهم او بسلامتهم لان التحية بالتجليات والسلامة عن الآفات تكونان معا والاول يناسب اطلاق اسم السلام على الله تعالى (واعد لهم اجرا كريما) باثابة هذه الجنات عن اعمالهم فى التسبيحات والذاكرات (يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا) للحق فى الارسال الى الخلق غير محتجب بالكثرة عن الوحدة مطلقا على احوالهم وكمالاتهم بنور الحق (ومبشرا) للمستعدين السالكين فيه بالفوز بالوصول (ونذيرا) للمحجوبين والواقفين مع الغير بالعقاب والحرمان والحجاب (وداعيا الى الله) كل مستعد بحسب حاله ومقامه (باذنه) وما يسر الله له بحسب استعداده (وسراجا منيرا) بنور

الحق النفوس المظلمة بغشاوات الجهل وهيآت البدن والطبع (وبشر المؤمنين) المستبصرين بنور الفطرة (بان لهم) بحسب صفاء استعداداتهم (من الله فضلا) بافاضة الكمالات بعد هبة الاستعدادات (كبيرا) من جنات الصفات (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فى التلوينات كما ذكر فى اول السورة فيتكدر نور سراجك (ودع اذاهم) بنفسك لتنجو من آفة التلوين ورؤية فعل الغير فانهم لا يفعلون ما يفعلون بالاستقلال بانفسهم (وتوكل على الله) برؤية افعالهم وافعالك منه (وكفى بالله وكيلا) يفعل بك وبهم ما يشاء فان آذاهم على مظهرك فهو القادر على ذلك مع براءتك من ذنب التلوين كما فعل عند التمكين والله اعلم بشأنه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيأ او تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) بالامداد وبالتأييدات والافاضة للكمالات فالمصلى فى الحقيقة هو الله تعالى جمعا وتفصيلا بواسطة وغير واسطة ومن ذلك تعلم صلاة المؤمنين عليه وتسليمهم له فانها من حيز التفصيل وحقيقة صلاتهم عليه قبولهم لهدايته وكماله ومحبتهم لذاته وصفاته فانها امداد له منهم وتكميل وتعميم للفيض اذ لو لم يمكن قبولهم لكمالاته لما ظهرت ولم يوصف بالهداية والتكميل فالامداد اعم من ان يكون من فوق بالتأثير او من تحت بالتأثر وذلك كقبول المحبة والصفاء هو حقيقة الدعاء فى صلاتهم بقولهم اللهم صل على محمد وتسليمهم جعلهم اياه بريئا من النقص والآفة فى تكميل نفوسهم والتأثير فيها وهو معنى دعائهم له بالتسليم (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) لان النبي فى غاية القرب منه بحيث يتحقق به بفناء انيته ولم تبق انيته هناك لخلوص محبته فالمؤذى له يكون مؤذيا لله والمؤذى لله هو الظاهر بانيته نفسه لعداوة الله له فهو فى غاية البعد الذى هو حقيقة اللعن فى الدارين ظاهرا وباطنا وهو مقابل لحضرة العزة فيكون فى غاية الهوان فى عذاب الاحتجاب (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) لمن استعد لها (ان الله لعن الكافرين) لبعدهم عنه بالاحتجاب (واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) بتغير صورهم فى انواع العذاب وبراز الحجاب (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) بالاجتناب عن الرذائل والسداد فى القول الذى هو الصدق والصواب والصدق هو مادة كل سعادة واصل كل كمال لانه من صفاء

القلب وصفاؤه يستدعى قبول جميع الكمالات وانوار التجليات وهووان كان داخلا فى التقوى المأمور بها الا انه اجتناب من رذيلة الكذب مندرج تحت التزكية التى عبرعنها بالتقوى لكنه افرد بالذكر للفضيلة كأنه جنس برأسه كما خص جبريل وميكائيل من الملائكة (يصلح لكم اعمالكم) بافاضة الكمالات والفضائل اى زكوا انفسكم لقبول التحلية من الله يفيض الكمالات عليكم (ويغفر لكم ذنوبكم) ذنوب صفاتكم بتجليات صفاته (ومن يطع الله ورسوله) فى التزكية ومحو الصفات (فقد فاز) بالتحلية والاتصاف بالصفات الالهية وهو الفوز العظيم (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) بايداع حقيقة الهوية عندها واحتجابها بالتعينات بها (فأبين ان يحملنها) بان نظر عليهن مع عظم اجرامها لعدم استعدادها لقبولها (واشفقن منها) لعظمها عن اقدارها وضعفها عن حملها وقبولها (وحملها الانسان) لقوة استعداده واقتداره على حملها فانتحلها لنفسه باضافتها اليه (انه كان ظلوما) يمنعه حق الله حين ظهر بنفسه وانتحلها (جهولا) لايعرفها لاحتجابه بانانيته عنها (ليعذب الله المنافقين والمنافقات) الذين ظلموا بمنع ظهور نور استعدادهم بظلمة الهيئات البدنية والصفات النفسانية ووضعوه فى غير موضعه فجهلوا حقه (والمشركين والمشركات) الذين جهلوا لاحتجابهم بالانانية والوقوف مع الغير بغلبة الرين وكثافة الحجب الخلقية فعظم ظلمهم لانطفاء نورهم بالكلية وامتناع وفائهم بالامانة الالهية (ويتوب على المؤمنين والمؤمنات) الذين تابوا عن الظلم بالاجتناب عن الصفات النفسانية المانعة عن الاداء وعدلوا بابراز ما اخفوه من حق الله عند الوفاء وعن الجهل بحقه اذ عرفوه وادوا امانته اليه بالفناء (وكان الله غفورا) ستر ذنوب ظلمهم وجهلهم من التزكية والتصفية والتجريد والمحو والطمس بانوار تجلياته (رحيما) رحمهم بالوجود الحقانى عند البقاء بافعاله وصفاته وذاته اوعرضنا الامانة الالهية بالتجلى عليها وايداع ماتطيق حملها فيها من الصفات بجعلها مظاهر لها او فابين ان يحملنها بخيانتها وامساكها عندها والامتناع عن ادائها واشفقن من حملها عندها فأدينها باظهار ما اودع فيها من الكمالات وحملها الانسان باخفائها بالشيطنة وظهور الانانية والامتناع عن ادائها باظهار ما اودع فيه من الكمال وامساكها بظهور النفس بالظلمة والمنع عن الترقى فى مقام المعرفة والله اعلم

* (سورة سبا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) بجعله مظاهر لصفاته الظاهرة وكمالاته الباهرة وظهوره فيها بالحجب الجلالية (وله الحمد فى الآخرة) بتحليه على الارواح بالكمالات الباطنة والصفات الجمالية اى له الحمد بالصفات الرحمانية فى الدنيا ظاهرا وله الحمد بالصفات الرحيمية فى الآخرة باطنا (وهو الحكيم) الذى احكم ترتيب عالم الشهادة بمقتضى حكمته (الخبير) الذى نفذ علمه فى بواطن عالم الغيب بلطافته (يعلم ما يلج فى الارض) من الملكوت الارضية والقوى الطبيعة (وما يخرج منها) بالتجريد من النفوس الانسانية والكمالات الخلقية (وما ينزل من السماء) من المعارف والحقائق الروحانية (وما يعرج فيها) من هيئات الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة (وهو الرحيم) بافاضة الكمالات السماوية النورانية (الغفور) بستر الهيئات الارضية الظلمانية (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم) اى العلماء المحققون يرون حقية ما انزل اليك عيانا لان المحجوب لايمكنه معرفة العارف وكلامه اذ كل عارف بشئ لايعرفه الا بما فيه من معناه فمن لم يكن له حظ من العلم ونصيب من المعرفة لايعرف العالم العارف وعلمه لخلوه عما به يمكن معرفته (الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط) طريق الوصول الى الله (العزيز) الذى يغلب المحجوبين ويمنعهم بالقهر والقمع (الحميد) الذى ينعم على المؤمنين بانواع اللطف ولو لم يعتبر التطبيق الصفتين على قوله ليجزى الذين آمنوا الى آخره واعتبر التطبيق على قوله ويرى الذين اوتوا العلم لكان معنى العزيز القوى الذى يغلب الواصلين بالافناء الحميد الذى ينعم عليهم بصفته عند البقاء (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا

مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى مابين ايديهم وماخلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض اونسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود) الروح (منا فضلا) بعلو الرتبة وتسبيح المشاهدة والمناغاة فى المحبة مع مزيد العبادة والتفكر والكمالات العلمية والعملية بان قلنا ياجبال الاعضاء (ياجبال اوبى) اى سبحى (معه والطير) بالتسبيحات المخصوصة بك من الانقياد والتمرن فى الطاعات بالحركات والسكنات والافعال والانفعالات التى امرناك بها وطير القوى الروحانية بالتسبيحات القدسية من الاذكار والادراكات والتعقلات والاستفاضات والاستشراقات من الارواح المجردة والذوات المفارقة كل بما امر (والناله الحديد) حديد الطبيعة الجسمانية العنصرية (ان اعمل سابغات) من هيئات الورع والتقوى فان الورع الحصين فى الحقيقة هو لباس الورع الحافظ من صوارم دواعى اعادى النفوس وسهام نوازع الشياطين (وقدر) فى السرد بالحكمة العملية والصنعة المتقنة العقلية والشرعية فى ترغيب الاعمال المزكية ووصول الهيآت المانعة من تأثير الدواعى النفسية (واعملوا صالحا) ايها العاملون لله بالحمية فى الجهة السفلية الى الجهة العلوية عملا صالحا يصعدكم فى الترقى الى الحضرة الالهية ويعدكم لقبول الانوار القدسية والخطاب لداود الروح وآله من القوى الروحانية والنفسانية والاعضاء البدنية (انى بما تعملون بصير ولسليمان الريح) القلب ريح الهوى النفسانية (غدوها شهر) اى جريها غداة طلوع نور الروح واشراق شعاع القلب واقبال النهار سير طور فى تحصيل الاخلاق والفضائل والطاعات والعبادات والصوالح التى تتعلق بسعادة المعاد (ورواحها شهر) اى جريها رواح غروب الانوار الروحية فى الصفات النفسية وزوال تلألؤ اشعتها وادبار نهار النور سير طور آخر فى ترتيب مصالح المعاش من الاقوات والارزاق والملابس والمناكح ومايتعلق بصلاح النظام وقوام البدن (واسلناله عين القطر) قطر الطبيعة البدنية الجامدة بالتمرن فى الطاعات والمعاملات (ومن الجن) جن القوى الوهمية والخيالية (من يعمل بين يديه) بحضوره فى التقديرات المتعلقة بصلاح العالم وعمارة البلاد ورفاهية العباد والتركيبات والتفصيلات المتعلقة بصلاح النفس واكتساب العلوم (من يعمل بين يديه باذن ربه) بتسخيره اياهاله وتيسيره الامور على ايديها (ومن يزغ منهم عن امرنا) بمقتضى طبيعته الجنية وينحرف عن الصواب والرأى العقلى بالميل الى الزخارف النفسية واللذات البدنية (نذقه من عذاب السعير) بالرياضة القوية وتسليط القوى الملكية عليها بضرب السياط النارية من الدواعى العقلية القهرية الحالفة للطباع الشيطانية (يعملون له مايشاء من محاريب) المقامات الشريفة (وتماثيل) الصور الهندسية (وجفان كالجواب) من ظروف الارزاق المعنوية والاغذية الروحانية بمحاكاة المعانى بالصور الحسية وابداع الحقائق فى الامثلة الصورية وادراج المدركات الكلية والواردات الغيبية فى الملابس اللفظية والهيآت الجزئية واسعة كالحياض لكونها غريبة عن المواد الهيولانية وان اكتنفت باللواحق المادية والعوارض الجسمانية (وقدور راسيات) من تهيئة الاستعدادات بتركيب القياسات المستقيمة واعداد موارد العلوم والمعارف بالآراء الصائبة والعزائم القوية الثابتة (اعملوا آل داود) الروح بما سخرنالكم ماسخرنا وافضنا عليكم من نعم الكمالات ماافضنا (شكرا) باستعمال هذه النعم فى طريق السلوك والتوجه الى واداء حقوق العبودية بالفناء فى لافى تدبير المملكة الدنيوية واصلاح الكمالات البدنية (وقليل من عبادى الشكور) الذى يعمل استعمال النعم فى طاعة الله العمل الخالص لوجه الله (فلما قضينا عليه الموت) بالفناء فى فى مقام السر (مادلهم عن موته الادابة الارض تأكل منسأته) اى مااهتدوا الى فنائه فى مقام الروح وتوجهه الى الحق فى حال السر الابحركة الطبيعة الارضية وقواها البدنية الضعيفة الغالبة على النفس الحيوانية التى هى منسأته اذ لاطريق لهم الى الوصول الى مقام السر ولاوقوف على حال القلب فيه ولاشعور بكونه فى طور وراء اطوارهم الابرابطة اتصال الطبيعة البدنية المتصلة به المقهورة بالقوى الطبيعة لضعفها بالرياضة وانقطاع مدد القلب عنها حينئذ اى لايطلعون الاعلى حال الدابة التى تأكل المنسأة بالاستيلاء عليها لان النفس الحيوانية عند عروج القلب ضعفت وسقطت قواها ولم يبق منها الاالقوى الطبيعة الحاكمة عليها (فلما خر) من صعقة الموسوية وذهل فى الحضور والاشتغال بالحضرة الالهية عن استعمالها فى الاعمال واعمالها بالرياضات (تبينت الجن ان لوكانوا يعلمون الغيب) غيب مقام

العسر بالاطلاع على المكاشفات لوكانوا مجردين (مالبثوا فى العذاب المهين) من الرياضة الشاقة التى تمنعهم الحظوظ والمرادات لوتمة بمقتضيات الطباع والاهواء بالخالقات والاجبار على الاعمال المتعبة فى السلوك والاقتصار بها على الحقوق (لقد كان لسبا) اهل مدينة البدن (فى مساكنهم) فى مقارّهم ومحالهم (آية) دالة لهم على صفات الله وافعاله (جنتان عن يمين وشمال) جنة الصفات والمشاهدات عن يمينهم من جهة القلب والبرزخ التى هى اقوى الجهتين واشرفهما وجنة الآثار والافعال عن شمالهم من جهة الصدر والنفس التى هى اضعف الجهتين واخسهما (كلوا من رزق ربكم) من الجهتين كقوله لا كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم (واشكروا له) باستعمال نعم ثمراتها فى الطاعات والسلوك فيه بالقربات (بلدة طيبة) باعتدال المزاج والصحة (ورب غفور) بستر هيآت الرذائل وظلمات النفوس والطباع بنور صفاته وافعاله ملكم التمكين من جهة الاستعداد والاسباب والآلات والتوفيق بالامداد وافاضات الانوار (فأعرضوا) عن القيام بالشكر والتوسل بها الى الله بل عن الاكل من ثمراتها التى هى العلوم النافعة والحقيقية بالانهماك فى اللذات والشهوات والانغماس فى ظلمات الطبائع والهيئات (فأرسلنا عليهم سيل العرم) الطبيعة الهيولانية بنقب جرذان سيول الطبائع العنصرية سكر المزاج الذى سدته بلقيس النفس التى هى ملكتهم * والعرم الجد (وبدلناهم بجنتيهم جنتين) من شوك الهيئات المؤذية واثل الصفات السيئة البهيمية والسبعية والشيطانية (ذواتى اكل خمط واثل) اى ثمرة مرة بشعة كقوله طلعها كأنه رؤس الشياطين (واثل وشئ من سدر) بقاء الصفات الانسانية (قليل ذلك) العقاب (جزيناهم بما كفروا) بكفرانهم الم (وهل نجازى) بذلك (الا الكفور) الذى يستعمل نعمة الرحمن فى طاعة الشيطان (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) من الحضرة القلبية والسرية والروحية والالهية بالتجليات الافعالية والصفاتية والاسمائية الذاتية وانوار المكاشفات والمشاهدات (قرى ظاهرة) مقامات ومنازل مترائية متواصلة كالصبر والتوكل والرضا وامثالها (وقدرنا فيها السير) الى الله وفى الله مرتبا يرتحل السالك فى الترقى من مقام وينزل فى مقام (سيروا فيها) فى منازل النفوس (ليالى) وفى مقامات القلوب ومواردها (واياما آمنين) بين القواطع الشيطانية وغلبات الصفات النفسانية بقوة اليقين والنظر الصحيح على منهاج الشرع المبين (فقالوا) بلسان الحال والتوجه الى الجهة السفلية المبعدة عن الحضرة القدسية والميل الى المهاوى البدنية والسير فى المهامه الطبيعية والمهالك الشيطانية (ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم) بالاحتجاب عن انوار القرى المباركة بظلمات البرازخ المحسوسة (فجعلناهم احاديث) وآثارا سائرة بين الناس فى الهلاك والتدمير (ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) بالتفرق والتفريق (ولقد صدق عليهم) على الناس (ابليس ظنه) فى قوله لأضلنهم ولأغوينهم ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وامثال ذلك والفريق المستثنون هم المخلصون (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ) اى ما سلطناه عليهم الا لظهور علمنا فى مظاهر علماء المحققين المخلصين وامتيازهم عن المحجوبين المرتابين فان المستعد الموفق الصافى القلب ينبع علمه من مكمن الاستعداد وينفجر من قلبه عند وسوسة الشيطان فيرجمه بمصابيح الحجج النيرة ويطرده بالعياذ بالله عند ظهور مفسدته القوية بخلاف غيره من الذين اسودت قلوبهم بصفات النفوس وناسبت بحسبها لاتم مكايد الشيطان واحوال القيامة الكبرى من الجمع والفصل والفتح بين الحق والمبطل ومقالات الظالمين كلها تظهر عند ظهور المهدى عليه السلام قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا من اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل ارونى الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا

لولاانتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذجاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لمارأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا هل يجزون الاما كانوا يعملون وما ارسلنا فى قرية من نذير الاقال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا ومانحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لايعلمون وما اموالكم ولااولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشأ من عباده ويقدر له وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولاضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وماارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ماسألتكم من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى انه سميع قريب ولوترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين مايشتهون كمافعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب

* (سورة الملائكة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء) من جهات التأثير الكائنة فى الملكوت السماوية والارضية بالاجنحة جعلها الله رسلا مرسلة الى الانبياء بالوحى والاولياء بالالهام والى غيرهم من الاشخاص الانسانية وسائر الاشياء بتصريف الامور وتدميرها فما يصل بتأثيرهم الى مايتأثر منه فهو جناح فكل جهة تأثير جناح مثلا ان العاقلتين العلمية والنظرية جناحا النفس الانسانية والمدركة والمحركة الباعثة والمحركة الفاعلة ثلاثة اجنحة للنفس الحيوانية والغاذية والنامية والمولدة والمصورة اربعة اجنحة للنفس النباتية ولاتنحصر اجنحتهم فى العدد بل لهم بحسب تنوعات التأثيرات اجنحة ولهذا حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح واشار الى كثرتها بقوله تعالى (يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ياأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لااله الاهو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور ياأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلاتذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بمايصنعون والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) اى العزة صفة من صفات الله مخصوصة به من ارادهـا فعليه بالفناء فى صفات الله تعالى عن صفاته ثم على طريق التجريد ومحو الصفات بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب) اى النفوس الصافية الطيبة عن خبائث الطبائع الباقية على نور فطرتها الذاكرة لميثاق توحيدهـا (والعمل

الصالح) بالتزكية والتحلية (يرفعه) اي يرفع ذلك الجنس الطيب الى حضرته دون غيره فيتصف بصفة العزة وسائر الصفات اواليه بصعد العلم الحقيق من التوحيد الاصلي الفطري الطيب من خبائث التوهمات والتخيلات والعمل الصالح بمقتضاه يرفعه دون غيره كما قال امير المؤمنين عليه السلام العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل اي سلم الصعود الى الحضرة الالهية هو العلم والعمل لايمكن الترقي الابهما ولايكفي التوحيد الذي هو الاصل في الاتصاف بعزته وسائر صفاته لان الصفات مصادر الافعال فالم يترك الافعال النفسية التي مصادرها صفات النفس بالزهد والتوكل ولم يتجرد من هيآتها بالعبادة والتبتل لم يحصل استعداد الاتصاف بصفاته تعالى فكان العلم الحقيقي الذي هو التوحيد بمثابة عضادتي السلم والعمل بمثابة الدرجات في الترقي (والذين يمكرون السيئات) بظهور صفات النفوس وان كانوا عالمين (لهم عذاب شديد) من هيآت الاعمال القبيحة المؤذية (ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولاتضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولاينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير ومايستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز ولاتزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذاقربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير ومايستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الاخلافيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء) اي مايخشى الله الا العلماء العرفاء به لان الخشية ليست هي خوف العقاب بل هيئة في القلب خشوعية انكسارية عند تصور وصف العظمة واستحضارها فمن لم يتصور عظمته لم يمكنه خشية ومن تجلى الله له بعظمته خشيه حق خشيته وبين الحضور التصوري الحاصل للعالم الغير العارف وبين التجلي الثابت للعالم العارف بون بعيد ومراتب الخشية لاتحصى بحسب مراتب العلم والعرفان (ان الله عزيز) غالب على كل شيء بعظمته (غفور) يستر صفة تعظم النفس وهيئة تكبرها بنور تجلي عزته (ان الذين يتلون كتاب الله) الذي اعطاهم في بدء الفطرة من العقل القرآني باظهاره وابرازه اتصافا وعرفانا (واقاموا الصلوة) صلاة الحضور القلبي عند ظهور العلم الفطري (وانفقوا مما رزقناهم) من صفة العلم واعمل الموجب لظهوره عليهم (سرا) بالتجريد عن الصفات (وعلانية) بترك الافعال (يرجون) في مقام القلب بالترك والتجريد (تجارة لن تبور) من استبدال افعال الحق وصفاته بافعالهم وصفاتهم (ليوفيهم اجورهم) في جنات النفس والقلب من ثمرات التوكل والرضا (ويزيدهم من فضله) في جنات الروح مشاهدات وجهه في التجليات (انه غفور) يستر لهم ذنوب افعالهم وصفاتهم (شكور) يشكر سعيهم بالابدال من افعاله وصفاته (والذي اوحينا اليك من الكتاب) الفرقاني المطلق (هو الحق) الثابت المطلق الذي لامزيد عليه ولانقص فيه (مصدقا لمابين يديه) لكونه مشتملا عليها حاويا لما فيها بأسرها (ان الله بعباده لخبير) بعلم احوال استعداداتهم (بصير) باعمالهم يعطيهم الكمال على حسب الاستعداد بقدر الاستحقاق بالاعمال (ثم اورثنا) منك هذا (الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الصديقين المخصوصين منه عزيد العناية وكمال الاستعداد بالنسبة الى سائر الامم لانهم لايرثون ولايصلون اليه الامنك وبواسطتك لانك المعطي اياهم الاستعداد والكمال فنسبتهم الى سائر الامم نسبتك الى سائر الانبياء (فمنهم ظالم لنفسه)

(بنقص)

بنقض حق استعداده ومنعه من خروجه الى الفعل وخيانته فى الامانة المودعة عنده بحملها وامساكها والامتناع من ادائها لانهماكه فى اللذات البدنية والشهوات النفسانية (ومنهم مقتصد) يسلك طريق اليمين ويختار الصالحات من الاعمال والحسنات ويكتسب الفضائل والكمالات فى مقام القلب (ومنهم سابق بالخيرات) التى تجليات الصفات الى الفناء فى الذات (باذن الله) بتيسيره وتوفيقه (ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن) من الجنان الثلاث (يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) صور كمالات الاخلاق والفضائل والاحوال والمواهب المصوغة بالاعمال من ذهب العلوم الروحانية ولؤلؤ المعارف والحقائق الكشفية الذوقية فلباسهم فيها حرير الصفات الالهية (وقالوا) بالسنة احوالهم واقوالهم عند اتصافهم بجميع الصفات الحميدة حالة البقاء بعد الفناء (الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) اللازم لفوات الكمالات الممكنة بحسب الاستعدادات بهبته لنا اياها بهذا الوجود الحقانى (ان ربنا لغفور شكور) جزاؤنا منه اوفى وابق نستحقه بسعينا (الذى احلنا دار المقامة من فضله) الاقامة الدائمة التى لا انتقال منها بوجه فى هذا الوجود الموهوب من عطائه الصرف وفضله المحض (لا يمسنا فيها نصب) بالسعى والانتقال (ولا يمسنا فيها لغوب) بالسير والترحال (والذين كفروا) المحجوبون منك بالانكار الذين لا يتلون الكتاب ولا يرثونه لبعدهم عنك فى الحقيقة فلا تقارب ولا تواصل بينك وبينهم (لهم نار جهنم) جهنم الطبيعة يعذبون فيها بانواع الحرمان والآلام دائما (لا يقضى عليهم فيموتوا) ويستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) فيتنفسوا والله اعلم

(كذلك نجزى كل كفور) (وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا

(تم تفسير الجلد الثالث من تفسير الشيخ الاكبر ويليه الجلد الرابع)

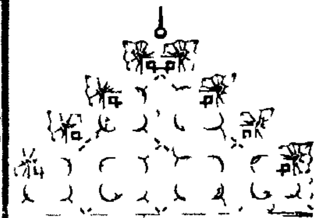
بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس

وهى ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس اخرجه ابوداود وغيره

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿يس﴾ قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طيئ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل ياسيد البشر وقيل هو اسم للقرآن ﴿والقرآن الحكيم﴾ اى ذى الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه ﴿انك لمن المرسلين﴾ اى اقسم بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا ﴿على صراط مستقيم﴾ معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ اى القرآن تنزيل العزيز فى ملكه الرحيم بخلقه ﴿لتنذر قوما ما انذر آباؤهم﴾ يعنى لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبى قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما انذر آباؤهم من العذاب ﴿فهم غافلون﴾ اى عما يراد بهم من الايمان والرشد ﴿لقد حق القول﴾ اى وجب العذاب ﴿على اكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ وهو اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك * قوله عز وجل ﴿انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا﴾ نزلت فى ابى جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان اباجهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل



﴿ سورة يس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يس) اقسم بالصفتين الدالين على كمال استعداده كما ذكر فى طه (والقرآن الحكيم) الذى هو الكمال التام اللائق باستعداده يعنى انه بسبب هذه الامور من المرسلين على طريق التوحيد الموصوف بالاستقامة وذلك ان (ى) اشارة الى اسمه الواقى و(س) الى اسمه السلام الذى وقى سلامة فطرتك السالمة عن النقص فى الازل عن آفات حجب النشأة والعادة والسلام الذى هو عينها واصلها والقرآن الحكيم الذى هو صورة كمالها الجامع لجميع الكمالات المشتمل على جميع الحكم (انك) بسبب هذه

من بنى مخزوم انااقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فيرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ماصنعت فقال مارأيته ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لا كلنى فانزل الله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا قيل على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل اراد معناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف فى الحقيقة وهى ماسينزل الله عز وجل بهم فى النار (فهى) يعنى الايدى (الى الاذقان) جمع ذقن وهو اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) اى رافعو رؤسهم مع غض البصر وقيل اراد ان الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فاغشيناهم) اى فاعميناهم (فهم لا يبصرون) يعنى سبيل الهدى (وسواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) يعنى من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعنى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) اى خافه فى السر والعلن (فبشره بمغفرة) اى لذنوبه (واجر كريم) يعنى الجنة ✻ قوله تعالى (انا نحن نحيي الموتى) اى للبعث (ونكتب ماقدموا) اى من الاعمال من خير وشر (وآثارهم) اى ونكتب ماسنوا من سنة حسنة اوسيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شئ وقيل تكتب خطاهم الى المسجد عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة فى ناحية من المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (خ) عن انس رضى الله عنه قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بنى سلمة الا تحتسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعنى تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالى الذى لا يستره شئ (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا اقرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى انكم تريدون ان تنتقلوا اقرب المسجد فقالوا نعم يارسول الله قد اردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا مايسرنا اذا تحولنا قوله بنى سلمة اى يا بنى سلمة وقوله دياركم الزموا دياركم (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا فى الصلاة ابعدهم فابعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذى يصلى ثم ينام ✻ قوله تعالى (وكل شئ احصيناه) اى حفظناه وعددناه واثبتناه (فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ ✻ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) اى صف لهم شبها مثل حالهم من قصة (اصحاب القرية) يعنى انطاكية (اذ جاءها المرسلون) يعنى رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

(ذكر القصة فى ذلك) قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من

الثلاثة (لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم) اى القرآن الشامل للحكمة الذى هو صورة كمال استعدادك تنزيل باظهاره مفصلا من مكمن الجمع على مظهرك ليكون فرقانا من العزيز الغالب الذى غلب على انائيتك وصفات نشأتك وقهرها بقوته لئلا تظهر وتمنع ظهور القرآن المكنون فى غيبك على مظهر قلبك وصيرورته فرقان الرحيم الذى اظهره عليك بتجليات صفاته الكمالية باسرها (تنذر قوما ما انذر آباؤهم) بلغوا فى كمال استعدادهم مالم يبلغ آباؤهم فما انذروا بما انذرتهم به (فهم غافلون) عما اوتى اليهم من الاستعداد البالغ حدا لم يبلغه استعداد احد من الامم السابقة كما قال الذين اصطفينا من عبادنا (لقد حق القول على اكثرهم) فى القضاء السابق بانهم اشقياء (فهم لا يؤمنون) لانه اذا قويت الاستعدادات عند ظهورك قوى الاشقياء فى الشر كما قوى السعداء فى الخير (انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا) من قيود الطبيعة البدنية ومحبة الاجرام السفلية (فهى الى الاذقان) تمنع رؤسهم عن التطأطؤ

الحواريين الى اهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما امعكما آية قال نعم نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتمان قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذى اوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى انظر فى امركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وامر بهما وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وانس به واكرمه ورضى عشرته فقال للملك ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان انت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة ايام ابن دهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت فى سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار بيده الى صاحبيه فتعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد اثر فى الملك اخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحنا وبواس كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) اى قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الله تعالى الارسال اليه لان

للقبول اذعنت الاعناق التى هى مفاصل تصرفات الرؤس وانطبقت المفاصل حتى جاوزت اعاليها وبلغت حد الرؤس من قدام فلم يبق لهم تصرف بالقبول ولا تأثر بالانفعال والميل الى الركوع والسجود للانقياد والفناء فان الكمالات الانسانية انفعالية لاتحصل الا بالتذلل والانقهار (فهم مقمحون) ممنوعون عن قبولها بامالة الرؤس (وجعلنا من بين ايديهم) من الجهة الالهية (سدا) من حجاب ظهور النفس والصفات المستولية على القلب منعهم من النظر الى فوق ليشتاقوا اللقاء الحق عند رؤية الانوار الجمالية (ومن خلفهم) من الجهة البدنية (سدا) من حجاب الطبيعة الجسمانية ولذاتها المانعة لامتثالهم الاوامر والنواهى فتمنعهم من العمل الصالح الذى يعدهم لقبول الخير والصفات الجلالية فانسد ابهم طريق العلم والعمل فهم واقفون مع اصنام الابدان حيارى يعبدونها لايتقدمون ولا يتأخرون (فاغشيناهم) بالانغماس فى الغواشى الهيولانية والانغمار فى الملابس الجسمانية (فهم لا يبصرون) لكثافة الحجب

عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شئ) اى لم يرسل رسولا (ان انتم الا تكذبون) اى فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) اى وان كذبتمونا (وما علينا الا البلاغ المبين) اى بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) اى تشأمنا منكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) اى تسكتوا عنا (لنرجمنكم) اى لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) اى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني اصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (ائن ذكرتم) معناه اطيرتم لان ذكرتم ووعظتم (بل انتم قوم مسرفون) اى فى ضلالكم وشرككم متمادون فى غيكم ✽ قوله عز وجل (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان فى غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لهم اتسألون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون) اى لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له او انت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكانت عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم اليق وقيل معناه واى شئ لى اذا لم اعبد خالقى واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم (ءأتخذ من دونه آلهة) اى لا اتخذ من دونه آلهة (ان يردن الرحمن بضر) اى بسوء ومكروه (لا تغن عنى) اى لا تدفع عنى (شفاعتهم شيأ) اى لا شفاعة لها فتنفعنى (ولا ينقذون) اى من ذلك المكروه وقيل من العذاب (انى اذا لفى ضلال مبين) اى خطا ظاهر (انى آمنت بربكم فاسمعون) اى فاشهدوا لى بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى اهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقى الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما افضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى ان يعلم قومه ان الله تعالى غفر له واكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا منزلين) اى ما كنا لنفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم كان ايسر مما تظنون ✽ ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذاهم خامدون) اى ميتون (ياحسرة على العباد) يعني يالها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم لما عاينوا من

من جميع الجهالات واحاطتها بهم واذا لم يبصروا ولم يتأثروا فالانذار وعدم الانذار بالنسبة اليهم سواء (وسواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر) اى يؤثر الانذار وينجع فى (من اتبع الذكر) لنورية استعداده وصفائه فيتأثر به ويقبل الهداية بما فى استعداده من التوحيد الفطرى والمعرفة الاصلية فيتذكر ويخشى الرحمن بتصور عظمته مع غيبته من التجلى فيتبعه بالسلوك ليحضر ماهو غائب عنه ويرى ما استضاء بنوره (بالغيب فبشره بمغفرة) عظيمة من ستر ذنوب حجب افعاله وصفاته وذاته (واجر كريم) من جنات افعال الحق وصفاته وذاته (انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ احصيناه فى امام مبين واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون) يمكن ان يؤول اصحاب القرية باهل مدينة البدن والرسل الثلاثة بالروح والقلب والعقل اذ ارسل اليهم اثنان اولا (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من

العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى ياحسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ❊ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ﴿ ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ ❊ قوله تعالى ﴿ الم يروا ﴾ اى الم يخبروا خطاب لاهل مكة ﴿ كم اهلكنا قبلهم من القرون ﴾ اى من الامم الخالية من اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود ﴿ انهم اليهم لا يرجعون ﴾ اى لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون بهم ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ يعنى ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة ﴿ وآية لهم ﴾ يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى ﴿ الارض الميتة احييناها ﴾ اى بالمطر ﴿ واخرجنا منها ﴾ اى من الارض ﴿ حبا ﴾ يعنى الحنطة والشعير وما اشبههما ﴿ فمنه يأكلون ﴾ اى من الحب ﴿ وجعلنا فيها ﴾ اى فى الارض ﴿ جنات ﴾ اى بساتين ﴿ من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره ﴾ اى من الثمر الحاصل بالماء ﴿ وما عملته ايديهم ﴾ اى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفى والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل اراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة ﴿ افلا يشكرون ﴾ اى نعمة الله تعالى ﴿ سبحان الذى خلق الازواج كلها ﴾ يعنى الازواج كلها ﴿ مما تنبت الارض ﴾ اى من الاشجار والثمار والحبوب ﴿ ومن انفسهم ﴾ اى الذكر والانثى ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ يعنى مما خلق الله تعالى من الاشياء فى البر والبحر من الدواب ❊ قوله عز وجل ﴿ وآية لهم ﴾ يعنى تدلهم على قدرتنا ﴿ الليل نسلخ ﴾ اى ننزع ونكشط ﴿ منه النهار فاذاهم مظلمون ﴾ اى فاذاهم فى الظلمة وذلك ان الاصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ اى الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى الى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع الى اول منازلها وهو انها تسير حتى تنتهى الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجرى لا مستقر لها اى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية ابدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفى رواية قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس اتدرى اين تذهب الشمس قال الله ورسوله اعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محيى الدين النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدى فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجرى الى وقت لها واجل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا واما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم ﴿ ذلك ﴾ اى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذى يكل النظر عن استخراجه وتحير الافهام عن استنباطه ﴿ تقدير العزيز ﴾ اى الغالب بقدرته على كل شئ مقدور ﴿ العليم ﴾ اى المحيط علما بكل شئ ❊قوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ اى قدرنا له منازل وهى

شئ ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون) لعدم التناسب بينهما وبينهم ومخالفتهم اياهما فى النور والظلمة فعززوا بالعقل الذى يوافق النفس فى المصالح والمناجح ويدعوها وقومها الى ما يدعو اليه القلب والروح فتؤثر فيهم ❊وتشاؤمهم بهم تنفرهم عنهم لحملهم اياهم على الرياضة والمجاهدة ومنعهم عن اللذات والحظوظ ورجمهم اياهم رميهم بالدواعى الطبيعية والمطالب البدنية وتعذيبهم اياهم استيلاؤهم عليهم واستعمالهم فى تحصيل الشهوات البهيمية والسبعية والرجل الذى جاء من اقصى المدينة اى من ابعد مكان منها هو العشق المنبعث من اعلى وارفع موضع منها بدلالة شمعون العقل ونظره لاظهار دين التوحيد والدعوة الى الحبيب الاول وتصديق الرسل (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون) لسرعة حركته ويدعوا

ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فى منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فان كان فى آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذى عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذى اتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) اى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) اى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجئ احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما فى سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا تطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل فى فلك يسبحون) اى والشمس والقمر فى فلك يسيرون ✲ قوله عز وجل (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) يعنى اولادهم (فى الفلك المشحون) اى المملوء (وخلقنا لهم من مثله) اى مثل الفلك (ما يركبون) اى من الابل وهى سفائن البر وقيل اراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين فى اصلاب الذين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا واهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه ابلغ فى الامتنان عليهم وابلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله اى من مثل ذلك الفلك ما يركبون اى من السفن والزوارق فى الانهار الكبار والصغار (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) اى لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) اى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابى (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) اى الا ان رحمهم الله ومتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين ايديكم يعنى وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعنى الآخرة (لعلكم ترحمون) اى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) اى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) ✲ قوله عز وجل (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم) اى مما اعطاكم (الله) نزلت فى كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من اموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم) اى انرزق (من لو يشاء الله اطعمه) اى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى منى بك ويقول قد منعه افأطعمه انا ومعنى الآية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الدنيا الغنى لا استحقاقا وامر الغنى بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير فيما فرض له من مال الغنى ولا اعتراض لاحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه والمؤمن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان انتم الا فى ضلال مبين) قيل هو من

لكل بالقهر والاجبار الى متابعة الرسل فى التوحيد ويقول (ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) وكان اسمه حبيبا وكان نجارا ينحت فى بدايته اصنام مظاهر الصفات من الصور لاحتجابه بحسنها عن جمال الذات وهو المأمور بدخول جنة الذات قائلا (ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى) المحجوبين عن مقامى وحالى (يعلمون بما غفر لى ربى) ذنب عبادة اصنام مظاهر الصفات ونحتها (وجعلنى من المكرمين) لغاية قربى فى الحضرة الاحدية وفى الحديث ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس فلعل ذلك لان حبيبا المشهور بصاحب يس آمن به قبل بعثته بستمائة سنة وفهم سر نبوته وقال النبى صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن ابى طالب عليه السلام وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (وما انزلنا على قومه من بعده من

قول الكفار للمؤمنين ومعناه ماانتم الا فى خطابين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لماردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنى يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ماينظرون) اى ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) اى فى امر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون فى الاسواق والمجالس وفى متصرفاتهم فتأتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح فى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخارى وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللحقة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعنى يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله واصله من اللوط وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق واصغى يعنى امال عنقه يسمع * وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) اى لا يقدرون على الايصاء بل اعجلوا عن الوصية فاتوا (ولا الى اهلهم يرجعون) يعنى لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشئ (ونفخ فى الصور) هذه النفخة الثانية وهى نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا اباهريرة اربعين يوما قال ابيت قالوا اربعين سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذاهم من الاجداث) اى القبور (الى ربهم ينسلون) اى يخرجون منها احياء (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا اهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر فى جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) اقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الا صيحة واحدة) يعنى النفخة الاخيرة (فاذاهم جميع لدينا محضرون) اى للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) *قوله تعالى (ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل) قال ابن عباس فى افتضاض الابكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى وقيل فى السماع وقيل شغلوا بما فى الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم (فاكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه (هم وازواجهم فى ظلال) يعنى اكنان القصور (على الارائك) يعنى السرر فى الحجال (متكؤن) اى ذووا اتكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) اى فى الجنة (ولهم ما يدعون) يعنى ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعون اى اهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعنى يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوى باسناد الثعلبى عن

جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل) اى ليل ظلمة النفس (نسلخ منه النهار) نهار ونور شمس الروح والتاوين (فاذاهم مظلمون) وشمس الروح (والشمس تجرى لمستقر لها) وهو مقام الحق نهاية سير الروح (ذلك تقدير العزيز) الممتنع من ان يصل الى حضرة احديته شئ الغالب على الكل بالقهر والفناء (العليم) الذى يعلم حد كمال كل سيار وانتهاء سيره وقمر القلب (والقمر قدرناه) اى قدرنا مسيره فى سيره (منازل) من الخوف والرجاء والصبر والشكر وسائر

جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذسطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) اى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابدا الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض ❊ قوله عز وجل (الم اعهد اليكم يا بنى آدم) اى الم آمركم واوصكم يا بنى آدم (ان لا تعبدوا الشيطان) يعنى لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله (انه لكم عدو مبين) اى ظاهر العداوة (وان اعبدونى) اى اطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) اى لا صراط اقوم منه ❊ قوله تعالى (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) اى خلقا كثيرا (افلم تكونوا تعقلون) يعنى ما اتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بها فى الدنيا (اصلوها) اى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) ❊ قوله تعالى (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية احدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول اى فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول اى فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه قوله اى فل يعنى يا فلان قوله واسودك اى اجعلك سيدا قوله واذرك ترأس اى تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع اى تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاءين اى تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه اى ليقيم الحجة عليها بشهادة اعضائه عليه (م) عن انس بن مالك

المقامات كالتوكل والرضا (حتى عاد) عند فنائه فى الروح فى مقام السر (كالعرجون القديم) وهو بقرب استسراره فيه واضاءة وجهه الذى يلى الروح قبل تمام فنائه فيه واحتجابه لنوريته عن النفس والقوى وكونه بدرا انما يكون فى موضع الصدر فى مقابلة مقام السر (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) فى سيره فيكون له الكمالات الصدرية من الاحاطة بأحوال العالمين والتجلى بالاخلاق والاوصاف (ولا الليل سابق النهار) بادراك القمر الشمس وتحويل ظلمة النفس نهار نور القلب لان القمر اذا ارتقى الى مقام الروح بلغ الروح حضرة الوحدة فلا تدركه وتكون النفس حينئذ نيرة فى مقام القلب لا ظلمة لها فلم تسبق ظلمتها نوره بل زالت مع ان القلب ونوره فى مقام الروح فلم تسبقه على تقدير بقائها (وكل فى فلك) اى مدار ومحل لسيره معين فى بدايته ونهايته لا يتجاوز حديه المعينين (يسبحون) يسيرون الى ان جمع الله بينهما فى حد

قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل قوله لا اجيز اى لا اقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا اى هلاكا قوله فعنكن كنت اناضل اى اجادل واخاصم * قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على اعينهم) اى اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا اعينهم الظاهرة كما اعمينا قلوبهم (فاستبقوا الصراط) اى فبادروا الى الطريق (فانى يبصرون) اى كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعنى لو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعنى ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا ارواح فيها (فما استطاعوا مضيا) اى لا يقدرون ان يبرحوا (ولا يرجعون) اى الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) اى نرده الى ارذل العمر شبه الصبى فى اول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها ونقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان فى ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم فى حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان ابلغ اشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه فى الخلق (افلا يعقلون) اى فيعتبرون ويعلمون ان الذى قدر على تصريف احوال الانسان قادر على البعث بعد الموت * قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغى له اى ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو اراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه اميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال ابوبكر رضى الله تعالى عنه يا نبى الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * اخرجه الترمذى وفى رواية لغيره ان عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت اخى بنى قيس طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابوبكر رضى الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغى لى فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع

وخسف القمر بها واطلع الشمس من مغربها فتقوم القيامة (وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) وهو سفينة نوح فيه سر من اسرار البلاغة حيث لم يذكر اباءهم الذين كانوا فيها بل ذرياتهم الذين كانوا فى اصلابهم فلابد من وجود الذريات حينئذ (وخلقنا لهم من مثله) اى مثل سفينة نوح وهى السفينة المحمديه (ما يركبون وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين واذا قيل لهم اتقوا مابين ايديكم) من احوال القيامة الكبرى (وما خلفكم لعلكم ترحمون) من احوال القيامة الصغرى فان الاولى تأتى من جهة الحق والثانية تأتى من جهة النفس بالفناء فى الله فى الاولى والتجرد عن الهيآت البدنية فى الثانية والنجارة منها * والصيحتان هما التنبه عن النفخة الاولى بوقوع مقدماتها وانزعاج القوى كلها دفعة عن مقارها وعن الثانية بوقوعها وانتباهتهم دفعة وانتشار القوى فى محالها والاجداث الابدان التى هى مراقدهم (وما

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صابه حجر فدميت اصبعه فقال

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

اخرجاه فى الصحيحين ولهما من حديث انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

اللهم ان العيش عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجرة

وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

انا النبى لا كذب * انا ابن عبد المطلب

قلت ماهذا الامن كلامه الذى يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشا آت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل فى وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعنى ماهو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب الشعر ولا يدخل فى بحوره (وقرآن مبين) اى انه كتاب سماوى يقرا فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين واقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) اى يامحمد وقرئ بالياء اى القرآن (من كان حيا) يعنى مؤمنا حى القلب لان الكافر كالميت الذى لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) اى وتجب حجة العذاب (على الكافرين) * قوله عز وجل (اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا) اى تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة احد فى انشائه كقول القائل عملت هذا بيدى اذا تفرد به ولم يشاركه فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطار التى لا يقدر عليها الا هو (انعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لان النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم (فهم لها مالكون) اى خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

اصبحت لا احمل السلاح ولا * املك راس البعير ان نفرا

اى لا اضبط راس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بنى آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) اى الابل (ومنها يأكلون) اى الغنم (ولهم فيها منافع) اى من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) اى من البانها (افلا يشكرون) اى رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى الاصنام (لعلهم ينصرون) اى لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) اى الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كانهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك يامحمد (انا نعلم مايسرون) اى ضمائرهم من التكذيب (ومايعلنون) اى من عبادة الاصنام وقيل مايعلنون بالسنتهم من الاذى * قوله تعالى (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) اى من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) اى جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز

تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا فى ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم) من انوار التجليات ومشاهدات الصفات متلذون هم ونفوسهم الموافقة لهم فى التوجه (فى ظلال) من انوار الصفات (على الارائك) المقامات والدرجات (متكؤن لهم فيها فاكهة) من انواع المدركات واصاف

لمجادلته فى انكاره البعث وكيف لايتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة قذرة ويدعو الخصومة نزلت فى ابى بن خلف الجمحى خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى انكار البعث واتاه بعظم قد رم وبلى ففتته بيده وقال اترى يحيى الله هذا بعدما رم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) اى بدء امره (قال من يحيى العظام وهى رميم) اى بالية والمعنى وضرب لنا مثلا فى انكار البعث بالعظم البالى حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسى اول خلقه وانه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذى انشأها اول مرة) اى خلقها اول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) اى من الابتداء والاعادة (عليم) اى يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المبدا والمعاد (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضى الله عنهما هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن اراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اى استكثر منها وذلك ان هاتين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نارا الا العناب (فاذا انتم منه توقدون) اى تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ماهو اعظم من خلق الانسان فقال تعالى (او ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى) اى هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعنى يخلق خلقا بعد خلق (العليم) اى بجميع ما خلق (انما امره اذا اراد شيأ) اى احداث شئ وتكوينه (ان يقول له كن) اى يكونه من غير توقف (فيكون) اى فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) اى هو مالك كل شئ والمتصرف فيه (واليه ترجعون) اى تردون بعد الموت والله اعلم

﴿ تفسير سورة والصافات ﴾

وهى مكية وهى مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاث آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون الصف لفظ ابى داود وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل اراد بالصافات الطير تصف اجنحتها فى الهواء (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعنى الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم اقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما اقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعنى انه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك * وقوله

الواردات والمكاشفات (ولهم ما يدعون) ما يتمنون من المشاهدات وهى (سلام) اعنى (قولا) بافاضة الكمالات وتبرئتهم بها من وجوه النقص التى تنبعث منها دواعى التمنيات صادرا (من رب رحيم) يرحم بتلك المشتهيات *والعهد عهد الازل وميثاق الفطرة وعبادة الشيطان هو الاحتجاب بالكثرة لامتثال دواعى الوهم والصراط المستقيم طريق الوحدة وقال الضحاك فى وصف جهنم ان لكل كافر بيتا من النار يكون فيه لا يرى ولا يدرى وذلك صورة احتجابه ومعنى الختم على الافواه وتكليم الايدى وشهادة الارجل تغيير صورهم وحبس السنتهم عن النطق وتصوير ايديهم وارجلهم على صور تدل بهيآتها واشكالها على اعمالها وتنطق بألسنة احوالها على ملكاتها من هيآت افعالها (وامتازوا اليوم ايها المجرمون الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد

(ورب المشارق) قيل اراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب فان قلت قد قال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ماتقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب ❊ قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الارض وهى ادنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح ازرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) اى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لايسمعون الى الملا الاعلى) يعنى الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) اى يرمون بها (من كل جانب) اى من آفاق السماء (دحورا) اى يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) اى دائم (الا من خطف الخطفة) اى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فاتبعه) اى لحقه (شهاب ثاقب) اى كوكب مضئ قوى لايخطئه بل يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لايصلون اليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة ❊ وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعنى سل اهل مكة (اهم اشد خلقا ام من خلقنا) يعنى من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اى هذه الاشياء اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعنى آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان العجب من الناس محمول على انكار الشئ وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفى حديث آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من الكم الال اشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لايعجب من شئ ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اى هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبى الله صلى الله عليه

اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه فى الخلق افلا يعقلون وماعلمناه الشعر وماينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اولم يروا انا خلقنالهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم مايسرون ومايعلنون اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم

وسلم من هذا القرآن حين انزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون) اى واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعنى انشقاق القمر (يستسخرون) اى يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى ان يسخر (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) اى بين (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون) اى صاغرون (فانما هى زجرة واحدة) اى صيحة واحدة وهى نفخة البعث (فاذاهم ينظرون) يعنى احياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) يعنى يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) اى القضاء وقيل بين المحسن والمسىء (الذى كنتم به تكذبون) اى فى الدنيا (احشروا) اى اجمعوا (الذين ظلموا) اى اشركوا وقيل هو عام فى كل ظالم (وازواجهم) اى اشباههم وامثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اى قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة وقيل ازواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى فى الدنيا يعنى الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس اى دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) اى احبسوهم (انهم مسؤلون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروى عنه عن لا اله الا الله وروى عن ابى برزة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفى رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذى وله عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شىء الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرا وقفوهم انهم مسؤلون (ما لكم لا تناصرون) اى تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم (واقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع (يتساءلون) اى يتخصمون (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) اى من قبل الدين فتضلوننا وترونا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذى يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين اى عن العزة والقدرة والقول الاول اصح (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) اى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) اى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) اى ضالين (فحق علينا) اى وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعنى كلمة العذاب وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (انا لذائقون) يعنى ان الضال والمضل جميعا فى النار (فاغويناكم) يعنى فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) اى ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) يعنى الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى انهم انما وقعوا فى ذلك العذاب

قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس افوارغ الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا راد شيأ ان يقول له كن فيكون) عند تعلق ارادته بتكوين شىء ترتب كونه على تعلق الارادة به دفعة معا بلا تخلل زمانى (فسبحان) اى نزه عن العجز والتشبه بالاجسام والجسمانيات فى كونها وكون افعالها زمانية (الذى بيده تحت قدرته وفى تصرف قبضته (ملكوت كل شىء) من النفوس والقوى المدبرة له (واليه ترجعون) بالفناء فيه والانتهاء اليه والله اعلم

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات) اقسم بنفوس السالكين فى سبيله طريق التوحيد الصافات فى مقاماتهم ومراتب تجلياتهم وموافق مشاهداتهم (صفا) واحد فى التوجه اليه (فالزاجرات) فى دواعى الشياطين

باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) اى يتكبرون عن كلمة التوحيد و يمتنعون منها (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى رداعليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعنى انه انما اتى بما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الشرك والتكذيب (الا) اى لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) اى الموحدين (اولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة عن طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) اى بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) يعنى لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكاس من معين) كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر

* وكأسا شربت على لذة * ومعنى معين اى من خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعنى ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن (لذة) اى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) اى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى خفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقئ والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) اى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف ازواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) اى حابسات الاعين غاضات العيون قصرت اعينهن على ازواجهن فلا ينظرون الى غيرهم (عين) اى حسان الاعين عظامها (كأنهن بيض مكنون) اى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها ابيض فى صفرة ويقال هذا من احسن الوان النساء وهو ان تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن ببيضات الخدور * قوله عز وجل (فاقبل بعضهم على بعض) يعنى اهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) اى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) اى من اهل الجنة (انى كان لى قرين) اى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول ائنك لمن المصدقين) اى بالبعث (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون) اى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل انتم مطلعون) اى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من اهل الجنة هل انتم مطلعون اى لننظر كيف منزلة اخى فى النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا (فاطلع) اى المؤمن قال ابن عباس ان فى الجنة كوى

وفوارغ التمنيات النفسانية فى الاحايين (زجرا) بالانوار والاذكار والبراهين (فالتاليات) نوعا من انواع الاذكار بحسب احوالهم باللسان او القلب او السر او الروح كالذكر غير مرة على وحدانية معبودهم لتثبيتهم فى التوجه عن الزيغ والانحراف بالالتفات الى الغير (ان الهكم لواحد رب السموات والارض) سموات الغيوب السبعة التى هم سائرون فيها وارض البدن (وما بينهما ورب المشارق) مشارق تجليات الانوار الصفاتية وصفه بالوحدانية الذاتية فى اطوار الربوبية الكاشفة عن وجوه التحولات بتعدد الاسماء ليتحفظوا عند تعدد تجليات الصفات وترتب المقامات من الاحتجاب بالكثرة (انا زينا السماء الدنيا) اى العقل الذى هو اقرب السموات الروحانية بالنسبة الى القلب (بزينة الكواكب) كواكب الحجج والبراهين كقوله بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (وحفظا) اى وحفظناها (من كل شيطان) من شياطين الاوهام والقوى التخيلية عند الترقى الى افق

العقل بتركيب الموهومات والمخيلات فى المغالطات والتشكيكات (مارد) خارج عن طاعة الحق والعقل (لا يسمعون الى الملا الاعلى) من الروحانيات والملكوت السماوية بتلك الحجج (ويقذفون من كل جانب دحورا) من جميع الجهات السماوية اى من اى وجه من وجوه المغالطة والتخييل يركبون القياس ويرتقون به يقذفون بما يبطله من الدحور والطرد او مدحورين مطرودين (ولهم عذاب واصب) دائم الرياضات وانواع الزجر فى المخالقات (الا من خطف الخطفة) فى الاستراق فوه كلامه بهيئة جلية واوهم الحق بصورة نورية استفادها من كلمة حقة ملكية (فاتبعه شهاب ثاقب) من برهان نير عقلى او اشراق نور قدسى فأبطلها وطرد الجنى بنفى الصورة الوهمية التى اوهمها (فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا

ينظر منها اهلها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) اى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشئ سواء لاستواء الجوانب منه (قال تالله ان كدت لتردين) اى والله لقد كدت ان تهلكنى وقيل تغوينى ومن اغوى انسانا فقد ارداه واهلكه (ولولا نعمة ربى) اى رحمة ربى وانعامه على بالاسلام (لكنت من المحضرين) اى معك فى النار (افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) اى فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فيقول الملائكة لهم لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقول المؤمن لقرينة على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) اى المنزل والنعيم الذى ذكره فى قوله اولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب فى ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته * قوله تعالى (اذلك) اى الذى ذكره لاهل الجنة من النعيم (خير نزلا) اى رزقا (ام شجرة الزقوم) التى هى نزل اهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على اشد كراهة وقيل هى شجرة تكون بأرض تهامة من اخبث الشجر (انا جعلناها فتنة للظالمين) اى للكافرين وذلك انهم قالوا كيف تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة اهل اليمن فأدخلهم ابو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم) اى فى قعر النار واغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) اى ثمرها سمى طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشئ لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر فى النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكانه قيل ان اقبح الاشياء فى الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر والعرب اذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

اتقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب اغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا (فانهم لآكلون منها) اى من ثمرها (فمالؤن منها البطون) وذلك انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) اى خلطا ومزاجا (من حميم) اى من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم فى بطونهم فصار شوبا لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم (انهم الفوا) اى وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) اى يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين) اى من الامم الخالية (ولقد ارسلنا فيهم منذرين) اى وارسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) اى الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) اى الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف اهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين * قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) اى دعا ربه على قومه وقيل

دعاربه ان ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون) نحن اى دعانا فأجبناه واهلكنا قومه (ونجيناه واهله من الكرب العظيم) اى من الغم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعنى ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الاولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عزوجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية اخرى سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا عليه فى الآخرين) اى ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح فى العالمين) اى سلام عليه منا فى العالمين وقيل تركنا عليه فى الآخرين ان يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزى المحسنين) اى جزاه الله باحسانه الثناء الحسن فى العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين) يعنى الكفار * قوله عزوجل (وان من شيعته) اى من شيعة نوح (لابراهيم) يعنى انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) اى مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (ائفكا آلهة دون الله تريدون) اى اتافكون افكا وهو اسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعنى اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم فى اصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس اى مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) اى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) اى مال (الى آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) اى للاصنام استهزاء بها (الا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين ايديكم (مالكم لا تنطقون فراغ) اى مال (عليهم ضربا باليمين) اى ضربهم بيده اليمنى لانها اقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم (فاقبلوا اليه) اى الى ابراهيم (يزفون) اى يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (اتعبدون ما تنحتون) اى بايديكم من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) اى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بايديكم من الاصنام وفى الآية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب واوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى

ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع اى لكن عباد الله

(فارادوا به كيدا) اى شرا وهو ان يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) اى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) اى مهاجر الى ربى واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سيهدين) اى الى حيث امرنى بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) اى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم * قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع ابراهيم والمعنى بلغ ان ينصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك) قيل انه لم ير فى منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيأ فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى امر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشأم وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسير شهر فى روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء بن ابى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى امر بذبح من بشر به وليس فى القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان اول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح وبما ذكر ايضا فى كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان اسلم وحسن اسلامه اى ابنى ابراهيم امره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يامعشر العرب على ان يكون اباكم هو الذى امر الله تعالى

(بذبحه)

المخصوصون به لفرط عنايتهم به الذين اخلصهم الله عن شوب الغيرية والانانية والبقية واستخلصهم لنفسه بفناء الانانية والاثنينية (اولئك لهم رزق معلوم) يعلمه الله دون غيره وهو معلومات الله المقوية لقلوبهم المغذية لارواحهم (فواكه) ملذة غاية التلذذ اذ الفاكهة ما يتلذذ به اى يتلذذون فى مكاشفاتهم بما يحضرهم من معلوماته تعالى (وهم مكرمون) فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى الجنات الثلاث يتنعمون بقرب الحق فى حضرته غاية الاكرام والتنعم (فى جنات النعيم على سرر) مراتب ودرجات (متقابلين) فى الصف الاول متزئين لا يحجب بعضهم عن بعض ولا يتناضلون فى المقاعد (يطاف عليهم بكاس من) خمر اشواق (معين) مكشوف لاهل العيان اذ به المعاينة فكيف لا يعاين (بيضاء) نورية من عين الاحدية الكافورية لا شوب فيها ولا مزج من التعينات (لذة للشاربين لا فيها غول) يغتال العقل لانهم اهل صحو اخلصهم الله من الشوائب

بذبحه ويدعون انه اسحق ابوهم ومن الدليل ايضا قرنى الكبش كانا معلقين على الكعبة فى ايدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير قال الشعبى رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذى نفسى بيده لقدكان اول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس وقال الاصمعى سألت اباعمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق كان او اسمعيل فقال يااصمعى اين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع ابيه والله تعالى اعلم

﴿ ذكر الاشارة الى قصة الذبح ﴾

قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لى من الصالحين وبشر به قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب فى امر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام ياابت اين قربانك فقال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياابت افعل ماتؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى واخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته امر فى المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح تروى فى نفسه اى فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمى ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى رأى فى المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمى ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ اى من الرأى على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره فى امر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة فى ذلك قلت لم يشاور ليرجع الى رأيه وانما شاوره ليعلم ماعنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك قلت ان هذا الامر كان فى نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد فى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق ﴿ قال ياابت افعل ماتؤمر ﴾ اى قال الغلام لابيه افعل ما امرت به قال ابن اسحق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلى ابراهيم بابنه فى الشعب اخبره بما امره الله به فقال افعل ماتؤمر ﴿ ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ﴾ انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لاحول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ﴿ فلما اسلما ﴾ يعنى انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه ﴿ وتله للجبين ﴾ اى صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه ياابت اشدد رباطى كيلا اضطرب واكفف عنى

والحجاب فلا يكرايم (ولا هم عنها ينزفون) بذهاب القول والعقول والا لم يكونوا اهل الجنات الثلاث فى مقام البقاء (وعندهم قاصرات الطرف) من اهل الجبروت والملكوت والنفوس المجردة الواقفات تحت مراتبهم فى مقام تجليات الصفات وسرادقات الجلال وفى مجالى مشاهداتهم تحت قباب الجمال فى روضات القدس وحضرة الاسماء (عين) لان ذواتهم كلها عيون لايعدون طرفا عنهم لفرط محبتهم وعشقهم لهم لانهم هم المعشوقون (كأنهن بيض مكنون) فى الاداحى لغاية صفائها فى خدور القدس ونقائها من مواد الرجس (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يتحادثون بأحاديث اهل الجنة والنار ومذاكرة احوال السعداء والاشقياء مطلعين على كلا الفريقين وماهم فيه من الثواب والعقاب كما ذكر فى وصف اهل الاعراف (قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واستحد شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرأ عليها السلام مني وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت يا بني على امر الله ففعل ابراهيم ما امر به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيأ ثم انه حدها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيأ قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني لوجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله تعالى وانا لا انظر الى الشفرة فاجزع ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل وأتى ام الغلام فقال لها هل تدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطبا من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيا مما اراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروي عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين (وناديناه) اي فنودي من الجبل (ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا) اي حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه وجهوده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو اسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (انا كذلك نجزي المحسنين) يعني جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (ان هذا لهو البلاء المبين) اي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح اقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن آدم قيل حق له

لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه) وهي شجرة النفس الخبيثة المحجوبة النابتة في قعر جهنم الطبيعة المنشعبة اغصانها في دركاتها القبيحة الهائلة ثمراتها من الرذائل والخبائث كأنها من غاية القبح والتشوه والخبث بالتنفر (رؤس الشياطين) اي تنشأ منها الدواعي المهلكة والنوازغ المردية الباعثة على الافعال القبيحة والاعمال السيئة فتلك اصول الشيطنة ومبادي الشرور المفسدة فكانت رؤس الشياطين (فانهم لآكلون منها) يستمدون منها ويغتذون ويتقوون فان الاشرار غذاؤهم من الشرور ولا يلتذون الا بها (فمالؤن منها البطون) بالهيآت

ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل اعظمه في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن مافدي اسمعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه في الآخرين) اي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده (سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) * قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) اي بوجود اسحق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ (وباركنا عليه) يعني على ابراهيم في اولاده (وعلى اسحق) اي بكون اكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) اي مؤمن (وظالم لنفسه) اي كافر (مبين) اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لايلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن * قوله عزوجل (ولقد مننا على موسى وهرون) اي انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعني بني اسرائيل (من الكرب العظيم) يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق (ونصرناهم) يعني موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) اي على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعني التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) اي دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) اي الثناء الحسن (سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) * قوله عزوجل (وان الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال اكثر المفسرين هو نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

﴿ ذكر الاشارة الى القصة ﴾

قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عزوجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عزوجل فبعث الله عزوجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل بتجديد مانسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عزوجل وهم لايسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من امر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فأخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وامره ان يخبرهما ان الله عزوجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول اهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين

الفاسقة والصفات المظلمة كالممتلئ غضبا وحقدا وحسدا وقت هيجانها (ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم) الاهواء الطبيعية والمنى السيئة الرديئة ومحبات الامور السفلية وقصور الشر والموبقة التي تكسر بعض غلة الاشرار (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) لغلبة الحرص والشره بالشهوة والحقد والبغض والطمع وامثالها واستيلاء دواعيها مع امتناع حصول مباغيها * ويمكن تطبيق قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام على حال الروح الساذج من الكمال (انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم

ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فأخبر الملك بما اوحى الله اليه فى امره وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى الى الشعاب والكهوف فبقى سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى الكهوف فى الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى انت فيه الست امينى على وحيى وحجتى فى ارضى وصفوتى من خلقى سلنى اعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذى اعرى منك الارض واهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلنى اعطك فقال الياس ان لم تمتنى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل قال الله عز وجل واى شئ تريد ان اعطيك قال تملكنى خزائن السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتى فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقى ولكن اعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأى شئ اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بنى اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها اعندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بى رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امراة من بنى اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته واخفت امره فدعا لابنها فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يا رب دعنى اكن انا الذى ادعو لهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد اهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم ارسل الله عز وجل عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على

اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ جاء ربه) بسابقة معرفة الازل والوصلة الثابتة فى العهد الاول (بقلب) باق على الفطرة واستعداد صاف (سليم) عن النقائص والآفات محافظ على عهد التوحيد الفطرى منكر على المحتجبين بالكثرة عن الوحدة ناظر فى نجوم العلوم العقلية الاستدلالية والحجج والبراهين النظرية مدرك بالاستبصار والاستدلال سقمه من جهة الاغراض النفسانية والشواغل البدنية الحاجبة فأعرض عنه قومه البدنيون المدبرون عن مقصده ووجهته لانكاره عليهم فى تقيد الاكوان وطاعة الشيطان الى عبدهم واجتماعهم على اللذات والشهوات التى يعودون اليها كل وقت (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ءافكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون ما لكم) اى فأقبل

اخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذى امر به اقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع ياالياس ماتامرنى فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله عز وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته اربيل فى الجنينة التى اغتصبها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بنى اسرائيل واوحى اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع روى السدى عن يحيى بن عبد العزيز عن ابى رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا) يعنى اتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن (وتذرون) اى وتتركون عبادة (احسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون) اى فى النار (الا عباد الله المخلصين) اى من قومه الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل اراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من اسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين)

※ قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين) اى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) اى اهلكنا (الآخرين وانكم) اى يا اهل مكة (لتمرون عليهم) اى على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) اى فى وقت الصباح (وبالليل) اى وبالليل اسفاركم (افلا تعقلون) اى فتعتبرون بهم ※ قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) اى من جملة رسل الله تعالى (اذ ابق) اى هرب (الى الفلك المشحون) اى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال انا الآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) اى فقارع (فكان من المدحضين) يعنى من

مخفيا حاله عنهم على كسر آلهتهم بفأس التوحيد والذكر الحقيق يضربهم (ضربا باليمين فاقبلوا) بيمين العقل فرجعوا فاقبلوا (اليه يزفون) غالبين مستولين عند ضعفه ساعين فى تخريب قالبه (قال اتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين) فى نار حرارة الرحم فجعلها الله عليه بردا وسلاما اى روحا وسلامة من الآفات لبقاء صفاء استعداده ونقاء فطرته وبنى عليه بنيان الجسد وجعل الله اعداءه من النفس الامارة والقوى البدنية المطاوعة اياه فى النار من الاسفلين لتكامل استعداده فتوجه الى ربه بالسلوك (وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين) ودعا ربه بلسان الاستعداد الكامل الاصلى ان يهب له ولد القلب الصالح فبشره به ورزقه (رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياابت افعل ماتؤمر

المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت) اى ابتلعه (وهو مليم) اى آت بما يلام عليه (فلولا انه كان من المسبحين) اى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا انه كان من المسبحين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون اى لصار بطن الحوت قبراله الى يوم القيامة ❊ قوله عز وجل (فنبذناه) اى طرحناه انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى (بالعراء) اى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) اى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وانبتنا عليه شجرة من يقطين) يعنى القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل انبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن ان يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فارسل الله تعالى اليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا (وارسلناه الى مائة الف) قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه والمعنى وكنا ارسلناه الى مائة الف فلما خرج من بطن الحوت وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين (او يزيدون) قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل او على اصلها والمعنى او يزيدون فى تقدير الرائى اذا رآهم قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول واما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا ويعضده ماروى عن ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا (فآمنوا) يعنى الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم الى حين) اى الى انقضاء آجالهم ❊ قوله عز وجل (فاستفتهم) اى فسل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ (الربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا الله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) اى حاضرون خلقنا اياهم (الا انهم من افكهم) اى من كذبهم (ليقولون ولد الله) اى فى زعمهم (وانهم لكاذبون) اى فيما زعموا (اصطفى البنات) اى فى زعمكم (على البنين) وهو

(استفهام)

ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب ابائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على

استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) اى بالبنات لله ولكم بالبنين (افلا تذكرون) اى افلاتتعظون (ام لكم سلطان مبين) اى برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم ابوبكر الصديق رضى الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) اى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعنى يا اهل مكة (وما تعبدون) اى من الاصنام (ما انتم عليه) اى على ما تعبدون (بفاتنين) اى بمضلين احدا (الا من هو صال الجحيم) اى الا من سبق له فى علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار * قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (ومامنا الا له مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ومامنا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس مافى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى او يسبح وروى ابوذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط اصوات الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث مافى السماء من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم اى فى القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانا لنحن الصافون) يعنى الملائكة صفوا اقدامهم فى عبادة الله تعالى كصفوف الناس فى الصلاة فى الارض (وانا لنحن المسبحون) اى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار * قوله عزوجل (وان كانوا ليقولون) يعنى كفار مكة قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم (لو ان عندنا ذكرا من الاولين) يعنى كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) اى لاخلصنا العبادة لله (فكفروا به) اى فلما اتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم * قوله عزوجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) اى بالحجة البالغة (وان جندنا) اى حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) اى لهم النصرة فى العاقبة (فتول) اى اعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى ان يأتيهم العذاب (وابصرهم) اى اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) اى ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عزوجل (افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعنى العذاب (بساحتهم) اى بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) اى فبئس صباح الكافرين الذين انذروا العذاب (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية

الياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون) بالسلوك فى طريق الكمالات الخلقية والفضائل النفسانية اوحى اليه ان يذبحه بالفناء فى التوحيد والتسليم لربه الحق بالتجريد من الصفات الكمالية فأخبره بذلك فانقاد واسلم وجهه بالفناء فى ذاته عن صفاته ففدى على يد جبريل العقل الفعال بذبح النفس الشريفة السمينة العالية العظيمة الاخلاق وكمالات الفضائل فذبحت بالفناء فيه وانجى اسمعيل القلب بالفناء الحقانى الموهوب المفدى من جهة الله وترك الله عليه السلام فى العالمين المتخلفين عن مقامه لاهتدائهم بنوره واقتدائهم بايمانه وهديه (وان يونس) القلب (لمن المرسلين) الى اهل النقصان المحتجبين بالابدان المتبعين للشيطان المتظاهرين بالطغيان (اذ ابق الى الفلك) الى فلك البدن (المشحون)

قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ماتقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر احوالهم فى الدنيا وهذه ذكر احوالهم فى الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وابصر) اى العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) اى الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) اى عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) اى الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لان اعلى مراتب البشر ان يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلاجرم يجب على كل احد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) اى على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين ان يقولوه ولايخلوا به ولايغفلوا عنه لماروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة ص ﴾

ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهى مكية وهى ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذى الذكر) قال ابن عباس اى ذى البيان وقيل ذى الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذى الذكر ما الامر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق) والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفى آخر ومجاز الآية ان الله تعالى اقسم بصاد والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا من اهل مكة فى عزة اى حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اى خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الامم الخالية (فنادوا) اى استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) اى ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص اى اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص اى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى كفار مكة (ان جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من انفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) ❊ قوله عز وجل (اجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب

(رضى الله)

بالقوى البدنية وكمالاتها الحسية الجارى فى بحر الهيولى (فساهم) اوفاقترع معهم فى الحظوظ البدنية واختيارها بالافكار العقلية (فكان من المدحضين) المحجوبين المزلقين بالحجة البرهانية اليقينية لانهم بدنيون اهل البحر والسفينة وهو القدسى المجرد من سكان الحضرة الالهية الآبق من سيده الى السفينة الملق بيده الى التهلكة فألقى فى البحر فالتقمه حوت الرحم كالقطه النطفة (فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه وهو مليم) مستحق للملامة للتعلق بالملابس البدنية الموجبة اوقوعه فى تلك البلية (فلولا انه كان من المسبحين) المنزهين لربه بالتقدس حالة التجريد والتوحيد (للبث فى بطنه) كسائر القوى الطبيعية والنفسانية المنغمسة فى بطون حيتان الصور النوعية الجسمانية من الطبائع الهيولانية (الى يوم يبعثون) اى يوم يبعث المجردون عن مراقد ابدانهم مع بقائه فى مرقده كسائر الغافلين او يوم يبعث رفقاؤه البدنيون

في القيامة الصغرى (فنبذناه بالعراء) اي بالفضاء من عرصة الدنيا بالوردة (وهو سقيم) ضعيف ممنو بالاعراض المادية واللواحق الطبيعية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) لاتقوم على ساق وتنسرح على وجه الارض تظلل عليه باوراقها من الغواشي البدنية وقد قيل في التفاسير الظاهرة انه قد ضعف بدنه في بطن الحوت وصار كطفل ساعة يولد (وارسلناه) عند الكمال (الى مائة الف اويزيدون فآمنوا فتعناهم الى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الاانهم من افكهم ليقولون ولدالله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون افلاتذكرون ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الاعباد الله المخلصين فانكم وماتعبدون ماانتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ومامنا الاله مقام معلوم وانا لنحن الصافون

رضي الله عنه اسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى ابي طالب فاتوا الى ابي طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانما اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل اليه ابوطالب فدعا به فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونني قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشرة امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لااله الاالله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا الشيء عجاب) اي عجب (وانطلق الملا منهم) اي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي طالب (ان امشوا) اي يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) اي اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشيء يراد) اي لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضي الله عنه لما اسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا (ماسمعنا بهذا) اي بالذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) قاله ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لايوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه (ان هذا الا اختلاق) اي كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) اي القرآن (من بيننا) اي يقول اهل مكة ليس هو باكبرنا ولا اشرفنا قال الله تعالى (بل هم في شك من ذكرى) اي وحيي وماانزلت (بل لما يذوقوا عذاب) اي لوذاقوه لما قالوا هذا القول (ام عندهم خزائن رحمة ربك) يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) اي في ملكه (الوهاب) الذي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما) اي ليس لهم ذلك (فليرتقوا في الاسباب) يعني ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء ليأتوا منها بالوحي الى من يختاروا وقيل اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا امر توبيخ وتعجيز (جند ماهنالك) اي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ماهنالك (مهزوم) اي مغلوب (من الاحزاب) يعني ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا اخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون امره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في اسفارهم

وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لوان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) والله اعلم

﴿ سورة ص ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ص والقرآن ذى الذكر) اقسم بالصورة المحمدية والكمال التام المذكور بالشرف والشهرة بانه اتم الكمالات وهو العقل القرآنى الجامع لجميع الحكم والحقائق من الاستعداد التام المناسب لتلك الصورة الشريفة كما روى عن ابن عباس ص جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن عامادل عليه قوله (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) وحذف

وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد واحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه ﴿ وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ﴾ اى الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركى قريش حزب من اولئك الاحزاب ﴿ ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ يعنى ان اولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا انبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفى الآية زجر وتخويف للسامعين ﴿ وما ينظر ﴾ اى ينتظر ﴿ هؤلاء ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ الا صيحة واحدة مالها من فواق ﴾ اى رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التى هى ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا ﴾ اى خطنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى حصرت كل شئ قيل لما نزلت فى الحاقة فاما من اوتى كتابه بيمينه واما من اوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا ﴿ قبل يوم الحساب ﴾ وقيل قطنا اى حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ اصبر على ما يقولون ﴾ اى على ما يقول الكفار من التكذيب ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الايد ﴾ قال ابن عباس ذا القوة فى العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة فى الملك ﴿ انه اواب ﴾ اى رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة ﴿ انا سخرنا الجبال معه يسبحن ﴾ اى بتسبيحه اذا سبح ﴿ بالعشى والاشراق ﴾ اى غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى قوله بالعشى والاشراق قال كنت امر بهذه الآية لا ادرى ماهى حتى حدثتنى ام هانى بنت ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال ياام هانى ان هذه صلاة الاشراق قلت والذى اخرجاه فى الصحيحين من حديث ام هانئ فى صلاة الضحى قالت ام هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قالت انا ام هانى بنت ابى طالب فقال مرحبا ياام هانى فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت ام هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال ما حدثنا احد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير ام هانئ فانها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود * قوله تعالى ﴿ والطير ﴾ اى وسخرنا له الطير ﴿ محشورة ﴾ اى مجموعة اليه تسبح معه ﴿ كل له اواب ﴾ اى رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه ﴿ وشددنا ملكه ﴾ قويناه بالحرس والجودة قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وروى عن ابن عباس ان رجلا من بنى اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان

هذا غصبني بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله الى داود في منامه ان يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل عليه حتى اتثبت فأوحى اليه مرة اخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة ان يقتله اوتأتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال ان الله عز وجل اوحى الى ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لاتعجل حتى اخبرك اني والله مااخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك اوخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعني بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال على بن ابي طالب هو ان البينة على المدعى واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقاله ابي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه امابعد اذا اراد الشروع في كلام آخر واول من قال داود عليه الصلاة والسلام ❊ قوله عز وجل (وهل اتاك) اي وقد اتاك يامحمد (نبأ الخصم) اي خبر الخصم فاستمع نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذتسوروا المحراب) اي صعدوا وعلوا المحراب اي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى انهم اتوا المحراب من سوره وهو اعلاه وفي الاية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام * واختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب ذلك وسأذكر ماقاله المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لايليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فلاينسب اليها الامايليق بها واماماقاله المفسرون فهو ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابرهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه واشغاله وكان يجد فيمايقرا من الكتب فضل ابرهيم واسحق ويعقوب فقال يارب ارى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايالم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابرهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتني بمثل ماابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو كذلك اذجاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فديده ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تويسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها له فابصر امراة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من اجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسال عنها فقيل هي تشابع بنت شايع امراة اوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ان ابعث اوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لايحل له ان

جواب القسم في مثل ذلك غير عزيز وهو انه لحق يجب ان يتبع ويذعن له ويقبل بخضوع وذلة (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) تجبروا عن الحق بانائيتهم وضادوه في استكبار وعناد ولج وخلاف لظهور انفسهم باطلها في مقابلة الحق وقوله (كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الااختلاق أانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لمايذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما فليرتقوا في الاسباب جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب ومايظر هؤلاء الاصيحة واحدة مالها من فواق وقالوا ربنا

يرجع واره حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المراة تزوجها داود فهى ام سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود احب ان يقتل اوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة فى الدنيا وازدياد من النساء وقد اغناه الله تعالى عنها بما اعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر اجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود فى نفسه انه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمراة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام مازال يجتهد فى العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال اخبرونى باى شئ انتم موكلون قالوا نكتب صالح اعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه ليت شعرى كيف اكون او خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله تعالى الى الملكين ان يعتزلاه ليعلم انه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه اعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) اى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من ادخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) اى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) اى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من احدهما والمعنى رأيت خصمين بغى احدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) اى لا تجر فى حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) اى ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما (ان هذا اخى) اى على دينى وطريقتى لا من جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) اى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المراة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغى (فقال اكفلنيها) قال ابن عباس اى اعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه افصح منى فى الكلام وان حارب كان ابطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المراة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة

يجعل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) معناه داوم استقامتك فى التوحيد وعارض اذاهم بالصبر فى التمكين ولا تظهر نفسك فى مقابلة اذاهم بالتلوين فانك قائم بالله متحقق بالحق فلا تتحرك الابه (واذكر) حال اخيك (عبدنا) المخصوص بعنايتنا القديمة (داود ذا الايد) اى القوة والتمكين واضطلاع فى الدين كيف زل عن مقام استقامته فى التلوين فلا يكن حالك فى ظهور النفس حاله ثم وصف قوة حال داود عليه السلام وكماله بقوله (انه اواب) رجاع الى الحق عن صفاته وافعاله بالفناء فيه (انا سخرنا الجبال) جبال الاعضاء معه (يسبحن بالعشى والاشراق) بالانقياد والتمرن فى الطاعة اوقات العبادة وقت عشى الاستتار واحتجاب نور شمس الروح بظهور النفس واشراق التجلى وسلطان نور شمس الروح على النفس لا يتفاوت حاله فى العبادة بالفترة والعزيمة فى الوقتين لكمال تمرن نفسه وبدنه فى الطاعة وطير القوى باجمعها (والطير محشورة) مجموعة متماثلة بهيئة العدالة والانحراف فى

ولاوريا امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه)
اى بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه
ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا
من الخلطاء) اى الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) اى يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات) فانهم لايظلمون احدا (وقليل ماهم) اى هم قليل وماصلة والمعنى ان
الصالحين الذين لايظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك وصعدا
الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) اى ايقن وعلم (انما
فتناه) اى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا
فى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه انما عنى به وروى
البغوى باسناد الثعلبى عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم فقطع على بنى اسرائيل اوصى صاحب
البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان
يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل اوينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة
ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع
من دموعه على راسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة ابعد مابين
المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه
جبريل من بعد اربعين ليلة فقال ياداود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب
قادر على ان يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لايميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة
فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ماسألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج
جبريل وسجد داود ماشاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله ياداود عن
الذى ارسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند
داود فيقول هولك يارب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه
اقاويل السلف من اهل التفسير فى قصة امتحان داود

﴿ فصل ﴾ فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لايليق به وماينسب اليه اعلم ان من
خصه الله تعالى بنبوته واكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله
واسطة بينه وبين خلقه لايليق ان ينسب اليه مالو نسب الى آحاد الناس لاستنكف ان يحدث به
عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب
والحرث الاعور عن بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال من حدثكم بحديث داود على مايرويه
القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضى عياض لايجوز
ان يلتفت الى ماسطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض
المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولاورد فى حديث صحيح والذى نصه عليه الله فى قصة
داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود واوريا خبر ثابت ولايظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا هو الذى
ينبغى ان يقول عليه من امر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل
رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلايليق بعاقل ان يظن بداود

سلك الوحدة فى تسبيحاتها
المخصوصة بكل واحدة منها
(كل له اواب) رجاع لتسبيحه
بتسبيحه (وشددنا ملكه) قويناه
بالتأييد وايتاء العزة والهيبة
واعطاء العز والقدرة لائتلاف
نفسه بانوار تجليات القهر
والعظمة والكبرياء والعزة
واتصافه بصفاتنا الباهرة فيها
به كل احد ويجله ويذعن
لسلطنته ويجله (وآتيناه
الحكمة) لاتصافه بالعلما
(وفصل الخطاب) والفصاحة
المبينة للاحكام اى الحكمة
النظرية والعملية والمعرفة
والشريعة وفصل الخطاب
هو المفصول المبين من
الكلام المتعلق بالاحكام ثم
بين تلوينه وظهور نفسه فى
زلته وتبينه الحق بالعتاب
على خطيئته وتأديبه اياه
وتداركه بتوبته بقوله (وهل
اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا
المحراب * اذ دخلوا على
داود ففزع منهم قالوا لاتخف
خصمان بغى بعضنا على بعض
فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط
واهدنا الى سواء الصراط
ان هذا اخى له تسع وتسعون
نعجة ولى نعجة واحدة فقال
اكفلنيها وعزنى فى الخطاب
قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه وان كثيرا من

عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة مانقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا انت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم فان قلت فى الآية مايدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله واناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات واعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان فى الاية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة الى ان داود عليه الصلاة والسلام مازاد على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى ان تكون امرأة اوريا له فاتفق ان اوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان اوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج اوريا لها فعوتب داود بسببين احدهما خطبته على خطبة اخيه والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب اوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله اعلم * وقوله عز وجل (فاستغفر ربه) اى سأل ربه الغفران (وخر راكعا) اى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا والله تعالى اعلم بمراده

* (فصل) * اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى انها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن احمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رايت النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر ان يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ

الخطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم * وظن) اى تيقن (داود انما فتناه) ابتليناه بامرأة اوريا (فاستغفر ربه) بالتنصل عن ذنبه بالافتقار والالتجاء اليه فى المجاهدة وكسر النفس وقمعها بالمخالفة (وخر) بمحو صفات النفس (راكعا) فانيا فى صفات الحق (واناب) الى الله بالفناء فى ذاته (فغفرنا له ذلك) التلوين بستر صفاته بنور صفاتنا (وان له عندنا لزلفى) بالوجود الحقانى الموهوب حال البقاء بعد الفناء (وحسن مآب) لاتصافه حينئذ بصفاتنا لا بأنانيته ليلتحق بنا ويحكم بأحكامنا فى محل الخلافة الآلهية كما قال (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس) بالحكم (بالحق) لا بنفسك يكون عدلا لا جورا (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بظهور النفس فتجور ضالا عن سبيل الحق الى سبيل الشيطان (وماخلقنا السماء

رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان فى يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هى توبة نبى ولكنى رايتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا اخرجه ابوداود قوله تشوف الناس يعنى تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله رايتنى الليلة وانا نائم كانى اصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول اللهم اكتب لى بها اجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذى قال المفسرون سجد داود اربعين يوما لا يرفع رأسه الالحاجة اولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام اربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عزوجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم اقم لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى انت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما انا اليه صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى باى عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى باى قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من اين يطلب العبد المغفرة الامن عند سيده سبحان خالق النور الهى انا لااطيق حرشمسك فكيف اطيق حرنارك سبحان خالق النور الهى انا لااطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى اصابه سبحان خالق النور الهى كيف تستتر الخاطؤن بخطاياهم دونك وانت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور الهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور الهى اعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى اوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود اربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى ياداود اجائع انت فتطعم اظمآن انت فتسقى امظلوم انت فتنصر فاجيب فى غير ما طلب ولم يجب فى ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى هاج ماحوله من العشب فاحترق من حرجوفه ثم انزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود اتاه نداء انى قد غفرت لك قال يارب كيف وانت لاتظلم احدا قال اذهب الى قبراوريا فناده وانا اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يااوريا فقال من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال انا داود قال ماجاء بك يانبى الله قال اسألك ان تجعلنى فى حل مما كان منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال عرضتنى للجنة فانت فى حل فاوحى الله تعالى اليه ياداود الم تعلم انى حكم عدل لا أقضى بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال انا داود قال ماجاء بك يانبى الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك

والارض وما بينهما) خلقا (باطلا) لاحق فيها بل حقا محتجبا بصورها لاوجود لها بنفسها فتكون باطلا محضا (ذلك ظن الذين كفروا) المحجوبين عن الحق بمظاهر الكون (فويل للذين كفروا من النار) لهم من نار الحرمان والاحتجاب والتقلب فى نيران الطبيعة والانائبة بأشد العذاب (ام نجعل) بل لم نجعل (الذين آمنوا) بشهود جماله فى مظاهر الاكوان (وعملوا الصالحات) من الاعمال المقصودة بذاتها المتعلقة بصلاح العالم الصادرة عن اسمائه (كالمفسدين فى الارض) المحجوبين الفاعلين بانفسهم وصفاتهم الافعال البهيمية والسبعية والشيطانية فى ارض الطبيعة (ام نجعل المتقين) المجردين عن صفاتهم (كالفجار) المتلبسين بالغواشى النفسانية والشيطانية فى اعمالهم (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) بالنظر العقلى ماداموا فى مقام النفس فينخلعوا عن صفاتهم فى متابعة صفاته (وليتذكر) حال العهد الاول والتوحيد الفطرى عند التجرد (اولو الالباب)

وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود اعطيه يوم القيامة من الثواب مالم ترعيناه ولم تسمع اذناه فاقول رضيت عبدى فيقول يارب من اين لى هذا ولم يبلغه عملى فاقول هذا عوض من عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى قال يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لى فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (واناب) اى رجع (فغفرنا له ذلك) اى الذنب (وان له عندنا) اى يوم القيامة بعد المغفرة (لزلفى) اى لقربة ومكانه (وحسن مآب) اى حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء بين بنى اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الجبال والفيافى والساحل ويوم يخلو فى دار له فيها اربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى ويرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجئ الى الجبال ويرفع صوته ويبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجئ الى الساحل فيرفع صوته ويبكى فتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجئ اربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى ايديهم العصى فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكى حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ماترى فلو عادل بكاء داود بكاء اهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عينى داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع فى وجهه كخديد الماء فى الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى ان لا انسى خطيئتى فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا او استغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعة فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته

الحقائق المجردة الصافية عن قشر الخلقة * ثم ذكر تلوين سليمان وابتلاءه تأكيدا لتدينه وتقوية له فى استقامته وتمكينه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) لصلاحية استعداده للكمال النوعى الانسانى وهو مقام النبوة (انه اواب) رجاع الى بالتجريد (اذعرض عليه بالعشى) وقت قرب غروب شمس الروح فى الافق الجسمانى بميل القلب الى النفس وظهورظلمتها بالميل الى المال واستيلاء محبة الجسمانيات واستحسانها كما قال الله تعالى زين للناس حب الشهوات الى قوله والخيل المسومة والانعام والحرث فان الميل الى الزخارف الدنيوية والمشتهيات الحسية وهوى اللذات الطبيعية والاجرام السفلية يوجب اعراض النفس عن الجهة العلوية واحتجاب القلب عن الحضرة الالهية (الصافنات الجياد) التى استعرضها وانجذب بهواها واحبها (فقال انى احببت حب الخير) اى احببت منيبا حب المال (عن ذكر ربى)

ماكان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت اوصاله فلايشهدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل مافعل كانت لاتصغى الى قراءته وقيل انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك * قوله عزوجل (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض) اى لتدبر امر الناس بامر نافذ الحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) اى بالعدل (ولاتتبع الهوى) اى لاتمل مع ماتشتهى اذا خالف امر الله تعالى (فيضلك عن سبيل الله) اى عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بمانسوا يوم الحساب) اى بماتركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضاء * قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لاثواب ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقناهما عبثا لالشئ (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى اهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شئ وانه لابعث ولاحساب (فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما نعطى في الآخرة من الخير ماتعطون فنزلت هذه الآية (ام نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لانجعل الفريقين سواء في الآخرة (كتاب انزلناه اليك) اى هذا كتاب يعنى القرآن (انزلناه اليك مبارك) اى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) اى ليتدبروا ويتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في اوامره ونواهيه (وليتذكر) اى وليتعظ (اولوا الالباب) اى ذوو العقول والبصائر * قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا اهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ما اصاب وهو الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فأقبل فضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقى منها مائة فرس فالذى في ايدى الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قيل هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل او يد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوأ مقعده من النار اى قياما الجياد اى الخيار السراع في الجرى واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال انى احببت حب الخير) اى آثرت حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعنى المال ومنه الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر ربى) يعنى صلاة العصر (حتى توارت) اى استترت الشمس (بالحجاب) اى بما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها على) اى ردوا الخيل على (فطفق مسحا

مشتغلا به لحبى اياه كما يجب لمثلى ان يشتغل بربه ذاكرا محباله فاستبدلت محبة المال بذكر ربى ومحبته فذهلت عنه (حتى توارت بالحجاب) شمس الروح بحجب النفس (ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق) اى يمسح السيف مسحا بسوقها يعرقب بعضها وينحر بعضها كسر الاصنام النفس التى تعبدها بهواها وقمعها لسورتها وقواها ورفعا للحجاب الحائل بينه وبين الحق واستغفارا وانابة اليه بالتجريد والترك (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) ابتليناه مرة اخرى بما هو اشد من هذا التلوين وهو القاء الجسد على كرسيه وقد اختلف في تفسيره على ثلاثة اوجه احدها انه ولد له ابن فهم الشياطين بقتله مخافة ان يسخرهم كابيه فعلم بذلك فكان يغدوه في السحابة فما راعه الا انه القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في ان لم يتوكل فيه على ربه والثانى انه قال ذات يوم لأطوفن على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن

بالسوق) جمع ساق (والاعناق) اى جعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبى الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك اسفا على مافاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها واعناقها بكى الصدقة وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها على يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما انه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر انى لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام امر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم امر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها على فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان فى دفع العدو الثانى انه اراد ان يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه باشر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شئ من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول ان يدعى ان لفظ الآية لا يدل على شئ من تلك الوجوه التى ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثانى ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ❊ قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) اى اختبرناه وابتلينا بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيأ من نسائه اوكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت انى اذكر ابى واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله به ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته اصابنى ما تراه من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى انا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزنى وان يسلى عنى بعض ما اجد فى نفسى فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى ابيها

ولم تحمل الامرأة واحدة جاءت بشق رجل فعلى هذين الوجهين يكون ابتلاؤه بمحبة الولد فظهور النفس عليه اليه اما بشدة الاهتمام بحفظه وتربيته وصونه عن شياطين الاوهام والتخيلات فى سحاب العقل العملى وتغذيته بالحكمة العقلية واعتماده فى ذلك على العقل والمعقول واستحكام اهله لكماله دون تفويض امره فيه الى الله واتكاله فى شانه عليه فابتلاه الله بموته فتنبه على خطئه فى شدة حبه للغير وغلبة اهله واما بظهور النفس فى الانتزاح والتمنى وغلبة الحسبان والظن والاحتجاب عن الاستيهاب بالعادة والفعل وبالتدبير عن التقدير والذهول عن امر الحق بغلبة صفات النفس فابتلاه الله بالمعلول البعيد عن المراد الذى تصوره فى نفسه وقدره فأناب بالرجوع الى الحق عند التنبه على ظهور النفس وتدارك التلوين بالاستغفار والاعتذار فى التقصير والوجه الثالث انه غزا صيدون مدينة فى بعض جزائر البحر فقتل ملكها

بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت
اذا خرج سليمان من دارها تغدوا ليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع في ملكه
وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن
برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شيء من بيوته دخل
حاضرا سليمان او غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب
وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله تعالى واثني عليهم بعلمي
فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام
فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تعالى واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى
به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احكمك في صغرك واورعك في صغرك وافضلك في صغرك
واحكم امرك في صغرك وابعدك عن كل ما يكره الله تعالى في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان
في نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من
انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت
تثني علي خيرا في صغري وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في آخر عمري
فقال آصف ان غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري
قال في دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء
بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقبت تلك المرأة وولائدها ثم امر
بثياب الطهيرة فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا
الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر
برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللا الى الله تعالى
وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره
وكانت له ام ولد يقال لها امينة كان اذا دخل الخلاء او اراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها
حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه
فاتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيأ فقال خاتمي امينة فناولته اياه فجعله في يده
ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان
فاتى امينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا امينة خاتمي قالت من انت قال سليمان بن داود
فقالت كذبت قد جاء سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته
قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه
التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر
فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة
ويشوي الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف
وعظماء بني اسرائيل انكروا احكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل
رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رايتم قالوا نعم فقال امهلوني حتى ادخل على نسائه فاسألهن هل
انكرن من خاصة امره ما انكرنا في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن

وكان عظيم الشان واصاب
بنتا له اسمها جرادة من
احسن الناس وجها فاصطفاها
لنفسه بعد ان اسلمت
واحبها وقد اشتد حزنها على
ابيها فامر الشياطين فمثلوا
لها صورة ابيها فكستها
مثل كسوته وكانت تغدوا
اليها وتروح مع ولائدها
يسجدن لها كعادتهن في
ملكه فأخبر آصف سليمان
بذلك فكسر الصورة وعاقب
المرأة ثم خرج وحده الى
فلاة وفرش لنفسه الرماد
فجلس عليه تائبا الى الله
متضرعا وكانت له ام ولد
يقال لها امينة اذا دخل
للطهارة او لاصابة امرأة
وضع خاتمه عندها وكان
ملكه في خاتمه فوضعه عندها
يوما واتاها الشيطان صاحب
البحر اسمه صخر على صورة
سليمان فقال يا امينة خاتمي
فتختم به وجلس على كرسي
سليمان وغير سليمان عن هيئته
فانكرته وطردته فعرف ان
الخطيئة قد ادركته فأخذ
يدور على البيوت يتكفف
واذا قال انا سليمان حثوا
عليه التراب وسبوه ثم عمد
الى السماكين يخدمهم فمكث
على ذلك اربعين صباحا ثم
طار الشيطان وقذف الخاتم

من ابن داود ممّا انكرنا فقلن اشدما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشد مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكف عليه الطير والجن واقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان احدث في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوه بصخر فطلبوه حتى اخذوه فاتى به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذفوه في البحر * وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت امرأة من نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا واعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فاقام آصف في ملك سليمان بسيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وفي رواية لاطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث لينفذ امر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي القي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) اي رجع الى ملكه

في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وقذفه في البحر فان صحت الحكاية في مطابقتها للواقع كان قد اشتد تلوينه وابتلي بمثل ما ابتلي به ذو النون وآدم عليهما السلام والحكاية من موضوعات حكماء اليهود وعظمائهم كسائر ما وضعت الحكماء في تمثيلاتهم من حكايات ابسال وسلامان وامثالها وتأويلها والله اعلم بصحتها ووضعها ان سليمان قصد مدينة صيدون البدن جزيرة في بحر الهيولى وقتل ملكها النفس الامارة العظيم الشان ظاهر الطغيان بالمجاهدة في سبيل الله واصاب بنتاله اسمها جرادة وهي القوى المتخيلة بالطيارة كالجرادة تجرد اشجار الاجسام والاشياء كلها بنزع صورها عن موادها مكنوفة بلواحقها حزينة وهي من احسن الناس صورة في تزيينها وتسويلها نفسها وما تخيلاته من مدركاتها واسلمت على يده اي انقادت للعقل ورجعت

بعد الاربعين يوما وقيل اناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفرلى) اى سأل ربه المغفرة (وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى) اى لايكون لاحد من بعدى وقيل لاتسلبنيه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبته منى فيما مضى من عمرى (انك انت الوهاب) فان قلت قول سليمان لاينبغى لاحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولانفاسة بها ولكن كان قصده فى ذلك ان لايسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه احب ان يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيأ يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا ❋ قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء) اى لينة ليست بعاصفة (حيث اصاب) اى حيث اراد (والشياطين) اى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) اى يبنون له مايشاء (وغواص) يعنى يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) اى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين فى الاصفاد) اى مشدودين فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الاصفاد (هذا عطاؤنا) اى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) اى احسن الى من شئت (او امسك) اى عن شئت (بغير حساب) اى لاحرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن ما انعم الله تعالى على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى امر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وامسك اى احبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لاتبعة عليك فيما تتعاطاه (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ماانعم به عليه فى الدنيا اتبعه بما انعم به عليه فى الآخرة ❋ قوله عزوجل (واذكر عبدنا ايوب اذنادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب) اى بمشقة (وعذاب) اى ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب (اركض) يعنى انه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض اى اضرب (برجلك) يعنى الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) امره الله تعالى ان يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء عذب اخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله عزوجل (وشراب ووهبناله اهله ومثلهم معهم رحمة منا) اوانما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لاعلى اللزوم (وذكرى لاولى الالباب) يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم ازلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) اى ملء كفك من حشيش اوعيدان اوريحان (فاضرب به ولا تحنث) وكان قد حلف ان يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه فى ضربها وسهل له الامر وامره بان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث

عن دين الوهم .فصارت مفكرة فاصطفاها لنفسه واحبها لتوقف حصول كماله عليها وحزنها على ابهاميلها الى النفس بطبعها وتأسفها على فوات حظوظها وامره للشيطان بتمثل صورة ابيها وكسوتها مثل كسوته هو اشارة الى منشأ تلوينه وابتلائه بالميل الى النفس واغتراره بكماله واشتغاله بحظوظ النفس قبل اوانه كما قال امير المؤمنين عليه السلام نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى وطاعة الشيطان له تسخير القوة الوهمية له فى اعادة النفس الى الهيئة الاولى وان لم تكن على قوتها الاولى وحياتها من الهوى لكونه مصونا عن الاحتجاب معنيا به فى العناية وسجود جرادة وولائدها له كعادتهن فى ملكه تعبد الفكرية وسائر القوى البدنية للنفس بالانقياد والمراعاة والخدمة وايصال الحظوظ اليها كعادتهن فى الجاهلية الاولى واخبار آصف سليمان بذلك تنبيه العقل للقلب على تلوينه عند قرب موته وكسر الصورة وعقاب المرأة ندامته وتوبته عن حاله وتنصله متضرعا الى الله

في عينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن ابى رباح والثانى انه خاص بايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعى اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية (انا وجدناه صابرا) اى على البلاء الذى ابتليناه به (نعم العبد انه اواب) * قوله تعالى (واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب) اى اذكر صبرهم فابراهيم القى فى النار فصبر واسحق اضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (اولى الايدى) قال ابن عباس اولى القوة فى طاعة الله تعالى (والابصار) اى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد اكثر الاعمال وبالبصر اقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عالمية وعاملية واشرف مايصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى واشرف مايصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدى والابصار (انا اخلصناهم) اى اصطفيناهم وجعلناهم لها خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه اخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها واخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل اخلصناهم بافضل مافى الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) يعنى من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل) اى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الاخيار) * قوله عز وجل (هذا ذكر) اى الذى يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) اى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح ابوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب) اى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) اى قيل للمؤمنين هذا ماتوعدون اوقيل هذا مايوعد به المتقون (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) اى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما اخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه * قوله تعالى (هذا) اى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين) يعنى الكافرين (لشر مآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) اى يدخلونها (فبئس المهاد) اى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو مايسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) اى مثل الحميم والغساق (ازواج) اى اصناف اخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار اى داخلوها كما دخلتموها ثم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لا مرحبا بهم) اى الاتباع (انهم صالوا النار) اى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) اى

وكسره للنفس بالرياضة وخروجه وحده الى الفلاة تجرده عن البدن عند سقوط قواه وفرش الرماد وجلوسه فيه تغير المزاج وترمد الاخلاط مع بقاء العلاقة البدنية وام الولد المسماة امينة هى الطبيعة البدنية ام الاولاد القوى النفسانية التى يضع هو خاتم بدنه عندها وقت الاشتغال بالامور الطبيعية و الضروريات البدنية كالدخول فى الخلوة واصابة المرأة وامثالها وهى امينة على حفظه وكون ملكه فى خاتمه اشارة الى توقف كماله المعنوى والصورى على البدن والشيطان الذى جاءها فأخذ منها الخاتم هو الطبيعة العنصرية الارضية صاحب بحر الهيولى السفلية سمى صخر لميله الى السفل وملازمته كالحجر للثقل وتختمه به لبسه به بانضمامه الى نفسه وجلوسه على كرسى سليمان هو القاء الله تعالى بدنه ميتا على موضعه وسرير سلطنته كما قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا وتغير سليمان عن هيئته بقاء الهيآت

قال الاتباع للقادة (بل انتم لا مرحبا بكم) اى لا رحبت الارض والعرب تقول مرحبا واهلا وسهلا اى اتيت رحبا وسعة (انتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الاتباع للقادة انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر (فبئس القرار) اى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) اى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) اى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وافاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم واشرافهم وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) اى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار) يعنى ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم الابصار اى ابصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه ام هم فى النار ولكن احتجبوا عن ابصارنا وقيل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) اى الذى ذكر (لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم اهل النار) اى فى النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة ❊ قوله عز وجل (قل) اى يا محمد لمشركى مكة (انما انا منذر) اى مخوف (وما من اله الا الله الواحد) يعنى الذى لا شريك له فى ملكه (القهار) اى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة (انتم عنه معرضون) اى لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوتى وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحى من الله تعالى (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى) يعنى الملائكة (اذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن قلت لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى الى) اى ما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى (الا انما انا نذير مبين) يعنى الا انما انا نبى انذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى ربى فى احسن صورة قال احسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى او قال فى نحرى فعلمت ما فى السموات وما فى الارض قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيها فعلمت ما بين

الجسمانية والآثار الهيولانية من بقايا الصفات النفسانية عليه بعد المفارقة البدنية وتغيره عن النورانية الفطرية والهيئة الاصلية واتيانه امينة لطلب الخاتم ميله الى البدن ومحبته له وشوقه اليه وانكارها اياه وطرده هاله عبارة عن عدم قبول الطبيعة البدنية الحياة لبطلان المزاج ودوره على البيوت متكففا ميله الى الحظوظ واللذات الجسمانية وانجذابه اليها بالشوق للهيآت النفسانية وحثيهم التراب على وجهه وسبهم اياه عبارة عن حرمانه من تلك الحظوظ واللذات وفقدان اسباب تلك الشهوات وقصده الى السماكين وخدمته لهم اشارة الى الميل الى قرارة الارحام المتعلق بالنطفة ومكثه اربعين يوما فى خدمة السماكين اشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الربانى خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا وطيران الشيطان سريان الطبيعة العنصرية فى التركيب والقاؤه الخاتم فى البحر تلاشى التركيب البدنى فى البحر الهيولانى

المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

﴿ فصل في الكلام على معنى هذا الحديث ﴾ وللعلماء في هذا الحديث وفي امثاله من احاديث الصفات مذهبان * احدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * المذهب الثاني هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الجلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو ابو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه ابو ايوب عن قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه قال في المنام ورواه قتادة عن ابي قلابة عن خالد بن الجلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد الا انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من طرق كلها ضعاف وفي ثبوته نظر واحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان في المنام فاما تأويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز ان يكون الباري تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصور مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال ان يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله اتاني ربي في احسن صورة يحتمل وجهين * احدهما وانا في احسن صورة كانه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعد ذلك لشدة الوحي وثقله * الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه في احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل في افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع الى صفاته العلية من انتاهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه احد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالى اياه وانما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة او نقص وهذا هو اليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة

وابتلاع السمكة اياه جذب الرحم للمادة البدنية التي هي النطفة ووقوع السمكة في يد سليمان تعلقه في الرحم بها واستيلاؤه على الرحم بالاغتذاء منه والتصرف فيه وبقر بطنها واخذ الخاتم منه وتختمه به فتح الرحم واخراج البدن منه وتلبسه به وخروره ساجدا ورجوع ملكه حصول كماله به بالانقياد لامر الله والفناء فيه وجعله لصخر في صخرة والقاؤه اياه في البحر ابقاء الطبيعة الارضية على حالها منطبعة محبوسة في باطن الجرم ملازمة للثقل والميل الى السفل في بحر الهيولى عند وجود الطبيعة البدنية وتركه اياه فيه غير قادر على استيلاء امينة واخذ الخاتم منها الى حين (ثم اناب) بعد اللتيا والتي الى الله بالتجريد والتزكية (قال رب اغفر لي) ذنوب تعلقاتي وهيآتي الساترة لنوري المظلمة المكدرة لصفائي بنورك (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) اي كمالا خاصا باستعدادي يقتضيه هويتي لا ينبغي لغيري لاختصاصه بي وهو

بنا الى التأويل ورؤية البارى عزوجل فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائى وسبب اختصام الملا الاعلى وهم الملائكة والكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث فى ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية الشئ باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى اعلم ❊ قوله عزوجل (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) اى اتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) اضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سريان الضوء فى القضاء وكسريان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر) اى تعظم (وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى) اى توليت خلقه (استكبرت) اى تعظمت بنفسك عن السجود له (ام كنت من العالين) اى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله (قال انا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار اشرف من الطين وافضل منه واخطأ ابليس فى القياس لان مآل النار الى الرماد الذى لا ينتفع به والطين اصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وافضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون افضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) اى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) اى مطرود (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة او السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجئ يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من انواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الاولى (قال فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول) اى انا اقول الحق وقيل الاول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه (لأملأن جهنم منك) اى بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم اجمعين) يعنى من بنى آدم (قل ما اسألكم عليه) اى على تبليغ الرسالة (من اجر) اى جعل (وما انا من المتكلفين) اى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسئلكم عليه من اجر وما

لغاية التى يمكنه بلوغها (انك انت الوهاب) لجميع الاستعدادات وكل ما سئلت من الكمالات كما قال تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه (فسخرنا له الريح) ريح الهوى (تجرى بأمره رخاء) لينة طيعة منقادة لا تزعزع بالاستيلاء والاستعصاء (حيث اصاب) قصد واراد (والشياطين) الجنية الباطنة من القوى النفسانية (كل بناء) مقدر بالهندسة عامل لابنية الحكم العملية وقواعد القوانين العدلية (وغواص) فى بحور العوالم القدسية والهيولانية مخرج لدرر المعانى الكلية والجزئية والحكم العملية والنظرية (وآخرين) من القوى النفسانية والطبيعية (مقرنين فى الاصفاد) اصفاد القيود الشرعية واغلال الرياضات العقلية والانسية الظاهرة من العمال المسخرين فى الاعمال والفساق والعصاة المقرنين فى الاغلال (هذا عطاؤنا) المحض (فامنن اوامسك) اى اطلق ارادتك واختيارك فى الحل والعقد والاعطاء والمنع عند الكمال التام والعطاء الصرف اى

انا من المتكلفين لفظ البخاري (ان هو) يعني القرآن (الا ذكر) اي موعظة (للعالمين) اي للخلق اجمعين (ولتعلمن) يعني انتم يا اهل مكة (نبأه) اي خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم بذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزمر ﴾

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث وقيل قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى قوله لا تشعرون وهي اثنتان وقيل خمس وسبعون آية والف ومائة واثنتان وسبعون كلمة واربعة آلاف وتسعمائة وثمانية احرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) اي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) اي لا من غيره (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) اي لم ننزله باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) اي الطاعة (الا لله الدين الخالص) اي شهادة ان لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من الشرك وماسوى الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان رأس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي (والذين اتخذوا من دونه) اي من دون الله (اولياء) يعني الاصنام (مانعبدهم) اي قالوا مانعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعني قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) اي من امر الدين (ان الله لا يهدي) اي لا يرشد لدينه (من هو كاذب) اي من قال ان الآلهة تشفع له (كفار) اي باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى) اي لاختار (مما يخلق مايشاء) يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) اي تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد (القهار) اي الغالب الكامل القدرة * قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعني يغشي هذا هذا وقيل يدخل احدهما على الآخر وقيل ينقص من احدهما ويزيد في الآخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى) يعني الى يوم القيامة (الا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج) يعني الابل والبقر والغنم والمعز

الوجود الموهوب حال البقاء بعد الفناء كما شئت (بغير حساب) عليك فانك قائم بنا مختار باختيارنا متحقق بذاتنا وصفاتنا وذلك معنى قوله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا ايوب) في ابتلائنا اياه عند ظهور نفسه في التلوين بأعجابه بكثرة ماله اومداهنته لكافر النفس في ظهورها وترك تغذيته اياها بالرياضة والمجاهدة لكون ماشية قواه الطبيعية في ناحيته اوعدم اغاثته لمظلوم العقل النظري والقوى القدسية عند استغاثته على اختلاف الروايات في التفاسير الظاهرة في سبب ابتلائه ويمكن الجمع بينها وابتلاؤه بالمرض والزمانة ووقوع ديدان القوى الطبيعية فيه واستئكاله وسقوطه على فراش البدن حتى لم يبق منه الا القلب واللسان اي الفطرة والاستعداد الاصليان دون ما اكتسب من الكمالات (اذ نادى ربه) بلسان الاضطرار والافتقار في مكمن الاستعداد (اني مسني الشيطان بنصب وعذاب) اي استولى على

والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصنام وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لايعيش الا بالنبات والنبات لايقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت فى الجنة ثم انزلت الى الارض (يخلقكم فى بطون امهاتكم) لما ذكر الله تعالى اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون الامهات وانما قال فى بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) اى الذى خلق هذه الاشياء ربكم (له الملك) اى لا لغيره (لااله الا هو) اى لاخالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فانى تصرفون) اى عن طريق الحق بعد هذا البيان ❊ قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) يعنى انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غنى عن جميع العالمين فلو كفروا واصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم ❊ ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى انه تعالى وان كان لاينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا (وان تشكروا) اى تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) تقدم بيانه (ثم الى ربكم مرجعكم) اى فى الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا (انه عليم بذات الصدور) اى بما فى القلوب ❊ قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر) اى بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) اى راجعا (اليه) مستغيثا به (ثم اذا خوله) اى اعطاه (نعمة منه نسى) اى ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله اندادا) يعنى الاصنام (ليضل عن سبيله) اى ليرد عن دين الله تعالى (قل) اى لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) اى فى الدنيا الى انقضاء اجلك (انك من اصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى ابى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر (امن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله اندادا خير ام من هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من اصحاب النار ويا من هو قانت انت من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى ابى بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت فى عثمان وقيل نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة فى كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (اناء

الوهم بالوسوسة فلقيت بسببه هذا المرض والعذاب من الاخلاق الرديئة والاحتجاب (اركض برجلك) اى اضرب بقوتك التى تلى ارض البدن من العقل العملى لمسمى صدر ارض بدنك تنبع عينان من الحكمة العملية والنظرية (هذا مغتسل) اى العملية المزكية للنفوس المطهرة من الواث الطبائع المبرئة من امراض الرذائل (بارد) ذو روح وسلامة (وشراب) من النظرية اى العلم المفيد لليقين الدافع لمرض الجهل الجهل والزمانة من السير فتغتسل وتشرب منه تبرأ باذن الله ظاهرك وباطنك وتصح وتقوى (ووهبنا له اهله) قيل كان له سبعة ابناء وسبع بنات فانهدم عليهم البيت فى الابتلاء فهلكوا فأحياهم الله عند كشف الضر واعادة اموال الكمالات عليه وهى اشارة الى الروحانية والنفسانية الهالكة فى التلوين واستيلاء الطبيعة البدنية او البالغة فى التلوين الاعظم وخراب البدن واستنكال الديدان اياه

الليل) اى ساعات الليل اوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) اى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر (يحذر) اى يخاف (الاخرة ويرجوا رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ماروى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال ارجوا الله يارسول الله واخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى مايرجو منه وآمنه مما يخاف اخرجه الترمذى (قل هل يستوى الذين يعلمون) اى ماعند الله من الثواب والعقاب (والذين لايعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لايعلمون ابى حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله (انما يتذكر اولوا الالباب) ❊ قوله تعالى (قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) اى بطاعته واجتناب معاصيه (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين آمنوا واحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية فى هذه الدنيا (وارض الله واسعة) قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل من امر بالمعاصى فى بلد فليهرب منه وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقيل نزلت فى جعفر بن ابى طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) قال على بن ابى طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا وروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولاينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا لو ان اجسادهم تقرض بالمقاريض لمايذهب به اهل البلاء من الفضل ❊ قوله عزوجل (قل) يامحمد (انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) اى مخلصا له التوحيد اى لا اشرك به شيأ (وامرت لان اكون اول المسلمين) اى من هذه الامة قيل امره اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لاتستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو اول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على ان غيره احق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وذلك ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ماحملك على هذا الذى اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وقومك فتأخذ بها فانزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره اولى بذلك (قل الله

حتى لم يبق منه الا القلب ولسان الاستعداد الفطرى فأحياهم عند الانابة والرجوع الى حال الصحة والقوة وكشف المرض والزمانة بالشرب والغسل من العينين المذكورتين (ومثلهم معهم) باكتساب الملكات الفاضلة والاخلاق الحميدة والصفات الجميلة حتى صارت القوى الطبيعية النفسانية ايتنا روحانية فى النشأة الثانية وحدوث القوى البدنية الفانية (رحمة منا) بافاضة الكمالات التى سألها استعداده (وذكرى) وتذكيرا (لاولى الالباب) الحقائق المجردة عن قشور المواد الجسمانية الذين يفهمون بسمع القلب حتى يعتبروا احوالهم بحاله ويتذكروا مافى فطرهم من العلوم (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به) قيل انه حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة ان برئ واختلف فى سبب حلفه فقيل ابطأت ذاهبة فى حاجة وقيل اوهمها الشيطان ان تسجد له سجدة ليرد اموالهم الذاهبة وقيل باعت ذؤابتين لها برغيفين وكانتا

اعبد مخلصاله دينى) فان قلت مامعنى التكرار فى قوله قل انى امرت ان اعبدالله مخلصاله الدين وفى قوله قل الله اعبد مخلصاله دينى قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بانه مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بانه امر ان يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا له دينه لان قوله امرت ان اعبدالله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد يفيد الحصر والمعنى الله اعبد ولا اعبد احدا غيره ثم اتبعه بقوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) ليس امرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم) يعنى ازواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه واهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين اهله (الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) اى اطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) اى فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة مافوق الانسان فكيف سمى ماتحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الآخر الثانى ان الذى تحته من النار يكون ظلة الآخر تحته فى النار لانها دركات الثالث ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) اى المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار فى الآخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله عزوجل وهو قوله تعالى (ياعباد فاتقون) اى فخافون * قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعنى الاوثان (ان يعبدوها وانابوا الى الله) اى رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) اى فى الدنيا وفى الآخرة اما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر واما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفى الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عباد الذين يستمعون القول) يعنى القرآن (فيتبعون احسنه) اى احسن مايؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما اسلم ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسى (اولئك الذين هداهم الله) اى الى عبادته وتوحيده (واولئك هم اولو الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا ابالى (افأنت تنقذ من فى النار) اى لا تقدر عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ابالهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف

متعلق ايوب عند قيامه وقيل اشارت اليه ليشرب الخمرة كلها اشارات الى التلوين المذكور بظهور النفس بابطائها وتكاسلها فى الطاعات اوطاعة شيطان الوهم وانقيادها له فى تمنى الحظوظ وترك مايتعلق به القلب فى القيام عن مرقد البدن والتجرد عن الهيآت المنشطة المشجعة من العلوم النافعة والاعمال الفضيلة واستبدال الحظوظ القليلة المقدار اليسيرة الوقع والخطر بها اوالمرآة بها لاستجلاب حظ النفس اوشرب خمر الهوى والميل الى مايخالف العقل وحلفه اشارة الى نذره المخالفات والرياضات المتعبة والمجاهدات المؤلمة او ماركز فى استعداده فى محبته التجريد والتزكية بالرياضة وعزيمة تأديب النفس بالاخلاق والآداب بالمخالفات المؤلمة بمقتضى العهد الاول وحكم ميثاق الفطرة واخذ الضغث والضرب به اشارة الى الرخصة والطريقة السهلة السمحة من تعديل الاخلاق بالاقتصار على الاوساط والاعتدالات

مبنية) اى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى ارفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) اى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراؤن اهل الغرف من فوقهم كما يتراؤن الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قول الغابر اى الباقى فى الافق اى فى ناحية المشرق او المغرب ❊ قوله تعالى (الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه) اى ادخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) اى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبى كل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) اى بالماء (زرعا مختلفا الوانه) اى مثل اصفر واخضر واحمر وابيض وقيل اصنافه مثل البر والشعير وسائر انواع الحبوب (ثم يهيج) اى ييبس (فتراه) اى بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) اى فتاتا متكسرا (ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب) ❊ قوله عز وجل (افمن شرح الله صدره) اى وسعه (للاسلام) وقبول الحق لكن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) اى على يقين وبيان وهداية روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يارسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يارسول الله ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمود وصلابة تحصل فى القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انهم كلما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها الذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (اولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى ابى بن خلف وقيل فى على وحمزة وفى ابى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ابى جهل ❊ قوله عز وجل (الله نزل احسن الحديث) يعنى القرآن وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى اسلوبه واما الوجه الثانى وهو كونه القرآن من احسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا متشابها) اى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه (مثانى) اى يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهى والاخبار والاحكام (تقشعر) اى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهى تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى اذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت

من الرياضات والمخالفات لصفاء الاستعداد وشرف النفس ونجابة جوهرها دون الافراط فيها والاخذ بالعزائم الصعبة كما قال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة (ولا تحنث) بترك التأديب بالكلية ونقص العزيمة فى طلب الكمال وترك الوفاء بالنذر الفطرى (انا وجدناه صابرا) فى بليته وطلبه للكمال فرحماه وليس كل طالب صابرا (نعم العبد انه اواب) رجاع الى الله بالتجرد والمحو والفناء (واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب) المخصوصين من اهل العناية (اولى الايد والابصار) اى العمل والعلم النسبة الاول الى الايدى والثانى الى البصر وهم ارباب الكمالات العملية والنظرية (انا اخلصناهم بخالصة) صفيناهم عن شوب صفات النفوس وكدورة الانانية وجعلناهم لنا خالصين بالمحبة الحقيقية ليس لغيرنا فيهم نصيب ولا يميلون الى الغير بالمحبة العارضية لا الى انفسهم ولا الى غيرهم بسبب خصلة خالصة غير مشوبة بهم آخر

آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون في بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت اولياء الله الذي نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا في الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) اى القرآن الذي هو احسن الحديث (هدى الله يهدي به من يشاء) اى هو يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) اى يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) اى يهديه قوله عز وجل (افمن يتقي بوجهه سوء العذاب) اى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه ومعنى الآية افمن يتقي بوجه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل للظالمين) اى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) اى وبال ما (كنتم تكسبون) اى في الدنيا من المعاصي (كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني وهم غافلون آمنون من العذاب (فأذاقهم الله الخزى) اى العذاب والهوان (في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) * قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (قرآنا

هى (ذكرى الدار) الباقية والمقر الاصلى اى استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكرهم لعالم القدس واعراضهم عن معدن الرجس مستشرقين لانوارنا لا التفات لهم الى الدنيا وظلماتها اصلا (وانهم عندنا) اى في الحضرة الواحدية (لمن المصطفين) الذين اصطفيناهم لقربنا من بني نوعهم (الاخيار) المنزهين عن شوائب الشر والامكان والعدم والحدثان (هذا ذكر) اى هذا باب مخصوص من ذكر السابقين من اهل الله المخصوصين بالعناية (وان للمتقين) المجردين من دنائات نفوسهم دون الواصلين الى بساط القرب والكرامة السائرين اليه في ... الروح بالمشاهدة (لحسن مآب) في مقام الامان من جهة الصفات (جنات عدن) محادة (مفتحة لهم الابواب) ابوابها بالحالات يدخلونها من طرق الفضائل الخلقية والكمالات (متكئين فيها) على ارائك المقامات (يدعون فيها بفاكهة كثيرة) من المكاشفات اللذيذة (وشراب) المحبة الوصفية (وعندهم قاصرات الطرف)

من الازواج القدسية وماق مراتبهم من النفوس الفلكية والانسية (اتراب) متساوية في الرتب (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) لوقت جزائكم من الصفات الالهية على حساب فنائكم من الصفات البشرية (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) لكونه غير مادى فلا ينقطع (هذا) باب في وصف الجنة واهلها (وان للطاغين) للذين طغوا حدودهم بصفات النفس وظهورها فنازعوا الحق علوه وكبرياءه باستعلائهم وتكبرهم (لشر مآب) الى جهنم الطبيعة الآثارية ونيران الظلمات الهيولانية (جهنم يصلونها فبئس المهاد) بفقدان اللذات ووجدان الآلام (هذا فليذوقوه حميم) الهوى والجهل (وغساق) الهيآت الظلمانية والكدورات الجسمانية (و) خزى وعذاب (آخر من شكله ازواج) من نوعه اومذوقات اخر من مثله اصناف من العذاب في الهوان والحرمان (هذا

عربيا) اى فصيحا اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) اى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن انس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) اى الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة في تقديم التذكر في الآية الاولى التقوى في هذه الآية قلت سبب تقديم التذكر ان الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشئ واختلط بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) اى متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سالما لرجل) اى خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ماتقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتجاذبونه في مهن شئ فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير في امره لا يدرى ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه في حاجاته فأى هذين العبدين احسن حالا واحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار اى لا يستويان في الحال والصفة قال تعالى (الحمد لله) اى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل اكثرهم لا يعلمون) اى ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له ❊قوله تعالى (انك ميت) اى ستموت (وانهم ميتون) اى سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم انفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم احياء فانكم في عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله اتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا الشديد اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بانها فينا نزلت وعن ابى سعيد الخدرى في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض اومال فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا

من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ماعليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار ❊ قوله تعالى (فمن اظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا او شريكا (وكذب بالصدق اذجاءه) اى بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (اليس فى جهنم مثوى) اى منزلة ومقام (للكافرين) ❊ قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به) اى والذى صدق به قال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلااله الاالله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا بلغه الى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذى جاء بالصدق اهل القرآن وهو الصدق يجيؤن به يوم القيامة وقد ادواحقه فهم الذين صدقوا به (اولئك هم المتقون) اى الذين اتقوا الشرك ادواحقه (لهم مايشاؤن عند ربهم) اى من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) اى فى اقوالهم وافعالهم (ليكفر الله عنهم اسوا الذى عملوا) اى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) اى يجزيهم بمحاسن افعالهم ولايجزيهم بمساويها ❊ قوله عزوجل (اليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل اوجنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل اليس الله بعزيز) اى منيع فى ملكه (ذى انتقام) اى منتقم من اعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيها من انواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم امره الله تعالى ان يحتج عليهم بان مايعبدون من دون الله لاقدرة لها على جلب خير او دفع ضر وهو قوله تعالى (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان ارادنى الله بضر) اى بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره اوارادنى برحمة) اى بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبى الله) اى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) اى عليه يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) اى اجتهدوا فى انواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد وتقريع (انى عامل) اى فيما امرت به من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) اى انا او انتم (ويحل عليه عذاب مقيم) اى دائم وهو تهديد وتخويف (انا انزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) اى ليهتدى به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) اى ترجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) اى يرجع وبال ضلاله عليه (وماانت عليهم بوكيل) اى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال ❊ قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) اى الارواح (حين موتها) اى فيقبضها عند فناء اكلها

فوج) من اتباعكم واشباهكم اهل طبائع السوء والرذائل المختلفة (مقتحم معكم) فى مضايق المذلة ومداخل الهوان قال الطاغون (لامرحبا بهم صالوا النار) بهم لشدة عذابهم وكونهم فى الضيق والضنك واستيحاش بعضهم من بعض لقبح المناظر وسوء المخابر (قالوا) اى الاتباع (بل انتم لامرحبا بكم) لتضاعف عذابكم ورسوخ هيآتكم (انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار وقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا) باضلالنا والتحريض على اعمالنا وهذه المقاولات قد تكون بلسان القال وقد تكون بلسان الحال والرجال الذين اتخذوهم سخريا هم الفقراء الموحدون و الصعاليك المحققون عدوهم من الاشرار فى الدنيا لمخالفتهم اياهم فى الاعراض عما سوى الله والتوجه الى خلاف مقاصدهم وترك عاداتهم ومطالبهم بل (ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل

وانقضاء اجلها وهو موت الاجساد ﴿ والتي لم تمت في منامها ﴾ والنفس التي يتوفاها عند النوم وهي التي يكون بها العقل والتميز ولكل انسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي يكون بها التميز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس ﴿ فيمسك التي قضى عليها الموت ﴾ اي فلا يردها الى جسدها ﴿ ويرسل الاخرى ﴾ اي يرد النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها ﴿ الى اجل مسمى ﴾ اي الى ان يأتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن ابي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ماشاء الله تعالى فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله تعالى ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لايدري ماخلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى والملك الموت اعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ اي في البعث وذلك ان توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم تغلط في امساك ماتمسك من الارواح وارسال ماترسل منها ❊ قوله تعالى ﴿ام اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ يعني الاصنام ﴿قل﴾ يامحمد ﴿ اولو كانوا ﴾ يعني الآلهة ﴿ لايملكون شيأ ﴾ اي من الشفاعة ﴿ ولا يعقلون ﴾ اي انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ اي لايشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده ﴿له ملك السموات والارض﴾ اي لاملك لاحد فيهما سواه ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ اي في الآخرة ❊ قوله تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت ﴾ اي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت ﴿ قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ قيل اذا اشمأز القلب من عظيم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ يعني الاصنام ﴿ اذاهم يستبشرون ﴾ اي يفرحون والاستبشار ان يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل ❊ قوله عزوجل ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ﴾ وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم ﴿ انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ اي من امر الدين (م) عن ابي سلمة بن عبدالرحمن قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق

﴿ باذنك ﴾

النار قل انما انا منذر) ابصارهم لكونهم محجوبين بالغواشي البدنية والامور الطبيعية عن حقائقهم المجردة وذواتهم المقدسة كما حجبوا بالعادات العامية والطرائق الجاهلية عن طرائقهم وسيرتهم على ان ام مطعة وانما كان تخاصم اهل النار حقا لكونهم في عالم التضاد ومحل العناد اسراء في قيود الطبائع المختلفة وايدي القوى المتنازعة والاهواء الممانعة والميول المتجاذبة ما انا الا منذر لا ادعوكم الى ... ولا اقدر على هدايتكم لاني فان عن نفسي وعن ... قائم في الانذار بالله وصفاته (ومامن اله) في الوجود (الا الله الواحد) بذاته (القهار) الذي يقهر كل من سواه بافنائه في وحدانيته (رب السموات والارض وما بينهما) الكل الذي يرب كل شيء في حضرة واحديته باسم من اسمائه (العزيز) الذي يغلب المحجوب بقوته ويعذبه بما حجب به في سترات جلاله لاستحقاقه فيض الربوبية من حضرة القهار المنتقم وسطوات العذاب

باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم * قوله عزوجل (ولوان للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) اى ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا انه نازل بهم فى الآخرة وقيل ظنوا انهم حسنات فبدلت لهم سيآت والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدالهم من الله مالم يحتسبوا وروى ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال اخشى ان يبدولى مالم اكن احتسب (وبدالهم سيئات ماكسبوا) اى مساوى اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله تعالى (وحاق) اى نزل (بهم ماكانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) اى شدة (دعانا ثم اذا خولناه) اى اعطيناه (نعمة منا قال انما اوتيته على علم) اى من الله تعالى علم انى له اهل وقيل على خير علمه الله عندى (بل هى فتنة) يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن اكثرهم لايعلمون) يعنى انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندى (فما اغنى عنهم ماكانوا يكسبون) اى فما اغنى الكفر من العذاب شيئا (فاصابهم سيآت ماكسبوا) اى جزاؤها وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ماكسبوا وماهم بمعجزين) اى بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى (اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) اى يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) اى يقتر ويقبض على من يشاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) اى يصدقون * قوله تعالى (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ان الذى تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات قال يبدل شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله اخرجه النسائى وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشى يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وانت تزعم ان من قتل اواشرك او زنى يلق اثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لااقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى ارانى بعد فيه شبهة فلاادرى ايغفر لى ام لا فانزل الله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآيات فى عياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لايقبل الله من هؤلاء صرفا ولاعدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا جميعا وهاجروا * وعن ابن عمر ايضا قال كنا معشر اصحاب رسول صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول

المحتجب (الغفار) الذى يستر ظلمات صفات النفس بأنوار تجليات جماله لمن بقى فيه نور فطرته فيقبل نور المغفرة لبقاء مسكة من نوريته (قل هو) اى الذى انذرتكم به من التوحيد الذاتى والصفاتى (نبأ عظيم انتم عنه معرضون) ثم احتج على صحة نبوته باطلاعه على اختصام الملا الا على من غير تعلم اذ لاسبيل اليه الا الوحى وفرق بين اختصام الملا الا على واختصام اهل النار بقوله فى تخاصم اهل النار ان ذلك لحق وفى اختصام الملا الا على (ماكان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين) لان ذلك حقيقى لا ينتهى الى الوفاق ابدا وهذا عارضى نشأ من عدم اطلاعهم على كمال آدم عليه السلام الذى هو فوق كمالاتهم وانتهى الى الوفاق عند قولهم سبحانك لاعلم

ونى فى الريح فوالله

(لئ)

ائن قدر على ربى ليعذبنى عذابا ماعذبه احدا فلمامات فعل به ذلك فامر الله تعالى الارض فقال اجمعى مافيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ماحملك على ماصنعت قال خشيتك يارب او قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بنى اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والآخر فى العبادة مجتهد فكان المجتهد لايزال يرى الآخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلنى وربى ابعثت على رقيبا فقال والله لايغفر لك الله او قال لايدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد اكنت على مافى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة تكلم والله بكلمة اوبقت دنياه وآخرته اخرجه ابو داود * عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ماكان منك ولاابالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولاابالى يا ابن آدم لو انك اتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ماعن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو مايقارب ملأها * قوله عز وجل (وانيبوا الى ربكم) اى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة (واسلموا له) اى اخلصوا له التوحيد (من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) اى لاتمنعون منه (واتبعوا احسن ماانزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية على ماقال الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه انزل فى القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكرا لادون لئلا يرغب فيه وذكر الحسن لتؤثره وتأثره وتأخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لاتشعرون) يعنى غافلين عنه (ان تقول نفس) اى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوف ان تصبروا الى حال ان تقول نفس (ياحسرتى) اى ياندمى وياحزنى والتحسر الاغتمام والحزن على مافات (على مافرطت فى جنب الله) اى على ماقصرت فى طاعة الله وقيل فى امر الله وقيل فى حق الله وقيل على ماضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ماقصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى (وان كنت لمن الساخرين) اى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها (اوتقول لو ان الله هدانى) اى ارشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) اى الشرك (اوتقول حين ترى العذاب) اى عيانا (لو ان لى كرة) اى رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) اى الموحدين ثم اجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى (بلى قدجاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) اى قلت ليس من الله (واستكبرت) اى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) اى زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد (اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) اى عن الايمان * قوله تعالى (وينجى الله الذين اتقوا) اى الشرك (بمفازتهم) اى الطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم اى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لايمسهم السوء)

الذى خلق منه العين اشرف من المادة الكثيفة البدنية ولكن الاحتجاب عن الجمعية الالهية واللطيفة الروحانية بعث اللعين على بالاباء حتى تمسك بالقياس وعصى الله فى سجود الناس (قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين) والرجيم واللعين من بعدى عن الحضرة القدسية المنزهة عن الموادالرجسية بالانغماس فى الغواشى الطبيعية والاحتجاب بالكوائن الهيولانية ولهذا وقت اللعن بيوم الدين وحدد نهايته به لان وقت البعث والجزاء هو زمان تجرد الروح عن البدن وموادهو وحينئذ لايبقى تسلطه على الانسان وينقاد ويذعن له فى الوقت المعلوم الذى هو القيامة الكبرى فلا يكون ملعونا كما قال عليه السلام الا ان شيطانى اسلم على يدى والانظار للاغواء واللعن ينتهيان الى ذلك الوقت لكن الذين اخلصهم الله لنفسه من اهل العناية عن شوب الكدورات النفسية وحجب البشرية والانانية وصفى فطرتهم عن خلط ظلمة النشأة لايمكنه اغواؤهم البتة فى البداية

اى لايصيبهم المكروه ﴿ ولاهم يحزنون الله خالق كل شئ ﴾ اى مما هو كائن اويكون فى الدنيا والآخرة ﴿ وهو على كل شئ وكيل ﴾ اى ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ اى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسى معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد ※ ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الله الذى يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ اى جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة ﴿ اولئك هم الخاسرون ﴾ قوله عز وجل ﴿ قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون ﴾ وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ﴿ ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ﴾ اى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره ﴿ ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ اى لانعامه عليك ※ قوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ اى ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره ※ ثم اخبر عظمته فقال ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفى رواية والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفى رواية يقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفى رواية يقول انا الله ويقبض اصابعه انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شئ منه حتى انى اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخارى ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابى ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف

ايضا فكيف فى النهاية والعين وان ارتفع باسلامه وانقياده هناك لكن لزمه كونه جهنميا لملازمته الطبيعة الهيولانية والمادة الجسمانية فلا يتجرد اصلا وان كان قد يرتقى الى سماء العقل والافق الروحانية بالوسوسة والالقاء ويتصل فى جنة النفس بآدم عند الاغواء ولا يزال يطرد عن ذلك الجناب (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) وانما اقسم على الاغواء بعزته تعالى لانه مسبب عن تعززه باستار الجلال وسرادقات الكبرياء وتمنعه عن ادراك ابليس لفنائه بسبحات الانوار واقسم الله تعالى فى مقابلته بالحق الثابت الواجب الذى لا يتغير على املائه جهنم منه ومن اتباعه لوجود ذلك التعزز وملازمة هؤلاء جهنم دائما ابدا على حاله لا يتغير ولا يتبدل لان تجرد المجرد بالذات وتعلق المتعلق بالطبع امر تقتضيه الذوات

الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه * قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) اى ماتوا من الفزع وهى النفخة الاولى (الا من شاء الله) تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعنى الله وحده (ثم نفخ فيه) اى في الصور (اخرى) مرة اخرى وهى النفخة الثانية (فاذاهم قيام) اى من قبورهم (ينظرون) اى ينتظرون امر الله فيهم (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة * قوله تعالى (واشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) اى كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال جميع الخلق من المبدأ الى المنتهى (وجئ بالنبيين) يعنى ليكونوا شهداء على اممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى الحفظة (وقضى بينهم بالحق) اى بالعدل (وهم لا يظلمون) اى لا يزاد في سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) اى ثواب ما عملت (وهو اعلم بما يفعلون) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد * قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعنى سوقا عنيفا (زمرا) افواجا بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) يعنى السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعنى توبيخا وتقريعا (الم يأتكم رسل منكم) اى من انفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) اى وجبت (على الكافرين) وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) * قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين او المراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها) فان قلت قال في اهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه احدها انها زائدة الثانى انها واو الحال مجازه وقد فتحت ابوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الآية الاولى لبيان ان ابواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل الجنة اذا جاؤها وجدوا ابوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك واهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ابواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان ابواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فأين جوابه قلت

والاعيان والحقائق في الازل غير عارض فلا نزال كذلك ابدا (قل ما اسئلكم عليه من اجر) ولا غرض لى في ذلك فان اقوال الكامل المحقق بالحق مقصودة بالذات غير معللة بالغرض (وما انا من المتكلفين) اى المتصنعين الذين يتحلون الكمالات ويظهرون بأنفسهم وصفاتها ويدعون كمالات الله لانفسهم [illegible] فنيت عن نفسى وصفاتى فالله القائل بلسانى (ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين) عند القيامة الصغرى او الكبرى لظهور تأويله حينئذ

* سورة الزمر [illegible]

* بسم الله الرحمن الرحيم *

هذا (تنزيل الكتاب) [illegible] كتاب العقل [illegible] بظهوره عليك من الغيوب (من الله) وحضرة الواحدية (العزيز) المحتجب بسترات الجلال في غيب غيبه (الحكيم) ذى الحكمة الكامنة هناك السارية في مراتب التنزلات (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) اى انزلناه بظهور الحق فيك بعد كونه (فاعبد الله) فخصصه بالعبادة

فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) اى ابشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) اى بالجنة (واورثنا الارض) اى ارض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) اى ننزل (من الجنة) اى فى الجنة (حيث نشاء) فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم وينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل (فنعم اجر العاملين) اى ثواب المطيعين فى الدنيا الجنة فى العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) اى محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول فى ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) بين اهل الجنة واهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) اى يقوله اهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدا الله ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم بالحمد فى آخر الامر وهو استقرار الفريقين فى منازلهم فنبه بذلك على تحميده فى بداءة كل امر وخاتمته والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر ﴾

وهى مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون فى آيات الله والتى بعدها وهى خمس وثمانون آية والف ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب منه واعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم فى القرآن وعن ابن عباس قال لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات الجنة اتانق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضى الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح اسمائه حليم وحميد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح اسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء اى قضى

الذاتية حين تجلى لك بذاته ولم يبق احدا من خلقه (مخلصا) محضا (له الدين) عن شوب الغيرية والاثنينية اى اعبده بشهود لذاته ومطالعة تجليات صفاته بعينه وتلاوة كلامه به فيكون سيرك سير الله ودينك دين الله وفطرتك ذات الله (الا لله الدين الخالص) عن شوب الغيرية والاثنينية لا لك لفنائك فيه بالكلية فلا ذات لك ولا صفة ولا فعل ولا دين والا لما خلص بالحقيقة فلا يكون لله (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) احتجبوا بالكثرة عن الوحدة واتخذوا الغير وليا بالمحبة للتقرب والتوسل به الى الله (ان الله يحكم بينهم) عند حشر معبوداتهم معهم فيما اختلفوا فيه من صفاتهم واقوالهم وافعالهم فيقرن كلا منهم مع من يتولاه من عابد ومعبود ويدخل المبطل النار مع المبطلين كما يدخل المحق الجنة مع المحقين ويجزى كلا بوصفه الغالب عليه وما وافقه معه واحتجب به مع اختلافهم فى الاوصاف وما وافقوا معه (فيما هم فيه

ماهو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) اى الغالب القادر وقيل الذى لامثل له (العليم) اى بكل المعلومات (غافر الذنب) اى ساتر الذنب (وقابل التوب) اى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لااله الا الله وقابل التوب ممن قال لااله الاالله (شديد العقاب) لمن لايقول لااله الاالله (ذى الطول) اى السعة والغنى وقيل ذى الفضل والنعم واصل الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لااله الا هو) اى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لايوصف بها غيره (اليه المصير) اى مصير العباد اليه فى الآخرة ❊ قوله تعالى (مايجادل) اى مايخاصم ويحاجج (فى آيات الله) اى فى دفع ايات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال ابو العالية آيتان ماأشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا فى القرآن كفر اخرجه ابوداود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما تدارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عزوجل بعضه ببعض وانما انزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلاتكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وماجهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب (فلايغررك تقلبهم) اى تصرفهم (فى البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) اى الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) اى خاصموا (بالباطل ليدحضوا) اى ليبطلوا (به الحق) الذى جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) اى انزلت بهم من الهلاك ماهموا بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابى اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) اى وجبت (كلمت ربك) اى كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) اى من قومك (انهم) اى بانهم (اصحاب النار) ❊ قوله عزوجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة اردفهم الله تعالى باربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم من الله عزوجل وهم على صورة الاوعال وجاء فى الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد مابين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش مابين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروى ان اقدامهم فى تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم تسبيحهم سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لايموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم اشد

يختلفون ان الله لايهدى) الى النجاة وعالم النور وتجليات الصفات والذوات (من هو كاذب كفار) لبعده عنه واحتجابه بظلمة الرذائل وصفات النفس عن النور وامتناعه عن قبوله (لو اراد الله ان يتخذ ولدا الاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) اى نزهه عن المماثلة والمجانسة واصطفاء الولد لكون الوحدة لازمة لذاته وقهره بوحدانيته غيره فلاتماثل فى الوجود فكيف فى الوجوب (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بظهوره فى مظاهرها واحتجابه بصورها متصرفا للكل بقدرته وفعله (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) بسلطانه وملكه فلاذات ولاصفة ولافعل لغيره وذلك دليل وحدانيته (الا هو العزيز) القوى الذى يقهر الكل بسطوة قهره (الغفار) الذى يسترهم بنور ذاته وصفاته فلايبقى معه غيره او العزيز الممتنع باحتجابه عن خلقه

خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من التى تليها والتى تليها اشد خوفا من التى تليها وروى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش ان مابين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود واما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ان مابين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض * قوله (ومن حوله) يعنى الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين الف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اولئك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك مااعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر مابين جناحى احدهم مسيرة ثلثمائة عام ومابين شحمة اذنه الى عاتقه اربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه الا الله عز وجل * قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) اى ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) اى يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقول سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بنى آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) اى يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم اولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم فى احد بشئ يكرهه ان يستغفر له (ربنا) اى ويقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو اهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) اى دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم

سور مخلوقاته الغفار الذى يستر لمن يشاء ذنوب وجوده وصفاته فيظهر عليه ويتجلى له بصفاته وذاته (خلقكم من نفس واحدة) ... ادم الحقيقى اى النفس ... الكلية التى تتشعب ... النفوس الجزئية (ثم جعل منها زوجها) النفس ... (وانزل لكم من ... ازواج يخلقكم ... بطون امهاتكم) الكون ... فى اللوح المحفوظ ... كل ما وجد فى عالم ... من عالم الغيب (... من بعد خلق ... فى اطوار الخلقة ... (فى ظلمات ثلاث) ... الجسمانية ... النفس النباتية والحيوانية (ذلكم الله ربكم) ... لصوركم المكون ... المتصرف بقدرته ... بملكوته وسلطانه ... للكثرة من وحدته ... وصفاته المنزل لما ... وقدر بافعاله هو ... الموصوفة بجميع ... ربكم باسمائه (...) يتصرف فيه ... (لا اله الا هو) فى ... (فانى تصرفون) ... عادته الى عبادة غيره

ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال ابن ابى واين امى واين ولدى واين زوجتى فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله فى الجنة كان اكمل لسروره ولذته (وقهم السيئات) اى عقوبات السيآت بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التى توجب العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) اى من تقه فى الدنيا (فقد رحمته) اى فى القيامه (وذلك هو الفوز العظيم) اى النعيم الذى لا ينقطع فى جوار مليك لاتصل العقول الى كنه عظمته وجلاله ❊ قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) اى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم حين عرضت عليهم سيآتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) اى اياكم فى الدنيا (اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) اى اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا اموا تا فى اصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم اماتهم الموتة التى لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل اميتوا فى الدنيا ثم احيوا فى القبر للسؤال ثم اميتوا فى قبورهم ثم احيوا للبعث فى الآخرة وذلك انهم عدوا اوقات البلاء والمحنة وهى اربعة الموتة الاولى ثم الحياة فى القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التى هى من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من اقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهى الموتة الاولى فى الدنيا ثم الموتة الثانية فى القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعنى انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) اى من النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم) معناه فاجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود فى النار بانكم اذا دعى الله وحده كفرتم يعنى اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك (وان يشرك به) اى غيره (تؤمنوا) اى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى) اى الذى لا اعلى منه (الكبير) اى الذى لا اكبر منه ❊ قوله عز وجل (هو الذى يريكم آياته) اى عجائب مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق (وما يتذكر) اى يتعظ بهذه الآيات (الا من ينيب) اى يرجع الى الله تعالى فى جميع اموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) اى الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) ❊ قوله تعالى (رفيع الدرجات) اى رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء فى الجنة وقيل معناه المرتفع اى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذو العرش) اى خالقه ومالكه والفائدة فى تخصيص العرش بالذكر لانه اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى (يلقى الروح) يعنى ينزل الوحى سماه روحا لان به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من امره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بامره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعنى الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقى المرء

مع عدمه (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) وتحتجبوا بصفاتكم وذواتكم فان الله لا يحتاج الى ذواتكم وصفاتكم فى ظهوره وكماله لكونها فانية فى نفس الامر ليست شيأ الا به فضلا عن احتياجه اليها وهو الظاهر بذاته لذاته والباطن بحقيقته المشاهد لكماله بعينه (ولا يرضى لعباده الكفر) الاحتجاب لكونه سبب هلاكهم ووقوعهم فى اسر المسالك والزبانية ولا يتعلق بهم الرضا ولا يقبلون نوره فيدخلوا الجنة (وان تشكروا يرضه لكم) رؤية نعمه واستعمالها فى طاعته لتستعدوا لقبول فيضه يرضى الشكر لكم بتجلى الصفات لتتصفوا بها فتبلغوا مقام الرضا وتدخلوا الجنة فاتبعه الكفر الا عليكم ولا ثمرة الشكر الا لكم هذا الكافر المحجوب افضل (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت) مطيع فى مقام النفس واوقات ظلمة صفاتها (ساجدا وقائما) بفنائه

مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) اي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شئ (لا يخفى على الله منهم شئ) اي من اعمالهم واحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ في سائر الايام فاوجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا ان اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه اعمالهم وهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا (لمن الملك اليوم) اي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا احد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرون في يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق في يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعني يجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته (لا ظلم اليوم) اي ان الخلق آمنون في ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد (ان الله سريع الحساب) اي انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد * قوله تعالى (وانذرهم يوم الآزفة) يعني يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها ولا هي تخرج من افواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) اي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى بضيق القلب عنه (ما للظالمين من حميم) اي من قريب ينفعهم (ولا شفيع) اي يشفع لهم (يطاع) اي فيهم (يعلم خائنة الاعين) اي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه (وما تخفي الصدور) اي يعلم مضمرات القلوب (والله يقضي بالحق) اي يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعني الاصنام (لا يقضون بشئ) لانها لا تعلم شيأ ولا يقدر على شئ (ان الله هو السميع) اي لاقوال الخلق (البصير) بافعالهم (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض) اي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) اي يدفع عنهم العذاب (ذلك) اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب) * قوله عز وجل (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعني فرعون وقومه (اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) اي استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد الكافرين) اي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا في ضلال) اي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى (وقال فرعون) اي لملئه (ذروني اقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف فلا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه (وليدع ربه) اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا (اني اخاف ان يبدل دينكم) يعني يقول فرعون

الافعال والصفات قائما بالطاعة والانقياد عند ظهور النفس بصفاتها وافعالها (يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه) عقاب الآخرة ويرجو الرحمة اذا السالك في مقام النفس لا يخلو عن الخوف والرجاء (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) اي لا يستويان وانما ترك المضمر الى الظاهر ليبين ان المطيع في مقام النفس هو العالم والكافر هو الجاهل اما الاول فان العلم هو الذي رسخ في القلب وتأصل بعروقه في النفس بحيث لا يمكن صاحبه مخالفته بل سيط باللحم والدم فظهر اثره في اعضاء لا تنفك شئ منها عن مقتضاه واما المرتسم في حيز العقل والتخيل بحيث يمكن ذهول النفس عنه وعن مقتضاه فليس بعلم انما هو امر تصوري وتخيل عارضي لا يلبث بل يزول سريعا لا يغذو القلب ولا يسمن ولا يغني من جوع واما الثاني فظاهر اذ لو علم لم يحجب بالغير عن الحق (انما يتذكر) ويتعظ بهذا الذكر (اولوا الالباب) العقول الصافية عن قشر التخيل والوهم لتحققها بالعلم الراسخ الذي

(اخاف)

اخاف يغير دينكم الذى انتم عليه ﴿ او ان يظهر فى الارض الفساد ﴾ يعنى بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره ﴿ وقال موسى ﴾ يعنى لما توعده فرعون بالقتل ﴿ انى عذت بربى وربكم ﴾ يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت فى دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم ان صانه الله عن كل بلية ﴿ من كل متكبر ﴾ اى متعظم عن الايمان ﴿ لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ * قوله عز وجل ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ﴾ قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بنى اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب ﴿ اتقتلون رجلا ان يقول ﴾ اى لان يقول ﴿ ربى الله ﴾ وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد * وقوله ﴿ وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه ﴿ وان يك كاذبا فعليه كذبه ﴾ اى لا يضركم ذلك انما يعود وباله كذبه عليه ﴿ وان يك صادقا ﴾ اى فكذبتموه ﴿ يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾ قيل معناه يصبكم الذى يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على اصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج اقل ما فى صدقه ان يصيبكم بعض الذى يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل ﴿ ان الله لا يهدى ﴾ اى الى دينه ﴿ من هو مسرف كذاب ﴾ اى على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن اشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم * قوله عز وجل ﴿ ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض ﴾ اى غالبين فى الارض اى ارض مصر ﴿ فمن ينصرنا ﴾ اى يمنعنا ﴿ من بأس الله ان جاءنا ﴾ والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا العذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم ﴿ قال فرعون ما اريكم ﴾ اى من الرأى والنصيحة ﴿ الا ما ارى ﴾ اى لنفسى ﴿ وما اهديكم الا سبيل الرشاد ﴾ اى ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله ﴿ وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ﴾ اى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى اتاهم العذاب ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ اى لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ﴿ وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد ﴾ يعنى يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل اناس بامامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى اصحاب الجنة اصحاب النار وينادى اصحاب النار اصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وينادى حين يذبح الموت ياأهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر ياليتنى لم اوت كتابيه وقيل يوم التناد يعنى يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه ﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ اى منصرفين عن

يتأثر به الظاهر واما المشوبة بالوهم فلا تتذكر ولا تتحقق بهذا العلم ولا تعيه بل تتلجلج فيه فيذهب (قل ياعباد) المخصوصين فى اهل العناية (الذين امنوا) الايمان العلمى (اتقوا ربكم بمحو صفاتكم (للذين احسنوا) اى اتصفوا بالصفات الالهية فعبدوه على المشاهدة (فى هذه الدنيا حسنة) لا يكتنه كنهها فى الآخرة وهى شهود الوجه الباقى وجماله الكريم (وارض الله واسعة) اى النفس المطمئنة المخصوصة بالله لانقيادها له وقبولها لنوره واطمئنانها اليه ذات سعة بيقينها لا تتقيد بشئ ولا يلبث فى ضيق من عادة ومألوف وامر غير الحق (انما يوفى الصابرون) الذين صبروا مع الله فى فناء صفاتهم وافعالهم وسلوكهم فيه وسيرهم فى منازل النفس الواسعة باليقين (اجرهم) من جنات الصفات بغير) حساب) اذ الاجر الموفى بحسب الاعمال فى مقام النفس مقدر بالاعمال فى جنة النفوس متناه لكونه من باب الاثار محصورا فى المواد واما الذى يوفى بحسب

موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) اى يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد) اى يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعنى يوسف ابن يعقوب (من قبل) اى من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله اارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فمازلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لاشريك له والمعنى انهم بقوا شاكين فى نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعنى مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) اى اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لايجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهى والتمنى من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) اى فى شركه وعصيانه (مرتاب) اى فى دينه (الذين يجادلون فى آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) اى بغير حجة وبرهان (اتاهم) من الله (كبر) اى ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) ❊ قوله عز وجل (وقال فرعون) يعنى لوزيره (ياهامان ابن لى صرحا) اى بناء ظاهرا لايخفى على الناظرين وان بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص (لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات) اى طرقها وابوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه) يعنى موسى (كاذبا) اى فيما يدعى ويقول ان له ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح اى وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا فى تباب) اى وما كيده فى ابطال آيات موسى الا فى خسار وهلاك ❊ قوله تعالى (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) اى طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) اى متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هى دار القرار) اى التى لاتزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لامنفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) اى لاتبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل فيصب عليهم عليهم الرزق صبا بغير تقتير (وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) معناه انا ادعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة من النار وانتم تدعوننى الى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ماليس لى به علم) اى لااعلم ان الذين تدعوننى اليه اله وماليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله (وانا ادعوكم الى العزيز) اى فى انتقامه ممن كفر (الغفار) اى

الاخلاق والاحوال فهو غير متناه لكونه من باب تجليات الصفات فى جهة القلب وعالم القدس مجردا عن المواد (قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) عن الالتفات الى الغير والسير بالنفس (وامرت لان اكون اول المسلمين) مقدم المسلمين الذين اسلموا وجوههم الى الله بالفناء فيه وسابقهم فى الصف الاول سائرا بالله فانيا عن النفس وصفاتها (قل انى اخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والنظر الى الغير (عذاب يوم عظيم) من الاحتجاب والحرمان والبعد (قل الله اعبد) اخص بالعبادة (مخلصا له دينى) عن شوب الانائية والاثنينية (فاعبدوا ماشئتم من دونه قل ان الخاسرين) بالحقيقة الكاملين فى الخسران هم الواقفون مع الغير المحجوبون عن الحق (الذين خسروا انفسهم واهليهم) باهلاك الانفس وتضييع الاهل من الجواهر المقدسة التى تجانسهم وتناسبهم فى عالمها الروحانية لاحتجابهم بالظلمات الهيولانية عنهم (الاذلك

(للذنوب)

لذنوب اهل التوحيد (لاجرم) يعنى حقا (ان ماتدعوننى اليه) يعنى الصنم (ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى ليست له استجابة دعوة لاحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته فى الدنيا ولا فى الآخرة لان الاصنام لاتدعى الربوبية ولاتدعو الى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها (وان مردنا الى الله) اى مرجعنا الى الله فيجازى كلا بما يستحقه (وان المسرفين) يعنى المشركين (هم اصحاب النار فستذكرون مااقول لكم) اى اذا عاينتم العذاب حين لاينفعكم الذكر (وافوض امرى الى الله) اى ارد امرى الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعنى يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيآت مامكروا) اى ماارادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) اى نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود ارواح آل فرعون فى اجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبدالله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ✽ ثم اخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون) اى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (اشد العذاب) قال ابن عباس الوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ اغرقوا ✽ قوله تعالى (واذ يتحاجون) اى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى اهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا) اى فى الدنيا (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) يعنى الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعنى نحن وانتم (ان الله قد حكم بين العباد) اى قضى علينا وعليكم (وقال الذين فى النار) يعنى حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى الخزنة (اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعنى لاعذر لكم بعد مجئ الرسل (قالوا بلى) اى اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعنى انتم انا لاندعو لكم لانهم علموا انه لايخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) يعنى يبطل ويضل ولاينفعهم ✽ قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم واهلك اعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين الفا (ويوم يقوم الاشهاد) يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لاينفع الظالمين معذرتهم) اى ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) اى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار)

هو الخسران) الحقيق الظاهر البين (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) لانغمارهم فى المواد الهيولانية واستقرارهم فى قعر بئر الطبيعة الظلمانية فوقهم مراتب من الطبائع وتحتهم مراتب اخرى وهم فى غمرات منها (ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) عبادة الغير (وانابوا الى الله) بالتوحيد المحض (لهم البشرى) باللقاء (فبشر عباد) المخصوصين بعنايتى (الذين يستمعون القول) كالعزائم والرخص والواجب والمندوب فى قول الحق والغير (فيتبعون احسنه) كالعزائم دون الرخص والواجب دون المندوب والقول حق الكل لاغير (اولئك الذين هداهم الله) اليه بنور الهداية الاصلية (واولئك اولوا الالباب) المميزون بين الاقوال بألبابهم المجرد فيتلقون المعانى المحققة دون غيرها (افمن حق عليه كلمة العذاب) اى انت مالك امرهم فمن سبق الحكم بشقاوته فأنت تنقذه اى انقاذه اصلا اأنت تنقذ من

يعنى جهنم ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ يعنى النبوة وقيل التوراة ﴿ واورثنا بنى اسرائيل الكتاب ﴾ يعنى التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على انبيائهم ﴿ هدى وذكرى لاولى الالباب ﴾ ❊ قوله تعالى ﴿ فاصبر ﴾ اى يا محمد على اذاهم ﴿ ان وعد الله حق ﴾ اى فى اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ يعنى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعنى على ترك الاولى والافضل وقيل على ماصدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة فى قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ اى نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك ﴿ بالعشى والابكار ﴾ يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ﴿ ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم ﴾ يعنى كفار قريش ﴿ ان فى صدورهم ﴾ اى ما فى قلوبهم ﴿ الا كبر ﴾ قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة ﴿ ماهم ببالغيه ﴾ يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى ﴿ فاستعذ بالله ﴾ اى من فتنة الدجال ﴿ انه هو السميع ﴾ اى لاقوالهم ﴿ البصير ﴾ اى بأفعالهم ❊ قوله عز وجل ﴿ لخلق السموات والارض ﴾ اى مع عظمها ﴿ اكبر من خلق الناس ﴾ اى من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان الله تعالى خلق السموات والارض وذلك اعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت ﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ يعنى ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى اكبر من خلق الناس اى اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى امر الدجال

❊ فصل فى ذكر الدجال ❊ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور العين اليمنى كانها عنبة طافئة ولابى داود والترمذى عنه قال قام النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال انى انذركموه وما من نبى الا وقد انذره قومه لقد انذره نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس بأعور (ق) عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفى رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الا هلكت ومن اشد فتنته انه يأتى الاعرابى فيقول ارايت ان احييت

فى النار لكن الذين اتقوا ربهم) افعالهم وصفاتهم وذواتهم فى التجريد والتفريد من اهل التوحيد ﴿ لهم غرف من فوقها غرف مبنية ﴾ اى مقامات واحوال بعضها فوق بعض كالتوكل بفناء الافعال فوقه الرضاء بفناء الصفات فوقه الفناء فى الذات ﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ انهار علوم المكاشفات ﴿ وعد الله لا يخلف الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء ﴾ الروح ماء العلم ﴿ فسلكه ينابيع فى الارض ﴾ الحكم فى اراضى النفوس بحسب استعداداتها ﴿ ثم يخرج به زرعا ﴾ زرع الاعمال والاخلاق ﴿ مختلفا الوانه ﴾ اصنافه بحسب اختلاف القوى والاعضاء ﴿ ثم يهيج ﴾ فينقطع عن اصله بانوار التجليات ﴿ فتراه مصفرا ﴾ لاضمحلاله وتلاشيه بفناء اصوله القائم هو بها من القوى والنفوس والقلوب ﴿ ثم يجعله حطاما ﴾ بذهابه وانكساره وانقطاعه عند ظهور صفاته تعالى واستقرارها بالتمكين ﴿ ان فى ذلك لذكر لاولى

لك ابلك الست تعلم انى ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كاحسن ماتكون ضروعا واعظمه اسنمة ويأتى الرجل قدمات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك اخاك واباك الست تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو اخيه ونحو ابيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت واخذ بلحمتى الباب فقال مهيم اسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حى فانا حجيجه والا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت اسماء فقلت يارسول الله والله انا لنعجن عجيننا فانخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزى اهل السماء من التسبيح والتقديس وفى رواية عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار هذا حديث اخرجه البغوى بسنده والذى جاء فى صحيح مسلم قال قلنا يارسول الله مالبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم هذه قلنا يارسول الله فذاك اليوم الذى كسنة اتكفينا له صلاة يوم قال لا اقدرو له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفى رواية ابى داود عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذى يرى الناس انه نار فماء بارد واما الذى يرى الناس انه ماء فنار محرقة فمن ادرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى انه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ماحدث به نبى قومه انه اعور وانه يجئ بمثال الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى انذركم كما انذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ماسأل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ماسألته وانه قال لى مايضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات اوقال لما يبعث به من الشبهات اخرجه ابوداود (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشأم وهنالك يهلك عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض هذه الاحاديث التى وردت فى قصة الدجال حجة لمذهب الحق فى صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى

الالباب) الحقائق المجرد من قشر الانانيـة (افمن شرح الله صدره للاسلام) بنوره حال البقاء بعد الفناء ونق قلبه بالوجود الموهوب الحقانى فيسع صدره الحق والخلق من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر فيشاهد التفصيل فى عين الوحدة والتوحيد فى عين الكثرة والاسلام هو الفناء فى الله وتسليم الوجه اليه اى شرح صدره فى البقاء لاسلامه وجهه حال الفناء (فهو على نور من ربه) يرى ربه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) للذين قست قلوبهم من قبول ذكر الله لشدة ميلها الى اللذات البدنية واعراضها عن الكمالات القدسية (اولئك فى ضلال مبين) عن طريق الحق (الله نزل احسن الحديث كتـابا متشـابها) فى الحق والصدق (مثانى) لتنزلها عليك فى مقام القلب قبل الفناء وبعده فتكون مكررة باعتبار الحق والخلق فتارة يتلوها الحق وتارة يتلوها الخلق (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) اهل الخشـية من العلمـاء بالله

الله تعالى به عباده فاقدره على اشياء من المقدورات من احياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وامره السماء ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائى المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى يأتى بها زعموا انها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا انها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعى الربوبية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذى فى عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الاعوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق او خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما اهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من ذلك معناه هذا اهون على الله تعالى من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس معه شئ من ذلك لانه ثبت فى الحديث ان معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى اعلم * قوله عز وجل (وما يستوى الاعمى والبصير) اى الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) اى لا يستوون (قليلا ما تذكرون ان الساعة) يعنى القيامة (لآتية لا ريب فيها) اى لا شك فى قيامها ومجيئها (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) اى لا يصدقون بالبعث بعد الموت * قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) اى اعبدونى دون غيرى اجبكم واثبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن انس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة اخرجه الترمذى وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ اكرم على الله من الدعاء اخرجه الترمذى وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعونى استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص فى الدعاء وان لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وان لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يؤخرها له يدل عليه ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل

لانفعالها بالهيآت النورانية الواردة على القلب النازل اثرها الى البدن (ثم تلين جلودهم وقلوبهم) واعضاؤهم بالانقياد والسكينة والطمأنينة (الى ذكر الله ذلك هدى الله) بالانوار اليقينية (يهدى به من يشاء) من اهل عنايته (ومن يضلل الله) يحجبه عن النور فلا يفهم كلامه ولا يرى معناه (فماله من هاد افمن يتقى بوجهه سوء العذاب) مع كونه اشرف الاعضاء لكون سائر جوارحه مقيدة بهيآت لا يتأتى له التحرز بها ولا يتهيأ مغللة باغلال لا يتيسر له بها الحركة فى الدفع ولا يتسنى كمن امن العذاب (يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا) فى التوحيد والشرك (رجلا

له به فى الدنيا واما ان يدخرله فى الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع باثم اوقطيعة رحم اويستعجل قالوا يارسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربى فما استجاب لى اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) اى عن توحيدى وقيل عن دعائى (سيدخلون جهنم داخرين) اى صاغرين ذليلين * قوله عز وجل (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) اى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) اى لتحصل لكم فيه مكنة التصرف فى حوائجكم ومهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم) اى ذلكم المميز بالافعال الخاصة التى لايشاركه فيها احد هو الله ربكم (خالق كل شئ لااله الاهو) اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وانه لاشريك له فى ذلك (فأنى تؤفكون) اى فانى تصرفون عن الحق (كذلك) اى كما افكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا) اى فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا فى حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) اى سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فاحسن صوركم) اى خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو ماخلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى) وهذا يفيد الحصر اى لاحى الاهو فوجب ان يحمل ذلك على الذى يمتنع ان يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذى لايوصف بالحياة الكاملة الا هو والحى هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله (لااله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) اى فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لااله الاالله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين (قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وامرت ان اسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى الى الكفر امره الله تعالى ان يقول ذلك * قوله تعالى (هو الذى خلقكم من تراب) يعنى اصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهى من الاغذية والاغذيه من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعنى ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهى الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) اى من قبل ان يصير شيخا (ولتبلغوا) اى جميعا (اجلا مسمى) اى وقتا محدودا لاتجاوزونه يعنى اجل الحياة الى الموت (ولعلكم تعقلون) اى مافى هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) اى يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولاتعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ماذكر من الافعال الدالة على قدرته كانه قال من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شئ واسرعه * قوله تعالى (الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن (انى يصرفون) اى عن دين الحق وقيل نزلت

فيه شركاء متشاكسون) سيئوا الاخلاق لايتسالمون فى شئ يوجهه هذا فى حاجة ويمنعه هذا ويجذبه احدهما الى جهة والآخر الى مايقابلها فيتنازعون ويتجاذبون وهذا صفة من تستولى عليه صفات نفسه المتجاذبة لاحتجابه بالكثرة المخالفة فهو فى عين التفرقة همه شعاع وقلبه اوزاع (رجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون) لا يبعثه الا الى جهته وهذا مثل الموحد الذى تسالمت له مشايعة السر الى جناب الرب ليس له الاهم واحد ومقصد واحد فى عين الجمعية مجموع ناعم البال خافض العيش والحال (انك ميت وانهم ميتون) معناه كل شئ هالك الا وجهه اى فان فى الله وهم فى شهودك هالكون معدومون بذواتهم (ثم انكم يوم القيامة) الكبرى (عند ربكم تختصمون) لاختلافكم فى الحقيقة والطريقة لكونهم محجوبين بالنفس وصفاتها سائرين بها طالبين لشهواتها ولذاتها وكونك دائما بالحق سائرا به طالبا

فى القدرية ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ﴾ فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما اوعدهم به فقال تعالى ﴿اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ اى يجرون بتلك السلاسل ﴿فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾ اى توقد بهم النار ﴿ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله﴾ يعنى الاصنام ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ اى فقدناهم فلم نرهم ﴿ بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ﴾ قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيئا وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم نكن ندعو من قبل شيئا ﴿ كذلك يضل الله الكافرين﴾ اى كما اضل هؤلاء ﴿ذلكم﴾ اى العذاب الذى نزل بكم ﴿بما كنتم تفرحون﴾ اى تبطرون وتاشرون ﴿فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ اى تختالون وتفرحون به ﴿ادخلوا ابواب جهنم﴾ يعنى السبعة ﴿خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ اى عن الايمان ❊ قوله تعالى ﴿فاصبر ان وعد الله حق﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى بنصرك على الاعداء ﴿فاما نرينك بعض الذى نعدهم﴾ اى من العذاب فى حياتك ﴿او نتوفينك﴾ اى قبل ان يحل ذلك بهم ﴿فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك﴾ اى خبره وحاله فى القرآن ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ اى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم احد الا اعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وما كان لرسول ان يأتى باية الا باذن الله﴾ اى بامره وارادته ﴿فاذا جاء امر الله﴾ اى قضاؤه بين الانبياء والامم ﴿ قضى بالحق ﴾ اى بالعدل ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ اى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم ❊ قوله تعالى ﴿ الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ﴾ اى فى اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم ﴾ اى تحمل اثقالكم من بلد الى بلد فى اسفاركم وحاجاتكم ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ اى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر ﴿ ويريكم آياته ﴾ اى دلائل قدرته ﴿ فاى آيات الله تنكرون ﴾ يعنى ان هذه الآيات التى ذكرها ظاهرة باهرة فليس شئ منها يمكن انكاره ❊ قوله تعالى ﴿ افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض﴾ يعنى مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء فى اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا واموالا من هؤلاء ﴿ فما اغنى عنهم ﴾ اى لم ينفعهم ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ اى اى شئ اغنى عنهم كسبهم ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا ﴾ اى رضوا ﴿ بما عندهم من العلم﴾ قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو فى الحقيقة جهل ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا باسنا ﴾ اى عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ اى تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿ فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا سنت الله التى قد خلت فى عباده﴾ يعنى ان سنة الله قد جرت فى الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعنى بتلك السنة انهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب ﴿ وخسر هنالك الكافرون﴾ اى بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر فى كل وقت ولكنه يتبين خسره انه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

❊ تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح وهى مكية وهى اربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا ❊

لوجهه ورضاه ﴿ فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذى عملوا ﴾ من صفات نفوسهم وهيآت رذائلهم ﴿ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون﴾ من تجليات صفاته وجنات جماله فيمحو ظلمات وجوداتهم بنور وجهه ﴿ اليس الله بكاف عبده ﴾ المتوكل عليه فى توحيد الافعال وهو منبع القوى والقدر ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه﴾ لاحتجابهم بالكثرة عنه فينسبون التأثير والقدرة الى ما هو ميت بالذات لاحول له ولاقوة فأنت احق بأن يكفيك ربك شرهم ﴿ومن يضلل الله﴾ يحجبه عنه ﴿فماله من هاد﴾ اذ لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿ ومن يهد الله فماله من مضل اليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) اى بينت وميزت وجعلت معانى مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد (قرآنا عربيا) اى باللسان العربى (لقوم يعلمون) اى انما انزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم مافهموه (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن اى بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب (فاعرض اكثرهم) اى عنه (فهم لايسمعون) اى لايصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعنى مشركى مكة (قلوبنا فى اكنة) اى اغطية (مما تدعونا اليه) اى فلانفقه ماتقول (وفى آذاننا وقر) اى صمم فلانسمع ماتقول والمعنى انا فى ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولايسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) اى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلانوافقك على ماتقول (فاعمل) اى انت على دينك (اننا عاملون) اى على ديننا (قل) يامحمد (انما انا بشر مثلكم) اى كواحد منكم (يوحى الى) اى لولا الوحى مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع (انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه) اى توجهوا اليه بطاعته ولاتميلوا عن سبيله (واستغفروه) اى من ذنوبكم وشرككم (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) قال ابن عباس لايقولون لااله الاالله لانها زكاة الانفس والمعنى لايطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لايقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون ايتاءها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لاينفقون فى طاعة الله ولايتصدقون وقيل لايزكون اعمالهم (وهم بالآخرة هم كافرون) اى جاحدون بالبعث بعد الموت (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ماكانوا يعملون فيه (خ) عن ابى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولامرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم * قوله عز وجل (قل ائنكم) استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى (لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) وثانيهما (وتجعلون له اندادا) اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذى خلق الارض فى يومين يعنى الاحد والاثنين (ذلك رب العالمين) اى هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسى) اى جبالا ثوابت (من فوقها) اى من فوق الارض (وبارك فيها) اى فى الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ماخلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل مايحتاج اليه (وقدر فيها اقواتها) اى قسم فى الارض ارزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلدة مالم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات فى الارض قال الله تعالى وقدر فيها اقواتها (فى اربعة ايام)

دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره اوارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا) لتوقفها على ارضائه للمشفوع له بتهيئته لقبولها واذن الشفيع بتمكينه منها والتهيؤ من فيضه الاقدس فالقبول والتأثير من جهته له الملك مطلقا (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون

اى مع اليومين الاولين فخلق الارض فى يومين وقدر الاقوات فى يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت اربعة ايام رد الآخر على الاول فى الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سأل عن ذلك اى فهكذا الامر سواء لازيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سأل فى كم خلقت الارض والاقوات (ثم استوى الى السماء) اى عمد الى خلق السماء (وهى دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض امر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم ايبس الماء فخلقه ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض فى يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض فى يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله اعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها) اى ائتيا امر تكما به اى افعلاه وقيل افعلا ما امرتكما طوعا والا الجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع (قالتا اتينا طائعين) معناه اتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول اجراهما فى الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعى شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشقى انهارك واخرجى ثمارك ونباتك ❊ وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) اى اتمهن وفرغ من خلقهن (فى يومين) وهما الخميس والجمعة (واوحى فى كل سماء امرها) قال ابن عباس خلق فى كل سماء خلقا من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد ومالا يعلمه الا الله تعالى وقيل اوحى الى كل سماء ما اراد من الامر والنهى (وزينا السماء الدنيا) اى التى تلى الارض (بمصابيح) اى بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) اى وجعلناها يعنى الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) اى الذى ذكر من صنعه وخلقه (تقدير العزيز) اى فى ملكه (العليم) اى بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم ❊ قوله تعالى (فان اعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل انذرتكم) اى خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شئ (اذ جاءتهم الرسل) يعنى الى عاد وثمود (من بين ايديهم) يعنى الرسل الذين ارسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعنى ومن بعد الرسل الذين ارسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين ارسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (ان لا) اى بان لا (تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة) بدل هؤلاء الرسل (فانا بما ارسلتم به كافرون) وروى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا ببيان من امره ثم اتاه عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان ما بك

بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله) الرجوع دائما (مالم يكونوا يحتسبون) مما يشاهدون من هيآت اعمالهم وصور اخلاقهم التى ذهلوا عنها لاشتغالهم بالشواغل الحسية واحصاه الله باثباته فى كتبهم بل فى الكتب الاربعة من نفوسهم والسماء الدنيا واللوح المحفوظ وام الكتاب (وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هى فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط

للرياسة عقدنا لك الوينا فكنت رئيسا مابقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من اى بنات قريش وان كان بك المال جمعنالك ماتستغنى به انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لايتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يامعشر قريش والله مانرى عتبة الا قدصبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال ابوجهل والله ياعتبة ماحبسك عنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنالك من اموالنا مايغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم لايكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم انى من اكثر قريش مالا ولكنى اتيته وقصصت عليه القصة فاجابنى بشئ والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظى حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يامعشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة ورأوا ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى ياابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخى انك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكانة فى النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع منى اعرض عليك امورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل ياابا الوليد فقال يا ابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنالك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذى بك رئيا تراه لاتستطيع رده طلبنالك الطب اولعل هذا شعر جاش به صدرك فعذرك فانكم لعمرى بنى عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالايقدر عليه احد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقد فرغت ياابا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة انصت والقى يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال اسمعت ياابا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك ياابا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط ماهو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يامعشر قريش اطيعونى يامعشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان تظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد ياابا الوليد بلسانه قال هذا رايى لكم فاصنعوا مابدا لكم * قوله عز وجل (فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا

الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) فان القنوط علامة زوال الاستعداد والسقوط عن الفطرة بالاحتجاب وانقطاع الوصلة من الحق والبعد اذلو بقيت فيه مسكة من النور الاصلى لادرك اثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه بالذات فرجا وصول ذلك الاثر اليه وان اسرف فى الميل الى جهة السفلية وفرط فى جنب الحضرة الالهية لاتصاله بعالم النور بتلك البقية وانما اليأس لايكون الامع الاحتجاب الكلى واسوداد الوجه بالاعراض عن العالم العلوى والتغشى بالغطاء الخلقى المادى (ان الله يغفر الذنوب جميعا) بشرط بقاء نور التوحيد فى القلب وهو مستفاد من اختصاص العباد لاضافتهم الى نفسه فى قوله ياعبادى ولهذا قيل نغفر جميعها للامة المحمدية الموحدين دون سائر الامم كما قال لامة نوح عليه السلام يغفر لكم من ذنوبكم اى بعضها (انه

ذوى اجسام طوال قال الله تعالى رداعليهم (اولم يروا) اى اولم يعلموا (ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اى عاصفا شديد الصوت وقيل هى الريح ثمانية فأربع منها عذاب وهى الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم واربع منها رحمة وهى الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل ارسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا (فى ايام نحسات) اى نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل امسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزى) اى عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا فى الارض بغير الحق (فى الحيوة الدنيا) اى ذلك الذى نزل بهم من الخزى والهوان فى الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة اخزى) اى اشد اهانة (وهم لا ينصرون) اى لا يمنعون من العذاب (واما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) اى اختاروا الكفر على الايمان (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) اى ذى الهوان (بما كانوا يكسبون) اى من الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) اى يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه ※ قوله تعالى (ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون) اى يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذا ماجاؤها) يعنى النار (شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم) اى بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم (م) عن انس رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يارب الم تجرنى من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز اليوم على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل (وقالوا) يعنى الكفار الذين يحشرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ) معناه ان القادر الذى خلقكم اول مرة فى الدنيا وانطقكم ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذى انطق كل شئ ثم ابتدا بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) اى تستخفون وقيل معناه تظنون (ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم مافى انفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى او قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفى هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية ※ قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم) اى ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (ارداكم) اى اهلككم قال ابن عباس طرحكم فى النار

هو الغفور) لهيآت الرذائل من الافراط والتفريط (الرحيم) بافاضة الفضائل (وانيبوا الى ربكم) بالتنصل عن هيآت السوء (واسلموا له) وجوهكم بالتجرد عن ذنوب الافعال والصفات من قبل انسداد باب المغفرة بوقوع العذاب الذى تستحقونه بالموت فلا يمكنكم الانابة والتسليم لفقدان الآلات وانسداد الابواب (من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت) بترك السعى فى طلب الكمال والتقصير فى الطاعة حين كنت فى جوار الله قريبا منه لصفاء استعدادى وتمكينى من السلوك فيه بوجود الآلات البدنية المعدة لى (فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين اوتقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين اوتقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من



(فاصبحتم من الخاسرين) ثم اخبر عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) اى مسكن (وان يستعتبوا) اى يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه واجيب الى ماسأل (فاهم من المعتبين) اى المرضيين (وقيضنا لهم) اى بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء) اى نظراء من الشياطين حتى اضلوهم (فزينوا لهم مابين ايديهم) اى من امر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة (وما خلفهم) اى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) اى وجب (فى امم) اى مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) * قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى مشركى قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه مايقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) يعنى محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ) يعنى باسوا (الذى كانوا يعملون) اى فى الدنيا وهو الشرك (ذلك) اى الذى ذكر من العذاب (جزاء اعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) اى دار الاقامة لا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) اى فى النار (ربنا) اى يقولون ياربنا (ارنا الذين اضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذى قتل اخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت اقدامنا) اى فى النار (ليكونا من الاسفلين) اى فى الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا * قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته لاجل العمل به وراس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما فى الوسط غير مائل الى طرفى الافراط والتفريط فتكون الاستقامة فى امر الدين والتوحيد فتكون فى الاعمال الصالحة سئل ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا اخلصوا فى العمل وقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ادوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث (ان لا تخافوا) اى من الموت وقيل لا تخافوا على ماتقدمون عليه من امر الآخرة (ولا تحزنوا) اى على ماخلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا نغفرها لكم (وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم) اى تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اى انصاركم واحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (فى الحيوة الدنيا و) نحن اولياؤكم (فى الآخرة) لا نفارقكم حتى تدخلوا

الكافرين ويوم القيامة) الكبرى (ترى الذين كذبوا على الله) من المحجوبين الذين يسوونه بالمخلوقات اذ يجسمونه ويجوزون عليه ما يمتنع عليه من الصفات لاحتجابهم بالمواد (وجوههم مسودة) بارتكاب الهيآت الظلمانية ورسوخ الرذائل النفسانية فى ذواتهم (اليس فى جهنم) الطبيعة الهيولانية (مثوى للمتكبرين) الذين احتجبوا بصفات نفوسهم المستولية عليهم (وينجى الله الذين اتقوا) الرذائل بتجردهم عن تلك الصفات (بمفازتهم) واسباب فلاحهم من هيآت الحسنات وصور الفضائل والكمالات (لا يمسهم السوء) لتجردهم عن الهيآت المؤلمة المنافية (ولاهم يحزنون) بفوات كمالاتهم التى اقتضتها استعداداتهم (الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تأمرونى اعبد) هو وحده يملك خزائن غيوبها وابواب خيرها وبركتها يفتح لمن يشاء باسمائه

الجنة (ولكم فيها) اى فى الجنة (ماتشتهى انفسكم) اى من الكرامات واللذات (ولكم فيها ماتدعون) اى تتمنونه (نزلا) اى رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال اهل المعانى كل هذه الاشياء المذكورة فى هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل فاظنك بمابعده من الالطاف والكرامة * قوله تعالى (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) اى الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه (وعمل صالحا) فى اجابته وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ارى هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل فى هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء * المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء اقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة بين كل اذانين صلاة وقال فى الثالثة لمن شاء * عن انس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن (وقال اننى من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به * قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى احسن) قال ابن عباس امره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى صديق قريب قيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (ومايلقاها) اى ومايلق هذه الخصلة والفعلة وهى دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) اى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (ومايلقاها الا ذو حظ عظيم) اى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى مايلقاها الا من وجبت له الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه اى يبعثه الى مالا ينبغى ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن (فاستعذ بالله) اى من شره (انه هو السميع) اى لاستعاذتك (العليم) باحوالك * قوله تعالى (ومن آياته) اى ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) اى انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى خلقهن) اى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون) يعنى ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب

الحسنى اذ كل اسم من اسمائه مفتاح لخزانة من خزائن جوده لاينفتح بابها الا به فيفيض عليه مافيها من فيض رحمته العامة والخاصة ونعمته الظاهرة والباطنة (والذين كفروا بآيات الله) اى حجبوا عن انوار صفاته وافعاله بظلمات طباعهم ونفوسهم (اولئك هم الخاسرون) الذين لانصيب لهم من تلك الخزائن لاطفائهم النور الاصلى القابل لها وتضييعهم الاستعداد الفطرى والاسم الذى يفتح به مقاليدها (قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون) بالجهل واحتجب عن فيض رحمته ونور كماله فأكون (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) بل خصص العبادة بالله موحدا فانيا فيه عن رؤية الغير ان كنت تعبد شيأ (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) به له (وما قدروا الله حق قدره) اى ماعرفوه حق معرفته اذ قدروه فى انفسهم وصوروه وكل مايتصورونه فهو مجعول مثلهم (والارض

هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وامروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبروا) اى عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون) اى لايفترون ولا يملون

﴿ فصل ﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعى احدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن ابى حنيفة واحد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند اصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى انه عند قوله تعالى وهم لايسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن ابى حنيفة لان عنده يتم الكلام (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) * قوله تعالى (ان الذين يلحدون) اى يميلون عن الحق (فى آياتنا) اى فى ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لايخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى ابى جهل (افمن يلقى فى النار) هو ابو جهل (خير ام من يأتى آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ماشئتم) امر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) اى انه عالم باعمالكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعنى القرآن وفى جواب ان وجهان احدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه اولئك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ فى وصف الذكر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لايأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجئ بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لايتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لايأتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) اى فى جميع افعاله (حميد) اى الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل (مايقال لك) اى من الاذى والتكذيب (الا ماقد قيل للرسل من قبلك) يعنى انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) اى لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب اليم) اى لمن اصر على التكذيب * قوله عز وجل (ولو جعلناه) اى هذا الكتاب الذى تقرؤه على الناس (قرآنا اعجميا) اى بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) اى هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمى وعربى) اى ا كتاب اعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل اعجميا وقيل فى معنى الآية انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمى الى القوم العرب ولصح قولهم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة وفى

جميعا قبضته يوم القيمة) اى تحت تصرفه وقبضته قدرته وقهر ملكوته (والسموات مطويات بيمينه) فى طى قهره ويمين قوته يصرفها كيف يشاء ويفعل بها مايشاء يطويها ويفنيها عن شهود الشاهد يوم القيامة الكبرى والفناء فى التوحيد لفناء الكل حينئذ فى شهود التوحيد وكل تصرف تراه بيمينه وكل صفة تراها صفته ويرى عالم القدرة بيمينه بل كل شئ عينه فلا يرى غيره بل يرى وجهه فلاعين ولا اثر لغيره (سبحانه وتعالى عما يشركون) باثبات الغير وتأثيره وقدرته (ونفخ فى الصور) عند الاماتة بسريان روح الحق وظهوره فى الكل وشهود ذاته بذاته وفناء الكل فيه (فصعق) اى هلك (من فى السموات ومن فى الارض) حال الفناء فى التوحيد وظهور الهوية بالنفخة الروحية (الا من شاء الله) من اهل البقاء بعد الفناء الذين احياهم الله بعد الفناء بالوجود الحقانى فلا يموتون فى القيامة كرة اخرى لكون حياتهم به وفنائهم عن انفسهم من قبل

آذاننا وقر لانالا نفهمه ولانحيط بمعناه وانالما انزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة وفى آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا اعجميا تكنى ابافكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمنى فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعنى القرآن (للذين آمنوا هدى) اى من الضلالة (وشفاء) اى لما فى القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) اى صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلاينتفعون به (اولئك ينادون من مكان بعيد) اى كما ان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء فى قلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون من حيث لايسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) اى فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) اى فى تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضى بينهم) اى لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفى شك منه مريب) اى من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) اى يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن اساء فعليها) اى ضرر اساءته او كفره يعود على نفسه ايضا (وماربك بظلام للعبيد) يعنى فيعذب غير المسئ ❊ قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعنى اذا سأل عنها سائل قيل له لايعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولاسبيل للخلق الى معرفة ذلك (وماتخرج من ثمرات من اكمامها) اى من اوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل ان ينشق (وماتحمل من انثى ولاتضع الابعلمه) اى يعلم قدر ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو ام انثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم مايحدث من كل شئ كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من اصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لايصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لايشركه فيه احد (ويوم يناديهم) اى ينادى الله تعالى المشركين فيقول (اين شركائى) اى الذين تدعون انها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) اى اعلمناك (مامنا من شهيد) اى يشهدون لك شريكا وذلك لما راوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل) اى يعبدون فى الدنيا (وظنوا مالهم من محيص) اى مهرب ❊ قوله تعالى (لايسأم الانسان) اى لايمل الكافر (من دعاء الخير) يعنى لايزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) اى الشدة والفقر (فيؤس) اى من روح الله تعالى (قنوط) اى من رحمته (ولئن اذقناه رحمة منا) اى آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) اى من بعد شدة وبلاء اصابه (ليقولن هذا لى) اى استحقه بعملى (وما اظن الساعة قائمة) اى ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربى) يقول هذا الكافر اى فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى (ان لى عنده للحسنى) اى الجنة والمعنى كما اعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى اعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه) اى تزهب

ثم نفخ فيه اخرى) عند البقاء بعد الفناء والرجوع الى التفصيل بعد الجمع (فاذاهم قيام) بالحق (ينظرون) بعينه (واشرقت الارض) ارض النفس حينئذ (بنور ربها) واتصفت بالعدالة التى هى ظل شمس الوحدة والارض كلها فى زمن المهدى عليه السلام بنور العدل والحق (ووضع الكتاب) اى عرض كتب الاعمال على اهلها ليقرا كل واحد عمله فى صحيفته التى هى نفسه المنتقشة فيها صور اعماله المنطبع منها تلك الصور فى بدنه (وجىء بالنبيين والشهداء) من السابقين المطلعين على احوالهم الذين قال فيهم يعرفون كلا بسيماهم اى احضروا للشهادة عليهم لاطلاعهم على اعمالهم (وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) حيث وزن اعمالهم بميزان العدل ووفى جزاء اعمالهم لاينقص منها شئ (ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون) لثبوت صور افعالهم عنده (وسيق الذين كفروا) المحجوبون (الى جهنم زمرا)

(بنفسه)

بنفسه وتكبر وتعظم (واذا مسه الشر) اى الشدة والفقر (فذودعاء عريض) اى كثير (قل) اى قل يامحمد لكفار مكة (ارايتم ان كان من عندالله) يعنى هذا القرآن (ثم كفرتم به) اى جحدتموه (من اضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية (وفى انفسهم) اى بالبلاء والامراض وقيل مانزل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو مايفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفى انفسهم وهو فتح مكة (حتى يتبين لهم انه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عندالله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل فى الآفاق يعنى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفى انفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعنى لايقدر على هذه الاشياء الاالله تعالى (اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) يعنى يشهد ان القرآن من عندالله تعالى وقيل اولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى اوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لايغيب عنه شئ (الا انهم فى مرية من لقاء ربهم) اى فى شك عظيم من البعث والقيامة (الا انه بكل شئ محيط) اى عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا اربع آيات نزلت بالمدينة اولها قل لااسئلكم عليه اجرا وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة الالف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور اوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدا وعسق خبره والمر لان حم عسق عدت آيتين وعدت اخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان اهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى واختلفوا فى حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اى قضى وبقى عسق على اصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته اقسم الله عزوجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا شان محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد اوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى اليك اخبار الغيب كما اوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كانه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له مافى السموات ومافى الارض وهو العلى العظيم تكاد

بسائق العمل وقائد الهوى النفسى والميل السفلى (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) لشدة شوقها اليهم وقبولها لهم لما بينهما من المناسبة (وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) من مالك والزبانية اى الطبيعة الجسمانية والملكوت الارضية الموكلة بالنفوس السفلية (وسيق الذين اتقوا ربهم) الرذائل وصفات النفوس (الى الجنة زمرا) بسائق العمل وقائدا المحبة (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها) قبل مجيئهم لان ابواب الرحمة وفيض الحق مفتوحة دائما والتخلف من جهة القبول لامن جهة الفيض بخلاف ابواب جهنم فانها مطبقة تنفتح بهم وبمجيئهم اليها لكون المواد غير مستعدة لقبول النفوس الابآثارها (وقال لهم خزنتها) من رضوان والارواح القدسية والملكوت السماوية (سلام عليكم) اى تحيتهم

السموات يتفطر من فوقهن) اى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) اى ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم (ويستغفرون لمن فى الارض) اى المؤمنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من فى الارض اما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيآتهم وقيل استغفارهم لمن فى الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (الا ان الله هو الغفور الرحيم) يعنى انه تعالى يعطى المغفرة التى سألوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة ❊ قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء) اى جعلوا له شركاء وانداداً (الله حفيظ عليهم) اى رقيب على احوالهم واعمالهم (وما انت عليهم بوكيل) اى لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما انت نذير (وكذلك) اى ومثل ما ذكرنا (اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى) يعنى مكة والمراد اهلها (ومن حولها) يعنى قرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) اى وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارضين (لا ريب فيه) اى لا شك فى الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا يا رسول الله فقال للذى فى يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الاصلاب وقيل ان يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا فى الاصلاب وقيل ان يستقروا نطفا فى الارحام اذهم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجالا من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى اخرجه احمد بن حنبل فى مسنده ❊ قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) اى فى دين الاسلام (والظالمون) اى الكافرون (ما لهم من ولى) اى يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) اى يمنعهم من العذاب (ام اتخذوا) يعنى الكفار (من دونه اولياء فالله هو الولى) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولى من اتبعك (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) يعنى ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولى (وما اختلفتم فيه من شئ) اى من امر الدين (فحكمه الى الله) اى يقضى فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب وقيل عنه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) اى الذى يحكم بين المختلفين هو الله (ربى عليه توكلت) اى فى جميع امورى (واليه انيب) اى

(واليه)

الصفات الالهية والاسماء العلية بافاضة الكمال عليهم وتبرئتهم من الآفة والنقص (طبتم فادخلوها خالدين) عن خبائث الاوصاف النفسانية والهيآت الهيولانية فادخلوا جنة الفردوس الروحانية مقدرين الخلود لنزاهة ذواتكم عن التغيرات الجسمانية (وقالوا الحمد لله) بالاتصاف بكمالاته والوصول الى نعيم تجليات صفاته (الذى صدقنا وعده) بايصالنا الى ما وعدنا فى العهد الاول واودع فينا وانبأنا عنه على السنة رسله (واورثنا الارض) جنة الصفات (نتبوأ من الجنة) منها (حيث نشاء) بحسب شرفنا ومقتضى حالنا (فنعم اجر العاملين) الذى عملوا بما علموا فأورثوا جنة القلب والنفس من الانوار والآثار (وترى الملائكة) ملائكة القوى الروحانية فى جنة الصفات (حافين من حول العرش) عرش القلب (يسبحون بحمد ربهم) بتجردهم عن اللواحق المادية حامدين ربهم بالكمالات الروحانية (وقضى بينهم بالحق)

اى واليه ارجع فى كل المهمات (فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم) اى من جنسكم (ازواجا) اى حلائل وانما قال من انفسكم لان الله تعالى خلق حواء من ضلع ادم (ومن الانعام ازواجا) اى اصنافا ذكرانا واناثا (يذرؤكم) اى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) اى فى الرحم وقيل فى البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل فى بمعنى الباء اى يذرؤكم به اى يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شئ) المثل صلة اى ليس كهو شئ وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شئ قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض يقتضى اثبات المثل فما الفرق قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شئ معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس او يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) اى لسائر المسموعات (البصير) اى لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) اى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شئ عليم) اى من البسط والتضييق * قوله عزوجل (شرع لكم من الدين) اى بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين اى دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ماوصى به نوحا) يعنى انه اول الانبياء اصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا (والذى اوحينا اليك) اى من القرآن وشرائع الاسلام (وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة واولو العزم ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى (ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله فى اوامره ونواهيه وسائر مايكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة وقال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار بالله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) اى من التوحيد ورفض الاوثان (الله يجتبى اليه من يشاء) اى يصطفى لدينه من يشاء من عباده (ويهدى اليه من ينيب) اى يقبل على طاعته (وماتفرقوا) يعنى اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعنى اهل الكتاب (الا من بعد ماجاءهم العلم) اى بان الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) اى ولكنهم فعلوا ذلك للبغى وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) اى فى تأخير العذاب عنهم (الى اجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (لقضى بينهم) اى بين من آمن وكفر يعنى لانزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا (وان الذين اورثوا الكتاب) يعنى اليهود

بتسالمهم واتحادهم فى التوجه نحو الكمال بنور العدل والتوحيد واختصاص كل بما حكم بالحق فى تسبيحه من غير تخاصم وتنازع (وقيل) على لسان الاحدية (الحمد لله) المطلق فى الحضرة الواحدية للذات الالهية الموصوفة بجميع صفاتها (رب العالمين) مربيهم على حسب استعدادات الاشياء واحوالها * او ملائكة النفوس والارواح السماوية حافين فى جنة الفردوس من حول عرش الفلك الاعظم يسبحون بحمد ربهم باتصاف ذواتهم المجردة بالكمالات الربانية وقضى بينهم بالحق باختصاص كل بما حكم به الحق من الافعال والكمالات وقيل على لسان الكل الكمال المطلق لله رب العالمين وان حملت القيامة على الصغرى فمعناه وارض البدن جميعا قبضته يتصرف فيها بقدرته ويقبضها عن الحركة ويمسكها عن الانبساط بالحياة وقت الموت وسموات الارواح وقواها مطويات بيمينه ونفخ فى الصور رعد النفس الآخر فصعق من فى السموات من القوى

والنصارى ﴿من بعدهم﴾ اى من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية ﴿لفى شك منه﴾ اى من امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به ﴿مريب﴾ يعنى مرتابين شاكين فيه ﴿فلذلك﴾ اى الى ذلك ﴿فادع﴾ اى الى ماوصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ماحدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية ﴿واستقم كما امرت﴾ اى اثبت على الدين الذى امرت به ﴿ولا تتبع اهواءهم﴾ اى المختلفة الباطلة ﴿وقل آمنت بما انزل الله من كتاب﴾ اى آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض ﴿وامرت لاعدل بينكم﴾ قال ابن عباس امرت ان لا احيف عليكم باكثر مماافترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم فى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى ﴿الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم﴾ يعنى ان اله الكل واحد وكل احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله ﴿لا حجة﴾ اى لا خصومة ﴿بيننا وبينكم﴾ وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وامر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة ﴿الله يجمع بيننا﴾ اى فى المعاد لفصل القضاء ﴿واليه المصير﴾ ※ قوله عز وجل ﴿والذين يحاجون فى الله﴾ اى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم ﴿من بعد ما استجيب له﴾ اى من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فأسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿حجتهم داحضة﴾ اى خصومتهم باطلة ﴿عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ اى فى الآخرة ﴿الله الذى انزل الكتاب بالحق﴾ اى الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والاحكام ﴿والميزان﴾ اى العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ اى وقت اتيانها قريب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ اى ظنا منهم انها غير آتية ﴿والذين آمنوا مشفقون﴾ اى خائفون ﴿منها ويعلمون انها الحق﴾ اى انها آتية لا شك فيها ﴿الا ان الذين يمارون﴾ اى يخاصمون ﴿فى الساعة﴾ وقيل يشكون فيها ﴿لفى ضلال بعيد﴾ ※ قوله عز وجل ﴿الله لطيف بعباده﴾ اى كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى ﴿يرزق من يشاء﴾ يعنى ان الاحسان والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله ان يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفع اليكم مرة واحدة ﴿وهو القوى﴾ اى القادر على كل ما يشاء ﴿العزيز﴾ اى الذى لا يغالب ولا يدافع ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ اى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة ﴿نزد له فى حرثه﴾ اى بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى ما يشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ يعنى يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة ﴿نؤته منها﴾ اى ماقدر وقسم له منها ﴿وماله فى الآخرة من نصيب﴾ يعنى لانه لم يعمل لها عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن

الروحانية ومن فى الارض من القوى النفسانية الطبيعية الا من شاء الله من الحقيقة الروحانية واللطيفة الانسانية التى لا تموت ثم نفخ فيه اخرى فى النشأة الثانية بنور الحياة والاعتدال ووضع الكتاب اى لوح النفس المنتقش فيه صور اعماله فتنتشر بظهور تلك النفوس عليه وجئ بالنبيين والشهداء من الذين اطلعوا على استعدادهم واحوالهم بأن يحشروا معهم فيجازوا على حسب اعمالهم وقضى بينهم بالعدل وهم لا يظلمون وباقى التأويلات بحالها الى آخر السورة والله تعالى اعلم

﴿سورة المؤمن وهى غافر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه ﴿حم﴾ اى الحق المحتجب بمحمد فهو حق بالحقيقة محمد بالخليقة احبه فظهر بصورته فكان ظهوره به ﴿تنزيل الكتاب﴾ المحمدى ﴿من الله﴾ اى ذاته الموصوفة قد بجمع صفاته ﴿العزيز﴾ ستره جلاله حال كون الكتاب قرآنا ﴿العليم﴾ الظاهر بعلمه فيكون فرقانا فقوله حم معناه فى الحقيقة لا اله الا الله محمد رسول الله

فى الآخرة نصيب ذكره فى جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب الستة واخرجه البغوى باسناده ❊ قوله تعالى (ام لهم) يعنى كفار مكة (شركاء) يعنى الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعنى ان تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله تعالى الذى امر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لايعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعنى ان الله حكم بين الحق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) اى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وان الظالمين) يعنى المشركين (لهم عذاب اليم) اى فى الآخرة (ترى الظالمين) يعنى يوم القيامة (مشفقين) اى وجلين خائفين (مما كسبوا) من الشرك اى والاعمال الخبيثة من الشرك (وهو واقع بهم) اى جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) لان هذه الروضات اطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان فى الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من اهل القبلة (لهم مايشاؤن عند ربهم) اى من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) اى الذى ذكر من نعيم الجنة (الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ❊ قوله عزوجل (قل لااسئلكم عليه) اى على تبليغ الرسالة (اجرا) اى جزاء (الا المودة فى القربى) (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن قوله الا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة وعن ابن عباس ايضا فى قوله الا المودة فى القربى يعنى ان تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك (خ) عن ابن عمر ان ابابكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى اهل بيته واختلفوا فى قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل اهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم بنوهاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا فى جاهلية ولا فى اسلام (م) عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى فقال له حصين من اهل بيته يازيد اليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحى لايجوز لقوله فى قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين قلت لانزاع فى انه لايجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله الا المودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لااطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين امر واجب واذا كان كذلك فى حق جميع المسلمين كان فى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم اولى فقوله قل لااسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى المودة فى القربى ليست اجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم

اى الحق الباطن حقيقته الظاهر بمحمد هو تنزيل الكتاب الذى هو عين الجمع الجامع للكل المكنون بعزته فى سرادقات جلاله المتنزل فى مراتب غيوبه ومظاهر علته فى الصورة المحمدية التى ظهر علمه بها فى مظهر العقل الفرقانى (غافر الذنب) بظهور نوره وستره لظلمات النفوس والطبائع (وقابل التوب) برجوع الحقيقة المجردة من غواشى النشاة اليه (شديد العقاب) للمحجوب الواقف مع الغير بالشرك غير الراجع اليه بالتوحيد (ذى الطول) اى الفضل بافاضة الكمال الزائد على نور الاستعداد الاول على حسب قبوله (لا اله الا هو) اولا واخرا وظاهرا وباطنا معاقبا ومتفضلا (اليه المصير) مصير الكل على كل الاحوال من الراجع التائب والواقف المعاقب اما الى ذاته او صفاته او افعاله كيف كان لايخرج عن احاطته شئ فيكون خارجا عن ذاته موجودا بوجود غير وجوده اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) المحجوبون عن

وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا اجرا البتة والوجه الثانى ان هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة فى القربى اى لكن اذكركم المودة فى قرابتى الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الاية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه احب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ما سألتكم عليه من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الا ان توادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح ❊ وقوله تعالى (ومن يقترف حسنة) اى يكتسب طاعة (نزد له فيها حسنا) اى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) اى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها (ام يقولون) اى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه ايقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم ان ينسبوا امثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) اى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر به فى هذه الآية (ويمح الله الباطل) اخبره الله تعالى ان ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه (ويحق الحق بكلماته) اى يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم واعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره انهم اتهموه وانزل الله هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اولياءه واهل طاعته

❊ فصل فى ذكر التوبة وحكمها ❊ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب اليه فى اليوم

الحق لان غير المحجوب يقبلها بنور استعداده من غير انكار لصفاته واما المحجوب فلظلمة جوهره وخبث باطنه لا تناسب ذاته آياته فينكرها ويجادل فيها (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار) ليدحض بجداله آياته فيحق له العقاب (الذين يحملون العرش) من النفوس الناطقة السماوية اللاتى ارجلهم فى الارضين السفلى بتأثيرهم فيها واعناقهم مرقت من السموات العلى لتجردهم منها وتدبيرهم اياها او الارواح التى هى معشوقاتها العرش (ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) ومن حوله من الارواح المجردة القدسية والنفوس الكوكبية (يسبحون بحمد ربهم) ينزهونه عن اللواحق المادية بتجرد ذواتهم حامدين له باظهار كمالاتهم المستفادة منه تعالى فكانهم يقولون

مائة مرة (ق)عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش اوماشاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد ايس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم انت عبدى وانا ربك اخطا من شدة الفرح * عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لايغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م)عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عزوجل (ويعفوا عن السيآت) اى يمحوها اذا تابوا (ويعلم مايفعلون) يعنى من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) اى سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد)* قوله عزوجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده اى وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) اى لطغوا وعتوا (فى الارض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع القبض والفقر اقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر اقل واذا كانت واجدة لها كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر مايشاء) يعنى الارزاق نظر المصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ماروى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عزوجل قال يقول الله عزوجل من اهان لى

بلسان الحال يامن هذه صفاته وهباته (ويؤمنون به) الايمان العيانى الحقيقى (ويستغفرون للذين آمنوا) بالامدادات النورية والافاضات السبوحية لمناسبة ذواتهم ذواتهم فى الحقيقة الايمانية (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) اى شملت رحمتك واحاط بالكل علمك (فاغفر) بنورك (للذين تابوا) اليك بالتجرد عن الهيآت الظلمانية والظلمات الهيولانية (واتبعوا سبيلك) بالسلوك فيك على متابعة حبيبك فى الاعمال والمقامات والاحوال يتنصلون عن ذنوب افعالهم وصفاتهم وذواتهم (وقهم) بعنايتك (عذاب الجحيم) جحيم الطبيعة (ربنا وادخلهم جنات عدن) صفاتك وحظائر قدسك (التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) بالتجرد عن الغواشى المادية واستعد لذلك بالتزكية والتحلية من اقاربهم المتصلين بهم للمناسبة والقرابة الروحانية (انك انت العزيز) الغالب القادر على التعذيب (الحكيم) الذى لايفعل مايفعل الا بالحكمة ومن الحكمة الوفاء بالوعد (وقهم

وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدي المؤمن بمثل اداء ماافترضت عليه ومايزال عبدي المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعاني اجبته وان سألني اعطيته وماترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فاكفه عنه ان لايدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه البغوي باسناده ❋ قوله عز وجل ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا﴾ اي يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم ﴿وينشر رحمته﴾ اي يبسط بركات الغيث ومنافعه ومايحصل به من الخصب ﴿وهو الولي﴾ اي لاهل طاعته ﴿الحميد﴾ اي المحمود على مايوصل الى الخلق من اقسام رحمته ﴿ومن آياته خلق السموات والارض ومابث﴾ اي اوجد ﴿فيهما﴾ اي في السموات والارض ﴿من دابة﴾ فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان ﴿وهو على جمعهم اذا يشاء قدير﴾ يعني يوم القيامة ❋ قوله عز وجل ﴿وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم﴾ المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصي ﴿ويعفوا عن كثير﴾ قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده مامن خدش عود ولاعثرة قدم ولااختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سخيلة قال قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا اخبركم بافضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لكم ياعلي ما اصابكم من مصيبة اي من مرض اوعقوبة اوبلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الآخرة وماعفا الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة مامن نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفرله الا بها اودرجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ﴿وماانتم بمعجزين﴾ اي بفائتين ﴿في الارض﴾ هربا يعني لاتعجزونني حيثما كنتم ﴿ومالكم من دون الله من ولي ولانصير﴾ ❋ قوله عز وجل ﴿ومن آياته الجوار﴾ يعني السفن وهي السيارة ﴿في البحر كالاعلام﴾ اي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم ﴿ان يشأ يسكن الريح﴾ اي التي تجري بها السفن ﴿فيظللن﴾ يعني السفن الجواري

السيئات) بتوفيقك وحسن عنايتك وكلاءتك ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ فقد حقت له رحمتك ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ لان المرحوم سعيد والمحجوب عقت نفسه حين تظهر له هيآتها المظلمة وصفاتها المؤلمة وسواد وجهه الموحش وقبح منظرها المنفر بارتفاع الشواغل الحسية التي كانت تشغله عن ادراك ذاته فينادى ﴿ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم﴾ اذ هو نور الانوار وكلما كان الشيء اشد نورية واكثر ضوا فهو ابعد مناسبة من الجوهر المظلم الكدر فيكون اشد مقتا له ومقته لنفسه ايضا ناشئ من النور الاصلي الاستعدادي لانطباع محبة النور في الاصل الاستعدادي النوري بل النور لذاته محبوب والظلمة مبغوضة ﴿اذ تدعون الى الايمان فتكفرون﴾ اي كبر مقته اياكم وقت احتجابكم عنه وعدم قبولكم للدعوة الى الايمان التوحيدي او لاحتجابكم وابائكم عن

(رواكد) اى ثوابت (على ظهره) اى على ظهر البحر لا تجرى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء (اويوبقهن) اى يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) اى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) اى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى مالهم من مهرب من عذابه (فما اوتيتم من شئ) اى من زينة الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا) اى ليس هو من زاد المعاد (وماعندالله) اى من الثواب (خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان فى متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ماعندالله من الثواب خيرا وابقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعنى ماعظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ماغضبوا هم يغفرون) يعنى يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعنى اجابوه الى مادعاهم اليه من طاعته (واقاموا الصلاة) يعنى المفروضة (وامرهم شورى بينهم) يتشاورون فيما يبدولهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى مالم يجتمعوا عليه قيل ماتشاور قوم الاهدوا لارشد امرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغى) يعنى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظلمهم فبدا بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ماغضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية وقال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل فى الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال اخزاك الله فقل له اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو القصاص فى الجراحات والدماء يقتص بمثل ماجنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب فى الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى (فمن عفا) اى عن ظلمه (واصلح) اى بالعفو بينه وبين الظالم (فاجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى منادمن كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الامن عفا ثم قراهذه الآية (انه لايحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدون بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد ظلم الظالم اياه (فأولئك) يعنى المنتصرين (ماعليهم من سبيل) اى بعقوبة ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) اى يبدون بالظلم (ويبغون فى الارض بغير الحق) اى يعملون فيها بالمعاصى (اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر) اى لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظالمه (ان ذلك) اى الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) يعنى تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التى امر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب اتم عزما (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) يعنى ماله من احد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعنى انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) اى على النار (خاشعين من الذل) اى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفى)

الدعوة الايمانية (قالوا ربنا امتنا اثنتين) اى انشأتنا امواتا مرتين (واحييتنا اثنتين) فى النشأتين (فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل) عند وقوع العقاب المرتب عليها وامتناع المحيص عنه (ذلكم) العذاب السرمد والمقت الاكبر بسبب شرككم واحتجابكم عن الحق بالغير (فالحكم لله العلى الكبير) بعقابكم الابدى لا للغير فلا سبيل الى النجاة لعلوه وكبريائه فلا يمكن احدا رد حكمه وعقابه (هو الذى يريكم اياته) آيات صفته بتجلياته (وينزل لكم من السماء) من سماء الروح (رزقا) حقيقيا ما اعظمه وهو العلم الذى يحيا به القلب ويتقوى (وما يتذكر) احواله السابقة بذلك الرزق (الا من ينيب) اليه بالتجرد وقطع النظر عن الغير فانيبوا اليه لتتذكروا بتخصيص العبادة به واخلاص الدين عن شوب الغيرية وتجريد الفطرة عن النشأة ولو انكر المحجوبون وكرهوا (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

يعنى يسارقون النظر الى النار خوفامنها وذلة فى انفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى اى ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم) يعنى بان صاروا الى النار (واهليهم يوم القيامة) يعنى وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم فى الجنة (الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل) اى وصول الى الحق فى الدنيا والجنة فى العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) اى اجيبوا داعى الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله) اى لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) اى مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من نكير) اى ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعنى لا تقدرون ان تنكروا من اعمالكم شيأ (فان اعرضوا) اى عن الاجابة (فما ارسلناك عليهم حفيظا) اى تحفظ اعمالهم (ان عليك الا البلاغ) اى ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعنى الغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) اى قحط (بما قدمت ايديهم) اى من الاعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) اى لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه * قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض يعنى له التصرف فيهما بما يريد (يخلق مايشاء) اى لا يقدر احد ان يعترض عليه فى ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا) اى فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) اى فلا يولد له انثى (او يزوجهم ذكرانا واناثا) اى يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) اى فلا يولد له ولد وقيل هذا فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالآية فى جميع الناس (انه عليم) اى بما يخلق (قدير) اى على ما يريد ان يخلق * قوله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) قيل فى سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى يوحى اليه فى المنام او بالالهام كما راى ابراهيم فى المنام ان يذبح ولده وهو وحى وكما الهمت ام موسى ان تقذفه فى البحر (او من وراء حجاب) اى يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (او يرسل رسولا) يعنى من الملائكة اما جبريل او غيره (فيوحى باذنه مايشاء) يعنى يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله مايشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب فى الدنيا ويأتى بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فى سورة النجم (انه على) اى عن صفات المخلوقين (حكيم) اى فى جميع افعاله * قوله عز وجل (وكذلك) اى وكما اوحينا الى سائر رسلنا (اوحينا اليك روحا من امرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) اى قبل الوحى (ما الكتاب) يعنى القرآن (ولا الايمان) اختلف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على ان الانبياء قبل النبوة كانوا

رفيع الدرجات) اى رفيع درجات غيوبه ومصاعد سمواته من المقامات التى يعرج فيها السالكون اليه (ذو العرش) اى المقام الارفع المالك للاشياء كلها (يلقى الروح) اى الوحى والعلم اللدنى الذى تحيا به القلوب الميتة (من) عالم (امره على من يشاء من عباده) الخاصة به اهل العناية الازلية (لينذر يوم التلاق) القيامة الكبرى الذى يتلاقى فيه العبد والرب بفنائه فيه او العباد فى عين الجمع (يوم هم بارزون) عن حجاب الانيات او غواشى الابدان (لا يخفى على الله منهم شئ) مما ستروا من اعمالهم واستخفوا بها من الناس توهما انه لا يطلع عليهم لظهورها فى صحائفهم وبروزها من الكمون الى الظهور كما قال احصاه الله ونسوه وقالوا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ولا يخفى عليه منهم شئ لبروزهم عن حجب الاوصاف الى عين الذات (لمن الملك اليوم) ينادى به الحق سبحانه عند فناء الكل فى عين الجمع فيجيب هو وحده

مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الايمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) اى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور) يعنى امور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسئ والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزخرف وهى مكية وهى تسع وثمانون آية الف وثلاث مائة وثلاث عشرة كلمة وثلاثة آلاف واربعمائة حرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) اقسم بالكتاب وهو القرآن الذى ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) اى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه واحكامه (وانه) يعنى القرآن (فى ام الكتاب) اى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله عز وجل القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وانه فى ام الكتاب (لدينا) اى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (لعلى حكيم) اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى اى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم اى محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان * قوله تعالى (افنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه افنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى (ان كنتم) اى لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما شاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين اى معرضين عنكم وقيل معناه افنطوى الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنترككم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) يعنى كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فاهلكنا اشد منهم بطشا) اى اقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) اى صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا فى الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزى والعقوبة * قوله عز وجل (ولئن سألتهم) اى ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعنى انهم اقروا بان الله تعالى خلقهما واقروا بعزته

(لله الواحد) الذى لا شئ سواه (القهار) الذى افنى الكل بقهره (ان الله سريع الحساب) لوقوعه دفعة باقتضاء سيآتهم المكتوبة فى صحائف نفوسهم تبعاتها وحسناتها ثمراتها (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وانذرهم يوم الآزفة) اى الواقعة القريبة وهى القيامة الصغرى (اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق

وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا﴾ معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبى فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ اى طرقا ﴿لعلكم تهتدون﴾ يعنى الى مقاصدكم فى اسفاركم ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر﴾ اى بقدر حاجاتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم ﴿فانشرنا به﴾ اى بالمطر ﴿بلدة ميتا﴾ اى كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿كذلك تخرجون﴾ اى من قبوركم احياء ﴿والذى خلق الازواج كلها﴾ اى الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية ﴿وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون﴾ يعنى فى البر والبحر ﴿لتستووا على ظهوره﴾ اى على ظهور الفلك والانعام ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه﴾ يعنى بتسخير المركب فى البر والبحر ﴿وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا﴾ اى ذلل لنا هذا ﴿وما كنا له مقرنين﴾ اى مطيقين وقيل ضابطين ﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ اى لمنصرفون فى المعاد (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعنى تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من سفره حزينا كئيبا او يصادف ما يحزنه فى اهل اومال عن على بن ربيعة قال شهدت على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وقد اتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يارسول الله من اى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ❊ قوله تعالى ﴿وجعلوا له من عباده جزأ﴾ يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا ﴿ان الانسان لكفور مبين﴾ اى لجحود لنعم الله تعالى عليه ﴿ام اتخذ مما يخلق بنات﴾ هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿واصفاكم﴾ اى اخلصكم ﴿بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ اى بالجنس الذى جعل للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ﴿ظل وجهه﴾ اى صار وجهه ﴿مسودا وهو كظيم﴾ اى من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدله انثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد وياقوم انى اخاف عليكم) لشدة الخوف (يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله

ما لابى حزة لا يأتينـا * يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا * ليس لنا من امرنا ماشيا
وانما نأخذ ما اعطينـا * حكمة رب ذى اقتدار فينا

❊ قوله عز وجل ﴿ اومن ينشأ ﴾ يعنى اومن يتربى ﴿ فى الحلية ﴾ يعنى الزينة والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله ﴿ وهو فى الخصام ﴾ اى المخاصمة ﴿ غير مبين ﴾ للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة فلما تكلمت امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ﴿ وجعلوا ﴾ اى وحكموا واثبتوا ﴿ الملائكة الذين هم عباد ﴾ وقرئ عبد ﴿ الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ﴾ اى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اى لم يشهدوا ذلك ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ اى على الملائكة انهم بنات الله ﴿ ويسئلون ﴾ اى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الآخرة ﴿ وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه ما بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ﴿ مالهم بذلك من علم ﴾ اى فيما يقولون ﴿ ان هم الا يخرصون ﴾ يعنى ماهم الا كاذبون فى قولهم ان الله رضى مابعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ﴿ ام آتيناهم كتابا من قبله ﴾ اى من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ اى يأخذون بما فيه ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة ﴾ اى على دين وملة ﴿ وانا على آثارهم مهتدون ﴾ يعنى انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى ﴿ وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها ﴾ اى اغنياؤها ورؤساؤها ﴿ انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ اى بهم ﴿ قل اولو جئتكم باهدى ﴾ اى بدين هو اصوب ﴿ مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ فابوا ان يقبلوا ﴿ قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ❊ قوله تعالى ﴿ واذ قال ابرهيم لابيه وقومه اننى براء ﴾ اى برئ ﴿ مما تعبدون الا الذى فطرنى ﴾ معناه انا اتبرأ مما تعبدون الا من الذى خلقنى ﴿ فانه سيهدين ﴾ اى يرشدنى الى دينه ﴿ وجعلها ﴾ اى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى لا اله الا الله ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ اى فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ اى لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عماهم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ بل متعت هؤلاء ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ وآباءهم ﴾ فى الدنيا بالمد فى العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن وقيل الاسلام ﴿ ورسـول ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مبين ﴾ اى يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة واوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعـام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن ﴿ قالوا هذا سحر وانا به

من عاصم ومن يضلل الله فاله من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) كقوله ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب اى الاضلال والخذلان كل واحد منهما مرتب على الرذيلتين العلمية والعملية فان الكذب والارتياب كلاهما من باب رذيلة القوة النطقية لعدم اليقين والصدق والاسراف عن رذيلة القوتين الاخريين والافراط فى اعمالها (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) والصرح الذى امر فرعون هامان ببنائه هو قاعدة الحكمة النظرية من القياسات الفكرية فان القوم كانوا منطقيين محجوبين بعقولهم المشوبة بالوهم غير المنورة بنور الهداية اراد ان يطلع طرق سموات الغيوب ويطلع على الحضرة الاحدية بطريق الفكر دون السلوك

كافرون) ※ قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لايليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا فى هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفى قال الله تعالى ردا عليهم (اهم يقسمون رحمت ربك) معناه اباديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا) اى نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض فى حكمنا فى احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على حكمنا فى تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعنى لو اناسوينا بينهم فى كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضى ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء بأموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعنى الجنة (خير) يعنى للمؤمنين (مما يجمعون) اى يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الآبدين ※ قوله عز وجل (ولولا ان يكون الناس امة واحدة) اى لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر او يرغبون فيه اذا راوا الكفار فى سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعنى مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يعنى يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم ابوابا) اى من فضة (وسررا) اى وجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكؤن وزخرفا) اى وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) يعنى ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضى لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا * عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد احد بنى فهر قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يارسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمى سقيمه الماء اخرجه

فى الله بالتجريد والمحو والفناء ولاحتجابه بانائيته وعلمه قال (لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك) اى مثل ذلك التزيين والصد (زين لفرعون سوء عمله) لاحتجابه بصفات نفسه ورذائله (وصد عن السبيل) لخطائه فى فكره اى فسد عمله ونظره لشدة ميله الى الدنيا ومحبته اياها بغلبة الهوى بخلاف حال الذى آمن حيث حذر اولا من الدنيا بقوله (وما كيد فرعون الا فى تباب وقال الذى آمن ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار) لسرعة زوال الاولى وبقاء الاخرى دائما (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة) اى التوحيد والتجريد الذى هو سبب نجاتكم (وتدعوننى الى النار) الى الشرك الموجب لدخول النار (تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم)

الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر * قوله تعالى (ومن يعش) اي يعرض (عن ذكر الرحمن) اي فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلط عليه (فهو له قرين) يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعني الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعني يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون انهم مهتدون) يعني ويحسب كفار بني آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعني الكافر وحده وقرئ جاآنا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) اي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول اصح (فبئس القرين) يعني الشيطان قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعني اشركتم (انكم في العذاب مشتركون) يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيأ لان لكل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (افأنت تسمع الصم او تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين) يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) اي بان نميتك قبل ان نعذبهم (فانا منهم منتقمون) اي بالقتل بعدك (او نرينك) اي في حياتك (الذي وعدناهم) اي من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) اي قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم واراديهم مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عني به ما يكون في امته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في امته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فاروى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذي اوحي اليك) يعني القرآن (انك على صراط مستقيم) اي على دين مستقيم لا يميل عنه الا الضال (وانه) يعني القرآن (لذكر) اي لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعني عن حقه واداء شكره وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله تعالى على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك اي ذلك شرف لك مما اعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعني المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه * قوله تعالى (واسئل من ارسلنا من

بوجوده علم اذ لا وجود له (وانا ادعوكم الى العزيز) الغالب الذي يقهر من عصاه (الغفار) الذي يستر ظلمات نفوس من اطاعه بانواره (لاجرم) اي وجب وحق (انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار) لا دعوة له في الدارين لعدمه بنفسه واستحالة وجوده فيهما (فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) اي تصلى ارواحهم بنار الهيآت الطبيعية واحتجاب الانوار القدسية والحرمان عن اللذات الحسية والشوق اليها مع امتناع حصولها (ويوم تقوم الساعة) بحشر الاجساد وظهور المهدي عليه السلام قيل لهم آل فرعون (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) لانقلاب هيآتهم وصورهم وتراكم الظلمات وتكاثف الحجب وضيق المحبس وضنك المضجع على الاول وقهر المهدي عليه السلام اياهم

قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسرى به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه سل مؤمنى اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشرك قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل * قوله تعالى (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون) اى يسخرون (وما نريهم من آية الاهى اكبر من اختها) اى من قرينتها التى قبلها (واخذناهم بالعذاب) اى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة اكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) اى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا ايها الساحر) اى العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) اى بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا العذاب فاسأله ان يكشفه عنا (اننا لمهتدون) اى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) اى ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) يعنى انهار النيل الكبار وكانت تجرى تحت قصره وقيل معناه تجرى بين يدى جنانى وبساتينى وقيل تجرى بامرى (افلا تبصرون) اى عظمتى وشدة ملكى (ام انا) اى بل انا (خير) وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه افلا تبصرون ام تبصرون ثم ابتدا فقال انا خير (من هذا الذى هو مهين) اى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) اى يفصح بكلامه للثغة التى كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا القى عليه) اى ان كان صادقا (اسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا القى رب موسى عليه اسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (اوجاء معه الملائكة مقترنين) اى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره * قال الله تعالى (فاستخف) يعنى فرعون (قومه) يعنى القبط اى وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) اى على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى حيث اطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا)

وتعذيبه لهم لكفرهم به وبعدهم عنه ومعرفته اياهم بسيماهم على الثانى (واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) بالتأييد الملكوتى والنور القدسى فى الدارين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق) اى احبس النفس عن الظهور فى مقابلة اذاهم واعلم انك ستغلب حال البقاء والتمكين انا غالبون (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) لذنب حالك بالتنصل عن افعالك (وسبح) بالتجريد

اى اغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهوقوله تعالى (افانتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجئ من بعدهم * قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبدالله بن الزبعرى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم وقدتقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعنى قريشا (منه) اى من المثل (يصدون) اى يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا مايريدمنا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا ءآلهتنا خيرام هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى ام هو يعنى عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ماعبد من دون الله فى النار فنحن قدرضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة فى النار * قال الله تعالى (ماضربوه) يعنى هذا المثل (لك الا جدلا) اى خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) اى بالباطل * عن ابى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) اى ماعيسى (الا عبد انعمنا عليه) اى بالنبوة (وجعلناه مثلا) اى آية وعبرة (لبنى اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على مايشاء حيث خلقه من غير اب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه اونشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة (فى الارض يخلفون) اى يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدوننى ويطيعوننى وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعنى عيسى (لعلم للساعة) يعنى نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله احد وفى رواية ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبين عيسى نبى وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفى رواية فامكم منكم قال ابن ابى ذؤيب فامكم بكتاب ربكم عزوجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وروى انه ينزل عيسى وبيده حربة وهى التى يقتل بها الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الامن آمن وقيل فى معنى

(بحمد ربك بالعشى والابكار) موصوفا بكماله دائما اى مادمت فى حال الفناء لاتأمن التلوين بظهور النفس وصفاتها وجب عليك الصبر والاستغفار والتجريد عن الاوصاف التى تظهربها النفس والتحقق بالله وصفاته فاذا حصل لك مقام الاستقامة والتمكين حال البقاء بعد الفناء فذلك وقت الغلبة وظهور النفس والوفاء بالوعد (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لايعلمون ومايستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ قليلا ماتتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لايؤمنون وقال ربكم ادعونى استجب لكم) هذا دعاء الحال لان الدعاء باللسان مع عدم العلم بان المدعو به خير له ام لادعاء المحجوبين وقال الله تعالى ومادعاء الكافرين الا فى ضلال اى ضياع واما الدعاء الذى

الآية وانه اى وان القرآن لعلم للساعة اى يعلم قيامها ويخبركم باحوالها واهوالها (فلا تمترن بها) اى لاتشكون فيها وقال ابن عباس لاتكذبوا بها (واتبعون) اى على التوحيد (هذا) اى الذى اناعليه (صراط مستقيم ولايصدنكم) اى لايصرفنكم (الشيطان) اى عن دين الله الذى امر به (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) اى بالنبوة (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) اى من احكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى امر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل مااحتاجوا اليه (فاتقوا الله واطيعون) اى فيما آمركم به (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) اى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون) اى ينتظرون (الا الساعة ان تأتيهم بغتة) اى فجأة والمعنى انها تأتيهم لامحالة (وهم لايشعرون الاخلاء) اى على الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) اى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (الا المتقين) اى الا الموحدين المتحابين فى الله عزوجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات احد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب * قوله عزوجل (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس احد منهم الافزع فينادى مناديا عبادى لاخوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون) تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (واكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) اى فى الجنة (ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) عن عبدالرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلاتشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى اى الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فانى احب الابل قال فلم يقل له ماقال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذى (وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) ورد فى الحديث انه لاينزع احد فى الجنة من ثمرها ثمرة الانبت مكانها مثلها * قوله تعالى (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم) اى لايخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) اى آيسون من رحمة الله تعالى (وما ظلمناهم) اى وما

(عذبناهم)

لاتتخلف عنه الاستجابة فهو دعاء الحال بان يهيئ العبد استعداده لقبول ما تطلبه ولا تتخلف الاستجابة عن هذا الدعاء لكن طلب المغفرة فتاب الى الله واناب بالزهد والطاعة ومن طلب الوصول فاختار الفناء ولهذا قال الله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) اى لايدعونى بالتضرع والخضوع والاستكانة بل تظهر انفسهم بصفة التكبر والعلو (سيدخلون جهنم داخرين) لدعائهم بلسان الحال مع القهر والاذلال اذ صفة الاستكبار ومنازعة الله فى كبريائه تستدعى ذلك (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شئ) اى ذلكم المتجلى بافعاله وصفاته الله الموصوف بجميع الصفات ربكم باسمائه المختصة بكل واحدة من احوالكم بالاحتجاب به (لااله الاهو) فى الوجود يخلق شيأ ويظهر بصفة (فانى تؤفكون) عن طاعته الى اثبات الغير وطاعته * مثل ذلك الضرب الذى ضربتم به لاحتجابكم بالكثرة يؤفك

عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) اى لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يامالك) يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) اى ليمتنا ربك فنستريح والمعنى انهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم (قال انكم ما كثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ما كثون مقيمون فى العذاب (لقد جئنا كم بالحق) يقول ارسلنا اليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق (ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا) اى احكموا امرا فى المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) اى محكمون امرا فى مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله (ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم) اى مايسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعني الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) ※ قوله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين) معناه ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لاشريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان اى ما كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اى الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين اى انا اول الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشرى فى معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) اى عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) اى فى باطلهم (ويلعبوا) اى فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعني يوم القيامة (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) اى هو الاله الذى يعبد فى السماء وفى الارض لا اله الا هو (وهو الحكيم) اى فى تدبير خلقه (العليم) اى بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان مايقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم احق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية واراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (الا من شهد بالحق) لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) اى بقلوبهم ماشهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون انهم عباده ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) يعنى انهم اذا اقروا بان الله خالق العالم باسره فكيف قدموا على عبادة

الجاحدون بآيات الله حين لم يعرفوها اذ يسترها الى الغير (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب) لعدم مناسبتهم له واحتجابهم بظلماتهم عن النور (وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) وبال امرهم (اذ الاغلال) اغلال قيود

غيره (فانى يؤفكون) اى يصرفون عن عبادته الى غيره (وقيله يارب) يعنى قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لايؤمنون) قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه (فاصفح عنهم) اى اعرض عنهم وفى ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) اى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الدخان وهى مكية وهى سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست واربعون كلمة والف واربعمائة واحدوثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) اى المبين مايحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (انا انزلناه فى ليلة مباركة) قيل هى ليلة القدر انزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب اخرجه الترمذى (انا كنا منذرين) اى مخوفين عقابنا (فيها) اى فى تلك الليلة المباركة (يفرق) اى يفصل (كل امر حكيم) اى محكم قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب فى ليلة القدر ماهو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوى بسنده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها فى ليلة القدر (امرا) اى انزلناه امرا (من عندنا انا كنا مرسلين) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه فى ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) اى لاقوالهم (العليم) اى باحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) اى ان الله رب السموات والارض ومابينهما (لااله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) * قوله تعالى (بل هم فى شك) اى من هذا القرآن (يلعبون) اى يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) اى يا محمد (يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجئ فتأخذ بانفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم شيأ فليقل به ومن لايعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لايعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل مااسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا

الطبائع المختلفة (فى اعناقهم والسلاسل) وسلاسل الحوادث الغير المتناهية ممنوعين بها عن الحركة الى مقاصدهم (يسحبون فى) الحميم الجهل والهوى (ثم فى النار يسجرون) فى نار الاشواق الى المشتهيات واللذات الحسية مع فقدها ووجدان آلام الهيآت المؤذية بدلها فاقدين لما احتجبوا بها ووقفوا معها من صور الكثرة التى عدوها قائلين (ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) لاطلاعهم على ان ماعبدوه وضيعوا اعمارهم فى عبادته ليس بشئ فضلا عن اغنائه عنهم شيأ (كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) العذاب بسبب فرحكم بالباطل الزائل الفانى فى الجهة السفلية بالنفس ونشاطكم به لمناسبة نفوسكم الكدرة الظلمانية البعيدة عن الحق له (ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) لرسوخ رذائلكم واستحكام حجابكم (فبئس مثوى المتكبرين) الظاهرين برذيلة

قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفى رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شئ حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر احدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبدالله افيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفى رواية للبخارى قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شئ بالحاء والصاد المهملتين اى اهلكت واستأصلت كل شئ (ق) عن عبدالله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل اصابهم من الجوع كالظلمة فى ابصارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجئ قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل فى اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقبل معهم اذا قالوا قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره (انى لهم الذكرى) اى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ماهو اعظم وادخل فى وجوب الطاعة وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) اى اعرضوا عنه (وقالوا معلم) اى يعلمه بشر (مجنون) اى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال مايعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) اى الجوع (قليلا) اى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر (انكم عائدون) اى الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) اى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة ※ قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) اى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) اى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (ان ادوا الى عباد الله) اى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولا تعذبوهم (انى لكم رسول امين) اى على الوحى (وان لا تعلوا على الله) اى لا تتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان مبين) اى ببرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون) اى تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجمونى بالحجارة (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) اى فاتركون لا معى ولا على وقال ابن عباس اعتزلوا اذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون) اى مشركون

الكبر (فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض فما اغنى عنهم ماكانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) اى المحجوبون بالعقول المشوبة بالوهم وبعقولهم الخالى عن نور الهداية والوحى اذا جاءتهم الرسل بالعلوم الحقيقية التوحيدية والمعارف الحقانية الكشفية فرحوا بعلومهم وعجبوا بها عن قبول هدايتهم واستهزؤا برسلهم

(فاسر بعبادي ليلا) اى اجاب الله دعاءه وامره ان يسرى ببنى اسرائيل بالليل (انكم متبعون) اى يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) اى اذا قطعته انت واصحابك (رهوا) اى ساكنا والمعنى لاتأمره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعنى اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كما هو (كم تركوا) اى بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) اى مجلس شريف حسن (ونعمة) اى وعيش لين رغد (كانوا فيها) اى فى تلك النعمة (فاكهين) اى ناعمين وقرئ فكهين اى اشرين بطرين (كذلك) اى افعل بمن عصانى (واورثناها قوما آخرين) يعنى بنى اسرائيل (فابكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض اربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولالهم على الارض عمل صالح فتبكى الارض عليه عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن مؤمن الاوله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وماكانوا منظرين اخرجه الترمذى وقال حديث غريب لانعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة اطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الابكت عليه السماء والارض اربعين صباحا فقيل او تبكى فقال وما للارض لاتبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لاتبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد اهل السماء واهل الارض (وماكانوا منظرين) اى لم يمهلوا حين اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها ✻ قوله عز وجل (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) اى من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب فى العمل (من فرعون انه كان عاليا) اى جبارا من (المسرفين ولقد اخترناهم على علم) اى علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) اى عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين) اى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التى انعما بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعنى مشركى مكة (ليقولون ان هى الاموتتنا الاولى) اى لاموتة لنا الاهذه التى نموتها فى الدنيا ولابعث بعدها وهو قوله (ومانحن بمنشرين) اى بمبعوثين بعد موتتنا هذه (فأتوا بآبائنا) اى الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) اى انا نبعث احياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم ان يحيى لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (اهم خير ام قوم تبع) اى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذى قبله كما يسمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتسبوا تبعا فانه كان قد اسلم اخرجه احمد بن حنبل فى مسنده وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماادرى اكان تبع نبيا اوغير نبى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لاتسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا ✻ وكان من

لاستصغارهم بما جاؤا به فى جنب علومهم فحاق بهم جزاء استهزائهم وهلكوا عن آخرهم والله اعلم (فلما راوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا سنت الله التى قدخلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون

﴿ سورة حم السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) ظهور الحق بالصورة المحمدية (تنزيل من الرحمن الرحيم) الكل الجامع لجميع الحقائق من الذات الاحدية الموصوفة بالرحمة الرحمانية العامة للكل بافاضة الوجود والكمال عليه والرحيمية الخاصة بالاولياء المحمديين المستعدين لقبول الكمال الخاص العرفانى والتوحيد الذاتى وهو كتاب العقل القرآنى الذى (كتاب فصلت آياته) بالتنزيل بعد ماأجملت قبل فى عين الجمع حال كونه (قرآنا) اى فصلت بحسب ظهور الصفات وحدوث الاستعدادات فى حال كونه جامعا للكل (عربيا) لوجود نشأته فى العرب (لقوم يعلمون) حقائق آياته لقرب

قصته على ماذكر محمد بن اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو ابوكرب اسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مربها خلف بين اظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينا هو كذلك اذجاء حبران عالمان من احبار بنى قريظة وكانا ابنى عم اسم احدهما كعب والآخر اسد حين سمعا مايريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لاتفعل فانك ان ابيت الاما تريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى انت فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير فى اصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا له اناندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اى بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء الاهلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله فى الارض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك وما اراد القوم الاهلاكك وما ناواه احد قط الاهلك فأكرمه واصنع عنده مايصنعه اهله فلما قالوا له ذلك اخذ اولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب المطابخ وكسا البيت الوصائل وهى برد تصنع باليمن وهو اول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لاتدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار فى اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولاتضر المظلوم قال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم ومايتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى اعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت لنا حتى رجعت الى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هناك كان اصل اليهودية باليمن وقال الرياشى كان ابوكرب اسعد الحميرى من التبابعة من آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه *قوله تعالى (والذين من قبلهم) اى من الامم الكافرة (اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق) اى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن اكثرهم لايعلمون) * قوله عز وجل (ان يوم الفصل) اى الذى يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم اجمعين) اى يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لايغنى مولى عن مولى عن شيأ) اى لاينفع

استعداداتهم منه وصفاء فطرهم (بشيرا) للقابلين المستعدين للكمال المستبصرين بنوره باللقاء (ونذيرا) للمحجوبين بظلمات نفوسهم من العقاب (فأعرض اكثرهم) لاحتجابهم بالاغيار وبقائهم فى ظلمات الاستتار (فهم لا يسمعون) كلام الحق لوقر سمع القلب كما قالوا (وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر) لان غشاوات الطبيعة وحجب صفات النفوس اعمت ابصار قلوبهم واصمت آذانها وجعلتها فى اغطية واكنة حجب بينهم وبينه (ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى) اى انى من جنسكم واناسبكم فى البشرية والمماثلة النوعية لتوجهه للانس والخلطة واباينكم بالوحى المنبه على التوحيد المبين لطريق السلوك فاتصلوا بى بالمناسبة النوعية ومجانسة البشرية لتهتدوا بنور التوحيد والوحى المفيد لبيان الدين وتسلكوا سبيل الحق الذى عرفنيه بقوله (انما الهكم اله واحد) لاشريك

قريب قريبه ولايدفع عنه شيأ (ولاهم ينصرون) اى يمنعون من عذاب الله (الامن رحم الله) يعنى المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) اى فى انتقامه من اعدائه (الرحيم) اى بأوليائه المؤمنين * قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) اى ذى الاثم وهو ابوجهل (كالمهل) اى كدردى الزيت الاسود (يغلى فى البطون) اى فى بطون الكفار (كغلى الحميم) يعنى كالماء الحار اذ اشتد غليانه عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه الترمذى وقال لانعرفه الا من حديث رشدين سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معائشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى (خذوه) اى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم (فاعتلوه) اى ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) اى الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) اى هذا العذاب (انك انت العزيز الكريم) اى عند قومك بزعمك وذلك ان اباجهل لعنه الله كان يقول انا اعز اهل الوادى واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) اى تشكون فيه ولاتؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين فى مقام امين) اى فى مجلس امنوا فيه من الغير (فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ اعجمى قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على وجه الاعراب (متقابلين) اى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) اى كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) اكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) اى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعنى ارادوها واشتهوها (آمنين) اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) اى لايذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لايذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كانه فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعنى كل ماوصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك) اى سهلنا القرآن على لسانك كناية

له فى الوجود (فاستقيموا) بالثبات على الايمان والسكينة والايقان فى التوجه (اليه) من غير انحراف الى الباطل والطرق المتفرقة ولازيغ بالالتفات الى الغير والميل الى النفس (واستغفروه) بالتنصل عن الهيآت المادية والتجرد عن الصفات البشرية ليستر بنور صفاته ذنوب صفاتكم (وويل) للمحتجبين بالغير (الذين) لايزكون انفسهم بمحو صفاتها ليرتفع حجاب الغيرية فيتحقق بالوحدة (وهم بالآخرة هم كافرون) لسترهم النور الفطرى المقتضى الشوق الى عالم القدس ومعدن الحياة الابدية بظلمات الحس وهيآت الطبيعة البدنية (قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) اى فى حادثين كما ذكر ان اليوم معبر به عن الحادث لنسبته اليه فى قولهم الحوادث اليومية لتشابههما فى الظهور والخفاء وهما الصورة والمادة (وبارك فيها) اى اكثر خيرها (وقدر فيها) معايشها وارزاقها (فى اربعة ايام) هى الكيفيات الاربع

عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (فارتقب) اى فانتظر النصر من ربك وقيل انظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) اى منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخارى هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذى وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف والله اعلم

﴿ سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهى مكية وهى سبع وثلاثون آية واربعمائة وثمان وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض) اى ان فى خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفى خلقكم) اى وفى خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة) اى وما يفرق فى الارض من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها فى الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعنى انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعنى بالظلام والضياء والطول والقصر (وما انزل الله من السماء من رزق) يعنى المطر الذى هو سبب ارزاق العباد (فاحيا به) اى بالمطر (الارض بعد موتها) اى بعد يبسها (وتصريف الرياح) اى فى مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان قلت ما وجه هذا الترتيب فى قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا به واقروا انه الاله القادر على كل شئ ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده فى اسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله) اى بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) * قوله تعالى (ويل لكل افاك اثيم) اى كذاب صاحب اثم يعنى النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعنى آيات القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيأ) يعنى آيات القرآن (اتخذها هزوا) اى سخر منها (اولئك) اشارة الى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعنى امامهم جهنم وذلك خزيهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة النار (ولا يغنى عنهم ما كسبوا) اى من الاموال (شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) اى ولا يغنى عنهم ماعبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعنى القرآن (هدى) اى هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله) اى بسبب التجارة

والعناصر الاربعة التى خلق منها المركبات بالتركيب والتعديل (سواء) مستوية بالامتزاج والاعتدال للطالبين للاقوات والمعايش اى قدرتها لهم (ثم استوى الى السماء) اى قصد الى ايجادها وثم للتفاوت بين الخلقين فى الاحكام وعدمه واختلافهما فى الجهة والجوهر لا للتراخى فى الزمان اذ لا زمان هناك (وهى دخان) اى جوهر لطيف بخلاف الجواهر الكثيفة الثقيلة الارضية (فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها) اى تعلق امره وارادته بايجادهما فوجدتا فى الحال معا كالمأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع لم يلبث فى امتثاله وهو من باب التمثيل اذ لا قول ثمة (فقضاهن سبع سموات فى يومين) اى المادة والصورة كالارض (واوحى فى كل سماء امرها) اى اشار اليها بما اراد من حركتها وتأثيرات ملكوتها وتدبيراتها وخواص كوكبها وكل ما يتعلق بها (وزينا السماء الدنيا) اى السطح الذى يلينا من فلك

واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم مافى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) * قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله) اى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمران يبطش به فانزل الله هذه الآية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) اى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) * قوله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم) يعنى معرفة احكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) اى الحلالات وهو ماوسع عليهم فى الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) اى على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين فى زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) اى بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجئ العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك انه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يامحمد (على شريعة) اى على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) اى من الدين (فاتبعها) اى اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا افضل منك قال تعالى (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) اى ان يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت اهواءهم (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة (والله ولى المتقين) اى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) اى معالم للناس فى الحدود والاحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات) اى اكتسبوا المعاصى والكفر (ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المومنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة والكافر كافر فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة وشتان مابين الحالين فى الحال والمآل (ساء ما يحكمون) اى بئس ما يقضون قال لى رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الدارى ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى اصبح اوقرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكى ام حسب الذين اجترحوا السيئآت

(الآية)

فلك القمر (بمصابيح) الشهب (و) حفظناها (حفظا من تخرق بصعود البخارات اليها ووصول القوى الطبيعية الشيطانية الى ملائكتها (ذلك تقدير العزيز) الغالب على امره كيف يشاء (العليم) الذى اتقن صنعه بعلمه اوائنكم لتكفرون وتحجبون بالغواشي البدنية عن الذى خلق ارض البدن وجعلها حجاب وجهه فى يومين اى شهرين اوحادثين مادة وصورة ويجعلون له اندادا بوقوفكم مع الغير ونسبتكم التأثير الى مالا وجود له ولا اثر ذلك الخالق هو الذى رب العالمين بأسمائه وجعل فيها رواسى الاعضاء من فوقها او رواسى الطبائع الموجبة للميل السفلى من القوى العصرية والصور المادية التى تقتضى ثباتها على حالها وبارك فيها بتهيئة الالات والاسباب والازاجات والقوى التى تتم بها المقتضيه رافعاله وقدر فيها اقواتها بتدبير الغاذية واعوانها وتقدير مجارى الغذاء وامور التغذية واسبابها وموادها فى تمام اربعة اشهر اى جميع ذلك فى اربعة اشهر

الآية ﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ﴾ اى بالعدل ﴿ ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون ﴾ ومعنى الآية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لايتم الا فى القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى الدرجات والدركات ❊ قوله عزوجل ﴿ افرايت من اتخذ الهه هواه ﴾ قال ابن عباس اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيأ الاركبه لانه لايؤمن بالله ولايخافه ولايحرم ماحرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ماتهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا راوا شيأ احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه فى النار ﴿ واضله الله على علم ﴾ اى علما منه بعاقبة امره وقيل على ماسبق فى علم الله انه ضال قبل ان يخلقه ﴿ وختم على سمعه وقلبه ﴾ اى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ اى ظلمة فهو لا يبصر الهدى ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ اى من بعد ان اضله الله ﴿ افلاتذكرون ﴾ قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره ﴿ وقالوا ﴾ يعنى منكرى البعث ﴿ ماهى الا حياتنا الدنيا ﴾ اى ماالحياة الا حياتنا الدنيا ﴿ نموت ونحيا ﴾ اى يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت ﴿ ومايهلكنا الا الدهر ﴾ اى ومايفنينا الا ممر الزمان واختلاف الليل والنهار ﴿ ومالهم بذلك من علم ﴾ اى لم يقولوه عن علم علموه ﴿ ان هم الا يظنون ﴾ (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار وفى رواية يؤذينى ابن آدم ويقول ياخيبة الدهر فلا يقولن احدكم ياخيبة الدهر فانى انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفى رواية يسب ابن آدم الدهر وانا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبرالله عزوجل عنهم بقوله ومايهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذهو الفاعل فى الحقيقة للامور التى يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لاتسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله اعلم ❊ قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ﴾ معناه ان منكرى البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا بصحة البعث ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لايعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ﴾ يعنى فى ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار ﴿ وترى كل امة جاثية ﴾ اى باركة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسى ان فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادى ربه لا اسألك الانفسى ﴿ كل امة تدعى الى كتابها ﴾ اى الذى فيه

سواء متساوية اوفى مواد العناصر الاربعة ثم استوى اى بعد ذلك قصدا مستويا من غير ان يلوى الى شئ آخر الى سماء الروح وتسويتها وهى دخان اى مادة لطيفة من بخارية الاخلاط ولطافتها مرتفعة من القلب وقد جاء فى الحديث ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقى ام سعيد ثم ينفخ فيه الروح ويعضده حديث آخر فى ان نفخ الروح فى الجنين يكون بعد اربعة اشهر من وقت الحمل فقال لها وللارض البدن ائتيا اى تعلقت ارادته بتكونهما وصيرورتهما شيأ واحدا وخلقا جديدا فتكونا على ماأراد من الصورة وهذا معنى خلو الارض قبل السماء غير مدحوة ودحوها بعده فان المادة البدنية وان تخلف بدنا قبل اتصال الروح وانتفاخه فيها لكن الاعضاء لم تنبسط ولم ينفتق بعضها من بعض الابعده فقضاهن سبع سموات اى الغيوب

ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) اى من خير وشر (هذا كتابنا) يعنى ديوان الحفظة فان قلت كيف اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لامنافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) اى يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) اى نأمر الملئكة بنسخ اعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اى نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام مايكون من اعمال بنى آدم والاستنساخ لايكون الا من اصل فينسخ كتاب من كتاب (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) اى جنته (ذلك هو الفوز المبين) اى الظفر الظاهر (واما الذين كفروا) اى يقال لهم (افلم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى آيات القرآن (فاستكبرتم) اى عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعنى كافرين منكرين * قوله عزوجل (واذا قيل ان وعد الله حق) اى البعث كائن (والساعة لا ريب فيها) اى لا شك فى انها كائنة (قلتم ماندرى ماالساعة) اى انكرتموها وقلتم (ان نظن الا ظنا) اى مانعلم ذلك الاحدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) اى انها كائنة (وبدالهم) اى فى الآخرة (سيئات ماعملوا) اى فى الدنيا والمعنى بدالهم جزاء سيآتهم (وحاق بهم) اى نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اى تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين اى مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) اى هذا الجزاء (بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) يعنى حين قلتم لابعث ولاحساب (فاليوم لايخرجون منها) اى من النار (ولاهم يستعتبون) اى لايطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لايقبل ذلك اليوم عذر ولاتوبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) اى وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (فى السموات والارض) وحق لمثله ان يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن ابى سعيد وابى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعنى عذبته لفظ مسلم واخرجه البرقانى وابن مسعود رضى الله عنهما يقول الله عزوجل العز ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيأ منهما عذبته ولابى داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى احد منهما قذفته فى النار * شرح غريب الفاظ الحديث قيل هذا الكلام خرج على ماتعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عزوجل الازار والرداء مثلا له فى انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار

السبعة المذكورة من القوى والنفس والقلب والسر والروح والخفاء والحق الذى ادرج هويته فى هوية الشخص الموجود وتنزل ايجاده فى هذه المراتب واحتجب بها وان جعلت السبعة من المخلوقات حتى تخرج الهوية من جملتها فاحداها وهى الرابعة بين القلب والسر العقل وهى السماء الدنيا باعتبار دنوها من القلب الذى به الانسان انسانا فى يومين شهرين آخرين فتم مدة الحمل ستة شهرا ومدة خلق الانسان ولهذا اذا ولد بعد تمام الستة على راس الشهر السابع عاش مستوى الخلق اوفى طورين مجردة وغير مجردة او حادثين روح وجسد والله اعلم واوحى فى كل سماء من الطبقات المذكورة امرها وشأنها المخصوص بها من الاعمال والادراكات والمكاشفات والمشاهدات والمواصلات والماغيات والتجليات وزينا السماء الدنيا اى العقل بمصابيح الحجج والبراهين وحفظناها من استراق شياطين الوهم والخيال كلام الملا الاعلى من الروحانيات بالترقى الى

والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لايشاركه فى ازاره وردائه احد فكذلك الله تعالى لاينبغى ان يشاركه فيهما احد لانهما من صفاته اللازمة المختصة به التى لاتليق بغيره والله اعلم

﴿ تفسير سورة الاحقاف وهى مكية ﴾

قيل غير قوله قل ارأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهى اربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) اى بالعدل (واجل مسمى) يعنى يوم القيامة وهو الاجل الذى ينتهى اليه فناء السموات الارض (والذين كفروا عما انذروا) اى خوفوا به فى القرآن من البعث والحساب (معرضون) اى لايؤمنون به (قل ارأيتم ماتدعون من دون الله) يعنى الاصنام (اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا) اى بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ماتقولون (او اثارة من علم) اى بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الارض (ان كنتم صادقين) اى فى ان لله شريكا (ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له) يعنى الاصنام لاتجيب عابديها الى شئ يسألونها (الى يوم القيامة) يعنى لاتجيب ابدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعنى لانها جمادات لاتسمع ولاتفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) اى جاحدين (واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (ام يقولون افتراه) اى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يامحمد (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) اى لاتقدرون ان تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف افترى على الله من اجلكم (هو اعلم) اى الله اعلم (بما تفيضون فيه) اى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى وبينكم) اى ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) اى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به * قوله تعالى (قل) يامحمد (ماكنت بدعا) اى بديعا (من الرسل) اى لست باول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتى (ومادرى مايفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ماادرى مايفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ماامرنا وامر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع مايقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يانبى الله قد علمت مايفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وانزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كثيرا فبين الله مايفعل به وبهم

الافق العقلى واستفادة الصور القياسية لترويج اكاذيبها وتخيلاتها بها (فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لاينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) اى غيرت صورا عضائهم وصورت اشكالها على هيئة الاعمال التى ارتكبوها وبدلت جلودهم وابشارهم فتنطق

وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان ام العلاء امرأة من الانصار وكانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في اثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي انت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين والله اني لارجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا ازكي بعده احدا يا رسول الله قالت واريت لعثمان في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار عن سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا اما في الآخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التي اريت فسكت فانزل الله هذه الآية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اأترك في مكاني ام اخرج انا وانتم الى الارض التي رفعت لي وقيل لا ادري الى ماذا يصير امري وامركم في الدنيا اما انا فلا ادري اخرج كما اخرجت الانبياء من قبلي ام اقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلي واما انتم ايها المصدقون فلا ادري اتخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل بكم ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام يخسف بكم ام اي شيء يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم اخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته وقيل معناه لا ادري الى ماذا يصير امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر دينه على الاديان وامته على سائر الامم ❊ وقوله (ان اتبع الا ما يوحى الي) معناه ما اتبع غير القرآن الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيأ (وما انا الا نذير مبين) اي انذركم العذاب وابين لكم الشرائع (قل ارأيتم) اي اخبروني ماذا تقولون (ان كان من عند الله) يعني القرآن (وكفرتم به) ايها المشركون (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) اي انه من عند الله (فآمن) يعني الشاهد (واستكبرتم) اي عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك اليس قد ظلمتم وتعديتم (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ما روي عن انس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض يخترف النخل فاتاه وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة ومن اي شيء ينزع الولد الى ابيه ومن اي شيء ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى

بلسان الحال وتدل بالاشكال على ما كانوا يعملون ولنطقها بهذا اللسان قالت (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) اذ لا يخلو شيء ما من النطق ولكن الغافلين لا يفهمون (وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (وقيضنا لهم قرناء) اي قدرنا لهم اخدانا واقرانا من شياطين الانس اوالجن من الوهم والتخيل لتباعدهم من الملا الاعلى ومخالفتهم بالذات للنفوس القدسية والانوار الملكوتية بانغماسهم في المواد الهيولانية واحتجابهم بالصفات النفسانية وانجذابهم الى الاهواء البدنية والشهوات الطبيعية فناسبوا النفوس الارضية الخبيثة والكدرة المظلمة وخالفوا الجواهر القدسية والذوات المجردة فجعلت

الله عليه وسلم اخبرنى بهن انفا جبريل قال فقال عبدالله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرا هذه الآية من كان عدو الجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه فى الولد فان الرجل اذا غشى المراة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يارسول ان اليهود قوم بهت ان علموا ان تسألهم عنى بهتونى عندك فجائت اليهود ودخل عبدالله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى رجل فيكم عبدالله بن سلام قالوا اعلمنا وابن اعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم عبدالله قالوا اعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد فى رواية فقال يعنى عبدالله بن سلام هذا الذى كنت اخاف يارسول الله اخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال ماسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من الجنة الا لعبدالله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائل على مثله قال الراوى لادرى قال مالك الآية او فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله مانزلت فى عبدالله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبدالله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انها من عندالله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم انتم يامعشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لايهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عندالله ثم كفرتم به فانكم لاتكونون مهتدين بل تكونون ضالين ❁ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين آمنوا لوكان خيرا) يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم (ماسبقونا اليه) يعنون عبدالله بن سلام واصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لوكان مايدعونا اليه محمد خيرا ماسبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا يعنى جهينة ومزينة لوكان ماجاء به محمد خيرا ماسبقنا اليه رعاء البهم ❁ قال الله تعالى (واذلم يهتدوا به) اى القران كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) اى كذب متقدم (ومن قبله) اى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما) اى جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) اى من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) اى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ❁ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) اى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (حملته امه كرها) يعنى حين اثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعنى ومدة

الشياطين اقرانهم وحجبوا عن نور الملكوت (فزينوا لهم مابين ايديهم) مايحضرتهم من اللذات البهيمية والسبعية والشهوات الطبيعية (وما خلفهم) من الآمال والامانى التى يدركونها (وحق عليهم القول) فى القضاء الالهى بالشقاء الابدى كائنين (فى امم قدخلت من قبلهم من الجن والانس) المكذبين بالانبياء والمحجوبين عن الحق من الباطنين والظاهرين (انهم كانوا خاسرين) لخسرانهم نور الاستعداد الاصلى وربح الكمال الكسبى ووقوعهم فى الهلاك الابدى والعذاب السرمدى (وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) اى حنق المحجوبون واغتاظوا على من اضلهم من الفريقين عند وقوع العذاب وتمنوا ان يكونوا فى اشد من عذابهم واسفل من دركاتهم لما لقوا من الهوان والم النيران وعذاب الحرمان والخسران بسببهم وارادوا ان يشفوا صدورهم برؤيتهم فى اسوا احوالهم وانزل مراتبهم كما ترى من وقع فى البلية بسبب

حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) اى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو مابين ثمان عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ اربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن ابى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك انه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب ابى بكر اليقين والتصديق فكان لايفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به ابو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب اوزعنى) اى الهمنى (ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى) اى بالايمان والهداية وقال على بن ابى طالب فى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى ابى بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان اسلم ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وان اعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس اجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (واصلح لى فى ذريتى) فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابى بكر اسلام ابويه ابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبدالرحمن وابن عبد الرحمن ابى عتيق محمد فهؤلاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابى بكر * وقوله (انى تبت اليك) اى رجعت اليك الى كل ماتحب (وانى من المسلمين) اى واسلمت بقلبى ولسانى (اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ماعملوا) يعنى اعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ونتجاوز عن سيآتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى اصحاب الجنة) اى مع اصحاب الجنة (وعد الصدق) اى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيآتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يوعدون) اى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت (اف لكما) وهى كلمة كراهية (اتعدانى ان اخرج) اى من قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلى) اى فلم يبعث منهم احد (وهما يستغيثان الله) اى يستصرخان بالله عليه ويقولان له (ويلك آمن ان وعدالله حق) اى بالبعث (فيقول ماهذا) اى الذى تدعوانى اليه (الا اساطير

رفيق اشار اليه بما اوقعه فيها يتجرد عليه ويتغيظ ويكاد ان يقع فيه مع غيبته ويحرق (ان الذين قالوا ربنا الله) اى وحدوه بنفى غيره وعرفوه بالايقان حق معرفته (ثم استقاموا) اليه بالسلوك فى طريقه والثبات على صراطه مخلصين لاعمالهم عاملين لوجهه غير ملتفتين بها الى غيره (تتنزل عليهم الملائكة) للمناسبة الحقيقية بينهم فى التوحيد الحقيقى والايمان اليقينى والعمل الثابت على منهاج الحق والاستقامة فى الطريقة اليه غير ناكثين فى عزيمة ولا منحرفين عن وجهه ولا زائغين فى عمل كما نسيت نفوس المحجوبين من اهل الرذائل الشياطين بالجواهر المظلمة والاعمال الخبيثة فتنزلت عليهم (الا تخافوا) من العقاب لتنور ذواتكم بالانوار وتجردها عن غواسق الهيات (ولا تحزنوا) بفوات كمالاتكم التى اقتضاها استعدادكم (وابشروا) بجنة الصفات (التى كنتم توعدون) حال الايمان بالغيب اوقالوا ربنا الله بالفناء فيه ثم استقاموا به بالبقاء بعد الفناء عند التمكين تتنزل عليهم الملائكة للتعظيم

الاولين) قال ابن عباس نزلت فى عبدالرحمن بن ابى بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول احيوالى عبدالله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا فى عبدالرحمن بن ابى بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال له عبدالرحمن بن ابى بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذى انزل الله فيه والذى قال لوالديه اف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القرآن الا ما انزل الله فى سورة النور من براءتى والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت فى عبدالرحمن بن ابى بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى (اولئك الذين حق عليهم القول) اعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبدالرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اى وجب عليهم العذاب (فى امم) اى مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عندالله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى اسفل (وليوفيهم اعمالهم) اى جزاء اعمالهم (وهم لايظلمون) * قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) اى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعنى ان كل ماقدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه فى الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) اى الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثانى الفسق وهو المعاصى والاول من عمل القلوب والثانى من عمل الجوارح

﴿ فصل ﴾ لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر فى جنبه فقلت استأنس على يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افى شك انت ياابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله (ق) عن عائشة قالت ماشبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتى علينا الشهر مانوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نؤتى باللحيم وفى رواية اخرى قالت انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة فى شهرين وما اوقد فى ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال

عند الرجوع الى التفصيل اذ فى حال الفناء لاوجود للملائكة ولا لغيرهم الا تخافوا من التلوين ولا تحزنوا على الاستغراق فى التوحيد فان اهل الوحدة اذا ردوا الى التفصيل ورؤية الكثرة غلب عليهم الحزن والوجد فى اول الوهلة لفوات الشهود الذاتى فى عين الجمع والاحتجاب بالتفصيل حتى يتمكنوا فى التحقيق بالحق حال البقاء وانشراح الصدر بنور الحق فلا تحجبهم الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة شاهدين فى تفاصيل الصفات عين الذات بالذات كما قال تعالى لنبيه عليه السلام فى هذه الحال الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك وابشروا بجنة الذات الشاملة لجميع مراتب الجنان التى كنتم توعدونها فى مقام تجليات الصفات (نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) واحباؤكم فى الدارين للمناسبة الوصفية والجنسية الاصلية بيننا وبينكم كما ان الشياطين اولياء المحجوبين لما بينهم من الجنسية والمشاركة فى الظلمة والكدورة (ولكم فيها

ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون) من المشاهدات والتجليات والروح والريحان والنعيم المقيم اى اذا بلغتم الكمال الذى هو مقتضى استعدادكم فلاشوق لكم الى ماغاب عنكم بل كل ماتشتهون وتتمنون فهو مع الاشتهاء والتمنى حاضر لكم فى الجنان الثلاث (نزلا) معدا لكم (من غفور) ستر اكم بنوره ذنوب آثاركم وافعالكم وصفاتكم وذواتكم (رحيم) رحكم بتجليات افعاله وصفاته وذاته وابدالكم بها اياها (ومن احسن قولا) اى حالا اذ كثيرا مايستعمل القول بمعنى الفعل والحال ومنه قالوا ربنا الله اى جعلوا دينهم التوحيد ومنه الحديث هلك المكثرون الا من قال هكذا وهكذا اى اعطى (ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) اى ممن اسلم وجهه الى الله فى التوحيد وعمل بالاستقامة والتمكين ودعا الخلق الى الحق للتكميل فقدم الدعوة الى الحق والتكميل لكونه اشرف المراتب ولاستلزامه الكمال العلمى والعملى والا لما صحت الدعوة وان صحت ما كانت الى الله اى الى ذاته

عروة قلت ياخاله فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتابعة طاويا واهله لايجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه الترمذى وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت فى الله مالم يخف احد واوذيت فى الله مالم يؤذ احد ولقد اتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام الاشئ يوارى ابط بلال (خ) عن ابى هريرة قال لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء امازار واما كساء قد ربطوا فى اعناقهم فنها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم بن عبدالرحمن ان عبدالرحمن بن عوف اتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال واراه قال قتل حمزة وهو خير منى فلم يوجد مايكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا مابسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبدالله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ماهذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر اوكلما اشتهيت ياجابر اشتريت اما تخاف هذه الآية اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ❊ قوله تعالى (واذكر اخا عاد) يعنى هودا عليه السلام (اذ انذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل عمل سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احياء باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف مااستدار من الرمل (وقد خلت النذر) اى مضت الرسل (من بين يديه) اى من قبل هود (ومن خلفه) اى من بعده (الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا اجئتنا لتافكنا) اى لتصرفنا (عن آلهتنا) اى عبادتها (فأتنا بما تعدنا) اى من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى ان العذاب نازل بنا (قال) يعنى هودا (انما العلم عند الله) يعنى هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وابلغكم ما ارسلت به) يعنى من الوحى الذى انزله الله على وامرنى بتبليغه اليكم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) يعنى قدر العذاب الذى ينزل بكم (فلما رأوه) يعنى رأوا مايوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعنى رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذى يعرض فى ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل اوديتهم) وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله ردا عليهم (بل هو ما استعجلتم به) يعنى من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب اليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شئ بامر ربها) يعنى تهلك كل شئ

مرت به من رجال عاد واموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفى هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد فى رواية وكان اذا رأى غيما عرف فى وجهه قالت يارسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رأيت غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال ياعائشة ومايؤمننى ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة فى السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما ادرى لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفى رواية اخرى قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى اسألك خيرها وخير مافيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ما ارسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت السماء سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله ياعائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا غيمت وقولها سرى عنه اى كشف وازيل عنه ما كان به من الغم والحزن* وقوله تعالى ﴿فاصبحوا لاترى الامساكنهم﴾ قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ماترى يامحمد الامساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لايرى الآثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة ﴿كذلك نجزى القوم المجرمين﴾ يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ﴿ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال ﴿وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة﴾ يعنى انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم فى امر الدين فما استعملوها الا فى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ﴿فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ﴾ يعنى انه لما نزل بهم العذاب مااغنى ذلك عنهم شيأ ﴿اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطالبونه على سبيل الاستهزاء ﴿ولقد اهلكنا ماحولكم من القرى﴾ الخطاب لاهل مكة يعنى اهلكنا قرى ديار ثمود وهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك ﴿وصرفنا الآيات﴾ يعنى وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد ﴿لعلهم يرجعون﴾ يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر ﴿فلولا﴾ يعنى فهلا نصرهم

اى الى ذاته الموصوفة بجميع الصفات فان العالم الغير العامل ان دعا كانت دعوته الى العليم والعامل الغير العالم الى الغفور الرحيم والعالم العامل العارف الكامل صحت دعوته الى الله (ولاتستوى الحسنة ولا السيئة) لكون الاولى من مقام القلب تجر صاحبها الى الجنة ومصاحبة الملائكة والثانية من مقام النفس تجر صاحبها الى النار ومقارنة الشياطين (ادفع بالتى هى احسن) اذا امكنك دفع السيئة من عدوك بالحسنة التى هى احسن فلا تدفعها بالحسنة التى دونها فكيف بالسيئة فان السيئة لاتدفع بالسيئة بل تزيد وتعلو ارتفاع النار بالحطب فان قابلتها بمثلها كنت منحطا الى مقام النفس متبعا الشيطان سالكا طريق النار ملقيا اصحابك فى الاوزار وجاعلا نفسك من جملة الاشرار متسببا لازدياد الشر معرضا عن الخير وان دفعتها بالحسنة سكنت شرارته واذلت عداوته وثبت فى مقام القلب على الخير وهديت الى الجنة وطردت الشيطان وارضيت

الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة) يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعني بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم * قوله عزوجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الآية

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال المفسرون لما مات ابوطالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءله من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الآخر ماوجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان اردعليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم مافعلتم فاكتموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيد ذلك في تجرئهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فانت رؤف وانت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك على غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لاحول ولاقوة الابك فلما رأى ابا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام مايقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اى البلاد انت ياعداس ومادينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس

الرحمن وانخرطت في سلك الملكوت ومحوت ذنب صاحبك بالندامة وان دفعتها بالتي هي احسن ناسبت الحضرة الرحيمية بالرحموت وصرت باتصافك بصفاته تعالى من اهل الجبروت وافضت من ذاتك فيض الرحمة على صاحبك فصار (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ومايلقيها) ولامر ما قال النبي عليه السلام لوجاز ان يظهر البارئ اظهر بصورة الحلم ولايلاقي هذه الخصلة الشريفة والفضيلة العظيمة (الا الذين صبروا) مع الله فلم يتغيروا بزلة الاعداء لرؤيتهم منه تعالى وتوكلهم عليه وانصافهم بحلمه او طاعتهم لامره (وما يلقاها الاذو حظ عظيم) من الله بالتخلق باخلاقه (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسك نخس بالمقابلة بالسيئة وداعية بالانتقام وهيجان من غضبك (فاستعذ بالله) بالرجوع الى جنابه والتجا الى حضرته من شره ووسوسته ونزغه بالبراءة عن افعالك وصفاتك والفناء فيه عن حولك وقوتك (انه هو السميع)

ومايدريك مايونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخى كان نبيا وانا نبى فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال احدابنى ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى مافى الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرنى بامر مايعلمه الا نبى فقالا له ويحك ياعداس لايصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به واجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفى الآية قول آخر وسيأتى فى سورة الجن وهو حديث مخرج فى الصحيحين من حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة بلغنا انهم من بنى الشيطان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعنى فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه احد غيرى قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم امرنى ان اجلس فيه وقال لاتخرج منه حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت ارى مثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى لااسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى فقال لى نمت فقلت لا والله يارسول الله قد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سألونى المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يارسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبى صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يارسول الله ومايغنى ذلك عنهم فقال انهم لايجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتانى فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معى اداوة فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ابن مسعود قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة

لما هجس ببالك من احاديث نفسك واقوالك (العليم) بنياتك ومابطن من احوالك (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) ليل ظلمة النفس بظهور صفاتها الساترة للنور لتقعوا فى السيآت وتستعدوا لقبول الوساوس الشيطانية ونهار نور الروح باشراق اشعتها من القلب الى النفس فتباشروا الحسنات وتدفعوا السيآت بها وتمتنعوا عن قبول الوساوس وتتعرضوا للنفحات وشمس الروح وقمر القلب (لا تسجدوا للشمس) بالفناء فيه والوقوف معه والاحتجاب به عن الحق (ولا للقمر) بالوقوف مع الفضائل والكمالات والتبوأ الى جنة الصفات (واسجدوا لله الذى خلقهن) بالفناء فى الذات (ان كنتم اياه تعبدون) موحدين مخصصين العبودية به دون غيره لا مشركين ولا محجوبين (فان استكبروا) عن الفناء فيه بظهور الانائية والطغيان والاستعلاء بصفات النفس والعدوان (فالذين عند ربك) من السابقين الفانين فيه (يسبحون له بالليل والنهار)

الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتاب الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد قال ماصحبه منا احد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمساه في الاودية والشعاب فقلنا استطير اواغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات قوم قال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر مايكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه * واما تفسير الآية فقوله تعالى واذصرفنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يامحمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروي ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب ﴿ يستمعون القرآن فلما حضروه ﴾ الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن ﴿ قالوا انصتوا ﴾ يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شئ فانصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه ﴿فلما قضي﴾ اي فرغ من قراءته ﴿ولوا﴾ اي رجعوا ﴿ الى قومهم منذرين ﴾ يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لايدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الابعد ايمانهم به وتصديقهم له ﴿ قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا ﴾ قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا ﴿ لما بين يديه ﴾ يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب ﴿ يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ﴾ يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة ﴿ ياقومنا اجيبوا داعي الله ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لايوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على انه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله ﴿وآمنوا به﴾ فان قلت قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ماامر به فيدخل

بالتجريد والتنزيه عن حجب ذواتهم وصفاتهم دائما بليل الاستتار في مقام التفصيل ونهار التجلي في مقام الجمع (وهم لايسأمون) لكونهم قائمين بالله ذاكرين بالمحبة الذاتية (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فأذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير ان الذين يلحدون في آياتنا) اي يميلون ويزيغون فيها من طريق الحق الى الباطل فينسبونها الى غير الحق لاحتجابهم عنه ويتلونها بأنفسهم فيفهمون منها مايناسب صفاتهم (لايخفون علينا) وان خفينا عنهم (افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز) منيع محمي عن ان يمسه ويفهمه النفوس الخبيثة المحجوبة فتغيره وتطلع عليه المبطلة فتبطله لبعده عن مسالغ عقولهم وما اعتقدوه من باطلهم اذ (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) جهة من الجهات

فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المأمور به واشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ﴾ قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا اجرت عليهم احكام الاسلام فمن اتى بذنب اخذ به مالم يتب منه او يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى ﴿ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ﴾ يعني لا يعجز الله فيفوته ﴿ وليس له من دونه اولياء ﴾ يعني انصارا يمنعونه من الله ﴿ اولئك ﴾ يعني الذين لم يجيبوا داعي الله ﴿ في ضلال مبين ﴾ * قوله تعالى ﴿ اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ﴾ يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه ﴿ بقادر على ان يحيي الموتى ﴾ يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله ﴿ بلى انه على كل شئ قدير ﴾ يعني من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شئ ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ فيه اضمار تقديره فيقال لهم ﴿ اليس هذا بالحق ﴾ يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ هذا اعتراف منهم على انفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ * قوله عز وجل ﴿ فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر على اذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم وصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم اولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم

لا من جهة الحق فيبطله بما هو ابلغ منه واشد احكاما في كونه حقا وصدقا ولا من جهة الخلق فيبطلونه بالالحاد في تأويله ويغيرونه بالتحريف لكونه ثابتا في اللوح محفوظا من جهة الحق كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) اي هو للمؤمنين بالغيب هداية تهديهم الى الحق وتبصرهم بالمعرفة وشفاء يزيل امراض قلوبهم من الرذائل كالنفاق والشك اي تبصرهم بطريق النظر والعمل فتعلمهم وتزكيهم (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد) من المحجوبين لا يسمعونه ولا يفهمونه بل يشتبه عليهم ويلتبس لاستيلاء الغفلة عليهم وسد الغشاوات الطبيعية والهيآت البدنية طرق اسماع قلوبهم وابصارها فلا ينفذ فيها ولا يتنبهوا بها ولا يتيقظوا الا كالذي ينادى من مكان بعيد لبعدهم عن منبع

النور الذى يدرك به الحق ويرى وانما كهم فى ظلمات الهيولى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وماربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وماتحمل من انثى ولاتضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائى قالوا آذناك مامنا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من محيص لايسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن اذقناه رحمة منامن بعد ضراء مسته ليقولن هذالى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم) اى نوفقهم للنظر فى تصاريفنا للممكنات واحوالها (حتى

اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشر لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح فى قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين فى قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الآية روى البغوى بسنده عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولالآل محمد ياعائشة ان الله لم يرض من اولى العزم الابالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا ان كلفنى ماكلفهم فقال فاصبر كماصبر اولوا العزم من الرسل وانى والله لابدلى من طاعته والله لاصبرن كماصبروا ولاجهدن ولاقوة الابالله ❊ قوله تعالى (ولاتستعجل لهم) يعنى اصبر على اذاهم ولاتستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لامحالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون مايوعدون) يعنى من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) يعنى فى الدنيا (الا ساعة من نهار) يعنى انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان مامضى وان كان طويلا فهو يسير الى مايدوم عليهم من العذاب وهو ابدا لآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) اى هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب اذا نزل (الاالقوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لايهلك مع رحمة الله وفضله الاالقوم الفاسقون ولهذ قال قوم مافى الرجاء لرحمة الله اية اقوى من هذه الآية والله اعلم

﴿ تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية وهى ثمان وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم) يعنى ابطلها ولم يتقبلها منهم واراد بالاعمال ماكانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم اول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لايضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعنى ابطلها لانها لم تكن لله ولابأمره انما فعلوها من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم ابوجهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة

ابنا ربعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسلام اومنعوا انفسهم من الدخول فى الاسلام اضل اعمالهم يعنى ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين ﴿وآمنوا بمانزل على محمد﴾ يعنى القرآن الذى انزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع مايجب من الايمان بجميع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشان القرآن الكريم وتنبيها على انه لايتم الايمان الابه واكدذلك بقوله ﴿وهو الحق من ربهم﴾ وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بمانزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ ﴿كفر عنهم سيآتهم﴾ يعنى ستر بايمانهم وعملهم الصالح ماكان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ماكان منهم ﴿واصلح بالهم﴾ يعنى حالهم وشانهم وامرهم بالتوفيق فى امور الدين والتسليط على امور الدنيا بمااعطاهم من النصر على اعدائهم وقيل اصلح بالهم يعنى قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم ايام حياتهم يعنى ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لايعصوا ﴿ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ يعنى الشيطان ﴿وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ يعنى القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيآت المؤمنين كائن بسبب اتباع المؤمنين الحق من ربهم ﴿كذلك يضرب الله للناس امثالهم﴾ الضمير امثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب للناس امثال انفسهم اوانه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى ضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله امثال حسنات المؤمنين وامثال اعمال الكافرين للناس ❊ قوله ﴿فاذا لقيتم الذين كفروا﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فضرب الرقاب﴾ يعنى فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانماخص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع مايكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الامر بالقتل ولان الرأس من اشرف اعضاء البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء ﴿حتى اذا اثخنتموهم﴾ يعنى بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتهم النهوض والحركة ﴿فشدوا الوثاق﴾ يعنى فى الاسرى والمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لايفلتوا منكم والوثاق اسم لمايوثق به اى يشد به ﴿فامامنا بعد واما فداء﴾ يعنى بعد الاسر اما ان تمنوا عليهم منا با طلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء

❊ فصل فى حكم هذه الآية ❊ اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله فامّا تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج واليه ذهب الاوزاعى واصحاب الرأى قالوا لايجوز

يتبين لهم) بطريق الاستدلال واليقين البرهانى (انه الحق اولم يكف بربك) للذين شاهدوه من اهل العيان (انه على كل شئ شهيد) حاضر مطلع اى لم يكف شهوده على مظاهر الاشياء فى معرفته وكونه الحق الثابت دون غيره حتى تحتاج الى الاستدلال بافعاله او التوسل بتجليات صفاته وهذا هو حال المحبوب المكاشف بالجذب قبل السلوك والاول حال المحب السالك المجاهد لطلب الوصول (الا انهم فى مرية من لقاء ربهم) لاحتجابهم بالكون عن المكون والمخلوق عن الخالق (الا انه بكل شئ محيط) لايخرج عن احاطته شئ والا لم يوجد اذ حقيقة كل شئ عين علمه تعالى ووجوده به وعلمه عين ذاته وذاته عين وجوده فلا يخرج شئ عن احاطته اذ لا وجود لغيره ولا عين ولا ذات كل شئ هالك الا وجهه كما قال كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

﴿سورة حم عسق﴾

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(حم عسق) اى الحق ظهر بمحمد ظهور علمه بسلامة قلبه

فالحق محمد ظاهرا وباطنا والعلم سلامة قلبه عن النقص والآفة اى كماله وبروزه عن الحجاب اذ تجرد القلب ظهور العلم (كذلك) مثل ذلك الظهور على مظهرك وظهور علمه على قلبك (يوحى اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء (الله) الموصوف بجميع صفاته (العزيز) الممتنع بسرادقات جلاله وستور صفاته (الحكيم) الذى يظهر كما له بحسب الاستعدادات ويهدى بالوسايط ولمظاهر جميع العباد على وفق قبول الاستعداد (له مافى السموات ومافى الارض) كلها مظاهر صفاته وصور مملكته ومحال افعاله (وهو العلى) عن التقيد بصورها والتعين بأعيانها (العظيم) الذى تضاءلت وتصغرت فى سلطانه وتلاشت وتفانت فى عظمته (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) لتأثرهن من تجليات عظمته وتلاشين من علو قهره وسلطته (والملائكة) من العقول المجردة والنفوس المدبرة (يسبحون بحمد ربهم) ذاته بتجرد ذواتهم

لمن على من وقع فى الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل او الاسترقاق اعمار أى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام اوضرب العنق ويجوز ان يكون المراد ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من اهل الذمة ويراد بالفداء ان يفادى باسراهم اسرى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعود واحربا للمسلمين وذهب اكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال اوباسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء واكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى واحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل فى الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن ابى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه فى سارية من سوارى المسجد فخرج اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماعندك ياثمامة فقال عندى خير يامحمد ان تقتل تقتل ذادم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ماعندك ياثمامة قال ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ماعندك ياثمامة قال عندى ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله والله ماكان على الارض ابغض الى من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الى والله ماكان من دين ابغض الى من دينك فاصبح دينك احب الدين كله الى والله ماكان من بلد ابغض الى من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد كلها الى وان خيلك اخذتنى وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل اصبوت قال لا ولكنى اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخارى عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف اخرجه الشافعى فى مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا * وقوله تعالى (حتى تضع الحرب اوزارها) يعنى اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعنى حتى يضعوا اسلحتهم ويمسكوا عن القتال واصل الوزر مايحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون اوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبائح اعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى

يدخل اهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلايكون بعده جهاد ولاقتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخر امتى الدجال هكذا ذكره البغوى بغير سند وقال الكلبى معناه حتى يسلموا او يسالموا قال الفراء حتى لايبقى الا مسلم اومسالم ﴿ ذلك ﴾ يعنى الذى ذكر وبين من حكم الكفار ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ يعنى ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم ﴿ ولكن ﴾ يعنى ولكن امركم بالقتال ﴿ ليبلو بعضكم ببعض ﴾ يعنى فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب ﴿ والذين قتلوا فى سبيل الله ﴾ يعنى الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون فى سبيل الله ﴿ فلن يضل اعمالهم ﴾ يعنى فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التى عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل ﴿ سيهديهم ﴾ يعنى ايام حياتهم فى الدنيا الى ارشد الامور وفى الآخرة الى الدرجات العلى ﴿ ويصلح بالهم ﴾ ويرضى اعمالهم ويقبلها ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ بين لهم منازلهم فى الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لايخطؤنها ولايستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن اهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله فى الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف اى مطيب * قوله عز وجل ﴿ ياايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ﴾ يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله وحزبه ﴿ ينصركم ﴾ يعنى على عدوكم ﴿ ويثبت اقدامكم ﴾ يعنى عند القتال وعلى الصراط ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم ﴾ قال ابن عباس يعنى بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الاخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعواله وارادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت اقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لايجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم ﴿ واضل اعمالهم ﴾ يعنى ابطل اعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان ﴿ ذلك ﴾ يعنى التعس والضلال ﴿ بانهم كرهوا ماانزل الله ﴾ يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ماانزل الله ﴿ فاحبط اعمالهم ﴾ يعنى فابطل اعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى ﴿ افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة ﴿ دمر الله عليهم ﴾ يقال دمره الله يعنى اهلكه ودمر عليه اذا اهلك مايختص به والمعنى اهلك الله عليهم مايختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم ﴿ وللكافرين ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ امثالها ﴾ يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الاخرة ﴿ ذلك ﴾ يعنى

حامدين له بكمالات صفاتهم (ويستغفرون لمن فى الارض) بافاضة الانوار على اعيانهم ووجوداتهم بعد استفاضتهم اياها من الحضرة الاحدية (الا ان الله هو الغفور) بستر ظلمات ذوات الكل من الملائكة والناس بنور ذاته (الرحيم) بافاضة الكمالات بتجليات صفاته على وجوداتهم لا غيره (والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون مالهم من ولى ولانصير) كلهم على الفطرة موحدين بناء على القدرة ولكن بنى امره على الحكمة فجعل بعضهم موحدين عادلين وبعضهم مشركين ظالمين كما قال ولا يزالون مختلفين لتتميز المراتب وتتحقق السعادة والشقاوة وتمتلئ الدنيا والآخرة والجنة والنار ويحصل لكل اهل

الاهلاك والهوان (بان) اى بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى امورهم (وان الكافرين لامولى لهم) يعنى لاناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لاتضر ولاتنفع ولاتنصر من عبدها فلاجرم لاناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لامولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل احد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة الابطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لاعقل لها ولاتمييز وكذلك الكافر لاعقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ماعبد ماتضره ولاينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما اعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم ❊ قوله تعالى (وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك) يعنى اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله (اهلكناهم) ولم يقل اهلكناها (فلا ناصر لهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله تعالى الى الله واحب بلاد الله الى ولو ان المشركين لم يخرجونى لم اخرج منك فانزل الله هذه الآية (افمن كان على بينة من ربه) يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر ابوجهل ومن معه من المشركين (واتبعوا اهواءهم) يعنى فى عبادة الاوثان ❊ قوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما اعد لكل واحد من الفريقين فبين اولا ما اعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لايقتضى مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد فى النار (فيها) يعنى الجنة التى وعد المتقون (انهار من ماء غير آسن) يعنى غير متغير ولامنتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) يعنى كما تتغير البان الدنيا فلايعود حامضا ولاقارصا ولامايكره من الطعوم (وانهار من خمر لذة للشاربين) يعنى ليس فيها حموضة ولاعفوصة ولامرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولاصداع ولاخمار بل هى لمجرد الالتذاذ فقط (وانهار من عسل مصفى) يعنى ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم تخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا

ويستتب النظام ويحدث الانتظام (ام اتخذوا من دونه اولياء) لاولاية لهم فى الحقيقة اذ لاقدرة ولاقوة ولاوجود (فالله هو الولى) دون غيره لتولية كل شئ وسلطانه وحكمه (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) المحيى القادر فكيف تستقيم ولاية غيره (وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت) بفناء الافعال فلا اقابل افعالكم بفعلى (واليه انيب) بفناء صفاتى فلا اظهر بصفة من صفاتى فى مقابلة صفات نفوسكم (فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ) اى كل الاشياء فانية فيه هالكة فلا شئ يماثله فى الشيئية والوجود (وهو السميع) الذى يسمع به كل من يسمع (البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم) الذى يبصر به كل من يبصر جمعا وتفصيلا يفنى الكل بذاته ويبدئهم بصفاته بيده مفاتيح الارزاق وخزائن الملك والملكوت يبسط ويقدر بمقتضى علمه

عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي ءه ❊ وقوله تعالى ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان مأكول اهل الجنة للذة لا لحاجة ولهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة ﴿ ومغفرة من ربهم ﴾ فان قلت المومن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه ❊ قوله تعالى ﴿ كمن هو خالد في النار ﴾ يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم لمن هو خالد في النار لا يخرج منها وهو قوله ﴿ وسقوا ماء حميما ﴾ يعني شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم (و) اذا شربوه ﴿ قطع امعاءهم ﴾ يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ❊ قوله تعالى ﴿ ومنهم ﴾ يعني ومن هؤلاء الكفار ﴿ من يستمع اليك ﴾ وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه ﴿ حتى اذا خرجوا من عندك ﴾ يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك ﴿ قالوا ﴾ يعني المنافقين ﴿ للذين اوتوا العلم ﴾ يعني من الصحابة ﴿ ماذا قال آنفا ﴾ يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر اي ابتدأته قال

على من يشاء من خلقه بحسب مصالحهم في الغنى والفقر (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) المطلق الذي وصى جميع الانبياء باقامته واجتماعهم عليه وعدم تفرقهم فيه وهو اصل الدين اي التوحيد والعدل وعلم المعاد المعبر عنه بالايمان بالله واليوم الآخر دون فروع الشرائع التي اختلفوا فيها بحسب المصالح كاوضاع الطاعات والعبادات والمعاملات كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فالدين القيم هو المتعلق بما لا يتغير من العلوم والاعمال والشريعة هي المتعلقة بما يتغير من القواعد والاوضاع (كبر على المشركين) المحجوبين عن الحق بالغير (ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) من التوحيد لكونهم اهل المقت ومظاهر الغضب والقهر ليسوا من المحبوبين الذين اجتباهم الله بمحض عنايته ومجرد مشيئته ومن المحبين الذين وفقهم الله للانابة اليه بالسلوك

مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبدالله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (اولئك) يعني المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا اهواءهم) يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق امات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل (والذين اهتدوا) يعني المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدي الذي ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله اياهم الى الايمان (زادهم هدى) يعني انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاءبه عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم (وآتاهم تقواهم) يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى * قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة) يعني الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن * وقوله تعالى (فقد جاء اشراطها) اى اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا مستبعدا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها قاله المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما (ق) عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شئ يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن انس قال عند قرب وفاته الا احدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به احد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل او قال ويظهر

والاجتهاد والسير فيه بالشوق والافتقار فهداهم اليه بنور وجهه وجمال ذاته لجذب المحبوبين اليه قبل السلوك والرياضة بسابقة الاجتباء وخص المحبين بعد التوفيق بالسلوك والرياضة بالاصطفاء وطرد المحجوبين عن بابه وابعدهم عن جنابه بسابقة كلمة القضاء عليهم بالشقاء (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك) التفرق في الدين (فادع) الى التوحيد (واستقم كما امرت) في التحقق بالله والتعبد حق العبودية ودم على التمكين ولا تظهر نفسك بصفة عند انكارهم واستمالتهم اياك في موافقتهم (ولا تتبع اهواءهم) المتفرقة بالتلوين فيضلوك عن التوحيد (وقل امنت بما انزل الله من كتاب) اى اطلعت على كمالات جميع الانبياء وجمعت في علومهم ومقاماتهم وصفاتهم واخلاقهم فكمل توحيدي وصرت حبيبا لكمال محبتي ورسخت في نفسي فتمت عدالتي وهذا معنى قوله (وامرت لاعدل

الجهل (خ) عن ابى هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا ذا يارسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة ❊ وقوله تعالى (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعنى فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذ جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذ جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان فى ذلك الوقت (فاعلم انه لااله الا الله) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لااله الا هو فما فائدة هذا الامر واجيب عنه بان معناه دم على ماانت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس اى دم على ماانت عليه من الجلوس او يكون معناه اردد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته قال ابو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجا ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذى لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لااله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلاملك ولاحكم لاحد الا الله الذى لااله الا هو (واستغفر لذنبك) امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به امته وليقتدوا به فى ذلك (م) عن الاغر المزنى اغر مزينة قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى حتى استغفر فى اليوم مائة مرة وفى رواية قال توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى عز وجل مائة مرة فى اليوم (ح) عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم سبعين مرة وفى رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبى الغين التغطية والستر اى يلبس على قلبى ويغطى وسبب ذلك مااطلعه عليه من احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر فى امور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذى يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيى الدين النووى عن القاضى عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذى كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر او غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبى خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل فى معنى الآية استغفر لذنبك اى لذنوب اهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعنى من غير اهل بيته وهذا اكرام

بيننكم الله ربنا وربكم) هو التثبيت فى مقام التوحيد والتحقيق (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) صورة الاستقامة والتمكين فى العدالة (لاحجة بيننا وبينكم) لكمال المحبة والصفاء لاقتضاء مقام التوحيد النظر اليهم بالسواء (الله يجمع بيننا) فى القيامة الكبرى والفناء (واليه المصير) فى العاقبة للجزاء (والذين يحاجون فى الله) لاحتجابهم بنفوسهم (من بعد مااستجيب له) بالاستسلام والانقياد لديه وقبول التوحيد بسلامة الفطرة (حجتهم داحضة عند ربهم) لكونها ناشئة من عند انفسهم لااصل لها عند الله (وعليهم غضب) لاستحقاقهم لذلك بظهور رغضبهم (ولهم عذاب شديد) لحرمانهم (الله الذى انزل الكتاب بالحق) اى العلم التوحيدى بالمحبة التى اقتضت استحقاقه لذلك فكان حقاله (والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب) اى العدل واذا حصل العلم والتوحيد فى الروح والمحبة فى القلب والعدل فى النفس قرب الفناء فى الله ووقوع القيامة الكبرى (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين

من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعنى منصرفكم ومنتشركم فى اعمالكم فى الدنيا ومثواكم يعنى مصيركم الى الجنة او الى النار وقيل متقلبكم فى اشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى * قوله تعالى ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ﴾ وذلك ان المؤمنين كانوا احراصا على جهاد فى سبيل الله فقالوا فهلا انزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكى نجاهد ﴿ فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ﴾ قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى اشد القرآن على المنافقين ﴿ رايت الذين فى قلوبهم مرض ﴾ يعنى نفاقا وهم المنافقون ﴿ ينظرون اليك ﴾ يعنى شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو ﴿ نظر المغشى عليه من الموت ﴾ يعنى كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت ﴿ فاولى لهم ﴾ فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم فى التهديد ويلك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدا بقوله ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ فعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل لهم واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل واحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه ﴿ فاذا عزم الامر ﴾ فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا امر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾ يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم ﴿ فهل عسيتم ﴾ اى فلعلكم ﴿ ان توليتم ﴾ يعنى اعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم احكامه ﴿ ان تفسدوا فى الارض ﴾ يعنى تعودوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام ﴿ وتقطعوا ارحامكم ﴾ قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك وقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى

آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده) بلطف بهم فى تدبير ايصال كمالاتهم اليهم وتهيئة اسبابها وتوفيقهم للاعمال المقربة لهم اليها (يرزق من يشاء) العلم الوافر بحسب عنايته به فى هيئة استعداده له (وهو القوى القاهر (العزيز) الغالب يمنع من يشاء بمقتضى عدله وحكمته ولكل احد نصيب من اللطف والقهر لا يخلو احد منهما وانما تفاوت الانصباء بحسب الاستعدادات والاسباب والاعمال والاحوال (من كان يريد حرث الآخرة) بقوة ارادته وشدة طلبه لزيادة نصيب اللطف وتوجهه واقباله الى الحق لحيازة القرب (نزد له) فى نصيبه فنصلح حال آخرته ودنياه لان الدنيا تحت الآخرة وظلها ومثالها وصورتها تتبعها (ومن كان يريد حرث الدنيا) واقبل بهواه الى جهة السفل وتعلق همه بزيادة نصيب القهر وبعد عن الحق (نؤته منها) ماهو

معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى قرابة ونسب تجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عزوجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم امر الناس ان تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجى المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشرى معناه انه لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان ياهؤلاء ماترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا (اولئك) اشارة الى من اذا تولى افسد فى الارض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعنى ابعدهم من رحمته وطردهم عن جنته (فاصمهم) يعنى عن سماع الحق (واعمى ابصارهم) يعنى عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وان كان لهم اسماع وابصار فى الظاهر (افلا يتدبرون القرآن) يعنى يتفكرون فيه وفى مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر فى عاقبة الشئ ومايؤول اليه امره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (ام على قلوب اقفالها) يعنى بل على قلوب اقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطى فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم واقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف مالا يطاق جائز عندنا لان الله امر بالايمان لمن سبق فى علمه انه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل مايريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون القرآن المراد به التاسى وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ماهم فيه من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة اوكالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراد * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعى من كبار التابعين واجلهم لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك ※ قوله عزوجل (ان الذين ارتدوا على ادبارهم) يعنى رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ماتبين لهم الهدى) يعنى من بعدما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار اهل

نصيبه وما قسم له وقدر لامزيد عليه (وما له فى الآخرة من نصيب) لاعراضه عنها وعقد همه بالادون و وقوفه معه وجعله حجابا للاشرف وادباره عن النصيب الاوفر فلا يتهيأ لقبوله ولا يستعد لحصوله اذا لا يتبع الفرع (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى) استثناء منقطع وفى القربى متعلق بمقدر اى المودة الكائنة فى القربى ومعناه نفى الاجر اصلا لان ثمرة مودة اهل قرابته عائدة اليهم لكونها سبب نجاتهم اذ المودة تقتضى المناسبة الروحانية المستلزمة لاجتماعهم فى الحشر كما قال عليه الصلاة والسلام المرء يحشر مع من احب فلا تصلح ان تكون اجرا له ولا يمكن من تكدرت روحه وبعدت عنهم مرتبته محبتهم بالحقيقة ولا يمكن من تنورت روحه وعرف الله واحبه من اهل التوحيد ان لا يحبهم لكونهم اهل بيت النبوة ومعادن الولاية والفتوة محبوبين فى العناية الاولى مربوبين للمحل الا على فلا يحبهم الا من

الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ماعرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون آمنوا اولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعنى زين لهم القبيح حتى راوه حسنا (واملى لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله يعنى امهلوا ومد لهم فى العمر وقرئ واملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى واملى لهم الشيطان بان مد لهم فى الامل فان قلت الاملاء والامهال لايكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فامعنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملى هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم فى اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر (ذلك) اشارة الى التسويل والاملاء (بانهم) يعنى بان اهل الكتاب والمنافقين (قالوا للذين كرهوا مانزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم فى بعض الامر) يعنى من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم * ثم قال (والله يعلم اسرارهم) يعنى انه تعالى لاتخفى عليه خافية من امرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعنى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وادبارهم ذلك) يعنى ذلك الضرب (بانهم) يعنى بسبب انهم (اتبعوا ما اسخط الله) يعنى ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعنى كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاحبط اعمالهم) التى عملوها من اعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره (ام حسب الذين فى قلوبهم مرض) اى شك ونفاق وهم المنافقون (ان لن يخرج الله اضغانهم) يعنى يظهر احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنين نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) لماقال تعالى ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قائلا قال لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما اخر ذلك لمحض المشيئة لالخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم اى لامانع لناس من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهى ان التعريف قد يطلق ولايلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذى لايقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعنى بعلامتهم اى تجعل لك علامة تعرفهم بها قال انس ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطأ فصرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب او التصحيف ومعنى الآية وانك يامحمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لايتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ولو لم يكونوا محبوبين من الله فى البداية لما احبهم رسول الله اذ محبته عين محبته تعالى فى صورة التفصيل بعد كونه فى عين الجمع وهم الاربعة المذكورون فى الحديث الآتى بعد الاترى ان له اولادا آخرين وذوى قرابات فى مراتبهم كثيرين لم يذكرهم ولم يحرص الامة على محبتهم تحريضهم على محبة هؤلاء وخص هؤلاء بالذكر روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة والحسن والحسين وابناؤهما ثم لما كانت القرابة تقتضى المناسبة المزاجية المقتضية للجنسية الروحانية كان اولادهم السالكون لسبيلهم التابعون لهديهم فى حكمهم ولهذا حرض على الاحسان اليهم ومحبتهم مطلقا ونهى عن ظلمهم وايذائهم ووعد على الاول ونهى عن الثانى قال النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن

ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ❊ ثم قال تعالى (والله يعلم اعمالكم) يعني اعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله ❊ قوله تعالى (ولنبلونكم) يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعني انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من بادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم اى على الوجود والظهور (ونبلو اخباركم) يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعني خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيأ) يعني انما يضرون انفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط اعمالهم) يعني وسيبطل اعمالهم فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر ❊ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولا تبطلوا اعمالكم) قال عطاء يعني بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما انتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبى لا تبطلوا اعمالكم بالرياء والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا اعمالكم بالمعاصى والكبائر قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضرهم مع الايمان ذنب كما لا يقع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد ان تحبط اعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصى ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما والله تعالى اعدل واكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من اصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل فى صلاة تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم فى الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم اصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد اصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين ايضا ان سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فانى صائم قال لست بآكل حتى تأكل فاكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت فى بنى اسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت فى اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر

اصطنع ضيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا اجازيه عليها غدا اذ القينى يوم القيامة وقال عليه السلام من مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا الا ومن مات على حب آل محمد مات شهيدا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب محمد وآل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حبه آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة (ومن يقترف حسنة) بمحبة آل الرسول

والقوا فى قليب بدر وحكمها عام فى كل كافر مات على كفره فالله لايغفر له لقوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا ايها المؤمنون (وتدعوا الى السلم) يعنى ولا تدعوا الكفار الى الصلح ابدا منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا (وانتم الاعلون) يعنى وانتم الغالبون لهم والعالون عليهم اخبر الله تعالى ان الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين فى بعض الاوقات (والله معكم) يعنى بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب (ولن يتركم اعمالكم) يعنى لن ينقصكم شيأ من ثواب اعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يؤتيكم اجورها * ثم حض على الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) اى باطل وغرور يعنى كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها فى عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب مايشغل الانسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب وان اشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم) يعنى يؤتكم جزاء اعمالكم فى الآخرة (ولا يسئلكم اموالكم) يعنى ان الله تعالى لايسأل من العباد اموالهم لاعطاء الاجر عليها بل يأمرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم بها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم اموالكم وقيل معناه لايسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اموالكم كلها فى الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم وهو زكاة اموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى فى اموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة على انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسئلكموها) الضمير عائد الى الاموال (فيحفكم) يعنى يجهدكم بطلبها كلها والاحفاء المبالغة فى المسئلة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح (تبخلوا) يعنى بالمال فلا تعطوه (ويخرج اضغانكم) يعنى بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان الاحفاء بمسئلة الاموال مخرج للاضغان (ها انتم هؤلاء) يعنى انتم ياهؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) قيل اراد به النفقة فى الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة ووجوه البر والكل فى سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعنى بما فرض عليه اخراجه من الزكاة او ندب الى انفاقه فى وجوه البر (ومن يبخل) يعنى بالصدقة واداء الفريضة فلايتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) اى على نفسه (والله الغنى) يعنى عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغنى المطلق الذى له ملك السموات والارض (وانتم الفقراء) يعنى اليه والى ماعنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما امركم به والزمكم اياه (يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم) يعنى يكونون اطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هو العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

(نزله فيها حسنا) بمتابعته لهم فى طريقتهم لان تلك المحبة لاتكون الا لصفاء الاستعداد وبقاء الفطرة وذلك يوجب التوفيق لحسن المتابعة وقبول الهداية الى مقام المشاهدة فيصير صاحبها من اهل الولاية ويحشر معهم فى القيامة (ان الله غفور) بتنويره ظلمة صفات من احب اهله (شكور) لسعى من ناسبهم فيحبهم بتضعيف جزاء حسناته وافاضة كمالاته بتجليات صفاته ليوافقهم (فان يشأ الله يختم على قلبك) اى لايفترى على الله الا من هو مختوم القلب منهم (ويمح الله الباطل) كلام مبتدأ اى ومن عادة الله ان يمحو الباطل (ويحق الحق بكلماته) وقضائه ان كان افتراء يمحه ويثبت نقيضه وان كان الافتراء ما يقولون فكذلك (وما عندالله خير وابقى) لكونه اشرف وادوم (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) الايمان اليقينى ولا يتوكلون الاعلى ربهم بفناء الافعال اى الذين علمهم اليقين وعملهم التوكل بالانسلاخ عن افعالهم (والذين يجتنبون كبائر

قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا واصحابه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وله فى رواية اخرى عن ابى هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذى نفسى بيده اوكان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق فى الصحيح ترد فى سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الفتح وهى مدنية ﴾

(خ) عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيرى حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل فى قرآن فما لبثت ان سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت ان يكون نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزل على الليلة سورة لهى احب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واخرجه الترمذى وزاد فيه وكان فى بعض اسفاره بالحديبية (ق) عن انس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على آية هى احب الى من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخارى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرجه الترمذى عن قتادة عن انس قال انزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على الليلة آية احب الى مما على الارض ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يارسول الله لقد بين لك ماذا يفعل بك فما ذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا فى هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد انه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التى يفتحها الله عز وجل له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضى قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم

الاثم) التى هى وجوداتهم وهواخس صفات نفوسهم التى تظهر بأفعالها فى مقام المحو (واذا ما غضبوا) فى تلويناتهم (هم يغفرون) اى الاخصاء بالمغفرة دون غيرهم (والذين استجابوا لربهم) بلسان الفطرة الصافية اذا دعاهم الى التوحيد بتجلى نور الوحدة (واقاموا) صلاة المشاهدة ولم يحتجبوا بآرائهم وعقولهم بل (امرهم شورى بينهم) لعلمهم ان الله مع كل احد شأنا واليه نظرا وفيه سرا ليس لغيره ذلك الشأن والنظر والسر (ومما رزقناهم ينفقون) بالتكميل (والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون) بالعدالة احترازا عن الذلة والانظلام لكونهم فى مقام الاستقامة قائمين بالحق والعدل الذى ظلة فى نفوسهم (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعده ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم

الامور ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان يأتى يوم لامرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) اى الابتلائة اوجه اما بوحى وله الى مقام الوحدة والفناء

بالفتح وجئ به بلفظ الماضى جريا على عادة الله تعالى فى اخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنالك فى حكمنا وتقديرنا وماقدره وحكم به فهو كائن لامحالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن انس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه * عن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا وما شيتنا وركابنا وقال الشعبى فى قوله انا فتحنالك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزهرى لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام فى قلوبهم فاسلم فى ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم * وقوله عز وجل (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام فى قوله ليغفر الله لام كى والمعنى فتحنالك فتحا مبينا لكى يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله فى سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنالك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع مافرط منك ماتقدم من ذنبك يعنى قبل النبوة وما تأخر يعنى بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراسانى ماتقدم من ذنبك يعنى من ذنب ابويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعائك لهم وقال سفيان الثورى ماتقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعنى كل شئ لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول اعط من تراه ومن لم تراه واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ماوقع لك من ذنب ومالم يقع فهو مغفورلك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ماعسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيآت المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفورله فاعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفورله ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك

(صراطا)

صراط مستقيما) يعنى ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدى بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعنى غالبا ذاعز وضعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فامعناه قلت معناه ذاعزة كقوله عيشة راضية اى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل او العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا * قوله تعالى (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يعنى الطمأنينة والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن طمانينة الا التى فى سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة والثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب النصر الذى وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم * ثم قال تعالى (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان فى قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم امر اونهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل دينهم فكلما امروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبى هذا فى امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عزوجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهى جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة فى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عزوجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله عزوجل ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل سكينة فى قلوبكم ايها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدائه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعنى بجميع جنوده

فيه ثم التحقق بوجوده فى مقام البقاء فيوحى اليه بلا واسطة كما قال الله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فأوحى الى عبده ما اوحى (او من وراء حجاب) بكونه فى حجاب القلب ومقام تجليات الصفات فيكلمه على سبيل المناجاة والمكالمة والمكاشفة والمحادثة دون الرؤية لاحتجابه بحجاب الصفات كما كان حال موسى عليه السلام (او يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء) من الملائكة فيوحى اليه على سبيل الالقاء والنفث فى الروع والالهام او الهاتف او المنام كما قال عليه السلام ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها (انه على) من ان يواجه ويخاطب بل يفنى ويتلاشى من يواجهه لعلوه من ان يبقى معه غيره ويحتمل شئ حضوره (حكيم) يدبر بالحكمة وجوه التكليم ليظهر علمه فى تفاصيل المظاهر ويكمل به عباده ويهتدوا اليه ويعرفوه * ومثل ذلك الايحاء على الطرق الثلاثة (وكذلك اوحينا اليك

الذين فى السموات والارض (حكيما) يعنى فى تدبيرهم وقيل عليما بما فى قلوبكم ايها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على اعدائكم * قوله عزوجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد تقدم ماروى عن انس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى مايفعل بك فما ذا يفعل بنا فانزل الله عزوجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم) فان قلت تكفير السيئات انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لاتقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيآت والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر اولى (الظانين بالله ظن السوء) يعنى انهم ظنوا ان الله تعالى لاينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعنى وابعدهم وطردهم عن رحمته (واعد لهم جهنم) يعنى فى الآخرة (وساءت مصيرا) يعنى ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره بقى ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم اخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلاحاجة لهم بعد ذلك الى شئ واخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان قلت قال فى الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال فى هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه قلت لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب ان تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذى انتقام وقوله اخذناهم اخذ عزيز مقتدر * قوله تعالى (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ذكره فى معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه

روحا) تحيا به القلوب الميتة (من) عالم (امرنا) المنزه عن الزمان المقدس عن المكان (ماكنت تدرى ما الكتاب) اى العقل الفرقانى الذى هو كمالك الخاص بك (ولا الايمان) اى الخفى الذى حصل لك عند البقاء بعد الفناء حال كونك محجوبا بغواشى نشأتك وحال وصولك لفنائك وتلاشى وجودك (ولكن جعلناه نورا) عند استقامتك (نهدى به من نشاء من عبادنا) المخصوصين بالعناية الازلية اما المحبوبين واما المحبين (وانك) ايها الحبيب (لتهدى) بنا من تشاء (الى صراط مستقيم) لا يبلغ كنهه ولا يدرى وصفه (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) المخصوص به اى طريق التوحيد الذاتى الشامل للتوحيد الصفاتى والافعالى المسمى توحيد الملك اعنى سير الذات الاحدية مع جميع الصفات الظاهرة والباطنة بالكلية سموات الارواح وارض الجسم المطلق (الا الى الله تصير الامور) بالفناء فيه فينادى بذاته لمن الملك

الى الكافة شاهدا على اعمال امته ومبشرا يعنى لمن آمن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعنى لمن خالفه وعصى امره بالعقاب * ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (ليؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل اليهم (ويعزوروه) يعنى ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) يعنى ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذى هو التنزيه من جميع النقائص او من السبحة وهى الصلاة قال الزمخشرى والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال غيره الكنايات فى قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعنده تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة واصيلا) على ان الكناية فى ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعنى ويصلوا لله او ويسبحوا الله بالغداة والعشى * قوله عز وجل (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعنى ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله عز وجل بالجنة واصل البيعة العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهى قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء فى الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز فى الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اى شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رايتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى (يد الله فوق ايديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا نقله البغوى عنه وقال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازى يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد فى الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق ايديهم اى نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اى الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشرى لما قال انما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله

اليوم ويجيب هو نفسه بقوله لله الواحد القهار والله تعالى اعلم

﴿ سورة الزخرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حم والكتاب المبين انا جعلناه) اقسم بأول الوجود وهو الحق وآخره وهو محمد وما اجل قسما بما هو اصل الكل وكماله ولهذا كانت الشهادة بهما اساس الاسلام وعماد الايمان والجمع بينهما هو المذهب الحق والملة القويمة فان احدية الوجود والتأثير هو الجبر واثبات التفصيل فى الوجود والتأثير هو القدر والجمع بينهما بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله هو الصراط المستقيم والدين المتين او بما يناسب الكتاب وهو اللوح والقلم لقوله تعالى ن والقلم وما يسطرون وقد يكنى عن الكلمة بآخرها كما يكنى عنها بأولها فعلى الوجه الاول يمكن ان يؤول الكتاب بنفس محمد لكونه مبينا للحق جمعا وتفصيلا وكونه منزلا من عند الله (قرآنا) اى جامعا لجميع تفاصيل الوجود حاصرا للصفات الالهية والمراتب

صلى الله عليه وسلم التى تعلوا ايدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام واعا المعنى تقرير ان عقد الميثاق معرسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله هذا مذهب اهل التأويل وكلامهم فى هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ❋ وقوله تعالى (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) يعنى من نقض العهد الذى عهده مع النبى صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فان وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) يعنى من البيعة (فسيؤتيه اجرا عظيما) يعنى فى الآخرة وهو الجنة ❋ قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا اموالنا واهلونا) يعنى النساء والذرارى يعنى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) اى انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) يعنى انهم فى طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم ام لا (قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان اراد بكم ضرا) يعنى سوأ (او اراد بكم نفعا) وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبى صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر او يجعل لهم النفع بالسلامة لهم فى انفسهم واموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان اراد شيأ من ذلك لم يقدر احد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعنى من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا) يعنى ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى اهليهم (وزين ذلك فى قلوبكم) يعنى زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس فى قلب الانسان بالشئ ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعنى وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا ما يكون من امرهم (وكنتم قوما بورا) يعنى وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضى بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء

الوجودية والكمالية (عربيا لعلكم تعقلون) ما نخاطبكم به (وانه فى ام الكتاب) اى اصل الوجود فى الرتبة الاولى واول نقطة الوجود الاضا فى الممتاز بالتعين الاول عن الوجود المطلق التالى للهوية المحضة المشار اليه بقوله (لدينا لعلى) رفيع القدر بحيث لا رفعة وراءها (حكيم) ذو الحكمة اذ به ظهرت صور الاشياء وحقائقها اعيانها وصفاتها وترتيب الموجودات ونظامها على ما هى عليه واما على الوجه الثانى فلا يستقيم هذا التأويل بل هو القرآن المبين للتوحيد والتفصيل الدال عليهما المقسم به اجمالا وانه فى ام الكتاب اى الروح الاعظم المشتمل على كل العلوم بل كل الاشياء لدنيا قريبا مما اقرب من سائر العلوم الحاصلة فى مراتب التنزلات فان العلم اللدنى هو الذى انتقش فى الروح الذى هو اول الارواح قبل تنزله فى المراتب وكون القرآن ذا الحكمة كونه مشتملا على الحكمة النظرية المفيدة للاعتقادات الحقة من

اخبران له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ * قوله عزوجل ﴿ سيقول المخلفون ﴾ يعنى الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿ اذا انطلقتم ﴾ يعنى اذا سرتم وذهبتم ايها المؤمنون ﴿ الى مغانم لتأخذوها ﴾ يعنى غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وعدهم الله عزوجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ﴿ ذرونا نتبعكم ﴾ يعنى الى خيبر فنشهد معكم قتال اهلها وفى هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذلم يكن لهم هناك طمع فى غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة ﴿ يريدون ان يبدلوا كلام الله ﴾ يعنى يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعنى امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير منهم احدا الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا والقول الاول اصوب ﴿ قل ﴾ اى قل لهم يا محمد ﴿ لن تتبعونا ﴾ يعنى الى خيبر ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾ يعنى من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ يعنى يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئا ﴿ بل كانوا لا يفقهون الا قليلا ﴾ يعنى لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله عزوجل ﴿ قل للمخلفين من الاعراب ﴾ لما قال الله للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ قل لن تتبعونا ﴾ وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه جعل الله عزوجل لقبول توبتهم علامة وهى انهم يدعون الى قوم اولى بأس شديد فان اطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا فى المشار اليهم بقوله ﴿ ستدعون الى قوم اولى بأس شديد ﴾ من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا ابوبكر رضى الله تعالى عنه الى قتال بنى حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضى الله عنه الى قتال فارس وقال ابوهريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد واقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعدها قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر امرهم فى آخر الامر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقى طاهر او كافر مجاهر واما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبى صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبنى المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعى هو النبى صلى الله

التوحيد والنبوة وبيان احوال المعاد وامثالها فالحكمة العملية من بيان احكام افعال المكلفين كالشرائع وكيفية السلوك فى المراتب واحوال المكاسب والمواهب ﴿ افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ﴾ اى انهملكم ونصرف الذكر عنكم لاسرافكم وانما كانت الحاجة الى الذكر للاسراف اذلو كانوا على السيرة العادلة والطريقة الوسطى لما احتيج الى التذكير بل التذكير يجب عند الافراط والتفريط ولهذا بعث الانبياء فى زمان الفترة قال الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين ﴿ وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا

كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) اى اعترفوا بأنه خالق السموات والارض ومبدعهما وفاطر هما وقد جسموه وجزؤه باثبات الولد له الذى هو بعض من الوالد مماثل له فى النوع لكونهم ظاهريين جسمانيين لايتجاوزون عن رتبة الحس والخيال ولايتجردون عن ملابس الجسمانيات فيدركون الحقائق المجردة والذوات المقدسة فضلا

عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معى ابدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهى الوجه الثانى قوله اولى بأس شديد ولم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم اولى بأس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى ابدا مقيد بقيد هو ان يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى ابدا مادمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لابد منه من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم الوجه الثانى فى الجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معى ابدا يعنى فى غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبى صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معه او منعهم من الخروج الى الجهاد معه لا امتنع ابوبكر وعمر من الاذن لهم فى الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكوة من ثعلبة لامتناع النبى صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه الثانى وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولى بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولو بأس شديد فثبت بهذا البيان ان الداعى للمخلفين هو النبى صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابابكر دعاهم الى قتال بنى حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر فى الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار ❊ وقوله تعالى (تقاتلونهم او يسلمون) فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام او القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا) يعنى الجنة (وان تتولوا) يعنى تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعنى عام الحديبية (يعذبكم عذابا اليما) يعنى النار ولما نزلت هذه الآية قال اهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يارسول الله فانزل الله عز وجل (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة فى جواز ترك الجهاد لان اصحابها لايقدرون على الكر والفر لان الاعمى لايمكنه الاقدام على العدو والطلب ولايمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفى معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفى معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لايقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار اخر دون ماذكر وهى الفقر الذى لايمكن صاحبه ان يستصحب معه مايحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التى تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لايمكن الانتفاع به فى حرس ولاغيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به فى الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعنى فى امر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول) يعنى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا اليما) يعنى فى الآخرة ❊ قوله عز وجل (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعنى بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولايفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا

فررت بقوم يصلون فقلت ماهذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فأخبرته فقال سعيد كان ابى ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم فضحك وفى رواية عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لقد رايت الشجرة ثم اتيتها بعد عام فلم اعرفها وروى ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجر (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن ابى الزبير انه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الانصارى اختفى تحت بطن بعيره زاد فى رواية قال بايعناه على ان لانفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذى عن جابر فى قوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لانفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبدالله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة قال ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبدالله بن ابى اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ماذكر محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن امية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ماجاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يارسول الله انى اخاف على نفسى قريشا وليس بمكة من بنى عدى بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها منى عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم اردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به فقال ماكنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لانفر وقد تقدم ايضا الجمع بين هذا

عن ذوات الله تعالى فكل ما تصوروا وتخيلوا كان شيأ جسمانيا ولهذا كذبوا الانبياء فى اثبات الآخرة والبعث والنشور وكل مايتعلق بالمعاد اذلا يتعدى ادراكهم الحياة الدنيا وعقولهم المحجوبة عن نور الهداية امور المعاش فلامناسبة اصلا بين ذواتهم وذوات الانبياء الا فى ظاهر البشرية فلا حاجة الى ماوراءها * ولما سمعوا من اسلافهم قول الاوائل من الحكماء فى اثبات النفوس الملكية وتأنيثهم اياها اماباعتبار اللفظ واما باعتبار تأثرها وانفعالها عن الارواح المقدسة العقلية مع وصفهم اياها بالقرب من الحضرة الالهية توهموا انوثها فى الحقيقة التى هى بازاء الذكورة فى الحيوان مع اختصاصها بالله فجعلوها بنات وقلما يعتقدها العامى الا صورا انسية لطيفة فى غاية الحسن (وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) لما سمعوا من الانبياء تعليق الاشياء بمشيئة الله تعالى افترضوه وجعلوه ذريعة فى الانكار وقالوا ذلك لاعن علم وايقان بل على سبيل العناد والالحام

وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بنى اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا جد بن قيس اخو بنى سلمة قال جابر فكأنى انظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر من امر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وقوله تعالى (فعلم مافى قلوبهم) يعنى من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم مافى قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فانزل السكينة) يعنى الطمأنينة (عليهم) يعنى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفى هذه الآية لطيفة وهى ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عزوجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى فى الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة ويشهد لصحة ماتلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء فى فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم مافى قلوبهم من الصدق والايمان فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب فى قوله فعلم مافى قلوبهم قلت قوله فعلم مافى قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم مافى قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التى عندها علم الله بصدقهم والفاء فى قوله فانزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم مافى قلوبهم رضى عنهم فانزل السكينة عليهم * وقوله تعالى (واثابهم فتحا قريبا) يعنى خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى من اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعنى منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على ايديكم * قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعنى المغانم التى تغنمونها من الفتوحات التى تفتح لكم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التى يعطيهم الله عزوجل فى المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهى فى جنب ماوعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف ايدى الناس عنكم) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من بنى اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عزوجل ايديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم وقيل المعنى ان الله عزوجل كف ايدى اهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ماتقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعنى ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على ان ماوهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا ان الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم

ولهذا اردهم الله تعالى بقوله (مالهم بذلك من علم) اذ لو علموا ذلك لكانوا موحدين لا ينسبون التأثير الا الى الله فلا يسعهم الا عبادته دون غيره اذ لا يرون حينئذ لغيره نفعا ولا ضرا (ان هم الا يخرصون) لتكذيبهم انفسهم فى هذا القول بالفعل حين عظموهم وخافوهم وخوفوا انبياءهم من بطشهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولما خوفوا ابراهيم عليه السلام كيدهم اجاب بقوله ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيأ الى قوله وكيف اخاف ما اشركتم (ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابرهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية

صراط مستقيما) يعني ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتهم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

﴿ ذكر غزوة خيبر ﴾

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (ق) عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما مالم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * ونحن عن فضلك مااستغنينا
فثبت الاقدام ان لاقينا * وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال غفرلك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * اذا الحروب اقبلت تلتهب

قال وبرز له عمي عامر فقال

قد علمت خيبر اني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يارسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله او يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ واعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * اذا الحروب اقبلت تلتهب

فقال علي رضي الله عنه

انا الذي سمتني امي حيدره * كليث غابات كريه المنظره * اوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس بن مالك وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم

في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) لما لم يكونوا اهل معنى ولا حظ لهم الا من الصورة لم يتصوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ يعظمونه به اذ لا مال له ولا حشمة ولا جاه عندهم وعظم في اعينهم الوليد بن المغيرة واضرابه كأبي مسعود الثقفي وغيره لمكان حشمتهم ومالهم وخدمهم فاستخفوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لايناسب حاله

فخرج الى الناس فاخذ ابوبكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه على بن ابى طالب فضربه الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى اخذ السيف فى الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت امه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى يارسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحق فكان اول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن ابى الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيى بن اخطب جاء بها بلال وباخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عنى هذه الشيطانة وامر بصفية فجهزت خلفه والقى عليها رداء فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى انزعت منك الرحمة يابلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق ان قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ماهذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها فسألها عن ذلك ماهو فاخبرته الخبر واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ارأيت ان وجدناه عندك انقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله مابقى فابى ان يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام ان يعذبه حتى يستأصل ماعنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى اشرف عن نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة الغلس فركب نبى الله صلى الله عليه وسلم وركب ابوطلحة وانا رديف ابو طلحة فاجرى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى زقاق خيبر وان ركبتى لتمس فخذنبى الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعنى الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبى فجاء دحية فقال يارسول الله اعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيى فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله

اصطفاء الله اياه وكرامته عنده ولوكان هذا القرآن من عند الله لاختار له رجلا عظيما كالوليد وابى مسعود فانزل عليه لتناسب حاله عظمة الله فردهم الله لانهم ليسوا بقاسمى رحمة الدين والهداية التى لاحظ لهم منها ولا معرفة لهم بها بل ليسوا بقاسمى ماهم يعرفونه ويتصرفون فيه من المعيشة والحطام الدنيوى الذى يتهالكون على كسبه ولا يقصدون الا اياه فكيف بما لم يشموا عرفه ولم يعرفوا حاله (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو قرين) قرئ يعش بضم الشين وفتحها والفرق ان عشا يستعمل اذا نظر نظر العشى لعارض او متعمد امن غير آفة فى بصره وعشى اذا ايف بصره فعل الاول معناه ومن كان له استعداد صاف وفطرة سليمة لادراك ذكر الرحمن اى القرآن النازل من عنده وفهم معناه وعلم كونه حقا فتعامى عنه لغرض دنيوى وبغى وحسدا ولم يفهمه ولم يعلم حقيقته لاحتجابه بالغواشى الطبيعية واشتغاله باللذات الحسية عنه او لاغترازه

اعطيت دحية صفية بنت حي سيدة قريضة والنضير لاتصلح الالك قال ادعوه فجاء بها فلنظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة مااصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الآخر يجئ بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شئ فليجئ به ربسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الآخر يجئ بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبدالله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفؤا القدور ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيأ فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة (ق) عن انس ان امرأة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجئ بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقال اردت لاقتلك فقال ماكان الله ليسلطك على ذلك او قال على قالوا انقتلها قال لا فمازلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة مازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيماء واريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ان يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان اهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولاركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسألت اي عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فامابشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم

بدنه وما هو عليه من اعتقاده ومذهبه الباطل نقيض له شيطانا جنيا فيغويه بالتسويل والتزيين لما انهمك فيه من اللذات وحرص عليه من الزخارف او بالشبه والاباطيل المغوية لما اعتكف عليه بهواه من دينه او انسيا يغويه ويشاركه في امره ويجانسه في طريقه ويبعده عن الحق وعلى الثاني معناه ومن ايف استعداده في الاصل وشق في الازل بعمى القلب عن ادراك حقائق الذكر وقصر عن فهم معناه نقيض له شيطانا من نفسه او من جنسه يقارنه في ضلالته وغوايته (وانهم ليصدونهم عن السبيل) وان الشياطين يصدون قرناءهم عن طريق الوحدة وسبيل الحق (ويحسبون انهم مهتدون) الهداية فيما هم عليه (حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) اي حضر عقابنا اللازم لاعتقاده واعماله والعذاب المستحق لمذهبه ودينه تمنى غاية البعد بينه وبين شيطانه الذي اضله عن الحق وزين له ماوقع بسببه في العذاب واستوحش من قرينه

ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك فقال بلغت من قومي مالا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال ياام بشر مازالت اكلة خيبر التى اكلت مع ابنك تعاودنى فهذا اوان انقطاع ابهرى فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة * عن عبيدالله بن سلمان ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبى فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يارسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ماربحه احد من اهل هذا الوادى قال ويحك وماربحت قال مازلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلثمائة اوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئك بخير ربح قال وماهو يارسول الله قال ركعتان بعد الصلاة اخرجه ابوداود ❊ قوله تعالى (واخرى لم تقدروا عليها) يعنى وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها (قد احاط الله بها) يعنى حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هى فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا اخولا لهم حتى اقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هى خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هى مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى آخر الزمان (وكان الله على كل شئ قديرا) اى من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) اى اسد وغطفان واهل خيبر (لولوا الادبار) اى لانهزموا عنكم (ثم لايجدون وليا ولانصيرا) يعنى من تولى الله خذلانه فلاناصر له ولا مساعد (سنة الله التى قدخلت من قبل) يعنى هذه سنة الله فى نصر اوليائه وقهر اعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) ❊ قوله عزوجل (وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ماروى عن انس ابن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزنى كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى اصل الشجرة التى قال الله فى القرآن وعلى ظهره غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته على ظهره وعلى بن ابى طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد اوهل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لافخلى سبيلهم ومعنى الآية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذى كان اعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم يعنى ايدى اهل مكة وايديكم عنهم اى قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادى مكة (من بعد ان اظفركم عليهم) اى مكنكم حتى ظفرتم بهم (وكان

واستذمه لعدم الوصلة الطبيعية وانقطاع الاسباب بينهما بفساد الآلات البدنية (ولن ينفعكم اليوم اذظلمتم انكم فى العذاب مشتركون افانت تسمع الصم اوتهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين فاما نذهبن بك فانامنهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم فاناعليهم مقتدرون فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون ومانريهم من آية الا هى اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا ياايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولايكاد يبين فلولا القى عليه اسورة من

ذهب اوجاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير ام هوماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون ان هو الاعبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) التمني وقت حلول العذاب واستحقاق العقاب اذثبت وصح ظلمكم في الدنيا وتبين عاقبته وكشف عن حاله لانكم مشتركون في العذاب لاشتراككم في سببه اوولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب من شدته وايلامه (وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها) اى ان عيسى عليه السلام مما يعلم به القيامة الكبرى وذلك ان نزوله من اشراط الساعة قيل في الحديث ينزل على ثنية من الارض المقدسة اسمها افيق وبيده حربة يقتل بها الدجال ويكسر الصليب ويهدم

الله بما تعملون بصيرا) * قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) ﴿ذكر صلح الحديبية﴾ روى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة قلد الهدى واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتى عتبة الخزاعى وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا على ايها الناس اترون ان اميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله اوترون ان نؤم البيت لا نريد قتال احد ولا حربا فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابوبكر يارسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ماشعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كانت بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت القصوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصوا وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسي بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذى نفسي بيده لاقاتلنهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ماتقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشئ وقال ذووالراى منهم هات ماسمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال اى قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم باهلى وولدى ومن اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد ارايت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابوبكر رضى الله عنه امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابوبكر قال اما والذى نفسى بيده لولا يد لك عندى ولم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اى غدر الست اسعى فى غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امر ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه وقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال قد رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من عرض الوادى فى قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابى لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى تأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال مكرز بن حفص فقال دعونى آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرنى ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال

البيع والكنائس ويدخل بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على دين محمد صلى الله عليه وسلم فالبنية المسماة افيق اشارة الى مظهره الذى يتجسد فيه والارض المقدسة الى المادة الطاهرة التى يتكون منها جسده والحربة اشارة الى صورة القدرة والشوكة التى تظهر فيها وقتل الدجال بها اشارة الى غلبته على المتغلب المضل الذى يخرج هو فى زمانه وكسر الصليب وهدم البيع والكنائس اشارة الى رفعه للاديان المختلفة ودخوله بيت المقدس اشارة الى وصوله الى مقام الولاية الذاتية فى الحضرة الالهية الذى هو مقام القطب وكون الناس فى صلاة الصبح اشارة الى اتفاق المحمديين على الاستقامة فى التوحيد عند طلوع صبح يوم القيامة الكبرى بظهور نور شمس الوحدة وتأخر الامام اشارة الى شعور القائم بالدين المحمدى فى وقته بتقدمه على الكل فى الرتبة

(سهل)

سهيل اما الرحمن والله ما ادرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال لما اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسالونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيأ ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا قال فارنيه فاراه اياه فمحاه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وفى رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة اشياء على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن انس ان قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا * رجعنا الى حديث الزهرى * قال بينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول من اقاضيك عليه ان ترده الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شئ ابدا قال النبى صلى الله عليه وسلم فأجره لى قال ما انا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال ابو جندل اى معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر الى جنب ابى جندل وجعل يقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر رجوت ان يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم امر ابى جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ قال الزهرى فى حديثه عن مروان والمسور ورواه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل

لمكان قطبيته وتقدم عيسى عليه السلام اياه واقتداؤه به على الشريعة المحمدية اشارة الى متابعته لملة المصطفوية وعدم تغييره للشرائع وان كان يعلمهم التوحيد العيانى ويعرفهم احوال القيامة الكبرى وطلوع الوجه الباقى هذا اذا كان المهدى عيسى بن مريم على ماروى فى الحديث لا مهدى الا عيسى بن مريم وان كان المهدى غيره فدخوله بيت المقدس وصوله الى محل المشاهدة دون مقام القطب والامام الذى يتأخر هو المهدى وانما يتأخر مع كونه قطب الوقت مراعاة لادب صاحب الولاية مع صاحب النبوة وتقديم عيسى عليه السلام اياه لعلمه بتقدمه فى نفس الامر لمكان قطبيته وصلاته خلفه على الشريعة المحمدية اقتداؤه به تحقيقا للاستفاضة منه ظاهرا وباطنا والله اعلم وانما قال (واتبعون هذا صراط مستقيم) لان الطريقة المحمدية هى صراط الله لكونه باقيا به بعد الفناء فدينه دين الله وصراطه صراط الله واتباعه اتباع

قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى قلت اولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى افأخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال فاتيت ابابكر فقلت يا ابابكر اليس هذا نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به قال بلى افاخبرك انه آتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعلمت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ماقام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على ام سلمة فذكر لها مالقى من الناس قالت ام سلمة يانبى الله اتحب ذلك اخرج ثم لاتكلم منهم احدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى هداياه جملا لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا فى الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابى سفيان والاخرى صفوان بن امية قال فنهاهم ان يردوا النساء وامرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا ياكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارنى انظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فوالله مابرح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله اوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم فانجانى الله تعالى منهم فقال

الله فلا فرق بين قوله واتبعونى وقوله واتبعوا رسولى ولهذا كان متابعته تورث محبة الله اذ طريقه هى طريق الوحدة الحقيقية التى لا استقامة الا بها ولهذا لم يسع عيسى الا اتباعه عند الوصول الى الوحدة وارتفاع الاثنينية يوجب المحبة الحقيقية (ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لايشعرون) اى ظهور المهدى دفعة وهم غافلون عنه (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ماتشتهيه الانفس

النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لوكان معه احد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بصير ويل امه مسعر حرب لوكان معه احد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت ابو جندل فلحق بابى بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه فهو آمن فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وانزل الله عزوجل وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت اخرجه البخاري بطوله سوى الفاظ منه وهى مستثناة فى الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه الى قوله فوالله مازال يجيش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمه الى قوله فقالوا كف عنا ياحليس حتى نأخذ لانفسنا ما ترضى به ومنها قوله هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهرى ومنها قوله وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياابا جندل الى قوله قال عمر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري فى صحيحه * شرح غريب الفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع فى العدد بالكسر وقد يفتح هو مابين الثلاثة الى التسعة وقيل مابين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له اى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء من القارة انضموا الى بنى ليث فى محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم وادبا سفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين اى منقوصين قوله فنفذوا اى مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدى الجيش ليطلعوا على اخبار العدو قوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير الذى يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوا يعنى انها لما توقفت عن المشى وتقهقرت ظنوا ذلك خلا فى خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت اى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل اى منعها عن المسير والذى منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق الاذن قوله خطة اى حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهى فروضه ومايجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهى قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه فى المطالع والثمد الماء القليل الذى لامادة له والتبرض اخذ الشئ قليلا قليلا وقوله فما زال يجيش بارى يقال جاشت

وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون) الخلة امالن تكون خيرية اولا والخيرية اما ان تكون فى الله اولله والغير الخيرية امالن يكون سببها اللذة النفسانية او النفع العقلى والقسم الاول هو المحبة الروحانية الذاتية المستندة الى تناسب الارواح فى الازل لقربها من الحضرة الاحدية وتساويها فى الحضرة الواحدية التى قال فيها فما تعارف منها ائتلف فهم اذا برزوا فى هذه النشأة واشتاقوا الى اوطانهم فى القرب وتوجهوا الى الحق وتجردوا عن ملابس الحس ومواد الرجس فلما تلاقوا تعارفوا واذا تعارفوا تحابوا لتجانسهم الاصلى وتماثلهم الوضعى وتوافقهم فى الوجهة والطريقة وتشابههم فى السيرة والغريزة وتجردهم عن الاغراض الفاسدة والاعراض الذاتية التى هى سبب العداوة وانتفع كل منهم بالآخر فى سلوكه وعرفانه وتذكره لاوطانه والتذ بلقائه وتصفى بصفاته وتعاونوا فى امور الدنيا والآخرة فهى الخلة التامة الحقيقية التى لاتزول ابدا

البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والرى ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته فى ذلك قوله نزلوا على اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذى لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهى الناقة اذا وضعت الى ان يقوى ولدها وقيل هى كل انثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهى الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس واراد بهم ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب اى اضرت بهم واثرت فيهم وقوله ماددتهم اى جعلت بينى وبينهم مدة قوله والا فقد جموا اى استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتى السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله انى استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت فى الجاهلية معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد واصل التبلح الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك اجتاح اصله من الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان فى مبالغة الاذى قوله انى لارى وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك اى جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهى اسم صنم كانوا يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهى الخاتنة من الهنة التى تكون فى فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتماهم يدور فى السنتهم قوله لولا يد لك عندى اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله اى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غى والرشد والرشاد خلاف الغى والمراد منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا فى هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن اى الابل تهدى الى البيت فى حج اوعمرة وتقليدها هو ان يجعل فى رقابها شئ كالقلادة من لحاء الشجر اونعل اوغيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه اى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى اى جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث فى شر وهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه اى فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشئ واتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء وروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق فى مؤخرة الرجل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان وهو مشى المقيد قوله فاجزه لى قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاى من الاجازة اى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم اواطلقه لى وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح فى هذا الموضع قوله فلم نعطى الدنية اى القضية التى لا نرضى بها اى لم نرض بالادون والاقل فى ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لا يجوز لاحد تركه قوله ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها ايضا ومسعر حرب اى موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا اوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه

كمحبة الاولياء والانبياء والاصفياء والشهداء والقسم الثانى هو المحبة القلبية المستندة الى تناسب الاوصاف والاخلاق والسير الفاضلة ونشاته الاعتقادات والاعمال الصالحة كمحبة الصلحاء والابرار فيما بينهم ومحبة العرفاء والاولياء اياهم ومحبة الانبياء العامة اممهم والقسم الثالث هو المحبة النفسانية المستندة الى اللذات الحسية والاغراض الجزئية كمحبة الازواج لمجرد الشهوة ومحبة الفجار والفساق المتعاونين فى اكتساب الشهوات واجتلاب الاموال والقسم الرابع هو المحبة العقلية المستندة الى تسهيل اسباب المعاش وتيسير المصالح الدنيوية كمحبة التجار والصناع ومحبة المحسن اليه للمحسن فكل ما استند الى غرض فان وسبب زائل زال بزواله وانقلب عند فقدانه عداوة لتوقع كل من المتحابين ما اعتاد من صاحبه من اللذة المعهودة والنفع المألوف مع عدمه وامتناعه لزوال سببه ولما كان الغالب على اهل العالم احد القسمين

وساحله والله اعلم واما تفسير الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم اي
منعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به (والهدى) اى وصدوا الهدى وهو البدن التي ساقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) اى محبوسا (ان يبلغ محله) اى منحره
وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة
(لم تعلموهم) اى لم تعرفوهم (ان تطؤهم) اى بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم)
اى اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب
اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعتبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم
والمعرة المشقة يقول لولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة
او سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك
السبب (ليدخل الله في رحمته من يشاء) اى في دين الاسلام من يشاء اى من اهل مكة بعد الصلح
وقبل دخولها (لو تزيلوا) اى لو تميز المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما) اى بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو
تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته اى في جنته قال قتادة
في الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة
* قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) اى الانفة والغضب وذلك حين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله
الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا
ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت
هذه (حمية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) اى حتى
لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصون الله في قتالهم (والزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة
التقوى لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال عطاء
الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم
(وكانوا احق بها) اى من كفار مكة (واهلها) اى كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه
وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شئ عليما) يعني من
امر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير * قوله
تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام
هو واصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو
مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين رؤياه التي
رآها فانزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل وروى عن مجمع بن حارثة الانصاري
قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون
الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا

الاخيرين الحاق الكلام
وقال الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين
لانقطاع اسباب الوصلة
بينهم وانتفاء الآلات البدنية
عنهم وامتناع حصول
اللذة الحسية والنفع الجسماني
وانقلابهما حسرات وآلاما
وضررا وخسرانا قد
زالت اللذات والشهوات
وبقيت العقوبات والتبعات
فكل يمحق صاحبه ويبغضه
لانه يرى ما به من العذاب
منه وبسببه ثم استثنى المتقين
المتناولين للقسمين الباقيين
لقلتهم كما قال وقليل ما هم
وقليل من عبادي الشكور
ولعمري ان القسم الاول
اعز من الكبريت الاحمر
وهم الكاملون في التقوى
البالغون الى نهايتها الفائزون
بجميع مراتبها اجتنبوا
اولا المعاصي ثم الفضول
ثم الافعال ثم الصفات ثم
الذوات فما بقيت منهم بقايا
حتى يتنافسوا فيها ويضنوا
بها عن حبيبهم فيفسد محبتهم
بل ما بقي منهم الا نفس
الحب واما الفريق الثاني
فاقتصروا على الرتبة
الاولى وقنعوا بظاهر
التقوى فرضوا من الآخرة
بما اوتوا من النعيم وتسلوا

نرجف فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنالك فتحا مبينا فقال عمرا هو فتح يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح هو صلح الحديبيه وتحقيق الرؤيا كان فى العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اخبر ان الرؤيا التى اراه اياها فى مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق اى الذى رآه حق وصدق وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما لان الحق من اسماء الله تعالى او قسما بالحق الذى هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عزوجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتأكيد القوله ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان يعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول فى عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لابقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لاعلى الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم انا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لايشك فى الموت (محلقين رؤسكم) اى كلها (ومقصرين) اى تأخذون بعض شعوركم (لاتخافون) اى من عدو فى رجوعكم لان قوله آمنين فى حال الاحرام لانه لاقتال فيه وقوله لاتخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفى حال الرجوع (فعلم مالم تعلموا) يعنى علم ان الصلاح كان فى الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم فى السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه فى السنة الاولى (فجعل من دون ذلك) اى من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعنى صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر * قوله عزوجل (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا بيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله امر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) اى يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) اى فى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لونعلم انه رسول الله ماصددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا اى فى انه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) اى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره فى قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال (والذين معه) يعنى اصحابه المؤمنين (اشداء على الكفار) اى غلاظ اقوياء كالاسد على فريسته لاتأخذهم فيهم رافة (رحماء بينهم) اى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال فى حقهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) اى يطلبون (فضلا من الله) يعنى الجنة (ورضوانا) اى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله تعالى والمرائى بعمله لايبتغى له اجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين

عن الدنيا ومافيها بالفضل الجسيم فتبقى محبتهم فيما بينهم لبقاء اسبابها وهى الصفات المتماثلة والهيآت المتشابهة فى ابتغاء مرضاة الله وطلب ثوابه واجتناب سخط الله وعقابه فهم العباد المرتضون اى كلا القسمين لاشتراكهما فى طلب الرضا فلذلك نسبهم الى نفسه بقوله ياعباد لاخوف على الفريقين لامنهم من العقاب ولاهم يحزنون على فوات لذات الدنيا لكونهم على الذمها وابهج واحسن حالا واجل وان تفاوت حالهم فى اللذة والسرور والروح والحبور بما لايتناهى وشتان بين محمد ومحمد * والجنة التى امروا بدخولها هى جنة النفس لاشتراك الفريقين فيها دون جنتى الصفات والذات المخصوصتين بالسابقين بدليل قوله بعده (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) وانما الجنة التى هى ثواب الاعمال جنة النفس لقوله وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم

معه يعنى ابابكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن ابى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) اى علامتهم (فى وجوههم من اثر السجود) واختلفوا فى هذه السيما على قولين احدهما ان المراد فى يوم القيامة قيل هى نور وبياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله فى الدنيا وهى رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود فى وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك فى رجلين احدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر فى اللهو واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلى نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم فى التوراة) يعنى ذلك الذى ذكر صفتهم فى التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم فى الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) اى صفتهم (فى الانجيل كزرع اخرج شطأه) اى افراطه قيل فراخه قيل هو نبت فاخرج بعده فهو شطؤه (فآزره) اى قواه واعانه وشدازره (فاستغلظ) اى غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) اى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق اى على اصوله (يعجب الزراع) اى يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عزوجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء اصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابوبكر فآزره عمر فاستغلظ عثمن فاستوى على سوقه على بن ابى طالب يعجب الزراع يعنى جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن انس من اصبح وفى قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية

﴿ فصل فى فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال القرن الذى انا فيه ثم الثانى ثم الثالث قوله خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم يعنى الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل اهل زمان قيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر فى الجنة وعمر بن الخطاب فى الجنة وعثمان بن عفان فى الجنة وعلى بن ابى طالب فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن ابى وقاص

فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يامالك) سمى خازن النار مالكا لاختصاصه بمن ملك الدنيا وآثرها لقوله تعالى فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى كما سمى خازن الجنة رضوانا لاختصاصه بمن رضى الله عنهم ورضوا عنه وقيل الرضا بالقضاء باب الله الاعظم وهو الطبيعة الجسمانية الموكلة بأجساد العالم والهيولى الظلمانية اوالنفس الحيوانية الكلية الموكلة بالتأثير فى الاجساد الحيوانيه المستعلية على النفوس الناطقة المحبوسة فى قيود اللذات الحسية والمطالب السفلية وانما لاتعذب بالنار لكونه من جوهر تلك النار فهى له جنة وللجهنميين نار لتنافى جواهرهم وجوهرها وتباينهما واختصاص ندائهم بمالك دون الله تعالى لاحتجابهم وبعدهم عن الله بالكلية وتعبدهم لمالك بالنية والامنية وما ذلك النداء الا توجههم اليه وطلب المراد منه ودعوتهم بقولهم (ليقض علينا ربك)

في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة اخرجه الترمذي واخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح من الحديث الاول * عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابوبكر واشدهم في امر الله عمر واشدهم حياء عثمان واقضاهم علي واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقرؤهم ابي بن كعب ولكل قوم امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر اشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذي مفرقا في موضعين احدهما الى قوله ابو عبيدة بن الجراح والآخر الى ابي ذر (خ) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت احد اراه ضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان * عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقتدوا باللذين بعدي من اصحابي ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا * عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابابكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن زر بن جبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه لعهد النبي الامي الي انه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد يموت من اصحابي بارض الا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقد روي عن ابي بريدة مرسلا وهو اصح (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن ابي هريرة نحوه اخرجه مسلم * عن عبد الله بن معقل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد آذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب * قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطء الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة واجرا عظيما) يعني الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الحجرات ﴾

﴿ وهي مدنية وهي ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث واربعون كلمة والف وار بعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

اشارة الى تمني زوال بقية الاستعداد بالكلية واماتة العزيزة الفطرية لئلا يتأذوا بالهيآت المؤذية والنيران المردية او تمني تعطل الحواس وعدم الاحساس لشدة التألم بالعذاب الجسماني و (قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم) اشارة الى المكث المقدر بحسب رسوخ الهيآت وارتكام الذنوب والآثام ان كانت الاستعدادات باقية والاعتقادات صحيحة او الخلود فيها ان لم تكن فان المكث اعم من المتناهي وغيره وكذا المجرم اعم من الشقي الاصلي وغيره وعلى هذا حملنا الخلود في قوله ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون على المكث الطويل الاعم من المتناهي وغيره فانه قد يستعمل في العرف بمعناه كثيرا مجازا وانما جعلنا المجرم شاملا للقسمين المذكورين من الاشقياء لمقابلته للمتقي الشامل للقسمين المذكورين من السعداء

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) من التقديم اى لا ينبغى لكم ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدى الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدى امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبى صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم او قبل ان يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا فى معنى الآية فروى عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى اى لا تذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبى صلى الله عليه وسلم فامروا ان يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدأ به يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ زاد الترمذى فى اوله قال خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك اى لا تصوموا قبل نبيكم * عن عمار بن ياسر قال من صام فى اليوم الذى يشك فيه فقد عصى ابا القاسم صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقيل فى سبب نزول هذه الآية ما روى عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافى وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل فى ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله حتى انقضت زاد فى رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخارى وقيل نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو نزل فى كذا او صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل فى معنى الآية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى يقضيه الله على لسانه وقيل فى القتال وشرائع الدين اى لا تقضوا امرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) اى فى تضييع حقه بمخالفة امره (ان الله سميع) اى لاقوالكم (عليم) اى بافعالكم * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهى عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهى عن قول (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) امرهم ان يجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبى الله (ان تحبط اعمالكم) اى لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم (وانتم لا تشعرون) اى بذلك (ق) عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شأن ثابت ايشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

وان خصصناه بالشق المردود المطرود فى الازل كان المكث فى قوله انكم ماكثون عبارة عن الابد (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) كل ما خطر فينا بالباطل من الاشرار ينتقش فى النفوس الفلكية كما ينتقش فى الانسانية لاتصالها بها وانتقاشها كما هى اما فى القوى الخيالية ان كانت جزئية واما فى القوى العاقلة ان كانت كلية وكلاهما يظهر على النفس عند ذهولها عن الحس ورجوعها الى ذاتها وما كانت نسيتها تعكس اليها من النفوس الفلكية عند المفارقة فتذكرها دفعة وذلك معنى قوله احصاه الله ونسوه فالرسل الكاتبون هم النفوس الفلكية المناسبة لكل واحد واحد من الاشخاص البشرية بحسب الوضع المقارن لاتصال النفس بالبدن (قل ان كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين) اى لذلك الولد وهو اما ان يدل على نفى الولد عن الله بالبرهان واما ان يدل على نفى الشرك عن الرسول بالمفهوم اما دلالته على الاول فلما دل قوله (سبحان

رب السموات ورب الارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) على نفى التالى وهو عبادة الولد اى اوحده وانزهه تعالى عما يصفونه من كونه مماثلا لشئ لكونه ربا خالقا للاجسام كلها فلا يكون من جنسها فيفيد انتفاء الولد على الطريق البرهانى واما دلالته على الثانى فاذا جعل قوله سبحان رب السموات الى آخره من كلام الله تعالى لامن كلام الرسول اى نزه رب السموات عما يصفونه فيكون نفيا للمقدم ويكون تعليق عبادة الرسول من باب التعليق بالمحال والمعلق

فقال ثابت انزلت هذه الآية ولقدعلمتم انى من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زادفى رواية فكنا نراه يمشى بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم وللبخارى نحوه وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى فربه عاصم بن عدى فقال مايبكيك ياثابت قال هذه الآية اتخوف ان تكون انزلت فى وانا رفيع الصوت على النبى صلى الله عليه وسلم اخاف ان يحبط عملى وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبدالله بن ابى بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرشى فشدى على الضبة بمسمار فضربتها بمسمار وقال لااخرج حتى يتوفانى الله او يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده فى بيت الفرش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياثابت فقال اناصيت واتخوف ان تكون هذه الآية نزلت فى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لاارفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله تعالى (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) الآية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشى بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ماكنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعى فذهب به وهو فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعى وأت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دينا حتى يقضيه عنى وفلان من رقيقى عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ماوصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابابكر بتلك الرؤيا فاجاز ابوبكر وصيته قال مالك بن انس لااعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابوهريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان ابوبكر لايكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخى السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ماحدث عمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبى صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اى يخفضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اجلالا له وتعظيما (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اى اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه (لهم مغفرة واجر عظيم) * قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزازى فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا فى اهله فلما رأتهم الذرارى اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء

رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فجعلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادناعيالنافنزل جبريل عليه السلام فقال الله تعالى يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضوا ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انالا احكم وعمى شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (اكثرهم لايعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الآية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ماجاؤا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج (لكان خيرا لهم) اى الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنازين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذى مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكرابياتا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا المؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم احسن شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مااعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) اى لمن تاب منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش فى جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد فانزل الله هذه الآيات * قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن ابى معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم وارادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد

بالشرط عند عدمه لحوى بدلالة المفهوم ابلغ عند علماء البيان من دلالة المنطوق كما قال فى استبعاد الرؤية فان استقر مكانه فسوف ترانى والله تعالى اعلم

﴿ سورة حم الدخان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة) الليلة المباركة هى بنية رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها حادثة مظلمة ساترة لنور شمس الروح ووصفها بالمباركة لظهور الرحمة والبركة من الهداية والعدالة فى العالم بسببها وازدياد رتبته وكماله بها كما سماها ليلة القدر لان قدره عليه السلام معرفته بنفسه وكماله انما يظهر بها الاترى ان معراجه انما كان بجسده اذ لو لم يكن جسده لم يمكن ترقيه فى المراتب الى التوحيد وانزال الكتب فيها اشارة الى انزال العقل القرآنى الجامع للحقائق كلها والفرقانى المفصل لمراتب الوجود المبين لتفاصيل الصفات واحكام تجلياتها المميز لمعانى الاسماء واحكام الافعال فيها وهو معنى قوله فيها يفرق كل امر حكيم

فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى له ماقبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية فى عسكر وامره ان يخفى عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم مايدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ماتستعمل فى الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم اذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعنى الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو اولى من حمل الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ اى بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا اى فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولاتعتمدوا على قول الفاسق (ان تصيبوا) اى كيلا تصيبوا بالقتل والسبى (قوما بجهالة) اى جاهلين حالهم وحقيقة امرهم (فتصبحوا على مافعلتم) اى من اصابتكم بالخطا (نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله) اى فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفضحوا (لو يطيعكم) اى الرسول (فى كثير من الامر) اى مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) اى لاثمتم وهلكتم * عن ابى سعيد الخدرى انه قرأ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم فى كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) اى جعله احب الاديان اليكم (وزينه) اى حسنه وقربه منكم وادخله (فى قلوبكم) حتى اخترتموه لان من احب شيأ اذا طال عليه قد يسأم منه والايمان فى كل يوم يزداد فى القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصى الله تعالى وفى هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء فى مقابلة الايمان الكامل المزين فى القلب المحبب اليه والايمان الكامل مااجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر فى مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب فى مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه العمل الصالح بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (اولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين فى قلوبهم اى اولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) اى فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) اى بكم وبما فى قلوبكم (حكيم) فى امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما فى خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم * قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن انس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابى فانطلق اليه النبى صلى الله عليه

اوالى انزال الروح المحمدى الذى هو الكتاب المبين حقيقة فى صورتها او القرآن (انا كنا منذرين) لاهل العالم بوجوده (فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا) خص الامر الحكمى بكونه من عنده لان كل امر يبتنى على حكمة وصواب كما ينبغى من الشرائع والاحكام الفقهية انما يكون من عنده مخصوصا به مطابقا لما فى نفس الامر والا كان امرا مبنيا على الهوى والتشهى (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) تامة كاملة على العالمين بانزاله لاستقامة امورهم الدينية والدنيوية وصلاح معاشهم ومعادهم وظهور الخير والكمال والبركة والرشاد فيهم بسببه اومرسلين اياك لرحمة كاملة شاملة عليهم (انه هو السميع العليم) لاقوالهم المختلفة فى الامور الدينية الصادرة عن اهوائهم (العليم) بعقائدهم الباطلة وآرائهم الفاسدة وامورهم المخيلة ومعايشهم الغير المنتظمة فلذلك رحمهم بارسال الرسول الهادى الى الحق فى امر الدين الناظم لمصالحهم فى امر الدنيا المرشد الى

وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى ارض سبخة فلما اتاه النبى صلى الله عليه وسلم قال اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدى والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبدالله بن ابى ابن سلول وذلك قبل ان يسلم عبدالله بن ابى واذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفى المسلمين عبدالله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن ابى انفه بردائه ثم قال لاتغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبدالله بن ابى بن سلول ايها المرء انه لااحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به فى مجالسنا وارجع الى رحالك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبدالله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا فى مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتناورون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما مماراة فى حق بينهما فقال احدهما للآخر لآخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبى صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقى بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدى والنعال فانزل الله عزوجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج (فاصلحوا بينهما) اى بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) اى تعدت (احداهما على الاخرى) وابت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ) اى ترجع (الى امر الله) اى الى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته فى الصلح الذى امرت به (فان فاءت) اى رجعت الى الحق (فاصلحوا بينهما بالعدل) اى الذى يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (واقسطوا) اى اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين (انما المؤمنون اخوة) اى فى الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

ابى الاسلام لا اب لى سواه * اذا افتخروا بقيس او تميم

(فاصلحوا بين اخويكم) اى اذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) اى فلاتعصوه ولا تخالفوا امره (لعلكم ترحمون) (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لايظلمه ولا يشتمه ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله

الصواب فيهما بتوضيح الصراط المستقيم وتحقيق التوحيد بالبرهان وتقنين الشرائع وسنن الاحكام لضبط الانتظام (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لااله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) اى وقت ظهور آيات القيامة الصغرى او الكبرى فان الدخان من اشراطها فاعلم ان الدخان هو من الاجزاء الارضية اللطيفة المتصاعدة عن مركزها لتلطفها بالحرارة فان فسرنا القيامة بالصغرى فالدخان هو السكرة والغشية والانقباضية العارضة لسماء الروح عند النزع بسبب هيئة التعلق البدنى والفترة المرتكبة على وجهها من مباشرة الامور السفلية والميل الى اللذات الحسية ولهذا قال عليه السلام فى وصفه اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره فان المؤمن لقلة تعلقه بالامور البدنية وضعف تلك الهيئة

بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿فصل فى حكم قتال البغاة﴾ قال العلماء فى هاتين الآيتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ماروى عن على بن ابى طالب وهو القدوة فى قتال اهل البغى وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على البغى قاتلهم الامام حتى يفيؤا الى طاعته ثم الحكم فى قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على يوم الجمل الا لا يتبع مدبر ولا يقتل اسير ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتى على يوم صفين باسير فقال لا اقتلك صبرا انى اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى فى حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رايته اقتص من احد ولا اغرم مالا امامن لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم اولم يكن لهم تأويل اولم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق فى الحكم وروى ان عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لا حكم الا الله فقال على كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفئ مادامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدؤكم بقتال * قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾ الآية نزلت فى ثلاثة اسباب السبب الاول من اولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان فى اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع مايقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا اقام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر اماله كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل راسه واستحيا فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى وفد بنى تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة

المستفادة من مباشرة الامور السفلية بقل انفعاله منها ويسهل زواله وخصوصا اذا اكتسب ملكة الاتصال بعالم الانوار واما الكافر فلشدة تعلقه وقوة محبته للجسمانيات وركونه الى السفليات تغشاه تلك الهيئة فتحيره وتشمله حتى عمت مشاعره الظاهرة والباطنة ومخارجه العلوية والسفلية فلا يهتدى الى طريق لا الى العالم العلوى ولا الى العالم السفلى (يغشى الناس هذا عذاب اليم) ولما كان الغالب عليه التمنى والتندم فيتمنى ما كان فيه من الحياة والصحة ويتندم على ما كان عليه من الفسوق والعصيان والفجور والطغيان قال بلسان الحال (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) او بلسان المقال على ماترى عليه حال بعض من وقع فى النزع من العصاة من التوبة وموعدة الرجوع الى الطاعة (انى لهم الذكرى) اى الا تعاظ والايمان بمجرد انكشاف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين) ماهو ابلغ منه من الرسول المبين طريق الحق بالمعجز والبرهان ودعاهم الى

لما راوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم اى لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه ❊ وهو قوله تعالى (عسى ان يكونوا خيرا منهم) السبب الثانى قوله (ولا نساء من نساء) اى لا يستهزئ نساء من نساء (عسى ان يكن خيرا منهن) روى عن انس انها نزلت فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيى قال لها بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودى فبكت فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت قالت لى حفصة انى بنت يهودى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبى وعمك لنبى وانك لتحت نبى ففيم تفتخر عليك ثم قال اتق الله يا حفصة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب) عن ابى جبيرة بن الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك الانصارى قال فينا نزلت هذه الآية فى بنى سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اخرجه ابو داود وفى الترمذى قال كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذى حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اى لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم فى بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب احدا بعيب فكانه عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب اى لا تدعوا الانسان بغير ما سمى به وقال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به او يفيد ذماله فاما الالقاب التى صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهها المدعو بها واما الالقاب التى تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابى بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلى ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الاسم ان تقول له يا يهودى او يا نصرانى بعد ما اسلم او يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان من فعل ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) اى من ذلك كله (فاولئك هم الظالمون) اى الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك ❊ قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيأ لهما فلما قدما قالا له

سبيله بالطرق الثلاثة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى احسن (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) اعرضوا ونسبوه الى الجنون والتعليم المنافيين لفرط احتجابهم وعنادهم (انا كاشفوا العذاب قليلا) بتعطيل الحواس والادراكات (انكم عائدون) اليه (يوم نبطش البطشة الكبرى) اى وقت تمام الفراغ الى ادراك العذاب المؤلم بتلك الهيآت وتحقق الخلود (انا منتقمون) معذبون بالحقيقة او بالرد الى الصحة والحياة البدنية انكم عائدون الى الكفر لرسوخه فيكم يوم نبطش البطشة الكبرى بزوال الاستعداد وانطفاء نور الفطرة بالرين الحاصل من ارتكاب الذنوب والاحتجاب الكلى الموجب للعذاب الابدى كما قال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ننتقم منهم بالحقيقة بالحرمان الكلى والحجاب الابدى والعذاب السرمدى وان فسرنا القيامة بالكبرى فالدخان هو حجاب الانية الذى يغشى الناس عند

ماصنعت شيأ قال لاغلبتني عيناى فنمت قالاله انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادم فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ماعندى شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تاكلان لحم سلمان واسامة فانزل الله عز وجل ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعنى ان يظن باهل الخير سوء نهى الله المؤمن ان يظن باخيه المؤمن شرا وقيل اهوان يسمع من اخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ او يدخل مدخلا لا يريد به سوأ فيراه اخوه المسلم فيظن شرا لان بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الرائى مخطئا فاما اهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثورى الظن ظنان احدهما اثم وهو ان نظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم (ولا تجسسوا) اى لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ماستره الله منها (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن لان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر مايقال فى الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا اى لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا اى لا يعطى كل واحد منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال مااعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال اتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به اخرجه ابو داود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله

ظهور نور الوحدة بطغيان النفس لانتحال صفات الربوبية وغلبة سكرة يوم الجمع الموروثة للاباحة اذ هو من بقية النفس الارضية اللطيفة بنور الوحدة المرتقية الى محل الشهود التى تأتى بهما سماء الروح الأثيرة فيها بالتنوير اذ لم تحترق بالكلية بنار العشق بل صفت وتلطفت وتصعدت فأما المؤمن بالايمان الحقيقى الموحد التام الاستعداد المحب الغالب المحبة فيصيبه كهيئة الزكمة اى السكرة التى قال فيها ابو زيد قدس الله روحه سبحانى مااعظم شانى والحسين بن منصور رحمه الله انا الحق ثم يرتفع عنه سريعا لمزيد العناية الالهية وقوة الاستعداد الفطرية وشدة المحبة الحقيقية فيتنبه لذلك ويتعذب به غاية التعذب ويشتاق الى الانطماس فى عين الجمع غاية الشوق فيقول هذا عذاب اليم ويطلب الفناء الصرف كما قال الحلاج قدس الله روحه

* بينى وبينك انى ينازعنى *
* فارفع بفضلك انى من البين *

ويدعو بلسان التضرع والافتقار ربنا اكشف

عليه وسلم قال من راى عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة (م) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الاستره الله يوم القيامة ✽ قوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) اى لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قلت وان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا اخرجه ابوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة ✽ قوله تعالى (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه آكد فى المنع لان العدو قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ فى الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفى نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم اخرجه ابوداود وقال ميمون بن سيار بينا انا نائم اذا بجيفة زنجى وقائل يقول كل يا عبدالله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب احدا عنده ✽ قوله تعالى (واتقوا الله) اى فى امر الغيبة واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) ✽ قوله عز وجل (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقوله فى الرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يارسول الله قال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت ياثابت قال رأيت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الآية ونزل فى الذى لم يفسح له يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن العيص الحمد لله الذى قبض ابى ولم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد من غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيأ يغيره وقال ابوسفيان انى لا اقول شيأ اخاف ان يخبره رب السماء فنزل جبريل فاخبر رسول صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعنى آدم وحواء والمعنى انكم متساوون فى النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم ابناء رجل

عنا العذاب انا مؤمنون بالايمان العينى عند كشف الحجاب الانى انى لهم الذكرى من اين لهم ذكر الذات والايمان العينى فى مقام حجاب الانائية وقد جاءهم رسول مبين اى رسول العقل المبين لوجوداتهم وصفاتهم اى انما احتجبوا بحجاب الانية لظهور العقل واثباته لوجوداتهم فكيف ذكرهم للذات تحجب من تذكرهم مع كونهم عقلاء ثم بين كونهم عشاقا مشتاقين بقوله ثم تولوا عنه لقوة المحبة وفرط العشق وقالوا معلم اى من عندالله بافاضة العلم عليه مجنون مستور الادراك محجوب عن نور الذات كما قال جبريل عليه السلام لو دنوت انملة لاحترقت انا كاشفوا العذاب اى عذاب الحجاب والحرمان لاعراضهم بقوة العشق عن الرسول قليلا بطلوع نور الوجه الباقى واشراق سبحاته واحراقها ما انتهى اليه بصره من خلقه انكم عائدون بالتلوين الى حجاب بعد تجلى نور الذات لبقية الاثار الى وقت التمكين يوم نبطش البطشة الكبرى اى وقت الفناء الكلى

واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهي رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبني هاشم وبني امية من لؤي ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من بني هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شئ يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى احد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينسبون الى ابائهم (لتعارفوا) اي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) قيل اكرم الكرم والتقوى والام اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى اخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس ان الناس رجلان برتقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والمحجن عصا محنية الراس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها (ان الله عليم) اي بظواهركم ويعلم انسابكم (خبير) اي ببواطنكم لا تخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقي هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق ان يرتكب منها لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منها ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقي لم يترك ما امر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه واهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين * قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات

والانطماس الحقيقي بحيث لا عين ولا اثر انا منتقمون اي ننتقم بالقهر الاحدي والافناء الكلي من وجوداتهم وبقاياهم فيطهرون عن الشرك الخفي بالوجود الاحدي واما الكافر اي المحجوب عن نور الذات المنزو بحجب الصفات المحروم عن الطمس عن عين الجمع بتوهم الكمال فيبقى في مقام الانائية ويتفرعن وراء حجاب الانية كما قال اللعين انا ربكم الاعلى ما علمت لكم من اله غيري فيخلع عن عنقه ربقة الشريعة ويسير بسيرة الاباحة ويجسر على المخالفات ويتزندق بارتكاب المعاصي وترك الطاعات فيكون من شرار الناس الذين قال فيهم شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حي فهو في عدم التمييز والرجوع الى التفصيل والانهماك في الدواعي الطبيعية والتعمق في الجاهلية كالسكران غلب الهوى على عقله واحاط به الحجاب من جميع جهاته وظهر اثر الغي من مشاعره هذا عذاب اليم لكنه لا يشعر به لشدة انهماكه في تفرعنه

واغلوا اسعارها كانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عزوجل قالت الاعراب آمنا اى صدقنا (قل لم تؤمنوا) اى لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا اسلمنا) اى استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان لايكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد ابن ابى وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الى فقلت مالك عن فلان والله انى لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه بمثل ذلك ثم قال انى لاعطى الرجل وغيره احب الى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه زاد فى رواية قال الزهرى فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدى اعلم ان الاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ماهو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ماهو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول فى السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لايحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولايكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان فى العموم والخصوص متحدان فى الوجود فذلك المؤمن والمسلم ❋ وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله) اى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان (لايلتكم) اى لاينقصكم (من اعمالكم شيئا) اى من ثواب اعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) اى لم يشكوا فى دينهم (وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون) اى فى ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عزوجل (قل أتعلمون الله بدينكم) اى تخبرون الله بدينكم الذى انتم عليه (والله يعلم مافى السموات ومافى الارض) اى لاتخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) اى لايحتاج الى اخباركم (يمنون عليك ان اسلموا) هو قولهم اسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك ان اسلامهم لم يكن خالصا (قل لاتمنوا على اسلامكم) اى لاتعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) اى لله المنة عليكم ان ارشدكم

وقوة شكيمته فى تشيطنه كما دعاه الموحد القائم بالحق المهدى الى نور الذات بالفناء المطلق المنصور من عند الله بالموجود الموهوب المتحقق ونبهه على مابه من الاحتجاب ابى واستكبر وطغى وتجبر لاستغنائه بنفسه وثباته فى غيه حتى اذا وقع فى الارتياب وتفطن بالحجاب عند ارتتاج الباب بتعين المآب وتيقن العقاب قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون كما قال فرعون حين ادركه الغرق آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل انى لهم الذكرى اى الاتعاظ والايمان الحقيقى وقد عاندوا الحق واعرضوا عن القائم بالحق فلعنوا وطردوا انا كاشفوا العذاب بكشف الحجاب قليلا ريثما تحققوا ماهم فيه من الوقوف مع النفس وتبينوا التفريط فى جنب الحق انكم عائدون لفرط تمكن الهوى من انفسكم وتشرب قلوبكم بمحبة نفوسكم واستيلاء صفاتها عليكم وقوة الشيطنة فيكم يوم نبطش البطشة الكبرى بالقهر الحقيقى والاذلال الكلى والطرد

واامدكم بتوفيقه حيث هدا كم للايمان على مازعتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) اى انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) اى انه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شئ في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) اى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة ق

وهى مكية وهى خمس واربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء الله وقيل اسم من اسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الامر اوقضى ماهو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض مل زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولايعلم ماوراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) اى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل مايلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهوان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) اى معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) اى احين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) اى بعيد ان نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ماتنقص الارض منهم) اى ماتأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لايعزب عن علمنا شئ (وعندنا) اى مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ اى من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ اى حافظ لعددهم واسمائهم ولماتنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه مايكون (بل كذبوا بالحق) اى بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم في امر مريج) اى مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط امرهم قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة معلم مجنون ويقولون في القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا مقتبسا عليهم وقيل في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ماترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) اى بغير عمد (وزيناها) اى الكواكب (ومالها من فروج) اى شقوق وصدوع (والارض مددناها) اى بسطناها على وجه الماء (والقينا فيها رواسى) اى جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل زوج بهيج) اى من كل صنف حسن كريم يبتهج اى يسر به (تبصرة) اى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) اى تذكرة (لكل عبد منيب) اى راجع الى الله والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر (فانبتنا به) اى بذلك الماء (جنات) اى بساتين (وحب الحصيد) يعني البر والشعير وسائر (الحبوب)

والابعاد تنتقم منهم لمكان شركهم وعبادتهم لانفسهم ومبارزتهم علينا بالظهور في مقابلتنا ومنازعتهم رداء الكبرياء منا كما قلنا العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته في النار واما حكاية قوم فرعون فاستنبهت تطبيقها على حالك فافهم منها (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) النفس الامارة من قبط القوى الحيوانية (وجاءهم رسول كريم) هو موسى القلب الشريف المجرد (ان ادوا الى عباد الله) المخصوصين به من القوى الروحانية المأسورين في قيود طاعتكم المستضعفين باستيلائكم المستعبدين لقضاء حوائجكم وتحصيل مراداتكم من اللذات الحسية والشهوات البدنية (انى لكم رسول امين) بحصول علم اليقين المأمون من تغيره (وان لاتعلوا على الله) بعصيانه وترك ما ادعوكم اليه واستكباركم (انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة من الحجج العقلية (وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون) باحجار الهيولى السفلية والاهواء

الحبوب التي تحصد ﴿ والنخل باسقات ﴾ اى طوالا وقيل مستويات ﴿ لها طلع ﴾ اى ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل ان يتشقق ﴿ نضيد ﴾ اى متراكب بعضه على بعض فى اكمامه فاذا تشقق وخرج من اكمامه فليس بنضيد ﴿ رزقا ﴾ اى جعلناذلك رزقا ﴿ للعباد واحيينا به ﴾ اى بالمطر ﴿ بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة ﴾ قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم ولذلك قال واخوان لوط ﴿ وقوم تبع ﴾ هو ابو كرب اسعد تبع الحميرى وقد تقدم قصص جميعهم قيل ذم الله عزوجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم ﴿ كل كذب الرسل فحق وعيد ﴾ اى كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدى اى وجب لهم عذابى وقيل فحق وعيدى للرسل بالنصر ﴿ افعيينا بالخلق الاول ﴾ هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجز نا حين اختلقناهم اولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث ﴿ بل هم فى لبس ﴾ اى شك ﴿ من خلق جديد ﴾ وهو البعث ❊ قوله عز وجل ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ اى ماتحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره ﴿ ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ﴾ بيان لكمال علمه اى نحن اعلم به منه والوريد العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولايحجب عن علم الله شئ وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه امرنا كما يجرى الدم فى عروقه ﴿ اذ يتلقى المتلقيان ﴾ اى يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه ﴿ عن اليمين وعن الشمال ﴾ يعنى ان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيآت ﴿ قعيد ﴾ اى قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذى لايبرح ﴿ مايلفظ من قول ﴾ اى مايتكلم من كلام يخرج من فيه ﴿ الا لديه رقيب ﴾ اى حافظ ﴿ عتيد ﴾ اى حاضر اينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلايجوز للانسان ان يتكلم فى هاتين الحالتين حتى لايؤذى الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا مايتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شئ يتكلم به حتى انينه فى مرضه وقيل لايكتبان الا ماله اجر وثواب اوعليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصرى يعجب ان ينظف عنفقته روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر ❊ قوله تعالى ﴿ وجاءت سكرة الموت ﴾ اى غمرته وشدته التى تغشى الانسان وتغلب على عقله ﴿ بالحق ﴾ اى بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤل اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ﴿ ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ اى يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذى كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ يعنى نفخة البعث ﴿ ذلك يوم الوعيد ﴾ اى ذلك

النفسية والدواعى الطبيعية فيجعلونى بحيث لاحراك فى طلب الكمالات الروحانية والانوار الرحانية وتهلكونى وان لم تؤمنوا الى ﴾ بطاعتى ومتابعتى فى التوجه الى ربى وطلب كمالى والتنور بأنوارى ﴿ فاعتزلون ﴾ بعدم ممانعتى وترك محاجزتى ومعاوقتى فى سيرى وسلوكى ﴿ فدعا ربه ﴾ بلسان التضرع والافتقار ﴿ ان هؤلاء قوم مجرمون ﴾ فى اكتساب المطالب الجرمية واللذات الحسية منهمكون فيها لا يرفعون منها رأسا ﴿ فأسر ﴾ اى فقال الله اسر ﴿ بعبادى ﴾ الروحانيين من القوى العقلة والفكرية والحدسية والقدسية وصفاتك المخلصة الى حضرة القدسية وراء بحر الهيولى ﴿ ليلا ﴾ وقت نعاس القوى الحسية وتعطل القوى البدنية ﴿ انكم متبعون ﴾ بمطالبتهم اياكم بكمالات الحس ومجاذبتهم لكم عن جناب القدس ﴿ واترك البحر رهوا ﴾ بحر الهيولى والمواد الجسمانية ساكنة على قرارها ساجية عن امواجها غير مزاحمة اياكم باضطراب احوالها

اليوم الذي وعدالله الكفار ان يعذبهم فيه (وجاءت) اى فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) اى يسوقها الى المحشر (وشهيد) اى يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدى والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت فى غفلة من هذا) اى من هذا اليوم فى الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) اى الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك فى الدنيا (فبصرك اليوم حديد) اى قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به فى الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيآتك (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا ما لدى) اى عندى (عتيد) اى معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد احضرته واحضرت ديوان عمله (القيا فى جهنم) اى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا امر للسائق والشهيد (كل كفار) اى شديد الكفر (عنيد) اى عاص معرض عن الحق معاند لله فيما امر به (مناع للخير) اى للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه فى ماله (معتد) اى ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) اى شاك فى التوحيد (الذى جعل مع الله الها آخر فالقياه فى العذاب الشديد) يعنى النار (قال قرينه) يعنى الشيطان الذى قيض لهذا الكافر (ربنا ما اطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى فى النار يقول ربنا اطغانى شيطانى فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته اى ما اضللته وما اغويته (ولكن كان فى ضلال بعيد) اى عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعنى الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد على فى الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اى ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان فى ضلال بعيد اى طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) الله تعالى (لا تختصموا لدى) اى لا تعتذروا عندى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) اى بالقرآن وانذرتكم على السن الرسل وحذرتكم عذابى فى الآخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدى) اى لا تبديل لقولى وهو قوله عز وجل لاملأن جهنم وقضيت عليكم ما انا ناقض فلا يغير قولى ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندى ولا يغير القول عن وجهه لانى علام الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدى ولم يقل ما يبدل قولى (وما انا بظلام للعبيد) اى فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على اساءة المسئ اوانقص من احسان المحسن * قوله عز وجل (يوم يقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعنى جهنم (هل من مزيد) يعنى تقول قد امتلأت ولم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكارى وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع اهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شئ فتقول الست قد اقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس فى مزيد (ق) عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفى رواية رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا

وانحراف مزاجها ومتسعة طرقها منفرجة لنفوذ تلك القوى وسريانها وتصرفها فيها (انهم جند مغرقون) هالكون بتموج البحر وطمسه اياهم عند خراب البدن (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) شجرة الزقوم هى النفس

فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة نحوه وزاد ولايظلم الله من خلقه احدا
﴿ فصل ﴾ هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات وللعلماء فيه وفى امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلم فى تأويلها بل نؤمن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انها تناول بحسب مايليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ فى اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان فى المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض اظهر التأويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولابد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعى العقلى على استحالة الجارحة على الله تعالى والله اعلم قوله قط قط اى حسبى حسبى قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه احدا يعنى انه يستحيل الظلم فى حق الله فمن عذبه بذنب او بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى * قوله تعالى ﴿ وازلفت الجنة ﴾ اى قربت وادنيت ﴿ للمتقين ﴾ اى الذين اتقوا الشرك ﴿ غير بعيد ﴾ يعنى انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها اهل الموقف قبل ان يدخلوها ﴿ هذا ما توعدون ﴾ اى يقال لهم هذا الذى وعدتم به فى الدنيا على السنة الانبياء ﴿ لكل اواب ﴾ اى رجاع من المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلى ﴿ حفيظ ﴾ قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر ﴿ من خشى الرحمن بالغيب ﴾ اى خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه فى الخلوة بحيث لا يراه احد اذا القى الستر واغلق الباب ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ اى مخلص مقبل على طاعة الله ﴿ ادخلوها ﴾ اى يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة ﴿ بسلام ﴾ اى بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾ اى فى الجنة لانه لاموت فيها ﴿ لهم ما يشاؤن فيها ﴾ وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهى مسئلتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده مالم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى ﴿ ولدينا مزيد ﴾ وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد * قوله تعالى ﴿ وكم اهلكنا قبلهم ﴾ اى قبل كفار مكة ﴿ من قرن هم اشد منهم بطشا ﴾ يعنى سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف ﴿ فنقبوا فى البلاد ﴾ اى ساروا وتقلبوا فى البلاد وسلكوا كل طريق ﴿ هل من محيص ﴾ اى فلم يجدوا لهم محيصا اى مهربا من امر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم ﴿ ان فى ذلك لذكرى ﴾ اى ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ قال ابن عباس اى عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله ﴿ او القى السمع ﴾ اى استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره ﴿ وهو شهيد ﴾ اى حاضر القلب ليس بغافل

المستعلية على القلب فى تعبد الشهوة وتعود اللذات سميت زقوما للازمتها اللذة اذ الزقم والتزقم عندهم اكل الزبد والتمر ولكونه لذيذا انسبت تبعة اللذة اليه واشتق لها اسم منه ولا يطعم منها ويستمد من قواها وشهواتها الا المنغمس فى الاثم المنهمك فى الهوى ﴿ كالمهل ﴾ اى دردى الزيت لقلها وترسبها وسرعة نفوذها فى المسام للطافتها وحرارتها اللازمة لطلبها مايهواها او النحاس الذائب فى ميلها الى الجهة السفلية وايذائها القلب بشدة الداعية ولهج الحرص ولهب نار الشوق مع الحرمان ﴿ يغلى فى البطون ﴾ تضطرب وتقلق فى البواطن من شدة حر التعب فى الطلب فتقلق القلوب وتحرقها بنار الهوى ومنافاة ظلمتها لنورها وتسرى فيها بالاذى لاستيلاء هيئتها عليها ولطف هواها الذى هو روح النفس ورسوخ محبتها فيها ولهذا تميل ذواق السلاطين محرقة الشفتين ﴿ كغلى الحميم ﴾ السارى بحرة فى المسام للطافته وقوله فى البطون كقوله نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ﴿ خذوه فاعتلوه الى سواء

ولاساء ❊ قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ومامسنا من لغوب) اى اعياء وتعب قال المفسرون نزلت فى اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية رداعليهم وتكذيبالهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى ومامسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض ومابينهما فقوله ومامسنا من لغوب اى ماتعبنا بالخلق الاول حتى لانقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى افعيينا بالخلق الاول الآية واما ماقاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو امانحريف منهم اولم يعلموا تأويله وذلك ان الاحد والاثنين ازمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولاقمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان اى مدة كانت ❊ قوله عزوجل (فاصبر على مايقولون) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى اصبر يامحمد على ما يقولون اى من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) اى صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) اى صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعنى صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعنى صلاة المغرب والعشاء وقيل يعنى صلاة الليل اى وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية عن ابن عباس وروى مرفوعا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر (م) عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعنى بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال مااحصى ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل ياايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى قوله وادبار السجود التسبيح باللسان فى ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسبح فى ادبار الصلوات كلها يعنى قوله وادبار السجود (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وماذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى احد بمثل ماجئتم به الا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون

الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم) اشارة الى انعكاس احوالها لانتكاس فطرتها فان اللذة والعزة الجسمانية والكرامة النفسانية موجبة للالم والهوان والذلة الروحانية (ان هذا ما كنتم به تمترون) لحسبانكم انحصار اللذات والالام فى الحسية واحتجابكم بها عن العقلية (ان المتقين) الكاملين فى التقوى باجتناب البقايا (فى جنات) عالية من الجنان الثلاث (وعيون) من علوم الاحوال والمعارف وغيرها من المنافع الحقيقية (يلبسون من سندس) لطائف الاحوال والمواهب لاتصافهم بها كالمحبة والمعرفة والفناء والبقاء (واستبرق) فضائل الاخلاق كالصبر والقناعة والحلم والسخاوة (متقابلين) على رتب متساوية فى الصف الاول من صفوف الارواح لاحجاب بينهم لتجرد ذواتهم وبروزهم الى الله عن صفاتهم (كذلك وزوجناهم بحور عين) اى قرناهم بما فيه قرة اعينهم واستئناس قلوبهم لوصولهم بمحبوبهم وحصولهم على كمال

عشرا ❊ قوله تعالى (واستمع يوم يناد المناد) يعنى استمع يامحمد حديث يوم يناد المناد وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادى هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى بالحشر فيقول ياايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى فى وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) اى الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) اى من القبور (انا نحن نحيي) اى فى الدنيا (ونميت) يعنى عند انقضاء الاجل (والينا المصير) اى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) اى يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) اى هين (نحن اعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة فى تكذيبك (وما انت عليهم بجبار) اى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) اى ما اوعدت به من عصانى من العذاب قال ابن عباس قالوا يارسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اى عظ بالقرآن من يخاف وعيدى والله اعلم بمراده

❊ تفسير سورة والذاريات ❊

وهى مكية وهى ستون آية وثلثمائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذرو التراب (فالحاملات وقرا) يعنى السحاب يحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعنى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا (فالمقسمات امرا) يعنى الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحى الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة فى الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ماتوعدون) اى من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) اى لحق (وان الدين) اى الحساب والجزاء (لواقع) اى لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لاترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله (انكم) يعنى يا اهل مكة (انى قول مختلف) يعنى فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم يقولون فى القرآن سحر وكهانة واساطير الاولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفى قول مختلف اى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من افك) اى يصرف عن

مرادهم (يدعون فيها بكل فاكهة) اى كل ما يتلذذ به من لذائذ الجنان الثلاث (آمنين) من الفناء والحرمان عن تلك النعماء (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) اى الطبيعة الجسمانية لا الفناء من الافعال والصفات والذات فان كل فناء منها وان كان موتا اراديا لكنه حياة اصفى والذ واشهى واهنأ مما قبلها وكل منها فى جنة (ووقاهم عذاب الجحيم) اى جحيم الحرمان بوجود البقية فضلا عن الخذلان فى جحيم الطبيعة (فضلا من ربك) موهبة محضة وعطاء صرفا من ربك بالوجود الحقانى عند تلاشى الآلات النفسانية (ذلك الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون) والله اعلم

❊ سورة حم الجاثية ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(حم) جواب القسم محذوف لدلالة تنزيل الكتاب عليه اى اقسم بحقيقة الهوية اى الوجود المطلق الذى هو اصل الكل وعين الجمع وبمحمد اى الوجود الاضافى الذى هو كمال الكل وصورة

الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به ﴿ قتل الخراصون ﴾ اى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة ﴿ الذين هم فى غمرة ﴾ اى فى غفلة وعمى وجهالة ﴿ ساهون ﴾ اى لاهون غافلون عن امر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه ﴿ يسئلون ايان يوم الدين ﴾ اى يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى ﴿ يوم هم ﴾ اى يكون هذا الجزاء فى يوم هم ﴿ على النار يفتنون ﴾ اى يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ اى عذابكم ﴿ هذا الذى كنتم به تستعجلون ﴾ اى فى الدنيا تكذيبا به ❊ قوله تعالى ﴿ ان المتقين فى جنات وعيون ﴾ يعنى فى خلال الجنان عيون جارية ﴿ آخذين ما آتاهم ﴾ اى ما اعطاهم ﴿ ربهم ﴾ اى من الخير والكرامة ﴿ انهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ اى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ❊ ثم وصف احسانهم فقال تعالى ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾ اى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من اولها او من اوسطها وعن انس بن مالك فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابوداود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا اى من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون اى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة ﴿ وبالاسحار هم يستغفرون ﴾ اى ربما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم اخذوا فى الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضئ الفجر وزاد فى رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

❊ فصل ❊ هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفى امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفى ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى اعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال

التفصيل لا نزال الكتاب المبين لهما او بجعل حم مبتدأ و ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ خبره على تقدير حذف مضاف اى ظهور حقيقة الحق المفصلة تنزيل الكتاب اى ارسال الوجود المحمدى او انزال القرآن المبين الكاشف عن معنى الجمع والتفصيل فى غير موضع كما جمع فى قوله شهد الله انه لا اله الا هو ثم فصل بقوله والملائكة واولوا العلم ﴿ من الله ﴾ من عين الجمع ﴿ العزيز الحكيم ﴾ فى صورة تفاصيل القهر واللطف اللذين هما اما الاسماء ومنشؤه الكثرة فى الصفات اذ لا صفة الا وهى من باب القهر او اللطف ﴿ ان فى السموات والارض ﴾ اى فى الكل ﴿ لآيات للمؤمنين ﴾ بذاته لان الكل مظهر وجوده الذى هو عين ذاته ﴿ وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ﴾ بصفاته لانكم وجميع الحيوانات مظاهر صفاته من كونه حيا عالما مريدا قادرا متكلما سميعا بصيرا لانكم بهذه الصفات شاهدون بصفاته ﴿ و ﴾ فى ﴿ اختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيى به الارض بعد موتها وتصريف

كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفرلى ماقدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد فى رواية وما انت اعلم به منى انت اعلم به منى وانت المؤخر لااله الا انت اولااله غيرك زاد النسائى ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لااله الاالله وحده لاشريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمدلله وسبحان الله والله اكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفرلى اوقال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت ❊ قوله عزوجل ﴿ وفى اموالهم حق ﴾ اى نصيب قيل انه مايصلون به رحما اويقرون به ضيفا او يحملون به كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة ﴿ للسائل ﴾ اى الذى يسأله الناس ويطلب منهم ﴿ والمحروم ﴾ قيل هو الذى ليس له فى الغنائم سهم ولايجرى عليه من الفئ شئ قال ابن عباس رضى الله عنهما المحروم الذى ليس له فى فئ الاسلام سهم وقيل معناه الذى حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذى لايسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذى اصيب زرعه اوثمره ونسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم فى الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب واظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لايسأل ولايكاد الناس يعطون من لايسأل وانما يفطن له متيقظ ﴿ وفى الارض آيات ﴾ اى عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وانواع النبات ﴿ للموقنين ﴾ اى بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه ﴿ وفى انفسكم ﴾ اى آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان تنفخ الروح وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقويم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن آدم ﴿ افلاتبصرون ﴾ يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث ﴿ وفى السماء رزقكم ﴾ قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق ﴿ وماتوعدون ﴾ يعنى من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال ﴿ فورب السماء والارض انه لحق ﴾ اى ماذكر من الرزق وغيره ﴿ مثل ماانكم تنطقون ﴾ اى بلااله الاالله وقيل شبه تحقق مااخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لايمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لايقدر ان يأكل رزق غيره ❊ قوله تعالى ﴿ هل اتاك حديث ضيف ابرهيم ﴾ يعنى هل اتاك يامحمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود ﴿ المكرمين ﴾ قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عندالله

الرياح آيات لقوم يعقلون) افعاله فان هذه التصرفات افعاله وانما فرق بين الفواصل الثلاث بالايمان والايقان والعقل لان شهود الذات اوضح وان خفى لغاية وضوحه والوجود اظهر والمصدقون به اكثر لكونه من الضروريات ومشاهدة الصفات ادق والطف من القسمين الباقين فعبر عنها بالايقان فكل موقن مؤمن بوجوده ولاينعكس وقد يوجد الايقان بدون الايمان بالذات لذهول المؤمن بالوجود الموقن بالصفات عن شهود الذات لاحتجابه بالكثرة عن الوحدة واما الافعال فمعرفتها استدلال بالعقل اذ التغير فى الاشياء لابد له من تغيره مغير عند العقل لاستحالة التأثر بدون التأثير عقلا والاول فطرى روحى والثانى علمى قلبى اى كشفى ذوقى والثالث عقلى فالمحجوب الباقى على الفطرة يؤمن اولا بالذات ثم يوقن بالصفات ثم يعقل الافعال واما المحب المحتجب عن الفطرة بالنشأة والمادة فهو فى مقام النفس يعقل اولا افعاله ثم يوقن

وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن ابي شريح العدوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) اى غرباء لانعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل انكر اسلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض (فراغ) اى عدل ومال (الى اهله فجاء بعجل سمين) اى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف ان يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعي اليه فلم يأكلوا (قال الا تأكلون) يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يأمرهم (فاوجس) اى فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم) اى يبلغ ويعلم وقيل عليم اى نبي (فاقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه (في صرة) اى في صيحة والمعنى انها اخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيأ (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء ايضا اذا انكرن شيأ (وقالت عجوز عقيم) معناه اتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) اى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) اى فما شانكم وما طلبكم (ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو الآجر (مسومة) اى معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها (فاخرجنا من كان فيها) اى في قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) اى اهل بيت (من المسلمين) يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه مامن مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لامانع منه فاذا سمي المؤمن مسلما لايدل على اتحاد مفهوميهما (وتركنا فيها) اى في مدينة قوم لوط (آية) اى عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم * قوله عزوجل (وفي موسى) اى وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة (اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين) اى بحجة ظاهرة (فتولى) اى اعرض عن الايمان (بركنه) اى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) اى فاغرقناهم في البحر (وهو مليم) اى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفي عاد) اى وفي اهلاك عاد ايضا آية وعبرة (اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم) يعني التي لاخير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولاتحمل مطرا (ماتذر من شئ اتت عليه) اى

بصفاته التي هي مبادى افعاله ثم يؤمن بذاته ولهذا لما سئل حبيب الله صلى الله عليه وسلم بم عرفت الله قال عرفت الاشياء بالله (تلك ايات الله) اى آيات سموات الارواح وارض الجسم المطلق اى الكل وآيات الاحياء من الموجودات وآيات سائر الحوادث من الكائنات (نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه) اى آيات ذاته وصفاته وافعاله (فبأى حديث بعد الله وآياته) وآيات صفاته وافعاله (يؤمنون) اذلا موجود بعدها الاحديث بلا معنى واسم بلا مسمى كما قال ان هي الا اسماء سميتموها اى بلا مسميات (ويل لكل افاك اثيم) منغمس في افك الوجود المزخرف الباطل الموهوم واثم الشرك بنسبة الافعال لذلك الموجود (يسمع آيات الله) من كل موجود قائل بلسان الحال او القال (تتلى عليه) على لسان كل شئ لاعلى لسان النبي وحده (ثم يصر مستكبرا) في نسبتها الى

من انفسهم واموالهم وانعامهم (الا جعلته كالرميم) اى كالشئ الهالك البالى وهو مايبس ودبس من نبات الارض كالشجر والتين ونحوه واصله من رم العظم اذا بلى (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعنى الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام (فعتوا عن امر ربهم) اى تكبروا عن طاعة ربهم (فاخذتهم الصاعقة) اى بعد مضى ثلاثة ايام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) اى يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) اى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولاقدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) اى ممتنعين مناوقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من امر الله (وقوم نوح) قرئ بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح (من قبل) اى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) اى خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسماء بنيناها بايد) اى بقوة وقدرة (وانا لموسعون) قيل هو من السعة اى اوسعنا السماء بحيث صارت الارض وما يحيط بها من السماء والفضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون اى الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا ذوو السعة والغنى (والارض فرشناها) اى بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) اى نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) اى صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض (لعلكم تذكرون) اى فتعلموا ان خالق الازواج فرد لانظير له ولاشريك معه (ففروا الى الله) اى قل يامحمد ففروا الى الله اى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله (انى لكم منه نذير) اى مخوف (مبين) اى بين الرسالة بالحجة الطاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) اى وحدوه ولاتشركوا به شيأ (انى لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لاينفع الامع العمل كما ان العمل لاينفع الامع الايمان وانه لايفوز عند الله الاالجامع بينهما (كذلك) اى كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون كذلك (ما اتى الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة والامم الخالية (من رسول) يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة (الاقالوا ساحر او مجنون) * قال الله تعالى (اتواصوا به) اى اوصى اولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم طاغون) اى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) اى اعرض عنهم (فما انت بملوم) اى لالوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وماقصرت فيما امرت به قال المفسرين لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن

الغير لاحتجابه بوجوده واستكباره وانانيته لفرط نفره عنه او لغرته وغفلته (كان لم يسمعها) لعدم تأثره بها (فبشره بعذاب) الحجاب المؤلم والحرمان الموبق (واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا) بنسبتها الى من لا وجود له اصلا (اولئك لهم عذاب مهين) فى ذل الامكان (من ورائهم جهنم ولايغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) اى فى تسخير ما فى السموات وما فى الارض لكم دلائل لمن يتفكر فى نفسه من هو ولما ذا سخر له هذه الاشيأ حتى الملكوت والجبروت منه من جهته فيرجع الى ذاته ويعرف حقيقته وسر وجوده وخاصيته التى بها شرف وفضل عليها واهل لتسخيرها له فيأنف عن التأخر عن

كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ❊ قوله عز وجل (وما خلقت الجن والانس) اى من المؤمنين (الا ليعبدون) قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي وهو ماجبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن ابى طالب الا ليعبدون اى الا لآمرهم ان يعبدوني و ادعوهم الى عبادتي وقيل معناه الا ليعرفوني وهذا حسن لانه لولم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا لى ويتذللوا لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئة لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدوني فأما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء واما الكافر فيوحد اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ما اريد منهم من رزق) اى ما اريد ان يرزقوا احدا من خلقي ولا ان يرزقوا انفسهم لانى انا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وما اريد ان يطعمون) اى ان يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه لما صح من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدى فلانا مرض ولم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يارب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى اخرجه مسلم ❊ ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (ان الله هو الرزاق) اى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذى لا يلحقه فى افعاله مشقة (فان للذين ظلموا) اى من اهل مكة (ذنوبا) اى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) اى مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) اى بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى اعلم بمراده

❊ تفسير سورة الطور ❊

❊ مكية وهى تسع واربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل (والطور) اراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) اى مكتوب (فى رق) يعنى الاديم الذى يكتب فيه المصحف (منشور) اى مبسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صريرا لاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل

رتبة اشرفها فضلا عن اخسها ويترقى الى غايته التى يندب اليها (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر) طريقة من امر الحق هى طريقة التوحيد (فاتبعها) بسلوكها على بينة وبصيرة (ولا تتبع اهواء) جهالات اهل التقليد (الذين لا يعلمون) علم التوحيد (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) اى ان يدفعوا عنك ضررا بأفعالهم لعدم تأثيرهم ولا جهالة وحجابا بأوصافهم لعدم قواهم وقدرهم وعلومهم اذ لا حول ولا قوة الا بالله ولا وحشة بحضورهم اذ لا مناسبة بينك وبينهم فتستأنس بهم بل لا انس لك

هو القرآن (والبيت المعمور) يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من افراد مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى البيت المعمور في السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه وفي رواية اخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ماهذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لايعودون يسبحون الله ويقدسونه وفي افراد البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك (والسقف المرفوع) يعني السماء (والبحر المسجور) يعني الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون من قبورهم اقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعني انه لحق وكائن ونازل بالمشركين في الآخرة (ماله من دافع) اى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت له وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم يكن اسلم يومئذ فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب * ثم بين انه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) اى تدور كدور الرحى وتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) اى تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لارجوع ولاعود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء ومابينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) اى شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) اى يوم القيامة (الذين هم في خوض اى يخوضون في الباطل (يلعبون) اى غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) اى يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا في اقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) اى في الدنيا (افسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا (ام انتم لاتبصرون اصلوها) اى قاسوا اشدتها (فاصبروا) اى على العذاب (اولاتصبروا) اى عليه (سواء

الا بالحق وهم لاشيء محض في شهودك فلا موالاة بينك وبينهم بوجه وانما موالاة الظالمين ليست الامع الظالمين لما بينهم من الجنسية والمناسبة في الاحتجاب (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين) اى متولى امور من اتقى افعاله بالتوكل عليه في شهود توحيد الافعال او ناصر من اتقى صفاته في مقام الرضا بمشاهدة تجليات الصفات او حبيب من اتقى ذاته في شهود توحيد الذات اذ الولي يستعمل بالمعاني الثلاثة لغة (هذا) اى هذا البيان (بصائر للناس) اى بينات لقلوب الذين طالعوا بهجة الصفات يطالعون بكل بصيرة تجلى طلعة صفته (وهدى) لارواحهم الى محل شهود الذات (ورحمة) لنفوسهم من عذاب حجاب الافعال (لقوم يوقنون) هذه البيانات (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق

عليكم) اى الصبر والجزع (انمـا تجزون ما كنتم تعملون) اى من الكفر والتكذيب فى الدنيا ❊ قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) اى معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) اى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) اى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيأ) اى مأمون العاقبة من التخمة والقسم (بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر مصفوفة) اى موضوعة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان) يعنى الحقنا اولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمـان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعـا لاحد ابويه (الحقنابهم ذرياتهم) يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم لتقر بذلك تكرمة لآبائهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية عن ابن عبـاس وفى رواية اخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم يعنى البالغين بايمـان الحقنابهم ذرياتهم الصغـار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير ان ينقص الآباء من اعمالهم شيأ وذلك قوله تعالى (وماالتناهم من عملهم من شيء) يعنى ومانقصنا الآباء من اعمالهم شيا ❊ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنابهم ذرياتهم الى آخر الآية عن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتالها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النـار فلما راى الكراهة فى وجههـا قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يارسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم فى الجنة وان المشركين واولادهم فى النار ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعنا هم ذرياتهم بايمـان الحقنابهم ذرياتهم اخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى (كل امرئ) اى كافر (بما كسب) اى عمل من الشرك (رهين) اى مرتهن بعمله فى النار والمؤمن لايكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين ثم ذكر ماوعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وامددناهم بفاكهة) يعنى زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) اى من انواع اللحوم (يتنـازعون) اى يتعاطون ويتنـاولون (فيها) اى فى الجنة (كأسا لالغو فيها) اى لاباطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولاتأثيم) اى لايكون فيها ما يؤثمهم ولايجرى بينهم مافيه لغو واثم كما يجرى بين شربة الخمر فى الدنيـا وقيل لايأثمون فى شربهـا (ويطوف عليهم) اى للخدمة (غلمـان لهم كأنهم) اى الحسن فى البياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) اى مخزون مصون لم تمسه الايدى قال عبدالله بن عمرو مامن احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يانبى الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ❊ قوله تعالى (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعنى يسال بعضهم بعضا فى الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ماكانوا فيه من الخوف والتعب فى الدنيا (قالوا انا كنا قبل فى اهلنا) اى فى الدنيا (مشفقين) اى خائفين من العذاب

ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون افرأيت من اتخذ الهه هواه) الاله المعبود ولما اطاعوا الهوى فقد عبدوه وجعلوه الها اذ كل مايعبده الانسان بمحبته وطاعته فهو الهه ولو كان حجرا (واضله الله على علم) عالما بحاله من زوال استعداده وانقلاب وجهه الى الجهة السفلية او مع كون ذلك العابد للهوى عالما يعلم مايجب عليه فعله فى الدين على تقدير ان يكون على عـلم حالا من الضمير المفعول فى اضله الله لا من الفاعل وحينئذ يكون الاضلال لمخالفته علمه بالعمل وتخلف القـدم عن النظر لتشرب قلبه بمحبة النفس وغلبة الهوى كحال بلعام بن باعورا واضرابه كما قال عليه السلام كم من عالم ضل ومعه علمه لاينفعه او على علم منه غير نافع لكونه من باب الفضول لاتعلق له بالسلوك (وختم على سمعه وقلبـه) بالطرد عن باب الهـدى والابعاد عن محل سماع كلام الحق وفهمه لمكان الرين وغلظ الحجاب (وجعل على بصره غشاوة) عن رؤية جماله وشهود لقائه (فمن يهديه من بعد الله) اذ لاموجود

(فمن الله علينا) اى بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من اسماء جهنم (انا كنا من قبل) اى في الدنيا (ندعوه) اى نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده * قوله عز وجل (فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمت ربك) اى برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذي يوهم انه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن او مجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون (ام يقولون) يعني هولاء المقتسمين (شاعر) اى هو شاعر (نتربص به) اى ننتظر به (ريب المنون) يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك من كان قبله من الشعراء او يتفرق عنه اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون اسم للموت وللدهر واصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعا الاجل (قل تربصوا) اى انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتربصين) اى من المنتظرين حتى يأتي امر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي (ام تأمرهم احلامهم) اى عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تعرفهم معرفة الحق من الباطل (ام هم قوم طاغون) اى يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر (ام يقولون تقوله) اى اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) اى بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) اى مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه (ان كانوا صادقين) يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه (ام خلقوا من غير شيء) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى ام خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (ام هم الخالقون) اى لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل في معنى الآية اخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ام هم الخالقون اى لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر (ام خلقوا السموات والارض) يعني ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون) اى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (ام عندهم خزائن ربك) يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق (ام هم المسيطرون) اى المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت امر ولا نهي ويفعلون ما يشاؤن (ام لهم سلم) يعني مرقى ومصعدا الى السماء (يستمعون فيه) اى يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون ان ما هم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) اى ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) اى بحجة بينة (ام له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم (ام تسئلهم اجرا) اى جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه

سواء يقوم بهدايته (افلا تذكرون) ايها الموحدون (وقالوا ماهي الاحياتنا الدنيا) اى الحسية (نموت) بالموت البدني الطبيعي (ونحيي وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) الحياة الجسمانية الحسية لاموت ولاحياة غيرهما ولا ينسبون ذلك الا الى الدهر لاحتجابهم عن المؤثر القابض للارواح والمفيض للحياة على الابدان (قل الله يحييكم ثم يميتكم) لا الدهر (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون) اليه بالحياة الثانية عند البعث او الله يحييكم لا الدهر بالحياة الابدية القلبية بعد الحياة النفسانية ثم يميتكم بالفناء فيه ثم يجمعكم اليه بالبقاء بعد الفناء والوجود الموهوب لتكونوا به معه (ولله ملك السموات والارض) لا مالك غيره في نظر الشهود (ويوم تقوم الساعة يومئذ) القيامة الكبرى (يخسر المبطلون) الذين يثبتون

من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعنى اثقلهم ذلك المغرم الذى سألتهم فمنعهم عن الاسلام (ام عندهم الغيب) اى علم الغيب وهو ماغاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم به الرسول من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) اى يحكمون قال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون مافيه ويخبرون الناس به (ام يريدون كيدا) اى مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) اى المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به فى دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (ام لهم اله غير الله) يعنى يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى انه نزه نفسه عما يقولون * قوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مركوم) اى بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) اى يعاينوا (يومهم الذى فيه يصعقون) اى يموتون ويهلكون (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون) اى لاينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) اى كفروا (عذابا دون ذلك) اى عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن اكثرهم لايعلمون) اى ان العذاب نازل بهم * قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) اى الى ان يقع بهم العذاب حكما عليهم به (فانك بأعيننا) اى بمرأى منا قال ابن عباس نرى مايعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) اى وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله بالليل من حين تقوم من الفراش الى ان تدخل فى الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة باى شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتنى عن شئ ما سألنى عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفرلى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائى وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ماروى عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اخرجه الترمذى وابو داود وقد تكلم فى احد رواته * وقوله عز وجل (ومن الليل فسبحه) اى فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اى تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب

الغير اذ كل ماسواه باطل ومن اثبته واحتجب به عنه مبطل (وترى) ياموحد (كل امة جاثية) لاحراك بها اذهى بنفسها ميتة غير قادرة كما قال انك ميت وانهم ميتون اوتراها جاثية فى الموقف الاول وقت البعث قبل الجزاء على حالها فى النشأة الاولى عند الاجتنان وفيه سر (كل امة تدعى الى كتابها) اى اللوح الذى اثبت فيه اعمالها وتجسد صورها وانتقشت فيه على هيئة جسدانية فان كتابة الاعمال انما تكون فى اربعة الواح احدها اللوح السفلى الذى يدعى اليه كل امة ويعطى بيمين من كان سعيدا وشمال من كان شقيا والثلاثة الاخرى سماوية علوية اشير اليها فيما قبل وانما قلنا هذا الكتاب هو اللوح السفلى لان الكلام ههنا فى جزاء الاعمال لقوله (اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) والناسخون هم الملكوت السماوية والارضية جميعا (فأما الذين آمنوا) الايمان الغيبى التقليدى او اليقينى

اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النجم ﴾

﴿ وهي مكية وهي اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروي عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ما ضل صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى (وما غوى) اي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية (وما ينطق عن الهوى) اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) اي ما هو يعني القرآن وقيل نطقه في الدين (الا وحي) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبياء اسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) اي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا اي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى واما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك

العلى (وعملوا الصالحات) ما صلح به حالهم في المعاد الجسماني من ابواب البر (فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين) رحمة ثواب الاعمال في جنة الافعال (واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) احتجبوا عن الحق بالكفر الاصلي والانغماس في الهيآت الجرمانية المظلمة بالاجرام بدليل قوله (واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اي نترككم في العذاب كما تركتم العمل للقائي في يومكم هذا لعدم اعترافكم او نجعلكم كالشيء المنسي المتروك بالخذلان في العذاب كما نسيتم لقاء يومكم هذا بنسيان العهد الازلي (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم

يستعتبون فلله الحمد) الكمال المطلق الحاصل للكل ببلوغ الاشياء الى غاياتها وحصولها على اجل ماتمكن من كمالاتها (رب السموات) مكمل الارواح ومدبرها (ورب الارض) مدبرا لاجساد ومالكها ومصرفها (رب العالمين) موجه العالمين الى كمالاتهم بربوبيته اياهم (وله الكبرياء فى السموات والارض) اى الاستعلاء ونهاية الترفع والكبر على كل شئ وغاية العلو والعظمة باستغنائه عنه وافتقاره اليه فكل يحمده باظهار كماله وجميع صفاته بلسان حاله ويكبره بتغيره وامكانه وانخراطه فى سلك المخلوقات المحتاجة اليه الفانية بالذات القاصرة عن سائر الكمالات غير مااختص به (وهو العزيز) القوى القاهر لكل شئ بتأثيره فيه واجباره على ماهو عليه (الحكيم) المرتب لاستعداد كل شئ بلطف تدبيره المهئ لقبوله لما ارادمنه من صفاته بدقيق صنعته وخفى حكمته

﴿ سورة الاحقاف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله

الصورة التى خلق عليها الانبيا محمد صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين اودنى) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وانه اتاه فى هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الافق اخرجاه فى الصحيحين وعن زربن حبيش فى قوله تعالى فكان قاب قوسين اوادنى وفى قوله ما كذب الفؤاد مارأى وفى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد فى رواية اخرى رأى جبريل فى صورته اخرجه مسلم والبخارى فى قوله تعالى فكان قاب قوسين اوادنى فاوحى الى عبده مااوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين اوادنى اى بل ادنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عزوجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين اوادنى وقدورد فى الصحيحين فى حديث المعراج من رواية شريك بن عبدالله بن ابى نمر عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين اوادنى وهذه رواية ابى سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبدالحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يأت احدمنهم بما اتى به وفى رواية شريك قدم واخروزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك فى الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عزوجل فتدلى اى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر والقوس الذى يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبدالله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس اوادنى بل اقرب (فاوحى) اى فاوحى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (مااوحى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال اوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مااوحى اليه ربه عزوجل وقال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنالك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك * قوله عزوجل (ما كذب الفؤاد) قرئ بالتشديد اى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم (مارأى) اى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف اى ما كذب فؤاد محمد الذى رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا فى الذى رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عزوجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقيل جعل بصره فى فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد مارأى ولقد رآه نزلة اخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة

(عليه)

الى انه رآه بعينه حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عزوجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عزوجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين اخرجه الترمذى باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا اماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ومن حدثك ان محمدا كتم امرا فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين اخرجاه فى الصحيحين (م) عن ابى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور انى اراه * قوله عزوجل (افتمارونه على ما يرى) يعنى افتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسرى به وقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة اخرى) يعنى راى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه رآه فى صورته مرتين مرة فى الارض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن ابى هريرة ولقد رآه نزلة اخرى قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة اخرى هو انه كانت للنبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عزوجل فى بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه (عند سدرة المنتهى) (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفى رواية الترمذى اليها ينتهى علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفى حديث المعراج المخرج فى الصحيحين ثم صعد بى الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفى افراد مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكر الى ان قال فيه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة فى اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عزوجل وعن اسماء بنت ابى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة او قال يستظل بظلها مائة الف راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذى وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل

العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) اى بالوجود المطلق الثابت الاحدى الصمدى الذى يتقوم به كل شئ او بالعدل الذى هو ظل الوحدة المنتظم به كل كثرة كما قال بالعدل قامت السموات والارض (و) بتقدير (اجل مسمى) اى كمال معين ينتهى به كمال الوجود وهو القيامة الكبرى بظهور المهدى وبروز الواحد القهار بالوجود الاحدى الذى يفنى عنده كل شئ كما كان فى الازل (والذين كفروا) بالاحتجاب عن الحق (عما انذروا) من امر هذه القيامة (معرضون قل ارأيتم ما تدعون من دون الله) تسمونه وتثبتون له وجودا و تأثيرا اى شئ كان (ارونى) ما تأثيره فى شئ ارضى بالاستقلال اى شئ سماوى بالشركة (ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم) على ذلك بدليل نقلى من كتاب سابق اوعقلى من علم متقن (ان كنتم صادقين ومن اضل

والثمار من جميع الالوان ولو أن ورقة وضعت منها فى الارض لاضاءت لاهل الارض وهى شجرة طوبى التى ذكرها الله فى سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوى اليها جبريل والملائكة وقيل يأوى اليها ارواح الشهداء (اذ يغشى السدرة مايغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة امثال الغربان وقيل امثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى امثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة وروى فى الحديث قال رايت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عزوجل (مازاغ البصر وما طغى) اى مامال بصر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولاجاوز ماراى وقيل ماامر به وهذا وصف ادبه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام الشريف اذلم يلتفت الى شئ سوى ماامر به وفى معنى الآية ان قلنا الذى يغشى السدرة فراش من ذهب اى لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذلم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذى يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان احدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولايسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثانى مازاغ البصر بصعقة ولا غشية كما اخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نور على الجبل قطع نظره وغشى عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت فى ذلك المقام العظيم الذى تحار فيه العقول وتزل الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عزوجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام العظيم بقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى * وقوله تعالى (لقد راى من آيات ربه الكبرى) يعنى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل اراد ماراى تلك الليلة فى مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد راى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد راى من آيات ربه الكبرى قال راى جبريل فى صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد راى من آيات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر سد افق السماء

﴿ فصل من كلام الشيخ محيى الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى وهل راى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل ليلة الاسراء ﴾ قال القاضى عياض اختلف السلف والخلف هل راى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع فى صحيح مسلم وجاء مثله عن ابى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس انه رآه بعينه ومثله عن ابى ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وابى هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب المقالات عن ابى الحسن الاشعرى وجماعة من اصحابه انه رآه ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عزوجل فى الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذلا يجهل نبى مايجوز او يمتنع على ربه واختلفوا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة ام لا فحكى عن الاشعرى وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا فى قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر على ان هذا الدنو والتدلى مقسم بين جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الآخر

ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) شيأ اى شئ كان كدعاء الموالى للسادة مثلا اذلايستجيب له احد الاالله (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ماكنت بدعا من الرسل وما ادرى مايفعل بى ولا بكم ان اتبع الا مايوحى الى وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لايهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لوكان خيرا ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين)

اومن سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه اومن الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لاحد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على مالم يطلع سواء عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين او ادنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضى عياض قال الشيخ محيى الدين واما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج فى المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لانتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لابأس به عن شعبة عن قتادة عن انس قال راى محمد ربه عزوجل وكان الحسن يحلف لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل والاصل فى المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه فى المعضلات وقد راجعه ابن عمر فى هذه المسئلة وراسله هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل فاخبره انه رآه ولا يقدح فى هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربى وانما ذكرت ماذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء حجاب او يرسل رسولا ولقوله لاتدركه الابصار والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ماعائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس اثبت مانفاه غيره والمثبت مقدم على النافى هذا كلام صاحب التحرير فى اثبات الرؤية قال الشيخ محيى الدين فالحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه عزوجل بعينى رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لايأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لاينبغى ان يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول اما احتجاج عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله تعالى لاتدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لايحاط به واذا ورد النص بنفى الاحاطة لايلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب فى نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من اوجه احدها انه لايلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثانى انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الوجه الثالث قاله بعض العلماء ان المراد بالوحى الكلام من غير واسطة

لان عبادة اهل الدنيا السادتهم وخدمتهم اياهم لا تكون الا لغرض نفسانى وكذا استعباد الموالى لخدمهم فاذا ارتفعت الاغراض وزالت العلل والاسباب كانوا لهم اعداء وانكروا عبادتهم يقولون ماخدمتمونا ولكن خدمتم انفسكم كما قيل فى تفسير قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو (ان الذين قالوا ربنا الله) اى تجردوا عن العلائق ورفضوا العوائق وانقطعوا الى الله عن كل ما سواه ورجوا البصر عن طغواه فصدقوا قالوا ربنا الله اذ لو بقيت منهم بقايا ولم يأمنوا التلوينات فى عرصة الفناء لم يقولوا صادقين ربنا الله (ثم استقاموا) بالتحقق به فى العمل والتحفظ به فى مراعاة آداب الحضرة عن الزلل والخطل بحيث لم ينبض منهم عرق ولم يتحرك منهم شعرة الا بالله ولله (فلا خوف عليهم) اذ لاحجاب ولاعقاب (ولاهم يحزنون) اذ لامرغوب الا وهو حاصل لهم فلم يفت منهم شئ ولا يفوت كما قيل ان فى الله عزاء لكل مصيبة ودركا عن كل مافات (اولئك

اصحـاب الجنة) المطلقة الشاملة للجنان كلها (خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) فى حال السلوك حتى الوصول (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه كرهـا ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة) لما كانت النفس ممنوة بتدبير البدن لتوقف استكمالها عليه مشغولة عن كمالها به فى اول النشأة لم تنفتح بصيرتها ولم يصف ادراكها ولم يتبين رشدها الا وقت بلوغ النكاح كما قال فى اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وذلك هو الاشد الصورى الا ترى ان الطبيعة من وقت الطفولة الى هذا الحد لاتتفرغ الى تحصيل مادة النوع عن ايرادها مايزيد فى الاقطار من الغذاء زائدا على بدل المتحلل من البدن لضعف الاعضاء وشدة الاحتياج الى النمو والتصلب فالنفس حينئذ منغمسة فى البدن مستعملة للطبيعة فى ذلك العمل ذاهلة عن كمالها الى هذا الاجل فلما قربت الآلات من حد كمالها

وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحى هنـا الالهام والرؤية فى المنام وكلاهما يسمى وحيا واما قوله تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة فى اول الحديث لقدقف شعرى فمعنـاه قام شعرى من الفزع لكونى سمعت مالا ينبغى ان يقال تقول العرب عند انكار الشئ قف شعرى واقشعر جلدى واشمأزت نفسى وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابى ذر نورانى اراه فهو بتنوين نورو بفتح الهمزة فى انى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال الماوردى الضمير فى اراه عائد على الله تعالى والمعنى ان النور يمنعنى من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ماحلت بين الرائى وبينه وفى رواية رايت نورا معناه رايت النور فحسب ولم ار غيره وفى رواية ذاته نورانى اراه ومعناه هو خالق النور المانع من رويته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعـالى عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة المسلمين والله اعلم ❊ قوله عز وجل (افرايتم اللات والعزى) هذه اسماء اصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها اسماء من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى اخبرونا عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة شئ وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منهـا الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلمـا مات عبده وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلهـا فمرت الطائف على موضع اللات واما العزى فقيل هى شجرة بغطفان كانوا يعبدونهـا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

ياعز كفرانك لاسبحانك ❊ انى رايت الله قد اهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسـها ويقال ان خالدا رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتهـا فقال مارايت فقال مارايت شيأ فقال ماقطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقيل هى صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفانى وقيل انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال انا اصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى اخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذى اخذ المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار واسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا

يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وامر برفع الحجارة وامر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هى بيت بالطائف كان تعبده ثقيف وقوله (ومناة) قيل هى الخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هى بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من الحجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة اذ هى الثالثة فى الذكر واما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب اخرى ولم يقل اخر وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره افرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هى صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمى والعزى شجرة فهى نبات ومناة صخرة فهى جماد وهى فى اخريات المراتب ومعنى الآية هل رايتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل افرأيتم ايها الزاعمون اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس اى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هى) اى ما هذه الاصنام (الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة (ما انزل الله بها من سلطان) اى حجة بما تقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) اى فى قولهم انها آلهة (وما تهوى الانفس) يعنى هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذى ينبغى ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) اى البيان بالكتاب المنزل والنبى المرسل ان الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار ❊ قوله تعالى (ام للانسان ما تمنى) معناه ايظن الكافر ان له ما تمنى ويشتهى من شفاعة الاصنام اى ليس الامر كما يظن ويتمنى (فلله الآخرة والاولى) اى لا يملك احد فيهما شيئا ابدا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء فى الدنيا والآخرة وان شاء امهله الى الآخرة (وكم من ملك فى السموات) اى ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله (لا تغنى شفاعتهم شيأ) يعنى ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغنى شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى (الا من بعد ان يأذن الله) اى فى الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) اى من اهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وقيل الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى الكفار الذين انكروا البعث (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) اى بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى

ووصلت الى ما يصلح لاستعمالها فى تصرفاتها وانتقص الاحتياج الى ما يزيد فى اقطارها تفرغت الطبيعة الى ذخيرة مادة النوع من الشخص لاستغنائها بكمال الشخص عن مادته فتفرغت النفس الى تحصيل كمالها فانفتحت بصيرة علقا وظهرت انوار فطرتها واستعدادها وتنبهت عن نومها فى مهدها وتيقظت عن سنة غفلتها وتفطنت لقدس جوهرها وطلبت مركزها وغايتها لامرين صلاحية الآلات للاستعمال فى الاستكمال وفراغها عن تخصيص البدن بالاقبال لقلة الاشغال لكنها ما دامت سن النمو باقية وزيادة الآلات فى القوة والشدة ممكنة ما توجهت بالكلية الى الجهة العلوية وما تجردت لتحصيل الكمالات العقلية والمطالب القدسية للاشتغال المذكور وان قل وذلك الى منتهى الثلثين من السن كما تبين فى علم الطب فلما جاوزتها واخذت فى سن الوقوف اقبلت الى عالمها واشرقت انوار فطرتها فاشتدت فى طلب كمالها لوقوع الفراغ لها اليها فأخذ كافل الايتام

ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (وما لهم به من علم) اى بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث (ان يتبعون الا الظن) اى فى تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لا يغنى من الحق شيأ) اى لا يقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القران وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحيوة الدنيا) يعنى انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) اى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم ان آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) اى هو عالم بالفريقين ويجازيهم باعمالهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزى الذين اساؤا بما عملوا) والمعنى اذا كان اعلم بهم جازى كل احد بما يستحقه فيجزى الذين اساؤا اى اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين احسنوا) اى وحدوا ربهم (بالحسنى) يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسئ اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل (الذين يجتنبون كبائر الاثم) قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهى ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هى ما فحش من الكبائر (الا اللمم) اى الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك الممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول ابى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما * واى عبدلك لا الما

اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ما سلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم به فى الاسلام

الحقيقية الذى هو روح القدس ان آنس رشدها فى دفع اموالها التى هى الحقائق والمعارف والعلوم والحكم اليها لبلوغها نكاح النوانى من المفارقات القدسية والنورانيات الجبروتية وذلك وقت سيرها فى صفات الله الى ذات الله حتى الفناء التام بالاستغراق فى عين الجمع لامكان السير فى افعاله من وقت الاشد الصورى الى اشد هذا الاشد المعنوى الذى نهايته الاربعون تقريبا ولهذا قيل الصوفى بعد الاربعين ابدا ذلم يستعد بالتوجه والطلب والسير فى الافعال بالتزكية لقبول تلك الاموال والتصرف فيها فلم يأنس روح القدس منه الرشد فلم يدفع اليه واذا تم سيره فى الله عند ذلك الاشد بالفناء فيه كان وقت البقاء بعد الفناء واوان الاستقامة فى العمل واشار اليها بقوله (قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى) ولهذا لم يبعث نبى قط الا بعد الاربعين سوى عيسى ويحيى ومع ذلك وقفا فى بعض السموات ولما كانت النعم او ابديجب

(وذلك)

وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عزوجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابى هريرة ومسروق والشعبى والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا فى الدنيا ولا عذابا فى الآخرة فذلك الذى تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان مالم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثانى هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو مالم على القلب اى خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان اعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل فى بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة ﴾ قال العلماء اكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ماسواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكبائر التى ورد بها النص فلها تفاصيل واحكام تعرف بها مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال فى كل واحدة منها هى من اكبر الكبائر بالنسبة الى مادونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر اسبع هى قال هى الى السبعين اقرب وفى رواية الى سبعمائة اقرب وقد اختلف العلماء فى حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى وحكاه القاضى عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهى بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الائمة واذا ثبت انقسام المعاصى الى صغائر وكبائر فقد اختلف فى ضبطها فروى عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هى ماوعد الله عليه بنار فى الآخرة اوحد فى الدنيا وقال الغزالى فى البسيط الضابط الشامل فى ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف او استحداث ندم كالمتهاون فى ارتكابها والمتجرئ عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتابه القواعد اذا اردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر وان ساوت ادنى

تقييدها بالشكر استوزع الشكر على نعمة الكمال الحاصل المسبوق بالنعم الغير المتناهية لمحافظتها لئلا يحتجب برؤية الفناء فيترك الطاعة تبرما لحاله واتكالا على كماله فان آفة مقام الفناء رؤية الفناء والمبتلى بها يقع فى التلوين ويحرم نعمة التمكين ولهذا قال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا فطلب محافظة نعمة الهداية والكمال عليه بابقائه على الطاعات التى هى شكر نعمته التى انعم بها عليه وعلى والديه اللذين هما السبب القريب لوجوده اذ لو لم يكن فيهما خير وخلق حسن وسر صالح لم يظهر عليه ذلك الكمال لانه سرهما ولهذا وجب الاحسان والدعاء بالوالدين ولهما (وان اعمل صالحا ترضيه) بتكميل المستعدين فان الواجب على الكامل اولا محافظة كماله ثم تكميل المستكملين اذ العمل انما هو من الامور النسبية فربما كان صالحا بالنسبة الى احد سيئا بالنسبة الى غيره كما قال حسنات الابرار سيئات المقربين ولهذا قال (واصلح لى فى ذريتى) اى اولادى الحقيقية

مفاسد الكبائر اوزادت عليه فهى من الكبائر فمن امسك امرأة محصنة لمن يزنى بها اوامسك مسلما لمن يقتله فلاشك ان مفسدة ذلك اعظم ممن اكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك او دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستأصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم انه يؤخذ منه ثمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه انه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب او السنة ومنها ماوصف فاعلها بالفسق او يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله اعلم ※ وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام اى لا كبيرة مع استغفار ولاصغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة ايضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل فى حد الاصرار هو ان يتكرر منه الصغيرة تكرارا ويشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى (هو اعلم بكم) اى قبل ان يخلقكم وهو قوله (اذ انشأكم من الارض) اى خلق آباءكم ادم من التراب (واذ انتم اجنة) جمع جنين (فى بطون امهاتكم) سمى جنينا لاستتاره فى بطن امه (فلا تزكوا انفسكم) قال ابن عباس لاتمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا انفسكم فلاتبرؤها من الآثام ولاتمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الآية هو اعلم بكم ايها المؤمنون على حالكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولاتقولوا لمن تعرفوا حقيقته انا خير منك او انا ازكى منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو اعلم بمن اتقى) اى بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا انفسكم اى لاتنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لاتنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولاتثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم ادم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية ※ قوله عز وجل (افرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا اتركت دين الاشياخ وضللت قال انى خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى للذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله افرايت الذى تولى اى ادبر واعرض عن الايمان (واعطى) اى لصاحبه الذى عيره (قليلا واكدى) اى بخل بالباقى وقيل اعطى قليلا اى من الخير بلسانه واكدى اى قطعه وامسك ولم يتم بالعطية وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم

سواء كانوا صلبية اولا لان عمله الصالح الذى هو التكميل وتربية المريدين لايتم الا بعد تهيئ استعدادهم والصلاح فى اعمالهم واحوالهم وذلك من فيضه الاقدس ولو لم يكن هذا الصلاح والقبول التام الذى لايكون الامن عند الله لما كان للاصلاح والتكميل والارشاد اثر كما قال انك لاتهدى من احببت وهما اى محافظة الكمال بالشكر بالقيام بحق الملهم بالطاعات والتكميل بالارشاد ملاك العمل فى الاستقامة ووظيفة المتحقق بالوجود الحقانى فى مقام البقاء (انى تبت اليك) من ذنب رؤية الفناء وهذه التوبة هى التى تاب بها موسى عليه السلام عند الافاقة كما قال تعالى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك (وانى من المسلمين) المنقادين المستسلمين فى سلك العباد لمكان الاستقامة (اولئك) الموصوفون بتلك التوبة والاستقامة هم (الذين نتقبل عنهم احسن ماعملوا) بظهور آثار تربيتهم وحسن هدايتهم فى مريديهم لان التكميل احسن اعمالهم الاترى ان كل من لم يبثت على طريق

فى بعض الامور وقيل نزلت فى ابى جهل وذلك انه قال والله مايامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اى لم يؤمن به ومعنى الآية اكدى اى قطع واصله من الكدية وهى حجر يظهر فى البئر يمنع من الحفر ﴿ اعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ اى ماغاب عنه اى ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ﴿ ام لم ينبأ ﴾ اى يخبر ﴿ بما فى صحف موسى ﴾ يعنى اسفار التوراة ﴿ وابرهيم ﴾ اى وبخبر بما فى صحف ابراهيم ﴿ الذى وفى ﴾ اى كمل وتمم ماامر به وقيل عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه سهام الاسلام وهو قوله واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شان المناسك وروى البغوى بسنده عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذى وفى عمله كل يوم باربع ركعات اول النهار عن ابى الدرداء وابى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن آدم اركع لى اربع ركعات من اول النهار اكفك آخره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ثم بين مافى صحفهما فقال تعالى ﴿ الاتزر وازرة وزر اخرى ﴾ اى لاتحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لاتوخذ نفس باثم غيرها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد ابن المغيرة انه يحمل عنه الاثم قال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه واخيه وامرأته وعبده حتى كان ابرهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الاتزر وازرة وزر اخرى ﴿ وان ليس للانسان الاماسعى ﴾ اى عمل وهذا فى صحف ابراهيم وموسى ايضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنابهم ذرياتهم فادخل الانبياء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاماهذه الامة فلها ماسعوا وماسعى لهم غيرهم لماروى عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يارسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امى توفيت اينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفى رواية ان سعد بن عبادة اخا بنى سعد وذكر نحوه واخرجه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امى افتلتت نفسها واظنها لوتكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه فى الصحيحين وفى حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك واحمد وجماهير العلماء ان حج الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لايجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو حنيفة لايصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفى الحديثين الآخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك اجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة فى ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعى واختلف العلماء فى الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعى ان قراءة القرآن لايصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل واما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعى والجمهور وقال احمد تصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ماعمل هو فيثاب عليه فى الدنيا بان يوسع عليه

المتابعة ولم يتشدد فى حفظ السنة من الكمل لم يكن له اتباع ولم يقم منه كامل لخلله فى الاستقامة واتكاله على حاله من الكرامة وذلك علامة عدم قبول عمله الصالح وهؤلاء لما قاموا بشكر نعمة الكمال قبل عملهم (ونتجاوز عن سيئاتهم) التى هى بقايا صفاتهم وذواتهم بالمحو الكلى والطمس الحقيقى فى مقام التمكين فلايقعون فى ذنب رؤية الفناء ولاتلوين ظهور الانية والانانية (فى اصحاب الجنة) المطلقة (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) حيث قال الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شئ (والذى قال لوالديه اف لكما اتعداننى ان اخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ماهذا الااساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات) لماذكر السابقين وعقبهم بذكر من يقابلهم من المطرودين الذين حق عليهم القول وبين ان الفريق الاول فى عداد السعداء

في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروى ان عبدالله بن ابى ابن سلول كان اعطى العاس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبوله في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ماسعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله مايشاء من فضله وكرمه (وان سعيه سوف يرى) اى يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) اى السعى (الجزاء الاوفى) اى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء الاوفى ❊ قوله عزوجل (وان الى ربك المنتهى) اى اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الآخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها السامع او العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسئ وحث شديد للمحسن ليقلع المسئ عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الآية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى البغوى باسنادا لثعلبى عن ابى بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ماروى عن ابى هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب اى انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت انه لابد لها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وانه هو اضحك وابكى) اى هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على ان جميع مايعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل (ق) عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة اى بكاء مع صوت يخرج من الانف (وانه هو امات واحيى) اى امات في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الآباء واحيا الابناء وقيل امات الكافر بالنكرة واحيا المؤمنين بالمعرفة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) اى من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شئ لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة (من نطفة اذا تمنى) اى تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شئ واحد خلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجب صنعه وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق

والفريق الثاني من جملة الاشقياء تناول الكلام الاصناف السبعة المذكورة في اول الكتاب للتصريح بذكر الصنفين اللذين هما الاصل في الايمان والكفر والتعريض بذكر الخمسة الباقية فقال ولكل درجات (مما عملوا) اى ولكل صنف من اصناف الناس درجات من جزاء اعمالهم من اعلى عليين الى اسفل سافلين وغلب الدرجات على الدركات بل لكل احد من كل صنف رتبة ومقام وموقع وقدم من احدى الجنان او طبقات النيران (وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) انكر عليهم اذهاب جميع الحظوظ في لذات الدنيا لان لكل احد بحسب استعداده الاول كمالا ونقصا يقابله وبحسب وقت تكونه في هذا العالم سعادة عاجلة وشقاوة تقابلها فله بحسب كل واحدة من النشاتين طيبات وحظوظ تناسب كلا كاليه فمن اقبل بوجهه على طيبات الدنيا وحظوظها والاستمتاع بها واعرض بقلبه

لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولاخلقها ولاخلق غيره كما لم يقدر احد ان يدعى خلق السموات والارض (وان عليه النشأة الاخرى) اى الخلق الثانى بعد الموت للبعث يوم القيامة (وانه هواغنى واقنى) اى اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهى اصول الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اى اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اى اعطى فأرضى وقيل اغنى يعنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شئ لان الغنى ضد الفقر واقنى اى زاد فوق الغنى (وانه هورب الشعرى) اى انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب فى الدين سموه ابن كبشة تشبيها له به فى خلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضئ خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما واراد بالشعرى هنا العبور (وانه اهلك عادا الاولى) وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعنى اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح اهلكم الله بالصيحة (فما ابقى) يعنى منهم احد (وقوم نوح من قبل) يعنى اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (انهم كانوا هم اظلم واطغى) يعنى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (اهوى) اى اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم اهوى بها (فغشاها) اى البسها الله (ماغشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى آلاء ربك تتمارى) اى تشك ايها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى اى تكذب (هذا نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الاولى) اى رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذرت الرسل من قبله (ازفت الآزفة) اى قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) اى مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لايكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لايكشف عنها ولايظهرها غيره وقيل معناه ليس لها رد يعنى اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها يكشفها ولم يردها عنهم احد * قوله تعالى (افمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) اى استهزاء (ولا تبكون) اى مما فيه من الوعيد (وانتم سامدون) اى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا واصل السمود فى اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمغنى وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعنى ايها المؤمنين شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض فى الصلاة (واعبدوا) اى اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة فى الحقيقة لاتكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله

عن طيبات الاخرى ولذاتها حرم الثانية اصلا لانغماسه فى الامور الظلمانية واحتجابه عن المطالب النورانية كما قال تعالى فنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق وذلك معنى قوله اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا لان حظوظ الاخروية التى تقتضيها هويته ذهبت فى هذه فكأن مازاد فى النهار نقص من الليل واما من اقبل بوجهه الى الاخرى وتنزه عن هذه بالزهد والتقوى ورغب فى المعارف الحقيقية والحقائق الالهية والاذات العلوية والانوار القدسية التى هى الطيبات بالحقيقة فقد اوتى منها حظه ولم ينقص من حظوظه العاجلة على قياس الاول بل وفر منها نصيبه كما قال من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وذلك لان الاستغراق فى عالم القدس والتوجه الى جناب الحق يورث النفس قوة وقدرة تؤثر بها فى عالم الحس فكيف اذا اتصلت بمنبع القوى والقدر اما ترى

بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصباء او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو امية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع وهو قول سفيان واصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة القمر وهي مكية وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان واربعون كلمة ﴾
﴿ والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (اقتربت الساعة) اي دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتاخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روى عن انس ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذا انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد اعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم قد راوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رايناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد اخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب

ان عالم الملكوت مؤثر في عالم الملك متصرف فيه قاهر له باذن الله تعالى وتسخيره والانهماك في عالم الحس يخمد قوة الفطرة ويطفئ نور القلب فلا تبقى له قدرة ولا قوة وتأثير في شيء وكيف وقد تأثرت عما من شأنه التأثر المحض وتسخرت لما من شأنه التسخر الصرف والانفعال المطلق ولهذا قيل الدنيا كالظل تتبع من اعرض عنها وتفوت من اقبل اليها قال امير المؤمنين رضي الله عنه من اقبل اليها فاتته ومن اعرض عنها اتته (فاليوم تجزون عذاب الهون) اي الذلة والصغار للازمتكم بالطبع للجهة السفلية وتوجهكم بالعشق الى المطالب الدنية فأنتم اخترتم الدناءة والانقهار بالتجبر والاستكبار وذلك معنى قوله (بما كنتم تستكبرون) اي في مقام النفس باستيلاء القوة الغضبية التي شأنها الاستكبار (في الارض بغير الحق) اذ لو تجردوا عن الهيآت الغضبية والشهوية وترفعوا عن الصفات النفسية ونضوا جلابيب الانية والانانية لاستكبروا بالحق في السماء

العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهر القوم غائبا عن قوم وكما يجدا لكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله اودليل يدل عليه وفي قوله تعالى ﴿ وان يروا آية يعرضوا ﴾ دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية اى تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا اى عن التصديق بها ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ اى دائم مطرد وكل شئ دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما راوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر اى قوى محكم شديد يعلو به يعلو كل سحر وقيل مستمر اى ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعايلا ﴿ وكذبوا ﴾ يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله ﴿ واتبعوا اهواءهم ﴾ اى مازين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر ﴿ وكل امر مستقر ﴾ اى لكل امر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل امر مستقر فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب او العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ماقدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعنى ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من امور مستقر وان امر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق ﴿ ولقد جاءهم ﴾ يعنى اهل مكة ﴿ من الانباء ﴾ اى من اخبار الامم الماضية المكذبة في القرآن ﴿ مافيه مزدجر ﴾ اى منتهى وموعظة ﴿ حكمة بالغة ﴾ يعنى القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية ﴿ فما تغنى النذر ﴾ يعنى اى غنى تغنى النذر اذا خالفوهم وكذبوهم ﴿ فتول عنهم ﴾ اى اعرض عنهم نسختها آية القتال ﴿ يوم يدع الداع ﴾ اى اذكر يا محمد يوم يدع الداعى وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس ﴿ الى شئ نكر ﴾ اى منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له ﴿ خاشعا ﴾ وقرئ خشعا ﴿ ابصارهم ﴾ اى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب ﴿ يخرجون من الاجداث ﴾ اى من القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين مادى اعناقهم مقبلين ﴿ الى الداع ﴾ اى الى صوت الداعى وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ اى صعب شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين * قوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم ﴾ اى قبل اهل مكة ﴿ قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ يعنى نوحا ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ اى

والارض ولكان تكبرهم كبرياء الله كما قال الصادق عليه السلام لمن قال له فيك كل فضيلة وكمال الا انك متكبر لا والله بل انخلعت عن كبرى فخلع على كبرياء الله اوماهذا معناه فهذا هو التكبر بالحق ﴿ وبما كنتم تفسقون واذكر اخاعاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكنى اراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو مااستعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى

زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعني نوحا (ربه) وقال (انى مغلوب) اى مقهور (فانتصر) اى فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء ابوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) اى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع اربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) اى وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعني ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) اى قضى عليهم في ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الماآن سواء فكانا على ماقدر (وحملناه) يعني نوحا (على ذات الواح) اى سفينة ذات الواح واراد بالالواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هي المسامير التي تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها (تجرى) يعني السفينة (باعيننا) اى بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا (جزاء لمن كان كفر) يعني فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد امره وقيل لمن بمعنى لما اى جزاء لما كان كفر من ايادى الله ونعمه عند الذين اغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح واصحابه (ولقد تركناها آية) يعني الفعلة التي فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل اراد السفينة قال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة (فهل من مدكر) اى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها على وفي رواية اخرى سمعته يقول مدكر دالا (فكيف كان عذابى ونذر) اى انذارى (ولقد يسرنا القرآن) اى سهلنا القرآن (للذكر) اى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) اى متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم * قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) اى انذارى لهم بالعذاب (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اى شديدة الهبوب (في يوم نحس) اى في يوم شؤم (مستمر) اى دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم احد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) اى الريح تقلعهم ثم ترمى بها على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم اعجاز نخل) قال ابن عباس اصول نخل (منقعر) اى منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من اجسامهم فتبقى اجسامهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) اى بالانذار الذى جاء به صالح (فقالوا ابشرا منا واحدا) يعني آدميا واحدا منا (نتبعه) اى ونحن جماعة كثيرون (انا اذا لفي ضلال) اى خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق (ءألقى الذكر عليه) يعني ءانزل عليه الوحى (من بيننا بل هو كذاب أشر) اى بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) اى حين ينزل بهم

(العذاب)

وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) باستيلاء القوة الشهوانية التي خاصيتها الفسق والفساد (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الجن نفوس ارضية تجسدت في ابدان لطيفة مركبة من لطائف العناصر سماها حكماء الفرس الصور المعلقة ولكونها ارضية متجسدة في ابدان عنصرية ومشاركتها الانس في ذلك سميا ثقلين وكما امكن الناس التهدى بالقرآن امكنهم وحكاياتهم من المحققين وغيرهم اكثر من ان يمكن رد الجميع واوضح من ان يقبل التأويل وان شئت التطبيق فاسمع واذ صرفنا اليك نفرا من جن القوى الروحانية من العقل والفكر والمخيلة والوهم حال القراءة في الصلاة اى املناهم نحوك واتبعناهم سرك بالاقبال بهم اليك وصرفهم عن جانب النفس والطبيعة بتطويقهم اياك وتسخيرهم لك حتى يجتمع همك ولا يتوزع قلبك ولا يتشوش بالك

العذاب وقيل يعنى يوم القيامة وانما ذكرا لغد للتقريب (من الكذاب الاشر) اى صالح ام من كذبه (انا مرسلوا الناقة) اى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التى سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنة) اى محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) اى فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) اى على اذاهم (ونبئهم) اى اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) اى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) اى نصيب من الماء (محتضر) اى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعنى يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعنى قدار بن سالف (فتعاطى) اى فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعنى الناقة (فكيف كان عذابى ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) يعنى صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فماسقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالى الذى يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبس الشجر اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا) يعنى الحصباء وهى الحجارة التى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامى فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعنى لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعنى من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) اى جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزى) اى كما انعمنا على آل لوط كذلك نجزى (من شكر) يعنى ان من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد انذرهم) اى لوط (بطشتنا) يعنى اخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) اى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) اى طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه (فطمسنا اعينهم) وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لايهتدون الى الباب واخرجهم لوط عميا لايبصرون ومعنى فطمسنا اعينهم اى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم (فذوقوا عذابى ونذر) يعنى ما انذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) اى جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) اى دائم استقر فيهم حتى افضى بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) * قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعنى موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التى انذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع (فأخذناهم) اى بالعذاب (اخذ عزيز مقتدر) اى غالب فى انتقامه قادر على اهلاكهم لايعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (اكفاركم خير من اولئكم) يعنى اقوى واشد من الذين احللت بهم نقمتى مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون

بحركاتهم فى وقت حضورك عند طلوع فجر نور القدس (يستمعون القرآن) الوارد اليك من العالم القدسى (فلما حضروه) اى حضروا العقل القرآنى الجامع للكمالات عند ظهور النور الفرقانى عليك (قالوا انصتوا) اى سكتوا وسكت بعضهم بعضا عن كلامهم الخاص بهم مثل الاحاديث النفسانية والمتصورات والهواجس والوساوس والخواطر والحركات الفكرية والانتقالات التخيلية والقول ههنا حالى كما ذكر غير مرة اذ لو لم يسكتوا وينصتوا مستمعين لما يفيض عليهم من الواردات القدسية لم يبق من الوارد اثر بل لم يكن تلقى الغيب ولا ورود المعنى القدسى ولا تلاوة الكلام الالهى كما ينبغى ولهذا قال ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا ولأمر ما كان مبدأ الوحى منامات صادقة وذلك كون هذه القوى ساكنة متعطلة عند النوم حتى قوى على عزلها عن اشغالها وتعطيلها فى اليقظة (فلما قضى) اى الوارد المعنوى والنازل القدسى

وهذا استفهام انكار اى ليسوا بأقوى منهم (ام لكم براءة) يعنى من العذاب (فى الزبر) اى فى الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية (ام يقولون) يعنى كفار مكة (نحن جميع) اى امرنا (منتصر) اى من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآى وقيل معناه نحو كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اى كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعنى كفار مكة (ويولون الدبر) اى الادبار فوحد لاجل رؤس الآى وقيل فى الافراد اشارة الى انهم فى التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم فى ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة يوم بدر اللهم انى انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم ابدا فأخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يارسول الله فقد الححت على ربك فخرج وهو فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لاادرى اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعنى جميعا والساعة ادهى وأمر اى اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر * قوله عز وجل (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى ضلال وسعر) قيل فى بعد عن الحق وسعر اى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسعرة فى الآخرة وقيل فى ضلال اى عن طريق الجنة وسعر اى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال (يوم يسحبون) اى يجرون (فى النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) اى ذوقوا ايها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (انا كل شئ خلقناه بقدر) اى مقدور مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

﴿ فصل فى سبب نزول الآية وما ورد فى القدر وما قيل فيه ﴾ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن ابى هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز * عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لانعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفى حديث جبريل المتفق

الكشفى (ولوا الى قومهم منذرين) القوى النفسانية والطبيعية ينذرونهم عقاب الطغيان والعدوان على القلب بالتأثير فيهم بالملكات الفاضلة وافاضات الهيآت النورية المستفادة من المعنى القدسى النازل ويمنعونهم الاستيلاء على القلب بالتسخير والارتياض (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى) اى ما تأثرنا بمثل هذا التأثر النورى فى الوجود المحمدى الا فى زمن موسى ومن بعده الى هذا الزمان ما ترقينا هذا المعنى لان عيسى عليه السلام ماتم معراجه وما بلغ حاله حال النبيين المذكورين موسى ومحمد فى الانخراط فى سلك القدس فى حياته ومتابعة جميع قواه لسره وما كمل فناؤه ليتحقق جميع قواه بالوجود الحقانى ولذلك بقى فى السماء الرابعة واحتجب فيها بخلافهما وسيتبع الملة المحمدية بعد النزول ليتم حاله (مصدقا لما بين يديه) لكونه مطابقا له فى الهداية الى التوحيد والاستقامة كما اشير اليه بقوله (يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا اجيبوا

عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية * عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لاقدر من مات منهم فلاتشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابوداود وله عن ابى هريرة مثله وزاده فلاتجالسوهم ولاتفاتحوهم فى الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر منـاديا فينـادى نداء يسمعـه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لايجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لوان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى انهـا ستقع فى اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسـب ماقدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستأنفة العلم اى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب المقـالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع البـاطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا * وحكى ابو محمد بن قتيبة فى كتابه غريب الحديث وابو المعالى امام الحرمين فى كتابه الارشاد فى اصول الدين ان بعض القدرية قالوا لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومبـاهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعـال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعى الشئ لنفسـه ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولاخفاء باختصـاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابوداود فى سـننه والحاكم ابو عبدالله فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابى حازم عن ابن عمر وقال الخطابى انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس اقوالهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصـار واثنوية

داعى الله) بمطاوعة القلب فى التوجه الى الله والتأدب بآدابه والاستسلام لاحكامه والانقياد لاوامره ونواهيه فى طاعته (وآمنوا به) بالتنور بنوره والانخراط فى سلك عبادته (يغفر لكم من ذنوبكم) الهيآت الرذائل والميل الى الجهات السـفلية بمتـابعة الهوى وحجب الصفـات النفسانية دون التعلقـات البدنية والشواغل الطبيعية لامتناع تجريدها عن المادة ولهـذا المعنى اورد من التبعيضية (ويجركم من عذاب اليم) بسـبب النزوع والانجـذاب الى اللذات والشـهوات مع الحرمان لفقـدان الآلات وماقال بعض المفسرين ان الجن لاثواب لهم وانما اسـلامهم يدفع عقابهم فى تفسير الآية ان ثبت اشارة الى ان هذه القوى البدنية لاحظ لها من المعـانى الكلية العقليـة والهيآت النورية واللذات القدسـية لكن انقيادهـا ومطاوعتها للسر يدفع آلامها الحسية والنزوعية (ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين اولم يروا ان الله الذى خلق

السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) والله اعلم

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تطبيق (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم) على القوى النفسانية المانعة عن السلوك فى سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فامامنا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك

وكذلك القدرية يضيفونه الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شئ الخير والشر جميعا لايكون شئ منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهر على ماقدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اى خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله اعلم * واما معانى الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ماقدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ اوغيره لا اصل القدر فان ذلك ازلى لا اول له وعرشه على الماء اى قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شئ بقدر حتى العجز والكيس اوقال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك مايجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم فى امور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه ※ قوله تعالى (ومامرنا الا واحدة) اى ومامرنا الامرة واحدة وقيل معناه ومامرنا لشئ اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لامراجعة فيه فعلى هذا اذا اراد الله سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لاحاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد ان قضائى فى خلقى اسرع من لمح البصر وعن ابن عباس ايضا معناه ومامرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد اهلكنا اشياعكم) اى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة (فهل من مدكر) اى متعظ بان ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شئ فعلوه) يعنى الاشياع من خير وشر (فى الزبر) اى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) اى من الخلق واعمالهم وآجالهم (مستطر) اى مكتوب ※ قوله عز وجل (ان المتقين فى جنات) اى بساتين (ونهر) اى انهار وانما وحده لموافقة رؤس الآى واراد انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه فى ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لاليل عندهم (فى مقعد صدق) اى فى مجلس حق لا لغو فيه ولاتأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لاكذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لامعنى المكان (مقتدر) اى قادر لايعجزه شئ وقيل مقربين عند مليك امره فى الملك والاقتدار

اعظم شئ فلاشئ الاهو تحت ملكه وقدرته فاى منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم

﴿ تفسير سورة الرحمن علاوعز وجل ﴾

وهى مكية وذكر ابن الجوزى انها مدنية فى قول من قولين عن ابن عباس وهى ست وسبعون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لانعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعنى الذى انكرتموه هوالذى علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعنى علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهوالقرآن العزيز لانه اعظم وحى الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه فى ابواب الدين اثراوهو سنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البرية (خلق الانسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعنى اسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان اى النطق الذى يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف مايقول ومايقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعنى بيان مايكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعنى بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب مايريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو مايدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ماليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ماله ساق يبقى فى الشتاء وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هوالكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر فى مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان فى مقابلة سمائيين (والسماء رفعها) اى فوق الارض (ووضع الميزان) قيل اراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله (الا تطغوا فى الميزان) اى لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الآلة التى يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير ان لا تطغوا فى الميزان اى لئلا تميلوا وتجاوزوا الحق فى الميزان (واقيموا الوزن بالقسط) اى بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) اى لا تنقصوا (الميزان) اى لا تطففوا فى الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه

ولويشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ياايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم) على الروحانية المعاونة الى آخر الكلام ظاهر مما سبق فلا تكرر (مثل الجنة) اى صفة الجنة المطلقة المتناولة للجنان كلها (التى وعد المتقون) من الاصناف

(والارض وضعها) اى خفضها مدحوة على الماء (للانام) اى للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ماظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها) اى فى الارض (فاكهة) اى من انواع الفاكهة وقيل ماتتفكهون به من النعم التى لاتحصى (والنخل ذات الاكمام) يعنى الاوعية التى يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون فى غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شئ ستر شيأ فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه اعظمها واكثرها بركة (والحب) يعنى جميع الحبوب التى يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا فى الاماكن (ذو العصف) قال ابن عباس يعنى التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث فى الاكمام الحب (والريحان) يعنى الرزق قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ريحان فى القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذى يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) يعنى ايها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية فى هذه السورة فى احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا فى التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن احسن اليه وتابع اليه بالايادى وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع فى كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر فى هذه السورة مايدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأى آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم * عن جابر رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه ولا بشئ * قوله تعالى (خلق الانسان من صلصال) يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعنى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات فى صفة خلق الانسان الذى هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فى هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار (وخلق الجان) وهو ابو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعنى الصافى من لهب النار الذى لادخان فيه وقيل هو مااختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا اوقدت (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس

الجسمة المذكورة غير مرة (فيها انهار من ماء غير آسن) اى اصناف من العلوم والمعارف الحقيقية التى تحيا بها القلوب وتروى بها الغرائز كما تحيا بالماء الارض وتروى الاحياء غير آسن غير متغير بشوائب الوهميات والتشكيكات واختلاف الاعتقادات الفاسدة والعادات وهى للمتقين المجتنبين من الصفات النفسانية الواصلين الى مقام القلب (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) اى من علوم نافعة متعلقة بالافعال والاخلاق مخصوصة بالناقصين المستعدين الصالحين للرياضة والسلوك فى منازل النفس قبل الوصول الى مقام القلب بالاتقاء عن المعاصى والرذائل كعلوم الشرائع والحكمة العملية التى هى بمثابة اللبن المخصوص بالاطفال الناقصين لم يتغير طعمه بشوب الاهواء والبدع واختلافات اهل المذاهب وتعصبات اهل الملل والنحل (وانهار من خمر) اى اصناف من محبة الصفات والذات (لذة) اى لذيذة (للشاربين) الكاملين البالغين الى مقام مشاهدة حسن تجليات

ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعني ارسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عما فى طبعهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) اى حاجز من قدرة الله (لايبغيان) اى لايبغى احدهما على صاحبه وقيل لايختلطان ولايتغيران وقيل لايطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان فى كل عام (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل اراد يخرج من احدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشئ الواحد جاز ان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولايخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا امطرت السماء تفتح الاصداف افواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة ※ وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ماعظم من الدر (والمرجان) صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعني السفن الكبار (المنشآت) اى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى مارفع قلعها من السفن اما مالم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (فى البحر كالاعلام) اى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ※ قوله عز وجل (كل من عليها) اى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء (فان) اى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وماليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفى المخاطب وجهان احدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم (ذو الجلال) اى ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والاكرام) اى المكرم لانبيائه واوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا منها ※ قوله تعالى (يسئله من فى السموات والارض) يعني من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله اهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسألونه المغفرة واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل كل احد يسأله الرحمة ومايحتاج اليه فى دينه اودنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل مايحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى (كل يوم هو فى شان) قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لايقضى يوم السبت شيأ قال المفسرون من شأنه انه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل

الصفات وشهود جمال الذات العاشقين المشتاقين الى الجمال المطلق فى مقام الروح والاستغراق فى عين الجمع من المتقين عن صفاتهم وذواتهم (وانهار من عسل مصفى) اى حلاوات الواردات القدسية والبوارق النورية واللذات الوجدانية فى الاحوال والمقامات للسالكين الواجدين للاذواق والمريدين المتوجهين الى الكمال قبل الوصول الى مقام المحبة من الذين اتقوا الفضول فان الآكلين للعسل اكثر من الشاربين للخمر وليس كل من ذاق حلاوة العسل ذاق لذة الخمر دون العكس (ولهم فيها من كل الثمرات) اى انواع اللذات من تجليات الافعال والصفات والذات باسرها كما قال الشاعر

وكل لذيذة قد نلت منه ※ سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

لان شهود المعذب وتجلى صفة القهر له لذة خاصة من ذاتها يعرفها من يعرفها وينكرها من ينكرها (ومغفرة من ربهم) بستر هيآت المعاصى وتكفير سيآت الرذائل لاصحاب الاالبان

قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى مالا يحصى من افعاله واحداثه وخلقه مايشاء سبحانه وتعالى وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عزوجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شان قال سفيان بن عيينة الدهر كله عندالله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيامة والشان الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة ايام الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عزوجل كتب مايكون فى كل يوم وقدر ماهو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده فى ذلك الوقت وقال ابوسليمان الدارانى فى هذه الآية له فى كل يوم الى العبيد برجديد وقيل شانه تعالى انه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان) قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغا عن شغل لان الله تعالى لايشغله شان من شان فهو كقول القائل لمن يريده لاتفرغن لك ومابه شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشان وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى امركم فهو كقول القائل الذى لاشغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد اهل التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ماوعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض احياء وامواتا وقيل كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما قال جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب (فباى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا) اى تخرجوا (من اقطار السموات والارض) اى جوانبها واطرافها (فانفذوا) اى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت بالخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لايقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضاء وتخرجوا من ملكى ومن سمائى وارضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على ذلك * ثم قال تعالى (لاتنفذون الا بسلطان) يعنى لاتقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك لانكم حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اى بينة من الله تعالى (فباى آلاء ربكما تكذبان) وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة بلسان من نار ثم ينادى يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا

ثم يستر الافعال ايضا لاصحاب المياه ثم يمحو الصفات لاصحاب العسل وبعض اصحاب الخمر ثم يطمس ذنوب الاحوال والمقامات وافناء البقيات واخفاء ظهورها بالانوار والتجليات لاهل الفواكه والثمرات ثم بافناء الذات بالاستغراق فى جمع الاحدية والاستهلاك فى عين الهوية لشراب الخمور الصرفة وكلهم اصناف المتقين (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم) كمن هو فى مقابلتهم فى دركات جحيم الطبيعة وشرب حميم الهوى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لااله الاالله واستغفر لذنبك) اى حصل علم اليقين فى التوحيد ثم اسلك طريقه اذ الاستغفار الذى هو صورة السلوك مسبوق بالايمان العلمى دون الظنى لان من لم يرزق ثبات الايمان لم يمكنه السلوك

من اقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار) قال اكثر المفسرين هو اللهب الذى لادخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذامرة وهذامرة وقيل يجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر (فلاتنتصران اى فلا تمتنعان من الله ولايكون لكم ناصر منه (فباى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) اى انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل الارض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ماهو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ الوانا كألوان الفرس الورد يكون فى الربيع اصفر وفى اول الشتاء احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان اى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حرجهنم وقيل كالدهان اى كاديم الاحمر (فباى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان) قيل لايسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لاتسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله مابعده وعن ابن عباس ايضا فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال لايسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسئل فى بعضها ولايسئل فى بعضها وعن ابن عباس ايضا قال لايسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لايسئل غير المجرم عن ذنب المجرم (فباى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بسواد وجوههم وزرقه عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى اصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم) اى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التى يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعنى قدانتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى قدصار كالمهل وقال كعب الاحبار آن واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان قلت هذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قلت المذكور فى

والثبات لايكون الابالقين اذ الاعتقاد التقليدى يمكن تغيره وكل حجاب ذنب سواء كان بالهيآت البدنية او الصفات النفسانية او القلبية او الانية كما قيل

* وجودك ذنب لايقاس به ذنب * فالامر بالعلم ههنا هو الحث على شهود الوحدة وبالاستغفار لذنبه هو التحريض على التنصل عن ذات ظهور البقية والانانية (وللمؤمنين والمؤمنات) بتكميلهم وارشادهم ودعوتهم الى الحق وهدايتهم الى سلوك طريق التوحيد وهذا وامثاله مما يدل على ان اكثر سلوكه فى الله انما كان بعد البعثة والنبوة (والله يعلم متقلبكم) انتقالاتكم فى السلوك من رتبة الى رتبة وحال الى حال (ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم

هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ماأعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعهما من مخافة الله وقيل لمن راقب الله فى السر والعلانية بعمله فماعرض له من محرم تركه من خشيته وماعمل من خير اخلصه لله ولايحب ان يطلع عليه احد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودابوا الليل والنهار ﴿ جنتان ﴾ يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته ❊ عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الاان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذى قوله ادلج الادلاج مخففا سير اول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى اول الامر فان من سار اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوى بسنده عن ابى ذر انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم انف ابى ذر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم وصف الجنتين فقال تعالى ﴿ ذواتا افنان ﴾ اى اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا الوان يعنى الوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواهما ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان ﴾ قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ اى صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل ماتتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولامرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش ﴾ جمع فراش ﴿ بطائنها ﴾ جمع بطانة وهى التى تلى الارض من تحت الظهارة ﴿ من استبرق ﴾ وهو ماغلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة هذه البطائن فاظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس فى الارض احد يعرف ماالظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر ان بطائنها من الاستبرق ولابد ان تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لايعلمه البشر ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ يعنى ان ثمرهما قريب يناله والقائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لاتنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لايرد ايديهم عنها بعد ولاشوك ﴿ فبأى آلاء ربكما

اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلايتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم) ومقامكم الذى انتم فيه فيفيض عليكم الانوار وينزل الامداد على حسبها (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم) توفى الملائكة مخصوص بالقاطنين فى مقام النفس المنخرطين فى سلك الملكوت الارضية اى ماحيلتهم او كيف يعملون اذا توفتهم الملائكة الارضية بقبض ارواحهم على الصفة المؤلمة المؤذية من جهتهم بالحجب عن الانوار القدسية من وجوههم والمنع عما يميلون اليه من اللذات الحسية من ادبارهم اذ وجه النفس هو الجهة التى تلى القلب والضرب فيه هو الايلام من جهته بالحجب عن انواره ومافيه قرة العين من تجليات الصفات والدبر هو الجهة التى تلى البدن والضرب فيه هو التعذيب من جهته بالعجز عن الجهة

تكذبان فيهن) فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) اى غاضات الاعين قصرن اطرافهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربى ماارى فى الجنة شيأ احسن منك فالحمدلله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمثهن) اى لم يجامعهن ولم يفرعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمثن قبل ❊ وهن اصح من بيض النعام

اى لم يمسهن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (انس قبلهم) اى قبل ازواجهن من اهل الجنة (ولا جان) قيل انما نفى الجن لان لهم ازواجا فى الجنه منهم وفى الآية دليل على ان الجنى يغشى كما يغشى الانسى وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرا هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه واختلف فى هؤلاء اللواتى لم يطمثن فقيل هن الحور العين لانهن خلقهن فى الجنة فلم يمسهن احد قبل ازواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر ابكارا كما وصفهن لم يمسهن منذا نشئن خلقا آخر احد وقيل هن الآدميات اللاتى متن ابكارا ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيرهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) اراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهوصغار اللؤلؤ واشد بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشوب بحمرة والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ماروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان المرأة من نساء اهل الجنة ليروى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه اخرجه الترمذى قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد فى رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب درى فى السماء اضاءة لايبصقون فيها ولايمتخطون ولايتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لااختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخارى قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولايسقمون قوله مجامرهم الالوة يعنى بخورهم العود (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) اى ماجزاء من احسن فى الدنيا الا ان يحسن اليه فى الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لااله الا الله وعمل عاجاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى

السفلية واللذات الحسية التى انجذبت اليها بالميل الطبيعى والهوى والحجب عنها باخذ الآلات الموصلة اليها منهم (ذلك) اى ذلك الضرب والايلام من الجهتين (بـ) سبب (انهم اتبعوا مااسخط الله) من الانهماك فى المعاصى والشهوات البدنية المبعدة عن جنابه فاستحقوا الضرب فى الادبار (وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم) الذى هو الانسلاخ عن صفاتهم للاتصاف بصفاته والتوجه الى جنابه الموجب لمقام الرضا والقرب فاستحقوا الضرب فى الوجوه (ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم) لما كانت سراية هيآت النفس الى البدن اسرع من تعدى هيآت البدن الى النفس لكونها من الملكوت التى من شأنها التأثير وكون البدن من عالم الملك الذى من شأنه الانفعال لم يكن اخفاء الاحوال النفسانية كما ترى من ظهور هيآت الغضب والمساءة والسرة على وجوه اصحابها لكن الجهل الذى هو من اصعب امراض القلوب

البغوی باسناد الثعلبی عن انس بن مالك رضی الله عنه قال قرأ رسول الله صلی الله علیه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت علیه بالتوحید الا الجنة وروی الواحدی بغیر سند عن ابن عمر و ابن عباس ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال فی هذه الآیة یقول الله عز وجل هل جزاء من انعمت علیه بمعرفتی وتوحیدی الا ان اسكنه جنتی وحظیرة قدسی برحتی وقیل فی معنی الآیة هل جزاء من اتی بالفعل الحسن الا ان یؤتی فی مقابلته بفعل حسن وفی الآیة اشارة الی رفع التكلیف فی الآخرة لان الله وعد المؤمنین بالاحسان وهو الجنة فاو بقی التكلیف فی الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب علی ترك العمل والعقاب ترك الاحسان الیه فلا تكلیف (فبأی آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ای ومن دون الجنتین الاولیین جنتان اخریان وقال ابن عباس من دونهما فی الدرج وقیل فی الفضل وقال ابوموسی الاشعری جنتان من ذهب للسابقین وجنتان من فضة للتابعین وقال ابن جریج هن اربع جنان جنتان للمقربین السابقین فیهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب الیمین والتابعین فیهما فاكهة ونخل ورمان (ق) عن ابی موسی الاشعری رضی الله عنه ان النبی صلی الله علیه وسلم قال جنتان من فضة آنیتهما ومافیهما وجنتان من ذهب آنیتهما ومافیهما ومابین القوم بین ان ینظروا الی ربهم الارداء الكبریاء علی وجهه فی جنة عدن وقال الكتانی ومن دونهما جنتان یعنی امامهما وقبلها یدل علیه قول الضحاك الجنتان الاولیان من ذهب وفضة والجنتان الاخریان من یاقوت وزبرجد وهما افضل من الاولیین (فبای آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتین فقال تعالی (مدهامتان) ای سودا وان من ریهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الی السواد (فبای آلاء ربكما تكذبان فیهما عینان نضاختان) ای فوارتان بالماء لاینقطعان وقال ابن عباس والضحاك ینضخان بالخیر والبركة علی اهل الجنة وقال ابن مسعود ینضخان بالمسك والكافور علی اولیاء الله وقال انس بن مالك ینضخان بالمسك والعنبر فی دور اهل الجنة كطش المطر (فبای آلاء ربكما تكذبان فیهما فاكهة ونخل ورمان) یعنی فیهما من انواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبیها علی فضلهما وشرفهما علی سائر الفواكه وعلی هذا القول عامة المفسرین واهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصیص والتفضیل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبریل ومیكال خصهما بالذكر وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم لیس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم یخلصا للتفكه ولهذا قال ابو حنیفة اذا حلف لایأكل الفاكهة فأكل رطبا اورمانا لم یحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول اهل اللغة ولاحجة له فی الآیة وروی البغوی بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكرمها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال اوالدلاء اشد بیاضا من اللبن واحلی من العسل والین من الزبد لیس له عجم وروی ان الرمانة من رمان الجنة مثل البعیر المقتب وقیل ان نخل اهل الجنة مثل البعیر المقتب وقیل

یغر صاحبه ویعمه فیحسب ان ما فی قلبه من الغل والحقد والحسد یخفیه والله یظهرها علی صفحات وجهه فی فلتات لسانه كما قال النبی علیه السلام مااضمر احد شیأ الا واظهره الله فی فلتات لسانه وصفحات وجهه وذلك معنی قوله (ولو نشاء لأریناكهم فلعرفتهم بسیماهم ولتعرفنهم فی لحن القول والله یعلم اعمالكم) ولهذا قیل لوبات احد علی معصیة اوطاعة فی مطمورة وراء سبعین بابا مغلقة لاصبح الناس یتقاولون بها لظهورها فی سیماه وحركاته وسكناته وشهادة ملكاته (ولنبلونكم حتی نعلم المجاهدین منكم والصابرین ونبلو اخباركم ان الذین كفروا وصدوا عن سبیل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبین لهم الهدی لن یضروا الله شیأ وسیحبط اعمالهم یاایها الذین آمنوا اطیعوا الله واطیعوا الرسول ولاتبطلوا اعمالكم ان الذین كفروا وصدوا عن سبیل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن یغفر الله لهم فلاتهنوا وتدعوا الی السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن یتركم اعمالكم انما الحیوة الدنیا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا یؤتكم اجوركم

ان نخل اهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها اخرى العنقود منها اثناعشر ذراعا ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن ﴾ اى فى الجنان الاربع ﴿خيرات حسان﴾ روى عن ام سلمة قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات ﴾ اى مخدرات مستورات لايخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لأضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن اطرافهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا ﴿ فى الخيام ﴾ قيل هى البيوت قال ابن الاعرابى الخيمة لاتكون الامن اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور فى الجنة (ق) عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحد مجوفة طولها فى السماء وفى رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر ﴾ قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروى عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هى مجالس خضر فوق الفرش وقيل هى المرافق وقيل الزرابى وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف ﴿وعبقرى حسان﴾ قيل هى الزرابى والطنافس الثخان وقيل هى الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقرى وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقرى عند العرب ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر لم ار عبقريا يفرى فريه واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهى ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شئ رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد فى الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل امر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شئ عجيب بديع ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام﴾ قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقى هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيد وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الامقدار مايقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اخرجه ابوداود والنسائى غير قولها لم يقعد الامقدار مايقول والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الواقعة ﴾

وهى مكية وسبع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف روى البغوى بسنده عن ابى ظبية عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لايدعها ابدا

ولايسئلكم اموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم هاانتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم) علم الله تعالى قسمان سابق على معلوماته اجمالا فى لوح القضاء وتفصيلا فى لوح القدر وتابع اياها فى المظاهر التفصيلية من النفوس البشرية والنفوس السماوية الجزئية فمعنى حتى نعلم حتى يظهر علمنا التفصيلى فى المظاهر الملكوتية والانسية التى يثبت بها الجزاء والله اعلم

﴿ سورة الفتح ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) فتوح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة اولها الفتح القريب المشار اليه بقوله فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهو فتح باب القلب بالترقى عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية والانوار اليقينية وقد شاركه فى ذلك اكثر المؤمن كما اشار اليه بقوله واخرى

واخرجه ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) اى اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهى النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) اى لمجيئها (كاذبة) اى ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة اى كل ما اخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة اى ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) اى تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا فى الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا فى الدنيا متضعين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة (اذا رجت الارض رجا) اى اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبى فى المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) اى فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) اى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم ازواجا) اى اصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فاصحاب الميمنة) يعنى اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا ابالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اى مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم التابعون باحسان (ما اصحاب الميمنة) تعجب من حالهم فى السعادة والمعنى اى شئ هم (واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة) يعنى اصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا ابالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت اعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى اول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة فى الثواب واما مسئ فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى (اولئك المقربون) اى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) * قوله تعالى (ثلة) اى جماعة غير محصورة العدد (من الاولين)

تحبونها نصر من الله وفتح قريب وقوله فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ويلزمه البشارة بالانوار الملكوتية والتجليات الصفاتية كما قال وبشر المؤمنين وحصول المعارف اليقينية وكشوف الحقائق القدسية المشار اليها بقوله ومغانم كثيرة يأخذونها وثانيها الفتح المبين بظهور انوار الروح وترقى القلب الى مقامه وحينئذ تترقى النفس الى مقام القلب فتستتر صفاتها اللازمة اياها السابقة على فتح القلب من الهيئات المظلمة بالانوار القلبية وتنتفى بالكلية وذلك معنى قوله (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك) وكذا الحادثة المتأخرة عنه من الهيئات النورانية المكتسبة بالتنور بالانوار القلبية التى تظهر بها فى التلوينات وتحقق حالها وهى الذنوب المشار اليها بقوله (وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) ولا تنتفى هذه بالفتح القريب وان انتفت الاولى به لان معلم السلب لايتم ولا يكمل الا بعد الترقى الى مقام الروح

اى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعنى التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين اى ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) اى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعنى مصفوفة (متكئين عليها) اى على السرر (متقابلين) يعنى لاينظر بعضهم فى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة فى المجالسة وقيل لانهم صاروا ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار وظهور (يطوف عليهم) اى للخدمة (ولدان) اى غلمان (مخلدون) لايموتون ولايهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق فى الاذن واختلفوا فى هؤلاء الولدان فقيل هم اولاد المؤمنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله اخبر انه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لاولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بابى الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول اقرب من الاول لانه قد اختلف فى اولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذى لامعدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولد لان العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت (باكواب) جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا (واباريق) جمع ابريق وهى ذوات الخراطيم والعرا سميت اباريق ابريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكاس من معين) اى من خمرة جارية (لايصدعون عنها) اى لاتصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لايتفرقون عنها (ولا ينزفون) اى لايغلب على عقولهم ولايسكرون منها وقرئ بكسر الزاى ومعناه لاينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) اى يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه مايشتهى ثم يطير فان قلت هل فى تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لاوفى كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذى يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار واهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على مايشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله اعلم (وحور عين) اى ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء فى تفسير حور اى بيض عين اى ضخام العيون (كامثال

واستيلاء انواره على القلب فيظهر تلوين القلب حينئذ وينتفى تلوين النفس الذى كان فى مقام القلب بالكلية وتقطع مادته ويحصل فى هذا الفتح مقام المشاهدات الروحية والمسامرات السرية وثالثها الفتح المطلق المشار اليه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق فى عين الجمع بالشهود الذاتى وظهور النور الاحدى فهذا الفتح المذكور ههنا هو المتوسط يترتب عليه امور اربعة المغفرة المذكورة واتمام النعمة الصفاتية والمشاهدات الجمالية والجلالية بكمال مقام القلب كما ذكر والهداية الى طريق الوحدة الذاتية بالسلوك فى الصفات وانخراق حجبها النورية وانكشاف غيوبها الرقيقة حتى الوصول الى فناء الانية والنصر العزيز بالوجود الموهوب والتأييد الحقانى الموروث بعد الفناء (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين) السكينة نور فى القلب يسكن به الى شاهده ويطمئن وهو من مبادى عين اليقين بعد

اللؤلؤ المكنون) اى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء روى انه سطع نور فى الجنة فقيل ماهذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شرا كهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون) اى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا (لايسمعون فيها) اى فى الجنة (لغوا) قيل اللغو مايرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولا تأثيما) قيل معناه ان بعضهم لايقول لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لايأتون تأثيما اى ماهو سبب التأثيم من قول او فعل قبيح (الا قيلا) معناه لكن يقولون قيلا او يسمعون قيلا (سلاما سلاما) يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (واصحاب اليمين مااصحاب اليمين) لمابين حال السابقين شرع فى بيان حال اصحاب اليمين فقال تعالى (فى سدر مخضود) اى لاشوك فيه كانه خضد شوكه اى قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها اعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية (وطلح) هو الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل مايحبون ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) اى متراكم قد نضد بالحمل من اوله الى اخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه ثمر وليس شئ من ثمار الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) اى دائم لا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لاشمس فيها (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون فى اصلها فيشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عزوجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا (وماء مسكوب) اى مصبوب يجرى دائما فى غير اخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة) قال ابن عباس لاتنقطع اذا جنيت ولاتمتنع من احد اذا اراد اخذها وقيل مقطوعة بالازمان ولاممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتاء ولايوصل اليها الابالثمن وقيل لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث ماقطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله عزوجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال على مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى مرفوعة عالية عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كمابين السماء والارض ومسيرة مابينهما خمسمائة عام اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال الترمذى قال بعض اهل العلم معنى

علم اليقين كأنه وجد ان يقينى معه لذة وسرور (ليزدادوا ايمانا) وجدانيا ذوقيا عينيا (مع ايمانهم) العلمى (ولله جنود السموات) من الانوار القدسية والامداد الروحانية (والارض) من الصفات النفسانية والملكوت الارضية كالقوى البشرية وغيرها يغلب بعضها على بعض بمقتضى مشيئته كما غلب الملكوت السماوية الروحية على الارضية النفسه فى قلوبهم بانزال السكينة وغلب الارضية على السماوية فى قلوب اعدائهم فوقعوا فى الشك والريبة (وكان الله عليما) بسرائرهم ومقتضيات استعداداتهم وصفات فطرة الفريق الاول وكدورة نفوس الفريق الثانى (حكيما) بمايفعل من التغليب على مقتضى الحكمة والصواب (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) بانزال السكينة (جنات تجرى من تحتها الانهار) الصفات الجارية من تحتها انهار علوم التوكل والرضا والمعرفة وامثالها من علوم الاحوال والمقامات والحقائق والمعارف (ويكفر عنهم

هذا الحديث ارتفاع الفرش المرفوعة فى الدرجات والدرجات مابين كل درجتين كمابين السماء والارض وقيل اراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة اى رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله فى عقبه ﴿ انا انشأهن انشاء ﴾ اى خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر ﴿ فجعلناهن ابكارا ﴾ يعنى عذارى عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انشأناهن انشاء قال ان من المنشآت اللاتى كن فى الدنيا عجائز عمشا رمصا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وضعت بعض رواته وروى البغوى بسنده عن الحسن قال اتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لايدخلها عجوز قال فولت تبكى قال اخبروها انها لاتدخلها وهى عجوز ان الله تعالى قال انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا هذا حديث مرسل وروى باسناد الثعلبى عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله انا انشأناهن انشاء قال عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا انشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن فى الدنيا وقيل هن الحور العين انشاهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع ﴿ عربا ﴾ جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس فى رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام ﴿ اترابا ﴾ يعنى امثالا فى الخلق وقيل مستويات فى السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عيه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ لاصحاب اليمين ﴾ يعنى انشأناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذى ذكرنا لاصحاب اليمين ﴿ ثلة من الاولين ﴾ يعنى من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة ﴿ وثلة من الآخرين ﴾ يعنى من مؤمنى هذه الامة يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال لما انزل الله عزوجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يانبى الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عزوجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولايستتمها الا السودان من رعاة الابل ممن قال لااله الا الله (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهيط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه احد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت انهم امتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم فى اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماالذى تخوضون فيه فاخبروه

سيئاتهم) من صفات النفوس (وكان ذلك عند الله فوزا) بنيل درجات المقربين (عظيما) بالنسبة الى جنات الافعال (ويعذب المنافقين والمنافقات) المبطلين لاستعداداتهم المكدرين لصفائها بأفعالها وملكاتهم (والمشركين والمشركات) المردودين المطرودين عن جناب الحق من الاشقياء الذين لا يمكنهم موافقة المؤمنين ظاهرا لما بينهم من التضاد الحقيقى والتباغض الذاتى اصلى بحسب الفطرة (الظانين بالله ظن السوء) (لمكان الشك والارتياب وظلمة نفوسهم بالاحتجاب (عليهم دائرة السوء) بالتعذيب فى الدنيا بأنواع الوقائع كالقتل والاماتة والاذلال (وغضب الله عليهم) بالقهر والحجب (ولعنهم) بالطرد والابعاد فى الآخرة (واعد لهم جهنم وساءت مصيرا) انواع العذاب (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما) كررها ليفيد تغليب الجنود الارضية على السماوية فى المنافقين والمشركين بعكس مافعل بالمؤمنين ويدل عليا بقوله عزيزا ليفيد معنى القهر

فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين (ق) عن عبدالله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان اهل الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود او كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول ابى العالية ومجاهد وعطاء بن ابى رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقى هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة ايضا في آخر الزمان يدل على ذلك ماروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتى وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة من آمن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين قلت الآية الاولى في السابقين الاولين وقيل من يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في اصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين * وحكى عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه القول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ * قوله تعالى (واصحاب الشمال مااصحاب الشمال) قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) اى في حر النار وقيل في ريح شديد الحرارة (وحميم) اى ماء حار يغلى (وظل من يحموم) يعنى في ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء واهلها سود وكل شئ فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار (لا بارد ولا كريم) يعنى لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثانى حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان اسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك) يعنى في الدنيا (مترفين) يعنى منعمين (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) يعنى على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل ان الاولين والآخرين) يعنى الآباء والابناء (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) يعنى انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم انكم ايها الضالون) يعنى عن الهدى (المكذبون) اى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب (لآكلون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب

(الهيم)

والنفع لان العلم من باب اللطف والعزة من باب القهر (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) هذه المبايعة هى نتيجة العهد السابق المأخوذ ميثاقه على العباد في بدء الفطرة وانما كانت مبايعته مبايعة الله لان النبى قد فنى عن وجوده وتحقق بالله في ذاته وصفاته وافعاله فكل ما صدر عنه ونسب اليه فقد صدر عن الله ونسب اليه فبايعته مبايعة الله تعالى وانما قلنا انها نتيجة ميثاق الفطرة اذ لم تكن جنسيه ومناسبة اصلية بينهم وبينه لما وجدت هذه البيعة لانتفاء الالفة والمحبة المقتضية لها بانتفاء الجنسية فهى دليل سلامة فطرتهم وبقائها على صفائها الاصلى (يد الله) الظاهرة في مظهر رسوله الذى هو اسمه الاعظم (فوق ايديهم) اى قدرته البارزة في يد الرسول فوق قدرتهم البارزة في صور ايديهم فيضرهم عند النكث وينفعهم عند الوفاء (فمن نكث) العهد بتكدير صفاء فطرته والاحتجاب

الهيم) يعنى الابل العطاش قيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التى لا تروى بالماء قيل يلقى على اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذا نزلهم) يعنى ماذكر من الزقوم والحميم اى رزقهم وغذاؤهم وما اعدلهم (يوم الدين) يعنى يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم فى البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعنى ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك (فلولا) اى فهلا (تصدقون) يعنى بالبعث بعد الموت ❊ قوله عزوجل (افرأيتم ما تمنون) يعنى ما تصبون فى الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) اى أأنتم تخلقون ما تمنون بشرا (ام نحن الخالقون) اى انه خلق النطفة وصورها واحياها فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على ان يبعثكم كما انشاكم احتج عليهم فى البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعنى الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشبابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) يعنى لا يفوتنى شئ اريده ولا يمتنع منى احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى (على ان نبدل امثالكم) اى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم فى اسرع حين (وننشئكم) اى نخلقكم (فيما لا تعلمون) اى من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ماهو اسمج منها من اى خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم اى ان اردنا ان نفعل ذلك بكم مافاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون فى حواصل طيور سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لوشاء ان يبدلهم بامثالهم من بنى آدم قدر ولوشاء ان يمسخهم فى غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعانى هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى فى وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشئكم فى وقت لا تعلمونه يعنى وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا فى الازمان ولا يعلمه احد فينبغى ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الاولى) اى الخلقة الاولى ولم تكونوا شيأ وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) اى بانى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم اول مرة ❊ قوله تعالى (افرأيتم ما تحرثون) لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق ومافيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقاء وذكر امورا ثلاثة المأكول والمشروب ومابه اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول اولا لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التى بها الاصلاح وذكر من انواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله افرأيتم ما تحرثون اى ما تثيرون من الارض وتلقون به البذر (ءانتم تزرعونه) اى تنبتونه وتنشؤنه حتى يشتد ويقوم على سوقه (ام نحن الزارعون) معناه أأنتم فعلتم ذلك ام الله ولا شك فى ان ايجاد الحب فى السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس (ولو نشاء لجعلناه) يعنى ما تحرثونه وتلقون

بهيآت نشأته وتغلب ظلمة صفاء نفسه على نور قلبه الموجب لمخالفة العهد (فانما ينكث على نفسه) اى يعود ضرر نكثه عليه دون غيره لسقوطه عن الفطرة الاصلية واحتجابه فى الظلمات البدنية وحرمانه عن اللذات الروحانية وتعذيبه بالآلام النفسانية وهذا هو النفاق الحقيقى (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) بالمحافظة على نور فطرته (فسيؤتيه اجرا عظيما) بانوار تجليات الصفات ولذات المشاهدات ولهذا سميت هذه البيعة بيعة الرضوان اذ الرضا هو فناء الارادة فى ارادته تعالى وهو كال فناء الصفات ولتحقيق هذا الثواب لاطلاع الله تعالى على صفاء فطرتهم قال (سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان اراد بكم ضرا اواراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء

فيه من البذر (حطاما) اى تبنا لاقمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه او هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التى تصيبه ولا يشك احد فى ان دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه (فظلتم تفكهون) اى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ماسلف منكم من المعاصى التى اوجبت تلك العقوبة وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على مافات (انا لمغرمون) اى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لمعذبون يعنى انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرومون) اى ممنوعون والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه من الريع فى الزرع (افرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عزوجل (لو نشاء جعلناه اجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه (فلولا) اى افلا (تشكرون) يعنى نعمة الله عليكم (افرأيتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أأنتم انشأتم شجرتها) يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل اراد جميع الشجر الذى توقد منه النار (ام نحن المنشؤن نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا (تذكرة) اى للنار الكبرى اذا رأى الرائى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يارسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها (ومتاعا) اى بلغة ومنفعة (للمقوين) يعنى للمسافرين والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادى والسفار فان منفعتهم اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على مايريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله مايدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اى برئ الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم ※ قوله عزوجل (فلا اقسم) قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على اصلها وفى معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ماتقدم ومعناها النهى وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ماذكرته من النعم والحجج الوجه الثانى ان لا رد لما قاله الكفار فى القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفى فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهى عن السؤال (بمواقع النجوم)

وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم) من الصدق والعزيمة على الوفاء بالعهد وحفظ النور المذكور (فأنزل السكينة عليهم) بتلألؤ نور التجلى التجلى الصفاتى الذى هو

قال ابن عباس اراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها يوم القيامة وقيل مواقعها فى اتباع الشياطين عند الرجم ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون اى فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم ﴿ انه لقرآن كريم ﴾ اى ان الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم اى عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذى من شأنه ان يعطى الكثير وسمى القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التى تؤدى الى الحق فى الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب اصل علمه منه وقيل سمى كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكى وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسأمه السامعون ويهون فى الاعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لايهون بكثرة التلاوة ولايخلق بكثرة الترداد ولايمله السامعون ولايثقل على الالسنة بل هو غض طرى يبقى ابد الدهر كذلك ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ اى مصون مستور عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول اصح ﴿ لايمسه ﴾ اى ذلك الكتاب المكنون ﴿ الا المطهرون ﴾ وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث روى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد بن جبير وابى العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثانى من ان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لايمسه الا المطهرون اى من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لايجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لايقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لايمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الآية نفى ومعناها نهى قالوا لايجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولامسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعى واكثر الفقهاء يدل عليه ماروى مالك فى الموطأ عن عبد الله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لاتمس القرآن الا طاهرا اخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدار قطنى بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمس القران الا طاهر والمراد بالقران المصحف سماه قرآنا على قرب الجواز والاتساع كماروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه

نور كائن على نور ذاتى فحصل لهم اليقين (واثابهم فتحا قريبا) الفتح المذكور فحصلوا على مقام الرضا ورضوا عنه بما اعطاهم من الثواب واولم يسبق رضا الله عنهم لما رضوا (ومغانم كثيرة) من علوم الصفات والاسماء (يأخذونها وكان الله عزيزا) حيث كانت قدرته فوق قدرتهم (حكيما) حيث خبأ فى صورة هذا القهر الجلى معنى هذا اللطف الخفى اذ ظاهر قوله يد الله فوق ايديهم قهر ووعيد حصل منه معنى قوله لقد رضى الله عن المؤمنين الذى هو لطف محض (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) من علوم توحيد الذات (فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم) ناس صفاتكم عنكم (ولتكون آية) دالة شاهدة (للمؤمنين) على توحيد الذات (ويهديكم صراطا مستقيما) سلوك صراطه بعد العلم به (واخرى) من علومه تعالى التى هى عين ذاته بعد فنائكم فيه وتحققكم به حال البقاء بعد الفناء (لم تقدروا عليها) اذ لاتكون الا له (قد احاط الله بها) دون من سواه (وكان الله على كل شئ)

فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان المراد من لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفى الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعى لا يصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعى اخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثانى وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله اعلم ❊ قوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن اى القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعر او سحر او كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين ❊ قوله عز وجل (افبهذا الحديث) يعنى القرآن (انتم) اى يا اهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والادهان الجرى فى الباطل على خلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر (وتجعلون رزقكم) اى حظكم ونصيبكم من القرآن (انكم تكذبون) قال الحسن فى هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى بنعمة الله عليكم وهذا فى الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اى شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فى الحديبية فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله فى اثر سماء اى اثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول هو

من معلوماته (قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شئ عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

(الذى)

الذى ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض فى الافق سبعا بعد وقوعها فوالله مامضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمركم بقى من الوقت الذى جرت العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثانى فى تأويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصار على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا جار فيمن لايعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث ابى هريرة ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم ※ قوله تعالى (فلولا) اى فهلا (اذا بلغت الحلقوم) اى النفس او الروح الى الحلقوم عند الموت (وانتم) يعنى يااهل الميت (حينئذ تنظرون) يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امرى وسلطانى لايمكنكم المدفع ولا تملكون شيأ (ونحن اقرب اليه منكم) اى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم (ولكن لاتبصرون) اى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لاتبصرون اى لاتعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) اى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) اى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعدما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لابعث ولاحساب ولااله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فاما ان كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) اى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة (وريحان) اى وله استراحة وقيل هو الريحان الذى يشم قال ابو العالية لايفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (جنة نعيم) اى وله جنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (واما ان كان) يعنى المتوفى (من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين) اى فسلامة لك يامحمد منهم والمعنى لاتهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله او انك ترى فيهم ماتحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيآتهم ويتقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين (واما ان كان من المكذبين) اى بالبعث (الضالين) اى عن الهدى وهم اصحاب الشمال (فنزل من حميم) الذى يعد لهم حميم جهنم (وتصلية جحيم) اى وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعنى ماذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) اى لاشك فيه وقيل ان هذا الذى قصصناه عليك فى هذه السورة من

كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) والله اعلم

﴿ سورة الحجرات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) طلب الجمع بين ادبى الظاهر والباطن من اهل الحضور ونهى عن التقدمة المطلقة فى الحضرة الالهية والحضرة النبوية المتناولة للتقدم فى الاقوال والافعال وحديث النفس والظهور بالصفات والذات ولحضرة كل اسم من اسماء الله تعالى ادب يجب مراعاته على من تجلى الله له به ولكل مقام وحال ادب يجب على صاحبه محافظته فالتقدمة بين يدى الله فى مقام الفناء

الاقاصيص وماعدالله لاوليائه من النعيم وماعدلاعدائه من العذاب الاليم وماذكرم'يدل على وحدانيته يقين لاشك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) اى نزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبأمره عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اخرجه ابوداود عن حذيفة انه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما اتى على آية رحمة الاوقف وسأل وما اتى على آية عذاب الاوقف وتعوذ اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث فى صحيح البخارى والله اعلم

﴿ تفسير سورة الحديد وهى مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (سبح لله مافى السموات والارض) يعنى كل ذى روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عزوجل عن كل سوء وعما لايليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم اى قولهم والحق ان التسبيح هو القول الذى لايصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وماسوى العاقل فى تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثانى ان جميع الموجودات بامرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور فى الآية على القول كان المراد بقوله مافى السموات والارض من فى السموات وهم الملائكة ومسبحى الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوى فجميع اجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قدجاء فى بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضى وفى بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هى كانت مسبحة ابدا فى الماضى وستكون مسبحة ابدا فى المستقبل (وهو العزيز) اى الغالب الكامل القدرة الذى لاينازعه شئ (الحكيم) اى الذى جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) اى انه الغنى عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه (يحيى ويميت) اى يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا (وهو على كل شئ قدير) * قوله عزوجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) يعنى هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو

هى الظهور بالانانية فى حضرة الذات وفى مقام المحو الظهور بصفة تقابل الصفة التى تشاهد تجليها فى حضرة الاسماء كالظهور بارادته فى مقام الرضا ومشاهدة الارادة فى حضرة تجلى اسم المريد والظهور بعلمه بالاعتراض فى مقام التسليم بحضرة العليم وبالتجلد فى مقام العجز ومشاهدة القادر وتحديث النفس فى مقام المراقبة وشهود المتكلم وبالفعل فى مقام التوكل والانسلاخ عن الافعال فى حضرة الفعال وهذه كلها اخلال بادب الباطن مع الله تعالى واما الاخلال بادب الظاهر معه فكبترك العزائم الى الرخص والاقدام على الفضول المباحة من الاقوال والافعال وامثالهما واما التقدمة بين يدى الرسول باخلال ادب الظاهر فهو كالتقدم عليه فى الكلام والمشى ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات والجلوس معه واللبث عنده للاستئناس بالحديث والدخول عليه والانصراف عنه بغير الاستئذان وامثاله واما اخلال ادب الباطن معه فكالطمع فى ان يطيعه

ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل احد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالى على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والاخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده فى الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن القول ان تكيفه وقيل هو الاول الذى سبق وجوده كل موجود والآخر الذى يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر بن الباقلانى معناه انه تعالى الباقى بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التى كان عليها فى الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم فى فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه انه الباقى بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعنى اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقى من بنى فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء اجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلانى وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقى بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن ابصار الخلق فلا تستولى عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) (م) عن سهيل بن ابى صالح قال كان ابو صالح يأمرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل شئ انت آخذ بناصيته وفى رواية من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابى هريرة ايضا قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ماهذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون

الرسول فى امر وظن السوء فى حقه وامثال ذلك واما المخالفات التى تتعلق بالاوامر والنواهى والاقدام على الشئ قبل معرفة حكم الله تعالى وحكم الرسول فيه فهى من سوء ادب اهل الغيبة لا الحضور الذى نحن فيه (واتقوا الله) فى هذه التقدمات كلها فان من اتقى الله حق تقاته لا يصدر عنه امثال هذه التقدمات فى المواقع المذكورة (ان الله سميع) للتقدمات القولية فى باب ادب الظاهر والاحاديث النفس فى باب ادب الباطن (عليم) بالفعليات والوصفيات وبظهور البقيات (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا أيها

ماالذى تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لوانكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال الترمذى قال بعض اهل العلم فى تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا * قوله عز وجل (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم اينما كنتم) اى بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به اينما كان من ارض اوسماء براو بحر اوقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره * قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى المال الذى كان بيد غيركم فأهلكهم واعطاكم اياه فكنتم فى ذلك المال خلفاء عمن مضى (فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) يعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد اخذ ميثاقكم) اى اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم لااله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التى تدعو الى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) اى يوما فالآن احرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) يعنى الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات الى النور) اى ظلمات الشرك الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم * قوله تعالى (ومالكم الاتنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول اى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) يعنى فتح مكة فى قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لايستوى فى الفضل من انفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق ماله وقاتل بعد الفتح (اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) قال الكلبى ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لانه اول من اسلم واول من انفق

الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان) لما كان تمنى المؤمن طاعة الرسول اياه معربا عن ظهور نفسه بصفاتها محتجبا عن فضل الرسول وكماله وذلك لايكون الا لضعف الايمان وكدورة القلب بهوى النفس واستيلاء النفس على القلب بالميل الى الشهوات واللذات لغلبة الهوى عليها اورد لفظة ولكن بين قوله لو يطيعكم وبين قوله الله حبب اليكم الايمان لصفاء الروح وبقاء الفطرة على النور الاصلى (وزينه فى قلوبكم) باشراق انوار الروح على القلب وتنويرها اياه واستعدادها للالهامات الملكية المفيدة للاستسلام والانقياد لاحكامه (وكره اليكم الكفر) اى الاحتجاب عن الدين (والفسوق) اى الميل الى اتباع الشهوات بالهوى ومتابعة الشيطان بالعصيان لتنور النفس بنور القلب وانقيادها له

(ماله)

ماله فى سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبدالله بن مسعود اول من اظهر اسلامه سبع منهم النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابوبكر وعليه عباءة قدخلها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى ارى ابابكر عليه عباءة قدخلها فى صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عزوجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له اراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياابا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك اراض انت فى فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربى انى على ربى راض انى على ربى راض (وكلا وعدالله الحسنى) يعنى الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل الفتح فى افضلها (والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) اى صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لايكون حسنا حتى تجمع فيه اوصاف عشرة وهى ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لاتتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائى بها الناس وان تستحقر ماتعطى وتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لاترى عن نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (فيضاعفه له) يعنى يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا (وله اجر كريم) يعنى وذلك الاجر كريم فى نفسه ❊ قوله عزوجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعنى على الصراط (يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم) اى عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضئ نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضئ نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل فى معنى الآية يسعى نورهم بين ايديهم اى يعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) اى انتظرونا (نقتبس من نوركم) اى نستضئ من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينماهم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النار فاذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل

واستفادتها ملكة العصمة بالاستسلام لامره والعصمة هيئة نورية فى النفس يمتنع معها الاقدام على المعاصى كل ذلك لقوة الروح واستيلائه على القلب والنفس بنوره الفطرى كما ان اضداد ذلك فى الذين تمنوا طاعة الرسول اياهم لقوة النفس واستيلائها على القلب وحجبها اياه عن نور الروح (اولئك) الموصوفون بمحبة الايمان وتزينه فى قلوبهم وكراهتهم المعاصى (هم الراشدون) الثابتون على الصراط المستقيم دون من يخالفهم (فضلا من الله) بعنايته بهم فى الازل المقتضية للهداية الروحانية الاستعدادية المستتبعة لهذه الكمالات فى الابد (ونعمة) بتوفيقه اياهم للعمل بمقتضى تلك الهداية الاصلية واعانته بافاضة الكمالات المناسبة لاستعداداتهم حتى اكتسبوا ملكة العصمة الموجبة لكراهة المعصية (والله عليم) باحوال استعداداتهم (حكيم) يفيض عليهم ما يليق بها ويناسبها بحكمته (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله فان

معناه لانور لكم عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) اى اطلبوا لانفسكم هناك (نورا) اى لاسبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى (فضرب بينهم) اى المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) اى لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) اى فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) اى من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبدالله بن عمر قال ان السور الذى ذكر فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية (ينادونهم) يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا فى الظلمة (الم نكن معكم) اى فى الدنيا نصلى ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) اى اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) اى بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه (وارتبتم) اى شككتم فى نبوته وفيما اوعدكم به (وغرتكم الامانى) اى الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء امر الله) يعنى الموت وقيل هو القاؤهم فى النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لايؤخذ منكم فدية) اى عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل معناه لايقبل منكم ايمان ولا توبة (ولا من الذين كفروا) يعنى المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (مأواكم النار) اى مصيركم (هى مولاكم) اى وليكم وقيل هى اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهى اولى بكم من كل شئ وقيل معنى الآية لامولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له (وبئس المصير) * قوله تعالى (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان الفارسى ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القرآن احسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل احسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله الم يأن للذين آمنوا يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ماكانوا عليه فعوتبوا ونزل فى ذلك الم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ماكان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال الم يأن يعنى اما حان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم اى ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله اى لمواعظ الله (وما نزل

فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا) الاقتتال لايكون الا للميل الى الدنيا والركون الى الهوى والانجذاب الى الجهة السفلية والتوجه الى المطالب الجزئية والاصلاح انما يكون من لزوم العدالة فى النفس التى هى ظل المحبة التى هى ظل الوحدة فلذلك امر المؤمنون الموحدون بالاصلاح بينهما على تقدير بغيهما او القتال مع الباغية على تقدير بغى احداهما حتى ترجع لكون الباغية مضادة للحق دافعة له كما خرج عمار رضى الله عنه مع كبره وشيخوخته فى قتال اصحاب معاوية ليعلم بذلك انهم الفئة الباغية وقيد الاصلاح فى القسم الثانى وهو ان الباغية احداهما بالعدل لان بغى الطرفين يوغر الصدور ويهيج النفوس على الظلم فنهاهم عن ذلك اذ الاصلاح انما يكون فضيلة معتبرة اذا لم يكن بالنفس بل بالقلب على مقتضى العدالة المحضة لازالة الجور لا لغرض آخر كالحماية والحمية ورعاية المصلحة الدنيوية وغير ذلك ولذلك قال (ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة) اى المحبة الالهية انما تترتب على

(ومانزل من الحق) يعنى القرآن (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) يعنى اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) اى الزمان الذى بينهم وبين انبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روى عن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعنى الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل (اعلموا ان الله يحيى الارض) اى بالمطر (بعد موتها) اى يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيى القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات) اى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا) اى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله (يضاعف لهم) اى ذلك القرض (ولهم اجر كريم) اى ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون) اى الكثير الصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة فى كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلى وزيد وعثمن وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل اراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله (لهم اجرهم) اى ما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) يعنى على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بحال الكافرين * قوله عز وجل (اعلموا انما الحيوة الدنيا) اى مدة الحياة فى هذه الدار الدنيا وانما اراد من صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله (لعب) اى باطل لا حاصل له كلعب الصبيان (ولهو) اى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب (وزينة) اى منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعنى انكم تشتغلون فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض (وتكاثر فى الاموال والاولاد) اى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله تعالى واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال (كمثل غيث اعجب الكفار) اى الزراع انما سمى الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر (نباته) اى ما نبت بذلك الغيث (ثم يهيج) اى ييبس (فتراه مصفرا) اى بعد خضرته (ثم يكون حطاما) اى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفى الآخرة عذاب شديد) اى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال اهل المعانى زهد الله بهذه الآية فى العمل للدنيا وهذه صفة

العدالة فالاصلاح اذا لم يكن عن عدالة لم يكن عن محبة واذا لم يكن عن محبة فلا يحبهم الله لوجوب اقتضاء محبة الله اياهم محبتهم له العدالة ومحبة المؤمنين فلو احبهم لأحبوه كما قال يحبهم ويحبونه ولو احبوه لأحبوا المؤمنين ولزموا العدالة ثم بين ان الايمان الذى اقل مرتبته التوحيد والعمل يقتضى لاخوة الحقيقية بين المؤمنين للمناسبة الاصلية والقرابة الفطرية التى تزيد على القرابة الصورية والنسبة الولادية بما لا يقاس لاقتضائه المحبة القلبية اللازمة للاتصال الروحانى فى عين جمع الوحدة لا المحبة النفسانية المسببة عن التناسب فى اللحمة فلا اقل من الاصلاح الذى هو من لوازم العدالة واحدى خصالها اذ لو لم يعدوا عن الفطرة ولم يتكدروا بغواشى النشأة لم يتقاتلوا ولم يتخالفوا فوجب على اهل الصفاء بمقتضى الرحمة والرأفة والشفقة اللازمة للاخوة الحقيقية الاصلاح بينهما واعادتهما الى الصفاء (فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله) فى تكدر الفطرة والبعد عن النور الاصلى

حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للآخرة بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) اى لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة (وما الحيوة الدنيا الامتاع الغرور) اى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة فهي له بلاغ الى ماهو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة * قوله عز وجل (سابقوا الى مغفرة من ربكم) معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الى مغفرة اى الى مايوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولاشك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر مايقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على مايعرفه الناس (اعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله في سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فبين انه لايدخل احد الجنة الا بفضل الله تعالى لابعمله (والله ذو الفضل العظيم) (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخلن احدا منكم الجنة عمله قالوا ولاانت يا رسول الله قال ولاانا الا ان يتغمدني الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل * قوله تعالى (ما اصاب من مصيبة في الارض) يعني عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا في انفسكم) يعني الامراض وفقد الاولاد (الا في كتاب) يعني في اللوح المحفوظ (من قبل ان نبراها) اى من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة (ان ذلك على الله يسير) اى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل (لكيلا تاسوا) اى تحزنوا (على مافاتكم) من الدنيا (ولاتفرحوا) اى لاتبطروا (بما آتاكم) اى اعطاكم قال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت مامن احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولاعند منفعة ينالها ان لايحزن ولايفرح قلت المراد الحزن المخرج الى مايذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لايكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلابأس بهما والله اعلم وقال جعفر بن محمد الصادق ياابن آدم مالك تأسف على مفقود لايرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لايتركه في يديك الموت (والله لايحب كل مختال) اى متكبر بما اوتي من الدنيا (فخور) اى بذلك الذي اوتي

بمقتضيات النشأة والرضا بالمفسدة وترك الاصلاح لضعف المحبة الدال على الاحتجاب عن الوحدة (لعلكم ترحمون) بافاضة نور الكمال المناسب لصفاء الاستعداد والمناهي المذكورة بعدها الى قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم كلها من باب الظلم المقابل للعدالة اللازمة للايمان التوحيدي قوله (ياايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ياايها الذين اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم ياايها الناس اناخلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) معناه لاكرامة بالنسب لتساوي الكل في البشرية المنتسبة الى ذكر وانثى والامتياز بالشعوب والقبائل

على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وانها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن الايمان (فان الله هو الغنى) اى عن عباده (الحميد) اى الى اوليائه * قوله عز وجل (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) اى بالدلالات والآيات والحجج (وانزلنا معهم الكتاب) اى المتضمن للاحكام وشرائع الدين (والميزان) يعنى العدل اى وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) اى ليتعاملوا بينهم بالعدل (وانزلنا الحديد) قيل ان الله تعالى انزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلناها يعنى انشأنا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه باس شديد) اى قوة شديدة فمنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهى آلة الضرب (ومنافع للناس) اى ومنه ماينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه (وليعلم الله) اى وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله (من ينصره) اى من ينصر دينه (ورسله بالغيب) اى الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى) فى امره (عزيز) فى ملكه (ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى الا من نسلهما (فمنهم) اى من الذرية (مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) اى اتبعنا (على آثارهم برسلنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) اى على دينه (رأفة ورحمة) يعنى انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطفا على ماقبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغير ان والديرة فروا من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك (ما كتبناها عليهم) اى ما فرضناها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) اى لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) يعنى انهم لم يراعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملوكهم واقام اناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا

انما يكون لاجل التعارف بالانتساب لا للتفاخر فانه من الرذائل والكرامة لا تكون الا بالاجتناب عن الرذائل الذى هو اصل التقوى ثم كلما كانت التقوى اريد رتبة كان صاحبها اكرم عند الله واجل قدرا فالتقى عن المناهى الشرعية التى هى الذنوب فى عرف ظاهر الشرع اكرم من الفاجر وعن الرذائل الخلقية كالجهل والبخل والشره والحرص والجبن اكرم من المجتنب عن المعاصى الموصوف بها وعن نسبة التأثير والفعل الى الغير بالتوكل ومشاهدة افعال الحق اكرم من الفاضل المتدرب بالفضائل الخلقية المعتد بتأثير الغير المحجوب برؤية افعال الخلق عن تجليات افعال الحق وعن الحجب الصفاتية بالانسلاخ عنها فى مقام الرضا ومحو الصفات اكرم من التوكل فى مقام توحيد الافعال المحجوب بالصفات عن تجليات صفات الحق وعن وجوده المخصوص اى انيته التى هى اصل الذنوب بالفناء اكرم الجميع (ان الله عليم) بمراتب تقواكم (خبير)

بتفاضلكم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لافرق بين الايمان والاسلام وبين انا لايمان باطنى قلبى والاسلام ظاهرى بدنى اشار الى الايمان المعتبر الحقيق وهواليقين الثابت فى القلب المستقر الذى لاارتياب معه لاالذى يكون على سبيل الخطرات فالمؤمنون هم الموقنون الذين غلبت ملكة اليقين قلوبهم على نفوسهم ونورتها بأنوارها فأصلت نيها ملكة القلوب حتى تأثرت بها الجوارح فلم يمكنها الا الجرى بحكمها والتهيئ لهيئتها وذلك معنى قوله (وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله) بعد نفى الارتياب عنهم لان بذل المال والنفس فى طريق الحق هو مقتضى اليقين الراسخ واثره فى الظاهر (اولئك هم الصادقون) فى الايمان لظهور اثر الصدق على جوارحهم وتصديق افعالهم واقوالهم بخلاف المدعين المذكورين (قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم مافى السموات ومافى الارض والله بكل شئ

بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عزوجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقدرعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال ياابن ام عبد هل تدرى من اين اخذت بنواسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق احد يدعو اليه تعالى فتعالوا لنتفرق فى الارض الى ان يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم اى من الذين ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم ياابن ام عبد اتدرى مارهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل اويتركوا قراءة التوراة والانجيل الاما بدلوا منها فقالوا ماتريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولانمر عليكم وليس احد القبائل الاوله حميم منهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لاعلم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عزوجل ورهبانية ابتدعوها يعنى ابتدعها الصالحون فارعوها حق رعايتها يعنى الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم

(وتصديقهم)

وتصديقهم له وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ان لا يقدرون على شئ من فضل الله الآية اخرجه النسائي موقوفا عن ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فاكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهم اهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم لكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهب لانه لم يأمر به

* قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) اى نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطؤها فادبها فاحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان ان يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به (ويغفر لكم) اى ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب) قيل لما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من آمن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم اى ليعلم ولا صلة اهل الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (الا يقدرون) يعني انهم لا يقدرون (على شئ من فضل الله) والمعنى جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب اولئك يؤتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعني المؤمنين منهم ان لا يقدرون على شئ من فضل الله (وان الفضل بيد الله) يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة (يؤتيه من يشاء) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله اى في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار (والله ذو الفضل العظيم) (خ) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

عليهم يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

(ق) والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب

وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كا بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتى اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتى اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اى ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيأ قالوا لا قال فهو فضلى اوتيه من اشاء وفى رواية انما اجلكم فى اجل من خلا من الامم كا بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله عزوجل وهل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلى اصيب به من شئت اى اعطيه من شئت (خ) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذى جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فان ما بقى من النهار شئ يسير فابوا فاستأجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ماقبلوا من هذا النور والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة المجادلة ﴾

مدنية وهى اثنان وعشرون آية واربعمائة وثلاث وسبعون كلمة
والف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عزوجل (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) نزلت فى خوله بنت ثعلبة وقيل اسمها جيلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هى حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها انت على كظهر امى ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق اهل الجاهلية فقال ما اظنك الا قد حرمت على فقالت والله ماذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله ان زوجى اوس بن الصامت تزوجنى وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالى وافنى شبابى وتفرق اهلى وكبر سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شئ تجمعنى واياه وتنعشنى به فقال

الرسل لحق عيد) اشارة الى القلب المحمدى الذى هو العرش الالهى المحيط بالكل كما ان ص اشارة الى صورته ما رمز اليه ابن عباس فى قوله ص جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حين لا ليل ولا نهار ولكونه عرش الرحمن قال قلب المؤمن عرش الله وقال لا يسعنى ارضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن قيل ق جبل محيط بالعالم وراءه العنقاء لاحاطته بالكل وكونه حجابه الرب لا يعرفه من لم يصل الى مقام القلب وانما يطلع عليه من طلع هذا الجبل اقسم به والقرآن المجيد اى العقل القرآنى الكامل فيه الذى هو الاستعداد الاولى الجامع لتفاصيل الوجود كله فاذا برز وصار الى الفعل كان عقلا فرقانيا ولا يخفى مجده وشرفه بهذا المعنى او القرآن المجيد النازل عليه الذى هو بعينه الفرقان البارز الذى اشرنا اليه جمعهما فى القسم لتناسبهما وجواب القسم محذوف كما فى ص وغيرها من السور وهو انه لحق او انه لمعجز مدلول عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والذى انزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق وانه ابو ولدى واحب الناس الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكوالى الله فاقتى ووحدتى قدطالت له صحبتى ونثرت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأراك الاقدحرمت عليه ولم اومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتى ، وحدتى وشدة حالى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فرجى وهذا كان اول ظهار فى الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى امرى جعلنى الله فداءك يانبى الله فقالت عائشة اقصرى حديثك ومجادلتك اماترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذانزل عليه الوحى اخذه مثل السبات فلماقضى الوحى قال ادعى لى زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدسمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقدجاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته فى جانب البيت وماأسمع ماتقول فانزل الله قدسمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله الآية واماتفسير الآية فقوله تعالى قدسمع الله قول التى تجادلك اى تحاورك وتخاصمك وتراجعك فى زوجها اى فى امر زوجها (وتشتكى الى الله) اى شدة حالها وفاقتها ووحدتها (والله يسمع تحاوركما) اى مراجعتكما الكلام (ان الله سميع) اى لمن يناجيه ويتضرع اليه (بصير) اى بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) يعنى يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا (ماهن امهاتهم) اى مااللواتى يجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم (ان امهاتهم) اى ماامهاتهم (الا اللائى ولدنهم وانهم) يعنى المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) يعنى لايعرف فى الشرع (وزورا) يعنى كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لاتحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلاجرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

﴿ فصل فى احكام الظهار وفيه مسائل ﴾ ﴿ المسئلة الاولى ﴾ فى معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من سائر الاعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى اى طلقتها وفى قولهم انت على كظهر امى حذف واضمار لان تأويله ظهرك على اى ملكى اياك وعلوى عليك حرام كعلوى امى وعلوه عليها حرام ﴿ المسئلة الثانية ﴾ كان الظهار من اشد طلاق اهل الجاهلية لانه فى التحريم آكد مايمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انمايدخل فى الشرائع لا فى احكام الجاهلية وعاداتهم ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله انت على كظهر امى

بقوله بل عجبوا الخ وبقوله افعيينا بالخلق الاول اى اما اهتدينا الى ابداع الحقائق وايجاد الاشياء الاولية كالارواح والسموات وامثالها بل اعترفوا بذلك انما هم فى شبهة والتباس من خلق حادث يتجدد كل وقت لبس عليهم الشيطان حتى قالوا وما يهلكنا الا الدهر ونسبوا التأثير الى الزمان واحتجبوا عن معنى قوله كل يوم هو فى شأن ولو عرفوا الله حق معرفته وكان اعترافهم بايجاده للخلق الاول عن علم ويقين لشاهدوا الخلق الجديد فى كل آن فلم ينكروا البعث وكانوا عبادا مخلصين ليس للشيطان عليهم سلطان (افعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) تمثيل للقرب المعنوى بالصورة الحسية المشاهدة وانما كان اقرب مع عدم المسافة بين الجزء المتصل به وبينه لان اتصال الجزء بالشئ يشهد بالبينونة والاثنينية الرافعة للاتحاد الحقيقى ومعيته وقربه من

وانت مني او معي او عندي كظهر امي وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كرأس امي او كبد امي او قال بطنك او رأسك او يدك علي كظهر امي او شبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لايكون ظهارا ولو قال انت علي كامي او كروح امي واراد به الاعزاز والاكرام لايكون ظهارا حتي ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر اختي او عمتي او خالتي او شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا علي الاصح ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلي هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لايصح احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بأن هذا خطاب للمؤمنين فيدل علي ان الظهار مخصوص بالمؤمنين واجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين * قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم) يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء في معني العود في قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لافرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الي واللام تتعاقبان كقوله واوحي الي نوح وبأن ربك اوحي لها واما لفظة ما في قوله لما فهي بمعني الذي والمعني يعودون الي الذي قالوا وفيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعني انهم يعودون الي ذلك اللفظ الوجه الثاني ان المراد لما قالوا اي المقول فيه وهو الذي حرموه علي انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلي هذا معني قوله ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الي شيء وذلك الشيء هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعني عاد لما فعل اي فعله مرة اخري وعلي الوجه الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيأ ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيأ ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة اخري ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والي هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه علي وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معني العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل علي انه ندم علي ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الي الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم علي وطئها وهو قريب من قول ابي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري انما العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا اصلح انه صالح للجماع او للعزم عليه او لاستباحة

عبده ليس كذلك فان هويته وحقيقته المندرجة في هويته وتحققه ليست غيره بل ان وجوده المخصوص المعين انما هو بعين حقيقته التي هي الوجود من حيث هو وجود ولولاه لكان عدما صرفا ولا شيأ محضا فحبل غاية القرب الصوري اي الاتصال بالجزئية الذي لااتصال اشد منه في الاجسام مع كونه سبب حياة الشخص هذا اتم منه لبقائه ثم بين اقربيته لينتفي القرب بمعني الاتصال والمقارنة كما قال امير المؤمنين عليه السلام هو مع كل شيء لا بمقارنة اذ لاشيء به ذلك الشيء وبدونه ليس شيأ حتي يقارنه (اذ يتلقي المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) اي يعلم حديث نفسه الذي يوسوس به نفسه وقت تلقي المتلقين مع كونه اقرب اليه منهما وانما تلقيهم لحجة عليه واثبات الاقوال والاعمال في الصحائف النورية للجزاء والمتلقي القاعد عن اليمين هو القوة العاقلة العملية المنتقشة بصور الاعمال الخيرية المرتسمة بالاقواله

الا ان الذى قاله الشافعى هو اقل ماينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذى به يتحقق مسمى العود واما الباقى فزيادة لادليل عليه واما الاحتمال الاول فى قوله ثم يعودون اى يفعلون مثل مافعلوه فعلى هذا الاحتمال فى الآية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثورى العود هو الاتيان بالظهار فى الاسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه فى الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار فى الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا اى فى الاسلام فيقولون فى الاسلام مثل ماكانوا يقولون فى الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثانى قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد والا لم يكن عود وهذا قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة مافعلوه وهذا لايكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه * وقوله تعالى (فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للظاهر وطء امراته التى ظاهر منها مالم يكفر (ذلكم توعظون به) يعنى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه (والله بما تعملون) اى من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى (فمن لم يجد) اى الرقبة (فصيام شهرين) اى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع) اى الصيام فكفارته (اطعام ستين مسكينا ذلك) اى الفرض الذى وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) اى لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله تعالى (وتلك حدود الله) يعنى ما وصف من الكفارة فى الظهار (وللكافرين) اى لمن جحدها وكذب به (عذاب اليم) اى فى نار جهنم يوم القيامة

﴿فصل فى احكام الكفارة ومايتعلق بالظهار﴾ * وفيه مسائل * المسئلة الاولى * اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعى قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثانى وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابى حنيفة ﴿المسئلة الثانية﴾ اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعى وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون فى مجلس واحد واراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امراته فى مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة ﴿المسئلة الثالثة﴾ الآية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل فى الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الآخرين الاطلاق فى الاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابى حنيفة والشافعى واحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن المهدى ﴿المسئلة الرابعة﴾ كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب دليلنا انا اجمعنا على ان الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى ﴿المسئلة الخامسة﴾

الحسنة الصائبة وانما قعد عن يمينه لان اليمين هى الجهة القوية الشريفة المباركة وهى جهة النفس التى تلى الحق والمتلقى القاعد عن الشمال هو القوة المتخيلة التى تنقش بصور الاعمال البشرية البهيمية والسبعية والآراء الشيطانية الوهمية والاقوال الخبيثة الفاسدة وانما قعد عن الشمال لان الشمال هى الجهة الضعيفة الخسيسة المشؤمة وهى التى تلى البدن ولان الفطرة الانسانية خيرة بالذات لكونها من عالم الانوار مقتضية بذاتها وغريزتها الخيرات والشرور انما هى امور عرضت لها من جهة البدن وآلاته وهيآته يتولى صاحب اليمين على صاحب الشمال فكلما صدرت منه حسنة كتبها له فى الحال وان صدرت منه سيئة منع صاحب الشمال عن كتابتها فى الحال انتظارا للتسبيح اى التنزيه عن الغواشى الدنية والهيئات الطبيعية بالرجوع الى مقره الاصلى وسنخه الحقيقى وحاله الغريزى لينمحى اثر ذلك الامر العارضى بالنور الاصلى والاستغفار اى التنور

الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند ابي ح يجب عليه استئناف الشهرين ﴿المسئلة السادسة﴾ ان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا كل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل بلد من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر او نحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير ولو اطعم مسكينا واحدا ستين جزا لا يجزيه عند الشافعي وقال ابو حنيفة يجزيه حجة الشافعي ظاهر الآية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد ﴿المسئلة السابعة﴾ اذا كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم ﴿المسئلة الثامنة﴾ قال اصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضي قال كنت امرأ اصيب من النساء مالا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امراتي شيأ تتابع بي حتى اصبح فظاهر منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذا انكشف لي منها شيء فلبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال انت بذاك ياسلمة قلت انا بذاك يارسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم بما امرك الله به قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فأطعم وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لا نملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق اخرجه ابو داود قوله نزوت عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله تتابع بي اي تتايع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكوا اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يارسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم

بالانوار الروحية والتوجه الى الحضرة الالهية لينمحي اثر تلك الظلمة العرضية بالنور الوارد كما قال عليه الصلاة والسلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب اليسار دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر (وجاءت سكرة الموت) اي شدته الحيرة الشاغلة للحواس المذهلة للعقل (بالحق) بحقيقة الامر الذي غفل عنه من احوال الآخرة والثواب والعقاب اي احضرت السكرة التي منعت المحتضر عن الادراكات الخارجية احواله الباطنة واظهرت عليه (ذلك ما كنت) ايها المحتضر (منه تحيد) اي تميل الى الامور الظاهرة وتذهل عنها (ونفخ في الصور) للاحياء اي احيي كل منهم في صورة تناسبه في الآخرة (ذلك يوم الوعيد) النفخ وقت تحقق الوعيد بشهود ماقدم من الاعمال وما اخر (وجاءت كل نفس معها

ستين مسكينا قلت ماعنده شئ يتصدق به قال فاني سأعينه بعرق من تمر قلت يارسول الله وانا اعينه بعرق آخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي به عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابوداود وفي رواية قالت انى او ساظاهر مني وذكرت ان به لمما وقالت والذى بعثك بالحق ماجئتك الا رحمة له ان له في منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابى ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر فى تلك الحال لم يلزمه شئ بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله اعلم * قوله عز وجل (ان الذين يحادون الله ورسوله) اى يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون امرهما (كبتوا) اى ذلوا واخزوا واهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) اى كما اخزى من كان قبلهم من اهل الشرك (وقد انزلنا آيات بينات) يعنى فرائض واحكاما (وللكافرين) اى الذين لم يعملوا بها وجحدوها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله) اى حفظ الله اعمالهم (ونسوه) اى نسوا ما كانوا يعملون فى الدنيا (والله على كل شئ شهيد) * قوله تعالى (الم تر) اى الم تعلم (ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) اى من اسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة والمعنى مامن شئ يناجى به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسارر بعضهم بعضا (الا هو رابعهم) اى بالعلم يعنى يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت اقل ما يكفى فى المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين فى النفى والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولا ادنى من ذلك ولا اكثر) يعنى ولا اقل من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من ذلك العدد (الا هو معهم اينما كانوا) اى بالعلم والقدرة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم) * قوله عز وجل (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت فى اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما نراهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل او هزيمة فيقع ذلك فى قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اى المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لما نهوا عنه) اى يرجعون الى المناجاة التى نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعنى ذلك السر الذى كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شئ يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان (ومعصيت الرسول) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصى بعضهم بعضا بمعصية الرسول (واذا جاؤك) يعنى اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله)

سائق) من علمه (وشهيد) من علمه لان كل احد ينجذب الى محل نظره وما اختاره بعلمه والميل الذى يسوقه الى ذلك الشئ انما نشأ من شعوره بذلك الشئ وحكمه بملايمته له سواء كان امرا سفليا جسمانيا بعثه عليه هواه واغراه عليه وهمه وقواه او امرا علويا روحانيا بعثه عليه عقله ومحبته الروحانية وحرضه عليه قلبه وفطرته الاصلية فالعلم الغالب سائقه الى معلومه وشاهده بالميل الغالب عليه والحب الراسخ فيه والعمل المكتوب فى صحيفته يشهد عليه بظهوره على صور اعضائه وجوارحه وينطق عليه كتابه بالحق وجوارحه بهيآت اعضاه المتشكلة بأعماله (لقد كنت فى غفلة من هذا) لاحتجابك بالحس والمحسوسات وذهولك عنه لاشتغالك بالظاهر عن الباطن (فكشفنا عنك) بالموت (غطاءك) المادى الجسمانى الذى احتجبت به (فبصرك اليوم حديد) اى ادراكك لما ذهلت عنه ولم تصدق بوجوده يقينا قوى تعاينه (وقال قرينه) من شيطان الوهم الذى غره بالظواهر

وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه بانهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون في انفسهم) يعني اذا اخرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الرديء من القول * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) في المخاطبين بهذه الآية قولان احدهما انه خطاب للمؤمنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم وان يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثاني وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) اي بالطاعة وترك المعصية (واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) اي من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصيت الرسول (ليحزن الذين آمنوا) اي انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابي داود (وليس بضارهم شيئا) يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان ليس بضارهم شيئا (الا باذن الله) اي الا ما اراد الله تعالى وقيل الا باذن الله في الضرر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اي فليكل المؤمنون امرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل سعيه * قوله عز وجل (يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا) الآية قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى

وجبه عن البواطن (هذا مالدى عتيد) مهيأ لجهنم اي ظهر تسخير الوهم اياه في التوجه الى الجهة السفلية وانه ملكه واستعبده في طلب اللذات البدنية حتى هيأه لجهنم في قعر الطبيعة (القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد) الخطاب للسائق والشهيد للذين يوبقانه ويلقيانه ويهلكانه في اسفل غياهب مهواة الهيولى الجسمانية وغيابة جب الطبيعة الظلمانية في نيران الحرمان اوللمالك والمراد بتثنية الفاعل تكرار الفعل كانما قال الق الق لاستيلائه عليهم في الابعاد والالقاء الى الجهة السفلية ويقوى الاول انه عدد الرذائل الموبقة التي اوجبت استحقاقهم لعذاب جهنم ووقوعهم في نيران الجحيم وبين انها من باب العلم والعمل والكفران ومنع الخير كلاهما من افراط القوة البهيمية الشهوانية لانهما كما في لذاتها واستعمالها نعم الله تعالى في غير مواضعها من المعاصي والاحتجاب عن المنعم بها ومن حقها ان تذكره

المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يافلان وانت يافلان فاقام من المجلس بقدر اولئك النفر الذين كانوا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة فى سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا فى مجالسهم فامر الله ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فى الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا فى المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس فى الاخذ بالحظ منه وقرئ فى المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل فى مجلسه فافسحوا اى فاوسعوا فى المجلس امروا بان يوسعوا فى المجالس لغيرهم (يفسح الله لكم) اى يوسع الله لكم فى الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايقيمن احدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لايقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدى فى افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدى وقيل فى معنى الآية ان هذا فى مجالس العرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتى القوم وهم فى الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فى الشهادة فامروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلابد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله عليه خيرى الدنيا والآخرة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) اى اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة اذا نودى لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودى الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) اى بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم (والذين اوتوا العلم) اى ويرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم (درجات) اى على من سواهم فى الجنة قيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع فى الناس اخبر الله عزوجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس

وتبعث على شكره وشدة حرصها وكالبتها عليها لفرط ولوعها بها فتمنعها عن مستحقيها وذكرهما على بناء المبالغة ليدل على رسوخ الرذيلتين فيه وغلبتهما عليه وتعمقه فيهما الموجب للسقوط عن رتبة الفطرة فى قعر بئر الطبيعة والعتود والاعتداء كلاهما من افراط القوة الغضبية واستيلائها لفرط الشيطنة والخروج عن حد العدالة والاربعة من باب فساد العمل والريب والشرك كلاهما من نقصان القوة النطقية وسقوطها عن الفطرة بتفريطها فى جنب الله وقصورها عن حدة القوة العاقلة وذلك من باب فساد العلم (قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لاتختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) هذه المقاولات كلها معنوية مثلث على سبيل التخييل والتصوير لاستحكام المعنى فى القلب عند ارتسام مثاله فى الخيال فادعاء الكافر الاطغاء على الشيطان وانكار الشيطان اياه عبارة عن التنازع والتجاذب الواقع بين قوتيه الوهمية والعقلية بل بين كل اثنتين متضادتين من قواه كالغضبية والشهوية

بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة مالا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم فى اقواله وفى افعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابى الدرداء وهو بدمشق فقال ماقدمك يااخى قال حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال اماجئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت فى تجارة قال لا قال ماجئت الا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما انما اورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (ق) عن معاوية بن ابى سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده احد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم ❊ قوله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ﴾ يعنى اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشئ بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة فلم يجدوا شيأ واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا على بن ابى طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان على يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها احد قبلى ولايعمل بها احد بعدى وهى آية المناجاة وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ماترى دينارا قلت لايطيقونه قال فنصف دينار قلت لايطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات الآية قال فبى خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة اى وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعنى قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت فى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره قلت هو كما قلت وليس

مثلا ولهذا قال لاتختصموا ولما كان الامران فى وجوده هما العقلية والوهمية كان اصل التخاصم بينهما وكذا يقع التخاصم بين كل متجاورين متخاوضين فى امر لتوقع نفع اولذة يتوافقان مادام مطلوبهما حاصلا فاذا حرما اووقعا بسعيهما فى خسران وعذاب تدار اى اونسب كل منهما التسبب فى ذلك الى الآخر لاحتجابهما عن التوحيد وتبرى كل منهما عن ذنبه لمحبة نفسه ولذلك قال حارثة رضى الله عنه للنبى عليه السلام ورأيت اهل النار يتعاورون وصوب عليه السلام قوله وقول الشيطان ماالطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد كقوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانه اولم يكن فى ضلال عن طريق التوحيد بعيد عن الفطرة الاصلية بالتوجه الى الجهة السفلية والتغشى بالغواشى المظلمة الطبيعية لم يقبل وسوسة الشيطان وقبل الهام الملك فالذنب انما يكون عليه بالاحتجاب عن نور الفطرة

فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولواتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا مايتصدقون به لواحتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا مايتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المدوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على احدمنهم * وقوله (ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله (واطهر) اى لذنوبكم (فان لم تجدوا) يعنى الفقراء الذين لايجدون مايتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعنى انه تعالى رفع عنهم ذلك (ءاشفقتم) قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهوقوله (ان تقدموابين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا) اى ماامرتم به (وتاب الله عليكم) اى تجاوزعنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشرليال ثم نسخ وقال الكلبى ماكانت الاساعة من نهار ثم نسخ (فاقيموا الصلاة) اى المفروضة (واتوا الزكوة) اى الواجبة (واطيعوا الله ورسوله) اى فيما امر ونهى (والله خبير بما تعملون) اى انه محيط باعمالكم ونياتكم * قوله عزوجل (الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود ونصحوهم ونقلوا اسرار المؤمنين اليهم فاراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ماهم) يعنى المنافقين (منكم) اى من المؤمنين فى الدين والولاء (ولامنهم) يعنى ولامن اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) اى انه كذبة نزلت فى عبدالله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العينين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله مافعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فانزل الله هذه الآية (اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ماكانوايعملون اتخذوا ايمانهم) يعنى الكاذبة (جنة) اى يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعنى انهم صدوا المؤمنين عن جهاد هم بالقتل واخذاموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذى هو الاسلام (فلهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم ولااولادهم) يوم القيامة (من الله شيأ اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعنى كاذبين انهم ماكانوا مشركين (كما يحلفون لكم) اى فى الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم فى الدنيا فظنوا انه ينفع فى الآخرة ايضا (ويحسبون انهم على شئ) يعنى من ايمانهم الكاذبة (الاانهم هم الكاذبون) يعنى فى اقوالهم وايمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) اى غلب واستولى عليهم وملكهم (فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الاان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين) يعنى فى جملة من يلحقهم الذل فى الدنيا والآخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الثانى ولما كانت عزة الله غير متناهية

واكتساب الجنسية مع الشيطان فى الظلمة والنهى عن الاختصام ليس المراد به انتهاؤهما بل عدم فائدته والاستماع اليه كانه قال لااختصام مسموع عندى وقدثبت وصح تقديم الوعيد حيث امكن انتفاعكم به لسلامة الآلات وبقاء الاستعداد فلم تنتفعوا به ولم ترفعوا لذلك رأسا حتى ترسخت الهيآت المظلمة فى نفوسكم ورانت على قلوبكم وتحقق الحجاب وحق القول بالعذاب ف (مايبدل القول لدى) حينئذ لوجوب العذاب حال وقوعه (وما انا بظلام للعبيد) حيث وهبت الاستعداد وانبأت على الكمال المناسب له وهديتكم الى طريق اكتسابه بل انتم الظلامون انفسكم باكتساب ماينافيه واضاعة الاستعداد بوضع النور فى الظلمة واستبدال مايفنى بما يبقى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) اى يوم يتكثر اهل النار حتى تستبعد الزيادة عليهم ولا تنقص سعتها بهم ولا يسكن كلبها وفى الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط

كانت ذلة من ينازعه غير متناهية (كتب الله لأغلبن انا ورسلي) اى قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوى) اى على نصر رسله واوليائه (عزيز) اى غالب على اعدائه ❁ قوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) اخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مؤمنا لايوالى من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجمعت الامة على انه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فاهذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هى مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاماماسوى ذلك فلاحظر فيه ثم انه تعالى بالغ فى الزجر عن مودتهم بقوله (ولوكانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) يعنى ان الميل الى هؤلاء من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية فى حاطب بن ابى بلتعة حين كتب الى اهل مكة وسيأتى قصته فى سورة الممتحنة وروى عن عبدالله بن مسعود فى هذه الآية قال ولوكانوا آباءهم يعنى اباعبيدة بن الجراح قتل اباه الجراح يوم احد او ابناءهم يعنى ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يارسول الله دعنى اكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك ياابابكر او اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل اخاه عبدالله بن عمير او عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن ابى طالب وحمزة وابا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان) اى اثبت التصديق فى قلوبهم فهى مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وايدهم بروح منه) اى قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به حيى امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال (اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الحشر ﴾

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهى مدنية اربع وعشرون آية واربعمائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❁ قوله عز وجل (سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لايقاتلوه ولايقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبى الامى الذى نجد نعته فى التوراة لاترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف

قط بعزتك وكرمك اى لا يزال الخلق يميلون الى الطبيعة بالشهوة والحرص والطبيعة باقية على حالها جاذبة لما يناسبها قابلة لصورها الملائمة لها ملقية لما قبلت الى اسفل الدركات الى مالا يتناهى حتى يصل اليها اثر نور الكمال الوارد على القلب فتتنور به وتنتهى عن فعلها وعبر عن تشعشع النور الالهى من القلب على النفس بقدم رب العزة القوى على قهرها ومنعها عن فعلها واجبارها على موافقة القلب فتقول قطنى قطنى (وازلفت الجنة للمتقين) اى جنة الصفات للذين اتقوا صفات النفس بدليل قوله من خشى الرحمن بالغيب لان الخشية تختص بتجلى العظمة ولقوله (غير بعيد) اى مكانا غير بعيد لكون جنة الصفات اقرب من جنة الذات فى الرتبة دون الظهور اذ الذات اقرب فى الظهور لان فى عالم انوار كلما كان ابعد فى العلو والمرتبة من الشئ كان اقرب اليه فى الظهور لشدة نوريته ولقوله (هذا ماتوعدون لكل اواب) اى رجاع الى الله بفناء

فى اربعين را كبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان فى اربعين من قريش وكعب بن الاشرف فى اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وقد تقدمت القصة فى سورة آل عمران وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم فى دية الرجلين المسلمين الذين قتلهما عمرو بن امية الضمرى فى منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبى صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة فى سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بنى النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبى صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر امرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبدالله بن ابى واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج الينا فى ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا فى براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من اصحابك ونخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بنى النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبى صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهى السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبى صلى الله عليه وسلم ما بقى وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشام الى اهل بيتين منهم آل ابى

الصفات (حفيظ) اى محافظ على صفاء فطرته ونوره الاصلى كى لا يتكدر بظلمة النفس من اتصف بالخشية وصارت الخشية مقامه عند تجلى الحق فى صفة الرحمة الرحمانية اذ هى اعظم صفاته لدلالتها على افاضة جميع الخيرات والكمالات الظاهرة على الكل وهى جلائل النعم وعظائمها (من خشى الرحمن بالغيب) اى فى حالة كونه غائبا عن شهود الذات اذ المحتجب بتجلى الصفات غائب عن جمال الذات (وجاء بقلب منيب) الى الله عن ذنوب صفات النفس فى معارج صفات الحق دون الساكن فى مقام الخشية الذى لا يقصد الترقى (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) بسلامة عن عيوب صفات النفس آمنين عن تلوينها (لهم ما يشاؤن فيها) من نعم التجليات الصفاتية وانوارها بحسب الارادة (ولدينا مزيد) من نور تجلى الذات الذى لا يخطر على قلوبهم (وكم اهلكنا قبلهم) قبل هؤلاء المتقين بالافناء والاحراق بسبحات تجلى الذات (من قرن هم اشد

الحقبق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عزوجل هوالذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعنى بنى النضير من ديارهم يعنى التى كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بنى النضير فرجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لاول الحشر) قال الزهرى كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انه قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلى من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم احلى آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثانى من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحاء من ارض الشام فى ايام عمر وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثانى نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ماظننتم) يعنى ايها المؤمنون (ان يخرجوا) اى من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اى وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فاتاهم الله) اى اتاهم امر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لايظنون ذلك (وقذف فى قلوبهم الرعب) اى الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين) قال الزهرى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم مااقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب فى منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون مايليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل اعداء الله ينقبون دورهم من ادبارها فيخرجون التى بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون مايليهم ويرمون بالتى خرجوا منها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاعتبروا) اى فاتعظوا وانظروا مانزل بهم (ياأولى الابصار) اى ياذوى العقول والبصائر (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) يعنى الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك) اى الذى لحقهم ونزل بهم (بانهم شاقوا الله ورسوله) اى خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) ❊ قوله تعالى (ماقطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فبإذن الله) الآية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يامحمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لاتقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال

منهم بطشا) واى الياء اقوى منهم فى صفات نفوسهم لان الاستعداد كلما كان اقوى كانت صفات النفس فى البداية اقوى (فنقبوا فى البلاد) اى مفاوز الصفات ومقاماتها (هل من محيص) عن الفناء بالاحتجاب ببعضها والتوارى بها عند اشراق انوار سبحات الوجه الباقى وكيف المحيص ولاتبقى صفة هناك فضلا عن تواريه بها (ان فى ذلك) المعنى المذكور لتذكيرا (لمن كان له قلب) كامل بالغ فى الترقى الى حد كماله (او القى السمع وهو شهيد) فى مقام النفس الى القلب لفهم المعانى والمكاشفات لترقى وهو حاضر بقلبه متوجه اليه مفيض لنوره مترق الى مقامه (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام) اى ست جهات ان فسرنا السموات والارض على الظاهر وان اولنا السموات بالارواح والارض بالجسم فهى صور الممكنات الست من الجبروت والملكوت والملك التى هى مجموع الجواهر والاضافيات والكميات والكيفيات التى هى مجموع الاعراض

(بعضهم)

بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزل ماقطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ماخلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم لا العجوة واهل المدينة يسمون ماخلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة و البرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فاخبر الله ان قطعها كان باذنه (وليخزى الفاسقين) يعنى اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود اذن الله فى قطعها احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لا بأس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها * قوله عز وجل (وما افاء الله على رسوله) اى ما رده الله على رسوله (منهم) اى من يهود بنى النضير (فما اوجفتم عليه) يعنى اوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من اعدائه (والله على كل شئ قدير) اى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة (ق) عن مالك بن اوس النضرى ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك ياامير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك فى عباس وعلى يستأذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المؤمنين اقض بينى وبين هذا فقال القوم اجل ياامير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الآخر قال مالك بن اوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر

فهذه الستة تحصر المخلوقات باسرها والستة الآلاف المذكورة التى هى مدة دور الخفاء على ماذكر فى الاعراف (وما مسنا من لغوب فاصبر على مايقولون) بالنظر اليهم بالفناء وعدم تأثير اقوالهم بالانسلاخ عن الافعال وحبس النفس عن الظهور بأفعالها ان لم تحبسها عن الظهور بصفاتها (وسبح بحمد ربك) بالتجريد عن صفات النفس حامدا لربك بالاتصاف بصفاته وابرار كما لاته المكتوبة فيك فى مقام القلب (قبل طلوع الشمس) شمس الروح ومقام المشاهدة (وقبل الغروب) بالفناء فى احدية الذات (ومن الليل فسبحه) اى فى بعض اوقات ظلمة التلوين فنزهه عن صفات المخلوقين بالتجرد عن الصفة الظاهرة بالتلوين (وادبار السجود) وفى اعقاب كل فناء فان عقيب فناء الافعال يجب الاحتراز عن تلوين النفس وعقيب الفناء عن الصفات يجب التنزه عن تلوين القلب وعقيب فناء الذات يجب التقدس عن ظهور الانانية (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب)

على العباس وعلى وقال انشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولاركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بنى النضير فوالله مااستأثرها عليكم ولااخذها دونكم فقداعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذمنه نفقة سنة ثم مابقى يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل مانشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابوبكر انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه ابوبكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينئذ واقبل على على وعباس وقال تذكران ان ابابكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بارراشد تابع للحق ثم توفى الله ابابكر فقلت انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فقبضته سنتين من امارتى اعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر والله يعلم انى فيه لصادق بارراشد تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة فلما بدالى ان ادفعه اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهدالله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وماعملت فيه منذوليت والافلاتكلمان فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان منى قضاء غيرذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا اقضى فيه بقضاء غيرذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الى فانى اكفيكماه ❊ قوله تعالى (ماافاء الله على رسوله من اهل القرى) يعنى من اموال كفار اهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذى القربى) يعنى بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قدتقدم تفسيره فى سورة الانفال فى حكم الغنيمة وقسمتها واماحكم الفئ فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على اهله منه نفقة سنتهم ويجعل مابقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء فى مصرف الفئ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعى فيه قولان احدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا فى تخميس مال الفئ فذهب قوم الى انه يخمس فخمس لاهل خمس الغنيمة واربعة للمقاتلة اوللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لايخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرا عمر بن الخطاب ماافاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤامن بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال ومااحد على وجه الارض مسلم الاوله فى هذاالفئ حق الا ماملكت ايمانكم (كيلا يكون) الفئ (دولة) والدولة اسم الشئ الذى يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعنى بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذاغنموا غنيمة اخذالرئيس ربعها لنفسه

الله بنفسه من اقرب الاماكن اليك كما نادى موسى من شجرة نفسه يوم يسمع عن القيامة الكبرى صيحة القهر والافناء بالحق من الحق (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) من وجوداتهم (انا نحن نحيى ونميت) اى شأننا الاحياء والاماتة نحيى اولا بالنفس ثم نميت عنها ثم نحيى بالقلب ثم نميت عنه ثم نحيى بالروح ثم نميت عنه بالفناء (والينا المصير) بالبقاء بعد الفناء بل فى كل فناء اذلا غير يصيرون اليه (يوم تشقق الارض) ارض البدن (عنهم سراعا) الى مايجانسهم من الخلق (ذلك حشر علينا يسير) نحشرهم مع من يتولونه بالمحبة بانجذابهم اليه دفعة بلا كلفة من احد (نحن اعلم بما يقولون) لاحاطة علمنا بهم وتقدمه عليهم وعلى اقوالهم (وما انت عليهم بجبار) تجبرهم على خلاف ماتقتضى استعداداتهم وحالهم التى هم عليها بماانت مذكر فاصبر بشهود ذلك منى واحبس النفس عن الظهور بالتلوين وذكر بالقرآن بما نزل عليك من العقل الجامع بجميع المراتب (فذكر

(وهو)

وهو المرباع ثم يصطفى بعده ماشاء فجعله الله لرسوله صلى الله وسلم يقسمه فيما امره به ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ اى من مال الفئ والغنيمة ﴿ وما نهاكم عنه ﴾ اى من الغلول وغيره ﴿ فانتهوا ﴾ وهذا نازل فى اموال الفئ وهو عام فى كل ما امر به النبى صلى الله عليه وسلم اونهى عنه من قول اوعمل من واجب اومندوب اومستحب اونهى عن محرم فيدخل فيه الفئ وغيره (ق) عن عبدالله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بنى اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرا القرآن فاتته فقالت ماحديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبدالله ومالى لاالعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف فاوجدته فقال ان كنت قرأته لقد وجدته قال الله عزوجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة يحشى بكحل والمستوشمة هى التى تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هى التى تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هى التى تتكلف تفريج مابين ثناياها بصناعة وقيل هى التى تتفلج فى مشيتها فكل ذلك منهى عنه (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ماليس منه فهو رد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد * عن ابى رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاالفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه امر مما امرت به اونهيت عنه فيقول لاادرى ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن الاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير او فراش او منصة اونحو ذلك ﴿ واتقوا الله ﴾ اى فى امر الفئ ﴿ ان الله شديد العقاب ﴾ اى على ترك ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم اونهاكم عنه ثم بين من له الحق فى الفئ فقال عزوجل ﴿ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ﴾ يعنى الجاهم كفار مكة الى الخروج ﴿ يبتغون فضلا من الله ﴾ اى رزقا وقيل ثوابا من الله ﴿ ورضوانا ﴾ اى خرجوا من ديارهم طلبا لرضاالله عزوجل ﴿ وينصرون الله ورسوله ﴾ اى بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ اى فى ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا الله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود * قوله عزوجل ﴿ والذين تبوؤا الدار والايمان ﴾ يعنى الانصار توطنوا الدار وهى المدينة واتخذوها سكنا ﴿ من قبلهم ﴾ يعنى انهم اسلموا فى ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوأ ﴿ يحبون من هاجر اليهم ﴾ وذلك انهم انزلوا المهاجرين فى منازلهم واشركوهم

بالقرآن من) يتأثر بالتذكير و(يخاف وعيد) لكونه قابلا للوعظ مجانسا لك فى الاستعداد قريبا منى دون المردودين الذين لايتأثرون والله تعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سورة والذاريات ﴾

﴿ والذاريات ذروا ﴾ اى النفحات الالهية والنسائم القدسية التى تذرو غبار الهيآت الظلمانية وتراب الصفات النفسانية ذروا ﴿ فالحاملات وقرا ﴾ اى الواردات النورانية التى تحمل اوقار الحقائق اليقينية والعلوم الكشفية الحقيقية التى لها ثقل فى الميزان لبقائها دون التى تخف من الامور الفانية الى قلوب اهل العرفان والنفوس القابلة المستعدة الحاملة لتلك الحقائق والمعانى ﴿ فالجاريات يسرا ﴾ اى النفوس التى تجرى فى ميادين المعاملات ومنازل القربات بواسطة تلك النفحات والواردات يسرا بلا كلفة كالمحرومين عن ذلك او القلوب التى تجرى فى ابحر الصفات بتلك النفحات يسرا ﴿ فالمقسمات امرا ﴾ اى الملائكة المقربين من اهل

فى اموالهم ﴿ ولا يجدون فى صدورهم حاجة ﴾ اى حزازة وغيظا وحسدا ﴿ مما اوتوا ﴾ اى اعطى المهاجرون من الفئ دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة فطابت انفس الانصار بذلك ﴿ ويؤثرون على انفسهم ﴾ اى ويؤثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على انفسهم ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ اى فاقة وحاجة الى مايؤثرون به (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ماعندى الا الماء ثم ارسل به الى اخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يارسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشئ ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نأكل فاذا اهوى بيده ليأكل فقومى الى السراج كى تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة زاد فى رواية فانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمر قالوا سمعنا واطعنا (خ) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالو لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال امالا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانه سيصيبكم اثرة بعدى وفى رواية ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الاستئثار وهو ان يستأثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم فى الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا اعطى اراد انه يستأثر عليكم غيركم فيفضل فى نصيبه من الفئ والاستئثار الانفراد بالشئ وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم اموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيأ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ويؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عزوجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح فى كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ اى الفائزون بما ارادوا وروى ان رجلا قال لابن مسعود انى اخاف ان اكون قد هلكت قال وماذاك قال انى اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ولكن الشح ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص

الجبروت والملكوت التى تقسم لكل واحدة قسطا من السعادة والرزق الحقيقى على حسب الاستعدادات (انما توعدن) من حال القيامة الكبرى وحصول الكمال المطلق «لصادق وان الدين» اى الجزاء الذى هو الفيض الوارد بحسب السعى فى السلوك والعمل المعد للقبول او الحرمان والتعذب بالحجاب والتأذى بالهيآت المؤذية المظلمة بسبب الركون الى الطبيعة ﴿ لواقع ﴾ كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم اقسم بالمعدات والقوابل والمفيضات على ان مقتضى اجتماعها واجب الوقوع (والسماء) اى الروح (ذات الحبك) الطرائق من الصفات فان من كل صفة طريقا الى سماء الروح يصل اليها من يسلكها وكل مقام وحال بابا اليها (انكم لفى قول مختلف) من حديث النفس وشجونه المتنوعة المانعة عن اتحاد الوجهة فى السلوك او الاعتقادات الفاسدة والمذاهب الباطلة

(لشديد)

الشديد الذى يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيأ امره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم * عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود الهلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شئ يفوته او يخرج من يده والخالع الذى خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد ابدا ولايجتمع الشح والايمان فى قلب عبد ابدا اخرجه النسائى * قوله تعالى ﴿ والذين جاؤا من بعدهم ﴾ يعنى من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامة ﴿ يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾ اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ﴿ ولا تجعل فى قلوبنا غلا ﴾ اى غشا وحسدا وبغضا ﴿ للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ﴾ فكل من كان فى قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين وليس له فى المسلمين نصيب وقال ابن ابى ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لاتكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن اختى امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم * عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله فى اصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه اخرجه الترمذى وقال مالك بن انس من انتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوكان فى قلبه غل عليهم فليس له حق فى فئ المسلمين ثم تلا هذه الآية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبى يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حوارى عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لاتقوم لهم راية ولايثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة * وروى عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابابكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله ان لاينقطع عنهم الاجر وروى ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب رسول الله

المانعة عن الكمال من انواع الجهل المركب (يؤفك عنه) اى بسبب ذلك القول المختلف الذى هو حديث النفس او الاعتقاد الفاسد (من افك) اى المحجوب المحكوم عليه فى القضاء السابق بسوء الخاتمة دون غيره او يصرف عما توعدون من الكمال من صرف بالشقاوة الازلية فى علم الله (قتل الخراصون) اى لعن الكذابون بالاقوال المختلفة (الذين هم فى غمرة ساهون) اى جهل يغمرهم غافلون عن الكمال والجزاء (يسئلون ايان يوم الدين) لبعدهم عن ذلك المعنى واستبعادهم لذلك وتعجبهم لمكان الاحتجاب اى متى وقوع هذا الامر المستبعد (يوم هم على النار يفتنون) اى يقع يوم هم يعذبون بعذبون على نار الحرمان فى ظلمات الهيآت بفساد الابدان والوقوع فى الهلاك والخسران مقولا لهم (ذوقوا فتنتكم) اى عذابكم (الذى كنتم به تستعجلون) بالانهماك فى اللذات البدنية واستئثار الحظوظ العاجلة والكمالات البهيمية والسبعية (ان المتقين فى جنات وعيون)

صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان * قوله عزوجل (ألم تر الى الذين نافقوا) يعنى اظهروا خلاف ما اضمروا وهم عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى اليهود من بنى قريظة و بنى النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم (لئن اخرجتم) اى من المدينة (لنخرجن معكم) اى منها (ولا نطيع فيكم احدا ابدا) يعنى ان سألنا احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيع فيكم (وان قوتلتم لننصرنكم) اى لنعيننكم ولنقاتلن معكم (والله يشهد انهم) يعنى المنافقين (لكاذبون) اى فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم (ولئن نصروهم ليولن الادبار) يعنى لو قدروا نصرهم او لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون) يعنى بنى النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصروهم (لانتم) يعنى يا معشر المسلمين (اشد رهبة فى صدورهم من الله) اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله (ذلك) اى الخوف منكم (بانهم قوم لا يفقهون) يعنى عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة) اى لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (اومن وراء جدار) وقرئ جدر (بأسهم بينهم شديد) اى بعضهم فظ على بعض او عداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) اى متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا) يعنى مشركى مكة (ذاقوا وبال امرهم) يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب اليم) اى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) اى مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) وذلك ما روى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه فى امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفينى امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه والسلام فدفعه الى اقصى ارض الهند لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا فى كل عشرة ايام ولا يفطر الا فى كل عشرة ايام مرة فلما رأى الابيض انه لا يجيبه اقبل

الذين تجردوا عن هيآت الطبيعة وصفات النفس فى جنات الصفات وعلومها (آخذين) اى قابلين (ما آتاهم ربهم) من انوار تجليات الصفات راضين بها (انهم كانوا قبل ذلك) اى قبل الوصول الى مقام تجليات الصفات (محسنين) بشهود الافعال فى مقام العبادات والمعاملات كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) من ابل الاحتجاب فى مقام النفس ما يغفلون عن السلوك (وبالاسحار) اى اوقات طلوع انوار التجليات وانقشاع ظلمة صفات النفس (هم يستغفرون) يطلبون التنور بالانوار وتستر صفات النفس وهيآت السوء بها ومحوها (وفى اموالهم) اى علومهم الحقيقية والنافعة (حق للسائل) اى المستعد الطالب (والمحروم) القاصر الاستعداد او المحجوب عن نور فطرته بالغواشى البدنية والرسوم العادية بافاضة العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية على الاول والعلوم النافعة الباعثة على الرياضة والمجاهدة على الثانى (وفى

على العبادة فى اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم فى نفسه اى لام نفسه حين لم يجبه فقال انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتى انى جئت لاكون معك فاتأدب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وادعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ماحاجتك قال حاجتى ان تأذن لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته فاقام حولا يتعبد لايفطر الافى كل اربعين يوما مرة ولاينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مدالى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندى دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انا اكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى اخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر فقال لهم انى لااقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعا به اجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان وكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة كان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذى عرض لها ماردلايطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ماامرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يابرصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وماهى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها وتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ماتريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يابرصيصا قد افتضحت

الارض) اى ظاهر البدن (آيات) من ظواهر الاسماء والصفات الالهية (للموقنين) الذين يشاهدون صفات الله فى مظاهرها (وفى انفسكم) من انوار تجلياتها (افلا تبصرون وفى السماء) سماء الروح (رزقكم) المعنوى من العلوم كما فى سماء العالم رزقكم الصورى (وما توعدون) من الانوار واحوال القيامة الكبرى (فورب السماء والارض انه لحق) اى ماذكر من آيات الارض والانفس ووجوه الرزق وماوعد فى السماء حق (مثل ماانكم تنطقون هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من

فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا مافعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان الى اوسطهم فقال الاوسط مثل ماقال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله قد رايت مثله فقال الاكبر وانا والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا مافعلت اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا لا والله لانتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم على ماراوه فى النوم فمشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به للملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفنى فقال لا فقال انا صاحبك الذى علمك الدعوات وكنت اذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك مااتقيت الله فى امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بنى اسرائيل امااستحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك الم يكفك ماصنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا ولن يفلح احد من نظرائك قال وكيف اصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فآخذ بأعينهم واخرجك من مكانك قال وماهى قال تسجد لى قال مااستطيع افعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيصا فقال يا برصيصا هذا الذى اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك (فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين) قال الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعنى الشيطان وذلك الانسان (انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لاتجيبوا محمدا الى مادعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون فى بنى اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسق والفجور فى الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من امر جريج الراهب ما كان فلما براه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ماروى عن ابى هريرة رضى

المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وفى موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شئ اتت عليه الا جعلته كالرميم وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وماكانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) نطقكم فانه صفة من صفات المتكلم الحقيقى ظهر على لسانكم وفى ارض ابدانكم وتجلى بها المتكلم الحقيقى على قلوبكم ان حضرتم وشهدتم ونزل بها الرزق المعنوى الذى يندرج فى صورة الالفاظ من سماء روحكم عليكم ان كان نطقا حقيقيا لاصوتا كاصوات الحيوانات فانه لايسمى نطقا الا مجازا وحصل به كمالكم

الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة وكان فيها فاتته امه وهو يصلى فيها فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى وأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغداتته فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغداتته فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لاتمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها معهم فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ماشأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال اين الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى اصلى فصلى فلما انصرف اتى الصبى فطعن فى بطنه وقال ياغلام من ابوك قال فلان الراعى قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذوشارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لاتجعلنى مثل هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لاتجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لاتجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لاتجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لاتجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخارى مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزوانى جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة والبغى الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اى يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذوشارة حسنة اى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتى المتكبر القاهر للناس ※ قوله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ اى لينظر احدكم اى شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيامة يأتى غدا وكل ماهو آت فهو قريب ﴿ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴾ قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله فى اداء الواجبات ومعنى الثانى واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله ﴾ اى تركوا امر الله ﴿ فانساهم انفسهم ﴾ اى انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده ﴿ اولئك هم الفاسقون لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ لما ارشد المؤمنين الى مايصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لايستوى اصحاب النار يعنى الذين هم

واشرق نوره عليكم لتهتدوا به الى احوال الآخرة واما حديث ضيف ابراهيم وما نزلوا به فقدم تحقيقه فى سورة هود ﴿ ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين ﴾ اى انقطعوا اليه واستضيئوا بنوره واستمدوا من فيضه فى محاربة النفس والشيطان وتخلصوا اليه من عدوانهما وطغيانهما ولاتلتفتوا الى غيره ولا تثبتوا لماسواه وجودا وتأثيرا فيستولى عليكم الشيطان ويسول عليكم طاعته وعبادته ولا تجعلوا معه بهوى النفس معبودا كالنفس وماتهواه فتشركوا وتحجبوا به عنه فتهلكوا ﴿ كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس ﴾ جن النفوس والانس الابدان او الثقلين المشهورين ﴿ الا ليعبدون ﴾ ليظهر عليهم صفاتى وكمالاتى فيعرفونى ثم يعبدونى اذ العبادة بقدر المعرفة ومن لم يعرف لم يعبد كما قال العارف

في العذاب الدائم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل في الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وانزل عليه القرآن لخشع اى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله وحذر من ان لا يؤدى حق الله تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كأنه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله تعالى له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل * قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) اى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى اعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين (هو الله الذي لا اله الا هو الملك) اى المتصرف بالامر والنهى في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) اى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته (السلام) اى الذي سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص في المستقبل فان الذي يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اى سلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس اى الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد في معناه

الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه في العرف والنكر

اى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات منها

المحقق عليه السلام لا اعبد ربا لم اره اى لم اخلقهم ليحتجبوا بوجوداتهم وصفاتهم عني فيجعلوا انفسهم آلهة معبودة غيري او يحتجبوا بخلق وما تهوى انفسهم فيجعلوه الها غيري ويعبدوه (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون) اى خلقتهم بان احتجبت بهم بذاتي وصفاتي ليظهروا فيتخلقوا بخلقي فيحتجبوا بي ويستتروا بفناء الافعال والصفات ولا ينسبوا الرزق والاطعام والتأثير الى انفسهم لظهوره بالافعال والصفات وانتحال افعالي وصفاتي لها بالكذب والطغيان (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) اى ذاته الموصوفة بجميع الصفات هي مصدر الافعال اللطيفة كالرزق والقهرية كالتأثير في الاشياء دون غيره (فان للذين ظلموا ذنوبا) بنسبة الفعل والتأثير الى الغير من مخلوقاته سواء كان ذلك الغير انفسهم او غيرهم نصيبا وافرا من عذاب الله (مثل ذنوب اصحابهم) نصيب نظرائهم من المحجوبين بالصفات (فلا يستعجلون) في الاستمتاع بافعالهم (فويل للذين كفروا) اى حجبوا

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء زانها النطق

وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتأويله وانشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده * ولقد تعالى عن عقول اولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم * والوصف يعجز عن مليك لا يرى

(العزيز) اى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لا ينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا فى فعله وكان مذموما فى حق الناس واما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اى من ادعاء الكبر لانفسهم (هو الله الخالق) اى المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارئ) اى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) اى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فاولا يكون خالقا ثم بارئا ثم مصورا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات (له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان كذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله اعلم

سورة الممتحنة مدنية

وهى ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف

عن الحق فى اى مرتبة كانت باى شئ كان (من يومهم الذى يوعدون) فى القيامة الصغرى والله اعلم

سورة والطور

بسم الله الرحمن الرحيم

(والطور) الطور هو الجبل الذى كلم عليه موسى وهو الدماغ الانسانى الذى هو مظهر العقل والنطق اقسم به لشرفه وكرامته ولكون الفلك الاعظم الذى هو محدد الجهاد بالنسبة الى العالم بمثابة الدماغ بالنسبة الى الانسان يمكن ان يكون اشارة اليه واقسم به لشرفه وكونه مظهر الامر الالهى ومحل القضاء الازلى * (وكتاب مسطور فى رق منشور) والكتاب المسطور هو صورة الكل على ما هو عليه من النظام المعلوم المتنقش فى لوح القضاء الذى هو الروح الاعظم المشار اليه ههنا بالرق المنشور وتنكيرهما للتعظيم (والبيت المعمور) هو قلب العالم اى النفس الناطقة الكلية وهو لوح القدر وعمرانه كثرة الطائفة الملكوت به (والسقف المرفوع) هو السماء الدنيا التى تنزل الصور والاحكام من لوح القدر الذى هو

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) الآية (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجى الكتاب فقالت مامعى من كتاب فقلنا لتخرجى الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابى بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ماهذا فقال يارسول الله لاتعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ومافعلته كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا ارضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية فى حاطب بن ابى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك ان سارة مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالى وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ماطلب منى شئ بعد وقعة بدر فحث عليها بنى عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابى بلتعة حليف بنى اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب فى الكتاب من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابى بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها فى ذلك المكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله مامعها من كتاب ففتشوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على والله ماكذبنا وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال اخرجى الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته فى شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب

اللوح المحفوظ اليه ثم تظهر فى عالم الشهادة بحلولها فى الواد وهو المحو والاثبات بمنابة محل الخيال فى الانسان (والبحر المسجور) هو الهيولى المملواة بالصور التى يظهر عليها جميع ما اثبت فى الارواح المذكورة (ان عذاب ربك لواقع) بظهور القيامة الصغرى وعلى التأويل الاول وهو تأويل الطور بالدماغ يكون الكتاب المسطور اشارة الى المعلومات المركوزة فى الروح الانسانى المسماة بالعقل القرآنى ذو الروح هو الرق المنشور ونشوره ظهوره وانبثاثه فى البدن والبيت المعمور هو القلب الانسانى والسقف المرفوع هو مصعد الخيال المنتقش بالصور الجزئية والبحر المسجور هو مادة البدن المملواة بالصور والله اعلم (ماله من دافع يوم تمور السماء مورا) اى تضطرب الروح وتجئ وتذهب عند السكرات ومفارقة البدن (وتسير الجبال سيرا) اى تذهب العظام وترم وتصير هباء منبثا (فويل يومئذ للمكذبين) الذين احتجبوا بالدنيا عن الآخرة فكذبوا

فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فاحملك على ماصنعت فقال والله ماكفرت منذ اسلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولااحببتهم منذفارقتهم ولكن لم يكن احدمن المهاجرين الاوله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذلي عندهم يدا وقدعلمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابي لايغني عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمربن الخطاب فقال يارسول الله دعني اضرب عنق هذاالمنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ياعمر لعل الله قداطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شأن حاطب بن ابي بلتعة ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء يعني اصدقاء وانصارا (تلقون اليهم بالمودة) اي باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) اي وحالهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعني القرآن (يخرجون الرسول واياكم) يعني من مكة (ان تؤمنوا) اي لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء * وقوله (تسرون اليهم بالمودة) اي بالنصيحة (وانا اعلم بما اخفيتم) اي من المودة للكفار (وما اعلنتم) اي اظهرتم بالسنتكم منها (ومن يفعله منكم) اي الاسرار والقاء المودة اليهم (فقد ضل سواء السبيل) اي اخطأ طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى (ان يثقفوكم) اي يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) اي بالضرب والقتل والشتم والسب (وودوا) اي تمنوا (لو تكفرون) اي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لايخلصون المودة لاولياء الله ولايناصحونهم لمابينهم من الخلاف فلاتناصحوهم انتم ولاتوادوهم (لن تنفعكم ارحامكم ولااولادكم) اي لايدعونكم ولايحملنكم ذووا ارحامكم وقراباتكم واولادكم لذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لاتنفعكم ارحامكم ولااولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) اي يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) * قوله تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) اي من اهل الايمان (اذ قالوا لقومهم) يعني المشركين (انا برءآء منكم) جمع بريء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) اي جحدناكم وانكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) والمعنى ان ابراهيم عليه السلام واصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم (الاقول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك) يعني لكم ان تأسوا بابراهيم في جميع اموره الا في الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه (وما املك لك من الله من شيء) هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ماأغني عنك ولاادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا

بالجزاء (الذين هم في خوض يلعبون) يخوضون في باطل اللذات الحسية والاعتقادات الفاسدة والاقوال المزخرفة ويتعمقون في اللعب الذي هو الحياة الدنيا وزينتها السريعة الزوال (يوم يدعون) اي يجرون ويسحبون بالعنف (الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون) نار الحرمان والآلام في قعر بئر الطبيعة الفاسقة المحبوسة في سلاسل التعلقات واغلال الهيئآت الجرمانية (افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ماكنتم تعملون ان المتقين) الذين اتقوا الرذائل وصفات النفوس (في جنات ونعيم) من جنات الصفات ولذة وذوق وتنعم فيها (فاكهين) متلذذين (بما آتاهم ربهم) من انوار التجليات ومعارف الوجدانيات والكشفيات (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) جحيم الطبيعيات والاحتجاب بالبهيميات والسبعيات من الهيآت (كلوا) من ارزاق الحكم والعلوم الحقيقية التي هي قوت القلوب

لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) اى لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) يعنى فى ابراهيم ومن معه (اسوة حسنة) اى اقتداء حسن (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) اى ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) اى يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) اى عن خلقه (الحميد) اى الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فانزل الله تعالى (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابى سفيان ولان لهم ابو سفيان (والله قدير) اى على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) اى لمن تاب منهم واسلم ثم رخص فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم) اى لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) اى وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين قال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا على احدا فرخص الله فى برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت فى امه وهى اسماء بنت ابى بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهى مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلى على بيتنا حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانزل الله تعالى هذه الآية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قال قدمت على امى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امى قدمت على وهى راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد فى رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركو مكة (ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) * قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم يأته احد من الرجال الا رده فى تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهى عاتق فجاء اهلها

(واشربوا) من مياه العلوم النافعة وخمور العشق والمحبة اكلا هنيئا وشربا (هنيئا) سائغا غير ذى غصة (بما كنتم تعملون) بسبب اعمالكم فى الزهد والعبادة والمجاهدة والرياضة (متكئين على سرر) اى مراتب ومقامات (مصفوفة) مرتبة كالتسليم والتوكل والرضا او متقابلة تتساوى فى مقاماتهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين (وزوجناهم بحور عين) اى قرناهم بما فى درجاتهم من الصور المقدسة والجواهر المجردة من الروحانيات التى لا احسن وراء حسنها (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة) من الواردات اللذيذة والمواجيد الذوقية والاشراقات البهجة (ولحم) من العلوم المقوية للقلوب والحكم المحيية لها (مما يشتهون) اى يشتاقون اليه بمقتضى استعداداتهم واحوالهم (يتنازعون فيها) يتعاورون فى مباحثاتهم ومحاوراتهم ومذاكراتهم

يسألون عنها النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن اقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله مامست يده يد امرأة قط في المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت ان تردعلينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات اى من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ماخرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا ايها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذى تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي ازواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وانما اطلق العقد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم (الله اعلم بايمانهن) اى هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) اى اذا اقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعني ازواجهن (ما انفقوا) اى عليهن من المهر الذى دفعوه اليهن (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن) اى مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا

(كأسا) خمرا لذيذا من المعارف والعشقيات والذوقيات (لا لغو فيها) بسقط الحديث والهذيان والكلام بما لا طائل تحته (ولا تأثيم) ولا قول يأثم به صاحبه وينسب الى الاثم كالغيبة والفواحش والشتم والاكاذيب (ويطوف عليهم غلمان لهم) من الملكوت الروحانية اى تخدمهم الروحانيات او اهل الارادة وصفاء الاستعداد من الاحداث الطالبين (كأنهم) لفرط صفائهم ونوريتهم (لؤلؤ مكنون) محفوظ من تغيرات هوى النفس وغبار الطبائع مخزون من ملامسة ذوى العقائد الرديئة والعادات المذمومة (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) عن بداياتهم واحوال رياضاتهم في عالم النفس ومأوى الحس الذى هو الدنيا (قالوا انا كنا قبل) اى قبل الوصول الى فضاء القلب وروح الروح في الآخرة (في اهلنا) من القوى البدنية وصفات النفس (مشفقين) وجلين من ذكر الله خائفين من العقاب (فمن الله علينا) بتجليات الصفات ونم

بمكة مشركتين قريبة بنت ابى امية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابى سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى ام ابنه عبدالله فتزوجها ابوجهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت اروى ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هى على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده فى الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابى العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسئلوا) اى ايها المؤمنون (ما انفقتم) يعنى ان لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسئلوا) يعنى المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم (ما انفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق كذلك صنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية اقر المؤمنون بحكم الله تعالى وادوا ما امروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من اداء نفقات المسلمين فانزل الله عزوجل (وان فاتكم) ايها المؤمنون (شئ من ازواجكم الى الكفار) اى فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم) اى الى الكفار (مثل ما انفقوا) معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ما انفقوا عليها من الغنائم التى صارت فى ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت ابى امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبدالعزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابى جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص ابن وائل وام كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول فى رد مهر من اسلمت النساء الى زوجها هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء ام لا فيه قولان احدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لا يأتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم فى رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثانى ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن على انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة فى الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته البقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا فى انه هل يجب العمل به اليوم

المكاشفات (ووقانا عذاب السموم) سموم هوى النفس وجحيم الطبيعة (انا كنا من قبل) قبل هذا المقام (ندعوه) نذكره ونعبده (انه هو البر) المحسن بمن دعاه بافاضة العلم والتحقيق (الرحيم) لمن عبده وخافه بالهداية والتوفيق (فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا

فى رد المال اذا شرط فى معاقدة الكفار فقال قوم لايجب وزعموا ان الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ورد عليهم ماانفقوا * قوله تعالى (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعهن (على ان لايشركن بالله شيا) فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبى صلى الله عليه وسلم (ولايسرقن) فقالت هند ان اباسفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فلاادرى ايحل لى ام لا فقال ابوسفيان ما اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولا يزنين) فقالت هند او تزنى الحرة فقال (ولايقتلن اولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وماتأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق (ولايعصينك فى معروف) فقالت هند ماجلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ فأقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزى وجملة من احصى من المبايعات اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على ان لايشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا يملكها واما تفسير الآية فقوله تعالى ولايقتلن اولا دهن اراد به واد البنات الذى كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام فى كل نوع من قتل الولد ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى لاتلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهى عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولايعصينك فى معروف اى فى كل ماتأمرهن به اوتنهاهن عنه وقيل فى كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهى عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ان لاتحدث المرأة الرجال الاجانب ولاتخلو برجل غير ذى محرم ولاتسافر مع غير محرم قال ابن عباس فى قوله ولايعصينك فى معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء اخرجه البخارى (ق) عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لايشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة اسعدتنى فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن اسيد بن اسيد عن امرأة من المبايعات

سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لايغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون وذلك ولكن اكثرهم لايعلمون واصبر لحكم ربك) ع م النفس عن الظهور بالاعتراض على الحكم (فانك باعيننا) فانا نراك ونرقبك فاحترز عن ذنب ظهور النفس بحضورنا (وسبح بحمد ربك) نزه الله بالتجرد عن ملابس صفات النفس حامدا لربك باظهار كما لاتك التى هى صفاته (حين تقوم) فى القيامة الوسطى عن نوم غفلة مقام النفس بالرجوع الى الفطرة (ومن الليل) ومن بعض اوقات الظلمة عند التلوين بظهور صفة من صفاتها (فسبحه) بالتجرد عنها والتنور بنور) الروح (وادبار النجوم) نجوم الصفات وغيبتها بظهور نور شمس الذات وطلوع فجر بداية المشاهدة والله تعالى اعلم

﴿ سورة والنجم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنجم اذا هوى) اقسم بالنفس المحمدية اذا ويت

قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذى اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود * عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يارسول الله نساء اسعدتنا فى الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد فى الاسلام اخرجه النسائى (م) عن ابى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة اخرجه ابوداود * وقوله تعالى (فبايعهن) يعنى اذا بايعنك على هذه الشروط (فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطعتن قلنا الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يارسول الله بايعنا قال سفيان يعنى صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا من الآخرة) يعنى اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير فى الآخرة (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) يعنى كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا فى القبور من ان يكون لهم ثواب فى الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الصف

وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثانى انها مكية وهى اربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ياايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قيل سبب نزولها ما روى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ياايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وانزل الله هل ادلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة

(فانزل الله)

وغربت عن محل الظهور وسقطت عن درجة الاعتبار فى الظهور والحضور (ماضل صاحبكم) بالوقوف مع النفس والانحراف عن المقصد الاقصى بالميل لها (وما غوى) بالاحتجاب بالصفات والوقوف معها فى مقام القلب (وما ينطق عن الهوى) بظهور صفة النفس فى التلوين (ان هو الا وحى يوحى) اليه من وقت وصوله الى افق القلب الذى هو سماء الروح الى انتهائه الى الافق الاعلى الذى هو نهاية مقام الروح المبين (علمه) روح القدس الذى هو (شديد القوى) قاهر لما تحته من المراتب مؤثر فيها تأثيرا قويا (ذو مرة) ذو متانة واحكام فى علمه لا يمكن تغييره ونسيانه (فاستوى) فاستقام على صورته الذاتية والنبى (وهو بالافق الاعلى) لانه حين كون النبى بالافق المبين لا ينزل على صورته لاستحالة تشكل الروح المجرد فى مقام القلب الا بصورة تناسب الصور المتمثلة فى مقامه ولهذا كان يتمثل بصورة دحية الكلبى وكان من احسن الناس صورة

فانزل الله تعالى لم تقولون مالا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل واطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) اى عظم بغضا عند الله (ان تقولوا مالا تفعلون) معناه ان يعدوا من انفسهم شيأ ولم يفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) اى يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) اى قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص * قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) اى واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل (يا قوم لم تؤذونني) قيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) يعني تؤذونني وانتم عالمون علما قطعيا انى رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) اى عدلوا ومالوا عن الحق (ازاغ الله قلوبهم) اى امالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى لا يهدى من سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان اذاهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم) اى انى رسول ارسلت اليكم بالوصف الذى وصفت به في التوراة (مصدقا لما بين يدى من التوراة) اى انى مقر معترف باحكام التوراة وكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم (ومبشرا برسول يأتى من بعدى) اى يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكأنه قيل ما اسمه فقال (اسمه احمد) عن ابي موسى قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يأتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدني قد بقى في البيت موضع قبر اخرجه الترمذى عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم يأتى بعدكم امة حكماء علماء ابرار اتقياء كأنهم في الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى يوم القيامة وانا العاقب الذى ليس بعدى نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء كلهم حامدون الله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثانى انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التى يحمد بها من غيره (فلما

واحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لو لم يتمثل بصورة يمكن انطباعها في الصدر لم يفهم القلب كلامه ولم يرصورته واما صورته الحقيقية التي جبل عليها فلم تظهر للنبي عليه السلام الا مرتين عند عروجه الى الحضرة الاحدية ووصوله بمقام الروح في الترقى وعند نزوله عنها ورجوعه الى المقام الاول عند سدرة المنتهى في التدلى (وهو بالافق الاعلى ثم دنا) رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وترقى عن مقام جبريل بالفناء في الوحدة والترقى عن مقام الروح وفي هذا المقام قال جبريل عليه السلام لو دنوت انملة لاحترقت اذ وراء مقامه ليس الا الفناء في الذات والاحتراق بالسبحات (فتدلى) اى مال الى الجهة الانسية بالرجوع من الحق الى الخلق حال البقاء بعد الفناء والوجود الموهوب الحقاني (فكان قاب قوسين) اى كان عليه السلام مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل المنقسمة بخط موهوم الى قوسين باعتبار الحق والخلق والاعتبار

جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) اى ظاهر (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب) اى ومن اقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه ان يكذب على الله وذلك انهم علموا ان ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية اى الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لايهدى القوم الظالمين) اى لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم) يعنى ارادبهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) اى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) ✵ قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله عزوجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيه رضا الله عزوجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم) اى الذى آمركم من الايمان والجهاد فى سبيله (ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى والمعنى امنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله) اى اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعنى هذا الجزاء الذى ذكر هو الفوز العظيم (واخرى تحبونها) اى ولكم تجارة اخرى وقيل لكم خصلة اخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) اى يامحمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (ياايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله) اى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصارى الى الله (قال الحواريون نحن انصار الله) وكانوا اثنى عشر رجلا اول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحوارى الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حوارى الزبير (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبدالله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) اى غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته والله اعلم بمراده واسرار كتابه

هو الخط الموهوم القاسم للدائرة الى نصفين فباعتبار البداية والتدانى يكون الخلق هو القوس الاول الحاجب للهوية فى اعيان المخلوقات وصورها والحق هو النصف الاخير الذى يقرب منه شيأ فشيأ وينمحى ويفنى فيه وباعتبار النهاية والتدلى فالحق هو القوس الاول الثابت على حاله ازلا وابدا والخلق هو القوس الاخير الذى يحدث بعد الفناء بالوجود الجديد الذى وهب له (اوادنى) من مقدار القوسين بارتفاع الاثنينية الفاصلة الموهمة لاتصال احد القوسين بالاخر وتحقق الوحدة الحقيقية فى عين الكثرة بحيث تضمحل الكثرة فيها وتبقى الدائرة غير مقسمة بالحقيقة احدية الذات والصفات (فاوحى الى عبده) فى مقام الوحدة بلا واسطة جبريل عليه السلام (ما اوحى) من الاسرار الالهية التى لا يجوز كشفها لصاحب النبوة (ما كذب الفؤاد ما رأى) فى مقام الجمع والفؤاد هو القلب المترقى الى مقام الروح فى الشهود المشاهد للذات مع جميع الصفات الموجود

﴿ تفسير سورة الجمعة ﴾

وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين) يعنى العرب وكانت العرب امة امية لاتكتب ولاتقرأ حتى بعث فيهم نبى الله وقيل الامى هو الذى على ماخلق عليه كانه منسوب الى امه (رسولا منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما كان اميالان نعته فى كتب الانبياء النبى الامى وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ماأتى به من الوحى والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه (يتلوا عليهم آياته) اى التى تبين رسالته وقيل آياته التى يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل (ويزكيهم) اى يطهرهم من دنس الشرك (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن وقيل الفرائض (والحكمة) قيل هى السنة (وان كانوا من قبل) اى من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لفى ضلال مبين وآخرين منهم) اى من المؤمنين الذين ظهروا يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل اراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يارسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسى فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذى نفسى بيده لو كان الايمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء اخرجاه فى الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة (لما يلحقوا بهم) لما يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم فى الفضل والسابقة لان التابعين لايدركون شأو الصحابة (وهو العزيز) اى الغالب الذى قهر الجبابرة (الحكيم) اى الذى جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعنى الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم (والله ذوالفضل العظيم) اى على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بمافيها وليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل (ثم لم يحملوها) اى لم يعملوا بمافيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) جمع سفر وهى الكتب العظام من العلم سمى سفرا لانه يسفر عمافيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة ولايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا اذلم ينتفعوا بمافى التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذى يحمل الكتب ولا يدرى مافيها ولاينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولاينتفعون بها لانهم خالفوا مافيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بمافيه واعرض عنه اعراض من لايحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران ياأهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) اى بئس مثلا مثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعنى

بالوجود الحقانى وهذا الجمع هو جمع الوجود لاجمع الوحدة الذى لافؤاد فيه ولاعبد لفناء الكل فيها المسمى باصطلاحهم عين جمع الذات واما هذا الجمع فيسمى الوجه الباقى اى الذات الموجودة مع جميع الصفات (افتمارونه على مايرى) افتخاصمونه على شئ لاتفهمونه ولايمكنكم معرفته وتصوره فكيف يمكنكم اقامة الحجة عليه وانما المخاصمة حيث يمكن تصور الامر المختلف فيه ثم الاحتجاج عليه بالنفى والاثبات فحيث لاتصور فلا مخاصمة حقيقة (ولقد رآه) اى جبريل فى صورته الحقيقية (نزلة اخرى) عند الرجوع عن الحق والنزول الى مقام الروح (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) قيل هى شجرة فى السماء السابعة ينتهى اليها علم الملائكة ولا يعلم احد ماوراءها وهى نهاية مراتب الجنة يأوى اليها ارواح الشهداء فهى الروح الاعظم الذى لاتعين وراءها ولامرتبة ولاشئ فوقها الا الهوية المحضة فلهذا نزل عندها وقت الرجوع عن الفناء المحض الى البقاء ورأى عندها جبريل عليه السلام

محمدا صلى الله عليه وسلم وماأتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لايهدى القوم الظالمين) اى لايهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما وقيل يعنى الذين ظلموا انفسهم بتكذيب آيات الله وانبيائه (قل) اى قل يامحمد (ياايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس) اى من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فتمنوا الموت) اى ادعوا على انفسكم بالموت (ان كنتم صادقين) يعنى فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم اليه لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) اى بسبب ماقدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) اى لاينفعكم الفرار منه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد * قوله عز وجل (ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة) اى لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) اى فى يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء زاد فى رواية فثبت الامر على ذلك ولابى داود قال كان يؤذن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لوى قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوى وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا اليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم فلهم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود يوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله تعالى فى ذلك ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة الآية عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن ياابت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر اصحاب السير ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول حين امتدا لضحى فاقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) اى

على صورته التى جبل عليها (عندها جنة المأوى) التى يأوى اليها ارواح المقربين (اذ يغشى السدرة) من جلال الله وعظمته (مايغشى) لانه صلى الله عليه وسلم كان يراها عند تحققه بالوجود الحقانى بعين الله فرأى الحق متجليا فى صورتها فقد غشى السدرة من التجلى الالهى ماسترها وافناها فرآها بعين الفنا لم يحتجب بها وبصورتها ولا بجبريل وحقيقته عن الحق ولهذا قال (مازاغ البصر) بالالتفات الى الغير ورؤيته (وماطغى) بالنظر الى نفسه واحتجابه بالانائية (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى الصفة الرحمانية الذى يندرج فيها جميع الصفات بتجليه تعالى فيها بل حضرة الاسم الاعظم الذى هو الذات مع جميع الصفات المعبر عنه بلفظة الله فى عين جمع الوجود بحيث لم يحتجب عن الذات بالصفات ولا بالصفات عن الذات (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن

فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع فى المشى وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ماهو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعى بقوله فلما مشى معه (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولاتسرعوا فما ادركتم فصلوا ومافاتكم فاتموا وفى رواية فاذا اقيمت الصلاة فلاتأتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام ﴿ وذروا البيع ﴾ يعنى البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثانى وقال الزهرى عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ﴿ ذلكم ﴾ اى الذى ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء ﴿ خير لكم ﴾ اى من المبايعة فى ذلك الوقت ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ اى مصالح انفسكم والله تعالى اعلم

﴿ فصل فى فضل الجمعة واحكامها واثم تاركها ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ فى فضلها (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد فى رواية ولاتقوم الساعة الا فى يوم الجمعة (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لايوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله فيها شيأ الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة واستمع وانصت غفر له مابينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عباية قال ادركنى ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرايت كعب الاحبار فجلست معه فحدثنى عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة ومامن دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا

وماتهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ماتمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ) الشفاعة من الملائكة هى افاضة الانوار والامداد على المستشفع عند استفاضته بالتوسل بالشفيع الذى هو الوسيلة والواسطة لمناسبة بينهما واتصال فعلى هذا شفاعتهم فى حق النفوس البشرية لا تكون الا اذا كانت مستعدة فى الاصل قابلة لفيض الملكوت ثم تزكوا عن الهيآت البشرية والغواشى الطبيعية بالتوجه الى جناب القدس والتجرد عن ملابس الحس ومواد الرجس فتستفيض من نورها وتستمد من فيضها وتتصل بها وتنخرط فى سلكها فتتقرب الى الله بواسطتها فالاستعداد القابل الاصلى هو الاذن فى الشفاعة والرضا بها هو الزكاء والصفاء الحاصل بالسعى والاجتهاد فاذا تحققا حصلت الشفاعة وان لم يكن الاستعداد فى الاصل او كان وقد تغير بالعلائق والغواشى ولم تبق على صفائها فلم يكن اذن ولا رضا من الله فلا شفاعة فقوله الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء

من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وماحدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اي ساعة هي قال ابو هريرة فقلت اخبرني بها ولا تكن عني وفي رواية تضن على قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك في الموطأ والنسائي (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى * عن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكروا بتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها اخرجه ابوداود والنسائي قال ابوداود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده ﴿ المسئلة الثانية ﴾ في اثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين * عن ابي الجعد الضمري وكان له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه ابوداود والنسائي والترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان آمر رجلا ان يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ في كيفية وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ماروى عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك او امرأة او صبي او مريض اخرجه ابو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضنا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيأ *عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابوداود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى اهله اخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن احمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت

ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) معناه عدم الشفاعة لا وجودها وعدم اغنائها لاستحالة ذلك في عالم الملكوت فهو كقوله *ولا ترى الضب بها ينجحر * (افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى) حق الله عليه بتسليم الوجود اليه حال الفناء في التوحيد بالقيام بامر العبودية وتبليغ الرسالة والنبوة في مقام

يؤذن فى وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة فى القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهرى تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لاجمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة او بعيدة دليل الشافعى ومن وافقه ماروى البخارى عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين ولابى داود نحوه وفيه بجواثى قرية من قرى البحرين ❁ المسئلة الرابعة ❁ فى تركها لعذر كل من له عذر من مرض او تعهد مريض او خوف جاز له ترك الجمعة وكذاله تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ماروى عن ابن عباس انه خطب فى يوم ذى ردغ فامر المؤذن فلما بلغ حى على الصلاة قال قل الصلاة فى الرحال فنظر بعضهم الى بعض كأنهم انكروا ذلك فقال كأنكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير منى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وانها عزمة وانى كرهت ان اخرجكم زاد فى رواية فتمشون فى الدين والدحض والزلق اخرجه البخارى ومسلم وكل من لاتجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لايكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل به العدد ❁ المسئلة الخامسة ❁ فى العدد الذى تنعقد به الجمعة اختلف اهل العلم فى العدد الذى تنعقد به الجمعة فقيل لاتنعقد باقل من اربعين رجلا وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعى واحمد واسحق قالوا لاتنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا بالغين عاقلين مقيمين فى موضع لايظعنون عنه شتاء ولاصيفا الاظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم وال والوالى غير شرط عند الشافعى وقال على بن ابى طالب لاجمعة الا فى مصر جامع وهو قول اصحاب الرأى ثم عند ابى حنيفة تنعقد باربعة والوالى شرط عنده وقال الاوزاعى وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثنى عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لاتجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبى ولاتنعقد الا فى موضع واحد من البلد وبه قال الشافعى ومالك وابو يوسف وقال احمد تصح بموضعين اذا اكثر الناس وضاق الجامع ❁ المسئلة السادسة ❁ لايجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل ان يصلى الجمعة وجوز اصحاب الرأى ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة لحج او غزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلى الجمعة يدل على جوازه ماروى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلى معك ثم اتبعهم فقال لو انفقت مافى الارض جميعا ماادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذى وروى ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر وسمعه يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لاتحبس

الاستقامة او اتم الكلمات التى ابتلاه الله بها وهى ماذكر من الصفات وقرئ وفى مخففا اى بعهده المأخوذ ميثاقه عليه فى اول الفطرة بان ثبت عليه حتى بلغ مقام التوحيد المشار اليه بقوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض (الا تزر وازرة وزر اخرى) لان العقاب يترتب على هيآت مظلمة رسخت فى النفس بتكرار الافاعيل والاقاويل السيئة التى هى الذنوب وكذلك الثواب انما يترتب على اضدادها من هيآت الفضائل كما قال تعالى (وان ليس للانسان الاماسعى) بخلاف الحظوظ العاجلة المقسومة المقدرة وان كانت تلك ايضا مستندة الى قضاء من الله وقدر لكن المعتبر هو السبب القريب الموجب لكل منهما (وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى) تقع على امور ثلاثة الاول اعادة

الارواح الى الاجساد للحساب والجزاء المرتب على اعمال الخير والشر بالمصير الى النار اوجنة الافعال والثانى هو العود الى الفطرة الاولى والرجوع الى مقام القلب والثالث هو العود الى الوجود الموهوب الحقانى بعدالفناء التام والاول لابد لكل احدمنه سواءكانت الاجساد نورانية اوظلمانية دون الباقين (وانه هو اغنى واقنى وانه هورب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانواهم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ماغشى فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذيرمن النذر الاولى ازفت الازفة) ان حملت على القيامة الصغرى فقربها ظاهر والكاشفة اماالمبينة لوقتها اوالدافعة وان حملت على الكبرى فقربها من وجهين احدهما القرب المعنوى لانها اقرب شئ الى كل احدلكونه فى عين الوحدة وان كان هو بعيدا عنها لغفلته وعدم شعوره بها والثانى ان وجود محمد وبعثته عليه السلام مقدمة

عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة فى كتب الفقه وفى هذاالقدر كفاية والله اعلم ※ قوله عز وجل (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض) اى اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا فى الارض للتجارة والتصرف فى حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعنى الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا فى الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وانت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) اى اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لاتكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا (لعلكم تفلحون) ※ قوله تعالى (واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاقبلت عير تحمل طعاما فانفتلوا اليها حتى مابقى مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشأم وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم ابوبكر وعمر ولمسلم كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس فى رواية عنه لم يبق فى المسجد الاثمانية رهط قال الحسن وابومالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبى بتجارة زيت وطعام من الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الارهط فيهم ابوبكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لايبقى منكم احد لسال بكم الوادى نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذقدم دحية بن خليفة الكلبى من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة الااتته وكان يقدم بكل مايحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عنداحجار الزيت وهو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق فى المسجد الااثناعشر رجلا وامرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم كم بقى فى المسجد فقالوا اثناعشر رجلا وامرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية واراد باللهو الطبل وكانت العير اذاقدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اى تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير فى اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على ان هذا القيام كان فى الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود اكان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب قائما اوقاعدا قال

اماتقرؤن وتركوك قائمـا قال العلماء الخطبة فريضة فى صلاة الجمعة وقال داود الظاهرى هى مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائمـا خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحد لايشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة فى الخطبة عند الشافعى فى احد القولين واقل مايقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب ان يقرأ فى الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعى وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزأ وهذا القدر لايقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابى حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام فى حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلى تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابى حنيفة ومالك

﴿ ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام ﴾

(ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفى رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خطبتـان يجلس بينهما يقرا القرآن ويذكر الناس زاد فى رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كنت اصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود يقرا آيات من القرآن ويذكر الناس ❊ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء اخرجه ابو داود والترمذى ولابى داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لايبدا فيه بالحمد لله فهو اجذم ❊ عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لايضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وفى رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انمـا نحن به وله اخرجه ابو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثنى عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومسـاكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى يقول امابعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه من

دور الظهور واحد اشراطه ولهذا قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى وتظهر بوجود المهدى عليه السلام (ليس لها من دون الله كاشفة) اى نفس مبينة لامتناع وجود غيره وعلمه عندها (افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سـامدون فاسجدوا لله) بالفناء (واعبدوا) بالبقاء بعده والله اعلم

﴿ سورة القمر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اقتربت السـاعة وانشق القمر) انما كان انشـقاق القمر آية قرب القيـامة الكبرى لان القمر اشارة الى القلب لكونه ذا وجهين وجه مظلم يلى النفس وآخر منور يلى الروح ولاستفادته النور من الروح كاستفادة القمر النـور من الشمس وانفلاقه بتأثير نور الروح فيه وظهور شمسه من مغربها اى بروزها من حجاب القلب بعد كونها فيه علامة قرب الفناء فى الوحدة لكونه مقـام المشـاهدة المؤدية الى الشـهود الذاتى وان حلت على دور الظهـور الذى هو زمان المهـدى

تركمالا فلاهله ومن ترك دينا اوضياعا فالى وعلى ❊ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذى (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذاقلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت ❊ عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك فى الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فاما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراة ولجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر مابين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشرط الخمس يجب ان يصلى ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو اربعون عند الشافعى فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة او انفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلى بهم الجمعة بل يصلى الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعى ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما ان بقاء الوقت شروط الى آخر الصلاة فاو نقص واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو انه ان بقى معه اثنان اتمها جمعة وقيل ان بقى وحده اتمها جمعة وعند المزنى ان انفضوا بعد ماصلى بهم الامام ركعة اتمها جمعة وان بقى وحده وان كان فى الركعة الاولى يتمها اربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن فى العدد الذى يشترط كالمسبوق اذا ادرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام اتمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة اتمها اربعا (خ) عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيدالله بن ابى رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا ابو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة فى الاولى واذاجاءك المنافقون فى الثانية قال فادركت اباهريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان على بن ابى طالب يقرأبهما فى الكوفة فقال ابو هريرة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما فى الصلاتين ❊ عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائى ❊ وقوله تعالى ﴿ قل ماعندالله ﴾ اى ماعندالله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ خير من اللهو ومن التجارة ﴾ الذى جاء بهما دحية ﴿ والله خير الرازقين ﴾ يعنى انه تعالى موجد الارزاق واصلها منه فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى اعلم

❊ تفسير سورة المنافقين ❊

وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل ﴿ اذاجاءك المنافقون ﴾ يعنى عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه ﴿ قالوا نشهد انك لرسول الله ﴾ وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ والله يعلم انك لرسوله ﴾ اى هو الذى

المبعوث فى نسمها فانشقاق القمر انفلاقه عن ظهور محمد عليه السلام لظهوره فى دور القمر وان حملت على الصغرى فالقمر هو البدن لاستفادته نور الشعور والحياة من شمس الروح وظلمته فى نفسه ويقويه قوله ﴿ وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شئ نكر ﴾ اى يظهر مقتضى الموت ويدعو موجبه الى شئ منكر فظيع تكرهه النفوس ﴿ خشعا ابصارهم ﴾ من الذلة والعجز والمسكنة والحرمان ﴿ يخرجون من الاجداث ﴾ من اجداث الابدان ﴿ كانهم جراد منتشر ﴾ شبهها بالجراد لكثرة النفوس المفارقة وذلتها وضعفها وحرصها وتهالكها على حضرة الذات الحسية والشهوات الطبيعية وميلها الى الجهة السفلية كما شبهها بالفراش لتهالكها الى نور الحياة وعلى الاول يوم يدعو داعى الروح والقلب النفوس

ارسلك فهو عالم بك ﴿ والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ يعنى فى قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شئ واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الاترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خلاف اعتقادهم ﴿اتخذوا ايمانهم جنة﴾ اى سترا يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم مااخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ اى اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿انهم ساء ماكانوا يعملون﴾ يعنى حيث آثروا الكفر على الايمان ﴿ذلك بانهم آمنوا﴾ اى فى الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين اقروا بالايمان ﴿ثم كفروا﴾ اى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون ﴿فطبع على قلوبهم﴾ اى بالكفر ﴿ فهم لايفقهون ﴾ اى الايمان وقيل لايتدبرون القرآن ﴿واذا رأيتهم﴾ يعنى المنافقين مثل عبد الله بن ابى بن سلول ﴿تعجبك اجسامهم﴾ يعنى ان لهم اجساما ومناظر حسنة ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ اى فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن ابى ابن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم قوله ﴿ كأنهم خشب مسندة﴾ اى اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى جدر وليست باشجار مثمرة ينتفع بها ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ يعنى انهم لايسمعون صوتا فى العسكر بان ينادى مناد او تنفلت دابة او تنشد ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿هم العدو فاحذرهم﴾ اى لاتأمنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم ولاتأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك ﴿قاتلهم الله﴾ اى لعنهم الله ﴿انى يؤفكون﴾ اى يصرفون عن الحق * قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم﴾ اى امالوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ﴿ ورأيتهم يصدون ﴾ اى يعرضون عما دعوا اليه ﴿ وهم مستكبرون ﴾ اى عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ﴿سواء عليهم استغفرت لهم﴾ اى يامحمد ﴿ ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين ﴾

﴿ ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية ﴾

قال محمد بن اسحق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابى ضرار وهو ابو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وامكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يامعشر الانصار وصرخ الغفارى يامعشر المهاجرين

الى شئ منكر عندها من ترك الحظوظ العاجلة واللذات البدنية والحسية الذى هو الموت الارادى بالرياضة ومشايعة السر فى التوجه الى جناب الحق خشعا ابصارهم ذليلة منكسرة لقهر الداعى لها واستيلائه عليها يخرجون من اجداث الابدان بالتجرد والانخلاع عنها كأنهم جراد لضعفها وطيرانها فى شعاع نور شمس الروح ﴿مهطعين الى الداع﴾ على كلا التأويلين لانقيادها طوعا وكرها ﴿ يقول الكافرون ﴾ اى المحجوبون عن الدين او الحق ﴿ هذا يوم عسر ﴾ لنزوعهم الى اللذات والشهوات الحسية وشوقهم اليها وضراوتهم بها فاما غير المحجوب فأيسر شئ عليه الموت الطبيعى والارادى جميعا ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ﴾ سماء العقل بعلم منصب الى العالم السفلى بقوة اى نكسنا عقولهم بالميل الى الدنيا والاشتغال بتدابير الامور الجزئية وترتيب

واعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبدالله بن ابي لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبدالله بن ابي وعنده رهيط من قومه فيهم زيد بن ارقم غلام حديث السن فقال عبدالله بن ابي افعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا مافعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبدالله بن ابي اسكت لقد كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال كيف ياعمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبدالله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبدالله بن ابي والذي انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيد الكاذب وكان عبدالله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يارسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ماقاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ماأردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت في ساعة منكرة ماكنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او مابلغك ماقال صاحبك عبدالله بن ابي فقال اسيد وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد فانت والله يارسول الله تخرجه هو والله الذليل وانت والله العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبدالله بن ابي ما كان من ابيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبدالله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ماكان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي على الارض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته مابقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبدالله بن ابي الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل

اللذات الحسية والانهماك في امر المعاش وصرف عملها فيه ووقوفها معها واحتجابها بها عن الامور الاخروية المؤدي الى هلاكهم فهو كقوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها (وفجرنا الارض) ارض النفس (عيونا) علوما جزئيا حسية متعلقة بكسب الحطام وجمعه والتلذذ به والترفه فيه كان نفوسهم كلها ذلك التدبير لشدة انجذابها اليها وحرصها فيها (فالتقى الماء) الغليان في طلب الدنيا وجذبها (على امر قد قدر) قدره الله تعالى وهو اهلاكهم بسبب التورط في الشهوات بالجهل وحملنا نوحا على شريعة ذات اعمال وعلوم ترتبط بها الاعمال او احكام ومعاقد تستند اليها الاحكام (وحملناه على ذات الواح ودسر تجري بأعيننا) اي تنفذ على حفظ منا في لجة جهلهم الغالب الغامر اياهم فلا يغلبها جهلهم فيبطلها (جزاء لمن كان كفر) لنوح عليه السلام الذي كان نعمة مكفورة من قومه بأن لم يعرفوه فيطيعوه ويعظموه فيحجوا به بل انكروه فعصوه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفى بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولايعلم بمكان ناقته الايخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما ازعم انى اعلم الغيب ولااعلمه ولكن الله اخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى هى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هى كما قال فجاؤا بها فآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قدمات فى ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست فى البيت لمابى من الهم والحياء فانزل الله عزوجل سورة المنافقين فى تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبدالله بن ابى فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يازيد ان الله قد صدقك واوفى باذنك (ق) عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبدالله بن ابى لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبدالله بن ابى فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع فى نفسى مما قالوه شدة حتى انزل الله بتصديق اذاجاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤسهم وقوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصارى غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصارى ياللانصار وقال المهاجرى ياللمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية ثم قال ماشأنهم فاخبر بكسعة المهاجرى الانصارى فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبدالله بن ابى بن سلول اقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر الااقتل يانبى الله هذا الخبيث لعبدالله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لايتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لابأس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه لانصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذى فيه فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله لاتنقلب حتى تقر انك انت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال اصحاب السير وكان عبدالله بن ابى بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبدالله حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبدالله بن ابى قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لاوالله لاتدخلها ابدا الاان يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبدالله بن ابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع ابنه عبدالله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبدالله امااذاجاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل ياابا حباب انه قد نزل فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال امرتمونى ان اومن فآمنت وامرتمونى ان اعطى زكاة مالى فقد اعطيت

فهلكوا بسببه (ولقد تركناها) اى آثار تلك الشريعة والدعوة الى يومنا هذا (آية) بينة لمن يعتبر بها (فهل من مدكر) متعظ فان طريق الحق واحد والانبياء كلهم متوافقون فى اصول الشرائع (فكيف كان عذابى ونذر) لقومه بأهلاكهم فى ورطة الجهل وحرمان الحياة الحقيقية واللذة السرمدية وانذارى على لسان نوح عليه السلام ووجه آخر وهو تأول فتح الدعاء بانزال الرحمة والوحى على نوح اى فتحنا ابواب سماء روح نوح بعلم كلى منصب بقوة شامل لجميع الجزئيات وفجرنا ارض نفسه عيونا اى علوما جزئية كان نفسه كلها علوم فالتقى العلمان بانضمامهما فصارت قياسات وآراء صحيحة بنى عليها شريعته المؤسسة على العمليات والنظريات فحملناه عليها بالعمل بها والاستقامة فيها فنجا فيها وبقى قومه فى ورطة الجهل فغرقوا فى تيار بحر الهيولى واموال الجهالات وهلكوا (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر

فابق الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله واذاقيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو وارؤسهم الآية ونزل ﴿ هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ اى يتفرقوا عنه ﴿ ولله خزائن السموات والارض ﴾ يعنى بيده مفاتيح الرزق فلايعطى احد احدا شيأ الاباذنه ولايمنعه الابمشيئته ﴿ ولكن المنافقين لايفقهون ﴾ يعنى ان امرالله اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ﴿ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ﴾ يعنى من غزوة بنى المصطلق ﴿ ليخرجن الاعز منها الاذل ﴾ فردالله عليه بقوله ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ فعزةالله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهاردينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصرالله اياهم على اعدائهم ﴿ ولكن المنافقين لايعلمون ﴾ اى ذلك ولو علموا ماقالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الآية فى عبدالله بن ابى ابن سلول لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه ※ قوله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا لاتلهكم ﴾ اى لاتشغلكم ﴿ اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ﴾ يعنى عن الصلوات الخمس والمعنى لاتشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكرالله ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اى ومن شغله ماله وولده عن ذكرالله ﴿ فاولئك هم الخاسرون ﴾ اى فى تجارتهم حيث آثروا الفانى على الباقى ﴿ وانفقوا ممارزقناكم ﴾ قال ابن عباس يريد زكاة الاموال ﴿ من قبل ان يأتى احدكم الموت ﴾ اى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة ﴿ فيقول رب لولا اخرتنى ﴾ اى هلاامهلتنى وقيل لو اخرت اجلى ﴿ الى اجل قريب فاصدق ﴾ اى فازكى مالى ﴿ واكون ﴾ وقرئ واكن ﴿ من الصالحين ﴾ اى من المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية فى المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لايسأل الرجعة وقيل نزلت فى المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس مامن احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته او اطاق الحج ولم يحج الاسأل الرجعة عندالموت وقرأ هذه الآية واكون من الصالحين اى احج وازكى ﴿ ولن يؤخرالله نفسا اذا جاء اجلها ﴾ يعنى الله تعالى لايؤخر من حضر اجله وانقضت مدته ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ يعنى انه لو رد الى الدنيا واجيب الى ماسأل ماحج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير اوشر والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة التغابن ﴾

وهى مدنية فى قول الاكثر وقيل هى مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم الى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

※ قوله عزوجل ﴿ يسبح لله مافى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد ﴾ يعنى انه تعالى متصرف فى ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لاشريك له فيه وله الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو الذى يحمد على كل حال فلامحمود فى جميع الاحوال الا هو ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يفعل مايشاء كما يشاء بلا مانع ولامدافع ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة

فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر االقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة) ناقة نفسه ابتلاء (فتنة لهم) ليتميز المستعد القابل السعيد من الجاهل المنكر الشقى (فارتقبهم) لتنظر نجاة الاول وهلاك الثانى (واصطبر) على دعوتهم (ونبئهم ان الماء) ماء العلم (قسمة بينهم) لهما علم الروح الفائض عليها ولهم علم النفس اى لهما المعقولات ولهم المحسوسات (كل شرب محتضر) هى تحضر شربها بالتوجه الى الروح وقبول العلوم الحقيقية والنافعة منها وهم يحضرون شربهم بالاوى الى منبع الخيال والوهم وتلقى الوهميات والخياليات منه (محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضى خلقها قال يارب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك وهو فى بطن امه وقال جماعة فى معنى الآية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا فى تأويلها فروى عن ابى سعيد الخدرى انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر فى العاقبة وقال عطاء بن ابى رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر اى بان الله خلقه وهم الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم مؤمن اى بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ اى انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن ﴿ خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم ﴾ اى انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله فى الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة فى الاعضاء وقد علم بهذا ان صورة الانسان احسن صورة واكملها ﴿ واليه المصير ﴾ اى المرجع فى القيامة ﴿ يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ معناه انه لا تخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ❊ قوله تعالى ﴿ ألم يأتكم ﴾ يخاطب كفار مكة ﴿ نبأ الذين كفروا من قبل ﴾ يعنى خبر الامم الخالية ﴿ فذاقوا وبال امرهم ﴾ اى جزاء اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب فى الدنيا ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ اى فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى الذى نزل بهم من العذاب ﴿ بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا ﴾ معناه انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا ﴿ فكفروا ﴾ اى جحدوا وانكروا ﴿ وتولوا ﴾ اى اعرضوا ﴿ واستغنى الله ﴾ اى عن ايمانهم وعبادتهم ﴿ والله غنى ﴾ اى عن خلقه ﴿ حميد ﴾ اى فى افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى ﴿ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل ﴾ اى قل لهم يا محمد ﴿ بلى وربى لتبعثن ﴾ اى يوم القيامة ﴿ ثم لتنبؤن ﴾ اى لتخبرن ﴿ بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ اى امر البعث والحساب يوم القيامة ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة ﴿ والنور الذى انزلنا ﴾ يعنى القرآن سماه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ يعنى انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه

كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم) اى القيامة الصغرى ووقوعهم فى العذاب الابدى بزوال الاستعداد وقلب الوجوه الى اسفل (والساعة ادهى وامر) وهى اشد وامر من عذاب القتل والهزيمة (ان المجرمين) الذين اجرموا بكسب الهيآت المظلمة الرديئة الجسمانية (فى ضلال) عن طريق الحق لعمى قلوبهم بظلمة صفات نفوسهم (وسعر) اى جنون وله لاحتجاب

* قوله عزوجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فى المجازاة والتجارة وذلك انه اذا اخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله فى الجنة وذلك لان كل كافر له اهل ومنزل فى الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وقيل ان قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة ينعمون ولاغبن اعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون فى الدنيا فصار فى الآخرة غابنا لظالمه واصل الغبن فى البيع والشراء وقد ذكر الله فى حق الكافرين انهم خسروا وغبنوا فى شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال فى حق المؤمنين هل ادلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ماجاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) اى فى ايمانه الى ان يموت على ذلك (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا) اى بوحدانية الله وقدرته (وكذبوا بآياتنا) اى الدالة على البعث (اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله) اى بقضاء الله وقدره وارادته (ومن يؤمن بالله) اى يصدق انه لايصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه (يهد قلبه) اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه ومالم يكن اخطاه ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شئ عليم واطيعوا الله) اى فيما امر (واطيعوا الرسول) اى فيما جاء به عن الله وما امركم به (فان توليتم) اى عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لااله الا هو) اى لامعبود ولامقصود الا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

* قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم اى ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر ورأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا فى الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم اى ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اى فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور

(رحيم)

عقولهم عن نور الحق بشوائب الوهم وحيرتها فى الباطل (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) بحشرها فى صور وجوهها الى الارض وتسخيرها فى قهر الملكوت الارضية فيقهرها فى انواع العذاب ويعذبها بنيران الحرمان يقال لهم (ذوقوا مس سقر * وما امرنا الا) كلمة (واحدة كلمح بالبصر) اى تعلق المشيئة الازلية الموجبة لوجود كل شئ فى زمان معين على وجه معلوم ثابت فى لوح القدرية المسمى فى الشرع كن فيجب وجوده فى ذلك الزمان على ذلك الوجه دفعة (ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر) اى الواح النفوس (وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين) على الاطلاق (فى جنات) من مراتب الجنان الثلاث عالية رفيعة (ونهر) علوم مرتبة بحسب مراتب الجنان المذكورة (فى مقعد صدق) اى خير واى خير هو مقام الوحدة (عند مليك) فى حضرة الاسماء حال البقاء بعد الفناء ومقام الفرق بين الذات والصفات كائنين

رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة) اى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم فى العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحوذلك (والله عنده اجر عظيم) يعنى الجنة والمعنى لاتباشروا المعاصى بسبب اولادكم ولا تؤثروهم على ماعندالله من الاجر العظيم قال بعضهم لماذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوالكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من فى قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشغال القلب بهم وكان عبدالله بن مسعود يقول لايقولن احدكم اللهم انى اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احدمكم يرجع الى اهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى اعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وقوله تعالى (فاتقوا الله مااستطعتم) اى ماطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا واطيعوا) اى لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وانفقوا) اى من اموالكم حق الله الذى امركم به (خيرا لانفسكم) اى ماانفقتم فى طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعنى ان تقرضوا اى تنفقوا فى طاعة الله متقربين اليه بالانفاق (يضاعفه لكم) اى يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى مايشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعنى يحب المتقربين اليه (حليم) اى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله اعلم

﴿ تفسير سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (ياايها النبى اذا طلقتم النساء) نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لان المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة فى ذلك الخطاب وقيل معناه ياايها النبى قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء اى اذا اردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) اى لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل فى العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وفى هذا المدخول بها لان غير المدخول بها لاعدة عليها نزلت هذه الآية فى عبدالله بن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التى امر الله ان يطلق لها النساء زاد فى رواية كان عبدالله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبدالله كما امر رسول الله

بالذات فى مقعد صدق وبالصفات عند مليك مدبر مملكة الوجود على حسب الحكمة ومقتضى العناية على احسن وجه واتم نظام (مقتدر) يقدر على تصريف جميع مافى ملكه على حكم مشيئته وتسخيره على مقتضى ارادته لايمتنع عليه شئ

﴿ سورة الرحمن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الرحمن) اسم خاص من اسماء الله تعالى باعتبار افاضة اصول النعم كلها من الاعيان وكمالاتها الاولية بحسب البداية وانما اوردها بالعموم وصفيته الشاملة للاوصاف التى تحت معناه فى المبدئية ليسند اليه الاصول المختلفة الواردة بعده (علم القرآن) اى الاستعداد الكامل الانسانى المسمى بالعقل القرآنى الجامع للاشياء كلها حقائقها واوصافها واحكامها الى غير ذلك مما يمكن وجوده ويمتنع بايداعه فى الفطرة الانسانية وركزه فيها ولان ظهوره وبروزه الى الفعل تفصيل ماجمع فيه وصيرورته فرقانا انما تكون بحسب النهاية ماذكر الفرقان كما ذكره فى قوله تبارك الذى نزل الفرقان لانه من باب الرحمة الرحيمية

صلى الله عليه وسلم وفى رواية لمسلم انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابى الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة يسأل ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى فى رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر قرأ النبى صلى الله عليه وسلم يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن

﴿ فصل ﴾ اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه لقول النبى صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السنى ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض اوطلق الصغيرة التى لم تحض اوالآيسة بعد ماجامعها او طلق الحامل بعدما جامعها او طلق التى لم تر الدم لايكون بدعيا ولاسنة ولابدعة فى طلاق هؤلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا اوحاملا والخلع فى حال الحيض اوفى طهر جامعها فيه لايكون بدعيا لان النبى صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس فى مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الاحوال لامره ان يتعرف الحال ولو طلق امرأته فى حال الحيض اوفى طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبى صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة واذا رجعها فى حال الحيض يجوز ان يطلقها فى حال الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطلاق الثانى حتى لاتكون مراجعته اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولابدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم فلو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لايكون بدعيا وهو قول الشافعى واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الرأى ﴿ قوله تعالى ﴿ واحصوا العدة ﴾ اى عدة اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى ﴿ واتقوا الله ربكم ﴾ اى واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به ﴿ لاتخرجوهن من بيوتهن ﴾ يعنى اذا كان المسكن الذى طلقها فيه الزوج له يملك اوكراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكرى لها منزلا غيره ولايجوز للزوج ان يخرج المرأة من المسكن الذى طلقها فيه ﴿ ولا يخرجن ﴾ يعنى ولا يجوز للمرأة ان تخرج مالم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما اوغرقا جاز لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل اوشراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولايجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوى كل امرأة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة فى السفر تعتد فى اهلها ذاهبة وراجعة

لا الروحانية (خلق الانسان) اى لما ابدع فطرته واودع العقل القرآنى فيها ابرزه فى هذه النشأة بخلقه فى هذه الصورة العجيبة (علمه البيان) اى النطق المميز اياه عن جميع ماسواه من المخلوقات ليخبر به عما فى باطنه من العقل القرآنى (الشمس والقمر بحسبان) اى الروح والقلب يجريان فيه ويسيران بحساب اى قدر معلوم من منازلها ومراتبهما مضبوط لايجاوز احد هما قدره ومرتبته التى عينت له فلكل منهما كمالات ومراتب محدودة القدر معلومة الغاية ينتهى اليها (والنجم) اى النفس الحيوانية النورانية بالشعور الحسى فى ليل الجسم (والشجر) اى النفس النباتية المنمية له (يسجدان) يتوجههما الى ارض الجسد ووضع جبهتهما عليها بالميل والاقبال الكلى نحوها لتربيتها واتمامها وتكميلها (والسماء) اى سماء العقل (رفعها) الى محل شمس الروح وقمر القلب (ووضع الميزان) اى خفض ميزان العدل الى ارض النفس والبدن فان العدالة هيئة نفسانية لولاها لما حصلت الفضيلة

والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ اهلها فى العدة لان الانتقال فى حقهم كالاقامة فى حق المقيم وقوله تعالى (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة (وتلك حدود الله) يعنى ماذكر من سنة الطلاق ومابعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) اى فيطلق لغير السنة اوتجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) اى ضر نفسه (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) اى يوقع فى قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه المراجعة * عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مااحل الله شيأ ابغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله فى رواية عنه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير مابأس به حرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابوداود والترمذى ❋ قوله تعالى (فاذا بلغن اجلهن) اى اذا قربن من انقضاء عدتهن (فامسكوهن) اى راجعوهن (بمعروف اوفارقوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتبين منكم (واشهدوا ذوى عدل منكم) اى على الرجعة وعلى الفراق امر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق ❋ عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولاعلى رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولاتعد اخرجه ابوداود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابى حنيفة كما فى قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لايقع بينهما التجاحد وان لايتهم فى امساكها وان لايموت احد الزوجين فيدعى الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضى العدة وتنكح زوجا غيره (واقيموا الشهادة) يعنى ايها الشهود (لله) اى طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله فليطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت فى عوف بن مالك اسر ابن له يسمى مالكا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اسر العدو ابنى وشكا اليه ايضا فاقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لاحول ولاقوة الابالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته اذا تاه ابنه وقدغفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهى اربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اى فى ابنه (ويرزقه من حيث لايحتسب) يعنى ماساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبى صلى الله عليه وسلم

الانسانية ومنه الاعتدال فى البدن الذى لولم يكن للوجود لم يبق ولما استقام امر الدين والدنيا بالعدل واستتب كمال النفس والبدن به بحيث لولاه لفسدا امر عراعاته ومحافظته قبل تعديد الاصول بتمام الشدة العناية به وفرط الاهتمام بأمره فوسط بينه وبين قول والارض وضعها للانام قوله (ان لاتطغوا فى الميزان) بالافراط عن حد الفضيلة والاعتدال فيلزم الجور الموجب للفساد (واقيموا الوزن بالقسط) بالاستقامة فى الطريقة وملازمة حد الفضيلة ونقطة الاعتدال فى جميع الامور وكل القوى (ولاتخسروا الميزان) بالتفريط عن حد الفضيلة قال بعض الحكماء العدل ميزان الله تعالى وضعه للخلق ونصبه للحق (والارض) اى ارض البدن (وضعها للانام) لهذه المخلوقات المذكورة (فيها فاكهة) اى ماتفيد اللذات الحسية من ادراكات الحواس والمحسوسات (والنخل) اى القوى المثمرة للذات الخيالية والوهمية الباسقة من ارض الجسد

واخبره الخبر وسأله ايحل له ان يأكل ما اتى به ابنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ ويرزقه من حيث لايحتسب هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ يعنى من يتق الله فيما نابه كفاه ما اهمه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴿ان الله بالغ امره ﴾ اى منفذ امره وممض فى خلقه ماقضاه ﴿ قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ اى جعل لكل شئ من شدة اورخاء اجلا ينتهى اليه وقال مسروق فى هذه الآية ان الله بالغ امره توكل عليه ام لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا ❊ قوله عز وجل ﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ﴾ قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصارى يا رسول الله فما عدة من تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عز وجل واللائى يئسن من المحيض من نسائكم يعنى القواعد اللاتى قعدن عن الحيض فلا يرجى ان يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض ﴿ان ارتبتم ﴾ اى شككتم فى حكمهن ولم تدروا ماعدتهن ﴿ فعدتهن ثلاثة اشهر واللائى لم يحضن ﴾ يعنى الصغائر اللاتى لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لاتنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى واصحاب الرأى وحكى عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله فى عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشرا سواء كانت ممن تحيض اولاتحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها اومات عنها وهو قوله تعالى ﴿ واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ﴾ (ق) عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال لها مالى اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانت والله ماانت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشرا قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حتى امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وامرنى بالتزوج ان بدا لى لفظ البخارى ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولاارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت فى دمها غير انه لايقربها زوجها حتى تطهر ﴿ ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ﴾ اى يسهل عليه امر الدنيا والآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى فى الذكر الذى ذكر من الاحكام ﴿ امر الله انزله اليكم ﴾ اى لتعملوا به ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا ﴾ ❊ قوله تعالى ﴿ اسكنوهن ﴾ يعنى مطلقات نسائكم ﴿ من حيث سكنتم من وجدكم ﴾ اى من سعتكم وطاقتكم فان كان

فى هوى النفس (ذات الاكمام) اى غلف اللواحق المادية (والحب) اى القوة الغاذية التى منها لذة الذوق والاكل والشرب (ذوالعصف) اى الشعب والاوراق الكثيرة المنبسطة على ارض البدن من الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والمغيرة والمصورة الملازمه لابدان المقتضية لمواصها وافعالها وما تعدها وتهيئها وتصلحها لحفظ القوة والاعاء مما يصير بدل مايتحلل ويزيد فى الاقطار (والريحان) اى المولدة الموجبة لذة الوقاع التى هى اطيب اللذات الجسمانية واسلاف البذر بتوليد مادة النوع (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من هذه النعم المعدودة ايها الظاهريون والباطنيون من الثقلين ابالنعم الظاهرة ام الباطنة (خلق الانسان) اى ظاهره وجسده الذى يؤنس اى يبصر (من صلصال) من اكثف جواهر العناصر المختلطة الذى تغلب عليه الارضية واليبس (كالفخار) الصلب الذى يناسب جوهر العظم الذى هو اساس البدن ودعامته (وخلق الجان)

موسرا يوسع عليها فى المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) اى لاتؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعنى فى مساكنهن فيخرجن (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) اى فيخرجن من عدتهن

﴿ فصل فى حكم الآية ﴾ اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت فى العدة ونعنى بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التى طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع او بالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروى عن ابن عباس انه قال لاسكنى لها الا ان تكون حاملا يروى وهو قول الحسن والشعبى وبه قال الشافعى واحمد منهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعى وبه قال الثورى واصحاب الراى وظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق النفقة الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن واما الدليل على ذلك من السنة فماروى عن فاطمة بنت قيس ان اباعمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شئ فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وامرها ان تعتد فى بيت ام شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها اصحابى فاعتدى عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنينى قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابى سفيان واباجهم خطبانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لامال له انكحى اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحى اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد فى بيت عمرو ابن ام مكتوم ولا حجة فيه لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كانت فاطمة فى مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان فى لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروى عن على ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبى والنخعى والثورى واختلفوا فى سكناها للشافعى فيه قولان احدهما انه لاسكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول على وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابى حنيفة والثانى ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وبه قال مالك والثورى واحمد واسحق واحتج من اوجب لها السكنى بما روى عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهى اخت ابى سعيد الخدرى انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته ان ترجع الى اهلها فى بنى خدرة فان زوجها خرج فى طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلى فى بنى خدرة فان زوجى لم يتركنى فى مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله

اى باطنه وروحه الحيوانى الذى هو مستور عن الحس وهو ابو الجن اى اصل القوى الحيوانية التى اقواها واشرفها الوهم اى الشيطان المسمى ابليس الذى هو من ذريته (من مارج) من لهب لطيف صاف (من نار) اى من الطف جواهر العناصر المختلطة الذى يغلب عليه الجوهر النارى والحر والمارج هو اللهب الذى فيه اضطراب وهذه الروح دائمة الاضطراب والتحرك (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) اى مشرق الظاهر والباطن ومغربيهما باشراق نور الوجود المطلق على ماهيات الاجساد الظاهرة وغروبه فيها باحتجابه بما هياتها وتعينها به فله فى ربوبيته لكل موجود شروق بايجاده بنور الوجود وظهوره به وغروب باختفائه فيه وتستره به ربه بهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) بحر الهيولى الجسمانية الذى هو الملح الاجاج وبحر الروح المجرد هو العذب الفرات (يلتقيان) فى الوجود الانسانى (بينهما برزخ)

عليه وسلم ثم قالت فانصرفت حتى اذا كنت فى الحجرة نادانى رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامر بى فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التى ذكرت له من شأن زوجى فقال امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الى فسألنى عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابوداود والترمذى فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخر امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث فى بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا ❋ قوله عزوجل ﴿ فان ارضعن لكم ﴾ يعنى اولادكم ﴿ فآتوهن اجورهن ﴾ يعنى على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والالم يكن لها ان تأخذ عليه اجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج فى حق الاولاد ﴿ واتمروا بينكم بمعروف ﴾ اى ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا امرهم ان يأتوا بالمعروف وماهو الاحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل فى حق المرأة ونفقتها ولا المراة فى حق الولد ورضاعه ﴿ وان تعاسرتم ﴾ اى فى الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطى المرأة اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستأجر للصبى مرضعا غير امه وذلك قوله ﴿ فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ﴾ اى على قدر غناه ﴿ ومن قدر ﴾ اى ضيق ﴿عليه رزقه﴾ وكان بمقدار القوت ﴿فلينفق مما آتاه الله﴾ اى على قدر ما آتاه الله من المال ﴿ لا يكلف الله نفسا ﴾ اى فى النفقة ﴿ الا ما آتاها ﴾ يعنى من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى فى النفقة ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ اى بعد ضيق وشدة غنى وسعة ❋ قوله تعالى ﴿ وكأين من قرية عتت ﴾ اى عصت وطغت والمراد اهل القرية ﴿ عن امر ربها ورسله ﴾ اى وامر رسله ﴿ فحاسبناها حسابا شديدا ﴾ اى بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها فى الكفر فجزاها النار وهو قوله ﴿وعذبناها عذابا نكرا﴾ اى منكرا فظيعا وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلاء وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا ﴿فذاقت وبال امرها﴾ اى شدة امرها وجزاء كفرها ﴿ وكان عاقبة امرها خسرا ﴾ اى خسرانا فى الدنيا والآخرة ﴿اعد الله لهم عذابا شديدا﴾ يخوف كفار مكة ان ينزل بهم مثل ما نزل بهم بالامم الماضية ﴿فاتقوا الله يا اولى الالباب﴾ اى ياذوى العقول ثم نعتهم فقال تعالى ﴿الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا ﴾ يعنى القرآن ﴿رسولا﴾ اى وارسل اليكم رسولا ﴿ يتلوا عليكم آيات الله مبينات ﴾ قرئ مبينات بالخفض اى تبين الحلال من الحرام والامر والنهى وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات ﴿ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور﴾ اى من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ﴾ يعنى الجنة التى لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ﴾ يعنى بعضها فوق بعض ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ اى فى العدد ﴿ يتنزل الامر بينهن ﴾ اى الوحى الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار

هو النفس الحيوانية التى ليست فى صفاء الارواح المجردة ولطافتها ولا فى كدورة الاجساد الهيولانية وكثافتها ﴿ لا يبغيان فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ لا يتجاوز حدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته فلا الروح يجرد البدن ويمزج به ويجعله من جنسه ولا البدن يجمد الروح ويجعله ماديا سبحان خالق الخلق القادر على ما يشاء ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ بتركيبهما والتقائهما لؤلؤ العلوم الكلية ومرجان العلوم الجزئية اى لؤلؤ الحقائق والمعارف ومرجان العلوم النافعة كالاخلاق والشرائع ﴿وله الجوار﴾ اى اوضاع الشريعة ومقامات الطريقة التى يركبها السالكون السائرون الى الله فى لجة هذا البحر المريج فينجون ويعبرون الى المقصد وتشبيهها بالاعلام اشارة الى شهرتها وكونها معروفة كما تسمى شعائر الله ومعالم الدين ﴿المنشآت فى البحر كالاعلام فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ اى المرفوعات الشرع وشرعها الاشواق

وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيآته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل فى كل سماء من سمواته وارض من ارضيه وخلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لاتخفى عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جاريه تحت قدرته داخلة فى علمه والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة التحريم ﴾

﴿ وهى مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (ياايها النبى لم تحرم مااحل الله لك تبتغى مرضات ازواجك والله غفور رحيم)

﴿ ذكر سبب نزولها ﴾

(ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه ليدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يارسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولى ماهذه الريح التى اجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولى انت ياصفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذى لااله الا هو لقد كدت ابادئه بالذى قلت لى وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يارسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى اجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يارسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لى فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتى (ق) عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل له انى اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزلت ياايها النبى لم تحرم مااحل الله لك الى قوله تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك احدا زاد فى رواية يبتغى بذلك مرضاة ازواجه

﴿ شرح غريب الفاظ الحديثين ومايتعلق بهما ﴾ قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد وهو كل شئ حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا فى جملة الحلوا تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها فى الحديث الثانى فتوا طيت انا وحفصة هكذا وقع فى الرواية واصله فتواطأت اى اتفقت انا وحفصة

والارادات التى تجرى عند ارتفاعها وتعلقها بالعالم العلوى بقوة رياح النفحات الالهية سفينة الشريعة والطريقة براكبها الى مقصد الكمال الحقيقى الذى هو الفناء فى الله ولهذا قال عقيبه (كل من عليها فان) اى كل من على الجوارى السائرة واصل الى الحق بالفناء فيه او كل من على ارض الجسد من الاعيان المفصلة كالروح والعقل والقلب والنفس ومنازلها ومقاماتها ومراتبها فان عند الوصول الى المقصود (ويبقى وجه ربك) الباقى بعد فناء الخلق اى ذاته مع جميع صفاته (ذو الجلال) اى العظمة والعلو بالاحتجاب بالحجب النورانية والظلمانية والظهور بصفة القهر والسلطنة (والاكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان) بالقرب والدنو فى صور تجليات الصفات وعند ظهور الذات بصفة اللطف والرحمة (يسأله من فى السموات) من اهل الملكوت والجبروت (والارض كل يوم هو فى شأن فبأى آلاء ربكما تكذبان) من الجن

قولها انى لاجدمنك ريح مغافير هوبغين معجمة وفاء بعدها ياءوراء وهو صمغ حلوكالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمرة خبيث الرائحة وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه اكلت نحله العرفط فصار منه العسل قولها فى الحديث الثانى فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفى الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتى تظاهرن عليه قال القاضى عياض والصحيح الاول قال النسائى اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلى حديث حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه وهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر فى حديث ابن عباس وسيأتى الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوى فى الرواية الاخرى يعنى الحديث الاول الذى فيه ان الشرب كان عند حفصة قال القاضى عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم وكذا ذكره القرطبى ايضا وقال المفسرون فى سبب النزول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة ابيها فاذن لها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال مايبكيك قالت انما اذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ووقعت عليها فى يومى وعلى فراشى امارأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هى جاريتى قد احلها الله لى اسكتى فهى على حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبى الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها

* عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك الآية اخرجه النسائى قال العلماء الصحيح فى سبب نزول الآية انها فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائى اسناد حديث عائشة فى العسل جيد صحيح غاية ※ واما التفسير فقوله يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك اى من العسل او ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعدما احله الله فالنبى صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغى مرضات ازواجك اى تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله غفور رحيم اى غفر لك ذلك التحريم ﴿ قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم ﴾ اى بين واوجب لكم تحليل

(ايمانكم)

والانس والمراد يسأله كل شئ فغلب العقلاء وأتى بلفظ من اى كل شئ يسأله بلسان الاستعداد والافتقار دائما (كل يوم هو فى شأن فبأى آلاء ربكما تكذبان) بافاضة ما يناسب كل استعداد ويستحقه فله كل وقت فى كل خلق شأن بافاضة مايستحقه ويستأهله باستعداده فمن استعد بالتصفية والتزكية للكمالات الخيرية والانوار يفيضها عليه مع حصول الاستعداد ومن استعد بتكدر جوهر نفسه بالهيآت المظلمة والرذائل ولوث العقائد الفاسدة والخبائث للشرور والمكاره وانواع الآلام والمصائب والعذاب والوبال يفيضها عليه مع حصول الاستعداد وهذا معنى قوله (سنفرغ لكم ايه الثقلان فبأى آلاء ربكما تكذبان) لانه تهديد وزجر عن الامور التى بها يستحق العقاب وسميا ثقلين لكونهما سفليين مائلين الى ارض الجسم (يا معشر الجن والانس) اى الباطنيين والظاهريين (ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض) بالتجرد عن الهيآت الجسمانية والتعلقات البدنية (فانفذوا) لتنخرطوا

ايمانكم بالكفارة وهو ماذكر في سورة المائدة فامره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة (والله مولاكم) اى وليكم وناصركم (وهو العليم) اى بخلقه (الحكيم) اى فيما فرض حكمه

❁ فصل ❁ اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت على حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلاشئ عليه وهذا قول ابى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيأ ففيه قولان للشافعي احدهما انه يلزمه كفارة اليمين والثانى لاشئ عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شئ من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب عليه الكفارة مالم يقربها كما لو حلف انه لا يطؤها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا يأكله فلا كفارة عليه مالم يأكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهى يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وفى رواية اذا حرم ليس امرأته بشئ وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدى ❁ قوله تعالى (واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا) يعنى ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبرى بذلك احدا وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبى اسر اليها ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتين على امتى من بعدى وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يراضيها فسرها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابى بكر وابيها عمر (فلما نبأت به) اى اخبرت بذلك حفصة عائشة (واظهره الله عليه) اى اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء اى عرف بعض الذى فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام وامره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان منها (واعرض عن بعض) اى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس (فلما نبأها به) اى اخبر حفصة بما اظهره الله عليه (قالت) يعنى حفصة (من انبأك هذا) اى من اخبرك بانى افشيت السر (قال نبأنى العليم) اى بما تكنه الضمائر (الخبير) اى بخفيات الامور ❁ قوله عز وجل (ان تتوبا الى الله) يخاطب عائشة وحفصة اى من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له (فقد صغت قلوبكما) اى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر ابن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله

في سلك النفوس الملكية والارواح الجبروتية وتصلوا الى الحضرة الالهية (لا تنفذون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان) بحجة بينة هى التوحيد والتجريد والتفريد بالعلم والعمل والفناء في الله (يرسل عليكما شواظ من نار) اى يمنعكما عن النفوذ من اقطارهما والترقى من اطوارهما لهب صاف عن ممازجة الدخان اى سلطان الوهم واحكامه ومدركاته بارساله الوهميات الى حيز العقل والقلب وممانعته اياهما عن الترقى دائما (ونحاس) دخان اى هيئة ظلمانية ترسلها النفس الحيوانية بالميل الى الهوى والشهوات فالشواظ مانع من جهة العلم والنحاس من جهة العمل (فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان) فلا تمتنعان عنهما وتغلبان عليهما فتنفذان الا بتوفيق الله وسلطان التوحيد (فاذا انشقت السماء) اى السماء الدنيا وهى النفس الحيوانية وانشقاقها انفلاقها عن الروح عند زهوقه اذ الروح الانسانى نسبته الى النفس الحيوانية كنسبته الى البدن فكما ان حياة البدن بالنفس لحياتها بالروح فتنشق

فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا امير المؤمنين من المرأتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبالك يا ابن العباس قال الزهرى كره والله ماسأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلى فى بنى امية بن زيد بالعوالى فغضبت يوما على امرأتى فاذاهى تراجعنى فانكرت ان تراجعنى فقالت ماتنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعلت ذلك منكن وخسرت افتأمن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذاهى قد هلكت لاتراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتسأليه شيأ وسلينى مابدالك ولايغرنك ان كانت جارتك هى اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما ويأتينى بخبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبى الانصارى يوم نوبته ثم اتانى عشاء فضرب بابى ثم نادانى فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لا بل اعظم من ذلك واهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على حفصة وهى تبكى فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لاادرى ها هوذا معتزل فى هذه المشربة فاتيت غلاماله اسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكى بعضهم فجلست قليلا ثم غلبنى ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبنى ما اجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر فى جنبه فقلت اطلقت يارسول الله نساءك فرفع رأسه الى وقال لا فقلت الله اكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتى يوما فاذا هى تراجعنى فانكرت اذ راجعتنى فقالت ماتنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتأمن احداهن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لايغرنك ان كانت جارتك هى اوسم واحب الى رسول الله صلى الله

عنه عند زهوقه بمفارقة البدن (فكانت وردة) اى حمراء لان لونها متوسط بين لون الروح المجرد وبين لون البدن ولون الروح ابيض لنوريته وادراكه اللذات ولون البدن اسود لظلمته وعدم شعوره باللذات والمتوسط بين الابيض والاسود هو الاحمر وانما وصفها فى سورة البقرة بالصفرة وههنا بالحمرة لان هناك وقت الحياة والصفاء وغلبة النورية عليها وطراوة الاستعداد وههنا وقت الممات والتكدر وغلبة الظلمة عليها وزوال الاستعداد (كالدهان) كدهن الزيت فى لونه ولطافته وذوبانه لصيرورتها الى الفناء والزوال (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس) من الظاهر بين (ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان) من الباطنيين لانجذاب كل الى مقره ومركزه وموطنه الذى يقتضيه حاله وما هو الغالب عليه باستعداده الاصلى او العارضى الراسخ الغالب واما الوقف والسؤال المشار اليه فى قوله وقفوهم

عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسى فى البيت فوالله مارايت فيه شيأ يرد البصر الاهبة ثلاثة فقلت يارسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افى شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفرلى يارسول الله وكان اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهرى فاخبرنى عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدابى فقلت يارسول الله انك اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين زاد فى رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال ياعائشة انى ذاكر لك امرا فلاعليك ان لاتعجلى حتى تستأمرى ابويك ثم قال ياايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قدعلم والله ان ابوى لم يكونا ليامرانى بفراقه فقلت افى هذا استأمر ابوى فانى اريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد فى رواية ان عائشة قالت لاتخبر نساءك انى اخترتك فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلنى مبلغا ولم يرسلنى متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء فان طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابوبكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحد الله بكلام الارجوت ان يكون الله يصدق قولى الذى اقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب المسجد فنادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

❁ شرح بعض الفاظه ❁ قوله فعدلت معه بالاداوة اى ملت معه بالركوة فتبرز اى اتى البراز وهو القضاء من الارض لقضاء الحاجة العوالى جمع عالية وهى اماكن باعلى اراضى المدينة قوله ولا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهى عائشة اوسم منك اى اكثر حسنا وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله مارأيت فيه ما يرد البصر الاهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب ❁ قوله تعالى (وان تظاهرا عليه) اى تتعاونا على ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم (فان الله هو مولاه) اى وليه وناصره (وجبريل) يعنى وجبريل وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان داخلا فى جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته (وصالح المؤمنين) روى عن ابن مسعود وابى بن كعب صالح المؤمنين ابوبكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء (والملائكة بعد ذلك) اى بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) اى اعوان للنبى صلى الله عليه وسلم ينصرونه

انهم مسؤلون ونظائره ففى مواطن اخر من اليوم الطويل الذى كان مقداره خمسين الف سنة وهو فى حال عدم غلبة احدى الجهتين واستيلاء احد الامرين ففى زمان غلبة النور الاصلى وبقاء الاستعدادات الفطرى اوحصول الكمال والترقى فى الصفات وفى وقت استيلاء الهيآت الظلمانية وترسخ الغواشى الجسمانية وزوال الاستعداد الاصلى بحصول الرين لايسئلون وفى وقت عدم رسوخ تلك الهيآت الى حد الرين وبقائها فى القلب مانعة حاجزة اياها عن الرجوع الى سقرها يوقفون ويسئلون حتى يعذبوا بحسب سيئاتهم على قدر رسوخها وقد يكون هذا الموطن قبل الموطن الاول فى ذلك اليوم على الامر الاكثر كما ذكر وقد يكون بعده وذلك عند حبط الاعمال وغلبة الامر العارضى واستيلائه على الذاتى الى حد ابطال الاستعداد بالكلية فيدافعه الاستعداد الاصلى قليلا قليلا ويتجلى بصور التعذبات والبليات شيأ فشيأ حتى يتساوى الامران كتبرد الماء المسخن حين

(عسى ربه) اى واجب من الله (ان طلقكن) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان يبدله ازواجا خيرا منكن) ثم وصف الازواج اللواتى كان يزوجه بهن فقال (مسلمات) اى خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) اى مصدقات بتوحيد الله تعالى (قانتات) اى طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل (تائبات) اى تاركات للذنوب لقبحها اوكثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادة (سائحات) اى صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (ثيبات) جمع ثيب وهى التى تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه (وابكارا) اى عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لاعن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لايطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله ازواجا خيرا منهن تخويفا لهن ٭ قوله عزوجل (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (واهليكم) يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك (نارا وقودها الناس والحجارة) يعنى الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا (عليها ملائكة) يعنى خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) اى فظاظ على اهل النار (شداد) يعنى اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا فى النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لايعصون الله ما امرهم) اى لايخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه (ويفعلون ما يؤمرون) اى لاتأخذهم رأفة فى تنفيذ اوامره والانتقام من اعدائه (يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم) اى يقال لهم لاتعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار (انما تجزون ما كنتم تعملون) يعنى ان اعمالكم السيئة الزمتكم العذاب ٭ قوله (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) اى ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذى تاب منه قال عمر بن الخطاب وابى ابن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لايعود الى الذنب كما لايعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هى ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لايعود اليه وقال الكلبى ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظى التوبة نصوحا يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان ٭ فصل ٭ وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولايجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة اوكبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لايعود اليها ابدا فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف اونحوه مكنه من نفسه اوطلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقى عليه ما لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب فى اليوم مائة مرة (خ) عن ابى هريرة رضى الله

بلوغه الى كونه فاترا فهذا الشخص مطرود فى اول الامر عند قرب الاستعداد الى الزوال ثم قد يوقف ويسئل عند قرب وجوع الاستعداد الى الحالة الاولى وامكان اتصاله بالملكوت واما الاشقياء المردودون المخلدون فى العذاب والسعداء المقربون الذين يدخلون الجنة بغير حساب فلا يسئلون قطعا ولايوقفون للسؤال فقوله وقفوهم انهم مسؤلون ونظائره مخصوص ببعض المعذبين وهم الاشقياء الذين عاقبتهم النجاة من العذاب (يعرف المجرمون) الذين غلبت عليهم الهيآت الجرمانية باكتساب الرذائل ورسوخها (بسيماهم) اى بعلامات تلك الهيآت الظاهرة الغالبة عليهم (فيؤخذ بالنواصى) فيعذبون من فوق ويحجبون ويحبسون مقيدين اسراء من جهة رذيلة الجهل المركب ورسوخ الاعتقادات الفاسدة (والاقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى يعذبون من اسفل ويجرون ويسحبون على وجوههم ويردون الى قعر جهنم كما قيل يهوى احدهم فيها سبعين

عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة (ق) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة الحديث (م) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ❊ وقوله تعالى (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم) هذا اطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) اى لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم) يعنى على الصراط (يقولون ربنا) يعنى اذا انطفأ نور المنافقين (اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) تقدم ❊ قوله تعالى (ضرب الله مثلا) اى بين شبها وحالا (للذين كفروا امرأت نوح) واسمها واعلة (وامرأت لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة ووالهة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم (فخانتاهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما مابغت امرأة نبى قط وانما كانت خيانتهما ايهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد اخبرت به الجبابرة من قومها واما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) اى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وانه لا ينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذى يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيأ فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بامى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده * ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها فى الشمس فكانت تعذب فى الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة (اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فابصرت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهى تأكل وتشرب فيها (ونجنى من فرعون وعمله) يعنى وشركه وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه (ونجنى من القوم الظالمين) يعنى الكافرين

خريفا لرسوخ الهيآت البدنية والرذائل العملية من افراط الحرص والشره والبخل والطمع وارتكاب الفواحش والآثام من قبيل الشهوة والغضب (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) قعر بئر اسفل سافلين من الطبيعة الجسمانية (يطوفون بينها وبين حميم آن فبأى آلاء ربكما تكذبان) قد انتهى حره واحراقه من الجهل المركب ولهذا قيل يصب من فوق روسهم الحميم لان العذاب المستحق من جهة العمل هو نار جهنم من تحت والمستحق من جهة العلم هو الحميم من فوق (ولمن خاف مقام ربه) اى خاف قيامه على نفسه بكونه رقيبا حافظا مهيمنا عليه كما قال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت او خاف ربه كما يقال خدمت حضرة فلان اى نفسه (جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان) احداهما جنة النفس والثانية جنة القلب لان الخوف من صفات النفس ومنازلها عند تنورها بنور القلب (ذواتا افنان فبأى آلاء ربكما تكذبان) لتفنن شعبهما من القوى والصفات المورقة للاعمال

(ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها) اى عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنا فيه) اى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا) اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعنى الشرائع التى شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه (وكتبه) يعنى الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القانتين) يعنى كانت من القوم القانتين اى المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله * عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الملك ﴾

مكية وهى ثلاثون آية وثلثمائة وثلاثون كلمة والف وثلثمائة عشر حرفا

عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ولابى داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها * عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على خبر احسان وانا لا احسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (تبارك الذى بيده الملك) اى له الامر والنهى والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شئ قدير) اى من الممكنات (الذى خلق الموت والحيوة) قيل اراد موت الانسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشياء كانت فى الابتداء فى حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الامات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الاحيى وهى التى اخذ السامرى قبضة من اثرها فالقاها فى العجل فخار وحيى وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهى القوة الحساسة مع وجود الروح فى الجسد وبه سمى الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف فى هذه الدار وحال المجازاة فى دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتم اسد فى الدنيا ولم يصل اليه الثواب فى الآخرة (ليبلوكم) اى ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت (ايكم احسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع فى طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد فى الدنيا (وهو العزيز) اى الغالب المنتقم ممن عصاه (الغفور) اى

والاخلاق المثمرة للعلوم والاحوال فان الافنان هى الغصنات التى تشعبت من فروع الشجر عليها الاوراق والثمار (فيهما عينان) من الادراكات الجزئية والكلية (تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان) اليهما من جنة الروح تنبتان فيهما ثمرات المدركات وتجليات الصفات (فيهما من كل فاكهة) من مدركاتها اللذيذة (زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى صنفان صنف جزئى معرف مألوف وصنف كلى غريب لان كل ما يدركه القلب من المعانى الكلية فله صورة جزئية فى النفس وبالعكس (متكئين على فرش) هى مراتب كمالاتها ومقاماتها (بطائنها من استبرق) اى جهتها التى تلى السفل اعنى النفس من هيآت الاعمال الصالحة من فضائل الاخلاق ومكارم الصفات ومحاسن الملكات وظهائرها التى تلى الروح من سندس تجليات الانوار ولطائف المواهب والاحوال الحاصلة من مكاشفات العلوم والمعارف كما هو فى سورة الدخان (وجنى الجنتين) ثمراتها ومدركاتها (دان فبأى آلاء

(لمن)

لمن تاب اليه ورجع عن اساءته ❊ قوله تعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا) يعنى طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر اوقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومابين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحار من نور (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) اى ماترى يا ابن آدم فى شئ مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر) اى كرر النظر (هل ترى من فطور) اى شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) اى ينصرف (اليك) فيرجع (البصر خاسئا) اى صاغرا ذليلا مبعدا لم ير مايهوى (وهو حسير) اى كليل منقطع لم يدرك ماطلب (ولقد زينا السماء الدنيا) اى القربى من الارض وهى التى يراها الناس (بمصابيح) اى بكواكب كالمصابيح فى الاضاءة وهى اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضى بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضى زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان تنفصل من الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهى الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهى على حالها (واعتدنا لهم) اى واعتدنا للشياطين بعد الاحتراق فى الدنيا (عذاب السعير) اى فى الآخرة وهى النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) اى ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو اول صوت نهيق الحمار وذلك اقبح الاصوات (وهى تفور) اى تغلى بهم كغلى المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) اى تتقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم (كلما القى فيها فوج) اى جماعة سألهم خزنتها) يعنى سؤال توبيخ وتقريع (الم يأتكم نذير) اى رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) يعنى للرسول (مانزل الله من شئ) وهذا اعتراف منهم بانه ازاح عللهم ببعثه الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا مانزل الله من شئ (ان انتم الا فى ضلال كبير) فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار للرسل والثانى يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم فى الدنيا فى ضلال كبير (وقالوا لو كنا نسمع) اى من الرسل ماجاؤا به (او نعقل) اى نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به (ماكنا فى اصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يميز وننظر ونتفكر ماكنا فى اصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو فى معنى الجمع اى بتكذيبهم الرسل وقولهم مانزل الله من شئ (فسحقا) اى بعدا (لاصحاب السعير) ❊ قوله عز وجل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) اى يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) اى لذنوبهم (واجر كبير) يعنى جزاء اعمالهم الصالحة (واسروا قولكم او اجهروا به) قال ابن عباس نزلت فى المشركين

ربكما تكذبان) قريب كما شاؤا حيث كانوا على اى وضع كانوا قياما اوقعودا اوعلى جنوبهم ادركوها واجتنوها ونبت فى الحال مكانها اخرى من جنسها كما ذكر فى وصفها (فيهن قاصرات الطرف) مما يتصلون بها من النفوس الملكوتية التى فى مراتبها وما تحتها سماوية كانت او ارضية من كاة صافية مطهرة لايجاوز نظرها مراتبهم ولا تطلب كمالا وراء كمالاتهم لكون استعداداتها مساوية لاستعدادهم اوانقص منها والا جاوزت جناتهم وارتفعت عن درجاتهم فلم تكن قاصرات الطرف ولم تقنع بوصالهم ولذات معاشراتهم ومباشراتهم (لم يطمثهن انس قبلهم) من النفوس البشرية لاختصاصها بهم فى النشأة وتقدس ذواتها وامتناع اتصال النفوس المنغمسة فى الابدان بها (ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان) من القوى الوهمية والنفوس الارضية المحجوبة بالهيآت السفلية (كانهن الياقوت والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان) شبهت اللواتى فى جنة النفس

كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كى لايسمع اله محمد فاخبره الله انه لايخفى عليه خافية فقال تعالى (انه عليم بذات الصدور) ثم اكد ذلك بقوله تعالى (الايعلم من خلق) يعنى الايعلم من خلق مخلوقه وقيل الايعلم الله من خلق والمعنى الايعلم الله مافى صدور من خلق (وهو اللطيف) اى باستخراج مافى الصدور (الخبير) بمافيها من السر والوسوسة ❊ قوله تعالى (هوالذى جعل لكم الارض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شئ والمعنى جعلها لكم سهلة لايمتنع المشى فيها لحزونتها وغلظها (فامشوافى مناكبها) امر اباحة وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها المعنى هو الذى سهل لكم السلوك فى جبالها وهو ابلغ التذلل وكلوا من رزقه اى مما خلقه الله لكم فى الارض (واليه النشور) اى واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أامنتم من فى السماء) قال ابن عباس يعنى عقاب من فى السماء ان عصيتموه (ان يخسف بكم الارض فاذاهى تمور) اى تتحرك باهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى اسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم اى تجئ وتذهب (ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) يعنى ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) اى عند الموت فى الآخرة (كيف نذير) اى انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم اليس وجدوا العذاب حقا ❊ قوله عزوجل (اولم يروا الى الطير فوقهم صافات) اى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) اى يضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط (مايمسكهن) اى حال القبض والبسط (الا الرحمن) والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عزوجل اياها وحفظه لها (انه بكل شئ بصير) يعنى انه تعالى لاتخفى عليه خافية (امن هذا الذى هوجند لكم) استفهام انكار اى لاجند لكم (ينصركم) اى يمنعكم (من دون الرحمن) اى من عذاب الله قال ابن عباس اى من ينصركم منى ان اردت عذابكم (ان الكافرون الافى غرور) اى من الشيطان يغرهم بان العذاب لاينزل بهم (امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه) يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم (بل لجوا) اى تمادوا (فى عتو) اى نبو وتكبر (ونفور) اى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى (افمن يمشى مكبا على وجهه) اى كابا راسه فى الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لايبصر يمينا ولاشمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (اهدى) اى هو اهدى (امن يمشى سويا) اى قائما معتدلا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هوالذى انشأكم) اى خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ماسمعتموه ولااعتبرتم بما ابصرتموه ولاتأملتم ماعقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها فى غير ماخلقت له فلهذا قال (قليلا ماتشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته فكأنكم ماشكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هوالذى ذرأكم) اى خلقكم وبثكم (فى الارض واليه تحشرون)

من الحور بالياقوت لكون الياقوت مع حسنه وصفائه ورونقه وبهائه ذالون احمر يناسب لون النفس واللواتى فى جنة القلب بالمرجان لغاية بياضه ونوريته وقيل صغار الدر اصفى وابيض من كبارها (هل جزاء الاحسان) فى العمل وهو العبادة مع الحضور (الاالاحسان) فى الثواب بحصول الكمال والوصول الى الجنتين المذكورتين (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) اى من ورائهما من مكان قريب منهما كما تقول دونك الاسد لامن دونهما بالنسبة الى اصحابهما فيكون بمعنى قدامهما بل بمعنى بعدهما اومن غيرهما كقوله انكم وما تعبدون من دون الله (جنتان) للمقربين السابقين جنة الروح وجنة الذات فى عين الجمع عند الشهود الذاتى بعد المشاهدة فى مقام الروح (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) اى فى غاية البهجة والحسن والنضارة (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) اى علم توحيد الذات وتوحيد الصفات اعنى علم

اى يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابداء قادر على الاعادة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ هذا سؤال يحتمل وجهين احدهما انه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى انه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله ﴿ قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين ﴾ امره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحى اليه ﴿ فلما راوه ﴾ يعنى العذاب فى الآخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب ببدر ﴿ زلفة ﴾ اى قريبا ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ اى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد ﴿ وقيل ﴾ لهم اى وقالت لهم الخزنة ﴿ هذا الذى كنتم به تدعون ﴾ من الدعاء اى تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى اى تدعون انه باطل ﴿ قل ﴾ يا محمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك ﴿ ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى ﴾ اى من المؤمنين ﴿ اورحمنا ﴾ اى فابقانا واخر فى اجالنا ﴿ فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ﴾ اى انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى الآية قل ارايتم ان اهلكنى الله اى فعذبنى ومن معى اورحمنا اى فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس ﴿ قل ﴾ اى قل لهم فى انكارك عليهم وتوبيخك لهم ﴿ هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ اى نحن آمنا به وعبدناه وانتم كفرتم به ﴿ فستعلمون ﴾ اى عند معاينة العذاب ﴿ من هو فى ضلال مبين ﴾ اى نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم بعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى ﴿ قل ارايتم ان اصبح ماؤكم ﴾ قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه ﴿ غورا ﴾ اى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى ولا الدلاء ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ اى ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال ابن عباس معين اى جار والمقصود من الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ماهم عليه من الكفر والمعنى اخبرونى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شئ اصلا شريكا له فى العبودية فهذا محال والله اعلم

﴿ تفسير سورة ن ﴾

مكية وهى اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عز وجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الارض وعنه ان اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل لبوثا وقيل لوثيا وعن على بلهوت قال اصحاب السير والاحبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخاره فى البحر

الفناء وعلم المشاهدة فانهما ينبعان فيهما بل العلمان المذكوران الجاريان فى الجنتين المذكورتين منبعهما من هاتين الجنتين ينبعان منهما ويجريان الى تينك (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) واى فاكهة فاكهة لا يعلم كنهها ولا يعرف قدرها من انواع المشاهدات والانوار والتجليات والسبحات (ونخل) اى ما فيه طعام وتفكه وهو مشاهدة الانوار وتجليات الجمال والجلال فى مقام الروح وجنته مع بقاء نوى الانية المتقوته منها المتلذذة بها (ورمان) اى ما فيه تفكه ودواء فى مقام الجمع وجنة الذات اى الشهود الذاتى بالفناء المحض الذى لا انية فيه فتطعم بل اللذة الصرفة ودواء مرض ظهور البقية بالتلوين فان فى الرمان صورة الجمع مكنونة فى قشر الصورة الانسانية (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسنات) اى انوار محضة وسبحات صرفة لا شائبة للشر والامكان فيها حسان من تجليات الجمال والجلال ومحاسن الصفات (فبأى

فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مدالبحر واذا ردنفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدري ماعلى ظهرك يا ليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فو الذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم * القت النون بالدمع السجام

اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة (والقلم) هو الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله مابين السماء والارض ويقال اول ماخلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه (ومايسطرون) اى ومايكتب الحفظة من اعمال بني آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد ومايسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في ومايسطرون للتعظيم لا للجمع (ما انت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم اقسم الله بنون والقلم ومايسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لاتكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون (وان لك لاجرا غير ممنون) اى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد * عبس كواسب مايمن طعامها * اى ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لاينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم اجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حيدة وافعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة

آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام) اى مخدرات في حضرات الاسماء بل حضرة الوحدة والاحدية لاتبرز منها بالانكشاف لمن دونها وليس وراءها حد مرتبة ترتقي اليها وتنظر الى مافوقها فهي مقصورة فيها (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) الرفرف نوع من الثياب عريض لطيف في غاية اللطافة والمراد نور الذات الذي هو في غاية البهجة واللطافة او نور الصفات حال البقاء بعد الفناء والاستناد الى صمدية الوجود المطلق والتحقق به (وعبقري حسان) العبقري في اللغة ثوب غريب منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن اى الوجود الموهوب الحقاني الغريب الموصوف بصفاته المتجلية في غاية الحسن الذي هو منسوب الى عالم الغيب بل غيب الغيب الذي لايعلم احد اين هو (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك) اى تعالى وتعاظم (اسم ربك) اى الاسم الاعظم الذي به تزيد وترتقي مرتبة السالكين من البداية الى النهاية حتى

الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالمقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الى ولا ارضى عندى منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنهما عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهى عنه من مناهى الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذى امرك الله به فى القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ من ذلك ماروى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس * عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم اخرجه ابوداود * وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن ابى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن شئ اثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الى الله واقربكم منى مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا (ق) عن انس رضى الله عنه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ماقال لى اف قط ولا قال لشئ لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا ومامست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد فى رواية ويجيب اذا دعى * وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبل الرجل فصافحه لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى

الوصول اليه والفوز به (ذوالجلال والاكرام) اى الجلال فى صورة الجمال والجمال فى صورة الجلال اللذان لايحجب احدهما عن الآخر عند البقاء بعد الفناء للمحبوبين المحبين السابقين الى غاية الدرجات بخلاف الجلال والاكرام المذكورين قبل فانهما هناك يحجب احدهما عن الآخر لعدم تحقق الفانى بالوجود الحقانى والرجوع الى تفاصيل الصفات وشهودها فى عين الجمع

﴿ سورة الواقعة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا وقعت الواقعة) اى القيامة الصغرى (ليس لوقعتها كاذبة) نفس تكذب على الله ان البعث واحوال الآخرة لاتكون لان كل نفس تشاهد احوالها من السعادة والشقاوة (خافضة رافعة) تخفض الاشقياء الى الدركات وترفع السعداء الى الدرجات (اذا رجت الارض رجا) اى حركت وزلزلت ارض البدن بمفارقة الروح تحريكا يخرج به جميع مافيها وينهدم معه جميع اعضائه (وبست الجبال بسا) اى فتتت جبال

جليس له اخرجه الترمذى (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شئ قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد فى سبيل الله تعالى (ق) عن انس قال كنت امشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مرلى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء (ق) عنه رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لى اخ يقال له ابا عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير مافعل النغير النغير كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فى بيته قالت كان يكون فى مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبدالله بن الحرث بن جزء قال مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى * قوله تعالى (فستبصر) اى يا محمد (ويبصرون) يعنى اهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بايكم المفتون) قال ابن عباس معناه بايكم المجنون وقيل الباء بمعنى فى معناه فستبصر ويبصرون فى اى الفريقين المجنون فى فريقك او فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذى فتن بالجنون (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعنى مشركى مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله ان يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) اصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة فى الكلام وقيل ادهن الرجل فى دينه وداهن فى امره خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الآية انهم تمنوا ان تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) اى كثير الحلف بالباطل (مهين) اى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهى قلة الراى والتميز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق (هماز) اى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذى يغمز باخيه فى المجلس (مشاء بنميم) اى قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) اى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اى منع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد لاانفعه بشئ ابدا (معتد) اى ظلوم يتعدى الحق (اثيم) اى فاجر يتعاطى الاثم (عتل) اى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيئ الخلق وقيل هو الشديد فى الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد فى كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوى الشديد ولا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا فى النار دفعة واحدة (بعد ذلك

العظام بصيرورتها رميما ورفاتا او سيقت واذهبت حتى صارت (وكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة مااصحاب المشأمة) السعداء الذين هم الابرار والصلحاء من الناس والاشقياء الذين هم الاشرار والمفسدون من الناس وانما سمى الاولون اصحاب الميمنة لكونهم اهل اليمن والبركة اولكونهم متوجهين الى افضل الجهتين واقواهما التى هى الجهة العليا وعالم القدس وسمى الآخرون اصحاب المشأمة لكونهم اهل الشؤم والنحوسة اولكونهم متوجهين الى ارذل الجهتين واضعفهما التى هى الجهة السفلى وعالم الحس (والسابقون) الموحدون الذين سبقوا الفريقين وجاوزوا العالمين بالفناء فى الله (السابقون) اى الذين لا يمكن مدحهم والزيادة على اوصافهم (اولئك المقربون) حال التحقق بالوجود الحقانى بعد الفناء (فى جنات النعيم) من جميع مراتب الجنان (ثلة) اى جماعة كثيرة

زنيم) اى مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الداعى الملصق فى القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذى له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس فى هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة (ان كان ذامال وبنين) قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذامال وبنين اى لا تطعه لماله وبنيه وقرئ ان كان ذامال وبنين بالاستفهام ومعناه ان كان ذامال وبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) اى جعل مجازاة النعم التى خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لان كان ذامال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) اى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به فى الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه اى سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا يمحى ولا يعفى اثرها وقد الحق الله به بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوسم على الخرطوم الذى لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه ✻ وقوله تعالى (انا بلوناهم) اى اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا اصحاب الجنة) روى عن ابن عباس فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان لرجل فات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ان يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى (اذا قسموا) اى تحالفوا (ليصرمنها) اى ليقطعن ثمرها (مصبحين) اى اذا اصبحوا قبل ان تخرج اليهم المساكين وقبل ان يعلم بها المساكين (ولا يستثنون) اى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل يستثنون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طائف من ربك) اى عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها وهو قوله تعالى (فاصبحت) اى الجنة (كالصريم) اى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة (فتنادوا) اى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما اصبحوا (ان اغدوا على حرثكم) يعنى الثمار والزرع الاعناب (ان كنتم صارمين) اى قاطعين ثماركم (فانطلقوا) اى مشوا اليها (وهم يتخافتون) اى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) اى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه

(من الاولين) اى المحبوبين الذين هم اهل الصف الاول من صفوف الارواح اهل العناية الاولى فى الازل (وقليل من الآخرين) اى المحبين الذين تتأخر مرتبتهم عن مرتبة المحبوبين اهل الصف الثانى ووصفوا بالقليل لان المحب قلما يدركه شأ والمحبوب ويبلغ غايته فى الكمال بل اكثرهم فى جنات الصفات واقفين فى درجات السعداء والمحبوبون كلهم فى جنة الذات بالغين اقصى الغايات ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتى اى ليس الاولون من امم المتقدمين والآخرون من امته عليه السلام بل العكس اولى اوثلة من اوائل هذه الامة الذين شاهدوا النبى وادركوا طراوة الوحى فى زمانه اوقاربوا زمانه وشاهدوا من صحبه من التابعين والآخرون هم الذين طال عليهم الامد فقست قلوبهم فى آخر دور الدعوة وقرب زمان خروج المهدى عليه السلام لا الذين هم فى زمانه فان السابقين فى زمانه اكثر لكونهم اصحاب القيامة الكبرى واهل

بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) اى عند انفسهم على جنتهم وثمارها لايحول بينهم وبينها احد (فلما راوها) اى راوا الجنة محترقة (قالوا انا لضالون) اى لمخطؤن الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال اوسطهم) اى اعدلهم واعاقلهم وافضلهم (الم اقل لكم لولا تسبحون) اى هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لايقدر احد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى ان الاستثناء بمعنى لايتركون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) اى بمنعنا المساكين حقوقهم (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) اى يلوم بعضهم بعضا (قالوا ياويلنا) دعوا على انفسهم بالويل (انا كنا طاغين) اى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) اى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا نخوف بذلك كفار مكة * ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) ثم اخبر بما اعد الله للمتقين فقال تعالى (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) اى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى فى الآخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين (افنجعل المسلمين كالمجرمين) يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون افضل او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) يعنى هذا الحكم المعوج (ام لكم كتاب) اى نزل من عند الله (فيه) اى فى ذلك الكتاب (تدرسون) اى تقرؤن (ان لكم فيه) اى فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) اى تختارون وتشتهون (ام لكم ايمان علينا بالغة) معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا (الى يوم القيامة) اى لاتنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة (ان لكم) اى فى ذلك العهد (لما تحكمون) اى لانفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم ايهم بذلك زعيم) اى ايهم كفيل لهم بان لهم فى الآخرة ما للمسلمين (ام لهم شركاء) اى بل لهم شركاء يعنى ما كانوا يجعلونه لله شركاء وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) اى فى دعواهم (يوم يكشف) اى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم (عن ساق) اى عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع فى امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه اذا قام فى ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفى عليكم شئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

التسمية والظهور (على سرر موضونة) اى متواصلة متراصفة من الوجودات الموهوبة الحقانية المخصوصة بكل احد منهم كقوله عليه السلام على منابر من نور او على مراتب الصفات (متكئين عليها) متظاهرين فيها لكونها من مقاماتهم (متقابلين) متساوين فى الرتب لاحجاب بينهم اصلا فى عين الوحدة لتحققهم بالذات وتخيرهم فى الظهور بأى صفة من الصفات شاؤا بجمعهم المحبة الذاتية لايحتجبون بالصفات عن الذات ولا بالذات عن الصفات (يطوف عليهم ولدان مخلدون) تخدمهم قواهم الروحانية الدائمة بدولة ذواتهم او الاحداث المستعدون من اهل الارادة المتصلون بهم بفرط الارادة كما قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم او الملكوت السماوية (بأكواب واباريق وكأس من معين) من خمور الارادة والمعرفة والمحبة والعشق والذوق ومياه الحكم والعلوم (لايصدعون عنها) اى كلها لذة لا الم معها ولا خمار لكونهم واصلين

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا فى هذا المعنى فمنها ما انشده ابو عبيدة لقيس بن زهير

فان شمرت لك عن ساقها * فدنها ربيع ولا تسام

ومنها قول جرير

الا رب ساهى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا فى كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير اهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى راوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من احد منكم باشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير

واجدين لذة برد اليقين شاربين الشراب الكافورى فان محبة الوصول خالصة عن الم الشوق وخوف الفقدان (ولا ينزفون) لا يذهب تميزهم وعقلهم بالسكر ولا يطفحون لكونهم اهل الصحو غير محجوبين بالذات عن الصفات فيلحقهم السكر ويغلب عليهما الحال (وفاكهة) من مواجيدهم وكشفياتهم الذوقية (مما يتخيرون) يأخذون خيره لانهم واجدون جيعها فيختارون اصفاها وابهاها واشرفها واسناها (ولحم طير مما يشتهون) من لطائف الحكم ودقائق المعانى المقوية لهم (وحور عين) من تجليات الصفات ومجردات الجبروت ومافى مراتبهم من الارواح المجردة (كأمثال اللؤلؤ) الرطب فى صفائها ونوريتها المكنون) فى الاصداف اوالمخزون لكونها فى بطنان الغيب وخزائنه مستورة عن الاغيار من اهل الظاهر (جزاء بما كانوا يعملون) فى حال الاستقامة من الاعمال الالهية القصودة لذاتها المقارنة لجزائها او بما كانوا يعملون فى حال

فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر او اخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا فيقولون ربنا اى شئ افضل من هذا فيقول رضاى فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخارى نحوه بمعناه

﴿ فصل فى شرح الفاظ الحديث وما يتعلق به ﴾ اما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتى الكلام عليها موضعها ان شاء الله تعالى قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها وفى رواية ابى هريرة فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلماء فيه وفى امثاله قولان احدهما وهو قول معظم السلف او كلهم انه لا يتكلم فى معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شئ وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابى هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم فى التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثانى وهو مذهب معظم المتكلمين انها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان اهله فعلى هذا المذهب يقال فى قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجئ هنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته قال القاضى عياض وهذا الوجه اشبه عندى بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذى جاءهم فى الصورة التى انكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه يأتيهم الله فى صورة اى يصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التى لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم فى الصفة التى يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته

السلوك من اعمال التزكية والتصفية (لا يسمعون فيها لغوا) هذيانا وكلاما غير مفيد لمعنى لكونهم اهل التحقيق متأدبين بين يدى الله بآداب الروحانيين (ولا تأثيما) من الفواحش التى يؤثم بها صاحبها كالغيبة والكذب وامثالهما (الا قيلا سلاما سلاما) اى قولا هو سلام فى نفسه منزه عن النقائص مبرأ عن الفضول والزوائد وقولا يفيد سلامة السامع من العيوب والنقائص ويوجب سروره وكرامته ويبين كماله وبهجته لكون كلامهم كله معارف وحقائق وتحايا ولطائف على اختلاف وجهى الاعراب (واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين) اى هم شرفاء عظماء كرماء يتعجب من اوصافهم فى السعادة (فى سدر مخضود) اى فى جنة النفس المخضودة عن شوك تضاد القوى والطبائع وتنازع الاهواء والدواعى لتجردها عن هيآت صفاتها بنور الروح والقلب او موقرة بثمار الحسنات والهيآت الصالحات على اختلاف التفسيرين (وطلح منضود) اى فى جنة القلب لان الطلح شجرة الموز وثمرتها

وان لم تكن تقدمت لهم رؤيةله سبحانه وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لايشبه شيأ من مخلوقاته وقد علموا انه لايشبه شيا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد اتاهم رب العالمين في ادنى صورة من التي رأوه فيها معنى رأوه فيها اى علوها وهى صفته المعلومة للمؤمنين وهى انه لايشبهه شئ وقولهم نعوذ بالله منك لانشرك بالله انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفى رواية للبخارى يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات قال ابو سليمان الخطابى فيحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساق اى عن قدرته التى تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق فى هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ماروى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامى يأتى باحاديث منكرة لايتابع عليها وموالى عمر بن عبد العزيز كثيرون ففى اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو مايتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضى عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابى وهذه الرؤية فى هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة اولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلايبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الااذن الله له فى السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء الاجعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة اى فقارة واحدة كالصفيحة فلايقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها اول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد ازال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها قوله دحض مزلة اى تزلق فيه الاقدام ولاتثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشئ وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم مخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلاينا له شئ اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس اى يلقى ويسقط فى جهنم وفى هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم واعمالهم والآخرون يسقطون فى جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار شفاعتهم لهم وقوله فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال

حلاوة دسمة لذيذة لانوى لها كمدركات القلب ومعانيه المجردة عن المواد والهيآت الجرمية بخلاف السدر التى هى شجرة النبق الكثيرة النوى كمدركات النفس الجزئية المقرونة باللواحق المادية والهيآت الجرمية منضود نضد ثمره من اسفله الى اعلاه لاساق بارزة لها لكثرة تكون مدركاته غير متناهية الكثرة (وظل ممدود) من نور الروح المروح (وماء مسكوب) اى علم يرشح عليهم ويسكب من عالم الروح وانما سكب سكبا ولم يجر جريانا لقلة علوم السعداء بالنسبة الى اعمالهم اذ تقل علومهم الروحانية من المواجيد والمعارف والتوحيديات والذوقيات وان كثرت علومهم النافعة (وفاكهة كثيرة) من المدركات الجزئية والكلية اللذيذة كالمحسوسات والمخيلات والموهومات والمعانى الكلية القلبية (لا مقطوعة) لكونها غير متناهية (ولا ممنوعة) لكونها اختيارية كلما شاؤا اين شاؤا وجدوها (وفرش مرفوعة) من فضائل الاخلاق والهيآت النورانية النفسية المكتسبة من الاعمال الحسنة

ذرة قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذى هو التصديق لايتجزا وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذكر خفى وعمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين اوخوف من الله تعالى اونية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا اى صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الاارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ماتكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الامجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اى جمع جماعة قوله قدعادوا حمما اى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة جمع فوهة وهى اول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ اى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه انه يعلق فى معنى رقابهم اشياء من ذهب اوغير ذلك ممايعرفون بها والله اعلم ❊ قوله تعالى (ويدعون الى السجود فلا يستطعون) السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصى البقر او كصفيحة نحاس فلايستطيعون السجود (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة (وقدكانوا يدعون الى السجود) يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلايجيبون (وهم سالمون) يعنى انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحاء فلايأتونها قال كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعة ❊ قوله عزوجل (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) اى دعنى والمكذبين القرآن وخل بينى وبينهم ولاتشغل قلبك بهم وكلهم الى فانى اكفيك اياهم (سنستدرجهم) اى ستأخذهم بالعذاب (من حيث) لايعلمون فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعاجله بالاستغفار والتوبة (واملى لهم) اى امهلهم واطيل لهم المدة وقيل معناه امهلهم الى الموت فلااعاجلهم بالعقوبة (ان كيدى متين) اى عذابى شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدى الى العذاب (ام تسألهم اجرا) اى على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم الغرامة والمعنى اتطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (ام عندهم الغيب فهم يكتبون) اى اعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه مايحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار (فاصبر لحكم ربك) اى اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف (ولاتكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) يعنى يونس بن متى (اذنادى) ربه اى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) اى مملوء غما (لولا ان تداركه نعمة من ربه) اى حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) اى لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) اى يذم ويلام بالذنب وقيل فى معنى الآية لولاتداركه نعمة من ربه لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة

رفعت عن مرتبة الهيآت البدنية والجهة السفلية الى حيز الصدر الذى هو الجهة العليا من النفس المتصلة بالقلب اوحور من النسوان اى الملكوت المتصلة بهم المساوية فى المرتبة على اختلاف التفسيرين (انا انشأناهن انشاء) عجيبا نورانيا مجردة عن المواد مطهرة عن ادناس الطبائع والوات العناصر (فجعلناهن ابكارا) اى لم تتأثر بملامسة الامور الطبيعية ومباشرة الطبيعيين الظاهرين من اهل العادة والمخالطين للمادة من النفوس (عربا) متحببة اليهم محبوبة لصفائها وحسن جوهرها ودوام اتصالها بهم (اترابا) لكونها فى درجة واحدة متساوية المراتب ازلية الجواهر (لاصحاب اليمين ثلة من الاولين) لان المحبوبين يدخلون على اصحاب اليمين جناتهم عند التدانى والترقى فى الدرجات وعند التدلى والرجوع الى الصفات فيختلطون بهم وينخرطون فى سلكهم (وثلة من الآخرين) لان المحبين اكثرهم اصحاب اليمين واقفون مع الصفات دون محبة الذات وان فسرنا

اى بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثانى لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيآت المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتباه ربه) والفاء للتعقيب اى اصطفاه ورد عليه الوحى وشفعه فى قومه (فجعله من الصالحين) اى النبيين * قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى اسد حتى ان كانت الناقة او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذى المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فتذهب الا قليلا حتى يسقط ما عناه فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما ارادانهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء لا يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى او يكاد يهلكنى يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء (ويقولون انه لمجنون) اى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم (وما هو) يعنى القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من اصابته العين ان تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقى ان اسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افأسترقى لهم قال نعم ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذى قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا فى نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذى هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شئ الا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله اعلم

الاولين والآخرين باوائل الامة المحمدية واواخرها وظاهر لكثرة اصحاب اليمين فى اواخرهم ايضا دون السابقين (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال) اى ما هم الذين يتعجب من احوالهم وصفاتهم فى الشقاوة والنحوسة والهوان والخساسة (فى سموم) من الاهواء المردية والهيآت الناسقة المؤذية (وحميم) من العلوم الباطلة والعقائد الفاسدة (وظل من يحموم) من هيآت النفوس المسودة بالصفات المظلمة والهيآت السود الرديئة لان اليحموم دخان اسود بهيم (لا بارد ولا كريم) اى ليس له صفتا الظل الذى يأوى اليه الناس من الروح ونفع من يأوى اليه بالراحة بل له ايذاء وايلام وضر بايصال التعب واللهب والكرب (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منهمكين فى اللذات والشهوات منغمسين فى الامور الطبيعية والغواشى البدنية فبذلك اكتسبوا هذه الهيآت الموبقة والتبعات المهلكة (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) من الاقاويل الباطلة

﴿ تفسير سورة الحاقة ﴾

مكية وهى اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة والف واربع وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (الحاقة) يعنى القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعنى انها ثابتة الوقوع لاريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال اى يجب وقيل الحاقة النازلة التى حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هى التى تحق على القوم اى تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشانها والتهويل لها والمعنى اى شئ الحاقة (وما ادريك ما الحاقة) اى انك لاتعلمها اذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر لاتبلغه دراية احد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهى اعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذى اوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) اى بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد فى القوة وقيل الطاغية الفرقة التى عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر) اى شديدة الصوت فى الهبوب لها صرصرة وقيل هى الباردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عاتية) اى عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) اى ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب وفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية ايام) ذات برد ورياح شديدة قال وهب هى الايام التى سماها العرب العجوز لانها ايام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتى فى عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربها فاتبعتها الريح حتى قتلتها (حسوما) اى متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم فى هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما مشؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم احدا (فترى القوم فيها) اى فى تلك الليالى والايام (صرعى) اى هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت (كانهم اعجاز نخل خاوية) اى ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) اى من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى فى اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم فى البحر فلم يبق منهم احد * قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء اى ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء اى ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعنى قرى قوم لوط ويريد اهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين اهلكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) اى بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعصوا رسول ربهم) قيل يعنى موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الامتين جميعا (فاخذهم اخذة رابية) يعنى نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انا لما طغى الماء) اى عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه وذلك فى زمن نوح عليه

والعقائد الفاسدة التى استحقوا بها العذاب المخلد والعقاب المؤبد (وكانوا يقولون) اى من جملة عقائدهم انكار البعث (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون) اى الجاهلون المصرون على جهلهم لانهم وانكار ما يخالف عقائدهم الباطلة من الحق (لآكلون من شجر من زقوم) اى من نفس متعبدة اللذات والشهوات منغمسة فيها منجذبة الى السفليات من الطبيعيات لتعود كم بها وبفوائدها (فمالئون منها) ومن ثمراتها الوبية البشعة المحرقة التى هى الهيآت المنافية للكمال الموجبة للوبال (البطون) لشدة حرصكم ونهمكم وضراوتكم بها لشرهكم وسقمكم (فشاربون عليه من الحميم) من الوهميات الباطلة والشبهات الكاذبة التى هى من باب الجهل المورط فى المهالك والمعاطب المسلط لملك الاعمال الشيطانية والاعمال البهيمية الظلمانية (فشاربون

الصلاة والسلام وهو الطوفان ﴿حملناكم في الجارية﴾ يعني حملنا آباءكم وانتم في اصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية اي السفينة التي تجري في الماء ﴿لنجعلها﴾ اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه ﴿لكم تذكرة﴾ اي عبرة وموعظة ﴿وتعيها﴾ اي تحفظها ﴿اذن واعية﴾ اي حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل اذن فتكون عظة وعبرة لمن ياتي بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة * قوله عز وجل ﴿فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ يعني النفخة الاولى ﴿وحملت الارض والجبال﴾ اي رفعت من اماكنها ﴿فدكتا دكة واحدة﴾ اي كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ اي قامت القيامة ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ اي ضعيفة لتشققها ﴿والملك﴾ يعني الملائكة ﴿على ارجائها﴾ يعني نواحيها واقطارها وهو الذي لم ينشق منها فالمعنى ان الملائكة تكون على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ اي فوق رؤسهم يعني الحملة ﴿يومئذ﴾ اي يوم القيامة ﴿ثمانية﴾ يعني ثمانية املاك وجاء في الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال تيوس الجبل وروى السدي عن ابي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على ارجائها يحملها اربعة من الملائكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم امية بن ابي الصلت في شيء من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه ۞ والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق ۞ عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب ۞ عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني آدم شيء * عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وارض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة

شرب الهيم) اي التي بها الهيام من الابل وهو داء لا ارى معه لشدة شغفكم وكلبكم بها (هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم) باظهاركم بوجودنا وظهورنا في صوركم (فلولا تصدقون افرايتم ما تمنون أانتم تخلقونه) بافاضة الصورة الانسانية عليه (ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون افرايتم ما تحرثون أانتم تزرعونه) بانزال الصور النوعية عليه (ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم الماء الذي تشربون) ماء العلم الذي تشربونه بعطش استعدادكم (أانتم انزلتموه من المزن) من مزن العقل الهيولاني (ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا) بصرفه في تدابير المعاش وترتيب الحياة الدنيا (فلولا تشكرون افرايتم النار) نار المعاني القدسية (التي تورون) بقدح زناد الفكر (أانتم

والكرسى مسيرة خمسمائة عام ومابين الكرسى والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لايخفى عليه شئ من اعمالكم اخرجه ابوسعيد الدرامى وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود فى قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال حملة العرش قرون مابين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبدالله بن عمر قال الذين يحملون العرش مابين موق احدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس فى قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدتهم الا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) اى على الله تعالى للحساب (لاتخفى منكم خافية) اى فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لايخفى عليه شئ منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لايخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا فى الدنيا فانه يظهر احوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذى وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى (فاما من اوتى) اى اعطى (كتابه بيمينه فيقول هاؤم) اى تعالوا (اقرؤا كتابيه) والمعنى انه لما بلغ الغاية فى السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله واقربائه (انى ظننت) اى علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن فى الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام (انى ملاق حسابيه) اى فى الآخرة والمعنى انى كنت فى الدنيا استيقن انى احاسب فى الآخرة (فهو فى عيشة راضية) اى فى حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقى الثواب وامن من العقاب (فى جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) اى ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا (كلوا) اى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا بما اسلفتم) اى بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) اى الماضية يريد ايام الدنيا (واما من اوتى كتابه بشماله) قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه) وذلك لما نظر فى كتابه ورأى قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح (ولم ادر ماحسابيه) اى لم ادر اى شئ حسابى لانه لاطائل ولاحاصل له وانما كله عليه لاله (ياليتها كانت القاضية) تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية عن كل مابعدها والقاطعة للحياة اى ماحيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده اكره منه اليه اى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما

انشأتم شجرتها) اى القوة الفكرية (ام نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة) تذكيرا للعهد الازلى فى العالم القدسى (ومتاعا للمقوين) للذين لازاد لهم فى السلوك من العلم والعمل (فسبح باسم ربك العظيم فلا اقسم بمواقع النجوم) اى اوقات اتصال النفس المحمدية المقدسة بروح القدس وهى اوقات وقوع نجوم القرآن اليه فيا لها اوقاتا شريفة واتصالات نورية اومساقط النجوم وهى اوقات غيبته عن الحواس وافول حواسه فى مغرب الجسد عند تعطيلها بانغماس سره فى الغيب وانخراطه فى سلك القدس بل غيبته فى الحق واستغراقه فى الوحدة (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وانى يعلمون واين هم وعلم ذلك (انه لقرآن كريم) اى علم مجموع له كرم وشرف قديم وقدر رفيع (فى كتاب مكنون) هو قلبه المكنون فى الغيب عن الحواس وماعدا المقربين من الملائكة المطهرين لان العقل القرآنى مودع فيه كما قال عيسى عليه السلام لاتقولوا العلم

ذاقه من الموت (ماأغنى عنى ماليه) اى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيأ (هلك عنى سلطانيه) اى ضلت عنى حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا (خذوه) اى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه (فغلوه) اى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) اى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى الدنيا (ثم فى سلسلة) وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة (ذرعها) اى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد اوغيرها (سبعون ذراعا) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوفل البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اى ذراع هو * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رضاضة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت فى رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرضاض الحصباء الصغار وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو اشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ماوزن حلقة منها * وقوله تعالى (فاسلكوه) اى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره (انه كان لايؤمن بالله العظيم) اى لا يصدق بوحدانية الله وعظمته (ولايحض على طعام المسكين) اى ولايحث نفسه على اطعام المسكين ولا يأمر اهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يأمر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثانى بالاطعام (فليس له اليوم ههنا حميم) اى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه ويشفع له (ولا طعام الا من غسلين) يعنى صديد اهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله اهل النار (لايأكله الا الخاطؤن) اى الكافرون * قوله عزوجل (فلااقسم) قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لارد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لاههنا نافية للقسم على معنى انه لايحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لااقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكأنه لوضوحه استغنى عن القسم * وقوله (بماتبصرون ومالاتبصرون) يعنى بماترون وتشاهدون وبمالاترون ومالاتشاهدون اقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعنى على ظهر الارض ومالاتبصرون اى مافى بطنها وقيل بماتبصرون يعنى الاجسام ومالاتبصرون يعنى الارواح وقيل بما تبصرون يعنى الانس ومالا تبصرون يعنى الملائكة والجن وقيل بماتبصرون من النعم الظاهرة ومالاتبصرون من النعم الباطنة وقيل بماتبصرون هو مااظهره الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه ومالاتبصرون هو

في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولامن وراء البحار من يعبر ويأتى به بل العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى الله بآداب الروحانيين يظهر عليكم اوالروح الاول الذى هو محل القضاء ومأوى الروح المحمدى بل هو هو (لايمسه الاالمطهرون) من الارواح المجردة المطهرة عن دنس الطبائع ولوث تعلق المواد (تنزيل من رب العالمين) لان علمه ظهر على المظهر المحمدى فهو منزل منه على مدرجته منجما (افبهذا الحديث انتم مدهنون) منها ونون ولاتبالون به ولاتتصلبون فى القيام بحقه وفهم معناه كمن يلين جانبه ويداهن فى الامر تساهلا وتهاونا به (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) اى قوتكم القاى رزقكم الحقيقى تكذيبه لاحتجابكم بعلومكم وانكاركم مالبس من جنسه كانكار رجل جاهل مايخالف اعتقاده كان علمه نفس تكذيبه اورزقكم الصورى اى لداومتكم على التكذيب كأنكم تجعلون التكذيب غذاكم كما تقول للمواظب

ماستأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه * ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد انه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفي الرسول مايدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله تعالى * وقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) يعني ان هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه (قليلا ما تؤمنون) اراد بالقليل عدم ايمانهم اصلا والمعنى انكم لاتصدقون بان القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن) اى وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليلا ما تذكرون) يعني لاتتذكرون البتة (تنزيل) اى هو تنزيل يعني القرآن (من رب العالمين) وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال * قوله تعالى (ولو تقول علينا) اى اختلق علينا محمد (بعض الاقاويل) يعني اتى بشئ من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه (لاخذنا منه باليمين) اى لاخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين اى بالحق قال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ في ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين اى سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذللناه واهناه كفعل السلطان بمن يريد ان يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه اشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالراس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لايشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته (فما منكم من احد عنه حاجزين) اى مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لايتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلمه لعاقبناه ولايقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف احد ردا على معناه (وانه) يعني القرآن وذلك انه لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ماهو فقال تعالى (لتذكرة) اى لعظة (للمتقين) اى لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) فيه وعيد لمن كذب

(بالقرآن)

على الكذب الكذب غذاؤه (فلولا اذا بلغت الحلقوم) (وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها) اى فلولا ترجعون الروح عند بلوغها الحلقوم (ان كنتم صادقين) في انكم غير مسوسين مربوبين مقهورين يعني انكم مجبرون عاجزون تحت قهر الربوبية والا لامكنكم دفع ماتكرهون اشد الكراهية وهو الموت (فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) من جملة الاصناف الثلاثة فله روح الوصول الى جنة الذات وريحان جنة الصفات وتجلياتها البهجة المبهجة وجنة نعيم الافعال ولذاتها (واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين) من السعداء والابرار فله السرور والحبور بلقاء اصحاب اليمين وتحيتهم اياه بسلامة الفطرة والنجاة من العذاب والبراءة عن نقائص صفات النفوس في جنة الصفات (واما ان كان من المكذبين الضالين) من الاشقياء والمعاندين للسابقين المنكرين

بالقرآن (وانه) يعنى القرآن (لحسرة على الكافرين) يعنى يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لمايرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه انه حق معين لابطلان فيه ويقين لاشك ولاريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) اى نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة سأل سائل ﴾

وتسمى المعارج مكية وهى اربع واربعون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة فى السؤال والثانى انه من السيل ومعناه اندفع عليهم وادبعذاب وقيل سال وادمن اودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمزة من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن اى عن عذاب (واقع) اى نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافرين) وذلك ان اهل مكة لماخوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين اى هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعاداع وطاب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ماسأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) اى ان العذاب واقع بهم لامحالة سواء طلبوه اولم يطلبوه اما فى الدنيا بالقتل واما فى الآخرة لان العذاب واقع بهم فى الآخرة لايدفعه عنهم دافع (من الله) اى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذى المعارج) قال ابن عباس ذى السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذى الدرجات وهى المصاعد التى تعرج الملائكة فيها وقيل ذى الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهى تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة فى معرض التخويف والتهويل افرد الروح بالذكر وهذا يقتضى ان الروح اعظم الملائكة (اليه) اى الى الله عزوجل (فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) اى من سنى الدنيا والمعنى انه لو صعدغير الملك من بنى آدم من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد فى اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك كله فى ساعة واحدة اواقل من ذلك وذكر ان مقدار مابين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس فى مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له اول وليس له آخر لانه يوم ممدود لاآخر له ولو كان له آخر كان منقطعا وهذا الطول فى حق

لكمالاتهم المحجوبين بالجهل المركب فلهم عذاب هيآت الاعتقادات الفاسدة وظلمات الجهالات الموحشة من فوق المشار اليه بقوله (فنزل من حميم) وعذاب الهيآت البدنية وتبعات سيآتهم العملية من تحت المشار اليه بقوله (وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) المذكور من احوال الفرق الثلاث وعواقبهم لهو حقية الامر وجلية الحال من معاينة اهل القيامة الكبرى المتحققين بالحق فى يقينهم وعيانهم والله تعالى اعلم

﴿ سورة الحديد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما فى السموات والارض) اظهر كل موجود تنزيهه عن الامكان وقبول الفناء بوجوده الاضافى وثباته (وهو العزيز) القوى الذى يقهرها ويجبرها (الحكيم) الذى رتب كمالاتها وعن العجز بحدوثه وتغيره وعن جميع النقائص باظهار كمالات كل موجود ونظامها على ترتيب حكمى (له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل

الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى الغني بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقال ابن عباس معناه اوولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين الف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها فى مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين الف سنة وانا افرغ منه فى ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتأخير (فاصبر) اى يا محمد على تكذيبهم اياك (صبرا جميلا) اى لا جزع فيه وهذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (انهم يرونه) اى العذاب (بعيدا) اى غير كائن (ونراه قريبا) اى كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير فى يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا فى قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه (يوم تكون السماء كالمهل) اى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) اى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات الوان احمر وابيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) اى لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله الشفاعة اولا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله فى الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) اى يرونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن او انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم اى يعرفونهم اما المؤمن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) اى يتمنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ) اى عذاب يوم القيامة (ببنيه وصاحبته) اى زوجته (واخيه وفصيلته) اى عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقربائه الاقربين (التى تؤويه) اى تضمه ويأوى اليها (ومن فى الارض جميعا) يعنى انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيه) اى ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) اى لا ينجيه من عذاب الله شئ ثم ابتدا فقال تعالى (انها لظى) يعنى النار ولظى اسم من اسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اى تتلهب (نزاعة للشوى) يعنى الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان

شئ قدير هو الاول) الذى يبتدئ منه الوجود الاضافى باعتبار اظهاره (والآخر) الذى ينتهى اليه باعتبار امكانه وانتهاء احتياجه اليه فكل شئ به يوجد وفيه يفنى فهو اوله وآخره فى حالة واحدة باعتبارين (والظاهر) فى مظاهر الاكوان بصفاته وافعاله (والباطن) باحتجابه بماهياته وبذاته (وهو بكل شئ عليم) لان عين ماهيته صورة من صور معلوماته اذ صور الاشياء كلها فى اللوح المحفوظ وهو يعلم اللوح مع تلك الصور بعين ماهية اللوح المنقش بتلك الصور فعلمه بها عين علمه بذاته (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) من الايام الالهية اى الآلات الستة التى هى من زمان آدم الى زمان محمد عليهما السلام جميع مدة دور الخفاء اى احتجب بها فظهر الخلق دونه اذ الخلق احتجاب الحق بالاشياء وهذا الزمان زمان الاحتجاب كما ذكر فى الاعراف (ثم استوى على العرش) على عرش القلب المحمدى بالظهور فى جميع

ثم كله فذلك دابها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه واطرافه (تدعو) يعني النار الى نفسها (من ادبر) اى عن الايمان (وتولى) اى عن الحق فتقول له الى يامشرك الى يامنافق الى الى قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اى تعذب قال اعرابى لآخر دعاك الله اى عذبك الله (وجمع فأوعى) يعنى وتدعو من جمع المال فى الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هلوعا) قال ابن عباس الهلوع الحريص على مالا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره مابعده وهو قوله تعالى (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعنى اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب مايسره ويهرب عما يكره ثم تعبده بانفاق مايحب والصبر على مايكره قيل اراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى (الا المصلين) وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع (الذين هم على صلوتهم دائمون) يعنى يقيمونها فى اوقاتها وهى الفرائض فان قلت كيف قال على صلوتهم دائمون ثم قال بعده على صلواتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادائها وان لايتركوها فى شئ من الاوقات وان لايشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان يأتى بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ماهو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ماسوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهى ان لايلتفت فى الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فى جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء والسمعة وخوف ان لاتقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى فى سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيآتها وروى البغوى بسنده عن ابى الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلوتهم دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا عن خلفه (والذين فى اموالهم حق معلوم) يعنى الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هى صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيأ من الصدقة يخرجه على سبيل الندب فى اوقات معلومة (للسائل) يعنى الذى يسأل الناس (والمحروم) يعنى الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) اى يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اى خائفون ثم اكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) يعنى ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغى ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغى بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغى ان يكون العبد بين الخوف والرجاء ※ وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره فى سورة المؤمنين ※ قوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اى يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها

الصفات غير محتجب بعضها ببعض ولا الذات بالصفات ولا الصفات بالذات بل استوت كلها فى الظهور فى اليوم السابع او فى صور المراتب الست من الجواهر والاعراض المذكورة فى ق ثم استوى على عرش الروح الاعظم بالتأثير فى جميع الاشياء فى الصورة الرحمانية بالسوية والظهور باسم الرحمن (يعلم مايلج فى الارض) ارض العالم الجسمانى من الصور النوعية لانها صور معلوماته (وما يخرج منها) من الارواح التى تفارقها والصور التى تزايلها عند الفناء والفساد وهى التى تنزل من السماء وتعرج فيها اوما ينزل من سماء الروح من العلوم والانوار الفائضة على القلب وما يعرج فيها من الكليات المنتزعة من الجزئيات المحسوسة وهيآت الاعمال المزكية (ومايتزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم اينما كنتم) لوجودكم به وظهوره فى مظاهركم (والله بما تعملون بصير) لسبق علمه به وكونه منقوشا فى اربعة الواح فى عالم ملكوته بحضرته بولح ايل

بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفى تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى (اولئك) يعنى من هذه صفته (فى جنات مكرمون) ❊ قوله تعالى (فمال الذين كفروا) اى فما بالهم (قبلك مهطعين) اى مسرعين مقبلين اليك مادى اعناقهم ومديمى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت فى جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال الله تعالى مالهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزين) يعنى انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات فى تفرقة (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذبوا نبى (كلا) اى لا يدخلها ثم ابتدا فقال تعالى (انا خلقناهم مما يعلمون) اى من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشئ واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوى باسناد الثعلبى عن بشر بن جحش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم انى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وانى او ان الصدقة واخرجه ابن الجوزى فى تفسيره بلا اسناد وقيل فى معنى الآية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهى والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا اقسم) يعنى واقسم وقد تقدم بيانه (برب المشارق والمغارب) يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعنى مشرق كل نجم ومغربه (انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله (وما نحن بمسبوقين) اى بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بمن هو خير منكم (فذرهم يخوضوا) اى فى اباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث) يعنى القبور (سراعا) اى الى اجابة الداعى (كانهم الى نصب) يعنى الى شئ منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها (يوفضون) اى يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعى مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها (خاشعة ابصارهم) اى ذليلة خاضعة (ترهقهم ذلة) اى يغشاهم هو ان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعنى القيامة الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم

❊ تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام ❊

مكية وهى ثمان وعشرون آية ومائتان واربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل (انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك) اى بان خوف قومك وحذرهم

الغفلة فى نهار الحضور ويولج نهار الحضور فى ليل الغفلة ويستر الجمال بالجلال ويحجب الجلال بالجمال (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) بما اودع الصدور من اسراره ودقائق الغفلة والحضور وحكمتهما ولطائف التستر والتجلى وفائدتهما لا يعلمها الا هو (آمنوا بالله) الايمان اليقينى بتوحيد الافعال (ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) اى لا تحتجبوا بافعال الحق فى ايمانكم بتوحيد الافعال عن افعال الخلق فتقعوا فى الجبر وحرمان الاجر بل شاهدوا افعال الحق بالايمان به جمعا فى مظاهر التفاصيل بحكم الشرع ليحصل لكم التوكل ويسهل عليكم الانفاق من مال الله الذى هو فى ايديكم وجعلكم مستخلفين فيه بتمكينكم واقداركم على التصرف فيه بحكم الشرع اذ الاموال كلها لله واختصاص نسبة التصرف انما هو بحكمه فى شريعته (فالذين آمنوا

من قبل ان يأتيهم عذاب اليم ﴾ يعنى الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا ﴿ قال ياقوم انى لكم نذير مبين ﴾ اى انذركم وابين لكم ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ اى وحدوه ولا تشركوا به شيأ ﴿ واتقوه ﴾ اى وخافوه بان تحفظوا انفسكم مما يؤثمكم ﴿ واطيعون ﴾ اى فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ اى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب ﴿ ويؤخركم الى اجل مسمى ﴾ اى الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ﴿ ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشرى ان قلت كيف قال ويؤخركم مع الاخبار بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان ﴿ قال ﴾ يعنى نوحا عليه الصلاة والسلام ﴿ رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا ﴾ اى نفارا وادبارا عن الايمان ﴿ وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم ﴾ اى ليؤمنوا بك فتغفر لهم ﴿ جعلوا اصابعهم فى آذانهم ﴾ لئلا يسمعوا دعوتى ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ اى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرونى ﴿ واصروا ﴾ على كفرهم ﴿ واستكبروا ﴾ عن الايمان بك ﴿ استكبارا ﴾ اى تكبرا عظيما ﴿ ثم انى دعوتهم جهارا ﴾ اى معلنا قال ابن عباس باعلى صوتى ﴿ ثم انى اعلنت لهم ﴾ اى كررت لهم الدعاء معلنا ﴿ واسررت لهم اسرارا ﴾ قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بينى وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه فى الدنيا وروى الشعبى ان عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لانه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار

منكم) بشهود الافعال (وانفقوا) عن مقام التوكل (لهم اجر كبير) فى جنة الافعال (ومالكم لا تؤمنون بالله) وقد اعتضد السببان الداخلى والخارجى الموجب اجتماعهما للايمان ايجابا ذاتيا اما الخارجى فدعوة الرسول الذى هو السبب الفاعلى واما الداخلى فاخذ الميثاق الازلى وهو الاستعداد الفطرى الذى هو السبب القابلى وقوة الاستدلال (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين) بالقوة اى ان بقى نور الفطرة والايمان الازلى فيكم (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات) من بيان تجليات الافعال والصفات والذات (ليخرجكم من الظلمات الى النور) ظلمات صفات النفس والهيآت البدنية المستفادة من الحس الى تنور القلب ومن ظلمات صفات القلب الى نور الروح ومن ظلمات وجوداتكم وانياتكم الى نور الدين وهى الظلمات المشار اليها بقوله ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض (وان الله بكم لرؤف رحيم) بدفع آفة النقصان عنكم

فتلاهذه الآيةوقوله يرسل السماءعليكم اى يرسل ماءالسماء وذلك لان ماء المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماءالمطر من قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * لخلوا حيثما نزل السماء

يعنى المطر مدرارا اى كثير الدر وهوحلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اى متتابعا (ويمددكم باموال وبنين) اى يكثر اموالكم واولادكم (ويجعل لكم جنات) اى البساتين (ويجعل لكم انهارا) وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه (مالكم لا ترجون لله وقارا) قال ابن عباس اى لاترون لله عظمة وقيل معناه لاتخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه مالكم لاتعرفون لله حقا ولاتشكرون له نعمة وقيل معناه مالكم لاترجون فى عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا (وقد خلقكم اطوارا) يعنى تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لايشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) اى بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعنى فى سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بنى تميم وانما اتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعنى مصباحا مضيئا قال عبدالله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا (والله انبتكم من الارض نباتا) اراد مبدا خلق آدم واصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل فى موضع المصدر اى انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهى انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثانى اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) اى فى الارض بعد الموت (ويخرجكم) اى منها يوم البعث (اخراجا) يعنى اخراجا حقا لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اى طرقا واسعة ❊ قوله تعالى (قال نوح رب انهم عصونى) اى لم يجيبوا دعوتى (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا) يعنى اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) يعنى كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا بالتشديد والتخفيف والتشديد اشد واعظم فى المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لاتذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس فى مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله (وقالوا) يعنى القادة للاتباع (لاتذرن آلهتكم) اى لاتتركن عبادتها (ولاتذرن

بهبة الاستعداد وتوفيق الهداية الى ازالة الحجب ببعث الرسول وتعليمه اياكم رحيم بافاضة الكمالات مع حصول القبول بتزكية النفوس وتصفية الاستعدادات (ومالكم الاتنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) اى بذلوا اموالهم وانفسهم قبل الفتح المطلق الذى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعراج التام والوصول الى حضرة الوحدة (اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد) لقوة استعدادهم وشدة انوار باطنهم الاصلية عرفوه والفوه بتشام الروح وظهرت عليهم كمالاتهم من غير واسطة تأثيره فيهم وهم الذين غلبت عليهم القوة القدسية التى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار واما الذين انفقوا من بعد فلضعف استعداداتهم وقلة نوريتها احتاجوا الى قوة تأثيره فيهم واخراج كمالاتهم الى الفعل (وقاتلوا وكلا وعدالله) المثوبة (الحسنى) لحصول اليقين وظهور الكمال كيف كان مع

وداولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) هذه اسماء آلهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة قوله ولاتذرن آلهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة هى اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان اتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم فى العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة اولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد اما ود فكانت لكلب دومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس فى قوله ولاتذرن وداولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا قال كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانو يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبدود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء (وقد اضلوا كثيرا) اى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس (ولاتزد الظالمين الاضلالا) يعنى ولاتزد المشركين بعبادتهم الاصنام الاضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لايؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الامن قدآمن وقيل انما اراد بالضلال فى امر الدنيا وما يتعلق بها لافى امر الآخرة (مما خطاياهم اغرقوا) اى بالطوفان (فادخلوا نارا) اى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولايمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول اصح (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) يعنى احدا يدور فى الارض فيذهب ويجئ من الدوران وقيل اصله من الدار اى نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير

تفاوت الدرجات بما لا تحصى اذ الآخرون هم الذين حازوا الكمال الخلق فى مقام النفس الذين اقرضوا الله اموالهم رغبة فى الاضعاف من الثواب وكرامة الاجر والاولون هم السابقون الذين تجردوا عنها ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم فى طريق الحق فهم المؤمنون الذين (والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم) لكونهم على الصراط المستقيم متوجهين الى وجه الله بتوحيد الذات والمتأخرون هم الذين يسعى نورهم بايمانهم لكونهم اصحاب اليمين من المؤمنين والمؤمنات الكائنين فى مقام القلب واليقين (بشراكم اليوم) خطاب لكلا الفريقين مع تغليب السابقين لذكر الجنات الثلاث ووصف الفوز بالعظيم اذ عظم الفوز انما هو للفرقة الثالثة واما فوز من دونهم من اصحاب الجنتين فوصوف بالكبير والكريم (جنات تجرى من تحتها

ويشأ الصغير على ذلك ﴿ ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ﴾ انما قال نوح هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام نسائهم وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم تكن معهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب ﴿رب اغفر لي﴾ وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا على الكفار انما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس اولانه ترك الاحتمال ﴿ولوالدي﴾ وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام من ابائه كافر وكان بينهما عشرة اباء ﴿ ولمن دخل بيتي مؤمنا ﴾ اى داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ وهذا عام في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ في الدعاء ﴿ ولا تزد الظالمين الا تبارا ﴾ اى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم جميعا والله اعلم

تفسير سورة الجن

﴿ وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ﴾ اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلون في الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي اولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة اوشاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرط للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشذ تاويل المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

﴿ فصل ﴾ اختلف الرواة هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فأثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله

الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات) اى المستعدون الا قوياء الاستعداد والضعفاء المحجوبون بصفات النفوس وهيآت الابدان المنغمسون في ظلمات الطبائع وغسق الآثام الذين قد بقى فيهم مسكة من نور الفطرة ولم تنطف بالكلية يشتاقون به الى نور الكمال الحاصل لفريق المؤمنين ويلتمسونه ويطلبونه في حسرات وزفرات عند بروزهم عن حجاب البدن بالموت وظهور الحرمان محبوسين واقفين في حضيض النقصان متندمين عند تبين الخسران والمؤمنون يمرون كالبرق الخاطف لا يلتفتون اليهم (للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) بجنسية الاستعداد وظاهر الاسلام (قيل ارجعوا وراءكم) الى الدنيا ومحل الكسب فان النور انما يكتسب بالآلات البدنية والقوى الجسمانية من الحواس الظاهرة والباطنة بالاعمال الحسنة والعلوم الحقة (بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

صلى الله عليه وسلم على الجن ولارآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وماذاك الامن شئ قدحدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن زاد فى رواية وانما اوحى اليه قول الجن اخرجاه فى الصحيحين قال القرطبى فى شرح مسلم فى حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذى حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما اعلمه الله عزوجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم وان النبى صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضى ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبى والله اعلم عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها فى كل سنة مرة فى الجاهلية واول الاسلام وتهامة كل مانزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة وادمن اودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل اوحى الى امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن لتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر مابين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قرأة النبى صلى الله عليه وسلم (فقالوا) اى لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضى الله عنهما بليغا اى ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدى الى الرشد) اى يدعو الى الصواب بمعنى التوحيد والايمان (فآمنا به) اى بالقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) اى ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وانه تعالى جد ربنا) اى جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدفينا اى عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد الاينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل الاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا (مااتخذ صاحبة ولا ولدا) اى انه تعالى جلال ربنا وعظمته

هو البرزخ الهيولانى الذى يحتجبون به على حسب اقتضاء هيآتهم الظلمانية (له باب) هو القلب اذلا يطلع من عالم القدس على عالم الرجس الامن طريق القلب (باطنه) وهو عالم القدس (فيه الرحمة) اى النور والروح والريحان وجنة النعيم من المراتب المذكورة (وظاهره) الذى يلى النفس وهو عالم الرجس ومقر تلك النفوس المظلمة من الاشقياء (من قبله) اى من جهته (العذاب) الذى يستحقونه بحسب هيآتهم وتنوعها وهذا الباب لا ينفتح له من جهة ظاهره الذى الى الاشقياء بل هو مسدود مغلق لا ينفتح ابدا وامامن جهة باطنه فكلما شاء اهل الجنة من السابقين انفتح لهم فاطلعوا على اهل النار وتعذباتهم ويدخلون عليهم فيتطفئ لهب النار من نورهم بل يحرق نورهم النار بالنسبة اليهم دون الجهنميين فتقول جهنم جزيامؤمن فان نورك اطفألهبى (ينادونهم الم نكن معكم) فى الفطرة الاولى وعين جمع الصفات (قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) ابتليتموها بالذات الحسية والشهوات البدنية والصفات البهيمية والسبعية (وتربصتم)

عن ان يتخذ صاحبة او ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص (وانه كان يقول سفيهنا) يعني جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) اى كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة الحد فى كل شئ (وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اى كنا نظن ان الانس والجن صادقون فى قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لايكذبون على الله فى ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله ❊ قوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب فى الجاهلية كان اذا سافر فامسى فى ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوى باسناد الثعلبى عن كردم بن ابى السائب الانصارى قال خرجت مع ابى الى المدينة فى حاجة وذلك اول ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال ياعامر الوادى جارك فنادى مناد لانراه ياسرحان ارسله فأتى الحمل يشتدى حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمته فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن (فزادوهم رهقا) وذكره ابن الجوزى فى تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعنى عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق فى كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وانهم ظنوا) يعنى الجن (كما ظننتم) اى يامعشر الكفار من الانس (ان لن يبعث الله احدا) يعنى بعد الموت (وانا) يعنى يقول الجن (لمسنا السماء) اى طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام اهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعنى من الملائكة (شديدا وشهبا) اى من النجوم (وانا كنا نقعد منها) اى من السماء (مقاعد للسمع) يعنى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما مازاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ماهذا الامن امر قد حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث فى الارض اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه فى شدة الحراسة وكانوا يسترقون فى بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب فى الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية (وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض) اى برمى الشهب (ام اراد بهم ربهم رشدا) ومعنى الآية لاندرى هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم صلاح وخير (وانا منا الصالحون) اى

باستيلاء التخيلات من الامال والامانى الغالبة بدواعى الحسد والطمع (وارتبتم) بالاستيلاء الوهميات على المعقولات وغلبة الاوهام على العقول (وغرتكم الامانى) بدواعى الوهم ومقتضى التخيل (حتى جاء امر الله) من الموت وحصول العقاب (وغركم بالله الغرور فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هى مولاكم وبئس المصير الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولايكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لتأثير الذكر فى القلوب واحيائها (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات) من المؤمنين بالغيب فى مقام النفس لقوله (واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله) من اهل الايقان فى مقام القلب لقوله لهم اجرهم اى من جنة النفس ونورهم من جنة القلب بتجلى الصفات (اولئك هم

المؤمنون المخلصون (ومنا دون ذلك) اى دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) اى جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشئ قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا اى سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين اى علما وايقنا (ان لن نعجز الله في الارض) اى لن نفوته ان اراد بنا امرا (ولن نعجزه هربا) اى ان طلبنا فلن نعجزه اينما كنا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به) اى لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) اى نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) يعنى ظلما وقيل مكروها يغشاه (وانا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) اى الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله اندادا (فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) اى قصدوا طريق الحق وتوخوه (واما القاسطون) يعنى الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) يعنى وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد تمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمنى الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر ان يعذب النار بالنار ❊ قوله عز وجل (وان لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لأنعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التى كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا (لاسقيناهم ماء غدقا) اى لوسعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا يعنى كفار مكة على الطريقة يعنى على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعنى كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا ولاعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه اى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل فى معنى الآية لو استقاموا اى ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهى طريقة الهدى والقول بان الآية فى الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر (ومن يعرض عن ذكر ربه) اى عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (نسلكه) اى ندخله (عذابا صعدا)

الصديقون) بقوة اليقين (والشهداء) اهل الحضور والمراقبة الذين حجبوا عن الذات والصفات فى مقاماتهم اى ليسوا من اهل الايمان الغيب ولا من اهل الايقان (عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) جحيم الطبيعة (اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الامتاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم) لما حقر الحياة الحسية النفسية الفانية وصورها فى صورة الخضراء السريعة الانقضاء دعاهم الى الحياة العقلية القلبية الباقية فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم اى تستر صفات النفس بنور القلب (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) العالم الجسمانى باسره لاحاطة القلب به وبصوره او نفرهم عن الحياة البشرية ودعاهم الى الحياة الالهية

قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة ❊ قوله تعالى ﴿وان المساجد لله﴾ يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى ﴿فلا تدعوا مع الله احدا﴾ قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فأمر الله عزوجل المؤمنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وان المساجد لله وروى عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره (م) عن العباس بن عبد المطلب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعضاء على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر كف شعره عقصه وغرز طرفه في اعلى الضفيرة وقد نهى عن ذلك ❊ قوله عزوجل ﴿وانه لما قام عبد الله﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يدعوه﴾ يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة ﴿كادوا﴾ يعني الجن ﴿يكونون عليه لبدا﴾ يعني يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفؤا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض ﴿قال﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر ﴿انما ادعوا ربي﴾ وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربي ﴿ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا﴾ اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرارا لا اسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى ﴿قل اني لن يجيرني من الله احد﴾ اي ان يمنعني منه احد ان عصيته ﴿ولن اجد من دونه ملتحدا﴾ اي ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه ﴿الا بلاغا من الله ورسالاته﴾ اي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله عزوجل فانما انا مرسل لا املك الا ما ملكت ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾

اي سابقوا الى مغفرة تستر ذواتكم ووجوداتكم التي هي اصل الذنب العظيم بنور ذاته وجنة عرضها سموات الارواح وارض الاجساد باسرها اي الوجود المطلق كله الشامل للوجودات الاضافية باجمعها ﴿اعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ الايمان العلمي اليقيني على الاول والايمان العيني والحق على الثاني ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم﴾ من الحوادث الخارجية والبدنية والنفسانية ﴿الا في كتاب﴾ هو القلب الكلي المسمى باللوح المحفوظ ❊ لتعلموا علما يقينا انه ليس من لكسبكم وحفظكم وحذركم وحراستكم فيما آتاكم مدخل وتأثير ولا لعجزكم واهمالكم وغفلتكم وقلة حيلتكم وعدم احترازكم واحتفاظكم فيما فاتكم مدخل فلا تحزنوا على فوات خير ونزول شر ولا تفرحوا بوصول خير وزوال شر اذ كلها مقدرة من قبل ان نبرها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم

يعنى ولم يؤمن ﴿ فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ يعنى العذاب يوم القيامة ﴿ فسيعلمون ﴾ اى عند نزول العذاب ﴿ من اضعف ناصرا واقل عددا ﴾ اهم ام المؤمنون ﴿ قل ان أدرى ﴾ اى ماادرى ﴿ اقريب ماتوعدون ﴾ يعنى العذاب وقيل يوم القيامة ﴿ ام يجعل له ربى امدا ﴾ اى اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لايعلمه الا الله عز وجل ﴿ عالم الغيب ﴾ اى هو عالم ماغاب عن العباد ﴿ فلا يظهر ﴾ اى فلا يطلع ﴿ على غيبه ﴾ اى الغيب الذى يعلمه وانفرد به ﴿ احدا ﴾ اى من الناس ثم استثنى فقال تعالى ﴿ الا من ارتضى من رسول ﴾ يعنى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على مايشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشرى وفى هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شئ من الارتضاء وادخله فى السخط قال الواحدى وفى هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على مايكون من حياة او موت ونحو ذلك فقد كفر بما فى القرآن فاما الزمخشرى فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه فى الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين فى ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغى ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لادلالة فيها على شئ من ذلك والذى تدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه ان لايظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى لايظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى فى الآية دلالة على انه لايظهر شيأ من الغيوب لاحد ثم انه يجوز ان يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر مايدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن فى امتى احد فانه عمر بن الخطاب اخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى امتى منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم ففى هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لوجازت الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولا نسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولا يجوز للولى ان يدعى خرق العادة مع التحدى اذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبى لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن

ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال) اى متبختر من شدة الفرح بما آتاه (فخور) به لعدم يقينه وبعده عن الحق بحب الدنيا وانجذابه الى الجهة السفلية عنافاته للحضرة الالهية واحتجابه بالظلمات عن النور (الذين يبخلون) لشدة محبة المال (ويأمرون الناس بالبخل) لاستيلاء الرذيلة عليهم (ومن يتول) اى يعرض عن الله بالتوجه الى العالم السفلى والجوهر الفاسق الظلمانى (فان الله هو الغنى) عنه لاستغنائه بذاته (الحميد) لاستقلاله بكماله اى يخذله ويمهله (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) بالمعارف والحكم (وانزلنا معهم الكتاب) اى الكتابة (والميزان ليقوم الناس بالقسط) اى العدل لانه آلته (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد) اى السيف لانه مادته وهى الامور التى بها يتم الكمال النوعى وينضبط النظام الكلى المؤدى الى صلاح المعاش والمعاد اذ الاصل المعتبر والمبدا الاول هو العلم والحكمة والاصل المعول عليه فى العمل والاستقامة فى طريق الكمال

فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى اعلم * قوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) اى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات (رصدا) اى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاء ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم) اى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم (ان) اى ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل (قد ابلغوا رسالات ربهم) فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيوجب فيه الثواب (واحاط بما لديهم) اى علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شئ من امورهم (واحصى كل شئ عددا) قال ابن عباس احصى ماخلق وعرف ماخلق لم يفته شئ حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة المزمل ﴾

﴿هى مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله واصبر على مايقولون وقيل غير آية وهى ان ربك يعلم انك تقوم الآية وهى عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (ياايها المزمل) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف قال المفسرون كان النبى صلى الله عليه وسلم يتزمل فى ثيابه اول ماجاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملونى زملونى حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل ياايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة اى حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبى والرسول لانه كان فى اول الامر ومبدئه ثم خوطب بالنبى والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل فى ثوبه فنودى ياايها المزمل (قم الليل) اى للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة فى ابتداء الاسلام (الا قليلا) اى صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى (نصفه) اى قم نصف الليل (اوانقص منه قليلا) اى الى الثلث (او زد عليه) اى على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لايدرى متى ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لايحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقرؤا ماتيسر منه قيل ليس فى القرآن سورة نسخ آخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول آخرها ستة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك فى حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على

هو العدل ثم لا ينضبط النظام ولا يتمشى صلاح الكل الا بالسيف والقلم اللذان يتم بهما امر السياسة فالاربعة هى اركان كمال النوع وصلاح الجمهور ويجوز ان تكون البينات اشارة الى المعارف والحقائق النظرية والكتاب اشارة الى الشريعة والحكم العملية والميزان الى العمل بالعدل والسوية والحديد الى القهر ودفع شرور البرية وقيل البينات العلوم الحقيقية والثلاثه الباقية هى النواميس الثلاثة المشهورة المذكورة فى الكتب الحكمية اى الشرع والدينار المعدل للاشياء فى المعاوضات والملك وايا ما كان فهى الامور المتضمنة للكمال الشخصى والنوعى فى الدارين اذ لايحصل كمال الشخص الا بالعلم والعمل ولا كمال النوع الا بالسيف والقلم اما الاول فظاهر واما الثانى فلان الانسان مدنى بالطبع محتاج الى التعامل والتعاون لا تمكن معيشته الا بالاجتماع والنفوس اما خيرة احرار بالطبع منقادة للشرع واما شريرة عبيد بالطبع آبية للشرع فالاولى

النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المؤمنين انبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المؤمنين قالت الست تقرا المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام فى اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ثم نزل التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة ❊ وقوله تعالى ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات واربعا وخمسا وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره فى اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تأكيد فى الامر به وانه لابد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلى من حضور القلب والتأمل والفكر فى حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع فى القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

❊ فصل ❊ (خ) عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم * عن ام سلمة رضى الله عنها وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائى * وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية ابى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة الفتح فرجع فى قراءته (ق) عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال انى لاقرا المفصل فى ركعة قال عبد الله هذا كهذا الشعر ان اقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ نفع ان افضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين نغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل * عن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن اخرجه الترمذى وللنسائى عن ابى ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم * عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض

يكفيها فى السلوك طريق الكمال والعمل بالعدالة اللطف وسياسة الشرع والثانية لابد لها من القهر وسياسة الملك (ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتدو كثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون يا ايها الذين آمنوا) الايمان اليقينى (اتقوا الله) بالتجرد عن صفاتكم والتنزه عن ذواتكم (وآمنوا برسوله) بالاستقامة فى اعمالكم واحوالكم على طريق المتابعة (يؤتكم كفلين من رحمته) فى جنة النفس (ويجعل لكم نورا) من انوار الروح وتجليات الصفات فى مقام القلب (تمشون به) تسيرون به فى الصفات (ويغفر لكم) ذنوبكم

وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل لقراءته ولا يتأجله اخرجه ابوداود وزاد غيره فى رواية لايجاوز تراقيهم * عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربى والعجمى فقال اقرؤا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه اخرجه ابوداود * عن ابن مسعود قال لاتنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة * قوله تعالى ﴿ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعنى كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شىء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهى فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اى ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين فى صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا فى الوحى وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحى يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهذا اشده على فيفصم عنى وقد وعيت ماقال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد له وجهه وفى رواية كان اذا نزل عليه الوحى عرفنا ذلك فى فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم اى ينفصل عنى ويفارقنى وقد وعيت ماقال اى حفظت وقولها ليتفصد عرقا اى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة فى الالوان غبرة مع سواد * وقوله تعالى ﴿ ان ناشئة الليل ﴾ اى ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التى قبلها وقال ابن ابى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهى عبارة عن الامور التى تحدث وتنشأ فى الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هى قيام آخر الليل وقيل اوله وقيل اى ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين على بن الحسين انه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه (هى اشد وطاء) قرئ بكسر الواو ومع المد يعنى من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل اكثر مماتكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء اى اشد على المصلى واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت

ذنوب ذواتكم (والله غفور) بافناء البقيات (رحيم) بهبة الوجودات الحقانية بعد فناء الانيات (لئلا يعلم اهل الكتاب) اى المحجوبون بالرين عن الحق اوبطريق الضلالة ودين الباطل عن الصراط المستقيم ودين الحق (الا يقدرون على شىء من فضل الله) لانه موهوب لا يمكن اكتسابه (وان الفضل بيد الله) اى فى تصرفه وتحت ملكه وقدرته (يؤتيه من يشاء) موهبة لا كسبا منه (والله ذو الفضل العظيم) الذى هو نهاية الكمال والله تعالى اعلم

﴿ سورة المجادلة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظهرون منكم من نسائهم ماهن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان

صلاتهم اول الليل هى اشد وطأ يقول هى اجدر ان تحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لايدرى متى يستيقظ وقيل انت للتغيروا حفظ للقراءة من النهار وقيل هى اوطأ للقيام واسهل على المصلى من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل افرغ للقلب من النهار ولايعرض له فى الليل حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الرياء وهو قوله تعالى ﴿ واقوم قيلا ﴾ اى اصوب قراءة واصح قولا من النهار لهداة النـاس وسكون الاصوات وقيل معنـاه بين قولا بالقرآن والحاصل ان عبـادة الليل اشد نشـاطا واتم اخلاصا وابعـد عن الرياء واكثر بركة وابلغ فى الثواب وادخل فى القبول ﴿ان لك فى النهار سبحا طويلا﴾ اى تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فى حوائجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك افضل من الليل ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ اى بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح ﴿وتبتل اليه تبتيلا﴾ قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شئ سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتمـاس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد فى العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شئ واقبل على العبادة قد تبتل اى انقطع عن كل شئ الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه فى المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله انبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل فى تبتل ان يقال بتلت تبتيلا وتبتلت تبتلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لايكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لايكون منقطعا اليه الا انه لابد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه ﴿ رب المشرق والمغرب ﴾ يعنى ان التبتل والانقطاع لايليق الى الله تعالى الذى هو رب المشرق والمغرب ﴿ لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ﴾ اى فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء ﴿واصبر على مايقولون ﴾ اى من التكذيب لك والاذى ﴿ واهجرهم هجرا جميلا ﴾ اى واعتزلهم اعتزالا حسنا لاجزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ اى دعنى ومن كذبك لاتهتم به فانى اكفيكه ﴿ اولى النعمة ﴾ اى اصحاب التنعم والترفه نزلت فى صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت فى المطعمين ببدر ﴿ ومهلهم قليلا ﴾ يعنى الى يوم بدر فلم يكن الايسير حتى قتلوا ببدر وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ﴿ان لدينا﴾ اى عندنا فى الآخرة ﴿ انكالا ﴾ يعنى قيودا عظاما ثقالا لاتنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد ﴿ وجحيما وطعاما ذا غصة ﴾ اى غير سائغ فى الحلق لاينزل ولايخرج وهو الزقوم والضريع ﴿ وعذابا اليما ﴾ اى وجيعا ﴿ يوم ترجف الارض والجبال ﴾ اى تزلزل وتحرك وهو يوم القيامة ﴿ وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴾ يعنى رملا سائلا وهو الذى اذا اخذت منه شيأ تبعك مابعده ﴿ انا ارسلنا اليكم ﴾ يعنى يا اهل مكة ﴿رسولا﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿شاهدا

تماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا) باعادتهم عن مراقد الابدان (فينبئهم بما عملوا) لانتقاش صور اعمالهم فى الواح نفوسهم (احصاه الله) باثباته فى الكتب الاربعة المذكورة (ونسوه) لذهولهم عنه باشتغالهم باللذات الحسية وانهماكهم فى الشواغل البدنية (والله على كل شئ شهيد) حاضر معه رقيب (الم تر ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم) لا بالعدد والمقارنة بل بامتيازهم عنه بتعيناتهم واحتجابهم

عليكم) اى بالتبليغ وايمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى وآذاه لانه رباه (فعصى فرعون الرسول فاخذناه) اى فرعون (اخذا وبيلا) اى شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) اى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم اى فى الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وباى شئ تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم فى الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعنى شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعا وتسعين ومنكم واحد ثم قال انتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا اما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز اهل الجنة من اهل النار واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهى الاثرة فى باطن عضد الحمار وقوله انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهى ان ذلك اوقع فى نفوسهم وابلغ فى اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها واما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث فى قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثانى انه فى القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل فى شدة الامر وهوله يقال فى اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصى الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبى

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد

عنه بما هياتهم وانياتهم وافتراقهم منه بالامكان اللازم لما هياتهم وهوياتهم وتحققهم بوجوبه اللازم لذاته واتصاله بهم بهويته المندرجة فى هوياتهم وظهوره فى مظاهرهم وتستره بماهياتهم ووجوداتهم المتخصصة واقامتهما بعين وجوده وايجابهم بوجوبه فبهذه الاعتبارات هو رابع معهم ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم ولهذا قيل لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة وقال امير المؤمنين عليه السلام العلم نقطة كثرها الجاهلون (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) انما نهوا لان التناجى اتصال واتحاد بين اثنين فى امر يختص بهما لايشاركهما فيه ثالث وللنفوس عند الاجتماع والاتصال تعاضد وتظاهر يتقوى ويتأيد بعضها بالبعض فيما هو سبب الاجتماع لخاصية الهيئة الاجتماعية التى لاتوجد فى الافراد فاذا كانت شريرة يتناجون فى الشر يزداد فيهم الشر ويقوى فيهم المعنى الذى يتناجون به بالاتصال والاجتماع ولهذا ورد بعد

ان هول ذلك اليوم يجعل الولد ان شيبا حقيقة لان الطفل لاتمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة ايضا وان السماء مع عظمها تنفطر به وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به اى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اى بامره وهيبته (كان وعده مفعولا) اى كائنا لا محالة فيه ولاخلف (ان هذه) اى آيات القرآن (تذكرة) اى مواعظ يتذكر بها (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالايمان والطاعة ❋ قوله تعالى (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) اى اقل من ثلثى الليل (ونصفه وثلثه) اى تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعنى ان العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لايفوته علم مايفعلون فيعلم القدر الذى يقومون من الليل والذى ينامون منه (علم ان لن تحصوه) يعنى ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لايصيب ماامر الله به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) اى فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم مالم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلاة وذلك لان القراءة احد اجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ماتيسر عليكم وقال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن ابى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا فى اول ركعة بالحمد واول آية من البقرة ثم قام فى الثانية فقرا بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا بوجهه فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ماتيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بماتيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس وذلك فى حق الامة وثبت قيام الليل فى حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثانى ان المراد بقوله فاقرؤا ماتيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لايعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوى باسناده عن انس رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا خمسين آية فى يوم اوليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مائة آية كتب من القانتين ومن قرا مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرا خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيى الدين فى كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال فى رواية من قرأ اربعين آية بدل خمسين وفى رواية عشرين وفى رواية عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبر انك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم ارد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان اعبد الناس واقرأ القران فى كل شهر مرة قال قلت يانبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأ فى كل عشر قال قلت يانبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه فى سبع ولاتزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف

النهى (ويتناجون بالاثم) الذى هو رذيلة القوى البهيمية (والعدوان) الذى هو رذيلة القوى الغضبية (ومعصيت الرسول) التى هى رذيلة القوة النطقية بالجهل وغلبة الشيطنة الا ترى كيف نهى المؤمنين بعد هذه الآية عن التناجى بهذه الرذائل المذكورة وامرهم بالتناجى بالخيرات ليتقووا بها لهيئة الاجتماعية ويزدادوا فيها فقال (واذاجاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلاتتناجوا بالاثم والعدوان معصيت الرسول وتناجوا بالبر) اى الفضائل التى هى اضداد تلك الرذائل من الصالحات والحسنات المخصوصة بكل واحدة من القوى الثلاث (والتقوى) اى الاجتناب عن اجناس الرذائل المذكورة (واتقوا الله) فى صفات نفوسكم (الذى اليه تحشرون) بالاعرب منه عند التجرد منها (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الاباذن الله

فقال تعالى (علم ان سيكون منكم مرضى) يعنى ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عزوجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه (وآخرون يضربون الارض) يعنى المسافرين للتجارة (يبتغون من فضل الله) اى يطلبون من رزق الله وهو الربح فى التجارة (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) يعنى الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل فى النهار بالاعمال الشاقة فاولم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرا عبد الله وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله (فاقرؤا ماتيسر منه) اى من القرآن وانما اعاده للتأكيد (واقيموا الصلاة) يعنى المفروضة (وآتوا الزكوة) اى الواجبة (واقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق (وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) اى ثوابه واجره (هو خيرا واعظم اجرا) يعنى ان الذى قدمتم لانفسكم خير من الذى اخرتموه ولم تقدموه وروى البغوى بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يارسول الله مامنا احد الاماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ماتقولون قالوا مانعلم الاذلك يارسول الله قال مامنكم رجل الامال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يارسول الله انما قال مال احدكم ماقدم ومال وارثه مااخر (واستغفروا الله) اى لذنوبكم وتقصيركم فى قيام الليل (ان الله غفور رحيم) اى بجميع الذنوب الله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المدثر ﴾

﴿ وهى مكية قيل غير آية من آخرها وهى ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة والف حرف وعشرة احرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (ياايها المدثر) (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت اباسلمة بن عبد الرحمن عن اول مانزل من القرآن قال ياايها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال ابو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذى قلت فقال لى جابر لااحدثك الا ماحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم ارشيأ ونظرت عن شمالى فلم ارشيأ ونظرت خلفى فلم ارشيأ فرفعت رأسى فرايت شيأ فاتيت خديجة فقلت دثرونى فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت ياايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفى رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادى وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش فى الهواء يعنى جبريل فاخذتنى رجفة شديدة ( )عن جابر رضى الله عنه من رواية الزهرى عن ابى سلمة عنه قال سمعت رسول الله

وعلى الله فليتوكل المؤمنون ياايها الذين آمنوا اذاقيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) اى افسحوا من ضيق التنافس فى الجاه والنخوة فانه من الهيآت النفسانية واستيلاء القوة السبعية وركود النفس فى ظلمة الانية واحتجابها عن الانوار القلبية والروحية فتنزهوا عنها يفسح الله لكم بالتجريد عن الهيآت البدنية والامداد بالانوار فتنشرح صدوركم وتنفسح ويتسع مكانكم فى فضاء عالم القدس (واذاقيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم) الايمان اليقينى (والذين اوتوا العلم) اى علم افات النفس ودقائق الهوى وعلم التنزه منها بالتجريد (درجات) من الصفات القلبية والمراتب الملكوتية والجبروتية فى عالم الانوار (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم ويعاقبكم بتلك الهيآت (ياأيها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) لان الاتصال بالرسول فى امر خاص لايكون الالقرب روحانى او مناسبة قلبية اوجنسية

راسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلي وذكره وفيه قال ابو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي بعد وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين ايضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرا باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة وقول من قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن على الاطلاق ضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه ايضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا قوله ثم حمي الوحي بعد وتتابع فالصواب ان اول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرا باسم ربك الذي خلق وان اول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله اعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي اي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي بعد وتتابع اي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرهما وقوله وصبوا علي ماء فيه انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله اعلم ٭ واما التفسير فقوله عز وجل يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل معناه يا ايها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا ﴿ قم فانذر ﴾ اي حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته ﴿ وربك فكبر ﴾ اي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان ﴿ وثيابك فطهر ﴾ فيه اربعة اوجه احدها ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثاني ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز ٭ اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين ٭ الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك

نفسانية واياما كان وجبت الصدقة اما الاول والثاني فيجب فيهما تقديم الانسلاخ عن الافعال والصفات والتجرد عن الخارجيات من الا والاموال سباب وقطع التعلقات المسمى بالترك ثم محو الآثار والهيآت الباقية منها في النفس المسمى بالتجريد عندهم ثم قطع او النظر عن افعاله صفاته والترقي الى مقام الروح في الاول والى مقام القلب في الثاني حتى يصفو له مقام التناجي الروحي مع النبي في الاسرار الالهية والمسارة القلبية في الامور الكشفية ولهذا قال ابن ع ر رضي الله عنه كان لعلي عليه السلام ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى واما الثالث فيجب فيه تقديم الخيرات ببذل الاموال شكر التلك النعمة حتى تبقى وتزيد ﴿ ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا ﴾ في الاولين للتخلف عن المقامين بالوقوف مع النفس وفي الثالث لشح النفس والفقر ﴿ فان الله غفور ﴾ للصفات النفسانية بانوار صفاته

فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب * الوجه الثالث معناه حل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه * الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لاتلبسها على معصية ولا غدرا اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى

وانى بحمد الله لاثوب فاجر * لبست ولامن غدرة اتقنع

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه ادنس الثوب والسبب فى ذلك ان الثوب كالشئ الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما قال الكرم فى ثوبه والعفة فى ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره * وقوله تعالى ﴿ والرجز فاهجر ﴾ يعنى اترك الاوثان ولاتقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال ﴿ ولاتمنن تستكثر ﴾ يعنى لاتعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهى مختص بالنبى صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيأ لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وان يتواضع لذلك الذى اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود فى حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما ربا آن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لاتعط شيأ لمجازاة الدنيا اعط لله واردبه وجه الله وقيل معناه لاتمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكاثرن عملك فى عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لاتمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من امر الوحى كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لاتمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به وقيل معناه لاتمنن لاتضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لاتمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل ﴿ ولربك فاصبر ﴾ اى على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله ﴿ فاذا نقر فى الناقور ﴾ اى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهى النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح ﴿ فذلك يومئذ ﴾ يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة ﴿ يوم عسير ﴾ اى شديد ﴿ على الكافرين ﴾ يعنى يعسر عليهم فى ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم ﴿ غير يسير ﴾ اى هين فان قلت مافائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لايسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين * قوله تعالى ﴿ ذرنى ومن خلقت

وحيدا ﴾

(رحيم) بافاضة انوار التجليات والمشاهدات والمعارف والمكاشفات الموجبة لوجدان تلك الصدقة فى الاولين او فتور لرذيلة الشح وكربة الفقر رحيم بالتوفيق لاكتساب الفضيلة وتيسيرها واعطاء المال فى الثالث وكذا الاشفاق والتوبة انما يكونان لما ذكرتم امر عا زيل التخلف المذكور ورذيلة الشح وشدة الفقر اذ بصلاة الحضور والمراقبة فى مقام القلب يحصل الاول وبزكاة الترك والتجريد يحصل الثانى وبطاعة الله ورسوله فى الاعمال الخيرية يحصل الثالث لان الخير عادة وببركة الطاعة ينتفى الفقر لحصول الاستغناء بالله قال الله تعالى من اصلح امر آخرته اصلح الله امر دنياه (ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولامنهم) لان الموالاة لاتكون ثابتة حقيقة الا مع الجنسية والمناسبة فان كانت وجب

وحيدا) اى خلقته فى بطن امه وحيدا فريدا لامال له ولاولد وقيل معناه خلقته وحدى
لم يشاركنى فى خلقه احد والمعنى ذرنى واياه فانا اكفيكه نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة
المخزومى وكان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) اى كثيرا يمد بعضه بعضا دائما
غير منقطع وقيل مايمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه فقيل كان الف
دينار وقيل اربعة آلاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه
كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان
بالطائف لاتنقطع ثماره شتاء ولاصيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) اى حضورا
بمكة لايغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا اى
رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة
وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا)
اى بسطت له فى العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة فى قومه وكان الوليد من
اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش (ثم يطمع) اى يرجو (ان ازيد) اى ازيده مالا
وولدا تمهيدا (كلا) اى لاافعل ولاازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان
ماله وولده حتى هلك (انه كان لآياتنا عنيدا) اى معاندا والمعنى انه كان معاندا
فى جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكرا للكل وقيل كان كفره
كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر وافحشه (سارهقه
صعودا) يعنى سأكلفه مشقة من العذاب لاراحة له فيها * وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة فى النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا
ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى باسناد
الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سارهقه صعودا قال هو جبل من
نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت
وقال الكلبى الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الكافر ان يصعدها لايترك يتنفس فى صعوده
يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها فى اربعين
عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه
فذلك دأبه ابدا * قوله عز وجل (انه فكر وقدر) اى فكر فى الامر الذى يريده ونظر فيه
وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اى وقدر ذلك الكلام
فى قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم الى قوله المصير قام النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه
يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى
مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا
من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما
يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال ابوجهل انا

ازالتها والاوجب الاحتراز
من سرايتها بالصحبة والموالاة
وانما تمكن الموالاة مع عدمها
اذا كانت بسبب خارجى
من نفع اولذة زالت بزواله
والا لما امكنت ولهذا نفى
الموالاة الحقيقية بينهم بنفى
موجبها فقال ماهم منكم
انما هى محض النفاق
(ويحلفون على الكذب
وهم يعلمون اعد الله لهم
عذابا شديدا انهم ساءما
كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم
جنة فصدوا عن سبيل الله
فلهم عذاب مهين لن تغنى
عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيأ اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم ويحسبون
انهم على شئ الا انهم هم
الكاذبون استحوذ عليهم
الشيطان) اى الوهم
(فأنساهم ذكر الله) بتسويل
اللذات الحسية والشهوات
البدنية لهم وتزيين الدنيا
وزبرجها فى اعينهم (اولئك
حزب الشيطان الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون
ان الذين يحادون الله
ورسوله اولئك فى الاذلين
كتب الله لاغلبن انا ورسلى
ان الله قوى عزيز لاتجد
قوما يؤمنون بالله واليوم

اكفيكموه فانطلق حتى جاس الى جنب الوليد خزينا فقال له الوليد مالى اراك حزينا يا ابن اخى فقال وما يمنعنى ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابى كبشة وابن ابى قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابى جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط فالوا اللهم لا قال تزعون انه كاهن فهل رايتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر فى نفسه ثم قال ماهو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر اى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر فى نفسه ماذا يمكنه ان يقول فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) اى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على اى حال قدر من الكلام (ثم نظر) اى فى طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) اى كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر فى شئ يدبره (ثم ادبر) اى عن الايمان (واستكبر) اى حين دعى اليه (فقال ان هذا) اى الذى يقوله محمد ويقرؤه (الا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعنى يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى (سأصليه) اى سأدخله (سقر) هو اسم من اسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما ادراك ماسقر) اى وما اعلمك اى شئ هى سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لا تبقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صدعنى واعرض عنى وقيل لابد من الفرق والالزم التكرار وقيل معناه لا تبقى احدا من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحوم اولئك شيأ الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اى لا تبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهى لا تبقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة اى مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) اى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء فى الآثار اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع من ابن ابى كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعنى الشجعان افتعجز كل عشرة منكم ان تبطش بواحد منهم يعنى خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة بن خلف الجمحى انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى انتم اثنين وروى عنه انه قال انا امشى بين ايديكم

الآخر) الايمان اليقينى (يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) لان المحبة امر روحانى فاذا ايقنوا وعرفوا الحق واهله غلبت قلوبهم وارواحهم نفوسهم واشباحهم فمسخت المحبة الرحانية والمناسبة الحقيقية بينهم وبين الحق واهله المحبة الطبيعية المستندة الى القرابة واتصال اللحمة لان الاتصال الروحانى اشد واقوى والذوا صفى من الطبيعى (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان) بالكشف واليقين المذكر للعهد الاول الكاشف عنه (وايدهم بروح منه) لاتصالهم بعالم القدس او بنور تجلى الذات (ويدخلهم جنات) من الجنان الثلاث (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) انهار علوم التوحيد والتشريع (رضى الله عنهم) بمحو صفاتهم بصفاته بنور التجلى (ورضوا عنه) بالاتصال بصفاته (اولئك حزب الله) السابقون الذين لا يلتفتون الى غيره ولا يثبتونه (الا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بالكمال المطلق

على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار وتمضي فندخل الجنة فأنزل الله تعالى (وماجعلنا اصحاب النار الاملائكة) يعني الارجالا آدميين فمن ذايغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة (وماجعلنا عدتهم) اى عددهم في القلة (الافتنة للذين كفروا) اى ضلالة لهم حتى قالوا ماقالوا وقيل فتنتهم هي قولهم لم لم يكونوا عشرين وماالحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هي قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن افعال الله تعالى لاتعلل ولايقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الآحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لهذه الحكمة وماسوى ذلك من الاعداد فكثير لايدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة مايقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شيء قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) يعني ان هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل انهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعني من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا في كتابهم واخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ماعندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) اى ولايشك (الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) يعني في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من اهل الكفر والنفاق (وليقول الذين في قلوبهم مرض) اى شك ونفاق (والكافرون) اى مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فأخبره الله بما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) يعني اى شيء اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اى غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا (كذلك) اى كما اضل من انكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال (وما يعلم جنود ربك الا هو) هذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل

﴿ سورة الحشر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما في السموات ومافي الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) اى نظر بنظر القهر اليهم فتأثروا به لاستحقاقهم لذلك ومخالفة الحبيب ومشاقته ومضادته ولوجود الشك في قلوبهم وكونهم على غير بصيرة من امرهم وبينة من ربهم اذ لوكانوا اهل يقين ماوقع الرعب في قلوبهم ولعرفوا رسول الله بنور اليقين وآمنوا به فلم يخالفوه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) لانه متحقق بالله فكل ما امر به

كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وماهى) يعنى النار (الا ذكرى للبشر) اى الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها (كلا) اى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفى اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذا دبر) اى ولى ذاهبا وقيل ادبر بمعنى اقبل تقول العرب ادبرنى فلان اى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار (والصبح اذا اسفر) اى اضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبرى) يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ماانذر بشئ ادهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه ياايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر (لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) اى يتقدم فى الخير والطاعة او يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن اوكفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ماشئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتأخر * قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) اى مرتهنة فى النار بكسبها ومأخوذة بعملها (الا اصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذى عليه واختلفوا فى اصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وقيل هم الذين كانوا ميامين اى مباركين على انفسهم وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (فى جنات) اى هم فى بساتين (يتساءلون عن المجرمين) اى يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم (ماسلككم فى سقر) قيل وهذا يقوى قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التى توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ماسلككم اى يقول المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ماسلككم اى ادخلكم وقيل ماحبسكم فى سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع (قالوا) مجيبين لهم (لم نك من المصلين) اى لله فى الدنيا (ولم نك نطعم المسكين) اى لم نتصدق عليه (وكنا نخوض مع الخائضين) اى فى الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) اى بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة (حتى اتانا اليقين) يعنى الموت قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون

فهو امر الله وما نهى عنه نهى الله لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (للفقراء المهاجرين) اى التاركين المجردين المهاجرين عن مقام النفس (الذين اخرجوا) اى اخرجهم الله اذ لو خرجوا بنفوسهم لاحتجوا بها وبرؤية الترك والتجريد فوقعوا فى مقام النفس مع حجاب العجب الذى هو اشد من الذنب (من ديارهم واموالهم) من مواطنهم ومألوفاتهم اى صفات نفوسهم ومعلوماتهم (يبتغون فضلا من الله) من العلوم والفضائل الخلقية (ورضوانا) من الاحوال والمواهب السنية من انوار تجليات الصفات (وينصرون الله ورسوله) ببذل النفوس لقوة اليقين (اولئك هم الصادقون) فى الايمان اليقينى لتصديق اعمالهم دعواهم اذ علامة وجدان اليقين ظهور اثره على الجوارح بحيث لا تمكن حركاتها الا على مقتضى شاهدهم من العلم (والذين تبوؤا الدار والايمان) اى المقر الاصلى الذى هو الفطرة الاولى والعهد

روى البغوى بسنده عن انس رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول للرجل منهم يافلان فيقول ماتريد فيقول اماتذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يافلان فيقول ماتريد فيقول اما تذكر رجلا وهب لك وضوا يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (فمالهم عن التذكرة معرضين) اى عن مواعظ القرآن (كانهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرئ بالكسر اى نافرة وقرئ بالفتح اى منفرة مذعورة محمولة على النفار (فرت من قسورة) قيل القسورة جماعة الرماة لاواحد له من لفظه وهى رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هى حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابوهريرة هى الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر فى البلادة والبله وذلك انه لايرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شئ (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يامحمد بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك (كلا) اى لايؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات (بل لايخافون الآخرة) اى لايخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لوخافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت (كلا) اى حقا (انه تذكرة) يعنى انه عظة عظيمة (فمن شاء ذكره) اى اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه (ومايذكرون الا ان يشاء الله) اى الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا (هو اهل التقوى واهل المغفرة) اى هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ماسلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان تتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه * عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقانى فلم يجعل معى الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده سهيل بن عبدالله القطيعى وليس بالقوى فى الحديث وقد تفرد به عن ثابت والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة القيامة مكية ﴾

وهى اربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (لااقسم بيوم القيامة) اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا فى لفظ لافقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض فى كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس

الاول الذى هو محل الايمان وموطنه ولهذا قرنه به فان النفس موطن الغربة (من قبلهم) اى من قبل هجرة المهاجرين من دار الغربة التى هى النفس اليها لان هذه الدار هى الدار الاصلية المتقدمة على ديارهم ولهذا قال عليه السلام حب الوطن من الايمان فهم الذين لم يسقطوا عن الفطرة ولم يحتجبوا بحجاب النفس فى النشأة وبقوا على صفائها بخلاف الاولين الذين تكدروا وتغيروا ثم رجعوا الى الصفاء بالسير والسلوك (يحبون من هاجر اليهم) لوجود الجنسية فى الصفاء وتحقق المناسبة الاصلية والقرابة الحقيقية بالوفاء وتذكر العهد السابق بالموافقة فى الدين والاخاء (ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا) اوتى المهاجرون من الحظوظ لسلامة قلوبهم عن آفات النفوس وطهارتها عن دواعى الحرص وتنزهها عن محبة الحظوظ وتيقنها بالاقسام (ويؤثرون على انفسهم) لتجردهم وتوجههم الى جناب القدس وترفعهم عن مواد الرجس وكون

ولاوابيك ابنة العامرى لايدعى القوم انى افر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ماذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الردمع اثباتها وقيل انها صلة كقول الله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في اوله واجيب عنه بان القرآن في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لارد لكلام المشركين المنكرين للبعث اى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هى للنفى والمعنى في ذلك كانه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوى في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك ❊ وقوله ﴿ ولا اقسم بالنفس اللوامة ﴾ قيل هى التى تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هى التى تندم على مافات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول ياليتنى لم افعل وقال الحسن هى نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت باكلى وان الكافر يمضى ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هى النفس الشريفة التى تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشريفة التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هى النفس الشقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيامة فتقول ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت اى مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة تظهر احوال النفس اللوامة من الشقاوة او السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكانه قال اقسم بيوم القيمة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى ﴿ ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ﴾ وقيل جواب القسم قوله ﴿ بلى قادرين على ان نسوى بنانه ﴾ ومعنى ايحسب الانسان ايظن هذا الكافر ان العظام

الفضيلة لهما امرا ذاتيا باقتضاء الفطرة وفرط محبة الاخوان بالحقيقة والاعوان في الطريقة ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ فتقديمهم اصحابهم على انفسهم لمكان الفتوة وكمال المروة واقوة التوحيد والاحتراز عن حظ النفس وخوف الرجوع الى المطالب الجزئية بعد وجدان الذوق من المطالب الكلية ﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ بعصمة الله وكلاءته فان النفس مأوى كل شر وموصف ردئ وموطن كل رجس وخلق دنئ والشح من غرائزها المعجونة في طينتها لملازمتها الجهة السفلية ومحبتها الحظوظ الجزئية فلا ينتفى منها الا عند انتفائها ولكن المعصوم من تلك الآفات والشرور من عصمه الله ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ بالكمالات القلبية ﴿ والذين جاؤا من بعدهم ﴾ بعد الذين هاجروا الى الفطرة اى اخذوا في السلوك وقطع منازل النفس متضرعين قائلين بلسان الافتقار ﴿ يقولون ربنا اغفر لنا ﴾ هيآت الرذائل وصفات النفوس بأنوار القلوب ﴿ ولاخواننا الذين

بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها فى اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اى لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر باله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابداء قادر على الاعادة نزلت هذه الآية فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة وهو ختن الاخنس ابن شريق الثقفى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنى جارى السوء يعنى عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثنى متى تكون القيامة وكيف امرها وحالها فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم فقال عدى بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن بك او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعنى هذا الكافر ان لن نجمع عظامه يعنى بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفوس ولا يستوى الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق هذا قول المنكر او يجمع الله العظام بلى قادرين يعنى على جمع عظامه وتأليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوى بنانه يعنى انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه اظن الكافر ان لن نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى تستوى البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه آخر ما يتم به الخلق * قوله تعالى ﴿ بل يريد الانسان ليفجر امامه ﴾ اى ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصى ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق ﴿ يسئل ايان يوم القيامة ﴾ اى متى يكون يوم القيامة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعدا لقيام الساعة قال الله تعالى ﴿ فاذا برق البصر ﴾ اى شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التى كان يكذب بها فى الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق ادا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق اى شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ ﴿ وخسف القمر ﴾ اى اظلم وذهب ضوءه ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ يعنى اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فهناك نار الله الكبرى ﴿ يقول الانسان ﴾ يعنى الكافر المكذب ﴿ يومئذ ﴾ اى يوم القيامة ﴿ اين المفر ﴾ اى المهرب وهو موضع الفرار ﴿ كلا ﴾ اى لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله ﴿ لا وزر ﴾ اى لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزرومنه قول كعب بن مالك

الناس الب علينا فيك ليس لنا * الا السيوف واطراف القنا وزر

سبقونا بالايمان) ذنوب التلوينات بظهور تلك الصفات والضلالة بعد الهدى (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) بالاحتجاب بالهيآت السبعية والشيطانية ورسوخها فى قلوبنا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف) تستر تلك الهيآت بأنوار الصفات (رحيم) بافاضة الكمالات وارادة التجليات (الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم و لئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون)لاحتجابهم بالخلق عن الحق بسبب جهلهم بالله وعدم معرفتهم له اذ لو عرفوه لعلموا ان لا مؤثر غيره و شعروا بعظمته وقدرته ولم يبق عظم الخلق ولا اثرهم وقدرهم عندهم كما قال امير المؤمنين عليه السلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق

ومعنى الآية انه لاشئ يعصمهم من امرالله تعالى لاحصن ولاجبل يوم القيامة يستندون اليه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) يعنى مستقر الخلق وقال عبدالله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اى موضع قرارهم من جنة اونار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة برحته ومن شاء ادخله النار بعدله (ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح اوسيئ وما اخر بعد موته من سنة حسنة اوسيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله وآخره وهو ماعمله فى اول عمره وفى آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله اورثته (بل الانسان على نفسه بصيرة) اى بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهى سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء فى البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفى رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة (ولو القى معاذيره) يعنى ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه مايكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفى مايعمل فان نفسه شاهد عليه وفى هذا فى حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل فى الدنيا ❊ قوله عز وجل (لاتحرك به لسانك لتعجل به) (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل لاتحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما اقرأه وفى رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى وقال فيه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التى فى لا أقسم بيوم القيامة لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا ان نجمعه فى صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذ اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفى رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه اى نجمعه فى صدرك وقرآنه اى تقرأه ومعنى الآية لاتحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اى باخذه (ان علينا جمعه) اى جمعه فى صدرك وحفظك اياه (وقرآنه) اى وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يامحمد بحيث تصير لاتنساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) اى لاتكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحى

في عينك (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد) لكونهم غير مقهورين هناك بقهر الله ولاواقعا ظل قهر الرسول وهيبته وعكس نور تأييده وتنور نفسه بالاتصال بعالم القدس عليهم (تحسبهم جميعا) لاتفاقهم فى الظاهر (وقلوبهم شتى) لانتفاء الجمعية الحقيقية بنور التوحيد عنها وتجاذب دواعيها لتفنن تعلقاتها بالامور السفلية وتفرقها عن الحق بالباطل لاحتجابها بالكثرة عن الوحدة (ذلك بأنهم قوم لايعقلون) فيختارون طريق التوحيد العقلى ويتنحون عن السبل المتفرقة الوهمية فان طريق العقل واحد وطرق شيطان الوهم متفرقة وتشتت القلوب يوهن العزائم ويضعف القوى (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين) اى مثل اخوانهم المنافقين فى اغوائهم كمثل الشيطان اى الوهم

ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾ اى ان نبينه بلسانك فتقرأه كما اقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شئ من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان مافيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شئ سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك ❊ قوله تعالى ﴿ ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ اى تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة ﴿ وجوه يومئذ ﴾ اى يوم القيامة ﴿ناضرة﴾ من النضارة وهي الحسن وقال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم ﴿ الى ربها ناظرة ﴾ قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امر لها به وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لاتقول نظرت الى الشئ بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اى انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة * للورد طال بها حوزي وتنساسي

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكر فيه وتدبرا بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون ان يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

﴿ فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة ﴾ قال علماء اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها في الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لايراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة وقيل

الانساني ازين للانسان حال كونه على الفطرة اللذات الحسية والشهوات البدنية وحرضه على مخالفة العقل بالهوى والاحتجاب بالطبيعة ليقع في الردى فلما احتجب بها عن الحق وانغمس في ظلمة النفس تبرأ منه بادراك المعاني دونه والتقرب الى جناب الحق بالترقي الى الافق الاعلى والاطلاع على بعض الصفات الالهية واستشعار الخوف بادراك آثار العظمة والقدرة وانوار الربوبية (فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها) لكونهما جسمانيين ملازمين للطبيعة ونيرانها المتفننة وآلامها المتنوعة (وذلك جزاء الظالمين) الذين وضعوا العبادة غير موضعها فعبدوا صنم الهوى وطاغوت البدن واتخذوا آلهتهم اهواءهم (ياايها الذين آمنوا) الايمان الغيبي التقليدي (اتقوا الله) في اجتناب المعاصي والسيآت والرذائل واكتساب الحسنات والطاعات والفضائل (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) لما بعد الموت من الصالحات (واتقوا الله) في الاحتجاب بالاعراض

باق شبههم واجوبتها مشهورة مستفاضة فى كتب الكلام و ليس هذاموضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئى ولاغير ذلك واما الاحاديث الواردة فى اثبات الرؤية فمنها ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذى وقال هذاحديث غريب وقال وقدروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير ابن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذاالقمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لاتضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لاينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لاينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لاتشبيه المرئى بالمرئى * عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان اناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لايارسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لايارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه الترمذى وليس عنده فى اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقدروى مثل هذا الحديث عن ابى سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد اخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد * عن ابى رزين العقيلى قال قلت يارسول الله اكلنا يرى ربه مخليابه يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال ياابارزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليابه قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابوداود (م) عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيأ ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث فى الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم * قوله عزوجل (ووجوه يومئذ باسرة) اى عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما ادركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار (تظن) اى تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (ان يفعل بها فاقرة) ان يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذى يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هى ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) اى حقا (اذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

والاعراض وتوسيط الحق للشهوات (ان الله خبير بما تعملون) بأعمالكم ونياتكم فيجازيكم بحسبها كما قال عليه السلام لكل امرئ مانوى او آمنوا الايمان التحقيق اتقوا الله فى الاحتجاب عنه بأفعالكم وصفاتكم ولتنظر نفس ماقدمت لغد من محقرات الاعمال والصفات فانها حجب حاجزة ووسائل مردودة مذمومة واتقوا الله فى البقيات والتلوينات فان الله خبير بما تعملون بنفوسكم وما تعملون به لابنفوسكم (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) بالاحتجاب بالشهوات الجسمانية والاشتغال باللذات النفسانية (فأنساهم انفسهم) حتى حسبوها البدن وتركيبه ومزاجه فذهلوا عن الجوهرة القدسية والفطرية النورية (اولئك هم الفاسقون) الذين خرجوا عن الدين القيم الذى هو فطرة الله التى فطر الناس عليها وخانوا وغدروا وجاسوا ونبذوا عهد الله وراء ظهورهم فخسروا (لا يستوى) الناسون الغادرون الذين هم (اصحاب

ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقى

(وقيل) يعنى وقال من حضره (من راق) اى هل من طبيب يرقيه ويد اويه مما انزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب (وظن) اى ايقن الذى بلغت روحه التراقى (انه الفراق) يعنى الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد (والتفت) اى اجتمعت (الساق بالساق) اى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لايخرج من كرب الاجاء ماهو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الآخرة وكان فى آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا فى الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الاتراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى (الى ربك يومئذ المساق) اى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم * قوله تعالى (فلا صدق ولا صلى) يعنى اباجهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) اى اعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى اهله يتمطى) اى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل اصله يتمطط اى يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه (اولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يليه مايكرهه وقيل معناه انك اجدر بهذا العذاب واحق واولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية اخذ بمجامع ثوب ابى جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فأولى (ثم اولى لك فأولى) قال فقال ابوجهل اتوعدنى يامحمد والله ماتستطيع انت ولاربك ان تفعلابى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اشد وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابوجهل (ايحسب الانسان ان يترك سدى) اى هملا لايؤمر ولاينهى ولايكلف فى الدنيا ولايحاسب فى الآخرة (الم يك نطفة) اى ماء قليلا (من منى يمنى) اى يصب فى الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقة) اى صار الانسان علقة بعد النطفة (فخلق فسوى) اى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه (فجعل منه) اى من الانسان (الزوجين) اى الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والانثى) اى خلق من مائه اولادا ذكورا واناثا (اليس ذلك) اى الذى فعل هذا وانشأ الاشياء اول مرة (بقادر على ان يحيى الموتى) اى بقادر على اعادته بعد الموت * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لااقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل

النار) المؤمنون المحققون المتقون الموفون بعهدهم الذين هم (اصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون) والخاسرون لفرط غفلتهم وذهاب تمييزهم كانهم لايفرقون بين الجنة والنار والا لعملوا بمقتضى تمييزهم (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) اى قلوبهم اقسى من الحجر فى عدم التأثر والقبول اذ الكلام الالهى بالغ من التأثير مالا امكان للزيادة وراءه حتى لوفرض انزاله على جبل لتأثر منه بالخشوع والانصداع (هو الله الذى لااله الاهو) لما كان الاسلام مبنيا على الجمع والتفصيل كثر تكرارهما فى المبانى اى لااله فى الوجود الا هو فجمع ثم فصل بقوله (عالم الغيب والشهادة) والعلم مبدأ التفصيل اذ عالميته هى تميز الحقائق واعيان الماهيات فى عين الجمع اى صور الماهيات فى عالم الغيب عن عالميته ووجوداتها فى عالم الشهادة هى بعينها ظهرت فى مظاهر محسوسة لابمعنى الانتقال بل بمعنى الظهور

بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله اخرجه ابوداود * وله عن موسى بن ابى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة هل اتى وتسمى سورة الانسان ايضا ﴾

وهى مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكى ومدنى فالمكى منها قوله ولا تطع منهم آثما اوكفورا وباقيها مدنى قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدنى من اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكى حكاه الماوردى وهى احدى وثلاثون آية ومائتان واربعون كلمة والف اربعة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ هل اتى ﴾ اى قد اتى ﴿ على الانسان ﴾ يعنى آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ حين من الدهر ﴾ يعنى مدة اربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن انس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم فى الجنة تركه ماشاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما رآه اجوف عرف انه خلق لايتمالك قوله يطيف به اى يدور حوله فلما رآه اجوف اى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف انه خلق لايتمالك اى لايملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لايملك دفع الوسواس عنه وقيل لايملك نفسه عند الغضب وروى فى تفسير الآية ان آدم بقى اربعين سنة طينا واربعين سنة حمأ مسنونا واربعين سنة صلصالا كالفخار ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ﴿ لم يكن شيأ مذكورا ﴾ اى لايذكر ولا يعرف ولايدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيأ ولم يكن شيأ يذكر روى عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعنى ليته بقى على ما كان عليه وروى نحوه عن ابى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان وهم بنو آدم بدليل قوله ﴿ انا خلقنا الانسان ﴾ فالانسان فى الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيأ مذكورا يعنى انهم كانوا نطفا فى الاصلاب ثم علقا ومضغا فى الارحام لم يذكروا بشئ انا خلقنا الانسان يعنى ولد آدم ﴿ من نطفة ﴾ اى من منى الرجل ومنى المرأة ﴿ امشاج ﴾ اى اخلاط قال ابن عباس وغيره يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقيل هى نطفة مشجت اى خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج ﴿ نبتليه ﴾

والبطون كظهور الصورة المعلومة على القرطاس بالكتابة فكل ما ظهر فمن علمه السابق ظهر (هو الرحمن) بافاضة وجودات الماهيات وصورها النوعية على المظاهر باعتبار البداية (الرحيم) بافاضة كمالاتها فى النهاية ثم كرر التوحيد الذاتى باعتبار الجمع لينبه على ان هذه الكثرة المعتبرة باعتبار تفاصيل الصفات لاتنافى وحدته الذاتية كالاضافيات والسلبيات المعدودة بعده (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) اى الغنى المطلق الذى يحتاج اليه كل شئ المدبر للكل فى ترتيب النظام الحكمى الذى لايمكن كون اتم واكمل منه (القدوس) المجرد عن المادة وشوائب الامكان فى جميع صفاته فلا يكون شئ من صفاته بالقوة وفى وقت دون وقت (السلام) اى المبرأ عن النقائص كالعجز (المؤمن) لاهل اليقين بانزال السكينة (المهيمن) الحافظ لمن امنه على حالة الامن من كل مخوف (العزيز) القوى الذى يغلب ولا يغلب (الجبار) الذى يجبر كل

اى لنختبره بالامر والنهى (فجعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبليه لان الابتلاء لايقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه اناخلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه مايصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها (انا هديناه السبيل) اى بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لايطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وانزال الكتب (اما شاكرا واما كفورا) يعنى اما موحدا طائعا لله واما مشركا بالله فى علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل فى معنى الآية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء اى بينا له الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذى يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذى لايقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ماللفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر فقال تعالى (انا اعتدنا) اى هيأنا فى جهنم (للكافرين سلاسل) اى يشدون بها (واغلالا) اى فى ايديهم تغل بها الى اعناقهم (وسعيرا) يعنى وقودا لاتوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى (ان الابرار) يعنى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع فى الطاعة (يشربون من كأس) يعنى فيها شراب (كان مزاجها كافورا) قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال اهل المعانى اراد كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لايشرب وقال ابن عباس هو اسم عين فى الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التى تسمى كافورا ولايكون فى ذلك ضرر لان اهل الجنة لايمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ماعنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل (عينا) بدلا من الكافور وقيل اعنى عينا (يشرب بها) اى يشرب منها (عباد الله) قال ابن عباس اولياء الله (يفجرونها تفجيرا) اى يقودونها الى حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لايمتنع عليهم * قوله تعالى (يوفون بالنذر) لما وصف الله تعالى ثواب الابرار فى الاخرة وصف اعمالهم فى الدنيا التى يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا فى الدنيا يوفون بالنذر والنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر فى عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيأ ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله على كذا وكذا من صدقة او صلاة او صوم او حج او عمرة يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضى او قدم غائبى كان لله على كذا واو نذر فى معصية لايجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصى الله فلا يف به وفى رواية فليطعه ولايعصه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانذر فى معصية الله

احد على ماأراد (المتكبر) المتعالى عن ان يصل اليه غيره ويقارنه فى الوجود (سبحان الله عما يشركون) باثبات الغير (هو الله الخالق) المقدر المظاهر على حسب ماأراد ظهوره من اسمائه وصفاته (البارئ) المفصل المميز بعضها عن بعض بالهيآت المتميزة فى عين ذاته (المصور) لصورة تفاصيل مظاهر صفاته (له) هذه (الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الظاهرة فى صور المخلوقات المصورة الباطنة فى صور المبدعات الغيبية ليسبح ذاته على لسان اسمائه وصفاته والله اعلم

﴿ سورة الممتحنة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) عدو الله هو الذى خالف عهده واعرض بقلبه عن جنابه فبالضرورة يكون مشركا بمحبة الغير وعدوا للكل والموحد ينفى الغير لكون كل منهما فى عدوة حينئذ ولهذا قال (عدوى وعدوكم) واشار الى كون الموالاة بينهما عرضيا لاذاتيا بقوله

وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذى وابوداود والنسائى (ق) عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفى الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة فى وصفهم باداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ﴿ ويخافون يوما كان شره مستطيرا ﴾ اى منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه فى اهل السموات واهل الارض وفى اولياء الله واعدائه وقيل فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفى الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته ❊ قوله عز وجل ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ اى حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يؤثرون غيرهم على انفسهم بالطعام ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اى لحب الله ﴿ مسكينا ﴾ يعنى فقيرا وهو الذى لا مال له ولا يقدر على الكسب ﴿ ويتيما ﴾ اى صغيرا وهو الذى لا اب له يكتسب له وينفق عليه ﴿ واسيرا ﴾ قيل هو المسجون من اهل القبلة يعنى من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله بالاسرى ان يحسن اليهم وان اسرهم يومئذ اهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرى وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المرأة لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان يعنى اسرى وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاءه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقى له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروى عن ابن عباس انها نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وذلك انه عمل ليهودى بشئ من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلحوا منه شيأ يأكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثانى فلما فرغ اتى يتيم فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقى فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسأل فاعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل من اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه ﴿ انما نطعمكم لوجه الله ﴾ اى لاجل وجه الله تعالى ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدى بهم غيرهم فى ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لا يراد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافأة او لطلب الحمد من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴿ انا نخاف من ربنا يوما ﴾ يعنى ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم ﴿ عبوسا ﴾ وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما قال نهاره صائم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من قوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة ﴿ قمطريرا ﴾ يعنى شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه

(تلقون اليهم بالمودة) ثم بين امتناع كونه ذاتيا ببيان المنافاة الذاتية بينهما وعدم المناسبة والجنسية من جميع الوجوه بقوله (وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) ثم اشار الى ان وقوعها لا يكون الا عند الجنسية وحدوث الميل الى الشرك فان وقعت فلابد منها بقوله (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) اى طريق الوحدة ثم اشار الى ان العرضية لا يجوز ان يختارها اهل التحقيق لان السبب الموجب لها امور فانية لا يبقى نفعها الا فى الدنيا والعاقل يجب ان يختار الامور الباقية دون الفانية بقوله (ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم) اى لا تنفع لمن اخترتم موالاة العدو الحقيقى لاجله لان القيامة الصغرى مفرقة

بالتعبس وقيل العبوس الذي لاانبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد مايكون من الايام والطوله في البلاء (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) اى الذي يخافونه (ولقاهم نضرة) اى حسنا في وجوههم (وسرورا) اى في قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) اى على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار (جنة وحريرا) اى ادخلهم الجنة والبسهم الحرير (متكئين فيها) اى في الجنة (على الارائك) جمع اريكة وهى السرر في الحجال ولاتسمى اريكة الا اذا اجتمعا (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يعنى لايؤذيهم حر الشمس ولابرد الزمهرير كما كان يؤذيهم في الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشرى قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طئ وانشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير مازهر

والمعنى ان الجنة ضياء لايحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) اى قريبة منهم ظلال اشجارها (وذللت) اى سخرت وقربت (قطوفها) اى ثمارها (تذليلا) اى يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا وعلى اى حال ارادوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب) قيل هى الكيزان التى لاعرا لها كالقدح ونحوه (كانت قواريرا قوارير من فضة) قال اهل التفسير اراد بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى ان آنية اهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج والمعنى يرى مافى باطنها من ظاهرها قال الكلبى ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التى في الدنيا من الرمل والقوارير التى في الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج (قدروها تقديرا) اى قدروا الكؤس على قدر ريهم وكفايتهم لاتزيد ولاتنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم (ويسقون فيها) اى في الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التى يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيل * باتا بفيها واريا مشورا

الارى العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن عباس

فكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب اهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ماذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لايشبه زنجبيل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) اى سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنات وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) اى في الخدمة

بينكم تفريقا ابديا لعدم الاتصال الحقيقى الباقى بعد الموت بينكم وهذا معنى قوله (يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) اى يفصل الله بينكم وبين ارحامكم واولادكم كما قال يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ثم علمهم طريق التوحيد بالتأسى بالموحد الحقيقى الصادق ابراهيم النبى عليه السلام واصحابه (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الاقول ابرهيم لابيه لأستغفرن لك) اى لاطلبن لك الغفران بمحو صفاتك وسيآت اعمالك بالنور الالهى (وما املك لك من الله من شئ) الا الطلب واما وجود ذلك فأمر متعلق بمشيئة الله وعنايته كقوله انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء (ربنا عليك توكلنا) بالخروج عن افعالنا بشهود افعالك (واليك انبنا) بمحو صفاتنا بمطالعة صفاتك

وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان احسن منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة *قوله عز وجل (واذا رأيت) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثم) يعني الى الجنة (رأيت نعيما) اى لا يوصف عظمه (وملكا كبيرا) قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال ولا انتقال (عاليهم) اى فوقهم (ثياب سندس خضر) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ماغلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير (وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يعني طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد (ان هذا كان لكم جزاء) اى يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد اعده لهم في الآخرة (وكان سعيكم مشكورا) اى شكرتكم عليه وآتيتكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعة واعطؤه اياهم الكثير من الخيرات * قوله عز وجل (انا نحن نزلنا عليك) اى يا محمد (القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شئ بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزله اليه وحي منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة (فاصبر لحكم ربك) اى لعباداته فهي من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تأخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكاليف اى فاصبر لحكم ربك في كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك (ولا تطع منهم آثما او كفورا) يعني وكفورا قيل اراد به اباجهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابوجهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن عنقه وقيل اراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ماصنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي اى

(واليك المصير) بفناء ذواتنا ووجوداتنا في ذاتك وهو التوحيد التام (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) اى انا لا نخافهم ولا نرى لهم تأثيرا ولا وجودا ولكننا نعوذ بعفوك من عقابك حتى لا تعاقبنا بهم ولا تبلينا بأيديهم بسبب مافرط منا من السيآت والظهور بالصفات (واغفر لنا) ذنوب تفريطاتنا بالعقوبة (ربنا انك انت العزيز) القوى على عقابنا بهم وعلى دفعهم عنا وقمعهم وقهرهم (الحكيم) لا يفعل احد الامرين ولا يختاره الا بمقتضى الحكمة ثم كرر وجوب التأسي بابراهيم واصحابه واثبته لمن كان في بداية التوحيد في مقام الرجاء وتوقع الكمال (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) برفع موجب العداوة الذي هو الكفر اذ الاحتجاب ليس امرا فطريا بل الايمان بمقتضى الفطرة الاصلية والحجاب وانما حدث الكفر عند الاحتجاب

معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه ﴿ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ﴾ قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة الظهر والعصر ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه ولسانه ※ قوله عز وجل ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ يحبون العاجلة ﴾ يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ﴿ ويذرون وراءهم ﴾ يعني امامهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له ﴿ نحن خلقناهم وشددنا ﴾ اى قوينا واحكمنا ﴿ اسرهم ﴾ اى خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا ﴿ واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ﴾ اى اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ﴿ ان هذه ﴾ اى السورة ﴿ تذكرة ﴾ اى تذكير وعظة ﴿ فمن شاء اتخذ ﴾ اى لنفسه في الدنيا ﴿ الى ربه سبيلا ﴾ اى وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما تمسك بها القدرية يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة ورد عليهم قوله عز وجل في سياق الآية ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ اى لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع مايصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه ﴿ ان الله كان عليما ﴾ اى باحوال خلقه ومايكون منهم ﴿ حكيما ﴾ اى حيث خلقهم مع علمه بهم ﴿ يدخل من يشاء في رحمته ﴾ اى في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق ﴿ والظالمين ﴾ يعني المشركين ﴿ اعد لهم عذابا اليما ﴾ اى مؤلما والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المرسلات ﴾

مكية وهي خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

※ قوله عز وجل ﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا ﴾ اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها * الاول ان المراد باسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اى كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي ارسلها نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد في القلوب فيلجؤن الى الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح

بالنشأة والانغمار في الغواشي الطبيعية ﴿ والله قدير ﴾ قادر على رفعها واذا ارتفعت ظهرت المودة الحقيقية بنور الوحدة الذاتية ومقتضى الاخوة الايمانية ﴿ والله غفور ﴾ يستر تلك الهيآت المظلمة الخارجية بنور صفاته ﴿ رحيم ﴾ يرحم اهل النقصان فيجبره بافاضة كمالاته ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ﴾ لان العدالة هي ظل المحبة والمحبة ظل الوحدة فاظهرت العدالة في مظهر الا وقد تعلقت محبة الله به اولا اذلا ظل بغير الذات والله تعالى اعلم ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ماانفقوا ولاجناح عليكم ان تنكحوهن

كانها القت الذكر والمعرفة فى القلوب عند هبوبها * الوجه الثانى ان المراد باسرها الملائكة
الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفا الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله
ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانهم
ونزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا
اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن
عباس يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر
الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقى هو جبريل
وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم * الوجه الثالث ان المراد باسرها آيات القرآن
ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف
وخير فالعاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف
وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعنى ان آيات القرآن تنشر انوار الهداية والمعرفة
فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا
يعنى آيات القرآن وهى الذكر الحكيم الذى يلقى الايمان والنور فى قلوب المؤمنين * الوجه الرابع
انه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيأ واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى
والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت
الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا
الوجه فحسن الجمع بينهما فى القسم عذرا او نذرا اى الاعذار والانذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا
منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى (انما توعدون) اى من امر الساعة
ومجيئها (لواقع) اى لكائن نازل لامحالة وقيل معناه ان ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم
ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) اى محى نورها وقيل محقت (واذا السماء
فرجت) اى شقت وقيل فتحت (واذا الجبال نسفت) اى قلعت من اماكنها (واذا الرسل اقتت)
وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على
الامم (لاى يوم اجلت) اى اخرت وضرب الاجل لجمعهم كأنه تعالى يعجب لعباده من تعظيم
ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين
ذلك اليوم فقال تعالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع
ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى (وما ادراك ما يوم الفصل) اى وما اعلمك بيوم الفصل وهوله
وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) اى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب * قوله تعالى
(الم نهلك الاولين) يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين)
يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش اى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله
عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين) اى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين
الم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (الى قدر معلوم) يعنى
وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره (فقدرنا) قرئ بالتشديد من التقدير اى

اذا آتيتموهن اجورهن
ولا تمسكوا بعصم الكوافر
واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا
ما انفقوا ذلكم حكم الله
يحكم بينكم والله عليم حكيم
وان فاتكم شئ من ازواجكم
الى الكفار فعاقبتم فآتوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل
ما انفقوا واتقوا الله الذى
انتم به مؤمنون يا ايها النبى
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك
على ان لا يشركن بالله شيأ
ولا يسرقن ولا يزنين ولا
يقتلن اولادهن ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن ولا يعصينك فى
معروف فبايعهن واستغفر لهن
الله ان الله غفور رحيم يا ايها
الذين آمنوا لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم قد يئسوا
من الآخرة كما يئس الكفار
من اصحاب القبور

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما
فى الارض وهو العزيز
الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم
تقولون ما لا تفعلون) من
لوازم الايمان الحقيقى
الصدق وثبات العزيمة اذ
خلوص الفطرة عن شوائب
النشأة يقتضيهما وقوله
لم تقولون ما لا تفعلون

قدرناذلك تقديرا (فنعم القادرون) اى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة اى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه فى احسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) اى المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (الم نجعل الارض كفاتا) يعنى وعاء واصله الضم والجمع (احياء واءواتا) يعنى تكفتهم احياء على ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها (وجعلنا فيها) اى فى الارض (رواسى شامخات) يعنى جبالا عاليات (واسقيناكم ماء فراتا) يعنى عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث * قوله عزوجل (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) يعنى يقال للمكذبين يوم القيامة فى الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى دخان جهنم اذا سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم (لاظليل) اى ان ذلك الظل لا يظل من حر (ولا يغنى من اللهب) اى لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب (انها) يعنى جهنم (ترمى بشرر) جمع شرارة وهى ما تطاير من النار (كالقصر) يعنى كالبناء العظيم ونحوه وقيل هى اصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر (كأنه) يعنى الشرر (جمالات) جمع الجمال وقال ابن عباس هى حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الجمال (صفر) جمع اصفر يعنى ان لون ذلك الشرر الصفر وانشد بعضهم

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء فى الحديث ان شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شئ من الصفرة وقيل هى قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شئ مجموع غليظ اصفر (ويل يومئذ للمكذبين) * قوله عزوجل (هذا يوم لا ينطقون) يعنى بحجة تنفعهم قيل هذا فى بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان فى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختصمون وفى بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآى بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافى والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد اى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر فى الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار فى الدنيا فلم يبق لهم عذر فى الآخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم فى ذلك العذر الفاسد (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى انه لما تبين انه لاعذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع

يحتمل الكذب وخلاف الوعد فمن ادعى الايمان وجب عليه الاجتناب عنهما بحكم الايمان والا فلا حقيقة لايمانه ولهذا قال (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) لان الكذب ينافى المروة التى هى من مبادى الايمان فضلا عن كماله اذا لايمان الاصلى هو الرجوع الى الفطرة الاولى والدين القيم وهى تستلزم اجناس الفضائل بجميع انواعها التى اقل درجاتها العفة المقتضية للمروءة والكاذب لا مروءة له فلا ايمان له حقيقة وانما قلنا لا مروءة له لان النطق هو الاخبار المفيد للغير المعنى المدلول عليه باللفظ والانسان خاصته التى تميزه عن غيره هى النطق فاذا لم يطابق الاخبار لم تحصل فائدة النطق فخرج صاحبه عن الانسانية وقد افاد ما لم يطابق من اعتقاد وقوع غير الواقع فدخل فى حد الشيطنة فاستحق المقت الكبير عند الله باضاعة استعداده واكتساب ما ينافيه من اضداده وكذا الخلف لانه قريب من الكذب ولان صدق العزم وثباته من

العذاب عنهم لاجرم قال فى حقهم ويل يومئذ للمكذبين (هذا يوم الفصل) يعنى بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد فى الحقوق والمحاكات (جمعناكم والاولين) يعنى مكذبى هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية (فان كان لكم كيد فكيدون) اى ان كانت لكم حيلة تحتالون لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون الحيل يومئذ منقطعة لاتنفع وهذا فى نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين)

* قوله عزوجل (ان المتقين) اى الذين اتقوا الشرك (فى ظلال) جمع ظل وهو ظل الاشجار (وعيون) اى فى ظلهم عيون ماء (وفواكه مما يشتهون) اى يتلذذون بها (كلوا واشربوا) اى يقال لهم كلوا واشربوا وهذا قول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة اويكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) اى خالص اللذة لايشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الطاعات (انا كذلك نجزى المحسنين) قيل المقصود منه تذكير الكفار مافاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لوكانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين)

* قوله عزوجل (كلوا وتمتعوا قليلا) يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا الى منتهى آجالكم وهذا وان كان فى ظاهر اللفظ امرا الا انه فى المعنى نهى بليغ وزجر عظيم (انكم مجرمون) اى مشركون بالله مستحقون للعقاب لاجرم اتبعه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لايركعون) اى واذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لايصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) اى بعد نزول القرآن اذا لم يؤمنوا به فبأى شئ يؤمنون والله اعلم

﴿ تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل ﴾

مكية وهى اربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عزوجل (عم) اصله عن ما (يتساءلون) عن اى شئ يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك اى شئ زيد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عماذا تساؤلهم فقال تعالى (عن النبأ العظيم) يعنى الخبر العظيم الشأن قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به (الذى هم فيه مختلفون) فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك مما قالوه فى القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم فى القرآن (كلا) هى ردع وزجر وقيل هى نفى لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا (سيعلمون) اى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعنى فى القيامة (ثم كلا سيعلمون) وعيد على اثر وعيد

لوازم الشجاعة التى هى احدى الفضائل اللازمة لسلامة الفطرة واول درجاتها فاذا انتفت انتفى الايمان الاصلى بانتفاء ملزومه فيثبت المقت من الله (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) لان بذل النفس فى سبيل الله لايكون الا عند خلوص النفس فى محبة الله اذ المرء انما يحب كل مايحب من دون الله لنفسه فأصل الشرك ومحبة الانداد محبة النفس فاذا سمح بالنفس كان غير محب لنفسه واذا لم يحب نفسه فبالضرورة لم يحب شيأ من الدنيا واذا كان بذله للنفس فى الله وفى سبيله لاللنفس كما قال ترك الدنيا للدنيا كانت محبة الله فى قلبه راجحة على محبة كل شئ فكان من الذين قال فيهم والذين آمنوا اشد حبا لله واذا كانوا كذلك يلزم محبة الله اياهم لقوله يحبهم ويحبونه وبالحقيقة لاتكون محبة الله الا منه (واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا) عن مقتضى علمهم لفرط الهوى وحب

وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى (ألم نجعل الارض مهادا) اى فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام (والجبال اوتادا) يعني للارض حتى لا تميد (وخلقناكم ازواجا) يعني اصنافا ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) اى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف فى الاعمال (وجعلنا الليل لباسا) اى غطاء وغشاء يستتر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) اى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وماقسم لكم من رزقه (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعني سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى ان ياتى امر الله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة (وانزلنا من المعصرات) يعني الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء اى وانزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هى السحاب وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرات السحاب التى حان لها ان تمطر ولم تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو المغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) اى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى (لنخرج به) اى بذلك الماء (حبا) اى ما ياكله الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) اى ماينبت فى الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام (وجنات الفافا) اى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى (ان يوم الفصل) اى الحساب (كان ميقاتا) اى لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلائق ليقضى بينهم (يوم ينفخ فى الصور) يعني النفخة الاخيرة (فتأتون افواجا) يعني زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت ابوابا) يعني فكانت ذوات ابواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابواب وطرق (وسيرت الجبال) اى عن وجه الارض (فكانت سرابا) اى هباء منبثا كالسراب فى عين الناظر (ان جهنم كانت مرصادا) اى طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسأل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها تامة

الدنيا (ازاغ الله قلوبهم) عن طريق الهدى وحجبهم عن نور الكمال لاقبالهم على الجهة السفلية وميلهم عن مقتضى الفطرة الاصلية (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مقتضى الفطرة التى هى الدين القيم الى نور الكمال لزوال الاستعداد وعدم القابل (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) اذ وضع نوره فى الظلمة وصرف بضاعة البقاء مع وجود الداعى اى الاستعداد الفطرى فى متاع الفناء مع وجود الداعى الخارج الذى هو الى الى الاسلام الذى هو مقتضى ذلك النور الاصلى (والله لا يهدى القوم الظالمين) الموصوفين بهذه الصفة الى النور الكمالى اى نور ذاته وسبحات وجهه لما ذكر فى الفاسقين (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم

جاز الى السابع فيسأل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكملت به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اى معدة لهم وقيل هو من رصدت الشئ ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اى تنظرهم (للطاغين) اى الكافرين (مآبا) اى مرجعا يرجعون اليها (لابثين فيها) اى فى جهنم (احقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن على بن ابى طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر الف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهى متناهية وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها * احدها ماروى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ماهو الا انه اذا مضى حقب دخل حقب اخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبدالله بن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا * الوجه الثانى ان لفظ الاحقاب لايدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لايذوقون فيها اى فى تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذى يدلونه لاتوقيت للبثهم فيها * الوجه الثالث ان الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لايذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اى روحا وراحة وقيل لايذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) اى يغنيهم من عطش (الا حميما وغساقا) اى لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذى انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار (جزاء وفاقا) اى جزيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلاذنب اعظم من الشرك ولاعذاب اعظم من النار (انهم كانوا لايرجون حسابا) اى لايخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولابانهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) اى التى جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) اى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال قال وقد سألنى اعرابى منهم يستفتينى الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير (وكل شئ) اى من الاعمال (احصيناه) اى بيناه واثبتناه (كتابا) اى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لايزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم بجميع مافعلوه من خير وشر وانا اجازيهم على قدر اعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) اى يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه الآية اشد آية فى القرآن على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه * قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) اى فوزا اى نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه كل مايشتهون (واعنابا) التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن

والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركين يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) الا يمان التقليدى لان التجارة المنجية من العذاب الاليم التى دعاهم اليها انما تكون للمحتجبين عن نور الله بصفات النفوس وهيآتها (تؤمنون بالله ورسوله) تحقيقا ويقينا استدلاليا (و) بعد صحة الاستدلال وقوة اليقين (تجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم) لان بذل المال والنفس فى سبيل الله لايكون الا عن يقين (ذلكم خير لكم) لانهما ستصيران الى الفناء فاذا بعتموهما بالباقيات من اللذات المستعلية عليهما كان خيرا لكم (ان كنتم تعلمون) علما يقينيا (يغفر لكم ذنوبكم) ذنوب سيآت اعمالكم وهيآت نفوسكم المظلمة (ويدخلكم جنات) من جنات النفوس لانهم كانوا تاجرين باذاين الانفس والاموال للاعواض عاملين بقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم

(اترابا) يعنى مستويات فى السن (وكأساً دهاقاً) قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافيـة (لايسمعون فيها) اى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم (لغوا) اى باطلا من الكلام (ولا كذابا) اى تكذيبا والمعنى انه لايكذب بعضهم بعضا ولاينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) اى جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اى كافيا وافيا وقيل حسـابا يعنى كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطابا) اى لايقدر الخلق ان يكلموا الرب الاباذنه وقيل لايملكون منه خطابا اى لايملكون شفاعة الا باذنه فى ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبريل عليه الصلاة والسـلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ماخلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم اعظم من السموات والارض والجبال وهو فى السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجئ يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بنى آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بنى آدم وما نزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة (لايتكلمون) يعنى الخلق كلهم اجلالا لعظمـة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (الا من اذن له الرحمن) اى فى الكلام (وقال صوابا) اى حقا فى الدنيا وعمل به وقيل قال لااله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لايشفعون الا فى شخص اذن الرحمن فى الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا فى الدنيا وهو لااله الا الله (ذلك اليوم الحق) اى الكائن الواقع لامحالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) اى سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه (انا انذرناكم) اى خوفناكم فى الدنيا (عذابا قريبا) اى فى الآخرة وكل ماهو آت قريب (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) يعنى من خير او شر مثبتا فى صحيفته ينظر اليه يوم القيـامة (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) قال عبدالله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص اناخلقناكم وسخرناكم لبنى آدم وكنتم مطيعين لهم ايام حياتكم فارجعوا الى ماكنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال ياليتنى كنت فى الدنيا فى صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون فحينئذ يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ماانعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال ياليتنى كنت ترابا يعنى متواضعا فى طاعة الله فى الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليـه بانه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى مافيه آدم وبنوه المؤمنون

واموالهم بأن لهم الجنـة (تجرى من تحتها الانهار) انهار علوم التوكل وتوحيد الافعـال وعلوم الشرائع والاخلاق (ومسـاكن طيبة فى جنـات عدن) كمقام التوكل وسائر منازل النفوس ومقاماتها (ذلك الفوز العظيم) بالنسبة الى من ليس له هذه المقامات فى تلك الجنات لا العظيم المطلق (واخرى تحبونها) وتجارة اخرى اربح منها واجل محبـوبة اليكم هى (نصر من الله) بالتأييد الملكوتى والكشف النورى (وفتح قريب وبشر المؤمنين) بالوصول الى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام الرضا وانما قال تحبونها لان المحبة الحقيقية لا تكون الا بعد الوصول الى مقام القلب وانما سماها تجارة لاستبدالهم صفات الله تعـالى مكان صـفاتهم (ياايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين) الحواريون هم الذين خلصوا عن ظلمة النفوس وسـواد الهيآت الطبيعية بالوصول الى مقام القـلب وتنـور وابنـور الفطرة الاصلية فابيضت

من الثواب والرحمة وماهوفيه من الشدة والعذاب قال ياليتني كنت ترابا قال ابوهريرة رضى الله عنه يقول التراب لاولا كرامة لك من جعلك مثلى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النازعات مكية ﴾

وهى ست وقيل خمس واربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا) اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الكلمات هل هى صفات لشئ واحد ام لاشياء مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد بقوله (فالمدبرات امرا) وصف لشئ واحد وهم الملائكة * الوجه الاول فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى الملائكة تنزع ارواح الكفار من اقاصى اجسامهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اى والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن اى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعنى الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح فى الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع فى جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعنى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة * الوجه الثانى فى قوله والنازعات غرقا يعنى النفس حين تنزع من الجسد فتغرق فى الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هى نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده فى الجنة قبل ان يموت وقال على ابن طالب هى ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعنى ارواح المؤمنين حين تسبح فى الملكوت فالسابقات سبقا يعنى استباقها الى الحضرة المقدسة * الوجه الثالث فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعنى النجوم تنشط من افق الى افق اى تذهب والسابحات سبحا يعنى النجوم والشمس والقمر يسبحون فى الفلك فالسابقات سبقا يعنى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير * الوجه الرابع فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى خيل الغزاة تنزع فى اعنتها وتغرق فى عرقها وهى الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهى السابحات فى جريها وهى السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية * الوجه الخامس فى قوله والنازعات غرقا يعنى الغزاة حين تنزع قسيها فى الرمى فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا اى السهام فى الرمى والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعنى الخيل والابل حين يخرجها اصحابها الى الغز * والوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيأ واحدا فقوله والنازعات يعنى ملك

وجوههم الحقيقية بالتصفية (من انصارى الى الله) اى من معى متوجها الى نصرة الله بالسلوك فى صفاته (قال الحواريون) الصافون (نحن انصار الله) ننصره باظهار كمالات صفاته فى مظاهرنا فسلكوا فى صفاته واظهروا انوارها حتى بلغوا الكمال القاى والتكميل بالتأثير (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بهم وبتأثير صحبتهم لقبول استعداداتهم (وكفرت طائفة) لاحتجابهم بصفاتهم (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) بالتأييد النورى (فاصبحوا ظاهرين) غالبين عليهم بالحجج النيرة والبراهين الواضحة والله تعالى اعلم

﴿ سورة الجمعة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الموت ينزع النفوس غرقا حتى بلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعنى النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب والسابحات سبحا يعنى السفن والسابقات سبقا يعنى مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات * اما قوله فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عزوجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا اربعة املاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى اقسم الله بهذه الاشياء لشرفها والله ان يقسم بما يشاء من خلقه اويكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الراجفة) يعنى النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شئ ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعنى النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحيى كل شئ باذن الله عزوجل وقيل الراجفة التى تزلزل الارض والجبال والرادفة التى تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوى بسند الثعلبى عن ابى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه * قوله عزوجل (قلوب يومئذ واجفة) اى خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن اماكنها (ابصارها خاشعة) اى ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعنى المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (ائنا لمردودون فى الحافرة) يعنى انرد الى اول الحال وابتداء الامر فنصير احياء بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان فى حافرته اى رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ واول الشئ ويقال رجع فلان فى حافرته اى فى طريقه الذى جاء منه يحفره بمشيته فحصل باثر قدميه حفر فهى محفورة فى الحقيقة وقيل الحافرة الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى ائنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشى عليها وقيل الحافرة النار (ائذا كنا عظاما نخرة) اى بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التى يمر فيها الريح فتنخر اى تصوت (قالوا) يعنى المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيامة (تلك اذا كرة خاسرة) اى رجعة غابنة يعنى ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فانما هى) يعنى النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) اى صيحة واحدة يسمعونها جميعا (فاذا هم بالساهرة) يعنى وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هى التى كثر الوطء عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا فى بطن ارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هى ارض الشام وقيل ارض القيامة وقيل هى ارض جهنم * قوله عزوجل (هل اتاك حديث موسى) يعنى قد اتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه

مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) كل وضع لا تطلع العقول البشرية على سببه فهو من طور وراء العقل المشوب بالوهم لامتناع وقوع التخصيص من غير مخصص كوضع حروف التهجى وايام الاسابيع بل وضع اللغات كلها فان فى كل بقعة من بقاع الارض لغة لاشك ان اول التكلم بها امر توقفى فى اقتضاء استعداد خاص باجتماع امور سفلية وعلوية لا يمكننا ضبطها ولو قلنا بالاصطلاح لكان لا يخلو ايضا من سبب يوجب الاصطلاح على ذلك الوضع

ليناسي به (اذناداه ربه بالواد المقدس) اى المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب الى فرعون انه طغى) اى علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الى ان تزكى) اى تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله (واهديك الى ربك) اى ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعنى عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فاراه) اى ارى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعنى اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعنى فرعون بانها من الله (وعصى) اى تمرد واظهر التجبر (ثم ادبر) اى اعرض عن الايمان (يسعى) بعمل الفساد فى الارض (فحشر) اى فجمع قومه وجنوده (فنادى) اى لما اجتمعوا (فقال) يعنى فرعون لقومه (انا ربكم الاعلى) اى لا رب فوقى وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها وربهم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) اى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه فى الدنيا ويدخله النار فى الآخرة وقيل اراد بالآخرة والاولى كلتى فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة (ان فى ذلك) اى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) اى عظة (لمن يخشى) اى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى (اانتم اشد خلقا ام السماء بناها) معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السماء عندكم فى تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خالق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى (رفع سمكها) يعنى علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) اى اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (واغطش) اى اظلم (ليلها) والغطش الظلمة (واخرج) اى واظهر وابرز (ضحاها) اى نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزاء النهار فى النور والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) اى بسطها ومدها قال امية بن ابى الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وانت على طيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما قلت خلق الله الارض اولا مجتمعة ثم سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك (اخرج منها ماءها ومرعاها) اى فجر من الارض عيونها ومرعاها اى رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستعير

المخصوص فأيام الاسبوع وضعت بازاء الايام الالهية التى هى مدة الدنيا وقد اشتهر فيما بين الناس فى جميع الاعصار ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة على عدد الكواكب السبعة فكل الف سنة يوم من ايام الله لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وتقييد مدة الدنيا بالسبعة هو ان جميع مدة دور الخفاء المطلق ستة آلاف سنة ويبتدئ الظهور فى السابع مع ظهور محمد عليه السلام كما قال بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى ويزداد الى تمام سبعة آلاف سنة من لدن آدم عليه السلام اول الانبياء الى زمان المهدى عليه السلام وينقضى الخفاء بالظهور التام لقيام الساعة ووقوع القيامة الكبرى وعند ذلك يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والحساب وتميز اهل النار واهل الجنة ويرى عرش الله بارزا كما حكى حارثة رضى الله عنه عن شهوده وهى فى الآخرة فالستة منها هى التى خلق فيها السموات والارض لان الخلق حجاب الحق فمعنى خلق اختفى لهما

الرعى للانسان على سبيل التجوز (والجبال ارساها) اى اثبتها (متاعا لكم ولانعامكم) اى الذى اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم * قوله عز وجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعنى النفخة الثانية التى فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ما سعى) اى ما عمل فى الدنيا من خير او شر (وبرزت الجحيم لمن يرى) يعنى انه يكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فأما من طغى) اى كفر (وآثر الحيوة الدنيا) اى على الآخرة (فان الجحيم هى المأوى) اى لمن هذه صفته (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) اى المحارم التى يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فان الجنة هى المأوى) اى لمن هذه صفته * قوله عز وجل (يسئلونك) اى يا محمد (عن الساعة ايان مرساها) اى متى ظهورها وقيامها (فيم انت من ذكراها) اى لست فى شئ من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (الى ربك منتهاها) اى منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم اى فيم هذا السؤال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اى من علامتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (انما انت منذر من يخشاها) اى انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعنى الكفار (يوم يرونها) اى يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) اى فى الدنيا وقيل فى قبورهم (الا عشية او ضحاها) فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كانه قيل الا عشية او ضحى يومها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

* تفسير سورة عبس مكية *

وهى احدى واربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثون حرفا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* قوله عز وجل (عبس وتولى) اى كلح وقطب وجهه وتولى اى اعرض بوجهه (ان جاءه الاعمى) يعنى ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشى الفهرى من بنى عامر بن لؤى واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة ابن ربيعة واباجهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وابى بن خلف واخاه امية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقرأنى وعلمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت انزلت عبس

فاظهرهما وبطن واليوم السابع هو يوم الجمع وزمان الاستواء على العرش بالظهور فى جميع الصفات وابتداء يوم القيامة الذى طلع فجره ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله فالمحمديون اهل الجمعة ومحمد صاحبها وخاتم النبيين وانما سمى يوم الجمع لانه وقت الظهور فى صورة الاسم الاعظم لجميع الصفات ووقت استوائه فى الظهور بجميعها بحيث لا يختلف بالظهور والخفاء ولهذا السر ندبت الصلاة يوم الجمعة وقت الاستواء وكرهت فى سائر الايام ويسمى هذا الظهور عين الجمع لاجتماع الكل فيه ولهذا المعنى سميت الجمعة جمعة واتفق اهل الملل كلها من اليهود وغيرهم ان الله فرغ من خلق السموات والارض فى اليوم السابع الا ان اليهود قالوا انه السبت وابتداء الخلق من الاحد وعلى ما اولنا يكون هو يوم الجمعة وكون الاحد ابتداء الخلق مؤول بأن احدية الذات منشأ الكثرة وان جعلنا الاحد اول الايام ووقت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور

وتولى فى ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله ارشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول اترى بما اقول بأسا فيقول لا ففى هذا انزلت اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (وما يدريك) اى اى شئ يجعلك داريا (لعله يزكى) اى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح ومايتعلمه منك (اويذكر) اى يتعظ (فتنفعه الذكرى) اى الموعظة (امامن استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال (فانت له تصدى) اى تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه (وماعليك الايزكى) اى لايؤمن ولايهتدى وانما عليك البلاغ (واما من جاءك يسعى) يعنى يمشى يعنى ابن ام مكتوم (وهو يخشى) اى الله عز وجل (فانت عنه تلهى) اى تتشاغل وتعرض عنه (كلا) اى لاتفعل بعدها مثلها (انها) يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) اى موعظة للخلق (فمن شاء) اى من عباد الله (ذكره) اى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل (فى صحف مكرمة) يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ (مرفوعة) اى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السماء السابعة (مطهرة) يعنى الصحف لايمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بأيدى سفرة) قال ابن عباس يعنى كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم اثنى عليهم بقوله (كرام) اى هم كرام على الله (بررة) اى مطيعين له جمع بار * قوله عز وجل (قتل الانسان) اى لعن الكافر وطرد (ما اكفره) ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اى اعجبوا من كفره وقيل معناه اى شئ حمله على الكفر نزلت هذه الآية فى عتبة بن ابى لهب وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة فى كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغى معه ان يعلم ان الله تعالى خالقه منه فقال تعالى (من اى شئ خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعنى خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعنى خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ماراده (ثم السبيل يسره) اى سهل له طريق خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل احد ماخلق له وقدر عليه (ثم اماته فاقبره) اى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور اواقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذاقبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات * ثم قال تعالى (ثم اذا شاء انشره) اى احياه بعد موته للبعث والحساب وانما قال تعالى ثم اذا شاء انشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء ان يحيى الخلق احياهم (كلا) ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب (لما يقض ما امره) اى لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد مافرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قدرة ربه فيه اى كيف قدره ربه ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى (انا صببنا

الخفاء وفى السادس ابتداء
الظهور وازداد فى الخواص
حتى ينتهى الى تمام الظهور
وارتفاع الخفاء فى آخره
عند خروج المهدى ويتم
الظهور فى السابع الذى
هو السبت ولما كان هذا
اليوم اى يوم الجمعة موضوعا
بازاء هذا المعنى ندب الناس
فيه الى الفراغ من الاشغال
الدنيوية التى هى حجب
كلها والحضور والاجتماع
فى الصلاة واوجب السعى
الى ذكر الله فيه وترك
البيع لكى تتظاهر النفوس
بهيئة الاجتماع فى صلاة
الحضور المعد للوصول
الى حضرة الجمع عسى ان
يتذكر احدهم بالفراغ عن
الاشغال الدنيوية التجرد
عن الحجب الخلقية وبالسعى
الى ذكر الله السلوك فى
طريقه والصلوة مع
الاجتماع الوصول الى
حضرة الجمع فيفلح (ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون)
سر ذلك وحقيقته (فاذا
قضيت الصلوة فانتشروا)
الامر بالانتشار (فى
الارض وابتغوا من فضل
الله) وابتغاء الفضل بعد
انقضاء الصلاة اشارة
الى الرجوع الى التفصيل
بعد الفناء فى الجمع بالصلاة

الماء صبا) يعني المطر (ثم شققنا الارض شقا) اى بالنبات (فانبتنا فيها) اى بذلك الماء (حبا) يعني الحبوب التي يتغذى بها الانسان (وعنبا) يعني انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اتبعه الحب (وقضبا) يعني القت وهو الرطب سمى بذلك لانه يقتضب اى يقطع فى كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذى تعلف به الدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفاكهة) يعني جميع الوان الفاكهة (وابا) يعني الكلأ والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل الفاكهة ما يأكله الناس والاب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمى ان ابا بكر سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اى سماء تظلني واى ارض تقلني اذا قلت فى كتاب الله ما لا اعلم (خ) عن انس ان عمر قرأ وفاكهة وابا وقال ما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا لفظ البخارى وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم) يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم (ولانعامكم) ثم ذكر اهوال القيامة فقال تعالى (فاذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اى تبالغ فى اسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه) اى انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب فى ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل من اخيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقربونهم فى الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم فى الدار الآخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهما اشد من تعلقه بالابوين (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) اى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) اى مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا ضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من آثار الوضوء وقيل من الغبار فى سبيل الله (ضاحكة) اى عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) اى بالسرور وفرحة بما نال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) اى سواد وكآبة للهم الذى نزل بهم (ترهقها قترة) اى تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل فى الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء (اولئك) اى الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

الحقيقية فان الوقوف مع الجمع حجاب الحق عن الخلق و بالذات عن الصفات فالانتشار هو التقلب فى الصفات حال البقاء بعد الفناء بالوجود الحقانى والسير بالله فى الخلق وابتغاء فضل الله هو طلب حظوظ تجليات الاسماء والصفات والرجوع الى مقام ارض النفس وتوفية حظوظها بالحق وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا) اى احضروا الوحدة الجمعية الذاتية فى صورة الكثرة الصفاتية بحيث لم تحتجبوا بالكثرة عن الوحدة فتضلوا بعد الهداية ولازموا طريق الاستقامة فى توفية حقوق الحق والخلق معاً ومراعاة الجمع والتفصيل جميعا (لعلكم تفلحون) بالفلاح الاعظم الذى هو حكمة وضع الجمعية (واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) اى اين هم وهذا المعنى وانى لهم هذه المعاملة لقد بعدوا فذهلوا واحتجبوا فلهوا (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) اى ان لم ترأ فطرتكم بهمتكم الى هذا المعنى فاعملوا للاعواض الباقية عند الله

﴿ تفسير سورة التكوير مكية ﴾

وهى تسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه راى العين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

※ قوله عزوجل (اذا الشمس كورت) قال ابن عباس اظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشئ الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جماد فالقاؤهما فى النار يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم (واذا النجوم انكدرت) اى تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبى وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الاوقع (واذا الجبال سيرت) اى عن وجه الارض فصارت هباء منثورا (واذا العشار عطلت) يعنى النوق الحوامل التى أتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهى انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعنى من دواب البر (حشرت) اى جمعت يوم القيامة ليقتص بعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شئ موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها فى بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم اهل النار وقيل سجرت اى يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال ابى ابن كعب ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذا انصدعت الارض صدعة واحدة الى السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هى اثنتا عشرة خصلة ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ما ذكر بعد هذه قوله تعالى (واذا النفوس زوجت) روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقيل الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس اعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت

(بنفوس)

فانها خير من الامور الفانية التى عندكم وفوضوا امر الرزق اليه بالتوكل فان الله هو (والله خير الرازقين) والله تعالى اعلم

﴿ سورة المنافقون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون) هم المتذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الاصلى الى نور الايمان والاستعداد العارضى الذى حدث برسوخ الهيآت الطبيعية والعادات الرديئة الى الكفر وانما هم كاذبون فى شهادة الرسالة لان حقيقة معنى الرسالة لا يعلمها الا الله والراسخون فى العلم الذين يعرفون الله ويعرفون بمعرفته رسول الله فان معرفة الرسول لا تمكن الا بعد معرفة الله وبقدر العلم بالله يعرف الرسول فلا يعلم حقيقة الا من انسلخ عن علمه وصار عالما بعلم الله وهم محجوبون من الله بحجب ذاتهم وصفاتهم وقد اطفؤا

نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد (واذا الموؤدة سئلت) يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لمايطرح عليها من التراب فيؤدها اى يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها حية البسها جبة صوف اوشعر وتركها ترعى الابل والغنم في البادية واذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب الى احمائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموؤدة في النار اخرجه ابوداود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الواد ولم يئدفا فتخر به الفرزدق في شعره فقال

ومنا الذى منع الوائدات ❊ واحيا الوئيد فلم توأد

(بأى ذنب قتلت) معناه تسئل الموؤدة فيقال لها باى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كشطت) اى نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وازيلت عمن فيها (واذا الجحيم سعرت) اوقدت لاعداء الله تعالى (واذا الجنة ازلفت) اى قربت لاولياء الله (علمت نفس مااحضرت) يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير اوشر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا ❊ قوله عزوجل (فلااقسم) لازائدة والمعنى اقسم وقدتقدم ذلك في قوله لااقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعني النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن على بن ابى طالب وقيل هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها اى ترجع وراءها في الفلك وتكنس اى تستتروقت اختفائها وقيل انها تخنس اى تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لاترى بالنهار وقيل هى الظباء وهى رواية عن ابن عباس واصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هوان تأوى الى كناسها وهو الموضع الذى يأوى اليه الوحش (والليل اذا عسعس) اى اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرف الليل (والصبح اذا تنفس) اى اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفي تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثانى انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة وكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عزوجل (ذى قوة) وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في اسرع

نور استعداداتهم بالغواشى البدنية والهيآت الظلمانية فانى يعرفون رسول الله حتى يشهدوا برسالته (ذلك ب)سبب (انهم آمنوا) بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد (ثم كفروا) اى ستروا ذلك النور بحجب الرذائل وصفات نفوسهم (فطبع على قلوبهم) برسوخ تلك الهيآت وحصول الرين من المكسوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية (فهم لايفقهون) معنى الرسالة ولاعلم التوحيد والدين (واذارايتهم تعجبك اجسامهم) لان التناسب في اشكالهم وحسن مناظرهم ورواتهم وكمال صباحتهم ووسامتهم دل على استعدادهم من جهة الفراسة وتم بنور فطرهم ولهذا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لقولهم واستمع الى كلامهم فان الصباحة وحسن المنظر لايكون الامن صفاء الفطرة في الاصل ولما رأى غلبة الرين على قلوبهم وانطفاء نور استعدادهم وابطال الهيآت البدنية العارضية خواصهم الاصلية ايس منهم وتعجب من حالهم بقوله انى يؤفكون اى يصرفون عن النور الى الظلمة وعن

من ردالطرف (عندذى العرش مكين) اى فى المنزلة والجاه (مطاع ثم) اى فى السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله (امين) يعنى على وحى الله تعالى الى انبيائه (وماصاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا ايضا من جواب القسم اقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان مايقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقدرآه) يعنى راى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التى خلق فيها (بالافق المبين) يعنى بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام انى احب ان اراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لايسعنى ذلك قال فبمنى قال لايسعنى ذلك قال فبعرفات قال لايسعنى ذلك قال بحراء قال ان يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت فاذاهو بجبريل قد اقبل من حيال عرفات بخشخشة وكلكلة قدملأ مابين المشرق والمغرب وراسه فى السماء ورجلاه فى الارض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يامحمد لاتخف فكيف لورايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصعو يعنى العصفور حتى مايحمل عرش ربك الا عظمته (وماهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) اى الوحى وخبر السماء وماطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء (بظنين) قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولايبخل به عليكم ويخبركم به ولايكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراءة الظاء اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو اراد البخل لقال وماهو بالغيب (وماهو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) يعنى ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه (فأين تذهبون) فأين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه اى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التى قدبينت لكم (ان هو) يعنى مافى القرآن (الاذكر للعالمين) اى موعظة للخلق اجمعين (لمن شاء منكم ان يستقيم) اى يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وماتشاؤن الاان يشاء الله رب العالمين) اعلمهم الله ان المشيئة فى التوفيق للاستقامة اليه وانهم لايقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لايعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولاشرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الانفطار مكية ﴾

وهى تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله)

الحق الى الباطل وروى عن بعض الحكماء انه رأى غلاما حسنا وجهه فاستنطقه لظنه ذكاءه وفطنته فما وجد عنده معنى فقال مااحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن وهذا معنى قوله (وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة) اى اجرام خالية عن الارواح لانفع فيها ولا ثمر كالاخشاب المسندة الى الجدران عند الجفاف وزوال الروح النامية عنها فهم فى زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الانسانى بمابها (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون واذاقيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) لان الشجاعة انما تكون من اليقين واليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون فى ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات اهل الشك والارتياب فلذلك غلبهم الجبن والخور فاحذرهم فقد بطل استعدادهم فلا يهتدون بنورك ولا تؤثر فيهم صحبتك (لووارؤسهم) لضراوتهم بالامور الظلمانية واعتيادهم بالكمالات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (اذا السماء انفطرت) اى انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت (واذا البحار فجرت) اى فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (واذا القبور بعثرت) اى بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء (علمت نفس ماقدمت واخرت) يعنى علمت فى ذلك اليوم ما قدمت من عمل صالح اوسيئ واخرت بعدها من حسنة اوسيئة وقيل ماقدمت من الصدقات واخرت من الزكوات وهذه احوال يوم القيامة * قوله عزوجل (ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم) اى ماخدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ماصنعت وضيعت ماوجب عليك والمعنى ماذا امنك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى ابى الاشريق واسمه اسيد بن كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ماالذى غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى اول مرة بربك الكريم اى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود مامنكم من احد الاسيخلو الله عزوجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ماغرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لواقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرنى ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لواقامنى بين يديه وقال ماغرك بى اقول غرنى برك بى سالفا وآنفا وقال ابوبكر الوراق لوقال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته فى الاجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم (الذى خلقك) اى اوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) اى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) اى عدل خلقك فى مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (فى اى صورة ماشاء ركبك) اى فى اى شبه من اب اوام اوخال اوعم وجاء فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ فى اى صورة ماشاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك فى صورة انسان وان شاء فى صورة دابة اوحيوان وقيل فى اى صورة ماشاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفى هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى * قوله عزوجل (كلا بل تكذبون بالدين) اى بيوم الحساب والجزاء (وان عليكم لحافظين) يعنى رقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم (كراما) اى على الله (كاتبين) اى يكتبون اقوالكم واعمالكم (يعلمون ماتفعلون) يعنى من خير او شر * قوله عزوجل (ان الابرار) يعنى الذين بروا وصدقوا ايمانهم باداء ماافترض الله عليهم واجتناب معاصيه (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (وان الفجار لفى جحيم) روى ان سليمان بن عبدالملك قال لابى حازم المزنى ليت شعرى مالنا عندالله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك

البهيمية والسبعية فلا يألفون النور ولا يشتاقون اليه ولا الى الكمالات الانسانية لمسخ الصورة الذاتية (ورأيتهم يصدون) يعرضون لانجذابهم الى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية فلا ميل فى طباعهم الى الجهة العلوية والمعانى الاخروية (وهم مستكبرون) لغلبة الشيطنة واستيلاء القوة الوهمية واحتجابهم بالانانية وصور الخيرية (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) لرسوخ الهيآت الظلمانية فيهم وزوال قبول استعداداتهم للهداية لفسقهم وخروجهم عن دين الفطرة القيم (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض) لاحتجابهم بافعالهم عن رؤية فعل الله وبما فى ايديهم عما فى خزائن الله فيتوهمون الانفاق منهم لجهلهم وكذا توهموا العزة والقدرة لانفسهم لاحتجابهم بصفاتهم عن صفات الله فقالوا (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها

تعلم مالك عندالله قال ابن اجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يصلونها يوم الدين) يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) اى عن النار ثم عظم شان ذلك اليوم فقال تعالى (وما ادراك مايوم الدين) قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجرله وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى اى شئ اعلمك به لولم نعرفك احواله (ثم ماادراك مايوم الدين) التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) اى لاتملك نفس كافرة لنفس كافرة شيأ من المنفعة (والامر يومئذ لله) يعنى انه لم يملك الله فى ذلك احداشيأ كما ملكهم فى الدنيا والله اعلم

﴿ تفسير سورة المطففين مدنية ﴾

فى قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهى من قوله ان الذين اجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهى قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة من الهجرة وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلة وسبعمائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (ويل) اى قبح وهى كلة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد فى جهنم (للمطففين) يعنى الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لايكاد المطفف يسرق فى الكيل والوزن الا الشئ اليسير الطفيف قال ابن عباس لماقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل وقيل لماقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابوجهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين اذا كتالوا على الناس يستوفون) يعنى انهم اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اى اشتروا شيأ استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم اووزنوهم) يعنى واذا كالوا لهم اووزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) اى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا او يدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهى مبنية على امر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف ياابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدلك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة (الايظن) اى الايعلم ويستيقن (اولئك) اى يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (انهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعنى من قبورهم (لرب العالمين) اى لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا الايظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم فى رشحه الى انصاف

الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولم يشعروا ان العزة والقوة والقدرة كلها انوار ذات الله تعالى وصفاته اللازمة لذاته فبقدر القرب منه والفناء فيه والحوق صفاته تظهر على المظاهر الانسية ولا اقرب اليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المؤمنين المحققين الموقنين فلا اعزمنه عليه السلام من جميع الخلق ثم الذين يلونه من المؤمنين (ولكن المنافقين لايعلمون) لمكان احتجابهم وشدة ارتيابهم ولقد قيض من نفس من تكلم بهذا الكلام من اخرجه وحبسه ولم يدعه يدخل المدينة حتى اقربان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان القائل لذلك هو عبدالله بن ابى فلما رجعوا الى المدينة سل ابنه السيف ومنع اباه من الدخول فلم يزل حبيسا فى يده حتى اذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد هو بعزة الله ورسوله والمؤمنين (ياايها الذين امنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) ان صدقتم فى الايمان فان قضية الايمان غلبة حب الله على

اذنيه وروى مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى اوميلين قال سليم بن عامر والله ماادرى مايعنى بالميل مسافة الارض اوالميل ماتكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه ※ قوله عزوجل (كلا) قيل انه ردع وتنبيه اى ليس الامر على ماهم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلام ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) اى الذى كتبت فيه اعمالهم (لفى سجين) قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرنى عن قول الله عزوجل ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى ارض فتأبى ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لفى سجين لفى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفى حبس وضيق شديد (وما ادراك ماسجين) اى ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولاقومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين (كتاب مرقوم) ليس هذا تفسيرا للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اى مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لاينسى ولايمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه علم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اى مختوم وهو بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين) وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) اى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء (ومايكذب به) اى بيوم القيامة (الا كل معتد) اى متجاوز عن نهج الحق (اثيم) هو مبالغة فى الاثم وهو المرتكب الاثم والمعاصى (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) اى اكاذيب الاولين ※ قوله عزوجل (كلا) اى لايؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى قال الله بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصى غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذى على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على

محبة كل شئ فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم بالاموال غالبة فى قلوبكم على محبة الله فتحتجبوا بهم عنه فتصيروا الى النار فتخسروا نور الاستعداد الفطرى باضاعته فيما يفنى سريعا وتجردوا عن الاموال بانفاقها وقت الصحة والاحتياج اليها ليكون فضيلة فى انفسكم وهيئة نورية لها فان الانفاق انما ينفع اذا كان عن ملكة السخاء وهيئة التجرد فى النفس فأما عند حضور الموت فالمال للوارث لاله فلا ينفعه انفاقه وليس له الا التحسر والتندم وتمنى التأخير فى الاجل بالجهل فانه لو كان صادقا فى دعوى الايمان وموقنا بالآخرة تيقن ان الموت ضرورى وانه مقدر فى وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تاخره (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فأصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون)

قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين الغطية والمعنى انه يغشى القلب شئ كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم فى الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذى ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من اثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار ومايكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله فى حق المؤمنين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب فى حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت انفسهم فى الدنيا وقيل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقال الشافعى فى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله تدخلون النار فقال عز من قائل (ثم انهم لصالوا الجحيم) اى لداخلوا النار (ثم يقال) اى تقول لهم الخزنة (هذا) اى هذا العذاب (الذى كنتم به تكذبون) يعنى فى الدنيا (كلا) اى ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار لفى عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله واعلاها (وما ادراك ما عليون) تنبيها له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم فى عليين فيه ما اعد الله لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون اى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن * قوله تعالى (ان الابرار) يعنى المطيعين لله (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (على الارائك) جمع اريكة وهى الاسرة فى الحجال (ينظرون) اى الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى اعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) يعنى انك اذا رأيتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب (يسقون من رحيق) يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم)

بأعمالكم ونياتكم فلا ينفع الانفاق فى ذلك الوقت ولا تمنى التأخير فى الاجل ووعد التصدق والصلاح لعلمه بأنه ليس عن ملكة السخاء ولا عن التجرد والزكاء بل من غاية البخل وحب المال كانه يحسب انه يذهب به معه وبأن ذلك التمنى والوعد محض الكذب ومحبة العاجلة لوجود الهيئة المنافية للتصدق والصلاح فى النفس والميل الى الدنيا كما قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون والله اعلم

﴿ سورة التغابن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم اليه المصير يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب

يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من ان تمسه الايدى الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل ان يكون المذكور فى هذه الآية فى اوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها (ختامه مسك) اى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اى ممزوج ختامه اى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل اصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يضن ويبخل (ومزاجه من تسنيم) اى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى اوانى اهل الجنة على قدر مائها فاذا امتلأت امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين (عينا يشرب بها) اى منها وقيل يشربها (المقربون) اى صرفا ✲ وقوله عز وجل (ان الذين اجرموا) اى اشركوا يعنى كفار قريش اباجهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم من مترفى اهل مكة (كانوا من الذين آمنوا) اى من عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) اى منهم ويستهزؤن بهم (واذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء (يتغامزون) يعنى يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم (واذا انقلبوا الى اهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهين) اى معجبين بما هم فيه وقيل يتفكهون بذكرهم كأنهم يتفكهون بحديثهم (واذا رأوهم) يعنى رأوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ان هؤلاء لضالون) اى هم فى ضلال يأتون محمدا ويرون انهم على شئ قال الله عز وجل (وما ارسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) اى لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم ✲ قوله عز وجل (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هو فيه من الشدة والبلاء فلما افضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال ابو صالح تفتح للكافرين ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدوه فى الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) جمع اريكة وهو السرير يتخذ فى الحجلة وهى الكلة يزين بها البيت وارائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى اليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى (هل ثوب

اليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا) لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذى هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ولم يجدوا منه الا البشرية انكروا هدايته فان كل عارف لا يعرف معروفه الا بالمعنى الذى فيه فلا يوجد النور الكمالى الا بالنور الفطرى ولا يعرف الكمال الا الكامل ولهذا قيل لا يعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما والا لما امكن به التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشئ فانه واجد للمعنى المصدق به بما فى نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شئ من النور الفطرى اصلا لم يعرفوا منه الكمال فانكروه ولم يعرفوا من الحق شيأ فيحدث فيهم طلب فيحتاجوا الى الهداية فانكروا الهداية (فكفروا) مطلقا اى حجبوا عن الحق والدين والرسول واعرضوا بالتوجه الى ما وجدوا من المحسوسات عن المعقول (وتولوا وقد استغنى الله) كما له لانه واجد كماله مشاهد له انه عرفوا اولم يعرفوا (والله غنى) بذاته عن ايمانهم

الكفار) اى جوزى الكفار (ماكانوايفعلون) اى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثيب بمعنى قال اوس

سأجزيك اويجزيك عنى مثوب * وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى

والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الانشقاق وهى مكية ﴾

وخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات واربعمائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ اذا السماء انشقت ﴾ يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها ﴿ واذنت لربها ﴾ اى سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من الاذن وهو الاستماع ﴿ وحقت ﴾ اى حق لها ان تطيع امر ربها ﴿ واذا الارض مدت ﴾ يعنى مد الاديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل ﴿ والقت مافيها ﴾ اى اخرجت مافى بطنها من الموتى والكنوز ﴿ وتخلت ﴾ اى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز ﴿ واذنت لربها وحقت ﴾ واختلفوا فى جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب اوالعقاب وقيل جوابه يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقى كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ تكون الواو زائدة ﴿ ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا ﴾ اى ساع اليه فى عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده فى الامرين الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح فى لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح فى دنياك كدحا تصير به الى ربك ﴿ فملاقيه ﴾ اى فملاق جزاء عملك خيرا كان اوشرا وقيل فملاق ربك ﴿ فامامن اوتى كتابه بيمينه ﴾ يعنى ديوان عمله ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ سوف من الله واجب والحساب اليسير هوان تعرض عليه اعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لاشدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن ابى مليكة ان عائشة كانت لاتسمع شيأ لاتعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت اوليس يقول الله عزوجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب ﴿ وينقلب الى اهله ﴾ يعنى فى الجنة من الحور العين والآدميات ﴿ مسرورا ﴾ اى بما اوتى من الخير والكرامة ﴿ وامامن اوتى كتابه وراء ظهره ﴾ يعنى انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه ﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ يعنى عندما عطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول ياويلاه ياثبوراه ﴿ ويصلى سعيرا ﴾ اى ويقاسى التهاب النار وحرها ﴿ انه كان فى اهله ﴾ يعنى فى الدنيا ﴿ مسرورا ﴾ يعنى باتباع هواه وركوب شهواته ﴿ انه ظن ان لن يحور ﴾ اى ان لن يرجع الينا والى ان يبعث والحور الرجوع ﴿ بلى ﴾ اى ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب ﴿ ان ربه كان به

لا يتوقف كمال من كمالاته عليهم ولا على معرفتهم له ﴿ حميد ﴾ كامل فى نفسه بكمالاته الظاهرة فى مظاهر ذرات الوجود خصوصا على اوليائه وان لم تظهر عليهم اى ان لم يبصروه وان لم يحمدوه بتلك الكمالات لا حتجابهم عنها فهو حميد من كل موجود بكماله المخصوص به ﴿ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ اى ليس التغابن فى الامور الدنيوية فانها امور فانية سريعة الزوال ضرورية الفناء لايبقى شئ منها لاحد فان فات شئ من ذلك او افاته احد ولو كان حياته فانما فات او افيت مالزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وانما الغبن والتغابن فى افاتة شئ اولم يفته اتى دائما وانتفع به صاحبه سرمدا وهو النور الكمالى والاستعدادى فظهر الحسرة والتغابن هناك فى اضاعة الربح

بصيرا) اى من يوم خلقه الى ان بعثه * قوله عز وجل (فلا اقسم بالشفق) تقدم الكلام فى تفسير لا اقسم فى سورة القيامة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته فى ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقى من النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابى حنيفة (والليل وما وسق) اى جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شئ الى ماواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم به (والقمر اذا اتسق) اى اجتمع وتم نوره وذلك فى الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركبن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد (طبقا عن طبق) يعنى سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة اسرى به فاصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن ايها الناس حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك فى موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون فى الآخرة على غير الحال التى كانوا عليها فى الدنيا وقال ابن عباس يعنى الشدائد واهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم واحوالهم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل فى معنى الآية انه اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى اخرى (فما لهم لا يؤمنون) يعنى بالبعث والحساب وهو استفهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعنى لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة وهذه السجدة احد سجدات القرآن عند الشافعى ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع ابى هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابى القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت (بل الذين كفروا يكذبون) يعنى بالقرآن والبعث (والله اعلم بما يوعون) يعنى يجمعون فى صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب اليم) يعنى على عنادهم وكفرهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع ولا منقوص فى الآخرة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة البروج ﴾

رأس المال فى تجارة الفوز والنجاة كما قال فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فمن اضاع استعداده ونور فطرته كان مغبونا مطلقا لكن اخذ نوره وبقى فى الظلمة ومن بقى نور فطرته ولم يكتسب الكمال اللائق به الذى يقتضيه استعداده او اكتسب منه شيأ ولم يبلغ غايته كان مغبونا بالنسبة الى الكامل التام فكانما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقى هذا متحيرا فى نقصانه (ومن يؤمن بالله) بحسب نور استعداده (ويعمل صالحا) بمقتضى ايمانه فان العمل انما يكون بقدر النظر (يكفر عنه سيئاته) التى اتى الله فيها بعمله (ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم) على حسب درجات اعماله فان آمن تقليدا واجتنب المعاصى وعمل بالطاعات يكفر عنه سيآت ذنوبه ويدخله جنات النفس على حسب درجات عمله وتقواه وان آمن تحقيقا واجتنب صفاته وعمل بالسلوك فى صفات الله ومرضاته يكفر عنه سيآت صفات نفسه ويدخله جنات القلب على قدر مراتبه فى

﴿ وهي مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمسة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثنى عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجب حكمة البارى جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لايختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ماطلعت الشمس ولاغربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لايوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الااستجاب الله له ولايستعيذ من شر الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذي وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود اي عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود اي عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى (قتل اصحاب الاخدود) اي لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت افضل مني قد بلغ من امرك ماارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلاتدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتني قال اني لااشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي فقال اولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني انه قد بلغ من سحرك ماتبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لااشفي احدا انما يشفي الله عز وجل

الاعمال والمقامات وان آمن ايمانا عينيا وعمل بالمشاهدة واتى الله في وجوده يدخله جنات الروح بكفير سيآت وجود قلبه وصفاته وان آمن ايمانا حقيقيا واتى في آنيته ورؤية فنائه يكفر عنه سيآت بقيته وتلوينه بظهور انانيته ويدخله جنات الذات (والذين كفروا) جحدوا في مقابلة المؤمنين ومراتبهم (اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) نار الطبقة التي حجبوا بها معذبين (ما اصاب من مصيبة) من هذه المصائب الحاجبة وغيرها (الاباذن الله) اي بتقديره ومشيئته على مقتضى حكمته (ومن يؤمن بالله) احد الايمانات المذكورة (يهد قلبه)الى العمل بمقتضى ايمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذي آمن به ويصل الى محل نظره (والله بكل شيءٍ عليم) فيعلم مراتب ايمانكم وسرائر قلوبكم واحوال اعمالكم وآفاتها وخلوصها من الآفات (واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فان اكثر التخلف من الكمال والوقوع في

فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ماآمرك به فقال وماهو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع نخل ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى به فانك ان فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له ارايت ماكنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود فى افواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امراة ومعها صبى لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام ياامه اصبرى ولاتقاعسى فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وفى هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب فى مصلحة ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك والاكمه هو الذى خلق اعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق والاخدود الشق العظيم فى الارض واقحموه اى ارموه فيها وتقاعست اى تأخرت وكرهت الدخول فى النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل بن شراحيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قدبقى على دين عيسى فوقع الى نجران فاجبوه فسار اليه ذونواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثنى عشر الفا ثم غلب رياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا فاقحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبدالله بن ابى بكر ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبدالله بن تامر واضعا يده على ضربة فى راسه اذا اميطت يده عنها انبعثت واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليه الذى

الخسران والنقصان انما يقع من التقصير فى العمل وخور القدم لا من عدم النظر (الله لااله الاهو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ياايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى بعضهم لاحتجابكم بهم ووقوفكم معهم بالمحبة وشدة العلاقة فتشركونهم بالله فى المحبة بالتساوى فى المحبتين وتعبدونهم من دون الله بايثارهم عليه (فاحذروهم) اى احفظوا انفسكم عن محبتهم وشدة التعلق بهم والاحتجاب وعاقبوهم عند التماسهم ذلك اى ايثار حقوقهم على حقوق الله فى كل شئ من المحبة وغيرها (وان تعفوا) بالمداراة (وتصفحوا) عن جرائمهم بالحلم (وتغفروا) جناياتهم بالرحمة فلاذنب ولاحرج انما الذنب فى الاحتجاب بهم وافراط المحبة وشدة التعلق لافى مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فانه مندوب بل اتصاف بصفات الله (فان الله غفور رحيم) فعليكم التخلق باخلاقه (انما اموالكم واولادكم فتنة) ابتلاء وامتحان من الله اياكم (والله عنده اجر

وجد ثم عليه وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما نهزم اهل اسفنديار قال عمر بن الخطاب اى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهما ليسوا باهل كتاب فقال على بن ابى طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذى اتيت وما لمخرج منه قالت المخرج منه انك تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات فاذا ذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذالله ان نؤمن بهذا او نقر به ماجاءنابه من نبى ولا انزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا به فخدلهم الاخدود واوقدفيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه فى النار ومن اجاب اطلقه وروى عن على قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدواله اخدودا فملؤها نارا فمن تبع ذلك النبى رمى به فى النار ومن تابعهم تركوه فجؤا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى ياأماه قعى ولاتقاعسى وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشأم والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاماالتى بالشأم فهو ابطاموس الرومى واماالتى بفارس فبختنصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واماالتى باليمن فذو نواس يوسف فاماالتى بالشأم وفارس فلم ينزل ان فيهم قرآن وانزل فى التى بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكرالله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره فى الدين وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المؤمنين الذين القوافى النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم (اذهم عليها قعود) اى جلوس عند الاخدود (وهم) يعنى الملك الذى خدالاخدود واصحابه (على مايفعلون بالمؤمنين) اى من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم (شهود) اى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما نقموا منهم) قال ابن عباس ما كرهوا منهم (الا ان يؤمنوا بالله) وقيل ماعابوا ولاعلموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله (العزيز) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لايغالب ولايدافع (الحميد) يعنى الذى يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذى له ملك السموات والارض) اى فهو المستحق للعبادة (والله على كل شئ) اى من افعالهم بالمؤمنين (شهيد) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين * قوله عز وجل (ان الذين فتنوا) اى عذبوا واحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) اى بالنار (ثم لم يتوبوا) اى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان الله احرقهم

عظيم) لمن صبر فى مقام الابتلاء وراعى حق الله فيه وتدارك ماقصر مما يجب لهم عليه فاساء الخلق وخاف امر الله بالامساك من المال وجمع ومنع حق الله فارتكب رذيلة البخل والعصيان ومافرط فى محبتهم ومراعاتهم فاضاع حق الله واحتجب بهم وكذا فى محبة المال فوضع فى المقت والخسران وما اسرف فيه وانفقه فى المعاصى فكفر بنعمة الله وقعد عن القيام بشكرها وان اصاب مالا وولدا موافقا شكر ومابطر من شدة الفرح ومااستغنى فطغى وان فاته شئ من ذلك صبر وماجزع من شدة الحزن فهلك وغوى (فاتقوا الله) فى هذه المخالفات والآفات فى مواضع البليات (مااستطعتم) بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم (واسمعوا) اى افهموا هذه الاوامر واعملوا بها (واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم) اموالكم التى ابتلاكم الله بها فى مراضيه وأنوا خيرا لكم اى اقصدوا فى الاموال والاولاد ماهو خير لكم (ومن يوق شح نفسه) بعصمة الله هذه الرذيلة المعجونة فى طينة النفس

بالنار التى احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم فى الآخرة ثم ذكر ما اعد للمؤمنين فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) ❊ قوله عز وجل (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد (انه هو يبدئ ويعيد) اى يخلقهم اولا فى الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم فى القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) اى المحب لهم وقيل المحبوب اى يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويودان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة (ذو العرش) اى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات التعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اى السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام ثم قال تعالى (فعال لما يريد) يعنى انه لا يعجزه شئ ولا يمنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر (هل اتاك) اى قد اتاك (حديث الجنود) اى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (وثمود) وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) اى من قومك يا محمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم (والله من ورائهم محيط) اى عالم بهم لا يخفى عليه شئ من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) اى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش واصله فى حجر ملك والله تعالى اعلم بمراده

❊ تفسير سورة الطارق ❊

وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

❊ قوله عز وجل (والسماء والطارق) قيل نزلت فى ابى طالب وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نار افقزع ابو طالب وقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب ابو طالب فانزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك

(فأولئك هم المفلحون) الفائزون بمقام القلب وثواب الفضيلة (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم)

❊ سورة الطلاق ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له) بحسب مقتضى مقامه واجتنب ذنب حاله (مخرجا) من ضيق المقام والمكاسب الى سعة روح الحال والمواهب فمن يتقيه فى معاصيه يجعل له مخرجا من مضايق الهيآت المظلمة وعقوبات نيران الطبيعة (ويرزقه) ثواب جنة النفس وانوار

بالنهار وسمى النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق

تريدان اباهم نجم فى علوه وشرفه (وما ادراك ما الطارق) قيل لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) اى المضئ المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه اى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمى بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ماتكسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها يسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الاماقدرلها * قوله عزوجل (فلينظر الانسان) يعنى نظر تفكر واعتبار (مم خلق) اى من اى شئ خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعنى من منى (دافق) اى مدفوق مصبوب فى الرحم واراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا الامتزاجهما يخرج يعنى ذلك الماء وهو المنى (من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثديى المرأة قيل ان المعنى يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثر مايخرج من الدماغ فينصب فى عرق فى ظهر الرجل وينزل فى عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهى الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر (انه على رجعه لقادر) يعنى ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة فى الاحليل وقيل قادر على رد الماء فى الصلب الذى خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لايخرج لقادر وقيل معناه وان الذى قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هى فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عزوجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من اداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدى الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من ادى الفرائض كما امركان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها اوانتقص منها كان وجهه اغبر (فماله) اى لهذا الانسان المنكر البعث (من قوة) اى يمتنع بها من عذاب الله (ولاناصر) اى ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الرجع) اى ذات المطر سمى به لانه يجئ ويرجع ويتكرر (والارض ذات الصدع) اى تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول فصل) اى انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل (وماهو بالهزل) اى باللعب والباطل (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعنى يحتالون بالمكر بالنبى صلى

الفضائل من عالم الغيب (من حيث لا يحتسب) لعدم وقوفه منها ومن يتقيه فى افعال نفسه يجعل له مخرجا الى مقام التوكل ويرزقه تجليات الافعال من حيث لايحتسب ومن يتقيه فى صفات نفسه يجعل له مخرجا الى مقام الرضا ويرزقه روح اليقين وثمرات تجليات الصفات الالهية فى جنة القلب من حيث لا يحتسب لعدم شعوره بها ومن يتقيه فى وجوده والتنزه عنه يجعل له مخرجا من ضيق انائيته الى فسحة الوجود المطلق ويرزقه الموهوب من حيث لايحتسب ولا يخطر بباله (ومن يتوكل على الله) يقطع النظر عن الوسائل والانقطاع اليه من الوسايط (فهو حسبه) كافيه يوصل اليه ماقدر له ويسوق اليه ماقسم لاجله من انصبة الدنيا والآخرة (ان الله بالغ امره) اى يبلغ ما اراد من امره لا مانع له ولا عائق فمن تيقن ذلك ماخاف احد اولارجا وفوض امره اليه ونجا (قد جعل الله لكل شئ قدرا) اى عين لكل امر حدا معينا ووقتا معينا فى الازل

الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيه (واكيد كيدا) يعنى اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار (فمهل الكافرين) اى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيدلهم من الله عزوجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال تعالى (امهلهم رويدا) يعنى قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الاعلى ﴾

وهى مكية وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحد وتسعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

✽ قوله عزوجل (سبح اسم ربك الاعلى) اى قل سبحان ربى الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ماروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اى اصل بامر ربك الاعلى ✽ عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اخرجه ابوداود (الذى خلق فسوى) اى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة (والذى قدر فهدى) قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شئ شكله فهدى اى فعرف كيف يأتى الذكر الانثى وقيل قدر مدة الجنين فى الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ماقدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر أى اعطى كل حيوان مايحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى (والذى اخرج المرعى) اى انبت العشب وماترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك (فجعله) يعنى المرعى بعد الخضرة (غثاء) اى هشيما يابسا باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل (احوى) اى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود ✽ قوله عزوجل (سنقرئك) اى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعنى مايقرا عليك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة ان ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيأ بعد ذلك (الاماشاء الله) يعنى ان تنساه وهو مانسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الاماشاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا اخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان ينسيه شيأ (انه يعلم الجهر) يعنى من القول والفعل (وما يخفى) يعنى منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر

لا يزيد بسعى ساع ولا ينقص بمنع مانع وتقصير مقصر ولا يتأخر عن وقته ولا يتقدم عليه والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائى لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله) فى مراعاة وقته والاجتناب عن ذنب حاله (يجعل له من امره) من امر سلوكه (يسرا) اى متى راعى آداب مقامه واجتنب ذنوب حاله فى المواطن تيسر له الترقى منه الى اعلى ذلك اليسر المرتب على التقوى فى كل مرتبة (ذلك امر الله) وشأنه المخصوص به وهو التوفيق على حسب الاستعداد والفيض بقدر القبول (انزله اليكم) ثم كرر للمبالغة تفصيل ما اجمل فقال (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته) اى موانعه وهيآت نفسه الحاجبة عن الفيض المانعة للمزيد (ويعظم له اجرا) بافاضية ما يناسب حاله بحسب القبول والاستعداد الجديد من الكمال (اسكنوا

والعلانية (ونيسرك لليسرى) اى نهون عليك ان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤه فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) اى فعظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) اى مدة نفع الموعظة والتذكير اوالمعنى عظ انت وذكر ان نفعت الذكرى اولم تنفع انما عليك البلاغ (سيذكر من يخشى) اى سيتعظ من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) اى الذكرى ويتباعد عنها (الاشقى) اى فى علم الله تعالى (الذى يصلى النار الكبرى) اى النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هى نار الآخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) اى فى النار فيستريح (ولا يحيى) اى حياة طيبة تنفعه * قوله عز وجل (قد افلح من تزكى) اى تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يانافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما هذه الآية فى هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادرى اى جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رايت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وجه آخر وهو انه كان فى علم الله تعالى انه سيكون ذلك فأخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد * قوله عز وجل (بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى) يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وانتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرا هذه الآية فقال لنا اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة نعتت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان اريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان اريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل فى الآخرة وهو خير وابقى (ان هذا) اى الذى ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع آيات (لفى الصحف الاولى) اى الكتب المقدمة التى نزلت قبل القرآن ذكر فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الآخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعنى ان هذا القدر المذكور فى صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور فى جميع صحف الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور فى هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه * عن ابى ذر رضى الله عنه قال دخلت المسجد فقال

هن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرى وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولى الالباب) اى اعتبروا بحال الامم الماضين من المنكرين المعاندين وما نزل بهم من العذاب والوبال فاتقوا الله فى اوامره ونواهيه ان خلصت عقولكم من شوب الوهم فان اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع الى الفطرة واذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شيأ مما كان في صحف ابرهيم وموسى قال يا باذر اقرا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل اخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيأ * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة اخرجه الترمذي والنسائي وعن عبد العزيز بن جريج قال سألنا عائشة باي شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله اعلم

﴿ تفسير سورة الغاشية ﴾

﴿ وهي مكية وست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (هل اتاك) اي قد اتاك يا محمد (حديث الغاشية) يعني القيامة سميت غاشية لانها تغشى كل شئ باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (خاشعة) يعني ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث في دين الاسلام شيأ ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل في دين الاسلام او غير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لانها لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى (تصلى نارا حامية) قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) اي متناهية في الحرارة قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون اليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام الا من ضريع) قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض

الايمان يقينيا فلذلك وصفهم بالذين آمنوا اي الايمان التحقيقي (قد انزل الله اليكم ذكرا) اي فرقانا مشتملا على ذكر الذات والصفات والاسماء والافعال والمعاد (رسولا) اي روح القدس الذي انزله به فابدل منه بدل الاشتمال لان انزال الذكر هو انزاله بالاتصال بالروح النبوي والقاء المعاني في القلب (يتلوا عليكم آيات الله) اي يجلي عليكم صفاته ويكشف لكم توحيدها (مبينات) متجليات او مجليات لانوار الذات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) الايمان اليقيني من ظلمات صفات القلب الى نور الروح ومقام المشاهدة (ومن يؤمن بالله) الايمان العيني بالمشاهدة (ويعمل صالحا) بالسير في الله بالله (يدخله جنات) من مشاهدات تجليات صفاته ومطالعات انوارها (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) انهار علوم توحيد الافعال والصفات والذات (قد احسن الله له رزقا) من تلك العلوم (الله الذي خلق سبع سموات ومن

تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهى رواية عن ابن عباس فاذا يبس لاتقربه دابة وقيل الضريع فى الدنيا هو الشوك اليابس الذى ليس له ورق وهو فى الآخرة شوك من نار وجاء فى الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولامريئة فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعا وسقوا ماء حيما فقطع امعاء هم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا فى ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لاتاكله فانزل الله تعالى ﴿ لايسمن ولايغنى من جوع ﴾ يعنى ان هذا الطعام لاتقدر البهائم على اكله فكيف يقدر الانسان على اكله فهو لايسمن ولايغنى من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى فى هذه الآية انه لاطعام لهم الامن ضريع وذكر فى موضع آخر انه لاطعام لهم الامن غسلين فيكف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فنهم من طعامه الزقوم لاغير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين وصف اهل الجنة فقال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ اى متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة ﴿ لسعيها راضية ﴾ اى لسعيها فى الدنيا راضية فى الاخرة حيث اعطيت الجنة بعملها ﴿ فى جنة عالية ﴾ قيل هو من العلو الذى هو الشرف وقيل من العلو فى المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض ﴿ لاتسمع فيها لاغية ﴾ اى ليس فيها لغو ولاباطل ﴿ فيها عين جارية ﴾ على وجه الارض فى غير اخدود وقيل تجرى حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة مالم يجئ اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى مواضعها ﴿ واكواب ﴾ يعنى الكيزان التى لاعرا لها ﴿ موضوعة ﴾ يعنى عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملواة ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ يعنى وسائد ومرافق مصفوفة بعضها بجنب بعض اينما اراد ان يجلس ولى الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى ﴿ وزرابى ﴾ يعنى البسط العريضة قال ابن عباس هى الطنافس التى لها خمل واحدتها زربية ﴿ مبثوثة ﴾ اى مبسوطة وقيل متفرقة فى المجالس * قوله عزوجل ﴿ افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ﴾ قال اهل التفسير لما نعت الله عزوجل مافى هذه السورة ممافى الجنة عجيب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدا بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذى صنع لهم هذا فى الدنيا هو الذى صنع لاهل الجنة ماصنع وتكلمت علماء التفسير فى وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهد الفيل الا النادر منهم وقال الكلبى لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية وسئل

الارض مثلهن) ان اخذنا السموات بمعناها الظاهر فالاراضى السبعة هى طبقات العناصر المشهوره فانها قوابل بالنسبة الى المؤثرات فهى ارضها التى تنزل عليها منها الصور الكائنة وهى النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء المسماة كرة الاثير التى تتولد فيها الشهب وذات الاذناب والذوائب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المنحولة للنسيم الشامله للطبقة الطينية التى هى السادسة وطبقة الارض الصرفة عند المركز وان حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفاء وغيب الغيوب اى عين جمع الذات فالارضون هى الاعضاء السبعة المشهورة (يتنزل الامر) امر الله بالايجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل (بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما) والله تعالى اعلم

﴿ سورة التحريم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ياايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات ازواجك

الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال للعرب وانفسه تأكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة اوللركوب اوللحمل اوللبن اولاجل اللحم ولا توجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويأكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة ايام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى في كل نبات في البراري مما لا ترعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من اعظم شيء عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم ﴿والى السماء كيف رفعت﴾ يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شيء ﴿والى الجبال كيف نصبت﴾ اى على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول ﴿والى الارض كيف سطحت﴾ اى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شيء ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿فذكر انما انت مذكر﴾ اى فعظ انما انت واعظ ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ اى بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال ﴿الا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير ﴿فيعذبه الله العذاب الاكبر﴾ وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذا كله ﴿ان الينا ايابهم﴾ اى رجوعهم بعد الموت ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ يعني جزاءهم بعد الرجوع الينا والله اعلم

﴿تفسير سورة الفجر وهي مكية وتسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية﴾

﴿ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿والفجر﴾ اقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي انها دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معاني هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر

والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذا اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم) الاهل بالحقيقة هو الذي بينه وبين الرجل تعلق روحاني واتصال عشقي سواء اتصل به اتصالا جسمانيا اولا وكل ما تعلق به تعلقا عشقيا فبا لضرورة يكون معه في الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النار كوقاية نفسه فانه زكى نفسه عن الهيآت الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة تنجذب اليها فيكون

الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليال عشر) قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روى عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال بأعمال الحج واخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان احيا ليله وشد مئزره وايقظ اهله يعنى للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابى سعيد الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر * عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالى العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر واما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالى والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التي تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذا يسر) اى اذا سار وذهب وقيل اذا جاء واقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه (هل في ذلك) اى فيما ذكرت (قسم) مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لذى حجر) اى لذى عقل سمى بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى واصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجرة الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض

معها في الهاوية محجوبا بها سواء هي قواها الطبيعية الداخلة في تركيبه او نفوس انسانية منكسة في عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الاصفياء والاولياء ليحشر معهم فان المرء يحشر مع من احب (نارا وقودها الناس والحجارة) اى نارا مخصوصة من بين النيران بأن لا تتقد الا بالناس والحجارة لكونها نارا روحانية من صفات قهر الله تعالى مستولية على النفوس المرتبطة بالامور السفلية المقترنة بالاجرام الجاسية الارضية بسلسلة المحبة الروحانية فلما قرنت تلك النفوس انفسها بها حبا وهوى حشرت معها في الهاوية (عليها) اى يلى امرها (ملائكة غلاظ) اعزاء جافية غلاظ الاجرام وهي القوى السماوية والملكوت الفعلة في الامور الارضية التي هي روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثنا عشر المشار اليها بالزبانية التسعة عشر غير مالك الذي هو الطبيعة الجسمانية الموكلة بالعالم السفلي وجميع القوى

بين القسم وجوابه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عزوجل الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم * وقوله (الم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد (كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة من هؤلاء فاما عاد فهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ماذكر فى نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك عاد وثمود وابقى اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة فى الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزروع ومنازلهم بوادى القرى هى التى قال الله تعالى (التى لم تخلق مثلها فى البلاد) وسموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعنى طولهم مثل العماد فى الشبه قال مقاتل كان طول احدهم اثنى عشر ذراعا وقوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد يعنى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن منبه عن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا وداخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضها وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فارسل معاوية الى

والملكوت المؤثرة فى الاجسام التى لو تجردت هذه النفوس الانسانية ترقت من مراتبها واتصلت بعالم الجبروت وصارت مؤثرة فى هذه القوى الملكوتية ولكنها لما انغمست فى الامور البدنية وقرنت انفسها بالاجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها محبوسة فى اسرها معذبة بأيديها (شداد) اى اقوياء لالين ولا رأفة ولا رحمة فيهم لانهم مجبولون على القهر لالذة لهم الا فيه (لايعصون الله ماامرهم) لتسخيرهم وانقيادهم لامره وطاعتهم واذعانهم له لانهم وان كانوا قهارين مؤثرين بالنسبة الى ماتحتهم من اجرام هذا العالم وقواها فانهم مقهورون متأثرون بالنسبة الى الحضرة الالهية ولولم يكن انقيادهم للامر الالهى طبعا لما كان لهم تأثير فى هذا العالم (ويفعلون مايؤمرون) لدوام تأثيرهم وعدم تناهى قواهم وقدرهم (ياايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم) اذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيآت الا الجزاء على الاعمال لامتناع الاستكمال ثمة (انما تجزون

ماكنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله) بالرجوع اليه فى كل حال من احوالكم فان مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما ان اول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء عن الانانية والبقية وكذلك التوبة اولها الرجوع عن المعاصى واخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذى هو من امهات الكبائر عند اهل التحقيق (توبة نصوحا) اى توبة ترقع الخروق وترتق الفتوق وتصلح الفاسد وتسد الخلال فان خلل كل مقام وفساده ونقصانه لا ينسد ولا ينصلح ولا ينجبر الا عند التوبة عنه بالترقى الى ما هو فوقه فاذا تاب عنه بالترقى وبرز عن حجاب رؤية ذلك المقام انجبر نقصه وتم وهو من النصح بمعنى الخياطة او توبة خالصة عن شوب الميل الى المقام الذى تاب عنه والنظر اليه بعدم الالتفات وقطع النظر عنه من النصوح بمعنى الخلوص (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم) من ذنوب المقام الذى تبتم اليه عنه وحجبه وآفاته والنظر اليه او

كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى امر الملك ان نبنى فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليمانى واقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وامر الملك وزراءها وهم الف وزير ان يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ❊ قوله عز وجل (وثمود) اى وفعل بثمود مثل مافعل بعاد (الذين جابوا) اى قطعوا (الصخر) اى الحجر (بالواد) يعنى بوادى القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر واتخذوا مساكن فى الجبال وبيوتا (وفرعون ذى الاوتاد) سمى بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه الملك كما قيل * فى ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمى بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهى امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابى فقالت الهى واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها وهى تبكى فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفرى بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله عز وجل فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا فى المهد صغارا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعى فان الله قد بنى لك بيتا فى الجنة فاصبرى فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث فى طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد روى فى كذا فى جبل كذا فبعث رجلين فى طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلى وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم انى كتمت ايمانى مائة سنة ولم يظهر على احد فايما هذين

(الرجلين)

الرجلين كتم على فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وايما هذين الرجلين اظهر على فجعل عقوبته فى الدنيا واجعل مصيره فى الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وآمن واما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعابه فقال احق مايقول هذا قال مارأيت مما يقول شيأ فاعطاه فرعون واجزل واما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قدتزوج امراة من اجل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعنى ان اصبر على مايأتى فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينماهى كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون انت اشر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذى كان بها قالت مابى من جنون وان الهها والهك والهى واله السموات والارض واحد لاشريك له فبصق عليها وضربها وارسل الى ابيها وامها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذى كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك انى اشهد ان ربى وربك ورب السموات والارض واحد لاشريك له فقال لها ابوها يا آسية الست من خير نساء العالمين وزوجك اله العماليق قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان مايقول حقا فقولا له ان يتوجنى تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عنى ثم مدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها مايصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله روحها وادخلها الجنة * قوله عز وجل (الذين طغوا فى البلاد) يعنى عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصى وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فاكثروا فيها الفساد) يعنى القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام الاثم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) يعنى لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون فى الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ماخلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشئ بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لايفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وامره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد اعمال بنى آدم والمعنى انه لايفوته شئ من اعمال العباد كما لايفوت من بالمرصاد وقد قيل ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم * قوله عز وجل (فاما الانسان اذا ما ابتلاه) اى امتحنه (ربه) اى بالنعمة (فاكرمه) اى بالمال (ونعمه) اى بما وسع عليه (فيقول ربى اكرمن) اى بما اعطانى من المال والنعمة (واما اذا ما ابتلاه) يعنى بالفقر (فقدر عليه) اى فضيق عليه وقيل قتر (رزقه) اى وقد اعطاه مايكفيه (فيقول ربى اهانن) اى اذلنى بالفقر قيل نزلت فى امية بن خلف الجمحى الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) اى ليس الامر

الاعتداد به والميل اليه ورؤيته او التلوين الذى يحدث بعد الترقى عنه كالتلوين بظهور النفس فى مقام القلب وبظهور القلب فى مقام الروح وبظهور الانائية فى مقام الوحدة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) مترتبة على مراتب التوبة (يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) بظهور الحجاب فى مقام القرب (نورهم يسعى بين ايديهم) اى الذى لهم بحسب النظر والكمال العلمى (وبايمانهم) اى الذى لهم بحسب العمل وكماله اذ النور العلمى من منبع الوحدة والعملى من جانب القلب الذى هو يمين النفس او نور السابقين منهم يسعى بين ايديهم ونور الابرار منهم يسعى بايمانهم (يقولون ربنا اتمم لنا نورنا) اى يعوذون به ويلوذون الى جنابه من ظهور البقية فانها ظلمة فى شهودهم فيطلبون ادامة النور بالفناء المحض او ادم علينا هذا الكمال بوجودك ودام اشراق سبحات وجهك يقولون ذلك عن فرط الاشتياق مع الشهود كقوله

كذلك اى لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لايدوران
على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع
على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما
يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره ايشكر ام يكفر
ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يضجر ويقلق (بل لا يكرمون اليتيم) اى لا يعطونه حقه
الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر امية بن
خلف وكان يدفعه عن حقه (ولا يحضون على طعام المسكين) اى لا يطعمون مسكينا ولا يأمرون
باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (ويأكلون التراث)
اى الميراث (اكلا لما) اى شديدا والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية
لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكل كل شئ يجده لا يسأل احلال ام حرام فيأكل الذى له
ولغيره (ويحبون المال حبا جما) اى كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبه (كلا)
اى لا ينبغى ان يكون الامر هذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به
من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم
الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) اى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل
شئ عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شئ (وجاء ربك) اعلم ان هذه الآية
من آيات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واجروها
كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها
وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال
فلابد من تأويل الاية فقيل فى تأويلها وجاء امر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء امر ربك
وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الآيات (والملك صفا
صفا) اى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصفون صفا بعد صف محدقين بالجن
والانس فيكون سبع صفوف (وجئ يومئذ) يعنى يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود فى هذه
الآية تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب
عن يسار العرش (يومئذ) يعنى يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) اى يتعظ الكافر ويتوب
(وانى له الذكرى) يعنى انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة (يقول ياليتنى
قدمت لحياتى) اى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة التى لا موت فيها (فيومئذ
لا يعذب عذابه احد) اى لا يعذب احد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وثاقه احد)
يعنى لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق هو الاسر فى السلاسل والاغلال
وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذابه هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه
احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه * قوله عز وجل (ياايتها النفس المطمئنة)
اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التى قد ايقنت بالله تعالى وبان الله
ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى
الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب حين استشهد

ويبكى ان دنوا خوف
الفراق * او يقول بعضهم
وهم الذين لم يصلوا الى
الشهود الذاتى (واغفر لنا
انك على كل شئ قدير)
ظهور البقايا بعد الفناء
او وجود الاثبات قبله
(ياايها النبى جاهد الكفار
والمنافقين) للمضادة الحقيقية
بينك وبينهم (واغلظ عليهم)
لقوتك بالله منبع القوى
والقدر ومعدن القهر
والعزة عسى ان تنكسر
صلابتهم وتلين شكيمتهم
وعريكتهم فتنقهر نفوسهم
وتذل وتخضع فتنفعل عن
النور القهرى وتهتدى
فتكون صورة القهر عين
اللطف (ومأواهم جهنم
وبئس المصير) مادام هم هم
اى ما داموا على صفتهم
او دائما ابدا لزوال استعداده
اوعدمه (ضرب الله مثلا
للذين كفروا امرات نوح
وامرات لوط كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيأ وقيل ادخلا
النار مع الداخلين وضرب
الله مثلا للذين آمنوا امرات
فرعون اذ قالت رب ابن لى
عندك بيتا فى الجنة ونجنى
من فرعون وعمله ونجنى

باحد وقيل فى حبيب بن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل فى ابى بكر الصديق والاصح ان الآية عامة فى نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجعى الى ربك) اى الى ماوعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبدالله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله عزوجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد فى انفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا طوله وينبذله فيه الروح والريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه واذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اى من كساء انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل فى معنى قوله ارجعى الى ربك اى الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعى الى ثواب ربك وكرامته (راضية) اى عن الله بما اعدلك (مرضية) اى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجعى الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلى فى عبادى) اى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين (وادخلى جنتى) قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لايدرى من تلاها ياايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال بعض اهل الاشارة فى تفسير هذه الآية ياايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله اعلم

﴿ تفسير سورة البلد ﴾

وهى مكية وعشرون آية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (لااقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لااقسم فى اول سورة القيامة والبلد هى مكة فى قول جميع المفسرين (وانت حل بهذا البلد) اى مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اى حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ماتريد من القتل والاسر ليس عليك ماعلى الناس من الاثم فى استحلالها احل الله عزوجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما واحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة

من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدق بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) ثم بين ان الوصل الطبيعية والاتصالات الصورية غير معتبرة فى الامور الاخروية بل المحبة الحقيقية والاتصالات الروحانية هى المؤثرة فحسب والصورية التى بحسب اللحمة الطبيعية والخلطة والمعاشرة لا يبقى لهما اثر فيما بعد الموت ولا تكون الا فى الدنيا بالتشابين المذكورين وان المعتبر فى استحقاق الكرامة عند الله هو العمل الصالح والاعتقاد الحق كاحصان مريم وتصديقها بكلمات ربها وطاعتها المعدة اياها لقبول نفخ روح الله فيها وقد يلوح بينهما ان النفس الخائنة التى لاتفى بطاعة الروح والقلب ولا يحسن معاشرتهما ولا تطيعهما بامتثال اوامرهما ونواهيهما وتحفظ اسرارهما وتبيح محلتهما وتسير بسير الاباحة باستراق كلمة التوحيد والطغيان بانتحال الكمال داخله فى نار الحرمان وجحيم الهجران مع المحجوبين ولا تغنى هداية

والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى فى الماضى وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه فى المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل فى معنى قوله وانت حل بهذا البلد اى انهم يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه (ووالد وما ولد) يعنى آدم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى كبد) قال ابن عباس فى نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه ايضا قال فى شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشى منكبا وقيل منتصبا راسه فى بطن امه فاذا اذن الله فى خروجه انقلب راسه الى اسفل وقيل فى كبد اى فى قوة نزلت فى ابى الاشد اسيد ابن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه ويقول من ازالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه (ايحسب) يعنى ابا الاشد من قوته (ان لن يقدر عليه احد) يعنى ايظن لشدته فى نفسه انه لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى (يقول) يعنى هذا الكافر (اهلكت) اى انفقت (مالا لبدا) اى كثيرا من التلبيد الذى يكون بعضه فوق بعض يعنى فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (ايحسب ان لم يره احد) يعنى ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وقيل كان كاذبا فى قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) يعنى ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كى يشكره وجاء فى الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه (وهديناه النجدين) قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين (فلا اقتحم العقبة) اى فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان يكون ذلك خيرا له من انفاقه فى عداوة من ارسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الامر الشديد وذكرا لعقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال الخير والبر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا اعتق رقبة او اطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمران هذه العقبة جبل فى جهنم وقيل هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق

الروح او القلب عنها شيأ من الاغناء فى باب العذاب وان اغنت عنها فى باب الخلود وان القلب المقهور تحت استيلاء النفس الامارة الفرعونية الطالب للخلاص بالالتجاء الى الحق الذى قويت قوة محبة الله لصفائه وضعفت قوة قهره للنفس والشيطان لعجزه وضعفه لا يبقى فى العذاب مخلدا ويخلص الى النجاة ويبقى فى النعيم سرمدا وان تعذب بمجاورتها حينا وتألم بأفعالها برهة وان النفس المتزينة بفضيلة العفة المشار اليها باحصان الفرج هى القابلة لفيض روح القدس الحاملة بعيسى القلب المتنورة بنور الروح المصدقة بكلمات الرب من العقائد الحكمية والشرائع الالهية المطيعة لله مطلقا علما وعملا سرا وجهرا المنخرطة فى سلك التوحيد جمعا وتفصيلا باطنا وظاهرا والله تعالى اعلم

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك الذى بيده الملك) الملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار

الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل بسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ماهى فقال تعالى (وماادريك ماالعقبة) اى وماادريك مااقتحام العقبة (فك رقبة) يعنى عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التى فى ملكه اويعطى مكاتبا مايصرفه فى فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوى بسنده عن البراء ابن عازب قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال لاعتق النسمه ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى ثمنها والمنحة الوكوف والفئ على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الامن خير وقيل فى معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التى يصيربها الى رضوان الله والجنة فهى الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار (اواطعام فى يوم ذى مسغبة) اى فى يوم ذى مجاعة والسغب الجوع (يتيما ذا مقربة) اى ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة (اومسكينا ذا متربة) يعنى قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح فى التراب لايقيه شئ والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لاتنفع الامع الايمان بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى انه ان كان مؤمنا تنفعه هذه القرب وكان مقتحما العقبة وان لم يكن مؤمنا لاتنفعه هذه القرب ولايقتحم العقبة (وتواصوا بالصبر) يعنى وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه (وتواصوا بالمرحمة) اى برحمه الناس وفيه الاشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله (اولئك) يعنى اهل هذه الخصال (اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة) يعنى مطبقة عليهم ابوابها لايدخل فيها روح ولايخرج منها غم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الشمس ﴾

وهى مكية وخمس عشرة آية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة واربعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والشمس وضحاها) اى اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل فى النهار كله وقيل الضحى هو الشمس لان حرها ونورها متلازما فاذا اشتد نورها قوى حرها وهذا اضعف الاقوال (والقمر اذا تلاها) اى تبعها وذلك فى النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر فى الاضاءة وخلفها فى النور وقيل تلاها فى الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك فى الليالى البيض وقيل تلاها تبعها فى الطلوع وذلك فى اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكأنه تبعها (والنهار اذا جلاها) يعنى جلا ظلمة الليل بضيائه

تصريفه عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذى هو غاية العظمة ونهاية الازدياد فى العلو والبركة باعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح الذى هو التنزيه كقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ كلا بما يناسبه لان العظمة والازدياد والبركة تناسب الاجساد والتنزه يناسب المجردات عن المادة فمعنى تبارك وتعالى وتعاظم الذى يتصرف فى عالم الملك بيد قدرته لايتصرف فيه غيره فبيده كل ما وجد من الاجسام لابيد غيره يصرفها كما يشاء (وهو) القادر على كل ما عدم من الممكنات يوجدها على ما يشاء فان قرينة القدرة تخص الشئ بالممكن اذا تعلق القدرة به فيقال انه مقدوره لانه ممكن (الذى خلق الموت والحياة) الموت والحياة من باب العدم والملكة فان الحياة هى الاحساس والحركة الارادية ولو اضطرارية كالتنفس والموت عدم ذلك عما من شأنه ان يكون له وعدم الملكة ليس عدما محضا بل فيه شائبة الوجود والا لم يعتبر فيه

وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا ﴿ والليل اذا يغشاها ﴾ اى يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس فى الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر ﴿ والسماء وما بناها ﴾ اى ومن بناها وقيل والذى بناها فعلى هذا كانه اقسم به وعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اى والسماء وبنائها ﴿ والارض وما طحاها ﴾ اى بسطها وسطحها على الماء ﴿ ونفس وما سواها ﴾ اى عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس الشريفة المكلفة التى تفهم عنه خطابه وهى نفس جميع من خلق من الانس والجن ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة المعصية وعنه عرفها ما تأتى وما تتقى وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور (م) عن ابى الاسود الديلى قال قال لى عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم من قدر قد سبق اوفيما يستقبلونه مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لى يرحمك الله انى لم ارد بما سألتك الا لاختبر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق اوفيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يارسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير اوفيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه اقسام اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على هذا القول انه قد دخل فى جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير رب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذى بناها وجواب القسم قوله تعالى ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ المعنى لقد افلح من زكاها اى فازت وسعدت نفس زكاها الله اى اصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ اى خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها واصله من دس الشئ اذا اخفاه وكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن احد انه يتولى تطهير نفسه او اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك

المحل القابل للامر الوجودى فلذلك صح تعلق الخلق به كتعلقه بالحياة وجعل الغرض من خلقهما بلاء الانسان فى حسن العمل وقبحه اى العلم التابع للمعلوم الذى يترتب عليه الجزاء وهو العلم الذى يظهر على المظاهر الانسانية بعد وقوع المعلوم فانه ليس الاعلم الله الكامن فى الغيب الظاهر بظهور المعلوم لان الحياة هى التى يتمكن بها على الاعمال والموت وهو الداعى الى حسن العمل الباعث عليه وبه يظهر آثار الاعمال كما ان الحياة يظهر بها اصولها وبهما تتفاضل النفوس فى الدرجات وتتفاوت فى الهلاك والنجاة وقدم الموت على الحياة لان الموت فى عالم الملك ذاتى والحياة عرضية ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب الذى يقهر من اساء العمل ﴿ الغفور ﴾ الذى يستر بنور صفاته من احسن ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ نهاية كمال عالم الملك فى خلق السموات لاترى احدكم

من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذبك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها ❋ قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) اى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (اذانبعث اشقاها) اى قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبدالله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى اهله مثل ابى زمعة لفظ البخارى فى قوله عارم اى شديد ممتنع ❋ قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) اى ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قدعزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله (وسقياها) اى وشربها اى وذروا شربها ولاتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعنى صالحا (فعقروها) يعنى الناقة (فدمدم عليهم ربهم) اى فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم اى اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم احد (بذنبهم) اى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) اى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولايخاف عقباها) اى لايخاف الله تبعة من احد فى هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لايخاف العاقر عقبى ماقدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لايخاف صالح عاقبة ماانزل الله بهم من العذاب ان يؤذيه احد بسبب ذلك والله اعلم

❋ تفسير سورة والليل ❋

وهى مكية واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة احرف

❋ بسم الله الرحمن الرحيم ❋

❋ قوله عز وجل (والليل اذا يغشى) اى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله (والنهار اذا تجلى) اى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق (وماخلق الذكر والانثى) اى ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وان اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدا خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير ام وجواب القسم قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) اى بان اعمالكم المختلفة فساع فى فكاك نفسه وساع فى عطبها روى ابومالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها اوموبقها قوله موبقها اى مهلكها ❋ قوله تعالى (فامامن اعطى) اى انفق ماله فى سبيل الله عز وجل (واتقى) اى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل مالا ينبغى (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لااله الاالله وعنه صدق بالخلف به اى ايقن ان الله

خلقا واحسن نظاما وطباقا منها واضاف خلقها الى الرحمن لانها من اصول النعم الظاهرة ومبادى سائر النعم الدنيوية وسلب التفاوت عنها لبساطتها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضا وحسن انتظامها وتناسبها ونفى الفطور لامتناع خرقها والتئامها وانما قال (ثم ارجع البصر كرتين) لان تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقق الحقائق واذا كان ذلك فيها عند طلب الخروق والشقوق لايفيد الاالخسوء والحسور تحقق الامتناع وما اتعب من طلب وجود الممتنع (ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا) من السموات المعنوية اى العقل الانسانى (بمصابيح) الحجج والبينات (وجعلناها رجوما للشياطين) الشياطين الوهم والخيال (واعتدنا لهم عذاب السعير) سعير الاحتجاب فى قعير الطبيعة والهوى فى هاوية العالم الجسمانى والبرزخ الغاسق الظلمانى اوالسماء المحسوسة التى هى اقرب الينا من السماء العقلية بمصابيح الكواكب

سيخلف عليه ماانفقه فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعدالله عزوجل الذى وعده انه يثيبه (فسنيسره) فسنهيئه فى الدنيا (لليسرى) اى للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله * قوله عزوجل (واما من بخل) اى بالنفقة فى الخير والطاعة (واستغنى) اى عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) اى بلا اله الا الله اوكذب بما اوعده الله عزوجل من الجنة والثواب (فسنيسره للعسرى) اى فسنهيئه للشر بان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نسر عليه ان يأتى خيرا وفى الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم فى القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيدالله تعالى ووجوب العمل بما سبق له فى الازل (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال مامنكم من احد الاوقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم والاوقد كتبت شقية اوسعيدة فقالوا يارسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له امامن كان من اهل السعادة فيصير لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فامامن اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك اوغيرها بما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعنى سعى ابى بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها فى دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من ايديهم وان وجدها فى فم احدهم ادخل اصبعه فى فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطينى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة فقال الرجل ان لى نخلا ومافيه اعجب الى منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعها بحش يعنى حائطا له فيه نخل فقال هى لك فاتى ابو الدحداح النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تشتريها منى بنخلة فى الجنة فقال نعم فقال هى لك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصارى صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت فى ابى بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق الآيات يقتضى ذلك * قوله عزوجل (ومايغنى عنه ماله) اى الذى بخل به (اذا تردى) اى اذا مات وقيل هوى فى جهنم (ان علينا للهدى) اى ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ماللمحسن من اليسرى وماللمسئ من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائى الى العمل بطاعتى واصرف

وجعلناها بحيث ترجم بها النفوس البعيدة عن عالم لظلمة جواهرها بملازمة الغواسق الجسمانية المخالفة بجواهرها الخبيثة عن الجواهر المقدسة التى غلبت عليها ظلمة الكون وشدة الرين وتكدرت بمباشرة الشهوات الطبيعية وتلوثت بألواث التعلقات الجسمانية وامتزجت بها فترسخت فيها الهيئات المظلمة وتغيرت عن طباعها فتأثرت بتأثيرات الاجرام العلوية كما اشتاقت بسنخها عالمها رجمتها روحانيات الكواكب وطردتها الى جحيم العالم السفلى والزمتها مجاورة الهياكل المناسبة لهيآتها وملازمة البرزخ المشاكلة لطباعها والقتها فى عذاب تضاد الطبائع وسعير استيلاء طبائع تلك الغواسق (وللذين كفروا بربهم) حجبوا عن ربهم عامة سواء الشياطين الذين هم فى غاية البعد والمنافاة وقوة الشر وغيرهم من الضعفاء المحجوبين الذين ليسوا فى غاية الشرارة (عذاب جهنم) اى العالم السفلى الفاسق المضاد بطبعه لعالم النور (وبئس المصير) ذلك

اعدائى عن العمل بطاعتى وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للآخرة والاولى) اى لنا ما فى الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق (فانذرتكم) اى يا اهل مكة (نارا تلظى) اى تتوقد وتتوهج (لا يصلاها الا الاشقى) يعنى الشقى (الذى كذب) يعنى الرسل (وتولى) اى عن الايمان (وسيجنبها الاتقى) يعنى التقى (الذى يؤتى) اى يعطى (ماله يتزكى) اى يطلب عند الله ان يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق فى قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له ابوه اى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى اريد فأنزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك احد احد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابى بكر فى بنى جمح فقال لامية الا تتقى الله فى هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال ابو بكر افعل عندى غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر ابن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عميس وزهرة فأصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها واعتق الهندية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فرآهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بحطبان لها وهى تقول والله لا اعتقهما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق ابى بكر اياهم وكان اسم ابى بكر عتيقا فقال فى ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا واخزى فاكها واباجهل * عشية هما فى بلال بسوأة ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل * بتوحيده رب الانام وقوله * شهدت بان الله ربى على مهل فان تقتلونى فاقتلونى فلم اكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل * فيارب ابراهيم والعبد يونس وموسى وعيسى نجنى ثم لا تملى * لمن ظل يهوى الغى من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى ان امية بن خلف قال لابى بكر فى بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل (وما لاحد عنده) اى عند ابى بكر (من نعمة تجزى) اى من يد يكافئه عليها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) اى لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له

المهوى المظلم المهين المحرق (اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) لاهلها الاصوات المنكرة المنافية لاصوات الاناسى والروحانيين اولا نفسهم فانهم يصطرخون فيها بأصوات الحيوانات القبيحة المنظر المنكرة الصوت (وهى تفور) تغلى عليهم وتستولى وتعلو (تكاد تميز من الغيظ) اى تتفارق اجزاؤها من شدة غلبة التضاد عليها وشدة مضادتها لجواهر النفوس ولعمرى ان شدة منافرة الطباع بعضها بعضا تستلزم شدة العداوة والبغض المفضية لشدة الغيظ والحنق فتلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور والجوهر المجرد واصل فطرة النفس يشتد غيظها عليها وتحرقها بنار غضبها اعاذنا الله من ذلك (كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) والخزنة هم النفوس الارضية

عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته (ولسوف يرضى) اى بما يعطيه الله عزوجل فى الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل والله اعلم

﴿ تفسير سورة والضحى ﴾

وهى مكية واحدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (والضحى) اختلفوا فى سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى ارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك ليلتين او ثلاثا فانزل الله عزوجل والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى واخرجه الترمذى عن جندب قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت اصبعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

قال فابطا عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عزوجل ماودعك ربك وماقلى وقيل ان المرأة المذكورة فى الحديث المتفق عليه هى ام جميل امرأة ابى لهب القول الثانى قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذى القرنين واصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحى وجبريل عنه ان جروا كان فى بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا فى مدة احتباس الوحى عنه فقيل اثناعشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما فلما نزل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ماجئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل انى كنت اليك اشد شوقا ولكنى عبد مأمور ونزل ومانتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة قوله عزوجل والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله فى قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد فى الصيف والشتاء (والليل اذا سجى) قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى (ماودعك ربك وماقلى) اى ماتركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الآى وقيل معناه وماقلى احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة (وللآخرة خير لك من الاولى) اى الذى اعطاك ربك فى الآخرة خير لك واعظم من الذى اعطاك فى الدنيا وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هى الشفاعة فى امته حتى يرضى (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله عزوجل يا جبريل اذهب الى محمد واساله مايبكيك وهو اعلم فاتى جبريل وسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم

والسماوية الموكلة بعالم الطبيعة السفلية وسؤالهم اعتراضهم ومنعهم اياها عن الفوز من الجحيم بحجة تكذيب الرسل ومنافاة عقائدها لما جاءت به ومعاندتها اياهم وعدم معرفتها بالله وكلامه وصممها عن الحق وانتفاء سماعها وعدم عقلها عن الله معارفه وآياته ودلائل توحيده وبيناته فانهم لو سمعوا او عقلوا العرفوا الحق واطاعوا فنجوا وخلصوا الى عالم النور وجوار الحق فما كانوا فى اصحاب السعير (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) بتصور عظمته غائبين عن الشهود الصفاتى فى مقام النفس بتصديق الاعتقاد (لهم مغفرة) من صفات النفس (واجر كبير) من انوار القلب وجنة الصفات او الذين يخشون ربهم بطالعة صفات العظمة فى مقام القلب غائبين عن الشهود الذاتى لهم مغفرة من صفات القلب واجر كبير من انوار الروح وجنة الذات (واسروا قولكم اوجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق) لكون تلك السرائر عين

قال وهو اعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك فى امتك ولا نسوؤك (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتى لا يشرك بالله شيأ * عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيأ اخرجه الترمذى قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن على يقول انكم يامعشر اهل العراق تقولون ارجى آية فى القرآن قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل فى معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه فى الدنيا النصر والظفر على الاتباع وكثرة الاعداء والفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلى دينه وان امته خير الامم واعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه فى الدنيا والآخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقيل الوحى وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل (الم يجدك يتيما) اى صغيرا (فآوى) اى الم يعلمك الله يتيما من الوجود الذى هو بمعنى العلم والمعنى الم يجدك يتيما صغيرا حين مات ابوك ولم يخلف لك مالا ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك ابى طالب حتى احسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابو طالب الى ان قوى واشتد وزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك اليه وايدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (ووجدك ضالا) اى عما انت عليه اليوم (فهدى) اى فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة اذ جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من انت فعرفك نفسك وحالك * قوله عز وجل (ووجدك عائلا فاغنى) يعنى فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه

عله فكيف لايعلم ضمائرها من خلقها وسواها وجعلها مرائى اسراره (وهو اللطيف) الباطن علمه فيها النافذ فى غيوبها (الخبير) بما ظهر من احوالها اى المحيط ببواطن ما خلق وظواهره بل هو هو بالحقيقة باطنا وظاهرا لافرق الا بالوجوب والامكان والاطلاق والتقييد واحتجاب الهوية بالهذية والحقيقة بالشخصية (هو الذى جعل لكم الارض) ارض النفس (ذلولا فامشوا فى مناكبها) بأقدام الفطرة فى اعالى صفاتها واعز اطرافها وجهاتها واقهرها مذلة (وكلوا من رزقه) الذى ينال من جهتها اى العلم المأخوذ من الحس وهو الاكل من تحت الارجل المشار اليه بقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم (واليه النشور) بالعروج الى مقام الولاية وحضرة الجمع (ا امنتم من فى السماء) الذى قهر سلطانه سماء الروح وبهر نوره شمس العقل بالتأثير والتنوير (ان يخسف بكم الارض) ارض النفس بأن يحركها

الله بما آتاه وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى عز وجل مسئلة ووددت انى لم اكن سألت قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يارب زاد فى رواية الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم فى صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك ان يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كأنه قال مالك تقطع رجاءك عنى الست الذى ربيتك وآويتك وانت يتيم صغير اتظننى تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وان اتم نعمتى عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فاما اليتيم فلا تقهر) اى لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب فى الجاهلية تفعل فى امر اليتامى يأخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوى بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ويشير باصبعيه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (واما السائل فلا تنهر) يعنى السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك فى وجهه قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعى السائل بريدنا الى الآخرة يجئ الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشئ وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس فى وجهه ولا ينهر ولا يلقى بمكروه (واما بنعمة ربك فحدث) قيل اراد بالنعمة النبوة اى بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التى آتاك الله وقيل النعمة هى القرآن امره ان يقرأه ويقرئه غيره وقيل أشكره لما ذكره نعمه عليه فى هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر امره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور اخرجه الترمذى * وله عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة فى قراءة اهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على راس

ويقلبها عليكم فتقهركم وتستولى عليكم فتذهب بنوركم وتهلككم وتجعلكم اسفل سافلين (فاذا هى) تضطرب عالية طياشة لاقرار لها ولا طمأنينة بالسكينة لما فى طباعها من الطيش والاضطراب (ام امنتم من فى السماء) ذلك العالى القهار (ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) حاصب صفات النفس ولذاتها وشهواتها المستعلية بريح الهوى على القلب فى جو الامانى والآمال فيهلكهم هلاك المكذبين الذين تحركت نفوسهم بقهر من الله فاحتجبوا بظلماتها عن نور هداية الرسل فخسفوا ومسخوا وكان من حالهم ما يتعجب منه وعاينوا ما انذروا به من المنكر الفظيع (اولم يروا الى الطير) طير المعارف والحقائق والاشراقات النورية والمعانى القدسية (فوقهم) فى سماء الروح (صافات) انفسهن مترتبة متناسقة فيها (ويقبضن) عن النزول الى القلب (ما يمسكهن الا الرحمن) المسوى الاستعداد

كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك ان الوحى لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الم نشرح ﴾

وهى مكية وثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

*قوله عز وجل (الم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير اى قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التى تصده عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره فى صغره (م) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط فى صدره (ووضعنا عنك وزرك) اى حططنا عنك وزرك الذى سلف منك فى الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب امتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ماثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر فى اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذى ينقض ظهرك لوكان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول فى عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى فى سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر (الذى انقض ظهرك) اى اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفى الذى يسمع من المحمل اوالرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ماقبل النبوة قال هو اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته اذلم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على مابعد النبوة قال هو ترك الافضل حسنات الابرار سيآت المقربين * وقوله عز وجل (ورفعنا لك ذكرك) روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبدالله وصدقه فى كل شئ ولم يشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشئ وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال الضحاك لاتقبل صلاة الا به ولاتجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد * وضم الاله اسم النبى مع اسمه

المهئ لقبولها المودع اياها فيها المرتب لها بسعة رحمته الواسعة الشاملة لكل ماخلق وقدر المعطية كل شئ خلقه ومايرسلهن الا الرحيم المفيض لكل ماقدر من الكمال بحسب الاستعداد المظهر لكل مادبر فى الغيب من المعانى والصفات (انه بكل شئ بصير) فى مكمن غيبه فيعطيه ما يليق به ويسويه بحسب مشيئته ويودع فيه مايريده بمقتضى حكمته ثم يهديه اليه بتوفيقه (امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) اى من يشار اليه ممن يستعان به من الاغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ماينسب اليه التأثير والمعونة من الوسايط فقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما امسك من النعم الباطنة والظاهرة او يمسك ماارسل من النعم المعنوية والصورية او يحصل لكم مامنع ولم يقدر لكم او يمنع ما اصابكم به وقدر عليكم (ان الكافرون) المحجوبون الذين ستروا نور فطرتهم (الا فى غرور) بالوسايط (امن) يشار

اذا قال في الخمس المؤذن اشهد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه في قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى ﴿ فان مع العسر يسرا ﴾ اى مع الشدة التى انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به ﴿ ان مع العسر يسرا ﴾ وانما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثانى هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثانى غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثانى غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثانى هو الاول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف ابو على الحسن بن يحيى الجرجانى صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا اى لا يحزنك الذى يقولون فان مع العسر الذى في الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطى المئين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدا فضلا آخر من امور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذى في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الاولى ويسر في الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اى ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذى وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذى وعدهم في الآخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم ابدا غير زائل اى لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اى لا يجتمعان في النقص قال القشيرى كنت يوما بالبادية بحالة من الغم فالقى في روعى بيت شعر فقلت

اليه منها فيقال (هذا الذى رزقكم ان امسك) الرحمن (رزقه) المعنوى او الصورى (بل لجوا في عتو) اى عناد وطغيان لمضادتهم الحق بالباطل الذى اقاموا عليه ومنافاتهم النور بظلمة نفوسهم (ونفور) اى شراد لبعد طباعهم ونبوها عنه (افمن يمشى مكبا على وجهه) متنكسا بالتوجه الى الجهة السفلية ومحبته للذات الحسية وانجذابه الى الامور الطبيعية (اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم) منتصبا على صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة التامة التى لا يبلغ كنهها ولا يقدر قدرها ولما فرق بين الفريقين الضالين والمهتدين الموحدين اشار الى توحيد الافعال بقوله (قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) وذكر من افعاله الابداء والاعادة وبين ان المحجوبين مع اعترافهم بالابداء منكرون للاعادة فلا جرم بسواد وجوههم رؤية ما ينكرونه ويعاونها الكآبة ويأتيهم من العذاب الاليم ما لا يدخل تحت الوصف ولا يجيرهم

اری الموت لمن اصبح مغموما له اروح

فلما جن الليل سمعت ها تفا يهتف فی الهواء

الا ايها المرء الذی * الهم به برح * وقد انشد بيتا لم * يزل فی فكره يسنح

اذا اشتد بك العسر * ففكر فی الم نشرح * فعسر بين يسرين * اذا ابصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عنی وقال اسحق بن بهلول القاضی

فلا تيأس اذا عسرت يوما * فقد ايسرت فی دهر طويل * ولا تظنن بربك ظن سوء

فان الله اولى بالجميل * فان العسر يتبعه يسار * وقول الله اصدق كل قيل

وقال احمد بن سليمان فی المعنى * توقع لعسر دهاك سرورا * ترى العسر عنك بيسر تسرى

فما الله يخلف ميعاده * وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

قوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما عدالله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد فی العبادة والنصب فيها وان لا يخلی وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فی الدعاء وارغب اليه فی المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فی قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك فی عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فی الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انی لا كره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا فی عمل دنياه ولا فی عمل آخرته السبهلل الذی لا شیء معه وقيل السبهلل الباطل (والى ربك فارغب) ای تضرع اليه راغبا فی الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فی جميع احوالك لا الى احد سواه والله اعلم

تفسير سورة والتين

وهی مكية وثمان آيات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذی تأكلون وزيتونكم الذی تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث فی المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم واما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فی اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت فی الجبال التی ليست فيها دهنية ويمكث فی الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذی عليه دمشق والزيتون الجبل الذی عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق ومسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذی بناه على الجودی والزيتون مسجد بيت المقدس

منهما احتجبوا به من الحق ونسبوا التأثير اليه لعجزه وانتفاء قدرته ولا الرحمن لانهم لم يتكلوا عليه برؤية جميع الافعال منه ونفی التأثير عن الغير فلم يؤمنوا به الايمان الحقيقی واذلك عرض بكفرهم وشركهم بقوله (قل هو الذی ذراكم فی الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عندالله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذی كنتم به تدعون قل ارايتم ان اهلكنی الله ومن معی او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فی ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين) ای لم نتوكل على غيره لانا شاهدنا الحضرة الرحمانية التی تصدر عنها الاشياء كلها فنعنا ذلك الايمان الحقيقی نسبة الفعل الى الغير فهو يجيرنا دونكم والله اعلم

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه اولكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يأمن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لاينفر صيده ولايعضد شجره ولاتلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) يعنى فى اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز والمنطق (ثم رددناه اسفل سافلين) يعنى الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لايستطيع حيلة ولايهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين امنوا وعملوا الصالحات) فانهم لايردون الى النار اوالى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلاتكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذى عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة مايضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له بأحسن ماكان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرا القرآن لم يرد الى ارذل العمر (فلهم اجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) يعنى ياايها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات (بعد) اى بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) اى بالحساب والجزاء والمعنى فالذى يلجئك ايها الانسان الى هذا الكذب الاتتفكر فى صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على ان يبعثنى ويحاسبنى فالذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (اليس الله بأحكم الحاكمين) اى بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين اهل التكذيب يوم القيامة * عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم من قرا والتين والزيتون فقرا اليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذى وعن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الاخيرة فقرا فى احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا اوقراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة العلق ﴾

مكية وهى تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول سورة نزلت من القرآن واول ما نزل خمس آيات من اولها

(ن) هو النفس الكلية (والقلم) هو العقل الكلى والاول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها والثانى من باب التشبيه اذ تنتقش فى النفس صور الموجودات بتدبير العقل كما تنتقش الصور فى اللوح بالقلم (ومايسطرون) من صور الاشياء وماهياتها واحوالها المقدرة على ما يقع عليها وفاعل مايسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والارواح المقدسة وان كان الكاتب فى الحقيقة هو الله تعالى لكن لما كان فى حضرة الاسماء نسب اليها مجازا اقسم بهما وبما يصدر عنهما من مبادى الوجود وصور التقدير الالهى ومبدا امره ومخزن غيبه لشرفهما وكونهما مشتملين على كل الوجود فى اول مرتبة التأثير والتأثر ومناسبتهما للقسم عليه (ماانت بنعمة ربك بمجنون) اى ماانت بمستور العقل مختل الادراك فى حالة كونك منعما عليك بنعمة الاطلاع على هذا المسطور بهما فانه لااعقل ممن اطلع على سر القدر واحاط بحقائق الاشياء فى نفس الامر

الى قوله مالم يعلم (ق) عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت اول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرا قال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة اي خديجة مالي واخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي وان يدركني يومك حيا انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

﴿ فصل ﴾ في هذا الحديث دليل صحيح على ان سورة اقرا اول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم او من غيره من الصحابة ومرسل الصحابة حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها قوى البشرية فبدئ باول علامات النبوة توطئة للوحي واما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجأه الحق اي جاءه الحق بالوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطاء المشددة المهملة اي عصرني وضمني ضما شديدا وهو قوله بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا

(وان لك لاجرا) من انوار المشاهدات والمكاشفات من هذين العالمين (غير ممنون) مقطوع لكونه سرمديا غير مادي فلا يتناهى وهم ماديون محجوبون عنه متضادون اياك في الحال والوجهة فلهذا ينسبونك الى الجنون لانحصار عقولهم وافكارهم في الماديات (وانك لعلى خلق عظيم) لكونك متخلقا باخلاق الله متأيد بالتأييد القدسي فلا تتأثر بمفترياتهم ولا تتأذى بمؤذياتهم اذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال وما صبرك الا بالله (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) عند كشف الغطاء بالموت ايكم المجنون بالحقيقة انت الذي كوشفت باسرار القدر واوتيت بجوامع الكلم ام هم الذين حجبوا عما في انفسكم من آيات الله والعبر وفتنوا بعبادة الصنم (ان ربك هو اعلم بمن) جن في الحقيقة (ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) واحتجب عن الدين وبمن عقل فاهتدى اليه اي لا يعلم احد كنه جنونهم وضلالهم الا الله لكونه في الغاية وكذا كنه اهتدائك

قوله زملونى زملونى كذاهو فى الروايات مكررتين ومعناه غطونى بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اى الفزع قولها كلا ابشر فوالله لايخزيك الله ابدا روى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزى اى لايفضحك الله ولايكسرك ولايهينك ولايذلك وروى بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون اى لايحزنك من الحزن الذى هوضد الفرح وقولها وتحمل الكل اى الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم اى تعطى المال لمن هومعدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لايصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الانجيل بالعبرانية وفى رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربى يكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله تعالى ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف فى الانجيل فيكتب اى موضع شاء منه بالعبرانية ان ارادوا بالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذى نزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمى جبريل بذلك لان الله خصه بالوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله ياليتنى فيها اى فى ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اى شابا قويا حتى ابالغ فى نصرتك وهو قوله ان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا اى قويا بالغا قولها ثم لم يلبث ورقة ان توفى اى فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم قوله كى يتردى التردى الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه قوله تبدى له اى ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه اى قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجاش هو ماثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امران يبتدئ القراءة باسم الله تأدبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرأ القران مفتتحا باسم ربك اى قل باسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون فى الآية دلالة على استحباب البداءة بالتسمية فى اول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ماتحمله من النبوة واعباء الرسالة (الذى خلق) يعنى جميع الخلائق وقيل الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه وقيل الذى خلق كل شئ (خلق الانسان) يعنى آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة (من علق) جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآى ايضا (اقرأ) كرره تأكيدا وقيل الاول اقرأ فى نفسك والثانى اقرأ للتبليغ وتعليم امتك ثم استأنف فقال تعالى (وربك الاكرم) يعنى الذى لايوازيه كريم ولايعادله فى الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشئ من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك فى وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذى له الابتداء فى كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزى بكل حرف عشر حسنات (الذى علم بالقلم)

واهتداء من اهدى بهداك فلا توافقهم فى الظاهر كما لاتوافقهم فى الباطن فان موافقة الظاهر اثر موافقة الباطن وكذا المخالفة والا كان نفاقا سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء واما هم فلانهما كهم فى الرذائل وتعمقهم فى التلاون والاختلاف لتشعب اهوائهم وتفرق امانيهم وميول قواهم وجهات نفوسهم يصانعون ويضعون تلك الرذيلة الى رذائلهم طمعا فى مداهنتك معهم ومصانعتك اياهم فلا يفتنك كثرة اموال من كان اغناهم وكثرة قومه وتبعه فتطيعه وتصانعه مع كثرة رذائله ودم على توافق الظاهر والباطن مستغنيا بالله مستظهرا به مصادقا لمن صدقك مصافيا لمن وافقك مصاحبا لصعاليك المؤمنين الزاهدين فى الدنيا (فلا تطع المكذبين ودوا لوتدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذامال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على

اى الخط والكتابة التى بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة مااستقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لايبقى قيل له فاقيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولاينوب اللسان عنه ﴿ علم الانسان مالم يعلم ﴾ قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان مالم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم * قوله عزوجل ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ ان الانسان ليطغى ﴾ اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ﴿ ان ﴾ اى لان ﴿ رآه استغنى ﴾ اى رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى ابى جهل وكان قد اصاب مالا فزاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ﴿ ان الى ربك الرجعى ﴾ اى المرجع فى الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ﴿ ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ﴾ نزلت فى ابى جهل وذلك انه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن ابى هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له مالك قال ان بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لودنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله هذه الآية لاادرى افى حديث ابى هريرة اوشئ بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لاتطعه قال وامره بما امره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه (خ) عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رايت محمدا يصلى عند البيت لاطأن عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذى عيانا ومعنى ارايت تعجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير فى قوله عبدا تدل على انه كامل العبودية والمعنى ارايت الذى ينهى اشد الخلق عبودية وهذا دابه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولايلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولايلزم من ذلك ايضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا ان يأذن فيه المولى اوالزوج ﴿ ارايت ان كان على الهدى ﴾ يعنى العبد المنهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ اوامر بالتقوى ﴾ يعنى بالاخلاص والتوحيد ﴿ ارايت ان كذب ﴾ يعنى اباجهل ﴿ وتولى ﴾ اى عن الايمان وتقدير نظم الآية ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان اى اعجب من هذا ﴿ الم يعلم ﴾ يعنى اباجهل ﴿ بأن الله يرى ﴾ يعنى يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم ﴿ كلا ﴾ اى لايعلم ذلك ابو جهل ﴿ لئن لم ينته ﴾ يعنى عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ اى لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشئ اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية

الخرطوم) اى تغير وجهه فى القيامة الصغرى ونجعل آلة حرصه مشاكلا لهيئة نفسه كخرطوم الفيل مثلا ونبدل اعز اعضائه بما فيه علامة غاية الذل لخسة نفسه المنجذبة الى مافى جهة السفل الجاذبة لمواد الرجس (انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذاقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لايدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا ياويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف

شعر مقدم الراس والسفع الضرب اى لنضربن وجهه فى النار ولنسودن وجهه ولذلنه ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) اى صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابوجهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوجهل انتهرنى فوالله لاملأن عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فجاء ابوجهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابوجهل انك لتعلم مابها نادا كثر منى فانزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس والله لودعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه اى عشيرته وقومه فلينتصر بهم واصل النادى المجلس الذى يجمع الناس ولا يسمى ناديا مالم يكن فيه اهله سندع الزبانية يعنى الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار اليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع (كلا) اى ليس الامر على ماهو عليه ابوجهل (لا تطعه) اى فى ترك الصلاة (واسجد) اى صل لله (واقترب) اى من الله (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها يدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرا باسم ربك واذا السماء انشقت اخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة القدر ﴾

وهى مدنية وقيل انها مكية والقول الاول اصح وهو قول الاكثرين قيل انها اول مانزل بالمدينة وهى خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثناعشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (انا انزلناه) يعنى القرآن كناية عن غير مذكور (فى ليلة القدر) وذلك ان الله تعالى انزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه فى بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهى لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال ومايكون فى تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك فى بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ماهو من وظيفتهم بان يكتب لهم ماقدره فى تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه انه يحدثه فى تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض فى الازل قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فامعنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالى من قولهم لفلان قدر عند الامير اى منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذاقدر عند الله لكونه مقبولا وقيل

تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق) اى اذكر يوم يشتد الامر وتتفاقم شدته بحيث لايمكن وصفها بمفارقة المألوفات البدنية والملاذ الحسية وظهور الاهوال والآلام النفسية بالهيآت الموحشة والصور المؤذية (ويدعون) على لسان الملكوت للجنسية الاصلية والمناسبة الفطرية (الى السجود) سجود الاذعان والانقياد لقبول الانوار الالهية والاشراقات السبوحية (فلا يستطيعون) الانقياد والاذعان لقبولها لزوال استعدادهم الاصلى بالهيآت المظلمة واحتجابهم بالغواشى الجسمانية والملابس الهيولانية (خاشعة ابصارهم) ذليلة متحيرة لذهاب قوتها النورية وعدم قدرتها على النظر الى عالم النور وبعدها عن ادراك شعاع مفيد السرور (ترهقهم ذلة) الركون الى السفليات والركود الى خساسة

سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

﴿ فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها ﴾ (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خير الكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة * وروى عن عبدالله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في اوقاتها المختلفة وهو قول مالك والثوري واحمد واسحق وابو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابي حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبدالله بن عمر فقال يرحم الله اباعبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي في اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ﴾

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى وعشرين (ق) عن ابي هريرة ان اباسعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني اريت هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رايت على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبدالله بن انيس قال كنت في مجلس لبني سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله

الانفعاليات وملازمة الطبيعيات (وقد كانوا يدعون) عند بقاء الاستعداد ووجود الآلات (الى السجود) سجود الانقياد بتهيئة الاستعداد لقبول الامداد من عالم الانوار (وهم سالمون) الاستعداد متمكنون على احراز السعادة في المعاد (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك) بسعادة من سعد وشقاوة من شقي ونجاة من نجا وهلاك من هلك وهداية من اهتدى وضلال من ضل (ولا تكن كصاحب الحوت) في استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب والاحتجاب عن حكم الرب حتى ردعن جناب القدس الى مقر الطبع (فالتقمه الحوت) حوت الطبيعة السفلية في مقام النفس وابتلي بالاجتنان في بطن حوت الرحم (اذ نادى) ربه لقهر قومه واهلاكهم لفرط الغضب عن مقام النفس لا باذن

صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك فى صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلنى اليك رهط من بنى سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنتان وعشرون فقال هى الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا وعشرين اخرجه ابوداود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعى ايضا (خ) عن الصنابحى انه سأل رجلا هل سمعت فى ليلة القدر شيئا قال اخبرنى بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبدالله بن انيس قال قلت يارسول الله ان لى بادية اكون فيها وانا اصلى فيها بحمدالله فمرنى بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلى الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته اخرجه ابو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها فى ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن ليلة اربع وعشرين (ح) عن ابن عباس قال التمسوها فى اربع وعشرين وقيل هى فى ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هى ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابى بن كعب وابن عباس واليه ذهب احمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت ابى بن كعب يقول وقيل له ان عبدالله بن مسعود يقول من قام السنة اصاب ليلة القدر قال ابى والله الذى لا اله الا هو انها لفى رمضان يحلف ولا يستثنى فوالله انى لاعلم اى ليلة هى هى الليلة التى امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهى ليلة سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو داود وقيل هى ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان وقيل هى ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هى فى كل رمضان اخرجه ابوداود قال ويروى موقوفا عليه

﴿ ذكر ليال مشتركة ﴾ عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابو داود عن عتبة بن عبد الرحمن قال حدثنى ابى قال ذكرت ليلة القدر عند ابى بكرة فقال ما انا بملتمسها بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فى العشر الاواخر فانى سمعته يقول التمسوها فى تسع يبقين او فى سبع يبقين او فى خمس يبقين او فى ثلاث يبقين او آخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلى فى العشرين من رمضان كصلاته فى سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد اخرجه الترمذى (ح) عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون

الحق (وهو مكظوم) مملىء غيظا (لولا ان تداركه نعمة) كاملة (من ربه) بالهداية الى الكمال لبقاء سلامة الاستعداد وعدم رسوخ الهيئة الغضبية والتوبة عن فرطات النفس والتنصل عن صفاتها (لنبذ بالعراء) اى بظاهر عالم الحس وطرد من جناب القدس بالكلية وترك فى وادى النفس (وهو مذموم فاجتباه) موصوف بالرذائل مستحق للاذلال والخذلان محجوب عن الحق مبتلى بالحرمان ولكنه اجتباه (ربه) برحمته لمكان سلامة فطرته وبقاء نوره الاصلى فقربه اليه وجعه الى ذاته بالقاء كلمة التوحيد اليه وايصاله الى مقام الجمع (فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين) لمقام النبوة بالاستقامة حال البقاء بعد الفناء فى عين الجمع والله تعالى اعلم

﴿ سورة الحاقة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة) هى الساعة

خير الكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان اى تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى العشر فى سبع يبقين يعنى ليلة القدر وفى رواية فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى قال ابو عيسى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعى كان هذا عندى والله اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها فى كذا فيقال التمسوها فى ليلة كذا قال الشافعى واقوى الروايات عندى فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوى وبالجملة ابهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا فى العبادة ليالى شهر رمضان طمعا فى ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الاعظم فى القرآن فى اسمائه ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الاواخر من رمضان ما لا يجتهد فى غيره (ق) عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولى اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسائى وابن ماجه ❋ قوله عز وجل (وما ادراك ما ليلة القدر) اى اى شئ يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى اعمار الناس قبله اوما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خيرا من الف شهر اخرجه مالك فى الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة ❋ الوجه الثانى من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعنى الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هو عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم

الواجبة الوقوع التى لا ريب فيها ان اريد بها القيامة الصغرى او التى تحق فيها الامور اى تعرف وتحقق ان اريد بها الكبرى والمعنى ان الساعة ما هى وما اعلمك اى شئ هى اى لا يعرف شدتها وهو لها وما يظهر فيها من الاحوال على المعنى الاول اولا يعرف حقيقتها وارتفاع شأنها وانارة برهانها وما يبدو فيها احد الا الله وكلتا القيامتين تقرع الناس وتهلكهم وتفنيهم وتستأصلهم بالشدة والقهر واما تكذيبهم بالاولى فلاقبالهم من الدنيا وترك العمل لها وغفلتهم وغرورهم بالحياة الحسية واما بالثانية فلعدم وقوفهم عليها وانكارهم لها واحتجابهم عنها وقد يطابق مثل المكذبين بمثل المفرطين اى المقصرين والغالين بأن يقال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود) وهم اهل الماء القليل اى اهل العلم الظاهر المحجوبون عن العلوم الحقيقية (فأهلكوا بالطاغية) اى الحالة الكاشفة عن الباطن وعالم التجرد التى تطغى على علومهم ففيها وهى خراب البدن (واما عاد) الغالون

ليسلموا عليهم ويعتذر واما قالوا ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم (والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام قاله اكثر المفسرين وفى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزى وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) اى فى ليلة القدر (باذن ربهم) اى بامر ربهم (من كل امر) اى بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر ☼ الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) اى سلام على اولياء الله واهل طاعة قال الشعبى هو تسليم الملائكة فى ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال تعالى سلام (هى) يعنى ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوأ او يحدث فيها اذى (حتى مطلع الفجر) اى ان ذلك السلام والسلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة ﴾

﴿ وهى مدنية قاله الجمهور وفى رواية عن ابن عباس انها مكية وهى ثمان آيات واربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

☼ قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والمشركين) اى ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه فى دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثانى المشركون اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين (منفكين) اى منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تاتيهم) اى حتى اتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضى (البينة) اى الحجة الواضحة يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدى فى بسيطه وهذه الآية من اصعب ما فى القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين فى تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التى هى الرسول ثم انه تعالى لم يذكر انهم منفكون عما ذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذى كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم تاتيهم البينة التى هى الرسول

المجاوزون حد الشرائع بالتزندق والاباحة فى التوحيد (فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها) هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية اى الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم فى اودية الهلاك سخرها الله (عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما) فى مراتب الغيوب السبعة التى هى لياليهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمانية الظاهرة لهم كالايام وهى الوجود والحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والتكلم اى على ما ظهر منهم وما بطن تقطعهم وتستأصلهم (فترى القوم فيها صرعى) موتى لا حياة حقيقية لهم لانهم قائمون بالنفس لا بالله كما قال كانهم خشب مسندة (كانهم اعجاز نخل خاوية) اى اقوياء بحسب الصورة لا معنى فيهم ولا حياة ساقطون عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى اذلا يقومون بالله (فهل ترى لهم من باقية) اى بقاء او نفس باقية لانهم فانون من اسرهم (وجاء فرعون)

ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وماتفرق الذين اوتوا الكتاب الامن بعدماجاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قدازداد عند مجئ الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لانفك عما نحن عليه من ديننا ولانتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وماتفرق الذين اوتوا الكتاب اي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذاجاءهم الرسول ثم مافرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الامجئ الرسول ونظيره في الكلام مايقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك عما انا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وماغمست راسك في الفسق اوبعد اليسار فيذكره ماكان يقول توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وماتفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى الذي وقع كان بخلاف ماادعوا وثانيها ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظ حتى بهذا ليس من اللغة في شئ وذكروجوها اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى (رسول من الله) اي تلك البينة رسول من الله (يتلوا) اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم (صحفا) اي كتبا يريد ماتضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرا عن ظهر قلبه لاعن كتاب (مطهرة) اي من الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة اي لاينبغي ان يمسها الا المطهرون (فيها) اي في الصحف (كتب) اي الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الاحكام (قيمة) اي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب فقال تعالى (وماتفرق الذين اوتوا الكتاب) يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم (الامن بعد ماجاءتهم البينة) يعني جاءتهم البينة في كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ماامروا به في كتبهم فقال تعالى (وماامروا) يعني هؤلاء الكفار (الاليعبدوا الله) اي وماامروا الا ان يعبدوا الله قال ابن عباس ماامروا في التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له (مخلصين له الدين) الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على مايجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على ان كل مأمور به فلابد وان يكون منويا فلابد من اعتبار النية في جميع المأمورات قال اصحاب الشافعي الوضوء مامور به ودلت

النفس الامارة (ومن قبله) من قواها واعوانها (والمؤتفكات) من القوى الروحانية المنقلبة عن طباعها بالميل الى الظاهر والانقلاب عن المعقول الى المحسوس (بالخاطئة) بالخصلة التي هي خطأ وهي المجاوزة عن البواطن الى الظواهر (فعصوا رسول ربهم) اي العقل الهادي الى الحق (فأخذهم) بالغرق في بحر الهيولى ورجفة اضطراب مزاج البدن وخرابه (اخذة رابية) زائدة في الشدة (انا لما طغى الماء) ماء طوفان الهيولى (حملناكم في الجارية) في جارية الشريعة المركبة من الكمال العلمي والعملي (لنجعلها لكم تذكرة) لعالم القدس وحضرة الحق التي هي مقركم الاصلي وماواكم الحقيقي (وتعيها اذن واعية) اي تحفظها اذن حافظة لما سمعت من الله في بدء الفطرة باقية على حالها النظرية غير ناسية لعهده وتوحيد وما اودعها من اسراره بسماع اللغو في هذه النشأة وحفظ الباطل من الشيطان والاعراض عن جناب

هذه الآية على ان كل مأموربه يجب ان يكون منويا فيجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان ياتى بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى فالوافى ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا اولا لنجاة من النار مطلوبا وان كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا بربه عز وجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (حنفاء) اى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء اى حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء اى مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين احد منهم فمن لم يؤمن باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف (ويقيموا الصلاة) اى المكتوبة فى اوقاتها (ويؤتوا الزكوة) اى المفروضة عند محلها (وذلك) اى الذى امروا به (دين القيمة) اى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل فى الهاء القيمة الكتب التى جرى ذكرها اى وذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مال الفريقين فقال تعالى (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين) فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جناياتهم اعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جناياتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين فى العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب الرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله فى الدنيا وادخلهم اسفل سافلين فى الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم فى العذاب (فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية) اى هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك خير البرية) يعنى انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ان يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضى ويدبر قال السرى اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله لرضاء لك وقيل رضى الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) اى هذا الجزاء والرضا (لمن خشى ربه) اى لمن خاف ربه

(فى الدنيا)

الرحمن ولهذا لما نزلت قال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام سألت الله ان يجعلها اذنك ياعلى اذهو الحافظ لتلك الاسرار كما قال ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى النفخة الاولى التى للاماتة فى القيامة الصغرى اذ يمتنع حمله على الكبرى قوله فاما من اوتى كتابه بيمينه وما بعده من التفصيل وهذا النفخ عبارة عن تأثير الروح القدسى بتوسط الروح الاسرافيلى الذى هو موكل بالحياة فى الصورة الانسانية عند الموت لازهاق الروح فيقبضه الروح العزرائيلى وهو تأثير فى ان واحد فلذلك وصفها بالوحدة (وحملت الارض والجبال) ارض البدن وجبال الاعضاء (فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة) وجعلتا اجزاء عنصرية متفرقة (وانشقت السماء) سماء النفس الحيوانية وانقشعت لزهوق الروح بانفلاقها عنه (فهى يومئذ واهية) لا تقدر على الفعل ولا تقوى على التحريك

الدنياوانهى عن المعاصى (ق) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله امرنى ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسمانى قال نعم فبكى وفى رواية البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله امرنى ان اقرئك القرآن قال الله سمانى لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه ﴿ شرح غريب الحديث ﴾ اما بكاء ابى فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثانى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره فى شكره هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضى الاختصار واما الحكمة فى امر النبى صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابى فهى ان يتعلم ابى القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط اساوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ماسواه من الامم المستعملة فى غيره فكانت قراءته على ابى ليتعلم ابى منه لا ليتعلم هو من ابى وقيل انما قرا على ابى ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابى والحث على الاخذ عنه وتقديمه فى ذلك فكان كذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم راسا واماما فى القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضى الله عنهم اجمعين والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزلزلة ﴾

وهى مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرا قل هو الله احد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

❊ قوله عزوجل (اذا زلزلت الارض زلزالها) اى تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها فى الدنيا وهى من اشراط الساعة والثانى انها زلزلة يوم القيامة (واخرجت الارض اثقالها) فمن قال ان الزلزلة تكون فى الدنيا قال اثقالها كنوزها وما فى بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ماروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقئ الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون

والادراك حالة الموت (والملك) اى القوى التى تمدها وتأوى اليها وتعتمد عليها فى الادراك وتجتمع مدركاتها عندها اوتدرك بواسطتها اوتظهر بها مدركاتها (على ارجائها) اى جوانبها من الروح والقلب والعقل والجسم فافترقت عنها وتشعبت الى جهاتها الناشئة منها اولا (ويحمل عرش ربك) اى القلب الانسانى (فوقهم يومئذ ثمانية) منهم هى الانوار القاهرة ارباب الاصنام العنصرية من الصور النوعية تحمله بالاجتماع من الطرفين العلوى والسفلى الفاعل والحامل عند البعث والنشور من كل طرف اربعة ولهذا قال النبى عليه الصلاة والسلام هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله بأربعة آخرين فيكون ثمانية ولكون تلك الاملاك مختلفة الحقائق بحسب اختلاف اصنافها العنصرية قال بعضهم انها مختلفة الصور ولكونها مستولية مستعلية على تلك الاجرام شبهت بالاوعال وقيل هم على صور الاوعال تشبيها لاجرامها بالجبال ولكونها

منه شيأ اخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه مايخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور فى الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب مايشوى عند العرب من الجزور واستعار القئ للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وسميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء واموانا (وقال الانسان مالها) اى مالها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت مافى بطنها وفى الانسان وجهان احدهما انه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة انها من اشراط الساعة والمعنى حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثانى انه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية (يومئذ تحدث اخبارها) فيقول الانسان مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ماعمل على ظهرها من خير او شر فتشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له * عن ابى هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون مااخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (بان ربك اوحى لها) اى امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق فى الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امر الله به وهذا مذهب اهل السنة * قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) اى عن موقف الحساب بعد العرض (اشتاتا) اى متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا اعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف اعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة) اى وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا فى الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيآته فيغفر الله له سيآته ويثيبه بحسناته ويعذبه بسيآته وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده واهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه فى رجلين وذلك انه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه وكان احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه انما يؤجر على مايعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخيران يعطوه فانه يوشك ان يكبر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكبر والاثم الصغير فى عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود احكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه

(وسلم)

شاملة لتلك الاجرام بالغة الى اقصاها حيث مابلغت قال بعضهم ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون والله اعلم بحقائق الامور (يومئذ تعرضون) على الله بما فى انفسكم من هيآت الاعمال وصور الافعال (لاتخفى منكم خافية فاما من اوتى كتابه) اى اللوح البدنى الذى فيه صور اعماله (بيمينه) اى جانبه الاقوى الالهى الذى هو العقل فيفرح به ويحب الاطلاع على احواله من الهيآت الحسنة وآثار السعادة وهو معنى قوله (فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت) انى تيقنت (انى ملاق حسابيه) لايمانى بالبعث والنشور والحساب والجزاء (فهو فى عيشة راضية) اى حياة حقيقية ابدية سرمدية (فى جنة) من جنات القلب والروح (عالية قطوفها) من مدركات القلب والروح من المعانى والحقائق (دانية كلوا واشربوا هنيأ بما اسلفتم فى الايام الخالية) كلما شاؤا نالوها (واما من اوتى كتابه

وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ماانزل الله فيها شيأ الاهذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والافهما من كرماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة العاديات ﴾

وهى مكية فى قول ابن مسعود وغيره مدنية فى قول ابن عباس وهى احدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (والعاديات ضبحا) فيه قولان احدهما انها الابل فى الحج قال على كرم الله وجهه هى الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت اول غزاة فى الاسلام بدرا وما كان معنا الافرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحا مداعناقها فى السير واصله من حركة النار فى العود (فالموريات قدحا) يعنى ان اخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيورى النار وقيل هى النيران بجمع (فالمغيرات صبحا) يعنى الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لايدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به نقعا) اى هيجن بمكان سيرها غبارا (فوسطن به جمعا) اى وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثانى فى تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هى الخيل العادية فى سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا غدت قال ابن عباس وليس شئ من من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من فزع او تعب وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعنى انها تورى النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة وقيل هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هى الخيل تغزو فى سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى اصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال فى الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس فى غفلة فى ذلك الوقت عن الاستعداد فأثرن به اى بالمكان نقعا اى غبارا فوسطن به جمعا اى دخلن به اى بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعد وهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول فى تفسير هذه الآيات اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها فى سبيل الله عز وجل

بشماله) اى جانبه الاضعف النفسانى الحيوانى فيتحسر ويتندم ويتوحش من تلك الصور والهيآت السمجة والقبائح التى نسيها واحصاها الله ويتنفر منها ويتمنى الموت عندها ويتيقن ان الذى صرف عمره فيه واكب بوجهه عليه من المال والسلطنة والجاه ما كان ينفعه بل يضره وهو معنى قوله (فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ماأغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه) وينادى على لسان العزة والقهر الملكوت الموكل بعالم الكون والفساد من النفوس السماوية والارضية ان اى قيدوه بما يناسب هيئات نفسه من الصور واحبسوه فى سجين الطبيعة بما يمنع الحركات على وفق الارادة من الاجرام (ثم الجحيم) جحيم الحرمان ونيران الآلام (صلوه ثم فى سلسلة) الحوادث الغير المتناهية ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ليعذب بأنواع التعذيبات والسبعون فى

ولما ذكر الله تعالى المقسم عليه فقال تعالى (ان الانسان لربه لكنود) اى لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصى وقيل هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهى التى لا تنبت شيأ وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذى انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه على ذلك لشهيد) قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا الشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع (وانه) يعنى الانسان (لحب الخير) اى المال (لشديد) اى لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوى شديد (افلا يعلم) يعنى هذا الانسان (اذا بعثر) اى اثير واخرج (ما فى القبور) يعنى من الموتى (وحصل ما فى الصدور) اى ميز وابرز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم) انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس (يومئذ لخبير) اى عالم والله تعالى خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى انه يجازيهم فى ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل ما فى الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات التى فى القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله اعلم

﴿ تفسير سورة القارعة وهى مكية ﴾

وثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

※ قوله عز وجل (القارعة) اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اى شدائده والقارعة من اسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع فى الهول والشدة (وما ادراك ما القارعة) معناه لا علم لك بكنهها لانها فى الشدة بحيث لا يبلغها فهم احد وكيفما قدرت امرها فهى اعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش هذا الطير التى تراها تتهافت فى النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق فى البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم فى بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) اى كالصوف المندوف وذلك لانها تتفرق اجزاؤها فى ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة فى الجبال العظيمة الصلبة الصلدة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم ذكر حال القيامة فقسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فاما من ثقلت موازينه) يعنى رجحت موازين حسناته قيل هو موزون وهو العمل

العرف عبارة عن الكثرة الغير المحصورة لا العدد المعين (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) اى كل ذلك بسبب كفره واحتجابه عن الله وعظمته وشحه لمحبة المال (ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم) لاستيحاشه عن نفسه فكيف لا يستوحش غيره عنه وهو متنفر عن كل احد حتى عن نفسه (ولا طعام الا من غسلين) غسالات اهل النار وصديدهم وقد شاهدنا هم يأكلونها عيانا (لا يأكله الا الخاطئون فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) بالظاهر والباطن من العالم الجسمانى والروحانى الوجود كله ظاهر او باطنا (فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين) اى محض اليقين وهو الكلام

الذى له قدر وخطر عندالله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذى له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن فى احسن صورة فتوضع فى كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيآت الكافر فى اقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن ثقلت سيآته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته واما الكافرون فقد قال فى حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن ابى بكر الصديق انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا ❊ قوله تعالى (فهو فى عيشة راضية) اى مرضية فى الجنة وقيل فى عيشة ذات رضا رضاها صاحبها (واما من خفت موازينه) اى رجحت سيآته على حسناته (فأمه هاوية) اى مسكنه النار سمى المسكن اما لان الاصل فى السكون الامهات وقيل معناه فام راسه هاوية فى النار والهاوية اسم من اسماء النار وهى المهوية التى لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع فى امر شديد يقال هوت امه اى هلكت حزنا ونكلا (وما ادراك ماهية) الهاوية يعنى ثم فسرها فقال (نار حامية) اى حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى اعلم

❊ تفسير سورة التكاثر مكية ❊

وهى ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

قوله عزوجل (الهاكم التكاثر) اى اشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشئ اعرض عن غيره فينبغى للمؤمن العاقل ان يكون سعيه وشغله فى تقديم الاهم وما يقربه من ربه عزوجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التى هى سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ماروى عن مطرف بن عبدالله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الآية الهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فأمضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله (حتى زرتم المقابر) اى متم ودفنتم فى المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية فى اليهود قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنو فلان اكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت فى حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف ايهم

الوارد من عين الجمع اذ لو نشأ من مقام القلب لكان علم اليقين ولو نشأ من مقام الروح لكان عين اليقين فلما صدر من مقام الوحدة كان حق اليقين اى يقينا حقا صرفا لا شوب له بالباطل الذى هو غيره نسب القول الاولى الى الرسول ثم الى الحق ليفيد التوحيد الذاتى ثم قال (فسبح باسم ربك العظيم) اى نزه الله وجرده عن شوب الغير بذاتك الذى هو اسمه الاعظم الحاوى للاسماء كلها بأن لا يظهر فى شهودك تلوين من النفس او القلب فتحجب برؤية الاثنينية او الانائية والا كنت مشبها لا مسبحا والله تعالى اعلم

❊ سورة المعارج ❊

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج) اى المصاعد وهى مراتب الترقى من مقام الطبائع الى مقام المعادن بالاعتدال ثم الى مقام النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان فى مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم فى منازل السلوك كالانتباه واليقظة والتوبة والانابة الى آخر ما اشار اليه اهل

اكثرفقال بنوعبد مناف نحن اكثرسيداواعزعزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنوسهم مثل ذلك فكاثرهم بنوعبدمناف ثم قالوا نعدموتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبرفلان وهذا قبرفلان فكاثرهم بنوسهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا فى الجاهلية اكثرعددا فانزل الله هذه الآية وهذا القول اشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى فكأنه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول مجيبا هب انكم اكثرمنهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) اى ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيدلهم (ثم كلاسوف تعلمون) كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعدوعيد وقيل معناه كلاسوف تعلمون يعنى الكافرين ثم كلاسوف تعلمون يعنى المؤمنين وصاحب هذا القول يقرا الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلالو تعلمون علم اليقين) اى علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) اللام تدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعنى مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعنى ان كفار مكة كانوا فى الدنيا فى الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم الله به عليه واطاع ربه فيكون السؤال فى حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يارسول الله واى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن واختلفوا فى النعيم الذى يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له الم نصحح لك جسمك ونروك من الماء البارد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابى بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله قال وانا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى اخرجكما فقوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا

السلوك من منازل النفس ومناهل القلب ثم فى مراتب الفناء فى الافعال والصفات الى الفناء فى الذات مما لا يحصى كثرة فان له تعالى بازاء كل صفة مصعد بعد المصاعد المتقدمة على مقام الفناء فى الصفات (تعرج الملائكة) من القوى الارضية والسمائية فى وجود الانسان (والروح) الا نسانى الى حضرته الذاتية الجامعة فى القيامة الكبرى (فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) اى فى الادوار المتطاولة والدهور المتمادية من الازل الى الابد لا المقدار المعين الا ترى الى قوله فى مثل هذا المقام فى عروج الامر ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون (فاصبر صبرا جميلا) فان العذاب يقع فى هذه المدة المتطاولة (انهم يرونه) لاحتجابهم عنه (بعيدا ونراه قريبا) حاضرا واقعا يتوهمه المحجوبون متأخرا الى زمان منتظر لغيبتهم عنه ونحن نراه حاضرا (يوم تكون السماء) سماء النفس الحيوانية متذائبة متفانية (كالمهل) على ما مر فى قوله وزدة كالدهان

حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذى باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذى يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لابد لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسأل عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى انقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله اعلم

﴿تفسير سورة العصر وهى مكية﴾

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهى ثلاث آيات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل اقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد فى الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل اراد بالعصر آخر طرفى النهار اقسم بالعشى كما قسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى فى قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى لما قيل هى صلاة العصر والذى فى مصحف عائشة رضى الله عنها وحفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر وفى الصحيحين شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله وقيل اراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما قسم بمكانه فى قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان لفى خسر) اى لفى خسران ونقصان قيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم فى ايدى الناس اى الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة فى طاعة او معصية فان كانت فى معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت فى طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لا ينفك احد من خسران وقيل ان سعادة الانسان فى طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين فى طلبها فكانوا فى خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى فانهم ليسوا فى خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان فى طاعة الله تعالى فهو فى صلاح وخير وما كان بضده

(وتكون الجبال) جبال الاعضاء هباء منبثا على اختلاف الوانها (كالعهن ولا يسئل حميم حميما) لشدة الامر وتفاقم الخطب وتشاغل كل احد بما ابتلى به من هيآت نفسه واهوال ما وقع فيه مع ترائيهم (كلا) ردع عن تمنى الافتداء والانجاء فانه بهيئة اجرامه استحق عذابه وبمناسبة نفسه للجحيم انجر اليها الا ترى الى قوله (تدعوا من ادبر وتولى) فان لظى نار الطبيعة السفلية ما استدعت الا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجهه الى معدن الظلمة المؤثر بمحبته الجواهر الفاسقة السفلية المظلمة فانجذب بطبعه الى مواد النيران الطبيعية واستدعته وجذبته الى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الافئدة فكيف يمكن الانجاء منها وقد طلبها بداعى الطبع ودعاها بلسان الاستعداد (ان الانسان خلق هلوعا) اى النفس بطبعها معدا للشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات فمن مال اليها بقلبه واستولى عليه مقتضى

فهو فى خسر وفساد وهلاك (وتواصوا) اى اوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعنى بالقرآن والعمل بمافيه وقيل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) اى على اداء الفرائض واقامة امر الله وحدوده وقيل اراد ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وهى مثل قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة الهمزة﴾

وهى مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (ويل) اى قبح وقيل هو اسم واد فى جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس فى بعضهم قال الشاعر ٭ اذا القيتك من كره تكاشرنى ٭ وان تغيبت كنت الهامز اللمزا ٭ وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة يعيبك فى الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذى يهمز بلسانه يلمز بعينه وقيل الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يرمق بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان فى انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشئ بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكى الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذى يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت فى اخنس بن شريق بن وهب كان يقع فى الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت فى امية بن خلف الجمحى وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل هى عامة فى كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ والحكم ومن قال انها فى اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافى ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم فى كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى (الذى جمع مالا) وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجرى مجرى السبب والعلة فى الهمز واللمز يعنى وهو اعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو اكثر منه كالشئ الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشئ الحقير (وعدده) اى احصاه من العدد وقيل هو من العدة اى استعده وجعله ذخيرة وغنى له (يحسب ان ماله اخلده) اى يظن انه يخلد فى الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون فى الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد فى الدنيا ولا يموت

جبلته وخلقته ناسب الامور السفلية واتصف بالرذائل التى اردؤها الجبن والبخل المشار اليهما بقوله (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) لمحبته البدن ومايلائمه وتسببه لشهواته ولذاته وانما كانا ارد الجذبهما القلب الى اسفل مراتب الوجود قال النبى عليه الصلاة والسلام شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع (الا المصلين) اى الانسان بمقتضى خلقته وطبيعة نفسه معدن الرذائل الا الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وتجردوا عن ملابس النفس وتنزهوا عن صفاتها من الواصلين الذين هم اهل الشهود الذاتى (الذين هم على صلوتهم دائمون) فان المشاهدة صلاة الروح غابوا فى دوام مشاهدتهم عن النفس وصفاتها وعن كل ما سوى مشهودهم ٭ والمجردين الذين تجردوا عن اموالهم الصورية والمعنوية من العلوم النافعة والحقيقية وفرقوها على المستحق المستعد الطالب وعلى القاصر الممنو بالشواغل عن الطلب (والذين

(كلا)

(كلا) ردعليه اى لايخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول على مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون مابقى الدهر وقيل معناه حقا (لينبذن) واللام فى لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول القسم معنى ومعنى لينبذن ليطرحن (فى الحطمة) اى فى النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى ياايها الهمزة اللمزة الذى يأكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التى تأكل اللحوم وتكسر العظام (وماادراك ماالحطمة) اى نار لا كسائر النيران (نار الله) انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها (الموقدة) اى لاتخمد ابدا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة اخرجه الترمذى قال وروى عن ابى هريرة موقوفا وهو اصح (التى تطلع على الافئدة) اى يبلغ المها ووجعها الى القلوب والمعنى انها تأكل كل شئ حتى تنتهى الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شئ فى بدن الانسان وانه يتألم بادنى شئ فكيف اذا طلعت عليه واستولت عليه ثم انه مع لطافته لايحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس فى النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة (انها عليهم مؤصدة) اى مطبقة مغلقة (فى عمد ممددة) قال ابن عباس ادخلهم فى عمد فمدت عليهم بعماد وفى اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى اوتاد الاطباق التى تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الابواب عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وممددة صفة العمد اى مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الفيل ﴾

﴿ وهى مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) كانت قصة اصحاب الفيل على ماذكره محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدى ان النجاشى ملك الحبشة كان بعث ارباطا الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارباطا فى امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارباط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارباطا واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشى على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشى انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخل وتغوط فيها ولطخ بالعذرة فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشى يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما

يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) من اهل اليقين البرهانى والاعتقاد الايمانى بأحوال الآخرة والمعاد وهم ارباب القلوب المتوسطون (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اى اهل الخوف من المبتدئين فى مقام النفس السائرين عنه بنور القلب لا الواقفين معه او المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب فى مقام القلب من السالكين اوفى مقام المشاهدة من التلوين فانه لا يؤمن الاحتجاب ما بقيت بقيته كما قال (ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون) من اهل العفة وارباب الفتوة (الا على ازواجهم اوما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم) التى استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية (وعهدهم) الذى هو اخذ الله ميثاقه منهم فى الازل (راعون) اى الذين سلمت فطرتهم ولم يدنسوها بالغواشى الطبيعية والاهواء النفسانية (والذين

وجمعا وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة فى الحبشة سائرا الى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذونفر بمن اطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه ابرهة واخذ ذانفر فقال ياايها الملك استبقنى فان بقائى خير لك من قتلى فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل ايها الملك انى دليل بارض العرب وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب فى رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابارغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابورغال وهو الذى يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اموال اصحاب الحرم واصاب لعبد المطلب مائتى بعير ثم ان ابرهة ارسل بحناطة الحميرى الى اهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ماارسلك به اليه اخبره انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلنى اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يدا ناسنخلى بينه وبين ماجاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذونفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال ياذانفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل اسير لايامن ان يقتل بكرة او عشية ولكن سأبعث الى انيس سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك مااستطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد اصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى احب ماوصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وانا احب ان تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ماحاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتى الى الملك ان يرد على مائتى بعير اصابها لى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ماكان ليمنعه منى قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الحبش ففعلوا

هم بشهاداتهم قائمون) اى يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فكل ماشهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير (والذين هم على صلوتهم) اى صلاة القلب وهى المراقبة (يحافظون) او صلاة النفس على الظاهر (اولئك فى جنات مكرمون) على اختلاف طبقاتهم فالفرقة الاولى فى جنات من الجنان الثلاث والمتوسطون من ارباب القلوب فى جنات من جنتين منها والباقون فى جنات النفوس دون الباقيين (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب) من الموجودات التى اوجدها بشروق نوره عليها وغروبه فيها بتعينه بها واعدمها بشروق نوره منها واوجدها بغروبه فيها (انا لقادرون على ان نبدل) ان نطلع نورا منهم فنهلكهم ونجعله غاربا فى آخرين (خيرا منهم وما نحن بمسبوقين) فذرهم (فذرهم يخوضوا

واتى عبدالمطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لاارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدوا البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

لاهم ان العبد يمنـ * ـع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدالك

ثم ترك عبدالمطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثناعشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلدالله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشأم ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرام فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله عزوجل طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلنا عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا اهلك وليس كل قوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذى جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل

فانك مارأيت ولن تراه * لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذا بصرت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا
وكلهم يسائل عن نفيل * كان على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون فى كل منهل وبعث الله على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت انملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى واما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الآخر شجعوا فحصبوا اى رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت ابويكسوم وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدى النجاشى قال امية بن ابى الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * ما يمارى فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث) من اجداث الابدان (سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) الى مقار ما يناسب هيآتهم من الصور والله تعالى اعلم

﴿سورة نوح عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله) بالمجاهدة و الرياضة فى سبيله (واتقوه) بالتجرد عما سواه حتى صفاتكم وذواتكم (واطيعون) بالاستقامة (يغفر لكم من ذنوبكم) ذنوب آثار افعالكم وصفاتكم وذواتكم (ويؤخركم الى اجل مسمى) معين لا اجل بعده وهو الفناء فى التوحيد (ان اجل الله) الذى هو توفيه اياكم بذاته (اذا جاء لا يؤخر) بوجود غيره بل يفنى كل ما عداه (لو كنتم تعلمون قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) فى مقام الجمع بين الظلمة والنور الى التوحيد (فلم

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جرا اصحاب الفيل ان فئة من قريش اججوا نارا حين خرجوا تجارا الى ارض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى وأسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان فى مكة يومئذ ابو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لايستغنى فيه عن رايك فقال ابو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيأ فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزرا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ماأعرفها ماهى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ماقدرها قال اشباه اليعاسيب فى مناقيرها حصى كانها حصى الخذف قد اقبلت كالابل يتبع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير مافى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما صبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا احدا ثم دنوا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فأصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فاسا من فؤسهم فحفر حتى اعمق فى الارض فملأه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملأه ثم قال لابى مسعود اختر ان شئت حفرتى وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال ابو مسعود فاختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى ارى اجود المتاع فى حفرتى فهى لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس واصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود فى اهاليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عزوجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم * واما التفسير فقوله عزوجل الم تر اى الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة

(دعائى الا فرارا) لانهم كانوا بدنيين ظاهرين لا يرون النور الا الضوء الجسمانى ولا الوجود الا للجواهر الجسمانية الغاسقة فينفروا عن اثبات نور وتجرد انوارهم بالنسبة اليه ظلمات (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم) وتسترهم بنورك تصاموا عنه لعدم فهمهم وقصور استعدادهم او زواله (جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم) وتستروا بأبدانهم واحتجبوا بالشدة ميلهم اليها وتعلقهم بها واحتجابهم (واصروا) على ذلك ولم يعرموا التجرد (واستكبروا استكبارا) لاستيلاء صفات نفوسهم واستعلاء غضبهم (ثم انى دعوتهم جهارا) رات عن مقام التوحيد ودعوتهم الى مقام العقل وعالم النور (ثم انى اعلنت لهم) بالمعقولات الظاهرة (واسررت لهم اسرارا) فى مقام القلب بالاسرار اللطيفة ليتوصلوا اليها بالمعقولات (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا) اى اطلبوا ان يستركم ربكم بنوره فتنور قلوبكم وتتنوروا بالحقائق الالهية والاسرار الغيبية (يرسل السماء)

واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما وحد لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآى وفى قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل فى العقل ان طيرا تأتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوص وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو صلى الله عليه وسلم الداعى الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال انا الذى فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك (الم يجعل كيدهم) يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة (فى تضليل) اى تضييع وخسار وابطال ما ارادوا اضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وارسل عليهم طيرا ابابيل) يعنى طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل ابابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيأ الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره واخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله اعلم * قوله عز وجل (ترميهم بحجارة) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكل فارسى معرب وقيل سجيل الشديد (فجعلهم كعصف مأكول) يعنى كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى اعلم

تفسير سورة قريش

وهى مكية وقيل مدنية والاول اصح واكثر وهى اربع آيات وسبع
عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

سماء الروح (عليكم مدرارا) بامطار المواهب والاحوال (ويمددكم باموال) المكاسب والمقامات (وبنين) التأييدات القدسية من عالم الملكوت (ويجعل لكم جنات) ويجعل لكم انهارا الصفات فى مقام القلب وانهار العلوم (مالكم لا ترجون لله وقارا) اى تعظيما بوقركم بالترقى فى الدرجات الى عالم الانوار (وقد خلقكم اطوارا) كل طور اشرف مما قبله وكان حالكم فيه احسن وشرفكم ازيد مما تقدمكم فما بالكم لا تقيسون الغيب على الشهادة والمعقول على المحسوس والمستقبل على الماضى فترتقون الى سماء الروح بسلم الشريعة والعلم والعمل كما ارتقيتم بسلم الطبيعة والحكمة والقدرة فى اطوار الخلقة (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) من مراتب الغيوب السبعة المذكورة ذات طباق بعضها فوق بعض (وجعل القمر) نور القلب (فيهن نورا) زائدا نوره على نور النفس ونجوم القوى (وجعل الشمس) شمس الروح (سراجا) باهرا نوره (والله

* قوله عزوجل (لايلاف قريش) اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش اى اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وماالفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذى عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لاتعلق بهما واجيب عن مذهب ابى بن كعب فى جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا فى العلة الجالبة للام فى قوله لايلاف فقيل هى لام التعجب اى اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من الفت الشئ الفاوهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولاتنقطعا وقيل هو من الفت كذا اى لزمته وآلفنيه الله اى الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النصر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشى (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من هاشم (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش فى الخير والشر (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم وكافرهم لكافرهم * عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله علية وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم اى يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانة سأل معاوية عبدالله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون فى البحر هى من اعظم دوابه يقال لها القرش لاتمر بشئ من الغث والسمين الا اكلته وهى تأكل ولاتؤكل وتعلو ولاتعلى قال وهل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم وانشده شعر الجمحى

وقريش هى التى تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو فى لجة البحـ * ـر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولاتـ * ـرك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب حى قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطى حشرا كميشا

انبتكم من الارض) من ارض البدن (نباتا ثم يعيدكم فيها) بميلكم اليها وتلبسكم بشهواتها ولذاتها وهيئات نفوسكم الجسمانية وغواشيكم الهيولانية (ويخرجكم اخراجا) بالبعث منه فى مقام القلب عند الموت الارادى (والله جعل لكم) تلك (الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا) سبل الحواس (فجاجا) خروقا واسعة او من جهتها سبل سماء الروح الى التوحيد كما قال امير المؤمنين عليه السلام سلونى عن طرق السماء فانى اعلم بها من طرق الارض اراد الطرق الموصلة الى الكمال من المقامات والاحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضا وامثال ذلك ولهذا كان معراج النبى صلى الله عليه وسلم بالبدن (قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا) من رؤسائهم المتبوعين اهل المال والجاه المحجوبين عن الحق الهالكين الذين خسروا نور استعدادهم بالاحتجاب بهما وبالاولاد والاتباع او المحجوبين بأموال العلوم الحاصلة بالعقل

(وقيل)

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمى قصى مجمعا لذلك قال الشاعر * ابوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر * وقوله تعالى (ايلافهم) هو بدل من الاول تفخيما الامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء الى اليمن لانها ادفأ ورحلة فى الصيف الى الشأم وكان الحرم واديا مجدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشأم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم فى البحر على السفن الى مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فألقى اهل الساحل بجدة واهل البر بالمحصب واخصب الشأم فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا فى ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبى كان اول من حمل السمراء يعنى القمح من الشأم ورحل اليها الابل هاشم بن عبدمناف وفيه يقول الشاعر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبدمناف * هلا مررت بهم تريد قراهم
منعوك من ضر ومن اكفاف * الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى * والقائمين بكل وعد صادق
والراحلين برحلة الايلاف * عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهماله ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

* قوله عز وجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعنى الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع ضر وهو ماذكره فى سورة الفيل والثانى جلب نفع وهو ماذكره فى هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو (الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذى اطعمهم من جوع اى من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد فى البر والبحر وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله عليه وسلم فأخصبت البلاد واخصبت اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اى بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد فى رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم

الشيطانى المشوب بالوهم ونتائج فكرهم المقتضية لمحبة البدن والمال (ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا) اى معبوداتكم التى عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذى عبدتموه بشهواتكم واحببتموه وسواع النفس ويغوث الاهل ويعوق المال ونسر الحرص (مما خطيآتهم) اى من اجل اعمالهم المخالفة للصواب (اغرقوا) فى بحر الهيولى (فادخلوا نارا) نار الطبيعة (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) مل عن دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا ربه لتدمير قومه وقهرهم وحكم بظاهر الحال ان المحجوب الذى غلب عليه الكفر لا يلد الا مثله فان النطفة التى تنشأ من النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها

﴿ تفسير سورة الماعون ﴾

وهي مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبدالله بن ابي سلول المنافق

وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (ارايت الذي يكذب بالدين) قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) ولفظ ارايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت يا ايها الانسان او ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) اي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالاطعام ﴿ قوله تعالى (فويل للمصلين) يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراؤن وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساه عنها لا يبالي صلى او لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان او حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو في الصلاة من افعال المؤمن (الذين هم يراؤن) يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر

المظلمة لا تقبل الانفسا منها كالبذر الذي لا ينبت الا من صنفه وسنخه وغفل ان الولد سر ابيه اي حالته الغالبة على الباطن فربما كان الكافر باقي الاستعداد صافي الفطرة نقي الاصل بحسب الاستعداد الفطري وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ هو بينهم فدان بدينهم ظاهرا وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حاله النورية كولادة ابي ابراهيم اياه فلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التي غلبت على باطنه وجهته في تلك الحالة عما قال مادة ابنه كنعان فكان عقوبة لذنب حاله (رب اغفر لي ولوالدي) اي استرني بنورك بالفناء في التوحيد ولروحي ونفسي الذين هما ابوا القلب (ولمن دخل بيتي) اي مقامي في حضرة القدس (مؤمنا) بالتوحيد العلمي ولازواج الذين آمنوا بي اي ونفوسهم فبلغهم الى مقام الفناء في التوحيد (وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين) الذين نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور (الا تبارا)

النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ روى عن على انه قال هى الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهى رواية عن ابن عباس ويدل عليه ماروى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظى الماعون المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون مالا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور فى البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها فى نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله اعلم

﴿ تفسير سورة الكوثر ﴾

وهى مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهى ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴿ انا اعطيناك الكوثر ﴾ الكوثر نهر فى الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثير فى العدد او كبير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التى فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء فى تفسير الكوثر قد اعطيه النبى صلى الله عليه وسلم اعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل فى الكوثر الذى عليه جمهور العلماء انه نهر فى الجنة كما جاء مبينا فى الحديث (ق) عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يارسول الله قال انزلت على آنفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل خير كثير هو حوض ترد عليه امتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول ماتدرى ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا ياجبريل

هلا كابا لغرق فى بحر الهيولى وشدة الاحتجاب والله تعالى اعلم

﴿ سورة الجن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن) قدمر ان فى الوجود نفوسا ارضية قوية لا فى غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا على هيآت النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية ولا فى صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوى وتتجرد او تتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة بالاجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية او النارية او الدخانية على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوية امكنها ان تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا تستبعد ان ترتقى الى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اى النفوس المجردة ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى

قال هذا الكوثر الذى اعطاك ربك فاذا طينه اوطينته مسك اذفر شك الراوى * عن انس رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهرا عطانيه الله يعنى فى الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزور قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبدالله بن مسعود رضى الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لايظمأ ابدا زاد فى رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوضى مابين جنبيه كمابين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفى رواية فيه اباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مابين ناحيتى وفى رواية لانى حوضى كمابين صنعاء والمدينة وفى رواية مثل مابين المدينة وعمان وفى رواية قال ان قدر حوضى كمابين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء (م) عن ابى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها الا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله مابين عمان الى ايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل (م) عن ثوبان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لبعقر حوضى اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فاقول اى ربى اصحابى فيقال انك لاتدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى ربى اصحابى اصحابى فليقالن لى انك لاتدرى ما احدثوا بعدك وفى رواية ليردن على ناس من امتى الحديث وفى آخره فاقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابى او قال من امتى فيجلون عن الحوض فاقول رب اصحابى فيقول انه لاعلم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على امتى الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا

القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ولاتنكر ان تشتعل اجرامها الدخانية باشعة الكواكب فتحترق وتهلك او تنزجر من الارتفاع الى الافق السماوى فتتسفل فانها امور ليست بخارجة عن الامكان وقد اخبر عنها اهل الكشف والعيان الصادقون من الانبياء والاولياء خصوصا اكملهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان شئت التطبيق فاعلم ان القلب اذا استعد لتلقى الوحى وكلام الغيب استمع اليه القوى النفسانيه من المتخيلة والوهم والفكر والعاقلة النظرية والعملية وجميع المدركات الباطنة التى هى جن الوجود الانسانى ولما لم يكن الكلام الالهى الوارد على القلب بواسطة روح القدس من جنس الكلام المصنوع المتلقف بالفكر والتخيل او المستنتج من القياسات العقلية والمقدمات الوهميه والتخيليه قالوا (فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد) اى الصواب وذلك هو تأثرها بنور الروح

يانبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون الى فاقول يارب هؤلاء من اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن والذي نفسي بيده لاذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يارسول الله وتعرفنا قال نعم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم * عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم الاجزء من مائة الف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة اوثمانمائة اخرجه ابوداود

﴿فصل في شرح هذه الاحاديث وذكر مايتعلق بالحوض﴾ قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لايتأول ولايختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابي سعد وسهل بن سعد وجندب بن عبدالله وعبدالله بن عمرو وعائشة وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابي ذر وثوبان وانس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر الصديق وزيد بن ارقم وابي امامة وعبدالله بن زيد وابي برزة وسويد بن حبلة وعبدالله بن الصنابحي والبراء بن عازب واسماء بنت ابي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخاري ومسلم ايضا من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابوبكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ماسبق ذكره في الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسماء بنت ابي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا مايقتضي كون الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية مابين جنبيه كما بين جرباء واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء في اليمن وفي رواية عرضه مثل طوله مابين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت في حديث واحد بل في احاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد مابين هذه البلاد المذكورة لاعلى التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظيم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة منع الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولامنافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض من ان العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء ولامانع يمنع من ذلك اذقد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم

وانتعاشها بمعاني الوحي وتنورها بنوره وتأثيرها في سائر القوى من الغضبية والشهوية وجميع القوى البدنية (فآمنا به) تنورنا بنوره واهتدينا الى جناب القدس (ولن نشرك بربنا احدا) اى ان نعمله بمثال من جنس مدركاتنا فنشبه به غيره بل نشايع السر في التوجه الى جناب الوحدة ولن نتزوى الى عالم الكثرة لنعبد الشهوات بهوى النفس وتحصيل مطالبها من عالم الرجس فنعبد غيره (وانه تعالى جد) عظمة (ربنا) من ان نتصوره مدركة فنكيفه فيدخل تحت جنس فيتخذ (مااتخذ صاحبة) من صنف تحته اوولدا من نوع يماثله (وانه كان يقول سفيهنا) الذي هو الوهم (على الله شططا) بأن كان يتوهمه في جهة ويجعله من جنس الموجودات المحفوفة باللواحق المادية فيما نال المخلوقات صنفا اونوعا (وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن) انس الحواس الظاهرة ولاجن القوى الباطنة (على الله كذبا) فيما ادركوا منه وتوهمنا ان البصر يدرك شكله

وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم الا جزء من مائة الف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضرب به مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من امتي فيقول ماتدري ما احدث بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقول انك لاتدري ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه وفي المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيماء التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك اي لم يكونوا على ماظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلموا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن ابي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام واصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لايقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر اصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر وكل هؤلاء يخاف ان يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ ابدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لايعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله

﴿ شرح غريب الفاظ الاحاديث ﴾

قوله فيختلج العبد منهم اي ينتزع ويجذب منهم قوله مابين جنبيه كما بين جرباء واذرح اما جرباء فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخاري فيها المد والقصر اولى وهي قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهي آخر الحجاز واول الشام واما صنعاء فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيد باليمن في الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين اي يسيل فيه وفي الحديث الآخر يغت

وانه والاذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقا مطابقا لما هو عليه قبل الاهتداء والتنور فعلمنا من طريق الوحي ان ليست في شيء من ادراكه بل هو يدركها ويدرك ماتدركه ولا تدركه (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) اي تستمد القوى الظاهرة الى القوى الباطنة وتتقوى بها (فزادوهم رهقا) غشيان المحارم واتيان المناهي بالدواعي الوهمية والنوازع الشهوية والغضبية والخواطر النفسانية (وانهم ظنوا كما ظننتم) قبل التنور بنور الهدى (ان لن يبعث الله احدا) عليهم العقل المنور بنور الشرع ويهذبهم ويزكيهم ويؤدبهم بالآداب الحسنة فيأتون مايشتهون بمقتضى طباعهم ويعملون على حسب غرائزهم واهوائهم ويتركون سدى بلا رياضة ويهملون هملا بلا مجاهدة (وانا لمسنا السماء) اي طلبنا سماء العقل لنستفيد من مدركاته ما نتوصل به الى لذاتنا ونسترق من مدركاته مايعين في تحصيل مآربنا كما كان قبل التأدب بالشرائع

بفتح الياو بالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق اى يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا قوله انى لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله اذود الناس اى اضرب الناس لاهل اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض اى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرط لكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى انا سابقكم الى الحوض كالمهيء له قوله سحقا اى بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذا غفى اغفاءة يعنى نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم ❊ قوله تعالى (فصل لربك وانحر) معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد اعطيناك ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذى اعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه (ان شانئك) يعنى عدوك ومبغضك (هو الابتر) يعنى هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تحدث معه فقال ذاك الابتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لاعقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزلت فى الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اى المنقطع من كل خير قولهم فى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هى النخلة التى تخرج فى اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضربها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور ينبت فى جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذى لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى فى ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك

(فوجدناها ملئت حرسا شديدا) معانى حاجزة عن بلوغنا مقاصدنا وحكما مانعة لنا عن مشتهياتنا قوية (وشهبا) وانوارا قدسية واشراقات نورية تمنعنا من ادراك المعانى التى صفت عن شوب الوهم والوصول الى طور العقل المنور بنور القدس فان العقل قبل الهداية كان مشوبا بالوهم قريبا من افق الخيال والفكر مقصورا على تحصيل المعاش مناسبا للنفس وقواها فلما تنور بنور القدس بعد عن منازل القوى ومبالغ علمها وادراكها وهذا معنى قوله (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى نورا ملكوتيا وحجة عقلية تطردنا عن الافق العقلى وتحفظ العقل عن ان يميل الى النفس فتختلط بنا وتنزل الى ما ارتقينا اليه من المقاعد فنكتسب منه الآراء القياسية المؤدية الى موافقات البدن وامان النفس (وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض) ارض البدن من القوى فتبقى فى المجاهدة والرياضة ممنوعة من لذاتها محجوبة عن

هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الاعظم والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة قل يا ايها الكافرون ﴾

وهى مكية وست آيات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا * عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرا قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل بربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهى وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة غير الله تعالى وهى من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذه التقسيم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (قل يا ايها الكافرون) الى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمى والعاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى امرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذى جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا كنت قد شركتنا فى امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما يأتى من ربى فانزل الله قل يا ايها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قراها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه واصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت فى ابى جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ الرسالة بجميع ما اوحى الله اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبى صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكأنه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل الله على وكان فيما نزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندى انما هو من عند الله عز وجل وقد انزل الله على قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله يا ايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق فى علم الله انهم لا يؤمنون (لا اعبد ما تعبدون) فى معنى الآية قولان احدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة الهتكم (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى ولا انتم فاعلون فى المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهى ثم قال (ولا انا عابد ما عبدتم) اى ولست فى الحال بعابد معبودكم (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى ولا انتم فى الحال بعابدين معبودى وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثانى للاستقبال وقيل يصلح كل واحد

مشتهياتها وماتهواها (ام اراد بهم ربهم) بالاحكام الشرعية والمناهى الدينية والاوامر التكليفية (رشدا) استقامة وصوابا وما يوجب صلاحها فان مقصد الشرع وكمال النفس امر وراء مبالغ ادراك هذه القوى (وانا منا الصالحون) كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن (ومنا دون ذلك) من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة العاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية (كنا طرائق قددا)ذوى مذاهب مختلفة لكل طريقة ووجهة مما عينه الله ووكله به (وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا) اى تيقنا ان الله غالب علينا لن نعجزه كائنين فى ارض البدن ولا هاربين الى سماء الروح لعجز كل احد مناعن فعل الآخر فكيف عن فعل مبدا القوى والقدر(وانا لما سمعنا الهدى) اى القرآن تنورنا (آمنا به) وصدقناه بامتثالنا اوامره ونواهيه كما قال عليه السلام لكل احد شيطان الا ان شيطانى اسلم على يدى(من

منهما ان يكون للحال والاستقبال ولكن يختص احدهما بالحال والثانى بالاستقبال لانه اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون فى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد فى الاستقبال وما بمعنى من اى من اعبد ويحتمل ان تكون بمعنى الذى اى الذى اعبد القول الثانى حصول التكرار فى الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار فى هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل فى دينك عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ اى لكم كفركم ولى اخلاصى وتوحيدى والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعلموا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله اعلم

﴿ تفسير سورة النصر ﴾

وهى مدنية وثلاث آيات وسبع عشرة وسبعة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ﴾ يعنى فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل فى عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان بينهما اشر قديم ثم ان بنى بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلى فى بنى الدئل بنى بكر حين بقيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بنى بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انا لا اله له اليوم يا بنى بكر اصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم افلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما اهاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فقال

يارب انى ناشد محمدا * حلف ابينا وابيه الا تلدا * قد كنتم ولدا وكنا والدا
ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا * فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا

يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) بخس حق من حقوقه وكمالاته التى امكنت له وحظوظه ايضا فان النفس وان اطمأنت وتنورت قواها بحيث لا تزاحم السر ولا تعلوا القلب لم تمنع من الحظوظ بل عليها لتقوى بها هى وقواها على الطاعة وتنشط على الافعال الالهية حالة الاستقامة كتمتيع نفسه عليه السلام بنكاح تسع نسوة وغيره من التمتعات ولا رهق ذلة وقهر بالرياضة او بخس كمال ورهق رذيلة من الرذائل اولحوق هيئة معذبة موجبة للحسوء والطرد (منا المسلمون) المذعنون لطاعة القلب وامر الرب بالطبع كالعاقلة (ومنا القسطون) الجائرون عن طريق الصواب كالوهم (فمن اسلم) انقاد واذعن (فأولئك تحروا رشدا) قصدوا الصواب والاستقامة (واما القاسطون) الجائرون (فكانوا لجهنم حطبا) حطبا لجهنم الطبيعة الجسمانية (وان لو استقاموا على الطريقة) من جملة الموحا لا من كلام الجن اى لو استقام الجن كلهم على طريقة

فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعوا احدا * وهم اذل واقل عددا * هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا * فانصر هداك الله نصرا ابدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت ياعمرو بن سالم ثم عرض لرسول صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتشهد بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم و بمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بابى سفيان قد جاء يشدد فى العقد و يزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحابه حتى لقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد فى العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا من الذى صنعوا فلما لقى ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يابديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل و فى بطن هذا الوادى قال وهل اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابى سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال اى بنية ارغبت بى عن هذا الفراش ام رغبت به عنى فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس لم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يابنية بعدى شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم ذهب الى ابى بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لك الى النبى صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على على بن ابى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن على غلام يدب بين يديها فقال ياعلى انك امس القوم بى رحما واقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك ياابا سفيان لقد ارى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما امر مانستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يابنت محمد هل لك ان تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله مابلغ بنى ان يجير بين الناس ومايجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا الحسن انى ارى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله لا اعلم شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال لا والله ماأظن ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان فى المسجد فقال ايها الناس انى قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ماوراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله مارد على شيأ ثم جئت ابن ابى قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته

التوجه الى الحق والسلوك فى متابعة الدمر السائر الى التوحيد (لأسقيناهم ماء غدقا) اى لرزقناهم علما جما كما ذكر فى انباء آدم للملائكة (لنفتنهم فيه) لنمتحنهم هل يشكرون بالعمل به وصرفه فيما ينبغى من مراضى الله ام لا كما قال وبلوناهم بالحسنات (ومن يعرض عن ذكر ربه) فيخل بنعمته او يصرفها فيما لا ينبغى من الاعمال وينسى حق نعمته (يسلكه عذابا صعدا) بالرياضة الصعبة والحرمان عن الحظ حتى يتوب ويستقيم او بالهيئة المنافية المؤلمة ليتعذب عذابا شديدا شاقا غالبا عليه (وان المساجد) اى مقام كمال كل قوة وهو هيئة اذعانها وانقيادها للقلب الذى هو سجودها اوكمال كل شئ حتى القلب والروح (لله) اى حق الله على ذلك الشئ بل صفة الله الظاهرة على مظهر ذلك الشئ (فلا تدعو مع الله احدا) بتحصيل اغراض النفس وعبادة الهوى وطلب اللذات والشهوات بمقتضى طباعكم فتشركوا بالله وعبادته (وانه لما قام عبدالله) اى القلب المتوجه

اعدى القوم ثم اتيت على بن ابى طالب فوجدته الين القوم وقد اشار على بشئ صنعته فوالله مادرى هل يغنى ذلك شيأ ام لاقالوا وماذاك قال امرنى ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله مازاد على ان لعب بك فمايغنى عنك ماقلت قال لاوالله ماوجدت غيرذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهز فدخل ابوبكر على ابنته عائشة وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لاوالله مادرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبى صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهر ان فى عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار والمهاجرين عنه احد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولا يأتيهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ماهو فاعل خرج فى تلك الليالى ابوسفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا اويسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذوا صباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى اجد حطابا او صاحب لبن اوذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة قال العباس فوالله انى لاسير عليها والتمس ماخرجت له اذ سمعت كلام ابى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وابو سفيان يقول مارأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يااباحنظلة فعرف صوتى فقال ياابا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك ابى وامى قلت ويحك ياابا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لاقبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى اتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفنى ورجع صاحباه فخرجت اركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الى ويقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الى فلما رأى ابا سفيان على عجز

الى الحق الخاشع المطيع (يدعوه) بالاقبال اليه وطلب النور من جنابه ويعظمه ويجله (كادوا يكونون عليه لبدا) يزدحمون عليه باستيلاء ويحجبونه بالظهور والغلبة (قال انما ادعوا ربى ولا اشرك به احدا) اوحده والاالتفت الى ماسواه فأكون مشركا (قل انى لااملك لكم ضرا ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا) اى غيا وهدى انما الغواية والهداية من الله ان سلطنى عليكم تهتدوا بنورى والابقيتم فى الضلال ليس فى قوتى ان اقدركم على الهداية (الا بلاغا من الله) اى ان ابلغكم بلاغا صادرا من الله (و) ابلغكم (رسالاته) من معانى الوحى واحكام الحق اى لا املك الا التبليغ والرسالات فهو استثناء من معمول املك وقوله قل انى لن يجيرنى اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة والقدرة عليهم اى ان يجيرنى ايضا من الله احد ان ارادنى الله بضر اوغواية فيسلطكم اوغيركم على ولن اجد من دونه ملتحدا ملجأ وملاذا ومهربا

البغلة قال ابوسفيان عدوالله الحمدلله الذى امكن منك بغير عقد ولاعهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطئ قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذاعدوالله ابوسفيان قدامكن الله منه بغير عقد ولاعهد فدعنى اضرب عنقه قال فقلت يارسول الله انى قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لايناجيك الليلة احددونى فلما اكثر عمر فى شأنه قلت مهلا ياعمر فوالله ماتصنع هذا الا انه رجل من بنى عبدمناف ولوكان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الى من اسلام الخطاب لو اسلم وماذاك الا لانى اعلم ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس الى رحلك فاذا اصبحت فاتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك ياابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله وانى رسول الله قال بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك والله ولقد ظننت ان لو كان مع الله الهغيره لقد اغنى عنى شيأ بعد قال ويحك ياابا سفيان الم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بابى انت وامى مااحلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان فى النفس منها حتى الان شيأ فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لااله الاالله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يارسول الله ان ابا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هولاء ياعباس فاقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لاتمر قبيلة الاسألنى عنها فاذا اخبرته عنها فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته من الخضراء انما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره وفيها المهاجرون والانصار لايرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء ياعباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار قال مالاحد بهؤلاء من قبل ولاطاقة والله يا اباالفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ فى المسجد باعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قدجاءكم بمالاقبل لكم به قالوا فمه قال قال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا ويحك وماتغنى عنا دارك قال من دخل المسجد فهو امن ومن اغلق عليه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلمابايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولماخرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث فى اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لاتبرح حيث امرتك ان تركز رايتى

ومحيصا ان اهلكنى او عذبنى على ايديكم اوغيركم وادلا املك النفع والضر والهداية والغواية لنفسى فكيف املك لكم شيأ منها (ومن يعص الله ورسوله) منكم فلم يقبل نوره ولم يسمع مابلغه رسول العقل (فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا) الطبيعة المحرقة باستيلائها عليه ابدا (حتى اذا رأوا) اى يكونون عليه لبدا يتساولون عليه بالازدحام حتى اذا رأوا (مايوعدون) فى الرسالات من وقوع القيامة الصغرى بالموت او الوسطى بظهور نور الفطرة واستيلاء القلب عليها او الكبرى بظهور نور الوحدة فسيظهر ضعفهم وقلة عددهم وخمود نارهم وانطفاؤها وكلالة حدهم وشوكتهم باحدى الاحوال الثلاث ولاينصر بعضهم بعضا لانقهارهم وعجزهم وفنائهم فيعلمون (فسيعلمون من اضعف ناصرا) من القلب (واقل عددا) وان كادوا ان يقهروه بالكثرة واستقلوه بالنسبة الى عددهم فان الواحد المؤيد من عندالله اقوى واكثر ولقد سبقت

حتى آتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة عليه بردحيرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما اكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبنى سليم ان يدخلوا من اسفل مكة وبنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا بأسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا اناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لاتقاتلا الا من قاتلكما وامر سعد بن عبادة ان يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ماقال سعد بن عبادة وما نأمن ان يكون له فى قريش صولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب ادركه بهذه الراية فكن انت الذى تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلا يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابى سرح وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بنى تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نقيد بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصارى الذى قتل اخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبنى عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن ابى جهل فأما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته ام حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت فى طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومى وابو برزة الاسلمى اشتركا فى دمه واما مقيس بن صبابة فقتلة نملة بن عبد الله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنت واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطأها رجل من الناس فرساله فى زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث بن ابى طالب قالت ام هانى لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرالى رجلان من احمائى من بنى مخزوم وكانت عند

كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ان ينصركم الله فلا غالب لكم (قل ان ادرى اقريب ماتوعدون ام يجعل له ربى امدا) فى القيامة الصغرى من الفناء والدخول فى نار الطبيعة عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله او فى الاخريين من الموت الارادى والفناء الحقيقى لعدم الوقوف على قوة الاستعداد وضعفه فيقع عاجلا ام ضرب الله له غاية واجلا هو (عالم الغيب) وحده (فلا يظهر) يطلع (على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) اى اعده فى الفطرة الاولى وزكاه وصفاه من رسول القوة القدسية (فانه يسلك من بين يديه) اى من جانبه الالهى (ومن خلفه) وجهته البدنية (رصدا) حفظة اما من جهة الله التى اليها وجهه فروح القدس والانوار الملكوتية والربانية واما من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيآت النورية الحاصلة من هياكل الطاعات والعبادات يحفظونه من تخبيط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والاوهام

هبيرة بن وهب المخزومي قالت فدخل على علي بن ابي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا واهلا بأم هانئ ماجاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن ابي طالب فقال قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا نقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة واخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لااله الا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة اودم اومال يدعى فهي تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها خلفة في بطونها اولادها يامعشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية ثم قال يامعشر قريش ماترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يارسول الله ان صفوان بن امية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر فامنه يارسول الله فقال هو آمن قال يارسول الله اعطني شيأ يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال ياصفوان فداك ابي وامي اذكرك الله في نفسك ان تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال ويلك اعزب عني لاتكلمني قال فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخاف على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال انت بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه مكة ارضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة

والخيالات بمعارفها اليقينية ومعانيها القدسية والواردات الغيبية والكشوف الحقيقية (ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم) ليظهر علمه تعالى في مظاهر الرسل بما كان مكنونا في استعدادهم فيكملوا بما امكنهم حمله من رسالاته وابلاغه (واحاط بما لديهم) من العقل الفرقاني والمعاني المكنونة في فطرتهم ازلا فاظهرها (واحصى كل شئ عددا) اى ضبط كل شئ بالعقل الفرقاني وابراز الكمال التام جملة وتفصيلا كليا وجزئيا او ضبط عدد كل شئ مطلقا في القضاء والقدر كليا وجزئيا والله تعالى اعلم

﴿ سورة المزمل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياايها المزمل) اى المتلفف في غواشي البدن وملابسه (قم الليل) من نوم الغفلة سائرا في سبيل الله سالكا مسالك بيداء النفس ومراحل مفازة القلب الى الله ايل مقام النفس واستيلاء الطبع (الا قليلا نصفه) بحكم الضرورة للاستراحة والاكل والشرب ومصالح البدن ومهماته التي لايمكن التعيش بدونها وذلك هو

آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن ابى هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام الفتح بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الاوانها لم تحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد من بعدى الاوانما احلت لى ساعة من نهار الاوانها ساعتى هذه فلاينفر صيدها ولايختلى خلاها ولايقطع شوكها ولاتحل ساقطتها الالمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اماان يفتدى واما ان يقيد فقال العباس الاالاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاالاذخر فقام ابوشاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابى شاه قال الاوزاعى يعنى الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله تعالى اذاجاء نصر الله يعنى اذاجاءك يامحمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجئ النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها اوتأخرها عنه فاذاجاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذاجاء نصر الله والفتح يعنى فتح مكة فى قول جمهور المفسرين وقيل هوجنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهوكالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره والفتح هوالاقبال الذى هوتمام النعمة (ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا) يعنى زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذاظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قداجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله افواجا بعدان كانوا يدخلون واحداواحداواثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله ※ قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) يعنى فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم قال ومارأيت انه كان دعانى يومئذ الاليريهم قال ماتقولون فى قول الله تعالى اذاجاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذانصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى اكذلك تقول ياابن عباس قال قلت لا قال فماهو قلت هواجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذاجاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر مااعلم منها الاماتعلم (ق) عن عائشة قالت ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعدان انزلت عليه اذاجاء نصر الله والفتح الايقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثران يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول القرآن وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القول من سبحان

نصفه اى نصف كونه فى مقام الطبيعة من الزمان باسره ليكون الربع من الدورة التامة التى هى اربع وعشرون ساعة للاستراحة والربع لضروريات البدن (اوانقص منه قليلا) ان كنت من الاقوياء حتى يبقى الثلث فيكون السدس للاستراحة والسدس لضروريات المعاش (اوزد عليه) قليلا ان كنت من الضعفاء حتى يصير الى الثلثين فيكون الثلث الاستراحة والثلث للضروريات والثلث للاشتغال بالله والسير فى طريقه (ورتل القرآن ترتيلا) اى فصل مافى فطرتك من المعانى والحقائق مجموعة وفى استعدادك مكنونة باظهارها وابرازها بالتزكية والتصفية (انا سنلقى عليك) بتأييدك بروح القدس وافاضة نوره عليك حتى يخرج مافيك بالقوة الى الفعل من المعانى والحكم (قولا ثقيلا) ذاوزن واعتبار (ان ناشئة الليل) اى النفس المنبعثة من مقام الطبيعة ومقيل الغفلة (هى اشد وطأ واقوم قيلا) موافقة للقلب واصوب قولا صادرا من العلم لامن التخيل والظن

الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرني ربي اني سأرى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا للمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة ابي لهب ﴾

﴿ وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (تبت يدا ابي لهب) (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليدوان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت

والظن والوهم (ان لك) في نهار مقام القلب وزمان طلوع الشمس الروح (سبحا) اي سيرا وتصرفا وتقلبا في الصفات الالهية ومقامات الطريقة (طويلا) بلا امد ونهاية (واذكر اسم ربك) الذي هو انت اي اعرف نفسك واذكرها ولا تنساها فينساك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع الى الله بالاعراض عما سواه انقطاعا تاما معتدا به (رب المشرق والمغرب) اي الذي ظهر عليك نوره وطلع من افق وجودك بايجادك والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب بك (لا اله) في الوجود (الا هو) اي لا شيء في الوجود يعبد غيره هو الاول والآخر والظاهر والباطن (فاتخذه وكيلا) اي انسلخ عن فعلك وتدبيرك برؤية جميع الافعال منه فيكون امرك موكولا اليه يدبر امرك ويفعل بك ما يشاء فكنت متوكلا (واصبر على ما يقولون) واحبس نفسك عن الطيش والاضطراب والحركة في طلب الرزق والاهتمام به على

لم كناه وفى الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثانى انه كان اسمه عبدالعزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكربها (وتب) قيل الاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثانى اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقدهلك وقيل تبت يدا ابى لهب يعنى ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعنى نفسه اى وقداهلكت نفسه (ما اغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ما تقول يا ابن اخى حقا فانا افتدى نفسى بمالى وولدى فانزل الله تعالى ما اغنى عنه ماله اى اى شئ يغنى عنه ماله اى ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعنى من المال وكان صاحب مواش اى ما جمع من المال او ما كسب من المال اى ربح بعد راس ماله وقيل وما كسب يعنى ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء فى الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذى ثم اوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) اى نارا ذات لهب عليه (وامرأته) يعنى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابى سفيان وكانت فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (حمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لتؤذيهم بذلك وهى رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها فى نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين فى ذلك باحد بل تفعله هى بنفسها وقيل كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث وتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به وقيل حمالة الخطايا والآثام التى حملتها فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب فى مصيرها الى النار (فى جيدها) اى عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذى كانت تحتطب به فبينما هى ذات يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات فى عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الاخلاص ﴾

﴿ وهى مكية وقيل مدنية وهى اربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا ﴾

﴿ فصل فى فضلها ﴾ (خ) عن ابى سعيد الخدرى ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن فى ليلة

ماتوسوس اليك قوى نفسك وتلقى اليك من خواطر الوهم ودواعى الشهوة ونوازع الهوى فتبعثك وتبعك فى حوائجك (واهجرهم) بالاعراض عنهم (هجرا جميلا) مبنيا على العلم الشرعى والعقلى لاعلى الهوى والرعونة (وذرنى والمكذبين اولى النعمة) واياهم فانهم المكذبون بمقام التوكل وتكفلى بحوائجك لاحتجابهم بما انعمت عليهم من نعمة الادراك والشعور والقدرة والارادة عنى فلا يشعرون الا بقواهم وقدرهم ولا يصدقون قولى (ومهلهم قليلا) ريثما اسلب عنهم القوة والقدرة بتجلى الصفات فيظهر عجزهم (ان لدينا انكالا) قيودا شرعية وتكاليف مانعة لهم عن افعالها (وجحيما) من حر نار التعب فى الطلب (وطعاما ذا غصة) من مخالفات طباعهم وحقوقهم بدل حظوظهم (وعذابا اليما) من انواع الرياضة والمجاهدة (يوم ترجف الارض) ارض النفس باستيلاء اشراقات انوار التجليات فى القلب فتقشعر

فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يارسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزا القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزا من القرآن (م) عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرا عليكم ثلث القرآن فقرا قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القران اقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لايعدو ثلاثة اقسام وهو الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لايكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولايكون حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون احد في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا اسرار القرآن المجيد الذي تتناهى اسراره ولاتنقضي عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة انحاء قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة اجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشيء وتقاللته اي عددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى في صفته اولان قارئها قد اخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل مالايليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير * عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله احد محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب * وعنه ان رجلا قال يارسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (قل هو الله احد) عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله

ويضطرب وجبال هيآتها وصفاتها فتندك (وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه اخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ماتيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) فتنمحي وتذهب * او رغما يهيج عصيرا وانحراف المزاج

عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شئ اخرجه الترمذي وقال وقد روى عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اي شئ هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث ومن يورثه ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قوله هو الله احد يعني الذي سألتم عنه [illegible] والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد [illegible] احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد تستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رأيت رجلا واحدا وفي النفي ما رأيت احدا فيفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد (الله الصمد) قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشئ المصمت الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد القارورة الصماد فان قيل الصمد بهذا كان من صفات الاجسام وتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية قيل وجه هذا القول ان الصمد الذي ليس باجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو غني عن كل شئ فعلى هذا الاعتبار وهو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف من اتخذوا له الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس باجوف شيآن احدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني اشرف من الانسان واعلى منه وهو الباري جل وعز وقال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في افراده عن ابي وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال هو السيد الذي قد كمل فيه جميع اوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وقيل دالة على انه المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والآخر الذي

وعلته بعض الكيفيات بعضا ان لدينا انكالا من الهيآت المنكرة والصور المعذبة المؤذية وجحيما من نيران الطبيعة وطعاما ذا غصة مما لا تستلذه من انواع الغسلين والزقوم والضريع وعذابا اليما بتلك النيران والصور يوم ترجف الارض ارض البدن بزهوق الروح وسكرات الموت وجبال الاعضاء [illegible] وتصير كثيبا مهيلا والله اعلم

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها المدثر) اي المتلبس بدثار البدن المحتجب بصورته (قم) عن ماركنت اليه وتلابست به من اشغال الطبيعة وانتبه عن رقدة الغفلة (فانذر) نفسك وقواك وجميع من عداك عذاب يوم عظيم (وربك فكبر) اي ان كنت تكبر شيأ وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير لا يعظم في عينك غيره ويصغر في قلبك كل ماسواه بمشاهدة كبريائه (وثيابك فطهر والرجز) اي ظاهرك طهره اولا ثم تطهير باطنك عن مدانس الاخلاق ورذائل الافعال

ليس للمكه انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ماقيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضى ان لايكون فى الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شئ وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شئ وهو السميع البصير
* قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ماقالوا بقوله لم يلد يعنى كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذى لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذى لم يكن له كفو احد اى ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له كفوا احد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذ بنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله ان يعيدنى كما بدأنى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الفلق وهى مدنية ﴾

وقيل مكية والاول اصح وهى خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا (م) عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن ايضا وانه من اول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكرفيه (ج) عن زر بن حبيش قال سألت ابى بن كعب عن المعوذتين قلت ياابا الوليد ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبدالله بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فقال قل قلت ماأقول قال قل هو الله احد الله الصمد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح تكفيك كل شئ وفى رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ماأقول قال قل اعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل اعوذ برب الناس حتى تختمها ثم قال ماتعوذ الناس بافضل منهما اخرجه النسائى عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول ابى الدرداء

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل (قل اعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم

ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدى الى العذاب (فاهجر) اى جرد باطنك عن اللواحق المادية والهيآت الجسمانية الفاسقة والغواشى الظلمانية الهيولانية (ولا تمنن تستكثر) ولا تعطى المال عند تجردك عنه مستغزرا طالبا للاعواض والثواب الكثير به فان ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همة بل خالصا لوجه الله افعل ما تفعل صابرا على الفضيلة له لا لشئ آخر وهذا معنى قوله (ولربك فاصبر) اولا تعط مااعطيت فى الزهد والطاعة والترك والتجريد مستكثرا رائيا اياه كثيرا فتحتجب برؤية فضيلتك وتبتل بالعجب فيكون ذنب رؤية الفضيله اعظم من ذنب الرذيلة كما قال عليه السلام لولم تذنبوا لخشيت عليكم اشد من الذنب العجب العجب العجب بل اصبر على الفضيلة خالصا لوجه ربك لالغرض آخر هاربا عن الرذيلة بالطبع لا فضيلة لها اصلا فلا تبتهج برؤية زينتها بالفضيلة بل بفضل الله عليك فتتذلل وتخضع لاتتعزز وتستكثر (فاذا نقر فى الناقور فذلك

سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه وفى رواية انه يخيل اليه فعل الشئ وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت ياعائشة ان الله قد افتانى فيما استفتيته فيه قلت وماذاك يارسول الله قال جاءنى رجلان فجلس احدهما عند رأسى والآخر عند رجلاى ثم قال احدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودى من بنى زريق قال فيماذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال فى بئر ذروان ومن الرواة من قال فى بئر بنى زريق فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى اناس من اصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يارسول الله فاخرجه قال اما انا فقد عافانى الله وشفانى وخفت ان اثير على الناس منه شرا وفى رواية للبخارى انه كان يرى انه يأتى النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا اشد مايكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فى بئر كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فاذكر ذلك لليهودى ولارآه فى وجه قط اخرجه النسائى وروى انه كان تحت صخرة فى البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم واسنان من مشطه وقيل كان فى وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغرورا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبى صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروى انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م) عن ابى سعيد الخدرى ان جبريل اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس اوعين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك

❁ فصل وقبل الشروع فى التفسير نذكر معنى الحديث وماقيل فيه وماقيل فى السحر وماقيل فى الرقى ❁ قولها فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع ولم يصنعه قال الامام المازرى مذهب اهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف مايقع منه الى خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله فى كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر مافيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لايمكن ان يكون مما لاحقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولايستنكر فى العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام او المزج بين قوى لايعرفها الا الساحر وانه لافاعل الا الله تعالى ومايقع من ذلك فهو عادة اجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره ام لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع ان ماقدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح فى القدرة قلت كل ماوقع فى الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ماروى الترمذى عن ابن ابى خزامة عن ابيه قال سألت

يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) اى نزع الروح عن الجسد فتنقر الهيآت الروحانية ومحاسن الصور والملاذ والادراكات عنه ويؤثر بالتفريق والتبديد فى ذلك المنقور وذلك عبارة عن النفخة الاولى للاماتة اوينقر فى البدن المبعوث فتنتقش فيها الهيآت المكتسبة الردية الموجبة للعذاب اوالحسنة المنجية الموجبة للثواب فيكون عبارة عن النفخة الثانية التى للاحياء وهو الاظهر فلا يخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على احد وان خفى يسره على غيرهم الا على المحققين من اهل الكشف والعيان (ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الاقول البشر سأصليه سقر وما ادراك ماسقر لا تبقى ولاتذر) بدل من قوله سأرهقه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ارايت رقى نسترق بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر سر من قدر به شيء من قدر الله تعالى

﴿ فصل ﴾ وقد انكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلائل القطعية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل وما يتعلق ببعض امور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لاحقيقة له وقد قيل انه كان يخيل انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما يتخيله الانسان في المنام فلا يبعد ان يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل ان يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يخيله فيكون اعتقاده على السداد قال القاضي عياض وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث مبينة ان السحر انما تسلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قوله وجف طلعة ذكر يروى بالباء وبالفاء وهو وعاء طلع النخل واما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان باي من القرآن او اذكار وردت في الحديث ويدل على صحة الاحاديث الوارده في ذلك منها حديث ابي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ماروى عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افنسترق لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما النهي عنه منها ما كان فيه كفر او شرك او ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم * واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استعاذ اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكان قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات ﴿ من شر ما خلق ﴾ قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق

صعودا والصعود عقبة شاقة المصعد عن النبي صلى الله عليه وسلم جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا وهو والله اعلم اشارة الى طور النفس الذي هو اعظم اطوارها اي افقها الذي يلي الفطرة الانسانية يصعد اليه سنين متطاولة في صور التعذيب وبرازخ الاحتجاب يهلك ويحرق فيها كما قال عليه السلام يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت ويهوى فيه الى اسفل سافلين كذلك ينتقل دركه في برازخ متنوعة ابدا فذلك الصعود هو سقر الطبيعة من اعلى طبقاتها الى اسفلها ساحاية اياها لا تبقى فيها شيأ الا اهلكته وافنته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد واهلاكه مرة اخرى هكذا دائما ﴿ لواحة للبشر ﴾ مغيرة لظواهر الاجساد الى لون سواد خطاياهم وهيآت سيآتهم وذلك من خاصية تلك النار كما تغير النار الجسمانية الالوان والهيآت ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ هي

من الجن والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال ياعائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف او اخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اي اقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل والمراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة التفل والنفث في الرقى واجازوا النفخ بلاريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعي فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ منه واراد الحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم او لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الناس ﴾

وهي مدنية وقيل مكية والاول اصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل (قل اعوذ برب الناس) انما خصص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل ان اشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس اله الناس) انما وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية جامعة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها احد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعني الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفي (الخناس) يعني الرجاع الذي من عادته ان يخنس اي يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه

الملكوت الارضية التي تلازم المادة من روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر الموكلة بتدبير العالم السفلي المؤثرة فيه تقمعهم بسياط التأثير وتردهم في مهاويها (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) لتغلبهم وتقهرهم فان عالم الملك في قهر عالم الملكوت وتسخره (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) الابتلاء المحجوبين وتعذيبهم وزيادة احتجابهم وارتيابهم (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) كتاب العقل الفرقاني (ويزداد الذين آمنوا) الايمان اليقيني العلمي (ايمانا) بالكشف والعيان فلا يرتابوا كما ارتاب الجاهلون بالجهل البسيط المحجوبون (ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) او ليستيقن الذين اوتوا الكتاب من المقلدين ويزداد المحققون تحقيقهم ولا يرتابوا كما ارتاب الجاهلون الذين لا اعتقاد لهم تحقيقا ولا تقليدا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) نفاق وشك من الجاهلين بالجهل البسيط (والكافرون المحجوبون باعتقاداتهم الفاسدة من الجاهلين بالجهل

وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعنى الجن (والناس) وفى معنى الآية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثانى ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس الانسان كالناصح له فان قيل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكأنه تعالى امر ان يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما مااستطاع من جسده يبدا بهما على رأسه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح عنه بيديه رجاء بركتهما اخرجه مالك فى الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاحسد الا فى اثنتين رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل واطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يارسول الله اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من اول القرآن الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تم تفسير الخازن بعون الله الملك المنان

المركب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) اى شيأ عجيبا كالمثل المستغرب المتعجب منه اى ماذكرنا عدتهم وماجعلناها كذلك الا ليكون سببا لظهور ضلال الضالين وهداية المهتدين كسائر الاسباب الموجبة ضلال من ضل وهداية من اهتدى مثل ذلك المذكور (كذلك يضل الله من يشاء) من اهل الشقاوة الاصلية (ويهدى من يشاء) من اهل السعادة الازلية (وما يعلم جنود ربك الا هو) عددها وكيتها وكيفيتها وحقيقتها الا هو لاحاطة علمه بالماهيات واحوالها (وماهى) اى وما سقر متصل بقوله سأصليه سقر من تمة او صافة وقوله وما جعلنا الى قوله الا هو اعتراض لبيان حال الزبانية (الا ذكرى) تذكرة (للبشر كلا والقمر والليل) انكار ان يكون تذكيرا لهم مطلقا فان اكثرهم غير مستعدين مطبوع على قلوبهم محكوم بشقاوتهم فلا يتعظون به ثم اقسم بالقمر اى بالقلب المستعد الصافى القابل للانذار المتعظ به المنتفع بتذكيره تعظيما له وبليل

ظلمة النفس (اذادبر والصبح اذااسفر) اى ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب بانشقاق نورالروح عليه وتلألؤطوا لعه وبصبح طلوع ذلك النور اذااسفر فزالت الظلمة بكليتها وتنور القلب (انها) اى سقر الطبيعة (لاحدى) الدواهى (الكبر) العظيمة اوحدية منها فردة لانظيرلها من جلتهـا كقولك انه احدالرجال وانها لاحدى النساء تريد فردامنهم منذرة نذيرا (للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم اويتأخر) اوانذارا اى فردا فى الانذار ايهم لا لكلهم بل للمستعدين القـابلين الذين ان شاؤا تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات الى مقام القلب وان شاؤا تأخروا بالميل الى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا فيها (كل نفس بما كسبت) بمكسوبها (رهينة) عندالله لافكاك لها لاستيلاء هيآت اعمالها وآثار افعالها عليها ولزومها اياها وعدم انفكاكها عنها (الا اصحـاب اليمين) من السعداء الذين تجردوا عن الهيآت الجسدانية وخلصوا الى مقام الفطرة ففكوا رقابهم عن الرهن هم (فى جنات يتساء لون عن المجرمنين) من جنات الصفات والافعال يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين لاطلاعهم عليها وماوجب تعذيبهم وبقاءهم فى سقر الطبيعة فأجات المسؤلون باناسألناهم عن حالهم بقولنا (ماسلككم فى سقر قالوالم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنانخوض مع الخا ئضين وكنانكذب بيوم الدين) بلسان الحال اوالقال انا كنا موصوفين بهذه الرذائل من اختيار الراحات البدنية ومحبة المال وترك العبادات البدنية والحالية والرياضات والخوض فى الباطل والهزؤ والهذيانات والتكذيب بالجزاء وانكار المعاد التى هى رذائل القوى الثلاث الموجبة للانغمـار فى نار الطبيعة الهيولانية (حتى اتانا اليقين) اى الموت فرايناه ما كنا ننكره عيانا (فما تنفعهم شفاعة الشافعين فمالهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لايخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره ومايذكرون الاان يشاء الله هواهل التقوى واهل المغفرة) شافع من نبى او ملك لوقدر على سبيل فرض المحال لانهم غير قابلين لها فلا اذن فى الشفاعة لذلك فلاشفاعة فلانفع فان الشـفاعة هناك افاضة النور وامداد الفيض ولا يمكن الاعند قبول المحل بالصفاء ثم بين امتناع قبولهم لذلك وانتفاعهم بالشفاعة باعراضهم عن التذكرة وبلادة قلوبهم كقلوب الحمر وتمنياتهم الباطلة لعنادهم ولجاجهم وعدم خوفهم من الآخرة لعدم اعتقادهم وكل ذلك بمشيئة الله وقدره والله تعالى اعلم

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

(لااقسم بيوم القيمة ولااقسم بالنفس اللوامة) جمع بين القيامة والنفس اللوامة فى القسم بهما تعظيما لشأنهما وتناسبا بينهما اذ النفس اللوامة هى المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لاسبابها لانها تلوم نفسها ابدا فى التقصير والتقاعد عن الخيرات وان احسنت لحرصها على الزيادة فى الخير واعمال البر تيقنا بالجزاء فكيف بهـا ان اخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة ونسـيانا وحذف جواب القسم لدلالة قوله (ايحسب الانسان الن نجمع عظامه) عليه وهو لتبعثن والمراد بالقيامة ههنا الصغرى لهذه الدلالة بعينها (بلى) اى بلى نجمعها (قادرين على ان نسوى بنانه) تسوية بنانه التى هى اطراف خلقته وتمامها بان نعدلها كما كانت وقيل فى بعض التفاسير الظاهرة على ان نضمها فنجعلها مسواة شيأ واحدا كحافر الحمير وخف البعير (بل يريد الانسان ليفجر امامه) ليدوم على الفجور بالميل الى اللذات البدنية والشهوات البهيمية فارزا رأسه فيما فيمابين يديه من الزمان الحاضر والمستقبل فيغفل عن القيامة لقصور نظره عنها وكونه مقصورا على اللذات العاجلة وفرط تهالكه عليها واحتجابه بها عن الآجلة سائلا عنها متعنتا مستبعدا اياها بقوله (يسأل ايان يوم القيامة فاذا برق البصر) اى تحير ودهش شاخصا من فزع الموت (وخسف القمر) قمر القلب لذهاب نور العقل منه (وجمع الشمس والقمر) شمس الروح وقمر القلب بان جعلا شـيأ واحدا طالعا عن مغرب البدن لايعتبر له رتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدا روحا واحدا (يقول الانسان يومئذ اين المفر) اى يطلب مهربا ومحيصا (كلا) ردع له عن طلب المفر (لاوزر) لاملجأ (الى ربك يومئذ المستقر) خاصة مستقر من نار اوجنة مفوض اليه لاالى غيره ولا الى اختياره واليه خاصة استقراره ورجوعه كقوله ان الى ربك الرجعى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم) من عمله الذى يوجب نجاته وثوابه من الخيرات والصالحات (واخر) ففرط وقصر فيه ولم يعمله (بل الانسان على

نفسه بصيرة) حجة بينة يشهد بعمله لبقاء هيآت اعماله المكتوبة عليه فى نفسه ورسوخها فى ذاته وصيرورة صفاته صور اعضائه فلاحاجة الى ان ينبأ من خارج (ولو القى معاذيره) اى ارخى ستوره فاختفى بها عند ارتكاب تلك الاعمال * او ولو القى اعذاره مجادلا عن نفسه بكل معذرة (لاتحرك به لسانك لتعجل به) اى الانسان عجول بالطبع كما قال خلق الانسان من عجل فلذلك اختار العاجلة واحتجب بها عن الآجلة الاترى انك مع وفور سكينتك وكمال وقارك بالله تعجل عند القائنا الوحى اليك فتظهر نفسك لتلقفه وهو ذنب حالك وحجاب وجودك وهو معنى قوله ﴿ بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ فلاتتعجل ولاتحرك لسانك به فظهور نفسك واضطرابها عجلة به ولتكن قواك هادية ونفسك غائبة عن مورد الوحى وقلبك سالما عن صفاتها خالصا فى التوجه آمنا عن حركة النفس (ان علينا جمعه وقرآنه) ان علينا جمعه فيك وقرآنه اى ليكن جمعه فى مقام الوحدة وقرانك اياه بنا فانيا عن ذاتك وفى عين الجمع حيث لم يكن لك وجود ولا بقية ولا عين ولا اثر (فاذا قرأناه) اوجدناه حال فنائك فينا (فاتبع قرآنه) بالرجوع الى مقام البقاء بعد الفناء وظهور القلب والنفس فى ثم عند كونك فى مقام التفصيل (ثم ان علينا بيانه) واظهار معانيه فى حيز قلبك ونفسك مفصلة مشروحة (كلا) ردع له عن العجلة (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) سواء حالك وحالهم بحكم البشرية ومقتضى الطبيعة والنفس الطياشة (وجوه يومئذ ناضرة) للتنور بنور القدس والاتصال بعالم النور بالسرور والنعيم الدائم متهججة بزينة معارفها وهيآتها متبججة ببهجة ذواتها منخرطة فى سلك الملكوت والجبروت (الى ربها ناظرة) اى الى حضرة الذات خاصة متوجهة متوقعة للرحمة التامة فى مقام انوار الصفات او ناضرة بنوره الى وجهه خاصة ناظرة مشاهدة اياه لاتلتفت الى ماسواه شاهدة لجمال ذاته وسبحات وجهه او مطالعة لحسن صفاته لاتشتغل بغيره (ووجوه يومئذ باسرة) كالحة لجهامة هيآتها وظلمة ما بها من الجحيم والنيران ومعاينة ماتراه مما هنالك من الاهوال وانواع العذاب والخسران (تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلاصدق ولاصلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) داهية تفصل فقار الظهر لشدتها وسوء حالها ووبالها وشتان ما بين المرتبتين والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة الانسان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل اتى) اى قد اتى (على الانسان حين من الدهر لم يكن) فيه (شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) اى على وجه التقرير والتقريب اى كان شيأ فى علم الله بل فى نفس الامر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه فى عالم الغيب وعدم شعور من فى عالم الشهادة به (انا هديناه السبيل) سبيل الحق بادلة العقل والسمع فى حالتى كونه شاكرا مهتديا مستعملا لنعم المشاعر والآلات الوسايط فيما ينبغى ان يستعمل من الطاعات متوصلا بها الى المنعم (اما شاكرا واما كفورا) محتجبا بالنعم عن المنعم مستعملا لها فى غير ما يحب ان يستعمل من المعاصى (انا اعتدنا للكافرين) المحتجبين بالنعم (سلاسل واغلالا وسعيرا) الميول والمحبات الى المشتهيات الجسمانية الموجبة لتقيدهم بها والحرمان عن المقاصد الحقيقية فى النيران واغلال الصور والهيآت المانعة عن الحركة فى طلب المراد وسعير التعذيب فى قعر الطبيعة وقهر الحق (ان الابرار) اى السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والافعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين الى عين الذات مع البقاء فى عالم الصفات وهم المتوسطون فى السلوك (يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا) محبة حسن الصفات لاصرفا بل كان فى شرابهم مزج من لذة محبة الذات وهى العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية وتفريح القلب المحترق بحرارة الشوق وتقويته فان للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض والكافور عين (يشرب بها) صرفة (عباد الله) الذين هم خاصته من اهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات لايفرقون

بين

بين القهر واللطف والرفق والعنف والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الاضداد وتستقر لذاتهم فى النعماء والسراء والرحمة والزحمة كما قال احدهم

هو اى له فرض تعطف ام جفا * ومشربه عذب تكدر ام صفا
وكلت الى المحبوب امرى كله * فان شاء احيانى وان شاء اتلفا

واما الابرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلى القهار والمبلى والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك (يفجرونها تفجيرا) لانهم منابعها لا اثنينية ثمة ولا غيرية والا لم يكن كافورا لظلمة حجاب الانائية والاثنينية وسواده (يوفون بالنذر) اى الابرار يوفون بالعهد الذى كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الازل بانهم اذا وجدوا التمكن بالآلات والاسباب ابرزوا ما فى مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل واخرجوها الى الفعل بالتزكية والتصفية (ويخافون) يوم تجلى صفة القهر والسخط والانتقام لكونهم وصفيين (يوما كان شره مستطيرا) فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ باستيلاء الهيآت المظلمة والحجب الساترة للنور من صفات النفس على القلب وهو نهاية مبالغ الشر (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا) اى يتجردون عن المنافع المالية ويزكون انفسهم عن الرذائل خصوصا عن الشح لكون محبة المال اكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الايثار ويطعمون الطعام فى حالة احتياجهم اليه لدخلة الجوع من يستحقه ويؤثرون به غيرهم على انفسهم كما هو المشهود من قصة على واهل بيته عليهم الصلاة السلام فى شأن نزول الآية من الايثار بالفطور على المستحقين الثلاثة والصبر على الجوع والصوم ثلاثة ايام اويزكون انفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحانى من الحكم والشرائع مع كونه محبوبا فى نفسه على حب الله المسكين الدائم السكون الى تراب البدن واليتيم المقطع عن تربية ابيه الحقيقى الذى هو روح القدس والاسير المحبوس فى اسر الطبيعة وقيود صفات النفس (انما نطعمكم لوجه الله) اى قائلين فى انفسهم ذلك ناوين بالاطعام رضا الله فان الابرار يقصدون بالخيرات مراضى الله لا الثواب لكونهم بارزين عن حجاب الافعال الى الصفات اولذات الله ومحبتها اذ الوجه عبارة عن الذات مع الصفات لكونهم سالكين سائرين فى بيداء الصفات الى مقصد الذات غير واقفين معها (لانريد منكم جزاء) مكافاة (ولا شكورا) وثناء لعدم احتجابنا بالاغراض والاعواض (انا نخاف من ربنا) يوم تجلى السخط والغضب وظهوره فى صفة العبوس والقهر (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بتجليه فى صورة الرضا واللطف (ولقاهم نضرة وسرورا) نضرة الرضوان وسرور النعيم الدائم (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) بصبرهم عن اللذات النفسانية والتزيينات الشيطانية فى جنان الافعال مع انوار الصفات جنة الذات وحرير ملابس الصفات الالهية النورانية اللطيفة (متكئين فيها على الارائك) فى تلك الجنة على ارائك الاسماء التى هى الذات مع الصفات بحسب مقاماتهم ومراتبهم ودرجاتهم منها (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) شمس حرارة الشوق الهامع الحرمان ولازمهرير برودة الوقوف مع الاكوان فان الوقوف مع الكون بردقاسر وثقل عاصر (ودانية عليهم ظلالها) ظلال الصفات قريبة منهم ساترة اياهم لاتصافهم بها وكونهم فى روحها (وذللت) لهم (قطوفها) من ثمار علوم توحيد الذات وتوحيد الصفات والاحوال والمواهب (تذليلا) تاما كلما شاؤا جنوها وتلذذوا وتفكهوا بها (ويطاف عليهم بآنية من فضة) هى مظاهر حسن الصفات من محاسن الصور وكونها من فضة نوريتها وبياضها وزينتها وبهاؤها (واكواب) من صور اوصاف المجردات اللطيفة والجواهر المقدسة لكونها بلا عرى التعلق بالمواد فلا يمكن قبضها بالعرى من غير الاتصال بذواتها ولكونها من عالم الغيب لم تكن مكشوفة الرأس كالاوانى (كانت قوارير) لصفائها وتلألؤ نور الذات من ورائها وكما قال فى تشبيه القلب بالزجاجة الزجاجة كانها كوكب درى اى فى صفاء الزجاجة وضياء الكوكب فكذلك ههنا قال (قوارير من فضة) اى هى فى صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة وبريقها (قدروها تقديرا) اى على حسب استعداداتهم ومبالغ ريهم على قدر اشواقهم وارادتهم كما قدروا

فى انفسهم وجدوها كما قيل لا تغيض ولا تفيض (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) زنجبيل لذة الاشتياق فانهم لاشوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذى هوغاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن الاشتياق للسير فى الصفات وامتناع وصولهم على جميعها فلاتصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين فى عين جميع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة (عينافيها) بدل من زنجبيلا اى هوعين فى الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة مع الهجران (تسمى سلسبيلا) لسلاستها فى الحلق وذوقها فان العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال فى ذوق وسكر من حرارة عشقهم لايقاس به ذوق (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) من فيوض الاسماء الالهية المتجلية عليهم فى عالم القدس وهى الانوار الملكوتية والجبروتية المنكشفة عليهم فى حضرات الصفات وجناتها ولوكانت جنانهم من جنان الافعال لطافت عليهم الحور مكان الولدان لان الاسماء مؤثرة فى الافعال والصفات مصادرها ومبادى الآثار والهيآت وكونهم مخلدين بقاؤهم على التجرد ابدا (اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لنوريتهم وصفائهم وبساطة جواهرهم (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) اى تعلوهم ملابس سندس الاحوال والمواهب اللطيفة من انوار الصفات البهجة والخضرة عبارة عن البهجة والنضرة واستبرق الاخلاق الالهية (وحلوا اساور من فضة) اى زينوا بزينة المعانى المعقولة المنورة بنور الوجدان (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) من لذة محبة الذات والعشق الحقيقى الصرف الصافى عن كدر الغيرية والاثنينية الصفات الطاهر عن دنس ظهور الانائية والبقية (ان هذا) المذكور من الجنة والاوانى والولدان والشراب (كان لكم جزاء) لقيامكم بحق تجليات الصفات (وكان سعيكم) من الاعمال القلبية فى مقامها كالخشية والهيبة عند تجلى العظمة والخضوع والانس عند تجلى صفة الرحمة والاخلاص فى طلب تجلى الوحدة وامثال ذلك (مشكورا) بهذا الجزاء (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) بذاتنا دون من عدانا (فاصبر لحكم ربك) التجلى الاحدى الذاتى فى مقام الفناء مع بلاء ظهور الانائية والبقية فان الرب فى مقام نزول الصفات هو الذات وحدها (ولاتطع منهم آثما) محتجبا بالصفات والاحوال اوبذاته عن الذات وبصفات نفسه وهيآتها عن الصفات (اوكفورا) محتجبا بالافعال والآثار واقفا معها بأفعاله ومكسوباته عن الافعال فتحتجب بموافقتهم (واذكر اسم ربك) اى ذاتك الذى هو الاسم الاعظم من اسمائه بالقيام بحقوقه واظهار كمالاته (بكرة واصيلا) فى المبدا والمنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الالهى بايجادها فى الازل وايداع كمالاته فيها وغروبه بتعينها واحتجابه بها واظهارها مع كمالاتها (ومن الليل) وخصص مقام النفس اوالقلب حال البقاء بعد الفناء والرجوع الى الخلق للتشريع بسجود الفناء والعبادة الحقانية فان الدعوة لاتمكن الا بحجاب القلب ووجود النفس (فاسجدله) سجود الفناء برؤية بقاء نفسك بالحق وفناء البشرية بالكلية فتكون موجودا به لابها ونزهه عن المعية والاثنينية والانائية وظهور البقية (وسبحه ليلاطويلا) بقاء دائما ابديا مادمت فى ذلك المقام (وان هؤلاء) اى المحتجبين بالآثار والافعال اوالصفات (يحبون العاجلة) اى شاهدهم الحاضر من الذوق الناقص (ويذرون وراءهم يوماثقيلا) يوم التجلى الذاتى اى القيامة الكبرى الشاق المعتبر الذى لايحتمله احد (نحن خلقناهم) بتعيين استعداداتهم (وشددنا اسرهم) قويناهم بالميثاق الازلى والاتصال الحقيقى (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) بان نسلب افعالهم بافعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ونفنى ذواتهم بذواتنا فيكونوا ابدالا (ان هذه تذكرة) تذكير لسلوك طريقى والسير فى (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) سبيلا الى (وماتشاؤن الا ان يشاء الله) بمشيئتى بان اريدهم فيريدونى فتكون ارادتهم مسبوقة بارادتى بل عين ارادتى الظاهرة فى مظاهرهم ان الله كان عليما) بما اودع فيهم من العلوم (حكيما) بكيفية ابداعها وابرازها فيهم باظهار كمالهم (يدخل من يشاء فى رحمته) بافاضة ذلك الكمال المودع فيه عليه واظهاره (والظالمين) الباخسين حقهم الناقصين حظهم منها بالاحتجاب عنها اوالواضعين نورفطرتهم الذى هو النور الالهى الاصلى الحاصل من اسمه المبدئ فى غير موضعه من محبة الانداد والاحتجاب بالآثار وعبادة الاغيار (اعدلهم عذابا) بالوقف على الرب لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار مولما بلاما شديدا

(سورة)

(سورة والمرسلات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا) اقسم سبحانه بأنوار القهر واللطف الموجبة للكمال والوقوف على احوال القيامة فقال والمرسلات اى الانوار القاهرة التى ارسلت الى النفوس الانسانية عرفا اى متتالية متتابعة بواده والوح والوامع وطوالع من قولهم جاؤا عرفا ثم تشتد وتقوى كالرياح العاصفة فتعصف بالصفات النفسانية والقوى البدنية والروحانية بتجليات صفات العظموت والجبروت فتقهرها وتدرها وان فسر العرف بالذى هو ضد النكر فمعناه والمرسلات للاحسان فان هذا القهر فى ضمنه لطف خفى كما قال سبقت رحمتى غضبى وقال امير المؤمنين عليه السلام واتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته (فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا) والانوار التى تنشر وتحيى ما اهلكته وافنته العاصفات من تجليات صفات المحبة والرحموت فتفرق بينها باقامة كل فى مقامها ليتميز بعضها من بعض وتفصل بين الحق والباطل من افعالها فتلق الذكراى العلم والحكمة لان العلم يستدعى دعاءه وجود يا ظاهرا فلا يمكن فيضانه فى حال الفناء بالتجلى القهرى ولا قبله والالكان فكريا مستنبطا بالعقل المشوب بالوهم فكان شيطنة وشيئا مختلطا فيها الحق بالباطل (فالملقيات ذكرا عذرا اونذرا) كلاهما بدل من ذكرا اى عذرا للمستغفرين المتصلين ومحوا لسيئاتهم وهيآت نفوسهم وصفاتهم وانذارا للمنغمسين فى ملابس الطبيعة والبدن المحجوبين بغواشيها ولذاتها وشهواتها عن الحق اومفعول لهما اى لمحو سيئات الاولين وذنوب صفاتهم وافعالهم وانذارا لآخرين اوحالا ناى فيلقين ذكرا عاذرات ومنذرات (انما توعدون) من احوال القيامة الصغرى والكبرى (لواقع فاذا النجوم) اى الحواس (طمست) ومحيت بالموتى (واذا السماء) اى الروح الحيوانية (فرجت) وشققت وانفلقت من الروح الانسانية (واذا الجبال) اى الاعضاء (نسفت) اى فنيت واذريت (واذا الرسل) اى ملائكة الثواب والعقاب (اقتت) عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لها امالايصال البشرى والروح والراحة واما لايصال العذاب والكرب والذلة (لاى يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك مايوم الفصل) اى ليوم عظيم اخرت عن معاجلة الثواب والعقاب فى وقت الاعمال اورسل البشر وهم الانبياء عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لهم للفرق بين المطيع والعاصى والسعيد والشقى فان الرسل يعرفون كلا بسيماهم (ليوم الفصل) بين السعداء والاشقياء وان فسرت القيامة بالكبرى فاذا النجوم القوى النفسانية محيت بالعاصفات واذا سماء العقل فرجت وشقت بتاثير نور الروح فيها واذا جبال صفات النفس نسفت بالتجليات الوصفية فى القيامة الوسطى بل جبال النفس والقلب والروح وكل اماتاتها الذاتى واذا الرسل الناشرات بالاحياء فى حال البقاء بعد الفنا عينت لوقت الفرق بعد الجمع وهو حال البقاء اى وقت الرجوع من الجمع الى التفصيل المسمى يوم الفصل اخرت من وقت الجمع الذى هو الفناء الى ذلك الوقت (ويل يومئذ للمكذبين الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وآمواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين) باحدى القيامتين المحجوبين عن الجزاء وقوله ويل يومئذ للمكذبين ومابعده يدل على ان المراد بما توعدون هو القيامة الصغرى (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) اى ظل شجرة الزقوم وهى النفس الخبيثة الملعونة الانسانية اذا احتجبت بصفاتها وانقطعت عن نور الوحدة بظلمة ذاتها فبقيت راسخة فى ارض البدن نابتة نابتة فى نار الطبيعة متشعبة الى شعب النفوس الثلاث البهيمية والسبعية والشيطانية وهى القوة الملكوتية المغلوبة بالوهم العاملة بمقتضى هوى النفس (لاظليل) كظل شجرة طوبى اى حال لها فى افادة الروح والراحة بخلاف حال تلك وهى النفس الطيبة المتنورة بنور الوحدة الوانية فى افعالها الصادرة عن العقل الغير المتشعبة الى الشعب المختلفة المتضادة (ولا يغنى من اللهب) من لهب نار الهوى طلب ما لا يبقى (انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لاينطقون) الدواعى العظيمة والتمنيات الباطلة كالجبال النارية مع الحرمان عن المتمنيات (هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين) لفقدان

آلان النطق وعدم الاعتذار وذلك اليوم يوم طويل لانهاية لطوله والمواقف فيه مختلفة ففي بعض المواقف لا ينطقون وفي بعضها ايمكنهم النطق (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين) بالحشر العام في عين جمع الوجود مع الاولين ثم فرقنا بين السعداء منكم والاشقياء اوفصلنا بينكم بتمييزكم من السعداء وجمعناكم مع الاولين من الاشقياء المتوفين قبلكم في النار (فان كان لكم كيد فكيدون) تعجيز لهم وبيان لمقهوريتهم وعدم حيلتهم في رفع العذاب (ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين) المتزكين عن صفات النفوس وهيآت الاعمال المتجردين عنها (في ظلال) من الصفات الالهية (وعيون) من العلوم والمعارف والحكم والحقائق المستفادة من تجلياتها (وفواكه مما يشتهون) من لذات المحبات والمدركات (مما يشتهون) على حسب اراداتهم مقولا لهم (كلوا واشربوا هنيئا) اى كلوا من تلك الفواكه واشربوا من تلك العيون اكلا هنيئا وشربا هنيئا سائغا رافها (بما كنتم تعملون) من الاعمال الزكية والرياضات القلبية والقالبية (انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين) الذين يعبدون الله في مقام مشاهدة الصفات والذات من ورائها لقوله الاحسان ان تعبدالله كانك تراه (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) اخفضوا واخشعوا بالانكسار وتواضعوا لقبول الفيض بترك التجبر والاستكبار لايقبلون ولاينقادون وذلك اجرامهم الموجب اهلاكهم

﴿ سورة النبا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عم يتساءلون عن النبا العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا) النبأ العظيم هو القيامة الكبرى ولذلك قيل في امير المومنين علي عليه السلام * هو النباء العظيم وفلك نوح * اى الجمع والتفصيل باعتبار الحقيقة والشريعة لكونه جامعا لهما (ان يوم الفصل) اى يوم يفصل بين الناس ويفرق السعداء من الاشقياء وبين كل طائفة من الفريقين باعتبار تفاوت الهيآت والصور والاخلاق والاعمال وتناسبها (كان) عندالله وفي علمه وحكمه (ميقاتا) حدا معينا ووقتا موقتا ينتهي الخلق اليه (يوم ينفخ في الصور) باتصال الارواح بالاجساد ورجوعها بها الى الحياة (فتأتون افواجا) فرقا مختلفة كل فرقة مع امامهم على حسب تباين عقائدهم واعمالهم وتوافقها وعن معاذ رضي الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم نهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت واما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا واما العمى فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون بأعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجبال فأهل الكبر والفخر والخيلاء صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفتحت السماء) سماء الروح عند العود الى البدن بأبواب الحواس الظاهرة والباطنة (فكانت ابوابا) اى ذات ابواب كثيرة هي طرق الشعور كأن كلها ابواب لكثرتها (وسيرت الجبال) جبال الحجب الساترة لهيآتهم وصفاتهم عن الاعين الحاجزة عن ظهورها من الابدان والاعضاء العارضة دون تلك الهيآت التي ظهرت في المحشر (فكانت سرابا) كقوله فكانت منبثا اى صارت

﴿ شيأ ﴾

شيأ كلا شئ فى انبثاثها وتفرق اجزائها (ان جهنم) الطبيعة (كانت مرصادا) حدا يرصد فيه كل احد يرصدهم عندها الملائكة اما السعداء فليجاوزتهم ويمرهم عليها لقوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقتضيا ثم نيجى الذين اتقوا وعن الصادق عليه السلام انه سئل عن الآية فقيل انتم ايضا واردوها فقال جزناها وهى خامدة واما الاشقياء فلكونها مآبهم كما قال (للطاغين مآبا) وكقوله ونذر الظالمين فيها جثيا (لابثين فيها احقابا) ازمنة متطاولة متتابعة اماغير متناهية ان كانت الاعتقادات باطلة فاسدة اومتناهية بحسب رسوخ الهيآت ان كانت الاعمال سيئة مع عدم الاعتقاد او مع الاعتقاد الصحيح (لايذوقون فيها بردا) روحا وراحة من اثر اليقين (ولا شرابا) من ذوق المحبة ولذتها (الاحميما) من اثر الجهل المركب (وغساقا) من ظلمة هيآت محبة الجواهر الفاسقة والميل اليها (جزاء وفاقا) موافقا لما ارتكبوه من الاعمال وقدموه من العقائد والاخلاق (انهم كانوا لايرجون حسابا) اى ذلك العذاب لانهم كانوا موصوفين بهذه الرذائل من عدم توقع المكافآت والتكذيب بالآيات والصفات اى لفساد العمل والعلم فلم يعملوا اصلا لخارجاء الجزاء ولم يعلموا علما فيصدقوا بالآيات (وكل شئ احصيناه) من صور اعمالهم وهيآت عقائدهم ضبطناه ضبطا بالكتابة عليهم فى صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية (فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا) اى بسببها ذوقوا عذابا بوازيها لامزيد عليه فانها بعينها معذبة لكم دون ماعداها والمعنى فذوقوا عذابها فانالن نزيدكم عليها شيأ الا التعذيب بها الذى ذهلتم عنه (ان للمتقين) المقابلين للطاغين المتعدين فى افعالهم حد العدالة لما عينه الشرع والعقل وهم المتزكون عن الرذائل وهيآت السوء من الافعال (مفازا) فوزا ونجاة من النار التى هى مآب الطاغين (حدائق) من جنان الاخلاق (واعنابا) من ثمرات الافعال وهيآتها (وكواعب) من صور آثار الاسماء فى جنة الافعال (اترابا) متساوية فى الرتب (وكأسا دهاقا لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا) من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لان اهل جنة الآثار والافعال لامطمح لهم الى ماوراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطى (جزاء من ربك عطاء حسابا) كافيا يكفيهم بحسب هممهم ومطامح ابصارهم لانهم لقصور استعداداتهم لايشتاقون الى ماوراء ذلك فلاشئ الذلهم بحسب اذواقهم مما هم فيه (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) اى ربهم المعطى اياهم ذلك العطاء هو الرحمن لان عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فشربهم من اسم الرحمن دون غيره (لايملكون منه خطابا) لانهم لم يصلوا الى مقام الصفات فلا حظ لهم من المكالمة (يوم يقوم الروح والملئكة صفا) الانسانى وملائكة القوى فى مراتبهم صافين اى مرتبة كل فى مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم (لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن) يسر له بان هيأله استعداد المكالمة فى الازل ووفقه لاخراج ذلك الاستعداد الى الفعل بالتزكية (وقال صوابا) قولا حقا لا باطلا (ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) هو عذاب الهيآت الفاسقة من الاعمال الفاسدة دون ماهو ابعد منه من عذاب القهر والسخط وهو ماقدمت ايديهم والله تعالى اعلم

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) اقسم بالنفوس المشتاقة التى غلب عليها النزوع الى جناب الحق غريقة فى بحر الشوق والمحبة والتى تنشط من مقر النفس واسر الطبيعة اى تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن كقولهم ثور ناشط اذ اخرج من بلد الى بلد او من قولهم نشط من عقاله والتى تسبح فى بحار الصفات فتسبق الى عين الذات ومقام الفناء فى الوحدة فتدبر بالرجوع الى الكثرة امر الدعوة الى الحق والهداية وامر النظام فى مقام التفصيل بعد الجمع وبالكواكب السيارة التى تنزع من المشرق الى المغرب مفرقة فى سيرها الى اقصى المغرب وتخرج من برج الى برج وتسبح فى افلاكها فيسبق بعضا فى السير

وتدبر امر العالم فيما نيط بهما وبسيرها او بالملائكة من النفوس الفلكية التي تنزع الارواح البشرية من الا جسادا اغراقا فى النزع من اقاصى البدن انامله واظفاره والتى تخرجها من الابدان من قولهم نشط الدلو من البئر اذ اخرجها والتى تسبح فى جريها فيما امرت به فتسبق اليه فتدبر المأمور به على الوجه الذى امر به والمقسم عليه محذوف كما ذكر غير مرة اى لتبعثن ويدل عليه قوله (يوم ترجف الراجفة) اى تقع الواقعة التى ترجف لها ارض الجسد وجبال الاعضاء وهى النفخة الاولى او وقت زهوق الروح (تتبعها الرادفة) اى النفخة الثانية وهى الاحياء بالبعث (قلوب يومئذ واجفة) اى وقت وقوع الرجفة فى حال النزع (واجفة) مضطربة (ابصارها خاشعة) ذليلة (يقولون) المحجوبون المنكرون البعث على سبيل الانكار (أئنا لمردودون فى الحافرة) فى الطريقة الاولى من الحياة بعد صيرورتنا عظاما بالية فنحن اذا خاسرون ان صح ذلك (أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هى) اى الرادفة التى هى الرجفة الى الحياة بالبعث (زجرة) اى صيحة (واحدة) هى تأثير الروح الاسرافيلى فى تعلق هذه الروح المفارقة بالمادة القابلة لها دفعة فتحيا وذلك يوم القيامة الصغرى (فاذاهم) اى فاجؤا الحصول (بالساهرة) وقت هذه النفخة اى النفخ والكون بالساهرة فى آن واحد والساهرة ارض بيضاء مستوية اى عالم الروح الانسانى المفارق الغير الكامل فانها ارض بالنسبة الى سماء عالم القدس الذى هو مأوى الكمل سميت بالساهرة انوريتها وبساطتها او الروح الحيوانى لاتصال الارواح الانسية الناقصة بها عند البعث فتلبثها بها ضرورة انجذابها الى المادة ويمكن ان يكون اشارة الى المحل الذى تتصل به الروح عند البعث لبياضه واستواء اجزائه (هل اتاك حديث موسى اذناداه ربه بالواد المقدس) الوادى المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التعلق بالمواد واسمه (طوى) لانطواء الموجودات كلها من الاجسام والنفوس تحته وفى طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادى ونهاية هذا العالم هو الافق الا على الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل على صورته (اذهب الى فرعون انه طغى) اى ظهر بأنائيته وذلك ان فرعون كان ذانفس قوية حكيما عالما سلك وادى الافعال وقطع بوادى الصفات واحتجب بأنائيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها الى نفسه وذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه صلى الله عليه وسلم شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حى لقيامه بنفسه وهواها فى مقام توحيد الصفات وذلك من اقوى الحجب (هل لك الى ان تزكى) بالفناء عن انائيتك (واهديك الى ربك) الوحدة الذاتية بالمعرفة الحقيقية (فتخشى) وتلين انائيتك فتفنى (فأراه الآية الكبرى) اى الهوية الحقيقية بالتوحيد العلمى والهداية الحقانية فلم يرها لقوة حجابه ورسوخ توهمه (فكذب) فى ان وراء مابلغ من المقام رتبة (وعصى) امره لتفر عنه وعتوه (ثم ادبر) عن مقام توحيد الصفات الذى هو فيه لذنب حاله وتوجه الى مقام النفس بالكلية لعناده واستيلاء نفسه وشدة ظهورها بالدعوى (يسعى) فى دفع موسى بالمكايد الشيطانية والحيل النفسانية فرد عن جناب القدس مطرودا وازداد حجابه فتظاهر بقوله (فحشر فنادى فقال انا ربكم الا على) او نازع الحق لشدة ظهور انائيته رداء الكبرياء فقهر وقذف فى النار ملعونا كما قال تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ويروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) فيخشع وتلين نفسه وتنكسر فلا تظهر (ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى) اى تجلى نور الوحدة الذاتية الذى يطم على كل شئ فطمسه ويمحوه (يوم يتذكر الانسان ماسعى) سعيه فى الاطوار من مبدا فطرته الى فنائه وسلوكه فى المقامات والدرجات حتى وصل الى ما وصل فيشكره (وبرزت الجحيم) اى نار الطبيعة الآثارية (لمن يرى) ممن بصر بنور الله وبرز من الحجاب لله دون العمى المحجوبين

(الذين)

الذين يحترقون بناره ولايرونه فيومئذ يصير الناس فى شهوده قسمين (فأما من طغى) اى تعدى طور لفطرة الانسانية وجاوز حد العدالة والشريعة الى الرتبة البهيمية او السبعية وافرط فى تعديه (واثر الحيوة الدنيا) الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية (فأن الجحيم هى المأوى) مأواه ومرجعه (واما من خاف مقام ربه) بالترقى الى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى على نفسه (ونهى النفس) لخوف عقابه او قهره (عن الهوى) هواها (فان الجنة هى المأوى يسئلونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها) مأواه على حسب درجاته (الى ربك منتهاها) اى فى اى شئ انت من علمها وذكرها انما الى ربك ينتهى علمها فان من عرف القيامة هوالذى انمحى علمه اولا بعلمه تعالى ثم فنيت ذاته فى ذاته فكيف يعلمها ولا علم له ولاذات فمن اين انت وغيرك من علمها بل لايعلمها الاالله وحده (انما انت منذر من يخشاها) لايمانه بها تقليدا (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها) اى وقت غروب نور الحق فى الاجساد او وقت طلوعه من مغربه اى وقت رؤيتهم القيامة بالفناء فى الوحدة تيقنوا ان لم يكن لهم وجود قط الا توهما باللبث فى عالم الاجسام والاحتجاب بالحس او فى عالم الارواح والاحتجاب بالعقل وهما المراد بقول من قال خطوتين وقد وصلت اى اذ اجرت هذين الكونين فقد وصلت والله اعلم

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

(عبس وتولى) كان صلى الله عليه وسلم فى حجر تربية ربه لكونه حبيبا فكلما ظهرت نفسه بصفة حجبت عنه نور الحق حتى تحرك بنفسه لا بالله عوتب وادب كما قال ادبنى ربى فأحسن تأديبى الى ان تخلق باخلاقه تعالى فان التخلق باخلاقه كان بعد الوصول والفناء والتحقق به حال البقاء وهو الاستقامة وقت التمكين وانتفاء التلوين فلما نظر بظاهر الحال الى الكبراء وعظم فى عينه غنى الاغنياء واعرض عن الفقير اعتناء بالقوم وتقوى الاسلام بهم ان آمنوا واحتقارا للفقير وايمانه نبه بان مثلك لاينبغى ان ينظر الى ظاهر الحال فيتشاغل عن المستعد الطالب الضعيف بالغنى القوى بل يجب ان يكون نظرك مقصورا على الاستعداد وقبول الايمان فتعتبر ذلك دون غيره ولا تحتجب بالظاهر عن الباطن عسى ان يكون الفقير المتلهى عنه عاملا بالتزكية والتحلية بالغا حد الكمال فيصير مهديا هاديا لغيره والغنى المتصدى له لم يؤمن لعدم استعداده اولاستكباره وعناده (ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وماعليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى) بأس فى امتناعه عن الاسلام (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره) ردع له عن ذلك ولهذا روى انه ماعبس بعد نزول هذه الآية فى وجه فقير قط ولاتصدى لغنى (فى صحف مكرمة) عندالله هى الواح النفوس السماوية التى نزل القرآن اليها اولا من اللوح المحفوظ كما ذكر (مرفوعة) القدر والمكان (مطهرة) عن دنس الطبائع وتغيراتها (بايدى سفرة) اى كتبة هى العقول المقدسة المؤثرة فى تلك الالواح (كرام) لشرفها وقربها من الله (بررة) اتقياء لتقدسها عن المواد ونزاهة جوهرها عن التعلقات ثم لمابين ان القرآن تذكرة للمتذكرين تعجب من كفران الانسان واحتجابه حتى يحتاج الى التذكير وعدم النعم الظاهرة التى يمكن بها الاستدلال على المنعم بالحس من مبادى خلقته واحواله فى نفسه وماهو خارج عنه مما لايمكن حياته الا به وقرانه مع اجتماع الدليلين اى النظر فى هذه الاحوال الموجب لمعرفة الموجد المنعم والقيام بشكره وسماع الوعظ والتذكير بنزول القرآن (قتل الانسان مااكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لمايقض) فى الزمان المتطاول (ماامره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) الله به من شكر نعمته باستعمالها فى اخراج كماله الى الفعل والتوصل بها الى المنعم بل احتجب بها وبنفسه عنه (وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة) اى النفخة الاولى المذهبة للعقل والحواس (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته

وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة) يهتم كل احد بامر نفسه لايتفرغ الى غيره لشدة مابه واشتغاله بما يظهر عليه من احوال نفسه انقسم الناس قسمين السعداء المسفرة وجوههم المضيئة المتهللة بنوريه ذواتهم وصفاتها المستبشرة بما لقوا من هيآت اعمالهم ونعيم جناتهم والاشقياء مسودة وجوههم بسواد كفرهم وظلمة ذواتهم المغبرة بغبار هيآت فجورهم وقتام آثار اعمالهم (اولئك هم الكفرة الفجرة) اى اجتماع كفرهم وفجورهم هو السبب فى اجتماع السواد والغبرة على وجوههم

﴿ سورة التكوير ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة سئلت) اى اذا كورت شمس الروح بطى ضوئها الذى هو الحياة وقبضها عن البدن وازالتها واذا انكدرت نجوم الحواس بذهاب نورها واذا سيرت جبال الاعضاء بتفتيتها وجعلها هباء واذا عطلت عشار الارجل المنتفع بها فى السير عن الاستعمال فى المشى وترك الانتفاع بها اواموال النفسية المنتفع بها فان العشار انفس اموال العرب واذا حشرت وحوش القوى الحيوانية بان هلكت وافنيت من قولهم حشرتهم السنة اذا بالغت فى اهلاكهم او حشرت بالاحياء عند البعث واذا سجرت اى ملئت بحار العناصر بان فجر بعضها الى بعض واتصل كل جزء باصله فصار بحرا واحدا واذا زوجت النفوس بان تحشر كل نفس الى مايجانسه وتشاكله من صنف فصنفت اصنافا من السعداء والاشقياء كل مع قرنائه واذا سئلت موؤدة النفس الناطقة التى اثقلتها وائدة النفس الحيوانية فى قبر البدن واهلكتها (باى ذنب قتلت) اى طلب باظهار الذنب الذى به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب او الشهوة او غيرهما فمنعتها عن خواصها وافعالها واهلكتها فأظهر فكنى عن طلب اظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام الوائدة والموؤدة فى النار لان النفس الناطقة فى العذاب مقارنة للنفس الحيوانية وفى الحديث سر آخر ليس هذا موضع ذكره (واذا الصحف نشرت) اى صحائف القوى والنفوس التى فيها هيآت الاعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث والعود الى البدن (واذا السماء) اى الروح الحيوانية او العقل (كشطت) ازيلت واذهبت (واذا الجحيم) اى نار آثار الغضب والقهر فى جهنم الطبيعة (سعرت) اوقدت للمحجوبين (واذا الجنة) اى نعيم آثار الرضا واللطف (ازلفت) قربت للمتقين (علمت) كل (نفس ما احضرت) ما حضرته ووقفت عليه بعد نسيانها وذهولها عنه (فلا اقسم بالخنس الجوار) اى الرواجع من الكواكب السيارة (الكنس) التى تدخل فى بروجها كالوحوش فى كناسها او النفوس الرواجع الى الابدان الجارية الداخلة مواضعها (والليل) اى ليل ظلمة الجسد الميت (اذا عسعس) اى ادبر بابتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع نور شمسه عليه (والصبح) اى اثر نور طلوع تلك الشمس (والصبح اذا تنفس) وانتشر فى البدن بافادة الحياة (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين) اى روح القدس النافث فى روع انسان (وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين) اى نهاية طور القلب الذى يلى الروح وهو مكان القاء النافث القدسى (وما هو على الغيب بظنين) اى ماهو بمتهم على مايخبر به من الغيب لامتناع استيلاء شيطان الوهم وجن التخيل عليه فيخلط كلامه ويمتزج المعنى القدسى بالوهمى والخيالى لان عقله ماستر بل صفى عن شوب الوهم (وما هو بقول شيطان رجيم) من القاء شيطان الوهو المرجوم بنور الروح فيكون كله وهميا ماذكر (فأين تذهبون) اى بعد هذا الكلام من القاء الوهم ومزجه وصاحبه من الجنة بما لايخفى على احد فمن سلك هذه الطرق ونسبه الى احد الامور الثلاثة فقد بعد عن الصواب بما لا يضبط ولا تقرب اليه بوجه كمن سلك طريقا بعده عن سمت مقصده فيقال اين تذهب (لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين) من جملة العالمين الاستقامة فى طريق السلوك والصراط المستقيم هو الطريق الذى عليه الحق لقوله ان ربى على صراط مستقيم فما يشاء احد سلوكها الا بمشيئة الله فان طريقه لايسلك الا بارادته والله تعالى اعلم

(سورة)

(سورة الانفطار)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) اى اذا انفطرت سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها (واذا الكواكب) اى الحواس (انتثرت) بالموت وذهبت (واذا البحار) اى الاجسام العنصرية (فجرت) بعضها فى بعض بزوال البرازخ الحاجزة عن ذهاب كل الى اصله وهى الارواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع اجزائه الى اصلها (واذا القبور) اى الابدان (بعثرت) بحثت واخرج مافيها من الارواح والقوى (علمت نفس ماقدمت واخرت يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين وماادراك مايوم الدين ثم ماادراك مايوم الدين يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) انكار للغرور بكرمه اى ان كان كونه كريما يسوغ الغرور ويسهله لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة والقدرة الكاملة مايمنع من ذلك اكثر من تجويز الكرم اياه والكرام الكاتبون هم النفوس السماوية والقوى الفلكية المنتقشة بما يصدر عنهم من الافعال اى ارتدعوا عن الغرور بالكرم بل انما عصيانهم للتكذيب بالجزاء اصلا الذى هو اعظم من الغرور وان الكرام الاشراف التى كرمت عن الكون والفساد يحفظون افعالكم ويكتبونها عليكم فضلا عن الملكين الموكلين بكم كما قال عن اليمين وعن الشمال قعيد فكيف تجترؤن على المعاصى وقد تكتب عليكم فى السماء والارض والله تعالى اعلم

﴿ سورة المطففين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا) الباخسين حقوق الناس فى الكيل والوزن يمكن ان يحمل بعد الظاهر على التطفيف فى الميزان الحقيقى الذى هو العدل والموزونات به هى الاخلاق والاعمال والمطففون هم الذين اذا اعتبروا كمالات انفسهم متفضلين (على الناس يستوفون) يستكثرونها ويزيدون على حقوقهم فى اظهار الفضائل العلمية والعملية اكثر مما لهم عجبا وتكبرا (واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون) اعتبروا كمالات الناس بالنسبة الى كمالاتهم اخسروها واستحقروها ولم يراعوا العدالة فى الحالين لرعونة انفسهم ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا (الا يظن اولئك) الموصوفون بهذه الرذيلة التى هى اخس انواع الظلم اى ليس فى ظنهم (انهم مبعوثون) فيظهر ما فى انفسهم من الفضائل والرذائل او يحاسب عليه ويرتدع فضلا عن العلم (ليوم عظيم) لايقدر احد فيه ان يظهر ماليس فيه ولا ان يكتم ما فيه لانقلاب باطنه ظاهره وصفته صورته فيستحيى ويذوق وبال رذيلته (يوم يقوم الناس) عن مراقد ابدانهم (لرب العالمين) بارزين له لا يخفى عليه منهم شئ (كلا) ردع عن هذه الرذيلة (ان كتاب الفجار لفى سجين وما ادراك ماسجين) اى ما كتب من اعمال المرتكبين للرذائل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل (لفى سجين) فى مرتبة من الوجود مسجون اهلها فى حبوس ضيقة مظلمة يزحفون على بطونهم كالسلاحف والحيات والعقارب اذلاء اخساء فى اسفل مراتب الطبيعة ودركاتها وهو ديوان اعمال اهل الشر ولذلك فسر بقوله (كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) اى ذلك المحل المكتوب فيه اعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيآت رذائلهم وشرورهم (وما يكذب به الا كل معتد) مجاوز طور الفطرة الانسانية بتجاوزه حد العدالة الى الافراط والتفريط فى افعاله (اثيم) محتجب بذنوب هيآت صفاته (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين كلا) ردع عن هاتين الرذيلتين (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) اى صار صدأ عليها بالرسوخ فيها وكدر جوهرها وغيرها عن طباعها والرين حد من تراكم الذنب على الذنب ورسوخه تحقق عنده الحجاب وانغلاق باب المغفرة

نعوذبالله منه ولذلك قال (كلا) اى ارتدعوا عن الرين (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع عودها الى الصفاء الاول الفطرى كالماء الكبريتى مثلا اذا وروق او صعد لارجع الى الطبيعة المائية المبردة لاستحالة جوهرها بخلاف الماء المسخن الذى استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود فى العذاب وحكم عليهم بقوله (ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون كلا ان كتاب الابرار لفى عليين) اى ما كتب من صور اعمال العداء وهيآت نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة فى عليين وهو مقابل للسجين فى علوه وارتفاع درجته وكونه ديوان اعمال اهل الخير كما قال (وما ادراك ماعليون كتاب مرقوم) اى محل شريف رقم بصور اعمالهم من جرم سماوى اوعنصرى انسانى (يشهده المقربون) اى يحضر ذلك المحل اهل الله الخاصة من اهل التوحيد الذاتى (ان الابرار) السعداء الاتقياء عن دون صفات النفوس (لفى نعيم) من جنان الصفات والافعال (على الارائك) التى هى مقاماتهم من الاسماء الالهية فى حجال عالم القدس الخفى عن اعين الانس (ينظرون) الى جميع مراتب الوجود ويشاهدون اهل الجنة والنار وما هم فيه من النعيم والعذاب لا تحجب حجالهم عنه شيأ وتحجب اغيارهم عنهم (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجته ونوريته وآثار سروره (يسقون من رحيق) خمر صرف من المحبة الروحانية الغير الممزوجة بحب النفس للجواهر الجسمانية (مختوم) بختم الشرع لئلا تمتزج به النجاسات الشيطانية من المحبات الوهمية المحرمة والشهوات النفسانية المهيئة (ختامه مسك) هو حكم الشرع بالمباحات المطيبة للنفوس المقوية للقلوب (وفى ذلك) اى فى شرب رحيق المحبة الروحانية الصرفة المقيدة بقيد الشريعة ولذتها الصافية (فليتنافس المتنافسون فانه اعز من الكبريت الاحمر (ومزاجه من تسنيم) اى مزاج خمر الابرار من تسنيم العشق الحقيق الصرف وهو محبة الذات المعبر عنها بالكافور باعتبار الخاصية حال الجمع عبر عنها بالتسنيم باعتبار المرتبة حال التفصيل فانه فى اعلى رتب الوجود ويجرى كما قيل فى غير اخدود لتجرده عن المحل والتعين بصورة وصفه اى لهم مع محبة الصفات فى مقامها محبة الذات الصرفة بل ممزوجة بشرابهم لمشاهدتهم الذات من وراء حجب الصفات (عينا يشرب بها المقربون ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) اى التسنيم عين يشرب بها المقربون صرفة وهم الكاملون الواصلون الى توحيد الذات من اهل التمكين القائمين بالله فى مقام التفصيل بالاستقامة ففرق بين اهل الاستقامة فى مقام التفصيل واهل الاستغراق فى مقام الجمع باختلاف اسمهم واسم شرابهم مع ايجاد حقيقتهم وحقيقة شرابهم بأن سماهم مقربين للاشعار بالفرق مع القرب وسمى شرابهم التسنيم للاشعار بعلو الرتبة بالنسبة الى سائر الرتب وسمى اهل الاستغراق بعباد الله للاشعار بالمقهورية مع الاختصاص الموذنة بالفناء وسمى شرابهم بالكافور للاشعار بالوحدة الصرفة والبياض الخالص بلا نسبة وفرق

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انشقت) كقوله انفطرت (واذنت لربها) اى انقادت لامره بانفراجها عن الروح الانسانى انقياد السامع المطيع لآمره المطاع (وحقت) اى حق لها ووجب ان تنقاد لامر القادر المطلق ولا تمتنع وهى حقيقة بذلك (واذا الارض) ارض البدن (مدت) وبسطت بنزع الروح عنها (والقت ما فيها) من الروح والقوى (وتخلت) تكلفت فى الخلو عن كل ما فيها من الآثار والاعراض كالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح (واذنت لربها وحقت يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) ساع مجتهد فى الذهاب اليه بالموت اى تسير مع انفسك سريعا كأن انفاسك خطاك الى اجلك او مجتهد مجد فى العمل خيرا او شرا ذاهبا الى ربك (فملاقيه) ضرورة والضمير اما للرب واما للكدح (فأما من اوتى كتابه بيمينه) بأن جعل من اصحاب اليمين فى الصورة الانسانية آخذا كتاب نفسه او بدنه بيمين عقله قارئا ما فيه من معانى العقل القرآنى (فسوف يحاسب حسابا

(يسيرا)

يسيرا) بأن تمحى سيئاته ويعفى هنه ويثاب بحسناته دفعة واحدة لبقاء فطرته على صفائها ونوريتها الاصلية (وينقلب الى اهله مسرورا) ممن يجانسه ويقارنه من اصحاب اليمين مسرورا فرحا بصحبتهم ومرافقتهم وبما اوتى من حظوظه (واما من اوتى كتابه وراء ظهره) اى جهته التى تلى الظلمة من الروح الحيوانية والجسد فان وجه الانسان جهته التى الى الحق وخلفه جهته التى الى البدن الظلمانى بأن ردالى الظلمات فى صور الحيوانات (فسوف يدعوا ثبورا) لكونه فى ورطة هلاك الروح وعذاب البدن (ويصلى سعيرا) اى سعير نار الآثار فى مهاوى الطبيعة (انه كان فى اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور) اى ذلك لانه كان بطرا فى اهله بالنعم محتجبا بها عن المنعم ظانا انه لن يرجع الى ربه اوالى الحياة بالبعث لاعتقاده انه يحيا ويموت ولا يهلكه الا الدهر (بلى) ليحورن (ان ربه كان به بصيرا) فيجازيه على حسب حاله (فلا اقسم بالشفق) اى النورية الباقية من الفطرة الانسانيه بعد غروبها واحتجابها فى افق البدن الممزوجة بظلمة النفس عظمها بالاقسام بها لامكان كسب الكمال والترقى فى الدرجات بها (والليل) اى وليل ظلمة البدن (وما وسق) جمعه من القوى والآلات والاستعدادات التى يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقى فى المقامات ونيل المواهب والكمالات (والقمر) اى قمر القلب الصافى عن خسوف النفس (اذا اتسق) اى اجتمع وتم نوره وصار كاملا (لتركبن طبقا عن طبق) اى مراتب مجاوزة عن مراتب وطبقات واطوار مرتبة بالموت ومابعده من مواطن البعث والنشور (فما لهم لايؤمنون) بها (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) بتذكير هذه الاطوار والمراتب لا يخضعون ولا ينقادون (بل الذين كفروا يكذبون) المحجوبون عن الحق محجوبون بالضرورة عن الدين (والله اعلم بما يوعون) فى وعاء انفسهم وبواطنهم من الاعتقادات الفاسدة والهيآت الفاسقة (فبشرهم بعذاب اليم) من نيران الآثار وحرمان الانوار مؤلم غاية الايلام لكن (الاالذين آمنوا) الايمان العلمى بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس وتزكيتها (وعملوا الصالحات) باكتساب الفضائل (لهم اجر غير ممنون) ثواب الآثار والصفات فى جنة النفس والقلب غير مقطوع لبراءته عن الكون والفساد وتجرده عن المواد والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة البروج ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والسماء ذات البروج) اى الروح الانسانى ذات المقامات فى الترقى والدرجات (واليوم الموعود) اى القيامة الكبرى التى هى آخر درجاته من كشف التوحيد الذاتى (وشاهد) اى الذى شهد الشهود الذاتى فى عين الجمع (ومشهود) اى الذات الاحدية ومعنى التنكير التعظيم اى شاهد لايعرفه احد ولايقدر قدره الاالله لفنائه فيه وانتفائه عينه واثره فكيف يعرف ومشهود لايعلمه احد الا هو ولعمرى انه عين الشاهد لافرق الا بالاعتبار وجواب القسم محذوف مداول عليه بقوله (قتل) اى ليحجبن او لتلعنن (اصحاب الاخدود) اى لعن البدنيون المحجوبون بصفات النفس فى شقوق ارض البدن واوهادها (النار ذات الوقود) بدل الاشتمال من الاخدود لملازمتها اياه وهى الطبيعة الآثارية المحرقة اربابها بالشهوات والامانى (اذهم عليها) اى على تلك النار (قعود) عاكفون ملازمون لايبرحون فيتنفسوا فى فضاء القدس ويذوقوا روح النفحات الالهية (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين) الموحدين اهل الكشف والعيان من الازدراء والاستحقار والاستهزاء والاستنكار (شهود) يشهد بعضهم على بعض بذلك (وما نقموا منهم) اى وما انكروا منهم (الا ان يؤمنوا) الايمان (بالله العزيز) الغالب على اعدائه بالقهر والانتقام والحجب والحرمان (الحميد) المنعم على اوليائه بالهداية والايقان (الذى له ملك السموات والارض) يحتجب بهما عن الاشقياء ويتجلى فيهما على الاولياء (والله على كل شئ شهيد) حاضر يظهر ويتجلى على اوليائه على كل ذرة فلهذا آمن من آمن وانكر من انكر (ان) المحجوبين (الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات)

من قلوب اهل الشهود ونفوسهم بالانكار والاحتقار (ثم لم يتوبوا) اى بقوا فى الحجاب و لم يستبصروا فيرجعوا (فلهم عذاب جهنم) اى من تأثير نار الطبيعة السفلية (ولهم عذاب الحريق) حريق القهر من نار الصفات فوق نار الآثار.وذلك لشوقهم عند خراب البدن الى انوار الصفات فى عالم القدس وحرمانهم وطردهم بقهر الحق فعذبوا بالنارين جميعا (ان الذين آمنوا) الايمان العينى الحق (وعملوا الصالحات) فى مقام الاستقامة من الافعال الالهية المقتضية لتكميل الخلق وضبط النظام (لهم جنات) من الجنان الثلاث (تجرى من تحتها الانهار) انهار علوم توحيد الافعال والصفات والذات واحكام تجلياتها (ذلك الفوز الكبير) التام الذى لافوز اكبر منه (ان بطش ربك) بالقهر الحقيقى والافناء (لشديد) لايبقى بقية ولا اثرا (انه هو يبدئ) البطش (ويعيد) اى يكرره اولا بافناء الافعال ثم يعيد بافناء الصفات ثم بالذات (وهو الغفور) يستر ذنوب وجودات المحبين وبقاياهم بنوره (الودود) للمحبوبين بايصالهم الى جنابه وتنعيمهم واكرامهم بكمالاته من غير رياضة (ذو العرش) اى المستوى على عرش قلوب احبائه من العرفاء (المجيد) ذو العظمة المتجلى بصفات الكمال من الجمال والجلال (فعال لما يريد) على مظاهرهم لاستقامتهم فيختارون اختياره فى افعالهم اويحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ويتجلى لمن يريد بجماله كالعارفين (هل اتاك حديث الجنود) المحجوبين اما بالانائية كفرعون ومن يدين بدينه اوبالآثار والاغيار كثمود ومن يتصل بهم (فرعون وثمود بل الذين كفروا) حجبوا مطلقا فى اى مقام كان وباى شئ كان (فى تكذيب) لاهل الحق لوقوفهم مع حالهم (والله من ورائهم) فوق حالهم وحجابهم (محيط) يسع كل شئ وهم حصروه فى شاهدهم وماشاهدوا احاطته فلذلك انكروا (بل هو) اى هذا العلم (قرآن) جامع لكل العلوم (مجيد) لعظمته واحاطته (فى لوح) هو القلب المحمدى (محفوظ) عن التبديل والتغيير والقاء الشياطين بالتخييل والتزوير هذا اذاحمل اليوم الموعود على القيامة الكبرى فامااذا اول بالصغرى فمعناها الروح ذات الابدان فان الابدان للارواح كالابراج اوالحواس فانها تخرج منها كالحمام من البروج وشاهد لعله وماعمل وجواب القسم ليهلكن البدنيون قتل اصحاب الاخدود اى اهلك القوى النفسانية الملازمة لاخدود البدن اذهم عليها عاكفون وهم على مايفعلون بمؤمنى القوى الروحانية من الاستيلاء عليهم وحجبهم عن مقاصدهم الشريفة وكمالاتهم النفيسة واستعبادهم فى اهوائهم وشهواتهم شهود بالسنة احوالهم ومانكر هذه القوى المحجوبة عن الكمالات المعنوية من الروحانيين الاالايمان بالله المجرد عن الاين والجهة الغالب على المحجوبين بالقهر الحميد المنعم على المهتدين بالهداية المحتجب بظواهر ملك السموات والارض الشهيد الظاهر على كل شئ ان هؤلاء الفاتنين بالاستيلاء والاستخدام لمؤمنى العقول ومؤمنات النفوس ثم لم يرجعوا بالرياضة واكتساب الملكات الفاضلة والانقياد لهم فلهم عذاب جهنم الآثار والطبيعة وعذاب حريق الشوق الى المألوفات مع الحرمان عنها ان الذين آمنوا الايمان العلمى من الروحانيين وعملوا الصالحات من الفضائل والاخلاق الحميدة لهم جنات من جنان الافعال والصفات وهى جنات النفوس والقلوب ذلك الفوز اى النجاة من النار والوصول الى المقصود الكبير بالنسبة الى الحالة الاولى ان بطش ربك اى اخذه للمحجوبين بالاهلاك والتعذيب لشديد فانه هو يبدئهم ويهلكهم ثم يعيدهم للعذاب وهو الغفور للتائبين المؤمنين من الروحانيين يستر لهم ذنوب هيآت السوء بنور الرحمة الودود لهم بالمحبة الازلية فيكرمهم بافاضة الكمالات والفضائل ذو العرش المستولى على القلب المجيد المنور بنوره جميع القوى فعال لما يريد المتجلى بالافعال على مظاهر الملك للقلب فيصحح مقام التوكل بالفناء فى توحيد الافعال والله تعالى اعلم

﴿ سورة الطارق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والسماء والطارق) اى والروح الانسانى والعقل الذى يظهر فى ظلمة النفس وهو النجم الذى يثقب ظلمتها وينفذ فيها فيبصر بنوره ويهتدى به كما قال وبالنجم هم يهتدون (وماادراك ماالطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ)
(مهيمن)

مهين رقيب يحفظها وهو الله تعالى ان اريد بالنفس الجملة وان اريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الانسانى (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر) اى ان الله على رجع الانسان فى النشأة الثانية لقادر كما قدر على ابدائه فى النشأة الاولى (يوم تبلى السرائر) تظهر وتعرف خفيات الضمائر بالمفارقة عن الابدان وجعل الباطن ظاهرا (فماله من قوة) فى نفسه يمتنع بها على قدرته (ولا ناصر) يمنعه و ينصره على الامتناع (والسماء ذات الرجع) اى والروح ذات الرجع فى النشأة الثانية (والارض) اى والبدن (ذات الصدع) بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه اوالشق وقت اتصاله به (انه) اى القرآن (لقول فصل) فارق بين الحق والباطل بين اى عقل فرقانى ظهر بعد ماكان قرانيا (وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا) بالكلام الذى ليس له اصل فى الفطرة ولا معنى فى القلب والله القادر والله اعلم

سورة الاعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح اسم ربك الاعلى) اسمه الاعلى والاعظم هو الذات مع جميع الصفات اى نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية باسرها وهو تسبيحه الخاص به فى مقام الفناء لان الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الالهية لم يكن الا له فذاته هو الاسم الاعلى عند بلوغ كماله ولكل شئ تسبيح خاص يسبح به اسما خاصا من اسماء ربه (الذى خلق) انشأ ظاهرك (فسوى) اى عدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الاتم المستعد لجميع الكمالات (والذى قدر) فيك الكمال النوعى التام (فهدى) الى ابرازه واظهاره واخراجه الى الفعل بالتزكية والتصفية (والذى اخرج المرعى) اى زينة الحياة الدنيا ومنافعها ومآكلها ومشاربها فانها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بها ئم القوى (فجعله غثاء احوى) اى سريع الفناء وشيك الزوال كالهشيم والحطام البالى المسود فلا تلتفت اليه ولا تشتغل به فيمنعك عن تسبيحك الخاص من تنزيه ذاتك وتجريدها فتحتجب به عن كمالك المقدر فيك ولا تعد عيناك عنه اليه فانه الفانى وذلك هو الباقى ابدالآباد (سنقرئك فلا تنسى) نجعلك قارئا لما فى كتاب استعدادك الذى هو العقل القرآنى من القرآن الجامع للحقائق فتذكره ولا تنساه ابدا (الا ماشاء الله) ان ينسيك ويذهلك عنها فيدخر للمقام المحمود اذا بعثت فيه (انه يعلم الجهر) اى ماظهر فيك من الكمال (وما يخفى) بعد بالقوة (ونيسرك لليسرى) اى نوفقك للطريقة اليسرى اى الشريعة السمحة السهلة التى هى ايسر الطرق الى الله وهو عطف على سنقرئك اى نكملك بالكمال العلمى والعملى التام وفوق التام الذى هو التكميل وهى الحكمة البالغة والقدرة الكاملة (فذكر ان نفعت الذكرى) اى كل الخلق بالدعوة ان كانوا قابلين مستعدين لقبول التذكرة فتنفعهم يعنى ان التذكير وان كان عاما لا ينفع الخلق كلهم بل هو مشروط بشرط الاستعداد فمن استعد قبل انتفع به ومن لا فلا اجل فى قوله ان نفعت الذكرى ثم فصل بقوله (سيذكر من يخشى) اى يتذكر ويتعظ وينتفع به من كان لين القلب سليم الفطرة مستعدا لقبوله يتأثر به لنوريته وصفائه (ويتجنبها الاشقى) اى يتحاماه المحجوب عن الرب العديم الاستعداد النائى القلب الذى هو اشقى من المستعد الذى زال استعداده واحتجب بظلمة صفات نفسه (الذى يصلى النار الكبرى) التى هى نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر فى مقام الصفات ونار الغضب والسخط فى مقام الافعال ونار جهنم الآثار فى المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت ابد الآبدين فما اكبر ناره واما الثانى فلا يصلى الا نار الآثار (ثم لا يموت فيها) لامتناع انعدامه (ولا يحيى) بالحقيقة لهلاكه الروحانى اى يتعذب دائما سرمدا فى حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك اعيد الى الحياة وعذب فلا يكون ميتا مطلقا ولا حيا مطلقا (قد افلح من تزكى) اى فاز وظفر من تطهر عن صفات نفسه وظلمات بدنه بعد حصول استعداده (وذكر اسم ربه) اى الاسم الخاص الذى ربه به بافاضة كماله الذى يسأل

ربه بلسان استعداده كالعليم للجاهل والهادى للضال والغفار للمذنب وهو فى الحقيقة عين ذاته التى غفل هوعنها بحجاب الآثار والهيآت وصفات النفس وسائر الظلمات كما قال نسوا الله فانساهم انفسهم وذكره تعرفه وطلب كماله المخصوص به بالتأييد الربانى والتوفيق الالهى (فصلى) فعبد معبوده الذى هوالحق المتجلى له فى صورة ذلك الاسم الخاص الذى يعرف ربه به بعد رؤيته بكماله المقدرله (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) اى تغفلون وتحتجبون عن ذكر ذلك الاسم وصلاة الرب بالحياة الحسية وطيباتها وزخارفها لعدم التزكية وتؤثرونها بالمحبة على الحياة الحقيقية الدائمة الروحانية وهى افضل وادوم (والآخرة خير وابقى ان هذا) المعنى من انتفاع المستعد بالتذكير وعدم انتفاع العديم الاستعداد وتعذبه بالنار الكبرى وفلاح اهل التزكية والتحلية من المستعدين وهلاك المؤثرين للحياة الحسية منهم (لفى الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى) القديمة المنزهة عن التبديل والتغيير المحفوظة عندالله من الالواح النورية المجردة التى اطلع عليها النبيان المذكوران ونزل وعليهما الظهور على مظاهرها والسلام والله اعلم

﴿ سورة الغاشية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل اتاك حديث الغاشية) الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها اى القيامة الكبرى التى تغشى الذوات وتفنيها بنور التجلى الذاتى فينكشف الناس يوم اذ غشيت على من غشيته منقسمين اشقياء وسعداء والصغرى التى تغشى العقل بشدة السكرات وتلبس المغشى اهوالها فيكون الناس يوم اذ غشيتهم اما اشقياء واما سعداء (وجوه يومئذ) اى ذوات (خاشعة) اى ذليلة خائفة (عاملة ناصبة) تعمل دائبا اعمالا صعبة تتعب فيها كالهوى فى دركات النار والارتقاء فى عقباتها وحمل مشاق الصور والهيآت المتعبة المثقلة من آثار اعمالها اوعاملة من استعمال الزبانية اياها فى اعمال شاقة فادحة من جنس اعمالها التى ضريت بها فى الدنيا واتعابها فيها من غير منفعة لهم منها الا التعب والعذاب (تصلى نارا) من نيران آثار الطبيعة (حامية) مؤذية مؤلمة بحسب ما زاولها فى الدنيا من الاعمال (تسقى من عين آنية) من الجهل المركب الذى هو مشربهم والاعتقاد الفاسد المؤذى (ليس لهم طعام الا من ضريع) الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغالطات والخلافيات والسفسطة وما يجرى مجراها (لا يسمن) اى لا يقوى النفس (ولا يغنى من جوع) ولا يسكن داعية النفس ونهم الحرص على تعلمها والمباحثة عنها ويمكن ان يحشر بعض الاشقياء على صور طعامهم الشبرق اليابس كالزقوم لبعضهم والغسلين لبعضهم (وجوه يومئذ ناعمة) تظهر عليها نضرة النعيم من اللطافة والنورية لتجردهم (لسعيها) وجدها فى طريق البر واكتساب الفضائل والسير فى الله (راضية) شاكرة لا تندم ولا تتحسر ولا تتجرد عما عملت كالاولى (فى جنة) من جنان الصفات وحضرة القدس (عالية) رفيعة القدر من علو المكانة (لا تسمع فيها لاغية) لان كلامهم الحكمة والمعرفة والتسبيح والتحميد (فيها عين جارية) من عيون مياه علوم المعارف والذوق والكشف والوجدان والتوحيد (فيها سرر مرفوعة) من مراتب الاسماء الالهية التى بلغوها بالاتصاف بصفاتها رفعت قدرها عن مراتب الجسمانية (واكواب) من اوصاف الذوات المجردة ومحاسنها التى هى ظروف خمور المحبة (موضوعة) لنيلها على حالها فى محالها (ونمارق) من مقاماتهم ومقاعدهم فى مراتب الصفات فان لكل صفة من ابتداء تجليها وطوالع انوارها وكونها حالا الى كمال الاتصاف بها وكونها ملكا ومقاما مواضع اقدام ومقاعد فاذا استوفى السالك حظه منها بحسب استعداده وبلغ غاية مبلغه حتى تم سيره فيها وصارت ملكاله كان مقامه منها نمرقة على تلك الاريكة التى هى موضع ذلك الوصف مع الذات (مصفوفة) مرتبة (وزرابى) من مقامات تجليات الافعال التى تحت مقامات الصفات كالتوكل تحت الرضا (مبثوثة) مبسوطة تحتهم (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) الى الآثار الظاهرة بالحس فيعتبرون ويعبرون عنها الى الوصل الى تجلى الصفات (فذكر) عسى ان يكون فيهم مستعد

(يتذكر)

يتذكر ويتعظ فيترقى فى السلم المخلعة الى جناب الحق لامن اعرض واحتجب بهذه الآثار عن المؤثر فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو النار الكبرى المشار اليها فى سورة الاعلى المعدة للمحجوب المطلق فى جميع مراتب الوجود وقوله (انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر الامن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) اعتراض اى ما اليك الا التذكير لا الغلبة والقهر كقوله انك لاتهتدى من احببت وما انت عليهم بجبار (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) اى خاصة الينا ايابهم لا الى غيرنا فانا نحاسبهم ونعذبهم بالعذاب الاكبر فان القهر والغلبة لنا لا لك

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

(والفجر) اقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن عند اول اثر تعلقه به (وليال عشر) ومحال الحواس العشرة الظاهرة والباطنة التى تتعين عند تعلقه به لكونها اسباب تحصيل الكمال وآلاتها (والشفع) اى الروح والبدن عند اجتماعهما وتمام وجود الانسان الذى يمكن به الوصول (والوتر) اى الروح المجرد اذا فارق (والليل اذا يسر) اى ظلمة البدن اذا ذهبت وزالت بتجرد الروح فيكون الاقسام بالمبتدا والمنتهى او بالقيامة الكبرى وآثارها اى والفجر الذى هو مبتدا طلوع نور الحق تأثيره فى ليلة النفس وليال عشر من الحواس الراكدة الهادئة المظلمة المتعطلة عن اشغالها عند تجلى النور الالهى والشفع الذى هو الشاهد والمشهود قبل تجلى الفناء التام حال المشاهدة فى مقام الصفات والوتر اى الذات الاحدية عند الفناء التام وارتفاع الاثنينية والليل اى ظلمة الانائية اذا ذهبت وزالت بزوال البقية او بالقيامة الصغرى اى فجر ابتداء ظهور نور الشمس الطالعة من مغربها وليال عشر اى الحواس المتكدرة المظلمة عند الموت والشفع اى الروح والبدن والوتر اى الروح المفارق اذا تجرد والليل اذا يسر والبدن اذا انقشع ظلامه عن الروح وزال بالموت (هل فى ذلك قسم لذى حجر) استفهام فى معنى الانكار اى هل عاقل يهتدى الى الاقسام بهذه الاشياء ووجه تعظيمها بالقسم بها او حكمة انتظامها فى قسم واحد وتناسبها فان عقول اهل الدنيا المشوبة بالوهم لاتهتدى الى ذلك وجواب القسم ليعذبن المحجوبون لدلالة قوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد) عليه او فى معنى التقرير اى انما يهتدى الى ذلك اولوا الالباب الصافية المجردة عن شوب الوهم وجواب القسم ليثابن العقلاء المعتبرون بحال المحجوبين دونهم (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما) اى الانسان يجب ان يكون فى مقام الشكر او الصبر بحكم الايمان لقوله الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر لان الله تعالى لايخلو من ان يبتليه اما بالنعم والرخاء فعليه ان يشكره باستعمال نعمته فيما ينبغى من اكرام اليتيم واطعام المسكين وسائر مراضيه ولا يكفر نعمته بالبطر والافتخار فيقول ان الله اكرمنى لاستحقاقى وكرامتى عنده ويترفه فى الاكل ويحتجب بمحبة المال ويمنع المستحقين او بالفقر وضيق الرزق فيجب عليه ان يصبر ولا يجزع ولا يقول ان الله اهاننى فربما كان ذلك اكراما له بان لايشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له فى التوجه الى الحق والسلوك فى طريقه لعدم التعلق كما ان الاول ربما كان استدراجا منه (كلا اذا دكت الارض) اى البدن بالموت (دكا دكا) متفتتا (وجاء ربك) اى ظهر فى صورة القهر لمن برز عن حجاب البدن بالمفارقة (والملك صفا صفا) اى ظهر تأثير الملائكة من النفوس السماوية والارضية المرتبة فى مراتبهم فى تعذيبه بعد ما كان محتجبا عنهم بشواغل البدن (وجئ يومئذ بجهنم) اى برزت نار الطبيعة واحضرت للمعذبين (يومئذ يتذكر الانسان) خلاف ما اعتقده فى الدنيا وصار هيئة فى نفسه من مقتضيات فطرته فان ظهور البارى بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لايكون الالمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه مما هو فى نفس الامر كالمنكر والمتكبر (وانى له) فائدة (الذكرى) ومنفعته فان الاعتقاد الراسخ يمنع نفع هذا التذكير (يقول ياليتنى قدمت لحياتى فيومئذ لايعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد ياايتها

النفس المطمئنة) التي نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت الى الله من الاضطراب (ارجعي الى ربك راضية مرضية) في حال الرضا اي اذا تم لك كمال الصفات فلا تسكني اليه وارجعي الى الذات في حال الرضا الذي هو كمال مقام الصفات والرضا عن الله لا يكون الا بعد رضا الله عنها كما قال رضي الله عنهم ورضوا عنه (فادخلي في عبادي) في زمرة عبادي المخصوصين من اهل التوحيد الذاتي (وادخلي جنتي) المخصوصة بي اي جنة الذات وقرئ في عبدي وقرئ في جسد عبدي اي حالة البعث والنشور ورد الارواح الى الاجساد والله أعلم

﴿ سورة البلد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لا اقسم بهذا البلد) اقسم بالبلد الحرام الذي هو البلد القدسي النازل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الافق الاعلى والوادي المقدس (وانت حل) مطلق (بهذا البلد) تفعل به ما تشاء غير مقيد بقيود صفات النفس والعادات (ووالد وما ولد) اي روح القدس الذي هو الاب الحقيقي للنفوس الانسانية كقول عيسى عليه السلام اني ذاهب الى ابي وابيكم السماوي وقوله تشبهوا بابيكم السماوي ونفسك التي ولدها هو اي روح القدس ونفسك الناطقة (لقد خلقنا الانسان في كبد) مكابدة ومشقة من نفسه وهواها ومرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب اذ الكبد في اللغة غلظ الكبد الذي هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل (ايحسب) لغلظ حجابه ومرض قلبه لاحتجابه بالطبيعة (ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا) كثيرا اي في المكارم للافتخار والمباهاة كقول العرب خسرت عليه كذا اذ انفق عليه يتفضل على الناس بالتبذير والاسراف ويحسبه فضيلة لاحتجابه عن الفضيلة وجهله ولهذا قال (ايحسب ان لم يره احد) اي ايحسب ان لم يطلع الله تعالى على باطنه ونيته حين ينفق ماله في السمعة والرياء والمباهاة لا على ما ينبغي في مراضي الله وهي رذيلة على رذيلة فكيف تكون فضيلة (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) الم ننعم عليه بالالات البدنية التي يتمكن بها من اكتساب الكمال ليبصر ما يعتبر به ويسأل عما لا يعلم ويتكلم فيه (وهديناه النجدين) الى طريق الخير والشر (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة) اي عقبة النفس وهواها الحاجبة للقلب بالرياضة والمجاهدة واي عقبة كؤد هي لا يدرى كنه مشقتها (فك رقبة) اي العقبة التي يجب اقتحامها تخليص رقبة القلب الاسير في قيد هوى النفس وفكها عن اسرها بالتجريد عن الميول الطبيعية بالكلية فان لم يكن الفك بالكلية بالرياضة واماتة القوى وقهر النفس فتكلف الفضائل والتزام سلوك طريقها واكتسابها حتى يصير التطبع طباعا وهو معنى قوله (او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) فان الاطعام خصوصا وقت شدة الاحتياج للمستحق الذي هو وضع في موضعه من باب فضيلة العفة بل افضل انواعها والايمان من فضيلة الحكمة واشرف انواعها واجلها وهو الايمان العلمي اليقيني والصبر على الشدائد من اعظم انواع الشجاعة واخره عن الايمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والمرحمة اي التراحم والتعاطف من افضل انواع العدالة فانظر كيف عدد اجناس الفضائل الاربع التي يحصل بها كمال النفس بدا بالعفة التي هي اول الفضائل وعبر عنها بعظم انواعها واخص خصالها الذي هو السخاء ثم اورد الايمان الذي هو الاصل والاساس وجاء بلفظة ثم لعدم مرتبته عن الاولى في الارتفاع والعلو وعبر عن الحكمة به لكونه ام سائر مراتبها وانواعها ثم رتب عليه الصبر لامتناعه بدون اليقين واخر العدالة التي هي نهايتها واستغنى بذكر الرحمة التي هي صفة الرحمن عن سائر انواعها كما استغنى بذكر الصبر عن سائر انواع الشجاعة (اولئك اصحاب الميمنة) اي الموصوفون بهذه الفضائل هم السعداء اصحاب اليمين وسكان عالم القدس (والذين كفروا بآياتنا) اي حجبوا عن هذه الصفات التي هي آيات الله الحقيقية التي تعرف بها ذاته (هم اصحاب المشأمة) الشؤم وسكان عالم الرجس (عليهم نار مؤصدة) تستولي نار الطبيعة الآثارية مطبقة عليهم ابوابها محبوسين فيها ممنوعين من الروح والمراتب ابد الآبدين والله اعلم

(سورة)

﴿ سورة الشمس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والشمس وضحاها) اقسم بشمس الروح وضوئها المنتشر فى البدن الساطع على النفس (والقمر اذا تلاها) اى قمر القلب اذا تلى الروح فى التنور بها واقباله نحوها واستضاءته بنورها ولم يتبع النفس فينخسف بظلمتها (والنهار) ونهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستواء نورها (اذا جلاها) وابرزها غاية الظهور كالنهار عند الاستواء فى تجلية الشمس (والليل اذا يغشاها) اى ليل ظلمة النفس اذا سترت الروح فان وجود القلب الذى هو محل المعرفة وعرش الرحمن لا يكون الا بامتزاج نور الروح وظلمة النفس كانه موجود مركب منهما متولد من اجتماعهما ولولا ظلمة النفس لم تستبن المعانى فى القلب فلم تضبط كما فى حيز الروح لغاية صفائها ونوريتها وان كانت الثلاثة حقيقة واحدة تختلف اسماؤها بحسب اختلاف مراتبها (والسماء وما بناها) اى الروح الحيوانية التى هى سماء هذا الوجود والقادر الذى بناها (والارض وما طحاها) اى البدن والخالق الذى طحاها (ونفس) اى القوة الحيوانية المنطبعة فى الروح الحيوانية المسماة باصطلاح اهل الشرع والتصوف النفس مطلقا او الجملة او النفس الناطقة والحكيم الذى (وما سواها) عدلها بين جهتى الربوبية والدناءة لا فى ظلمة الجسم وكثافته ولا فى ضوء الروح ولطافته كما قال لا شرقية ولا غربية على الاول وعدل مزاجها وتركيبها على الثانى واعدها لقبول الكمال ووسطها بين العالمين على الثالث (فألهمها فجورها وتقواها) اى افهمها اياهما وشعرها بهما بالالقاء الملكى والتمكين من معرفتهما وحسن التقوى وقبح الفجور بالعقل الهيولانى (قد افلح) بالوصول الى الكمال وبلوغ الفطرة الاولى (من زكاها) وطهرها (وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) واخفاها فى تراب البدن عن نور الحق ورحمته وجواب القسم محذوف اى ليهلكن المحجوبون المكذبون لنبى بطغيانهم كما اهلكت ثمود لتكذيبهم نبيهم بطغيانهم لعدم قبول ذلك الالهام وبقائهم على الفجور واحتجاب العقل واستيلاء ظلمة النفس وقد مر تأويل الناقة وسقياها والله تعالى اعلم

﴿ سورة الليل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والليل اذا يغشى) اقسم بليل ظلمة النفس اذ استرنور الروح وبنهار نور الروح (والنهار اذا تجلى) فظهر من اجتماعهما وجود القلب الذى هو عرش الرحمن فان القلب يظهر باجتماع هذين له وجه الى الروح يسمى الفؤاد ادتلق به المعارف والحقائق ووجه الى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعانى والقادر العظيم القدرة الحكيم الباهر الحكمة الذى (وما خلق الذكر) الذى هو الروح (والانثى) التى هى النفس فولد القلب (ان سعيكم لشتى) اشتات مختلفة لانجذاب بعضكم الى جانب الروح والتوجه الى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم الى جانب النفس والانهماك فى الشر لغلبة الظلمة وتفصيل ذلك فى قوله (فأما من اعطى واتقى) اى آثر الترك والتجريد فرفض ما يشغله عن الحق وتركه بالسهولة واتقى عن هيآت النفس لجردها عن الميل الى مارفض والالتفات نحوه (وصدق) بالفضيلة (الحسنى) التى هى مرتبة الكمال بالايمان العلمى اذ لولم يتيقن بوجود كمال كامل لم يمكنه الترق (فسنيسره لليسرى) اى فسنهيئه ونوفقه للطريقة اليسرى التى هى السلوك فى الله لقطع علائقه وقوة يقينه (واما من بخل واستغنى) آثر محبة المال وجمعه ومنعه واستغنى به عن كسب الفضيلة لاحتجابه به عن الحق (وكذب بالحسنى) بوجود مرتبة الكمال والفضيلة لاستغنائه بالحياة الدنيا واحتجابه بها عن عالم النور والآخرة (فسنيسره للعسرى) فسنهيئه بالخذلان للطريقة العسرى التى هى الانحطاط عن رتبة الفطرة الى قعر الطبيعة ودركات اسفل سافلين مأوى الحشرات

والديدان والحيلولة بينه وبين شهواته بالحرمان (وما يغنى عنه ماله) الذى تعب فى تحصيله وافنى عمره فى حفظه (اذا تردى) اذا وقع فى قعر بئر جهنم وعمق الهاوية وهلك (ان علينا للهدى) بالارشاد الينا بنور العقل والحس والجمع بين الادلة العقلية والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار (وان لنا للآخرة والاولى) اى نعطيهما من توجه الينا فلا نحرم التارك المجرد عن ثواب الدنيا مع ثواب الآخرة فان من آثر الاشرف يكون الاخس تحت قدمه بالضرورة كقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم (فأنذرتكم نارا تلظى) اى نارا عظيمة يبلغ لظاها جميع مراتب الوجود وهى النار الكبرى الشاملة للحجاب والقهر والسخط والتعذيب بالآثار ولهذا قال (لايصلاها الا الاشقى) العديم الاستعداد الخبيث الجوهر المشرك بالله فى المواقف الاربعة (الذى كذب) بالله لشركه (وتولى) واعرض عن الدين لعناده (وسيجنبها الاتقى) اى يتحاماها ويبعد عنها فى جميع مراتبها (الذى) اتقى ماعدا الله من ذاته وصفاته وافعاله وكل شئ من الاغيار والآثار بالاستغراق فى عين الجمع وهو الاتقى المطلق الذى لم يقف مع غير الله فيوقف على الله ويعذب ببعض النيران واما التقى فقد لايجنب جميع مراتبها كالمجرد من الهيآت والافعال الواقف مع الصفات فانه وان كان مغفورا ذنوبه فقد حرم عن روح الذات ولذة المقربين فى حجاب وجوده (الذى يؤتى ماله يتزكى) الذى يعطيه فى حالة كونه متطهرا عن لوث محبة الانداد وتعلق الاغيار والالتفات الى ماسوى الله والاشتغال به مزكيا نفسه عن الشرك الخفى (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) اى لايؤتيه للمكافات والمعاوضة (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) باجتناب ماعداه ولكونه على اعلى مراتب التقوى وصف الوجه الذى هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالاعلى لان الله تعالى بحسب كل اسم له وجه يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ويعبده باستعداده والوجه الاعلى هو الذى له بحسب اسمه الاعلى الشامل لجميع الاسماء وان جعلته وصفا لربه فالرب هو ذلك الاسم (ولسوف يرضى) بالوصول اليه فى عين الجمع والشهود الذاتى ثم مشاهدة ذلك الوجه فى مقام التفصيل حال البقاء بعد الفناء لاستدعاء الرضا وجوده مع الوصف والله تعالى اعلم

﴿ سورة الضحى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك) اقسم بالنور والظلمة الصرفة القارة على حالها الذين هما اصل الوجود الانسانى وجماع الكونين على ان ربك ما تركك ترك مودع فى عالم النور وحضرة القدس مع بقاء المحبة والشوق فى مقام الصفات محجوبا عن الذات فان المودع لا بدله من محبة وشوق (وما قلى) اى وما قلاك فى عالم الظلمة والوقوف مع الكون بلا محبة وشوق فى مقام النفس محجوبا عن الرب وصفاته وافعاله ترك قال مبغض وذلك ان المحبوب الذى يسبق كشفه اجتهاده اذا كوشف بالتوحيد الذاتى ورفع غطاؤه ليعشق رد الى الحجاب وسد طريقه الى حضرة تجلى الذات ليشتد شوقه ويلطف سره وتذوب انائيته بنار الشوق ثم فتح طريقه ورفع حجابه بالكلية وكوشف بالحق الصرف ليكون ذوقه اتم وكشفه اكمل وكان صلى الله عليه وسلم فى هذا الاحتجاب يصعد الجبال ليرمى بنفسه فاذا نفدت طاقته رفع الحجاب ونزل (وللآخرة) اى وللحالة الآخرة التى هى التجلى بعد الاحتجاب واشتداد الشوق (خير لك من) الحالة (الاولى) لامنك فى الحالة الثانية عن التلوين بوجود البقية وظهور الانائية (ولسوف يعطيك ربك) الوجود الحقانى لهداية الخلق والدعوة الى الحق بعد هذا الفناء الصرف (فترضى) به حيث مارضيت بالوجود البشرى والرضا لايكون الا حال الوجود (الم يجدك يتيما) منفردا محجوبا بصفات النفس عن نور ابيك الحقيق الذى هو روح القدس منقطعا عنه ضائعا (فآوى) اى فأواك الى جنابه ورباك فى حجر تربيته وتأديبه وكفلك اباك ليعلمك ويزكيك (ووجدك ضالا فهدى) عن التوحيد الذاتى عند كونك فى عالم ابيك محتجبا

(بالصفات)

بالصفات عن الذات فهداك بنفسه الى عين الذات (ووجدك عائلا فأغنى) فقيرا عديما فانيا فيه بالفقر الذى هو سواد الوجه فى الدارين الذى هو الفناء المحض بعد الفقر الذى هو فخره اى فناء الصفات كما قال الفقر فخرى فأغناك بما اعطاك من الوجود الموهوب الموصوف بصفات الكمال الحقانى المتخلق بالاخلاق الربانية فاذ اتم كمالك فتخلق باخلاق وافعل بعادى مافعلت بك لتكون عبدا شكورا اى قائما بشكر نعمتى (فأما اليتيم) اى المنفرد المنكسر القلب المنقطع عن نور القدس المحتجب بحجاب النفس (فلا تقهر) والطف به بالمداراة والرفق وآوه الى نفسك بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة كما آويتك (واما السائل) اى المستعد المحجوب الضال عن طريق مقصده الطالب اياه (فلا تنهر) ولا تمنعه عن السؤال واهده كما هديتك (واما بنعمة ربك) من العلم والحكمة الفائض عليك فى مقام البقاء (فحدث) بتعليم الناس واغناهم بالخير الحقيقى كما اغنيتك والله تعالى اعلم

﴿ سورة الانشراح ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك) استفهام بمعنى انكار انتفاء الشرح ليفيد ثبوته اى شرحنا لك صدرك وذلك لان الموحد فى مقام الفناء محجوب بالحق عن الخلق لفنائه وضيق الفانى عن كل شئ اذ العدم لا يقبل الوجود كما كان قبل الفنا محجوبا بالخلق عن الحق لضيق وعائه الوجودى وامتناع قبول وجود التجلى الذاتى الالهى فاذا رد الى الخلق بالوجود الحقانى الموهوب ورجع الى التفصيل وسع صدره الحق والخلق لكونه وجودا حقيا وذلك انشراح الصدر اى شرحناه بنور الدعوة والقيام بحقائق الانباء والوزر الذى يحمل ظهره على النقيض وهو صوت الكسر اى يكسره بثقله هو وزر النبوة والقيام باعبائها لانه فى مقام الشهود لم يجد للحق وجودا فضلا عن الفعل ولم يفرق بين فعل وفعل لشهوده لا فعاله تعالى فكيف يثبت خيرا وشرا ويأمر وينهى وهو لا يرى الا الحق وحده فاذا رد الى مقام النبوة عن مقام الولاية وجب بحجاب القلب ثقل ذلك عليه وكاد ان يقصم ظهره لاحتجابه عن الشهود الذاتى حينئذ فوهب التمكين فى مقام البقاء حتى لم يحتجب بالكثرة عن الوحدة وشاهد الجمع فى عين التفصيل ولم يغب عن شهوده بالدعوة وذلك هو شرح الصدر وهو بعينه وضع الوزر المذكور ورفع الذكر لان الفانى فى الجمع لا يكون شيأ فضلا عن ان يكون مذكورا واو بقى فى عين الجمع لما صح محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قولنا لا اله الا الله لفنائه ولما تم الاسلام لصحته بهما (فان مع العسر) اى الاحتجاب الاول بالخلق عن الحق (يسرا) واى يسر هو كشف الذات ومقام الولاية (ان مع العسر) اى الاحتجاب الثانى بالحق عن الخلق (يسرا) واى يسر هو شرح الصدر بالوجود الموهوب الحقانى ومقام النبوة (فاذا فرغت) عن السير بالله وفى الله وعن الله (فانصب) فى طريق الاستقامة والبر الى الله واجتهد فى دعوة الخلق (والى ربك فارغب) اليه خاصة فى الدعوة اليه اى لا ترغب الا الى ذاته دون ثواب اوغرض آخر لتكون دعوتك وهدايتك به اليه والا لما كنت قائما به مستقيما اليه به بل زائغا عنه قائما بالنفس والله تعالى اعلم

﴿ سورة والتين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والتين) اى المعانى الكلية المنتزعة من الجزئيات التى هى مدركات القلب شبهها بالتين لكونها غير مادية معقولة صرفة مطابقة لجزئياتها مقوية للنفس لذيذة كالتين الذى لا نوى له بل هو لب كله مشتمل على حبات كالجزئيات التى هى فى ضمن الكليات مسمن للبدن فيه غذائية وتفكه (والزيتون) اى المعانى الجزئية التى هى مدركات النفس شبهها بالزيتون لكونها مادية معدة للنفس لادراك الكليات كالزيتون الذى له نوى وهو دابغ لآلات الغذاء مشه (وطور سينين) اى الدماغ الذى هو معدن الحس والتخيل المرتفع من ارض البدن كالجبل (وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) اى القلب الحافظ مافيه من المعانى الكلية او المأمون فساده وفناؤه لتجرده عن اختلاف الاشتقاق من الامانة او الامن اقسم بما يحصل به كمال الانسان ووجوده من المعانى الكلية والجزئية

والقلب والنفس اى المدركين ومدركاتهما تعظيما للانسان واظهارا لشرفه وتكريما على انه خلق الانسان (فى احسن تقويم) اى تعديل من جمع الظلمة والنور فيه والجمع بين الاضداد والموافقة بينها وجعله واسطة بين العالمين جامعا لهما وتسوية خلقه وخلقه وتحسين صورته ومعناه فى اعدل مزاج واكمل نوع وافضل مخلوق (ثم رددناه) لاحتجابه بالظلمة عن النور والوقوف مع رذائل الاخلاق والاعراض عن الفضائل (اسفل سافلين) من سفل خلقا ورتبة من اهل الدركات واقبح من قبح صورة وتركيبا واشوهه خلقة وشكلا ومنظرا وهم اصحاب النار فى سجين الطبيعة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بتغليب نور القلب على ظلمة النفس والكلى على الجزئى وكسبوا الفضائل والخيرات اى حصلوا الكمال العلمى والعملى فانهم فى درجات عالية من عالم القدس (فلهم اجر) من ثواب جنات القلوب والنفوس (غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين) لاتصال مدده من عالم القدس وبراءته عن الكون والفساد وابديته وجوده فما يجعلك كاذبا بسبب الجزاء ايها الانسان بان تكذب به فتكون كاذبا بعد وقوفك عن هذا الخلق العجيب الجامع لمراتب الوجود اسفلها واعلاها الحاصر لكمالات الكونين اشرفهما واخسهما (اليس الله بأحكم الحاكمين) فيحكم عليه بالوقف فى اى مرتبة من المراتب شاء فى اعلاها فيثيبه او اسفلها فيعاقبه

﴿ سورة العلق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقرأ باسم ربك) نزلت فى اول رتبة رده عليه السلام عن الجمع الى التفصيل ولهذا قيل هى اول سورة نزلت من القرآن ومعنى الباء فى باسم الاستعانة كما فى قوله كتبت بالقلم لانه اذا رجع الى الخلق عن الحق كان موجودا بالوجود الحقانى بعد الفناء عن وجوده موصوفا بصفاته فكان اسما من اسمائه لان الاسم هو الذات مع الصفة اى اقرأ بالوجود الذاتى الذى هو اسمه الاعظم فهو الآمر باعتبار الجمع والمأمور باعتبار التفصيل ولهذا وصف الرب (بالذى خلق) اى احتجب بصورة الخلق يعنى ظهرت بصورتك فقم بى فى صورة الخلق وارجع عن الحقية الى الخلقية وكن خلقا بالحق ولما رده الى الخلقية فى صورة الجمعية الانسانية وامره بالاحتجاب بها للتمكن الوحى والتنزيل والنبوة خص الخلق بعد تعميمه بالانسان فقال (خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم) اى البالغ الى النهاية فى الكرم الذى لا يمكن فوق غايته كرم لجوده بذاته وصفاته وهب لك ذاته وصفاته فهو اكرم من ان يدعك فانيا فى عين الجمع فلا يعوض وجودك بنفسك شيأ ولو ابقاك على حال الفناء لم يظهر له صفة فضلا عن الكرم ومن قضية اكرميته انه الذى اثرك بأشرف صفاته الذى هو العلم وما ادخر عنك شيأ من كمالاته فلهذا وصف الاكرم ب (الذى علم بالقلم) اى القلم الاعلى الذى هو الروح الاول الاعظم اى علم بسببه وواسطته ثم لما كان فى اول حال البقاء ولم يصل الى التمكين اراد ان يمكنه ويحفظه عن التلوين بظهور انائيته وانحال صفة الله فقال (علم الانسان مالم يعلم) اى لم يكن له علم فعلمه ووهب له صفة عالميته لئلا يرى ذاته موصوفة بصفة الكمال فيطغى بظهور الانائية ولهذا ردعه عن مقام الطغيان بقوله (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) اى بسبب رؤيته نفسه مستغنيا بكماله (ان الى ربك الرجعى) بالفناء الذاتى فلا ذات لك ولا صفة فارتدع عليه السلام متأدبا بأدب حاله وقال لست بقارئ اى ما انا بقارئ انما القارئ انت (ارايت الذى) اى المحجوب الجاهل المستغنى بحاله وماله وقومه عن الحق (ينهى عبدا اذا صلى) اى عبدا عن صلاة الحضور والعبادة فى مقام الاستقامة بطغيانه (ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى) فى شركه ودعوته الى الشرك فرضا وتقديرا كما زعم او (ارايت ان كذب وتولى) بالحق لكفره واعرض الدين المستقيم لعناده وطغيانه كما هو فى نفس الامر (الم يعلم بأن الله يرى) اى فى الحالتين فيجازيه (كلا) ردع عن النهى عن الصلاة واثبات للقسم الثانى من الشرطية بنفى القسم الاول بالوعيد عليه (لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية) عنه وعن نسبة الكذب وخطاء اليه على ابلغ وجه وآكده وبيان احتجابه بقومه واتكاله على قوتهم وغفلته عن قهر الحق وسخطه بتسليط الملكوت السماوية والارضية الفعالة فى عالم الطبيعة عليه التى لا يمكن احدا مقاومتها (كلا لا تطعه) اى لا توافقه ودم على ما انت عليه من مخالفته بملازمة التوحيد (واسجد) سجود الفناء فى صلاة الحضور (واقترب) اليه بالفناء فى الافعال ثم فى

(الصفات)

الصفات ثم فى الذات اى دم على حالة فنائك التام فى مقام الاستقامة والدعوة حتى تكون فى حالة البقاء به فانيا عنك ولا يظهر فيك تلوين بوجود بقية من احدى الثلاث ولهذا قرأ عليه السلام فى هذه السجدة اعوذ بعفوك من عقابك اى بفعلك من فعلك واعوذ برضاك من سخطك اى بصفتك من صفة لك واعوذ بك منك اى بذاتك من ذاتك وهو معنى اقترابه بالسجود وفى الحديث اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد والله تعالى اعلم

﴿ سورة القدر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا انزلناه فى ليلة القدر) ليلة القدر هى البنية المحمدية حال احتجابه عليه السلام فى مقام القلب بعد الشهود الذاتى لان الانزال لا يمكن الا فى هذه البنية فى هذه الحالة والقدر هو خطره عليه السلام وشرفه اذ لا يظهر قدره ولا يعرفه هو الا فيها ثم عظمها بقوله (وما ادراك ماليلة القدر) اى اى شئ عرفك كنه قدرها وشرفها (ليلة القدر خير من الف شهر) قدمر ان اليوم يعبر به عن الحادث كقوله وذكرهم بايام الله فكل كائن يوم واذا بنى على هذه الاستعارة كان كل نوع شهر الاشتماله على الايام والليالى اشتمال النوع على الاشخاص وكل جنس سنة لاشتمالها على الشهور اشتمال الجنس على الانواع والالف هو العدد التام الذى لا كثرة فوقه الا بالتكرار والاضافة فيكنى به عن الكل اى هذا الشخص وحده خير من كل الانواع ثم بين وجه تفضيله وسبب خيريته فقال (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) اى القوة الروحانية والنفسانية بل الملكوت السماوية والارضية والروح (من كل امر) اى من جهة كل امر هو معرفة جميع الاشياء ووجوداتها وذواتها وصفاتها وخواصها واحكامها واحوالها وتدبيرها وتسخيرها (سلام هى) سلامة عن جميع النقائص والعيوب (حتى مطلع الفجر) وقت طلوع فجر الشمس الطالعة من مغربها وقرب الموت فحينئذ لاتكون سلامة اى سالمة اوسلام فى نفسها لكثرة السلام عليها من الله والملائكة والناس اجمعين

﴿ سورة البينة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين) اى حجبوا اما عن الدين وطريق الوصول الى الحق كاهل الكتاب واما عن الحق ايضا كالمشركين (منفكين) عما هم فيه من الضلالة (حتى تأتيهم البينة) اى الحجة الواضحة الموصلة الى المطلوب وذلك ان الفرق المختلفة المحتجبة باهوائهم وضلالاتهم من اليهود والنصارى والمشركين كانوا يتخاصمون ويتعاندون ويدعى كل حزب حقية ماعليه ويدعو صاحبه اليه وينسب دينه الى الباطل ثم يتفقون على انا لا ننفك عما نحن فيه حتى يخرج النبى الموعود فى الكتابين المأمور باتباعه فيهما فنتبعه ونتفق على الحق على كلمة واحدة كما عليه الآن بعينه حال هؤلاء المتعصبين من اهل المذاهب المتفرقة وانتظارهم خروج المهدى فى آخر الزمان ووعدهم على اتباعه متفقين على كلمة واحدة ولا احسب حالهم الا مثل حال اولئك اذا خرج اعاذنا الله من ذلك فحكى الله قولهم وبين انهم ماتفرقوا تفرقا قويا وما اشتد اختلافهم وتعاندهم الا من بعد ماجاءتهم البينة بخروجه لان كل فرقة بل كل شخص توهم انه يوافق هواه ويصوب رأيه لاحتجابه بدينه فلما ظهر خلاف ذلك ازداد كفره وعناده واشتدت شكيمته وضغينته (رسول) بدل من البينة اى الحجة الواضحة رسول (من الله يتلو صحفا) من الواح العقول والنفوس السماوية لاتصاله بها بتجرده (مطهرة) من دنس الطبائع وكدر العناصر ودنس المواد وتحريف العباد (فيها كتب قيمة) اى مكتوبات ثابتة ابدية مستقيمة ناطقة بالحق والعدل لا تتغير ولا تتبدل ابدا هى اصول الدين القيم (وما امروا) اى اهل الكتابين المحجوبون باهوائهم عن الدين بما امروا فيهما (الا ليعبدوا الله) لان يخصصوا العبادة بالله (مخلصين له الدين) عن شوب الباطل والالتفات الى الغير (حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عن كل طريق غير موصل اليه وعن كل ماسواه ويتوصلوا اليه بالعبادات البدنية والمالية اى ماامروا بما امروا الا للالتزام باصول ثلاثة التوحيد على الاخلاص وقطع النظر عن الغير فى

الطاعة والاعراض عما سواه والقيام بالعبادات البدنية من الاعمال المزكية كالصلاة التى هى العمدة فى بابها كقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والقيام بحقائق الزهد من الترك والتجريد كالزكاة التى هى اساسها وذلك بعينه دين الكتب القيمة التى يتلوها هذا الرسول فالملة الحقيقية الحنيفية واحدة من لدن آدم الى يومنا هذا وهى ملازمة التوحيد وسلوك طريق العدالة الشاملة للاصلين الآخرين فلولم يحتجبوا باهوائهم ولم يحرفوا كتبهم ويتعصبوا بظهور نفوسهم السبعة ولم يقفوا مع شهواتهم ولم يحتجبوا بتوهماتهم وتصوراتهم بظواهر اوضاعهم وعاداتهم واما نيهم ومراداتهم عن حقائق ما فى كتبهم لكان دينهم هذا الدين بعينه فالحاصل ان المحجوبين من اى الفرق كانوا هم شر البرية فى نار جهنم الآثار قعر بئر الطبيعة والموحدين بالتوحيد العلمى العاملين على قانون العدالة فى اكتساب الفضائل (اولئك هم خير البرية) فى جنان الخلد بحسب درجاتهم من جنات الافعال والصفات واعلى درجاتهم مقام كمال الصفات الذى هو الرضا (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) اى ذلك المقام مخصوص بمن علته الخشية الربانية عند تجليه بصفة العظمة استولت الخشية على العبد وذلك ليس هو الخوف المنافى لمقام الرضا بل هو حكم التجلى واثره فى النفس وكما اثبت القدر المشترك للمحجوبين من النار دون النار الكبرى التى للاشقين اثبت القدر المشترك للموحدين من الجنة دون الجنة العليا التى للعارفين الاتقين فلذلك كان اعلى درجاتها الرضا والسلام

﴿ سورة الزلزلة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا زلزلت الارض) ارض البدن عند نزع الروح الانسانى باضطراب الروح الحيوانى (زلزالها) الذى استوجبته فى تلك الحالة المؤذنة بخرابها وانتقاض بنيتها (واخرجت الارض اثقالها) اى متاعها التى هى بها ذات قدر من القوى والارواح وهيآت الاعمال والاعتقادات الراسخة فى القلب جمع ثقل وهو متاع البيت (وقال الانسان مالها) اى مالها زلزلت واضطربت ما طبهـا ماداؤها الانحراف المزاج ام لغلبة الاخلاط (يومئذ تحدث اخبارها) بلسان حالها (بان ربك اوحى لها) اشار اليها وامرها بالاضطراب والخراب واخراج الاثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت (يومئذ يصدر الناس) عن مراقدهم ومخارج ابدانهم الى مواقفهم ومواطن حسابهم وجزائهم (اشتاتا) متفرقين سعداء واشقياء (ليروا اعمالهم) اى جزاءها بما اثبت فى صحائف نفوسهم من صورها وهيآتها (فمن يعمل) من السعداء (مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل) من الاشقياء (مثقال ذرة شرا يره) والمخصص لعموم من فى فمن يعمل فى الموضعين قوله اشتاتا لان خيرات الاشقياء محبطة بالكفر والاحتجاب وشرور السعداء معفوة بالايمان والتوبة وغلبة الخيرات وسلامة الفطرة

﴿ سورة والعاديات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والعاديات ضبحا) اى النفوس المجتهدة السائرة فى سبيل الله التى تعدو من شدة سيرها ورياضتها وجدها فى سعيها كالخيل العادية تتنفس الصعداء من برحاء الشوق (فالموريات قدحا) فتورى نارا بقداح النتائج والاشتغال بنور العقل الفعال بقدح زناد النظر وتركيب المعلومات بالفكر (فالمغيرات صبحا) اى التى تغير مما يتعلق بها مما فى ظواهرها وخارجها من الماليات ومما فى بواطنها وداخلها من هيآت صفات النفوس وآثار الافعال وميول الشهوات واللذات ووساوس الوهم والخيال بنور صبح التجلى الالهى وانوار الطوالع ومبادى الوصول تركا وتجريدا (فأثرن به نقعا) بنور ذلك التجلى وصبح يوم القيامة الكبرى نقع تراب البدن بانهماكه وتلطيفه وتخفيفه بالرياضة ومنع الحظوظ لشدة التوجه الى الحق والاقبال اليه بالعشق وانزعاج القوى فى مشايعة القلب والروح عن جانب البدن واشتغالها عنه بتلقى الانوار كما يقال اثار عنه الغبار اى افناه واهلكه وجعله كالغبار فى التلاشى (فوسطن به جمعا) اى بذلك الصبح

(ونوره)

ونوره جمع عين الذات فاستغرقن فيه اى لطفن كثافة تراب البدن حتى يصير كالنقع فى اللطافة فوسطن بذلك النقع جمع الذات فان الوصول انما يكون بالابدان كمراجه عليه السلام فانه كان بالبدن اى العاملات العاملات التاركات المجردات بنور التجلى المنهكات للابدان بالرياضة فالواصلات (ان الانسان لربه لكنود) اقسم بحرمة الشاكرين لانعمه الواصلين اليه بتوصلها على ان الانسان لكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغى ليتوصل بها اليه (وانه على ذلك لشهيد) لعلمه باحتجابه وشهادة عقله ونور فطرته انه لايقوم بحقوق نعم الله ويقصر فى جنب الله بكفرانه (وانه لحب الخير لشديد) اى وانه لحب المال لقوى اولاجل حب المال بخيل فلذلك يحتجب به غارزا رأسه فى تحصيله وحفظه وجمعه ومنعه مشغولا به عن الحق معرضا عن جنابه اوانه لحب الخير الموصل الى الحق منقبض غير هش منبسط (افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور) اى ابعد هذا الاحتجاب ومخالفة العقل لايعلم بنور فطرته وقوة عقله (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) عالم باسرارهم وضمائرهم واعمالهم وظواهرهم فيجازيهم على حسبها اذابعثر اى بعث مافى قبور ابدانهم من النفوس والارواح وحصل مافى صدورهم اى اظهر مافى قلوبهم من هيآت اعمالهم وصفاتهم واسرارهم ونياتهم المكتومة فيها

❁ سورة القارعة ❁

❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁

(القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش) الداهية التى تقرع الناس وتهلكهم وهى اما القيامة الكبرى اوالصغرى فان كانت الكبرى فمعناها الحالة التى تفنى المقروع من تجلى الذات الاحدية وافناء البشرية بالكلية وهى حالة لايعرف كنهها ولايقدر قدرها تقرعهم يوم يكون الناس كالفراش اى يكونون فى ذلك الشهود فى الذلة وتفرق الوجهة كالفراش المتشر واحقر واذل لانه لاقدر ولاوقع لهم فى عين الموحد كقوله لن يكمل ايمان المرء حتى يكون الناس عنده كالاباعرا وكالفراش (المبثوث) اذا احترق وانبث بالنار لنظره اليهم بعين الفناء (وتكون الجبال) اى الاكوان ومراتب الوجود على اختلاف اصنافها وانواعها (كالعهن المنفوش) لصيرورتها هباء منبثا وانتفاعها وتلاشيها بالتجلى وان كان المراد بالناس المقروعين من اهل الكبرى فمعناها كالفراش المبثوث المحترق بنور التجلى المتلاشى لاغير وتكون الجبال اى ذواتهم وصفاتهم مع اختلاف مراتبها والوانها كالعهن المنفوش فى التلاشى الاان قوله فامامن ثقلت موازينه واما من خفت موازينه لايساعده لانتفاء التفصيل هناك واعلم ان ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق اذصعود الموزونات وارتفاعها فيه هوالثقل وهبوطها وانحطاطها هوالخفة لان ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة اى المعتبرة الراجحة عندالله التى لها قدرو وزن عنده هى الباقيات الصالحات ولاثقل ارجح من البقاء الابدى والخفيفة التى لاوزن لها ولاقدر ولااعتبار عندالله هى الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات ولاخفة اخف من الفناء الصرف (فامامن ثقلت موازينه) بان كانت من العلوم الحقيقية والفضائل النفسانية والكمالات القلبية والروحانية (فهوفى عيشة راضية) ذات رضا اى حياة حقيقية فى جنان الصفات فوق جنان الافعال (واما من خفت موازينه) بان كانت من الاعمال السيئة والرذائل النفسانية (فامه هاوية) اى مأواه قعر بئر جهنم الطبيعة الجسمانية التى تهوى فيها اهلها (وما ادراك ماهيه) حقيقتها وكنه حالها انها (نار) آثارية (حامية) بالغة الى نهاية الاحراق ويكون معنى امه هاوية انه هالك وما ادراك ما الداهية التى يهلك بها نار حامية وان كانوا من اهل الصغرى فمعناها الحالة التى تقرع الناس بشدتها وهى الموت يوم يكون الناس بفراقهم عن الابدان وانبعاثهم من مراقدها وقصدهم الى ضوء عالم النور وذلتهم وخشوعهم وتفرق مقاصدهم وتحيرهم بحسب تفرق عقائدهم واهوائهم كالفراش المبثوث وتكون جبال الاعضاء فى اختلاف الوانها واصنافها وتفرق اجزائها وتفتتها وصيرورتها هباء كالعهن المنفوش والباقى بحاله كما ذكر والله اعلم

(سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الهاكم التكاثر) اى شغلتكم اللذات الحسية والخيالية الفانية من نعيم الحياة الدنيا التى احتجبتم بها وحبستم كما لكم فيها واذهبتم طيباتكم من نور الاستعداد وصفاء الفطرة والعقل والمعقولات فيها عن اللذات العقلية والكمالات المعنوية الباقيه من نعيم الآخرة وذهب بكم المفاخرة والمباهاة بهذه الامور الفانية من كثرة الاموال والاولاد وشرف الآباء والاجداد كل مذهب (حتى زرتم المقابر) ما اكتفيتم بالموجودات منها وارتكبتم المفاخرة بالمعدومات السالفة من العظام البالية لشدة الحجاب وغلبة لذة الخيال وسلطنة شيطان الوهم اوحتى متم وافنيتم عمركم فيها وماتنبهتم طول عمركم على ما هو سبب نجاتكم (كلا) ردع عن الاشتغال بها وتنبيه على وخامة عاقبتها (سوف تعلمون) عند خراب الابدان وكشف غطاء الاكوان حين لاينفعكم العلم لانعدام الاسباب والآلات التى يمكن بها الاستكمال بالموت وخامة عاقبة الاشتغال بهذه الحسيات والوهميات الشريعة الزوال العظيمة الوبال لبقاء تبعاتها وتعذبكم بهيآتها واستيلاء نار آثارها (ثم كلا سوف تعلمون) تكرار الوعيد (كلا لوتعلمون علم اليقين) اى لوذقتم اللذات الحقيقية من العلوم اليقينية والادراكات النورية المستعلية على هذه الحسيات والخياليات الفانية لكان مالايدخل تحت الوصف من الندم والتحسر على فوات العمر العزيز فيها والذهول عنها (لترون الجحيم) اى والله لترون بسبب احتجابكم بهذه المحسوسات نار جحيم الطبيعة الآثارية (ثم لترونها عين اليقين) لتذوقنها عيانا يقينيا بالذوق والوجدان فوق العلم (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) اى شئ هو الدنيوى ولذاته الفانية الذى هذه عاقبته ومآله وتبعته ام الاخروى الباقى ابدا على حاله الذى كنتم تكرونه ويجوز ان يكون قوله لترون الجحيم سادامسد جواب اولان القسم والشرط اذا اجتمعا اتحد جوابهما معنى وخص بالقسم لفظا سادامسد جواب الشرط كقوله وان اطعتموهم انكم لمشركون اى والله لو علمتم علم اليقين ووصلتم الى مرتبته لرايتم نار جحيم الطبيعة المخصوصة بالمحجوبين بهذه الرذائل من الانغماس فى الشهوات واللذات الوهمية والخيالية والكمالات الحسية والبدنية التى غرزتم رؤسكم فيها وتهالكتم عليها فانتهيتم عنها الانتهاء البالغ ثم ماوقفتم على مرتبة العلم اليقينى اوجدانكم ذوقه ومعرفتكم لذته وبقاءه وحسنه وشرفه وبهاءه وبقاء تبعة ماانتم الآن فيه وفنائه وقبحه وحسنه ووباله فترقيتم الى رتبة العيان والمشاهدة فعاينتم الحقائق على ماهى عليه من الانوار القدسية والصفات الالهية فشاهدتم بنور العيان حقيقة الجحيم ووبال هذه اللذات ومالها من الاهيآت وعذاب النيران والحرمان ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اى شئ هو اهذا الذى انتم الآن فيه من النعيم الاخروى ام ذلك النعيم الدنيوى او لوتعلمون العلم اليقينى ايها المحجوبون بهذه الزخارف والخرافات لترون الجحيم من شدة الشوق واستيلاء نار العشق ثم لترون بذلك الشوق الى رتبة عين اليقين والمشاهدة فترون حقيقة نار العشق عيانا ثم لتسئلن بعد هذا الذوق عن النعيم الذى هو حق اليقين ماهو اى ثم لتجدن ذوق الوصول واثر مرتبة حق اليقين فيمكنكم الاخبار عنها والله تعالى اعلم

﴿ سورة والعصر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والعصر ان الانسان لفى خسر) اقسم بالعصر اى بامتداد بقاء الزمان ومافيه ومايحدث معه عبدعه وعلته الذى هو الدهر الناس يضيفون تغيرات الامور والاحوال اليه ويجعلونه مؤثرا فيه كقولهم ومايهلكنا الاالدهر والمؤثر بالحقيقة هو الله تعالى كما قال عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر تعظيما له لظهوره تعالى بصفته وافعاله فى مظاهره على ان المحجوب بعنه فى خسر وهو الانسان لخسارته براس ماله الذى هو نور الفطرة والهداية الاصلية من الاستعداد الازلى باختيار الحياة الدنيا واللذات الدنية والاحتجاب بها وبالدهر واضاعة الباقى فى الفانى (الاالذين آمنوا) بالله الايمان العلمى اليقينى

(وعرفوا)

وعرفوا ان لامؤثر الاالله وبرزوا عن حجاب الدهر (وعملوا الصالحات) الباقيات من الفضائل والخيرات اى اكتسبوها فربحوا بزيادة النور الكمالى على النور الاستعدادى الذى هو رأس مالهم (وتواصوا بالحق) اى الثابت الدائم الباقى على حاله ابدا من التوحيد والعدل اى التوحيد الذاتى والوصفى والفعلى فانه الحق الثابت فحسب (وتواصوا بالصبر) معه وعليه عن كل ماسواه بالتمكين والاستقامة فان الوصول الى الحق سهل واما البقاء عليه والصبر معه بالاستقامة فى العبودية فأعز من الكبريت الاحمر والغراب الابيض فالفحوى ان نوع الانسان فى خسر الا الكاملين فى العلم والعمل المكملين بهما ويجوز ان يؤخذ العصر بمعنى المصدر من عصر يعصر اى وعصر الله الانسان بالبلاء والمجاهدة والرياضة حتى تصفو نقاوته ان الانسان الباقى مع الثقل الواقف مع حجاب البشرية فى خسر الا الذين اتصفوا بالعلم والعمل وتواصوا بالحق الثابت الذى هو الاعتقاد اليقينى اللازم للصفاوة الباقية بعد ذهاب الثقل وتواصوا بالصبر على العصر والانعصار بالبلاء والرياضة ولهذا قال عليه السلام البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال البلاء سوط من سياط الله يسوق به عباده اليه

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل لكل همزة لمزة) اى الذى تعود بالرذيلتين وضرى بهما فان هذه الصيغة للعادة والهمز اى الكسر من اعراض الناس واللمز اى الطعن فيهم رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لانهما يتضمنان الايذاء وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريد ان يتفضل على الناس ولايجد فى نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة اليهم ليظهر فضله عليهم ولايشعر ان ذلك عين الرذيلة وان عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتى القوة النطقية والغضبية ثم ابدل منه الوصف برذيلة القوة الشهوانية بقوله (الذى جمع مالا وعدده) وفى عدده اشارة ايضا الى الجهل لان الذى جعل المال عدة للنوائب لايعلم ان نفس ذلك المال يجر اليه النوائب لاقتضاء حكمة الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها وكذا فى قوله (يحسب ان ماله اخلده) اى لايشعر ان المقتنيات المخلدة لصاحبها هى العلوم والفضائل النفسانية الباقية لا العروض والذخائر الجسمانية الفانية ولكنه مخدوع بطول الامل مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الاجل والحاصل ان الجهل الذى هو رذيلة القوة الملكية اصل جميع الرذائل ومستلزم لها فلا جرم انه يستحق صاحبها المغمور فيها العذاب الابدى المستولى على القلب المبطل لجوهره (كلا) ردع عن حسبان وقوع الممتنع (لينبذن فى الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة) اى ليسقطن عن مرتبة فطرته الى رتبة الطبيعة الغالبة وهى الحطمة التى عادتها كسر كل ماوقع فى رتبتها باستيلاء قوتها عليه وهى النار الروحانية المنافية لجوهر القلب المؤلمة له ايلاما لايوصف كنهه المستعلية علية النافذة فى اشرف وجهه وباطنه واعلاه الذى هو الفؤاد المتصل بالروح (انها عليهم مؤصدة) اى مطبقة مغلقة الابواب لاحتجاب القلب فى محلها بالمواد الجسمانية واستحكام الهيآت المظلمة واللواحق الهيولانية والصور البهيمية والسبعية والشيطانية فيه وامتناع تخلصه منها الى عالم القدس (فى عمد ممددة) من محيط فلك القمر الى المركز وهى الطبائع العنصرية التى صار مربوطا بها بالتعلق وسلاسل الميل والمحبة والله اعلم

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قصة اصحاب الفيل مشهورة وواقعتهم كانت قريبة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى احدى ايات قدرة الله واثر من سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمه والهام الطيور والوحوش اقرب من الهام الانسان لكون نفوسهم ساذجة وتأثير الاحجار بخاصية اودعها

الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف لمية امثال هذه وقد وقع فى زماننا مثلها من استيلاء الفأر على مدينة ابيورد وافساد زروعهم ورجوعها فى البرية الى شط جيحون واخذ كل واحدة منها خشبة من الايكة التى على شط نهرها وركوبها عليها وعبورها بها من النهر وهى لاتقبل التأويل كأحوال القيامة وامثالها واما التطبيق فاعلم ان ابرهة النفس الحبشية لما قصد تخريب كعبة القلب الذى هو بيت الله بالحقيقة والاستيلاء عليها واراد ان يصرف حجاج القوى الروحانية الى قلس الطبيعة الجسمانية التى بناها واراد تعظيمها فخرأ فيها قرشى العاقلة العملية بالقاء فضلة الغذاء العقلى فيها من صور التأديب المخصوص بالامور الطبيعية كالعادات الجميلة والآداب المحمودة اوقع فيها شرارا من نار الشوق التى اوقدها عير قريش القوى الروحانية فأحرقها بالرياضة فساق جنوده وعبى جيوشه من جنس القوى النفسانية وصفاتها الظلمانية بالطبع كالغضب والشهوة وامثال ذلك وقدم فيل شيطان الوهم الذى لاينهزم عن جنود العقل ويعارضه فى الحرب والشيطان اكثر مايتشكل يكون بصورة الفيل كارآه معاذ فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال عليه السلام الشيطان لضيع خرطومه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس (الم يجعل كيدهم فى تضليل) جعل الله كيدهم فى تضييع (وارسل عليهم طيرا) طيور الافكار والاذكار بيضاء منورة بنور الروح (ابابيل) اى خرابق جماعات كصور القياسات وكثرة الاذكار (ترميهم بحجارة من سجيل) اى رياضة مما سجل وخص بكل واحد منهم كتب على كل واحد منها اسم المرمى بها بقلم الشرع والعقل وعين ان هذه الرياضة مزجرة للقوة الفلانية مهلكة لها كالانقهار والتسخر للغضب والصوم للشهوة والضعة للتكبر والذلة للتجبر وامثال ذلك (فجعلهم) هلكى هامدة لاحراك بها (كعصف مأكول) اى كقوى نباتية اميتت وذهب قوتها وحياتها ووقفت عن فعلها لضعفها بالرياضة والله اعلم

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

(لايلاف قريش ايلافهم) القوى الروحانية وايقاع مؤالفتها وموافقتها ومساتها فى اكتساب الفضائل واتحادها فى التوجه نحو الكمال فى الرحلتين (رحلة الشتاء والصيف) وبعد شمس الروح عن سمت رؤسهم والاوى الى غور البدن وترتيب مصالح المعاش واصلاح احوال البدن والقيام بضرورياته وعمارته ورحلة صيف قرب تلك الشمس من سمت رؤسهم والرقى الى انجاد عالم القدس والتلقى لروح اليقين (فليعبدوا رب هذا البيت) بالتوحيد وتخصيص العبادة به والتوجه نحوه بعد معرفته (الذى اطعمهم) اطعمة المعانى اليقينية والمعارف الحقيقية والحقائق الالهية (من جوع) داعية الاستعداد وتقاضى الفطرة فى سنة الجهل البسيط (وآمنهم من خوف) استيلاء حبشة القوى النفسانية وتخطفهم اياهم ومنعهم عن الانقياد والسعى فى تخريب الديار والاسر عن الاختيار والاستئصال بالدمار والبوار والله الموفق والسورتان كانتا فى مصحف ابى سورة واحدة وبعض كبار الصحابة قراهما فى ثانية المغرب معا والسلام

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(ارايت الذى يكذب بالدين) اى هل عرفت الجاهل المحجوب عن الجزاء من هوان لم تعرفه (فذلك) هو المرتكب جميع اصناف الرذائل المنهمك فيها لان الجهل والاحتجاب الذى هو رذيلة القوة النطقية اصل جميعها (الذى يدع اليتيم) يؤذى الضعيف ويدفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية وافراطها (ولا يحض) اهله (على طعام المسكين) ويمنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمية ومحبة المال واستحكام رذيلة البخل فى نفسه (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) اى للمؤمنين بهذه الصفات الذين ان صلوا غفلوا عن صلاتهم لاحتجابهم عن حقيقتها بجهلهم وعدم حضورهم والمصلين من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بأن اشرف افعالهم وصور حسناتهم سيئات وذنوب

(لعدم)

لعدم ماهى به معتبرة من الحضور والاخلاص واورد على صيغة الجمع لان المراد بالذى يكذب هو الجنس (الذين هم يراؤن) لاحتجابهم بالخلق عن الحق (ويمنعون الماعون) الذين يعان به الخلق ويصرف فى معونتهم من الاموال والامتعة وكل ماينتفع به لكون الحجاب حاكما عليهم بالاستئثار بالمنافع وحرمانهم عن النظر التوحيدى واحتجابهم بالمطالب الجزئية عن الكلية وعدم اعتمادهم بالجزاء فلا محبة لهم للحق للركون الى عالم التضاد والهبوط الى طبيعة الكون والفساد والاحتجاب عن حقيقة الاتحاد ولا عدالة فى انفسهم للاتصاف بالرذائل والبعد عن الفضائل ولاخوف ولا رجاء لغفلتهم عن الكمال والجهل بالمعاد فلا يعاونون احدا فلن يفلحوا ابدا والله اعلم

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا اعطيناك الكوثر) اى معرفة الكثرة بالوحدة وعلم التوحيد التفصيلى وشهود الوحدة فى عين الكثرة بتجلى الواحد الكثير والكثير الواحد وهو نهر فى الجنة من شرب منه لم يظمأ ابدا (فصل لربك) اى اذا شاهدت الواحد فى عين الكثرة فصل بالاستقامة الصلاة التامة بشهود الروح وحضور القلب وانقياد النفس وطاعة البدن بالتقلب فى هيا كل العبادات فانها الصلاة الكاملة الوافية بحقوق الجمع والتفصيل (وانحر) بدنة انائيتك لئلا تظهر فى شهودك بالتلوين ونسلبك مقام التمكين وكن مع الحق بالفناء الصرف باقيا ببقائه ابدا فلا تكون ابتر فى وصولك وحالك واتصال امتك الذين هم ذريتك بك (ان شانئك) مبغضك الذى على خلاف حالك المقطع عن الحق (هو الابتر) لا انت فانك الباقى ببقائه الدائم المتصل بك ذرياتك الحقيقية من اهل الايمان ابد الآبدين المذكور فيهم دهر الداهرين وهو الفانى بالحقيقة الهالك الذى لايوجد ولايذكر ولاينسب اليه ولد حقيقة والله اعلم

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل ياايها الكافرون) الذى ستروا نور استعدادهم الاصلى بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة فحجبوا عن الحق بالغير (لا اعبد) ابدا وانا شاهد للحق بالشهود الذاتى (ما تعبدون) من الآلهة المجعولة بهواكم المصورة بخيالكم والممثلة المعينة بعقولكم لمكان حجابكم (ولا انتم عابدون) ابدا وانتم انتم اى على حالكم وما انتم عليه من احتجابكم (ما اعبد) لامتناع معرفة الحق من الذين طبع على قلوبهم بالرين (ولا انا) قط (عابد) فى الزمان الماضى قبل الكمال والوصول التام بحسب الاستعداد الاول والفطرة الاولى اى الذات المجردة وحدها (ما عبدتم) فيه بحسب استعداداتكم الاولية قبل الاحتجاب والرين لكمال استعدادى فى الازل وتوجهه الى الحق فى الفطرة ونقصان استعداداتكم ازلا (ولا انتم عابدون) بحسب ذلك الاستعداد (ما اعبد) اى ولا يمكنكم عبادة معبودى بحسب الفطرة لنقصها الذاتى والحاصل ان عبادتى معبودكم وعبادتكم معبودى على الحال التى نحن فيها من الاستعداد الثانى الذى هو كالى واحتجابكم كلا هما محال فى الحال والاستقبال وكذا قبل هذا الاستعداد حال الاستعداد الاولى ايضا بحسب الذوات والاعيان انفسها كان غير ممكن فى الازل لوفور استعدادى وقصور استعداداتكم ومعناه سلب الامكان الاستقبالى والوصفى والذاتى والازلى ليفيد ضرورة السلب الازلية (لكم دينكم) من عبادة معبوداتكم (ولى دين) من عبادة معبودى اى لمالم يكن الوفاق بيننا تركتكم ودينكم فاتركونى ودينى والله اعلم

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا جاء نصر الله) اى المدد الملكوت والتأييد القدسى بتجليات الاسماء والصفات (والفتح) المطلق الذى لافتح وراءه وهو فتح باب الحضرة الاحدية والكشف الذاتى بعد الفتح المبين فى مقام الروح بالمشاهدة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله) اى التوحيد والسلوك على الصراط المستقيم بتأثير نورك فيهم عند فراغك من تكميل نفسك (افواجا) مجتمعين كأنهم نفس واحدة تستفيض من فيض ذاتك قائمة مقام نفسك وهم المستعدون الذين كانت بين نفسه عليه السلام وانفسهم علاقة مناسبة ورابطة جنسية توجب اتصالهم به بقبول فيضه (فسبح) اى نزه ذاتك من الاحتجاب بمقام القلب الذى هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقى الى مقام حق اليقين الذى هو معدن الولاية (بحمد ربك) اى حامداله باظهار كمالاته واوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلى (واستغفره) واطلب ستره ذاتك بذاته كما كان حال الفناء قبل الرجوع الى الخلق ابدا (انه كان توابا) فابلا الرجوع من رجع اليه بافنائه بنوره ولما كمل الدين واستقرت دعوته التى كانت بعثته لاجلها امره بالرجوع الى مقام حق اليقين الذى لايستقر الابعد الموت ولذلك لما نزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم استبشر الاصحاب وبكى ابن عباس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مايبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال عليه السلام لقد اوتى هذا الغلام علما كثيرا وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه انه دعا فاطمة عليها السلام فقال يابنتاه نعيت الى نفسى فبكت قال لاتبكى فانك اول اهلى لحوقا بى فضحكت وتسمى هذه سورة التوديع وروى انه عاش بعدها سنتين ونزلت فى حجة الوداع

سورة تبت

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبت يدا ابى لهب وتب) اى هلك ماهو سبب عمله الخبيث الذى استحق به الجحيم الملازم لنار الهلاك وهلك ذاته الخبيثة لاستحقاقها بحسب استعدادها اى استحق النار بذاته وبوصفه نارا على نار ولذلك ذكره بكنيته الدالة على لزومه اياها (ماأغنى عنه ماله وما كسب) اى مانفعه ماله الاصلى من العلم الاستعدادى الفطرى ولامكسوبه لعدم مطابقة اعتقاده لما فى نفس الامر وكلاهما متعاونان فى تعذيبه وما يجدى له احدهما (سيصلى نارا) عظيمة لاحتجابه بالشرك (ذات لهب) زائد على اصله لخبث اعماله وهيآتها فيصلى بالاعتقاد الفاسد والعمل السيئ هو (وامرأته) متقارنين فيها (حمالة الحطب) اى التى تحمل اوزار آثامها وهيآت اعمالها الخبيثة التى هى وقود نار جهنم وحطبها (فى جيدها حبل من مسد) قوى مما مسد اى فتل فتلا قويا من سلاسل النار لمحبتها الرذائل والفواحش فربطت هيآتها وآثامها بذلك الحبل الى عنقها تعذيبا لها بما يجانس خطاياها والله اعلم

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله احد) قل امر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل هو عبارة عن الحقيقة الاحدية الصرفة اى الذات من حيث هى بلا اعتبار صفة لايعرفها الا هو والله بدل منه وهو اسم الذات مع جميع الصفات دل بالابدال على ان صفاته تعالى ليست بزائدة على ذاته بل هى عين الذات لافرق الا بالاعتبار العقلى ولهذا سميت سورة الاخلاص لان الاخلاص تمحيص الحقيقة الاحدية عن شائبة الكثرة كما قال امير المؤمنين عليه السلام كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة واياه عنى من قال صفاته تعالى لاهو ولاغيره اى لاهو باعتبار العقل ولاغيره بحسب الحقيقة واحد خبر المبتدا والفرق بين الاحد والواحد ان الاحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها اى الحقيقة المحضة التى هى منبع العين

الكافورى بل العين الكافورى نفسه وهو الوجود من حيث هو وجود بلا قيد عموم وخصوص وشرط عروض والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهى الحضرة الاسمائية لكون الاسم هو الذات مع الصفة فعبر عن الحقيقة المحضة الغير المعلومة الا له هو وابدل عنها الذات مع جميع الصفات دلالة على انها عين الذات وحدها فى الحقيقة واخبر عنها بالاحدية ليدل على ان الكثرة الاعتبارية ليست بشئ فى الحقيقة وما ابطلت احديته وما اثرت فى وحدته بل الحضرة الواحدية هى بعينها الحضرة الاحدية بحسب الحقيقة كتوهم القطرات فى البحر مثلا (الله الصمد) اى الذات فى الحضرة الواحدية بحسب اعتبار الاسماء هو السند المطلق لكل الاشياء لافتقار كل ممكن اليه وكونه به فهو الغنى المطلق المحتاج اليه كل شئ كما قال والله الغنى وانتم الفقراء ولما كان كل ما سواه موجودا بوجوده ليس بشئ فى نفسه لان الامكان اللازم للماهية لا يقتضى الوجود فلا يجانسه ولا يماثله شئ فى الوجود (لم يلد) اذ معلولاته ليست موجودة معه بل به فهى به هى وبنفسها ليست شيا (ولم يولد) لصمديته المطلقة فلم يكن محتاجا فى الوجود الى شئ ولما كانت هويته الاحدية غير قابلة للكثرة والانقسام ولم يكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها اذ ما عدا الوجود المطلق ليس الا العدم المحض فلا يكافئه احد (ولم يكن له كفوا احد) اذ لا يكافئ العدم الصرف الوجود المحض ولهذا سميت سورة الاساس اذ اساس الدين على التوحيد بل اساس الوجود وعن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اى هو معنى صمديته

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعوذ برب الفلق) اى التجئ الى الاسم الهادى والوذ به بالاتصاف به والاتصال بروح القدس فى الحضرة الاسمائية لان الفلق هو نور الصبح المقدم على طلوع الشمس اى برب نور صبح تجلى الصفات الذى هو مقدمة طلوع نور الذات ورب نور صبح الصفات هو الاسم الهادى وكذا معنى كل مستعيذ بربه من شر شئ فانه يستعيذ بالاسم المخصوص بذلك الشئ كاستعاذة المريض مثلا بربه فانه يستعيذ بالشافى وكاستعاذة الجاهل من جهله بالعليم (من شر ما خلق) اى من شر الاحتجاب بالخلق وتأثيرهم فيه فان من اتصل بعالم القدس فى حضرة الاسماء واتصف بصفاته تعالى اثر فى كل مخلوق ولم يتأثر من احد لانهم فى عالم الآثار ومقام الافعال وقد ارتقى هو عن مقام الافعال الى مباديها من الصفات (ومن شر غاسق اذا وقب) اى من شر الاحتجاب بالبدن المظلم اذا دخل ظلامه كل شئ واستولى واثر بتغيرات احواله وانحراف مزاجه فى القلب لمحبة القلب له وميله اليه وانجذابه نحوه (ومن شر النفاثات فى العقد) اى القوى النفسانية من الوهم والتخيل والغضب والشهوة ونحوها التى تنفث فى عقد عزائم السالكين بايهامها بالدواعى الشيطانية وحلها ونكثها بالوساوس والهواجس (ومن شر حاسد اذا حسد) اى النفس اذا حسدت تنور القلب فانحلت صفاته ومعارفه باستراق السمع فطغت وظهرت عليه وحجبته وذلك هو التلوين فى مقام القلب ويجوز ان يكون الغاسق هو النفس المستولية الحاجبة بظلمة صفاتها للقلب والحاسد هو القلب اذا ظهر فى مقام الشهود فان تلوين مقام الشهود بوجود القلب كما ان تلوين مقام القلب بوجود النفس وتخصيص هذه البلايا بالاستعاذة منها بعد الاستعاذة من المخلوقات عموما انما كان لان اكثر الاحتجاب منها دون ما عداها من المخلوقات عموما لاتصالها به وتعلقه بها والله تعالى اعلم

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعوذ برب الناس) رب الناس هو الذات مع جميع الصفات لان الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه الذى اوجده وافاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الاسماء بحسب البداية المعبر عنه بالله

ولهذا قال تعالى مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى بالمتقابلين من الصفات كاللطف والقهر والجمال والجلال الشاملين لجميعها تعوذ بوجهه بعدما تعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه السورة عن المعوذة الاولى اذفيها تعوذ فى مقام الصفات باسمه الهدى فهداه الى ذاته (ملك الناس) ثم بين رب الناس بملك الناس على انه عطف بيان لان الملك هوالذى يملك رقابهم وامورهم باعتبار حال فنائهم فيه من قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالملك بالحقيقة هو الواحد القهار الذى قهر كل شئ بظهوره ثم عطف عليه (اله الناس) ابيان حال بقائهم بعد الفناء لان اله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات باعتبار النهاية استعاذ بجمابه المطلق ففنى فيه فظهر كونه ملكا ثم رده الى الوجود لمقام العبودية فكان معبودا دائما فتم استعاذته به (من شر الوسواس الخناس) لان الوسوسة تقتضى محلا وجوديا كما قال (الذى يوسوس فى صدور الناس) ولاوجود فى حال الفناء فلاصدور ولاوسواس ولاموسوس بل ان ظهر هنالك تلوين بوجود الانائية فقال اعوذبك منك فلما صار معبودا بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما كان اولا موجودا بوجوده والوسواس اسم للوسوسة سمى به الموسوس لدوام وسوسته كان نفسه وسواس وانما استعاذ منه بالاله دون بعض اسمائه كما فى السورة الاولى لان الشيطان هو الذى يقابل الرحمن ويستولى على الصورة الجمعية الانسانية ويظهر فى صور جميع الاسماء ويتمثل بها الا بالله فلم تكف الاستعاذة منه بالهادى والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى (الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس اى الرجاع لانه لا يوسوس الا مع الغفلة وكلما تنبه العبد وذكر الله خنس فالخنوس عادة له كالوسواس عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه قوله (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس فان الموسوس من الشياطين جنسان جنى غير محسوس كالوهم وانسى محسوس كالمضلين من افراد الانسان اما فى صورة الهادى كقوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين واما فى صوره غيره من صور الاسماء فلا يتم ايضا الاستعاذة منه الا بالله والله العاصم

تم تفسير الشيخ الاكبر نفعنا الله بعلومه آمين

فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم للامام على بن محمد المعروف بالخازن

﴿ تمت ﴾

* (فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن) *

(فهرست الجزء الثالث من تفسير القرآن الجليل الامام على بن محمد الخازن)

فهرست الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم للامام على بن محمد المعروف بالخازن